(فهرست الجزء الثانى من تاريخ ابن خلدون)

صحيفه

تم

الجزء الثانى

من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر

وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربى

بسم الله الرحمن الرحيم

(الكتاب الثانى فى أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة الى هذا العهد)

وفيه ذكر معاصريهم من الامم المشاهير مثل السريانيين والنبط والكلدانيين والفرس والقبط وبنى اسرائيل وبنى يونان والروم والالمام باخبار دولهم ويتقدم الكلام فى ذلك مقدمتان احداهما فى أمم العالم وانسابهم على الجملة الثانية فى كيفية أوضاع الانساب فى هذا الكتاب

(المقدمة الاولى فى أمم العالم واختلاف أجيالهم والكلام على الجملة فى أنسابهم)

اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتمر هذا العالم بخلقه وكرم بنى آدم باستخلافهم فى أرضه وبثهم فى نواحيها لتمام حكمته وخالف بين أممهم وأجيالهم اظهارا لآياته فيتعارفون بالانساب ويختلفون باللغات والالوان ويتمايزون بالسير والمذاهب والاخلاق ويفترقون بالنحل والاديان والاقاليم والجهات فمنهم العرب والفرس والروم وبنو اسرائيل والبربر ومنهم الصقالبة والحبش والزنج ومنهم أهل الهند وأهل بابل وأهل الصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب ومنهم المسلمون والنصارى واليهود والصابئة والمجوس ومنهم أهل الوبر وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المدر وهم

أصحاب

أصحاب المجاشر والقرى والاطم ومنهم البدو الظواهر والحضر الاهلون ومنهم العرب أهل البيان والفصاحة والعجم أهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والاغريقية واللطينية والبربرية تخالف أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم ليتم أمر الله فى اعتمار أرضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق وحاجات المعاش بحسب خصوصياتهم ونحلهم فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية ان فى ذلك لآيات للعالمين (واعلم) أن الاختصاص بالنسب أضعف المميزات لهذه الاجيال والامم لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذهابه ولهذا كان الاختلاف كثيرا ما يقع فى نسب الجيل الواحد أو الامة الواحدة اذا اتصلت مع الايام وتشعبت بطونها على الاحقاب كما وقع فى نسب كثير من أهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب فاذا اختلفت الانساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب على صحة ما ادعاه بشواهد الاحوال والمتعارف من المقارنات فى الزمان والمكان وما يرجع الى ذلك من خصائص القبائل وسمات الشعوب والفرق التى تكون فيهم متناقلة متعاقبة فى بنيهم (وسئل) مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك فقيل له فالى اسمعيل فأنكر ذلك وقال من يخبره به وعلى هذا درج كثير من علماء السلف وكره أيضا أن يرفع فى أنساب الانبياء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان وقال من يخبره به وكان بعضهم اذا تلا قوله تعالى والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون واحتجوا أيضا بحديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الكريم الى عدنان قال من ههنا كذب النسابون واحتجوا أيضا بما ثبت فيه أنه علم لا ينفع وجهالة لا تضر الى غير ذلك من الاستدلالات (وذهب) كثير من أئمة المحدثين والفقهاء مثل ابن اسحق والطبرى والبخارى الى جواز الرفع فى الانساب ولم يكرهوه محتجين بعمل السلف فقد كان أبو بكر رضى الله عنه أنسب قريش لقريش ومضر بل ولسائر العرب وكذا ابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبى طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهرى وابن سيرين وكثير من التابعين قالوا وتدعو الحاجة اليه فى كثير من المسائل الشرعية مثل تعصيب الوراثة وولاية النكاح والعاقلة فى الديات والعلم بنسب النبى صلى الله عليه وسلم وأنه القرشى الهاشمى الذى كان بمكة وهاجر الى المدينة فان هذا من فروض الايمان ولا يعذر الجاهل به وكذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها وكذا من يفرق فى الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم فهذا كله يدعو الى معرفة الانساب ويؤكد فضل هذا العلم وشرفه فلا ينبغى أن يكون ممنوعا وأما حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الى عدنان قال

من ههنا كذب النسابون يعنى من عدنان فقد أنكر السهيلى روايته من طريق ابن عباس مرفوعا وقال الاصح انه موقوف على ابن مسعود وخرج السهيلى عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال معد ابن عدنان بن أدد بن زيد بن البرى بن اعراق الثرى قال وفسرت أم سلمة زيدا بأنه الهميسع والبرى بأنه نبت أو نابت واعراق الثرى بأنه اسمعيل واسمعيل هو ابن ابراهيم وابراهيم لم تأكله النار كما لا تأكل الثرى ورد السهيلى تفسير أم سلمة وهو الصحيح وقال انما معناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم كلكم بنو آدم وادم من تراب لا يريد أن الهميسع ومن دونه ابن لاسمعيل لصلبه وعضد ذلك باتفاق الاخبار على بعد المدة بين عدنان واسمعيل التى تستحيل فى العادة أن يكون فيها بينهما أربعة آباء أو سبعة أو عشرة أو عشرون لان المدة أطول من هذا كله كما نذكره فى نسب عدنان فلم يبق فى الحديث متمسك لاحد من الفريقين وأما ما رووه من أن النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر فقد ضعف الائمة رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم مثل الجرجانى وأبى محمد بن حزم وأبى عمر بن عبد البر والحق فى الباب أن كل واحد من المذهبين ليس على اطلاقه فان الانساب القريبة التى يمكن التوصل الى معرفتها لا يضر الاشتغال بها لدعوى الحاجة اليها فى الامور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الايمان بمعرفة النبى صلى الله عليه وسلم ونسب الخلافة والتفرقة بين العرب والعجم فى الحرية والاسترقاق عند من يشترط ذلك كما مر كله وفى الامور العادية أيضا تثبت به اللحمة الطبيعية التى تكون بها المدافعة والمطالبة ومنفعة ذلك فى اقامة الملك والدين ظاهرة وقد كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينسبون الى مضر ويتساءلون عن ذلك وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم وهذا كله ظاهر فى النسب القريب وأما الانساب البعيدة العسرة المدرك التى لا يوقف عليها الا بالشواهد والمقارنات لبعد الزمان وطول الاحقاب أو لا يوقف عليها رأسا لدروس الاجيال فهذا قد ينبغى أن يكون له وجه فى الكراهة كما ذهب اليه من ذهب من أهل العلم مثل مالك وغيره لانه شغل الانسان بما لا يعنيه وهذا وجه قوله صلى الله عليه وسلم فيما بعد عدنان من ههنا كذب النسابون لانها أحقاب متطاولة ومعالم دارسة لا تثلج الصدور باليقين فى شئ منها مع أن علمها لا ينفع وجهلها لا يضر كما نقل والله الهادى الى الصواب

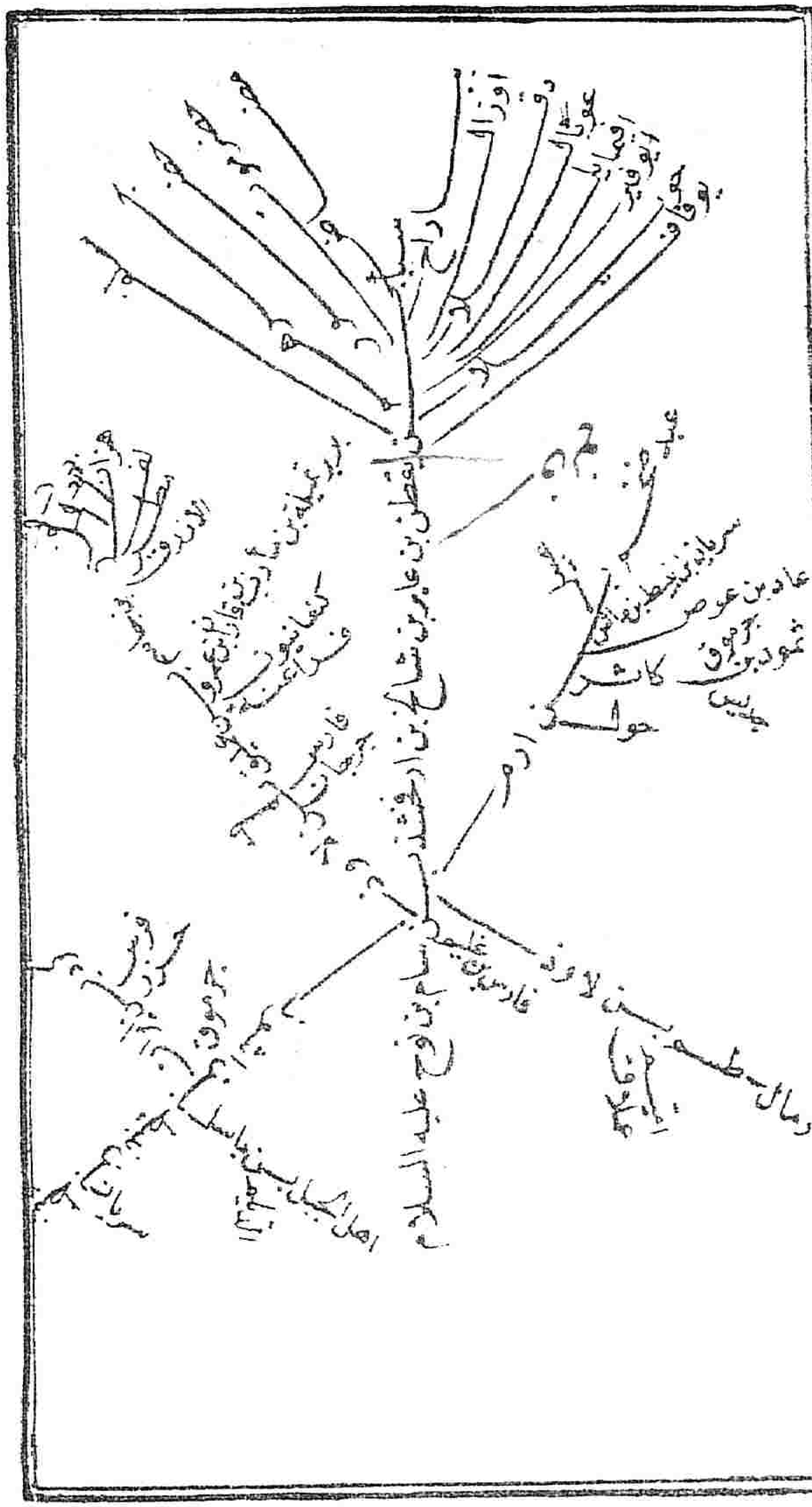
(ولنأخذ) الآن فى الكلام فى أنساب العالم على الجملة ونترك تفصيل كل واحد منها الى مكانه فنقول ان النسابين كلهم اتفقوا على ان الاب الاول للخليقة هو آدم عليه السلام كما وقع فى التنزيل الا ما يذكره ضعفاء الاخبار بين من أن الجن والطم

أمتان كانتا فيما زعموا من قبل آدم وهو ضعيف متروك وليس لدينا من أخبار آدم وذريته الا ما وقع فى المصحف الكريم وهو معروف بين الائمة واتفقوا على أن الارض عمرت بنسله أحقابا وأجيالا بعد أجيال الى عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياء مثل شيث وادريس وملوك فى تلك الاجيال معدودون وطوائف مشهورون بالنحل مثل الكلدانيين ومعناه الموحدون ومثل السريانيين وهم المشركون وزعموا أن أمم الصابئة منهم وأنهم من ولد صابى بن لمك بن أخنوخ وكان نحلتهم فى الكواكب والقيام لها كلها واستنزال روحانيتها وأن من حزبهم الكلدانيين أى الموحدين وقد ألف أبو اسحق الصابى الكاتب مقالة فى أنسابهم ونحلتهم وذكر أخبارهم أيضا داهر مؤرخ السريانيين والبابا الصابى الحرانى وذكروا استيلاءهم على العالم وجلا من نواميسهم وقد اندرسوا وانقطع أثرهم وقد يقال ان السريانيين من أهل تلك الاجيال وكذلك النمروذ والازدهاق وهو المسمى بالضحاك من ملوك الفرس وليس ذلك بصحيح عند المحققين واتفقوا على أن الطوفان الذى كان فى زمن نوح وبدعوته ذهب بعمران الارض أجمع بما كان من خراب المعمور ومهلك الذين ركبوا معه فى السفينة ولم يعقبوا فصار أهل الارض كلهم من نسله وعاد أبا ثانيا للخليقة وهو نوح بن لامك ويقال لمك بن متوشلخ بفتح اللام وسكونها ابن خنوخ ويقال أخنوخ ويقال أشنخ ويقال اخنخ وهو ادريس النبى فيما قاله ابن اسحق ابن يرد ويقال بيرد ابن مهلائيل ويقال ماهلايل بن قاين ويقال قينن بن أنوش ويقال يانش بن شيث بن آدم ومعنى شيث عطية الله هكذا نسبه ابن اسحق وغيره من الائمة وكذا وقع فى التوراة نسبه وليس فيه اختلاف بين الائمة ونقل ابن اسحق ان خنوخ الواقع اسمه فى هذا النسب هو ادريس النبى صلوات الله عليه وهو خلاف ما عليه الاكثر من النسابين فان ادريس عندهم ليس بجد لنوح ولا فى عمود نسبه وقد زعم الحكماء الاقدمون أيضا أن ادريس هو هرمس المشهور بالامامة فى الحكمة عندهم وكذلك يقال ان الصابئة من ولد صابى بن لامك وهو أخو نوح عليه السلام وقيل ان صابئ متوشلخ جده (واعلم) أن الخلاف الذى فى ضبط هذه الاسماء انما عرض فى مخارج الحروف فان هذه الاسماء انما أخذها العرب من أهل التوراة ومخارج الحروف فى لغتهم غير مخارجها فى لغة العرب فاذا وقع الحرف متوسطا بين حرفين من لغة العرب فترده العرب تارة الى هذا وتارة الى هذا وكذلك اشباع الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلام العجم فمن ههنا اختلف الضبط فى هذه الاسماء (واعلم) أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان ببابل فقط (واعلم) أن آدم هو كيومرث وهو

نهاية نسبهم فيما يزعمون وأن افريدون الملك فى آبائهم هو نوح وانه بعث لازدهاق وهو الضحاك فلبسه الملك وقبله كما نذكر بعد فى أخبارهم وقد تترجح صحة هذه الانساب من التوراة وكذلك قصص الانبياء الاقدمين اذا أخذت عن مسلمى يهود او من نسخ صحيحة من التوراة يغلب على الظن صحتها وقد وقعت العناية فى التوراة بنسب موسى عليه السلام واسرائيل وشعوب الاسباط ونسب ما بينهم وبين آدم صلوات الله عليه والنسب والقصص أمر لا يدخله النسخ فلم يبق الا تحرى النسخ الصحيحة والنقل المعتبر وأما ما يقال من ان علماءهم بدلوا مواضع من التوراة بحسب أغراضهم فى ديانتهم فقد قال ابن عباس على ما نقل عنه البخارى فى صحيحه ان ذلك بعيد وقال معاذ الله ان تعمد أمة من الامم الى كتابها المنزل على نبيها فتبدله أو ما فى معناه قال وانما بدلوه وحرفوه بالتأويل ويشهد لذلك قوله تعالى وعندهم التوراة فيها حكم الله ولو بدلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراة التى فيها حكم الله وما وقع فى القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها اليهم فانما المعنى به التأويل اللهم الا أن يطرقها التبديل فى الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط وتحريف من لا يحسن الكتابة بنسخها فذلك يمكن فى العادة لا سيما وملكهم قد ذهب وجماعتهم انتشرت فى الآفاق واستوى الضابط منهم وغير الضابط والعالم والجاهل ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذهاب الملك فتطرق من أجل ذلك الى صحف التوراة فى الغالب تبديل وتحريف غير معتمد من علمائهم وأحبارهم ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها اذا تحرى القاصد لذلك بالبحث عنه ثم اتفق النسابون ونقلة المفسرين على أن ولد نوح الذين تفرعت الامم منهم ثلاثة سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم فى التوراة وأن يافث أكبرهم وحام الاصغر وسام الاوسط وخرج الطبرى فى الباب أحاديث مرفوعة بمثل ذلك وأن سام أبو العرب ويافث أبو الروم وحام أبو الحبش والزنج وفى بعضها السودان وفى بعضها سام أبو العرب وفارس والروم ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وحام أبو القبط والسودان والبربر ومثله عن ابن المسيب ووهب بن منبه وهذه الاحاديث وان صحت فانما الانساب فيها مجملة ولا بد من نقل ما ذكره المحققون فى تفريع أنساب الامم من هؤلاء الثلاثة واحدا واحدا وكذلك نقل الطبرى أنه كان لنوح ولد اسمه كنعان وهو الذى هلك فى الطوفان قال وتسميه العرب يام وآخر مات قبل الطوفان اسمه عابر وقال هشام كان له ولد اسمه بوناطر والعقب انما هو من الثلاثة على ما أجمع عليه الناس وصحت به الاخبار فأما سام فمن ولده العرب على اختلافهم وابراهيم وبنوه صلوات الله عليهم باتفاق النسابين والخلاف بينهم انما هو فى تفاريع ذلك أو فى

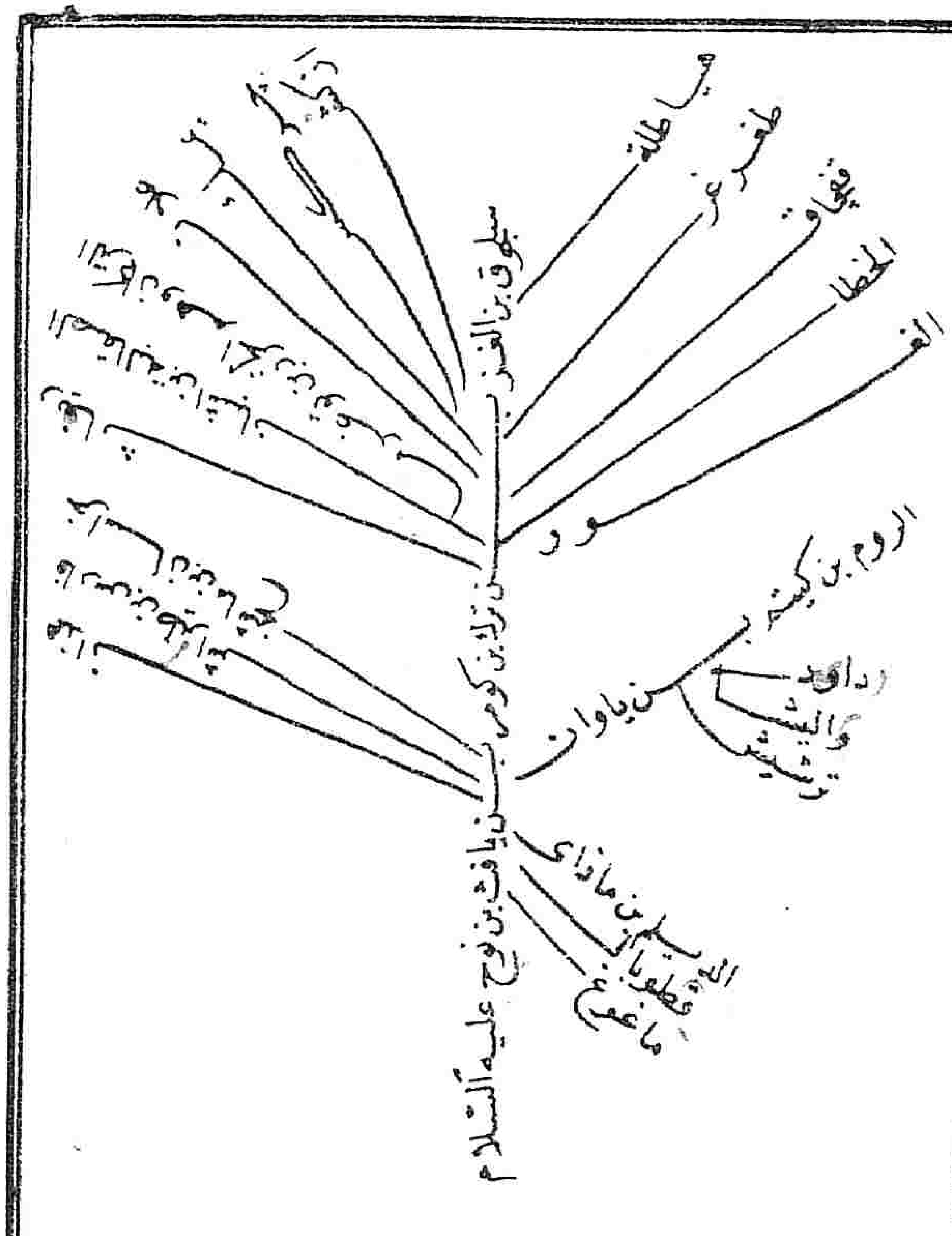
نسب غير العرب الى سام (فالذى نقله ابن اسحق) أن سام بن نوح كان له من الولد خمسة وهم ارفخشذ ولاوذ وإرم وأشوذ وغليم وكذا وقع ذكر هذه الخمسة فى التوراة وان بنى أشوذ هم أهل الموصل وبنى غليم أهل خوزستان ومنها الاهواز ولم يذكر فى التوراة ولد لاوذ وقال ابن اسحق وكان للاوذ أربعة من الولد وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس قال ومن العماليق أمة جاسم فمنهم بنو لاف وبنو هزان وبنو مطر وبنو الازرق ومنهم بديل وراحل وظفار ومنهم الكنعانيون وبرابرة الشأم وفراعنة مصر وعن غير ابن اسحق أن عبد بن ضخم وأميم من ولد لاوذ قال ابن اسحق وكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم يتكلمون بالعربية وفارس يجاورونهم الى المشرق ويتكلمون بالفارسية (قال) وولد إرم عوص وكاثر وعبيل ومن ولد عوص عاد ومنزلهم بالرمال والاحقاف الى حضرموت ومن ولد كاثر ثمود وجديس ومنزل ثمود بالحجر بين الشأم والحجاز (وقال) هشام بن الكلبى عبيل بن عوص أخو عاد وقال ابن حزم عن قدماء النسابين ان لاوذ هو ابن إرم بن سام أخو عوص وكاثر قال فعلى هذا يكون جديس وثمود أخوين وطسم وعملاق أخوين أبناء عم لحام وكلهم بنو عم عاد قال ويذكرون أن عبد بن ضخم ابن إرم وأن أميم بن لاوذ ابن إرم قال الطبرى وفهم الله لسان العربية عادا وثمود وعبيل وطسم وجديس وأميم وعمليق وهم العرب العاربة وربما يقال ان من العرب العاربة يقطن أيضا ويسمون أيضا العرب البائدة ولم يبق على وجه الارض منهم أحد قال وكان يقال عاد ارم فلما هلكوا قيل ثمود ارم ثم هلكوا فقيل لسائر ولد ارم ارمان وهم النبط وقال هشام بن محمد الكلبى ان النبط بنو نبيط بن ماش بن ارم والسريان بنو سريان بن نبط (وذكر) أيضا أن فارس من ولد أشوذ بن سام وقال فيه فارس ابن طيراش بن أشوذ وقيل انهم من أميم بن لاوذ وقيل ابن غليم (وفى التوراة) ذكر ملك الاهواز واسمه كردلاعمر من بنى غليم والاهواز متصلة ببلاد فارس فلعل هذا القائل ظن أن أهل أهوازهم فارس والصحيح أنهم من ولد يافث كما نذكر وقال أيضا ان البربر من ولد عمليق بن لاوذ وأنهم بنو تميلة من مارب بن قاران بن عمر بن عمليق والصحيح أنهم من كنعان بن حام كما نذكر وذكر فى التوراة ولد ارم أربعة عوص وكاثر وماش ويقال مشج والرابع حول ولم يقع عند بنى اسرائيل فى تفسير هذا شئ الا أن الجرامقة من ولد كاثر وقد قيل ان الكرد والديلم من العرب وهو قول مرغوب عنه وقال ابن سعيد كان لاشوذ أربعة من الولد ايران ونبيط وجرموق وباسل فمن ايران الفرس والكرد والخزر ومن نبيط النبط والسريان ومن جرموق الجرامقة وأهل الموصل ومن باسل الديلم وأهل الجبل قال الطبرى ومن ولد ارفخشذ العبرانيون وبنو عابر بن شالخ بن ارفخشذ وهكذا نسبه

فى التوراة وفى غيره أنّ شالخ ابن قينن بن أرفخشذ وانما لم يذكر قينن فى التوراة لانه كان ساحرا وادّعى الالوهية (وعند بعضهم) أنّ النمروذ من ولد ارفخشذ وهو ضعيف وفى التوراة انّ عابر ولد اثنين من الولد هما فالغ ويقطن وعند المحققين من النسابة أنّ يقطن هو قحطان عرّبته العرب هكذا ومن فالغ ابراهيم عليه السلام وشعوبه ويأتى ذكرهم ومن يقطن شعوب كثيرة ففى التوراة ذكر ثلاثة من الولد له وهم المرذاذ ومعربه ومضاض وهم جرهم وارم وهم حضور وسالف وهم أهل السلفات وسبا وهم أهل اليمن من حمير والتبابعة وكهلان وهدرماوت وهم حضرموت هؤلاء خمسة وثمانية أخرى ننقل أسماءهم وهى عبرانية ولم نقف على تفسير شئ منها ولا يعلم من أىّ البطون هم وهم يارح وأوزال ودفلا وعوثال وافيمايل وأيوفير وحويلا ويوقاف وعند النسابين أنّ جرهم من ولد يقطن فلا أدرى من أيهم وقال هشام بن الكلبى انّ الهند والسند من نوفير بن يقطن والله أعلم

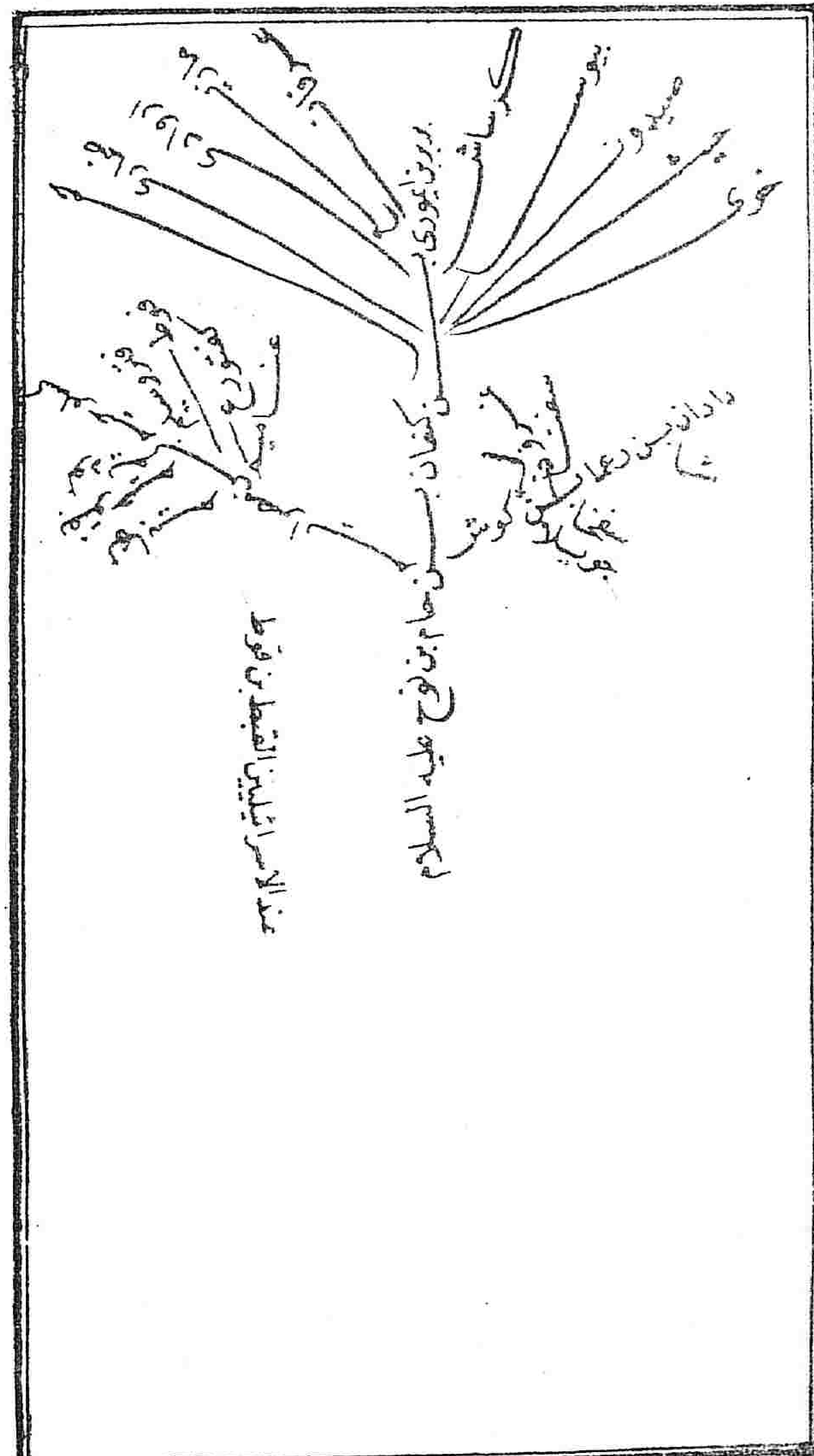


تنبيه
عليم بن سام
بضم العين
هو الموجود بالقاموس
والتاريخ الكامل
دون عيلام
الموجود فى نسخ
ابن خلدون
فلذلك واخترناه
واظنه تعريبه
قاله نصر

وأما يافث فمن ولده الترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج باتفاق من النسابين
وفي آخرين خلاف كما يذكر وكان له من الولد على ما وقع في التوراة سبعة وهم كومر
وياوان وماذاي وماغوغ وقطوبال وماشخ وطيراش وعدّهم ابن اسحق هكذا وحذف
ماذاي ولم يذكر كومر وتوغرما واشبان وريفاث هكذا في نص التوراة ووقع في
الاسرائيليات أن توغرما هم الخزر وأن اشبان هم الصقالبة وأن ريفاث هم الافرنج
ويقال لهم برنسوس والخزر هم التركمان وشعوب الترك كلهم من بني كومر ولم يذكروا
من أي الثلاثة هم والظاهر أنهم من توغرما ونسبهم ابن سعيد الى الترك ابن عامور بن
سويل بن يافث والظاهر أنه غلط وأن عامور هو كومر صحف عليه وهم أجناس
كثيرة منهم الطغرغر وهم التتر والخطا وكانوا بارض طمغاج والخزلقية والغز الذين كان
منهم السلجوقية والهياطلة الذين كان منهم الخلج ويقال للهياطلة الصغد أيضا ومن
اجناس الترك الغور والخزر والقفجاق ويقال الخفشاخ ومنهم يمك والعلان ويقال
الاز ومنهم الشركس وأزكش ومن ماغوغ عند الاسرائيليين يأجوج ومأجوج
وقال ابن اسحق انهم من كومر ومن ماذاي الديلم ويسمون في اللسان العبراني ماهان
ومنهم أيضا همذان وجعلهم بعض الاسرائيليين من بني همذان بن يافث وعدّ همذان
ثامنا للسبعة المذكورين من ولده وأما ياوان واسمه يونان فعند الاسرائيليين أنه كان
له من الولد أربعة وهم داود واليشا وكيتم وترشيش وأن كيتم من هؤلاء الاربعة هو
أبو الروم والباقي يونان وأن ترشيش أهل طرسوس وأما قطوبال فهم أهل الصين من
المشرق واللمام من المغرب ويقال ان أهل افريقية قبل البربر منهم وأن الافرنج أيضا
منهم ويقال أيضا ان أهل الاندلس قديما منهم وأما ماشخ فكان ولده عند الاسرائيليين
بخراسان وقد انقرضوا لهذا العهد فيما يظهر وعند بعض النسابين أن الاشبان منهم
وأما طيراش فهم الفرس عند الاسرائيليين وربما قال غيرهم انهم من كومر وأن الخزر
والترك من طيراش وان الصقالبة وبرجان والاشبان من ياوان وأن يأجوج ومأجوج
من كومر وهي كلها مزاعم بعيدة عن الصواب وقال هروشيوش مؤرخ الروم
ان القوط واللطين من ماغوغ وهذا آخر الكلام في أنساب يافث



(وأمّا) حام فمن ولده السودان والهند والسند والقبط وكنعان باتفاق وفى آخرين خلاف نذكره وكان له على ما وقع فى التوراة أربعة من الولد وهم مصر ويقول بعضهم مصرايم وكنعان وكوش وقوط فمن ولد مصر عند الاسرائيليين فتروسيم وكسلوحيم ووقع فى التوراة فلشنين منهما معا ولم يتعين من أحدهما وبنو فلشتين الذين كان منهم جالوت ومن ولد مصر عندهم كفتورع ويقولون هم أهل دمياط ووقع الانقلوس ابن أخت قيطش الذى خرب القدس فى الجلوة الكبرى على اليهود قال ان كفتورع هو قبطقاى ويظهر من هذه الصيغة أنهم القبط لما بين الاسمين من الشبه ومن ولد مصر عناميم وكان لهم نواحى اسكندرية وهم أيضا بفتوحيم ولوديم ولهابيم ولم يقع الينا تفسير هذه الاسماء وأمّا كنعان بن حام فذكر من ولده فى التوراة أحد عشر منهم صيدون ولهم ناحية صيدا وايورى وكرساش وكانوا بالشام وانتقلوا عندما غلبهم عليه يوشع الى افريقية فأقاموا بها ومن كنعان أيضا يبوسا وكانوا ببيت المقدس وهربوا أمام داود عليه السلام حين غلبهم عليه الى افريقية والمغرب وأقاموا بها والظاهر أنّ البربر من هؤلاء المنتقلين أوّلا وآخرا الا أنّ المحققين من نسابتهم على انهم من ولد مازيغ ابن كنعان فلعل مازيغ ينتسب الى هؤلاء ومن كنعان أيضا حيث الذين كان ملكهم عوج بن عناق ومنهم عرفان واروادى وخوى ولهم نابلس وسبا ولهم طرابلس وضمارى ولهم حمص وحما ولهم انطاكية وكانت تسمى حمايا منهم وأمّا كوش بن حام فذكر له فى التوراة خمسة من الولد وهم سفنا وسبا وجويلا ورعما وسفخا ومن ولد رعما شاو وهم السند ودادان وهم الهند وفيها أنّ النمروذ من ولد كوش ولم يعينه وفى تفاسيرها أنّ جويلا زويلة وهم أهل برقة وأمّا أهل اليمن من ولد سبا وأمّا قوط فعند أكثر الاسرائيليين أنّ القبط منهم ونقل الطبرى عن ابن اسحق أنّ الهند والسند والحبشة من بنى السودان من ولد كوش وانّ النوبة وفزان وزغاوة والزنج منهم من كنعان وقال ابن سعيد أجناس السودان كلهم من ولد حام ونسب ثلاثة منهم الى ثلاثة مما هم من ولده غير هؤلاء الحبشة الى حبش والنوبة الى نوابة أو نوى والزنج الى زنج ولم يسم أحدا من آباء الاجناس الباقية وهؤلاء الثلاثة الذين ذكروا لم يعرفوا من ولد حام فلعلهم من أعقابهم أو لعلها أسماء أجناس وقال هشام بن محمد الكلبى انّ النمروذ هو ابن كوش بن كنعان وقال هروشيوش مؤرخ الروم انّ سبا وأهل افريقية يعنى البربر من جويلا بن كوش ويسمى يضول وهذا والله أعلم غلط لانه مرّ أنّ يضول فى التوراة من ولد يافث ولذلك ذكر أنّ حبشة المغرب من دادان بن رعما من ولد مصر بن حام بنو قبط بن لاب بن مصر اهـ الكلام فى بنى حام وهذا آخر الكلام فى أنساب أمم العالم على الجملة والخلاف الذى فى تفاصيلها نذكره فى أماكنه والله ولى العون والتوفيق



(المقدمة الثانية فى كيفية وضع الانساب فى كتابنا لاهل الدول وغيرهم)

اعلم أن الانساب تتشعب دائما وذلك أن الرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر ويكون لكل واحد منهم كذلك وكل واحد منهم فرع ناشئ عن أصل أو فرع أو عن فرع فرع فصارت بمثابة الاغصان للشجرة تكون قائمة على ساق واحدة هى أصلها والفروع عن جانبها ولكل واحد من الفروع فروع أخرى الى أن تنتهى الى الغاية فلذلك اخترنا بعد الكلام على الانساب للامة وشعوبها أن نضع ذلك على شكل شجرة نجعل أصلها وعمود نسبها باسم الاعظم من أولئك الشعوب ومن له التقدم عليهم فيجعل عمود نسبه أصلا لها وتفرع الشعوب الاخرى عن جانبه من كل جهة كأنها فروع لتلك الشجرة حتى تتصل تلك الانساب عمودا وفروعا بأصلها الجامع لها ظاهرة للعيان فى صفحة واحدة فترتسم فى الخيال دفعة ويكون ذلك أعون على تصور الانساب وتشعبها فان الصور الحسية أقرب الى الارتسام فى الخيال من المعانى المتعلقة ثم لما كانت هذه الامم كلها لها دول وسلطان اعتمدنا بالقصد الاول ذكر الملوك منهم فى تلك الشجرات متصلة أنسابهم الى الجد الذى يجمعهم بعد أن نرسم على كل واحد منهم رتبته فى تعاقبهم واحدا بعد واحد بحروف أبجد فالالف للاول والباء للثانى والجيم للثالث والدال للرابع والهاء للخامس وهلم جرا ونهاية الاجداد لاهل تلك الدولة فى الآخر منهم ويكون للاول غصون وفروع فى كل جهة عنه فاذا نظرت فى الشجرة علمت أنساب الملوك فى كل دولة وترتيبهم بتلك الحروف واحدا بعد واحد والله أعلم بالصواب

القول فى أجيال العرب وأوليتها واختلاف طبقاتهم وتعاقبها وأنساب كل طبقة منها

اعلم أن العرب منهم الامة الراحلة الناجعة أهل الخيام لسكناهم والخيل لركوبهم والانعام لكسبهم يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها ويتخذون الدفء والاثاث من أوبارها وأشعارها ويحملون أثقالهم على ظهورها يتنازلون حللا مفترقة ويبتغون الرزق فى غالب أحوالهم من القنص ويختطف الناس من السبل ويتقلبون دائما فى المجالات فرارا من حمارة القيظ تارة وصبارة البرد أخرى وانتجاعا لمراعى غنمهم وارتيادا لمصالح ابلهم الكفيلة بمعاشهم وحمل أثقالهم ودفئهم ومنافعهم فاختصوا لذلك بسكنى الاقليم الثالث ما بين البحر المحيط من المغرب الى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق فعمروا اليمن والحجاز ونجدا وتهامة وما وراء ذلك مما دخلوا اليه فى المائة الخامسة كما ذكروه من مصر وصحارى برقة وتلولها وقسنطينة وافريقية وزاغا

والمغرب الاقصى والسوس لاختصاص هذه البلاد بالرمال والقفار المحيطة بالارياف والتلول والارياف الآهلة بمن سواهم من الامم فى فصل الربيع وزخرف الارض لرعى الكلا والعشب فى منابتها والتنقل فى نواحيها الى فصل الصيف لمدة الاقوات فى سنتهم من حبوبها وربما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من اضرارهم بافساد السابلة ورعى الزرع مخضرا وانتهابه قائما وحصيدا الا ما حاطته الدولة وذادت عنه الحامية فى الممالك التى للسلطان عليهم فيها ثم ينحدرون فى فصل الخريف الى القفار لرعى شجرها ونتاج ابلهم فى رمالها وما أحاط به علمهم من مصالحها وفرارا بأنفسهم وظعائنهم من أذى البرد الى دفاء مشاتيها فلا يزالون فى كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الاقليم الثالث والرابع صاعدين ومنحدرين على ممر الايام شعارهم لبس المخيط فى الغالب ولبس العمائم تيجانا على رؤسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب المشرق وقوم يلفون منها الليت والاخدع قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضلها وهم عرب المغرب حاكوا بها عمائم زناتة من أمم البربر قبلهم وكذلك اقتدوا منهم فى حمل السلاح اعتقال الرماح الخطية وهجروا تنكب القسى وكان المعروف لاولهم ومن بالمشرق لهذا العهد منهم استعمال الامرين ثم ان العرب لم يزالوا موسومين بين الامم بالبيان فى الكلام والفصاحة فى المنطق والذلاقة فى اللسان ولذلك سموا بهذا الاسم فانه مشتق من الابانة لقولهم أعرب الرجل عما فى ضميره اذا أبان عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الثيب تعرب عن نفسها والبيان سمتهم بين الامم منذ كانوا وانظر قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب النعمان بن المنذر أن يوفد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضى لذلك فاختار منهم وفدا أوفده عليه وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف فهذه كانت شعائرهم وسماتهم وأغلبها عليهم اتخاذ الابل والقيام على نتاجها وطلب الانتجاع بها لارتياد مراعيها ومفاحص تولدها بما كان معاشهم منها فالعرب أهل هذه الشعار من أجيال الآدميين كما أن الشاوية أهل القيام على الشاة والبقر لما كان معاشهم فيها فلهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه الا بالعرض ولذلك كان النسب فى بعضهم مجهولا عند الاكثر وفى بعضهم خفيا على الجمهور وربما تكون هذه السمات والشعائر فى أهل نسب آخر فيدعون باسم العرب الا أنهم فى الغالب يكونون أقرب الى الاولين من غيرهم وهذا الانتقال لا يكون الا فى أزمنة متطاولة وأحقاب متداولة ولذلك يعرض فى الانساب ما يعرض من الجهل والخفاء (واعلم) أن جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام كان فى عاد الاولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمى

اليهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح ثم لما انقرضت تلك العصور وذهب أولئك الامم وأبادهم الله بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل فى آخرين ممن قرب من نسبهم من حمير وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن اليهم من العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ثم لما تطاولت تلك العصور وتعاقبت وكان بنو فالغ بن عابر أعالم من بين ولده واختص الله بالنبوة منهم ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن ارغو بن فالغ وكان من شانه مع نمروذ ما قصه القرآن ثم كان من هجرته الى الحجاز ما هو مذكور وتخلف ابنه اسمعيل مع أمه هاجر بالحجر قربانا لله وحرت بهما رفقة من جرهم فى تلك المفازة فخالطوها ونشأ اسمعيل بينهم وربى فى أحيائهم وتعلم لغتهم العربية بعد ان كان أبوه أعجميا ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ثم بعثه الله الى جرهم والعمالقة الذين كانوا بالحجاز فآمن كثير منهم واتبعوه ثم عظم نسله وكثروصار بالجيل آخر من ربيعة ومضر ومن اليهم من اياد وعك وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد اسمعيل وهم العرب التابعة للعرب ثم انقرض أولئك الشعوب فى أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة فى الاسلام وخالطوا العجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم فى آماد متطاولة وبقى خلفهم أحياء بادين فى القفار والرمال والخلاء من الارض تارة والعمران تارة وقبائل بالمشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة والحبشة وبلاد الشأم والعراق والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان أمم لا يأخذها الحصر والضبط قد كاثروا أمم الارض لهذا العهد شرقا وغربا واعتزوا عليهم فهم اليوم أكثر أهل العالم وأملك لامرهم من جميع الامم ولما كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المضرى الذى نزل به القرآن وهو لسان سلفهم سميناهم لذلك العرب المستعجمة فهذه أجيال العرب منذ مبدإ الخليقة ولهذا العهد فى أربع طبقات متعاقبة كان لكل طبقة منها عصور وأجيال ودول وأحياء وقعت العناية بها دون من سواهم من الامم لكثرة أجيالهم واتساع النطاق من ملكهم فلنذكر لكل طبقة أحوال جيلها وبعض أيامهم ودولهم ومن كان على عهدهم من ملوك الامم ودولهم ليتبين لك بذلك مراتب الاجيال فى الخليقة كيف تعاقبت والله سبحانه وتعالى ولى العون

برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول فى هذه الطبقات الاربع على ترتيبها والدول المعاصرين من العجم فى كل طبقة منها

فنبدأ أولا بذكر الطبقة الاولى وهم العرب العاربة ونذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان لهم من الملك والدولة ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من بنى حمير بن سبأ

ونذكر

ونذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك باليمن فى التبابعة وأعقابهم ثم نرجع الى ذكر معاصريهم من العجم وهم ملوك بابل من السريانيين ثم ملوك الموصل ونينوى من الجرامقة ثم القبط وملوكهم بمصر ثم بنى اسرائيل ودولهم ببيت المقدس قبل تخريب بختنصر وبعده وبالصابئة ثم الفرس ودولهم الاولى والثانية ثم يونان ودولهم الاسكندر وقومه ثم الروم ودولهم فى القياصرة وغيرهم ثم نرجع الى ذكر الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب من قضاعة وقحطان وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر فنبدأ بقضاعة وأنسابهم وما كان لهم من الملك البدوى فى آل النعمان بالحيرة بالعراق ومن زاحمهم فيها من ملوك كندة بنى حجر آكل المرار ثم ما كان لهم أيضا من الملك البدوى بالشأم فى بنى جفنة بالبلقاء والاوس والخزرج بالمدينة النبوية ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة فى قريش ثم ما شرفهم الله به وجيل الآدميين أجمع من النبوة وذكر الهجرة والسير النبوية ثم نذكر ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فنترجم للخلفاء الاربعة وما كان على عصرهم من الردة والفتوحات والفتن ثم نذكر خلفاء الاسلام من بنى أمية وما كان لعهدهم من أمر الخوارج ثم نذكر خلفاء الشيعة وما كان لهم من الدول فى الاسلام فالاولى الدولة العظيمة لبنى العباس التى انتشرت فى أكثر ممالك الاسلام ثم دولة العلوية المزاحمين لها بعد صدر منها وهى دولة الادارسة بالمغرب الاقصى ثم دولة العبيدية من الاسماعيلية بالقيروان ومصر ثم القرامطة بالبحرين ثم دعاة طبرستان والديلم ثم ما كان من هؤلاء العلوية بالحجاز ثم نذكر بنى أمية المنازعين لبنى العباس بالاندلس وما كان لهم من الدولة فيها ثم الملك والطوائف من بعدهم ثم نرجع الى ذكر المستبدين بالدعوة العباسية بالمغرب والنواحى وهم بنو الاغلب بافريقية وبنو حمدان بالشأم وبنو المقلد بالموصل وبنو صالح ابن كلاب بحلب وبنو مروان بديار بكر وبنو أسد بالحلة وبنو زياد باليمن وبنو هود بالاندلس ثم نرجع الى القائمين بالدعوة العبيدية بالنواحى وهم الصليحيون باليمن وبنو أبى الحسن الكلبى بصقلية وصنهاجة بالمغرب ثم نرجع الى المستبدين بالدعوة العباسية من العجم فى النواحى وهم بنو طولون بمصر ومن بعدهم بنو طغج وبنو الصفار بفارس وسجستان وبنو سامان فيما وراء النهر وبنو سبكتكين فى غزنة وخراسان وغورية فى غزنة والهند وبنو حسنويه من الكرد فى خراسان ثم نرجع الى ذكر المستبدين على الخلفاء ببغداد من العجم وهم أهل الدولتين العظيمتين القائمتين بملك الاسلام من بعد العرب وهم بنو بويه من الديلم والسلجوقية من الترك ثم نرجع الى ملوك السلجوقية المستبدين بالنواحى وهم بنو طغتكين بالشأم وبنو قطلمش ببلاد الروم وبنو خوارزم شاه ببلاد

العجم وماوراء النهر وبنو سقمان بخلاط وارمينيه وبنو ارتق بماردين وبنو زنكي بالشأم وبنو أيوب بمصر والشأم ثم الترك الذين ورثوا ملكهم هنالك وبنو رسول باليمن ثم نرجع الى ذكر التتر من الترك القائمين على دولة الاسلام والماصين للخلافة العباسية ثم ما كان من دخولهم في دين الاسلام وقيامهم بالملك بالنواحي وهم بنو هولاكو بالعراق وبنو دوشيخان بالشمال وبنو ارتنا ببلاد الروم ومن بعد بني هولاكو بنو الشيخ حسن ببغداد وتوديز وبنو المظفر باصبهان وشيراز وكرمان وبعد بني ارتنا ملوك بني عثمان من التركمان ببلاد الروم وماوراءها ثم نرجع الى الطبقة الرابعة من المغرب وهم المستعجمة ومن له ملك بدوى منهم بالمغرب والمشرق ثم نخرج بعد ذكر ذلك الى ذكر البربر ودولهم بالمغرب لانهم كانوا من شرط كتابنا وهنالك نذكر برنامج دولهم والله سبحانه اعلم

الطبقة الاولى من العرب وهم العرب العاربة
وذكر نسبهم والالمام بملكهم ودولهم على الجملة

هذه الامة اقدم الامم من بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثارا في الارض وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه لان اخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع اطلاعنا عليها لتطاول الاحقاب ودروسها الا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر عن الانبياء بوحي الله اليهم وماسوى ذلك من الاخبار الازلية فمنقطع الاسناد ولذلك كان المعتمد عند الاثبات في أخبارهم مانطق به آية القرآن في قصص الانبياء الاقدمين أو ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم وذكر دولهم وحروبهم ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أو سمعوه ممن هاجر الى الاسلام من أحبار اليهود وعلمائهم أهل التوراة أقدم الصحف المنزلة فيما علمناه وما سوى ذلك من حطام المفسرين وأساطير القصص وكتب بدء الخليقة فلا نعول على شئ منه وان وجد لمشاهير العلماء تأليف مثل كتاب الياقوتية للطبرى والبدء للكسائى فانما نحوا فيها منحى القصاص وجروا على أساليبهم ولم يلتزموا فيها الصحة ولاضمنوا لنا الوثوق بها فلا ينبغي التعويل عليها وترك شأنها وأخبار هذا الجيل من العرب وان لم يقع لها ذكر في التوراة الا أن بني اسرائيل من بين أهل الكتاب أقرب اليهم عصرا وأوعى لاخبارهم فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لاخبار هذا الجيل ثم ان هذه الامم على مانقل كان لهم ملوك ودول فملوك جزيرة العرب وهي الارض التي أحاط بها بحر الهند من جنوبها وخليج الحبشة من غربها وخليج فارس من شرقها وفيها اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وامتد ملكهم فيها الى الشأم ومصر في شعوب منهم على مايذكر

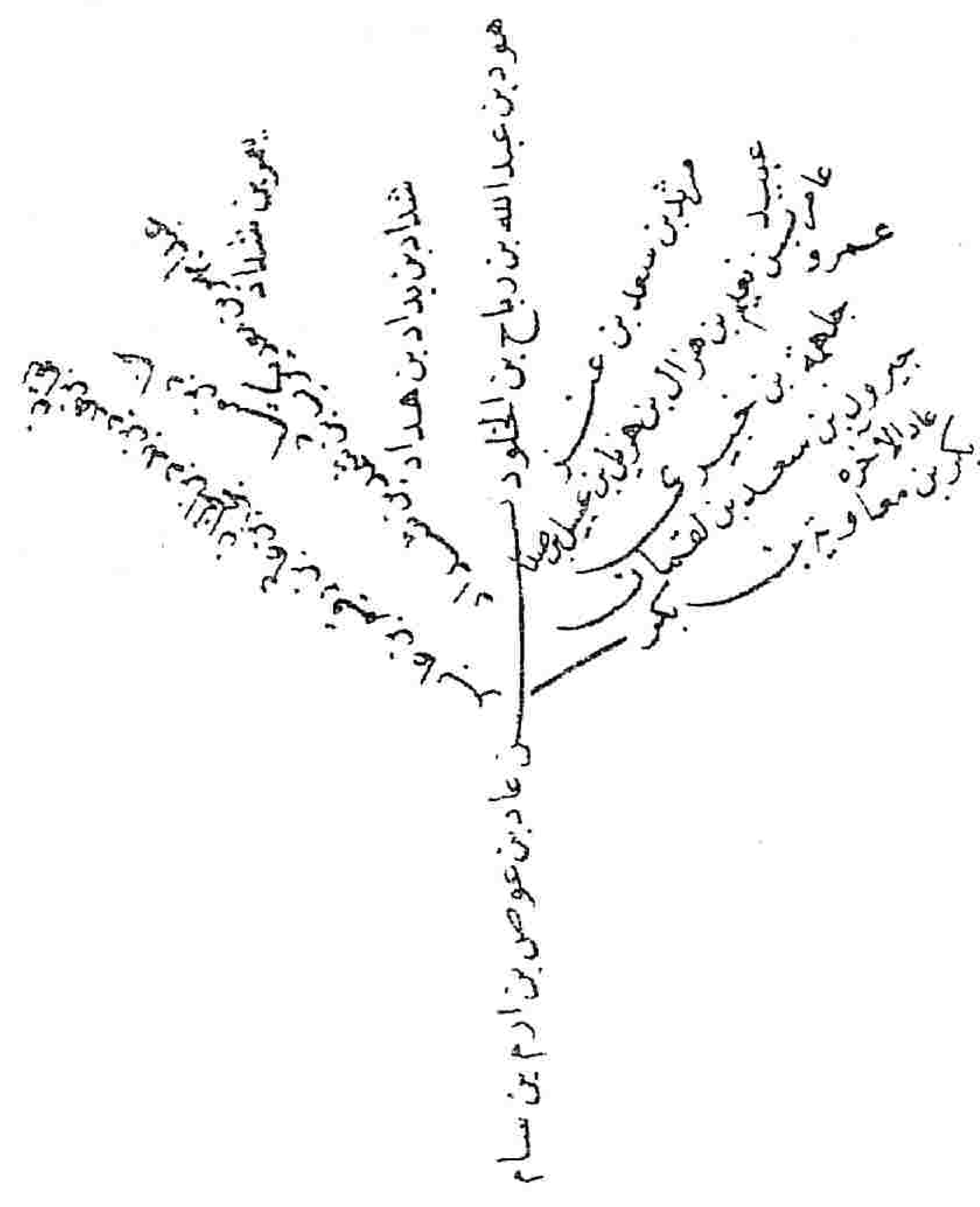
ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبما نذكره الى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان وهؤلاء العرب العاربة شعوب كثيرة وهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضورا والسلفات ويسمى أهل هذا الجيل العرب العاربة إما بمعنى الراسخة في العروبية كما يقال ليل أليل وصوم صائم أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها وقد تسمى البائدة أيضا بمعنى الهالكة لانه لم يبق على وجه الارض أحد من نسلهم (فأما عاد) وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام فكانت مواطنهم الاولى باحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده وفي التواريخ انه ولد له أربعة آلاف ولد ذكر لصلبه وتزوج ألف امرأة وعاش ألف سنة ومائتي سنة وقال البيهقي انه عاش ثلثمائة سنة وملك بعده بنوه الثلاثة شديد وبعده شداد وبعده ارم وذكر المسعودى ان الذى ملك من بعد عاد وشداد منهم هو الذى سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشأم والهند والعراق وقال الزمخشرى ان شدادا هو الذى بنى مدينة ارم في صحاري عدن وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزبرجد يحاكى بها الجنة لما سمع وصفها طغيانا منه وعتوا ويقال ان باني ارم هذه هو إرم بن عاد وذكر ابن سعيد عن البيهقي أن باني ارم هو ارم بن شداد بن عاد الاكبر والصحيح أنه ليس هنالك مدينة اسمها ارم وانما هذا من خرافات القصاص وانما ينقله ضعفاء المفسرين وارم المذكورة في قوله تعالى ارم ذات العماد القبيلة لا البلد (وذكر المسعودى) أن ملك عوص كان ثلثمائة وان الذى ملك من بعده ابنه عاد بن عوص وان جيرون بن سعد بن عاد كان من ملوكهم وانه الذى اختط مدينة دمشق ومصرها وجمع عمد الرخام والمرمر اليها وسماها ارم ومن أبواب مدينة دمشق الى هذا العهد باب جيرون وذكره الشعراء في معاهدها قال الشاعر

النخل فالقصر فالجماء بينهما * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

وهذا البيت في الصوت الاول من كتاب الاغاني وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق جيرون ويزيد اخوان هما ابنا سعد بن لقمان بن عاد وبهما عرف باب جيرون ونهر يزيد والصحيح أن باب جيرون انما سمى باسم مولى من موالى سليمان عليه السلام في دولة بني اسرائيل جيرون كان ظاهرا في دولتهم (وذكر ابن سعيد) في أخبار القبط ان شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد حارب بعضا من القبط وغلب على أسافل مصر ونزل الاسكندرية وبنى بها حينئذ مدينة مذكورة في التوراة يقال لها أون ثم

هلك في حروبهم وجمع القبط اخوتهم من البربر والسودان وأخرجوا العرب من ملك مصر (ثم لما اتصل ملك عاد) وعظم طغيانهم وعتوهم انتحلوا عبادة الاصنام والاوثان من الحجارة والخشب ويقال ان ذلك لانتحالهم دين الصابئة فبعث الله اليهم أخاهم هودا وهو فيما ذكر المسعودي والطبري هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد وفي كتاب البدء لابن حبيب رباح ابن حرب بن عاد وبعضهم يقول هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ فوعظهم وكان ملوكهم لعهده الخلجان ولقمان بن عاد بن عاديا بن صدا ابن عاد فآمن به لقمان وقومه وكفر الخلجان وامتنع هود بعشيرته من عاد وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين وبعثوا الوفود من قومهم الى مكة يستسقون لهم وكان في الوفد على ما قاله الطبري نعيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن صدا بن عاد وقيل ابن عنز منهم وجلهمة بن الخيبري ومرثد بن سعد بن عنز وكان ممن آمن بهود واتبعه وكان بمكة من عاد هولاء معاوية بن بكر وقومه وكانت هزيلة أخت معاوية عند نعيم بن هزال وولدت له عبيدا وعمرا وعامرا فلما وصل الوفد الى مكة مروا بمعاوية بن بكر وابنه بكر ونزل الوفد عليه ثم تبعهم لقمان بن عاد وأقاموا عند معاوية وقومه شهرا لمكانهم من الخؤلة ومكثوا يشربون وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وابنه بكر ثم غنتاهم شعرا تذكرهم بأمرهم فانبعثوا ومضوا الى الاستسقاء وتخلف عنهم لقمان بن عاد ومرثد بن سعد فدعوا في استسقائهم وتضرعوا وأنشأ الله السحب ونودي بهم ان اختاروا فاختاروا سوداء من السحب وأنذروا بعذابها فمضت الى قومهم وهلكوا كما قصه القرآن (وفي خبر الطبري) ان الوفد لما رجعوا الى معاوية بن بكر لقيهم خبر مهلك قومهم هنالك وان هودا بساحل البحر وان الخلجان ملكهم قد هلك بالريح فيمن هلك وان الريح كانت تدخل تحت الرجل فتحمله حتى تقطعوا في الجبال وتقلع الشجر وترفع البيوت حتى هلكوا أجمعون انتهى كلام الطبري (ثم ملك لقمان ورهطه) من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال ألف سنة أو يزيد وانتقل ملكه الى ولده لقمان وذكر البخاري في تاريخه ان الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا هو هدد بن بدد بن الخلجان بن عاد بن رقيم ابن عابر بن عاد الاكبر وأن المدينة بساحل برقة اهـ ولم يزل ملكهم متصلا الى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى أن انقرضوا وقال صاحب زجارات ملكهم عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الاكبر هو الذي حارب يعرب بن قحطان وكان كافرا يعبد القمر وانه كان على عهد نوح وهذا بعيد لان بعثة هود كانت عند استفحال دولتهم أو عند مبتدئها وغلب يعرب كان عند انقراضها وكذلك هدد الذي ذكر البخاري انه ملك برقة انما هو حافد الخلجان الذي اعتصم آخرهم بجبل حضرموت

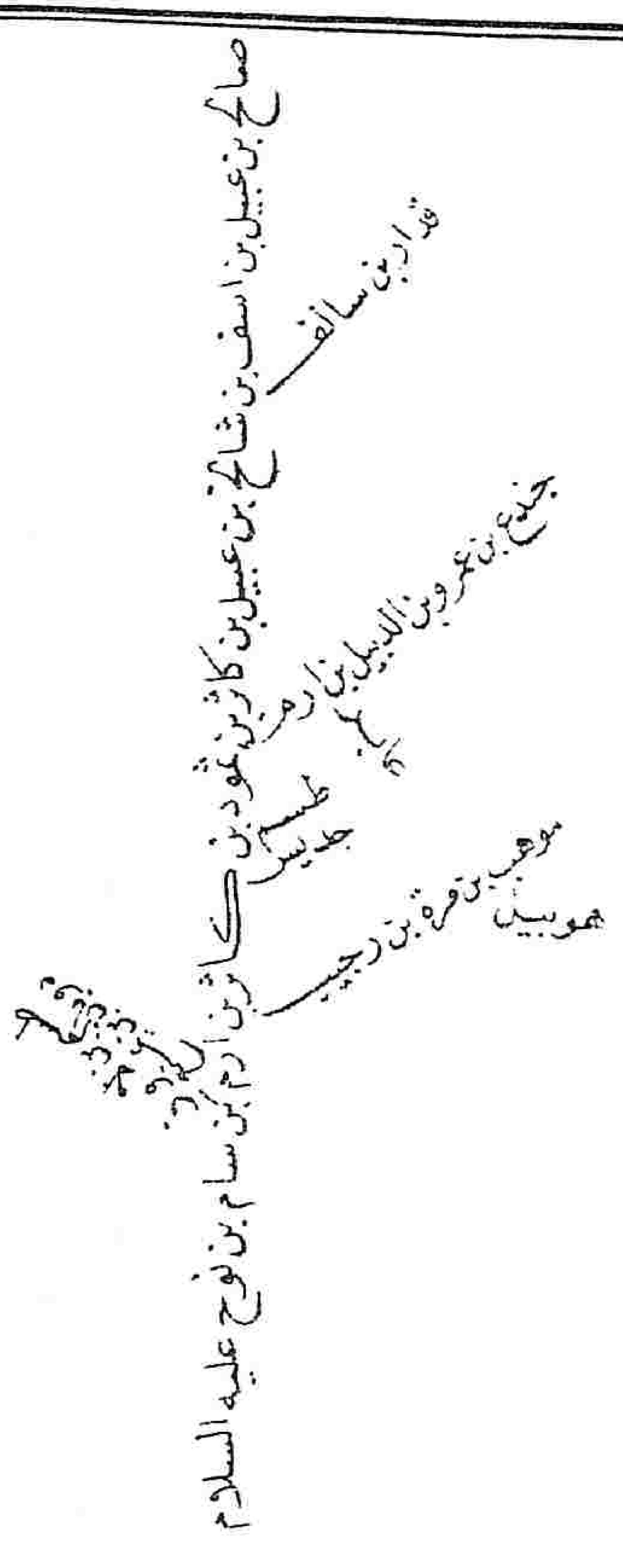
وخبر البخاري مقدم وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني وكان من ملوك عاد يعمر بن شداد وعبد أبهر بن معديكرب بن شمد بن شداد بن عاد وحناد بن ميادبن شمد بن شداد وملوك آخرون أبادهم الله والبقاء لله وحده (فأما عبيل) وهم اخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبي واخوان عوص بن ارم فيما قاله الطبري وكانت ديارهم بالجحفة بين مكة والمدينة وأهلكهم السيل وكان الذي اختط يثرب منهم هكذا قال المسعودي وقال هو يثرب بن بائلة بن مهلهل بن عبيل وقال السهيلي ان الذي اختط يثرب من العماليق وهو يثرب بن مهلايل بن عوص بن عمليق (وأما عبد ضخم بن ارم) فقال الطبري كانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل وقال غيره انهم أول من كتب بالخط العربي



(وأما ثمود) وهم بنو ثمود بن كاثر بن ارم فكانت ديارهم بالحجر ووادى القرى فيما بين الحجاز والشأم وكانوا ينحتون بيوتهم فى الجبال و يقال لان أعمارهم كانت تطول فيأتى البلاء والخراب على بيوتهم فنحتوها الذلك فى الصخر وهى لهذا العهد وقد مر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ونهى عن دخولها كما فى الصحيح وفيه اشارة الى أنها بيوت ثمود أهل ذلك الجيل و يشهد ذلك بطلان مايذهب اليه القصاص ووقع مثله للمسعودى من أن أهل تلك الاجيال كانت أجسامهم مفرطة فى الطول والعظم وهذه البيوت المشاهدة المنسوبة اليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه يشهد بأنهم فى طولهم وعظم حجراتهم مثلنا سواء فلا أقدم من عاد وأهل أجيالهم فيما بلغنا ويقال ان أول ملوكهم كان عابر بن ارم بن ثمود ملك عليهم مائتى سنة ثم كان من بعده جندع بن عمرو بن الدبيل بن ارم بن ثمود ويقال ملك نحوا من ثلثمائة سنة وفى أيامه كانت بعثة صالح عليه السلام وهو صالح بن عبيل بن أسف بن شالح بن عبيل بن كاثر بن ثمود وكانوا أهل كفر وبغى وعبادة أوثان فدعاهم صالح الى الدين والتوحيد قال الطبرى فلما جاءهم بذلك كفروا وطلبوا الآيات فخرج بهم الى هضبة من الارض فتمخضت عن الناقة ونهاهم أن يتعرضوا لها بعقر أو هلكة وأخبرهم مع ذلك انهم عاقروها ولابد ورأس عليهم قدار بن سالف وكان صالح وصف لهم عاقر الناقة بصفة قدار هذا ولما طال النذير عليهم من صالح سئموه وهموا بقتله وكان يأوى الى مسجد خارج ملائهم فكمن له رهط منهم تحت صخرة فى طريقه ليقتلوه فانطبقت عليهم وهلكوا وحنقوا ومضوا الى الناقة ورماها قدار بسهم فى ضرعها وقتلها ولجأ فصيلها الى الجبل فلم يدركوه وأقبل صالح وقد تخوف عليهم العذاب فلما رآه الفصيل أقبل اليه ورغا ثلاث رغاآت فأنذرهم صالح ثلاثا وفى صبح الرابعة صعقوا بصيحة من السماء تقطعت بها قلوبهم فأصبحوا جاثمين وهلك جميعهم حيث كانوا من الارض الا رجلا كان فى الحرم منعه الله من العذاب قيل من هو يارسول الله قال أبو رغال و يقال ان صالحا أقام عشرين سنة ينذرهم و توفى ابن ثمان وخمسين سنة وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى غزوة تبوك بقرى ثمود فنهى عن استعمال مياههم وقال لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا وأنتم باكون أن يصيبكم ما أصابهم اهـ كلام الطبرى (وقال الجرجانى) كان من ملوكهم دوبان بن يمنع ملك الاسكندرية ووهب بن مرة بن رحيب وكان عظيم الملك وأخوه هويل بن مرة كذلك وفيما ذكره المفسرون انهم أول من نحت الجبال والصخور وانهم بنوا ألفا وسبعمائة مدينة وفى هذا مافيه ثم هبوا بما كسبوا ودرجوا فى الغابرين وهلكوا ويقال ان من بقاياهم أهل الرس الذين كان نبيهم حنظلة بن صفوان وليس

ذلك بصحيح وأهل الرس هم حضور ويأتى ذكرهم فى بنى فالغ بن عابر وكذلك يزعم بعض
النسابة أن ثقيفا من بقايا ثمود هؤلاء وهو مردود وكان الحجاج بن يوسف اذا
سمع ذلك يقول كذبوا وقال والله جل من قائل يقول وثمود فما أبقى أى أهلكهم
فما أبقى أحدا منهم وأهل التوراة لا يعرفون شيأ من أخبار عاد ولا ثمود لانهم لم يقع لهم
ذكر فى التوراة ولا لهود ولا لصالح عليهما السلام بل ولا لاحد من العرب العاربة لان
سياق الاخبار فى التوراة عن أولئك الامم انما هو لمن كان فى عمود النسب ما بين
موسى وآدم صلوات الله عليهم وليس لاحد من آباء هؤلاء الاجيال ذكر فى عمود ذلك
النسب فلم يذكروا فيها (وأما جديس وطسم) فعند ابن الكلبى أن جديسا لارم بن سام
وديارهم اليمامة وهم اخوان لثمود بن كاثر ولذلك ذكرهم بعدهم وان طسما للاوذ بن سام
وديارهم بالبحرين وعند الطبرى انهما معا للاوذ وديارهم باليمامة ولهذين الاثنين خبر
مشهور ينبغى سياقه عند ذكرهم قال الطبرى عن هشام بن محمد الكلبى بسنده الى ابن
اسحق وغيره من علماء العرب ان طسما وجديسا كانوا من ساكنى اليمامة وهى اذ ذاك
من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرا وثمارا وحدائق وقصورا وكان ملك طسم
غشوما لا ينهاه شئ عن هواه ويقال له عملوق وكان مضرا بجديس مستذلا لهم حتى
كانت البكر من جديس لا تهدى الى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها وكان
السبب فى ذلك أن امرأة منهم كان اسمها هزيلة طلقها زوجها وأخذ ولده منها فأمر
عملوق ببيعها وأخذ زوجها الخمس من ثمنها فقالت شعرا تتظلم منه فأمر أن لا تزوج
منهم امرأة حتى يفترعها فقاموا كذلك حتى تزوجت الشموس وهى عفيرة ابنة
غفار بن جديس أخت الاسود فافتضها عملوق فقال الاسود بن غفار لرؤساء جديس
قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذى ينبغى للكلاب ان تعافه فأطيعونى أدعوكم
الى عز الدهر فقالوا وماذاك قال اصنع للملك وقومه دعوة فاذا جاؤا يعنى طسما نهضنا
اليهم باسيافنا نقتلهم فاجمعوا على ذلك ودفنوا اسيوفهم فى الرمل ودعوا عملوقا وقومه
فلما حضروا اقتلوهم فافنوهم وقتل الاسود عملوقا وأفلت رباح بن مرة بن طسم فأتى
حسان بن تبع مستغيثا فنهض حسان فى حمير لاغاثته حتى كان من اليمامة على ثلاث
مراحل قال لهم رباح ان لى أختا متزوجة فى جديس اسمها اليمامة ليس على وجه
الارض أبصر منها وانها لتبصر الراكب على ثلاث مراحل وأخاف أن تنظر
القوم فأمر كل رجل أن يقلع شجرة فيجعلها فى يده ويسير كأنه خلفها ففعلوا وبصرت
بهم اليمامة فقالت لجديس لقد سارت اليكم حمير وانى أرى رجلا من وراء شجرة بيده
كتف يتعرقها أو نعل يخصفها فاستبعدوا ذلك ولم يحفلوا به وصبحهم حسان وجنوده

من حمير فأبادهم وخرب حصونهم وبلادهم وهرب الاسود بن غفار الى جبلى طى فأقام
بهما ودعا تبع باليمامة أخت رباح التى ابصرتهم فقلع عينها ويقال انه وجد بها عروقا
سودا زعمت أن ذلك من اكتحالها بالاثمد وكانت تلك البلد تسمى جو فسميت باليمامة
اسم تلك المرأة قال أبو الفرج الاصبهانى وكانت طى تسكن الجرف من أرض اليمن
وهى اليوم محلة مراد وهمدان وسيدهم يومئذ سامة بن لؤى بن الغوث بن طى وكان
الوادى مسبعة وهم قليل عددهم وكان يجتاز بهم بعير فى زمن الخريف ويذهب ثم يجئ
من قابل ولا يعرفون مقره وكانت الازد قد خرجت أيام سيل العرم واستوحشت طى
فظعنوا على أثرهم وقالوا لسامة هذا البعير انما يأتى من الريف والخصب لان فى بعره
النوى فلما جاءهم زمن الخريف اتبعوه يسيرون لسيره حتى هبط عن الجبلين وهجموا على
النخل فى الشعاب وعلى المواشى واذاهم بالاسود بن غفار فى بعض تلك الشعاب فهالهم
خلقه وتخوفوه ونزلوا ناحية ونفضوا الطريق فلم يروا أحدا فأمر سامة ابنه الغوث بقتل
الاسود فجاء اليه فعجب من صغر خلقه وقال من أين أقبلتم قال من اليمن وأخبره خبر
البعير ثم رماه فقتله وأقامت طى بالجبلين بعده وذكر الطبرى عن غير ابن اسحق أن تبع
الذى أوقع بجديس هو والد حسان هذا وهو تبان أسعد أبو كرب بن ملكى كرب ويأتى
ذكره فى ملوك اليمن ان شاء الله تعالى انتهى كلام الطبرى وقال غيره ان حسان بن تبع لما
سار بحمير الى طسم بعث على مقدمته اليهم عبد كلال بن مثوب بن حجر بن ذى رعين من
أقيال حمير فسلك بهم رباح بن مرة الرمل وكانت الزرقاء أخت رباح ناكحا فى طسم وتسمى
عنزة واليمامة وكانت تبصر على البعد فأنذرتهم فلم يقبلوا وصبح عبد بن كلال جديسا الى
آخر القصة وبقيت اليمامة بعد طسم يبابا لا يأكل ثمرها الا عوافى الطير والسباع حتى
نزلها بنو حنيفة وكانوا بعثوا رائدهم عبيد بن ثعلبة الحنفى يرتاد لهم فى البلاد فلما أكل
من ذلك الثمر قال ان هذا الطعام وحجر بعصاه على موضع قصبة اليمامة فسميت حجرا
واستوطنها بنو حنيفة وبها صبحهم الاسلام كما يأتى فى أخبارهم ان شاء الله تعالى



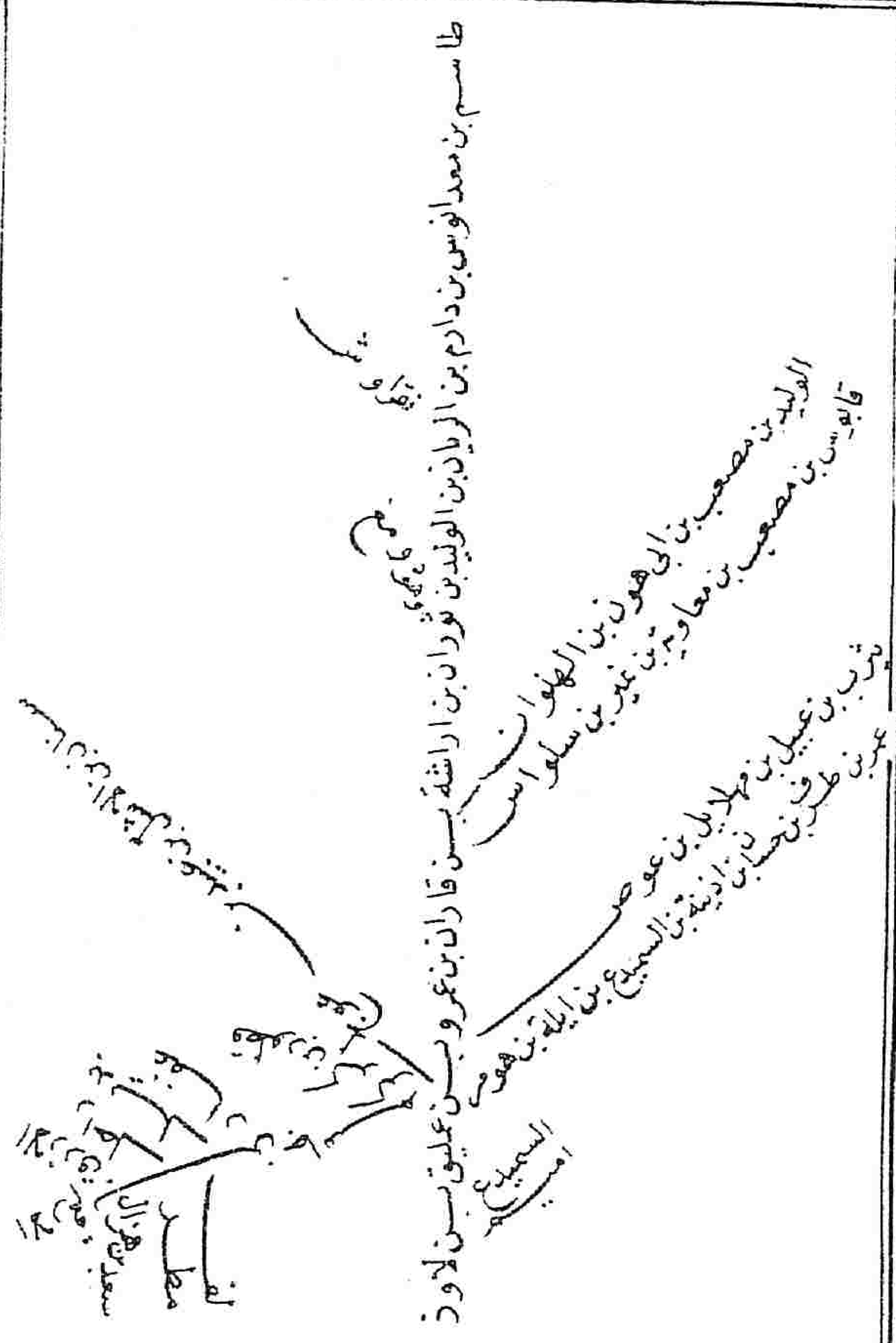
واما العمالقة

(وأما العمالقة) فهم بنو عمليق بن لاوذو بهم يضرب المثل فى الطول والجثمان قال الطبرى عمليق أبو العمالقة كلهم أمم تفرقت فى البلاد فكان أهل المشرق وأهل عمان البحرين وأهل الحجاز منهم وكانت الفراعنة بمصر منهم وكانت الجبابرة بالشأم الذين يقال لهم الكنعانيون منهم وكان الذين بالبحرين وعمان والمدينة يسمون جاسم وكان بالمدينة من جاسم هؤلاء بنو لف و بنو سعد بن هزال و بنو مطرو بنو الازرق وكان بنجد منهم بديل وراحل وغفار و بالحجاز منهم الى تيما بنو الارقم ويسكنون مع ذلك نجدا وكان ملكهم يسمى الارقم قال وكان بالطائف بنو عبد ضخم بن عاد الاول انتهى (وقال ابن سعيد) فيما نقله عن كتب التواريخ التى اطلع عليها فى خزانة الكتب بدار الخلافة من بغداد قال كانت مواطن العمالقة تهامة من أرض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق أمام النماردة من بنى حام ولم يزالوا كذلك الى أن جاء اسمعيل صلوات الله عليه وآمن به من آمن منهم وتطرد لهم الملك الى أن كان منهم السميدع بن لاوذ بن عمليق وفى أيامه خرجت العمالقة من الحرم أخرجتهم جرهم من قبائل قحطان فتفرقوا ونزل بمكان المدينة منهم بنو عبيل بن مهلايل بن عوص بن عمليق فعرفت به ونزل أرض ايلة ابن هومر بن عمليق واتصل ملكها فى ولده وكان السميدع سمة لمن ملك منهم الى ان كان آخرهم السميدع بن هومر الذى قتله يوشع لما زحف بنو اسرائيل الى الشأم بعد موسى صلوات الله عليه فكان معظم حروبهم مع هؤلاء العمالقة هنالك فغلبه يوشع وأسره وملك أريحا قاعدة الشأم وهى قرب بيت المقدس ومكانها معروف لهذا العهد ثم بعث من بنى اسرائيل بعثا الى الحجاز فملكوه وانتزعوه من أيدى العمالقة ملوكه ونزعوا يثرب و بلادها وخيبر ومن بقاياهم يهود قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وسائر يهود الحجاز على مانذكره ثم كان لهم ملك بعد ذلك فى دولة الروم وملكوا أذينة ابن السميدع على مشارف الشأم والجزيرة من ثغورهم وأنزلوهم فى التخوم مابينهم و بين فارس وهذا الملك أذينة بن السميدع هو الذى ذكره الشاعر فى قوله

أزال أذينة عن ملكه * وأخرج عن أهله ذا يزن

وكان من بعده حسان بن أذينة ومن بعده طرف بن حسان بن بدياه نسبة الى أمه وبعده عمرو بن طرف وكان بينه و بين جذيمة الابرش حروب وقتله جذيمة واستولى على ملكهم وكان آخر من العمالقة كما نذكر ذلك فى موضعه ومن هؤلاء العمالقة عمارة ون عمالقة مصر وان بعض ملوك القبط استنصر بملك العمالقة بالشأم لعهده واسمه الوليد بن دومغ ويقال ثوران بن اراشة بن فادان بن عمرو بن عملاق فجاء معه وملك مصر واستعبد القبط (قال الجرجانى) ومن ثم ملك العماليق مصر و يقال ان منهم فرعون ابراهيم وهو سنان

ابن الاشل بن عبيد بن عولج بن عمليق وفرعون يوسف أيضا منهم وهو الريان بن الوليد بن
ثوران وفرعون موسى كذلك وهو الوليد بن مصعب بن أبى أهون بن الهلوان ويقال
أنه قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران وكان الذى ملك مصر
بعد الريان بن الوليد طاشم بن معدان اه كلام الجرجانى (وقال غيره) الريان فرعون
يوسف وهو الذى تسميه القبط نقراوش وان وزيره كان اطفير وهو العزيز وأنه آمن
بيوسف وان أرض الفيوم كانت مغايض للماء فدبرها يوسف بالوحى والحكمة حتى
صارت أعز الديار المصرية وملك بعده ابنه دارم بن الريان وبعده ابنه معدانوس
فاستعبد بنى اسرائيل (قال الكلبى) ويذكر القبط أنه فرعون موسى وذكر أهل
الاثر انه الوليد بن مصعب وأنه كان نجارا من غير بيت الملك فاستولى الى أن ولى حرس
السلطان ثم غلب عليه ثم استبد بعده وعليه انقرض أمر العمالقة ولما غرق فى اتباع
موسى صلوات الله عليه رجع الملك الى القبط فولوا من بيت ملكهم دلوكة العجوز كما
نذكره فى أخبارهم ان شاء الله تعالى وأما بنو اسرائيل فليس عندهم ذكر لعمالقة الحجاز
وعندهم ان عمالقة الشأم من ولد عملاق بن اليفاذ بتفخيم الفاء ابن عيصو أو عيصاب
أو العيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وفراعنة مصر منهم على الرأيين (وأما)
الكنعانيون الذين ذكر الطبرى انهم من العمالقة فهم عند الاسرائيليين من كنعان
ابن حام وكانوا قد انتشروا ببلاد الشأم وملكوها وكان معهم فيها بنو عيصو المذكورون
ويقال لهم بنو يدوم من أيديهم جميعا ابتزها بنو اسرائيل عند المجىء أيام يوشع بن نون
ولذلك تزعم زناتة المغرب أنهم من هؤلاء العمالقة وليس بصحيح (وأما أميم) فهم
اخوان عملاق بن لاوذ قال السهيلى يقال بفتح الهمزة وكسر الميم وبضم الهمزة
وفتح الميم وهو أكثر ووجدت بخط بعض المشاهير أميم بتشديد الميم ويذكر أنهم أول من
بنى البنيان واتخذ البيوت والاطام من الحجارة وسقفوا بالخشب وكانت ديارهم فيما
يقال أرض فارس ولذلك زعم بعض نسابة الفرس أنهم من اميم وان كيومرث الذين
ينسبون اليه هو ابن اميم بن لاوذ وليس بصحيح وكان من شعوبهم وبار بن اميم
نزلوا رمل عالج بين اليمامة والشحر وسالت عليهم الريح فهلكوا



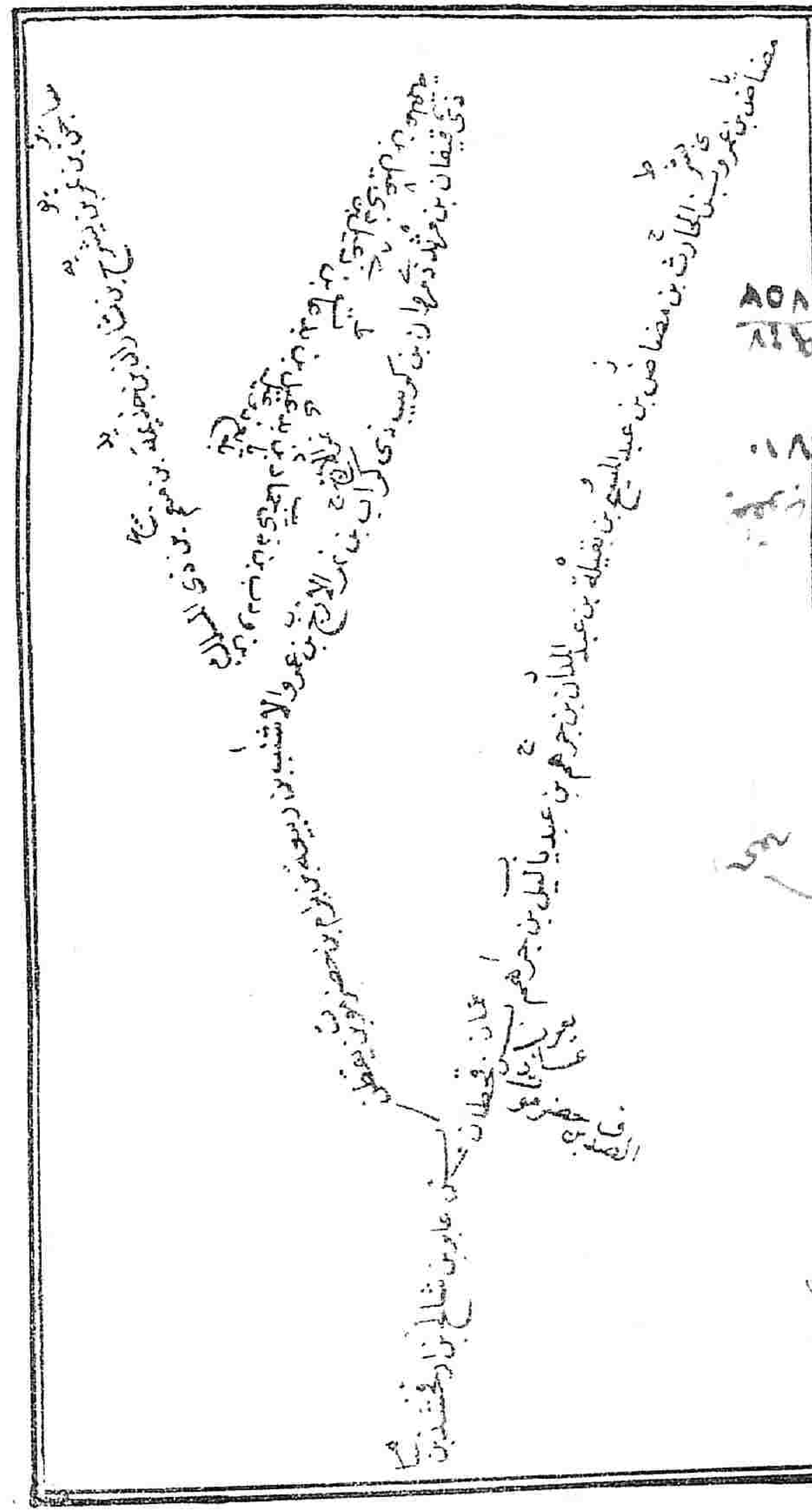
(وأما العرب) البائدة من بني أرفخشد بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد فهم جرهم
وحضورا وحضرموت والسلف (فأما حضورا) فكانت ديارهم بالرس وكانوا أهل كفر
وعبادة أوثان وبعث اليهم نبي منهم اسمه شعيب بن ذي مهرع فكذبوه وهلكوا كما
هلك غيرهم من الامم (وأما جرهم) فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية
وقال البيهقي ان يعرب بن قحطان لما غلب عادا على اليمن وملكه من أيديهم ولى اخوته
على الاقاليم وولى جرهم على الحجاز وولى بلاد عاد الاولى وهي الشحر عاد بن قحطان
فعرفت به وولى عمان يقطن بن قحطان انتهى كلام البيهقي وقيل انما نزلت جرهم الحجاز
من بني قطور بن كركر بن عملاق لقحط أصاب اليمن فلم يزالوا بمكة الى أن كان شأن
اسمعيل عليه السلام ونبوته فآمنوا به وقاموا بأمره وورثوا ولاية البيت عنه
حتى غلبتهم عليه خزاعة وكنانة فخرجت جرهم من مكة ورجعوا الى ديارهم باليمن الى
أن هلكوا (وأما حضرموت) فمعدودون في العرب العاربة لقرب ازمانهم وليسوا من
العرب البائدة لانهم باقون في الاجيال المتأخرة الا أن يقال ان جمهورهم قد ذهب
من بعد عصورهم الاولى واندرجوا في كندة وصاروا من عدادهم فهم بهذا الاعتبار
قد هلكوا وبادوا والله أعلم وقال علي بن عبد العزيز انه كان فيهم ملوك التبابعة في علو
الصيت ونهاية الذكر قال وذكر جماعة من العلماء أن أول من انبسط ملكه منهم وارتفع
ذكره عمرو الاشنب بن ربيعة بن يرام بن حضرموت ثم خلفه ابنه نمر الازج فملك مائة سنة
وقاتل العمالقة ثم ملك كريب ذو كراب ثم نمر الازج مائة وثلاثا وثلاثين سنة وهلك
اخوته في ملكه ثم ملك مرثد ذو مروان بن كريب مائة وأربعين سنة وكان يسكن مارب
ثم تحول الى حضرموت ثم ملك علقمة ذو قيعان بن مرثد ذي مروان بحضرموت
ثلاثين سنة ثم ملك ذو عيل بن ذي قيعان عشر سنين وسكن صنعا وغزا الصين فقتل
ملكها وأخذ سيفه ذا النور ثم ملك ذو عيل بن ذي عيل بحضرموت عشر سنين ولما
شخص سنان ذو الم لغزو الصين تحول ذو عيل الى صنعا واشتدت وطأته وكان أول من
غزا الروم من ملوك اليمن وأول من أدخل الحرير والديباج الى اليمن ثم ملك بدعات بن
ذي عيل بحضرموت أربع سنين ثم ملك بدعيل بن بدعات وبنى حصونا وخلف آثارا
ثم ملك بديع ذو عيل ثم ملك حماد بن بدعيل بحضرموت فأنشأ حصنه المعقرب وغزا
فارس في عهد سابور ذي الاكتاف وخرب وسبى ودام ملكه ثمانين سنة وكان أول من
اتخذ الحجاب من ملوكهم ثم ملك يشرح ذو الملك بن ودب بن ذي حماد بن عاد من بلاد
حضرموت مائة سنة وكان أول من رتب الرواتب وأقام الحرس والروابط ثم ملك منعم
ابن ذي الملك دثار بن جذيمة بن منعم ثم يشرح بن جذيمة بن منعم ثم نمر بن يشرح ثم ساجن

المسمى بن نمر وفي أيامه تغلبت الحبشة على اليمن هذه قبائل هذا الجيل من العرب العاربة
وما كانوا عليه من الكثرة والملك الى أن انقرضوا وأزال الله من أمرهم بالقحطانية كما
نحن ذاكروه ولم تغفل منهم الا من لم يصلنا ذكره من خبره والله وارث الارض ومن عليها
(وأما جرهم) فقال ابن سعيد انهم امتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان
ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك أخوه جرهم الحجاز ثم ملك من بعده ابنه عبد
ياليل ثم بعده ابنه عبد المدان بن جرهم ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ثم ابنه عبد المسيح
ابن نفيلة ثم ابنه مضاض ابن عبد المسيح ثم ابنه الحرث ثم ملك من بعده جرهم بن
عبد ياليل ثم بعده ابنه عمرو بن الحرث ثم أخوه بشير بن الحرث ثم مضاض بن عمرو بن
مضاض قال وهذه الامة الثانية هم الذين بعث اليهم اسمعيل عليه السلام وتزوج
فيهم انتهى

(وأما بنو سبا) بن يقطن فلم يبيدوا وكان لهم بعد تلك الاجيال البائدة أجيال باليمن منهم حمير وكهلان وملوك التبابعة وهم أهل الطبقة الثانية وفى مسند الامام أحمد أنّ رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل هو فروة بن مسيك المرادى عن سبا أرجل هو أو امرأة أم أرض فقال بل رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشأم أربعة فأما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والاشعر وأنمار وحمير وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان وثبت أنّ أباهم قحطان كان يتكلم بالعربية ولقنها عن الاجيال قبله فكانت لغة بنيه ولذلك سموا العرب المستعربة ولم يكن فى آباء قحطان من لدن نوح عليه السلام اليه من يتكلم بالعربية وكذلك كان أخوه فالغ و بنوه انما يتكلمون بالعجمية الى أن جاء اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما فتعلم العربية من جرهم فكانت لغة بنيه وهم أهل الطبقة الثالثة المسمون بالعرب التابعة للعرب فلنذكر هذا النسب لينتظم أجياله مع الاجيال السابقة واللاحقة ونستوفى أنساب الامم منها

الخبر عن ابراهيم أبى الانبياء عليهم السلام ونسبه الى فالغ بن عابر وذكر أولاده صلوات الله عليهم وأحوالهم

ولنذكر الآن أهل هذا النسب ما بين اسمعيل ونوح عليهما السلام ومن كان منهم أو من اخوانهم أو أبنائهم من الانبياء والشعوب والملوك وما كان لاسمعيل صلوات الله عليه من الولد ونختم هذه الطبقة الاولى بذكرهم وان كانوا عجما فى لغاتهم الا أنهم أصون الخلقة فى أنسابهم وكل البشر على بعض الآراء من أعقابهم وهم مع ذلك معاصرون لهذه الطبقة فيتسق الكلام فيهم على شرط كتابنا و يتميز ذكر أخبارهم أحوال الطبقات التى بعدهم على الوفاء والكمال (فنبدأ أوّلا) بذكر عمود هذا النسب على التوالى ثم نرجع الى أخبارهم واسمعيل صلوات الله عليه هو ابن ابراهيم بن آزر وهو تارح وآزر اسم لصنمه لقب به ابن ناحور بن ساروخ بالخاء أو بالغين ابن عابر أو عنبر بن شالخ أو شليخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وهذه الاسماء الاعجمية كلها منقولة من التوراة ولغتها عبرانية ومخارج حروفها فى الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية وقد يجىء الحرف منها بين حرفين من العربية فترده العرب الى أحد ذينك الحرفين وفى مخرجه فيتغير عن أصله وكذلك تكون فيها امالة متوسطة أو محضة فيصير الى حرف العلة الذى بعده من ياء أو واو فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف والافشأن الاعلام أن لا تختلف وقال الطبرى انّ بين شالخ وارفخشد أبا آخر اسمه قينن وسقط ذكره من التوراة لانه كان ساحرا وادّعى الالوهية وقال ابن حزم فى كتب



واما

النصارى ان بين فالغ وعابر أبا آخر اسمه ملكيصدق وهو أبو فالغ (واعلم) أن نوحا صلوات الله عليه بلغ عمره يوم الطوفان ستمائة سنة وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فكانت جملة ذلك تسعمائة وخمسين سنة ألف سنة الا خمسين وهذا نص المصحف الكريم وكذا وقع فى التوراة بعينه ومن الغريب الواقع فى التوراة أن عمر ابراهيم كان يوم وفاة نوح ثلاثا وخمسين سنة لانه قال ان أرفخشذ ولد لسام بعد سنتين من الطوفان ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة ولد له ابنه شالخ وبعد ثلاثين سنة ولد ابنه عابر وبلغ عابر أربعا وثلاثين سنة فولد ابنه فالغ وبلغ فالغ ثلاثين سنة فولد له أرغو وبلغ أرغو ثنتين وثلاثين سنة فولد شاروغ وبلغ شاروغ ثلاثين سنة فولد ناحور وبلغ ناحور تسعا وعشرين سنة فولد تارح وبلغ تارح خمسا وسبعين سنة فولد ابراهيم وجملة هذه السنين من الطوفان الى ولادة ابراهيم مائتان وسبع وتسعون سنة وعمر نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسون سنة فيكون ابراهيم بعد وفاة نوح ابن ثلاث وخمسين سنة فيكون لقى نوحا صلوات الله عليهما وخالطه وأخذ عنه وهو على رأى بعضهم أب لجميع الشعوب من بعده فلذلك كان الاب الثالث للخليقة من بعد آدم ونوح صلوات الله عليهم أجمعين اهـ

(وفى كتاب البدء) ونقله ابن سعيد ان أول من ملك الارض من ولد نوح كنعان بن كوش بن حام فسار من أرض كنعان بالشأم الى أرض بابل فبنى مدينة بابل اثنى عشر فرسخا فى مثلها وورث ملكه ابنه النمرود بن كنعان وعظم سلطانه فى الارض وطال عمره وغلب على أكثر المعمور وأخذ بدين الصابئة وخالفه الكلدانيون منهم فى التوحيد وأسمائه ومال معهم بنو سام وكان سام قد نزل بشرقى الدجلة وكان وصى أبيه فى الدين والتوحيد وورث ذلك ابنه أرفخشذ ومعنى أرفخشذ مصباح مضىء فاشتغل بالعبادة ودعاه الكلدانيون الى القيام بالتوحيد فامتنع ثم قام من بعده ابنه شالخ وعاش طويلا وقام من بعده بأمره ابنه عابر كذلك وخرج مع الكلدانيين على النمرود منكرا العبادة الهيا كل نغلبه نمروذ وأخرجه من كوثا فلحق هو ومن معه من الحنفاء بالجزيرة وهى مدينة المجدل بين الفرات ودجلة وعابر هذا هو أبو العبرانيين الذين تكلموا بالعبرانية واستفحل ملكه بالمجدل قال ابن سعيد وورث من بعده ابنه فالغ وهو الذى قسم الارض بين ولد نوح وفى زمانه بنى النمروذ الصرح ببابل وكان من أمره ما نصه القرآن وقام بأمر فالغ من بعده ابنه ملكان فنازعوا وغلبه الجرامقة والنبط على ملكه وقام بالمجدل فى ملكهم الى أن هلك وخلف ابنه أليا ويقال له الخضر وأما أرغو بن فالغ فعبر الى كلواذا ودخل فى دين النبط وهى بدعة الصابئة وولد له منهم

ابنه شاروخ ثم بعده ناحور بن شاروخ ثم بعده تارح بن ناحور الذى سمى آزر واستخلص النمروذ آزر وقدمه على بيت الاصنام والنمروذ من ملوك الجرامقة واسمه هاصد بن كوش انتهى كلام ابن سعيد وولد لتارح وهو آزر على ماوقع فى التوراة ثلاثة من الولد ابراهيم وناحور وهاران ومات هاران فى حياة أبيه تارح وترك ابنه لوطا فهو ابن أخى ابراهيم قال الطبرى ولد ابراهيم الخليل قيل بناحية كوثا من السواد وهو قول ابن اسحق وقيل بحران وقيل ببابل وعامة السلف انه ولد على عهد نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام وكان الكهان يتحدثون بولادة رجل يخالف الدين ويكسر الاصنام والاوثان فأمر بذبح الولدان فولدته أمه وتركته بمغارة فى فلاة من الارض حتى كبر وشب ورأى فى الكواكب مارآه وكملت نبوته فأحضرته الى أبيه ودعاه الى التوحيد فامتنع وكسر ابراهيم الاصنام وأحضر عند نمروذ وقذفه فى النار فصارت بردا وسلاما وخرج منها ولم تعد عليه كما نص ذلك القرآن ثم تدبر النمروذ فى أمره وطلب من ابراهيم أن يقرب قربانا يفتدى بما دعاه اليه فقال له ابراهيم لن يقبل منك الا الايمان فقال لا أستطيع وترك ابراهيم وشأنه ثم أمر الله ابراهيم بالخروج من أرض الكلدانيين ببابل فخرج به أبوه تارح ومعهما على ما فى التوراة ابنه ناحور بن تارح وزوجته ملكا بنت أخيه هاران وحافده لوط بن هاران قال فى التوراة وكنته سارة يعنى زوج ابراهيم فقيل انها أخت ملكا بنت هاران بن تارح وقيل بنت ملك حران طعنت على قومها فى الدين فتزوجها ابراهيم على أن لا يضرها ويرد هذا ما فى التوراة انها خرجت معهم من أرض الكلدانيين الى حران فتزوجها وقيل انها بنت هاران ابن ناحور وهاران عم ابراهيم قاله السهيلى فأقاموا بحران ومات بها أبوه تارح وعمره مائتا سنة وخمس سنين ثم أمر بالخروج الى أرض الكنعانيين ووعده الله بأن تكون أرض لبنيه وأنهم يكثرون مثل حصى الارض فنزل بمكان بيت المقدس وهو ابن خمس وسبعين سنة ثم أصاب بلد الكنعانيين مجاعة فخرج ابراهيم فى أهل بيته وقدم مصر ووصف لفرعون ملك القبط جمال امرأته سارة فأحضرها عنده ولما هم بها يبست يده على صدره فطلب منها الاقالة فدعت له الله فانطلقت يده ويقال عاود ذلك ثلاثا يصاب فى كلها وتدعو له فردها الى ابراهيم واستخدمها هاجر قال الطبرى والملك الذى أراد سارة هو سنان بن علوان وهو أخو الضحاك والظاهر أنه من ملوك القبط ثم ساروا الى أرض كنعان بالشام ويقال ان هاجر أهداها ملك الاردن لسارة وكان اسمه فيما قال الضبى صلاوق وأنه انتزع سارة من ابراهيم ولما هم بها صرع مكانه وسألها فى الدعاء فدعت له فأفاق فردها الى ابراهيم وأخدمها هاجر أمة كانت لبعض ملوك القبط ولما

عادابراهيم الى أرض كنعان نزل جبرون وهو مدفنه المسمى بالخليل وكانت معظمة تعظمها الصابئة وتسكب عليها الزيت للقربان وتزعم أنها هيكل المشترى والزهرة فسماها العبرانيون ايليا ومعناه بيت الله ثم ان لوطا فارق ابراهيم عليه السلام لكثرة مواشيهما وتابعهما وضيق المرعى فنزل المؤتفكة بناحية فلسطين وهى بلاد العدور المعروف بعدور صقر وكانت هنالك على مانقله المحققون خمس قرى سدوم ووجدهم على ارتكاب الفواحش فدعاهم الى الدين ونهاهم عن المخالفة فكذبوه وعتوا وأقام فيهم داعيا الى الله الى أن هلكوا كما قصه القرآن وخرج لوط مع عساكر كنعان وفلسطين للقاء ملوك الشرق حين زحفوا الى أرض الشام وكانوا أربعة ملوك ملك الاهواز من بنى غليم بن سام واسمه كرزلاعامر وملك بابل واسمه فى التوراة شنعا واسمه امراقيل ويقال هو نمروذ وملك الاستار وما أدرى معنى هذه اللفظة واسمه أريوح وملك كوتم ومعناه ملك أمم أو جماعة واسمه ترعال وكان ملوك كنعان الذين خرجوا اليهم خمسة على عدد القرى الخمسة وذلك أن ملك الاهواز كان استعبدهم ثنتى عشرة سنة ثم عصوا فزحف اليهم واستجاش بالملوك المذكورين معه فأصابوا من أهل جبال يسعين الى فاران التى فى البرية وكان بها يومئذ الجويون من شعوب كنعان أيضا وخرج ملك سدوم وأصحابه لمدافعتهم فانهزم هو والملوك الذين معه من أهل سدوم وسباهم ملك الاهواز ومن معه من الملوك وأسروا لوطا وسبوا أهله وغنموا ماشيته وبلغ الخبر ابراهيم عليه السلام فاتبعهم فى ولده ومواليه نحوا من ثلثمائة وثمانية عشر ولحقهم بظاهر دمشق فدهمهم فانفضوا وخلص لوطا فى تلك الوقعة وجاء بأهله ومواشيه وتلقاهم ملك سدوم واستعظم فعلتهم ثم أوحى الله الى ابراهيم ان هذه الارض أرض الكنعانيين التى أنت بها ملكتها لك ولذريتك وأكثرهم مثل حصى الارض وأن ذريتك يسكنون فى أرض ليست لهم أربعمائة سنة ويرجع الحقب الرابع الى هنا ثم ان سارة وهبت مملوكتها هاجر القبطية لابراهيم عليه السلام لعشر سنين من مجيئهم من مصر وقالت لعل الله يرزقك منها ولدا وكان ابراهيم قد سأل الله أن يهب له ولدا فوعده به وكانت سارة قد كبرت وعقمت عن الولد فولدت هاجر لابراهيم اسمعيل عليهما السلام است وثمانين من عمره وأوحى الله اليه انى قد باركت عليه وكثرته ويولد له اثنا عشر ولدا ويكون رئيسا لشعب عظيم وأدركت سارة الغيرة من هاجر وطلبت منه اخراجها وأمره الله أن يطيع سارة فى أمرها فهاجر بها الى مكة ووضعها وابنها بمكان زمزم عند دوحة هنالك وانطلق فقالت له هاجر آلله أمرك قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا وانطلق ابراهيم وعطش اسمعيل بعد ذلك عطشا شديدا وأقامت هاجر تتردد بين الصفا

والمروة الى أن صعدت عليها سبع مرات لعلها تجد شيأ ثم أتته وهو يفحص برجليه فنبعت زمزم (وعن السدى) انه تركه فى مكان الحجر واتخذ فيه عريشا وأن جبريل هو الذى همزله الماء بعقبه وأخبرها جر أنها عين يشرب بها ضيفان الله وأن أبا هذا الغلام سيجىء ويبنيان بيتا لله هذا مكانه ثم مرت رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم أقبلوا من كداء ونزلوا أسفل مكة فرأوا الطير حائمة فقالوا لا نعلم بهذا الوادى ماء ثم أشرفوا فرأوا المرأة ونزلوا معها هنالك (وعن ابن عباس) كانت أحياء قريبا من ذلك المكان فلما رأوا الطير تحوم عليه أقبلوا اليه فوجدوهما فنزلوا معهما حتى كان بها أهل أبيات منهم وشب اسمعيل بينهم وتعلم اللغة العربية منهم وأعجبهم وزوجوه امرأة منهم وماتت أمه هاجر فدفنها فى الحجر ولما رجع ابراهيم وأقام فى أهله بالشأم وبالغ أهل المؤتفكة فى العصيان والفاحشة ودعاهم لوط فكذبوه وأقام على ذلك قال الطبرى فأرسل الله رسولا من الملائكة لاهلاكهم ومروا بابراهيم فأضافهم وخدمهم وكان من ضحك سارة وبشارة الملائكة لها باسحق وابنه يعقوب ما قصه القرآن وكانت البشارة باسحق وابراهيم ابن مائة سنة وسارة بنت تسعين وفى التوراة انه أمر أن يحتر ولده اسمعيل لثلاث عشرة سنة من عمره وكل من فى بيته من الاحرار فكان ذلك لتسع وتسعين من عمر ابراهيم وقال له ذلك عهد بينى وبينك وذريتك ثم أهلك الله المؤتفكة ونجى لوطا الى أرض الشأم فكان بها مع عمه ابراهيم صلوات الله عليهما وولدت سارة اسحق وأمر الله ابراهيم بعد ولادة اسمعيل واسحق ببناء بيت يعبد فيه ويذكر ولم يعرف مكانه فجعل له علامة تسير معه حتى وقفت به على الموضع يقال انها ريح لينة لها رأسان تسير معه حتى تكون بالموضع ويقال بل بعث معه جبريل لذلك حتى أراه الموضع وكان ابراهيم يعتاد اسمعيل لزيارته ويقال انه كان يستأذن سارة فى ذلك وأنها شرطت عليه أن لا يقيم عندهم وأن ابراهيم وجد امرأة لاسمعيل فى غيبة منه وكانت من العماليق وهى عمارة بنت سعيد بن أسامة بن اكيل فرآها فظة غليظة فأوصاها لاسمعيل بان يحول عتبة بابه فلما قصت عليه الخبر والوصية قال ذلك أبى يأمرنى أن أطلقك فطلقها وتزوج بعدها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وخالفه ابراهيم الى بيته فتسهلت له بالاذن وأحسنت التحية وقربت الوضوء والطعام فأوصاها لاسمعيل بأنى قد رضيت عتبة بابك ولما قصت عليه الوصية قال ذلك أبى يأمرنى بامساكك فأمسكها ثم جاء ابراهيم مرة ثالثة وقد أمره الله ببناء البيت وأمر اسمعيل باعانته فرفعوها من القواعد وتم بناؤها وأذن فى الناس بالحج ثم زوج لوط ابنته من مدين بن ابراهيم عليهما السلام وجعل الله فى نسلها البركة فكان منهم أهل مدين

الامة المعروفة ثم ابتلى الله ابراهيم بذبح ابنه فى رؤيا رآها وهى وحى وكانت الفدية ونجى
الله ذلك الولد كما قص فى القرآن واختلف فى ذلك الذبيح من ولديه فقيل اسمعيل وقيل
اسحق وذهب الى كلا القولين جماعة من الصحابة والتابعين فالقول باسمعيل لابن
عباس وابن عمر والشعبى ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظى وقد يحتجون له
بقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين ولا تقوى الحجة به لان عم الرجل قد يجعل أباه
بضرب من التجوز لاسيما فى مثل هذا الفخر ويحتجون أيضا بقوله تعالى فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب ولو كان ذبيحا فى زمن الصبا لم تصح البشارة بابن يكون له لان
الذبح فى الصبا ينافى وجود الولد ولا تقوم من ذلك حجة لان البشارة انما وقعت على
وفق العلم بأنه لا يذبح وانما كان ابتلاء لابراهيم والقول باسحق للعباس وعمر وعلى وابن
مسعود وكعب الاحبار وزيد بن أسلم ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير وعطا
والزهرى ومكحول والسدى وقتادة (وقال الطبرى) والراجح أنه اسحق لان نص
القرآن يقتضى أن الذبيح هو المبشر به ولم يبشر ابراهيم بولد الا من زوجته سارة مع أن
البشارة وقعت اجابة لدعائه عند مهاجره من أرض بابل وقوله انى ذاهب الى ربى
سيهدين ثم قال عقبه رب هب لى من الصالحين ثم قال عقبه فبشرناه بغلام حليم وذلك
كله كان قبل هاجر لان هاجر انما ملكتها سارة بمصر وملكتها لابراهيم بعد ذلك بعشر
سنين فالمبشر به قبل ذلك كله انما هو ابن سارة فهو الذبيح بهذه الدلالة القاطعة وبشارة
الملائكة لسارة بعد ذلك حين كانوا ضيوفا عند ابراهيم فى مسيرهم لاهلاك سدوم انما
كان تجديدا للبشارة المتقدمة اه‍ ثم توفيت سارة لمائة وسبع وعشرين من عمرها
وذلك فى قرية جيرون من بلاد بنى حبيب الكنعانيين فطلب ابراهيم منهم مقبرة لها
فوهبه عفرون بن صخر مغارة كانت فى مزرعته فامتنع من قبولها الا بالثمن فأجاب الى
ذلك وأعطاه ابراهيم أربعمائة مثقال فضة ودفن فيها سارة وتزوج ابراهيم من بعدها
قطورا بنت يقطان من الكنعانيين وقال السهيلى قنطورا بزيادة نون بين القاف
والطاء وهذا الاسم أعجمى وطاوه قريبة من التاء فولدت له كما هو مذكور فى التوراة
ستة من الولد وهم زمران يقشان مدان مدين أشبق شوخ ثم وقع فى التوراة ذكر
أولادهم فولد يقشان سبا وددان وولد ددان أشورثم ولطوشيم ولاميم وولد مدين
عيفا وعيفر وحنوخ وافيداع والداعا هذا آخر ولده من قنطورا فى التوراة وقال
السهيلى كان لابراهيم عليه السلام أولاد آخرون خمسة من امرأة اسمها حجين أو
حجون بنت أهيب وهم كيسان وفروخ وأميم ولوطان ونافس ولما ذكر الطبرى بنى قنطورا
الستة وسمى منهم يقشان قال بعده وسائرهم من الاخرى وهى رعوة ثم قال ومن

يقشان جميل البربر اه‍ فولد ابراهيم على هذا ثلاثة عشر فاسمعيل من هاجر واسحق
من سارة وستة من قنطورا كما ذكر فى التوراة والخمسة بنو حجين عند السهيلى أو رعوة
عند الطبرى وكان ابراهيم عليه السلام قد عهد لابنه اسحق أن لا يتزوج فى الكنعانيين
وأكد العهد والوصية بذلك لمولاه القائم على أموره ثم بعثه الى حران مهاجرهم الاول
فخطب من ابن أخيه بتويل بن ناحور بن آزر بنته رفقا فزوجها أبوها واحتملها ومن
معها من الجوارى وجاء بها الى اسحق فى حياة أبيه وعمره يومئذ أربعون سنة فتزوجها
وولدت له يعقوب وعيصو توءمين وسنذكر خبرهما ثم قبض الله نبيه ابراهيم صلوات الله
عليه بمكان هجرته من أرض كنعان وهو ابن مائة وخمس وسبعين سنة ودفن مع سارة فى
مغارة عفرون الحيثى وعرف بالخليل لهذا العهد ثم جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب
آخر الدهر فاسمعيل سكن مع جرهم بمكة وتزوج فيهم وتعلم لغتهم وتكلم بها وصار أبا لمن
بعده من أجيال العرب وبعثه الله الى جرهم والعمالقة الذين كانوا بمكة والى أهل اليمن
فآمن بعض وكفر بعض ثم قبضه الله اليه وخلف ولده بين جرهم وكانوا على ما ذكر فى
التوراة اثنى عشر أكبرهم نبايوت وهو الذى تقوله العرب نابت ونبت ثم قيذار وأدبيل
وبسام ومشمع ودوما ومسا وحداد وتيما ويطور ونافس وقدما (قال ابن اسحق) وعاش
فيما ذكر مائة وثلاثين سنة ودفن فى الحجر مع أمه هاجر ويقال آجر وفى التوراة أنه
قبض ابن مائة وسبع وثلاثين سنة وأن شيعته سكنوا من حويلا الى شور قبالة مصر
من مدخل أثور وسكنوا على حذر شيع اخوته وحويلا عند أهل التوراة هى جنوب
برقة والواومنها قريبة من الياء وشور هى أرض الحجاز وأثور بلاد الموصل والجزيرة ثم
ولى أمر البيت من بعد اسمعيل ابنه نابت وأقام ولده بمكة مع أخوالهم جرهم حتى
تشعبوا وكثر نسلهم وتعددت بطونهم من عدنان فى عداد معد ثم بطون معد فى ربيعة
ومضر واياد وأنمار بنى نزار بن معد فضاقت بهم مكة على ما نذكره عند ذكر قريش وأخبار
ملكهم بمكة فكانت بطون عدنان هذه كلها من ولد اسمعيل لابنه نابت وقيل لقيذار ولم
يذكر النسابون نسلا من ولده الآخرين وتشعبت من اسمعيل أيضا عند جماعة من أهل
العلم بالنسب بطون قحطان كلها فيكون على هذا أبا لجميع العرب بعده (وأما اسحق)
فأقام بمكانه من فلسطين وعمر وعمى بعد الكبر من عمره وبارك على ولده يعقوب فغضب
بذلك أخوه عيصو وهم بقتله فأشارت عليه رفقا بنت بتويل بالمسير الى حران عند خاله
لابان بن بتويل فأقام عنده وزوجه بنتيه فزوجه أولا الكبرى واسمها ليا وأخدمها
جاريتها زلفة ثم من بعدها أختها الصغرى واسمها راحيل وأخدمها جاريتها بلها وأول
من ولد منهن ليا ولدت له روبيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا وكانت راحيل لا تحبل

فوهبت جاريتها بلهالى يعقوب لتلد منه فولدت له دان ثم نفتالى ولما فعلت ذلك راحيل
وهبت أختها ليا ليعقوب عليه السلام جاريتها زلفة فولدت له كادو آشر ثم ولدت ليامن
بعد ذلك يساخر ثم زبولون فكمل له بذلك عشرة من الولد ثم دعت راحيل الله عزوجل
أن يهب لها ولدا من يعقوب فولدت يوسف وقد كملت له بحران عشرون سنة ثم أمر
بالرحيل الى أرض كنعان التى وعدوا بملكها فارتحل وخرج لابان فى اتباعه وعزم له
فى المقام عنده فأبى فودّعه وانصرف الى حران وسار يعقوب لوجهه حتى اذا قرب من
بلد عيصو وهو جبل يسعين بأرض الكرك والشوبك لهذا العهد اعترضه عيصو لتلقيه
وكرامته فأهدى اليه يعقوب من ماشيته هدية احتفل فيها وتودّد اليه بالخضوع
والتضرّع فذهب ما كان عند عيصو وأوحى الله اليه بأن يكون اسمه اسرائيل ومرّ على
أرشاليم وهى بيت المقدس فاشترى هنالك مزرعة ضرب فيها فسطاطه وأمر ببناء مرجع
سماه ايل فى مكان الصخرة ثم حملت راحيل هنالك فولدت له بنيامين وماتت من نفاسه
ودفنها فى بيت لحم ثم جاء الى أبيه اسحق بقرية حبرون من أرض كنعان فأقام عنده
ومات اسحق عليه السلام لمائة وثمانين سنة من عمره ودفن مع أبيه فى المغارة وأقام
يعقوب بمكانه وولده عنده وشب يوسف عليه السلام على غير حالهم من كرامة الله به
وقص عليهم رؤياه التى بشره الله فيها بأمره فغصوا به وخرجوا معه الى الصيد فألقوه
فى الجب واستخرجه السيارة الذين مرّوا به بعد ذلك وباعوه للعرب بعشرين مثقالا
و يقال ان الذى تولى بيعه هو مالك بن دعر بن وابن بن عيفا بن مدين واشتراه من العرب
عزيز مصر وهو وزيرها أو صاحب شرطتها قال ابن اسحق واسمه اطفير بن رجيب وقيل
قوطفير وكان ملكها يومئذ من العماليق الريان بن الوليد بن دومغ وربى يوسف عليه
السلام فى بيت العزيز فكان من شأنه مع امرأته زليخا ومكثه فى السجن وتعبيره الرؤيا
للمحبوسين من أصحاب الملك ما هو مذكور فى الكتاب الكريم ثم استعمله ملك مصر عند
ما خشى السنة والغلاء على خزائن الزرع فى سائر مملكته بقدر جمعها وتصريف الارزاق
منها وأطلق يده بذلك فى جميع أعماله وألبسه خاتمه وحمله على مركبه ويوسف لذلك العهد
ابن ثلاثين سنة فقيل عزل اطفير العزيز وولاه وقيل بل مات اطفير فتزوج زليخا وتولى
عمله وكان ذلك سببا لانتظام شمله بأبيه واخوته لما أصابتهم السنة بأرض كنعان وجاء
بعضهم للميرة وكال لهم يوسف عليه السلام وردّ عليهم بضاعتهم وطالبهم بحضور أخيهم
فكان ذلك كله سببا لاجتماعه بأبيه يعقوب بعد أن كبر وعمى (قال ابن اسحق) كان
ذلك لعشرين سنة من مغيبه ولما وصل يعقوب الى بلبيس قريبا من مصر خرج يوسف
ليلقاه ويقال خرج فرعون معه وأطلق لهم أرض بلبيس يسكنون بها وينتفعون

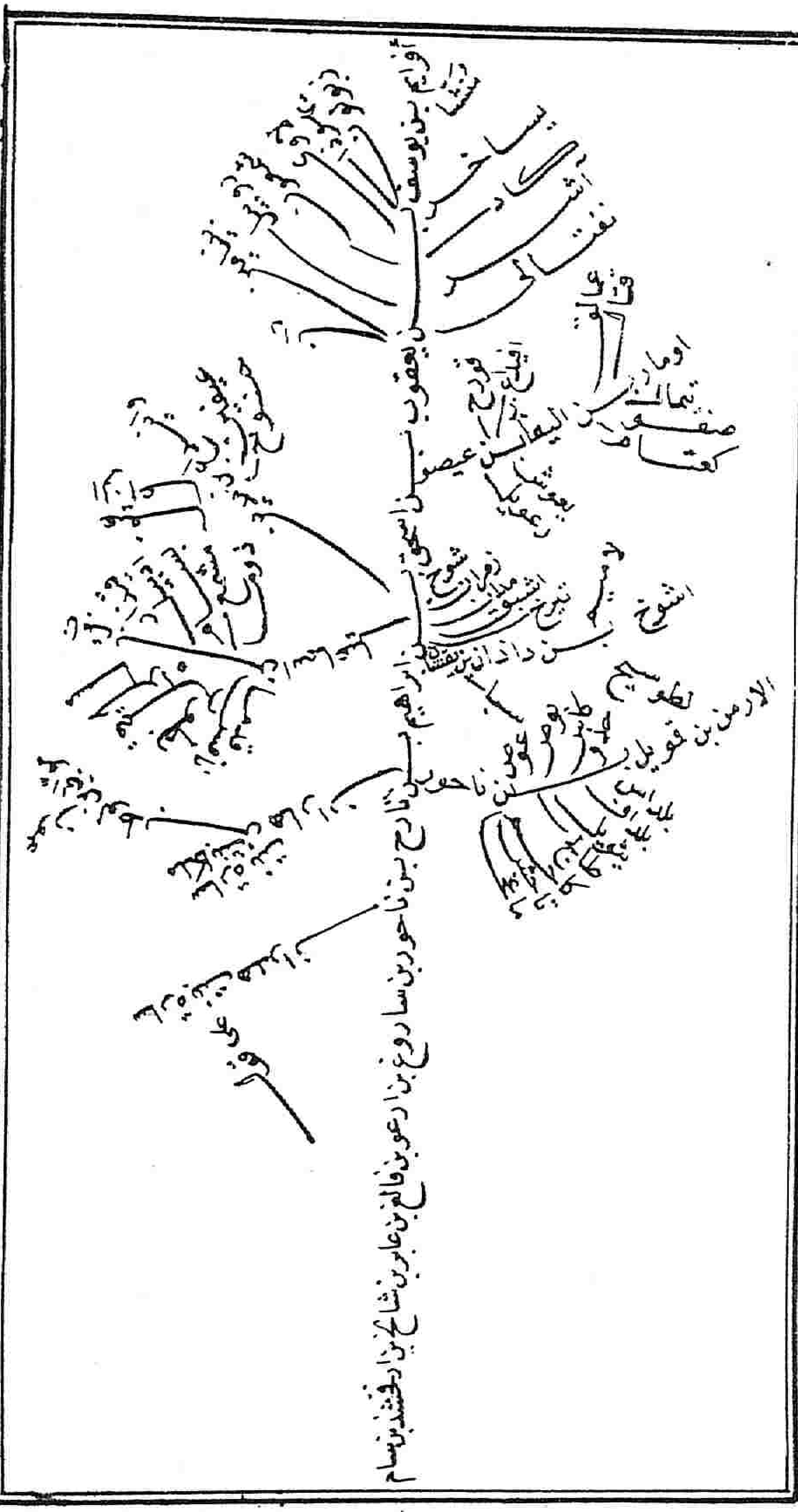
وكان وصول يعقوب صلوات الله عليه فى سبعين راكبا من بنيه ومعه أيوب النبى من بنى
عيصو وهو أيوب بن برحما بن زبرح بن رعويل بن عيصو واستقروا جميعا بمصر ثم قبض
يعقوب صلوات الله عليه لسبع عشرة سنة من مقدمه ولمائة وأربعين من عمره وحمله
يوسف صلوات الله عليه الى أرض فلسطين وخرج معه أكابر مصر وشيوخها باذن من
فرعون واعترضهم بعض الكنعانيين فى طريقهم فأوقعوا بهم وانتهوا الى مدفن ابراهيم
واسحق عليهما السلام فدفنوه فى المغارة عندهما وانتقلوا الى مصر وأقام يوسف
صلوات الله عليه بعد موت أبيه ومعه اخوته الى أن أدركته الوفاة فقبض لمائة
وعشرين سنة من عمره وأدرج فى تابوت وختم عليه ودفن فى بعض مجارى النيل وكان
يوسف أوصى أن يحمل عند خروج بنى اسرائيل الى أرض البقاع فيدفن هنالك ولم تزل
وصيته محفوظة عندهم الى أن حمله موسى صلوات الله عليه عند خروجه ببنى اسرائيل
من مصر ولما قبض يوسف صلوات الله عليه وبقى من بقى من الاسباط اخوته وبنيه تحت
سلطان الفراعنة بمصر تشعب نسلهم وتعددوا الى أن كاثروا أهل الدولة وارتابوا بهم
فاستعبدوهم قال المسعودى دخل يعقوب الى مصر مع ولده الاسباط وأولادهم حين
أتوا الى يوسف فى سبعين راكبا وكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا مع موسى صلوات
الله عليه نحوا من مائتين وعشر سنين تتداولهم ملوك القبط والعمالقة بمصر ثم
أحصاهم موسى فى التيه وعدّ من يطيق حمل السلاح من ابن عشرين فما فوقها فكانوا
ستمائة ألف ويزيدون وقد ذكرنا ما فى هذا العدد من الوهم والغلو فى مقدمة الكتاب
فلا نطول به ووقوعه فى نص التوراة لا يقضى بتحقيق هذا العدد لان المقام للمبالغة
فلا تكون اعداده نصوصا وكان ليوسف صلوات الله عليه من الولد كثيرا الا ان المعروف
منهم اثنان افرائيم ومنشى وهما معدودان فى الاسباط لان يعقوب صلوات الله
عليه أدركهما وبارك عليهما وجعلهما من جملة ولده وقد يزعم بعض من لا تحقيق عنده
أن يوسف صلوات الله عليه استقل آخرا بملك مصر وينسب لبعض ضعفة المفسرين
ومعتمدهم فى ذلك قول يوسف عليه السلام فى دعائه رب قد آتيتنى من الملك ولا دليل لهم
فى ذلك لان كل من ملك شيئا ولو فى خاصة نفسه فاستيلاؤه يسمى ملكا حتى البيت
والفرس والخادم فكيف من ملك التصرف ولو كان فى شعب واحد منها
فهو ملك وقد كان العرب يسمون أهل القرى والمدائن ملوكا مثل هجر ومعان ودومة
الجندل فما ظنك بوزير مصر لذلك العهد وفى تلك الدولة وقد كان فى الخلافة
العباسية تسمى ولاة الاطراف وعمالها ملوكا فلا استدلال لهم فى هذه الصيغة وأخرى
أيضا فيما يستدلون به من قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أن لا يكون

هو أيوب بن موص بن رازح ابن عيص كذا فى كتب التفسير قاله نصر

لهم فيه مستند لان التمكين يكون بغير الملك ونص القرآن انما هو بولايته على أمور الزرع فى جمعه وتفريقه كما قال تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وسياق القصة كلها انه مرؤس فى تلك الدولة بقرائن الحال كلها الا ما يتوهم من تلك اللفظة الواقعة فى دعائه فلا نعدل عن النص المحفوف بالقرائن الى هذا المتوهم الضعيف وأيضا فالقصة فى التوراة قد وقعت صريحة فى أنه لم يكن ملكا ولا صار اليه ملك وأيضا فالامر الطبيعى من الشوكة والقطامة له يدفع أن يكون حصل له ملك لانه انما كان فى تلك الدولة قبل أن يأتى اليه اخوته منفردا لا يملك الا نفسه ولا يتأتى الملك فى هذا الحال وقد تقدم ذلك فى مقدمة الكتاب والله أعلم (وأما عيصو) بن اسحق فسكن جبال بنى يسعين من بنى جوى احدى شعوب كنعان وهى جبال الشراة بين تبوك وفلسطين وتعرف اليوم ببلاد كرك والشوبك وكان من شعوبهم هنالك على ما فى التوراة بنو لوطان و بنو شوبال و بنو صمعون و بنو عنا و بنو ديشوق و بنو يصد و بنو ديسان سبعة شعوب ومن بنى ديشون الاشبان فسكن عيصو بينهم بتلك البلاد وتزوج منهم من بنات عنا بن يسعين من جوى وهى أهليقاما وتزوج أيضا من بنات حى من الكنعانيين عاذا بنت ايلول و باسمت بنت اسمعيل عليه السلام وكان له من الولد خمسة مذكورون فى التوراة أكبرهم اليفاز بالفاء المفخمة واشباع حركتها وزاى معجمة من بعدها من عاذا بنت ايلول ثم رعويل من باسمت بنت اسمعيل ثم يعوش ويعلام وقورح من اهليقاما بنت عنا وولد اليفاز ستة من الولد تيمال وأومار وصفو وكعتام وقنال وعمالق السادس لسرية اسمها تمناع وهى شقيقة لوطان بن يسعين وولد رعويل بن عيصو أربعة من الولد ناحة وزيدم وشما ومزا هكذا وقع ذكر ولد العيص وولدهم فى التوراة وفيها أن العيص اسمه أروم فلذلك قيل لهم بنو أروم ولبعض الاسرائيليين أن أروم اسم لذلك الجبل ومعناه بالعبرانية الجبل الاحمر الذى لا نبات به وقد يقع لبعض المؤرخين أن القياصرة ملوك الروم من ولد عيصو وقال الطبرى ان الروم وفارس من ولد رعويل ابن باسمت وليس ذلك كله بصحيح ورأيته فى كتاب يوسف بن كريون مؤرخ العمارة الثانية ببيت المقدس قبيل الجلوة الكبرى وكان من كهنوتية اليهود وهو قريب من الغلط (قال ابن حزم) فى كتاب الجمهرة وكان لاسحق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب اسمه عيصاب أو عيصو كان بنوه يسكنون جبال الشراه بين الشأم والحجاز وقد بادوا جملة الآن قوما يذكرون أن الروم من ولده وهذا خطأ وانما وقع لهم هذا الغلط لان موضعهم كان يقال له أروم فظنوا أن الروم من ذلك الموضع وليس كذلك لان الروم انما نسبوا الى روس بانى رومة فان ظن ظان أن قول النبى صلى الله عليه وسلم للعرب بن

قيس هل لك فى بلاد بنى الاصفر العام وذلك فى غزوة تبوك يدل على أن الروم من بنى الاصفر وهو عيصاب المذكور فليس كما ظن وقول النبى صلى الله عليه وسلم حق وانما عنى عليه السلام بنى عيصاب على الحقيقة لا الروم لان مغزاه عليه الصلاة والسلام فى تلك الغزوة كان الى ناحية الشراة مسكن القوم المذكورين اه كلام ابن حزم وزعم هروشيوش مؤرخ الروم أن أم الفينان وهاؤاو عالوم وقدوح الاربعة من بنات كاتيم ابن ياوان ابن يافث والاول أصح لانه نص التوراة ثم كثر نسل بنى عيصو بأرض يسعين وغلبوا الجويين على تلك البلاد وغلبوا بنى مدين أيضا على بلادهم الى ايلة وتداول فيهم ملوك وعظماء كان منهم فالغ بن ساعور و بعده يودب ابن زيدح ثم كان منهم هداد بن مداد الذى أخرج بنى مدين عن مواطنهم ثم كان فيهم بعده ملوك الى أن زحف يوشع الى الشأم وفتح أريحاء وما بعدها وانتزع الملك من جميع الامم الذين كانوا هنالك ثم استلحمهم بختنصر عندما ملك أرض القدس ولحق بعضهم بأرض يونان و بعضهم بافريقية وأما عمالق بن اليفاز فعقبه عند الاسرائيليين عمالقة الشأم وفى قول فراعنة مصر من القبط ونساب العرب يأبون من ذلك وينسبونهم الى عملاق بن لاوذ كما مر ثم بنو يروم وكنعان ولم يبق منهم عين تطرف والله الباقى بعد فناء خلقه (وأما مدين) بن ابراهيم فتزوج ابنة لوط وجعل الله فى نسلها البركة وكان له من الولد خمسة عيفا وعيفين وحنوخ وابيداغ والزاعا وقد تقدم ذكرهم فى ولد ابراهيم من قنطورا فكان منهم مدين أمة كبيرة ذات بطون وشعوب وكانوا من أكبر قبائل الشأم وأكثرهم عددا وكانت مواطنهم تجاور أرض معان من أطراف الشأم مما يلى الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط وكان لهم تغلب بتلك الارض فعتوا و بغوا وعبدوا الآلهة وكانوا يقطعون السبيل ويبخسون فى المكيال وبعث الله فيهم شعيبا نبيا منهم وهو ابن نويل بن رعويل ابن عيا بن مدين قال المسعودى مدين هؤلاء من ولد المحضر بن جندل بن يعصب بن مدين وأن شعيبا أخوهم فى النسب وكانوا ملوكا عدة يسمون بكلمات أبجد الى آخرها وفيه نظر وقال ابن حبيب فى كتاب المبدء هو شعيب بن نويب بن أحزم بن مدين (وقال) السهيلى شعيب بن عيفا ويقال ابن صيفون وشعيب هذا هو شعيب موسى الذى هاجر اليه من مصر أيام القبط واستأجره على انكاح ابنته اياه على أن يخدمه ثمانى سنين وأخذ عنه آداب الكتاب والنبوة حسبما يأتى عند ذكر موسى صلوات الله عليهما واخبار بنى اسرائيل وقال الصيمرى الذى استأجر موسى وزوجه هو يثرين رعويل ووقع فى التوراة أن اسمه يثروان رعويل أباه أو عمه هو الذى تولى عقد النكاح وكان لمدين هؤلاء مع بنى اسرائيل حروب بالشأم ثم تغلب عليهم بنو اسرائيل

وانقرضوا جميعا (وأما لوط) بن هاران أخى ابراهيم عليهما السلام فقد تقدم من خبره مع قومه ماذكرناه هنالك ولما نجا بعد هلاكهم لحق بأرض فلسطين فكان بها مع ابراهيم الى أن قبضه الله وكان له من الولد على ماذكر فى التوراة عمون بتشديد الميم واشباع حركتها بالضم ونون بعدها وموآبى باشباع ضمة الميم واشباع فتحة الهمزة بعدها وياء تحتية وبعدها ياء ساكنة هوانيه وجعل الله فى نسلهما البركة حتى كانوا من أكثر قبائل الشأم وكانت مساكنهم بأرض البلقاء ومدائنها فى بلد موآبى ومعان وماوالاهما وكانت لهم مع بنى اسرائيل حروب نذكرها فى أخبارهم وكان منهم بلعام بن باعورا ابن رسيوم بن برسيم بن موآبى وقصته مع ملك كنعان حين طلبه فى الدعاء على بنى اسرائيل أيام موسى صلوات الله عليه وأن دعاءه صرف الى الكنعانيين مذكورة فى التوراة ونوردها فى موضعها (وأما ناحور) أخو ابراهيم عليه السلام فقد تقدم ذكره أنه هاجر مع ابراهيم عليه السلام من بابل الى حران ثم الى الارض المقدسة فكان معه هنالك وكانت زوجته ملكا بنت أخيه هاران وملكا هذه هى أخت سارة زوج ابراهيم عليه السلام وأم اسحق وكان لناحور من ملكا على ماوقع فى نص التوراة ثمانية من الولد عوص وبوص وقويل وهو أبو الارمن وكاس ومنه الكسدانيون الذين كان منهم بختنصر وملوك بابل وحذو وبلداس وبلداف ويشويل وكان له من سرية اسمها أد وما أربعة من الولد وهم طالح وكاحم وتاخش وماعخا هؤلاء ولد ناحور أخى ابراهيم كلهم مذكورون فى التوراة وهم اثنا عشر ولدا وهؤلاء كلهم بادوا وانقرضوا ولم يبق منهم الا الارمن من قويل بن ناحور أخى ابراهيم عليه السلام بن آزر وهم لهذا العهد على دين النصرانية ومواطنهم فى ارمينية شرقى القسطنطينية والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وهذا آخر الكلام فى الطبقة الاولى من العرب ومن عاصرهم من الامم ولنرجع الى أهل الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة والله سبحانه وتعالى الكفيل بالاعانة



فى الكشاف اولاد يعقوب ثلاثة عشر وماهنا اثنا عشر ذكر زبالون بن يشجر وجاد بدل زبولون ويساخر وكاد والثالث عشر دينة وفى ابى الفدا دوبيل بدل دوبيل وذكر كاد بدل كاد الذى هو فى الكشاف جاد وبالجملة عبارة ابى الفدا موافقة لابن خلدون وفى الكشاف ميشا بدل منشا الذى هو هنا لكنه فى ابى الفدا منشا وبهامش الاصل بخط العطار نقلا عن ثالث ثلاثة اسلموا على يديه من علماء بنى اسرائيل افرايم ومنشا ابنا يوسف

وفى الشجرة هنا فى الاصل بلداش وقاس وطيح بدل ماترى هنا لكن ماهنا هو الذى قدمه المؤلف وفى اصل الشجرة هنا افيلع ابن عيصو والذى قدمه المؤلف بعلام فسميناه على ماهنا انتهى مصححه

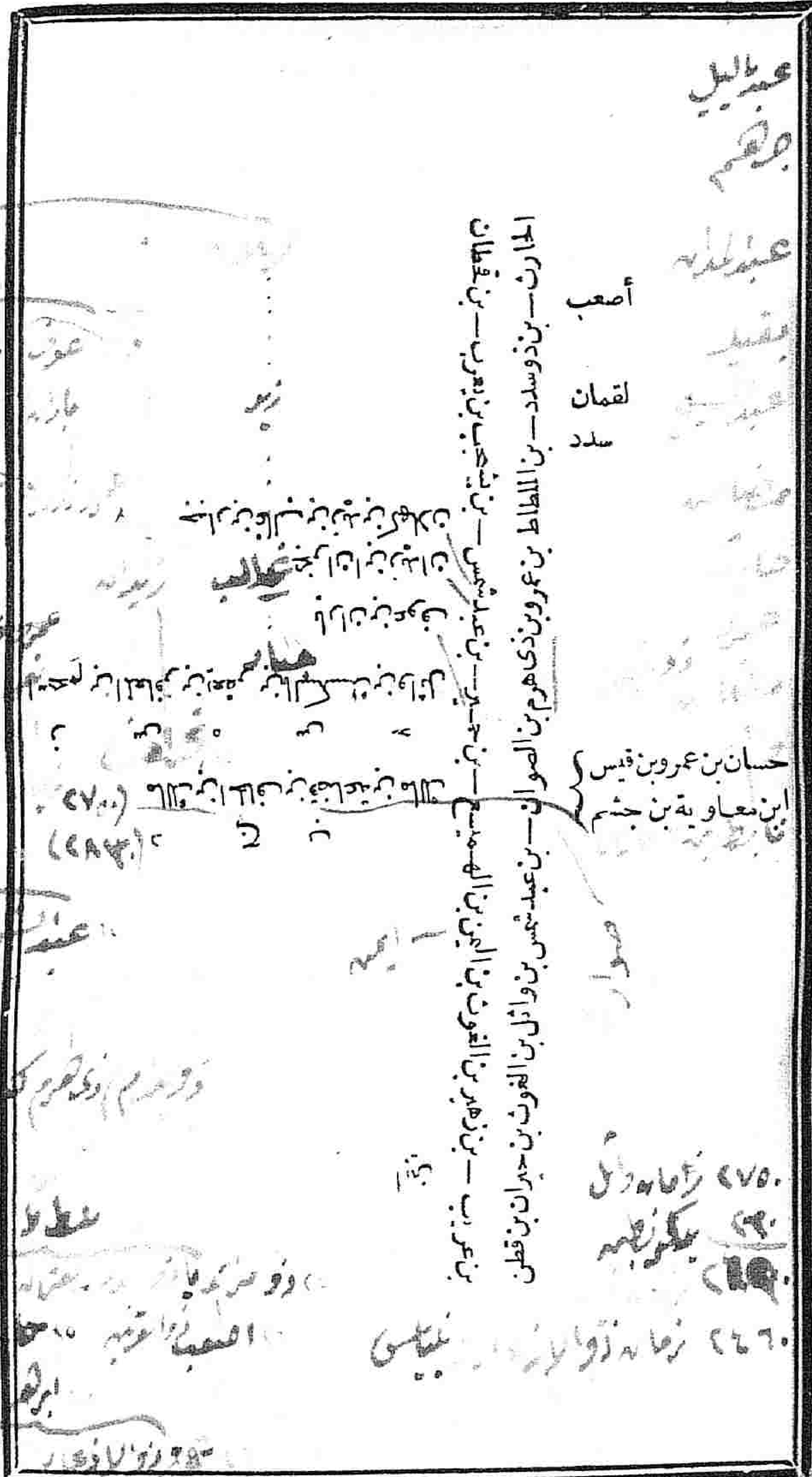
(الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة وذكر أنسابهم وأيامهم وملوكهم والالمام ببعض الدول التى كانت على عهدهم)

وانما سمى أهل هذه الطبقة بهذا الاسم لان السمات والشعائر العربية لما انتقلت اليهم ممن قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة بمعنى أنهم صاروا الى حال لم يكن عليها أهل نسبهم وهى اللغة العربية التى تكلموا بها فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم استنوق الجمل واستحجر الطين وأهل الطبقة الاولى لما كانوا أقدم الامم فيما يعلم جيلا كانت اللغة العربية لهم بالاصالة وقيل العاربة (واعلم أن أهل هذا الجيل من العرب) يعرفون باليمنية والسبائية وقد تقدم أن نسابة بنى اسرائيل يزعمون أن أباهم سبا من ولد كوش بن كنعان ونسابة العرب يأبون ذلك و يدفعونه والصحيح الذى عليه كافتهم أنهم من قحطان وأن سبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وقال ابن اسحق يعرب بن يشجب فقدم وأخر وقال ابن ماكولا على مانقل عنه السهيلى اسم قحطان مهزم و بين النسابة خلاف فى نسب قحطان فقيل هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام أخو فالغ ويقطن ولم يقع له ذكر فى التوراة وانما ذكر فالغ ويقطن وقيل هو معرب يقطن لانه اسم أعجمى والعرب تتصرف فى الاسماء الاعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وتقديم بعضها على بعض وقيل ان قحطان ابن يمن بن قيدار وقيل ان قحطان من ولد اسمعيل وأصح ماقيل فى هذا انه قحطان بن يمن بن قيدر ويقال الهميسع بن يمن بن قيدار وان يمن هذا سميت به اليمن وقال ابن هشام أن يعرب ابن قحطان كان يسمى يمنا وبه سميت اليمن فعلى القول بأن قحطان من ولد اسمعيل تكون العرب كلهم من ولده لان عدنان وقحطان يستوعبان شعوب العرب كلها وقد احتج لذلك من ذهب اليه بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرماة الانصار ارموا يابنى اسمعيل فان أباكم كان راميا والانصار من ولد سبا وهو ابن قحطان وقيل انما قال ذلك لقوم من أسلم من أفصى اخوة خزاعة بن حارثة بناء على أن نسبهم فى سبا وقال السهيلى ولاحجة فى شئ منهما لانه اذا كانت العرب كلها من ولد اسمعيل فهذا من السهيلى جنوح الى القول بمفهوم اللقب وهو ضعيف ثم قال والصحيح أن هذا القول انما كان منه صلى الله عليه وسلم لاسلم كما قدمناه وانما أراد ان خزاعة من معد ابن الياس بن مضر وليسوا من سبا ولا من قحطان كما هو الصحيح فى نسبهم على ما يأتى واحتجوا أيضا لذلك بأن قحطان لم يقع له ذكر فى التوراة كما تقدم فدل على أنه ليس من ولد عابر فترجح القول بأنه من اسماعيل وهذا مردود بما تقدم أن قحطان معرب يقطن وهو الصحيح وليس بين الناس خلاف فى أن قحطان أبو اليمن كلهم و يقال انه أول من

تكلم

تكلم بالعربية ومعناه من أهل هذا الجيل الذين هم العرب المستعربة من اليمنية والا فقد كان للعرب جيل آخر وهم العرب العاربة ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية ضرورة ولا يمكن أن يتكلم بها من ذات نفسه وكان بنو قحطان هؤلاء معاصرين لاخوانهم من العرب العاربة ومظاهرين لهم على أمورهم ولم يزالوا مجتمعين فى مجالات البادية مبعدين عن رتبة الملك وترفه الذى كانوا الاوائل فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذى يسوق اليه الترف والنضارة فتشعبت فى أرض الفضا فصائلهم وتعدد فى جو القفر أفخاذهم وعشائرهم ونمى عددهم وكثرت اخوانهم من العمالقة فى آخر ذلك الجيل وزاحموهم بمناكبهم واستجدوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم وكانت الدولة لبنى قحطان متصلة فيهم وكان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب يقال انه أول من حياه قومه بتحية الملك قال ابن سعيد وهو الذى ملك بلاد اليمن وغلب عليها قوم عاد وغلب العمالقة على الحجاز وولى اخوته على جميع أعمالهم فولى جرهما على الحجاز وعاد بن قحطان على الشحر وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر وعمان ابن قحطان على بلاد عمان هكذا ذكر البيهقى (وقال ابن حزم) وعد لقحطان عشرة من الولد وانه لم يعقب منهم أحد ثم ذكر ابنين منهم دخلوا فى حمير ثم ذكر الحرث بن قحطان وقال فولد فيما يقال له الاسور وهم رهط حنظلة بن صفوان نبى الرس والرس ما بين نجران الى اليمن ومن حضرموت الى اليمامة ثم ذكر يعرب بن قحطان وقال فيهم الحميرية والعدد انتهى قال ابن سعيد وملك بعد يعرب ابنه يشجب وقيل اسمه يمن واستبد أعمامه بما فى أيديهم من الممالك وملك بعده ابنه عبد شمس وقيل عابر ويسمى سبا لانه قيل انه أول من سن السبى وبنى مدينة سبا وسد مارب وقال صاحب التيجان انه غزا الاقطار وبنى مدينة عين شمس باقليم مصر وولى عليها ابنه بابليون وكان لسبا من الولد كثير وأشهرهم حمير وكهلان اللذان منهما الامتان العظيمتان من اليمنية أهل الكثرة والملك والعز وملك حمير منهم أعظمه وكان منهم التبابعة كما يذكر فى أخبارهم وعد ابن حزم فى ولده زيدان وابنه نجران بن زيدان وبه سميت البلد ولما هلك سبا قام بالملك بعده ابنه حمير ويعرف بالعرنجج وقيل هو أول من تتوج بالذهب و يقال انه ملك خمسين سنة وكان له من الولد ستة فيما قال السهيلى وائل ومالك وزيد وعامر وعوف وسعد وقال أبو محمد بن حزم الهميسع ومالك و زيد ووائل ومشروح ومعد يكرب وأوس ومره وعاش فيما قال السهيلى ثلثمائة سنة وملك بعده ابنه وائل وتغلب أخوه مالك بن حمير على عمان فكانت بينهما حروب وقال ابن سعيد ان الذى ملك بعد حمير أخوه كهلان ومن بعده وائل بن حمير ثم من بعد وائل السكسك بن وائل وكان مالك بن حمير قد ملك وغلب

على عمان بعده ابنه قضاعة فحاربه السكسك وأخرجه عنها وملك بعده ابنه يعفر بن السكسك وخرجت عليه الخوارج وحاربه مالك بن الحاف بن قضاعة وطالت الفتنة بينهما وهلك يعفر وخلف ابنه النعمان جملا ويعرف بالمعافر واستبد عليه من بنى حمير ماران بن عوف بن حمير ويعرف بذى رياش وكان صاحب البحرين فنزل نجران واشتغل بحرب مالك بن الحاف بن قضاعة ولما كبر النعمان حبس ذا رياش واستبد بأمره وطال عمره وملك بعده ابنه أسحم بن المعافر فاضطربت أحوال حمير وصار ملكهم طوائف الى أن استقر فى الرايش وبنيه التبابعة كما نذكره ويقال ان بنى كهلان تداولوا الملك مع حمير هؤلاء وملك منهم جبار بن غالب بن كهلان وملك أيضا من شعوب قحطان نجران بن زيد بن يعرب بن قحطان وملك من حمير هؤلاء ثم من بنى الهميسع بن حمير أبين بن زهير بن الغوث بن أبين بن الهميسع واليه نسب عرب أبين من بلاد اليمن وملك منهم أيضا عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن أبين بن الهميسع بن حمير ثم ملك من اعقابه شداد بن الملطاط بن عمرو بن ذى هرم بن الصوان بن عبد شمس وبعده أخوه لقمان ثم أخوهما ذو شدد وهذا ذو مداثر وبعده ابنه الصعب ويقال انه ذو القرنين وبعده أخوه الحرث بن ذى شدد وهو الرائش جد الملوك التبابعة وملك فى حمير أيضا من بنى الهميسع من بنى عبد شمس هؤلاء حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس قال أبو المنذر هشام بن الكلبى فى كتاب الانساب ونقلته من أصل عتيق بخط القاضى المحدث أبى القاسم بن عبد الرحمن بن حبيش قال ذكر الكلبى عن رجل من حمير من ذى الكلاع قال أقبل قيس يحرق موضعا باليمن فأبدى عن ازج فدخل فيه فوجد سريرا عليه رجل ميت وعليه جباب وشى مذهبة فى رأسه تاج وبين يديه محجن من ذهب وفى رأسه ياقوتة حمراء واذا لوح مكتوب فيه بسم الله رب حمير أنا حسان بن عمرو القيل مات فى زمان هيد وما هيد هلك فيها اثنا عشر ألف قيل فكنت اخرهم قيلا فابتنيت ذا شعبين ليجيرنى من الموت فاخفرنى اهـ كلامه وقال الطبرى وقيل ان أول من ملك اليمن من حمير شمر بن الاملوك كان لعهد موسى عليه السلام وبنى طفار وأخرج منها العمالقة ويقال كان من عمال الفرس على اليمن انتهى الكلام فى أخبار حمير الاولى والله سبحانه وتعالى ولى العون



*** (الخبر عن ملوك التبابعة من حمير وأوليتهم باليمن ومصاير أمورهم) ***

هؤلاء الملوك من ولد عبد شمس بن وائل بن الغوث باتفاق من النسابين وقدم نسبه الى حمير وكانت مدائن ملكهم صنعاء ومأرب على ثلاث مراحل منها وكان بها السد ضربته بلقيس ملكة من ملوكهم سدا ما بين جبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على قدر ما يحتاجون اليه فى سقيهم وهو الذى يسمى العرم والسكر وهو جمع لا واحد له من لفظه قال الجعدى

من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما

أى السد ويقال ان الذى بنى السد هو حمير أبو القبائل اليمنية كلها قال الاعشى

ففى ذلك للمؤتسى اسوة * مأرب عفى عليه العرم

رخام بناه لهم حمير * اذا جاءه من رامه لم يرم

وقيل بناه لقمان الاكبر ابن عاد كما قاله المسعودى وقال جعله فرسخا فى فرسخ وجعل له ثلاثين شعبا وقيل وهو الاليق والاصوب انه من بناء سبا بن يشجب وانه ساق اليه سبعين واديا ومات قبل اتمامه فأتمه ملوك حمير من بعده وانما رجحناه لان المبانى العظيمة والهياكل الشامخة لا يستقل بها الواحد كما قدمنا فى الكتاب الاول فأقاموا فى جناته عن اليمين والشمال كما وصف القرآن ودولتهم يومئذ أوفر ما كانت وأترف وابذخ وأعلى يدا وأظهر فلما طغوا وأعرضوا سلط الله عليهم الخلد وهو الجرذ فنقبه من أسفله فأجحفهم السيل وأغرق جناتهم وخربت أرضهم وتمزق ملكهم وصاروا أحاديث وكان هؤلاء التبابعة ملوكا عدة فى عصور متعاقبة وأحقاب متطاولة لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن الى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب تارة ويقتصرون على يمنهم أخرى فاختلفت أحوالهم واتفقت أسماء كثيرة من ملوكهم ووقع اللبس فى نقل أيامهم ودولهم فلنأت بما صح منها متحريا جهد الاستطاعة عن طموس من الفكر واقتفاء التقاييد المرجوع اليها والاصول المعتمد على نقلها وعدم الوقوف على أخبارهم مدونة فى كتاب واحد والله المستعان (قال) السهيلى معنى تبع الملك المتبع وقال صاحب المحكم التبابعة ملوك اليمن وأحدهم تبع لانهم يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام آخر تابعا له فى سيرته وزادوا الباء فى التبابعة لارادة النسب قال الزمخشرى قيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون قال المسعودى ولم يكونوا يسمون الملك منهم تبعا حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت وقيل حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس ومن لم يكن له شئ من الامرين فيسمى ملكا ولا يقال له تبع (وأول ملوك التبابعة) باتفاق من

المؤرخين الحرث الرائش وانما سمى الرائش لانه راش الناس بالعطاء واختلف الناس فى نسبه بعد اتفاقهم على أنه من ولد وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير ابن ايمن بن الهميسع بن حمير فقال ابن اسحق وأبو المنذر بن الكلبى ان قيسا ابن معاوية ابن جشم فابن اسحق يقول فى نسبه الى سبا الحرث بن عدى بن صيفى وابن الكلبى يقول الحرث بن قيس بن صيفى وقال السهيلى هو الحرث بن همال بن ذى سدد بن الملطاط بن عمرو بن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل وجشم جد سبا هو ابن عبد شمس هذا عند المسعودى وعند بعضهم انه أخوه وانهما معا ابنا وائل وذكر المسعودى عن عبيد ابن شرية الجرهمى وقد سأله معاوية عن ملوك اليمن فى خبر طويل ونسب الحرث منهم فقال هو الحرث بن شدد بن الملطاط بن عمرو وأما الطبرى فاختلف نسبه فى نسب الحرث مرة قال وبيت ملك التبابعة فى سبا الاصغر ونسبه كما مر وقال فى موضع آخر والحرث بن ذى شدد هو الرائش جد الملوك التبابعة فجعله الى شدد ولم ينسبه الى قيس ولا عدى من ولد سبا وكذلك اضطرب أبو محمد بن حزم فى نسبه فى الجمهرة مرة الى الملطاط ومرة الى سبا الاصغر والظاهر أنه تبع فى ذلك الطبرى والله أعلم وملك الحرث الرائش فيما قالوا مائة وخمسا وعشرين سنة وكان يسمى تبعا وكان مؤمنا فيما قال السهيلى ثم ملك بعده ابنه ابرهة ذو المنار مائة وثمانين سنة قال المسعودى وقال ابن هشام أبرهة ذو المنار هو ابن الصعب بن ذى مداثر بن الملطاط وسمى ذا المنار لانه رفع المنار ليهتدى به ثم ملك من بعده أفريقش بن أبرهة مائة وستين سنة وقال ابن حزم هو افريقش بن قيس بن صيفى أخو الحرث الرائش وهو الذى ذهب بقبائل العرب الى افريقية وبه سميت وساق البربر اليها من أرض كنعان مر بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم فاحتمل الفل منهم وساقهم الى افريقية فأنزلهم بها وقتل ملكها جرجير ويقال انه الذى سمى البرابرة بهذا الاسم لانه لما افتتح المغرب وسمع رطانتهم قال ما أكثر بربرتهم فسموا البرابرة والبربرة فى لغة العرب هى اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الاسد ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم الى الآن بها وليسوا من نسب البربر قاله الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى والسهيلى وجميع النسابين ثم ملك من بعد افريقش أخوه العبد بن ابرهة وهو ذو الاذعار عند المسعودى قال سمى بذلك لكثرة ذعر الناس من جوره وملك خمسا وعشرين سنة وكان على عهد سليمان بن داود وقبله بقليل وغزا ديار المغرب وسار اليه كيقاوس بن كنعان ملك فارس فبارزه وانهزم كيقاوس وأسره ذو الاذعار حتى استنقذه بعد حين من يده وزيره رستم زحف اليه بجموع فارس الى اليمن وحارب ذا الاذعار فغلبه واستخلص كيقاوس من أسره كما نذكره فى أخبار ملوك

فارس وقال الطبرى ان ذا الاذعار اسمه عمرو بن ابرهة ذى المنار بن الحرث الرائش بن
قيس بن صيفى بن سبا الاصغر انتهى وكان مهلك ذى الاذعار فيما ذكر ابن هشام مسموما
على يد الملكة بلقيس وملك من بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن ذى الاذعار وهو
ذو الصرح وملك ستا أو عشرا فيما قال المسعودى وملكت بعده ابنته بلقيس سبع
سنين وقال الطبرى ان اسم بلقيس بلقمة بنت اليشرح بن الحرث بن قيس انتهى ثم غلبهم
سليمان عليه السلام على اليمن كما وقع فى القرآن فيقال تزوجها ويقال بل عزلها فى التأيم
فتزوجت سدد بن زرعة بن سبا وأقاموا فى ملك سليمان وابنه أربعا وعشرين سنة ثم
قام بملكهم ناشر بن عمرو ذى الاذعار ويعرف بناشر النعم لفظين مركبين جعلا اسما واحدا
كذا ضبطه الجرجانى وقال السهيلى ناشر بن عمرو ثم قال ويقال ناشر النعم وفى كتاب
المسعودى نافس بن عمرو ولعله تصحيف ونسبه الى عمرو ذى الاذعار وليس يتحقق فى
هذه الانساب كلها أنها للصلب فان الآماد طويلة والاحقاب بعيدة وقد يكون بين
اثنين منهما عدد من الآباء وقد يكون ملصقا به وقال هشام بن الكلبى ان ملك اليمن صار
بعد بلقيس الى ناشر بن عمرو بن يعفر الذى يقال له ياسر أنعم لانعامه عليهم بما جمع من
أمرهم وقوى من ملكهم وزعم أهل اليمن أنه سار غازيا الى المغرب فبلغ وادى الرمل
ولم يبلغه أحد ولم يجد فيه مجازا لكثرة الرمل وعبر بعض أصحابه فلم يرجعوا فأمر بصنم
من نحاس نصب على شفير الوادى وكتب فى صدره بالخط المسند هذا الصنم
لياسر أنعم الحميرى ليس وراءه مذهب * فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب انتهى ثم ملك بعد
ياسر هذا ابنه شمر مرعش سمى بذلك لارتعاش كان به ويقال انه وطئ أرض العراق
وفارس وخراسان وافتتح مدائنها وخرب مدينة الصغد وراء جيحون فقالت العجم شمر
كند اى شمر خرب وبنى مدينة هنالك فسميت باسمه هذا وعربته العرب فصار سمرقند
ويقال انه الذى قاتل قباذ ملك الفرس وأسره وأنه الذى حير الحيرة وكان ملكه مائة
وستين سنة وذكر بعض الاخباريين أنه ملك بلاد الروم وأنه الذى استعمل عليهم ماهان
قيصر فهلك وملك بعده ابنه دقيوس وقال السهيلى فى شمر مرعش الذى سميت به
سمرقند انه شمر بن مالك ومالك هو الاملوك الذى قيل فيه

فنقب عن الاملوك واهتف بذكره * وعش دارعز لا يغالبه الدهر

وهذا غلط من السهيلى فانهم مجمعون على أن الاملوك كان لعهد موسى صلوات الله
عليه وشمر من أعقاب ذى الاذعار الذى كان على عهد سليمان فلا يصح ذلك الا أن يكون
شمر ابرهة ويكون أول دولة التبابعة ثم ملك على التبابعة بعد شمر مرعش تبع الاقرن
واسمه زيد (قال السهيلى) وهو ابن شمر مرعش وقال الطبرى انه ابن عمرو ذى الاذعار

وقال السهيلى انما سمى الاقرن لشامة كانت فى قرنه وملك ثلاثا وخمسين سنة وقال
المسعودى ثلاثا وستين ثم ملك من بعده ابنه كلكيكرب وكان مضعفا ولم يغز قط الى أن
مات وملك بعده ابنه تبان أسعد أبو كرب ويقال هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك
التبابعة وعند الطبرى أن الذى بعد ياسر ينعم بن عمرو ذى الاذعار تبع الاقرن أخوه
ثم بعد تبع الاقرن شمر مرعش بن ياسر ينعم ثم من بعده تبع الاصغر وهو تبان أسعد
أبو كرب هذا هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة وقال الطبرى ويقال له
الرائد وكان على عهد يستاسب وحافده أردشير بهمن ابن ابنه اسفنديار من ملوك
الفرس وانه شخص من اليمن غازيا ومر بالحيرة فتحير عسكره هنالك فسمى الحيرة وخلف
قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فأقاموا هنالك وبنوا الاطام واجتمع
اليهم ناس من طيئ وكلب والسكون واياد والحرث بن كعب ثم توجه الانبار ثم الموصل ثم
اذربيجان ولقى الترك فهزمهم وقتل وسبى ثم رجع الى اليمن وهابته الملوك وهادنه ملوك
الهند ثم رجع لغزو الترك وبعث ابنه حسان الى الصغد وابنه يعفر الى الروم وابن أخيه
شمر ذى الجناح الى الفرس وان شمر لقى كيقباذ ملك الفرس فهزمه وملك سمرقند وقتله
وجاز الى الصين فوجد أخاه حسان قد سبقه اليها فأثخنا فى القتل والسبى وانصرفا بما
معهما من الغنائم الى أبيهما وبعث ابنه يعفر الى القسطنطينية فتلقوه بالجزية
والاتاوة فسار الى رومة وحصرها ووقع الطاعون فى عسكره فاستضعفهم الروم
ووثبوا عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد ثم رجع الى اليمن ويقال انه ترك ببلاد الصين
قوما من حمير وانهم بها لهذا العهد وانه ترك ضعفاء الناس بظاهر الكوفة فتحيروا
هنالك وأقاموا معهم من كل قبائل العرب (وقال ابن اسحق) ان الذى سار الى
المشرق من التبابعة تبع الآخر وهو تبان أسعد أبو كرب بن ملكيكرب بن زيد الاقرن
ابن عمرو ذى الاذعار وتبان أسعد هو حسان تبع وهو فيما يقال أول من كسا
الكعبة وذكر ابن اسحق الملاء والوصائل وأوصى ولاته من جرهم بتطهيرها وجعل
لها بابا ومفتاحا وذكر ابن اسحق أنه أخذ بدين اليهودية وذكر فى سبب تهوده انه لما غزا
الى المشرق مر بالمدينة يثرب فملكها وخلف ابنه فيهم فعدوا عليه وقتلوه غيلة
ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة من بنى النجار فلما أقبل من المشرق وجعل طريقه على
المدينة مجمعا على خرابها فجمع هذا الحى من أبناء قيلة لقتاله فقاتلهم وبينما هم على ذلك
جاءه حبران من أحبار يهود من بنى قريظة وقالا له لا تفعل فانك لن تقدر وانها
مهاجر نبى قرشى يخرج آخر الزمان فتكون قراره وانه أعجب بهما واتبعهما على
دينهما ثم مضى لوجهه ولقيه دون مكة نفر من هذيل وأغروه بمال الكعبة وما فيها

من الجواهر والكنوز فنهاه الحبران عن ذلك وقالا له انما أراد هؤلاء هلاكك فقتل النفر من الهذليين وقدم مكة فأمره الحبران بالطواف بها والخضوع ثم كساها كما تقدم وأمر ولاتها من جرهم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات وجعل لها بابا ومفتاحا ثم سار الى اليمن وقد ذكر قومه ما أخذ به من دين اليهودية وكانوا يعبدون الاوثان فتعرضوا لمنعه ثم حاكموه الى النار التى كانوا بها يحكمون اليها فتأكل الظالم وتدع المظلوم وجاؤا بأوثانهم وخرج الحبران متقلدان المصاحف ودخل الحميريون فأكلتهم وأوثانهم وخرج الحبران منها ترشح وجوههم وجباههم عرقا فآمنت حمير عند ذلك وأجمعوا على اتباع اليهودية ونقل السهيلى عن ابن قتيبة فى هذه الحكاية ان غزاة تبع هذه انما هى استصراخة أبناء قيلة على اليهود فانهم كانوا نزلوا مع اليهود حين أخرجوهم من اليمن على شروط فنقضت عليهم اليهود فاستغاثوا بتبع فعند ذلك قدمها وقد قيل ان الذى استصرخه أبناء قيلة على اليهود انما هو أبو جبلة من ملوك غسان بالشأم جاءبه مالك بن عجلان فقتل اليهود بالمدينة وكان من الخزرج كما نذكر بعد ويعضد هذا ان مالك بن عجلان بعيد عن عهد تبع بكثير يقال انه كان قبل الاسلام بسبعمائة سنة ذكره ابن قتيبة وحكى المسعودى فى أخبار تبع هذا ان أسعد أبا كرب سار فى الارض ووطأ الممالك وذللها ووطئ أرض العراق فى ملك الطوائف وعميد الطوائف يومئذ خرداد بن سابور فلقى ملكا من ملوك الطوائف اسمه قباذ وليس قباذ بن فيروز فانهزم قباذ وملك أبو كرب العراق والشأم والحجاز وفى ذلك يقول تبع أبو كرب .

اذ حسينا جيادنا من دماء * ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
واستبحنا بالخيل خيل قباد * وابن اقليد جاء نا مصفودا
وكسونا البيت الذى حرم الله * ملاء منضدا و برودا
وأقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه اقليدا

(وقال أيضا)

لست بالتبع اليمانى ان لم * تركض الخيل فى سواد العراق
أو تؤدى ربيعة الخرج قسرا * لم يعقها عوائق العواق

وقد كانت لكندة معه وقائع وحروب حتى غلبهم حجر بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة من ملوك كهلان فدانوا له ورجع أبو كرب الى اليمن فقتله حمير وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة ثم ملك من بعد أبى كرب هذا فيما قال ابن اسحق ربيعة بن نصر بن الحرث بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام وقال ابن

هشام

هشام ويقال ربيعة بن نصر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر كان أبو حارثة تخلف باليمن بعد خروج أبيه وأقام ربيعة بن نصر ملكا على اليمن بعد هؤلاء التبابعة الذين تقدم ذكرهم ووقع له شأن الرؤيا المشهورة قال الطبرى عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم ان ربيعة بن نصر رأى رؤيا هالته وفظع بها وبعث فى أهل مملكته فى الكهنة والسحرة والمنجمين وأهل العيافة فأشاروا عليه باستحضار الكاهنين المشهورين لذلك العهد فى اياد وغسان وهما شق وسطيح قال الطبرى شق هو أبو صعب شكر بن رهب بن أمول بن يزيد بن قيس عبقر بن انمار وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذيب بن عدى بن مازن بن غسان ولوقوع اسم ذيب فى نسبه كان يعرف بالذيبى فأحضرهما وقص عليهما رؤياه وأخبراه بتأويلها أن الحبشة يملكون بلاد اليمن من بعد ربيعة وقحطان بسبعين سنة ثم يخرج عليهم ابن ذى يزن من عدن فيخرجهم ويملك عليهم اليمن ثم تكون النبوة فى قريش فى بنى غالب بن فهر ووقع فى نفس ربيعة أن الذى حدثه الكاهنان من أمر الحبشة كائن فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم وكتب الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرداذ فأسكنهم الحيرة ومن بيت ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر قال ابن اسحق ولما هلك ربيعة بن نصر اجتمع ملك اليمن لحسان بن تبان أسعد أبى كرب قال السهيلى وهو الذى استباح طسما كما ذكرناه وبعث على المقدمة عبد كهلان بن ثيرب ابن ذى حرب بن حارث بن ملك بن عبدان بن حجر بن ذى رعين واسم ذى رعين يريم وهو ابن زيد الجمهور وقدم نسبه الى سبا الاصغر وقال السهيلى فى أيام حسان تبع كان خروج عمرو بن مزيقيا من اليمن بالازد وهو غلط من السهيلى لان أبا كرب أباه انما غزا المدينة فيما قال هو صريخا للاوس والخزرج على اليهود وهو من غسان ونسبه الى مزيقيا فعلى هذا يكون الذى استصرخه الاوس والخزرج على اليهود انما هو من ملوك غسان كما يأتى فى أخبارهم قال ابن اسحق ولما ملك حسان بن تبع بن تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل فكرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجوع الى بلادهم فكلموا أخا له كان معهم فى العسكر يقال له عمرو وقالوا له اقتل أخاك نملكك وترجع بنا الى بلادنا فتابعهم على ذلك وخالفه ذو رعين فى ذلك ونهى عمرا عن ذلك فلم يقبل وكتب فى صحيفة وأودعها عنده

ألا من يشترى سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
فأما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذى رعين

ثم قتل عمرو أخاه بعرصة لحم وهى رحبة مالك بن طوق ورجع حمير الى اليمن فنمع النوم
عليه السهر وأجهده ذلك فشكى الى الاطباء عدم نومه والكهان والعرافين فقالوا
ماقتل رجل أخاه الاسلط عليه السهر فجعل يقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه ولم يغنه
ذلك شيئا وهم بذى رعين فذكره شعره فكانت فيه معذرته ونجاته وكان عمرو هذا
يسمى موثبان قال الطبرى لوثوبه على أخيه وقال ابن قتيبة لقلة غزوه ولزومه الوثب
على الفراش وهلك عمرو هذا الثلاث وستين سنة من ملكه قال الجرجانى والطبرى ثم مرج
أمر حمير من بعده وتفرقوا وكان ولد حسان تبع صغارا لايصلحون للملك وكان أكبرهم
قد استهوته الجن فوثب على ملك التبابعة عبد كلال موثبا فملك عليهم أربعا وتسعين
سنة وكان يدين بالنصرانية ثم رجع ابن حسان تبع من استهواء الجن فملك على التبابعة
قال الجرجانى ملك ثلاثا وسبعين سنة وهو تبع الاصغر ذو المغازى والاثار البعيدة

قال الطبرى وكان أبوه حسان تبع قد زوج بنته من عمرو بن حجر آكل المرار ابن عمرو بن
معاوية من ملوك كندة فولدت له ابنه الحرث بن عمرو فكان ابن تبع ابن حسان
هذا فبعثه على بلاد معد وملك على العرب بالحيرة مكان آل نصر بن ربيعة قال وانعقد
الصلح بينه وبين كيقباد ملك فارس على أن يكون الفرات حدا بينهم ثم أغارت العرب
بشرقى الفرات فعاتبه على ذلك فقال لا أقدر على ضبط العرب الا بالمال والجند فأقطعه
بلادا من السواد وكتب الحرث الى تبع يغريه بملك الفرس وتضعيف أمر كيقباد
فغزاهم وقيل ان الذى فعل ذلك هو عمرو بن حجر أبوه الذى ولاه تبع أبو كرب وأنه أغراه
بالفرس واستقدمه الى الحيرة فبعث عساكره مع ولده الثلاثة الى الصغد والصين
والروم وقد تقدم ذكر ذلك (قال) الجرجانى ثم ملك بعد تبع بن حسان تبع أخوه
لامه وهو مدثر بن عبد كلال فملك احدى وأربعين سنة ثم ملك من بعده ابنه ولبعة ابن
مدثر سبعا وثلاثين سنة ثم ملك من بعده أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شيبة بن مدثر
قيملف بن يعلق بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن ذى أصبح الحرث بن مالك أخو ذى
رعين وكعب أبو سبا الاصغر قال الجرجانى وبعض الناس يزعم ان ابرهة بن الصباح انما
ملك تهامة فقط قال ثم ملك من بعده حسان بن عمرو بن تبع بن كلكيكرب سبعا وخمسين
سنة ثم ملك لخيعة ولم يكن من أهل بيت المملكة قال ابن اسحق ولما ملك لخيعة غلب
عليهم وقتل خيارهم وعبث برجالات بيوت المملكة منهم قيل انه كان ينكح ولدان حمير
يريد بذلك أن لايملكوا عليهم وكانوا لايملكون عليهم من نكح نقله ابن اسحق وقال
أقام عليهم ملكا سبعا وعشرين سنة ثم وثب عليه ذو نواس زرعة تبع بن تبان أسعد
أبى كرب وهو حسان أبى ذى معاهر فيما قال ابن اسحق وكان صبيا حين قتل

قوله لخيعة
وقيل اسمه
لخيعة بن ينوف
وهو فى القاموس
قاله نصر

حسان ثم شب غلاما جميلا ذا هيئة وفضل ووضاءة ففتك بلخيعة فى خلوة اراده فيها
على مثل فعلاته القبيحة وعلمت به حمير وقبائل اليمن فملكوه واجتمعوا عليه وجدد ملك
التبابعة وتسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية وكانت مدته فيما قال ابن اسحق ثمانية
وستين سنة الى هنا اه ترتيب ابى الحسن الجرجانى ثم قال وقال آخرون ملك بعد
افريقش بن أبرهة قيس بن صيفى وبعده الحرث بن قيس بن مياس ثم ماء السماء بن مروه
ثم شرحبيل وهو يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن على بن الهمال بن
المنثلم بن جهيم ثم الصعب بن قرين بن الهمال بن المنثلم ثم زيد بن الهمال ثم ياسر بن
الحرث بن عمرو بن يعفر ثم زهير بن عبد شمس أحد بنى صيفى بن سبا الاصغر وكان فاسقا
مجرما يفتض ابكار حمير حتى نشأت بلقيس بنت اليشرح بن ذى جدن بن اليشرح بن
الحرث بن قيس بن صيفى فقتلته غيلة ثم ملكت ولما أخذها سليمان ملك لمك بن
شرحبيل ثم ملك ذو وداع فقتله ملكيكرب بن تبع بن الاقرن وهو أبو ملك ثم هلك فملك
أسعد بن قيس بن زيد بن عمرو ذى الاذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرايش بن قيس بن
صيفى بن سبا وهو أبو كرب ثم ملك حسان ابنه فقتله عمرو أخوه ووقع الاختلاف فى حمير
ووثب على عمرو لخيعة ينوف ذو الشناتر وملك ثم قتله ذو نواس بن تبع وملك اه كلام
الجرجانى (وزعم ابن عبد) ونقله من كتب مؤرخى المشرق أن الحرث الرايش هو ابن
ذى شدد ويعرف بذى مداثر وأن الذى ملك بعده ابنه الصعب وهو ذو القرنين ثم ابنه
أبرهة بن الصعب وهو ذو المنار ثم العبد ذو الاشفار ابن أبرهة بن عمرو ذى الاذعار ابن
أبرهة ثم قتلته بلقيس قال فى التيجان ان حمير خلعوه وملكوا شرحبيل بن غالب بن
المنتاب بن زيد بن يعفر بن السكسك بن وائل وكان بمأرب فحاربه ذو الاذعار وحارب
ابنه الهدهاد بن شرحبيل من بعده وابنته بلقيس بنت الهدهاد الملكة من بعده
فصالحته على التزويج وقتلته وغلبها سليمان عليه السلام على اليمن الى أن هلك
وابنه رحبعم من بعده واجتمعت حمير من بعده على مالك بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن
حمير بن المنتاب بن عمرو بن يزيد بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير وملك بعده ابنه
شمر يرعش وهو الذى خرب سمرقند وملك بعده ابنه صيفى بن شمر على اليمن وسار أخوه
افريقش بن شمر الى افريقية بالبربر وكنعان فملكها ثم انتقل الملك الى كهلان وقام به
عمران بن عامر ماء السماء بن حارثة امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد وكان كاهنا
ولما احتضر عهد الى أخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا وأعلمه بخراب سد مأرب
وهلاك اليمن بالسيل فخرج من اليمن بقومه وأصاب اليمن سيل العرم فلم ينتظم لبنى
قحطان بيعته واستولى على قصر مأرب من بعده ربيعة بن نصر ثم رأى رؤيا وندر بملك

الحبشة وبعث ولده الى العراق وكتب الى سابور الاشعانى فأسكنهم الحيرة وكثرت الخوارج باليمن فاجتمعت حمير على أن تكون لابى كرب أسعد بن عدى بن صيفى فخرج من ظفار وغلب ملوك الطوائف باليمن ودوخ جزيرة العرب وحاصر الاوس والخزرج بالمدينة وحمل حمير على اليهودية وطالت مدته وقتلته حمير وملك بعده ابنه حسان الذى أباد طسما ثم قتله أخوه عمرو وتداخلت حمير وهلك عمرو فملك بعده أخوه لابيه عبد كلال ابن منوب وفى أيامه خلع سابور أكتاف العرب وملك بعده تبع بن حسان وهو الذى بعث ابن أخيه الحرث بن عمرو الكندى الى أرض بنى معد بن عدنان بالحجاز فملك عليهم وملك بعده مرثد بن عبد كلال ثم ابنه وليعة وكثرت الخوارج عليه وغلب أبرهة ابن الصباح على تهامة اليمن وكان فى ظفار دار التبابعة حسان بن عمرو بن ابى كرب ثم وثب بعده على ظفار ذو شناتر وقتله ذو نواس كما مر هذا ترتيب ابن سعيد فى ملوكهم وعند المسعودى أنه لما هلك كليكرب بن تبع المعروف بالاقرن قال وهو الذى سار قومه نحو خراسان والصغد والصين وولى بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر خمسا وعشرين سنة ثم قتله أخوه عمرو بن تبع وملك أربعا وستين سنة ثم تبع أبو كرب وهو الذى غزا يثرب وكسا الكعبة بعد أن أراد هدمها ومنعه الحبران من اليهود وتهود وملك مائة سنة ثم بعده عمرو بن تبع أبى كرب وخلع وملك واحر ثد بن عبد كلال واتصلت الفتن باليمن أربعين سنة ومن بعده وليعة بن مرثد تسعا وثلاثين سنة ومن بعده ابرهة بن الصباح بن وليعة بن مرثد ويدعى شيبة الحمد ثلاثا وتسعين سنة وكانت له سير وقصص ومن بعده عمرو ذو قيفان تسع عشرة سنة ومن بعده لخيتعة ذو شناتر ومن بعده ذو نواس

وأما ابن الكلبى والطبرى وابن حزم فعندهم أن تبع أسعد أبى كرب هو ابن كليكرب ابن زيد الاقرن ابن عمرو بن ذى الاذعار بن ابرهة ذى المنار الرايش بن قيس بن صيفى بن سبا الاصغر وقال السهيلى انه أسقط أسماء كثيرة وملوكا وقال ابن الكلبى وابن حزم ومن ملوك التبابعة افريقش بن صيفى ومنهم شمر يرعش بن ياسر ينعم بن عمرو ذى الاذعار ومنهم بلقيس ابنة اليشرح بن ذى جدن بن ليشرح بن الحرث الرايش بن قيس بن صيفى ثم قال ابن حزم بعد ذكر هؤلاء من التبابعة وفى أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم الا طرف يسير لاختلاف رواتهم وبعد العهد اهـ وقال الطبرى لم يكن لملوك اليمن نظام وانما كان الرئيس منهم يكون ملكا على مخلافه لا يتجاوزه وان تجاوز بعضهم عن مخلافه بمسافة يسيرة من غير أن يرث ذلك الملك عن آبائه ولا يرثه أبناؤه عنه انما هو شأن

شداد المتلصصة يغيرون على النواحى باستغفال أهلها فاذا قصدهم الطلب لم يكن لهم ثبات وكذلك كان أمر ملوك اليمن يخرج أحدهم من مخلافه بعض الاحيان ويبعد فى الغزو والاغارة فيصيب ما عربه ثم ينشمر عند خوف الطلب زاحفا الى مكانه من غير أن يدين له أحد من غير مخلافه بالطاعة أو يؤدى اليه خراجا اهـ

(وأما الخبر عن ذى نواس وما بعده) فاتفق أهل الاخبار كلهم ان ذا نواس هو ابن تبان أسعد واسمه زرعة وانه لما تغلب على ملك آبائه التبابعة تسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية وحمل عليه قبائل اليمن وأراد أهل نجران عليها وكانوا من بين العرب يدينون بالنصرانية ولهم فضل فى الدين واستقامة وكان رئيسهم فى ذلك يسمى عبد الله بن الثامر وكان هذا الدين وقع اليهم قديما من بقية أصحاب الحواريين من رجل سقط لهم من ملك الشمعية يقال له ميمون نزل فيهم وكان مجتهدا فى العبادة مجاب الدعوة وظهرت على يده الكرامات فى شفاء المرضى وكان يطلب الخفاء عن الناس جهده وتبعه على دينه رجل من أهل الشأم اسمه صالح وخرجا فارين بأنفسهما فلما وطئا بلاد العرب اختطفتهما سيارة فباعوهما بنجران وهم يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ويعلقون عليها فى الاعياد من حليهم وثيابهم ويعكفون عليها أياما وافترقا فى الدور على رجلين من أهل نجران وأعجب سيد ميمون صلاته ودينه وسأله عن شأنه فدعاه الى الدين وعبادة الله وان عبادة النخلة باطل وأنه لو دعا معبوده عليها هلكت فقال له سيده ان فعلت دخلنا فى دينك فدعا ميمون فأرسل الله ريحا فجعفت النخلة من أصلها وأطبق أهل نجران على اتباع دين عيسى صلوات الله عليه ومن رواية ابن اسحق أن ميمون نزل بقرية من قرى نجران وكان يمر به غلمان أهل نجران يتعلمون من ساحر كان بتلك القرية وفى أولئك الغلمان عبد الله بن الثامر فكان يجلس الى ميمون ويسمع منه فآمن به واتبعه وحصل على معرفة اسم الله الاعظم فكان مجاب الدعوة لذلك واتبعه الناس على دينه وأنكر عليه ملك نجران وهم بقتله فقال له ان تطيق حتى تؤمن وتوحد فآمن ثم قتله فهلك ذلك الملك مكانه واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وأقام أهل نجران على دين عيسى صلوات الله عليه حتى دخلت عليهم فى دينهم الاحداث ودعاهم ذو نواس الى دين اليهودية فأبوا فسار اليهم فى أهل اليمن وعرض عليهم القتل فلم يزدهم الا جماحا فخدد لهم الاخاديد وقتل وحرق حتى أهلك منهم فيما قال ابن اسحق عشرين ألفا أو يزيدون وأفلت منهم رجل من سبا يقال له دوس ذو ثعلبان فسلك الرمل على فرسه وأعجزهم

(ملك الحبشة اليمن)

قال هشام بن محمد الكلبي في سبب غزو ذي نواس أهل نجران أن يهوديا كان بنجران فعدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلما فرفع أمره الى ذي نواس وتوسل له باليهودية واستنصره على أهل نجران وهم نصارى فحمي له ولدينه وغزاهم ولما أفلت دوس ذو ثعلبان فقدم على قيصر صاحب الروم يستنصره على ذي نواس وأعلمه بما ركب منهم وأراه الانجيل قد احترق بعضه بالنار فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره وطلب بثاره وبعث معه النجاشي سبعين ألفا من الحبشة وقيل ان صريخ دوس كان أولا للنجاشي وانه اعتذر اليه بقلة السفن لركوب البحر وكتب الى قيصر وبعث اليه بالانجيل المحرق فجاءته السفن وأجاز فيها العساكر من الحبشة وأمر عليهم ارياطا رجلا منهم وعهد اليه بقتلهم وسبيهم وخراب بلادهم فخرج ارياط لذلك ومعه ابرهة الاشرم فركبوا البحر ونزلوا ساحل اليمن وجمع ذو نواس حمير ومن أطاعه من أهل اليمن على افتراق واختلاف في الاهواء فلم يكن كبير حرب وانهزموا فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه بفرسه الى البحر ثم ضربه فدخل فيه وخاض ضحضاح البحر ثم أفضى به الى غمرة فأقحمه فيه فكان آخر العهد به ووطئ ارياط اليمن بالحبشة وبعث الى النجاشي بثلث السبي كما عهد له ثم أقام بها فضبطها وأذل رجالات حمير وهدم حصون الملك بها مثل سلحين وسون وغمدان وقال ذو يزن يرثي حمير وقصور الملك باليمن

هونك ليس يرد الدمع ما فاتا * لا تهلكن أسفا في اثر من ماتا
أبعد سون فلا عين ولا أثر * وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

وفي رواية هشام بن محمد الكلبي أن السفن قدمت على النجاشي من قيصر فحمل فيها الحبش ونزلوا بساحل اليمن واستجاش ذو نواس بأقيال حمير فامتنعوا من صريخه وقالوا كل أحد يقاتل عن ناحيته فألقى ذو نواس باليد ولم يكن قتال وأنه سار بهم الى صنعاء وبعث عماله في النواحي لقبض الاموال وعهد بقتلهم في كل ناحية فقتلوا وبلغ ذلك النجاشي فجهز الى اليمن سبعين ألفا وعليهم أبرهة فبلغوا صنعاء وهرب ذو نواس واعترض البحر فكان آخر العهد به وملك أبرهة اليمن ولم يبعث الى النجاشي بشئ وذكر له أنه خلع طاعته فوجه جيشا من أصحابه عليهم أرياط ولما حل بساحته دعاه الى النصفة والنزال فتبارزا وخدعه أبرهة وأكمن عبده في موضع المبارزة فلما التقيا ضربه ارياط فشرم أنفه وسمي الاشرم وخالفه العبد من الكمين فضرب أرياطا فأنفذه وبلغ النجاشي خبر ارياط فحلف ليريقن دمه ثم كتب اليه أبرهة واسترضاه فرضي عليه وأقره على عمله وقال ابن اسحق ان ارياط هو الذي قدم اليمن أولا وملكه وانتقض عليه أبرهة من بعد ذلك فكان ما ذكرنا من الحرب بينهما وقتل أرياط وغضب

النجاشي

النجاشي لذلك ثم أرضاه واستبد أبرهة بملك اليمن ويقال ان الحبشة لما ملكوا اليمن أمروا أبرهة بن الصباح وأقاموا في خدمته قاله ابن سلام وقيل ان ملك حمير لما انقرض أمر التبابعة صار متفرقا في الاذواء من ولد زيد الجمهور وقام بملك اليمن منهم ذو يزن من ولد مالك بن زيد قال ابن حزم واسمه علس بن زيد بن الحرث بن زيد الجمهور وقال ابن الكلبي وأبو الفرج الاصبهاني هو علس بن الحرث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور قالوا كلهم ولما ملك ذو يزن بعد مهلك ذي نواس واستبد أمر الحبشة على أهل اليمن طالبوهم بدم النصارى الذين في أهل نجران فساروا اليه وعليهم ارياط ولقيهم فيمن معه فانهزم واعترض البحر فأقحم فرسه وغرق فهلك بعد ذي نواس وولي ابنه مرثد بن ذي يزن مكانه وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أسد وكان من عقب ذي يزن أيضا من هؤلاء الاذواء علقمة ذو قيفان ابن شراحيل بن ذي يزن وملك مدينة الهون فقتله أهلها من همدان اه ولما استقر ابرهة في ملك اليمن أساء السير في حمير ورؤسائهم وبعث في ريحانة بنت علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان فانتزعها من زوجها ابي مرة ابن ذي يزن وقد كانت ولدت منه ابنه معد يكرب وهرب أبو مرة ولحق بأطراف اليمن واصطفى أبرهة ريحانة فولدت له مسروق بن أبرهة وأخته بسباسة وكان لابرهة غلام يسمى عمددة وكان قد ولاه الكثير من أمره فكان يفعل الافاعيل حتى عدا عليه رجل من حمير أو خثعم فقتله وكان حليما فأهدر دمه

(غزو الحبشة الكعبة)

ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء تسمى القليس لم ير مثلها وكتب الى النجاشي بذلك والى قيصر في الصناع والرخام والفسيفسا وقال لست بمنته حتى أصرف اليها حاج العرب وتحدث العرب بذلك فغضب رجل من النسأة أحد بني فقيم ثم أحد بني مالك وخرج حتى أتى القليس فقعد فيها ولحق بأرضه وبلغ أبرهة وقيل له الرجل من البيت الذي يحج اليه العرب فحلف ليسيرن اليه يهدمه ثم بعث في الناس يدعوهم الى حج القليس فضرب الداعي في بلاد كنانة بسهم فقتل وأجمع أبرهة على غزو البيت وهدمه فخرج سائرا بالحبشة ومعه الفيل فلقيه ذو نفر الحميري وقاتله فهزمه وأسره واستقاده دليلا في أرض العرب قال ابن اسحق ولما مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فأتوه بالطاعة وبعثوا معه أبا رغال دليلا فأنزله المغمس بين الطائف ومكة فهلك هنالك ورجمت العرب قبره من بعد ذلك قال جرير

اذا مات الفرزدق فارجموه * كما ترمون قبر أبي رغال

ثم بعث أبرهة خيلا من الحبشة فانتهوا الى مكة واستاقوا أموال أهلها وفيها مائتا بعير

لعبد المطلب وهو يومئذ سيد قريش فهموا بقتاله ثم علموا أن لا طاقة لهم به فقصروا وبعث أبرهة حناطة الحميرى الى مكة يعلمهم بقصده من هدم البيت ويؤذنهم بالحرب ان اعترضوا دون ذلك وأخبر عبد المطلب بذلك عن أبرهة فقال له والله ما نريد حربه وهذا بيت الله فان يمنعه فهو بيته وان يخل عنه فما لنا نحن من دافع ثم انطلق به الى أبرهة ومر بذى نفر وهو أسير فبعث معه الى سائس الفيل وكان صديقا لذى نفر فاستأذن له على أبرهة فلما رآه أجله ونزل عن سريره فجلس معه على بساطه وسأله عبد المطلب فى الابل فقال له أبرهة هلا سألت فى البيت الذى هو دينك ودين آبائك وتركت البعير فقال عبد المطلب أنا رب الابل وللبيت رب سيمنعه فرد عليه ابله قال الطبرى وكان فيما زعموا قد ذهب مع عبد المطلب عمرو بن لعابة بن عدى بن الرمل سيد كنانة وخويلد ابن وائلة سيد هذيل وعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ويرجع عن هدم البيت فأبى عليهم فانصرفوا وجاء عبد المطلب وأمر قريشا بالخروج من مكة الى الجبال والشعاب للتحرز فيها ثم قام عند الكعبة ممسكا بحلقة الباب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه وعبد المطلب ينشد ويقول

لاهم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك

فى أبيات معروفة ثم أرسل الله عليهم الطير الابابيل من البحر ترميهم بالحجارة فلا تصيب أحدا منهم الا هلك مكانه وأصابه فى موضع الحجر من جسده كالجدرى والحصبة فهلك وأصيب أبرهة فى جسده بمثل ذلك وسقطت أعضاؤه عضوا عضوا وبعثوا بالفيل ليقدم على مكة فربض ولم يتحرك فنجا وأقدم فيل آخر فحصب وبعث الله سيلا فجحفا فذهب بهم وألقاهم فى البحر ورجع أبرهة الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فانصدع صدره عن قلبه ومات ولما هلك أبرهة ملك مكانه ابنه يكسوم وبه كان يكنى واستفحل ملكه وأذل حمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة فقتلوا رجالهم ونكحوا نساءهم واستخدموا أبناءهم ثم هلك يكسوم بن أبرهة فملك مكانه أخوه مسروق وساءت سيرته وكثر عسف الحبشة باليمن فخرج ابن ذى يزن واستجاش عليهم بكسرى وقدم اليمن بعساكر الفرس وقتل مسروقا وذهب أمر الحبشة بعد أن توارث ملك اليمن منهم أربعة فى اثنين وسبعين سنة أولهم ارباط ثم أبرهة ثم ابنه يكسوم ثم أخوه مسروق ابن أبرهة

* (قصة سيف بن ذى يزن وملك الفرس على اليمن) *

ولما

ولما طال البلاء من الحبشة على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى من الاذواء بقية ذلك السلف وعقب أولئك الملوك ودبال الدولة المواضى للخمود وقد كان أبرهة انتزع منه زوجته ريحانة بعد أن ولدت منه ابنه معديكرب كما مر ونسبه فيما قال الكلبى سيف بن ذى يزن بن عافر بن أسلم بن زيد بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد الجمهور هكذا نسبه ابن الكلبى ومالك بن زيد هو أبو الاذواء فخرج سيف وقدم على قيصر ملك الروم وشكى اليه أمر الحبشة وطلب أن يخرجهم ويبعث على اليمن من شاء من الروم فلم يسعفه عن الحبشة وقال الحبشة على دين النصارى فرجع الى كسرى وقدم الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من أرض العرب فشكى اليه واستمهله النعمان الى حين وفادته على كسرى وأوفده معه وسأله النصر على الحبشة وأن يكون ملك اليمن له فقال بعدت أرضك عن أرضنا وهى قليلة الخير انما هى شاء وبعير ولا حاجة لنا بذلك ثم كساه وأجازه فنثر دنانير الاجازة ونهبها الناس يوهم الغنى عنها بما فى أرضه فأنكر عليه كسرى ذلك فقال جبال أرضى ذهب وفضة وانما جئت لتمنعنى من الظلم فرغب كسرى فى ذلك وأمهله للنظر فى أمره وشاور أهل دولته فقالوا فى سجونك رجال حبستهم للقتل ابعثهم معه فان هلكوا كان الذى أردت بهم وان ملكوا كان ملكا ازددته الى ملكك وأحصوا ثمانمائة وقدم عليهم أفضلهم وأعظمهم بيتا وأكبرهم نسبا وكان وهرز الديلمى (وعند المسعودى) وهشام بن محمد والسهيلى أن كسرى وعده بالنصر ولم ينصره وشغل بحرب الروم وهلك سيف بن ذى يزن عنده وكبر ابنه ابن ريحانة وهو معديكرب وعرفته أمه بأبيه فخرج ووفد على كسرى يستنجزه فى النصرة التى وعدبها أباه وقال له أنا ابن الشيخ اليمنى الذى وعدته فوهبه الدنانير ونثرها الى آخر القصة وقيل ان الذى وفد على كسرى وأباد الحبشة هو النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن ذى يزن قالوا ولما كتبت الفرس مع وهرز وكانوا ثمانمائة وقال ابن قتيبة كانوا سبعة آلاف وخمسمائة وقال ابن حزم كان وهرز من عقب جاماسب عم أنوشروان فأمره على أصحابه وركبوا البحر ثمان سفائن فغرقت منها سفينتان وخلصت ست الى ساحل عدن فلما نزلوا بأرض اليمن قال وهرز لسيف ما عندك قال ما شئت من قوس عربى ورجلى مع رجلك حتى نظفر أو نموت قال أنصفت وجمع ابن ذى يزن من استطاع من قومه وسار اليه مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن فتواقفوا للحرب وأمر وهرز ابنه أن يناوشهم القتال فقتلوه وأحفظه ذلك وقال أرونى ملكهم فأروه اياه على الفيل عليه تاجه وبين عينيه ياقوتة حمراء ثم نزل عن الفيل الى الفرس ثم الى البغلة فقال وهرز ركب بنت الحمار ذل وذل ملكه ثم رماه

بسهم فصك الياقوتة بين عينيه وتغلغل فى دماغه وتنكس عن دابته ودار وابه فحمل
القوم عليهم وانهزم الحبشة فى كل وجه وأقبل وهزر الى صنعاء ولما أتى بابها قال
لاتدخل رايتى منكوسة فهدم الباب ودخل ناصبا رايته فملك اليمن ونفى عنها الحبشة
وكتب بذلك الى كسرى وبعث اليه بالاموال فكتب اليه أن يملك سيف بن ذى يزن على
اليمن على فريضة يؤديها كل عام ففعل وانصرف وهزر الى كسرى وملك سيف اليمن
وكان أبوه من ملوكها وخلف وهزر نائبا على اليمن فى جماعة من الفرس ضمهم اليه
وجعله لنظر ابن ذى يزن وأنزله بصنعاء وانفرد ابن ذى يزن بسلطانه ونزل قصر الملك
وهو رأس غمدان يقال ان الضحاك بناه على اسم الزهرة وهو أحد البيوت السبعة
الموضوعة على أسماء الكواكب وروحانيتها خرب فى خلافة عثمان قاله المسعودى
وقال السهيلى كانت صنعاء تسمى أوال وصنعاء اسم بانيها صنعاء بن أوال بن عمير بن
عابر بن شالخ ولما استقل ابن ذى يزن بملك اليمن وفدت العرب عليه يهنوه بالملك ولما
رجع من سلطان قومه وأباد من عدوهم وكان فيمن وفد عليه مشيخة قريش وعظماء
العرب لعهدهم من أبناء اسمعيل وأهل بيتهم المنصوب لحجهم فوفدوا فى عشرة من
رؤسائهم فيهم عبد المطلب فأعظمهم سيف وأجلهم وأوجب لهم حقهم ووفر من ذلك
قسم عبد المطلب من بينهم وسأله عن بنيه حتى ذكر له شأن النبى صلى الله عليه وسلم
وكفالته اياه بعد موت عبد الله أبيه عاشر ولد عبد المطلب فأوصاه به وحضه على الابلاغ
فى القيام عليه والتحفظ به من اليهود وغيرهم وأسر اليه البشرى بنبوته وظهور قريش
قومهم على جميع العرب وأسنى جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمها
لبعد غايتها فى الهمة وعلو نظرها فى كرامة الوفد وبقاء آثار الترف فى الصبابة شاهد
لشرافة الحال فى الاول ذكر صاحب الاعلام وغيره أنه أجاز سائر الوفد بمائة من الابل
وعشرة أعبد وعشرة وصائف وعشرة أرطال من الورق والذهب وكرش ملئ من العنبر
واضعاف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب (قال ابن اسحق) ولما انصرف وهزر الى
كسرى غزا سيف على الحبشة وجعل يقتل ويبقر بطون النساء حتى اذا لم يبق الا
القليل جعلهم خولا واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب وعظم خوفهم منه
فخرج يوما وهم يسعون بين يديه فلما توسطهم وقد انفردوا به عن الناس رموه بالحراب
فقتلوه ووثب رجل منهم على الملك وقيل ركب خليفة وهزر فيمن معه من المسلحة
واستلحم الحبشة وبلغ ذلك كسرى فبعث وهزر فى أربعة آلاف من الفرس وأمره
بقتل كل أسود أو منتسب الى أسود ولو جعدا قططا ففعل وقتل الحبشة حيث كانوا
وكتب بذلك الى كسرى فأمره على اليمن فكان يجبيه له حتى هلك واستضافت حشابة

ملك الحميريين بعد مهلك ابن ذى يزن وأهل بيته الى الفرس وورثوا ملك العرب وسلطان
حمير باليمن بعد ان كانوا يزاحمونهم بالمناكب فى عراقهم ويجوسونهم بالغزو خلال ديارهم
ولم يبق للعرب فى الملك رسم ولا طلل الا أقيالا من حمير وقحطان رؤساء فى أحيائهم بالبدو
لا تعرف لهم طاعة ولا ينفذ لهم فى غير ذاتهم أمر الا ما كان لكهلان اخوتهم بأرض
العرب من ملك آل المنذر من لخم على الحيرة والعراق بتولية فارس وملك آل جفنة من
غسان على الشأم بتولية آل قيصر كما يأتى فى أخبارهم (وقال الطبرى) لما كانت اليمن
لكسرى بعث الى سرنديب من الهند قائدا من قواده ركب اليها البحر فى جند كثيف
فقتل ملكها واستولى عليها وحمل الى كسرى منها أموالا عظيمة وجواهر وكان وهزر
يبعث العير الى كسرى بالاموال والطيوب فتمر على طريق البحرين تارة وعلى أرض
الحجاز أخرى وعدا بنو تميم فى بعض الايام على عيره بطريق البحرين فكتب الى عامله
بالانتقام منهم فقتل منهم خلقا كما يأتى فى أخبار كسرى وعدا بنو كنانة على عيره بطريق
الحجاز حين مرت بهم وكانت فى جوار رجل من أشراف العرب من قيس فكانت حرب
الفجار بين قيس وكنانة بسبب ذلك وشهدها النبى صلى الله عليه وسلم وكان ينبل فيها على
أعمامه أى يجمع لهم النبل قال الطبرى ولما هلك وهزر أمر كسرى من بعده على اليمن
ابنه المرزبان ثم هلك فأمر حافده خرخسرو بن التيجان بن المرزبان ثم سخط عليه وحمل
اليه مقيدا ثم أجاره ابن كسرى وخلى سبيله فعزله كسرى وولى باذان فلم يزل الى أن
كانت البعثة وأسلم باذان وفشا الاسلام باليمن كما نذكره عند ذكر الهجرة وأخبار الاسلام
باليمن هذا آخر الخبر عن ملوك التبابعة من اليمن ومن ملك بعدهم من الفرس وكان
عدد ملوكهم فيما قال المسعودى سبعة وثلاثين ملكا فى مدة ثلاثة آلاف ومائتى
سنة الا عشرا وقيل أقل من ذلك وكانوا ينزلون مدينة ظفار قال السهيلى زمار وظفار
اسمان لمدينة واحدة يقال بناها مالك بن أبرهة وهو الاملوك ويسمى مالك وهو ابن
ذى المنار وكان على بابها مكتوب بالقلم الاول فى حجر أسود

يوم شيدت ظفار فقيل لمن أنت * فقالت لخير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت * ان ملكى لحابش الاشرار
ثم سيلت بعد من ذلك قالت * ان ملكى لفارس الاحرار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت * ان ملكى لقريش التجار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت * ان ملكى لخير سنجار
وقليلا ما يلبث القوم فيها * غير تشييدها الحامى البوار
من أسود يلقيهم البحر فيها * تشعل النار فى أعالى الجدار

ولم تزل مدينة ظفار هذه منزلا للملوك وكذلك في الاسلام صدر الدولتين وكانت اليمن من أرفع الولايات عندهم بما كانت منازل العرب العاربة ودار الملوك العظماء من التبابعة والاقيال والعباهلة ولما انقضى الكلام في أخبار حمير وملوكهم باليمن من العرب استدعى الكلام ذكر معاصريهم من العجم على شرط كتابنا المستوعب أخبار الخليقة وغير حال هذا الجيل العربي من جميع جهاته والامم المشاهير من العجم الذين كانت لهم الدول العظيمة لعهد الطبقة الاولى والثانية من العرب وهم النبط والسريانيون أهل بابل ثم الجرامقة أهل الموصل ثم القبط ثم بنو اسرائيل والفرس ويونان والروم فلنأت الآن بما كان لهم من الملك والدولة وبعض أخبارهم على اختصار والله ولي العون والتوفيق لا رب غيره ولا مأمول الا خيره

٣ زرعة ذو نواس — بن تبان بن أسعد أبي كرب بن كليكرب بن تبع الاقرن بن زيد — بن عمرو ذي الأذعار بن ابرهة ذي المنار — ابن الحرث الرايش بن ذي سدد

عمرو ذو يان

شمر يرعش ابن ياسر ينعم

بلقيس
يلقمة بنت اليشرح
بن شمر بن افريقش بن ابرهة

افريقش
بن قيس بن صيفي بن سبا الاصغر

بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقرم بن الصوار بن عبد شمس

الخبر عن ملوك بابل من النبط والسريانيين وملوك الموصل ونينوى من الجرامقة

قد تقدم لنا ان ملك الارض من بعد نوح عليه السلام كان لكنعان بن كوش بن حام ثم لابنه النمروذ من بعده وانه كان على بدعة الصابئة وأن بنى سام كانوا حنفاء ينتحلون التوحيد الذى عليه الكلدانيون من قبلهم قال ابن سعيد ومعنى الكلدانيين الموحدين ووقع ذكر النمروذ فى التوراة منسوبا الى كوش بن حام ولم يقع فيها ذكر لكنعان بن كوش فالله أعلم بذلك وقال ابن سعيد أيضا وخرج عابر بن شالخ بن أرفخشذ فغلبه وسار من كوثا الى أرض الجزيرة والموصل فبنى مدينة مجدل هنالك وأقام بها الى أن هلك وورث أمره ابنه فالغ من بعده وأصاب النمروذ وقومه على عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام ما أصابهم فى الصرح وكانت البلبلة وهى المشهورة وقد وقع ذكرها فى التوراة ولا أدرى معناها والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم قول بعيد فى العادة الا أن يكون من خوارق الانبياء فهو معجزة حينئذ ولم ينقلوه كذلك والذى يظهر أنه اشارة الى التقدير الالهى فى خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع فى القرآن الكريم ولا يعقل فى أمر البلبلة غير ذلك وقال ابن سعيد سوريان بن نبيط ولاه فالغ على بابل فانتقض عليه وحاربه ولما هلك فالغ قام بأمره بعده ابنه ملكان فغلبه سوريان على الجزيرة وملكها هؤلاء الجرامقة اخوانه فى النسب بنو جرموق بن أشوذ بن سام وكانت مواطنهم بالجزيرة وكان ابن أخت سوريان منهم الموصل بن جرموق فولاه سوريان على الجزيرة وأخرج بنى عابر منها ولحق ملكان منها بالجبال فأقام هنالك ويقال ان الخضر من عقبه واستبد الموصل على خاله سوريان بن نبيط ملك بابل وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط وملك بعد الموصل ابنه راتق وكانت له حروب مع النبط وملك من بعده ابنه أثور وبقى ملكها فى عقبه وهو مذكور فى التوراة وملك بعده ابنه نينوى وبنى المدينة المقابلة للموصل من عدوة دجلة المعروفة باسمه ثم كان من عقبه سنجاريف بن أثور بن نينوى بن أثور وهو الذى بنى مدينة سنجار وغزا بنى اسرائيل فصلبوه على بيت المقدس وقال البيهقى ان الجزيرة ملكها بعد مقتل سنجاريف أخوه ساطرون وهو الذى بنى مدينة الحضر فى برية سنجار على نهر الثرثار لتولعه بصيد الاسود فى غيضاتها وملك من بعده ابنه زان وكان يدين بالصابئة ويقال ان يونس بن متى بعث اليه ويونس من الجرامقة من سبط بنيامين بن اسرائيل من ابنه فآمن به زان بن ساطرون بعد الذى قصه القرآن من شأنه معهم ثم ان بختنصر لما غلب على بابل زحف اليه ودعاه الى دين الصابئة وشرط له أن يقيه فى ملكه فأجاب ولم يزل على الجزيرة حتى

زحف اليه جيوش الفرس مع ارتاق فضمن القيام بالمجوسية على أن يقره فى ملكه وكتب بذلك ارتاق الى بهمن فيضمن له فاجابه بأن هذا رجل متلاعب بالاديان فاقتله فقتله ارتاق وانقرض ملكه بعد ألف وثلثمائة سنة فيما قال البيهقى وفى أربعين ملكا منهم وصارت الجزيرة لملوك الفرس والذى عند الاسرائيليين سنجاريف من ملوك نينوى وهم أولاد موصل بن أشوذ بن سام وأنه كان قبله بالموصل ملوك منهم وهم فول وتلفات وبلناص وأنهم ملكوا بلد الاسباط العشرة وهى شورون المعروفة بالسامرة وأنه غرب الاسباط الذين كانوا فيها الى نواحى اصبهان وخراسان وأسكن أهل كوثة وهى الكوفة فى شمورون هذه فسلط الله عليهم السباع يفترسونهم فى كل ناحية فشكوا ذلك الى سنجاريف وسألوه أن يخبرهم عن بلد شمورون فى قسمة أى كوكب هى كى يتوجهوا اليه ويستنزلوا روحانيته على طريق الصابئة فأعرض عن ذلك وبعث كاهنان اليهم من اليهود فعلموهم دين اليهودية وأخذوا به وهؤلاء عند اليهود هم الشمرة نسبة الى شمرة وهى شمورون وليس الشمرة عندهم من بنى اسرائيل ولان دينهم صحيح فى اليهودية وزحف سنجاريف عندهم الى بيت المقدس بعد استيلائه على شورمون فحاصرها وداخله العجب بكثرة عساكره فقال لبنى اسرائيل من الذى خلصه الهه من يدى حتى يخلصكم الهكم وفزع ملك بنى اسرائيل الى نبيهم شعيا وسأله الدعاء فدعا له وأمنه من شر سنجاريف ونزلت بعسكره فى بعض لياليهم آفة سماوية فأصبحوا كلهم قتلى يقال أحصى قتلاهم فكانوا مائة وخمسة وثمانين ألفا ورجع سنجاريف الى نينوى ثم قتله أولاده فى سجوده لمعبوده من الكواكب وولى ابنه أيسرحدون ثم استولى عليهم بعد ذلك بختنصر كما سنذكره فى خبره (وأما ملوك بابل) فهم النبط بنو نبيط بن أشوذ بن سام وقال المسعودى نبيط بن ماش بن ارم وكانوا موطنين بأرض بابل وملك منهم سوريان بن نبيط وقال المسعودى هو أحد نبيط بن ماش ملك أرض بابل بولاية من فالغ فلما مات فالغ أظهر بدعة الصابئة وانتحلها بعده ابنه كنعان ويلقب بالنمروذ وملك بعده ابنه كوش وهو نمروذ ابراهيم عليه السلام وهو الذى قدم اباه آزر فاصطفاه هاجر على بيت الاصنام لان أرعو بن فالغ لما هلك أبوه فالغ وكان على دين التوحيد الذى دعاه اليه أبوه عابر رجع حينئذ أرعو الى كوثا ودخل مع النماردة فى دين الصابئة وتوارثها بنوه الى آزر بن ناحور فاصطفاه هاجر بن كوش وقدمه على بيت الاصنام وولد له ابراهيم عليه السلام وكان من أمره ما ذكرناه فيما نصه التنزيل ونقله الثقات ثم توالت ملوك النماردة ببابل وكان منهم بختنصر على ما ذهب اليه بعضهم ويقال ان الجرامقة وهم أهل نينوى غلبوا على بابل وملكها سنجاريف منهم

واستعمل فيها بختنصر من ملوكها ثم انتقض عليه بالجزا والطاعة وغزا بنى اسرائيل
بيت المقدس فاقتحمها عليهم بعد الحصار وأثخن فيهم بالقتل والاسر وقتل ملكهم
وخرب مسجدهم وتجاوزهم الى مصر فملكها ولما هلك بختنصر ملك من بعده فيما
ذكروه ابنه نشبت نصر ثم من بعده بنبصر وغزاه ارتاق مرزبان كسرى من ملوك
الكينية فقتله وملك بابل وأعمالها وصار النبط والجرامقة رعية للفرس وانقرضت دولة
النماردة ببابل هكذا ذكر ابن سعيد ونقله عن داهر مؤرخ دولة الفرس وجعل
السريانيين والنبط أمة واحدة وهما دولة واحدة وأما المسعودى فجعلهما دولتين
وأما السريانيون فقال هم أول ملوك الارض بعد الطوفان وسمى من ملوكهم تسعة
متعاقبين فى مائة سنة أو فوقها بأسماء أعجمية لافائدة فى نقلها لقلة الوثوق بالاصول
التى بايدينا من كتبه وكثرة التغيير فى الاسماء الاعجمية نعم ذكر ان شوشان بشنين
مجمتين وأنه أول من وضع التاج على رأسه والرابع منهم انه الذى كور الكور ومدن
المدن وان ملك الهند لعهده كان اسمه رتبيل وانه على ملكه واستولى على السريانيين
وأن بعض ملوك المغرب ظاهرهم عليه وانتزع لهم ملكهم منه ورده عليهم وسمى الثامن
منهم ماروت وأشار فى آخر كلامه الى أنهم كانوا مستولين على بابل وعلى الموصل وأن
ملوك اليمن ربما غلبوهم على أمرهم بعض الاحيان وذكر فى التاسع أنه كان غير
مستقل بأمره وان أخاه كان مقاسمه فى سلطانه وان أول من اتخذ الجرفلان وأول من
ملك فلان وأول من لعب بالصقور والشطرنج فلان مزاعم كلها بعيدة من الصحة انما
وجهه أن السريانيين لما كانوا أقدم فى الخليقة نسب اليهم كل قديم من الاشياء أو
طبيعى كالخط واللغة والسحر والله أعلم (وأما النبط) فعند المسعودى انهم من أهل بابل
لقوله فى ترجمتهم ذكر ملوك بابل والنبط وغيرهم المعروفين بالكلدانيين وذكر أن أولهم
نمروذ الجبار ونسبه الى ماش بن ارم بن سام وذكر أنه الذى بنى الصرح ببابل واحتفر نهر
الكوفة ونسب النمروذ فى موضع آخر الى كوش بن حام لاأدرى هو أو غيره ثم عد ملوكهم
بعد النمروذ ستا وأربعين أو نحوها فى ألف وأربعمائة من السنين باسماء أعجمية متعذر
ضبطها فتركت نقلها الا أنه ذكر فى الموفى منهم عدد العشرين وبعد التسعمائة من
سنيهم انه الذى غزت فارس لعهده مدينة بابل وذكر فى الموفى عدد ثلاثة وثلاثين منهم
وعند الالف والاربعمائة من سنيهم انه سنجاريف الذى حارب بنى اسرائيل وحاصرهم
بيت المقدس حتى أخذ الجزية منهم وان آخر ملوكهم داريوش وهو دارا الذى قتله
الاسكندر ولما ملك بابل هذا ماذكره المسعودى ولم يذكر منهم نمروذ الخليل عليه
السلام وذكر ان مدينتهم بابل وان الذى اختطها اسمه نيزو واسم امرأته شمرام ملوك

السريانيين

السريانيين اسمان أعجميان لاوثوق لنا بضبطهما وقال الطبرى نمروذ بن كوش بن
كنعان ابن حام صاحب ابراهيم الخليل عليه السلام وكان يقال عاد ارم فلما هلكوا
قيل ثمود ارم فلما هلكوا قيل نمروذ ارم فلما هلك قيل لسائر ولد ارم ارمان فهم النبط
وكانوا على الاسلام ببابل حتى ملكهم نمروذ فدعاهم الى عبادة الاوثان فعبدوها انتهى
كلام الطبرى وقال هروشيوش مؤرخ الروم انه نمروذ الجسيم وان بابل كانت
مربعة الشكل وكان سورها فى دور ثمانين ميلا وارتفاعه مائتا ذراع وعرضه خمسون
ذراعا وهو كله مبنى بالآجر والرصاص وفيه مائة باب من النحاس وفى أعلاه مساكن
الحراس والمقاتلة تبيت على الجانبين فى سائر دورة الطريق بينهما وحول هذا السور
خندق بعيد المهوى أجرى فيه الماء وأن الفرس هدموه ولما تغلبوا على ملك بابل تولى
ذلك منهم جيرش وهو كسرى الاول انتهى كلام هروشيوش ويظهر من كلام هؤلاء
ان اسم النمرود سمة لكل من ملك بابل لوقوعه فى أهل انساب مختلفة مرة الى سام ومرة
الى حام وزعم بعض المؤرخين ان نمروذ الخليل عليه السلام هو النمروذ بن كنعان بن
سنجاريف بن النمروذ الاكبر وان بختنصر من عقبه وهو ابن برازاد بن سنجاريف بن
النمرود وان الفرس الكينية غلبوا بختنصر على بابل ثم أبقوه واستعملوه عليها وان
كسرى الاول من بنى ساسان خرب مدينة بابل وعند الاسرائيليين وينقلونه عن كتاب
دانيال وارمياء من أنبيائهم وضبط هذا الاسم يرمياء ان بختنصر من عقب كاسد بن حاور
وهو أخو ابراهيم الخليل وبنو كاسد هؤلاء من ملوك بابل ويعرفون بالكسدانيين نسبة
اليه وان بختنصر منهم ملك أكثر المعمور وغلب على بنى اسرائيل وأزال دولتهم
وخرب بيت المقدس وانتهى ملكه الى مصر وماوراءها وكان ملكه خمسا وأربعين
وملك بعده ابنه أويل مرود ثلاثا وعشرين سنة وبعده ابنه بلينصر ثلاث سنين ثم زحف
اليه دارا من ملوك الفرس وصهره كورش فحاصروه بمدينة بابل وقال بعض
الاسرائليين ان بختنصر وملوك بابل من كسديم وكسديم من عيلام بن سام وهو اخو
أشوذ ومن أشوذ ملوك الموصل انتهى الكلام فى ملوك الموصل وملوك بابل وهذا غاية
ماأدى اليه البحث من أخبارهم وأنسابهم وكان من هؤلاء والكلدانيين دين الصابئة
وهو عبادة الكواكب واستجلاب روحانيتها ويذكر أنهم كانوا لذلك أهل عناية بارصاد
الكواكب ومعرفة طبائعها وخلاص المولدات ومايشابه ذلك من علوم النجوم
والطلسمات والسحر وانهم نهجوا ذلك لاهل الربع الغربى من الارض وقد يشهد
لذلك قراءة من قرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام مشيرا الى أن هاروت وماروت
من ملوك السريانيين وهم أول ملوك بابل وعلى القراءة المشهورة وانهما من الملائكة

فيكون اختصاص هذه الفتنة والابتلاء ببابل من بين أقطار الارض دليلا على
وفور قسطهما من صناعة السحر الذى وقع الابتلاء به ومما يشهد لانتحالهم السحر
وفنونه من النجوم وغيرها أن هذه العلوم وجدناها من منتحل أهل مصر المجاورين
لهم وكان لملوكها عناية شديدة بذلك حتى كان من مباهاتهم موسى بذلك وحشر السحرة
له ما كان وبقايا الآثار السحرية فى برابى اخميم من صعيد مصر مايشهد لذلك
أيضا والله أعلم



(الخبر عن القبط وأوّلية ملكهم ودولهم وتصاريف أحوالهم والالمام بنسبهم)

هذه الامّة أقدم أمم العالم وأطولهم أمدا في الملك واختصوا بملك مصر وما اليها ملوكها من لدن الخليقة الى أن صبحهم الاسلام بها فانتزعها المسلمون من أيديهم ولعهدهم كان الفتح وربما غلب عليهم جميع من عاصرهم من الامم حين يستفحل أمرهم مثل العمالقة والفرس والروم واليونان فيستولون على مصر من أيديهم ثم يتقلص ظلهم فراجع القبط ملكهم هكذا الى أن انقرضوا في مملكة الاسلام وكانوا يسمون الفراعنة سمة لملوك مصر في اللغة القديمة ثم تغيرت اللغة وبقي هذا الاسم مجهول المعنى كما تغيرت الحميرية الى المضرية والسريانية الى الرومية ونسبهم في المشهور الى حام بن نوح وعند المسعودى الى بنصر بن حام وليس في التوراة ذكر لبنصر بن حام وانما ذكر مصرايم وكوش وكنعان وقوط وقال السهيلي انهم من ولد كنعان بن حام لانه لما نسب مصر قال فيه مصر بن النبيط أو ابن قبط بن النبيط من ولد كوش بن كنعان وقال اهروشيوش انّ القبط من ولد قبط بن لايق بن مصر وعند الاسرائيليين انهم من قوط ابن حام وعند بعضهم انهم من كفتوريم قبطقايين ومعناه القبط وقال المسعودى اختص بنصر بن حام أيام النمرود ابن أخيه كنعان بولاية أرض مصر واستبدّ بها وأوصى بالملك لابنه مصر فاستفحل ملكه ما بين أسوان واليمن والعريش وايلة وفرسية فسميت كلها أرض مصر نسبة اليه وفي قبليها النوبة وفي شرقيها الشأم وفي شمالها بحر الزقاق وفي غربها برقة والنيل من دونها وطال عمر مصر وكبر ولده وأوصى بالملك لاكبرهم وهو قبط بن مصر أبو الاقباط فطال أمد ملكه وكان له بنون أربع قبط بن مصر وأنّ مصر هو الذى قسم الارض وعهد الى أكبرهم بالملك وهو قبط فغلب عليهم فأضيفوا اليه لمكان الملك والسن وملك بعد قبط بن مصر أشمون بن مصر ثم من بعده صا ثم أخوهما اتريب ثم عدّ ملوكا بأسماء أعجمية بعيدة عن الضبط لعجمتها وفساد الاصول التى بين أيدينا من كتبته ثم لماذ كر ستة منهم بعد اتريب قال فكثر ولد بنصر بن حام وتشاغبوا وملك عليهم النساء فسار اليهم ملك الشأم من العمالقة الوليد بن دومع فملكهم وانقادوا اليه وأمّا ابن سعيد فيما نقل من كتب المشارقة فقال ملك مصر ابنه قبط ثم من بعده أخوه اتريب قال وفي أيام قبط زحف شداد بن مداد بن شداد بن عاد الى مصر وغلب على أسافلها ومات قبط في حروبه ثم جمع اتريب قومه واستظهر بالبربر والسودان على العرب حتى أخرجهم الى الشأم واستبدّ اتريب بملك مصر وبنى المدينة المنسوبة اليه ومدينة عين شمس وملك بعده ابن أخيه البودشير بن قبط وهو الذى بعث هرمسا المصرى الى جبل القمر حتى ركب جرية النيل من هنالك وعدل البطيحة الكبرى

التى تنصب اليها عيون النيل وعمر بلاد الواحات وحوّل اليها جمعا من أهل بيته ثم ملك من بعده عديم بن البودشير ثم ابنه شدات بن عديم ثم ابنه منذوش بن شدات وجدّد مدينة عين شمس وكان لهم في السحر آثار عجيبة ثم ملك بعده ابنه مقلاوش بن مقناوش وعبد البقر وصوّرها من الذهب ثم هلك وخلف ابنه مرقيش فغلب عليه عمه أشمون بن قبط وبنى مدينة الاشمون وملك بعده ابنه أشاد بن أشمون ثم من بعده عمه صا بن قبط وبنى مدينة باسمه وملك بعده ابنه ندراس وكان حكيما وهو الذى بنى هيكل الزهرة الذى هدمه بختنصر وملك بعده ابنه ماليق بن ندراس فرفض الصابئة ودان بالتوحيد ودوّخ بلاد البربر والاندلس وحارب الافرنج وملك بعده ابنه حربيا ابن ماليق فرجع عن التوحيد الى الصابئة وغزا بلاد الهند والسودان والشأم وملك بعده ابنه كلكى بن حربيا وهو الذى تسميه القبط حكيم الملوك واتخذ هيكل زحل وعهد الى أخيه ماليا بن حربيا واشتغل باللهو فقتله ابنه خرطيش وكان سفاكا للدماء والقبط تزعم انه فرعون الخليل عليه السلام وانه أوّل الفراعنة ولما تعدّى بالقتل الى أقاربه سمته ابنته حوريا وملكت القبط من بعده فنازعها ابراحس من ولد عمها أتريب وحاربته فكان لها الغلب وانهزم ابراحس الى الشأم فاستظهر بالكنعانيين وبعث ملكهم قائده جيرون فلما قرب مصر استقبلته حوريا واطمعته في زواجها على أن يقتل ابراحس ويبنى مدينة الاسكندرية ففعل ثم قتلته آخرا بسموما واستقام لها الامر وبنت منارة الاسكندرية وعهدت بأمرها الدليقة ابنة عمها فقوم فخرج عليها ايمين من نسل اتريب طالبا بثار قريبه ابراحس ولحق بملك العمالقة يومئذ وهو الوليد ابن دومع الذى ذكرناه عند ذكر العمالقة فاستنصر به وجاء معه وملك ديار مصر واستبدّ بالقبط نقراوس فاشتغل باللذات واستكفى من بنيه اطفير وهو العزيز فكفاه وقام بأمره ودبر له يوسف القيوم بالوحى والهندسة وكانت أرضها مغايض للماء فأخرجه وعمر القرى مكانه على عدد أيام السنة فجعله على خزائنه وملك بعده دارم بن الريان وسمته القبط وعوص وكان يوسف مدبر أمره بوصية أبيه ومات لعهده فأساء السيرة وهلك غريقا في النيل وملك بعده ابنه معدانوس بن دارم فترهب واستخلف ابنه كاشم فاستعبد بنى اسرائيل للقبط وقتله حاجبه ونصب بعده ابنه لاطش فاشتغل باللهو فخلعه ونصب آخر من نسل ندراس اسمه لهوب فتجبر وتذكر القبط انه فرعون موسى عليه السلام وأهل الاثر يقولون انه الوليد بن مصعب وأنه كان نجارا ثم تقلب حاله الى عرافة الحرس ثم تطور الى الوزارة ثم الى الاستبداد وهذا بعيد لما قدمناه في الكتاب الاوّل وقال المسعودى بل كان فرعون موسى من الاقباط ثم هلك فرعون

موسى وخشى القبط من ملوك الشأم فملكوا عليهم دلوكة من بيت الملك وهى التى بنت الحائط على أرض مصر ويعرف بحائط العجوز لانها طال عمرها حتى كبرت واتخذت البرابى ومقاييس النيل ثم سمى المسعودى من بعد دلوكة ثمانية من ملوكهم على ذلك النحو من عجمة الاسماء وقال فى الثامن انه فرعون الاعرج الذى اعتصم به بنو اسرائيل من بختنصر فدخل عليه مصر وقتله وهدم هيا كل الصابئة ووضع بيوت النيران له ولولده وذكر فى تواريخهم قال قال ابن عبد الحكم وهذه العجوز دلوكة هى التى جددت البرابى بمصر أرسلت الى امرأة ساحرة كانت لعهدها اسمها تورة وكانت السحرة تعظمها فعملت برابى من حجارة وسط مدينة منف وصورت فيها صور الحيوانات من ناطق وأعجم فلا يقع شى بتلك الصورة الا وقع بمثالها فى الخارج وكان لهم بذلك امتناع ممن يقصدهم من الامم لانهم كانوا أعلم الناس بالسحر وأقامت عليهم عشرين سنة حتى بلغ صبى من أبنائهم اسمه دركون بطلوس فملكوه وأقامت معه على ذلك أربعمائة سنة ثم مات فولوا ابنه يردبس بن دركون ومن بعده أخاه نقاس بن نقراس ومن بعده مرينا بن مرينوس ثم ابنه استمارس بن مرينا فطغى عليهم وخلعوه وقتلوه وولوا عليهم من أشرافهم بلوطيس بن منا كيل أربعين سنة ثم استخلف مالوس ابن بلوطيس ومات فاستخلف أخاه منا كيل بن بلوطيس ثم توفى فاستخلف ابنه بركة بن منا كيل فملكهم مائة وعشرين سنة وهو فرعون الاعرج الذى سبى أهل بيت المقدس ويقال انه خلع وقال ابن عبد الحكم وولى من بعده ابنه مرينوس بن بركة فاستخلف ابنه فرقون بن مرينوس فملكهم ستين سنة ثم هلك واستخلف أخاه نقاس بن مرينوس وكانت البرابى كلما اذا فسد منها شى لا يصلحه الا رجل من ذرية تلك العجوز الساحرة التى وضعتها ثم انقطعت ذريتها ففسدت البرابى أيام نقاس هذا وتجاسر الناس على طلب الملك الذى فى أيديهم وهلك نقاس واستخلف ابنه قومس بن نقاس فملكهم دهرا ثم ملك بختنصر بيت المقدس واستلحم بنى اسرائيل وفرقهم وقتل وخرب ولحقوا بمصر فأجارهم قومس ملكها وبعث فيهم بختنصر فمنعهم وزحف اليه وغلب عليه وقتله وخرب مدينة منف وبقيت مصر أربعين سنة خرابا وسكنها أرمياء مدة ثم بعث اليه بختنصر فلحق به ثم رد أهل مصر الى موضعهم وأقاموا كذلك ما شاء الله الى أن غلب الفرس والروم على سائر الامم وقاتل الروم أهل مصر الى أن وضعوا عليهم الجزى ثم تقاسمها فارس والروم ثم تداولوا ملكها فتوالت عليها نواب الفرس ثم ملكها الاسكندر اليونانى وجدد الاسكندرية والآثار التى خارجها مثل عمود السوارى ورواق الحكمة ثم غلب الروم على مصر والشأم وأبقوا القبط فى ملكها وصرفوهم فى

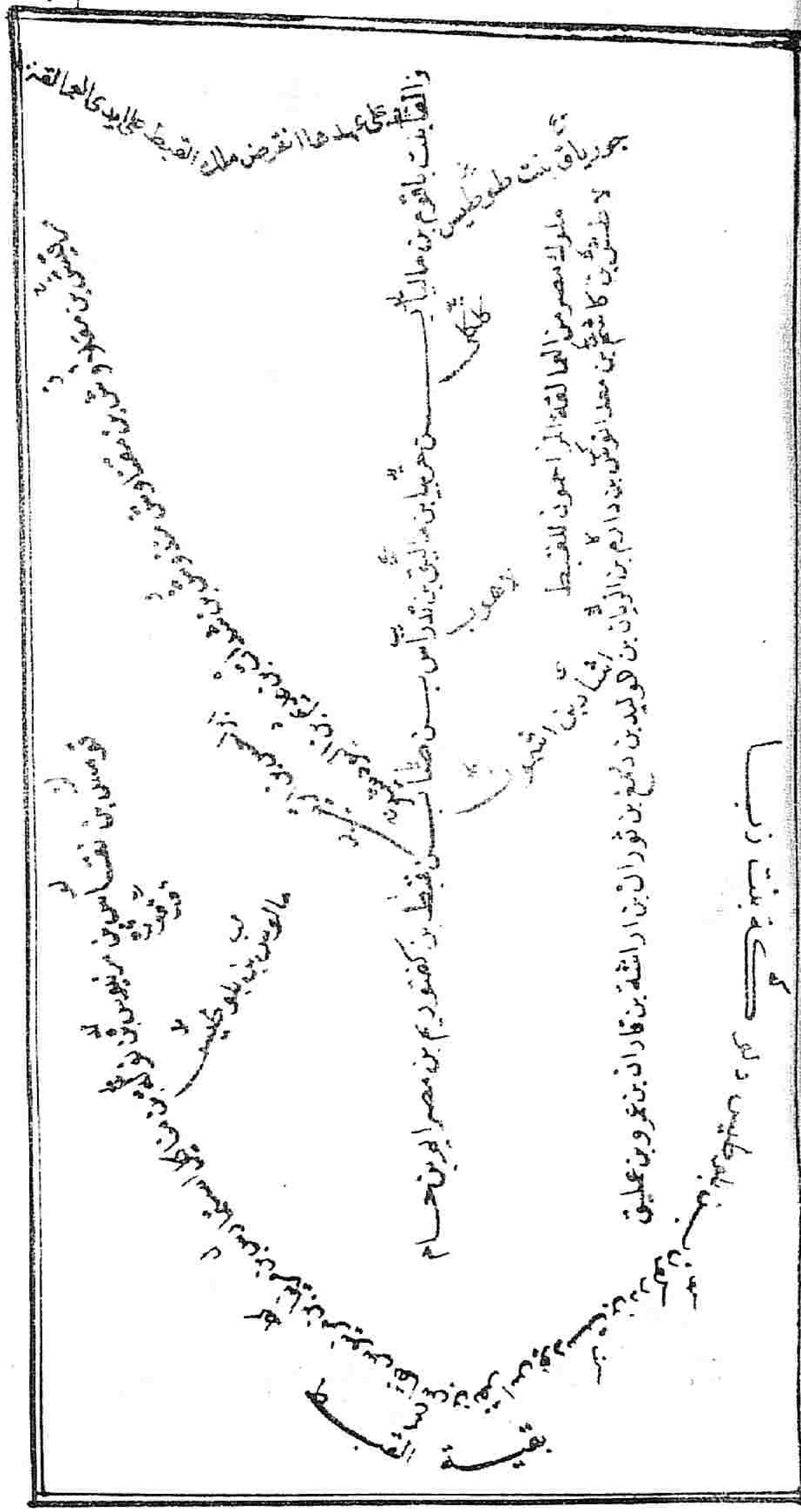
الولاية

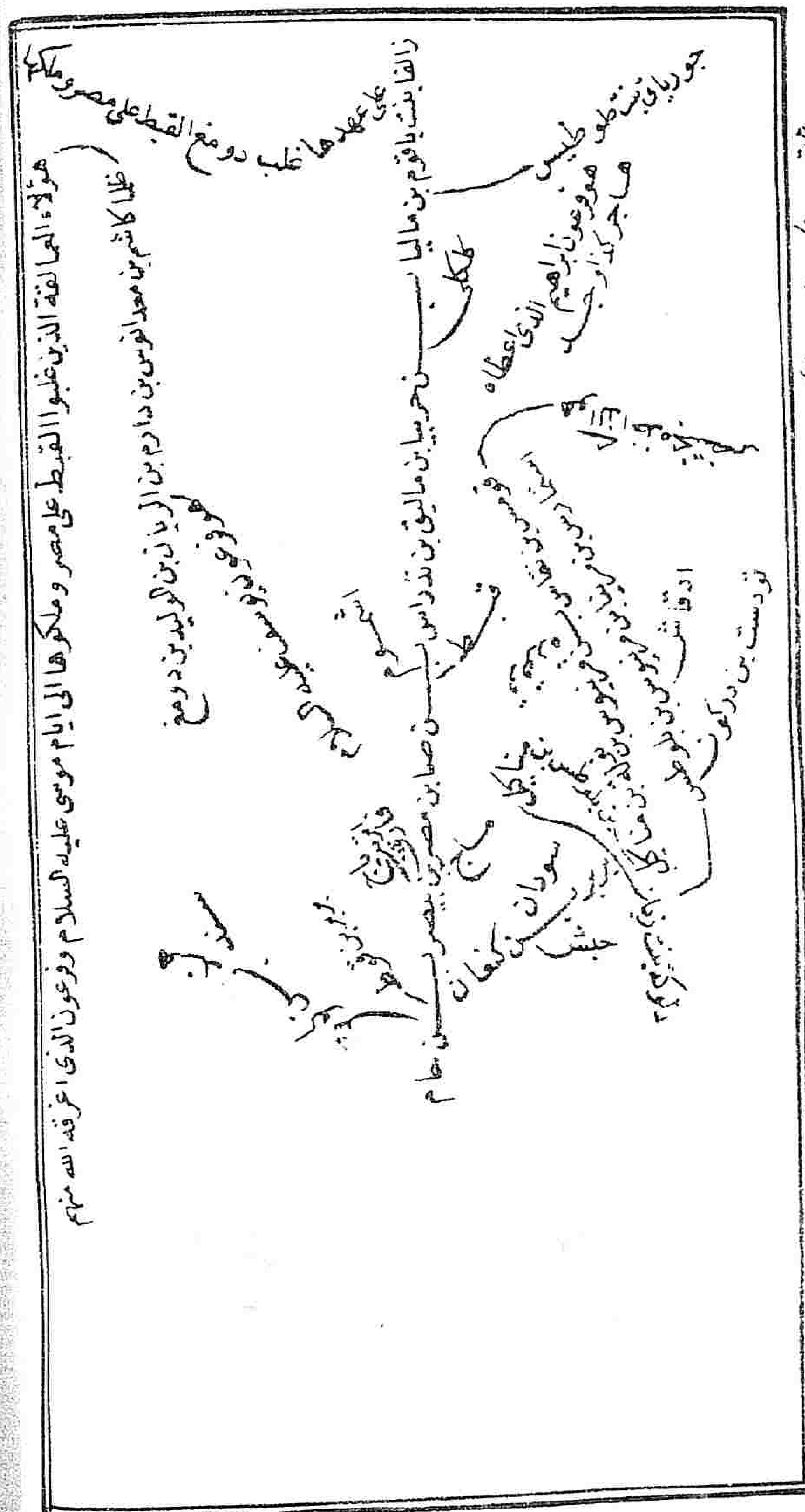
الولاية بمصر الى أن جاء الله بالاسلام وصاحب القبط بمصر والاسكندرية المقوقس واسمه جريج بن مينا فيما نقله السهيلى فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب ابن أبى بلتعة وجبرا مولى أبى رهم الغفارى فقارب الاسلام وأهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته المعروفة ذكرها أهل السير كان فيها البغلة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبها وتسمى دلدل والحمار الذى يسمى يعفور ومارية القبطية أم ولده ابراهيم واختها وأختها سيرين ووهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن وقدح من قوارير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه وعسل استطرفه له من بنها احدى قرى مصر معروفة بالعسل الطيب ويقال ان هرقل لما بلغه شأن هذه الهدية اتهمه بالميل الى الاسلام فعزله عن رياسة القبط

وخرج مسلم فى صحيحه من رواية أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا افتتحتم مصرا وانكم مستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما أو صهرا ورواه ابن اسحق عن الزهرى وقال قلت للزهرى ما الرحم التى ذكر قال كانت هاجر أم اسمعيل منهم ولبعض رواة الحديث فى تفسير الصهر أن مارية أم ابراهيم منهم أهداها له المقوقس وكانت من كورة حفن من عمل أنصناء وقال الطبرى ان عمرو بن العاص لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبى صلى الله عليه وسلم بهم فقال هذا نسب لا يحفظ حقه الا نبى لانه نسب بعيد وذكر واله أن هاجر كانت امرأة لملك من ملوكنا ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم فى بعضها دولة فقتلوا الملك وسبوها ومن هنالك تسيرت الى أبيكم ابراهيم ولما كمل فتح مصر والاسكندرية وارتحل الروم الى القسطنطينية أقام المقوقس والقبط على الصلح الذى عقده لهم عمرو بن العاص وعلى الجزى وأبقوه على رياسة قومه وكانوا يشاورونه فيما ينزل من المهمات الى أن هلك وكان ينزل الاسكندرية وفى بعض الاوقات ينزل منف من أعمال مصر واختط عمرو بن العاص الفسطاط بموضع خيامه التى كان يحاصر مصر منها فنزل بها المسلمون وهجروا المدينة التى كان بها المقوقس الى أن خربت وكان فى خرابها وهلاك المقوقس انقراض أمرهم وبقى أعقابهم الى هذا الزمان يستعملهم أهل الدول الاسلامية فى حسابات الخراج وجبايات الاموال لقيامهم عليها وغنائهم فيها وكفايتهم فى ضبطها وتنميتها وقد يهاجر بعضهم الى الاسلام فترتفع رتبتهم عند السلطان فى الوظائف المالية التى أعلاها فى الديار المصرية رتبة الوزارة فيقلدونهم اياها ليحصل لهم بذلك قرب من السلطان وحظ عظيم فى الدولة وبسطة فى الجاه تعددت منهم فى ذلك رجال وتعينت

لهم بيوت قصر السلطان نظره على الاختيار منها لهذا العهد وعامتهم يقيم على دين النصرانية الذين كانوا عليها لهذا العهد وأكثرهم بنواحي الصعيد وسائر الاعمال متحرفون بالفلح والله غالب على أمره

وأمّا اقليم مصر فكان في أيام القبط والفراعنة جسورا كله بتقدير وتدبير يحبسونه ويرسلونه كيف شاؤا والجنات حفاف النيل من أعلاه الى أسفله ما بين أسوان ورشيد وكانت مدينة منف وعين شمس يجري الماء تحت منازلها وأفنيتها بتقدير معلوم ذكر ذلك كله عبد الرحمن بن شماسة وهو من خيار التابعين يرويه عن أشياخ مصر قالوا ومدينة عين شمس كانت هيكل الشمس وكان فيها من الابنية والاعمدة والملاعب ما ليس في بلد قلت وفي مكانها لهذا العهد ضيعة متصلة بالقاهرة يسكنها نصارى من القبط وتسمى المطرية قالوا ومدينة منف مدينة الملوك قبل الفراعنة وبعدهم الى أن خربها بختنصر كما تقدم في دولة قومس بن نقاس وكان فرعون ينزل مدينة منف وكان لها سبعون بابا وبنى حيطانها بالحديد والصفر وكانت أربعة أنهار تجري تحت سريره ذكره أبو القاسم بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك له قال وكان طولها اثنى عشر ميلا وكانت جبايا مصر تسعين ألف ألف دينار مكررة مرتين بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل وانما سميت مصر بمصر بن بيصر بن حام ويقال انه كان مع نوح في السفينة فدعا له فأسكنه الله هذه الارض الطيبة وجعل البركة في ولده وحدّها طولا من برقة الى أيلة وعرضا من أسوان الى رشيد وكان أهلها صابئة ثم حملهم الروم لما ملكوها بعد قسطنطين على النصرانية عندما حملوا على الامم المجاورة لهم من الجلالقة والصقالبة وبرجان والروس والقبط والحبشة والنوبة فدانوا كلهم بذلك ورجعوا عن دين الصابئة في تعظيم الهياكل وعبادة الاوثان والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين





(الخبر عن بنى اسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك وتغلبهم على الارض المقدسة بالشأم وكيف تجددت دولتهم بعد الانقراض وما اكتنف ذلك من الاحوال)

قد ذكرنا عند ذكر ابراهيم وبنيه صلوات الله وسلامه عليهم ما كان من شأن يعقوب بن اسحق واستقراره بمصر مع بنيه الاسباط وفى التوراة ان الله سماه اسرائيل وإيل عندهم كلمة مرادفة لعبد وماقبلها من أسماء الله عز وجل وصفاته والمضاف أبدا متأخر فى لسان العجم فلذلك كان إيل هو آخر الكلمة وهو المضاف ثم قبض الله نبيه يعقوب بمصر لمائة وسبع وثمانين سنة من عمره وأوصى أن يدفن عند أبيه فطلب يوسف من فرعون أن يطلقه لذلك فأذن له وأمر أهل دولته بالانطلاق معه فانطلقوا وحملوه الى فلسطين فدفنوه بمقبرة آبائه وهى التى اشتراها ابراهيم من الكنعانيين ورجع يوسف الى مصر وأقام بها الى أن توفى لمائة وعشرين سنة من عمره ودفن بمصر وأوصى أن يحملوا اشلاءه معهم اذا خرجوا الى أرض الميعاد وهى الارض المقدسة وأقام الاسباط بمصر وتناسلوا وكثروا حتى ارتاب القبط بكثرتهم واستعبدوهم وفى التوراة ان ملكا من الفراعنة جاء بعد يوسف لم يعرف شأنه ولا مقامه فى دولة آبائه فاسترق بنى اسرائيل واستعبدهم ثم تحدث الكهان من أهل دولتهم بأن نبوة تظهر فى بنى اسرائيل وأن ملكا كائن لهم مع ما كان معلوما من بشارة آبائهم لهم بالملك فعمد الفراعنة الى قطع نسلهم بذبح الذكور من ذريتهم فلم يزالوا على ذلك مدة من الزمان حتى ولد موسى وهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وأمه يوحانذ بنت لاوى عمة عمران وكان قاهث بن لاوى من القادمين الى مصر مع يعقوب عليه السلام وولد عمران بمصر وولد هارون لثلاث وسبعين من عمره وموسى لثمانين فجعلته أمه فى تابوت وألقته فى ضحضاح اليم وأرصدت أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فتعرفه فجاءت ابنة فرعون الى البحر مع جواريها فرأته واستخرجته من التابوت فرحمته وقالت هذا من العبرانيين فمن لنا بظئر ترضعه فقالت لها أخته أنا آتيكم بها وجاءت بأمه فاسترضعتها له ابنة فرعون الى أن فصل فأتت به الى ابنة فرعون وسمته موسى وأسلمته لها ونشأ عندها ثم شب وخرج يوما يمشى فى الناس وله صولة بما كان له فى بيت فرعون من المربى والرضاع فهم لذلك أخواله فرأى عبرانيا يضربه مصرى فقتل المصرى الذى ضربه ودفنه وخرج يوما آخر فاذا هو برجلين من بنى اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره فقال له ومن جعل لك هذا أتريد أن تقتلنى كما قتلت الآخر بالامس ونمى الخبر الى فرعون فطلبه وهرب موسى الى أرض مدين عند عقبة أيلة وبنو مدين أمة عظيمة من بنى ابراهيم عليه السلام كانوا ساكنين هنالك

وكان ذلك لاربعين سنة من عمره فلقى عند مائهم ابنتين لعظيم من عظمائهم فسقى لهما
وجاءتا به الى أبيهما فزوجه باحداهما كما وقع فى القرآن الكريم وأكثر المفسرين على
أنه شعيب بن نوفل بن عيقا بن مدين وهو النبى صلى الله عليه وسلم (وقال الطبرى)
الذى استأجر موسى وزوجه بنته رعويل وهو يترجير مدين أى عالمهم وان رعويل هو
الذى زوجه البنت وان اسمه يتر وعن الحسن البصرى انه شعيب رئيس بنى مدين
وقيل انه ابن أخى شعيب وقيل ابن عمه فأقام عند شعيب صهره مقبلا على عبادة ربه
الى أن جاءه الوحى وهو ابن ثمانين سنة وأوحى الى أخيه هارون وهو ابن ثلاث وثمانين
سنة فأوحى الله اليهما بأن يأتيا فرعون ليبعث معهما بنى اسرائيل فيستنقذانهم من
مملكة القبط وجور الفراعنة ويخرجون الى الارض المقدسة التى وعدهم الله بملكها
على لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب فخرجا اليه وبلغا بنى اسرائيل الرسالة فآمنوا به
واتبعوه ثم حضرا الى فرعون وبلغاه أمر الله له بأن يبعث معهما بنى اسرائيل وأراه
موسى عليه السلام معجزة العصا فكان من تكذيبه وامتناعه واحضاره السحرة
لما رآى من موسى فى معجزته ثم اسلامهم ما نصه القرآن العظيم ثم تمادى فرعون فى
تكذيبه ومناصبته واشتد جوره على بنى اسرائيل واستعباده لهم واتخاذهم سخريا
فى مهنة الاعمال فأصابت فرعون وقومه الجوائح العشرة واحدة بعد أخرى يسألهم
عند وقوعها ويتضرع الى موسى فى الدعاء بانجلائها الى أن أوحى الله الى موسى
بخروج بنى اسرائيل من مصر وفى التوراة انهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل
بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم أو يشتركون مع جيرانهم ان كان أكثر
وان ينضحوا دمه على أبوابهم لتكون علامة وأن يأكلوه سواء برأسه وأطرافه
ومعناه لا يكسرون منه عظما ولا يدعون شيئا خارج البيوت وليكن خبزهم فطيرا ذلك
اليوم وسبعة أيام بعده وذلك فى اليوم الرابع عشر من فصل الربيع وليأكلوا بسرعة
وأوساطهم مشدودة وخفافهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم ويخرجوا الليلا وما فضل
من عشائهم ذلك يحرقوه بالنار وشرع هذا عيدا لهم ولاعقابهم ويسمى عيد الفصح
وفى التوراة أيضا انه قتل فى تلك الليلة أبكار الناس من القبط ودوابهم ومواشيهم
ليكون لهم بذلك شغل عن بنى اسرائيل وانهم أمروا أن يستعيروا منهم حليا كثيرا
يخرجون به فاستعاروه وخرجوا فى تلك الليلة بما معهم من الدواب والانعام وكانوا
ستمائة ألف أو يزيدون وشغل القبط عنهم بالمأتم التى كانوا فيها على موتاهم وأخرجوا
معهم تابوت يوسف عليه السلام استخرجه موسى صلوات الله عليه من المدفن الذى
كان به بالهام من الله تعالى وساروا لوجههم حتى انتهوا الى ساحل البحر بجانب الطور

قوله عيد الفصح صوابه عيد الفطير لان عيد الفصح للنصارى كذا قاله العطار

وأدركهم فرعون وجنوده وأمر موسى بأن يضرب البحر بعصاه ويقتحمه فضربه
فانفلق طرقا وسار فيها بنو اسرائيل وفرعون وجنوده فى اتباعه فهلكوا ونزل بنو
اسرائيل بجانب الطور وسبحوا مع موسى بالتسبيح المنقول عندهم وهو تسبيح الرب
البهى الذى قهر الجنود ونبذ فرسانها فى البحر المنيع المحمود الى آخره قالوا وكانت
مريم أخت موسى وهارون صلوات الله عليهما تأخذ الدف بيدها ونساء بنى اسرائيل
فى اثرها بالدفوف والطبول وهى ترتل لهن التسبيح سبحان الرب القهار الذى قهر
الخيول وركابها ألقاها فى البحر وهو معنى الاول (ثم كانت المناجاة) على جبل الطور
وكلام الله لموسى والمعجزات المتتابعة ونزول الالواح ويزعم بنو اسرائيل انها كانت
لوحين فيها الكلمات العشرة وهى كلمة التوحيد والمحافظة على السبت بترك الاعمال فيه
وبر الوالدين ليطول العمر والنهى عن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور ولا تمتد عين
الى بيت صاحبه أو امرأته أو لشئ من متاعه هذه الكلمات العشرة التى تضمنتها الالواح
وكان سبب نزول الالواح ان بنى اسرائيل لما نجوا ونزلوا حول طور سينا صعد موسى
الى الجبل فكلمه ربه وأمره أن يذكر بنى اسرائيل بالنعمة عليهم فى نجاتهم من فرعون
وان يتطهروا ويغسلوا ثيابهم ثلاثة أيام ويجتمعوا فى اليوم الثالث حول الجبل من
بعد ففعلوا وظلت الجبل غمامة عظيمة ذات بروق ورعود ففزعوا وقاموا فى سفح
الجبل دهشين ثم غشى الجبل دخان فى وسطه عمود نور وتزلزل له الجبل زلزلة عظيمة شديدة
واشتد صوت الرعد الذى كانوا يسمعونه وأمر موسى صلوات الله عليه بأن يقرب بنى
اسرائيل أسماع الوصايا والتكاليف قال فلم يطيقوا فأمر بحضور هارون وتكون
العلماء غير بعيد ففعل وجاءهم بالالواح ثم سار بعد ذلك الى ميعاد الله بعد أربعين
ليلة فكلمه ربه وسال الرؤية فمنعها فكان الصعق وساخ الجبل وتلقى كثيرا من أحكام
التوراة فى المواعظ والتحليل والتحريم وكان حين سار الى الميعاد استخلف أخاه هارون
على بنى اسرائيل واستبطؤا موسى وكان هارون قد أخبرهم بأن الحلى الذى أخذوه
للقبط محرم عليهم فأرادوا حرقه وأوقدوا عليه النار وجاء السامرى فى شيعة له من بنى
اسرائيل وألقى عليه شيئا كان عنده من أثر الرسول فصار عجلا وقيل عجلا حيوانا
وعبده بنو اسرائيل وسكت عنهم هارون خوفا من افتراقهم وجاء موسى صلوات الله عليه
من المناجاة وقد أخبر بذلك فى مناجاته فلما رآهم على ذلك ألقى الالواح ويقال كسرها
وأبدل غيرها من الحجارة وعند بنى اسرائيل انهما اثنان وظاهر القرآن أنها أكثر مع أنه
لا يبعد استعمال الجمع فى الاثنين ثم أخذ برأس أخيه ووبخه واعتذر له بما اعتذر ثم
حرق العجل وقيل برده بالمبرد وألقاه فى البحر وكان موسى صلوات الله عليه لما نجا بنى

اسرائيل الى الطور بلغ خبره الى بيثرصهره من بنى مدين فجاء ومعه بنته صفورا زوجة
موسى عليه السلام التى زوجها به أبوها رعويل كما تقدم ومعها ابناها من موسى
وهما جرشون وعازر فتلقاها موسى صلوات الله عليه بالبرّ والكرامة وعظمه بنو
اسرائيل ورأى كثرة الخصومات على موسى فأشار عليه بأن يتخذ النقباء على كل مائة
أو خمسين أو عشرة فيفصلوا بين الناس وتفصل أنت فيما أهم وأشكل ففعل ذلك ثم أمر الله
موسى ببناء قبة للعبادة والوحى من خشب الشمشاد ويقال هو السنط وجلود الانعام
وشعر الاغنام وأمر بتزيينها بالحرير والمصبغ والذهب والفضة على اركانها صور ومنها صور
الملائكة الكروبيين على كيفيات مفصلة فى التوراة فى ذلك كله ولها عشر سرادقات
مقدرة الطول والعرض وأربعة أبواب واطناب من حرير منقوش مصبغ وفيها دفوف
وصفائح من ذهب وفضة وفى كل زاوية بابان وأبواب وستور من حرير وغير ذلك مما
هو مشروح فى التوراة وبعمل تابوت من خشب الشمشاد طول ذراعين ونصف
فى عرض ذراعين فى ارتفاع ذراع ونصف مصفحا بالذهب الخالص من داخل وخارج
وله أربع حلق فى أربع زوايا وعلى حافته كروبيان من ذهب يعنون مثالى ملكين
بأجنحة ويكونان متقابلين وان يصنع ذلك كله فلان شخص معروف من بنى اسرائيل
وأن يعمل مائدة من خشب الشمشاد طول ذراعين فى عرض ذراع ونصف بطناب
ذهب واكليل ذهب بحافة مرتفعة باكليل ذهب وأربع حلق ذهب فى أربع نواحيها
مغروزة فى مثل الرمّانة من خشب ملبس ذهبا وصحافا ومصافى وقصاعا على المائدة كلها
من ذهب وان يعمل منارة من ذهب بست قصبات من كل جانب ثلاث وعلى كل قصبة
ثلاث سرج وليكن فى المنارة أربعة قناديل ولتكن هى وجميع آلاتها من قنطار من
ذهب وأن يعمل مذبحا للقربان ووصف ذلك كله فى التوراة بأتم وصف ونصبت هذه
القبة أول يوم من فصل الربيع ونصب فيها تابوت الشهادة وتضمن هذا الفصل
فى التوراة من الاحكام والشرائع فى القربان والنحور وأحوال هذه القبة كثيرا وفيها
أنّ قبة القربان كانت موجودة قبل عبادة أهل العجل وأنها كانت كالكعبة يصلون
اليها وفيها ويتقربون عندها وأنّ أحوال القربان كانت كلها راجعة الى هارون عليه
السلام بعهد الله الى موسى بذلك وأنّ موسى صلوات الله عليه كان اذا دخلها يقفون
حولها وينزل عمود الغمام على بابها فيخرون عند ذلك سجدا لله عزوجل ويكلم الله
موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذى هو نور ويخاطبه ويناجيه وينهاه
وهو واقف عند التابوت صامد لما بين ذينك الكروبيين فاذا فصل الخطاب يخبر بنى
اسرائيل بما أوحاه اليه من الاوامر والنواهى واذا تحاكموا اليه فى شئ ليس عنده من

الله فيه بشئ يجئ الى قبة القربان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين ذينك الكروبيين
فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الخصومة (ولما نجا بنو اسرائيل ودخلوا البرية عند
سينا أوّل المصيف لثلاثة أشهر من خروجهم من مصر وواجهوا اجبال الشأم وبلاد
بيت المقدس التى وعدوا بها أن تكون ملكا لهم على لسان ابراهيم واسحق ويعقوب
صلوات الله عليهم بمسيرهم اليها وأتوه باحصاء بنى اسرائيل من يطيق حمل السلاح منهم
من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون وضرب عليهم الغزو ورتب
المصاف والميمنة والميسرة وعين مكان كل سبط فى التعبية وجعل فيه التابوت والمذبح فى
القلب وعين لخدمتها بنى لاوى من أسباطهم وأسقط عنهم القتال لخدمة القبة وسار على
التعبية سالكا على برية فاران وبعثوا منهم اثنى عشر نقيبا من جميع الاسباط فأتوهم
بالخبر عن الجبارين كان منهم كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب
ويوشع بن نون بن اليشامع بن عميهون بن بارص بن لعدان بن تاحن بن تالح بن اراشف
ابن رافح بن بريعا بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب فاستطابوا البلاد واستعظموا العدوّ من
الكنعانيين والعمالقة ورجعوا الى قومهم يخبرونهم الخبر وخذلوهم الا يوشع وكالب
فقالا انهم ما قالا وهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما وخاض بنو اسرائيل عن القتال
وأبوا من المسير الى عدوّهم والارض التى ملكهم الله الى أن يهلك الله عدوهم على غير
أيديهم فسخط الله ذلك منهم وعاقبهم بأن لا يدخل الارض المقدسة أحد من ذلك الجيل
الا كالبا ويوشع وانما يدخلها أبناؤهم والجيل الذى بعدهم فأقاموا كذلك أربعين سنة
فى برية سينا وفاران يتردّدون حوالى جبال الشراة وأرض ساعير وأرض بلاد الكرك
والشوبك وموسى صلوات الله عليه بين ظهرانيهم يسأل الله لطفه بهم ومغفرته ويدفع
عنهم مهالك سخطه وشكوا الجوع فبعث الله لهم المنّ حبات بيض منتشرة على الارض
مثل بذر الكزبرة فكانوا يطحنونه ويتخذون منه الخبز لا كلهم ثم قرموا الى اللحم فبعث
لهم السلوى طيرا يخرج من البحر وهو طير السمانى فيأكلون منه ويدّخرون ثم طلبوا الماء
فأمر أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأقاموا على ذلك ثم ارتاب
واحد منهم اسمه قورح بن ايصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث
فارتاب هو وجماعة منهم من بنى اسرائيل بشأن موسى واعتمدوا مناصبته فاصابتهم
قارعة وخسفت بهم وبه الارض وأصبحوا عبرة للمعتبرين واعتزم بنو اسرائيل على
الاستقالة مما فعلوه والزحف الى العدو ونهاهم موسى عن ذلك فلم ينتهوا وصعدوا جبل
العمالقة فحاربهم أهل ذلك الجبل فهزموهم وقتلوهم فى كل وجه فأمسكوا
وأقام موسى على الاستغفار لهم فارسل الى ملك أروم يطلب الجواز عليه الى الارض

المقدسة فمنعهم وحال دون ذلك ثم قبض هارون صلوات الله عليه لمائة وثلاثة وعشرين سنة من عمره ولاربعين سنة من يوم خروجهم من مصر وحزن له بنو اسرائيل لانه كان شديد الشفقة عليهم وقام بأمره الذى كان يقوم به ابنه العيزار ثم زحف بنو اسرائيل الى بعض ملوك كنعان فهزموهم وقتلوهم وغنموا ما أصابوا معهم وبعثوا الى سيحون ملك العموريين من كنعان فى الجواز فى أرضه الى الارض المقدسة فمنعهم وجمع قومه وغزا بنى اسرائيل فى البرية فحاربوه وهزموه وملكوا بلاده الى حد بنى عمون ونزلوا مدينته وكانت لبنى مؤاب وتغلب عليها سيحون ثم قاتلوا عوجا وقومه من كنعان وهو المشهور بعوج بن عوق وكان شديد الباس فهزموه وقاتلوه وبنيه وأثخنوا فى أرضه وورثوا أرضهم الى الاردن بناحية أريحاء وخشى ملك بنى مؤاب من بنى اسرائيل واستجاش بمن يجاوره من بنى مدين وجمعهم ثم أرسل الى بلعام بن باعورا وكان ينزل فى التخم بين بلاد بنى عمون وبنى مؤاب وكان مجاب الدعوة معبرا للاحلام واستدعاه ليستعين بدعائه وأتاه الوحى بالنهى عن الدعاء والح عليه ذلك الملك وأصعده الى الاماكن الشاهقة وأراه معسكر بنى اسرائيل منها فدعا لهم وأنطقه الله بظهورهم وانهم يملكون الى الموصل ثم تخرج أمة من أرض الروم فيغلبون عليهم فغضب الملك وانصرف بلعام الى بلاده وفشا فى بنى اسرائيل الزنا ببنات مؤاب ومدين فاصابهم الموتان فهلك منهم أربعة وعشرون ألفا ودخل فنحاص بن اعزرا على رجل من بنى اسرائيل فى خيمته ومعه امرأة من بنى مدين قد أدخلها للزنا بمرأى من بنى اسرائيل فطعنها برمحه وانتظمهما وارتفع الموتان عن بنى اسرائيل ثم أمر الله موسى والعازر بن هارون باحصاء بنى اسرائيل بعد فناء الجيل الذى أحصاهم موسى وهارون ببرية سينا وانقضاء الاربعين سنة التى حرم الله عليهم فيها دخول تلك الارض وان يبعث بعثا من بنى اسرائيل الى مدين الذين أعانوا بنى مؤاب فبعث اثنى عشر ألفا من بنى اسرائيل وعليهم فنحاص بن العيزر بن العزر بن هارون فحاربوا بنى مدين وقتلوا ملوكهم وسبوا نساءهم وملكوا أموالهم وقسم ذلك فى بنى اسرائيل بعد ان أخذ منه لله وكان فيمن قتل بلعام بن باعورا ثم قسم الارض التى ملك من بنى مدين والعموريين وبنى عمون وبنى مؤاب ثم ارتحل بنو اسرائيل ونزلوا شاطئ الاردن وقال الله قد ملكتكم ما بين الاردن والفرات كما وعدت أباءكم ونهوا عن قتال عيصو الساكنين ساعير وبنى عمون وعن أرضهم وأكمل الله الشريعة والاحكام والوصايا لموسى عليه السلام وقبضه اليه لمائة وعشرين سنة من عمره بعد ان عهد الى فتاه يوشع أن يدخل ببنى اسرائيل الى الارض المقدسة ليسكنوها ويعملوا بالشريعة التى فرضت عليهم فيها ودفن بالوادى

فى أرض مؤاب ولم يعرف قبره لهذا العهد وقال الطبرى مدة عمر موسى صلوات الله عليه مائة وعشرون سنة منها فى أيام أفريدون عشرون ومنها فى أيام منوجهر مائة قال ثم سار يوشع من بعد موسى الى أريحا فهزم الجبارين ودخلها عليهم وقال السدى ان يوشع تنبأ بعد موسى وسار الى أريحا فهزم الجبارين ودخلها عليهم وان بلعام بن باعورا كان مع الجبارين يدعو على يوشع فلم يستجب له وصرف دعاؤه على الجبارين وكان بلعام من قرى البلقاء وكان عنده الاسم الاعظم فطلبه الكنعانيون فى الدعاء على بنى اسرائيل فامتنع وألحوا عليه فأجاب ودعا فصرف دعاؤه وكان قيامه للدعاء على جبل حسان مطلا على عسكر بنى اسرائيل هذا خبر السدى فى أن دعاء بلعام كان لعهد يوشع والذى فى التوراة انه كان لعهد موسى وان بلعام قتل لعهد موسى كما مر فى خبر الطبرى وقال السدى ان يوشع بعد وفاة موسى صلوات الله عليه أمر أن يعبر فسار ومعه التابوت تابوت الميثاق حتى عبر الاردن وقاتل الكنعانيين فهزمهم وان الشمس جنحت للغروب يوم قتالهم ودعا الله يوشع فوقفت الشمس حتى تمت عليهم الهزيمة ثم نازل أريحاء ستة أشهر وفى السابع نفخوا فى القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فاستباحوها وأحرقوها وكمل الفتح واقتسموا بلاد الكنعانيين كما أمرهم الله هذا مساق الخبر عن سيرة موسى صلوات الله عليه وبنى اسرائيل أيام حياته وبعد مماته حتى ملكوا أريحا (وفى كتب الاخباريين) أن العمالقة الذين كانوا بالشأم قاتلهم يوشع فهزمهم وقتل آخر ملوكهم وهو السميدع بن هوبر بن مالك وكان لقاؤهم اياه مع بنى مدين فى أرضهم وفى ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمى

ألم تر أن العلقمى بن هوبر * بأيلة أمسى لحمه قد تمزعا
ترامت عليه من يهود جحافل * ثمانون ألفا حاسرين ودرعا

قوله ستة أشهر الذى فى أبى الفداء ستة أيام

ذكره المسعودى وقد تقدم لنا خلاف النسابة فى هؤلاء العمالقة وانهم لعمليق بن لاوذ أو لعمالق بن أليفاز بن عيصو والثانى لنسابة بنى اسرائيل سار اليه علماء العرب وأما الامم الذين كانوا بالشأم لذلك العهد فأكثرهم لبنى كنعان وقد تقدمت شعوبهم وبنو أروم أبناء عيصو وبنو عمون وبنو مؤاب أبناء لوط وثلاثتهم أهل بسيعير وجبال الشراة وهى بلاد الكرك والشوبك والبلقاء ثم بنو فلسطين من بنى حام ويسمى ملكهم جالوت وهو من الكنعانيين منهم ثم بنو مدين ثم العمالقة ولم يؤذن لبنى اسرائيل فى غير بلاد الكنعانيين فهى التى اقتسموها وملكوها وصارت لهم تراثا وأما غيرها فلم يكن لهم فيها الا الطاعة والمغارم الشرعية من صدقة وغيرها (وفى كتب الاخباريين) ان بنى اسرائيل بعد ملكهم الشأم بعثوا بعوثهم الى الحجاز وهنالك يومئذ أمة من العمالقة

يسمون جاسم وكان اسم ملكهم الارم بن الارقم وكان أوصاهم أن لا يستبقوا منهم من بلغ الحلم فلما ظهروا على العمالقة وقتلوا الارقم استبقوا ابنه وضنوا به عن القتل لوضاءته ولما رجعوا من بعد الفتح وبخهم اخوانهم ومنعوهم دخول الشام وأرجعوهم الى الحجاز وما تملكوا من أرض يثرب فنزلوها واستتم لهم فتح فى نواحيها ومن بقاياهم يهود خيبر وقريظة والنضير قال ابن اسحق قريظة والنضير والنحام وعمرو هو هزل من الخزرج وقال ابن الصريح من التومان بن السبط بن اليسع بن سعد ابن لاوى ابن ابن النحام بن ينحوم ابن عازر بن عزر بن هارون عليه السلام واليهود لا يعرفون هذه القصة وبعضهم يقول كان ذلك لعهد طالوت والله أعلم

الخبر عن حكام بنى اسرائيل بعد يوشع الى أن صار أمرهم الى الملك وملك عليهم طالوت

ولما قبض يوشع صلوات الله عليه بعد استكمال الفتح وتمهيد الامر ضيع بنو اسرائيل الشريعة وما أوصاهم به وحذرهم من خلافه فاستطالت عليهم الامم الذين كانوا بالشأم وطمعوا فيهم من كل ناحية وكان أمرهم شورى فيختارون للحكم فى عامتهم من شاؤا ويدفعون للحرب من يقوم بها من أسباطهم ولهم الخيار مع ذلك على من يلى شيئا من أمرهم وتارة يكون نبيا يدبرهم بالوحى وأقاموا على ذلك نحوا من ثلثمائة سنة لم يكن لهم فيها ملك مستفحل والملوك تناوشهم من كل جهة الى أن طلبوا من نبيهم شمويل أن يبعث عليهم ملكا فكان طالوت ومن بعده داود فاستفحل ملكهم يومئذ وقهروا أعداءهم على ما يأتى ذكره بعد وتسمى هذه المدة بين يوشع وطالوت مدة الحكام ومدة الشيوخ وأنا الآن أذكر من كان فيها من الحكام على التتابع معتمدا على الصحيح منه على ما وقع فى كتاب الطبرى والمسعودى ومقابلا به ما نقله صاحب حماة من بنى أيوب فى تاريخه عن سفر الحكام والملوك من الاسرائيليات وما نقله أيضا هروشيوش مؤرخ الروم فى كتابه الذى ترجمه للحكم المستنصر من بنى أمية قاضى النصارى وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ قالوا كلهم لما فتح يوشع مدينة أريحاء سار الى نابلس فملكها ودفن هنالك شلو يوسف عليه السلام وكانوا احملوه معهم عند خروجهم من مصر وقد ذكرنا انه كان أوصى بذلك عند موته وقال الطبرى انه بعد فتح أريحاء نهض الى بلد عاى من ملوك كنعان فقتل الملك وأحرق المدينة وتلقاه خيقون ملك عمان وبارق ملك أورشليم بالجزى واستذموا بأمانه فأمنهم وزحف الى خيقون ملك الارمانيين من نواحى دمشق فاستنجد بيوشع فهزم يوشع ملك الارمن الى حوران واستلحمهم وصلب ملوكهم وتتبع سائر الملوك بالشأم فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا وملك

صاحب حماة هو أبو الفدا اه

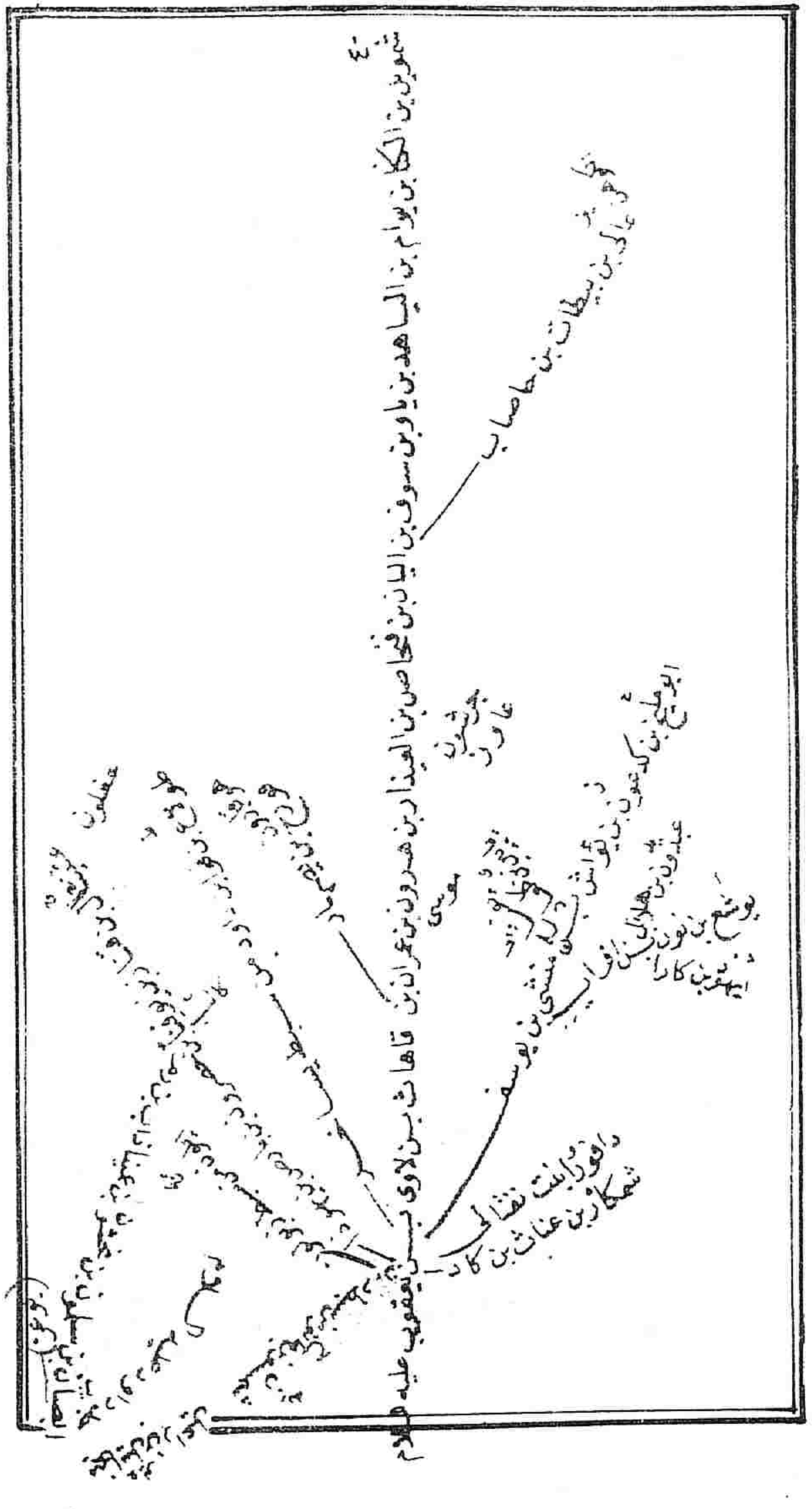
قيسارية وقسم الارض التى ملكها بين بنى اسرائيل وأعطى جبل المقدس لكالب بن يوفنا فسكن مدينة أورشليم وأقام مع بنى يهودا ووضع القبة التى فيها تابوت العهد والمذبح والمائدة والمنارة على الصخرة التى فى بيت المقدس وأما بنو أفرايم فكانوا يأخذون الجزية من الكنعانيين ثم قبض يوشع وفى سفر الحكام انه قبض لثمان وعشرين سنة من ملكه وهو ابن مائة وعشرين سنة وقال الطبرى ابن مائة وستة وعشرين سنة والاول أصح قال وكان تدبير يوشع لبنى اسرائيل فى زمن منوشهر عشرين سنة وفى زمن افراسياب سبع سنين وقال أيضا ان ملك اليمن شمر بن الاملوك من حمير كان لعهد موسى وبنى ظفار وأخرج منها العمالقة ويقال أيضا كان من عمال الفرس على اليمن وزعم هشام بن محمد الكلبى ان الفل من الكنعانيين بعد يوشع احتملهم افريقش بن قيس بن صيفى من سواحل الشأم فى غزاته الى المغرب التى قتل فيها جرجيس الملك وانه أنزلهم بافريقية فمنهم البربر وترك معهم صنهاجة وكتامة من قبائل حمير انتهى وقام بأمر بنى اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهودا وقدمر نسبه وكان فنحاص بن العيزر بن هارون كوهنا يتولى أمر صلاتهم وقربانهم ثم تنبأ وتنبأ أبوه العيزر وكان كالب مضعفا فأقاما كذلك سبع عشرة سنة وقال الطبرى كان مع كالب فى تدبيرهم حزقيل بن بودى ويقال له ولد العجوز لانه ولد بعد أن كبرت أمه وعقمت (وحدث عن وهب بن منبه) ان حزقيل هذا دبرهم بعد كالب ولم يقع لهذا ذكر فى سفر الحكام ثم بعد يوشع اجتمع بنو يهودا وبنو شمعون لحرب الكنعانيين فغلبوهم وقتلوهم وفتحوا أورشليم وقتلوا ملكها ثم فتحوا غزة وعسقلان وملكوا الجبل كله ولم يقتلوا الغور وأما سبط بنيامين فكان فى قسمهم بلد اليونانيين فى أرضهم وأخذوا منهم الخراج واختلطوا بهم وعبدوا آلهتهم فسلط الله عليهم ملك الجزيرة واسمه كوشان شقنائم ومعناه أظلم الظالمين ويقال انه ملك الارمن فى الجزيرة ودمشق وملك حوران وصيدا وحران ويقال والبحرين ويقال انه من أروم (وقال الطبرى) من نسل لوط فاستعبد بنى اسرائيل ثمان سنين بعد وفاة كالب بن يوفنا ثم ولى الحكم فيهم عثنئال ابن أخيه قناز ابن يوفنا فحاربهم كوشان هذا وأزال ملكته عن بنى اسرائيل ثم حاربه فقتله وكان له بعد ذلك حروب سائر أيامه مع بنى موآب وبنى عمون أسباط لوط ومع العماليق الى أن هلك لاربعين سنة من دولته ثم عبد بنو اسرائيل الاوثان من بعده فسلط الله عليهم ملك بنى موآب واسمه عغلون بعين مهملة ومعجمة ساكنة ولام مضمومة تجلب واوا ساكنة ونون بعدها فاستعبدهم ثمانى عشرة سنة ثم قام بتدبيرهم ايهوذ بن كارا من سبط أفرايم وقال ابن حزم من بنيامين وضبطه بهمزة ممالة تجلب ياء ثم هاء مضمومة

بجلب واو ثم ذال معجمة فتنقذهم من يد بنى مواب وقتل ملكهم عغلون بحيلة تمت لهم في ذلك وهو انه جاءه رسولا عن بنى اسرائيل متنكرا بهدايا وتحف منهم حتى اذا خلا به طعنه فانفذه ولحق بمكانه من جبل أفرايم ثم اجتمعوا ونزلوا فقتلوا من الحرس نحوا من عشرة آلاف وغلب بنى اسرائيل بنى مواب واستلحمهم وهلك لثمانين سنة من دولته وقام بتدبيرهم بعده شمكار بن عناث من سبط كاد وضبطه بفتح الشين المثلثة بعدها ميم ساكنة وكاف تقرب من مخرج الجيم ويجلب فتحها الفا وبعدها راء مهملة ومات لسنة من ولايته وبنو اسرائيل على حبالهم من المخالفة فسلط الله عليهم ملك كنعان واسمه يافين بفاء شفوية تقرب من الباء فسرح اليهم قائده سميرا فملك عليهم أمرهم واستعبدهم عشرين سنة وكانت فيهم كوهنة امرأة متنبئة اسمها دافورا بفاء شفوية تقرب من الباء وهى من سبط نفطالى وقيل من سبط افرايم وقيل كان زوجها بارق ابن أبى نوعم من سبط نفطالى واسمه البيدوق فدعته الى حرب سميرا فأبى الأن تكون معه فخرجت ببنى اسرائيل وهزموا الكنعانيين وقتل قائدهم سميرا وقامت بتدبيرهم أربعين سنة يرادفها زوجها بارق بن أبى نوعم قال هروشيوش وعلى عهدها كان أول ملوك الروم اللطيفيين بأنطاكية بنقش بن شطونش وهو أبو القياصرة ثم توفيت دافورا وبقى بنو اسرائيل فوضى وعادوا الى كفرهم فسلط الله عليهم أهل مدين والعمالقة (قال الطبرى) وبنو لوط الذين بتخوم الحجاز فقهروهم سبع سنين ثم تنبأ فيهم من سبط منشى بن يوسف كدعون بن يواش وضبطه بفتح الكاف القريبة من الجيم وسكون الدال المهملة بعدها وعين مهملة مضمومة تجلب واوا وبعدها نون فقام بتدبيرهم وقد كان لمدين ملكان أحدهما اسمه رابح والآخر صلمناع فبعث الى بنى اسرائيل عساكره مع قائدين عوديف وزديف وأهم بنى اسرائيل شأنهم فخرج بهم كدعون فهزموا بنى مدين وغنموا منهم أموالا جمة ومكثوا أيام كدعون هذا على استقامة فى دينهم وغلب لاعدائهم أربعين سنة وكان له من الولد سبعون ولدا وعلى عهده بنيت مدينة طرسوس وقال جرجيس بن العميد وملطية أيضا ولما هلك قام بتدبيرهم ولده أبو مليخ وكانت أمه من بنى شخام بن منشى بن يوسف من أهل نابلس فانجدوه بالمال وقتل بنى أبيه كلهم ثم نازعوه بنو شخام أخواله الامر وطالت حروبه معهم وهلك محاصرا لبعض حصونهم بحجر طرحته عليه امرأة من السور فشدخه فقال لصاحب سلاحه أجهز على لئلا يقال قتلته امرأة وذلك لثلاث سنين من ولايته ثم دبر أمرهم بعده طولاع بن فوا بن داود من سبط يساخر وضبطه بطاء قريبة من التاء تجلب ضمتها واوا ثم لام ألف ثم عين وقال الطبرى هو ابن خال أبى مليخ وابن عمه (قلت) والظاهر أنه ابن خاله لان سبط هذا غير

سبط ذاك وقال ابن العميد هو من سبط يساخر الا أنه كان نازلا فى سائر من جبل افرايم فمن هنا والله أعلم وقع اللبس فى نسبه ودبرهم ثلاثا وعشرين سنة قال هروشيوش وعلى عهده كان بمدينة طرونية من ملوك الروم اللطينيين برماش بن بنقش وملك ثلاثين سنة وقد مضى ذكره ولما هلك طولاع قام بتدبيرهم بعده يائير بن كلعاد من سبط منشى بن يوسف وضبطه بياء مثناة تحتية مفتوحة وألف ثم همزة مكسورة بعدها ياء أخرى ثم راء مهملة وقام فى تدبيرهم ثنتين وعشرين سنة ونصب أولاده كلهم حكاما فى بنى اسرائيل وكانوا نحوا من ثلاثين فلما هلك طغوا وعبدوا الاصنام فسلط الله عليهم بنى فلسطين وبنى عمون فقهروهم ثمانى عشرة سنة وقام بتدبيرهم يفتاح من سبط منشى وضبطه بياء مثناة تحتانية وفاء ساكنة وتاء مثناة من فوق بفتحة تجلب الفا ثم حاء مهملة فلما قام بأمرهم طلب ضريبة النحل من بنى عمون فامتنعوا من اعطائها وكانوا ملوكا منذ ثلثمائة سنة فقاتلهم وغلبهم عليها وعلى ثنتين وعشرين قرية معها ثم حارب سبط افرايم وكانوا مستبدين وحدهم عن بنى اسرائيل فأرادهم على اتفاق الكلمة والدخول فى الجماعة حتى استقاموا على ذلك وأقام فى تدبيرهم ست سنين وعلى عهده أصابت بلاد يونان المجاعة العظيمة التى هلك فيها أكثرهم ولما هلك قام بتدبيرهم ابصان من سبط يهودا من بيت لحم وضبطه بهمزة مفتوحة وباء موحدة ساكنة وصاد مهملة بفتحة تجلب ألفا وبعدها نون ويقال انه جد داود عليه السلام بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناذاب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهودا وحصرون هذا هو جد كالب بن يوفنا الذى دبرهم بعد يوشع ونحشون كان سيد بنى يهودا العهد خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام وهلك فى التيه ودخل ابنه سلمون اريحا مع يوشع ونزل بيت لحم على أربعة اميال من بيت المقدس قال هروشيوش فى أيام ابصان هذا كان انقراض ملك السريانيين وخروج القوط وحروبهم مع النبط وأقام ابصان فى تدبير بنى اسرائيل سبع سنين ثم هلك فقام بتدبيرهم ايلون من سبط زبولون وضبطه بهمزة مكسورة تجلب ياء ثم لام مضمومة تجلب واوا ثم نون فدبرهم عشر سنين ثم هلك فدبرهم عبدون بن هلال من سبط أفرايم ثمان سنين وقال ابن العميد اسمه عكرون بن هلدان وكان له أربعون ابنا وثلاثون حافدا قال هروشيوش وفى أيامه خربت مدينة طرونة قاعدة الروم اللطينيين خربها الروم الغريقيون فى فتنة بينهم ولما هلك عبدون دفن بأرض افرايم فى جبال العمالقة واختلف بنو اسرائيل بعده وعبدوا الاصنام وسلط الله عليهم بنى فلسطين فقهروهم أربعين سنة ثم تخلصهم من أيديهم شمسون بن مانوح من سبط دان ويعرف بشمسون القوى لفضل قوة كانت فى يده ويعرف أيضا بالجبار

وكان عظيم سبطه ودبر بنى اسرائيل عشر سنين بل عشرين سنة وكثرت حروبه مع بنى
فلسطين وأثخن فيهم وأتيح لهم عليه فى بعض الايام فأسروه ثم حملوه وحبسوه واستدعاه
ملكهم بعض الايام الى بيت آلهتهم ليكلمه فامسك عمود البيت وهزه بيده فسقط البيت
على من فيه وماتوا جميعا ولما هلك اضطربت بنو اسرائيل وافترقت كلمتهم وانفرد كل
سبط بحاكم يولونه منهم والكهنونية فيهم جميعا فى عقب العيزار بن هرون من لدن وفاة
هرون عليه السلام بتولية موسى صلوات الله عليه بالوحى ومعنى الكهنونية اقامة
القرابين من الذبح والبخور على شروطها وأحكامها الشرعية عندهم وقال ابن
العميد انه ولى تدبيرهم بعد شمسون حاكم آخر اسمه ميخايل بن راعيل دبرهم ثمان سنين
ولم تكن طاعته فيهم مستحكمة وان الفتنة وقعت بين بنى اسرائيل ففنى فيها سبط
بنيامين عن آخرهم ثم سكنت الفتنة وكان الكوهن فيهم لذلك العهد عالى بيطات بن
حاصاب بن اليان بن فنحاص بن العيزار بن هرون وقيل من ولد ايثامار بن هرون وضبطه
بعين مهملة مفتوحة بجلب ألفا ثم لام مكسورة تجلب ياء تحتانية فلما سكنت الفتنة كانوا
يرجعون اليه فى أحكامهم وحروبهم وكان له ابنان عاصيان فدفعهما الى ذلك وكثر
لعهده قتال بنى فلسطين وفشا المنكر من ولديه وأمر بدفعهم عن ذلك فلم يزدادوا الا
عتوا وطغيانا وأنذر الانبياء بذهاب الامر عنه وعن ولده ثم هزمهم بنو فلسطين فى بعض
أيامهم وأصابوا منهم فتذامر بنو اسرائيل واحتشدوا وحملوا معهم تابوت العهد
ولقيهم بنو فلسطين فانهزم بنو اسرائيل أمامهم وقتلوا ابنا عالى كوهن كما أنذر به
أبوهما وشمويل وبلغ أباهما الكوهن خبر مقتلهما فمات أسفا لاربعين سنة من
دولته وغنم بنو فلسطين التابوت فيما غنموه واحتملوه الى بلادهم بعسقلان وغزة
وضربوا الجزية على بنى اسرائيل ولما مضى القوم بالتابوت فيما حكى الطبرى وضعوه
عند آلهتهم فقلاها مرارا فأخرجوه الى ناحية من القرية فأصيبوا فتبادروا باخراجه
وحملوه على بقرتين لهما تبيعان ووضعتاه عند أرض بنى اسرائيل ورجعتا الى ولديهما
وأقبل اليه بنو اسرائيل فكان لا يدنوا منه أحد الا مات حتى أذن شمويل لرجلين منهم
حملاه الى بيت أمهما وهى أرملة فكان هنالك حتى ملك طالوت اه وكان ردهم
التابوت لسبعة أشهر من يوم حملوه وكان عالى الكوهن قد كفل ابن عمه شمويل بن
الكنا بن يوام بن الياهد بن ياو بن سوف وسوف هو أخو حاصاب بن اليلى بن فنحاص
وقيل ان شمويل من عقب قورح وهو قارون بن يصهار بن قاهات بن لاوى ونسبه
اليه شمويل بن القنا ابن يروحام بن اليهوذ بن يوحاب صوب بن القانا بن يويل بن عزريا
ابن صنعينا بن ناحت بن أسر بن القانا بن النشاسات بن قارون وكانت أمه نذرت أن

تجعله خادما فى المسجد وأقته هنالك فكفله عالى وأوصى له بالكهونية ثم أكرمه الله
بالنبوة وولاه بنو اسرائيل أحكامهم فدبرهم عشر سنين وقال جرجيس بن العميد
عشرين سنة ونهاهم عن عبادة الاوثان فانتهوا وحاربوا أهل فلسطين واستردوا
ما كانوا أخذوا لهم من القرى والبلاد واستقام أمرهم ثم دفع الامر الى ابنيه يوال
وأبيا وكانت سيرتهما سيئة فاجتمع بنو اسرائيل الى شمويل وطلبوه أن يسأل الله فى
ولاية ملك عليهم فجاء الوحى بولاية طالوت فولاه وصار أمر بنى اسرائيل ملكا بعد أن
كان مشيخة والله معقب الامر بحكمته لا رب غيره



قال مؤرخ حماة وبعد
وفاة يوشع قام بتدبيرهم
فينحاس بفاء فمثناة تحتية
مهملة فنون ساكنة ثم حاء
مهملة ثم الف ثم سين
مهملة ابن العزر بكسر العين
المهملة وسكون الزاي
ابن هرون ثم قال أهود
بفتح الهمزة وضم الهاء
وسكون الواو وآخره ذال
معجمة من سبط بنيامين
ويابين بنون ساكنة لا زالة
مهملة وكذعون بالذال
المعجمة وبالجملة فضبطه
في كثير من الاسماء يخالف
ما هنا وتاريخ ابن خلدون
وان كان اصح التواريخ واشهر
فضله نفى عن التحريف
الا ان الظاهر في هذا الموضع
ما قاله مؤرخ حماة
انتهى مصححه

الخبر عن ملوك بني اسرائيل بعد الحكام ثم افتراق أمرهم والخبر عن دولة بني سليمان بن داود على السبطين يهوذا و بنيامين بالقدس الى انقراضها

لما نقم بنو اسرائيل على بوال وأبيا ابني شمويل ما نقموا من أمورهم واجتمعوا الى شمويل وسألوه من الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم ويجمع نشرهم ويدفع الذل عنهم فجاء الوحي بأن يولي الله طالوت ويدهنه بدهن القدس فأبوا بعد أن أمر شمويل بأن يستهموا عليه فاستهموا على بني آبائهم فخرج السهم على طالوت وكان أعظمهم جسما فولوه واسمه عند بني اسرائيل شاول بن قيس بن افيل بالفاء الهوائية القريبة من الباء ابن صارو ابن نحورت بن افياح فقام بملكهم واستوزر افنير ابن عمه نير بن أفيل وكان لطالوت من الولد يوناتان وملكيشوع وتشبهات وأنيباداف وقام طالوت بملك بني اسرائيل وحارب أعداءهم من بني فلسطين وعمون وموآب والعمالقة ومدين فغلب جميعهم ونصر بنو اسرائيل نصرا لا كفاء له وأول من زحف اليهم ملك بني عمون ونازل قرية بلقاء فهجم عليهم طالوت وهو في ثلثمائة ألف من بني اسرائيل فهزمهم واستلحمهم ثم أغزى ابنه في عساكر بني اسرائيل الى فلسطين فنال منهم واجتمعوا لحرب بني اسرائيل فزحف اليهم طالوت وشمويل فانهزموا واستلحمهم بنو اسرائيل وأمر شمويل أن يسير الى العمالقة وأن يقتلهم ودوابهم ففعل واستبقى ملكهم اعاغ مع بعض الانعام فجاء الوحي الى شمويل بأن الله قد سخطه وسلبه الملك فخبره بذلك وهجره شمويل فلم يره بعد وأمر شمويل أن يقدس داود وبعث له بعلامته فسار الى بني يهوذا في بيت لحم وجاء به أبوه ايشا فمسحه شمويل وسلب طالوت روح الجسد وحزن لذلك ثم قبض شمويل وزحف جالوت وبنو فلسطين الى بني اسرائيل فبرز اليهم طالوت في العساكر وفيهم داود بن ايشا من سبط يهوذا وكان صغيرا يرعى الغنم لابيه وكان يقذف بالحجارة في مخلاته فلا تكاد تخطئ قال الطبري وكان شمويل قد أخبر طالوت بقتل جالوت وأعطاه علامة قاتله فاعترض بني اسرائيل حتى رأى العلامة فيه فسلحه وأقام في المصاف وقد احتمل الحجارة في مخلاته فلما عاين جالوت قذفه بحجارة فصكه في رأسه ومات وانهزم بنو فلسطين وحصل النصر فاستخلص طالوت حينئذ داود وزوجه ابنته وجعله صاحب سلاحه ثم ولاه على الحروب فاستكفى به وكان عمره حينئذ فيما قال الطبري ثلاثين سنة وأحبه بنو اسرائيل واشتملوا عليه وابتلى طالوت وبنوه بالغيرة منه وهم بقتله ونفذ لذلك مرارا ثم حمل ابنه يهوناثان على قتله فلم يفعل لخلة ومصافاة كانت بينهما ودس الى داود بدخلة أبيه فيه فلحق بفلسطين وأقام فيهم أياما ثم الى بني موآب كذلك ثم رجع الى سبطه يهوذا بنواحي بيت المقدس فأقام فيهم يقاتل

معهم بنى فلسطين فى سائر حروبهم حتى اذا شعر به طالوت طلب بنى يهوذا باسلامه اليه
فأبوا فزحف اليهم فأخرجوه عنهم ولحق ببنى فلسطين وقاتلهم طالوت فى بعض الايام
فهزموه واتبعوه وأولاده يقاتلون دونه حتى قتل يهوناتان ومشوى وملكيشوع وبنو
فلسطين فى اتباعه حتى اذا أيقن بالهلكة قتل نفسه بنفسه وذلك فيما قال الطبرى
لاربعين سنة من ملكه ثم جاء داود الى بنى يهوذا فملكوه عليهم وهو داود بن ايشا بن
عوفذ بالفاء الهوائية ابن بوعز واسمه افصان بالفاء الهوائية والصاد المشمة وقد قدمنا
ذكره فى حكام بنى اسرائيل ابن سلمون الذى نزل بيت لحم لاول الفتح ابن نحشون سيد
بنى يهوذا عند الخروج من مصر ابن عميناذاب بن أرم بن حصرون بن بارص بن يهوذا
هكذا نسبه فى كتاب اليهود والنصارى وأنكره ابن حزم قال لان نحشون مات بالتيه
وانما دخل القدس ابنه سلمون وبين خروج بنى اسرائيل من مصر وملك داود ستمائة
سنة باتفاق منهم والذى بين داود ونحشون أربعة آباء فاذا قسمت الستمائة عليهم يكون
كل واحد منهم انما ولد له بعد المائة والثلاثين سنة وهو بعيد (ولما ملك داود) على
بنى يهوذا نزل مدينتهم حفرون بالفاء الهوائية وهى قرية الخليل عليه السلام لهذا
العهد واجتمع الاسباط كلهم الى يشوشات بن طالوت فملكه فى أورشليم وقام بأمره
وزير أبيه أفنير وقد مر نسبه (وفى كتاب أسفار الملوك من الاسرائيليات) أن رجلا جاء
لداود بعد وفاة طالوت فأخبره بمهلكه ومهلك أولاده فى هزيمتهم امام بنى فلسطين وأمر
هذا الرجل أن يقتله لما أدركوه فقتله وجاء بتاجه ودملجه الى داود وانتسب الى العمالقة
فقتله داود بقتله وبكى على طالوت وذهب الى سبط يهوذا بأرض حفرون بالفاء
القريبة من الباء وهى قرية الخليل لهذا العهد وأقام شيوشيات بن طالوت فى اوروشليم
والاسباط كلهم مجتمعون عليه وأقامت الحرب بينهم وبين داود أكثر من سنتين ثم وقع
الصلح بينهم والمهادنة وأذعن الاسباط الى داود وتركوه ثم اغتاله بعض قواده وجاء
برأسه الى داود فقتله به وأظهر عليه الحزن والاسف وكفل أخواته وبنيه أحسن
كفالة واستبد داود بملك بنى اسرائيل لثلاثين سنة من عمره وقاتل بنى كنعان فغلبهم ثم
طالت حروبه مع بنى فلسطين واستولى على كثير من بلادهم ورتب عليهم الخراج ثم
حارب أهل مؤاب وعمون وأهل اروم وظفر بهم وضرب عليهم الجزية ثم خرب بلادهم
بعد ذلك وضرب الجزية على الارمن بدمشق وحلب وبعث العمال لقبضها وصانعه
ملك انطاكية بالهدايا والتحف واختط مدينة صهيون وسكنها واعتزم على بناء
مسجد فى مكان القبة التى كانوا يضعون بها تابوت العهد ويصلون اليها فأوحى الله الى
دانيال نبى على عهده ان داود لا يبنى وانما يبنيه ابنه ويدوم ملكه فسر داود بذلك

ثم انتقض عليه ابنه ايشالوم وقتل أخاه أمون غيرة منه على شقيقه بامان وهرب ثم استماله
داود ورده وأهدر دم أخيه وصير له الحكم بين الناس ثم رجع ثانيا لاربع سنين بعدها
وخرج معه سائر الاسباط ولحق داود بأطراف الشأم وقيل لحق بخيبر وما اليها من
بلاد الحجاز ثم تراجع للحرب فهزمه داود وأدركه مؤاب وزير داود وقد تعلق بشجرة
فقتله وقتل فى الهزيمة عشرون ألفا من بنى اسرائيل وسيق رأس ايشلوم لولى أبيه داود
فبكى عليه وحزن طويلا واستألف الاسباط ورضى عنهم ورضوا عنه ثم أحصى بنى
اسرائيل فكانوا ألف ألف ومائة ألف وسبط يهوذا أزيد من أربعمائة ألف وعوتب فى
الوحى لانه أحصاهم بغير اذن وأخبره بذلك بعض الانبياء لعهده وأقام داود صلوات الله
عليه فى ملكه والوحى يتتابع عليه وسور الزبور تنزل وكان يسبح بالاوتار والمزامير وأكثر
المزامير المنسوبة اليه فى ذكر التسبيح وشأنه وفرض على الكهنونية من سبط لاوى التسبيح
بالمزامير قدام تابوت العهد اثنى عشر كوهنا لكل ساعة ثم عهد عند تمام أربعين سنة
من دولته لابنه سليمان صلوات الله عليهما ومسحه ماثان النبى وصادوق الحبر مسحة
التقديس وأوصى ببناء بيت المقدس ثم قبض صلوات الله عليه ودفن فى بيت لحم وكان
لعهده من الانبياء ناثان وكاد واصاف وكان الكهنون الاعظم افيثار بن احيلخ من
عقب عالى الكوهن الذى ذكرناه فى الحكام وكان من بعده صادوق ثم قام بالملك من
بعده فى بنى اسرائيل ابنه سليمان صلوات الله عليه وهو ابن ثنتين وعشرين سنة
فاستفحل ملكه وغالب الامم وضرب الجزية على جميع ملوك الشأم مثل فلسطين
وعمون وكنعان ومؤاب وأروم والارمن وأصهر اليه الملوك من كل ناحية ببناتهم
وكان ممن تزوج بنت فرعون مصر وكان وزيره يؤاب بن صرويا وهو ابن أخت
داود واسمها صوريا وكان وزيرا لداود فلما ولى سليمان استوزره فقام بدولته ثم قتله بعد
ذلك واستوزر يشوع بن شداح ولاربع سنين من ملكه شرع فى بيت المقدس بعهد
أبيه اليه بذلك فلم يزل الى آخر دولته بعد ان هدم مدينة انطاكية وبنى مدينة تدمر
فى البرية وبعث الى ملك صور ليعينه فى قطع الخشب من لبنان وأجرى على الفعلة
فيه فى كل عام عشرين ألف كر من الطعام ومثلها من الزيت ومثلها من الخمر وكان
الفعلة فى لبنان سبعين ألفا ولنحت الحجارة ثمانين ألفا وخدمة المناولة سبعون ألفا
وكان الوكلاء والعرفاء على ذلك العمل ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل ثم بنى الهيكل
وجعل ارتفاعه مائة ذراع فى طول ستين وعرض عشرين وجعل بدائره كله أروقة
وفوقها مناظر وجعل بدائر البيت ابريدا من خارج وتحته وجعل الظهر مقورا ليودع
فيه تابوت العهد وصفح البيت من داخله وسقفه بالذهب وصنع فى البيت كروبين

من الخشب مصفحين بالذهب وهما تمثالان للملائكة الكروبيين وجعل للبيت أبوابا
من خشب الصنوبر ونقش عليها تماثيل من الكروبيين والنرجس والنخل
والسوسن وغشاها كلها بالذهب وأتم بناء الهيكل فى سبع سنين وجعل لها بابا من ذهب
ثم بنى بيتا للسلاحه أقامه على أربعة صفوف من العمد من خشب الصنوبر فى كل صف
خمسة عشر عمودا ووضع فيه مائتى ترس من الذهب فى كل ترس ستمائة من حجر الجوهر
والزمرد وثلثمائة درقة من الذهب فى كل درقة ثلثمائة من حجر الياقوت وسمى هذا
البيت غيضة لبنان وصنع منبرا لجلوسه تحت رواق وكراسى كثيرة كلها من العاج
ملبسة من الذهب ثم بنى من فوق هذا البناء بيتا لابنة فرعون التى تزوج بها وصنع
بها أوعية النحاس لسائر ما يحتاج اليه بالبيت واسترضى الصناع لذلك من مدينة صور
وعمل مذبح القربان بالبيت من الذهب ومائدة الخبز الوجوه من الذهب وخمس منابر
عن يمين الهيكل وخمسا عن يساره بجميع آلاتها من الذهب ومجامر من الذهب
وأحضر موروث أبيه من الذهب والفضة والاوعية الحسنة فأدخلها الى البيت
وبعث الى تابوت العهد من صهيون قرية داود الى البيت الذى بناه له فحمله رؤساء
الاسباط والكهونية على كواهلهم حتى وضعوه تحت أجنحة التمثالين
للكروبيين بالمسجد وكان فى التابوت اللوحان من الحجارة اللذين صنعهما موسى عليه
السلام بدل الالواح المنكسرة وحملوا مع تابوت العهد قبة القربان وأوعيتها الى
المسجد واقام سليمان امام المذبح يدعو فى يوم مشهود اتخذ فيه وليمة لذلك ذبح فيها
اثنين وعشرين ألفا من البقر ثم كان يقرب ثلاث مرات من السنة قرابين وذبائح
كاملة ويبخر البخور وجميع الاوعية لذلك كلها ذهب وكانت جبايته فى كل سنة
ستمائة قنطار وستة وستون قنطارا من الذهب غير الهدايا والقربان الى بيت المقدس
وكانت له سفن ببحر الهند تجلب الذهب والفضة والبضائع والفيلة والقرود
والطواويس وكانت له خيل كثيرة مرتبة تجلب من مصر وغيرها تبلغ الفا وستمائة
فرس معدة كلها للحرب وكانت له ألف امرأة لفراشه ما بين حرية وسرية منها ثلثمائة
سرية وفى الاخبار للمؤرخين انه تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ماشاء الله وكان
يقرب كل يوم خمسة آلاف بدنة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم سما الى ملك
اليمن وسار اليه فوافى صنعاء من يومه وطلب الهدهد لالتماس الوضوء وكانت قناقه
أى ملتمس الوضوء له فى الارض فافتقده ورجع اليه بخبر بلقيس كما قصه القرآن ودافعته
بالهدية فلم يقبلها فلاذت بطاعته ودخلت فى دينه وطاعته وملكته أمرها وواقفته
بملك اليمن وأمرها بأن تتزوج فنكرت ذلك لمكان الملك فقال لابد فى الدين من ذلك

فقالت

فقالت زوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وملكه على اليمن واستعمله لها فيه ورجع
الى الشأم وقيل تزوجها وأمر الجن فبنوا لها سليمين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة
يقيم عندها ثلاثا وعلماء بنى اسرائيل ينكرون وصوله الى الحجاز واليمن وانما ملك
اليمن عندهم بمراسلة ملكة سبأ وانها وفدت عليه فى يروشالم وأهدت اليه مائة
وعشرين قنطارا من الذهب ولؤلؤا وجوهرا واصنافا من الطيب والمسك والعنبر
فأجازها وأحسن اليها وانصرفت هكذا فى كتاب الانساب من كتبهم ثم انتقض على
سليمان آخر أيامه هدد ورملك الارمن بدمشق وهداده ملك أروم وكان قد ولى على
ضواحى بيت المقدس وجميع أعماله يربعان بن نباط من سبط افرايم واستكفى به
فى ذلك وكان جبارا فعوتب بالوحى على لسان أخيا النبى فى توليته فأراد قتله وشعر
بذلك يربعان فهرب الى مصر فأنكحه فرعون ابنته وولدت له ابنه ناباط وأقام بمصر
وقبض سليمان صلوات الله عليه لاربعين سنة من ملكه وقيل اثنتين وخمسين ودفن عند
أبيه داود صلوات الله عليهما وافترق ملك بنى اسرائيل من بعده كما نذكره ان شاء
الله تعالى

سليمان بن داود بن ايشا بن عوبيذ بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناذاب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن اسرائيل صلوات الله عليه

اسمه بوعز

اسمه شاول

يوناثان بن طالوت بن قيس

الخبر عن افتراق بنى اسرائيل منهم ببيت المقدس على سبط يهوذا و بنيامين الى انقراضه

لما قبض سليمان صلوات الله عليه وسلامه ولى ابنه رحبعم وضبطه براء مهملة وحاء مهملة مضمومتين وباء موحدة ساكنة وعين مهملة مضمومة وميم فقام بأمره وزاد فى عمارة بيت لحم وغزة وصور وايله واشتد على بنى اسرائيل وطلبوا منه تخفيف الضرائب فامتنع وطالبهم بالوظائف وأخذ فيهم برأى الغواة من بطانته فنقموا عليه ذلك وانتقضوا وجاءهم يربعم بن نباط من مصر فبايعوه وولوه عليهم واجتمع عليه سائر الاسباط العشرة من بنى اسرائيل ماعدا سبط يهوذا وبنيامين وتزاحفوا للحرب ثم دعاهم بعض أنبيائهم للصلح فتواضعوا واصطلحوا وفى السنة الخامسة من ملك رحبعم زحف شيشاق ملك مصر الى بيت المقدس فهرب رحبعم واستباحها شيشاق ورجع وضرب عليهم الجزية ثم دفعوه ومنعوه فأقام بنو دا ودفى سلطانهم على بنى يهوذا وبنيامين ببيت المقدس وعسقلان وغزة ودمشق وحلب وحمص وحماة وما الى ذلك من أرض الحجاز وملك الاسباط العشرة بنواحى نابلس وفلسطين ثم نزلوا مدينة شومرون وهى شمرة وسامرة فى الناحية الشرقية الشمالية من الشأم مما يلى الفرات والجزيرة واتخذوها كرسيا لملكهم ذلك وأقاموا على هذا الافتراق الى حين انقراض أمرهم ووقعوا فى الجلاء الذى كتب الله عليهم كما نذكره ثم هلك رحبعم لسبع عشرة سنة من دولته وولى بعده على سبط يهوذا و بنيامين بأرض القدس ابنه أفيا وضبطه بهمزة مفتوحة ومتوسطة بين الفاء والذال من لغتهم وياء مثناة من تحت مشددة وألف وكان على مثل سيرة أبيه وكان عابدا صواما وكانت أيامه كلها حربا مع يربعم ابن نباط وبنى اسرائيل وهلك لثلاث سنين وولى بعده ابنه أسا بضم الهمزة وفتح السين المهملة وألف بعدها ابن افيا وطال أمد ملكه وكان رجلا صالحا وكان على مثل سيرة جده داود صلوات الله عليه وتعددت الانبياء فى بنى اسرائيل على عهده ومات يربعم ابن نباط لسنتين من ملكه وملك بعده ابنه ناداب وقتله بعشا بن أخيا كما نذكر فى أخبارهم ثم وقعت بينه وبين اسا حروب واستمدا سا بملك دمشق فزحف معه وكان بعشا ملك السامرة فى ناحية يثرب لبنائها فهرب وترك آلات البناء فنقلها أسا ملك القدس وبنى بها الحصون ثم خرج عليهم زادح ملك الكوش فى ألف ألف مقاتل ولقيهم أسا فهزمهم وأثخن فيهم ولم تزل الحرب قائمة بين أسا وبين الاسباط بالسامرة سائر أيامه وعلى عهده اختطت السامرة كما نذكر بعد ثم هلك أسا بن افيا لاحدى وأربعين سنة من ملكه وولى بعده ابنه يهوشاط بياء مفتوحة مثناة تحتانية وهاء

مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها ألف ثم ظاء بين الذال والظاء المعجمتين فكان
على مثل سيرة أبيه وكانت أيامه مع أهل السامرة وملوكهم سلما واجتمع ملوك
العمالقة ويقال ادوم وخرج لحربهم فهزمهم وغنم أموالهم وكان لعهده من الانبياء
الياس بن شوياق واليسع بن شوبوات وقال ابن العميد ايليا ومنحيا وعبوديا
وكانت له سفن فى البحر يجلب له فيها بضائع الهند فأصابها قاصف الريح
فتكسرت وغرقت ثم هلك لخمسة وعشرين سنة من ملكه وولى ابنه يهورام بفتح
المثناة التحتية ثم هاء مضمومة تجلب واوا ثم راء مفتوحة تجلب ألفا وبعدها ميم
وانتقض عليه أروم وولوا عليهم ملكا منهم فزحف اليهم ووقع بهم فى سفيرا أوسط
بلادهم وأثخن فيهم بالسبى والقتل ثم رجع عنهم وأقاموا فى عصيانهم وعلى عهده
زحف ملك الموصل الى الاسباط بالسامرة فكانت بينه وبينهم حروب كانذكر وقال ابن
العميد كانت على بنى مؤاب جزية مضروبة لبنى يهوذا مائتان من الغنم كل سنة
فمنعوها واجتمع ملوك القدس والسامرة لحربهم وحاصروهم سبعة أيام وفقدوا الماء
فاستسقى لهم اليسع وجرى الوادى فخرج أهل مؤاب فظنوه ماء فقتلهم بنو اسرائيل
وأثخنوا فيهم وفى أيام يهورام رفع ايليا النبى وانتقل سره الى اليسع وكان على عهده
من الانبياء أيضا عبوديا ثم هلك يورام لثمان سنين من ملكه ودفن عند جده داود وولى
بعده ابنه أحزياهو بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاى معجمة ساكنة
ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفا ثم هاء مضمومة تجلب واوا وأمه غثليا بنت عمرى
أخت أجاب وسار سيرة خاله وملك سنة واحدة وقيل سنتين وخرج لقتال ملك الجزيرة
والموصل واستنفر معه صاحب السامرة يورام ابن خاله أجاب فاقتتلوا معه ثم انصرفوا
وابن خاله جريح وجاءه أحزياهو فى بعض الايام يعوده وكان ابن يهوشافاض ابن
منشى من سبط منشا بن يوسف يترصد قتل يورام بن أجاب ملك السامرة فأصاب فرصة
فى ذلك الوقت فقتلهما جميعا وقال ابن العميد ان يورام بن أجاب ملك السامرة خرج
لحرب أروم فى رواية كلعاد وخرج معه احزياهو فقتلا فى تلك الحرب قال وقيل ان
ياهو عشا رمى بسهم فأصاب يورام بن أجاب وكان لعصره من الانبياء اليسع وعامور
وفنحاء ثم ملك بعد احزياهو أمه غثليا بنت عمرى كذا وقع اسمها فى كتاب الطبرى وفى كتاب
الاسرائيليات اسمها اضالية ويقال كانت من جوارى سليمان ثم استفحل ملكها
بالقدس وقتلت بنى داود كلهم وأغفلت ابنا رضيعا من ولد أبيها احزياهو واسمه يؤاش
بضم الياء المثناة التحتية ثم همزة مفتوحة تجلب ألفا ثم شين معجمة أخفته عمته يهوشيع
بنت يهورام فى بعض زوايا القدس وعلم بمكانه زوجها يهوديادع وهو يومئذ الكوهن

الاعظم حتى اذا كملت له سبع سنين ونقم بنو يهوذا سيرة غثليا اجتمعوا الى يهوديادع
الكوهن فأخرج لهم يؤاش بن احزياهو من مكانه واستحلفهم فبايعوا له وقتلوا جدته
غثليا ومن معها لسبع سنين من ملكها وقام يؤاش بملكه فى تدبير يهوديادع الكوهن
ثم أراد عبادة الاصنام فمنعه زكريا النبى فقتله وكان لعهده من الانبياء اليسع
وعوفريا وزكريا ابن يهوديادع وهلك يهوديادع لثلاث وعشرين سنة من ملك يؤاش
بعد ان جدد بناء بيت المقدس ولثمان وثلاثين من ملكه قبض اليسع النبى صلوات
الله عليه وعلى عهده زحف شريال ملك الكسدانيين ببابل الى بيت المقدس ويقال
ملك نينوى والموصل وقال ابن العميد ملك الشأم فأعطاهم جميع ما فى خزائن الملك
وبيت المقدس من الاموال ودخل فى طاعتهم الى ان قتله وزراؤه وأهل دولته
لاربعين سنة من ملكه وولوا مكانه ابنه أمصياهو بفتح الهمزة والميم وسكون
الصاد المشمة بالزاى بعدها ياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفا ثم هاء مضمومة تجلب
واوا واستبدوا عليه ثم ثار عليهم بأمه وقتلهم أجمعين وسار الى أروم فظفر بهم وقتل منهم
نحوا من عشرين ألفا ثم زحف اليه ملك الاسباط بالسامرة واقعه فهزمه
وحصل فى أسره وسار الى بيت المقدس فحاصرها وهدم من سورها نحوا من أربعمائة
ذراع واقتحمها فغنم ما فى خزائن بيت السلطان وبيت الهيكل من الاموال والاوانى
والذخائر ورجع الى السامرة فأطلق أمصياهو ملك القدس فرجع الى قومه ورم ما ثلم
من سورها ولم يزل ملكا حتى نقموا عليه أفعاله فقتلوه لسبع وعشرين سنة من ملكه
وكان لعهده من الانبياء يونان وناحوم وتنبأ لعصره عاموص ولما قتلوا أمصياهو ولوا
ابنه عزياهو بعين مهملة مضمومة وزاى معجمة مكسورة مشددة وياء مثناة تحتانية
تجلب ألفا وهاء تجلب واوا وطالت مدته ثلاثا وخمسين سنة واختلفت فى أحواله قال
ابن العميد ولخمس من ملكه كان ابتداء وضع سنى الكبس التى هى سنة بعد أربع تزيد
يوما على الماضية بحساب ربع يوم فى كل سنة الذى اقتضاه حساب مسير الشمس عندهم
قال ولست من ملكه انقرض ملك الارمانيين من الموصل وصارت الى بابل ولاثنتين
وعشرين من ملكه غزا ملك بابل واسمه فول مدينة السامرة فافتتحها وأعطاه
ملكها بدرة من المال فرجع عنه قال ولعهده ملك على بابل رينوس ويلقب
قسب الملك ولعهده ملك على اليونانيين ملكهم الاول من مدينة انقياس لثلاث
وعشرين سنة من تملك عزياهو قال ولاحدى وخمسين من ملكه ملك ببابل بختنصر
الاول قال ولعهده أيضا كان الملك الاول من الروم المقدويس ويسمى فروس ولعهده
كان من الانبياء يهوشع وعوزياو أموص واشعيا ويونس بن متى قال ابن العميد

وانتهت عساكر عزياهو الى ثلثمائة ألف وأصابه البرص بدعاء الكوهن لما أراد أن
يخالف التوراة فى استعمال البخور وهو محرم على سبط لاوى فبرص ولزم بيته سنة
وصار ابنه يوثام ينظر فى أمر الملك الى أن تغلب على أبيه قال هروشيوش وعلى عهده
أيضا قتل شرديال آخر ملوك بابل من الكدانيين على يد قائده ارباط بن المادس
واستبد بملك بابل وأصاره الى قومه بعد حروب طويلة ثم زحف الى القوط والعرب
من قضاعة فحاربهم طويلا وانصرف عنهم ثم هلك عزياهو لثلاث وخمسين سنة من
ملكه وملك بعده ابنه يوثاب وكان صالحا تقيا وكان لعهده من الانبياء هوشع واشعيا
ويويل وعوقد وفى أيامه ابتدأ غلب ملك الجزيرة على اليهود وكانوا يعرفون
بالسوريانيين ثم هلك يوثاب لست عشرة من ملكه وملك ابنه أحاز بهمزة مفتوحة ممالة
وحاء مهملة بعدها ألف وزاى معجمة فخالف سنة آبائه وعبد بنو اسرائيل الاوثان فى
أيامه وحارب الارمن واستجاش عليهم بملك الموصل فزحف معه وحاصر دمشق
وملكها منهم واستباحها ورجع الى بلاده ثم خرج أحاز لحربهم فهزموه وقتلوا من
اليهود مائة وعشرين ألفا ونحرها ورجعوا أحاز الى دمشق أسيرا قال هروشيوش
وعلى عهد أحاز كان انقراض ملك الماذيس على يد كيرش ملك الفرس ورجعت
أعمالهم اليه ويقال ان آخر ملوكهم هو اشتانيش وكان جد كيرش لامه وكفله صغيرا فلما
شب وملك حارب جده فقتله وانتزع ملكه وقال ابن العميد عن المسبحى ولذلك العهد
ملك على الروم الفرنجة غير اليونان الاخوان روملس ورومانس واختط مدينة
رومة وقال هروشيوش ولعهده ملك على الروم اللطينيين بأرض انطاكية روملس
ثم هلكه وبنى مدينة رومة ثم هلك أحاز لست عشرة من ملكه وولى ابنه حزقياهو
بحاء مهملة مكسورة وزاى معجمة ساكنة وقاف مكسورة وياء مثناة تحتانية
مشددة بعدها ألف وهاء مضمومة بعدها واو فقطع عبادة الاوثان وسار سيرة جده داود
ولم يكن فى ملوك بنى يهوذا مثله وعصى على ملك الموصل وبابل وكوريش وهزم فلسطين
وخرب قراهم وفى أيامه وأيام أبيه سار شليشاره لملك الجزيرة والموصل الى الاسباط
بالسامرة فضرب عليهم الجزية ثم سار فى أيامه فأزال ملكهم ولاربع من ملكه زحف
اليه رضين ملك دمشق ورجع عنه من غير قتال ولاربع عشر من ملكه زحف اليه
سنحاريف ملك الموصل بعد فتح السامرة فافتتح أكثر مدائن يهوذا وحاصرهم ببيت
المقدس وصانعه حزقياهو بثلثمائة قنطار من الفضة وثلاثين من الذهب أخرج
فيها ما كان فى الهيكل وبيت الملك من المال ونثر الذهب من أبواب المسجد
دفع ذلك له ورجع عنه ثم فسد ما بينهما وزحف اليه سنحاريف ثانيا وحاصره وامتنع

من قبول مصانعته وقال من ذا الذى خلصه الهه من يدى حتى يخلصكم أنتم الهكم
فخافوا منه وفزعوا الى النبى شعياء فى الدعاء فأمنهم منه ودعا عليه فوقع الطاعون
فى عسكره ثم تواقعوا فى بعض الليالى فبلغ قتلاهم مائة وعشرين ألفا ورجع
سنحاريف الى نينوى والموصل فقتله أبناؤه وهربوا الى بيت المقدس وملك ابنه
السرمعون (وقال الطبرى) ان ملك بنى اسرائيل أسر سنحاريف وأوحى الله الى شعياء
أن يطلقه فأطلقه قال وقيل ان الذى سار اليه سنحاريف من ملوك بنى اسرائيل كان
أعرج وأن سنحاريف لعهده ملك أذربيجان وكان يدعى سلمان الاعسر فلما نزل بيت
المقدس صار بينهما احقاد كامنة فتواقعوا وهلك عامة عسكرهما وصار ما معهما
غنيمة لبنى اسرائيل وبعث ملك بابل الى حزقيا ملك الفرس بالهدايا والتحف فأعظم
موصلها وبالغ فى كرامة الوفد وفخر عليهم بخزائنه وطوفهم عليها فأنكر ذلك عليه شعياء
النبى وأنذره بان ملوك بابل يغنمون جميع هذه الخزائن ويكون من أبنائك خصيان
فى قصرهم ثم هلك حزقياهو لتسع وعشرين سنة من ملكه وولى ابنه منشا بميم مكسورة
ونون مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف وكان عاصيا قبيح السيرة وكانت آثاره فى الدين
شنيعة وأنكر عليه شعيا النبى أفعاله فقتله نشرا بالمناشير من رأسه الى مغرق ساقيه
وقتل جماعة من الصالحين معه وفى تاسعة وثلاثين من ملكه ملك سنحاريف الصغير
مملكة الموصل قاله ابن العميد وفى الثانية والخمسين بنيت بورنطية بناها بورس الملك وهى
التى جددها قسطنطين وسماها باسمه وفى أيامه ملك برومة قنوقرسوس الملك وفى
الحادية والخمسين من ملكه زحف سنحاريف ملك الموصل الى القدس فحاصرها ثلاث
سنين وافتتحها فى الرابعة والخمسين من ملكه وولى بعده ابنه أمون بهمزة قريبة من
العين والميم مضمومة بعدها واو ثم نون وكانت حاله مثل حال أبيه فملك سنتين وقيل ثنتى
عشرة ثم اغتاله عبيده فقتلوه واجتمع بنو يهوذا فقتلوا أولئك العبيد وأقاموا ابنه
يوشيا مكانه وضبطه بياء مثناة تحتية مضمومة بعدها واو بعدها شين معجمة مكسورة
ثم ياء مثناة تحتية بفتحة بعدها ألفا فلما ملك أحسن السيرة وهدم الاوثان وكان صالح
الطريقة مستقيم الدين وقتل كهنة الاصنام وهدم البيوت والمذابح التى بناها
يربعام ابن نباط بالبرابر وكان فى أيامه من الانبياء صقونا وكلدى امرأة شالوم
وناحوم وتنبأ لعهده أرمياء بن الحيا من نسل هارون وأخبرهم بالجلاء الى بابل سبعين
سنة فأخذ يوشيا قبة القربان وتابوت العهد وأطبق عليهما فى مغارة فلم يعرف مكانهما
من بعد ذلك وفى أيامه ملك المجوس بابل ولاحدى وثلاثين من دولته ملك فرعون
الاعرج مصر وزحف لقتال مسيح بالفرات فخرج يوشيا لحربه وانهزم يوشيا فهلك

بسهم أصابه لثنتين وثلاثين من دولته وولى بعده ابنه يواش ويقال اسمه يهو ياحاز
فعطل أحكام التوراة وأساء السيرة فزحف اليه فرعون الاعرج وأخذه ورجع به الى
مصر فمات هنالك وضرب على أرضهم الخراج مائة قنطار فضة وعشرة ذهبا وكانت
ولايته ثلاثة أشهر وولوا مكانه أخاه ألياقيم بن يوشيا بهمزة مفتوحة ولام ساكنة وياء
مثناة تحتانية يجلب فتحها ألفا وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم وكان عاصيا كافرا
وكان يأخذ الخراج لفرعون من بنى يهوذا على قدر أحوالهم ثم زحف اليه
بختنصر ملك بابل لسبع من ولاية ألياقيم فملك الجزيرة وسار الى بيت المقدس فضرب
عليهم الجزية أولا ودخل ألياقيم فى طاعته ثلاث سنين وسلط الله عليه أروم وعمون
ومؤاب والكسدانيين ثم انتقض عليه فسرح الجيوش اليه فقبضوا عليه واحتملوه الى
بابل فهلك فى طريقه لاحدى عشرة سنة من ملكه وولى بختنصر مكانه ابنه يخنيو بفتح
الياء المثناة التحتانية بعدها خاء معجمة مضمومة ثم نون ساكنة وبعدها ياء تحتانية تجلب
ضمتها واوا فأقام ثلاثة أشهر ثم زحف اليه وحاصره وأخرج اليه أمه وأشراف مملكته
فأشخصهم الى بلده وجمع أهله ورجال دولته وسائر بنى اسرائيل نحوا من عشرة آلاف
واحتملهم اسارى الى بابل وغنم جميع ما كان فى الهيكل والخزائن من الاموال وجميع
الاوانى التى صنعها سليمان للمسجد ولم يترك بمدينة القدس الا الفقراء والضعفاء وبقى
يخنيو ملك بنى اسرائيل محبوسا سبعا وثلاثين سنة وقال ابن العميد ان بختنصر سار
الى القدس فى الثالثة من مملكة ألياقيم وسبى طائفة منها وانتهب جميع ما فى بيت الهيكل
وكان فى سنة دانيال وخانيا وعزاريا وميصائل وان فى السنة الخامسة من ملكه قاتل
بختنصر فرعون الاعرج ملك مصر وفى الثانية من ملك الياقيم غزا بختنصر القدس
ووضع عليهم الخراج وأبقى الياقيم فى ملكه وهلك لثلاث سنين بعد ذلك وملك ابنه
يخنيو وكان لعهده من الانبياء ارمياء وأوريا بن شعيا وموزى والدحزقيا وفى أيامه تنبأ
دانيال ثم سار بختنصر ليخنيو فأشخصه الى بابل كما مر (وقال الطبرى ووافقه نقل
هروشيوش) ان بختنصر ولى مكان يخنيو ابن الياقيم عمه متنيا بميم مفتوحة وتاء مثناة
فوقانية مفتوحة مشددة ونون ساكنة وياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفا
ويسمى صدقياهو وكان عاصيا قبيح السيرة ولتسع سنين من ولايته انتقض على
بختنصر فزحف اليه فى العساكر وحاصر بيت المقدس وبنى عليها المدر للحصار وأقام
ثلاث سنين واشتد الحصار بهم فخرجوا هاربين منها الى الصحراء واتبعتهم العساكر من
الكسدانيين وأدركوهم فى اريحا فقبض على ملكهم صدقياهو وأتى به أسيرا
فسمل عينيه وقال الطبرى وذبح ولده بمرأى منه ثم اعتقله ببابل الى ان مات ولحق بعض

من بنى اسرائيل بالحجاز فأقاموا مع العرب وكان لعهده من الانبياء ارميا وحبقون
وباروخ وبعث بختنصر قائده نبوزراذون بنون مفتوحة وباء موحدة مضمومة تجلب
واوا بعدها زاى وراء مفتوحة تجلب ألفا وذال مضمومة تجلب واوا بعدها
نون بعثه الى مدينة القدس وكانوا يدعونها مدينة يروشالم فخربها وخرب
الهيكل وكسر عمد الصفر التى نصبها سليمان فى المسجد طول كل عمود منها ثمانية عشر
ذراعا وطول رؤسها ثلاثة أذرع وكسر صرح الزجاج وسائر ما كان بها من آثار الدين
والملك واحتمل بقية الاوانى وما كان وجده من المتاع وسبى الكوهن ساريه والحبر
منشا وخدمة الهيكل الى بابل (قال هروشيوش) وأبقى صدقياهو محبوسا ببابل الى أن
أطلقه بزداق قائد بهمن ملك الفرس حين غلبوا على بابل فأطلقه ووصله وأقطعه (وقال
مؤرخ حماة ووافقه المسعودى) ان بختنصر بعد تخريب القدس هرب منه بعض ملوك
بنى اسرائيل الى مصر وبها فرعون الاعرج وطلبه بختنصر فأجاره فرعون وسار اليه
بختنصر فقتله وملك مصر وافتتح من المغرب مدائن وبث فيها دعاته وكان ارمياء نبى بنى
اسرائيل من سبط لاوى ويقال اسمه ارمياء بن خلفيا وكان على عهده صدقياهو
ووجده بختنصر فى محبسهم فأطلقه واحتمله معه فى السبى الى بابل وقيل انه مات فى
محبسه ولم يدركه بختنصر وكذلك احتمل معهم دانيال بن حزقيل من أنبيائهم (وقال ابن
العميد) وولى جدليا بن أحان على من بقى من ضعفاء اليهود بالقدس ولسبعة أشهر
من ولايته قام اسمعيل بن متنيا بن اسمعيل من بيت الملك فقتل جدليا واليهود
والكسدانيين الذين معهم ثم هرب الى مصر وهرب معه ارميا وهرب حبقون الى الحجاز
فمات وكان قيما ولحقهم بمصر وتنبأ ارمياء فى مصر وبابل وصور وصيدا
وعمون ثمانية وثلاثين سنة ورجمه أهل الحجاز فمات وكان فيما أخبرهم به مسير بختنصر الى
مصر وتخريبه هيا كلها وقتله أهلها ولما دخل بختنصر مصر نقل جسده الى اسكندرية
ودفنه بها وقيل دفن بالقدس لوصيته وأما حزقياهو فقتله اليهود فى السبى (قال الطبرى)
وافترقت جالية بنى اسرائيل فى نواحى العراق الى ان ردهم ملوك الفرس الى القدس
فعمروه وبنوا مسجده وكان لهم فيه ملك فى دولتين متصلتين الى أن وقع بهم الخراب
الثانى والجلوة الكبرى على يد طيطش من ملوك القياصرة كما نذكر بعد ولنذكر هنا
ما وقع من الخلاف فى نسب بختنصر هذا والى من يرجع من الامم فقد ذهب قوم الى
أنه من عقب سنحاريف ملك الموصل الذى كان يقاتل بنى اسرائيل والسامرة بالقدس
(قال هشام بن محمد الكلبى فيما نقل الطبرى) هو بختنصر بن نبوزراذون بن سنحاريف
ثم نسب سنحاريف الى نمروذ بن كوش بن حام الذى وقع ذكره فى التوراة فى ولد كوش

وعد بين سنجاريف والنمرود ستة عشر أباً أو نحوها أولهم داريوش بن فالغ وعصا
ابن نمرود أسماء غير مضبوطة يغلب على الظن تصحيفها لعدم دراية الاصول وقلة
الوثوق بضبطها وقيل ان بختنصر من نسل أشوذ بن سام ولم يقع البنا رفع هذا النسب
ولعله أصح من الاول لانه قد تقدم نسب سنجاريف فى الجرامقة ثم فى الموصل منهم وهم
من ولد أشوذ باتفاق من أهل فارس نقله أيضا الطبرى عن ابن الكلبى وان اسمه بختمرسه
فسمى بختنصر وكان يملك ما بين الاهواز والروم من غربى دجلة أيام هراسب ويستاسب
وبهمن من ملوك الفرس وانه افتتح ما يليه من بلاد بابل والشأم ثم سار الى القدس
فافتتحها كما تقدم وقيل ان بهمن بعث رسله الى القدس فى طلب الطاعة منهم فقتلوه
فبعث بهمن اصبهبذ الناحية القريبة من مملكته وبعث معه داريوش من ملوك
مادى بن نابت وكيرش بن كيكوس من ملوك بنى غليم بن سام واحشوارس بن كيرش بن
جاماهن من قرابته وسار معهم بختنصر بن نبوزراذون بن سنجاريف صاحب الموصل
الذى لقومه البراآت فى أهل المقدس فكان ما وقع من الفتح وقيل كان بختنصر
صاحب الموصل فى مقدمتهم وكان الفتح على يده وأما بنو اسرائيل فيزعمون أن بختنصر
من الكسدانيين وهم ولد ناحور بن آزر أبى ابراهيم عليه السلام وكان لهم الملك ببابل
وكان بختنصر هذا من اعقابهم وكان مدة دولته خمسا وأربعين سنة وكان فتحه المقدس
لثمانية عشر من دولته وملك بعده أويل مرودخ ثلاثا وعشرين سنة ثم بعده ابنه
فيلسنصر بن أويل ثلاث سنين ثم غلب عليهم كورش وأزال ملكهم وهو الذى
رد بنى اسرائيل الى بيت المقدس فعمروه وجددوا به ملكا كما نذكره وقد اختلف
فى كيرش الذى رد بنى اسرائيل الى القدس من هو بعد اتفاقهم على أنه من الفرس
فقيل هو يستاسب ولم يكن ملكا وانما كان مملكا على خوزستان وأعمالها من قبل
كيقوس وبنحسون بن سياوش ولهراسب من بعدهما وكان عظيم الشان ولم يكن ملكا
وقيل ان كيرش هو ابن اخشوارش بن جاماسب بن لهراسب وابوه اخشوارش هذا
الذى بعثه بهمن ولما رجع من ذلك الفتح بعثه الى ناحية الهند والسند وانصرف الى
حصن الابرفولاه بابل وتزوج من سبى بنى اسرائيل ابنة ابى حاويل الرحا واخت مردخاى
من الرضاع وهو من أنبياء بنى اسرائيل فتزعم النصارى انها ولدت عنده حيرا حوارس
الى بابل ابنه كيرش هذا فحضنه مردخاى ولقنه دين اليهودية ولزم سائر أنبيائهم مثل
متنيا وعازريا وميشائل وعزير وولى دانيال احكام دولته وجعل اليه امره واذن له
ان يخرج ما فى الخزائن من السبى والذخائر والآنية ويرده الى مكانه ويقوم فى بناء
القدس فعمره وراجعه بنو اسرائيل وسأله هؤلاء الانبياء ان يرجعوا الى بيت المقدس

فنعهم اغتباطا بمكانهم وقيل ان كيرش هو كيرش بن كيكو بن غليم بن سام وهو الذى كما
قدمنا ان بهمن بعثه مع قائده بختنصر الى فتح بيت المقدس وان بختمرس ملكه بهمن
على بابل وكان يسمى بختمرسى كما ذكرنا فملكها وملك ابنه من بعده ثلاثا وعشرين سنة
ثم ابنه بلتنصر سنة واحدة ثم بلغ بهمن سوء سيرته فعزله وولى على بابل داريوش الماذة بن
ماداى ثم عزله وولى كيرش بن كيكو وكتب اليه بهمن بان يرفق ببنى اسرائيل ويحسن
ملكتهم وان يردهم الى أرضهم ويولى عليهم من يختارونه ففعل فاختاروا دانيال
من أنبيائهم فولاه وقيل وهو لعلماء بنى اسرائيل ان بلتنصر حافد بختنصر وهو ملك بابل
والكسدانيين وان دارا ويسمى داريوش ملك مازى وكورش وهو كيرش ملك
فارس كان فى طاعته فانتقضا عليه وخرج اليهم فى العساكر فانهزم أولا ثم بعث عساكره
وقواده اليهم فهزمهم ثم قتله خادمه على فراشه ولحق بداريوش وكورش وزحفا الى
بابل فغلبا الكسدانيين عليها واختص دارا وقومه ماذى وأظنهم الديلم ببابل ونواحيها
واختص كورش وقومه فارس بسائر الاعمال والكور وكان كورش نذر ببناء بيت
المقدس واطلاق الجالية ورد الآنية ثم هلك دارا وانفرد كورش بالملك على فارس
وماذى ووفى بنذره هذا محصل الخلاف فى بختنصر وكيرش والله أعلم

احزياهو بن يهورام بن يهوشافاط بن اسا بن افيا بن رحبعم بن سليمان بن داود صلوات الله عليه

(الخبر عن دولة الاسباط العشرة وملوكهم الى حين انقراض أمرهم)

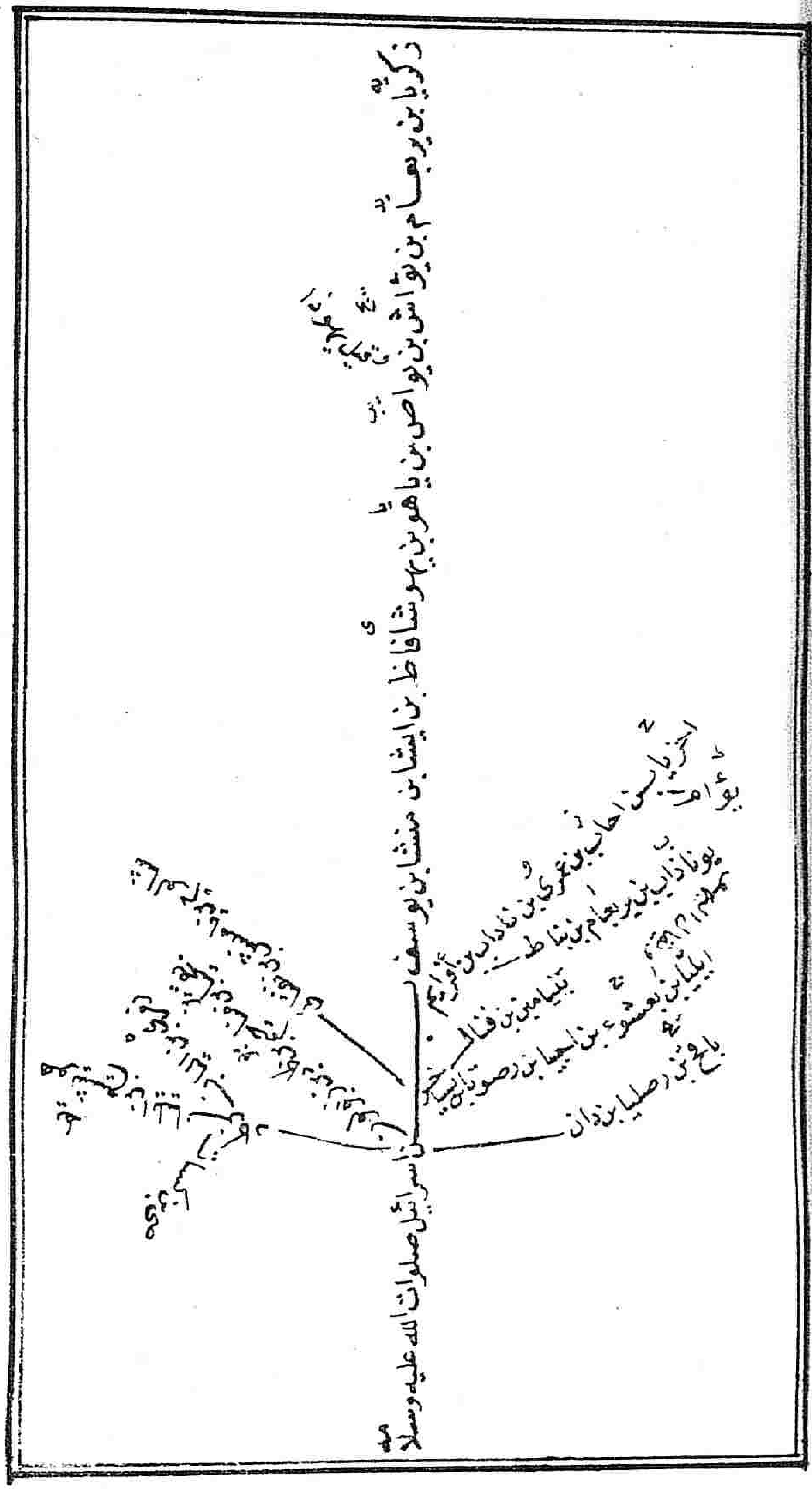
قد تقدم انا فى دولة سليمان عليه السلام ان يربعام بن نباط من سبط افرائيم كان واليا لسليمان على جميع نواحى يورشليم وهى بيت المقدس وقيل انما كان واليا على عمل بنى يوسف بنابلس وما ليها وكان جبارا وان سليمان عوتب على ولايته من الله وانتقض ولحق بمصر فلما قبض سليمان وولى ابنه رحبعم واختلف عليه بنو اسرائيل بما بلوا من سوء ملكته والزيادة فى الضرائب عليهم واجتمع الاسباط العشرة ما عدا يهوذا وبنيامين فاستقدموا يربعام بن نباط من مصر فبايعوا له وولوه الملك عليهم وحاربوا رحبعم ومن فى طاعته وهم سبط يهوذا وبنيامين فامتنعوا عليهم بمدينة يروشليم ثم انحازوا الى جهة فلسطين فى عمل بنى يوسف ونزل يربعم مدينة نابلس بملك الاسباط العشرة ومنعهم من الدخول الى المقدس والقربان فيه وكان عاصيا مسخوط السيرة ولم يزل الحرب بينه وبين رحبعم بن سليمان وابنه أبيام من بعده واثنين من ملك أسا بن أبيا وكان أبيا ظاهرا عليه فى حروبه ثم هلك يربعام بن نباط لسنتين من ملك أبيا ولثلاث وعشرين من ملكه فولى مكانه على الاسباط يوناذاب وكان على مثل سيرة أبيه من الجور وعبادة الاصنام فسلط الله عليه بعشا بن أحيا فقتله وجميع أهل بيته لسنتين من ملكه وقام بملك الاسباط فلم يزل يحارب أسا بن أبيا وأهل القدس سائر أيامه وكان أسا يستمد عليه بملك دمشق من الاردن وسار معه اليه مرة وكان أعشا بن أحيا يبنى يثرب فاجفل امامهم وترك الآلات فأخذها أسا وبنى بها الحصون وهلك اعشا بن أحيا لاربع وعشرين سنة من ملكه ودفن فى برصا مدينة ملكهم بعد ان أنذره بالهلاك نبيهم فاهو ولما هلك ولى بعده ابنه ايليا و يقال ايلهوا فى السادسة والعشرين من ملك أسا فأقام سنين ثم بعث عساكر بنى اسرائيل الى محاصرة بعض المدن بفلسطين فوثب عليه سبط من الاسباط من عقب كان يعرف زمرى صاحب المراكب ويقال ابن اليافا فقتله وجميع أهل بيته وقام بالملك ومكث أياما يسيرة خلال ما بلغ الخبر لبنى اسرائيل بمكانهم من حصار فلسطين فلم يرضوه وملكوا عليهم صى بن كسات من سبطه ورجعوا الى زمرى المتوثب على الملك فحاصروه فلما أحيط به دخل مجلس الملك وأوقد نارا لتحرقه فاحترق فيه لسبعة أيام من فورتهم وكان عمرى بن ناداب من سبط افرايم ويلقب صاحب الحربة يرادف صى فى الملك فقتله واستبد وذلك فى الحادية والثلاثين من ملك أسا ثم اختلف عليه بنو اسرائيل ونصب بعضهم بنيامين فنال من سبط يساخر وحاربهم عمرى فغلبهم وكان ينزل مدينة برصا ولست سنين من ملكه اختط مدينة السامرية ابتاع لها جبل شمران من رجل اسمه سامر بقنطار فضة وبنى فيه قصوره

وسميت سبسطية ثم غلبت عليها النسبة الى البائع و يقال ان الاسم كان شومرون فعرب ساهرة وأهملت شينها المثلثة وكانت هذه المدينة مدينة ملكهم الى انقراض أمرهم ثم هلك عمرى لثنتى عشرة سنة من ولايته ودفن فى نابلس و قام بملك الاسباط من بعده ابنه أحاب وكان على مذهبه ومذهب سلفه منهم من الكفر والعصيان وتزوج بنت ملك صيدا و بنى هيكلا بسامرة وجعل فيه صنما يسجد له وأفحش فى قتل الانبياء وبنى قرية أريحاء ودعا عليه ايليا النبى فقحطوا ثلاث سنين خرج فيها ايليا الى البرية فسكنها ثم رجع فدعا وأنزل الله المطر وذبح الذين حملوا أحاب على عبادة الاصنام هكذا قال ابن العميد والذى قاله الطبرى ان هذا النبى الذى دعا عليهم هو الياس ابن سين وقيل ابن ياسين من نسل فنحاص بن العاذار وكان بعث الى أهل بعلبك والى احاب وقومه (وقال الطبرى) فكذبوه فأصابهم القحط ثلاثا ففزعوا اليه فى الدعاء وباهلهم فى أصنامهم فلم تغن شيئا فدعا لهم فمطروا ثم انهم أقاموا على ما كانوا عليه من الكفر والعصيان وكان احاب شديدا عليه ودعا عليه الياس ثم طلب من الله أن يتوفاه بعد ان أنذر الناس بهلاكه وهلاك قومه بل عقبه وتنبأ بعده اليسع بن أخطوب من سبط افرايم وقيل ابن عم الياس قال ابن عساكر اسمه اسباط بن عدى بن شوليم بن افرائيم (قال الطبرى) كان مستخفيا مع الياس بجبل قاسيون من ملك بعلبك ثم خلفه فى قريته انتهى كلام الطبرى وقال ابن العميد فى ايام احاب أوحى الله الى ايليا أن يبارك على الياس بن بغسا ففعل ذلك وان يبارك على أروم بدمشق وعلى ياهو ملكا على بنى اسرائيل ففعل ذلك وهو أيضا على عهد احاب فجاء سنداب ملك سورية فحاصر احاب ابن عمرى والاسباط العشرة فى السامرة وخرجوا اليه فهزموه واستلحموا عامة عسكره ثم رجع اليهم من العام القابل فخرجوا اليه وهزموه ثانيا وقتلوا من عسكره نحوا من مائة الف ومروا فى اتباعهم وامتنع سنداب فى بعض حصونه وأحاطوا به فخرج اليهم ملقيا بنفسه على ملكهم أحاب فعفا عنه ورده الى ملكه وسخط ذلك النبى من فعله وأنذره بعذاب يصيب ولده عقوبة من الله تعالى على ابقائه عليهم ثم خرج أحاب من ملك الاسباط مع يهوشافاط ملك يهوذا المقدس لمحاربة ملك سورية فأصابه سهم هلك فيه ودفن بسامرة لاثنتين وعشرين سنة من ملكه قال ابن العميد وقيل لثمان عشرة وقال انما خرج لحرب كاعاد ملك أروم فانهزم وقتل ولما هلك ملك من بعده ابنه احرياو يقال امشيا وكان عاصيا سيء السيرة قتل عاموص النبى وعبد بعلا الصنم وهلك لسنتين فملك أخوه يوام وقيل انه تسع عشرة من ملك يهوشافاط ملك الفرس فملك يوام على الاسباط ثنتى عشرة سنة زحف فيها أولا الى مواب لما منعوه الجزية التى كانت عليهم للاسباط مائتين من الغنم فى كل سنة واستنجد ملك يهوذا الحربهم

فحاصرهم سبعة أيام وفقدوا الماء فاستسقى لهم اليسع وجرى الوادى وخرج أهل مواب يظنونه دما فقتلهم بنو اسرائيل وجمع هداد ملك أروم لحصار سامرة ونازلها ثلاث سنين ثم دعا عليهم اليسع فاجفلوا ورجعوا الى بلادهم وفى الثانية عشر من ملك يوام ملك الاسباط ثار عليه ياهو شافاط بن يشا من سبط منشا بن يوسف وذلك عند منصرفه من محاربة ملوك الجزيرة وأروم مع احزيا بن يهورام ملك القدس وكان جريحا فعاده احزيا وكان هذا الفتى ياهو يترصد قتل يوام فأمكنته الفرصة فيه تلك الساعة فقتله وقتل معه احزيا ملك القدس وبنى يهوذا وملك على الاسباط وقال ابن العميد خرج يوام بن احاب ملك الاسباط لحرب أروم ومعه احزيا ملك القدس فقتلا جميعا فى تلك الحرب وقيل ان ياهو بن منشا رمى بسهم فأصاب يوام بن احاب فمات ولما ملك ياهو على الاسباط قتل بنى احاب كلهم كما أمره اليسع وهلك لخمس وثلاثين من ملكه وولى ابنه يواص وقيل يهوذا ولثمان وعشرين من دولة يواص ابن احزيا ملك يهوذا القدس وكان قبيح السيرة عابدا للاصنام وعمل مذبحا بسامرة وهلك لسبع عشرة من ملكه وولى بعده ابنه يواش لسبع وثلاثين من دولة يواص بالقدس وزحف الى القدس فملكها من يد امصيا ملك يهوذا وهدم من سورها أربعمائة ذراع وسبى أهل المقدس وسبى بنى عزريا الكوهن وأخذ جميع ما فى المسجد ورجع الى سامرة ومرض اليسع فعاده يواش فوعده بأنه يهلك أروم ويظفر بهم ثلاث مرات فكان كذلك وهلك لثلاث عشرة سنة من ملكه وولى من بعده ابنه يربعام وكان سيء السيرة وزحف الى امصيا ملك يهوذا وقيل ان الذى زحف الى امصيا انما هو يواش أبوه فهزمه وأخذه أسيرا وسار به الى القدس فاقتحمها عنوة وغنم جميع ما فى خزانتها وسبى بنى عزريا الكوهن ورجع الى السامرة فأطلق امصيا ثم لاحدى وأربعين سنة من ملكه ولسبع وعشرين من ملك عزياهو بن امصيا ملك القدس قال ابن العميد وبقى بنو اسرائيل بالسامرة فوضى أحدى عشرة سنة ثم ملكوا ابنه زكريا فى الثامنة والثلاثين من ملك عزياهو فملك ستة أشهر وقال ابن العميد شهرا ثم وثب به مناخيم بن كاد من سبط زبلون من أهل برصا فقتله وملك مكانه ثنتى عشرة سنة وقال ابن العميد عشر سنين قال وفى التاسعة والثلاثين من ملك عزياهو خرج الى مدينة برصا ففتحها عنوة واستباحها وزحف اليه فول ملك الموصل فصانعه بألف قنطار من الفضة ورجع عنه وكانت سيرته رديئة ولما هلك مناخيم ملك ابنه بقحيا الاربعين من دولة عزيا ملك القدس فأقام فيهم ثنتى عشرة سنة وقال ابن العميد سنتين ثم ثار عليه من عماله باقح بن رصليا وكان على طريقة من تقدمه

فى الضلال فأقام ملكا على الاسباط بالسامرة عشر سنين وهلك لدولته عزيا ابن امصيا ملك يهوذا بالقدس وأقام باقح بن رصليا على سوء السيرة وعبادة الاصنام الى أن قتله هو يشيع بن ايليا من سبط كاد فى الثالثة من ملك يوآب ملك القدس وبقى الاسباط بعده فوضى عشر سنين ثم ملكوا قاتله هو يشيع بن ايليا المذكور فأقام ملكا عليهم سبع سنين وفى أيامه زحف اليه ملك أثور والموصل فصير الأسباط فى دولته وأدوا اليه الخراج ثم ان هو يشيع راسل ملك مصر فى الاستعانة به والرجوع الى طاعته فلما بلغ ذلك الى ملك الموصل زحف اليه وحاصره فى مدينة السامرة ثلاث سنين وافتتحها فى الرابعة وتقبض على هو يشيع لتسع سنين من ملكه ونقله مع الأسباط كلهم الى الموصل ثم بعثهم الى قرى اصبهان وأنزلهم بها وقطع ملك بنى اسرائيل من السامرة وبقى ملك يهوذا و بنيامين بالقدس وكان ذلك لعهد احزيا بن احاز من ملوكهم لستة من دولته وتعاقبت ملوكهم بعد ذلك بالقدس الى أن انقرضوا وجمع ملك الموصل من كوره غارا وحماة وصفرارام ويقال ومركا وأسكنهم بالسامرة قال ابن العميد وتفسيرها حفيظة ويواطر قالوا وسلط الله عليهم السباع يفترسونهم فبعثوا الى ملك الموصل أن يعرفهم بصاحب قسمة السامرية من الكواكب ليتوجهوا اليه بما يناسبه على طريقة الصابئة فقيل ان العشرية التى رسخت فيها وهى دين اليهودية تمنع من ذلك ومن ظهور أثره فبعث اليهم كوهنين من عامة اليهود يعلمانهم اليهودية فتلقوها عنهما فهذا أصل السامرة فى فرق اليهود وليسوا منهم عند أهل ملتهم لا فى نسبهم ولا فى دينهم والله مالك الامور لا رب غيره ولا معبود سواه سبحانه وتعالى

زكريا



(الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الاول وما كان لبني اسرائيل فيها من الملك في الدولتين لبني حشمناي وبني هيردوس الى حين الخراب الثاني والجلوة الكبرى)

هذه الاخبار التي كانت لليهود ببيت المقدس والملك الذي كان لهم في العمارة بعد جلاء بختنصر وأمر الدولتين اللتين كانتا لهم في تلك المدة لم يكتب فيها أحد من الائمة ولا وقفت في كتب التواريخ مع كثرتها واتساعها على ما يلم بشيء من ذلك ووقع بيدي وأنا بمصر تأليف لبعض علماء بني اسرائيل من أهل ذلك العصر في أخبار البيت والدولتين اللتين كانتا بها ما بين خراب بختنصر الاول وخراب طيطش الثاني الذي كانت عنده الجلوة الكبرى استوفى فيه أخبار تلك المدة بزعمه ومؤلف الكتاب يسمى يوسف بن كريون وزعم أنه كان من عظماء اليهود وقوادهم عند زحف الروم اليهم وأنه كان على صولة فحاصره أسبيانوس أبو طيطش وافتتحها عليه عنوة وفر يوسف الى بعض الشعاب وكمن فيها ثم حصل في قبضته بعد ذلك واستبقاه ومن عليه وبقي في جملته وكانت له تلك وسيلة الى ابنه طيطش عندما اجلى بني اسرائيل عن البيت فتركه بها للعبادة كما يأتي في أخباره هذا هو التعريف بالمؤلف وأما الكتاب فاستوعب فيه أخبار البيت واليهود بتلك المدة وأخبار الدولتين اللتين كانتا لبني حشمناي وبني هيردوس من اليهود وما حدث في ذلك من الاحداث فلخصتها هنا كما وجدتها فيه لاني لم أقف على شيء فيها لسواه والقوم أعلم بأخبارهم اذا لم يعارضها ما يقدم عليها وكما قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب فقد قال ولا تكذبوهم مع أن ذلك انما هو راجع الى اخبار اليهود وقصص الانبياء التي كان فيها التنزيل من عند الله لقوله بعد ذلك وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وأما الخبر عن الواقعات المستندة الى الحس فخبر الواحد كاف فيه اذا غلب على الظن صحته فينبغي أن نلحق هذه الاخبار بما تقدم من أخبارهم لتكمل لنا أحوالهم من أول أمرهم الى آخره والله أعلم ولم التزم صدقه من كذبه والله المستعان (قال الطبري وغيره من الائمة) كان يرميا ويقال ارميا بن خلقيا من أنبياء بني اسرائيل ومن سبط لاوي وكان لعهد صدقيا هو آخر ملوك بني يهوذا ببيت المقدس ولما توغلوا في الكفر والعصيان أنذرهم بالهلاك على يد بختنصر وسأله عنه وأطلقه واحتمله معه في السبي وكان فيما يقوله ارميا انهم يرجعون الى بيت المقدس بعد سبعين سنة تملك فيها بختنصر وابنه وابن ابنه ويهلكون واذا فرغت مملكة الكسدانيين بعد السبعين يفتقدكم يخاطب بذلك بني اسرائيل في نص آخر له عند كمال سبعين لخراب المقدس وكان شعيا بن امصيا من أنبيائهم أخبرهم بأنهم يرجعون الى بيت المقدس على يد كورش من ملوك الفرس ولم يكن وجد لذلك العهد فلما استولى كورش

قوله على صولة بلد قريب من المقدس كما في التوراة ولعلها المسماة اليوم بصفد اه كذا بخط العطار

على بابل وأزال مملكة الكسدانيين أذن لبني اسرائيل في الرجوع الى بيت المقدس وعمارة مسجدها ونادى في الناس ان الله أوصاني أن أبني بيتا فمن كان لله وسعيه لله فلينهض الى بنائه فمضى بنو اسرائيل في اثنين وأربعين ألفا وعليهم زريافيل بالفاء الهوائية بن شالتهيل بن يوخنيا آخر ملوكهم بالقدس الذي حبسه بختنصر وقدم ذكره وقد مضى معهم عزير النبي من عقب اشوع بن فنحاص بن العازر بن هارون وبينه وبين أشوع ستة آباء ثم أتى بنقلها الغلبة الظن بأنها مصحفة ورد عليهم كورش الاواني وكانت لا يعبر عنها من الكثرة قال ابن العميد كانت خمسة آلاف وأربعمائة قصعة ذهبا وفضة فمضوا الى بيت المقدس وشرعوا في العمارة وشرع كورش وسعى عليهم في ابطال ذلك بعض أعدائهم من السامرة ولم يكن أمد السبعين التي وعدهم بها انقضى لان الخراب كان لثمان عشرة من ملك بختنصر وكانت دولته خمسة وأربعين ومدة ابنه وابن ابنه خمس وعشرون فبقيت من السبعين ثمانية عشر التي نفدت من ملك بختنصر قبل الخراب فمنعوا من العمارة بسعاية السامرية الى ان انقضت الثمان عشرة وجاءت دولة دارا من ملوك الفرس فأذن لهم في العمارة وعاد السامرة لسعايتهم في ابطال ذلك عند دارا فأخبره أهل دولته ان كورش أذن لهم في ذلك فخلى سبيلهم وعمروا بيت المقدس في الثانية من ملك دارا الاول وهو ارتخشدو الكوهن يومئذ عزير وجدد لهم التوراة بعد سنتين من رجوعهم الى البيت ثم هلك زريافيل وخلفه فيهم بشماس وقبض العزير وخلفه شمعون الصفا من بني هرون أيضا (وقال يوسف بن كريون) ان بختنصر لما رجع الى بابل أقام ملكا سبعا وعشرين سنة وملك بعده ابنه بلتنصر ثلاث سنين وانتقض عليه داريوش ملك ماذي وأظنهم الديلم وكيرش ملك فارس وهزمتهم عساكره كما مر فعمل في بعض أيامه صنيعا لقواده سرورا بالواقع وسقاهم في أواني بيت المقدس التي احتملها جده من الهيكل فسخط الله لذلك ورأى تلك الساعة كأن يدا خرجت من الحائط تومي بكتابة كلمات بالخط الكسداني والكلمات عبرانية وهي أحصى وزن نفد فارتاع لذلك هو والحاضرون وفزع الى دانيال النبي في تفسيرها قال وهب بن منبه وهو من أعقاب حزقيل الاصغر وكان خلفا من دانيال الاكبر فقال له دانيال هذه الكلمات تنذر بزوال ملكك ومعناها ان الله أحصى مدة ملكك ووزن أعمالك ونفذ قضاؤه بزوال ملكك عنك وعن قومك وقتل في تلك الليلة بلتنصر وكان ما قدمناه من استقلال كورش وقومه فارس بالملك ورد الجالية الى بيت المقدس وأطلق لهم المال لعمارتها شكرا على الظفر بالكسدانيين ومضى بنو اسرائيل ومعهم عزرا الكاهن ونحميا ومردخاي وجميع رؤساء الجالية

يبنون البيت والمذبح على حدودها وقربوا القرابين وكان كورش بعد ذلك يطلق لهم في كل سنة من الحنطة والزيت والبقر والغنم والخمر ما يحتاجون اليه في خدمة البيت ويطلق لهم جراية واسعة وجرى ملوك الفرس بعده على سنته في ذلك الا قليلا في أيام أخشويروش منهم كان وزيره هامان وكان من العمالقة وكان طالوت قد استخلفهم بأمر الله فكان هامان يعاديهم لذلك وعظمت سعايته فيهم وحمله على قتلهم وكان مردخاي من رؤسائهم قد زوج أخته من الرضاع لاخشويروش فدس اليها مردخاي أن تشفع الى الملك في قومها فقبلها وعطف عليهم وأعادهم الى أن انقرضت دولة الفرس بمهلك دارا واستولى بنو يونان بمهلك دارا على ملك فارس وملك الاسكندر بن فيلفوس ودوخ الارض وفتح سواحل الشأم وسار الى بيت المقدس لانها من طاعة دارا وخاف الكهنة من وصوله اليهم ورأى في بعض تمثال رجلا فقال أنا رجل أرسلت لمعونتك ونهاه عن أذية المقدس وأوصاه بامتثال اشاراتهم فلما وصل الى البيت لقيه الكوهن فبالغ في تعظيمه ودخل معه الى الهيكل وبارك عليه ورغب اليه الاسكندر أن يضع هنالك تمثاله من الذهب ليذكر به فقال هذا حرام لكن تصرف همتك في مصالح الكهنة والمصلين ويجعل لك من الذكر دعاؤهم لك وأن يسمى كل مولود لبنى اسرائيل في هذه السنة بالاسكندر فرضى الاسكندر وحمل لهم المال وأجزل عطية الكوهن وسأله أن يستخير الله في حرب دارا فقال له امض والله مظفرك وحض دانيال وقص عليه الاسكندر رؤيا رآها فأولها له بأنه يظفر بدارا ثم انصرف الاسكندر وسار في نواحي بيت المقدس ومر بنابلس ولقيه سنبلاط السامرى وكان اهل المقدس أخرجوه عنهم فأضافه وأهدى له أموالا وأمتعة واستأذنه في بناء هيكل في طول بريد على جبل كريدم فأذن له فبناه وأقام صهره منشا كوهنا فيه وزعم أنه المراد بقوله في التوراة اجعل البركة على جبل كريدم فقصده اليهود في الاعياد وحملوا اليه القرابين وعظم أمره وغص بشأنه اهل بيت المقدس الى أن خربه هرمايوس بن شمعون أول ملوك بنى حشمناى كما يأتى ذكره ثم هلك الاسكندر ببابل بعد استيفاء مدته لثنتين وثلاثين من ملكه وقد كان قسم ملكه بين عظماء دولته فكان سلياقوس بعد الاسكندر وكان عظيم أصحابه فأكرم اليهود وحمل المال الى فقراء البيت ثم سعى عنده بأن في الهيكل أموالا وذخائر نفيسة ورغبوه في ذلك فبعث عظيما من قواده اسمه أردوس ليقبض ذلك المال فحضر بالبيت وأنكر الكاهن حنينان أن يكون بالبيت الا بقية الصدقات من فارس ويونان وما أعطاهم سلياقوس آنفا فلم يقبل ووكل بهم في الهيكل فتوجهوا بالدعاء وجاء أردوس ليقبض المال فصدع في طريقه وجاء أصحابه الى الكوهن حنينا وجماعة الكهنة

يسألون الاقالة والدعاء لاردوس فدعوا له وعوفي وارتحل وازداد الملك سلياقوس اعظاما للبيت وحمل ما كان يحمل اليهم مضاعفا قال ابن كريون ثم ترجمت التوراة لليونانيين وكان من خبرها ان تلماى ملك مصر من اليونانيين بعد الاسكندر وكان من أهل مقدونية وكان محبا للعلوم ومشغوفا بالحكمة والكتب الالهية وذكرت له كتب اليهود الاربعة والعشرون سفرا فتاقت نفسه للوقوف عليها وكتب الى كهنون القدس في ذلك وأهدى له فاختار سبعين من أحبار اليهود وعلمائهم وفيهم كوهن عظيم اسمه العازر وبعثهم اليه ومعهم الاسفار فتلقاهم بالكرامة وأوسع لهم النزول ورتب مع كل واحد كاتبا يلى عليه ما يترجم له حتى ترجم الاسفار من العبرانية الى اليونانية وصححها وأجاز الاحبار وأطلق لهم من كان بمصر من سبى اليهود نحوا من مائة ألف وصنع مائدة من الذهب نقشت عليها صورة أرض مصر والنيل ورصعها بالجواهر والفصوص وبعث بها الى القدس فأودعت في الهيكل ثم هلك تلماى صاحب مصر واستولى بعده انطيوخوس صاحب مقدونية على انطاكية ثم على مصر وأطاعه ملوك الطوائف بأرض العراق واستفحل ملكه وعظم طغيانه وأمر الامم بعبادة الاصنام وعمل أصناما على صورته فامتنع اليهود من قبولها وسعى بهم عنده بعض شرارهم وكانوا أهل نجدة وشوكة فسار انطيخوس اليهم وأثخن فيهم بالقتل والسبى وفروا الى الجبال والبرارى فرجع واستخلف على بيت المقدس قائده فليلاقوس وأمره أن يحملهم على السجود لاصنامه وعلى أكل الخنزير وترك السبت والختان ويقتل من يخالفه ففعل ذلك أشد ما يكون وبسط على اليهود أيدى أولئك الاشرار الساعين وقتل العازر الكوهن الذى ترجم لهم التوراة لما امتنع من السجود لصنمه وأكل قربانه وكان فيمن هرب الى الجبال والبرارى متتيا بن يوحنا بن شمعون الكوهن الاعظم ويعرف بحشمناى بن حونيا من بنى نوذاب من نسل هارون عليه السلام وكان رجلا صالحا خيرا شجاعا وأقام بالبرية وحزن لما نزل بقومه فلما أبعد انطيخوس الرحلة عن القدس بعث متتيا الى اليهود يعرفهم بمكانه ويتمعض لهم ويحرضهم على الثورة على اليونانيين فأجابوه وتراسلوا في ذلك وبلغ الخبر فليلتوس قائد انطيخوس فسار في عسكره الى البرية طالبا متتيا وأصحابه فلما وصل اليهم حاربهم فغلبوه وانهزم في عساكره وقوى اليهود على الخلاف وهلك متتيا خلال ذلك وقام بأمره ابنه يهوذا فهزم عساكر فليلاقوس ثانية وشغل انطيخوس بحروب الفرس فزحف اليهم من مقدونية واستخلف عليهم ابنه أفطروضم اليه عظيما من قومه اسمه ليناوش وأمرهم أن يبعثوا العساكر الى اليهود فبعثوا ثلاثة من قوادهم وهم نيقانور وتلماس وصردوس وعهد اليهم بابادة اليهود حيث كانوا

فسارت العساكر واستنفر سائر الارمن من نواحى دمشق وحلب وأعداء اليهود من فلسطين وغيرهم وزحف يهوذا بن متتيا مقدم اليهود لقتالهم بعد أن تضرعوا الى الله وطافوا بالبيت وتمسحوا به ولقيهم عسكر نيقانور فهزموه واثخنوا فيه بالقتل وغنموا ما معهم ثم لقيهم عسكر القائد بن تلمياس وهيردوس ثانيا فهزموهما كذلك وقبضوا على فلاقوس القائد الاول لانطيخوس فأحرقوه بالنار ورجع نيقانور الى مقدونية فدخلها وخبر ليشاوش وأفطر بن الملك بالهزيمة فجزعوا لها ثم جاءهم الخبر بهزيمة انطيخوس امام الفرس ثم وصل الى مقدونية واشتد غيظه على اليهود وجمع لغزوهم فهلك دون ذلك بطاعون فى جسده ودفن فى طريقه وملك أفطر وسموه انطيخوس باسم أبيه ورجع يهوذا بن متتيا الى القدس فهدم جميع ما بناه انطيخوس من المذابح وأزال ما نصبه من الاصنام وطهر المسجد وبنى مذبحا جديدا للقربان فوضع فيه الحطب ودعا الله أن يريهم آية فى اشتعاله من غير نار فاشتعل كذلك ولم ينطفئ الى الخراب الثانى أيام الجلوة واتخذوا ذلك اليوم عيدا سموه عيد العساكر ونازل ليشاوش فزحف اليه يهوذا بن متتيا فى عسكر اليهود وثبت عسكر ليشاوش فانهزموا ولجأ الى بعض الحصون وطلب النزول على الامان على أن لا يعود الى حربهم فأجابه يهوذا على أن يدخل أفطر معه فى العقد وكان ذلك وتم الصلح وعاهد أفطر اليهود على أن لا يسير اليهم وشغل يهوذا بالنظر فى مصالح قومه قال ابن كريون وكان لذلك العهد ابتداء أمر الكيتم وهم الروم وكانوا برومية وكان أمرهم شورى بين ثلثمائة وعشرين رئيسا ورئيس واحد عليهم يسمونه الشيخ يدبر أمرهم ويدفعون للحروب من يثقون بغنائه وكفايته منهم أو من سواهم هكذا كان شأنهم لذلك العهد وكانوا قد غلبوا اليونانيين واستولوا على ملكهم واجازوا البحر الى افريقية فملكوها كما يأتى فى اخبارهم فأجمعوا السير الى انطيخوس أفطر وابن عمه ليشاوش بقية ملوك يونان بانطاكية وكاتبوا يهوذا ملك بنى اسرائيل بالقدس يستميلونهم عن طاعة أنطيخوس واليونانيين فأجابوهم الى ذلك وبلغ ذلك انطيخوس فنبذ الى اليهود عهدهم وسار الى حربهم فهزموه ونالوا منه ثم راسلهم فى الصلح وأن يقيموا على عهدهم معه ويحمل لبيت المقدس بما كان يحمله من المال وأن يقتل من عنده من شرار اليهود الساعين عليهم فتم العهد بينهم على ذلك وقتل شملاوش من الساعين على اليهود ثم جهز أهل رومة قائد حروبهم دمترياس بن سلياقوس الى انطاكية ولقيه انطيخوس أفطر فانهزم انطيخوس وقتل هو وابن عمه ليشاوش وملك الروم انطاكية ونزلها قائدهم دمترياس وكان القيموس الكوهن من شرار اليهود عند انطيخوس فلما ملك دمترياس قائد الروم فسعى عنده فى اليهود ورغبه فى ملك القدس

والاستيلاء على أمواله فبعث قائده نيقانور لذلك وخرج يهوذا ملك القدس لتلقيه وطاعته وقدم بين يديه الهدايا والتحف فمال نيقانور الى مسالمة اليهود وحسن رأيه وأكد بينه وبينهم العهد ورجع وبادر القيموس الكوهن الى دمترياس وأخبره بميل قائده نيقانور الى اليهود وزاد فى اغرائه فبعث الى قائده ينكر عليه ويستحثه لانفاذ أمره وأن يحمل يهوذا مقيدا وبلغ ذلك يهوذا فلحق بمدينة السامرة سبسطية واتبعه نيقانور فى العساكر فكر عليه يهوذا وهزمه وقتل أكثر عساكر الروم الذين معه ثم ظفر به فصلبه على الهيكل بيت المقدس واتخذ اليهود ذلك اليوم عيدا وهو ثالث عشر آذار ثم بعث قائد الروم دمترياس من قابل قائده الآخر بعتروس فى ثلاثين ألفا من الروم لمحاربة اليهود وخرجت عساكرهم من المقدس وفروا عن ملكهم يهوذا وافترقوا فى الشعاب وأقام معه منهم فل قليل واتبعهم بعتروس فلقيه يهوذا وأكمن له فانهزم اليهود وخرج عليهم كمين الروم فقتل يهوذا فى كثير من ولاته ودفن الى جانب أبيه متتيا ولحق أخوه يوناثال فيمن بقى من اليهود بنواحى الاردن وتحصنوا ببرسبع فحاصرهم بعتروس هنالك أياما ثم بيتوه فهزموه وخرج يوناثال واليهود فى اتباعه فتقبضوا عليه ثم أطلقوه على مسالمة اليهود وأن لا يسير الى حربهم فهلك يوناثال اثر ذلك وقام بأمر اليهود أخوهما الثالث شمعون فاجتمع اليه اليهود من كل ناحية وعظمت عساكره وغزا جميع أعدائهم ومن ظاهر عليهم من سائر الامم وزحف اليه دمترياس قائد الروم بانطاكية فهزمه شمعون وقتل غالب عسكره ولم تعاودهم الروم بعدها بالحرب الى أن هلك شمعون وثب عليه صهره تلماى زوج أخته فقتله وتقبض على بنيه وامرأته وهرب ابنه الاكبر قانوس بن شمعون الى غزة فامتنع بها وكان اسمه يوحان وكان شجاعا قتل فى بعض الحروب شجاعا اسمه هرقانوس فسماه أبوه باسمه ثم اجتمع عليه اليهود وملكوه وسار الى بيت المقدس وفر تلماى المتوثب على أبيه الى حصن داخون فامتنع به وسار هرقانوس الى محاربته وضيق عليه وأشرف تلماى فى بعض الايام من فوق السور بأم هرقانوس وأخته يتهدده بقتلهما فكف عن الحرب وانصرف لحضور عيد المظال ببيت المقدس فقتل تلماى أخته وأمه وفر من الحصن قال ابن كريون ثم زحف دمترياس ابن سلياقوس قائد الروم الى القدس وحاصر اليهود فامتنعوا وثلم السور وراسلوه فى تأخير الحرب الى انقضاء عيدهم ففعل على أن يكون له نصيب فى القربان ووقعت فى نفسه صاغية اليهم وأهدى تماثيل للبيت فحسن موقعها عندهم وراسلوه فى الصلح على المسالمة والمظاهرة لبعض فأجاب وخرج اليه هرقانوس ملك اليهود وأعطاه ثلثمائة بدرة من الذهب استخرجها من بعض قبور بنى داود ورحل عنهم الروم وشغل هرقانوس

فى رم ماثلم من السور وحدثت خلال ذلك فتنة بين الفرس والروم فسار اليهم دمترياس فى جموع الروم وبينما ابطأ هرقانوس ملك اليهود لحضور عيدهم اذ جاءه الخبر بأن الفرس هزموا دمترياس فنهز الفرصة وزحف الى أعدائه من أهل الشأم وفتح نابلس وحصون أروم التى بجبل الشراة وقتل منهم خلقا ووضع عليهم الجزية وأخذهم بالختان والتزام أحكام التوراة وخرب الهيكل الذى بناه سنبلاط السامرى فى طول بريد باذن الاسكندر وقهر جميع الامم المجاورين لهم ثم بعث وجوه اليهود وأعيانهم الى الاشياخ والمدبرين برومة يسأل تجديد العهد وأن يردوا على اليهود ما أخذ انطيخوس ويونان من بلادهم التى صارت فى مملكة الروم فأجابوا وكتبوا له العهد بذلك وخاطبوه بملك اليهود وانما كان يسمى من سلف قبله من آبائه بالكوهن فسمى نفسه من يومئذ بالملك وجمع بين منزلة الكهنونة ومنزلة الملك وكان أول ملوك بنى حشمناى ثم سار الى مدينة السامرة صبصطية ففتحها وخربها وقتل أهلها قال ابن كريون وكان اليهود فى دينهم يومئذ ثلاث فرق فرقة الفقهاء وأهل القياس ويسمونهم الفروشيم وهم الربانيون وفرقة الظاهرية المتعلقين بظواهر الالفاظ من كتابهم ويسمونهم الصدوقية وهم القراؤن وفرقة العباد المنقطعين الى العبادة والتسبيح والزهاد فيما سوى ذلك ويسمونهم الحسيد وكان هرقانوس وآباؤه من الربانيين ففارق مذهبهم الى القرائين لانه جمع اليهود يوما عند ما تمهد أمره وأخذ بمذاهب الملك وألق به فى صنيع احتفل فيه وألان لهم جانبه وخضع فى قوله وقال أريد منكم النصيحة فطمع بعض الربانيين فيه وقال ان النصيحة أن تنزل عن الكهنونة وتقتصر على الملك وقد فاتك شرطها الان أمك كانت سبية من أيام انطيخوس فغضب لذلك وقال للربانيين قد حكمتكم فى صاحبكم فأخذوا فى تأديبه بالضرب فتنكر لهم من أجل ذلك وفارق مذهبهم الى مذهب القرائين وقتل من الربانيين خلقا كثيرا ونشأت الفتنة بين هاتين الطائفتين من اليهود واتصلت بينهم الحرب الى هذا العهد وهلك هرقانوس لاحدى وثلاثين سنة من دولته وملك بعده ابنه ارستبلوس وكان كبيرهم وكان له ولدان آخران وهما انطقنوس ويحب الملك له ويبغض الاسكندر فأبعده الى جبل الخليل فلما ملك ارستبلوس أخذ من اخوته بمذهب أبيهم وقبض على الاسكندر وأمه واستخلص انطقنوس وقدمه على العساكر واكتفى به فى الحروب وترفع عن تاج الكهنونة ولبس تاج الملك وخرج انطقنوس الى الامم المجاورين الخارجين عن طاعتهم فردهم الى الطاعة وكثرت السعاية فيه عند أخيه من البطانة وأغروه به فلما قدم انطقنوس من مغيبه وافق عيد المظال وكان أخوه ملتزما بيته لمرض طرقه فعدل انطقنوس عن بيته الى الهيكل للتبرك فأوهموا الملك أنه انما فعل ذلك لاستمالة

الكهنونية والعامة وأنه يروم قتل أخيه وعلامة ذلك أنه جاء بسلاحه فعهد ارستبلوس الى حشمانه وغلمان قصره ان جاء متسلحا أن يقتلوه وكان ذلك وتمت حيلة البطانة وسعايتهم عليه وعلم ارستبلوس ان قد خدع فى أخيه فندم واغتم ولطم صدره حتى قذف الدم من فيه وأقام عليلا بعده حولا كاملا ثم هلك فأفرجوا على أخيه الاسكندر من محبسه وبايعوا له بالملك واستقام له الامر ثم انتقض عليه عكا وأهل صيدا وأهل غزة بعثوا الى قبرص وسار الاسكندر الى عكا فحاصرها وكانت كاوبطره ملكة من بقية اليونان قد انتقض عليها ابنها واسمه الطيرو وأجاز البحر الى جزيرة قبرص فملكها فبعث أهل عكا أنهم يملكونه وأجاز اليهم فى ثلاثين ألف مقاتل حتى اذا أفرج الاسكندر عن حصارهم راجعوا أمرهم ومنعوا الطيرو من الدخول اليهم فسار فى بلاد الاسكندر ونزل على جبل الخليل فقتل منه خلقا ونزل على الاردن وفى خلال ذلك زحف الاسكندر الى صيدا ففتحها عنوة واستباحها وعاد الى القدس وقد أطاعته البلاد وحسم داء المنتقضين عليه ثم تجددت الفتنة بين اليهود بالقدس وذلك انهم اجتمعوا فى عيد المظال بالمسجد وحضر الاسكندر معهم فتلاعبوا بين يديه مراماة بما عندهم من مشموم ومأكول وأصاب الاسكندر رمية من الربانيين فغضب لها وشاتمهم القراؤن بما كانوا من شيعته فشتموا الاسكندر وقتلوا الشاتم وأصحابه فلم يغن عنهم وعظم فيهم الفتك وانفض الجمع وعهد الاسكندر ان يستد المذبح والكهنة بحائط عن الناس ونفذ أمره بذلك واتصلت الفتنة بين اليهود ست سنين قتل من الربانيين نحو من خمسين ألفا والاسكندر يعين القرائين عليهم وبعثوا الى دمتريوس المسمى انطيخوس وبذلوا له المال فسار معهم الى نابلس ولقى الاسكندر فهزمه وقتل عامة أصحابه ورجع فخرج الاسكندر الى الربانيين وأثخن فيهم وظفر منهم بجماعة تزيد على ثلثمائة فقتلهم صبرا وقهر سائر اليهود وسار الى دمتريوس ففتح الكثير من بلاده وخرج فظفر به الاسكندر وقتله وعاد الى بيت المقدس لثلاث سنين فى محاربة الربانيين ودمتريوس فاستقام أمره وعظم سلطانه ثم طرقه المرض فقام عليلا ثلاثا آخرين وخرج بعدها لحصار بعض الحصون وانتقضوا عليه فمات هنالك وأوصى امرأته الاسكندرة بكتمان موته حتى يفتح الحصن وتسير بشلوه الى القدس فتدفنه فيه وتصانع الربانيين على ولدها فتملكه لان العامة اليهم أميل ففعلت ذلك واستدعت من كان نافرا من الربانيين وجمعتهم وقدمتهم للشورى واستبدت بالملك وكان لها ابنان من الاسكندر بن هرقانوس اسم الاكبر منهما هرقانوس والآخر ارستبلوس وكانا صغيرين عند موت أبيهما فلما كبرا عينت هرقانوس للكهنونة وقدمت ارستبلوس على العساكر والحروب وضمت اليه الربانيين وأخذت الرهن من جميع الامم

وسألها الربانيون في الاخذ بثارهم من القرائين خلقا كثيرا وجاء القراؤون الى ابنها الكهنون يشكرون ذلك وأنه اذا فعل بهم ذلك وقد كانوا شيعا لابيه الاسكندر وقد تحدث النفرة من سائر الناس وسألوه أن يلتمس لهم اذنها في الخروج عن القدس والبعد عن الربانيين فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة وخرج معهم وجوه العسكر ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها ويقال ان ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها وكان ابنها ارستبلوس قائد العسكر لما شعر بموتها خرج الى القرائين يستدعيهم الى نصرته فأجازوه وتقبضت هي على أبنيه وامرأته واجتمعت عليه العساكر من النواحي وضرب البوق وزحف لحرب أخيه هرقانوس والربانيين وحاصرهم ارستبلوس ببيت المقدس وعزم على هدم الحصن فخرج اليه أعيان اليهود والكهنونية ساعين في الصلح بينهما وأجاب على أن يكون ملكا ويبقى هرقانوس على الكهنونية فتم ذلك واستقر عليه أمره

(ابتداء أمر انظفتر أبو هيردوس)

ثم سعى في الفتنة بينهما انظفتر أبو هيردوس وكان من عظماء بني اسرائيل من الذين جمعوا مع العزير من بابل وكان ذا شجاعة وبأس وله يسار وقنية من الضياع والمواشي وكان الاسكندر قد ولاه على بلاد أروم وهي جبال الشراة فأقام في ولايتها سنين وكثر ماله وأنكحوه منهم فكان له منها أربعة من الابناء وهم فسيلو وهيردوس وفرودا ويوسف وبنت اسمها سلومث وقيل ان انظفتر لم يكن من بني اسرائيل وانما كان من أروم وربي في جملة بني حشمناي وبيوتهم فلما مات الاسكندر وملكت زوجته الاسكندرة عزلته عن جبال الشراة فأقام بالقدس حتى اذا استبد بالامر ارستبلوس وكان بين هرقانوس وانظفتر مودة وصحبة فغص ارستبلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر انظفتر وهم بقتله فانقبض عنه وأخذ في التدبير على ارستبلوس وفشا في الناس تبغضه اليهم وينكر تغلبه ويذكر لهم أن هرقانوس أحق بالملك منه ثم حذر هرقانوس من أخيه وخيل اليه أنه يريد قتله وبعث لشيعة هرقانوس المال على تخويفه من ذلك حتى تمكن منه الخوف ثم أشار عليه بالخروج الى ملك العرب هرثمة وكان يحب هرقانوس فعقد معه عهدا على ذلك ولحق هرقانوس بهرثمة ومعه انظفتر ثم دعوا هرثمة الى حرب ارستبلوس فأجابهم بعد مراوغة وتزاحفوا ونزع الكثير من عسكر ارستبلوس الى هرقانوس فرجع هاربا الى القدس ونازلهم هرقانوس وهرثمة واتصلت الحرب وطال الحصار وحضر عيد الفطير وافتقد اليهود القرابين فبعثوا الى أصحاب هرقانوس فيها فاشتطوا في الثمن ثم أخذوه ولم يعطوهم شيئا وقتلوا بعض النساك طالبوه في الدعاء على

أرستبلوس وأصحابه وامتنع فقتلوه ووقع فيهم الوباء فمات منهم أمم قال ابن كريون وكان الارمن ببلاد دمشق وحمص وحلب وكانوا في طاعة الروم فانتقضوا عليهم في هذه المدة وحدثت عندهم صاغية الى الفرس فبعث الروم قائدهم فقيوس فخرج لذلك من رومية وقدم بين يديه قائده سكانوس فطوع الارمن ولحق دمشق ثم لحقه فقيوس ونزل بها وتوجهت اليه وجوه اليهود في اثرهم وبعث اليه ارستبلوس من القدس وهرقانوس من مكان حصاره كل واحد منهما يستنجده على أخيه وبعثوا اليه بالاموال والهدايا فأعرض عنهما وبعث الى هرثمة ينهاه عن الدخول بينهما فرحل عن القدس ورحل معه هرقانوس وانظفتر وأعاد ارستبلوس رسله وهداياه من بيت المقدس وألح في الطلب وجاء انظفتر الى فقيوس بغير مال ولا هدية فتمكث عنه فقيوس فرجع الى رغبته ومسح أعطافه وضمن له طاعة هرقانوس الذي هو الكهنوت الاعظم ويحصل بعد ذلك إضعاف ارستبلوس فأجابه فقيوس على أن يتحيل له في الباطن ويكون ظاهره مع ارستبلوس حتى يتم الامر وعلى أن يحملوا الخراج عند حصول أمرهم فضمن انظفتر ذلك وحضر هرقانوس وارستبلوس عند فقيوس القائد يتظلم كل واحد من صاحبه فوعدهم بالنظر بينهم اذا حل بالقدس وبعث انظفتر في جميع الرعايا فجاؤا شاكين من ارستبلوس فأمره فقيوس من انصافهم فغضب لذلك واستوحش وهرب من معسكر فقيوس وتحصن في القدس وسار فقيوس في اثره فنزل اريحا ثم القدس وخرج ارستبلوس واستقال فأقاله وبذل له الاموال على أن يعينه على أخيه ويحمل له ما في الهيكل من الاموال والجواهر وبعث معه قائده لذلك فمنعهم الكهنونية وثارت بهم العامة وقتلوا بعض أصحاب القائد وأخرجوه فغضب فقيوس وتقبض حينئذ على ارستبلوس وركب ليقتحم البلد فامتنعت عليه وقتل جماعة من أصحابه فرجع وأقام عليهم ووقعت الحرب بالمدينة بين شيع ارستبلوس وهرقانوس وفتح بعض اليهود الباب لفقيوس فدخل البلد وملك القصر وامتنع الهيكل عليه فأقام يحاصره أياما وصنع آلة الحصار فهدم بعض أبراجه واقتحمه عنوة ووجد الكهنونية على عباداتهم وقرباناتهم مع تلك الحرب ووقف على الهيكل فاستعظمه ولم يمد يده الى شيء من ذخائره وملك عليهم هرقانوس وضرب عليهم الخراج يحمله كل سنة ورفع يد اليهود عن جميع الامم الذين كانوا في طاعتهم ورد عليهم البلدان التي ملكها بنو حشمناي ورجع الى رومة واستخلف هرقانوس وانظفتر على المقدس وأنزل معهما قائده سكانوس الذي قدمه لفتح دمشق وبلاد الارمن عندما خرج من رومية وحمل ارستبلوس وابنيه مقيدين معه وهرب الثالث من بنيه وكان يسمى الاسكندر ولحقه فلم يظفر به ولما بعد فقيوس عن الشأم ذاهبا الى مكانه خرج هرقانوس وانظفتر الى

العرب ليحملوهم على طاعة الروم فخالفهم الاسكندر بن ارستبلوس الى المقدس وكان
متغيبا بتلك النواحى منذ مغيب أبيه لم يبرح فدخل الى المقدس وملكه اليهود عليهم وبنى
ما هدمه ففقيوس من سور الهيكل واجتمع اليه خلق كثير ورجع هرقانوس وانطفتر فسار
اليهم الاسكندر وهزمهم وأثخن فى عساكرهم وكان قائد الروم كينانوس قد جاء الى بلاد
الارمن من بعد ففقيوس فلحق به واستنصره على الاسكندر فسار معه الى القدس
وخرج اليهم الاسكندر فهزموه ومضى الى حصن له يسمى الاسكندرونة واعتصم به
وسار هرقانوس الى القدس فاستولى على ملكه وسار كينانوس قائد الروم الى الاسكندر
فحاصره بحصنه واستأمن اليه فقبله وعفا عنه وأحسن اليه وفى اثناء ذلك هرب
ارستبلوس أخو هرقانوس من محبسه برومية وابنه انطقنوس واجتمع اليه فحاربه
كينانوس وهزمه وحصل فى أسره فرده الى محبسه برومية ولم يزل هنالك الى أن تغلب
قيصر على رومية واستحدث الملك فى الروم وخرج ففقيوس من رومية الى نواحى عمله
وجمع العساكر لمحاربة قيصر فأطلق ارستبلوس من محبسه وأطلق معه قائدين فى اثنى
عشر ألف مقاتل وسرحهم الى الارمن واليهود ليردوهم عن طاعة ففقيوس وكتب
ففقيوس الى انطفتر بيت المقدس أن يكفيه أمر ارستبلوس فبعث قوما من اليهود
لقوه فى بلاد الارمن ودسوا له سما فى بعض شرابه كان فيه حتفه وقد كان كينانوس كاتب
الشيخ صاحب رومية فى اطلاق من بقى من ولد ارستبلوس فأطلقهم قال ابن كريون
وكان أهل مصر لذلك العهد انتقضوا على ملكهم تلماى وطردوه وامتنعوا من
حمل الخراج الى الروم فسار اليهم واستنفر معه انطفتر فغلبهم وقتلهم ورد تلماى الى
ملكه واستقام أمر مصر ورجع كينانوس الى بيت المقدس فجدد الملك لهرقانوس وقدم
انطفتر مدبرا المملكة وسار الى رومية قال ابن كريون ثم غضبت الفرس على الروم فندبوا
الى ذلك قائدا منهم يسمى عرنبوس وبعثوه لحربهم فمر بالقدس ودخل الى الهيكل
وطالب الكهنون بما فيه من المال وكان يسمى العازر من صلحاء اليهود وفضلائهم
فقال له ان كينانوس وففقيوس لم يفعلوا ذلك بك فاشتد عليه فقال أعطيك ثلثمائة من
الذهب وتجافى عن الهيكل ودفع اليه سبيكة ذهب على صورة خشبة كانت تلتقى عليها
الصور التى تنزل من الهيكل الذى تجدد وكان وزنها ثلثمائة فأخذها ونقض القول
وتعدى على الهيكل وأخذ جميع ما فيه من منذ عمارتها من الهدايا والغنائم وقربانات
الملوك والامم وجميع آلات القدس وسار الى لقاء الفرس فحاربوه وهزموه وأخذوا جميع
ما كان معه وقتل واستولت الفرس على بلاد الارمن دمشق وحمص وحلب وما
اليها وبلغ الخبر الى الروم فجهزوا قائدا عظيما فى عساكر جمة اسمه كسنا وفد خل بلاد

الارمن

الارمن الذين كانوا غلبوا عليها وساروا الى القدس فوجد اليهود يحاربون هرقانوس
وانطفتر فأعانهما حتى استقام ملك هرقانوس ثم سار الى الفرس فى عساكره فغلبهم وحملهم
على طاعة الروم ورد الملوك الذين كانوا عصوا عليهم الى الطاعة وكانوا اثنين وعشرين ملكا
من الفرس كان ففقيوس قائد الروم هزمهم فلما سار عنهم انتقضوا قال ابن كريون ثم ابتدا
أمر القياصرة وملك على الروم يولياس ولقبه قيصر لان أمه ماتت حاملا به عند مخاضها
فشق بطنها عنه فلذلك سمى قيصر ومعناه بلغتهم القاطع ويسمى أيضا يولياس باسم الشهر
الذى ولد فيه وهو يوليه خامس شهورهم ومعنى هذه اللفظة عندهم الخامس وكان
الثلثمائة والعشرون المدبرون أمر الروم والشيخ الذى عليهم قد أحكموا أمرهم مع
جماعة الروم على أن لا يقدموا عليهم ملكا وأنهم يعينون للحروب فى الجهات قائدا بعد
آخر هذا ما اتفقوا عليه النقلة فى الحكاية عن أمر الروم وابتداء ملك القياصرة قالوا ولما
رأى قيصر هذا الشيخ الذى كان لذلك العهد كبروشب على غاية من الشجاعة والاقدام
فكانوا يبعثونه قائدا على العساكر الى النواحى فأخرجوه مرة الى المغرب ففتح البلاد
ورجع فسمت نفسه الى الملك فاستمعوا له وأخبروه ان هذا سنة آبائهم منذ أحقاب
وحدثوه بالسبب الذى فعلوا ذلك لاجله وهو أمر كيوس وانه عهد لاولهم لا ينتقض
وقد دوخ ففقيوس الشرق وطوع اليهود ولم يطمع فى هذا فوثب عليهم قيصر وقتلهم
واستولى على ملك الروم منفردا به وسمى قيصر وسار الى ففقيوس بمصر فظفر به وقتله
ورجع فوجد بتلك الجهات قواد ففقيوس فسار اليهم يولياس قيصر ومر ببلاد
الارمن فأطاعوه وكان عليهم ملك اسمه متردات فبعثه قيصر الى حربهم فسار فى الارمن
ولقيه هرقانوس ملك اليهود بعسقلان ونفر معه الى مصر هو وانطفتر ليحدوا بعض
ما عرف منهم من موالاة ففقيوس وساروا جميعا الى مصر ولقيتهم عساكرها واشتد
الحرب فحصر بلادهم وكادت الارمن أن ينهزموا فثبت انطفتر وعساكر اليهود وكان
لهم الظفر واستولوا على مصر وبلغ الخبر الى قيصر فشكر لانطفتر حسن بلائه واستدعاه
فسار اليه مع ملك الارمن متردات فقبله وأحسن وعده وكان أنطقنوس بن ارستبلوس
قد اتصل بقيصر وشكى بأن هرقانوس قتل أباه حين بعثه أهل رومة لحرب ففقيوس
فتحيل عليه هرقانوس وانطفتر وقتلاه مسموما فأحسن انطفتر العذر لقيصر بأنه انما
فعل ذلك فى خدمة من ملك علينا من الروم وانما كنت ناصحا لقائدهم ففقيوس
بالامس وأنا اليوم أيها الملك لك أنصح وأحب فحسن موقع كلامه من قيصر ورفع منزلته
وقدمه على عساكره لحرب الفرس فسار اليه انطفتر وأبلى فى تلك الحروب ومناصحة
قيصر فلما انقلبوا من بلاد الفرس أعادهم قيصر الى ملك بيت المقدس على ما كانوا عليه

واستقام الملك لهرقانوس وكان خيرا الا انه كان ضعيفا عن لقاء الحروب فتغلب عليه انطفتر واستبد على الدولة وقدم ابنه فسيلو ناظرا فى بيت المقدس وابنه هيردوس عاملا على جبل الخليل وكان كما بلغ الحلم واحتازوا الملك من أطرافه وامتلأ أهل الدولة منهم حسدا وكثرت السعاية فيهم وكان فى أطراف عملهم ثائر من اليهود يسمى حزقيا وكان شجاعا صعلوكا واجتمع اليه أمثاله فكانوا يغيرون على الارمن وينالون منهم وعظمت نكايتهم فيهم فشكى عامل بلاد الارمن وهو سفيوس بن عم قيصر الى هيردوس وهو بجبل الخليل مافعله حزقيا وأصحابه فى بلادهم فبعث هيردوس اليهم سرية فكبسوهم وقتل حزقيا وغيره منهم وكتب بذلك الى سفيوس فشكره وأهدى اليه ونكر اليهود ذلك من فعل هيردوس وتظلموا منه عند هرقانوس وطلبوه فى القصاص منه فأحضروه فى مجلس الاحكام وأحضر السبعين شيخا من اليهود وجاء هيردوس متسلحا ودافع عن نفسه وعلم هرقانوس بغرض الاشياخ ففصلوا المجلس فنكروا ذلك على هرقانوس ولحق هيردوس ببلاد الارمن فقدمه سفيوس على عمله ثم أرسل هرقانوس الى قيصر يسال تجديد عهود الروم لهم فكتب له بذلك وأمر بأن يحمل أهل الساحل خراجهم الى بيت المقدس ما بين صيدا وغزة ويحمل أهل صيدا اليها فى كل سنة عشرين ألف وسق من القمح وأن يرد على اليهود سائر ما كان بأيديهم الى الفرات واللاذقية وأعمالها وما كان بنو حشمناى فتحوه عنوة من عدوات الفرات لان ذقيوس كان يتعدى عليهم فى ذلك وكتب العهد بذلك فى ألواح من نحاس بلسان الروم ويونان وعلقت فى أسوار صور وصيدا واستقام أمر هرقانوس قال ابن كريون ثم قتل قيصر ملك الروم وانطفتر وزير هرقانوس المستبد عليه أما قيصر فوثب عليه كيساوس من قواد ذقيوس فقتله وملك وجمع العساكر وعبر البحر الى بلاد أشيت ففتحها ثم سار الى القدس وطالبهم بسبعين بدرة من الذهب فجمع له انطفتر وبنوه من اليهود ثم رجع كيساوس الى مقدونيه فأقام بها وأما انطفتر فان اليهود داخلوا القائد ملكيا الذى كان بين أظهرهم من قبل كيساوس فى قتل انطفتر وزير هرقانوس فأجابهم الى ذلك فدسوا الى ساقيه سما فقتله وجاء ابنه هيردوس الى القدس مجمعا قتل هرقانوس فكفه فسيلو عن ذلك وجاء كيساوس من مقدونية الى صور ولقى هرقانوس وهيردوس وشكوا اليه مافعله قائده ملكيا من مداخلة اليهود فى قتل انطفتر فأذن لهم فى قتله فقتلوه ثم زحف كينانوس بن اخى قيصر وقائده انطيوس فى العساكر لحرب كيساوس المتوثب على عمه قيصر فلقيهم قريبا من مقدونية فظفر به وقتلاه وملك كينانوس مكان عمه وسمى أوغسطس قيصر باسم عمه فأرسل اليه هرقانوس ملك اليهود بهدية وفيها تاج من الذهب مرصع بالجواهر

وسأل تجديد العهد لهم وان يطلق السبى الذى سبى منهم أيام كيساوس وان يرد اليهود الى بلاد يونان وأثينة وأن يجرى لهم ما كان رسم به عمه قيصر فأجابه الى ذلك كله وسار انطيانوس وأوغشطش قيصر الى بلاد الارمن بدمشق وحمص فلقته هنالك كلبطرة ملكة مصر وكانت ساحرة فاستأمنته وتزوجها وحضر عنده هرقانوس ملك اليهود وجاء جماعة من اليهود فشكوا من هيردوس وأخيه فسيلو وتظلموا منهما وأكذبهم ملكهم هرقانوس وأبى عليها وأمر انطيانوس بالقبض على أولئك الشاكين وقتل منهم ورجع هيردوس وأخوه فسارا الى مكانهما ومكان أبيهما من تدبير مملكة هرقانوس وسار انطيانوس الى بلاد الفرس فدوخها وعاث فى نواحيها وقهر ملوكهم وقفل الى رومة قال ابن كريون وفى خلال ذلك لحق انطقنوس وجماعة من اليهود بالفرس وضمنوا لملكهم أن يحملوا اليه بدرة من الذهب وثمانمائة جارية من بنات اليهود ورؤسائهم يسبين له على ان يملكه مكان عمه هرقانوس ويسلمه اليه ويقتل هيردوس وأخاه فسيلو فأجابهم ملك الفرس الى ذلك وسار فى العساكر وفتح بلاد الارمن وقتل من وجد بها من قواد الروم ومقاتلتهم وبعث قائده بعسكر من القدس مع انطقنوس موريا بالصلاة فى بيت المقدس والتبرك بالهيكل حتى اذا توسط المدينة ثار بها وأثخن فى القتل وبادر هيردوس الى قصر هرقانوس ليحفظه ومضى فسيلو الى الحصن يضبطه وتورط من كان بالمدينة من الفرس فقتلهم اليهود عن آخرهم وامتنعوا على القائد وفسد ما كان دبره فى أمر انطقنوس فرجع الى استمالة هرقانوس وهيردوس وطلب الطاعة منهم للفرس وانه يتلطف لهم عند الملك فى اصلاح حالهم فصغى هرقانوس وفسيلو الى قوله وخرجوا اليه وارتاب هيردوس وامتنع فارتحل بهما قائد الفرس حتى اذا بلغ الملك ببلاد الارمن تقبض عليهما فمات فسيلو من ليلته وقيد هرقانوس واحتمله الى بلاده وأشار انطقنوس بقطع أذنه ليمنعه من الكهنونة ولما وصل ملك الفرس الى بلاده أطلق هرقانوس من الاعتقال وأحسن اليه الى أن استدعاه هيردوس كما يأتى بعد وبعث ملك الفرس قائده الى اليهود مع انطقنوس ليملك فخرج هيردوس عن القدس الى جبل الشراة فترك عياله بالحصن عند أخيه يوسف وسار الى مصر يريد قيصر فأكرمته كلبطرة ملكة مصر وأركبته السفن الى رومة فدخل بها انطيانوس الى أوغشطش قيصر وخبره الخبر عن الفرس والقدس فملكه أوغشطش وألبسه التاج وأركبه فى رومية فى زى الملك والهاتف بين يديه بأن أوغشطش ملكه واحتفل انطيانوس فى صنيع له حضره الملك أوغشطش قيصر وشيوخ رومية وكتبوا له العهد فى ألواح من نحاس ووضعوا ذلك اليوم التاريخ وهو أول ملك هيردوس وسار انطيانوس بالعسكر الى الفرس ومعه هيردوس وفارقه من انطاكية وركب البحر الى القدس لحرب انطقنوس فخرج

انطقنوس الى جبال الشراة للاستيلاء على عيال هيردوس وأقام على حصار الحصن وجاء هيردوس فحاربه وخرج يوسف من الحصن من ورائه فانهزم انطقنوس الى القدس وهلك أكثر عسكره وحاصره هيردوس وبعث انطقنوس بالاموال الى قواد العسكر من الروم فلم يجيبوه وأقام هيردوس على حصاره حتى جاءه الخبر عن انطيانوس قائد قيصر انه ظفر بملك الفرس وقتله ودوخ بلادهم وانه عاد ونزل الفرات فترك هيردوس أخاه يوسف على حصار القدس مع قائد الروم سيساو ومن تبعهم من الارمن وسار للقاء انطيانوس وبلغه وهو بدمشق ان أخاه يوسف قتل فى حصار القدس على يد قائده انطقنوس وان العساكر انفضت ورجعوا الى دمشق وجاء سيساو منهزما قائد انطيانوس بالعساكر وتقدم هيردوس وقد خرج انطقنوس للقائه فهزمه وقتل عامة عسكره واتبعه الى القدس ووافاه سيساو قائد الروم فحاصروا القدس أياما ثم اقتحموا البلد وتسللوا صاعدين الى السور وقتلوا الحرس وملكوا المدينة وأفحش سيساو فى قتل اليهود فرغب اليه هيردوس فى الابقاء وقال له اذا قتلت قومى فعلى من تملكنى فرفع القتل عنهم وردما نهب وقرب الى البيت تاجا من الذهب وضعت فيه وحمل اليه هيردوس أموالا ثم عثروا على انطقنوس مختفيا بالمدينة فقيده سيساو القائد وسار به الى انطيانوس وقد كان سار من الشأم الى مصر فجاءه بانطقنوس هنالك ولحقهم هيردوس وسأل من انطيانوس قتل انطقنوس فقتله واستبد هيردوس بملك اليهود وانقرض ملك بنى حشمناى والبقاء لله وحده

(انقراض ملك بنى حشمناى وابتداء ملك هيردوس وبنيه)

وكان أول ما افتتح به ملكه ان بعث الى هرقانوس الذى احتمله الفرس وقطعوا أذنه يستقدمه ليأمن على ملكه من ناحيته ورغبه فى الكهنونية التى كان عليها فرغب وحذره ملك الفرس من هيردوس وعزله اليهود الذين معه وأراه انها خديعة وانه العيب الذى به يمنع الكهنونية فلم يقبل شيئا من ذلك وصغى الى هيردوس وحسن ظنه به وسار اليه وتلقاه بالكرامة والاعطاء وكان يخاطبه بأبى فى الجمع والخلوة وكانت الاسكندرة بنت هرقانوس تحت الاسكندر وابن أخيه ارستبلوس وكانت بنتها منه مريم تحت هيردوس فاطلعتا على ضمير هيردوس من محاولة قتله فخبرتاه بذلك وأشارتا عليه باللحاق بملك العرب ليكون فى جواره فخاطبه هرقانوس فى ذلك وأن يبعث اليه من رجالاتهم من يخرج به الى أحيائهم وكان حامل الكتاب من اليهود مضطغنا على هرقانوس لانه قتل أخاه وسلب ماله فوضع الكتاب فى يد هيردوس فلما قرأه رده اليه وقال أبلغه الى ملك العرب وأرجع الجواب الى فجاءه بالجواب من ملك

العرب الى هرقانوس وانه أسعف وبعث الرجال فالقهم بوصولك الى فبعث هيردوس من يقبض على الرجال بالمكان الذى عينه وأحضرهم وأحضر حكام البلاد اليهود والسبعين شيخا وأحضر هرقانوس وقرأ عليه الكتاب بخطه فلم يحرجوا ابا وقامت عليه الحجة وقتله هيردوس لوقته لثمانين سنة من عمره وأربعين من ملكه وهو آخر ملوك بنى حشمناى وكان للاسكندر بن ارستبلوس ابن يسمى ارستبلوس وكان من أجمل الناس صورة وكان فى كفالة أمه الاسكندرة وأخته يومئذ تحت هيردوس كما قلناه وكان هيردوس يغص به وكانت أخته وأمهما يؤملان أن يكون كوهنا بالبيت مكان جده هرقانوس وهيردوس يريد نقل الكهنونة عن بنى حشمناى وقدم لها رجلا من عوام الكهنونية وجعله كبير الكهنونية فشق ذلك على الاسكندرة بنت هرقانوس وبنتها مريم زوج هيردوس وكان بين الاسكندرة وكاوبطره ملكة مصر مواصلة ومهاداة وطلبت منها أن تشفع زوجها انطيانوس فى ذلك الى هيردوس فاعتذر له هيردوس بأن الكواهن لا تعزل ولو أردنا ذلك فلا يمكننا أهل الدين من عزله فبعثت بذلك الاسكندرة ودست الاسكندرة الى الرسول الذى جاء من عند انطيانوس وأتحفته بمال فضمن لهم أن انطيانوس يعزم على هيردوس فى بعث ارستبلوس اليه ورجع الى انطيانوس فرغبه فى ذلك ووصف له من جماله وأغراه باستقدامه فبعث فيه انطيانوس الى هيردوس وهدده بالوحشة ان منعه فعلم أنه يريد منه القبيح فقدمه كهنونا وعزل الاول واعتذر لانطيانوس بأن الكوهن لا يمكن سفره واليهود تنكر ذلك فأغفل انطيانوس الامر ولم يعاود فيه ووكل هيردوس بالاسكندرة بنت هرقانوس عهدته من يراعى أفعالها فاطلع على كتبها الى كاوبطره أن تبعث اليها السفن والرجال يوصلنها اليها وأن السفن وصلت الى ساحل يافا وان الاسكندرة صنعت تابوتين لتخرج فيهما هى وابنها على هيئة الموتى فأرصد هيردوس من جاء بهما من المقابر فى تابوتيهما فوبخهما ثم عفا عنهما ثم بلغه أن ارستبلوس حضر فى عيد المظال فصعد على المذبح وقد لبس ثياب القدس وازدحم الناس عليه وظهر من ميلهم اليه ومحبتهم ما لا يعبر عنه فغص بذلك واعمل التدبير فى قتله فخرج فى متنزه له باريحا فى نيسان واستدعى أصحابه وأحضر ارستبلوس فطعموا ولعبوا وانغمسوا فى البرك يسبحون وعمد غلمان هيردوس الى ارستبلوس فغمسوه فى الماء حتى شرق وفاض فاغتم الناس لموته وبكى عليه هيردوس ودفنه وكان موته لسبع عشرة سنة من عمره وتأكدت البغضاء بين الاسكندرة وابنتها مريم زوج هيردوس أخت هذا الغريق وبين أم هيردوس وأخته وكثرت شكواهما اليه فلم يشكهما المكان زوجته مريم وأمها منه قال ابن كريون ثم انتقض انطيانوس على أوغشطش قيصر

وذلك انه تزوج كلوبطره وملك مصر وكانت ساحرة فسحرته واستمالته وحملته على قتل
ملوك كانوا فى طاعة الروم وأخذ بلادهم وأموالهم وسبى نسائهم وأموالهم وأولادهم
وكان من جملتهم هيردوس وتوقف فيه خشية من أوغشطش قيصر لانه كان يكرمه
بسبب ماصنع فى الآخرين فحمله على الانتقاض والعصيان ففعل وجمع العسكر
واستدعى هيردوس فجاءه وبعثه الى قتال العرب وكانوا خالفوا عليه فمضى هيردوس
لذلك ومعه أثيناون قائد كلوبطره وقد دست له أن يجر الهزيمة على هيردوس ليقتل ففعل
وثبت هيردوس وتخلص من المعترك بعد حروب صعبة هلك فيها بين الفريقين خلق كثير
ورجع هيردوس الى بيت المقدس فصالح جميع الملوك والامم المجاورين له وامتنع العرب
من ذلك فسار اليهم وحاربهم ثم استباحهم بعد أيام ومواقف بذلوا وجمعوا له الاموال
وفرض عليهم الخراج فى كل سنة ورجع وكان انطيانوس لما بعثه الى العرب سار هو الى
رومة وكانت بينه وبين أوغشطش قيصر حروب هزمه قيصر فى آخرها وقتله وسار الى
مصر فخافه هيردوس على نفسه لما كان منه فى طاعة انطيانوس وموالاته ولم يمكنه
التخلف عن لقائه فأخرج خدمه من القدس فبعث بأمه وأخته الى قلعة الشراة لنظر
أخيه فرودا وبعث بزوجه مريم وأمه الاسكندرة الى حصن الاسكندرونة لنظر زوج
أخته يوسف ورجل آخر من خالصته من أهل صور اسمه سوما وعهد اليهما بقتل زوجته
وأمها ان قتله قيصر ثم حمل معه الهدايا وسار الى قيصر أوغشطش وكان تحقد له صحبة
انطيانوس فلما حضر بين يديه عنفه وأزاح التاج عن رأسه وهم بعقابه فتلطف هيردوس
فى الاعتذار وأن موالاته لانطيانوس انما كان لما أولى من الجميل فى السعاية عند الملك
وهى أعظم أياديه عندى ولم تكن موالاتى له فى عداوتك ولا فى حربك ولو كان ذلك
وأهلكت نفسى دونه كنت غير ملوم فان الوفاء شأن الكرام فان أزلت عنى التاج فما
أزلت عقلى ولا نظرى وان أبقيتنى فأنا محل الصنيعة والشكر فانبسط أوغشطش
لكلامه وتوجه كما كان وبعثه على مقدمته الى مصر فلما ملك مصر وقتل كلوبطره وهب
لهيردوس جميع ما كان انطيانوس أعطاها اياه ونفل فأعاد هيردوس الى ملكه ببيت
المقدس وسار الى رومة قال ابن كريون ولما عاد هيردوس الى بيت المقدس أعاد حرمه
من أماكنهن فعادت زوجته مريم وأمها من حصن الاسكندرونة وفى خدمتها يوسف
زوج أخته وسوما الصورى وقد كانا حدثا المرأة وأمها بما أسر اليهما هيردوس وقد
كان سلف منه قتل هرقانوس وارستبلوس فشكرتاه وبينما هو آخذ فى استمالة زوجته
اذ رمتها أخته بالفاحشة مع سوما الصورى فى ملاحاة جرت بينهما ولم يصدق ذلك
هيردوس للعداوة والثقة بعفة الزوجة ثم جرى منها فى بعض الايام وهو فى سبيل استمالتها

عتاب فيما أسر الى سوما وزوج أخته فقويت عنده الظنة بهم جميعا وان مثل هذا
السر لم يكن الالامر مريب وأخذ فى اخفائها واقصائها ودست عليه أخته بعض
النساء تحدثه بأن زوجته داخلته فى أن تستحضر السم وأحضره فجرب وصح وقتل
للحين صهره يوسف وصاحبه سوما واعتقل زوجته ثم قتلها وندم على ذلك ثم بلغه عن
أمها الاسكندرة مثل ذلك فقتلها وولى على أروم مكان صهره رجلا منهم اسمه كرسوس
وزوجه أخته فسار الى عمله وانحرف عن دين التوراة والاحسان الذى حملهم عليه
هرقانوس وأباح لهم عبادة صنمهم وأجمع الخلاف وطلق أخت هيردوس فسعت به الى
أخيها وخبرته بأحواله وأنه آوى جماعة من بنى حشمناى المرشحين للملك منذ اثنى عشر
سنة فقام هيردوس فى ركابه وبحث عنه فحضر وطالبه ببنى حشمناى الذين عنده
فأحضرهم فقتله وقتلهم وأرهف حده وقتل جماعة من كبار اليهود ومقدميهم اتهمهم
بالانكار عليه فأذعن له الناس واستفحل ملكه وأهمل المراعاة لوصايا التوراة وعمل
فى بيت المقدس سورا واتخذ منزه لعب وأطلق فيه السباع ويحمل بعض الجهلة على
مقابلتها فتفترسهم فنكر الناس ذلك وأعمل أهل الدولة الحيلة فى قتله فلم تتم لهم وكان
يمشى متنكرا للتجسس على أحوال الناس فعظمت هيبته فى النفوس وكان أعظم
طوائف اليهود عنده الربانيون بما تقدم لهم فى ولايته وكان لطائفة العباد من اليهود
المسمى بالحسيد مكانة عنده أيضا كان شيخهم مناحيم لذلك العهد محدثا وكان حدثه
وهو غلام بمصير الملك له وأخبره وهو ملك بطول مدته فى الملك فدعا له ولقومه وكان كلفا
ببناء المدن والحصون ومدينة قيسارية من بنائه ولما حدثت فى أيامه المجاعة شمرلها
وأخرج الزرع للناس وبثه فيهم بيعا وهبة وصدقة وأرسل فى الميرة من سائر النواحى
وأمر قيصر فى سائر تخومه وفى مصر ورومة أن يحملوا الميرة الى بيت المقدس فوصلت
السفن بالزرع الى ساحلها من كل جهة وأجرى على الشيوخ والايتام والارامل
والمنقطعين كفايتهم من الخبز وعلى الفقراء والمساكين كفايتهم من الحنطة وفرق على
خمسين ألفا قصدوه من غير دولته فرفعت المجاعة وارتفع له الذكر والثناء الجميل قال ابن
كريون ولما استفحل ملكه وعظم سلطانه أراد بناء البيت على ما بناه سليمان بن داود
لانهم لما رجعوا الى القدس باذن كورش عين لهم مقدار البيت لا يتجاوزونه فلم يتم على
حدود سليمان ولما اعتزم على ذلك ابتدأ أولا باحضار الآلات مستوفيات خشية أن
يحصل الهدم وتطول المدة وتعرض القواطع والموانع فأعد الآلات وأكمل جمعها
فى ست سنين ثم جمع الصناع للبناء وما يتعلق به فكانوا عشرة آلاف وعين ألفا من
الكهنة يتولون القدس الاقدس الذى لا يدخله غيرهم ولما تم له ذلك شرع فى الهدم

فحصل لاقرب وقت ثم بنى البيت على حدوده وهيئته أيام سليمان وزاد فى بعض المواضع
على ما اختاره ووقف عليه نظره فكمل فى ثمان سنين ثم شرع فى الشكر لله تعالى على
ما هيأ له من ذلك فقرب القربان واحتفل فى الولائم واطعام الطعام وتبعه الناس فى ذلك
أياما فكانت من محاسن دولته قال ابن كريون ثم ابتلاه الله بقتل أولاده وكان له ولدان
من مريم بنت الاسكندرة قتيلة السم أحدهما الاسكندر والآخر ارستبلوس وكانا
عند قتل أمهما غائبين برومة يتعلمان خط الروم فلما وصلا وقد قتل أمهما حصلت بينه
وبينهما الوحشة وكان له ولد آخر اسمه انطفتر على اسم جده وكان قد أبعد أمه راسيس
لمكان مريم فلما هلكت واستوحش من ولدها الطلب محل راسيس منه قدم ابنها انطفتر
وجعله ولى عهده وأخذ فى السعاية على اخوته خشية منهما بأنهما يرومان قتل أبيهما
فانحرف عنهما واتفق أن سار الى أوغشطش قيصر ومعه ابنه اسكندر فشكاه عنده
وتبرأ الاسكندر وحلف على براءته فأصلح بينهما قيصر ورجع الى القدس وقسم القدس
بين ولده الثلاثة ووصاهم ووصى الناس بهم وعهد أن لا يخالطوهم خشية مما يحدث عن
ذلك وانطفتر مع ذلك متماد على سعايته بهما وقد داخل فى ذلك عمه قدودا وعمته
سلومنت فأغروا أباه بأخويه المذكورين حتى اعتقلهما وبلغ الخبر ارسلاوش ملك
كفتور وكانت بنته تحت الاسكندر منهما فجاء الى هيردوس مظهرا السخط على
الاسكندر والانحراف عنه وتحيل فى اظهار براءتهما وأطلعه على جلية الحال وسعاية
أخيه وأخته فانكشف له الامر وصدقه وغضب على أخيه قدودا فجاء الى ارسلاوش
وأحضره عند هيردوس حتى أخبره بصدق جلية الحال ثم شفعه فيه وأطلق ولديه ورضى
عنهما وشكر لارسلاوش من تلطفه فى تلافى هذا الامر وانصرف الى بلده ولم ينف ذلك
انطفتر عن تدبيره عليهما وما زال يغرى أباه ويدس له من يغريه حتى أسخطه عليهما ثانية
واعتقلهما وأمضى بهما فى بعض أسفاره مقيدين ونكر ذلك بعض أهل الدولة فدس
انطفتر الى أبيه المنكر على من المدبرين عليك وقد ضمن لحاملك الاسكندر مالا على قتلك
فأنزل هيردوس بهما العقاب ليستكشف الخبر وعما بأن ذلك الرجل معه ولدغه العقاب
وأقر على نفسه وقتل هو وأبوه والحجام ثم قتل هيردوس ولديه وصلبهما على مصطبة وكان
لابنه الاسكندر ولدان من بنت ارسلاوش ملك كفتور وهما كوبان والاسكندر ولابنه
ارستبلوس ثلاثة من الولد اعرباس وهيردوس واسترو بلوس ثم ندم هيردوس على قتل
ولديه وعطف على أولادهما فزوج كوبان بن الاسكندر بابنة أخيه قدودا وزوج ابنة
ابنه ارستبلوس من ابن ابنه انطفتر وأمر أخاه قدودا وابنه انطفتر بكفالتهما والاحسان
اليهم فكرها ذلك واتفقا على فسخه وقتل هيردوس متى أمكن وبعث هيردوس ابنه

انطفتر الى أوغشطش قيصر ونما الخبر اليه بأن أخاه قدودا يريد قتله فسخطه وأبعده
وألزمه بيته ثم مرض قدودا واستبدأ أخاه هيردوس ليعوده فعاده ثم مات فحزن عليه
ثم حزن باستكشاف ما نما اليه فعاقب جواريه فأقرت احداهما بأن انطفتر وقدودا
كانا يجتمعان عند رسيس أم انطفتر يدبران على قتل هيردوس على يد خازن انطفتر فأقر
بمثل ذلك وأنه بعث على السم من مصر وهو عند امرأة قدودا فأحضرت فأقرت بأن
قدودا أمرها عند موته باراقته وأنها أبقت منه قليلا يشهد لها ان سئلت فكتب
هيردوس الى ابنه انطفتر بالقدوم فقدم مستريبا بعد أن اجمع على الهروب فمنعه خدم
أبيه ولما حضر جمع له الناس فى مشهد وحضر رسول أوغشطش وقدم كاتبه نيقالوس
وكان يحب أولاد هيردوس المقتولين ويميل اليهما عن انطفتر فدفع يخاصمه حتى قامت
عليه الحجة وأحضر بقية السم وجرب فى بعض الحيوانات فصدق فعله فحبس هيردوس
ابنه انطفتر حتى مرض وأشرف على الموت وأسف على ما كان منه لاولاده فهم بقتل
نفسه فمنعه جلساؤه وأهله وسمع من القصر البكاء والصراخ لذلك فهم انطفتر بالخروج
من محبسه ومنع وأخبر هيردوس بذلك وأمر بقتله فى الوقت فقتل ثم هلك بعده لخمسة أيام
ولسبعين سنة من عمره وخمس وثلاثين من ملكه وعهد بالملك لابنه اركلاوش وخرج كاتبه
نيقالوس فجمع الناس وقرأ عليهم العهد وأراهم خاتم هيردوس عليه فبايعوا له وحمل
اباه الى قبره على سرير من الذهب مرصع بالجوهر والياقوت وعليه ستور الديباج
منسوجة بالذهب وأجلس مسندا ظهره الى الارائك والناس أمامه من الاشراف
والرؤساء ومن خلفه الخدم والغلمان وحواليه الجوارى بأنواع الطيب الى أن اندرج
فى قبره وقام اركلاوش بملكه وتقرب الى الناس باطلاق المسجونين فاستقام أمره
وانطلقت الالسنة بذم هيردوس والطعن عليه ثم انتقضوا على اركلاوش بملكه بما وقع
منه من القتل فيهم فساروا الى قيصر شاكين بذلك وعابوه عنده بأنه ولى من غير أمره
وحضر اركلاوش وكاتبه نيقالوس يخصمهم ودفع دعاويهم وأشار عظماء الروم بابقائه
فملكه قيصر وأعاده الى القدس وأساء السيرة فى اليهود وتزوج امرأة أخيه الاسكندر
وكان له أولاد منها فماتت لوقتها ووصلت شكاية اليهود بذلك كله الى قيصر فبعث قائدا
من الروم الى المقدس فقيد اركلاوش وحمله الى رومة لسبع سنين من دولته وولى على
اليهود بالقدس أخاه انطيفس وكان شرا منه واغتصب امرأة أخيه فيلقوس وله منها
ولدان ونكر ذلك عليه علماء اليهود والكهنونية وكان لذلك العهد يوحنا بن زكريا
فقتله فى جماعة منهم وهذا هو المعروف عند النصارى بالمعمدان الذى عمد عيسى أى
طهره بماء المعمودية بزعمهم وفى دولة انطيفس هذا مات قيصر اوغشطش فملك بعده
طبريانوس وكان قبيح السيرة وبعث قائده بيلاس بصنم من ذهب على صورته ليسجد

له اليهود فامتنعوا فقتل منهم جماعـة فآذنوا بحربه وقاتلوه وهزموه و بعث طبريانوس العساكر مع قائده الى القـدس فقبض على انطيفس وحمله مقيدا ثم عزله طبريانوس الى الاندلس فمات بها وملك بعده على اليهود اغرياس ابن أخيه ارستبلوس المقتول وهلك فى أيامه طبريانوس قيصر وملك نيروش وكان أشر من جميع من تقدمه وأمر أن يسمى الاهو وبنى المذبح للقربان وقرب وأطاعته الناس الا اليهود وبعثوا اليه فى ذلك أفيلو الحكيم فى جماعة نشتمهم وحبسهم وسخط اليهود ثم قبحت أحواله وساءت أفعاله وثارت عليه دولته فقتلوه ورموا اشلوه فى الطريق فأكلته الكلاب ثم ملك بعده قلديوش قيصر وأطلق افيـلو والذين معه الى بيت المقدس وهدم المذابح التى كان نيروش بناها وكان اغرياس حسن السيرة معظما عنـد القياصرة وهلك لثلاث وعشرين سـنة من دولته وملك بعـده ابنه اغرياس بأمر اليهود وملك عشرين سـنة وكثرت الحروب والفتن فى أيامه فى بلاد اليهود والارمن وظهرت الخوارج والمتغلبون وانقطعت السبل وكثر الهرج داخل المدينة فى القدس وكان الناس يقتل بعضهم بعضا فى الطرقات يحملون سكاكين صغار محددين اها فاذا ازدحم مع صاحبه فى الطريق طعنه فأهواه حتى صاروا يلبسون الدروع لذلك وخرج كثير من الناس عن المديـنـة فرارا من القتل وهلك ولد طبريوس قيصر ونيروس من بعـده وملك على الروم فيلقوس قيصر فسعى بعض الشرار عنـده بأن هؤلاء الذين خرجوا من القـدس يذمون على الروم فبعث اليهم من قتلهـم وأسرهم واشتد البلاء على اليهود وطالت الفتن فيهم وكان الكهنون الكبير فيهم لذلك العهد عنانى وكان له ابن اسمه العازار وكان ممن خرج من القدس وكان فاتكا مصعلكا وانضم اليـه جماعة من الاشرار وأقاموا يغـيرون على بلاد اليهود والارمن وينهبون ويقتلون وشكتهم الارمن الى فيلقوس قيصر فبعث من قيده وحمله وأصحابه الى رومة فلم يرجع الى القدس الا بعد حين واشتد قائد الروم ببيت المقدس على اليهود وكثر ظلمه فيهم فأخرجوه عنهم بعد أن قتلوا جماعة من اصحابه ولحق بمصر فأتى هنالك اغرياس ملك اليهود راجعا من روميـة ومعه قائدان من الروم فشكى اليـه فيلقوس بما وقع من اليهود ومضى الى بيت المقدس فشكى اليه اليهود بما فعل فيلقوس وأنهم عازمون على الخلاف وتلطف لهـم فى الامساك عن ذلك حتى تبلغ شكيتهم الى قيصر وبعتـذر منه فامتنع العازار بن عنانى وأبى الا المخالفة وأخرج القربان الذى كان بعثه معه نيروش قيصر من البيت ثم عمد الى الروم الذين جاؤا مع اغرياس فقتلهـم حيث وجدوا وقتـل القائدين ونكر ذلك أشياخ اليهود واجتمعوا لحرب العازار وبعثوا الى اغرياس وكان خارج القـدس فبعث اليهم بثلاثة آلاف مقاتل فكانت الحرب بينهـم وبين العازار

بحالا ثم هزمهـم وأخرجهـم من المدينـة وعاث فى البلد وخرب قصور الملك ونهبها وأموالها وذخائرها وبقى اغرياس والكهنونية والعلماء والشـيوخ خارج المقـدس وبلغهـم أن الارمن قتلوا من وجدوه من اليهود بدمشق ونواحيها وبقيسارية فساروا الى بلادهـم وقتـلوا من وجدوه بنواحى دمشق من الارمن ثم سار اغرياس الى قيرش قيصر وخبره الخبر فامتعض لذلك و بعث الى كسنينا وقائده على الارمن وقد كان مضى الى حرب الفرس فدوخها وقهرهم وعاد الى بلاد الارمن فنزل دمشق فجاءه عهد قيصر بالمسـير مع اغرياس ملك اليهود الى القدس فجمع العسـاكر وسار وخرب كل ما مر عليه ولقيه العازار الثائر بالقـدس فانهزم ورجع ونزل كسنينا وقائد الروم فأثخن فيهـم وارتحل كسنينا والى قيسارية وخرج اليهود فى اتباعهم فهزموهم ولحق كسنينا و اغرياس بقيصر قيرش فوافقوا وصول قائده الاعظـم اسبنانوس عن بلاد المغرب وقد فتح الاندلس ودوخ أقطارها فعهد اليه قيرش قيصر بالمسير الى بلاد اليهود وأمره أن يستأصلهم ويهدم حصونهم فسار ومعه ابنه طيطوش واغرياس ملك اليهود وانتهوا الى انطاكية وتأهب اليهود لحربهم وانقسموا ثلاث فرق فى ثلاث نواحى مع كل فرقـة كهنون فكان عنانى الكهنون الاعظم فى دمشق ونواحيها وكان ابنه العازر كهنون بلاد أروم وما يليها الى أيلة وكـان يوسف بن كريون كهنون طبرية وجبـل الخليل وما يتصل به وجعلوا فيما بقى من البلاد من الاغوار الى حدود مصر من يحفظها من بقيـة الكهنونيـة وعمر كل منهم أسوار حصونه ورتب مقاتلته وسار اسبنانوس بالعسـاكر من انطاكية فتوسط فى بلاد الارمن وأقام وخرج يوسف بن كريون من طبرية فحاصر بعض الحصون بناحية الاغرياس ففتحه واستولى عليه وبعث أهل طبرية من ورائه الى الروم فاستأمنوا اليهم فزحف يوسف مبادرا وقتل من وجد فيها من الروم وقبل معـذرة أهل طبرية و بلغه مثل ذلك عن جبل الخليل فسار اليهم وفعل فيهم فعله فى طبرية فزحف اليه اسبنانوس من عكا فى أربعين ألف مقاتل من الروم ومعه اغرياس ملك اليهود وسارت معهـم الامم من الارمن وغيرهـم الا أروم فانهم كانوا حلفاء لليهود منذ أيام هرقانوس ونزل اسبنانوس بعساكره على يوسف بن كريون ومن معه بطبرية فدعاهـم الى الصلح فسألوا الامهال الى مشاورة الجماعة بالقـدس ثم امتنعوا وقاتلهـم اسبنانوس بظاهر الحصن فاستلحمهم حتى قل عددهـم وأغلقوا الحصن فقطع عنهم الماء خمسين ليلة ثم بيتهم الروم فاقتحموا عليهم الحصن فاستلحموهـم وأفلت يوسف بن كريون ومن معه من النبل فامتنعوا ببطن الاعراب وأعطاهم اسبنانوس الامان فمال اليه يوسف وأبى القوم الا أن يقتلوا أنفسهم وهموا بقتله فوافقهم على رأيهم الى ان قتل بعضهم بعضا ولم يبق

من يخشاه فخرج الى اسبانوس مطارحا عليه وحرضه اليهود على قتله فأبى واعتقله
وخرب أعمال طبرية وقتل أهلها ورجع الى قيسارية قال ابن كريون وفى خلال ذلك
حدثت الفتنة فى القدس بين اليهود داخل المدينة وذلك انه كان فى جبل الخليل بمدينة
كوشالة يهودى اسمه يوحنان وكان مرتكبا للعظائم واجتمع اليه أشرار منهم فقوى
بهم على قطع السابلة والنهب والقتل فلما استولى الروم على كوشالة لحق بالقدس وتألف
عليه شرار اليهود من فل البلاد التى أخذها الروم فتحكم على أهل المقدس وأخذ
الاموال وزاحم عنانى الكهنون الاعظم ثم عزله واستبدل به رجلا من غواتهم وحمل
الشيوخ على طاعته فامتنعوا فتغلب عليهم فقتلهم فاجتمع اليهود الى عنانى الكهنون
وحاربهم يوحنان وتحصنوا فى القدس وراسله عنانى فى الصلح فأبى وبعث الى أدوم
يستجيشهم فبعثوا اليه بعشرين ألفا منهم فأغلق عنانى أبواب المدينة دونهم وحاط بهم
من الاسوار ثم استغفلوه وكبسوا المدينة واجتمع معهم يوحنان فقتلوا من وجوه اليهود
نحوا من خمسة آلاف وصادروا أهل النعم على أموالهم وبعثوا يوحنان الى المدن
الذين استأمنوا الى الروم فغنم أموالهم وقتل من وجد منهم وبعث أهل القدس
فى استدعاء اسبانوس وعساكره فزحف من قيسارية حتى اذا توسط الطريق خرج
يوحنان من القدس وامتنع ببعض الشعاب فجال اليه اسبانوس بالعسكر وظفر بالكثير
منهم فقتلوهم ثم سار الى بلاد أدوم ففتحها وسبسطية بلاد السامرة ففتحها أيضا وعمر جميع
مافتح من البلاد ورجع الى قيسارية ليريح علله ويسير الى القدس ورجع يوحنان أثناء
ذلك من الشعاب فغلب على المدينة وعاث فيهم بالقتل وتحكم فى أموالهم وأفسد حريمهم
قال ابن كريون وقد كان ثار بالمدينة فى مغيب يوحنان ثائر آخر اسمه شمعون واجتمع
اليه اللصوص والشرار حتى كثر جمعه وبلغوا نحوا من عشرين ألفا وبعث اليه أهل
أدوم عسكرا فهزمهم واستولى على الضياع ونهب الغلال وبعث الى امرأته من
المدينة فردها يوحنان من طريقها وقطع من وجد معها ثم استعفوه بامرأته وسار الى
أدوم فحاربهم وهزمهم وعاد الى القدس فحاصرها وعظم الضرر على أهلها من
شمعون خارج المدينة ويوحنان داخلها ولجؤا الى الهيكل وحاربوا يوحنان فغلبهم
وقتل منهم خلقا فاستدعوا شمعون لينصرهم من يوحنان فدخل ونقض العهد وفعل
أشر من يوحنان قال ابن كريون ثم ورد الخبر الى اسبانوس وهو بمكانه من قيسارية بموت
قيروش قيصر وأن الروم ملكوا عليهم مضعفا اسمه نطاوس فغضب البطارقة الذين مع
اسبانوس وملكوه وسار الى رومة وخلف نصف العسكر مع ابنه طيطش وقدم بين يديه
قائدين الى رومة لمحاربة نطاوس الذى ملكه الروم فهزم وقتل وسلم اسبانوس الى

سكندرية وركب البحر منها ورجع طيطش الى قيسارية الى أن ينسلخ فصل الشتاء
ويزيح العلل وعظمت الفتن والحروب بين اليهود داخل القدس وكثر القتل حتى سالت
الدماء فى الطرقات وقتل الكهنونية على المذبح وهم لا يقربون الصلاة فى المسجد لكثرة
الدماء وتعذر المشى فى الطرقات من سقوط حجارة الرمى ومواقد النيران بالليل وكان
يوحنان أخبث القوم وأشرهم ولما انسلخ الشتاء زحف طيطش فى عساكر الروم الى
أن نزل على القدس وركب الى باب البلد يتخير المكان لمعسكره ويدعوهم الى السلم
فصموا عنه وأكمنوا له بعض الخوارج فى الطريق فقاتلوه وخلص منهم بشدته فعبى
عسكره من الغد ونزل بجبل الزيتون شرقى المدينة ورتب العساكر والآلات للحصار
واتفق اليهود داخل المدينة ورفعوا الحرب بينهم وبرزوا الى الروم فانهزموا ثم عاودوا
فظهروا ثم انتقضوا بينهم وتحاربوا ودخل يوحنان الى القدس يوم الفطر فقتل جماعة من
الكهنونية وقتل جماعة أخرى خارج المسجد وزحف طيطش وبرزوا اليه فردوه الى
قرب معسكره وبعث اليهم قائده نيقانور فى الصلح فأصابه سهم فقتله فغضب طيطش
وصنع كبشا وأبراجا من الحديد توازى السور وشحنها بالمقاتلة فأحرق اليهود تلك
الآلات ودفنوها وعادوا الى الحرب بينهم وكان يوحنان قد ملك القدس ومعه ستة
آلاف او يزيدون من المقاتلة ومع شمعون عشرة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من أدوم
وبقية اليهود بالمدينة مع العازر وأعاد طيطش الزحف بالآلات وثلم السور الاول وملكه
الى الثانى فاصطلح اليهود بينهم وتذامروا واشتد الحرب وباشرها طيطش بنفسه ثم زحف
بالآلات الى السور الثانى فثلمه وتذامر اليهود فمنعوهم عنه ومكثوا كذلك أربعة أيام
وجاء المدد من الجهات الى طيطش ولاذ اليهود بالاسوار وأغلقوا الابواب ورفع
طيطش الحرب ودعاهم الى المسالمة فامتنعوا فجاء بنفسه فى اليوم الخامس وخاطبهم
ودعاهم وجاء معه يوسف بن كريون فوعظهم ورغبهم فى أمنة الروم ووعدهم وأطلق
طيطش اسراهم فجنح الكثير من اليهود الى المسالمة ومنعهم هؤلاء الرؤسا الخوارج
وقتلوا من يروم الخروج الى الروم ولم يبق من المدينة ما يعصمهم الا السور الثالث وطال
الحصار واشتد الجوع عليهم والقتل ومن وجد خارج المدينة لرعى العشب قتله الروم
وصلبوه حتى رحمهم طيطش ورفع القتل عمن يخرج فى ابتغاء العشب ثم زحف طيطش
الى السور الثالث من أربع جهاته ونصب الآلات وصبر اليهود على الحرب وتذامر
اليهود وصعب الحرب وبلغ الجوع فى الشدة غايته واستأمن متاى الكوهن الى الروم
وهو الذى خرج فى استدعاء شمعون فقتله شمعون وقتل بنيه وقتل جماعة من
الكهنونية والعلماء والائمة ممن حذر منه أن يستأمن ونكر ذلك العازر بن عنانى ولم

يقدر على أكثر من الخروج عن بيت المقدس وعظمت المجاعة فمات أكثر اليهود وأكلوا الجلود والخشاش والميتة ثم أكل بعضهم بعضا وعثر على امرأة تأكل ابنها فأصابت رؤساؤهم لذلك رحمة وأذنوا فى الناس بالخروج فخرجت منهم أمم وهلك أكثرهم حين أكلوا الطعام وابتلع بعضهم فى خروجه ما كان له من ذهب أو جوهر ضنة به وشعر بهم الروم فكانوا يقتلونهم ويشقون عنها بطونهم وشاع ذلك فى توابع العسكر من العرب والارمن فطردهم طيطش وطمع الروم فى فتح المدينة وزحفوا الى سورها الثالث بالآلات ولم يكن لليهود طاقة بدفعها واحراقها فثلموا السور وبنى اليهود خلف الثلمة فأصبحت منسدة وصدمها الروم بالكبش فسقطت من الحدة واستماتوا فى تلك الحال الى الليل ثم بيت الروم المدينة وملكوا الاسوار عليهم وقاتلوهم من الغد فانهزموا الى المسجد وقاتلوا فى الحصن وهدم طيطش البناء ما بين الاسوار الى المسجد ليتسع المجال ووقف ابن كريون يدعوهم الى الطاعة فلم يجيبوا وخرج جماعة من الكهنونية فأمنهم ومنع الرؤساء بقيتهم ثم باكرهم طيطش بالقتال من الغد فانهزموا الاقداس وملك الروم المسجد وصحنه واتصلت الحرب اياما وهدمت الاسوار كلها وثلم سور الهيكل وأحاط العساكر بالمدينة حتى مات أكثرهم وفر كثير ثم اقتحم عليهم الحصن فملكه ونصب الاصنام فى الهيكل ومنع من تخريبه ونكر رؤساء الروم ذلك ودسوا من أضرم النار فى أبوابه وسقفه وألقى الكهنونة أنفسهم جزعا على دينهم وحزنوا واختفى شمعون يوحنان فى جبل صهيون وبعث اليهم طيطش بالامان فامتنعوا وطرقوا القدس فى بعض الليالى فقتلوا قائدا من قواد العسكر ورجعوا الى مكان اختفائهم ثم هرب عنهم اتباعهم وجاء يوحنان ملقيا بيده الى طيطش فقيده وخرج اليه يوشع الكوهن بآلات من الذهب الخالص من آلات المسجد فيها منارتان ومائدتان ثم قبض على فنحاس خازن الهيكل فأطلعه على خزائن كثيرة مملوءة دنانير ودراهم وطيبا فامتلأت يده منها ورحل عن بيت المقدس بالغنائم والاموال والاسرى وأحصى الموتى فى هذه الوقعة قال ابن كريون فكان عدد الموتى الذين خرجوا على الباب للدفن باخبار مناحيم الموكل به مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا وثمانمائة وقال غير مناحيم كانت عدتهم ستمائة ألف دون من ألقى فى الآبار أو طرح الى خارج الحصن وقتل فى الطرقات ولم يدفن وقال غيره كان الذى أحصى من الموتى والقتلى ألف ألف ومائة ألف والسبى والاسارى مائة ألف كان طيطش فى كل منزلة يلقى منهم الى السباع الى ان فرغوا وكان فيمن هلك شمعون أحد الخوارج الثلاثة وأما العزار بن عفان فقد كان خرج من القدس عندما قتل شمعون امتاى الكوهن كما ذكرنا فلما رحل طيطش عن القدس نزل فى بعض القرى

وحصنها واجتمع اليه فل اليهود واتصل الخبر بطيطش وهو فى انطاكية فبعث اليه عسكرا من الروم مع قائده سلياس فحاصرهم أياما ثم   وأولادهم وخرجوا الى الروم مستميتين فقاتلوا الى ان قتلوا عن آخرهم وأما يوسف بن كريون فافتقد أهله وولده فى هذه الوقائع ولم يقف لهم بعدها على خبر وأراده طيطش على السكنى عنده برومة فتضرع اليه فى البقاء بأرض القدس فأجابه الى ذلك وتركه وانقرضت دولة اليهود أجمع والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى لا انقضاء لملكه

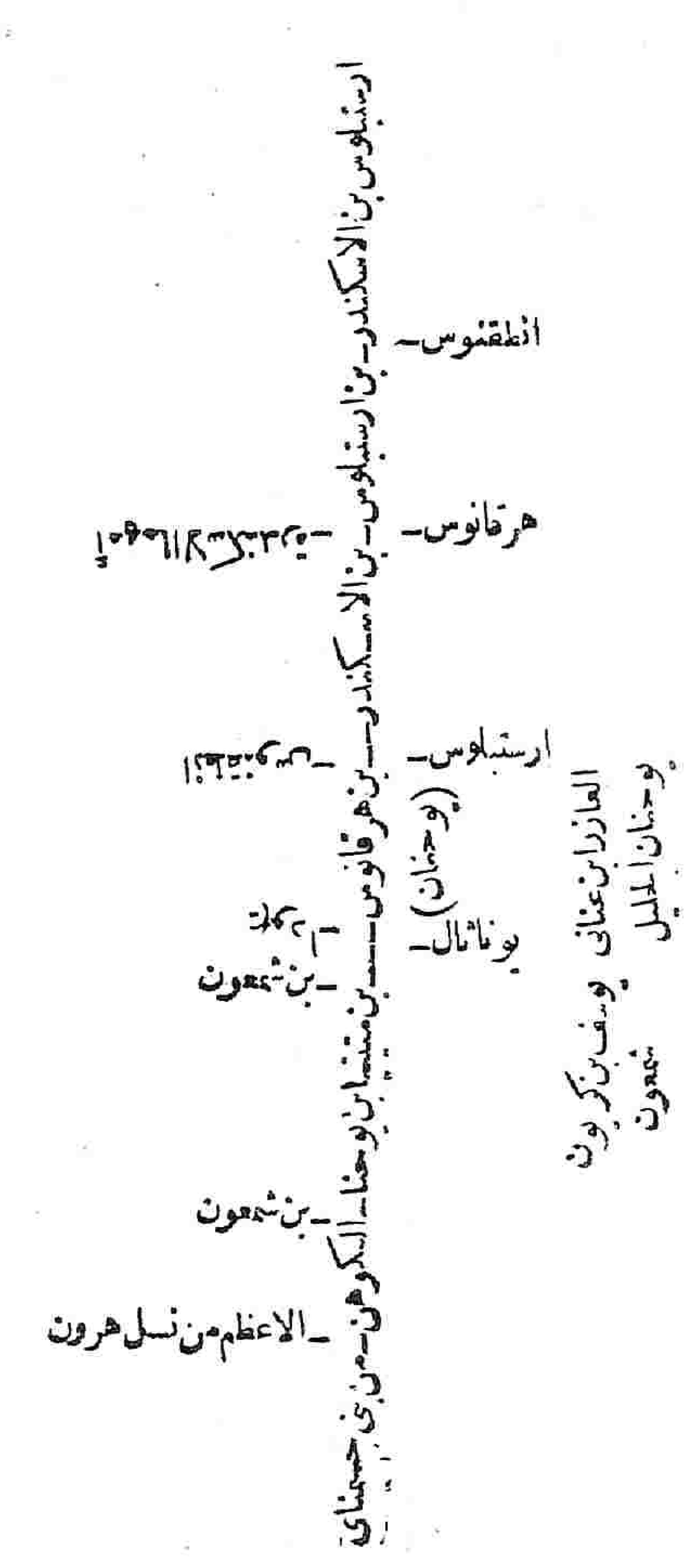
بياض بالاصل

اغرباس بن اغرباس بن ارستبلوس بن هيردوس بن انطفتر المستولى على هرقانوس آخر ملوك بنى حشمناى

هيردوس

انطفتر

انطيفس



(الخبر عن شأن عيسى بن مريم صلوات الله عليه فى ولادته وبعثته ورفعه من الارض والالمام بشأن الحواريين بعده وكتبهم الاناجيل الاربعة وديانة النصارى بملته واجتماع الاقسة على تدوين شريعته)

كان بنو ماثان من ولد داود صلوات الله عليه كهنونية بيت المقدس وهو ماثان بن العازر بن اليهود بن أخس بن رادوق بن عازور بن ألياقيم بن أيود بن زرو قابل بن سالات ابن يوخنايا بن يوشيا السادس عشر من ملوك بنى اسرائيل بن أمون بن عمون ابن منشا ابن حزقيا بن احاز بن يواش بن أحزيا بن يورام بن يهوشافاط بن أسا بن رحبعم بن سليمان ابن داود صلوات الله عليهما ويوخنايا بن يوشيا السادس عشر من ملوك بنى سليمان ولد فى جلاء بابل وهذا النسب نقلته من انجيل متى وكانت الكهنونية العظمى من بعد بنى حشمناى لهم وكان كبيرهم قبل عصر هيردوس عمران أبو مريم ونسبه ابن اسحق الى أمون بن منشا الخامس عشر من ملوك بيت المقدس من لدن سليمان أبيهم وقال فيه عمران بن ياشم بن أمون وهذا بعيد لان الزمان بين عمون وعمران أبعد من أن يكون بينهما أب واحد فان أمون كان قبل الخراب الاول وعمران كان فى دولة هيردوس قبيل الخراب الثانى وبينهما قريب من أربعمائة سنة ونقل ابن عساكر والظن انه ينقل عن مستند أنه من ولد زربافيل الذى ولى على بنى اسرائيل عند رجوعهم الى بيت المقدس وهو ابن يخنيا آخر ملوكهم الذى حبسه بختنصر وولى عمه صدقيا هو بعده كما مر وقال فيه عمران بن ماثان بن فلان بن فلان الى زربافيل وعد نحوا من ثمانية آباء بأسماء عبرانية لا وثوق بضبطها وهو أقرب من الاول وفيه ذكر ماثان الذى هو شهرتهم ولم يذكره ابن اسحق وكان عمران أبو مريم كهنونا فى عصره وكانت تحته حنة بنت فاقود بن قبيل وكانت من العابدات وكانت أختها ايشاع ويقال خالتها تحت زكريا بن يوحنا ونسبه ابن عساكر الى يهوشافاط خامس ملوك القدس من عهد سليمان أبيهم وعد ما بينه وبين يهوشافاط اثنى عشر أبا أولهم يوحنا بأسماء عبرانية كما فعل فى نسب عمران ثم قال وهو أبو يحيى صلوات الله عليهما ويقال بالمد والقصر من غير ألف وكان نبيا من بنى اسرائيل صلوات الله عليهم اه ونقلت من كتاب يعقوب بن يوسف النجار مثان يعنى ماثان من سبط داود وكان له ولدان يعقوب ويواقيم ومات فتزوج أمهما بعده مطنان ومطنان ابن لاوى من سبط سليمان بن داود وسمى ماثان فولدت هالى من مطنان ثم تزوج ومات ولم يعقب فتزوج امرأته أخوه لامه يعقوب بن ماثان فولدت منه يوسف خطيب مريم ونسب الى هالى لان من أحكام التوراة ان مات من غير عقب فامرأته لاخيه وأول ولد منها ينسب الى الاول فلهذا قيل فيه يوسف بن هالى بن مطنان وانما هو يوسف بن يعقوب بن ماثان وهو

خا بفتح اللام وشد الحاء المهملة قاله نصر

ابن عم مريم لحا وكان ليوسف من البنين خمسة بنين و بنت وهم يعقوب ويوشا وبيلوت وشمعون ويهوذا وأختهم مريم كانوا يسكنون بيت لحم فارتحل بأهله ونزل ناصرة وسكن بها وتعلم النجارة حتى صار يلقب بالنجار وتزوج يؤاقيم حنة أخت ايشاع العاقر امرأة زكريا بن يوحنا المعمدان وأقامت ثلاثين سنة لا يولد لها فدعوا الله وولد لها مريم فهى بنت يؤاقيم موثان وهو مثان وولدت ايشاع العاقر من زكريا ابنه يحيى قلت فى التنزيل مريم ابنة عمران فلعل ان معنى عمران بالعبرانية يؤاقيم وكان له اسمان اه وعن الطبرى وكانت حنة أم مريم لا تحبل فنذرت لله ان حملت لتجعلن ولدها حبيسا ببيت المقدس على خدمته على عاداتهم فى نذر مثله فلما حملت ووضعتها لفتها فى خرقتها وجاءت بها الى المسجد فدفعتها الى عباده وهى ابنة امامهم وكهنونهم فتنازعوا فى كفالتها وأراد زكريا أن يستبد بها لان زوجه ايشاع خالتها ونازعوه فى ذلك لمكان أبيها من امامهم فاقترعوا فخرجت قرعة زكريا عليها فكفلها ووضعها فى مكان شريف من المسجد لا يدخله سواها وهو المحراب فيما قيل والظاهر انها دفعتها اليهم بعد مدة ارضاعها فأقامت فى المسجد تعبد الله وتقوم بسدانة البيت فى نوبتها حتى كان يضرب بها المثل فى عبادتها وظهرت عليها الاحوال الشريفة والكرامات كما قصه القرآن وكانت خالتها ايشاع زوج زكريا أيضا عاقرا وطلب زكريا من الله ولدا فبشره بيحيى نبيا كما طلب لانه قال يرثنى ويرث من آل يعقوب وهم أنبياء فكان كذلك وكان حاله فى نشوه وصباه عجبا وولد فى دولة هيردوس ملك بنى اسرائيل وكان يسكن القفار ويقتات الجراد ويلبس الصوف من وبر الابل وولاه اليهود الكهنونية ببيت المقدس ثم أكرمه الله بالنبوة كما قصه القرآن وكان لعهده على اليهود بالقدس انطفس بن هيردوس وكان يسمى هيردوس باسم أبيه وكان شريرا فاسقا واغتصب امرأة أخيه وتزوجها ولها اولاد منه ولم يكن ذلك فى شرعهم مباحا فنكر ذلك عليه العلماء والكهنونية وفيهم يحيى بن زكريا المعروف بيوحنان ويعرفه النصارى بالمعمدان فقتل جميع من نكر عليه ذلك وقتل فيهم يحيى صلوات الله عليه وقد ذكر فى قتله أسباب كثيرة وهذا أقربها الى الصحة وقد اختلف الناس هل كان أبوه حيا عند قتله فقيل انه لما قتل يحيى طلبه بنو اسرائيل ليقتلوه ففر أمامهم ودخل فى بطن شجرة كرامة له فدلهم عليه طرف ردائه خارجا منها فشقوها بالمنشار وشق زكريا فيها نصفين وقيل بل مات زكريا قبل هذا والمشقوق فى الشجرة انما هو شعيا النبى وقد مر ذكره وكذلك اختلف فى دفنه فقيل دفن ببيت المقدس وهو الصحيح وقال ابو عبيد بسنده الى سعيد بن المسيب ان بختنصر لما قدم دمشق وجد دم يحيى بن زكريا يغلى فقتل على

دمه سبعين الفا فسكن دمه و يشكل أن يحيى كان مع المسيح فى عصر واحد باتفاق وأن ذلك كان بعد بختنصر بأحقاب متطاولة وفى هذا ما فيه وفى الاسرائيليات من تأليف يعقوب بن يوسف النجار أن هيردوس قتل زكريا عندما جاء المجوس للبحث عن ايشوع والانذار به وأنه طلب ابنه يوحنا ليقتله مع من قتل من صبيان بيت لحم فهربت به أمه الى الشقراء واختفت فطالب به أباه زكريا وهو كهنون فى الهيكل فقال لا علم لى هو مع أمه فتهدده وقتله ثم قال بعد قتل زكريا بسنة يعقوب بن يوسف الى أن مات هيردوس (وأما مريم سلام الله عليها) فكانت بالمسجد على حالها من العبادة الى ان أكرمها الله بالولاية وبين الناس فى نبوتها خلاف من أجل خطاب الملئكة لها وعند أهل السنة أن النبوة مختصة بالرجل قاله أبو الحسن الاشعرى وغيره وأدلة الفريقين فى أماكنها وبشرت الملئكة مريم باصطفاء الله لها وأنها تلد ولدا من غير أب يكون نبيا فعجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة ان الله قادر على ما يشاء فاستكانت وعلمت أنها محنة بما تلقاه من كلام الناس فاحتسبت وفى كتاب يعقوب بن يوسف النجار أن أمها حنة توفيت لثمان سنين من عمر مريم وكان من سنتهم انها ان لم تقبل التزويج يفرض لها من أرزاق الهيكل فأوحى الله اليه أن يجمع أولادها رون ويردها اليهم فمن ظهرت فى عصاه آية تدفعها اليه تكون له شبه زوجة ولا يقربها وحضر الجمع يوسف النجار فخرج من عصاه حمامة بيضاء ووقفت على رأسه فقال له زكريا هذه عذراء الرب تكون لك شبه زوجة ولا تردها فاحتملها مستكرها بنت ثنتى عشرة سنة الى ناصرة فأقامت معه الى أن خرجت يوما تستسقى من العين فعرض لها الملك أولا وكلمها ثم عاودها وبشرها بولادة عيسى كما نص القرآن فحملت وذهبت الى زكريا ببيت المقدس فوجدته على الموت وهو يجود بنفسه فرجعت الى ناصرة ورأى يوسف الحمل فاطم وجهه وخشى الفضيحة مع الكهنونية فيما شرطوا عليه فأخبرته بقول الملك فلم يصدق وعرض له الملك فى نومه وأخبره ان الذى بها من روح القدس فاستيقظ وجاء الى مريم فسجد لها وردها الى بيتها ويقال ان زكريا حضر لذلك وأقام فيهما سنة اللعان الذى أوصى به موسى فلم يصبهما شئ وبرأهما الله ووقع فى انجيل متى ان يوسف خطب مريم ووجدها حاملا قبل أن يجتمعا فعزم على فراقها خوفا من الفضيحة فأمر فى نومه أن يتمها وأخبره الملك بأن المولود من روح القدس وكان يوسف صديقا وولد على فراشه ايشوع انتهى (وقال الطبرى) كانت مريم ويوسف بن يعقوب بن عمها وفى رواية عنه أنه ابن خالها وكانوا سدنة فى بيت المقدس لا يخرجان منه الا لحاجة الانسان واذا نفد ماؤهما فيملآن من أقرب المياه فمضت مريم يوما وتخلف عنها يوسف ودخلت المغارة التى كانت تعهد أنها للورد

بياض بالاصل

فتمثل لها جبريل بشرا فذهبت لتجزع فقال لها انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما
زكيا فاستسلمت عن وهب بن منبه أنه نفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى الرحم
فاشتملت على عيسى فكان معها ذو قرابة يسمى يوسف النجار وكان في مسجد بجبل
صهيون وكان لخدمته عندهم فضل وكانا يجمرانه ويقمانه وكانا صالحين مجتهدين في
العبادة ولما رأى ما بها من الحمل استعظمه وعجب منه لما يعلم من صلاحها وأنها لم تغب قط
عنه ثم سألها فردت الامر الى قدرة الله فسكت وقام بما ينوبها من الخدمة فلما بان حملها
أفضت بذلك الى خالتها ايشاع وكانت أيضا حبلى بيحيى فقالت لها اني أرى ما في بطني
يسجد لما في بطنك ثم أمرت بالخروج من بلدها خشية أن يعيرها قومها ويقتلوا ما
في بطنها فاحتملها يوسف الى مصر وأخذها المخاض في طريقها فوضعته كما قصه القرآن
واحتملته على الحمار وأقامت تكتم أمرها من الناس وتتحفظ به حتى بلغ اثنتي عشرة سنة
وظهرت عليه الكرامات وشاع خبره فأمرت أن ترجع به الى ايلياء فرجعت وتتابعت
عنه المعجزات وانثال الناس عليه يستشفون ويسألون عن الغيوب قال الطبري وفي خبر
السدي انها انما خرجت من المسجد لحيض أصابها فكان نفخ الملك وأن ايشاع خالتها
التي سألتها عن الحمل وناظرتها فيه فحجتها بالقدرة وأن الوضع كان في شرقي بيت لحم قريبا
من بيت المقدس وهو الذي بنى عليه بعض ملوك الروم البناء الهائل لهذا العهد قال ابن
العميد مؤرخ النصارى ولد لثلاثة أشهر من ولادة يحيى بن زكريا ولاحدى وثلاثين من
دولة هيردوس الاكبر واثنتين وأربعين من ملك أوغشطش قيصر وفي الانجيل ان
يوسف تزوجها ومضى بها ليكتتم أمرها في بيت لحم فوضعته هنالك ووضعته في مدود
لانه لم يكن لها موضع نزل وأن جماعة من المجوس بعثهم ملك الفرس يسألون أين ولد
الملك العظيم وجاؤا الى هيردوس يسألونه وقالوا جئنا لنسجد له وحدثوه بما أخبر الكهان
وعلماء النجوم من شأن ظهوره وأنه يولد ببيت لحم من ابن سنتين فادونها وسمع اوغشطش
قيصر بخبر المجوس فكتب الى هيردوس يسأله فكتب له بصدوقية خبره وأنه قتل فيمن
قتل من الصبيان وكان يوسف النجار قد أمر أن يخرج به الى مصر فأقام هنالك ثنتي
عشرة سنة وظهر عليه الكرامات وهلك هيردوس الذي كان يطلبه وأمروا بالرجوع الى
ايليا فرجعوا وظهر صدق شعيا النبي في قوله عنه من مصر دعوتك وفي كتاب يعقوب بن
يوسف النجار حذرا من أن يكتب كما أمر أوغشطش في بعض أيامه فأجاءها المخاض
وهي في طريقها على حمار فصابرته الى قرية بيت لحم وولدت في غار وسماه ايشوع وأنه
لما بلغ سنتين وكان من أمر المجوس ما قدمناه حذر هيردوس من شأنه وأمر أن يقتل
الصبيان ببيت لحم فخرج يوسف به وبأمه الى مصر أمر بذلك في نومه وأقام بمصر سنتين

حتى

حتى مات هيردوس ثم أمر بالرجوع فرجع الى ناصرة وظهرت عليه الخوارق من
احياء الموتى وابراء المعتوهين وخلق الطير وغير ذلك من خوارقه حتى اذا بلغ ثماني سنين
كف عن ذلك ثم جاء يوحنا المعمدان من البرية وهو يحيى بن زكريا ونادى بالتوبة
والدعاء الى الدين وقد كان شعيا أخبر أنه يخرج أيام المسيح وجاء المسيح من الناصرة
واقيه بالاردن فعمده يوحنا وهو ابن ثلاثين سنة ثم خرج الى البرية واجتهد في العبادة
والصلاة والرهبانية واختار تلامذته الاثني عشر سمعان بطرس وأخوه اندراوس
ويعقوب بن زيدي وأخوه يوحنا وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب
ابن حلفا وتداوس وسمعان القناني ويهوذا الاسخريوطي وشرع في اظهار
المعجزات ثم قبض هيردوس الصغير على يوحنان وهو يحيى بن زكريا لنكيره عليه
في زوجة أخيه فقتله ودفن بنابلس ثم شرع المسيح الشرائع من الصلاة والصوم وسائر
القربات وحلل وحرم وأنزل عليه الانجيل وظهرت على يديه الخوارق والعجائب وشاع
ذكره في النواحي واتبعه الكثير من بني اسرائيل وخافه رؤساء اليهود على دينهم
وتوامروا في قتله وجمع عيسى الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم ويبالغ في خدمتهم
بما استعظموه قال وانما فعلته لتتأسوا به وقال بعضهم ليكفرن بي بعضكم قبل أن يصيح
الديك ثلاثا ويبيعني أحدكم بثمن بخس وتأكلوا ثمني ثم افترقوا وكان اليهود قد بعثوا
العيون عليهم فأخذوا شمعون من الحواريين فتبرأ منهم وتركوه وجاء يهوذا
الاسخريوطي وبايعهم على الدلالة عليه بثلاثين درهما وأراهم مكانه الذي كان يبيت
فيه وأصبحوا به الى فلاطش النبطي قائد قيصر على اليهود وحضر جماعة الكهنونية
وقالوا هذا يفسد ديننا ويحل نواميسنا ويدعي الملك فاقتله وتوقف فصاحوا به وتوعدوه
بابلاغ الامر الى قيصر فأمر بقتله وكان عيسى قد أبلغ الحواريين بأنه يشبه على اليهود
في شأنه فقتل ذلك الشبه وصلب وأقام سبعا وجاءت أمه تبكي عند الخشبة فجاءها
عيسى وقال مالك تبكي قالت عليك قال ان الله رفعني ولم يصبني الاخير وهذا شيء شبه
لهم وقولي للحواريين يلقوني بمكان كذا فانطلقوا اليه وأمرهم بتبليغ رسالته
في النواحي كما عين لهم من قبل وعند علماء النصارى ان الذي بعث من الحواريين الى
رومة بطرس ومعه بولس من الاتباع ولم يكن حواريا والى أرض السودان والحبشة
ويعبرون عن هذه الناحية بالارض التي تأكل أهلها والناس متى العشار واندراوس
الى أرض بابل والمشرق توماس والى أرض افريقية فيلبس والى افسوس قرية
أصحاب الكهف يوحناس والى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا والى أرض العرب
والحجاز برتلوماوس والى أرض برقة والبربر شمعون القناني (قال ابن اسحق) ثم وثب

اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويفتنونهم وسمع قيصر بذلك وكتب اليه فلاطش النبطي قائده باخباره ومعجزاته وبغي اليهود عليه وعلى يوحنان قبله فأمرهم بالكف عن ذلك ويقال قتل بعضهم وانطلق الحواريون الى الجهات التي بعثهم اليها عيسى فآمن به بعض وكذب بعض ودخل يعقوب أخو يوحنان الى رومة فقتله غاليوس قيصر وحبس شمعون ثم خلص وسار الى انطاكية ثم رجع الى رومة أيام فلوديش قيصر بعد غاليوس واتبعه كثير من الناس وآمن به بعض نساء القياصرة وأخبرها بخبر الصليب فدخلت الى القدس وأخرجته من تحت الزبل والقمامات بمكان الصلب وغشته بالحرير والذهب وجاءت به الى رومة (وأما بطرس كبير الحواريين) وبولص اللذان بعثهما عيسى صلوات الله عليه الى رومة فانهما مكثا هنالك يقيمان دين النصرانية ثم كتب بطرس الانجيل بالرومية ونسبه الى مرقص تلميذه وكتب متى انجيله بالعبرانية في بيت المقدس ونقله من بعد ذلك يوحنان بن زبدى الى رومة وكتب لوقا انجيله بالرومية وبعثه الى بعض أكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدى انجيله برومة ثم اجتمع الرسل الحواريون برومة ووضعوا القوانين الشرعية لدينهم وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها فمن القديمة التوراة خمسة أسفار وكتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا وأسفار الملوك أربعة كتب وسفر بنيامين وسفر المقباسين ثلاثة كتب وكتاب عزرا الامام وكتاب أشير وكتاب قصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومزامير داود النبي وكتب ولده سليمان خمسة ونبوات الانبياء الصغار والكبار ستة عشر كتابا وكتاب يشوع بن شارخ ومن الحديثة كتب الانجيل الاربعة وكتب القتاليقون سبع رسائل وكتاب بولس أربع عشرة رسالة والابركسيس وهو قصص الرسل ويسمى اقليمد ثمانية كتب تشتمل على كلام الرسل وما أمروا به ونهوا عنه وكتاب النصارى الكبار الى أساقفتهم الذين يسمون البطارقة ببلاد معينة يعلمون بها دين النصرانية فكان برومة بطرس الرسول الذي بعثه عيسى صلوات الله عليه وكان ببيت المقدس يعقوب النجار وكان بالاسكندرية مرقص تلميذ بطرس وكان ببزنطية وهي قسطنطينية اندرواس الشيخ وكان بانطاكية   وكان صاحب هذا الدين عندهم والمقيم لمراسمه يسمونه البترك وهو رئيس الملة وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى من بعد عنهم من أمم النصرانية ويسمونه الاسقف أى نائب البطرك ويسمون القرا بالقسيس وصاحب الصلاة بالجاثليق وقومة المسجد بالشمامسة والمنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب والقاضي بالمطران ولم يكن بمصر لذلك العهد أسقف الى أن جاء دهدس الحادي عشر من أساقفة اسكندرية وكان بطرك أساقفة بمصر وكان الاساقفة يسمون

البطرك أبا والقسوس يسمون الاساقفة أبا فوقع الاشتراك في اسم الاب فاخترع اسم البابا لبطرك الاسكندرية ليتميز عن الاسقف في اصطلاح القسوس ومعناه أبو الاباء فاشتهر هذا الاسم ثم انتقل الى بطرك رومة لانه صاحب كرسي بطرس كبير الحواريين ورسول المسيح وأقام على ذلك لهذا العهد يسمى البابا ثم جاء بعد فلوديش قيصر نيرون قيصر فقتل بطرس كبير الحواريين وبولص اللذين بعثهما عيسى صلوات الله عليه الى رومة وجعل مكان بطرس أرنوس برومة وقتل مرقص الانجيلي تلميذ بطرس وكان بالاسكندرية يدعو الى الدين سبع سنين ويبعثه في نواحي مصر وبرقة والمغرب وقتله نيرون وولي بعده حننيا وهو أول البطاركة عليها بعد الحواريين وثار اليهود في دولته على أسقف بيت المقدس وهو يعقوب النجار وهدموا البيعة ودفنوا الصليب الى أن أظهرته هيلانة أم قسطنطين كما نذكره بعد وجعل نيرون مكان يعقوب النجار ابن عمه شمعون بن كيافا ثم اختلفت حال القياصرة من بعد ذلك في الاخذ بهذا الدين وتركه كما يأتي في أخبارهم الى أن جاء قسطنطين بن قسطنطين باني المدينة المشهورة وكانت في مكانها قبله مدينة صغيرة تسمى بيزنطية وكانت أم هيلانه صالحة فأخذت بدين المسيح لثنتين وعشرين سنة من ملك قسطنطين ابنها وجاءت الى مكان الصليب فوقفت عليه وترحمت وسألت عن الخشبة التي صلب عليها بزعمهم فأخبرت بما فعل اليهود فيها وأنهم دفنوها وجعلوا مكانها مطرح القمامة والنجاسة والجيف والقاذورات فاستعظمت ذلك واستخرجت تلك الخشبة التي صلب عليها بزعمهم وقيل من علامتها أن يمسها ذو العاهة فيعافى لوقته فطهرتها وطيبتها وغشتها بالذهب والحرير ورفعتها عندها للتبرك بها وأمرت ببناء كنيسة هائلة بمكان الخشبة تزعم أنها قبره وهي التي تسمى لهذا العهد قمامة وخربت مسجد بني اسرائيل وأمرت بأن تلقى القاذورات والكناسات على الصخرة التي كانت عليها القبة التي هي قبلة اليهود الى أن أزال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند فتح بيت المقدس كما نذكره هنالك وكان من ميلاد المسيح الى وجود الصليب ثلثمائة وثمان وعشرون سنة وأقام هؤلاء النصرانية بطاركتهم وأساقفتهم على اقامة دين المسيح على ما وضعه الحواريون من القوانين والعقائد والاحكام ثم حدث بينهم اختلاف في العقائد وسائر ما ذهبوا اليه من الايمان بالله وصفاته وحاشيته وللمسيح وللحواريين أن يذهبوا اليه وهو معتقدهم التثليث وانما حملهم عليه ظواهر من كلام المسيح في الانجيل لم يهتدوا الى تأويلها ولا وقفوا على فهم معانيها مثل قول المسيح حين صلب بزعمهم أذهب الى أبي وأبيكم وقال افعلوا كذا وكذا من البر لتكونوا أبناء أبيكم في السماء وتكونوا تامين كما أن أباكم الذي في السماء تام وقال له في الانجيل انك أنت

كان اسمها قمامة فحرفوها قيامة كذا في الخطط قاله نصر

الابن الوحيد وقال له شمعون الصفا انك ابن الله حقا فلما أثبتوا هذه الابوة من ظاهر هذا اللفظ زعموا أن عيسى ابن مريم من أب قديم وكان اتصاله بمريم تجسد كلمة منه مازجت جسد المسيح وتدرعت به فكان مجموع الكلمة والجسد ابنا وهو ناسوت كلى قديم أزلى وولدت مريم الها أزليا والقتل والصلب وقع على الجسد والكلمة ويعبرون عنهما بالناسوت واللاهوت وأقاموا على هذه العقيدة ووقع بينهم فيها اختلاف وظهرت مبتدعة من النصرانية اختلفت أقوالهم الكفرية كان من أشدهم ابن دنصان ودافعهم هؤلاء الاساقفة والبطاركة عن معتقدهم الذين كانوا يزعمونه حقا وظهر يونس الشمشاطى بطرك انطاكية بعد حين أيام اقلوديس قيصر فقال بالوحدانية ونفى الكلمة والروح وتبعه جماعة على ذلك ثم مات فرد الاساقفة مقالته وهجروها ولم يزالوا على ذلك الى أيام قسطنطين بن قسطنطين فتنصر ودخل فى دينهم وكان باسكندرية اسكندروس البطرك وكان لعهده اريوش من الاساقفة وكان يذهب الى حدوث الابن وأنه انما خلق الخلق بتفويض الاب اليه فى ذلك فمنعه اسكندروس الدخول الى الكنيسة وأعلم أن ايمانه فاسد وكتب بذلك الى سائر الاساقفة والبطاركة فى النواحى وفعل ذلك بأسقفين آخرين على مثل رأى أريوش فدفعوا أمرهم الى قسطنطين وأحضرهم جميعا لتسع عشرة من دولته وتناظروا ولما قال أريوش ان الابن حادث وأن الاب فوض اليه بالخلق وقال الاسكندروس لخلق استحق الالوهية فاستحسن قسطنطين قوله وأذن له أن يشيد بكفر أريوش وطلب الاسكندروس باجتماع النصرانية لتحرير المعتقد الايمانى فجمعهم قسطنطين وكانوا ألفين وثلثمائة وأربعين أسقفا وذلك فى مدينة نيقية فسمى المجمع مجمع نيقية وكان رئيسهم الاسكندروس بطرك اسكندرية واسطانس بطرك انطاكية ومقاريوس أسقف بيت المقدس وبعث سلطوس بطرك رومة بقسيس حضر معهم لذلك نيابة عنه فتفاوضوا وتناظروا واتفقوا عنهم بعد الاختلاف الكثير على ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا على رأى واحد فصار قسطنطين الى قولهم وأعطى سيفه وخاتمه وباركوا عليه ووضعوا له قوانين الدين والملك ونفى أريوش وأشيد بكفره وكتبوا العقيدة التى اتفق عليها أهل ذلك المجمع ونصها عندهم على ما نقله ابن العميد من مؤرخيهم والشهرستانى فى كتاب الملل والنحل وهو نؤمن بالله الواحد الاحد الاب مالك كل شئ وصانع ما يرى وما لا يرى وبالابن الوحيد ايشوع المسيح ابن الله ذكر الخلائق كلها وليس بمصنوع اله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم وكل شئ الذى من أجلنا ومن أجل خلاصنا بعث العوالم وكل شئ الذى نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد من مريم البتول وصلب أيام فيلاطوس ودفن ثم قام فى اليوم الثالث

وصعد الى السماء وجلس على يمين أبيه وهو مستعد للمجئ تارة أخرى بالقضاء بين الاحياء والاموات ونؤمن بروح الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه وبعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة قدسية مسيحية جاثليقية وبقيام أبداننا بالحياة الدائمة أبد الآبدين انتهى هذا هو اتفاق المجمع الاول الذى هو مجمع نيقية وفيه اشارة الى حشر الابدان ولا يتفق النصارى عليه وانما يتفقون على حشر الارواح ويسمون هذه العقيدة الامانة ووضعوا معها قوانين الشرائع ويسمونها الهيمانون وتوفى الاسكندروس البطرك بعد هذا المجمع بخمسة أشهر ولما عمرت هلانه أم قسطنطين الكنائس وأحب الملك أن يقدسها ويجمع الاساقفة لذلك وبعث أوشانيوش بطرك القسطنطينية وحضر معهم اثناش بطرك الاسكندرية واجتمعوا فى صور وكان أوشانيوش الذى أخرجه الاسكندروس مع أريوش من كنيسة اسكندرية وكان بسبب ذلك مجمع نيقية وكتاب الامانة ونفى أريوش حينئذ وأوشانيوش وصاحبهما ولعنوا جاء أوشانيوش من بعد ذلك وأظهر البراءة من أريوش ومن مقالته فقبله قسطنطين وجعله بطركا بالقسطنطينية فلما اجتمعوا فى صور وكان فيهم اومانيوش على رأى أريوش فأشارا وشانيوش بطرك القسطنطينية بأن يناظر اثناش بطرك الاسكندرية عن مقالة أريوش فقال أومانيوش ان أريوش لم يقل ان المسيح خلق العالم وانما قال هو كلمة الله التى بها خلق كما وقع فى الانجيل فقال اثناش بطرك الاسكندرية وهذا الكلام أيضا يقتضى أن الابن مخلوق وأنه خلق المخلوقات دون الاب لانه اذا كان يخلق به فالاب لم يخلق شيئا لانه مستعين بغيره والفاعل بغيره محتاج الى ذلك المتمم فهو فى ذاته الخالق والله سبحانه منزه عن ذلك وان زعم أريوش أن الاب يريد الشئ والابن يكونه فقد جعل فعل الابن أتم لان الاب انما له الارادة فقط وللابن الاختراع فهو أتم فلما ظهر بطلان مقالة أريوش وثبوا على اومانيوش المناظر عن مقالة أريوش وضربوه ضربا وجيعا وخلصه ابن أخت الملك ثم قدسوا الكنائس وانفض الجمع وبلغ الخبر الى قسطنطين فندم على بطركية أوشانيوش بالقسطنطينية وغضب عليه ومات لسنتين من رياسته واجتمع بعد ذلك أصحاب أريوش الى قسطنطين فحسنوا له تلك المقالة وأن جماعة نيقية ظلموا أريوش وبغوا عليه وصدوا عن الحق فى قولهم ان الاب مساو للابن فى الجوهرية وكاد الملك أن يقبل منهم فكتب اليه كيراش أسقف بيت المقدس يحذره من مقالة أريوش فقبل ورجع واختلف حال ملوك القياصرة بعد قسطنطين فى الاخذ بالامانة أو بمقالة أريوش وظهور احدى الطائفتين متى كان الملك على دينهم وأخش بعض ملوك القياصرة فى الحق على مخالفه فقال له بعض العلماء والحكماء لا تنكر المخالفة فالحنذاء يختلفون أيضا وانما هم الخلق

يحمدون الله ويصفونه بالصفات الكثيرة والله يحب ذلك فسكن بعض الشئ وكان
بعضهم يعرض عن الطائفتين ويخلي كل أحد ودينه ثم كان المجمع الثانى بقسطنطينية
بعد مجمع نيقية بمائتين وخمسين سنة اجتمعوا للنظر فى مقالة مقدونيوس وسلبوس بأن
جسد المسيح بغير ناسوت وأن اللاهوت أغناه عنها مستدلين بما وقع فى الانجيل أن
الكلمة صار لحما ولم يقل صار انسانا وجعلا من الاله عظما وأعظم منه والاب أفضل
عظما وقال ان الاب غير محدود فى القوة وفى الجوهر فأبطلوا هذه المقالة ولعنوهما
وأشادوا بكفرهما وزادوا فى الامانة التى قررها جماعة نيقية ما نصه ونؤمن بروح
القدس المنبثق من الاب ولعنوا من يزيد بعد ذلك على كلمة الامانة أو ينقص منها ثم كان
لهم بعد ذلك بأربعين سنة المجمع الثالث على نسطوريوس البطرك بالقسطنطينية لانه
كان يقول ان مريم لم تلد الها وانما ولدت انسانا وانما اتحد به فى المشيئة لا فى الذات
وليس هو الها حقيقة بل بالموهبة والكرامة ويقول بجوهرين وأقنومين وهذا الرأى
الذى أظهره نسطوريوس كان رأى ناودوس وديودوس الاسقفين وكان من مقالتهما
أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الاب هو الابن الازلى والابن الازلى حل
فى المسيح المحدث فسمى المسيح ابن الله بالموهبة والكرامة وانما الاتحاد بالمشيئة
والارادة فأثبتوا لله ولدين أحدهما بالجوهر والثانى بالنعمة وبلغت مقالة نسطوريوس
الى كرلس بطرك اسكندرية فكتب الى بطرك رومة وهو اكليمس والى يوحنا وهو بطرك
انطاكية والى يونالوس أسقف بيت المقدس فكتبوا الى نسطوريوس ليدفعوه عن ذلك
بالحجة فلم يرجع ولا التفت الى قولهم فاجتمعوا فى مدينة افسيس فى مائتين أسقفا للنظر
فى مقالته فقرروا ابطالها ولعنوه وأشادوا بكفره ووجد عليهم يوحنا بطرك انطاكية
حيث لم ينتظروا حضوره فخالفهم ووافق نسطوريوس ثم أصلح بينهم باوداسوس من بعد
مدة واتفقوا على نسطوريوس وكتب أساقفة المشارقة أماناتهم وبعثوا بها الى كرلس
فقبلها ونفى نسطوريوس الى صعيد مصر فنزل اخميم ومات بها لسبع سنين من نزولها
وظهرت مقالته فى نصارى المشرق وبفارس والعراق والجزيرة والموصل الى الفرات
وكان بعد ذلك باحدى وعشرين سنة المجمع الرابع بمدينة خلقدونية اجتمع فيه ستمائة
وأربعة وثلاثون أسقفا من قيان قيصر للنظر فى مقالة ديسقورس بطرك الاسكندرية
لانه كان يقول المسيح جوهر من جوهرين وأقنوم من أقنومين وطبيعة من طبيعتين
ومشيئة من مشيئتين وكانت الاساقفة والبطاركة لذلك العهد يقولون بجوهرين
وطبيعتين ومشيئتين وأقنوم واحد فخالفهم ديسقرس فى بعض الاساقفة وكتب خطه
بذلك ولعن من يخالفه فأراد مرقيان قيصر قتله فأشارت البطارقة باحضاره وجمع

الاساقفة لمناظرته فحضر بمجلس مرقيان قيصر وافتضح فى مخاطبتهم ومناظرتهم
وخاطبته زوج الملك فأساء الرد فلطمته بيدها وتناوله الحاضرون بالضرب وكتب
مرقيان قيصر الى أهل مملكته فى جميع النواحى بأن مجمع خلقدونية هو الحق ومن
لا يقبله يقتل ومر ديسقورس بالقدس وأرض فلسطين وهو مضروب منفى فاتبعوا رأيه
وكذلك اتبعه أهل مصر والاسكندرية وولى وهو فى النفى أساقفة كثيرة كلهم يعقوبية
قال ابن العميد وانما سمى أهل مذهب ديسقورس يعقوبية لان اسمه كان فى الغلمانية
يعقوب وكان يكتب الى المؤمنين من المسكين المنفى يعقوب وقيل بل كان له تلميذ اسمه
يعقوب فنسبوا اليه وقيل بل كان شاويرش بطرك انطاكية على رأى ديسقورس وكان
له تلميذ اسمه يعقوب فكان شاويرش يبعث يعقوب الى المؤمنين ليثبتوا على أمانة
ديسقورس فنسبوا اليه قال ومن جمع خلقدونية افترقت الكنائس والاساقفة الى
يعقوبية وملكية ونسطورية فاليعقوبية أهل مذهب ديسقورس الذى قررناه آنفا
والملكية أهل الامانة التى قررها جماعة نيقية وجماعة خلقدونية بعدهم وعليها جمهور
النصرانية والنسطورية أهل المجمع الثالث وأكثرهم بالمشرق وبقى الملكية واليعقوبية
يتعاقبون فى الرياسة على الكراسى بحسب من يريدهم من القياصرة وما يختارونه من
المذهبين ثم كان بعد ذلك بمائة وثلاثين سنة أو ثلاث وستين سنة المجمع الخامس
بقسطنطينية فى أيام يوسطانوس قيصر للنظر فى مقالة اقفسح لانه نقل عنه أنه يقول
بالتناسخ وينكر البعث ونقل عن أساقفة انقرا والمصيصة والرها أنهم يقولون ان
جسد المسيح فنطاسيا فأحضر قيصر جميعهم بالقسطنطينية ليناظرهم البطرك بها فقال
البطرك ان كان جسد المسيح فى فقوله وفعله كذلك وقال الاسقف اقفسح انما قام
المسيح من بين الاموات ليحقق البعث والقيامة فكيف تنكر ذلك أنت وجمع لهم مائة
وعشرين أسقفا فأشادوا بكفره وأوجبوا لعنتهم ولعنة من يقول بقولهم
واستقرت فرق النصارى على هذه الثلاثة

(الخبر عن الفرس وذكر أيامهم ودولهم وتسمية ملوكهم
وكيف كان مصير أمرهم الى تمامه وانقراضه)

هذه الامة من أقدم أمم العالم وأشدهم قوة وآثارا فى الارض وكانت لهم فى العالم
دولتان عظيمتان طويلتان الاولى منهما الكينية ويظهر أن مبتدأها ومبتدأ دولة
التبابعة وبنى اسرائيل واحد وأن الثلاثة متعاصرة ودولة الكينية هذه هى التى غلب
عليها الاسكندر والساسانية الكسروية ويظهر أنها معاصرة لدولة الروم بالشأم وهى
التى غلب عليها المسلمون وأما ما قبل هاتين الدولتين فبعيد وأخباره متعارضة ونحن

ذاكرون ما اشتهر من ذلك وأما أنسابهم فلا خلاف بين المحققين أنهم من ولد سام بن نوح وأن جدهم الاعلى الذين ينتمون اليه هو فرس والمشهور أنهم من ولد ايران بن أشوذ ابن سام بن نوح وأرض ايران هى بلاد الفرس ولما عربت قيل لها اعراق هذا عند المحققين وقيل انهم منسوبون الى ايران بن ايران بن أشوذ وقيل الى عليم بن سام ووقع فى التوراة ذكر ملك الاهواز كرداهر من بنى عليم فهذا أصل هذا القول والله أعلم لان الاهواز من ممالك بلاد فارس وقيل الى لاوذ بن ارم بن سام وقيل الى أميم بن لاوذ وقيل الى يوسف بن يعقوب بن اسحق ويقال ان الساسانية فقط من ولد اسحق وأنه يسمى عندهم وترك وأن جدهم منوشهر بن منشحر بن فرهس بن وترك هكذا نقل المسعودى هذه الاسماء وهى كما تراه غير مضبوطة وفيما قيل ان الفرس كلهم من ولد ايران بن افريدون الآتى ذكره وأن من قبله لا يسمون بالفرس والله أعلم وكان أول ما ملك ايران أرض فارس فتوارث أعقابه الملك ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة ثم اتسعت مملكتهم الى الاسكندرية غربا وباب الابواب شمالا وفى الكتب ان أرض ايران هى أرض الترك وعند الاسرائيليين انهم من ولد طيراس بن يافث واخوتهم بنو مادى ابن يافث وكانوا مملكة واحدة

فأما علماء الفرس ونسابتهم فيأبون من هذا كله وينسبون الفرس الى كيومرث ولا يرفعون نسبه الى ما فوقه ومعنى هذا الاسم عندهم ابن الطين وهو عندهم أول النسب هذا رأيهم وأما مواطن الفرس فكانت أول أمرهم بأرض فارس وبهم سميت ويجاورهم اخوانهم فى نسب أشوذ بن سام وهم فيما قال البيهقى الكرد والديلم والخزر والنبط والجرامقة ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة وسائر هؤلاء الامم ثم اتسعت ممالكهم الى الاسكندرية وفى هذا الجيل على ما اتفق عليه المؤرخون أربع طبقات الطبقة الاولى تسمى البيشدانية والطبقة الثانية تسمى الكينية والطبقة الثالثة تسمى الاشكانية والطبقة الرابعة تسمى الساسانية ومدة ملكهم فى العالم على ما نقل ابن سعيد عن كتاب تاريخ الامم لعلى بن حمزة الاصبهانى وذلك من زمن كيومرث أبيهم الى مهلك يزدجرد أيام عثمان أربعة آلاف سنة ومائتا سنة ونحو احدى وثمانين سنة وكيومرث عندهم هو أول ملك نصب فى الارض ويزعمون فيما قال المسعودى أنه عاش ألف سنة وضبطه بكاف أول الاسم قبل الياء المثناة من أسفل والسهيلى ضبطه بجيم مكان الكاف والظاهر أن الحرف بين الجيم والكاف كما قدمناه

(الطبقة الاولى من الفرس وذكر ملوكهم وما صار اليه فى الخليقة أحوالهم)

الفرس كلهم متفقون على أن كيومرث هو آدم الذى هو أول الخليقة وكان له ابن اسمه

منشا

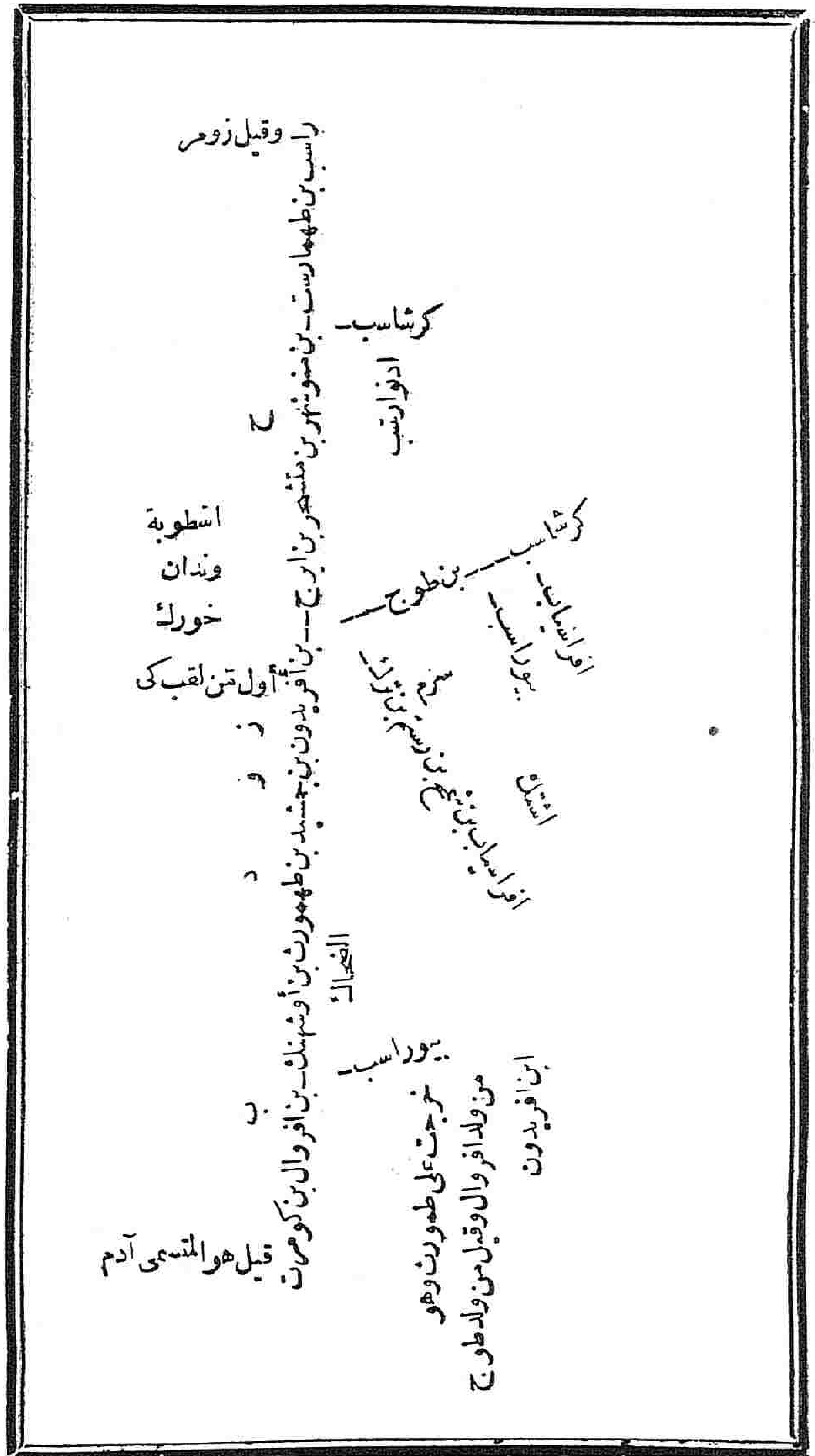
منشا ولمنشا سيامك ولسيامك افروال ومعه أربعة بنين وأربع بنات ومن افروال كان نسل كيومرث والباقون انقرضوا فلا يعرف لهم عقب قالوا وولد لافروال أوشهنك بيشداد فاللفظة الاولى حرفها الاخير بين الكاف والقاف والجيم واللفظة الاخرى معناها بلغتهم النور قاله السهيلى وقال الطبرى أول حاكم بالعدل وكان افروال وارث ملك كيومرث وملك الاقاليم السبعة قال الطبرى عن ابن الكلبى انه أوشهنك بن عابر ابن شالخ قال والفرس تدعيه وتزعم أنه بعد آدم بمائتى سنة قال وانما كان نوح بعد آدم بمائتى سنة فصيره بعد آدم وأنكره الطبرى لان شهرة أوشهنك تمنع من مثل هذا الغلط فيه ويزعم بعض الفرس أن أوشهنك بيشداد هو مهلاييل وأن أباه افروال هو قينن وأن سيامك هو أنوش وأن منشا هو شيث وأن كيومرث هو آدم قال وزعمت الفرس أن ملك أوشهنك كان أربعين سنة فلا يبعد أن يكون بعد آدم بمائتى سنة وقال بعض علماء الفرس ان كيومرث هو كومر بن يافث بن نوح وأنه كان معمرا ونزل جبل دنباوند من جبال طبرستان وملكها ثم ملك فارس وعظم أمره وأمر بنيه حتى ملكوا بابل وأن كيومرث هو الذى بنى المدن والحصون واتخذ الخيل وتسمى بآدم وحمل الناس على دعائه بذلك وأن الفرس من عقب ولده ماداى ولم يزل الملك فى عقبهم فى الكينية والكسروية الى آخر أيامهم وتقول الفرس ان أوشهنك وهو مهلاييل ملك الهند قالوا وملك بعد أوشهنك طهمورث بن أنوجهان بن أنكهد بن أسكهد بن أوشهنك وقيل مكان أسكهد فيشداد وكلها أسماء أعجمية لا عهدة علينا فى نقلها لعجمتها وانقطاع الرواية فى الاصول التى نقلت منها قال ابن الكلبى ان طهمورث أول ملوك بابل وأنه ملك الاقاليم كلها وكان محمودا فى ملكه وفى أول سنة من ملكه ظهر بيوراسب ودعا الى ملة الصابئة وقال علماء الفرس ملك بعد طهمورث جمشيد ومعناه الشعاع لجماعة وهو جم بن نوجهان أخو طهمورث وملك الارض واستقام أمره ثم بطر النعمة وساءت أحواله فخرج عليه قبل موته بسنة بيوراسب وظهر به فنشره بمنشار وأكله وشرط أمعاءه وقيل انه ادعى الربوبية فخرج عليه أولا أخوه استوير فاختفى ثم خرج بيوراسب فانتزع الامر من يده وملك سبعمائة سنة وقال ابن الكلبى مثل ذلك قال الطبرى بيوراسب هو الازدهاك والعرب تسميه الضحاك وهو بصاد بين السين والزاى وحاء قريب من الهاء وكاف قريبة من القاف وهو الذى عنى أبو نواس بقوله

وكان منا الضحاك تعبده ال* جامل والجن فى محاربها

لان اليمن تدعيه قال وتقول العجم ان جمشيد زوج أخته من بعض أهل بيته وملك على اليمن فولدت الضحاك وتقول أهل اليمن فى نسبه الضحاك بن علوان بن عبيدة بن

عوج وأنه بعث على مصر أخاه سنان بن علوان ملكا وهو فرعون ابراهيم قاله ابن الكلبى
وأما الفرس فينسبونه هكذا بيوراسب بن رتيكان بن ويد وشنك بن فارس بن افروال
ومنهم من خالف فى هذا ويزعمون أنه ملك الاقاليم كلها وكان ساحرا كافرا وقيل أباه
وكان أكثر اقامته ببابل وقال هشام ملك الضحاك وهو نمرود الخليل بعد جمشيد وانه
التاسع منهم وكان مولده بدنباوند وأن الضحاك سار الى الهند فخالفه افريدون الى بلاده
فملكها ورجع الضحاك فظفر به افريدون وحبسه بجبال دنباوند واتخذ يوم ظفر به عيدا
وعند الفرس أن الملك انما كان للبيت الذى وطنه أوشهنك وجمشيد وان الضحاك
هو بيوراسب خرج عليهم وبنى بابل وجعل النبط جنده وغلب أهل الارض بسحره
وخرج عليه رجل من عامة اصبهان اسمه عالى وبيده عصا علق فيها جرابا واتخذها راية
ودعا الناس الى حربه فأجابوا وغلبه فلم يدع الملك وأشار بتولية بنى جمشيد لانه من
عقب أوشهنك ملكهم الاول ابن افروال فاستخرجوا افريدون من مكان اختفائه
فملكوه واتبع الضحاك فقتله وقيل أسره بدنباوند ويقال كان على عهد نوح واليه بعث
ولهذا يقال ان افريدون هو نوح والتحقيق عند نسابة الفرس على مانقل هشام بن
الكلبى أن افريدون من ولد جمشيد بينهما تسعة آباء وملك مائتى سنة ورد غصوب
الضحاك ومظالمه وكان له ثلاثة بنين الاكبر سرم والثانى طوج والثالث ايرج وأنه قسم
الارض بينهم فكانت الروم وناحية المغرب لسرم والترك والصين والعراق لايرج وآثره
بالتاج والسرير ولما مات قتله أخواه واقتسما الارض بينهما ثلثمائة سنة ويزعمون أن
افريدون وآباءه العشرة يلقبون كلهم أشكيان وقيل فى قسمته الارض بين ولده غير هذا
وأن بابل كانت لايرج الاصغر وكان يسمى خيارث ويقال كان لايرج ابنان وندان
وأسطوبه وبنت اسمها خورك وقتل الابنان مع أبيهما بعده وهلك افريدون وأن
افريدون ملك خمسمائة سنة وأنه الذى محا آثار نمرود من النبط بالسواد وأنه أول من
تسمى بكى فقيل كى افريدون ومعناه التنزيه أى مخلص متصل بالروحانيات وقيل معناه
البهاء لانه يغشاه نور من يوم قتل الضحاك وقيل معناه مدرك الثار وكان منوشهر الملك ابن
منشحر بن ايرج من نسل افريدون وكانت أمه من ولد اسحق عليه السلام فكفلته
حتى كبر فملك وثأر بأبيه ايرج من عمه بعد حروب كانت له معهما ثم استبد ونزل بابل وحمل
الفرس على دين ابراهيم عليه السلام وثار عليه فراسياب ملك الترك فغلبه على بابل
وملكها ثم اتبعه الى غياض طبرستان فجهز العساكر لحصاره وسار الى العراق فملكه
ويقال فراسياب هذا من عقب طوج بن أفريدون ولحق ببلاد الترك عندما قتل
منوشهر جد طوج فنشأ عندهم وظهر من بلادهم فلهذا نسب اليهم وقال الطبرى لما

هلك منوشهر بن منشحور غلب افراسياب بن أشك بن رستم بن ترك على خيارات وهى
بابل وأفسد مملكة فارس وخربها فثار عليه زوم بن طهماسب ويقال راسب بن
طهماسب وينسب الى منوشهر فى تسعة آباء وان منوشهر غضب على طهماسب
وكانوا يحاربون افراسيات فهم بقتله وشفع فيه أهل الدولة فنفاه الى بلاد الترك وتزوج
منهم ثم عاد الى أبيه وأعمل الحيلة فى اخراج امرأته من بلاد الترك وكانت ابنة وامن ملك
الترك فولدت له زوم ابنه وقام بالملك بعد منوشهر وطرد افراسيات عن مملكة فارس
وقتل جده وامن فى حروبه مع الترك ولحق افراسيات بتركستان واتخذ يوم ذلك الغلب
عيدا ومهرجانا وكان ثالث أعيادهم وكان غلبه على بلاد فارس لثنتى عشرة سنة من وفاة
منوشهر جده وكان زوم بن طهماسب هذا محمودا فى سيرته وأصلح ما أفسد فراسيات
من خيارت من مملكة بابل وهو الذى حفر نهر الزاب بالسواد وبنى على حافته المدينة
العتيقة وسماها الزواهى وعمل فيها البساتين وحمل اليها بزور الاشجار والرياحين وكان
معه فى الملك كرشاسب من ولد طوج بن أفريدون وقيل من ولد منوشهر ويقال انما كان
رديفا له وكان عظيم الشان فى أهل فارس ولم يملك وانما كان الملك لزوم بن طهماسب
وهلك لثلاث سنين من دولته وفى أيامه خرج بنو اسرائيل من التيه وفتح يوشع مدينة
أريحاء ودال الملك من بعده للكينية حسبما نذكره أولهم كيقباذ ويقال ان مدة الملك
لهذه الطبقة كانت ألفين وأربعمائة وسبعين سنة فيما قال البيهقى والاصبهانى ولم
يذكر من ملوكهم الا هؤلاء التسعة الذين ذكرهم الطبرى والله وارث الارض ومن عليها



(الطبقة الثانية من الفرس وهم الكينية وذكر ملوكهم وأيامهم الى حين انقراضهم)

هذه الطبقة الثانية من الفرس وملوكهم يعرفون بالكينية لان اسم كل واحد مضاف الى كى وقد تقدم معناه والمضاف عند العجم متأخر عن المضاف اليه وأولهم فيما قالوا كيقباذ من عقب منوشهر بينهما أربعة آباء وكان متزوجا بامرأة من رؤس الترك ولدت له خمسة من البنين كى وافيا وكيكاوس وكى أرش وكى نية وكى فاسمن وهؤلاء هم الجبابرة وآباء الجبابرة (قال الطبرى) وقيل ان الملوك الكينية وأولادهم من نسله جرت بينه وبين الترك حروب وكان مقيما بنهر بلخ يمانع الترك من طروق بلاده وملك مائة سنة انتهى وملك بعده ابنه كيكاوس بن كينية وطالت حروبه مع فراسيات ملك الترك وهلك فيها ابنه سياوخش ويقال كان على عهد داود وان عمرا ذا الاذعار من ملوك التبابعة غزاه فى بلاده فظفر به وحبسه عنده باليمن وسار وزيره رستم بن دستان بجنود فارس الى غزو ذى الاذعار فقتله وتخلص كيكاوس الى ملكه وقال الطبرى كان كيكاوس عظيم السلطان والحماية وولد له ابنه سياوخش فدفعه الى رستم الشديد بن دستان وكان أصهر بسجستان حتى اذا كملت تربيته وفصاله رده الى أبيه فرضيه وكفلت به امرأة أبيه فسخطه وبعثه لحرب فراسيات وأمره بالمناهضة فراوده فراسيات فى الصلح وامتنع أبوه كيكاوس فخشى منه على نفسه ولحق بفراسيات فزوجه بنته أم كى خسرو ثم خشيه فراسيات على نفسه وأشار على ابنته بقتله فقتلته وترك ابنة فراسيات حاملا بخسرو وولدته هنالك وأعمل كيكاوس الحيلة فى اخراجه فلحق به ويقال انه لما بلغه قتل ابنه بعث عساكره مع قواده فوطئوا بلاد الترك وأثخنوا فيها وقتلوا بنى فراسيات فيمن قتلوه قال الطبرى وانه غزا بلاد اليمن ولقيه ذو الاذعار فى حمير وقحطان فظفر به وأسره وحبسه فى بئر وأطبق عليها وان رستم سار من سجستان فحارب ذا الاذعار ثم اصطلحا على ان يسلم اليه كيكاوس فأخذه ورجع الى بابل وكافأه كيكاوس على ذلك بالعتق من عبودية الملك ونصب لجلوسه سريرا من فضة بقوائم من ذهب وتوجه بالذهب وأقطعه سجستان وأباستان وهلك لمائة وخمسين من دولته وملك بعده فيما قال الطبرى والمسعودى والبيهقى وجماعة من المؤرخين حافده كى خسرو ابن ابنه سياوخش (وقال السهيلى) انه ملك كى خسرو وبعد ثلاثة آخرين بينه وبين كيكاوس فأولهم بعده ابنه كى كينة ثم من بعده ابنه اجوابن كى كينة ثم عمه سياوخش بن كيكاوس ثم بعد الثلاثة كى خسرو بن سياوخش اه وهو غريب فانهم متفقون على ان سياوخش مات فى حياة أبيه فى حروب الترك قال الطبرى وقد كان

كيكاوس بن كى كينية بن كيقباذ ملك كى خسرو حين جاءه من بلاد الترك مع أمّه
واسفاقـدين بنت فراسـيات قالوا ولما ملك بعث العساكر مع اجو الى اصبهان
لحرب فراسيات ملك الترك للطلب بثار أبيه سياوخش فزحفوا الى الترك وكانت بينهم
حروب شديدة انهزمت فيها عساكر الفرس فنهض كى خسرو بنفسه الى بلخ وقدم
عساكره وقواده فقصدوا بلاد الترك من سائر النواحى وهزموا عساكرهم وقتلوا
قوادهـم وكان قاتل سياوخش بن كى خسرو فيمن قتـل منهـم وبعث فراسيات ابنه
وكان ساحرا الى كيخسرو يستميله فعـمد الى القواد بمنعه وقتاله وقاتل فقتل وزحف
فراسـيات فلقيـه كى خسرو وكانت بينهما حروب شديدة انجلت عن هزيمة فراسـيات
والترك واتبعه كى خسرو فظفر به فى اذربيجان فذبحه وانصرف ظافرا وكان فيمن حضر
معه لهذا الفتح ملك فارس وهو كى اوجن بن حينوش بن كيكاوس ابن كينية بن كيقباد
وهو عند الطبرى أبو كيهراسف الذى ملك بعد كيخسرو على ماذكروه ملك على الترك
بعـد فراسـيات جوراسف ابن أخيه شراشف ثم انّ كى خسرو ترهب وزهـد فى الملك
واستخلف مكانه كيهراسف بن كى أوجن الذى قدمنا انه أبوه عنـد الطبرى ولد كيخسرو
فقيـل غاب فى البرية وقيـل مات وذلك لستين سـنة من ملكه ولما ملك كيهراسـف
اشـتدّت شوكة الترك فسكن لقتالهـم مدينـة بلخ على نهر جيحون وأقام فى حروبهم
عامّة أيامه وكان أصـبهبذ ما بين الاهواز والروم من غربى دجلة فى أيامه بختنرسى
المشتهر ببختنصر وأضاف اليه كهراسف ملكا عنـد ما سار اليه وأذن له فى فتح ما يليه
وسار الى الشأم معـه ملوك الفرس وبختنصر ملك الموصـل وله سنجاريف ففتح بيت
المقدس وكان له الظهور على اليهود واستأصلهم كما مرّ فى اخبارهم وبختنصر هذا الذى
غزا العرب وقاتلهـم واستباحهم ويقـال انّ ذلك كان فى أيام كى بهمن حافد كيستاسب
ابن كيهراسف (قال هشام بن محمـد) أوحى الله الى أرميا النبىّ صـلى الله عليه وسلم
وكان حافد زرباقيل الذى رجع بنى اسرائيـل الى بيت المقدس بأمر بختنصر أن يفرق
العرب الذين لا اغلاق لبيوتهـم ويستبيحهم بالقتـل ويعلمهـم بكفرهم بالرسـل
واتخاذهم الآلهة وفى كتاب الاسرائيليين والوحى بذلك كان الى ترميا بن خلقيا وقد
مرّ ذكره وانه أمر ان يستخرج معد بن عدنان من بينهم ويكفله الى انقضاء أمر الله فيهم
انتهى قال فوثب بختنصر على من وجده ببلاده من العرب للميرة فحبسهم ونادى بالغزو
وجاءت منهـم طوائف مستسلمين فقبلهـم وأنزلهم بالانبار والحيرة وقال غير هشام انّ
بختنصر غزا العرب بالجزيرة وما بين ايلة والابلة وملأها عليهم خيلا ورجالا ولقيـه
بنو عدنان فهزمهم الى حضورا واستلحمهم أجمعين وانّ الله أوحى الى ارميا ويوحنا أن

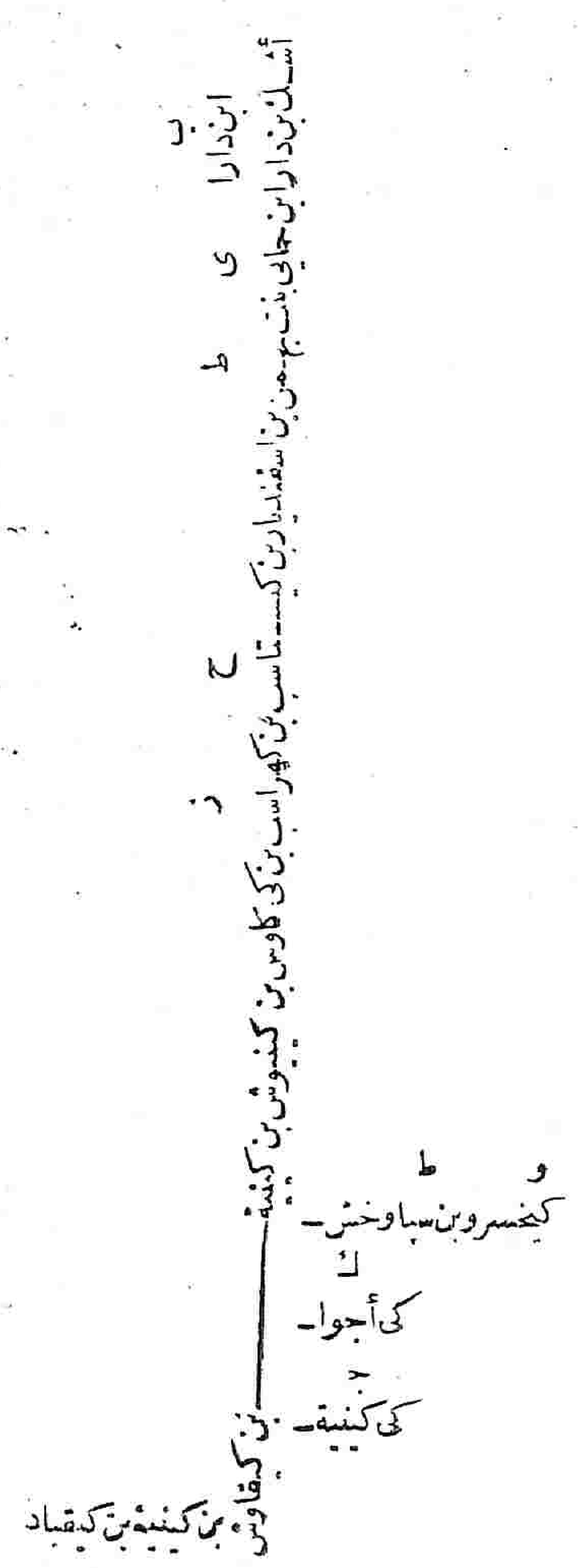
يستخرجا معـد بن عدنان الذى من ولده محمـد أختم به النبيين آخر الزمان وهو ابن ثنتى
عشرة سـنة وردفه يوحنا على البراق وجاءبه الى حرّان وربى بين أنبياء بنى اسرائيـل
ورجع بختنصر الى بابل وانزل السبى بالانبار فقيل أنبار العرب وسميت بهم وخالطهـم
النبط بعد ذلك ولما هلك بختنصر خرج معد بن عدنان مع أنبياء بنى اسرائيـل الى الحج
فحجوا وبقى هنالك مع قومه وتزوج بعانة بنت الحارث بن مضاض الجرهمى فولدت له
نزار بن معـد وأمّا كيهراسف فكان يحارب الترك عامّة أيامه وهلك فى حروبهـم لمائة
وعشرين سنة من ملكه وكان محمود السـيرة وكانت الملوك شرقا وغربا يحملون اليـه
الاتاوة ويعظمونه وقيل انه ولى ابنه كيستاسب على الملك وانقطع للعبادة ولما ملك ابنه
كيستاسب شغل بقتال الترك عامة أيامه ودفع لحروبهم ابنه اسفنديار فعظم عناؤه فيهم
وظهر فى أيامه زرادشت الذى يزعم المجوس نبوّته وكان فيما زعم أهل الكتاب من أهل
فلسطين خادما لبعض تلامذة ارميا النبى خالصـة عنده فخانه فى بعض أموره فدعا الله
عليه فبرص ولحق باذربيجان وشرّع بها دين المجوسية وتوجـه الى كيستاسف فعرض
عليه دينه فأعجبه وحمل الناس على الدخول فيه وقتـل من امتنع وعنـد علماء الفرس
ان زرادشت من نسل منوشهر الملك وانّ نبيا من بنى اسرائيل بعث الى كيستاسف وهو
ببلخ فكان زرادشت وجاماسب العالم وهو من نسل منوشهر أيضا يكتبان بالفارسية
ما يقول ذلك النبىّ بالعبرانيـة وكان جاماسب يعرف اللسان العربى ويترجمه لزرادشت
وانّ ذلك كان لثلاثين سنة من دولة كيهراسف (وقال علماء الفـرس) ان زرادشت
جاء بكتاب ادعاه وحيا كتب فى اثنى عشر ألف بعده نقشا بالذهب وان كيستاسف
وضع ذلك فى هيكل باصطخر ووكل به الهرابذة ومنع من تعليمه العامّة (قال) المسعودى
ويسمى ذلك الكتاب نسناه وهو كتاب الزمزمة ويدور على ستين حرفا من
حروف المعجـم وفسره زرادشت وسمى تفسـيره زند ثم فسر التفسـير ثانيا وسماه زنديه
وهذه اللفظة هى التى عربتها العرب زنديق وأقسام هذا الكتاب عندهم ثلاثة قسم
فى أخبار الامم الماضية وقسم فى حدثان المستقبل وقسم فى نواميسهم وشرائعهم مثل
أنّ المشرق قبلة وانّ الصلوات فى الطلوع والزوال والغروب وانها ذات سجـدات
ودعوات وجدّد لهم زرادشت بيوت النيران التى كان منوشهر أخمـدها ورتب لهـم
عيدين النيروز فى الاعتدال الربيعى والمهرجان فى الاعتدال الخريفى وأمثال ذلك من
نواميسهم ولما انقرض ملك الفرس الاول أحرق الاسكندر هذه الكتب ولما جاء أردشير
جمع الفرس على قراءة سورة منها تسمى اسـتا قال المسعودى وأخذ كيستاسف بدين
المجوسية من زرادشت لخمس وثلاثين سـنة من نبوّته فيما زعموا ونصب كيستاسف مكانه

جاماسب العالم من أهل اذربيجان وهو أوّل موبذان كان فى الفرس انتهى (قال الطبرى) وكان كيستاسب مهادنا ارجاماسب ملك الترك وقد اشترط عليه ان تكون دابة كيستاسف موقفة على بابه بمنزلة دواب الرؤساء عند أبواب الملوك فنعه من ذلك زرادشت وأشار عليه بمنة الترك فبعث الى الدابة والموكل بها واصرفهما اليه وبلغ الخبر الى ملك الترك فبعث اليه بالعتاب والتهديد وان يبعث بزرادشت اليه والا فيعزره وأغلظ كيستاسف فى الجواب وآذنه بالحرب وسار بعضهما الى بعض واقتتلوا وقتل وزين بن كيستاسف وانهزم الترك وأثخن فيهم الفرس وقتل ساحر الترك قيدوشق ورجع كيستاسف الى بلخ ثم سعى عنده بابنه أسفنديار فحبسه وقيده وسار الى جبل بناحية كرمان وسجستان فانقطع به للعبادة ودراسة الدين وخلف أباه كهراسف فى بلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك خزائنه وأمواله فيها مع امرأته فغزاهم بها خدراسف وقدم اخاه جورا فى جموع الترك وكان مرشحا للملك فأثخن واستباح واستولى على بلخ وقتل كهراسف أباهم وغنموا الاموال وهدموا بيوت النيران وسبوا حماى بنت كستاسف وأختها وكان فيما غنموه العلم الاكبر الذى كانوا يسمونه زركش كاويان وهى راية الحداد الذى خرج على الضحاك وقتله وولى أفريدون فسموا تلك الراية ورصعوها بالجواهر ووضعوها فى ذخائرهم يبسطوها فى الحروب العظام وكان لهاذكر فى دولتهم وغنمها المسلمون يوم القادسية ثم مضى خدراسف ملك الترك فى جموعه الى كستاسف وهو بجبال سجستان متعبدا فتحصن منه وبعث الى ابنه اسفنديار مع جاماسب العالم وهو فقلده الملك ومحاربة الترك فسار اليهم وأبلى فى حروبهم فانهزموا وغنم ما معهم واستردما كانوا غنموه والراية زركش كاويان فى جملته ثم دخل أسفنديار الى بلادهم فى اتباعهم وفتح مدينتهم عنوة وقتل ملكهم خدراسف واخوته واستلحم مقاتلته واستباح أمواله ونساءه ودخل مدينة فراسيات ودوخ البلاد وانتهى الى بلاد صول والتبت وولى على كل ناحية من الترك وفرض الخراج وانصرف الى بلخ وقد غص به أبوه (قال هشام بن محمد) فبعثه الى رستم ملك سجستان الذى كان يستنفره كيقباد جدهم من ملوك اليمن وأقطعه تلك الممالك جزاء لفعله فسار اليه اسفنديار وقاتله رستم وهلك كستاسف لمائة وعشرين سنة ويقال انه الذى ردّ بنى اسرائيل الى بلادهم وان أمه كانت من بنى طالوت ويقال ان ذلك هو حافده بهمن وقيل ان الذى ردهم هو كورش من ملوك بابل أيام بهمن بأمره ثم ملك بعد كستاسف حافده كى بهمن ويقال اردشير بهمن (قال الطبرى) ويعرف بالطويل الباع لاستيلائه على الممالك والاقاليم قال هشام بن محمد ولما ملك سار الى سجستان طالبا بثار أبيه

فكانت بينهما حروب فقتل فيها رستم بن دستان وأبوه واخوته وأبناؤه ثم غزا الروم وفرض عليهم الاتاوة وكان من أعظم ملوك الفرس وبنى مدنا بالسواد وكانت أمه من نسل طالوت لاربعة آباء من لدنه وكانت له أم ولد من سبى بنى اسرائيل اسمها راسف وهى أخت زربافيل الذى ملكه على اليهود ببيت المقدس وجعل له رياسة الجالوت وملك الشأم وملك ثمانين سنة فملكت حماى ملكها الفرس [بياض بالأصل] ولحسن أدبها وكمال معرفتها وفروسيتها وكانت بلغت شهرا أزاد وقيل انما ملكوها لانها لما حملت من أبيها دارا الاكبر سألته أن يعقد له التاج فى بطنها ففعل ذلك وكان ابنه ساسان مرشحا للملك فغضب ولحق بجبال اصطخر زاهدا يتولى ماشيته بنفسه فلما مات أبوه فقدوا ذكرا من أولاده فولوا حماى هذه وكانت مظفرة على الاعداء ولما بلغ ابنها دارا الاشد سلمت اليه الملك وسارت الى فارس واختطت مدينة دارابجرد ورددت الغزو الى بلاد الروم وأعطيت الظفر فكثر سبيهم عندها وملكت ثلاثين سنة ولما ملك ابنها دارا نزل بابل وضبط ملكه وغزا الملوك وأدوا الخراج اليه ويقال انه الذى رتب دواب البرد وكان معجبا بابنه دارا حتى سماه باسمه وولاه عهده وهلك لاثنتى عشرة سنة وملك بعده ابنه دارا بهمن وكان له مربى اسمه بيدلى قتله أبوه دارا بسعايته وزيره ارشيس محمود وندم على قتله فلما ولى دارا جعل على كتابته أخا بيدلى ثم استوزره رعيا المرباه مع أخيه فاستفسده على ارشيس وزيره ووزير أبيه وعلى سائر أهل الدولة استوحشوا منه وقال هشام بن محمد وملك دارا بن دارا أربع عشرة سنة فأساء السيرة وقتل الرؤساء وأهلك الرعية وغزاه الاسكندر بن فيلبش ملك بنى يونان وقد كانوا يسمونه [بياض بالأصل] فوثب عليه بعضهم وقتله ولحق بالاسكندر وتقرب بذلك اليه فقتله الاسكندر وقال هذا جزاء من اجترا على سلطانه وتزوج بنته روشنك كما نذكره فى اخبار الاسكندر

وقال الطبرى قال بعض أهل العلم باخبار الماضين كان لدارا من الولد يوم قتل أربع بنين أسنك وبنودار وأردشير وبنت اسمها روشنك وهى التى تزوجها الاسكندر قال وملك أربع عشرة سنة هذه هى الاخبار المشهورة للفرس الاولى الى ملكهم الاخير دارا قال هروشيوش مؤرخ الروم فى مبدا دولة الفرس هؤلاء انما كانت بعد دخول بنى اسرائيل الى الشأم وعلى عهد عثنيئال بن قناز بن يوفنا وهو ابن أخى كالب بن يوفنا الذى دبر أمر بنى اسرائيل بعد يوشع قال وفى ذلك الزمان خرج أبو الفرس من أرض الروم الغريقيين من بلاد أسيا واسمه بالعربية فارس وباليونانية برشور وبالفارسية برشيرش فنزل بأهل بيته فى ناحية وتغلب على أهل ذلك الموضع فنسبت اليه تلك الامة واشتق اسمها من اسمه ومازال أمرهم ينمو الى دولة كيرش الذى يقال فيه انه كسرى

الاول فغلب على القضاعيين ثم زحف الى مدينة بابل وعرض له دونها النهر الثانى بعد الفرات وهو نهر دجلة فاحتفر له الجداول وقسمه فيها ثم زحف الى المدينة وتغلب عليها وهدمها ثم حارب السريانيين فهلك فى حروبهم ببلاد شيث وولى ابنه قنبيشاش بن كيرش فثار منهم بأبيه وتخطاهم الى أرض مصر فهدم أوثانهم ونقض شرائعهم فقتله السحرة وذلك لالف سنة من ابتداء دولتهم فولى أمر الفرس دارا وقتل السحرة بمصر ورد عمالة السريانيين اليهم ورجع بنى اسرائيل الى الشأم فى الثانية من أيامه وزحف الى بلاد الروم الغريقيين طالبا ثار كيرش فلم يزل فى حروبهم الى أن هلك لثلاث وعشرين من دولته ثار عليه أحد قواده فقتله وولى بعده ابنه ارتشخار أربعين سنة وولى بعده ابنه دارا نوطو سبع عشرة سنة ثم ولى بعده ابنه ارتشخار بعد أن نازعه كيرش بن نوطو فقتله ارتشخار واستولى على الامر وسالم الروم الغريقيين ثم انتقضوا عليه واستعانوا بأهل مصر فطالت الحرب ثم اصطلحوا ووقعت الهدنة وهلك ارتشخار وذلك على عهد الاسكندر ملك اليونانيين وهو خال الاسكندر الاعظم وهلك لعهده فولى أبو الاسكندر الاعظم ببلد مقدونية وهو ملك فيلبش وهلك ارتشخار أوقش است وعشرين من دولته وولى من بعده ابنه شخشار أربع سنين وفى أيامه ولى على مقدونية اليونانيين سائر الروم الغريقيين الاسكندر بن فيلبش ثم ولى بعده شخار دارا وعلى عهده تغلب الاسكندر على يهود بيت المقدس وعلى جميع الروم الغريقيين ثم حدثت الفتنة بينه وبين دارا وتزاحفوا مرات انهزم فى كلها وكان للاسكندر الظهور عليه ومضى الى الشأم ومصر فملكهما وبنى الاسكندرية وانصرف فلقيه دارا أنطوس فهزمه وغلب على ممالك الفرس واستولى على مدينتهم وخرج فى اتباع دارا فوجده فى بعض طريقه جريحا ولم يلبث أن هلك من تلك الجراحة فأظهر الاسكندر الحزن عليه وأمر بدفنه فى مقابر الملوك وذلك لالف سنة ونحو من ثمانين سنة منذ ابتداء دولتهم كما قلناه انتهى كلام هروشيوش وقال السهيلى وجده مثخنا فى المعركة فوضع رأسه على فخذه وقال يا سيد الناس لم أرد قتلك ولا رضيته فهل من حاجة فقال تتزوج ابنتى وتقتل قاتلى ففعل الاسكندر ذلك وانقرض أمر هذه الطبقة الثانية والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى



قال ابن العميد) فى ترتيب هؤلاء الملوك الفرس من بعد كيرش الى دارا آخرهم يقال انه ملك من بعد كورش ابنه قمبوسيوس ثمانيا وقيل تسعا وقيل ثنتين وعشرين سنة وقيل انه غزا مصر واستولى عليها وتسمى بختنصر الثانى وملك بعده أريوش بن كستاسب خمسا وعشرين سنة وهو أول الملوك الاربعة الذين عناهم دانيال بقوله ثلاث ملوك يقومون بفارس والرابع يكثر ماله ويعظم على من قبله فأولهم دارا بن كستاسف وهو مذكور فى المجسطى والثانى دارا بن الامة والثالث الذى قتله الاسكندر وقيل بل هو الرابع الذى عناه دانيال لانه جعل أول الاربعة داريوش وأخشورش العادى وسر كورش ورديفه فى الملك ثم عد الثلاثة بعده وفى الثانية من ملكة داريوش بن كيستاسف لبابل تمت سبعون سنة لخراب القدس وفى الثالثة كمل بناء البيت ثم ملك بعد داريوش بن كيستاسف هذا أسمرديوس المجوسى سنة واحدة وقيل ثلاث عشرة سنة وسمى مجوسيا لظهور زرادشت بدين المجوسية فى أيامه ثم ملك اخشويرش بن داريوش عشرين سنة وكان وزيره هامان العمليقى وقد مرت قصته مع الجارية من بنى اسرائيل ثم ملك من بعده ابنه ارطحشاشت بن اخشويرش ويلقب بطويل اليدين وكانت أمه من اليهود بنت أخت مردخاى وكانت حظية عند أبيه وعلى يدها تخلص اليهود من سعاية وزيره فيهم عنده وكان العزير فى خدمته ولعشرين من دولته أمر بهدم أسوار القدس ثم رغب اليه العزير فى تجديدها فبناها فى ثنتى عشرة سنة قال ابن العميد عن المجسطى ان العزير هذا ويسمى عزراء هو الرابع عشر من الكهنونة من لدن هرون عليه السلام وأنه كتب لبنى اسرائيل التوراة وكتب الانبياء من حفظه بعد عودهم من الجلاء الاول لان بختنصر كان أحرقها وقيل ان الذى كتب لهم ذلك هو يشوع بن أبوصادوق ثم ملك من بعده ارطحشاشت الثانى خمس سنين وقيل احدى وثلاثين وقيل ست عشرة وقيل شهرين ورجح ابن العميد الخمس لموافقتها سياقة التواريخ وكان لعهده أبقراط وسقراط فى مدينة اشيناش ولعهده كتب النواميس الاثنى عشر ثم ملك بعده صغريتوس ثلاث سنين وقيل سنة واحدة وقيل سبعة أشهر ولم يزل مختنقا بالمرض كان به الى أن هلك ثم ملك من بعده دارا بن الامة ويلقب الناكيش وقيل داريوش البار يوس ملك سبع عشرة سنة وكان على عهده من حكماء يونان سقراط وفيثاغورس وأقليدس وفى الخامسة من دولته انتقض أهل مصر على يونان واستبدوا بملكهم بعد مائة وأربع وعشرين سنة كانوا فيها فى ملكتهم ثم ملك من بعده ارطحشاشت بن أخى كورش داريوش احدى عشرة سنة وقيل ثنتين وعشرين سنة وقيل أربعين وقيل احدى وعشرين وكان لعهده أليانقيم الكوهن الذى داهن الكهنونية ستا وأربعين سنة ثم ملك من بعده ارطحشاشت

وتسمى أخوش ويقال أوغش عشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وقيل تسعا وعشرين وزحف الى مصر فملكها وهرب منها فرعون ساناق الى مقدونية واسمه قصطرا وبنى ارطحشاشت قصر الشمع وجعل فيه هيكلا وهو الذى حاصره عمرو بن العاصى وملكه ثم ملك من بعده ابنه أرشيش بن أرطحشاشت وقيل اسمه فارس أربع سنين وقيل احدى عشرة وكان لعهده من حكماء يونان بقراط وافلاطون ودمقراطس ولعهده قتل بقراط على القول بالتناسخ وقيل لم يكن مذهبه وانما ألزمه به بعض تلامذته ثم شهدوا عليه وقتل مسموما قتله القضاة بمدينة اثينا ثم ملك من بعده ابنه دارا بن أرشيش عشرين سنة وقيل ست عشرة وقال ابن العميد عن أبى الراهب انه دارا الرابع الذى أشار اليه دانيال كما مر وكان هذا الملك عظيما فيهم وتغلب على يونان وألزمهم الوظائف التى كانت عليهم لآبائه وملكهم يومئذ الاسكندر بن فيلبش وكان عمره ست عشرة سنة فطمع فيه دارا وطلب الضريبة فمنع وأجاب بالاغلاظ وزحف اليه فقاتله وقتله واستولى الاسكندر على ملك فارس وما وراءه انتهى كلام ابن العميد

(الطبقة الثالثة من الفرس وهم الاشكانية ملوك الطوائف وذكر دولهم ومصاير امورهم الى نهايتها)

هذه الطبقة من ملوك الفرس يعرفون بالاشكانية وكانوا أقرب الى الغنى من ولد اشكان بن دارا الاكبر وقد مر ذكره وكانوا من أعظم ملوك الطوائف عند افتراق أمر الفرس وذلك أن الاسكندر لما قتل دارا الاصغر استشار معلمه ارسطو فى أمر الفرس فأشار عليه أن يفرق رياستهم فى أهل البيوت منهم فتفترق كلمتهم ويخلص لك أمرهم فولى الاسكندر عظماء النواحى من الفرس والعرب والنبط والجرامقة كلا على عمله واستبد كل بناحية واستقام له ملك فارس والمشرق ولما مات الاسكندر قسم ملكه بين أربعة من أمرائه فكان ملك مقدونية وانطاكية وما اليها من ممالك الروم لفيلبش من قواده وكانت الاسكندرية ومصر والمغرب لفيلادفس ولقبه بطليموس وكان الشأم وبيت المقدس وما الى ذلك لدمطاوس وكان السواد الى الجبال والاهواز وفارس لبلاقش سيلقس ولقبه انطيخس وأقام السولد فى ملكته أربعا وخمسين سنة قال الطبرى وكان أشك بن دارا الاكبر خلفه أبوه بالرى فنشأ بها فلما كبر وهلك الاسكندر جمع العساكر وسار يريد انطيخس والتقيا بالموصل فانهزم انطيخس وقتل وغلب أشك على السواد من الموصل الى الرى وأصبهان وعظمه سائر ملوك الطوائف لشرفه ونسبه وأهدوا اليه من غير أن يكون له عليهم ايالة فى عزل ولا تولية بل انما كانوا يعظمونه ويبدؤن باسمه فى المخاطبات وهم مع ذلك متعادون

تختلف حالاتهم بعضهم مع بعض فى الحرب والمهادنة وقال بعضهم كان رجلا من نسل الملوك من فارس مملكا على الجبال وأصبهان والسواد لفوات الاسكندر ثم غلب بعد ذلك ولده على السواد وجمعه الى الجبال وأصبهان وصار كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ولذلك قصر ذكر هؤلاء الملوك دون غيرهم من الطوائف فمنهم من قال انه أشك بن دارا كما قدمنا وهو قول الفرس وقيل هو أشك عقب اسفندار بن كستاسب بينهما ستة آباء وقيل هو أشك بن اشكان الاكبر من ولد كينية بن كيقباذ ويقال انه كان أعظم الاشكانية وقهر ملوك الطوائف وعلى اصطخر لاتصالها بأصبهان وتخطاها الى ما يتاخمها من بلاد فارس فغلب عليه واتصل ملكه عشرين سنة وملك بعده جور ابن أشك وغزا بنى اسرائيل بسبب قتلهم يحيى بن زكريا وقال المسعودى ملك أشك بن أشك بن دارا بن أشكان الاول منهم عشر سنين ثم سابور ابنه ستين سنة وغزا بنى اسرائيل بالشأم ونهب أموالهم ولاحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى صلوات الله عليه بأرض فلسطين ثم ملك عمه جور عشر سنين ثم نيرو بن سابور احدى وعشرين سنة وفى أيامه غلب طيطش قيصر على بيت المقدس وخربها وأجلى منها اليهود كما مر ثم جور ابن نيرو تسع عشرة سنة ثم جرسى أخوه أربعين سنة ثم هرمز أخوهما أربعين سنة ثم ابنه اردوان بن هرمز خمس عشرة سنة ثم ابنه كسرى بن اردوان أربعين سنة ثم ابنه بلاش ابن كسرى أربعا وعشرين سنة وفى أيامه غزت الروم السواد مع قيصر بطامون بشار انطيخش ملك انطاكية من اليونان الذى قتله أشك جد بلاوش هذا فجمع بلاوش العساكر واستنفر ملوك الطوائف بفارس والعراق فوجهوا اليه بالمدد واجتمع له أربعمائة ألف من المقاتلة وولى عليهم صاحب الحضر وكان من ملوك الطوائف على السواد فزحف الى قيصر فقتله واستباح عسكر الروم وقتل وفتح انطاكية وانتهى الى الخليج وولى من بعد بلاش ابنه اردوان بن بلاوش ثلاث عشرة سنة ثم خرج عليه اردشير بن بابك بن ساسان وجمع ملك فارس من أيدى ملوك الطوائف وجدد الدولة الساسانية كما نذكر فى اخبارهم (قال الطبرى) وفى أيام الطوائف كانت ولادة عيسى صلوات الله عليه لخمس وستين من غلب الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين من ملك الاشكانية والنصارى يزعمون ان ذلك كان لمضى ثلثمائة وثلاث وستين من غلب الاسكندر على بابل قال الطبرى وجميع سنى الطوائف من لدن الاسكندر الى ظهور اردشير بن بابك واستوائه على الامر مائتان وستون سنة وبعضهم يقول خمسمائة وثلاث وعشرون سنة وقال بعضهم ملك فى هذه المدة منهم تسعون ملكا على تسعين طائفة كلهم يعظم ملوك المدائن منهم وهم الاشكانيون

يا ى ط ح ز جرسى د ب

اردوان بن بلاوش بن كسرى بن اردوان بن هرمز بن فيروز بن سابور بن اشك بن اشك ابن دارا الاكبر

* (الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانية والخبر عن ملوكهم الاكاسرة الى حين الفتح الاسلامى) *

هذه الدولة كانت من أعظم الدول فى الخليقة وأشدها قوة وهى احدى الدولتين اللتين صبحهما الاسلام فى العالم وهما دولة فارس والروم وكان مبدأ أمرها من توثب أردشير ابن بابك شاه ملك مرو وهو ساسان الاصغر ابن بابك بن ساسان بن بابك بن هرمز بن ساسان الاكبر ابن كى بهمن وقد تقدم لنا ذكر كى بهمن وان ابنه ساسان غضب لما توج للملك أخوه دارا وهو فى بطن أمه ولحق بجبال اصطخر فأقام هنالك وتناسل ولده بها الى ان كان ساسان الاصغر منهم فكان قيما على بيت النار لاصطخر وكان شجاعا وكانت امرأته من بيت ملك فولدت له ابنه بابك وولد لبابك اردشير وضبطه الدارقطنى بالراء المهملة وكان على اصطخر يومئذ ملك من ملوك الطوائف وله عامل على دارابجرد خصى اسمه سرى فلما أتت لاردشير سبع سنين جاء به جده ساسان الى ملك اصطخر وسأله أن يضمه الى عامل دارابجرد الخصى يكفله الى أن تتم تربيته ولما هلك عامل دارابجرد فأقام بأمره فيها اردشير هذا وملكها وكان له علم من المنجمين بأن الملك سيصير اليه فوثب على كثير من ملوك الطوائف بأرض فارس فاستولى عليهم وكتب الى أبيه بذلك ثم وثب على عامل اصطخر فغلبه على ما بيده وملك اصطخر وكثيرا من اعمال فارس وكان زعيم الطوائف يومئذ اردوان ملك الاشكانيين فكتب اليه يسأله أن يتوجه فعنفه وكتب اليه بالشخوص فامتنع وخرج بالعساكر من اصطخر وقدم موبذان رورين فتوجه ثم فتح كرمان وبها ملك من ملوك الطوائف وولى عليها ابنه وكتب اليه اردوان يتهدده وأمر ملك الاهواز من الطوائف أن يسير اليه فرجع مغلوبا ثم سار اردشير الى أصبهان فقتل ملكها واستولى عليها ثم الى الاهواز فقتل ملكها كذلك ثم زحف اليه اردوان عميد الطوائف فهزمه اردشير وقتله وملك همذان والجبل واذربيجان وارمينية والموصل ثم السودان وبنى مدينة على شاطئ دجلة شرقى المدائن ثم رجع الى اصطخر ففتح سجستان ثم جرجان ثم مرو وبلخ وخوارزم الى تخوم خراسان وبعث بكثير من الرؤس الى بيت النيران ثم رجع الى فارس ونزل صول وأطاعه ملك كوشان ومكران ثم ملك البحرين بعد أن حاصرها مدة وألقى ملكها بنفسه فى البحر ثم رجع فنزل المدائن وتوجه ابنه سابور ولم يزل مظفرا وقهر الملوك حوله وأثخن فى الارض ومدن المدن واستكثر العمارة وهلك لاربع عشرة سنة من ملكه باصطخر بعد قتل اردوان (وقال هشام بن الكلبى) قام

اردشير فى أهل فارس يريد الملك الذى كان لآبائه قبل الطوائف وان يجمعه لملك واحد وكان اردوان ملكا على الاردوانيين وهم انباط السواد وكان بابا ملكا على الارمانيين وهم انباط الشأم وبينهما حرب وفتنة فاجتمعا على قتال اردشير فحارباه مناوبة ثم بعث اردشير الى بابا فى الصلح على ان يدعه فى الملك ويخلى بابا بينه وبين اردوان فلم يلبث ان قتل اردوان واستولى على السواد فأعطاه بابا الطاعة بالشأم ودانت له سائر الملوك وقهرهم ثم رجع الى أمر العرب وكانت بيوتهم على ريف العراق ينزلون الحيرة وكانوا ثلاث فرق الاولى تنوخ ومنهم قضاعة الذين كما قدمنا أنهم كانوا اقتتلوا مع ملك من التبابعة وأتى بهم وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضعونها غربى الفرات بين الانبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الاقامة فى مملكة اردشير وخرجوا الى البرية والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة وأوطنوها والثالثة الاحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين عن طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم فلك هؤلاء الاحلاف الحيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدى وقومه فعمروا الحيرة والانبار ونزلوا وخربوها وكانتا من بناء العرب أيام بختنصر ثم عمرهما بنو عمرو بن عدى لما أصاروهما نزلا لملكهم الى أن صبحهم الاسلام واختط العرب الاسلاميون مدينة الكوفة فدثرت الحيرة وكان اردشير لما ملك أسرف فى قتل الاشكانية حتى أفناهم لوصية جده ووجد بقصر اردوان جارية استملحها ودفعت عن نفسها القتل بانكار نسبها فيهم فقالت أنا مولاة وبكر فواقعها وحملت وظنت الأمن على نفسها فأخبرته بنسبها فتنكر ودفعها الى بعض مرازبته ليقتلها فاستبقاها ذلك المرزبان الى ان شكى اليه اردشير قلة الولد والخوف على ملكه من الانقطاع وندم على ما سلف منه من قتل الجارية واتلاف الحمل فأخبره بحياتها وانها ولدت ولدا ذكرا وانه سماه سابور وانه قد كملت خصاله وآدابه فاستحضره اردشير واختبره فرضيه وعقد له التاج ثم هلك اردشير فملك سابور من بعده فأفاض العطاء فى أهل الدولة وتخير العمال ثم شخص الى خراسان فمهد أمورها ثم رجع فشخص الى نصيبين فملكها عنوة فقتل وسبى وافتتح من الشأم مدنا وحاصر انطاكية وبها من الملوك اريانوس فاقتحمها عليه وأسره وحمله الى جنديسابور فحبسه بها الى ان فاداه على اموال عظيمة ويقال على بناء شاذروان تستر ويقال جدع انفه وأطلقه ويقال بل قتله وكان بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وبها ملك من الجرامقة يقال له الساطرون من ملوك الطوائف وهو الذى يقول فيه الشاعر

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهى * ذا ثراء وجوهر مكنون

(وقال المسعودى) وهو الساطرون بن اسطرون من ملوك السريانيين. قال الطبرى

وتسميه العرب الضيزن وقال هشام بن محمد الكلبى من قضاعة وهو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجدم بن عمرو بن النخع بن سليم وسنذكر نسب سليم فى قضاعة وكان بأرض الجزيرة وكان معه من قبائل قضاعة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشأم فخالف سابور فى غزاته الى خراسان وعاث فى أرض السواد فشخص اليه سابور عند انقضاء غزاته حتى أناخ على حصنه وحاصره أربع سنين قال الاعشى

ألم تر للحضر اذ أهله * بنعمة وهل خالد من نعم
أقام به سابور الجنود * حولين يضرب فيه القدم

ثم ان ابنة ساطرون واسمها النضيرة خرجت الى ربض المدينة وكانت من أجمل النساء وسابور كان جميلا فأشرفت عليه فشغفت به وشغف بها وداخلته فى أمر الحصن ودلته على عورته فدخله عنوة وقتل الضيزن وأباد قضاعة الذين كانوا معه وأكثرهم بنو حلوان فانقرضوا وخرب حصن الحضر وقال عدى بن زيد فى رثائه

وأخو الحضر إذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبا * د الملك عنه فبابه مهجور

ثم أعرس بالنضيرة بعين التمر وبات ليلها تتضور فى فراشها وكان من الحرير محشوا بالقز والقسى فاذا ورقة آس بينها وبين الفراش تؤذيها فقال ويحك ما كان أبوك يغذيك قالت الزبد والمخ والشهد وصفو الخمر فقال وأبيك لأنا أحدث عهدا وأبعد ودا من أبيك الذى غذاك بمثل هذا وأمر رجلا ركب فرسا جموحا وعصب غدائرها بذنبه ولم يزل يركضه حتى تقطعت أوصالها (وعند ابن اسحق) أن الذى فتح حصن الحضر وخربه وقتل الساطرون هو سابور ذو الاكتاف وقال السهيلى لا يصح لان الساطرون من ملوك الطوائف والذى أزال ملكهم هو اردشير وابنه سابور وسابور ذو الاكتاف بعدهم بكثير وهو التاسع من ملوك اردشير قال السهيلى وأول من ملك الحيرة من ملوك الساسانية سابور بن اردشير والحيرة وسط بلاد السواد وحاضرة العرب ولم يكن لاحد قبله من آل ساسان حتى استقام العرب على طاعته وولى عليهم عمرو بن عدى جد آل المنذر بعده وأنزله الحيرة فجبى خراجهم وإتاوتهم واستعبدهم لسلطانه وقبض أيديهم عن الفساد باقطار ملكه وما كانوا يرومونه بسواد العراق من نواحى مملكته وولى بعده ابنه امرأ القيس بن عمرو بن عدى وصار ذلك ملكا لآل المنذر بالحيرة توارثوه حسبما نذكر بعد وهلك سابور لثلاثين سنة من ملكه وولى بعده ابنه هرمز ويعرف بالبطل فملك سنة واحدة وولى بعده ابنه بهرام بن هرمز وكان عامله على مذحج من ربيعة ومضر وسائر

بادية العراق والجزيرة والحجاز امرؤ القيس بن عمرو بن عدى وهو أول من تنصر من ملوك الحيرة وطال أمد ملكه (قال هشام بن الكلبي) ملك مائة وأربع عشرة سنة من لدن أيام سابور اهـ وكان بهرام بن هرمز حليما وقورا وأحسن السيرة واقتدى بآبائه وكان مانى الثنوى الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة قد ظهر فى أيام جده سابور فتابعه قليلا ثم رجع الى المجوسية دين آبائه ولما ولى بهرام بن هرمز جمع الناس لامتحانه فأشادوا بكفره وقتله وقالوا زنديق قال المسعودى ومعناه ان من عدل عن ظاهر الى تأويله ينسبونه الى تفسير كتاب زرادشت الذى قدمنا أن اسمه زنده فيقولون زندية فعربته العرب فقالوا زنديق ودخل فيه كل من خالف الظاهر الى الباطن المنكر ثم اختص فى عرف الشرع بمن يظهر الاسلام ويبطن الكفر ثم هلك بهرام بن هرمز لثلاث سنين وثلاثة أشهر من دولته وولى ابنه بهرام ثمانى عشرة سنة عكف أولها على اللذات وامتدت أيدى بطانته الى الرعايا بالجور والظلم فخربت الضياع والقرى حتى نبهه الموبذان لذلك بمثل ضربه له وذلك انه سامره فى ليلة فترا جعا من الصيد فسمعا بومين يتحدثان فى خراب فقال بهرام ليت شعرى هل أحد فهم لغات الطير فقال له الموبذان نعم انا نعرف ذلك أيها الملك وانهما يتحاوران فى عقد نكاح وان الانثى اشترطت عليه اقطاع عشرين ضيعة من الخراب فقبل الذكر وقال اذا دامت أيام بهرام أقطعتك ألفا فتفطن بهرام لذلك وأفاق من غفلته وأشرف على أحوال ملكه مباشرا بنفسه وقابضا أيدى البطانة عن الرعية وحسنت أيامه الى أن هلك وولى بعده بهرام بن بهرام بن بهرام ثلاثة أسماء متشابهة وتلقب شاه وكان مملكا على سجستان وهلك لاربع سنين من دولته وملك بعده أخوه قرسين بن بهرام تسع سنين أخرى وكان عادلا حسن السيرة وملك بعده ابنه هرمز بن قرسين فوجل منه الناس لفظاظته ثم أبدل من خلقه الشر بالخير وسار فيهم بالعدل والرفق والعمارة وهلك لسبع سنين من ولايته وكان هؤلاء كلهم ينزلون جنديسابور من خراسان ولما هلك ولم يترك ولدا شق ذلك على أهل مملكته لميلهم اليه ووجدوا ببعض نسائه حملا فتوجوه وانتظروا تمامه وقيل بل كان هرمز أبوه أوصى بالملك لذلك الحمل فقام أهل الدولة بتدبير الملك ينتظرون تمام الولد وشاع فى أطراف المملكة انهم يتلومون صبيا فى المهد فطمع فيهم الترك والروم وكانت بلاد العرب أدنى الى بلادهم وهم أحوج الى تناول الحبوب من البلاد لحاجتهم اليها بما هم فيه من الشظف وسوء العيش فسار منهم جمع من ناحية البحرين وبلاد القيس ووحاظة فأناخوا على بلاد فارس من ناحيتهم وغلبوا أهلها على الماشية والحرث والمعايش وأكثروا الفساد ومكثوا فى ذلك حينا ولم يغزهم أحد من فارس ولا دافعوهم لصغر الملك حتى اذا كبر

وعرضوا عليه الامور فأحسن فيها الفصل وبلغ ست عشرة سنة من عمره ثم أطاق حمل السلاح نهض حينئذ للاستبداد بملكه وكان أول شىء ابتدأ به شأن العرب فجهز اليهم العساكر وعهد اليهم أن لا يبقوا على أحد ممن لقوا منهم ثم شخص بنفسه اليهم وغزاهم وهم غارون ببلاد فارس فقتلهم أبرح القتل وهربوا امامه وأجاز البحر فى طلبهم الى الخط وتعدى الى بلاد البحرين قتلا وتخريبا ثم غزا بعدها رؤس العرب من تميم وبكر وعبد القيس فأثخن فيهم وأباد عبد القيس ولحق فلهم بالرمال ثم أتى اليمامة فقتل وأسر وخرب ثم عطف الى بلاد بكر وتغلب ما بين مملكة فارس ومناظر الروم بالشام فقتل من وجد هنالك من العرب وطم مياههم وأسكن من رجع اليه من بنى تغلب دارين من البحرين والخط ومن بنى تميم هجر ومن بكر بن وائل كرمان ويدعون بكر إياد ومن بنى حنظلة الاهواز وبنى مدينة الانبار والكرخ والسوس وفيما قاله غيره ان إيادا كان تشتو بالجزيرة وتصيف بالعراق وتشن الغارة وكانت تسمى طما لانطباقها على البلاد وسابور يومئذ صغير حتى اذا بلغ القيام على ملكه شرع فى غزوهم ورئيسهم يومئذ الحرث بن الاغر الايادى وكتب اليهم بالنذر بذلك رجل من إياد كان بين ظهرانى الفرس فلم يقبلوا حتى واقعتهم العساكر فاستلحمهم وخرجوا الى أرض الجزيرة والموصل اجلاء ولم يعاودوا العراق ولما كان الفتح طلبهم المسلمون بالجزية مع تغلب وغيرهم فأنفوا ولحقوا بارض الروم (وقال السهيلى) عند ذكر سابور بن هرمز انه كان يخلع أكتاف العرب واذلك لقبه العرب ذو الاكتاف وانه أخذ عمرو بن تميم بأرضهم بالبحرين وله يومئذ ثلثمائة سنة وانه قال انما أقتلكم معاشر العرب لانكم تزعمون أن لكم دولة فقال له عمرو بن تميم ليس هذا من الحزم أيها الملك فان يكن حقا فليس قتلك اياهم بدافعه وتكون قد اتخذت يدا عندهم ينتفع بها ولدك واعقاب قومك فيقال انه استبقاه ورحم كبره ثم غزا سابور بلاد الروم وتوغل فيها ونازل حصونهم وكان ملوك الروم على عصره قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوكهم وهلك قسطنطين وملك بعده اليانوس من أهل بيته وانحرف عن دين النصرانية وقتل الاساقفة وهدم البيع وجمع الروم وانحدر لقتال سابور واجتمعت العرب معهم لثارهم عند سابور بمن قتل منهم وسار قائد اليانوس واسمه يوسانوس فى مائة وسبعين الفا من المقاتلة حتى دخل أرض فارس وبلغ خبره وكثرة جموعه الى سابور فأحجم عن اللقاء وأجفل وصحبه العرب ففضوا جموعه وهرب فى فل من عسكره واحتوى اليانوس على خزائنه وأمواله واستولى على مدينة طيسبون من مدائن ملكه ثم استنفر أهل النواحى واجتمعت اليه فارس وارتجع مدينة طيسبون وأقاما متظاهرين وهلك اليانوس بسهم أصابه فبقى الروم فوضى وفزعوا الى يوسانوس القائد أن يملكوه فشرط عليهم الرجوع الى دين النصرانية كما كان قسطنطين فقبلوا وبعث اليه سابور فى القدوم

عليه فسار اليه فى ثمانين من أشراف الروم وتلقاه سابور وعانقه وبالغ فى اكرامه وعقد
معه الصلح على أن يعطى الروم قيمة ما أفسدوه من بلاد فارس وأعطوا بدلا عن ذلك
نصيبين فرضى بها أهل فارس وكانت مما أخذه الروم من أيديهم فلكها سابور وشرد عنها
أهلها خوفا من سطوته فنقل اليها من أهل اصطخر وأصبهان وغيرهما وانصرف
يوسانوس بالروم وهلك عن قرب ورجع سابور الى بلاده وفيما نقله بعض الاخبار يين ان
سابور دخل بلاد الروم متنكرا وعثر عليه فأخذ وحبس فى جلد ثور وزحف ملك الروم
بعساكره الى جنديسابور فحاصرها وان سابور هرب من حبسه ودخل جنديسابور
المدينة ثم خرج الى الروم فهزمهم وأسر ملكهم قيصر وأخذه بعمارة ما خرب من بلاده
ونقل التراب والغروس اليها ثم قطع أنفه وبعث به على حمار الى قومه وهى قصة واهية
تشهد العادة بكذبها ثم هلك سابور لاثنتين وسبعين سنة من ملكه وهو الذى بنى مدينة
نيسابور وسجستان وبنى الايوان المشهور لمقعد ملوكهم وملك لعهده أمرؤ القيس بن
عدى وأوصى بالملك لاخيه اردشير بن هرمز وفتك فى أشراف فارس وعظمائهم فخلعوه
لاربعين سنة من دولته وملكوا سابور بن ذى الاكتاف فاستبشر الناس برجوع ملك أبيه
اليه وأحسن السيرة ورفق بالرعية وحمل على ذلك العمال والوزراء والحاشية ولم يزل
عادلا وخضع له عمه اردشير المخلوع وكانت له حروب مع إياد وفى ذلك يقول شاعرهم

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب إياد حولها الخيل والنعم

وقيل ان هذا الشعر انما قيل فى سابور ذى الاكتاف ثم هلك سابور لخمس سنين من
دولته وملك أخوه بهرام ويلقب كرمان شاه وكان حسن السياسة وهلك لاحدى عشرة
سنة من دولته رماه بعض الرماة بسهم فى القتال فقتله وملك بعده ابنه يزدجرد الاثيم
وبعض نسابة الفرس يقول انه اخوه وليس ابنه وانما هو ابن ذى الاكتاف وقال هشام
ابن محمد كان فظا غليظا كثير المكر والخديعة يفرغ فى ذلك عقله وقوة معرفته وكان معجبا
برأيه سيء الخلق كثير الحدة يستعظم الزلة الصغيرة ويرد الشفاعة من أهل بطانته
متهما للناس قليل المكافأة وبالجملة فهو سيء الاحوال مذمومها واستوزر لاول ولايته
برسى الحكيم ويسمى فهر برشى ومهرجرسة وكان متقدما فى الحكمة والفضائل
وأمل أهل المملكة ان تهرب من يزدجرد الاثيم فلم يمكن ذلك واشتد أمره على
الاشراف بالاهانة وعلى من دونهم بالقتل وبينما هو جالس فى مجلسه يوما اذا بفرس
عابر لم يطق أحد امساكه قد وقف ببابه فقام اليه ليتولى امساكه بنفسه فرمحه فمات
لوقته لاحدى وعشرين سنة من ملكه وملك بعده ابنه بهرام بن يزدجرد ويلقب
بهرام جور وكان نشوه ببلاد الحيرة مع العرب أسلمه أبوه اليهم فربى بينهم وتكلم بلغتهم

ولما مات أبوه قدم أهل فارس رجلا من نسل اردشير ثم زحف بهرام جور بالعرب
فاستولى على ملكه كما نذكر فى أخبار آل المنذر وفى أيام بهرام جور سار خاقان ملك الترك
الى بلاد الصغد من ممالكه فهزمه بهرام وقتله ثم غزا الهند وتزوج ابنة ملكهم فهابته ملوك
الارض وحمل اليه الروم الاموال على سبيل المهادنة وهلك لتسع وعشرين من دولته
وملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور واستوزر مهر برسى الحكيم الذى كان أبوه استوزره
وجرى فى ملكه بأحسن سيرة من العدل والاحسان وهو الذى شرع فى بناء الحائط
بناحية الباب والابواب وجعل جبل الفتح سدا بين بلاده وما وراءها من أمم الاعاجم
وهلك لعشرين سنة من دولته وملك من بعده ابنه هرمز وكان ملكا على سجستان فغلب
على الدولة ولحق أخوه فيروز بملك الصغد بمرو الروذ وهذه الامم هم المعروفون قديما
بالهياطلة وكانوا بين خوارزم وفرغانة فأمد فيروز بالعساكر وقاتل أخاه هرمز فغلبه
وحبسه وكانت الروم قد امتنعت من حمل الخراج فحمل اليهم العساكر مع وزيره
مهر برسى فأثخن فى بلادهم حتى حملوا ما كان يحملونه واستقام أمره وأظهر العدل
وأصابهم القحط فى دولته سبع سنين فأحسن تدبير الناس فيها وكف عن الجباية وقسم
الاموال ولم يهلك فى تلك السنين أحد اتلافا وقيل أنه استسقى لرعيته من ذلك القحط
فسقوا وعادت البلاد الى أحسن ما كانت عليه وكان لاول ما ملك أحسن الى الهياطلة
جزاء بما أعانوه على أمره فقوى ملكهم أمره وزحفوا الى اطراف ملكه وملكوا
طخارستان وكثيرا من بلاد خراسان وزحف هو الى قتالهم فهزموه وقتلوه وأربعة بنين
له وأربعة اخوة واستولوا على خراسان بأسرها وسار اليهم رجل من عظماء الفرس من
أهل شيراز فغلبهم على خراسان وأخرجهم منها حتى القوا بجميع ما أخذوه من عسكر
فيروز من الاسرى والسبى وكان مهلكه لسبع وعشرين من ملكه وبنى المدن بالرى
وجرجان واذربيجان وقال بعضهم ان ملك الهياطلة الذى سار الى فيروز اسمه خشنوا
والرجل الذى استرجع خراسان من يده هو خرسوس من نسل منوشهر وان فيروز
استخلفه لما سار الى خشنوا والهياطلة على مدينتى الملك وهما طيسون ونهرشير فكان
من أمره مع الهياطلة بعد فيروز ما تقدم وملك بعد فيروز بن يزدجرد ابنه يلاوش بن
فيروز ونازعه أخوه قباذ الملك فغلبه يلاوش ولحق قباذ بخاقان ملك الترك يستنجده
وأحسن يلاوش الولاية والعدل وحمل أهل المدن على عمارة ما خرب من مدنهم وبنى
مدينة ساباط بقرب المدائن وهلك لاربع سنين من دولته وملك من بعده أخوه قباذ بن
فيروز وكان قد سار بعساكر الترك أمده بها خاقان فبلغه الخبر بهلك أخيه وهو بنيسابور
من طريقه وقد لقى بها ابنا كان له هنالك حملت به أمه منه عند مروره ذلك الى خاقان

فلما أحل بنيسابور ومعه العساكر سأل عن المرأة فأحضرت ومعها الخبر وجاء الخبر هنالك بهلاك أخيه بلاوش فتيمن بالمولود وسار الى سرحد الذى كان أبوه فيروز استخلفه على المدائن ومال الناس اليه دون قباذ واستبدّ عليه فلما كبر وبلغ سنّ الاستبداد بأمره أنف من استبداد سرحد عليه فبعث الى اصبهبذ البلاد وهو سابور مهران فقدم عليه وقبض على سرحد وحبسه ثم قتله ولعشرين من دولته حبس وخلع ثم عاد الى الملك وصورة الخبر عن ذلك أنّ مزدك الزنديق كان اباحيا وكان يقول باستباحة أموال الناس وأنها فىء وأنه ليس لاحد ملك شىء ولا حجره والاشياء كلها ملك لله مشاع بين الناس لا يختص به أحد دون أحد وهو لمن اختاره فعثر الناس منه على متابعة مزدك فى هذا الاعتقاد واجتمع أهل الدولة فخلعوه وحبسوه وملكوا جاماسات أخاه وخرج رزمهر شاكيا داعيا لقباذ ويتقرب الى الناس بقتل المردكية وأعاد قباذ الى ملكه ثم سعت المردكية عنده فى رزمهر بانكار ما أتى قبلهم فقتله واتهمه الناس برأى مزدك فانتقضت الاطراف وفسد الملك وخلعوه وحبسوه وأعادوا جاماسات وفرّ قباذ من محبسه ولحق قباذ بالهياطلة وهم الصغد مستجيشا لهم ومرّ فى طريقه بابوشهر فتزوج بنت ملكها وولدت له أنوشروان ثم أمدّه ملك الهياطلة فزحف الى المدائن لست سنين من مغيبه وغلب أخاه جاماسات واستولى على الملك ثم غزا بلاد الروم وفتح آمد وسبى أهلها وطالت مدته وابتنى المدن العظيمة منها مدينة أرّجان بين الاهواز وفارس ثم هلك لثلاث وأربعين سنة من ملكه فى الكرّة الاولى وملك ابنه أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد وكان يلى الاصبهبذ وهى الرياسة على الجنود ولما ملك فرق اصبهبذ البلاد على أربعة فجعل اصبهبذ المشرق بخراسان والمغرب باذربيجان وبلاد الخزر واسترد البلاد التى تغلب عليها جيران الاطراف من الملوك مثل السند وبست الرخج وزابلستان وطخارستان ودهستان وأثخن فى أمة البارز وأجلى بقيتهم ثم أذعنوا واستعان بهم فى حروبه وأثخن فى أمة صول واستلحمهم وكذلك الجرامقة وبلنجر واللان وكانوا يجاورون ارمينية ويتمالؤن على غزوها فبعث اليهم العساكر واستلحموهم وأنزل بقيتهم اذربيجان وأحكم بناء الحصون التى كان بناها قباذ وفيروز بناحية صول واللان لتحصين البلاد وأكمل بناء الابواب والسور الذى بناه جده بجبل الفتح بنوه على الازماق المنفوخة تغوص فى الماء كلما ارتفع البناء الى ان استقرت بقعر البحر وشقت بالخناجر فتمكن الحائط من الارض ثم وصل السور فى البر ما بين جبل الفتح والبحر وفتحت فيه الابواب ثم وصلوه فى شعاب الجبل وبقى فيه الى أن كمل قال المسعودى انه كان باقيا لعصره والظن أن التتر خربوه بعد لما استولوا على ممالك الاسلام فى المائة السابعة ومكانه اليوم فى مملكة بنى دوشيخان

ملوك الشمال منهم وكان لكسرى أنوشروان فى بنائه خبر مع ملوك الخزر ثم استفحل ملك الترك وزحف خاقان سيجبور وقتل ملك الهياطلة واستولى على بلادهم وأطاعه أهل بلنجر وزحف الى بلاد صول فى عشرة آلاف مقاتل وبعث الى أنوشروان يطلب منه ما أعطاه أهل بلنجر فى الفداء وضبط أنوشروان ارمينية بالعساكر وامتنعت صول بملكها أنوشروان والناحية الاخرى بسور الابواب فرجع خاقان خائبا وأخذ أنوشروان فى اصلاح السابلة والاخذ بالعدل وتفقد أهل المملكة وتخير الولاة والعمال مقتديا بسيرة اردشير بن بابك جده ثم سار الى بلاد الروم وافتتح حلب وقبرص وحمص وانطاكية ومدينة هرقل ثم الاسكندرية وضرب الجزية على ملوك القبط وحمل اليه ملك الروم الفدية وملك الصين والتبت الهدايا ثم غزا بلاد الخزر وأدرك فيهم بثاره وما فعلوه ببلاده ثم وفد عليه ابن ذى يزن من نسل الملوك التبابعة يستجيشه على الحبشة فبعث معه قائدا من قواده فى جند من الديلم فقتلوا مسروقا ملك الحبشة باليمن وملكوها وملك عليهم سيف بن ذى يزن وأمره أن يبعث عساكره الى الهند فبعث الى سرنديب قائدا من قواده فقتل ملكها واستولى عليها وحمل الى كسرى أموالا جمة وملك على العرب فى مدينة الحيرة ثم سار نحو الهياطلة مطالبا بثار جده فيروز فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته وتجاوز بلخ وما وراءها وأنزل عساكره فرغانة وأثخن فى بلاد الروم وضرب عليهم الجزى وكان مكرما للعلماء محبا للعلم وفى أيامه ترجم كتاب كليلة وترجمه من لسان اليهود وحله بضرب الامثال ويحتاج الى فهم دقيق وعلى عهده ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنتين وأربعين سنة من ملكه وذلك عام الفيل وكذلك ولد أبوه عبد الله ابن عبد المطلب لاربع وعشرين من ملكه قال الطبرى وفى أيامه رأى الموبذان الابل الصعاب تقود الخيل العراب وقد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فأفزعه ذلك وقص الرؤيا على من يعبرها فقال حادث يكون من العرب فكتب كسرى الى النعمان أن يبعث اليه بمن يسأله عما يريده فبعث اليه بعبد المسيح بن عمرو بن حسان بن نفيلة الغسانى وقص عليه الرؤيا فدله على سطيح وقال له ائته أنت فسار اليه وقص عليه الرؤيا فأخبره بتأويلها وأنّ ملك العرب سيظهر والقصة معروفة وكان فيما قاله سطيح انه يملك من آل كسرى أربعة عشر ملكا فاستطال كسرى المدة وملكوا كلهم فى عشرين سنة أو نحوها وبعث عامل اليمن وهرز بهدية وأموال وطرف من اليمن الى كسرى فأغار عليها بنو يربوع من تميم وأخذوها وجاء أصحاب العير الى هوذة بن على ملك اليمامة من بنى حنيفة فسار معهم الى كسرى فأكرمه وتوجه بقد من لؤلؤ ومن ثم قيل له ذو التاج وكتب الى عامله بالبحرين فى شأنهم وكان كثيرا ما يوقع ببنى تميم ويقطعهم حتى سموه المكفر فتحيل عليهم بالميرة ونادى

منادبه فى أحيائهم ان الامير يقسم فيكم بحصن المشعر ميرة فتسايلوا اليه ودخلوا الحصن فقتل الرجال وخصى الصبيان وجاءت هدية أخرى من اليمن على أرض الحجاز أجازها رجل من بنى كنانة فعدت عليه قيس وقتلوه وأخذوا الهدية فنشأت الفتنة بين كنانة وقيس لاجل ذلك وكانت بينهما حرب الفجار عشرين سنة وشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرا كان ينبل على أعمامه ثم هلك أنوشران اثنان وأربعين من دولته وملك ابنه هرمز (قال هشام) وكان عادلا حتى اقد أنصف من نفسه خصما كان له وكانت له خؤلة فى الترك وكان مع ذلك يقتل الاشراف والعلماء وزحف اليه ملك الترك شبابة فى ثلثمائة ألف مقاتل فسار هرمز الى هراة وباذغيس لحربهم وخالفه ملك الروم الى ضواحى العراق وملك الخزر الى الباب والابواب وجموع العرب الى شاطئ الفرات فعاثوا فى البلاد ونهبوا واكتنفته الاعداء من كل جانب وبعث قائده بهرام صاحب الرى الى لقاء الترك وأقام هو بمكانه من خراسان بين هراة وباذغيس وقاتل بهرام الترك وقتل ملكهم شابة بسهم أصابه واستباح معسكره وأقام بمكانه فزحف اليه برمومة بن شابة بالترك فهزمه بهرام وحاصره فى بعض الحصون حتى استسلم وبعث به الى هرمز أسيرا وبعث معه بالاموال والجواهر والآنية والسلاح وسائر الامتعة يقال فى مائتين وخمسين ألفا من الاحمال فوقع ذلك من هرمز أحسن المواقع وغص أهل الدولة ببهرام وفعله فأكثروا فيه السعاية وبلغ الخبر الى بهرام فخشيه على نفسه فداخل من كان معه من المرازبة وخلعوا هرمز ودعوا لابنه ابرويز وداخلهم فى ذلك أهل الدولة فلحق ابرويز باذربيجان خائفا على نفسه واجتمع اليه المرازبة والاصبهذيون فملكوه ووثب بالمدائن الاشراف والعظماء وتقدويه وبسطام خال ابرويز فخلعوا هرمز وحبسوه تحرزا من قتله وأقبل ابرويز بمن معه الى المدائن فاستولى على الملك ثم نظر فى أمر بهرام وتحرز منه وسار اليه وتوافقا بشط النهروان ودعاه ابرويز الى الدخول فى أمره ويشترط ما أحب فلم يقبل ذلك وناجزه الحرب فهزمه ثم عاودا الحرب مرارا وأحس ابرويز بالفشل من أصحابه فرجع الى المدائن منهزما وعرض على النعمان أن يركبه فرسه فنجا عليها وكان أبوه محبوسا بطيسون فأخبره الخبر وشاوره فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم يستجيشه فمضى لذلك ونزل المدائن لاثنتى عشرة سنة من ملكه وفى بعض طرق هذا الخبر أن ابرويز لما استوحش من أبيه هرمز لحق باذربيجان واجتمع عليه مع من اجتمع ولم يحدث شيئا وبعث هرمز لمحاربة بهرام قائدا من مرازبته فانهزم وقتل ورجع فلهم الى المدائن وبهرام فى اتباعهم واضطرب هرمز وكتبت اليه أخت المرزبان المهزوم من بهرام تستحثه للملك فسار الى المدائن وملك وأتاه أبوه فتواضع له ابرويز وتبرأ له من فعل الناس وأنه انما حمله

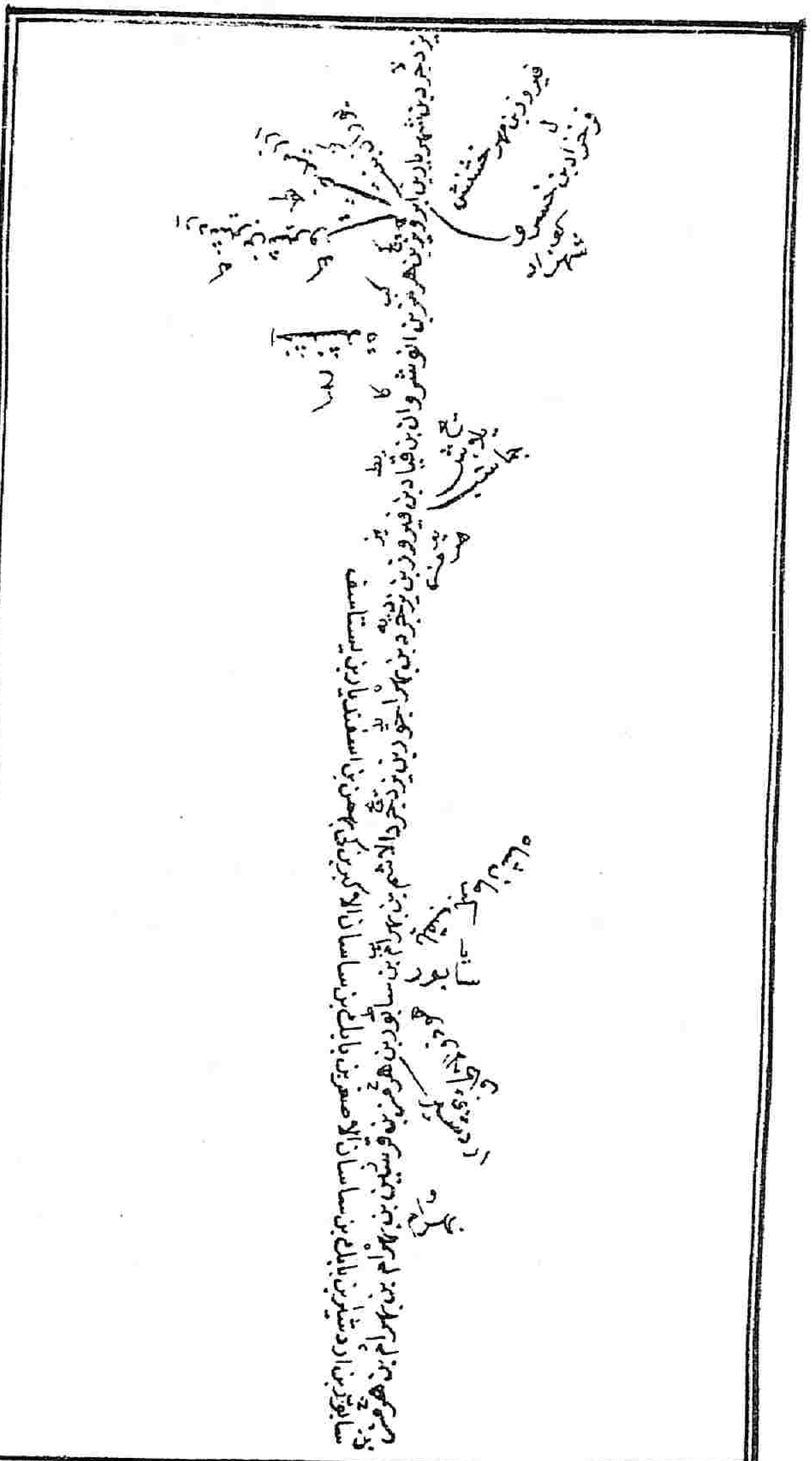
على ذلك الخوف وسأله أن ينتقم له ممن فعل به ذلك وأن يؤنسه بثلاثة من أهل النسب والحكمة يحادثهم كل يوم فأجابه واستأذنه فى قتل بهرام جوبين فأشار به وأقبل بهرام جنبثا وبعث خاليه نفدويه وبسطام يستدعيانه للطاعة فردا سوأ رد وقاتل ابرويز واشتدت الحرب بينهما ولما رأى ابرويز فشل أصحابه شاور أباه ولحق بملك الروم وقال له خالاه عند فصولهم من المدائن نخشى أن يدخل بهرام المدائن ويملك أباك ويبعث فينا الى ملك الروم وانطلقوا الى المدائن فقتلوا هرمز ثم ساروا مع ابرويز وقطعوا الفرات واتبعتهم عساكر بهرام وقد وصلوا الى تخوم الروم وقاتلوهم وأسروا نفدويه خال ابرويز ورجعوا عنهم ولحق ابرويز ومن معه بانطاكية وبعث الى قيصر موريق يستنجده فأجابه وأكرمه وزوجه ابنته مريم وبعث اليه أخاه نياطوس بستين ألف مقاتل وقائدهم واشترط عليه الاتاوة التى كان الروم يحملونها فقبل وسار بالعساكر الى اذربيجان ووافاه هنالك خاله نفدويه هاربا من الاسر الذى كانوا أسروه ثم بعث العساكر من اذربيجان مع أصبهبذ الناحية فانهزم بهرام جوبين ولحق بالترك وسار ابرويز الى المدائن فدخلها وفرق فى الروم عشرين ألف ألف دينار وأطلقهم الى قيصر وأقام بهرام عند ملك الترك وصانع ابرويز عليه ملك الترك وزوجته حتى دست عليه من قتله واغتم لذلك ملك الترك وطلقها من أجله وبعث الى أخت بهرام أن يتزوجها فامتنعت ثم أخذ ابرويز فى مهاداة قيصر موريق وألطافه وخلعه الروم وقتلوه وملكوا عليهم ملكا اسمه قوقا قيصر ولحق ابنه بابرويز فبعث العساكر على ثلاثة من القواد وسار أحدهم ودوخوا الشأم الى فلسطين ووصلوا الى بيت المقدس فأخذوا أسقفها ومن كان بها من الاقسة وطالبوهم بخشبة الصليب فاستخرجوها من الدفن وبعثوا بها الى كسرى وسار منهم قائد آخر الى مصر واسكندرية وبلاد النوبة فملكوا ذلك كله وقصد الثالث قسطنطينية وخيم على الخليج وعاث فى ممالك الروم ولم يجب أحد الى طاعة ابن موريق وقتل الروم قوقا الذى كانوا ملكوه لما ظهر من فجوره وملكوا عليهم هرقل فافتتح أمره بغزو بلاد كسرى وبلغ نصيبين فبعث كسرى قائدا من أساورته فبلغ الموصل وأقام عليها يمنع الروم المجاوزة وجازهرقل من مكان آخر الى جند فارس فأمر كسرى قائده بقتاله فانهزم وقتل وظفر هرقل بحصن كسرى وبالمدائن ووصل هرقل قريبا منها ثم رجع وأولع كسرى العقوبة بالجند المنهزمين وكتب الى شهرباز بالقدوم من خراسان وبعثه بالعساكر وبعث هرقل عساكره والتقيا باذرعات وبصرى فغلبتهم عساكر فارس وسار شهرباز فى أرض الروم يخرب ويقتل ويسبى حتى بلغ القسطنطينية ورجع وعزله ابرويز عن خراسان وولى أخاه وفى مناوبة هذا الغلب بين فارس والروم نزلت الآيات من أول سورة الروم (قال

الطبرى) وأدنى الارض التى أشارت اليها الآية هى أذرعات وبصرى التى كانت بها
هذه الحروب ثم غلبت الروم لسبع سنين من ذلك العهد وأخبر المسلمون بذلك الوعد
الكريم لما أهمهم من غلب فارس الروم لان قريشا كانوا يتشيعون لفارس لانهم غير
دائنين بكتاب والمسلمون يودون غلب الروم لانهم أهل كتاب وفى كتب التفسير بسط ما
وقع فى ذلك بينهم وأبرويز هذا هو الذى قتل النعمان بن المنذر ملك العرب وعامله على
الحيرة سخطه بسعاية عدى بن زيد العبادى وزير النعمان وكان قد قتل أباه وبعثه الى
كسرى ليكون عنده ترجمانا للعرب كما كان أبوه فدفعل بسعايته فى النعمان وحمله على
أن يخطب اليه ابنته وبعث اليه رسوله بذلك عدى بن زيد فترجم له عنه فى ذلك مقالة قبيحة
أحفظت كسرى أبرويز مع ما كان تقدم له فى منعه الفرس يوم بهرام كما تقدم فاستدعاه
ابرويز وحبسه بساباط ثم أمر به فطرح للفيلة وولى على العرب بعده اياس بن قبيصة
الطائى جزاء بوفاء ابن عمه حسان يوم بهرام كما تقدم ثم كان على عهده وقعة ذى قار لبكر
ابن وائل ومن معهم من عبس وتميم على الباهوت مسلحة كسرى بالحيرة ومن معه من
طيئ وكان سببها ان النعمان بن المنذر أودع سلاحه عند هانئ بن مسعود الشيبانى
وكانت شكة ألف فارس وطلبها كسرى منه فأبى الا أن يردها الى بيته فآذنه كسرى
بالحرب وآذنوه بها وبعث كسرى الى اياس أن يزحف اليه بالمسالح التى كانت ببلاد
العرب بان يوافوا اياسا واقتتلوا بذى قار وانهزمت الفرس ومن معهم وفيها قال النبى
صلى الله عليه وسلم اليوم انتصف العرب من العجم وبى نصروا أوحى اليه بذلك أونفث
فى روعه قيل ان ذلك كان بمكة وقيل بالمدينة بعد وقعة بدر بأشهر وفى أيام ابرويز كانت
البعثة لعشرين من ملكه وقيل لثنتين وثلاثين حكاه الطبرى وبعث اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكتابه يدعوه الى الاسلام كما تقدم فى أخبار اليمن وكما يأتى فى أخبار الهجرة
ولما طال ملك ابرويز بطر وأشر وخسر الناس فى أموالهم وولى عليهم الظلمة وضيق
عليهم المعاش وبغض عليهم ملكه (وقال هشام) جمع ابرويز من المال مالم يجمعه
أحد وبلغت عساكره القسطنطينية وافريقية وكان يشتو بالمدائن ويصيف بهمدان
وكان له اثنتا عشرة ألف امرأة وألف فيل وخمسون ألف دابة وبنى بيوت النيران وأقام
فيها اثنى عشر ألف هربذ وأحصى جبايته لثمان عشرة سنة من ملكه فكان اربعمائة
ألف ألف مكررة مرتين وعشرون ألف ألف مثلها فحمل الى بيت المال بمدينة طيسبون
وكانت هنالك أموال أخرى من ضرب فيروز بن يزدجرد منها اثناعشر ألف بدرة فى كل
بدرة من الورق مصارفة أربعة آلاف مثقال فتكون جملتها ثمانية وأربعين ألف ألف
مثقال مكررة مرتين فى صنوف من الجواهر والطيوب والامتعة والآنية لا يحصيها الا
الله تعالى ثم بلغ من عتوه واستخفافه بالناس انه أمر بقتل المقيدين فى سجونه وكانوا

ستة وثلاثين ألفا فنقم ذلك عليه أهل الدولة وأطلقوا ابنه شيرويه واسمه قباذ وكان
محبوسا مع أولاده كلهم لانذار بعض المنجمين له بأن بعض ولده يغتاله فحبسهم وأطلق أهل
الدولة شيرويه وجمعوا اليه المقيدين الذين أمر بقتلهم ونهض الى قصور الملك بمدينة
نهرشير فملكها وحبس ابرويز وبعث الى ابنه شيرويه يعنفه فلم يرض ذلك أهل الدولة
وحملوه على قتله وقتل لثمان وثلاثين سنة من ملكه وجاءته اختاه بوران وازرميدخت
فأسمعتاه وأغلظتا له فيما فعل فبكى ورمى التاج عن رأسه وهلك لثمانية أشهر من مقتل
أبيه فى طاعون هلك فيه نصف الناس أو ثلثهم وكان مهلكه لسبع من الهجرة فيما قال
السهيلى ثم ولى ملك الفرس من بعده ابنه ازدشير طفلا ابن سبع سنين لم يجدوا من بيت
الملك سواه لان ابرويز كان قتل المرشحين كلهم من بنيه وبنى ابيه فملك عظماء فارس هذا
الطفل اردشير وكفله بهادرخشنش صاحب المائدة فى الدولة فأحسن سياسة ملكه
وكان شهريران بتخوم الروم فى جند ضمهم اليه ابرويز وهم هنالك وصاحب الشورى
فى دولتهم ولما لم يشاوروه فى ذلك غضب وبسط يده فى القتل وطمع فى الملك وأطاعه من
كان معه من العساكر وأقبل الى المدائن وتحصن بهادرخشنش بمدينة طيسبون دار
الملك ونقل اليها الاموال والذخائر وابناء الملوك وحاصرها شهريران فامتنعت ثم داخل
بعض الحرس ففتحوا له الباب فاقتحمها وقتل العظماء واستصفى الاموال وفضح النساء
وبعث اردشير الطفل الملك من قتله لسنة ونصف من ملكه وملك شهريران على التخت
ولم يكن من بيت الملك وامتعض لقتل اردشير جماعة من عظماء الدولة وفيهم زاذان فروخ
وشهريران ووهب مؤدب الاساورة وأجمعوا على قتل شهريران وداخلوا فى ذلك بعض
حرس الملك فتعاقدوا على قتله وكانوا يعملون قدام الملك فى الايام والمشاهد
سماطين ومر بهم شهريران بعض ايام بين السماطين وهم مصطفون فلما حاذاهم طعنوه
فقتلوه وقتلوا العظماء بعد قتل اردشير الطفل ثم ملكوا بوران بنت ابرويز ودفعت أمر
الدولة الى قاتل شهريران من حرس الملك وهو فروخ بن ماخدشيراز من أهل اصطخر
ورفعت رتبته وأسقطت الخراج عن الناس وأمرت برم القناطير والجسور وضرب
الورق وردت خشبة الصليب على الجاثليق ملك الروم وهلكت لسنة وأربعة أشهر
وملكوا بعدها خشنشده من عمومة ابرويز عشرين يوما فملك أقل من شهر ثم ملك
ازرميدخت بنت ابرويز وكانت من أجمل نسائهم وكان عظيم فارس يومئذ فروخ هرمز
اصبهبذ خراسان فأرسل اليها فى التزويج فقالت هو حرام على الملكة ودعته ليلة كذا
فجاء وقد عهدت الى صاحب حرسها أن يقتله ففعل فأصبح بدار الملك قتيلا وأخفى أثره
وكان لما سار الى ازرميدخت استخلف على خراسان ابنه رستم فلما سمع بخبر أبيه أقبل

فى جند عظيم حتى نزل المدائن وملكها وسمل ارزميدخت وقتلها وقيل سمها فماتت وذلك لستة أشهر من ملكها وملكوا بعدها رجلا من نسل اردشير بن بابك وقتل لايام قلائل وقيل بل هو من ولد ابرويز اسمه فرخ زاد بن خسرو وجدوه بحصن الحجارة قريب نصيبين فجاؤا به الى المدائن وملكوه ثم عصوا عليه فقتلوه وقيل لما قتل كسرى ابن مهرخشنش طلب عظماء فارس من يولونه الملك ولو من قبل النساء فأتى برجل وجد بميسان اسمه فيروز بن مهرخشنش ويسمى أيضا خشنشدة أمه صهار بخت بنت يزادقراد بن أنوشروان فملكوه كرها ثم قتلوه بعد أيام قلائل ثم شخص رجل من عظماء الموالى وهو رئيس الخول الى ناحية الغرب فاستخرج من حصن الحجارة قرب نصيبين ابنا لكسرى كان لجأ الى طيسفون فملكوه ثم خلعوه وقتلوه لستة أشهر من ملكه وقال بعضهم كان أهل اصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن ابرويز فلما بلغهم ان أهل المدائن عصوا على ابن خسرو فرخ زاد أتوا بيزدجرد من بيت النار الذى عندهم ويدعى اردشير فملكوه باصطخر وأقبلوا به الى المدائن وقتلوا فرخ زاد خسرو لستة من ملكه واستقل يزدجرد بالملك وكان أعظم وزرائه رئيس الموالى الذى جاء بفرخزاد خسرو من حصن الحجارة وضعفت مملكة فارس وتغلب الاعداء على الاطراف من كل جانب فزحف اليهم العرب المسلمون بعد سنتين من ملكه وقيل بعد أربع فكانت أخبار دولته كلها هى أخبار الفتح نذكرها هنالك الى أن قتل بمرو بعد نيف وعشرين سنة من ملكه هذه هى سياقة الخبر عن دولة هؤلاء الاكاسرة الساسانية عند الطبرى ثم قال آخرها فجميع سنى العالم من آدم الى الهجرة على ما يزعمه اليهود أربعة آلاف سنة وستمائة واثنان وأربعون سنة وعلى ما يدعيه النصارى فى توراة اليونانيين ستة آلاف سنة غير ثمان سنين وعلى ما يقوله الفرس الى مقتل يزدجرد أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة ومقتل يزدجرد عندهم لثلاثين من الهجرة وأما عند أهل الاسلام فبين آدم ونوح عشرة قرون والقرن مائة سنة وبين نوح وابراهيم كذلك وبين ابراهيم وموسى كذلك ونقله الطبرى عن ابن عباس وعن محمد بن عمرو بن واقد الاسلمى عن جماعة من أهل العلم وقال ان الفترة بين عيسى وبين محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة ورواه عن سلمان الفارسى وكعب الاحبار والله أعلم بالحق فى ذلك والبقاء لله الواحد القهار

يزدجرد

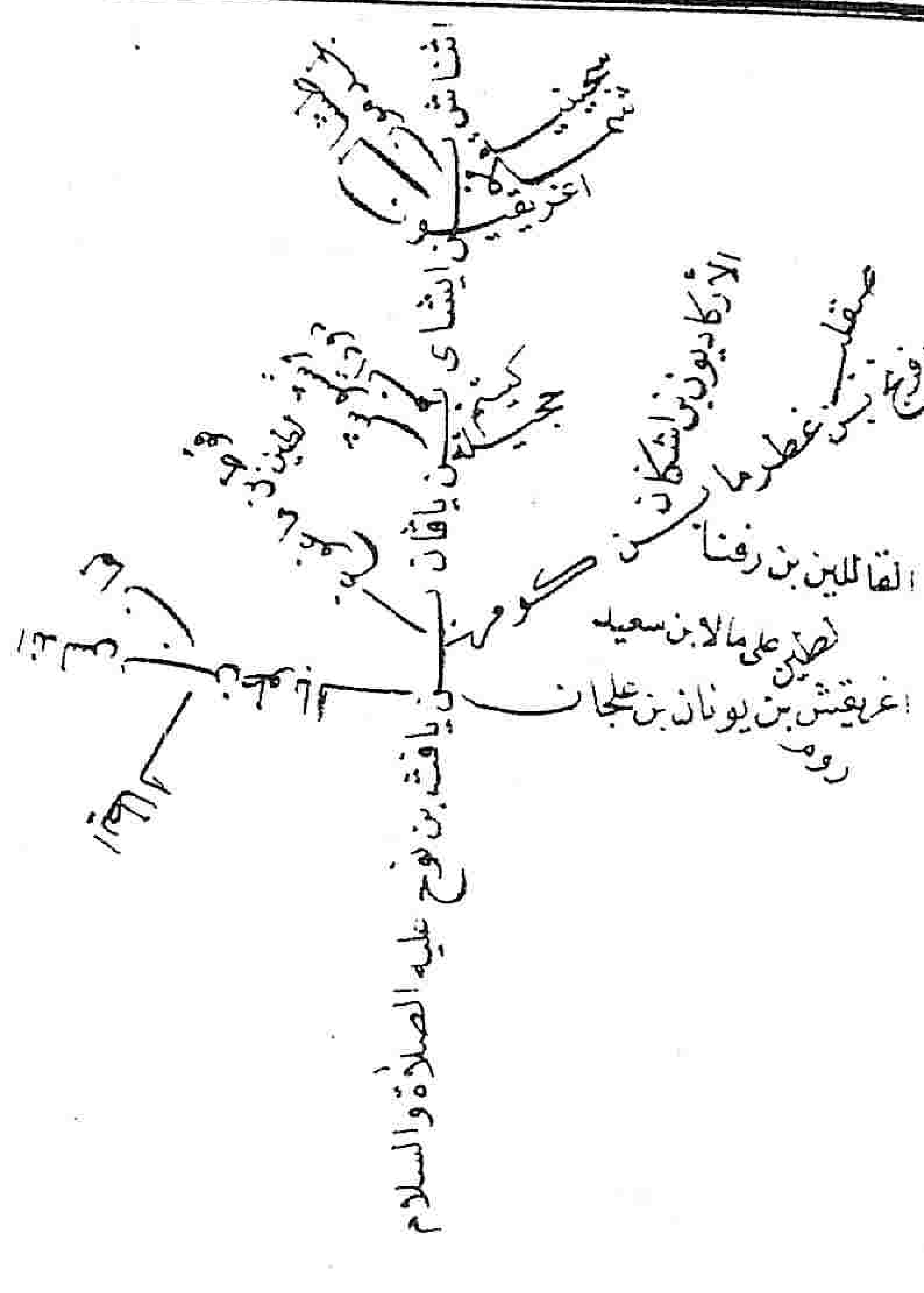


(الخبر عن دولة يونان والروم وأنسابهم ومصايرهم)

كان هؤلاء الامم من أعظم أمم العالم وأوسعهم ملكا وسلطانا وكانت لهم الدولتان العظيمتان للاسكندر والقياصرة من بعده الذين صبحهم الاسلام وهم ملوك بالشأم ونسبهم جميعا الى يافث باتفاق من المحققين الا ما ينقل عن الكندى فى نسب يونان الى عابر بن فالغ وانه خرج من اليمن بأهله وولده مغاضبا لاخيه قحطان فنزل ما بين الافرنجة والروم فاختلط نسبه بهم وقد رد عليه أبو العباس الناشئ فى ذلك بقوله

تخلط يونان بقحطان ضلة * لعمرى لقد باعدت بينهما جدا

ولذلك يقال ان الاسكندر من تبع وليس شئ من ذلك بصحيح وانما الصحيح نسبهم الى يافث ثم ان المحققين ينسبون الروم جميعا الى يونان الاغريقيون منهم واللطينيون ويونان معدود فى التوراة من ولد يافث لصلبه واسمه فيها ياقان بقاف تقرب من الواو فعربته العرب الى يونان وأماهر وشيوش فجعل الغريقيين خمس طوائف منتسبين الى خمسة من أبناء يونان وهم كيتم وجيلة وترشوش ودودانم وايشاى وجعل من شعوب ايشاى سعينية وأثناش وشمالا وطشال وبلدمون ونسب الروم اللطينيين فيهم ولم يعين نسبهم فى أحد من الخمسة ونسب الافرنج الى غطرما بن غومر بن يافث وقال ان الصقالبة اخوانهم فى نسبه وقال ان الملك كان فى هذه الطوائف لبنى اشكان بن غومر والملوك منهم هؤلاء الغريقيون قبل يونان وغيرهم ونسب القوط الى ماداى بن يافث وجعل من اخوانهم الارمن ثم نسب القوط مرة أخرى الى ماغوغ بن يافث وجعل اللطينيين من اخوانهم فى ذلك النسب ونسب القالين منهم الى رفنا بن غومار ونسب الى طوبال ابن يافث الاندلس والايطاليين والاركاديين ونسب الى طيراش بن يافث اجناس الترك واسم الغريقيين عنده يشمل أبناء يونان كلهم كما ذكره ونوع الروم الى الغريقيين واللطينيين وقال ابن سعيد فيما نقله من تواريخ المشرق عن البيهقى وغيره ان يونان هو ابن علجان بن يافث قال ولذلك يقال لهم العلوج ويشركهم فى هذا النسب سائر أهل الشمال من غير الترك وان الشعوب الثلاثة من ولد يونان فالاغريقيون من ولد اغريقش بن يونان والروم من ولد رومى بن يونان واللطينيون من ولد لطين بن يونان وان الاسكندر من الروم منهم والله أعلم ونحن الآن نذكر أخبار الدولتين الشهيرتين منهم مبلغ علمنا والله الموفق للصواب سبحانه وتعالى



(الخبر عن دولة يونان والاسكندر منهم وما كان لهم من الملك والسلطان الى انقراض أمرهم)

هؤلاء اليونانيون المتشعبون الى الغريقيين واللطينيين كما قلناه اختصوا بسكنى الناحية الشمالية من المعمور مع اخوانهم من سائر بني يافث كلهم كالصقالبة والترك والافرنجة من ورائهم وغيرهم من شعوب يافث ولهم منها الوسط ما بين جزيرة الاندلس الى بلاد الترك بالمشرق طولا وما بين البحر المحيط والبحر الرومي عرضا فمواطن اللطينيين منهم في الجانب الغربي ومواطن الغريقيين منهم في الجانب الشرقي والبحر بينهما خليج القسطنطينية وكان لكل واحد من شعبي الغريقيين واللطينيين منهم دولة عظيمة مشهورة في العالم واختص الغريقيون باسم اليونانيين وكان منهم الاسكندر المشهور الذكر أحد ملوك العالم وكانت ديارهم كما قلناه بالناحية الشرقية من خليج القسطنطينية بين بلاد الترك ودروب الشأم ثم استولى على ما وراء ذلك من بلاد الترك والعراق والهند ثم جال ارمينية وما وراءها من بلاد الشأم وبلاد مقدونية ومصر والاسكندرية وكان ملوكهم يعرفون بملوك مقدونية وذكر هروشيوش مؤرخ الروم من شعوب هؤلاء الغريقيين بنو لجدمون وبنو اتناش قال واليهم ينسب الحكماء الاتناشيون وهم ينسبون لمدينتهم أجدة قال ومن شعوبهم أيضا بنو طمان ولجدمون كلهم بنو شما الابن ايشاى وقال في موضع اخر الجدمون أخو شما الا وكانت شعوب هذه الامة قبل الفرس والقبط وبني اسرائيل متفرقة بافتراق شعوبها وكان بينهم وبين اخوانهم اللطينيين فتن وحروب ولما استفحل ملك فارس لعهد الكينية أرادوهم على الطاعة لهم فامتنعوا وغزتهم فارس فاستصرخوا عليهم بالقبط فسالموهم الى محاربة الغريقيين حتى أذلوهم وأخذوا الجزى منهم وولوا عليهم ويقال إن افريدون ولى عليهم ابنه وأن جدة الاسكندر لابيه من أعقابه ويقال أن بختنصر لما ملك مصر والمغرب أنفوه بالطاعة وكانوا يحملون خراجهم الى ملك فارس عددا من كرات الذهب أمثال البيض ضريبة معلومة عليهم في كل سنة ولما فرغوا من شأن أهل فارس وأنفوا ملكهم بالجزى والطاعة صرفوا وجوههم الى حرب اللطينيين ثم استفحل أمر الايشائيين من الغريقيين ولم يكن قوامهم الا الجرمونيون فغلبوهم وغلبوا بعدهم اللطينيين والفرناسيين والاركاديين واجتمع اليهم سائر شعوب الغريقيين واعتز سلطانهم وصار لهم الملك والدولة (وقال ابن سعيد) ان الملك استقر بعد يونان في ابنه اغريقش في الجانب الشرقي من خليج قسطنطينية وتوالى الملك في ولده وقهروا اللطينيين والروم ودال ملكهم في ارمينية وكان من أعظمهم هرقل الجبار بن ملكان بن سلقوس

ابن

ابن اغريقش يقال انه ضرب الاتاوة على الاقاليم السبعة وملك بعده ابنه يلاق واليه تنسب الامة البلاقية وهي الآن باقية على بحر سودان واتصل الملك في عقب يلاق الى أن ظهر اخوانهم الروم واستبدوا بالملك وكان أولهم هردوس بن منطرون بن رومي ابن يونان فملك الامم الثلاثة وصار اسمه لقبا لكل من ملك بعده وسمت به يهود الشأم كل من قام بأمرها منهم ثم ملك بعده ابنه هرمس فكانت له حروب مع الفرس الى أن قهروه وضربوا عليه الاتاوة فاضطرب حينئذ أمر اليونانيين وصاروا دولا وممالك وانفرد الاغريقيون برئيس لهم وصنع مثل ذلك اللطينيون الا أن اللقب بملك الملوك كان لملك الروم ثم ملك بعده ابنه مطريوش فحمل الاتاوة لملك الفرس لاشتغاله بحرب اللطينيين والاغريقيين وملك بعده ابنه فيلفوش وكانت أمه من ولد سرم من ولد افريدون الذى ملكه أبوه على اليونان فظهر وهدم مدينة اغريقية وبنى مدينة مقدونية في وسط الممالك بالجانب الغربي من الخليج وكان محبا في الحكمة فلذلك كثر الحكماء في دولته ثم ملك من بعده ابنه الاسكندر وكان معلمه من الحكماء ارسطو وقال هروشيوش ان أباه فيلفوش انما ملك بعد الاسكندر بن تراوش أحد ملوكهم العظماء وكان فيلفوش صهراله على أخته لنبادة بنت تراوش وكان له منها الاسكندر الاعظم قال وكان ملك الاسكندر بن تراوش لعهد أربعة آلاف وثمانمائة من عهد الخليقة ولعهد أربعمائة أونحوها من بناء رومة وهلك وهو محاصر لرومة قتله اللطينيون عليها لسبع سنين من دولته فولى أمر الغريقيين والروم من بعده صهره على أخته لنبادة فيلفوش ابن آمنته بن هركاش واختلفوا عليه فافترق أمرهم وحاربهم الى أن انقادوا وغلبهم على سائر أوطانهم وأراد بناء القسطنطينية فمنعه الجرمانيون بما كانت لهم فقاتلهم حتى استلحمهم واجتمع اليه سائر الروم والغريقيين من بني يونان وملك ما بين المانية وجبال ارمينية وكان الفرس لذلك العهد قد استولوا على الشأم ومصر فاعتزم فيلفوش على غزو الشأم فاغتاله في طريقه بعض اللطينيين وقتله بثأر كان له عنده وولى من بعده ابنه الاسكندر فاستمر على مطالبة بلاد الشأم وبعث اليه ملوك فارس في الخراج على الرسم الذى كان لعهد أبيه فيلفوش فبعث اليه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض الذهب وأكلتها ثم زحف الى بلاد الشأم واستولى عليها وفتح بيت المقدس وقرب فيه القربان وذلك لعهد مائتين وخمسين من فتح بختنصر اياها وامتعض أهل فارس لانتزاعه اياها من ملكتهم فزحف اليه دارا في ستين ألفا من الفرس ولقيه الاسكندر في ستمائة ألف من قومه فغلبهم وفتح كثيرا من مدن الشأم ورجع الى طرسوس فزحف اليه دارا ولقيه عليها فهزمه الاسكندر وافتتح طرسوس ومضى وبنى

الاسكندرية ثم تزاحف مع دارا وهزمه وقتله وتخطى الى فارس فملك بلادها وهدم مدينة الملك بها وسبى أهلها وأشار عليه معلمه ارسطو بأن يجعل الملك فى أسافلهم لتفرق كلمتهم ويخلص اليه أمرهم فكاتب الاسكندر ملوك كل ناحية من الفرس والنبط والعرب وملك على كل ناحية وتوجه فصاروا طوائف فى ملكهم واستبد كل واحد منهم بجهة كان ملكها العقبه ومعلمه ارسطو هذا من اليونانيين وكان مسكنه أثينا وكان كبير حكماء الخليقة غير منازع أخذ الحكمة عن افلاطون اليونانى كان يعلم الحكمة وهو ماش تحت الرواق المظلل له من حر الشمس فسمى تلاميذه بالمشائين وأخذ أفلاطون عن سقراط ويعرف بسقراط الدن بسكناه فى دن من الخزف اتخذه لرهبانيته وقتله قومه أهل يونان مسموما لما نهاهم عن عبادة الاوثان وكان هو أخذ الحكمة عن فيثاغورس منهم ويقال ان فيثاغورس أخذ عن تاليس حكيم ملطية وأخذ تاليس عن لقمان ومن حكماء اليونانيين دمقراطيس وانكيثاغورش كان مع حكمته مبرزا فى علم الطب وبعث فيه بهمن ملك الفرس الى ملك يونان فامتنع من ايفاده عليه ضنة به وكان من تلامذته جالينوس لعهد عيسى عليه السلام ومات بصقلية ودفن بها ولما استولى الاسكندر على بلاد فارس تخطاها الى بلاد السند فملكها وبنى بها مدينة سماها الاسكندرية ثم زحف الى بلاد الهند فغلب على أكثرها وحاربه فور ملك الهند فانهزم وأخذه الاسكندر أسيرا بعد حروب طويلة وغلب على جميع طوائف الهنود وملك بلاد الصين والسند وذللت اليه الملوك وجاءت اليه الهدايا والخراج من كل ناحية وراسله ملوك الارض من افريقية والمغرب والافرنجة والصقالبة والسودان ثم ملك بلاد خراسان والترك واختط مدينة الاسكندرية عند مصب النيل فى البحر الرومى واستولى على الملوك يقال على خمسة وثلاثين ملكا وعاد الى بابل فمات بها يقال مسموما سمه عامله على مقدونية لان أمه شكته الى الاسكندر فتوعده فأهدى له سما وتناوله فمات لثنتين وأربعين سنة من عمره بعد أن ملك ثنتى عشرة سنة سبعا منها قبل مقتل دارا وخمسا بعده قال الطبرى ولما مات عرض الملك على ابنه اسكندروس فاختار الرهبانية فملك يونان عليهم لوغوس من بيت الملك ولقبه بطلميوس (قال المسعودى ثم صارت هذه التسمية لكل من يملك منهم ومدينتهم مقدونية وينزلون الاسكندرية وملك منهم أربعة عشر ملكا فى ثلثمائة سنة وقال ابن العميد كان قسم الملك فى حياته بين أربعة من أمرائه بطلميوس فلبادا كان على الاسكندرية ومصر والمغرب وفيلفوس بمقدونية وما اليها من ممالك الروم وهو الذى سم الاسكندر ودمطرس بالشأم وسلقنوس بفارس والمشرق فلما مات استبد كل واحد بناحيته وكتب ارسطو شرح كتاب هرمس وترجمه من

اللسان المصرى الى اليونانى وشرح ما فيه من العلوم والحكمة والطلسمات وكتاب الاسطماخيس يحتوى على عبادة الاول وذكر فيه أن أهل الاقاليم السبعة كانوا يعبدون الكواكب السيارة كل اقليم لكوكب ويسجدون له ويبخرون ويقربون ويذبحون وروحانية ذلك الكوكب تدبرهم بزعمهم وكتاب الاسطماطيس يحتوى على فتح المدن والحصون بالطلسمات والحكم ومنها طلسمات لانزال المطر وجلب المياه وكتب الاشطرطاش فى الاختيارات على سرى القمر فى المنازل والاتصالات وكتب أخرى فى منافع وخواص الاعضاء الحيوانيات والاحجار والاشجار والحشائش (وقال هروشيوش ان الذى ملك بعد الاسكندر صاحب عسكره بطلميوس بن لاوى فقام بأمرهم ونزل الاسكندرية واتخذها دار الملك لهم ونهض كلمش بن الاسكندر وأمه بنت دارا والنبادة أم الاسكندر وساروا الى صاحب انطاكية واسمه قشاندر فقتلهم واختلف الغريقيون على بطلميوس فافترق أمره وحارب كل واحد منهم ناحيته الى أن غلبهم جميعا واستقام أمره ثم زحف الى فلسطين وتغلب على اليهود وأثخن فيهم بالقتل والسبى والاسر ونقل رؤساءهم الى مصر ثم هلك لاربعين سنة من ملكه وولى بعده ابنه فلديفيش وأطلق أسرى اليهود من مصر ورد الاوانى الى البيت وحباهم بآنية من الذهب وأمرهم بتعليقها فى مسجد القدس وجمع سبعين من أحبار اليهود ترجموا له التوراة من اللسان العبرانى الى اللسان الرومى واللطينى ثم هلك فلديفيش لثمان وثلاثين سنة من ملكه وولى بعده ابنه انطريس ويلقب أيضا بطلميوس لقبهم المخصوص بهم الى آخر دولتهم فانعقدت السلم بينه وبين أهل افريقية على مدعيون ملك قرطاجنة ووفد عليه وعقد معه الصلح عن قومه وزحف قواد رومة الى الغريقيين ونالوا منهم ثم هلك انطريس لست وعشرين سنة من ملكه وولى بعده أخوه فلوباذى فزحف اليه قواد رومة فهزمهم وجال فى ممالكهم ثم كانت حروبه معهم بعدها سجالا وزحف الى اليهود فملك الشأم عليهم وولى الولاة من قبله فيهم وأثخن بالقتل والسبى فيهم يقال انه قتل منهم نحوا من ستين ألفا وهلك لسبع عشرة سنة من ملكه وولى بعده ابنه ايفانش وعلى عهده كانت فتنة أهل رومة وأهل افريقية التى اتصلت نحوا من عشرين سنة وافتتح أهل رومة صقلية وأجاز قوادهم الى افريقية وافتتحوا قرطاجنة كما نذكر فى أخبارهم وهلك ايفانش لاربع وعشرين سنة من دولته * وولى بعده بالاسكندرية ابنه قلوماطر فزحف الغريقيون الى رومة وكان فيهم صاحب مقدونية وأهل ارمنية والعراق وظاهرهم ملك النوبة واجتمعوا الذلك فغلبهم الرومانيون وأسروا صاحب مقدونية وهلك قلوماطر لخمس وثلاثين سنة من ملكه وولى بعده ابنه ارياطش وعلى عهده استفحل ملك أهل

رومة واستولوا على الاندلس واجازوا البحر الى قرطاجنة بافريقية فملكوها وقتلوا
ملكها اشدر بال وخربوا مدينتها بعد أن عمرت تسعمائة سنة من بنائها كما نذكرفى
أخبارها وزحف أيضا أهل رومة الى الغريقيين فغلبوهم وملكوا عليهم مدينتهم
قرنطة من أعظم مدنهم يقال انها كانت ثانية قرطاجنة ثم هلك ابرياطش لسبع
وعشرين سنة من ملكه وولى بعده ابنه شوطاوس سبع عشرة سنة وعلى عهده استفحل ملك
أهل رومة ومهدوا الاندلس وملك بعده أخوه الاسكندر عشر سنين ثم ابنه ديونشيش
مائة وثلاثين سنة وعلى عهده استولى الرومانيون على بيت المقدس ووضعوا الجزية على
اليهود وزحف قيصر بولش من قوادهم الى الافرنجة ولمياش أيضا من قوادهم الى
الفرس فغلبوهم جميعا وماحوالهم الى انطاكية واستولوا على ما كان لهم من ذلك
وخرج الترك من بلادهم فأغاروا على مقدونية فردهم شامس قائد الرومانيين بالمشرق
على أعقابهم وهلك ديونشيش فوليت بعده ابنته كلابطره سنتين فيما قال هروشيوش
لخمسة آلاف ونيف من مبدا الخليقة ولسبعمائة سنة من بناء رومة وعلى عهدها استبد
قيصر بولش بملك رومة وغلب عليها القواد أجمع ومحا دولتهم منها وذلك بعد مرجعه
من حرب الافرنج ثم سار الى المشرق فملك الى ارمينية ونازعه مبانش هنالك فهزمه قيصر
وفر مبانش الى مصر مستنجدا بملكتها وهى يومئذ كلابطره فبعثت برأسه الى قيصر
خوفا منه فلم يغنها ذلك وزحف قيصر اليها فملك مصر والاسكندرية من كلابطره هذه
وانقرض ملك اليونانيين وولى قيصر على مصر والاسكندرية وبيت المقدس من قبله
وذلك لسبعمائة أو نحوها من بناء رومة ولخمسة آلاف من مبدا الخليقة
*(وذكر البيهقى ان كلابطره زحفت الى أرض اللطينيين وقهرتهم وأرادت العبور
الى الاندلس فحال دونها الجبل الحاجز بين الاندلس والافرنج فاستعملت فى قطعه
الخل والنار حتى نفذت الى الاندلس وان مهلكها كان على يد أوغشطش بولش ثانى
القياصرة وكذا ذكر المسعودى وانها ملكت ثنتين وعشرين سنة وكان زوجها
انطونيوش مشاركا لها فى ملك مقدونية ومصر وان قيصر أوغشطش زحف اليهم
فهلك زوجها انطونيوش فى حروبه ثم أراد التحكم فى كلابطره ليستولى على حكمتها اذ
كانت بقية الحكماء من آل يونان فخطبها وتحيلت فى اهلاكه واهلاك نفسها بعد أن
اتخذت بعض الحيات القاتلة التى بين الشأم والحجاز وأطلقتها بمجلسها بين رياحين نصبتها
هنالك ولمست الحيات فهلكت لحينها وأقامت بمكانها كأنها جالسة ودخل أوغشطش
لايشعر بذلك حتى تناول من تلك الرياحين ليشمها فأصابته الحية وهلك لحينه وتمت
حيلتها عليه وانقرض ملك اليونانيين بهلاكها وذهبت علومهم الا ما بقى بأيدى حكمائهم

فى كتب خزائنهم حتى بعث عنها المأمون وأمر باستخراجها فترجمت له من هروشيوش
وأما ابن العميد فعد ملوك مصر والاسكندرية بعد الاسكندر أربعة عشر آخرهم
كلابطره كلهم يسمون بطليموس كما قال المسعودى ولم يذكر ملوك المشرق منهم بعد
الاسكندر ولا ملوك الشأم ولا ملوك مقدونية الذين قسم الملك فيهم كما ذكرناه الا بذكر
ملك انطاكية من اليونانيين ويسميه انطوخس كما ذكرناه الآن وذكر فى أسماء ملوك مصر
هؤلاء وفى عددهم خلافا كثيرا الا أنه سمى كل واحد منهم بطليموس فقال فى بطليموس
الاول انه أخو الاسكندر أو مولاه اسمه فلافاذا فسدا وارندواس اولوغس أو فلس
ملك سبعا وقيل أربعين قال وفى عصره بنى سلفيوس وأظنه ملك المشرق منهم قامة
وحلب وقنسرين وسلوقية واللاذقية قال ومنها كان الكوهن الاعظم بالقدس
سمعان بن خونيا وبعده أخوه العازر قال وفى التاسعة من ملك لوغش جاء انطوخس
المعظم الى بلاد اليهود واستعبدهم وفى الحادية عشر حارب الروم فغلبوه وأسروه
وأخذوا منه ابنه اقفاقش رهينة وفى الثالثة عشر تزوج انطوخس كلابطره بنت
لوغش زوجها له أبوها وأخذ سورية بلاد المقدس فى مهرها وفى التاسعة عشر وثب أهل
فارس والمشرق على ملكهم فخلعوه وولوا ابنه ثم هلك لوغش قال ابن العميد بعد مائة
واحدى وثلاثين سنة لليونان ملك بطليموس بن الاسكندروس ويلقب غالب
اثور وملك مصر والاسكندرية والبلاد الغربية احدى وعشرين سنة وقيل ثمانيا
وثلاثين سنة ويسمى أيضا فيلادلفوس أى محب أخيه وهو الذى استدعى أحبار
اليهود وعلماءهم الاثنين وسبعين يترجموا له التوراة وكتب الانبياء من العبرانية الى
اليونانية وقابلوها بنسخهم فصحت وكان من هؤلاء الاحبار سمعان المذكور أولا وعاش
الى أن حمل على ذراعيه فى الهيكل ومات ابن ثلثمائة وخمسين وكان منهم العازار الذى قتله
انطوخس على امتناعه من السجود لصنمه وقتله ابن سبعين سنة ويظهر من هذا أن
بطليموس هو تلماى وانه من ملوك مقدونية وملك مصر لان ابن كريون قال وفى ذلك الزمان
كان تلماى من أهل مقدونية ملك مصر وكان محب العلوم فاستدعى من اليهود سبعين
من أحبارهم وترجموا له التوراة وكتب الانبياء وكان فى عصره صادوق الكوهن انتهى
وملك خمسا وأربعين سنة وملك بعده بطليموس الارنبا وقيل اسمه رغادى وقيل راكب
الانبر ملك أربعا وعشرين وقيل سبعا وعشرين وهو الذى بنى ملعب الخيل باسكندرية
الذى أحرق فى عصر زينون قيصر وملك بعده بطليموس محب اخيه ويقال أوغشطش
ويقال فيلادلفس ملك ست عشرة وكان فى عصره اخيم الكوهن وملك بعده بطليموس
الصائغ ويقال أخيه ملك خمس سنين وقيل خمسا وعشرين وعلى عهده كان اليهود

الكوهن وكان ضالا غشوما وقتله بعض خدمه خنقا وملك بعده بطليموس محب أبيه
وقيل اسمه كلافاطر ملك سبع عشرة سنة وأخذ الجزية من اليهود وملك بعده
بطليموس المظفر وقيل الغالب وقيل محب أمه ملك عشرين وقيل أربعا وعشرين
وفى التاسعة عشر من ملكه خرج متيتيا بن يوحنا بن شمعون الكوهن الاعظم ويعرف
بحشمناى من بنى يوناداب من نسل هارون بعث انطيخوس ملك انطاكية ابنه الغايش
بالعساكر الى القدس فاعمل الحيلة فى ملكها وقتل العازر والكوهن وحمل بنى اسرائيل
على السجود لآلهته فهرب متيتيا فى جماعة من اليهود الى الجبال حتى اذا خرجت
عساكر يونان رجع الى القدس ومر بالمذبح فوجد يهوديا يذبح خنزيرا عليه وثار
باليونانيين فقتل قائدهم وأخرجهم واستبد بملك القدس كما ذكرناه فى أخباره ثم ملك
بطليموس كلاباطر أى محب أبيه خمسا وعشرين سنة وقيل عشرين وكان فى أيامه بالقدس
يهودا بن متيتيا وبعده اخوه يوناداب وبعده اخوه شمعون وبعده أخوه هرقانوس
واسمه يوحنان وهو أول من تسمى بالملك من بنى حشمناى وبعث ابنه يوحنا بالعساكر
لقتال قيدونوس قائد انطيخوس فغلبه وارتفع عن اليهود الخراج الذى كانوا يعطونه
لملوك سورية من أيام فيلفوس ملك المشرق وملك بعده بطليموس ارغادى أى الفاضل
وقيل بطليموس الصايغ وقيل سانيطر ملك عشرين وقيل ثلاثا وعشرين وقيل
ثلاثة عشر ولعهده جدد انطيخوس بناء انطاكية وسماها باسمه ولعهده كان ملك
هرقانوس على القدس وبنيه الثلاثة وخرب مدينة السامرة سبسطية ولعهده
أيضا زحف انطيخوس الى القدس وحاصرها فصانعه هرقانوس بثلثمائة بدرة من
الذهب استخرجها من قبر داود عليه السلام ثم ملك على مصر والاسكندرية بطليموس
المخلص وقيل مقروطون وقيل سعرى ملك ثمانى عشرة وقيل عشرين وقيل سبعا
وعشرين ولعهده كان الاسكندروس بلماى بن هرقانوس سابع بنى حشمناى بالقدس
وكانت فرقة اليهود عندهم ثلاثة الربانيون ثم القراؤن وهم فى الانجيل زنادقة وهم
فى الانجيل الكتبة ثم على مصر بطليموس محب أنه وقيل الاسكندروس وقيل فيقتس
وقيل الاسكندر وقيل ابن المخلص ملك عشر سنين لا غير ولعهده كانت الاسكندرة ملكة
على بيت المقدس ولعهده بطلت مملكة سورية لمائتين وسبع عشرة سنة من ملك يونان
وقتل بطليموس هذا قتله أهل اهراقية وأحرقوه ثم ملك على مصر بطليموس فيناس وقيل
ايزيس وقيل المنفى لان كلابطرة الملكة نفته عن الملك وملك ثمان سنين وقيل ثلاثا
وعشرين يوما وقيل ثمانية عشر يوما وبعضهم أسقطه من البطالسة ولم يذكره ثم ملك على
مصر بطليموس يوناشيش احدى وعشرين سنة وقيل احدى وثلاثين وقيل ثلاثين

والعهده

ولعهده كان ارستبلوس وأخوه هرقانوس على القدس ثم ملك على مصر كلابطرة بنت
ديوناشيش ومعنى هذا الاسم الساكنة على الصخرة ملكت ثلاثين وقيل ثنتين وعشرين
وكانت حاذقة وفى الثالثة من ملكها حفرت خليج الاسكندرية وجرى فيه الماء وبنت
باسكندرية هيكل زحل والعاروص وبنت مقياسا باخميم وآخر بمدينة أنصناء وفى الرابعة
من ملكها ملك برومة اغانيوس أول القياصرة ملك أربعا ثم يوليوش بعده ثلاثا ثم
اغشطش بن مونوجس فاستولى على الممالك والنواحى وبلغ خبره اليها فحصنت بلادها
وبنت حائط امس القرمه لى النوبة شرقى النيل وحائطا آخر من اسكندرية الى النوبة
غربى النيل وهو حائط العجوز لهذا العهد وبعث أوغشطش العساكر الى مصر مع قائده
انطريوس ومعه متيرداب ملك الارمن فخادعت كلابطرة انطريوس وأوعدته بتزويجها
فقتل رفيقه متيرداب وتزوجها وعصى اوغشطيش فسار أوغشطش اليها وملك مصر
وقتل كلابطرة وولديها وقائده بطريوس الذى تزوجها ويقال انها وضعت له سما فى
مجلسها ارادت أن أوغشطش تناوله ومات والله أعلم وانقرضت مملكة يونان من مصر
والاسكندرية والمغرب بملكها وصارت هذه الممالك للروم الى حين الفتح الاسلامى
انتهى كلام ابن العميد والخلاف الذى نقله عن جماعة مؤرخيهم يذكر منهم سعيد بن
بطريق ويوحنا فم الذهب والمنجى وابن الراهب وأبوفانيوس والظاهر أنهم من
مؤرخى النصارى والبقاء لله الواحد القهار سبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه

هذا ترتيب البطالسة عند ابن العميد

ب يو يج يب ى فى ط ح ز و ه ا ح ح

كلابطره بنت ديوناشيش فيناس اسكندروس مقربطون ارغادين كلابطرا المظفر كلابطرا الصانع أوغشطش ارغادى الاسكندروس بن كرباص

ثاني عشر كلاوبطره فيلوباتر مع بطلميوس

ثاني عشر مع ريتيانه

حادي عشر أوليتيس

عاشر اسكندر ثاني

تاسع لاطور صوتير ثاني

سابع المليجي اوكاتيس

سادس فيلوميتر

خامس ابيفانس

رابع فيلوباتور

ب ا

فى ح ز د

كلابطرة بنت ديوناشيش بن شوضان بن ارباطش بن فلوباطر بن أبى قانش بن قلوباطر بن فلدليقش بن لوغش

أول الملوك بمصر والاسكندرية بعد الاسكندر وكل واحد منهم يسمى بطليموس

ثالث أيورجيطس

ثاني فيلادلفس

أول لاغوس صوتير

ط ح ز و و

اسكندروس بن الاسكندر بن فيلبش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن هطرون بن رومى بن يونان

٥٠ ب

اسكندر بن فلبش بن آمنته بن سرقاش الاسكندر بن تراوش

٢٠ ٥

يلاف بن هرقل الجبار بن ملكان بن سلقوس بن اغريقش

* (الخبر عن اللطينيين وهم الكيتم المعروفون بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم وما كان لهم من الملك والغلب وذكر الدولة التي فيهم للقياصرة وأولية ذلك ومصايره) *

هذه الامة من أشهر أمم العالم وهي ثانية الفريقين عند هروشيوش ويجتمعان في نسب يونان وثالثتهم عند البيهقي ويجتمعون في نسب يونان بن علجان بن يافث واسم الروم يشملهم ثلاثتهم لما كان لروم أهل المملكة العظمى منهم ومواطن هؤلاء اللطينيين بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية الى بلاد الافرنجة فيما بين البحر المحيط والبحر الرومي من شماله ومدينة ملك هذه الامة قديما كانت لهم مدينة اسمها طروبة وذكر هروشيوش أن أول من ملك من اللطينيين الفنش ابن شطرنش بن أيوب وذلك لعهد دائرة بني اسرائيل وقدمر ذكرها وفي آخر الالف الرابع من مبدا الخليقة وملك من بعده ابنه بريامش واتصل الملك في عقب الفنش هذا واخوته وكان منهم كرمنش بن هرسية بن شبين بن مزكة الذي ألف حروف اللسان اللطيني وأثبتها ولم تكن قبله وذلك على عهد يوائير بن كلعاد من حكام بني اسرائيل بعد أربعة آلاف وخمسين من مبدا الخليقة وكان بين هؤلاء اللطينيين وبين الغريقيين اخوانهم فتن طويلة وعلى يدهم خربت طروبة مدينة اللطينيين لعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين من مبدا الخليقة أيام عبدون ملك بني اسرائيل وقدمر ذكره وكان ملكهم يومئذ اناش من عقب بريامش بن الفنش بن شطرنش وولي بعده ابنه اشكانيش بن اناش وهو الذي بني مدينة ألبا ثم اتصل الملك فيهم الى أن افترق أمرهم ثم كان من أعقابهم برقش أيام انقراض ملك الكلدانيين وصار للمازين والقضاعيين على عهد عزيا بن امصيا من ملوك بني اسرائيل ولعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين سنة من مبدا الخليقة فصار الامر في اللطينيين لبرقاش هذا بتواسمة ملك للمازين ما كان لهم وللسريانيين قبلهم من الصيت في العالم والتفوق على الملوك بنسبهم وعصبيتهم ثم اتصل الملك لابنه ولحافديه روملوس وأماش وهما اللذان اختطا مدينة رومة وذلك لعهد أربعة آلاف وخمسمائة سنة من مبدا الخليقة وعلى عهد حزقيا بن احاز ملك بني اسرائيل ولاربعمائة ونيف من خراب مدينة طروبة وكان طول مدينة رومة من الشمال الى الجنوب عشرين ميلا في عرض اثني عشر ميلا وارتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعا في عرض عشرة أذرع وكانت من أحفل مدن العالم ولم تزل دار مملكة اللطينيين والقياصرة منهم حتى صبحهم الاسلام وهي في ملكهم وكان اللطينيون بعد روماس وأماش وانقراض عقبهم قد سئموا ولاية الملوك عليهم فعزلوهم وصار أمرهم شورى بين الوزراء وكانوا يسمونهم العنشلش ومعناه الوزراء

بلغتهم وكان عددهم سبعين على ماذكر هروشيوش ولم يزل أمرهم على ذلك مدة سبعمائة سنة الى أن استبد عليهم قيصر يولش بن غايش أول ملوك القياصرة كما نذكر بعد وكانت لهم حروب مع الامم المجاورة لهم من كل جهة فحاربوا اليونانيين ثم حاربوا الفرس من بعدهم واستولوا على الشام ومصر ثم ملكوا جزيرة الاندلس ثم جزيرة صقلية ثم أجازوا الى افريقية فملكوها وخربوا قرطاجنة وأجاز أهل افريقية اليهم وحاصروا رومة واتصلت الفتن بينهم عشرين سنة أو نحوها على مانذكر وذهب جماعة من الاخباريين الى أن الروم من ولد عيصو بن اسحق عليه السلام قال ابن كريون كان للغاز ابن عيصو ولد اسمه صفوا ولما خرج يوسف من مصر ليدفن أباه يعقوب في مدينة الخليل عليه السلام اعترضه بنو عيصو وقاتلوه فهزمهم وأسر منهم صفوا ابن اليفاز وبعثه الى افريقية فصار عند ملكها واشتهر بالشجاعة وحدثت الفتنة بين اغنياس وبين الكيتم وراء البحر فأجاز اليهم اغنياس في أهل افريقية وأثخن فيهم وظهرت شجاعة صفوا ابن اليفاز ثم هرب صفوا الى الكيتم وعظم بينهم وحسن أثره في أهل افريقية وفي الامم المجاورة للكيتم من أموال وغيرها فتوجوه وملكوه عليهم قال وهو أول من ملك في بلاد اسبانيا وأقام ملكا خمسا وخمسين سنة ثم عد ابن كريون بعده ستة عشر ملكا من أعقابه آخرهم روملس باني رومة وكان لعهد داود عليه السلام وخاف منه ووضع مدينة رومة وبني على جمعها هياكله ونسبت المدينة اليه وسميت باسمه وسمي أهلها الروم نسبة اليها ثم عد بعد روملس خمسة من الملوك اغتصب خامسهم رجلا في زوجه فقتلت نفسها وقتله زوجها في الهيكل وأجمع أهل رومة أن لا يولوا عليهم ملكا وقدموا شيوخا ثلثمائة وعشرين يدبرون ملكهم فاستقام أمرهم كما يجب الى ان تغلب قيصر وسمي نفسه ملكا فصاروا من بعده يسمون ملوكا انتهى كلام ابن كريون وهو مناقض لما قاله هروشيوش فانه زعم أن بناء رومة كان لعهد داود عليه السلام وهروشيوش قال انه كان لعهد حزقيا رابع عشر ملوك بني يهوذا من لدن داود عليه السلام وبين المدتين تفاوت وخبر هروشيوش مقدم لان واضعه مسلمان كانا يترجمان لخلفاء الاسلام بقرطبة وهما معروفان ووضعا الكتاب فالله أعلم بحقيقة الامر في ذلك

* (الخبر عن فتنة الكيتم مع أهل افريقية وتخريب قرطاجنة ثم بناؤها على الكيتم وهم اللطينيون) *

كان بناء قرطاجنة هذه قبل بناء رومة بثنتين وسبعين سنة قال هروشيوش على يدي ديدن بن الشامن من نسل عيصو بن اسحق وكان بها أمير يسمى ملكون وهو الذي بعث الى الاسكندر بطاعته عند استيلائه على طرسوس ثم صار ملك افريقية الى أملقا من ملوكهم فافتتح صقلية وهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين وأهل الاسكندرية بسبب

أهل سردانية وذلك لخمسين سنة من بناء رومة ثم وقعت السلم بينهم وهي السلم التي وفد فيها عتون من ملوك افريقية على انطريطش ملك مقدونية واسكندرية وهو ملك الروم الاعظم ثم ولي بقرطاجنة أملقا ابنه أنبيل فأجاز الى بلاد الافرنج وغلبهم على بلادهم وزحف اليه قواد رومة فوالى عليهم الهزائم وبعث أخاه اسدربال الى الاندلس فملكها وخالفه قواد الرومانيين الى افريقية بعد أن ملكوا من حصون صقلية أربعين أو نحوها ثم أجازوا الى افريقية فملكوها وقتلوا اغشول خليفة انبيل فيها وافتتحوا مدينة جردا وخرج آخرون من قواد رومة الى الاندلس فهزموا اسدربال واتبعوه الى أن قتلوه وفر أخوه انبيل عن بلادهم بعد ثلاث عشرة سنة من اجازته اليهم وبعد أن حاصر رومة وأثخن في نواحيها فلحق بافريقية ولقيه قواد أهل رومة الذين أجازوا الى افريقية فهزموه وحاصروه بقرطاجنة حتى سأل الصلح على أن يغرم لهم ثلاثة آلاف قنطار من الفضة فأجابوه اليه وسكنت الحرب بينهم ثم ظاهر بعد ذلك انبيل صاحب افريقية ملوك السريانيين على حرب أهل رومة فهلك في حربهم مسموما وبعد أن تخلص أهل رومة من تلك الحروب رجعوا الى الاندلس فملكوها ثم أجازوا البحر الى قرطاجنة ففتحوها وقتلوا ملكها يومئذ انبيل وخربوها لتسعمائة سنة من بنائها ولسبعمائة لبناء رومة ثم دارت الحرب بين أهل رومة وملك النوبة واستظهر ملك النوبة بالبربر بعد ان هزمه أهل رومة واتبعوه الى قفصة فملكوها واستولوا على ذخيرتها وهي من بناء اركلش الجبار ملك الروم وهزمهم أهل رومة فخافهم ملك البربر من ملوك النوبة الى ان هلك في أسرهم وكانت هذه الحروب لعهد بطليموس الاسكندر بعد أن كان قواد رومة اجتمعوا على بناء قرطاجنة وتجديدها لثنتين وعشرين سنة من خرابها فعمرت واتصل بها الاهل رومة ملك على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتم وهم اللطينيون ومبدأ أمورهم ومصاير أحوالهم)

لم يزل أمر هؤلاء الكيتم وهم اللطينيون راجعا الى الوزراء منذ سبعمائة سنة كما قلناه من عهد بناء رومة أو قبلها بقليل كما قال هروشيوش تقترع الوزراء في كل سنة فيخرج قائد منهم الى كل ناحية كما توجبه القرعة فيحاربون أمم الطوائف ويفتحون الممالك وكانوا أولا يعطون اخوانهم من الروم اليونانيين طاعة معروفة بعد الفتن والمحاربة حتى اذا هلك الاسكندر وافترق أمر اليونانيين والروم وفشلت ريحهم وقعت فتنة هؤلاء اللطينيين وهم الكيتم مع أهل افريقية واستولوا عليها مرارا وخربوا قرطاجنة ثم بنوها كما ذكرناه وملكوا الاندلس وملكوا الشام وأرض الحجاز وقهروا العرب بالحجاز

وافتتحوا

وافتتحوا بيت المقدس وأمروا ملكها يومئذ من اليهود وهو ارستبلوس بن الاسكندر ثامن ملوك بني حشمناي وغربوه الى رومة وولوا قائدهم على الشأم ثم حاربوا الفماس فكانت حروبهم معهم سجالا الى ان خرج يولس بن غايش ومعه ابن عمه لوجيار بن مدكة الى جهة الاندلس وحارب من كان بها من الافرنج والجلالقة الى أن ملك برطانية واشبونة ورجع الى رومة واستخلف على الاندلس اكتبيان بن أخيه يونان فلما وصل الى رومة وشعر الوزراء أنه يروم الاستبداد عليهم فقتلوه فزحف اكتبيان ابن أخيه من الاندلس فأخذ بثاره وملك رومة واستولى على أرض قسطنطينية وفارس وافريقية والاندلس وعمه يولش هو الذي تسمى قيصر فصارت سمة لملوكهم من بعده وأصل هذا الاسم جاشر فعربته العرب الى قيصر ولفظ جاشر مشترك عندهم فيقال جاشر للشعر وزعموا أن يولش ولد بشعره تام يبلغ عينيه ويقال أيضا للمشقوق جاشر وزعموا أن قيصر ماتت أمه وهي مقرب فبقر بطنها واستخرج يولش والاول أصح وأقرب الى الصواب وكانت مدة يولش قيصر خمس سنين ولما ولي قيصر اكتبيان بن أخته انفرد بتلك الناحية الشمالية من الارض ووفد عليه رسل الملوك بالمشرق يرغبون في ولايته ويضرعون اليه في السلم فأسعفهم ودانت له اقطار الارض وضرب الاتاوة على أهل الآفاق من الصغر وكان العامل على اليهود بالشأم من قبله هيردوش بن انطفتر وعلى مصر ابنه غايش وولد المسيح لثنتين وأربعين سنة خلت من ملكه وهلك قيصر اكتبيان لست وخمسين من ملكه بعد سبعمائة وخمسين سنة لبناء رومة وخمسة آلاف ومائتين لمبدأ الخليقة انتهى كلام هروشيوش وأما ابن العميد مؤرخ النصارى فذكر عن مبدأ هؤلاء القياصرة أن أمر رومة كان راجعا الى الشيوخ الذين يدبرون أمرهم وكانوا ثلثمائة وعشرين رجلا لانهم كانوا حلفوا أن لا يولوا عليهم ملكا فكان تدبيرهم يرجع الى هؤلاء وكانوا يقدمون واحدا منهم ويسمونه الشيخ وانتهى تدبيرهم في ذلك الزمان الى اغانيوس فدبرهم أربع سنين وهو الذي سمي قيصر لان أمه ماتت وهو جنين في بطنها فبقروا بطنها وأخرجوه ولما كبر انتهت اليه رياسة هؤلاء الشيوخ برومة أربع سنين ثم ولي من بعده يوليوش قيصر ثلاث سنين ثم ولي من بعده اوغسطش قيصر بن مرنوخس قال ويقال ان اوغسطش قيصر كان أحد قواد الشيخ مدبر رومة وتوجه بالعساكر لفتح المغرب والاندلس ففتحهما وعاد الى رومة فملك عليهم وطرد الشيخ من رياسته بها وتدبيره ووافقه الناس على ذلك وكان للشيخ نائب بناحية المشرق يقال له فقوس فلما بلغه ذلك زحف بعساكره الى رومة فخرج اليه أوغسطش فهزمه وقتله واستولى على ناحية المشرق وسير عساكره الى فتح مصر مع قائدين من قواده وهما انطونيوس ومترداث ملك الارمن بدمشق فتوجها

الى مصر وبها يومئذ كلابطرة الملكة من بقية البطالسة ملوك يونان بالاسكندرية ومصر فحصنت بلادها وبنت بعدوتي النيل حائطين مبدؤهما من النوبة الى الاسكندرية غربا والى الفرما شرقا وهو حائط العجوز لهذا العهد ثم داخلت القائد انطونيوس وخادعته بالتزويج فتزوجها وقتل رفيقه مترداب وعصى على أوغشطش فزحف اليه وقتله وملك مصر وقتل كلابطرة وولديها وكانا يسميان الشمس والقمر وملك مصر والاسكندرية وذلك لثنتي عشرة سنة من ملكه قال ولثنتين وأربعين سنة من ملك أوغشطش ولد المسيح بعد مولد يحيى بثلاثة أشهر وذلك لتمام خمسة آلاف وخمسمائة سنة من سني العالم ولثنتين وثلاثين من ملك هيردوس بالقدس وقيل لخمس وثلاثين من مملكته والكل متفقون على انها لثنتين وأربعين من ملك أوغشطش قال وسياقة التاريخ تقتضى انها خمسة آلاف وخمسمائة خمسة من مبدا العالم لان من آدم الى نوح ألفا وستمائة ومن نوح الى الطوفان ستمائة ومن الطوفان الى ابراهيم ألفا وثنتين وسبعين سنة ومن ابراهيم الى موسى أربعمائة وخمسا وعشرين ومن موسى الى داود عليهما السلام سبعمائة وستين ومن داود الى الاسكندر سبعمائة وستين سنة ومن الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة مائة وتسع عشرة سنة هكذا ذكر ابن العميد وانها تواريخ النصارى وفيه انظر ويظهر من كلامه ان قيصر الذى سماه أوغشطش وذكر ان المسيح ولد لثنتين وأربعين من ملكه هو الذى سماه هيردوس قيصرا كتيان وجعل مهلكه لخمسة آلاف ومائتين من مبدا الخليقة وعند ابن العميد ان ملكه لخمسة آلاف وخمسمائة وخمس عشرة والله أعلم بالحق من ذلك ثم ولى من بعده طباريش قيصر وكان وادعا واستولى على النواحي وعلى عهده كان شأن المسيح وبغى اليهود عليه ورفعه الله من الارض وأقام الحواريون من بعده واليهود يضطهدونهم ويحبسونهم على اظهار أمرهم وكان بلاطس النبطى الذى كان قائدا على اليهود يسعى الى طباريش باخبار المسيح وبغى اليهود عليه وعلى يوحنا المعمدان وتبعتهم الحواريون من بعده بالاذية وأراه انهم على حق فأمر بتخلية سبيلهم وهم بالاخذ بدينهم فمنعه من ذلك قومه ثم قبض على هيردوس وأحضره الى رومة ثم نفاه الى الاندلس فمات بها ثم ولى مكانه اغرباس ابن أخيه وافترق الحواريون فى الآفاق لاقامة الدين وحمل الامم على عبادة الله ثم قتل طباريش قيصر اغرباس ملك اليهود الى اشر من حالهم وقتلوا اتباع الحواريين من الروم ومات طباريش لثلاث وعشرين من ملكه بعد ان جدد مدينة طبرية فيما قال ابن العميد واشتق اسمها من اسمه وملك من بعده غايس قيصر وقال هروشيش هو أخو طباريش وسماه غايس قليفة من اكتيان وقال هو رابع القياصرة وأشدهم وأراد اليهود على نصب وثنه ببيت المقدس فمنعوه (وقال ابن العميد ووقعت فى أيامه شدة على النصارى وقتل يعقوب

قايوس قاليكولا

أخاه يوحنا من الحواريين وحبس بطرس رئيسهم ثم هرب الى انطاكية فأقام بها وقدم هراديوس بطركا عليها وهو أول البطاركة فيها ثم توجه الى رومة لاثنتين من ملك غايس فدبرها خمسا وعشرين سنة ونصب فيها الاساقفة وتنصرت امرأة من بيت الملك فعضدت النصارى ولقي النصارى الذين بالقدس شدائد من اليهود وكان الاسقف عليهم يومئذ يعقوب بن يوسف الخطيب (وقال ابن العميد عن المسبحي ان فيلقس ملك مصر غزا اليهود لاول سنة من ملك غايس واستعبدهم سبع سنين قال وفى الرابعة من ملكه أمر عامله على اليهود بسورية وهى أورشاليم وهى بيت المقدس أن ينصب الاصنام فى محاريب اليهود ووثب عليه بعض قواده فقتله وملك من بعده قلوديش قيصر قال هروشيوش هو ابن طباريش وعلى عهده كتب متى الحوارى انجيله فى بيت المقدس بالعبرانية قال ابن العميد ونقله يوحنا ابن زيدى الى الرومية قال وفى أيامه كتب بطرس راس الحواريين انجيله بالرومية ونسبه الى مرقص تلميذه وكتب لوقا من الحواريين انجيله بالرومية وبعث به الى بعض الاكابر من الروم وكان لوقا طبيبا ثم عظم الفساد بين اليهود ولحق ملكهم اغرباش برومة فبعث معه اقلوديش عساكر الروم فقتلوا من اليهود خلقا وجلوا الى انطاكية ورومة منهم سبيا عظيما وخربت القدس وانجلى أهلها فلم يول عليهم القياصرة أحدا لخرابها وافترقت اليهود على فرق كثيرة أعظمها سبعة قال ولسبع من ملك اقلوديش دخلت بطريقة من الروم فى دين النصارى على يد شمعون الصفا وسمعت منه الصليب فجاءت الى القدس لاظهاره ورجعت الى رومة وهلك اقلوديش قيصر لاربع عشرة سنة من ملكه وملك من بعده ابنه نيرون قال هروشيوش هو سادس القياصرة وكان غشوما فاسقا وبلغه أن كثيرا من أهل رومة أخذوا بدين المسيح فنكر ذلك وقتلهم حيث وجدوا وقتل بطرس راس الحواريين وأقام اريوش بطركا برومة مكان بطرس من بعد خمس وعشرين سنة مضت لبطرس فى كرسيها وهو رأس الحواريين ورسول المسيح الى رومة وقتل مرقص الانجيلي بالاسكندرية لثنتى عشرة من ملكه وكان هنالك من منذ سبع سنين بها مساعدا الى النصرانية بالاسكندرية ومصر وبرقة والمغرب وولى مكانه حنانيا ويسمى بالقبطية جنبار وهو أول البطارقة بها واتخذ معه الاقسة الاثني عشر (قال ابن العميد) عن المسبحي وفى الثانية من ملك نيرون عزل بلخس القاضى كان على اليهود من جهة الروم وولى مكانه قسطس القاضى وقتل يوثار رئيس الكهنونية بالمقدس ومات القاضى قسطس فثار اليهود على من كان بالمقدس من النصارى وقتلوا أسقفهم هنالك وهو يعقوب بن يوسف النجار وهدموا البيعة وأخذوا الصليب والخشبتين ودفنوها الى ان استخرجتها هلانة أم قسطنطين كما نذكر

بعـد وولى مكان يعقوب النجار ابن عمه شمعون بن كانا ثم ثار بهم اليهود وأخرجوهـم من المقـدس لعشر من ملك نيرون فأجازوا الاردن وأقاموا هنالك وبعث نيرون قائده اسباشيانس وأمر بقتـل اليهود وخراب القدس وتحصن اليهود منه وبنوا عليهم ثلاثة حصون وحاصرهـم اسباشيانس وخرب جميع حصونهم وأحرقها وأقام عليهم سـنة كاملة وقال هروشيوش ان نيرون قيصر انتقض عليه أهل مملكته فخرج عن طاعتـه أهل برطانية من أرض الجوف ورجع أهل أرمينـة والشأم الى طاعـة الفرس فبعث صهره على أخته وهو يشبشيان ابن لوجيه فسار اليهم فى العساكر وغلبهم على أمرهم ثم زحف الى اليهود بالشأم وكانوا قد انتقضوا فحاصرهم بالقدس وبينما هو فى حصاره اذ بلغه موت نيرون لاربع عشرة سـنة من ملكه ثار به جماعة من قواده فقتلوه وكان قد بعث قائدا الى جهة الجوف والاندلس فافتتح برطانية ورجع الى رومة بعد مهلك نيرون قيصر فملكه الروم عليهم وانه قتل أخاه يشبشـيان فأشار عليه أصحابه بالانصراف الى رومة وبشره رئيس اليهود وكان أسيرا عنده بالملك ويظهر أنه يوسف بن كريون الذى مرّ ذكـره فانطلق الى رومة وخلف ابنه طيطش على حصار القدس فافتتحها وخرب مسجدها وعمرانها كما مرّ ذكره قال وقتـل منهم نحوا من ستمائة ألف ألف مرتين وهلك فى حصارها جوعا نحو هذا العدد وبيع من سرار يهم فى الآفاق نحو من تسعين ألفا وحمل منهم الى رومة نحوا من مائة ألف استبقاهم لفتيان الروم يتعلمون المقاتلة فيهـم ضربا بالسـيوف وطعنا بالرماح وهى الجلوة الكبرى كانت لليهود بعد ألف ومائة وستين سنة من بناء بيت المقدس وخمسة آلاف ومائتين وثلاثين من مبدا الخليقة وثمانمائة وعشرين من بناء رومة فكان معه الى ان افتتحها وكان المستبد بها بعـد مهلك نيرون قيصر وانقطع ملك آل يولش قيصر لمائة وست عشرة سـنة من مبـدا دولتهم واستقام ملك يشبشيان فى جميع ممالك الروم وتسمى قيصر كما كان من قبل اهـ كلام هروشيوش (وقال ابن العميد ان أسـباشـيانس لما بلغه وهو محاصر للقدس ان نيرون هلك ذهب بالعسـاكر الذين معه وبشره يوسف بن كريون كهنون طبرية من اليهود بأن مصـيره ملك القيـاصرة اليه ثم بلغه أن الروم بعد مهلك نيرون ملكوا غلبان بن قيصر فأقام عليهـم تسعة أشهر وكان ردىء السـيرة وقتله بعض خـدمه غيلة وقدموا عوضـه أتون ثلاثة أشهر ثم خلعوه وملكوا ابطالس ثمانيـة أشهر فبعث اسـباشـيانس وهو الذى سماه هروشـيوش يشبشيان قائدين الى رومة فحاربوا بطالس وقتلوه وسار اسـباشيانس الى رومة وبعث اليه طيطش المحاصر للقدس بالاموال والغنائم والسبى قال وكانت عدة القتلى ألف ألف والسبى تسعمائة ألف واحتمل الخوارج الذين كانوا فى نواحى القدس

مع الاسرى وكان يلقى منهم كل يوم للسباع فرائس الى أن فنوا قال ولما ملك طيطش بيت المقدس رجع النصارى الذين كانوا عبروا الى الاردن فبنوا كنيسة بالمقدس وسكنوا وكان الاسقف فيهم شمعان بن كلوبا ابن عم يوسف النجار وهو الثانى من أساقفة المقدس ثم هلك اسباشيانس وهو يشبشيان لتسع سنين من ملكه وملك بعده ابنه طيطش قيصر سـنتين وقيل ثلاثا (قال ابن العميد) لاربعمائة من ملك الاسكندر وقال هروشيوش كان متفننا فى العـلوم ملتزما للخـير عارفا باللسان الغريقى واللطينى وولى بعده أخوه دومريان خمس عشرة سـنة قال هروشـيوش وهو ابن أخت نيرون قيصر قال وكان غشوما كافرا وأمر بقتل النصارى فعل خاله نيرون وحبس يوحنا الحوارى وأمر بقتل اليهود من نسـل داود حـذرا أن يملكوا وهلك فى حروب الافرنج وسماه ابن العميد دانـسطيانوس وقال ملك ست عشرة سنة وقيل تسعا وكان شديدا على اليهود وقتل أبناء ملوكهـم وقيل له ان النصارى يزعمون أن المسيح يأتى ويملك فأمر بقتلهـم وبعث عن أولاد يهوذا بن يوسف من الحواريين وحملهم الى رومة مقيدين وسألهم عن شأن المسيح فقـالوا انما يأتى عنـد انقضاء العالم فخلى سـبيلهم وفى الثـالثة من دولتـه طرد بطرك اسكندرية لسبع وثمانين سنة للمسيح وقدم مكانه مليوا فأقام ثلاث عشرة سنة ومات فولى مكانه كرماهو قال ابن العميد عن المسبحى ولعهده كان أمر ليونيوس صاحب الطلسمات برومة فنفى ذوسطيالوس جميع الفلاسفة والمنجمين من رومة وأمر أن لا يغرس بها كرم ثم هلك ذوسطيالوس وهو الذى سماه هروشيوش دومريان وقال هلك فى حروب الافرنج وملك بعده برما ابن أخيه طيطش نحوا من سنتين وسماه ابن العـميد تاوداس وقال ان المسبحى سماه قارون قال ويسمى أيضا برسطوس وقال ملك على الروم سنة أو سنة ونصفا وأحسـن السـيرة وأمر برد من كان منفيا من النصارى وخلاهم ودينهم ورجع يوحنا الانجيلى الى أفسس بعد ست سـنين وقال هروشيوش أطلقه من السجن قال ولم يكن له ولد فعهـد بالملك الى طريانس من عظـماء قواده وكان من أهل مالقة فولى بعده وتسمى قيصر قال ابن العميد واسمه اندبانوس وسماه المسبحى طريـنوس وملك على الروم باتفاق المؤرخين سبـع عشرة سنة وقتل شمعان بن كلاويا أسقف بيت المقـدس وأغناطيوس بطرك انطاكية ولقى النصارى فى أيامه شدة وتتبع أئمتهم بالقتل واستعبد عامتهم وهو ثالث القيـاصرة بعـد نيرون فى هـذه الدولة ولعهده كتب يوحنا انجيله برومة فى بعض الجزائر لسادسة من ملكه وكان قد رجع اليهود الى بيت المقدس فكثروا بها وعزموا على الانتقاض فبعث عسـاكره وقتـل منهم خلقا كثيرا وقال هروشيوش ان الحرب طالت بينه وبين اليهود فخربوا كثيرا من المدن الى عسـقلان ثم الى مصر والاسـكندرية

فانهزموا هنالك وقتلوا وزحفوا بعدها الى الكوفة فأثخن فيهم بالقتل وخضد من شوكتهم قال ابن العميد وفي تاسعة من ملكه مات كوتيانو بطرك الاسكندرية لاحدى عشرة سنة من ولايته وولى مكانه امرغونتي عشرة سنة أخرى وقال بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان ثاوفيلوس الحكيم رصد برومة في السنة الاولى من ملك طرنيوس وهو اندريانوس لاربعمائة واحدى وعشرين للاسكندر ولثمانمائة وخمس وأربعين لبختنصر وقال ابن العميد خرج عليه خارجي ببابل فهلك في حروبه لتسع عشرة سنة من ولايته كما قلناه فولى من بعده اندريانوس احدى وعشرين سنة وقال ابن العميد عن ابن بطريق عشرين سنة وقال هروشيوش انه أثخن في اليهود ثم بنى مدينة القدس وسماها ايلياء وقال ابن العميد كان شديدا على النصارى وقتل منهم خلقا وأخذ الناس بعبادة الاوثان وفي ثامنة ملكه خرب بيت المقدس وقتل عامة أهلها وبنى على باب المدينة عمودا وعليه لوح نقش فيه مدينة ايلياء ثم زحف الى الخارجي الذي خرج على طرنيوس قبله فهزمه الى مصر وألزم أهل مصر حفر خليج من مجرى النيل الى مجرى القلزم وأجرى فيه الماء ثم ارتدم بعد ذلك وجاء الفتح والدولة الاسلامية فألزمهم عمرو بن العاص حفره حتى جرى فيه الماء ثم انسد لهذا العهد وكان اندريانوس هذا قد بنى مدينة القدس ورجع اليها اليهود وبلغه أنهم يرومون الانتقاض وأنهم ملكوا عليهم زكريا من أبناء الملوك فبعث اليهم العساكر وتتبعهم بالقتل وخرب المدينة حتى عادت صحراء وأمر أن لا يسكنها يهودي وأسكن اليونان بيت المقدس وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب طيطش الذي هو الجلوة الكبرى وامتلأ القدس من اليونان وكانت النصارى يترددون الى موضع القبر والصليب يصلون فيه وكانت اليهود يرمون عليه الزبل والكناسات فمنعهم اليونان من الصلاة فيه وبنوا هنالك هيكلا على اسم الزهرة وقال ابن العميد عن المسبحي وفي الرابعة من ملك اندريانوس بطل الملك من الرها وتداولتها القضاة من قبل الروم وبنى اندريانوس بمدينة أثينوش بيتا ورتب فيه جماعة من الحكماء لمدارسة العلوم قال وفي خامسة ملكه قدم نسطس بطركا على الاسكندرية وكان حكيما فاضلا فلبث احدى عشرة سنة ثم مات وقدم مكانه امانيق في سادسة عشر من ملك اندريانوس فلبث احدى عشرة سنة وهو سابع البطارقة ثم مات اندريانوس لاحدى وعشرين من ملكه كما مر وولى ابنه انطونيش قال هروشيوش ويسمى قيصر الرحيم وقال ابن العميد ملك ثنتين وعشرين وقال الصعيديون احدى وعشرين قال وفي خامسة ملكه قدم مرتيانو بطركا باسكندرية وهو الثامن منهم فلبث تسع سنين ومات وكان فاضل السيرة وقدم بعده كوتيانو فلبث أربع عشرة سنة ومات في سابعة ملكه

اورالیانوس بعده وكان محبوبا وقال بطليموس صاحب المجسطي انه رصد الاعتدال الخريفي في ثالثة ملك انطونيوس فكان لاربعمائة وثلاث وستين بعد الاسكندر ثم هلك انطونيوس لثنتين وعشرين كما مر فملك من بعده اورالیانس قال هروشيوش وهو أخو انطونيوس وسماه اوراليش وانطونيوس الاصغر وقال كانت له حروب مع أهل فارس وبعد أن غلبوا على ارمينية وسورية من ممالكه فدفعهم عنهما وغلبهم في حروب طويلة وأصاب الارض على عهده وباء عظيم وقحط الناس سنتين واستسقى لهم النصارى فأمطروا وارتفع الوباء والقحط بعد ان كان اشتد على النصارى وقتل منهم خلقا وهي الشدة الرابعة من بعد نيرون (قال ابن العميد) وفي السابعة من ملكه قدم على الاسكندرية البطرك اغريپوس فلبث اثنى عشر سنة ومات في تاسعة عشر من ملك انطونيوس الاصغر قال وفي أيامه ظهرت مبتدعة من النصارى واختلفت أقوالهم وكان منهم ابن ديصان وغيره فجاحدهم أهل الحق من الاساقفة وأبطلوا بدعتهم وهلك انطونيوس هذا لتسع عشرة من ملكه وفي عاشرة ملكه ظهر اردشير بن بابك أول ملوك الساسانية واستولى على ملك الفرس وكان صاحب الحضر متملكا على السواد فغلبه وملك السواد وقتله وقصته معروفة وكان لعهده جالينوس المشهور بالطب وكان رأى معه فلما بلغه أنه ملك على الروم قدم عليه من بلاد اليونان وأقام عنده وكان لعهده أيضا ديمقراطس الحكيم ولاول سنة من ملكه قدم ياليانس بطركا على الاسكندرية وهو الحادي عشر من بطاركتها فلبث فيهم عشر سنين ومات وولى مكانه ديمتريوس فلبث فيهم ثلاثا وثلاثين سنة ومات كومدة قيصر لثلاث عشرة كما قلناه فولى من بعده برسلوش ثلاثة أشهر قال ابن العميد وسماه ابن بطريق فرطنوش وقال وملك ثلاثة أشهر وسماه غيره فرطنجوس وسماه الصعيديون برطانوس ومدة ملكه باتفاقهم شهران وقال هروشيوش سماه الياس بن طيطلس وهو عم كومدة قيصر قال وولى سنة واحدة وقتله بعض قواده وأقام في الملك ستة أشهر وقتل (قال ابن العميد) وملك بعده يوليانس قيصر شهرين ومات ثم ولي سوريانوس قيصر وسماه بعضهم سورس وسماه هروشيوش طيبار ايش بن أرنت بن انطونيش واختلفوا في مدته فقال ابن العميد عن ابن بطريق سبع عشرة سنة وقال المسبحي ثمان عشرة وعن أبي فانيوس ستة عشرة وعن ابن الراهب ثلاث عشرة وعن الصعيديين سنتين قال وملك في رابعة من ملك اردشير واشتد على النصارى وفتك فيهم وسار الى مصر والاسكندرية فقتلهم وهدم كنائسهم وشردهم كل مشرد وبنى بالاسكندرية هيكلا سماه هيكل الآلهة قال هروشيوش وهي الشدة الخامسة من بعد شدة نيرون قال ثم انتقض عليه القطينيون ولم يزل محصورا الى ان هلك وملك من

بعده اقطونيش قال ابن العميد عن ابن بطريق ست سنين وعن المسبحى سبع سنين
وسماه انطونيش قسطس قال وكان ابتداء ملكه عندهم لخمس وعشرين وخمسمائة من
ملك الاسكندر ولعهده سار اردشير ملك الفرس الى نصيبين فحاصرها وبنى عليها حصنا
ثم بلغه ان خارجا خرج عليه بخراسان فاجفل عنهم بعد المصالحة على أن لا يتعرضوا
لحصنه فلما رحل بنوا من وراء الحصن وأدخلوه فى مدينتهم ورجع اردشير فنازلهم
وامتنعوا عليه فأشار بعض الحكما بأن يجمع أهل العلم فيدعون الله دعوة رجل واحد
ففعلوا فهلك الحصن لوقته وقال هروشيوش لما ولى انطونيش ضعف عن مقاومة الفرس
فغلبوا على أكثر مدن الشام ونواحى أرمينية وهلك فى حروبهم وولى بعده مفريق ابن
مركة وقتله قواد رومة لسنة من ملكه وكذا قال ابن العميد وسماه ابن بطريق
بقرونشوش والمسبحى هرقليانوس قالوا جميعا وملك من بعده انطونيش قال ابن
العميد عن ابن بطريق وابن الراهب ثلاث سنين وعن المسبحى والصعيدين أربع
سنين قال وفى أول سنة من ملكه بنيت مدينة عمان بأرض فلسطين وملك سابور
ابن اردشير مدنا كثيرة من الشأم ومات انطونيش فملك من بعده اسكندروس لثلاث
وعشرين من ملك سابور بن اردشير فملك على الروم ثلاث عشرة سنة وكانت أمه محبة
فى النصارى وقال هروشيوش ملك عشرين سنة وكانت أمه نصرانية وكانت النصارى
معه فى سعة من أمرهم (قال ابن العميد) وفى سابعة ملكه قدم تاوكلا بطركا
بالاسكندرية وهو الثالث عشر من البطاركة فلبث فيهم ست عشرة سنة ومات قال
هروشيوش ولعشر من ملكه غزا فارس فقتل سابور بن اردشير وانصرف ظافرا
فثار عليه أهل رومة وقتلوه وملك من بعده مخشميان بن لوجية ثلاث سنين ولم يكن من
بيت الملك وانما ولوه لاجل حرب الافرنج واشتد على النصارى الشدة السادسة من
بعد نيرون وأما ابن العميد فسماه فقميوس ووافق على الثلاث سنين فى مدته وعلى
مالقى النصارى منه وانه قتل منهم سرجيوس فى سلمية وواجوس فى بالس على الفرات
وقتل بطرك انطاكية فسمع أسقف بيت المقدس بقتله فهرب وترك الكرسى قال وفى
ثالثة ملكه ملك سابور بن اردشير خلاف مازعم هروشيوش من انه قتله ثم هلك فقميوس
ارمشميان وولى من بعده يونيوس ثلاثة أشهر وقتل فيما قال ابن العميد وقال سماه
أبوفانيوس لوكش قيصر وابن بطريق بليانوس ولم يذكره هروشيوش ثم ملك غرديانوس
قيصر قال ابن العميد عن ابن بطريق وابن الراهب أربع سنين وعن المسبحى والصعيدين
ست سنين وسماه أبوفانيوس فوديوس والصعيديون قرطانوس قال وكان ملكه
لاحدى وخمسين وخمسمائة من ملك الاسكندر وقال هروشيوش غرديان بن بليسان

قال

قال وملك سبع سنين وطالت حروبه مع الفرس وكان ظافرا عليهم وقتله أصحابه على نهر
الفرات قال وولى بعده فلفش بن أولياق بن انطونيش سبع سنين وهو ابن عم الاسكندر
الملك قبله وأول من تنصر من ملوك الروم وقال ابن العميد عن الصعيديين ملك ست سنين
وقيل تسع سنين وكان ملكه لخمس وخمسين وخمسمائة من ملك الاسكندر وآمن بالمسيح
وفى أول سنة من ملكه قدم دونشيوش بطركا بالاسكندرية وهو رابع عشر البطاركة
بها فلبث تسع عشرة سنة ولعهد فيلفش هذا قدم غرديانوس أسقفا على بيت المقدس
بعد هروب مركيوس ثم عاد من هروبه فأقام شريكا معه سنة واحدة ومات غرديانوس
فانفرد مركيوش أسقفا ببيت المقدس عشر سنين قال وقتل فيلفش قيصر قائد من
قواده يقال له داقيس وملك مكانه خمس سنين وقال عن المسبحى وابن الرهب سنة وعن
ابن بطريق سنتين قال وكان يعبد الاصنام ولقى النصارى منه شدة وكان من أولاد
الملوك وقتل بطرك رومة وأجاز من مدينة قرطاجنة الى مدينة افسس وبنى بها هيكلا
وحمل النصارى على السجود له قال وفى أيامه كانت قصة فتية أهل الكهف وظهروا
بعده فى أيام تاودوسيوس وأما هروشيوش فسماه داجية بن مخشميان وقال ملك سنة
واحدة وكانت على النصارى فى أيامه الشدة السابعة وقتل بطرك رومة منهم وولى من
بعده غالش قيصر سنتين واستباح فى قتل النصارى ووباء عظيم أقفلت له المدن وقال
هروشيوش هو غالش بن بوليباش وقال ابن بطريق ان بوليباش كان شريكا له فى ملكه
ومات قبله قال ابن العميد احدى عشرة سنة لسبعين وخمسمائة من ملك الاسكندر
وقال هروشيوش وابن بطريق ملك خمس عشرة سنة واسمه غاليوش وقال المسبحى خمس
عشرة سنة وسماه داقيوس وغاليوش ابنه وقال آخرون اسمه أورليوش وملك خمس
سنين وقال أبوفانيوس اسمه غليوس وملك أربع عشرة سنة وقال الصعيديون ملك
كذلك واسمه أوراليونوس قال ابن العميد وكان يعبد الاصنام ولقى النصارى منه
شدة وفى أول سنة من ملكه قدم مكتيموش بطركا بالاسكندرية وهو الخامس عشر من
بطاركتها فلبث ثنتى عشرة سنة ومات وفى خامسة ملكه قدم اسكندروس أسقفا ببيت
المقدس ثم قتله بعد سبع سنين وبعث ابنه فى عساكر الروم لغزو الفرس فانهزم وحمل
أسيرا الى كسرى بهرام فقتله وقال هروشيوش ولى غلينوس خمسة عشر سنة فاشتد على
النصارى الامر وقتلهم وقتل معهم بطرك بيت المقدس وكانت له حروب مع الفرس
أسره فى بعضها ملكهم سابور ثم من عليه وأطلقه ووقع فى أيامه برومة وباء عظيم فرفع
طلبه عن النصارى بسببه وفى أيامه خرج القوط من بلادهم وتغلبوا على بلاد
الغريقيين ومقدونية وبلاد النبط وكان هؤلاء القوط يعرفون بالسنسين وكانت

مواطنهم في ناحية بلاد السريانيين فخرجوا العهد غلينوش هذا وغلبوا كما قلناه على بلاد
الغريقيين ومقدونية وعلى مريه وهلك غلينوش قتيلا على يد قواد رومية ثم ملك
أقاويدوش قيصر سنة واحدة وقال ابن العميد عن المسبحي سنة وتسعة أشهر لثمانين
وخمسمائة للاسكندر وفي أول سنة من ملكه قدم يونس السميساني بطركا بانطاكية فلبث
ثمان سنين وكان يقول بالوحدانية ويجحد الكلمة بالروح ولما مات اجتمع الاساقفة
بانطاكية وردوا مقالته وقال هروشيوش ولي بعد غلينوش قلوديش ابن بلاريان بن
موكاه فنسبه هكذا وقال فيه من عظماء القواد ولم يكن من بيت الملك ودفع القوط
المتغلبين عن مقدونية من منذ خمس عشرة سنة عليها ومات لسنتين من ملكه وهذا كما
قال المسبحي وقال هروشيوش ولي بعده أخوه نطيل سبع عشرة يوما وقتله بعض
القواد ولم يذكر ذلك ابن العميد ثم ملك بعده أوريليانش ست سنين وسماه ابن بطريق
أوراليوس والمسبحي ارينوس وأبوفانيوس أوليوش وهروشيوش أوراليان ابن
بلنسيان وقال ملك خمس سنين قال ابن العميد وفي الرابعة من ملكه قدم تاونا بطركا
بالاسكندرية سادس عشر البطاركة فلبث عشر سنين وكان النصارى يقيمون الدين
خفية فلما صار بطركا قابل الروم ولاطفهم بالهدايا فأذنوا له في بناء كنيسة مريم وأعلنوا
فيها بالصلاة قال وفي سادسة ملكه ولد قسطنطين وقال هروشيوش ان أوريليان بن
بلنسيان هذا حارب القوط فظفر بهم وجدد بناء رومة واشتد على النصارى تاسعة بعد
نيرون ثم قتل فولي بعده طانيش بن الياس وملك قريبا من سنة وقال ابن العميد اسمه
طافسوس وملك ستة أشهر وقال ابن بطريق اسمه طافساس وملك تسعة أشهر ثم ملك
فروفش قيصر خمس سنين وقال أبوفانيوس اسمه فروش وقال ابن بطريق وابن
الراهب والصعيديون ست سنين وقال المسبحي سبع سنين وسماه الاكيوس وارفيون
وسماه ابن بطريق بروش وسماه هروشيوش قاروش بن انطونيش قال وتغلب على
كثير من بلاد الفرس وقال ابن العميد كان ملكه لسابعة من ملك سابور ذي الاكتاف
ولخمسمائة وثنتين وتسعين من ملك الاسكندر وكان شديدا على النصارى وقتل منهم
خلقا كثيرا وهلك هو وابناه في الحرب وقال هروشيوش ولما هلك قاروش ولي من بعده
ابنه قاريان وقتل لحينه ولم يذكره ابن العميد ثم ملك دقلاديانوش احدى وعشرين
سنة وقال المسبحي عشرين سنة وقال غيره ثماني عشرة سنة وملك لخمسمائة وخمس
وتسعين للاسكندر وقال غيرهم كان اسمه غربيطا وارتقى في أطوار الخدمة عند
القياصرة الى أن استخلصه فاريوش وجعله على خيله وكان حسن المزمار ويقال أن
الخيل كانت ترقص طربا بالمزامير وعشقته بنت فاريوش الملك ولما مات أبوها وأخوها

ملكها الروم عليهم فتزوجته وسلمت له في الملك فاستولى على جميع ممالك الروم وماوالاها
وقسطنطش ابن عمه على بلاد اشيا وبزنطيه وأقام هو بانطاكية وله الشأم ومصر الى
أقصى المغرب وفي تاسعة عشر من ملكه انتقض أهل مصر والاسكندرية فقتل منهم خلقا
ورجع الى عبادة الاصنام وأمر بغلق الكنائس ولقي النصارى منه شدة وقتل القسيس
مارجرس وكان من أكابر أبناء البطارقة وقتل ملقوس منهم أيضا وفي عاشرة ملكه
قدم ماربطرس بطركا بالاسكندرية فلبث عشر سنين وقتله وجعل مكانه تلميذه
اسكندروس وكان كبير تلامذته اريوش كثير المخالفة له فسخطه وطرده ولما مات
ماربطرس رجع اريوش عن المخالفة فأدخله اسكندروس الى الكنيسة وصيره قسا
(قال ابن العميد) وفي أيام دقلاديانوس خرج قسطنطش ابن عمه ونائبه على
بزنطيا واشيا ورأى هلانة وكانت تنصرت على يد أسقف الرهاء فأعجبته وتزوجها
وولدت له قسطنطين وحضر المنجمون لولادته فأخبروا بملكه فأجمع دقلاديانوس على
قتله فهرب الى الرهاء ثم جاء بعد موت دقلاديانوس فوجد أباه قسطنطش قد ملك على
الروم فتسلم الملك من يده على ما نذكر وهلك دقلاديانوس لعشرين سنة من ملكه ولستمائة
وستة عشرة سنة من ملك الاسكندر وملك من بعده ابنه مقسيميانوس (قال ابن بطريق
سبع سنين وقال المسبحي وابن الراهب سنة واحدة قالوا وكان شريكه في الملك مقطوس
وكان أشد كفرا من دقلاديانوس ولقي النصارى منهما شدة وقتلا منهم خلقا كثيرا وفي
أول سنة من ملكه قدم الاسكندروس تلميذ ماربطرس الشهير بطركا بالاسكندرية
فلبث فيهم ثلاثا وعشرين سنة وعلى عهد مقسيميانوس تذكر تلك الخرافة بين المؤرخين
من ان سابور ملك الفرس دخل أرض الروم متنكرا وحضر مكان مقسيميانوس وسجنه
في جلد بقرة وسار الى مملكة فارس وسابور في ذلك الجلد وهرب منه ولحق بفارس
وهزم الروم في حكاية مستحيلة وكلها أحاديث خرافة والصحيح منه ان سابور سار الى
مملكة الروم فخرج اليه مقسيميانوس واستولى على ملكه كما نذكر بعد وأما هروشيوش
فلم يذكر سناريان قيصر بن قاريوس وانه ملك بعد أبيه وقتل لحينه ثم قال وقام بملكهم
ديوقاريان وثأر من قاتله ثم خرج عليه أقرير بن قاريوس فقتله ديوقاريان بعد حروب
طويلة ثم انتقض عليه أهل ممالكه وثار الثوار ببلاد الافرنجة والاندلس وافريقية
ومصر وسار اليه سابور ذو الاكتاف فدفع ديوقاريان الى هذه الحروب كلها مخشميان
هركوريش وصيره قيصر فبدأ أولا ببلاد الافرنجة فغلب الثوار بها وأصلحها وكان
الثائر الذي بالاندلس قد ملك برطانية سبع سنين فقتله بعض أصحابه ورجعت برطانية
الى ملك ديوقاريان ثم استعمل مخشميان خليفة ديوقاريان صهره قسطنطش وأخاه

مخشمس ابني ولبتنوس فمضى مخشمس الى افريقيـة وقهر الثوار بهاوردها الى طاعة الرومانيين وزحف دبوقاريان قيصر الاعظم الى مصر والاسكندرية فحصر الثائر بها الى أن ظفر به وقتله ومضى قسطنطش الى المانيين فى ناحية بلاد الافرنج فظفر بهم بعد حروب طويلة وزحف مخشميان خليفـة دبوقاريان الى سابور ملك الفرس فكانت حروبه معـه سجالا حتى غلبه وأصاب منه واستأصل مدينـة غورة والكوفة من بلاده سبيا وقتـلا ورجع الى رومة ثم سرحـه دبوقاريان قيصر الى حروب أهل غالش من الافرنجة فأثخن فيهم قتلا وسبيا ثم اشتد دبوقاريان على النصارى الشدة العاشرة بعـد نيرون وأثخن فيهـم بالقتـل ودام ذلك عليهم عشر سنين ثم اعتزل دبوقاريان وخليفته مخشميان الملك ورفضاه ودفعاه الى قسطنطش ابن ولبتنوش وأخيـه مخشمس ويسمى غلاريس فاقتسما ملك الرومانيين فكان لمخشمس غلاريس ناحية الشرق وكان لقسطنطش ناحيـة المغرب وكانت افريقيـة وبلاد الاندلس وبلاد الافرنج فى مملكته وهلك دبوقاريان ومخشميان معتزلين عن الملك بناحية الشأم وأقام قسطنطش فى الملك ثم هلك ببرطانيـة وأقام بملك اللطينيين من بعـده ابنه قسطنطين انتهى كلام هروشيوش ويظهر أن هـذا الملك الذى سماه ابن العـميد بقلاديانوس هو الذى سماه هروشيوش دبوقاريان والخبر من بعـد ذلك متشابه والاسماء مختلفة ولا يخفى عليك وضع كل اسم فى مكانه من الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم

(الخبر عن القياصرة المتنصرة من اللطينيين وهم الكيتم واستفحال ملكهم بقسطنطينية ثم بالشأم بعدها الى حين الفتح الاسلامي ثم بعده الى انقراض أمرهم)

هؤلاء الملوك القياصرة المتنصرة من أعظم ملوك العالم وأشهرهم وكان لهم الاستيلاء على جانب البحـر الرومى من الاندلس الى رومة الى القسطنطينية الى الشام الى مصر والاسكندرية الى افريقية والمغرب وحاربوا الترك والفرس بالمشرق والسودان بالمغرب من النوبة فمن وراءهم وكانوا أولا على دين المجوسية ثم بعد ظهور الحواريين ونشر دين النصرانيـة بأرضهم وتسلطهم عليهم بأرضهم مرة بعد أخرى أخذوا بدينهم وكان أول من أخـذ به قسطنطين بن قسطنطش بن ولبتنوس وأمه هـلانه بن مخشميان قيصر خليفة دبوقاريان قيصر الثالث والثلاثون من القياصرة وقد مر ذكره آنفا وانما سمى هذا الدين دين النصرانية نسبة الى ناصرة القرية التى كان فيها مسكن عيسى عليه السلام عندما رجع من مصر مع أمه وأما نسبه الى نصران فهو من أبنية المبالغة ومعناه ان هـذا الدين فى غير أهل عصابة فهو دين من نصره من اتباعه ويعرف هؤلاء

القياصرة بنى الاصفر وبعض الناس ينسبهم الى عيصو بن اسحق وقد أنكر ذلك المحققون وأبوه (وقال أبو محمد بن حزم) عند ذكر اسرائيل عليه السلام كان لاسحق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب واسمه عيصاب وكان بنوه يسكنون جبال السراة من الشأم الى الحجاز وقد بادوا جملة الا أن قوما يذكرون أن الروم من ولده وهو خطأ وانما وقع لهم هـذا الغلط لان موضعهم كان يقال له أروم فظنوا أن الروم من ذلك الموضع وليس كذلك لان الروم انما نسبوا الى روملش بانى رومة وربما يحتجون بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى غزوة تبوك للحرث بن قيس هل لك فى جلاد بنى الاصفر ولا حجة فيه لاحتمال أن يريد بنى عيصاب على الحقيقة لان قصده كان الى ناحيـة السراة وهو مسكن بنى عيصو (قلت) مسكن عيصو وهؤلاء كان يقال له اذوم بالذال المعجمة الى الظاء أقرب فعربتها العرب راء ومن هنا جاء الغلط والله تعالى أعلم وهذا الموضع يقال له يسعون أيضا والاسمان له فى التوراة (قال ابن العميد) خرج قسطنطين المؤمن على مقسيمانوس فهزمه ورجع الى رومة وازدحم العسكر على الجسر فوقع بهم فى البحر وغرق مقسيمانوس مع من غرق ودخل قسطنطين رومة وملكها بعد أن أقام ملكا على بيزنطية من بعـد أبيه ستا وعشرين سنة فبسط العدل ورفع الجور وخرج قائده يسكن ناحية قسطنطينية وولاه على رومة واعمالها وألزمه باكرام النصارى ثم انتقض عليه وقتل النصارى وعبد الاصنام وكان فيمن قتل ماريادس بطرك بطارقة فبعث قسطنطين العساكر الى رومة لحربه فساقوه أسيرا وقتله ثم تنصر قسطنطين فى مدينـة نيقية الثنتى عشر من ملكه وهدم بيوت الاصنام وبنى الكنائس ولتاسع عشرة من ملكه كان مجمع الاساقفة بمدينة نيقية ونفى اريوس كما ذكرنا ذلك كله من قبل وأن رئيس هذا المجمع كان اسكندروس بطرك الاسكندرية وفى الخامسة عشر من رياسته توفى بعد المجمع بخمسة أشهر وقال ابن بطريق كانت ولاية اسكندروس فى الخامسـة من ملك قسطنطين وبقى ست عشرة سنة وقتل فى السادسة والعشرين من ملك ديقلاديانوس وانه كان على عهده اوسانيوس أسقف قيسارية قال المسبحى مكث بطركا ثلاثا وعشرين وكسر صنم النحاس الذى هو هيكل زحل باسكندرية وجعل مكانه كنيسة فهدمها العبيديون عند ملكهم اسكندرية وقال ابن الراهب ان اسكندروس البطرك ولى أول سنة من ملك قسطنطين فمكث ثنتين وعشرين سنة وعلى عهده جاءت هلانة أم قسطنطين لزيارة بيت المقدس وبنت الكنائس وسألت عن موضع الصليب فأخبرها مقاريوس الاسقف ان اليهود أهالوا عليه التراب والزبل فأحضرت الكهنونية وسألتهم عن موضع الصليب وسألتهم رفع ما هنالك من الزبل ثم استخرجت ثلاثة من الخشب وسألت أيتها خشبة

المسيح فقال لها الاسقف علامتها أن الميت يحيا بمسها فصدقت ذلك بتجربتها
واتخذوا ذلك اليوم عيدا لوجود الصليب وبنت على الموضع كنيسة القمامة وأمرت
مقاريوس الاسقف ببناء الكنائس وكان ذلك لثلثمائة وثمان وعشرين من مولد المسيح
عليه السلام وفى حادية وعشرين من ملك قسطنطين كان مهلك اسكندروس البطرك
وولى مكانه تلميذه اثناشيوش كانت أمه تنصرت على يده فربى ابنها عنده وعلمه وولى
بطركا مكانه وسعى به أصحاب اريوش الى الملك بعده مرتين بقى فيهما على كرسيه ثم رجع
وحمل قسطنطين اليهود بالقدس على النصرانية فأظهروها وافتضحوا فى الامتناع من
أكل الخنزير فقتل منهم خلقا وتنصر بعضهم فزعموا أن احبار اليهود نقصوا من سنى
مواليد الآباء نحوا من ألف وخمسمائة سنة ليبطلوا مجئ المسيح فى السوابيع التى ذكر
دانيال أن المسيح يظهر عندها وانها لم يكن وقتها وان التوراة الصحيحة انما هى التى
فسرها السبعون من أحبار اليهود ملك مصر وزعم ابن العميد ان قسطنطين
أحضرها واطلع منها على النقص الذى قاله قال وهى التوراة التى بيد النصارى الآن
قال ثم أمر قسطنطين بتجديد مدينة بيزنطية وسماها قسطنطينية باسمه وقسم ممالكه
بين أولاده فجعل لقسطنطين قسطنطينية وما والاها ولقسطنطين الآخر بلاد الشأم
الى أقصى المشرق ولقسطوس الثالث رومة وما والاها قال وملك خمسين سنة منها ست
وعشرون ببزنطية قبل غلبة مقسيمانوس ومنها أربع وعشرون بعد استيلائه على الروم
وتنصر فى ثنتى عشرة من آخر ملكه وهلك لستمائة وخمسين للاسكندر قال هروشيوش كان
قسطنطين بن قسنطش على دين المجوسية وكان شديدا على النصارى ونفى بطرك رومة
فدعا عليه وابتلى بالجذام ووصف له فى مداواته ان ينغمس فى دماء الاطفال فجمع منهم
لذلك عددا ثم أدركته الرقة عليهم فأطلقهم فرآى فى منامه من يحضه على الاقتداء
بالبطرك فرده الى رومة وبرئ من الجذام وجنح من حينئذ الى دين النصرانية ثم
خشى خلاف قومه فى ذلك فارتحل الى القسطنطينية ونزلها وشيد بناءها وأظهر
ديانة المسيح وخالف أهل رومة فرجع اليهم وغلبهم على أمرهم وأظهر دين النصرانية
ثم جاهد الفرس حتى غلبهم على كثير من ممالكهم ولعشرين سنة من ملكه خرجت
طائفة من القوط الى بلاده فأغاروا وسبوا فزحف اليهم وأخرجهم من بلاده ثم رأى
فى منامه عربا وبنودا على تمثال الصلبان وقائلا يقول هذه علامة الظفر لك فخرجت
أمه هيلانة الى بيت المقدس لطلب آثار المسيح وبنت الكنائس فى البلدان ورجعت
ثم هلك قسطنطين لاحدى وثلاثين سنة من ملكه اهـ كلام هروشيوش ثم ولى قسطنطين
الصغير بن قسطنطين وسماها هروشيوش قسنطش (قال ابن العميد) ملك أربعا

وعشرين سنة وكان أخوه قسطوس برومية بولاية أبيه وفى خامسة من ملك
قسطنطين بعث العساكر فقتل مقنيطوس وأتباعه وولى على رومة من جهته فكانت
له صاغية الى اريوش فأخذ بمذهبه وغلبت تلك المقالة على أهل قسطنطينية وانطاكية
ومصر والاسكندرية وغلب اتباع اريوش على الكنائس ووثبوا على بطرك اسكندرية
ليقتلوه فهرب كما مر ثم هلك لاربع وعشرين سنة من ملكه وولى ابن عمه
بولياش وقال هروشيوش ابن مخشمطش قال وملك سنة واحدة وقال ابن العميد ملك
سنتين باتفاق لثلاثة من ملك سابور وكان كافرا وقتل النصارى وعزلهم عن الكنائس
واطرحهم من الديوان وسار لقتال الفرس فمات من سهم أصابه وقال هروشيوش تورط
فى طريقه فى مفازة ضل فيها عن سبيله فتقبض عليه أعداؤه وقتلوه قال هروشيوش
وولى بعده بليان بن قسطنطى سنة أخرى وزحف الى الفرس وملكهم يومئذ سابور فحجم
عن لقائهم فصالحهم ورجع وهلك فى طريقه ولم يذكر ابن العميد بليان هذا وانما قال
ملك من بعد بوليانوس الملك يوشانوس واحدة باتفاق فى سادسة عشر من ملك سابور
وكان مقدم عساكر بوليانوس فلما قتل اجتمعوا اليه وبايعوه واشترط عليهم الدخول
فى النصرانية فغلبوه وأشار سابور بتوليته ونصب لهم صليبا فى العسكر ولما ولى نزل على
نصيبين للفرس ونقل الروم الذى بها الى آمد ورجع الى كرسى مملكتهم فرد الاساقفة الى
الكنائس ورجع فيمن رجع اثناشيوش بطرك اسكندرية وطلب منه أن يكتب له أمانة
أهل مجمع نيقية فجمع الاساقفة وكتبوها وأشار عليه بلزومها ولم يذكر هروشيوش
يوشانوس هذا وذكر مكانه آخر قال وسماه بلنسيان بن قسنطش قال وقاتل أمما من
القوط والافرنجة وغيرهم قال وافترق القوط فى أيامه فرقتين على مذهبى اريوش وأمانة
نيقية قال وفى أيامه ولى داماش بطركا برومة ثم هلك بالفالج وملك بعده أخوه واليس أربع
سنين وعمل على مذهب اريوش واشتد على أهل الامانة وقتلهم وثار عليه بأهل افريقية
بعض النصارى مع البربر فأجاز اليهم البحر وحاربهم فظفر بالثائر وقتله بقرطاجنة
ورجع الى قسطنطينية فحارب القوط والامم من ورائهم وهلك فى حروبهم وقال ابن
العميد فى قيصر الذى قتل واليس وسماه واليطنوس انه ملك ثنتى عشرة سنة فيما حكاه
ابن بطريق وابن الراهب وحكى عن المسبحى خمسة عشر سنة وان أخاه والياش كان
شريكه فى الملك وأنه كان مباينا وانه ملك لستمائة وست وسبعين للاسكندر وسبع عشرة
لسابور كسرى قال وفى أيامه وثب أهل اسكندرية على اثناشيوش البطرك ليقتلوه
فهرب وقدموا مكانه لوقيوس وكان على رأى اريوش ثم اجتمع أهل الامانة بعد خمسة
أشهر ورجعوه الى كرسيه وطردوا لوقيوس وأقام اثناشيوش بطركا الى أن مات فولوا

بعده تلميذه بطرس سنتين ووثب به أصحاب لوقيوس فهرب ورجع لوقيوس الى الكرسي فأقام ثلاث سنين ثم وثب به أهل الامانة ورجعوا بطرس ومات لسنة من رجعته ولقى من داريانوس قيصر ومن أصحاب اريوش شدائد ومحنا وقال المسبحي كان والنطينوس يدين بالامانة وأخوه واليش يدين بمذهب اريوش أخذه عن ثاودكسيس أسقف القسطنطينية وعاهده على اظهاره فلما ملك نفى جميع أساقفة الامانة وسار اريوس أسقف انطاكية باذنه الى الاسكندرية فحبس بطرس البطرك وأقام مكانه اريوش من أهل سميساط وهرب بطرس من السجن وأقام برومة وكانت بين والنطينوس قيصر وبين سابور كسرى فتنة وحروب وهلك في بعض حروبه معهم وولى بعده أخوه واليش (قال ابن العميد) عن ابن الراهب سنتين وعن أبي فانيوس ثلاث سنين وسماه والاش وقال هو أبو الملكين اللذين تركا الملك وترهبا وسمى مكسيموس ودوقاديوس قال وفي الثانية من ملكه بعث طيماناوس أخا بطرس بطركا على اسكندرية فلبث فيهم سبع سنين ومات وفي سادسة ملكه كان المجمع الثاني بقسطنطينية وقد مر ذكره وفي أيام واليش قيصر هذا مات بطرك قسطنطينية فبعث اغريوس أسقف يزنا روا وولاه مكانه فوليه أربع سنين ومات ثم خرج على واليش خارج من العرب فخرج اليه فقتل في حروبه ثم ولى اغراديانوس قيصر قال ابن العميد وهو أخو واليش وكان والنطوس ابن واليش شريكاله في الملك وملك سنة واحدة وقال عن أبي فانيوس سنتين وعن ابن بطريق ثلاث سنين وذكر عن ابن المسبحي وابن الراهب أن تاوداسيوس الكبير كان شريكا لهما وأن ابتداء ملكهم لستمائة وتسعين من ملك الاسكندر وأنه رد جميع ما نفاه واليش قبله من الاسقفة الى كرسيه وخلى كل واحد مكانه ومات اغراديانوس وابن أخيه في سنة واحدة قال ابن العميد وملك بعدهما تاوداسيوس سبع عشرة سنة باتفاق لستمائة وتسعين من ملك الاسكندر ولاحدى وثلاثين من ملك سابور كسرى وفي سادسة ملكه مات اثناشيوش بطرك اسكندرية فولى مكانه كاتبه تاوفيلا وكان بطرك القسطنطينية يوحنافم الذهب وأسقف قبرس أبو فانيوس كان يهوديا وتنصر قال وكان لتاوداسيوس ولدان ارقاديوس وبرياريوس قال وفي خامسة عشر من ملكه ظهر الفتية السبعة أهل الكهف الذين قاموا أيام دقيانوس ولبثوا في نومهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كاقصه القرآن ووجد معهم صندوق النحاس والصحيفة التي أودع البطريق فيها خبرهم وبلغ الامر الى قيصر تاوداسيوس فبعث في طلبهم فوجدهم قد ماتوا فأمر أن يبنى عليهم كنيسة ويتخذ يوم ظهورهم عيدا قال المسبحي وكان أصحاب اريوس قد استولوا على الكنائس منذ أربعين سنة فأزالهم عنها ونفاهم وأسقط من

عساكره كل من يدين بتلك المقالة وعقد المجمع الثاني بقسطنطينية لمائتين وخمسين سنة من مجمع نيقية وقرر فيه الامانة الاولى بنيقية وعهدوا أن لا يزاد فيها ولا ينقص وفي خامسة عشر من ملكه مات سابور بن سابور وملك بعده بهرام ثم هلك تاوداسيوس لسبع عشرة سنة من ملكه وأما هروشيوش فقال بعد ذكر واليش وملك بعده ولنطانش ابن أخيه فالنسيان ست سنين وهو الموفي أربعين عددا من ملوك القياصرة قال واستعمل طودوشيش بن انطونش بن لوخيان على ناحية المشرق فلك الكثير منها ثم هم أهل رومة على قائدهم فقتلوه وخلعوا ولنطانش الملك فلحق بطودوشيش بالمشرق فسلم اليه في الملك فأقبل طودوشيش الى رومة وقتل الثائر بها واستقل بملك القياصرة وهلك لاربع عشرة سنة من ولايته فولى ابنه اركاديش ويظهر من كلام هروشيوش ان طودوشيش هو تاوداسيوس الذي ذكره ابن العميد لانهما متفقان في ان ابنه اركاديس ومتداريان في المدة فلعل ولنطانش الذي ذكره هروشيوش هو اغراديانوس الذي ذكره ابن العميد اه (قال ابن العميد) وملك اركاديش ولد تاوداسيوس الاكبر ثلاث عشرة سنة باتفاق في ثالثة ملك بهرام بن سابور وكان مقيما بالقسطنطينية وولى أخاه أنوريش على رومة قال وولد لاركاديش ابن سماه طودوشيش باسم أبيه ولما كبر طلب معلمه اريانوس ليعلم ولده فهرب الى مصر وترهب ورغبه بالمال فأبى وأقام في مغارة بالجبل المقطم على قرية طرا ثلاث سنين ومات فبنى الملك على قبره كنيسة ودير ايسمى دير القصير ويقال دير البغل وفي أيامه غرق أبو فانيوس مرجعه الى قبرص ومات يوحنافم الذهب بطرك القسطنطينية وكان نفاه اركاديش بموافقة أبي فانيوس ودعا كل منهما على صاحبه فهلكا وفي التاسعة من ملك اركاديش مات بهرام ابن سابور وملك ابنه يزدجرد ثم هلك اركاديش وملك من بعده طودوشيش الاصغر ابن اركاديش ثلاث عشرة سنة وولى أخاه أنوريش على رومة فاقتسما ملك اللطينيين وانتقض لعهديهما قومس افريقية وخالفه الى طاعة القياصرة فحدثت بافريقية فتنة لذلك ثم غلب القومس أخاه فلحق بقبرص وترهب بها ثم زحف القوط الى رومة وفزعنها أنوريش فحاربوها ودخلوها عنوة واستباحوها ثلاثا وتجافوا عن أموال الكنائس قال ولما هلك اركاديش قيصر استبد أخوه أنوريس بالملك خمس عشرة سنة وأحسن في دفاع القوط عن رومة وهلك فولى من بعده طودشيش ابن أخيه اركاديش ولم يذكر ابن العميد أنوريش وانما ذكر بعد اركاديش ابنه طودشيش وسماه الاصغر قال وملك ثنتين وأربعين سنة باتفاق في خامسة ملك يزدجرد وكانت بينه وبين الفرس حروب كثيرة قال وفي أول سنة من ملكه مات تاوفيلا بطرك اسكندرية فولى مكانه كيرلوس ابن أخته

فى سابعة عشر من ملكه قدم نسطوريش بطركا بالقسطنطينية فأقام أربع سنين
وظهرت عنه العقيدة التى دان بها وقد تقدمت وبلغت مقالته الى كيرلس بطرك
الاسكندرية فخاطب فى ذلك بطرك رومة وانطاكية وبيت المقدس ثم اجتمعوا بمدينة
أفسيس فى مائتى أسقف واجمعوا على كفر نسطوريش ونفوه فنزل اخميم من صعيد
مصر وأقام بها سبع سنين وأخذ بمقالته نصارى الجزيرة والموصل الى الفرات ثم العراق
وفارس الى المشرق وولى طودوشيش بالقسطنطينية مقسيموس عوضا عن نسطورس
فأقام بها ثلاث سنين وفى ثامنة وثلاثين من ملك طودوشيش الاصغر مات كيرلس بطرك
الاسكندرية وولى مكانه ديسقرس ولقى شدائد من مرقيان الملك بعده وفى سادسة
عشر من ملك طودوشيش الاصغر مات يزدجرد كسرى وولى ابنه بهرام جور وكانت
بينه وبين خاقان ملك الترك وقائع ثم عدل عن حروبهم ودخل الى أرض الروم فهزمه
طودوشيش وملك ابنه يزدجرد (قال هروشيوش) وفى أيام طودوشيش الاصغر
تغلب القوط على رومة وملكوها وهلك ملكهم ابطريك كما نذكر فى أخبارهم ثم صالحوا
الروم على أن يكون لهم الاندلس فانقلبوا اليها وتركوا رومة انتهى (قال ابن العميد)
ثم ملك مرقيان بعده ست سنين باتفاق وتزوج أخت طودوشيش وسماه هروشيوش
مركيان ابن مليكة قالوا وكان فى أيامه المجمع الرابع بخلقدونية وقد تقدم ذكره وانه كان
بسبب ديسقرس بطرك اسكندرية وما أحدث من البدعة فى الامانة فأجمعوا على نفيه
وجعلوا مكانه برطارس وافترقت النصارى الى ملكية وهم أهل الامانة فنسبوا الى
مركيان قيصر الملك الذى جمعهم وعهد بأن لا يقبل ما اتفق عليه أهل المجمع الخلقدوني
والى يعقوبية وهم أهل مذهب ديسقرس وتقدم الكلام فى تسميتهم يعقوبية والى
نسطورية وهم نصارى المشرق وفى أيام مركيان سكن شمعون الحبيس الصومعة
بانطاكية وترهب وهو أول من فعل ذلك من النصارى وعلى عهده مات يزدجرد كسرى
ومات مركيان قيصر لست سنين من ملكه وملك بعده لاون الكبير (قال ابن العميد)
لسبعمائة وسبعين من ملك الاسكندر ولثانية من ملك نيرون ملك ست عشرة سنة
ووافقه هروشيوش على مدته وقال فيه ليون بن شمخلية قال ابن العميد وكان على
مذهب الملكية ولما سمع أهل اسكندرية بموت مركيان وثبوا على برطارس البطرك
فقتلوه بعد ست سنين من ولايته وأقاموا مكانه طيماناوس وكان يعقوبيا فجاء قائد من
قسطنطينية بعد ثلاث سنين من ولايته فنفاه وأبدل عنه سورس من الملكية وأقام تسع
سنين ثم عاد طيماناوس بالامر لاون قيصر ويقال انه بقى بطركا اثنتين وعشرين سنة
ولثانية عشر من ملك لاون زحف الفرس الى مدينة آمد وحاصروها وامتنعت

عليهم وفى أيامه مات شمعون الحبيس صاحب العمود ثم هلك لاون قيصر لست عشرة
سنة من ملكه قال ابن العميد وولى من بعده لاون الصغير وهو أبو زينون الملك بعده وقال
ابن بطريق هو ابن سينون وكان يعقوبيا وملك سنة واحدة ولم يذكره هروشيوش وانما
ذكر زينون الملك بعده وسماه سينون بالسين المهملة وقال ملك سبع عشرة سنة وقال ابن
العميد مثله ولثمانية عشر من ملك نيرون ولسبعمائة وسبع وثمانين للاسكندر قال وكان
يعقوبيا وخرج عليه ولده ورجل من قرابته وحاربهما عشرين شهرا ثم قتلهما
واتباعهما ودخل قسطنطينية ووجد بطركها وكان ردى العقيدة قد غير كتب الكنيسة
وزاد ونقص فكتب زينون قيصر الى بطرك رومة وجمع الاساقفة فناظروه ونفوه
وفى سابعة ملك زينون مات طيماناوس بطرك اسكندرية فولى مكانه بطرس وهلك بعد
ثمان سنين فولى مكانه اثناشيوش وهلك لسبع سنين وكان فيما بعض البيع فى بطركيته
قال المسبحي وفى أيام زينون احترق ملعب الخيل الذى بناه بطليموس الاربا
بالاسكندرية وقال ابن بطريق وفى أيام زينون هاجت الحرب بين نيرون والهياطلة
وهزموه فى بعض حروبهم ورد الكرة عليه بعض قواده كما فى أخبارهم ومات نيرون
وتنازع الملك ابناه قباد وبلاش وفى عاشرة من ملك زينون غلب بلاش أخاه واستقل
بالملك ولحق أخوه قباد بخاقان ملك الترك ثم هلك بلاش لاربع سنين ورجع قباد واستولى
على مملكة فارس وذلك فى أربعة عشر من ملك زينون فأقام ثلاثا وأربعين سنة وهلك
زينون لسبع عشرة من ولايته فملك بعده نسطاش سبعا وعشرين سنة فى أربعة من
ملك قباد ولثمانمائة وثلاث للاسكندر وكان يعقوبيا وسكن حماة ولذلك أمر ان تشيد
وتحصن فبنيت فى سنتين وعهد لاول ملكه أن يقتل كل امرأة كاتبة وفى ثالثة ملكه
أمر ببناء مدينة فى المكان الذى قتل فيه دارا فوق نصيبين ثم وقعت الحرب بينه وبين
الاكاسرة وخرب قباد مدينة آمد ونازلت عساكر الفرس اسكندرية واحرقوا
ماحولها من البساتين والحصون وقتل بين الامتين خلق كثير وفى سادسة ملكه مات
اثناشيوش بطرك الاسكندرية فصير مكانه يوحنا وكان يعقوبيا ومات لتسع سنين فصير
بعده يوحنا الحبيس ومات بعد احدى عشرة وفى أيام نسطاش قدم ساريوش بطركا
بانطاكية وكان كلاهما على أمة ديسقرس وفى سابعة وعشرين من ملك نسطاش قدم
ساريوس بطركا بانطاكية ومات يوحنا بطرك اسكندرية فولى مكانه ديسقرس الجديد
ومات لسنتين ونصف (وقال سعيد بن بطريق) ان ايليا بطرك المقدس كتب الى
نسطاش قيصر يسأله الرجوع الى الملكية ويوضح له الحق فى مذهبهم وصبا اليه
فى ذلك جماعة من الرهبان فأحضرهم وسمع كلامهم وبعث اليهم بالاموال للصدقات

وعمارة الكنائس وكان بقسطنطينية رجل على رأى ديسقرس فمضى الى نسطانش قيصر ومضى وأشار عليه باتباع مذهب ديسقرس وان يرفض المجمع الخلقدونى فقبل ذلك منه وبعث الى جميع أهل مملكته وبلغ ذلك بطرك انطاكية فكتب الى نسطانش قيصر بالملامة على ذلك فغضب ونفاه وجعل مكانه بانطاكية سويرس وبلغ ذلك الى ايليا بطرك القدس فجمع الرهبان ورؤساء الديور فى نحو عشرة آلاف ولعنوا سويرس وأجرموه والملك نسطانش معه فنفاه نسطانش الى ايليا وذلك فى ثالثة وعشرين من ملكه فاجتمع جميع البطاركة والاساقفة من الملكية وأجرموا انسطانش الملك وسويرس وديسقرس امام اليعقوبية ونسطورس قال ابن بطريق وكان لسويرس تلميذ اسمه يعقوب البرادعى يطوف البلاد داعيا الى مقالة سويرس وديسقرس فنسب اليعاقبة اليه (وقال ابن العميد) وليس كذلك لان اليعاقبة سموا بذلك من عهد ديسقرس كما مر ثم هلك نسطانش لسبع وعشرين من ملكه وملك بعده يسطيانش قيصر لثمانية وثلاثين من ملك قباد بن نيرون ولثمانية وثلاثين للاسكندر وملك تسع سنين باتفاق وقال هروشيوش سبعا وقال المسبحى كان معه شريك فى ملكه اسمه يسطيان وفى ثالثة ملكه غزت الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة وزحف كسرى فى آخرها الثمانية من ملك يسطيانش ومعه المنذر ملك العرب فبلغ الرها وغلب الروم وغرق من الفريقين فى الفرات خلق كثير وحمل الفرس اسارى الروم وسباياهم ثم وقع الصلح بينهما بعد موت قيصر وفى تاسعة ملكه أجاز البربر من المغرب الى رومة وغلبوا عليها قال ابن بطريق وكان يسطيانش على دين الملكية فرد كل من نفاه نسطانش قبله منهم وصير طيماناوس بطركا بالاسكندرية وكان يعقوبيا فاقام فيهم ثلاث سنين وقتل سبع عشرة سنة وقال ابن الراهب كان يسطيانش خلقدونيا ونفى طيماناوس البطرك عن سكندرية وجعل مكانه أبولينار يوس وكان ملكيا وعقد مجمعا بالقسطنطينية يريد جمع الناس على رأى الخلقدونية مذهبه وأحضر ساويرس بطرك انطاكية وأساقفة المشرق فلم يوافقوه فاعتقل بطرك انطاكية سنين ثم أطلقه فسار الى مصر وبقى مختفيا فى الديور ثم وصل ابوليناريوس بطرك اسكندرية ومعه كتاب الامانة الخلقدونية فقبل الناس منه وتبعوا مذهبه فيها وصاروا اليه وهلك يسطيانش لتسع سنين من ملكه ثم ملك يسطينيانش قيصر لاحدى وأربعين من ملك قباد ولثمانمائة وأربعين للاسكندر وكان ملكيا وهو ابن عم يسطيانش الملك قبله وقال المسبحى بل كان شريكه كما مر وملك أربعين سنة باتفاق وقال أبو فانيوس ثلاثا وثلاثين وفى سابعة ملكه غزا كسرى بلاد الروم وأحرق ايليا وأخذ الصليب الذى كان فيها وفى حادية عشر من ملكه عصت السامرية عليه فغزاهم

وخرب

وخرب بلادهم وفى سادسة عشر من ملكه غزا الحارث بن جبلة أمير غسان والعرب ببرية الشأم غزا بلاد الاكاسرة وهزم عساكرهم وخرب بلادهم واتبعه بعض مرازبة كسرى فهزمهم ورد السبى منهم ثم وقع الصلح بين فارس والروم وتوادعوا وفى خمس وثلاثين من ملك يسطينيانش عهد بأن يتخذ عيد الميلاد فى رابع وعشرين من كانون وعيد الغطاس فى ست منه وكانا من قبل ذلك جميعا فى سادس كانون وقال المسبحى أراد يسطينيانش حمل الناس على رأى الملكية فأحضر طيماناوس بطرك اسكندرية وكان يعقوبيا وأراده على ذلك فامتنع فهم بقتله ثم أطلقه فرجع الى مصر مختفيا ثم نفاه بعد ذلك وجعل مكانه بولس وكان ملكيا فلم يقبله اليعاقبة وأقام على ذلك سنين (قال سعيد بن بطريق) ثم بعث قيصر قائدا من قواده اسمه بوليناريوس وجعله بطرك اسكندرية فدخل الكنيسة بزى الجند ثم لبس زى البطاركة وقدس فهموا به فصار الى سياستهم فاقصدوا ثم حملهم على رأى اليعقوبية وقتل من امتنع وكانوا مائتين وفى أيام يسطينيانش هذا ثار السامرة بأرض فلسطين وقتلوا النصارى وهدموا كنائسهم فبعث العساكر وأثخنوا فيهم وأمر ببناء الكنائس كما كانت وكانت كنيسة بيت لحم صغيرة فأمر بأن يوسع فيها فبنيت كما هى لهذا العهد وفى عهده كان المجمع الخامس بقسطنطينية بعد مائة وثلاث وستين من المجمع الخلقدونى ولتاسعة وعشرين من ملك يسطينيانش وقد جرى ذكر ذلك وفى عهد قيصر هذا مات ابوليناريوس القائد الذى جعل بطركا باسكندرية لسبع عشرة سنة من ولايته وهو كان رئيس هذا المجمع وجعل مكانه يوحنا وكان امانيا وهلك لثلاث سنين وانفرد اليعاقبة بالاسكندرية وكان أكثرهم القبط وقدموا عليهم طودوشيوش بطركا فلبث فيهم ثنتين وثلاثين سنة وجعل الملكية بطركهم داقيانوس وطردوا طودوشيوش من كرسيه ستة أشهر ثم أمر يسطينيانش قيصر بأن يعاد فأعيد وطلب منه المغامسة أن يقدم دقيانوش بطرك الملكية على الشمامسة فأجابهم ثم كتب يسطينيانش الى طودوشيوش البطرك باجتماع المجمع الخلقدونى أو يترك البطركية فتركها ونفاه وجعل مكانه بولس التنسى فلم يقبله أهل اسكندرية ولا ما جاء به ثم مات وغلقت كنائس القبط اليعقوبية ولقوا شدائد من الملكية ومات طودوشيوش البطرك فى سابعة وثلاثين من ملكة يسطينيانش وجعل مكانه باسكندرية بطرس ومات بعد سنتين (قال ابن العميد) وسار كسرى أنوشروان فى مملكة يسطينيانش قيصر الى بلاد الروم وحاصر انطاكية وفتحها وبنى قبالتها مدينة سماها رومية ونقل اليها أهل انطاكية ثم هلك يسطينيانش وملك بعده يوسطونش قيصر لست وثلاثين من ملك أنوشروان ولثمانمائة وثمانين للاسكندر فملك ثلاثة عشر سنة وقال هروشيوش

احدى عشرة سنة ولثانية من ملكه مات بطرس ملك اسكندرية فجعل مكانه داميانو فمكث ستا وثلاثين سنة وخربت الديور على عهده وفى الثانية عشر من ملكه مات كسرى أنوشروان بعد ان كان بعث العساكر من الديلم مع سيف بن ذى يزن من التبابعة ففتحوا اليمن وصارت للاكاسرة ثم هلك يوشطونش قيصر لاحدى عشرة أو ثلاث عشرة من ملكه وملك بعده طباريش قيصر لثالثة من ملك هرمز ابن أنوشروان ولثمانمائة وثنتين وتسعين للاسكندر فملك ثلاث سنين عند ابن بطريق وابن الراهب وأربعا عند المسبحى ولعهده انتقض الصلح بين الروم وفارس واتصلت الحرب وانتهت عساكر الفرس الى رأس عين الخابور فسار اليهم موريق من بطاركة الروم فهزمهم ثم جاء طباريش قيصر على اثره فعظمت الهزيمة واستحر القتل فى الفرس وأسر الروم منهم نحوا من أربعة آلاف غربهم الى جزيرة قبرص ثم انتقض بهرام مرزبان هرمز كسرى وطرده عن الملك فجمع من تخوم بلاد الروم وبعث بالصريخ الى طباريش قيصر فبعث اليه المدد من الفرسان والاموال يقال كان عسكر المدد أربعين ألفا فسار هرمز ولقيه بهرام بين المدائن وواسط فانهزم واستبيح وعاد هرمز الى ملكه وبعث الى طباريش بالاموال والهدايا أضعاف ما أعطاه ورد اليه ما كانت الفرس أخذته من بلادهم وسألهم وغيرها ونقل من كان فيهما من الفرس الى بلاده وسأله طباريش بأن يبنى هيكلين للنصارى بالمدائن وواسط فأجابه الى ذلك ثم هلك طباريش قيصر وملك من بعده موريكش قيصر فى السادسة لهرمز ولثمانمائة وخمس وتسعين للاسكندر وملك عشرين سنة باتفاق المؤرخين فأحسن السيرة وفى حادية عشر من ملكه بلغه عن بعض اليهود بانطاكية انه بال على صورة المسيح فأمر بقتلهم ونفيهم ولعهده انتقض على هرمز كسرى قريبه بهرام وخلعه واستولى على ملكه وقتله وسار ابنه ابرويز الى موريكش قيصر صريخا فبعث معه العساكر ورد ابرويز الى ملكه وقتل بهرام الخارج عليه وبعث اليه بالهدايا والتحف كما فعل أبوه من قبله مع القياصرة وخطب ابرويز من موريكش قيصر ابنته مريم فزوجه اياها وبعث معها من الجهاز والامتعة والاقمشة ما يضيق عنه الحصر ثم وثب على موريكش بعض مماليكه بمداخلة قريبه البطريق قوقا فدسه عليه فقتله وملك على الروم وتسمى قيصر وذلك لتسعمائة وأربع عشرة للاسكندر وخمس عشرة لابرويز فملك ثمانى سنين وقتل أولاد موريكش وافلت صغير منهم فلحق بطورسينا وترهب ومات هنالك وبلغ ابرويز كسرى ما جرى على موريكش وأولاده فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثأر صهره وبعث عساكره مع مرزبانه خزرويه الى القدس وعهد اليه بقتل اليهود وخراب البلد وبعث مرزبان

آخر

آخر الى مصر والاسكندرية وجاء بنفسه فى عساكر الفرس الى القسطنطينية وحاصرها وضيق عليها وأما خزرويه المرزبان فسار الى الشأم وخرب البلاد واجتمع يهود طبرية والجليل وناصرة وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس فنهبوا الاموال وأخذوا قطعة من الصليب وعادوا الى كسرى بالسبى وفيهم ذخريا بطرك القدس فاستوهبته مريم بنت موريكش من زوجها ابرويز فوهبه اياها مع قطعة الصليب ولما خلت الشأم من الروم واجتمع الفرس على القسطنطينية تراسل اليهود من القدس والجليل وطبرية ودمشق وقبرص واجتمعوا فى عشرين ألفا وجاؤا الى صور ليملكوها وكان فيها من اليهود نحو من أربعة آلاف فقبض بطركها عليهم وقيدهم وحاصرهم عساكر اليهود وهدموا الكنائس خارج صور والبطرك يقتل المقيدين ويرمى برؤسهم الى ان فنوا وارتحل كسرى عن القسطنطينية جائيا فاجفل اليهود عن صور وانهزموا (وقال ابن العميد) وفى رابعة من قوقاص قيصر قدم يوحنا الرحوم بطركا على الملكية باسكندرية ومصر وانما سمى الرحوم لكثرة رحمته وصدقته وهو الذى عمل البيمارستان للمرضى باسكندرية ولما سمع بمسير الفرس هرب مع البطريق الوالى باسكندرية الى قبرص فمات بها لعشر سنين من ولايته وخلا كرسى الملكية باسكندرية سبع سنين وكان اليعاقبة باسكندرية قدموا عليهم فى أيام قوقاص قيصر بطركا اسمه انسطانيوش مكث فيهم ثنتى عشرة سنة واسترد ما كانت الملكية استولت عليه من الكنائس اليعقوبية وجاءه اثناسيوش بطرك انطاكية الهدايا سرورا بولايته فتلقاه هو بالاساقفة والرهبان واتحدت الكنيسة بمصر والشأم وأقام عنده أربعين يوما ورجع الى مكانه ومات انسطانيوش بعد ثنتى عشرة من ولايته لثلثمائة وثلاثين من ملك دقلديانوس ولما انتهى ابرويز فى حصار القسطنطينية نهايته وضيق عليها وعدموا الاقوات واجتمع البطاركة بعلوقيا وبعثوا السفن مشحونة بالاقوات مع هرقل أحد بطاركة الروم ففرحوا به ومالوا اليه وداخلهم فى الملك وان قوقاس سبب هذه الفتنة فثاروا عليه وقتلوه وملكوا هرقل وذلك لتسعمائة وثنتين وعشرين للاسكندر فارتحل ابرويز عن القسطنطينية راجعا الى بلاده وملك هرقل بعد ذلك احدى وثلاثين سنة ونصف عند المسبحى وابن الراهب وثنتين وثلاثين عند ابن بطريق وكانت ملكته أول سنة من الهجرة وقال هروشيوش اتسع وسماه هرقل بن هرقل بن انطونيش ولما تملك هرقل بعث ابرويز بالصلح بوسيلة قتلهم موريكش فأجابهم على تقرير الضريبة عليهم فامتنعوا فحاصرهم ست سنين أخرى الى الثمان التى تقدمت وجهدهم الجوع فخادعهم هرقل بتقرير الضريبة على أن يفرج عنهم حتى يجمعوا له الاموال

وضربوا الموعد معه ستة أشهر ونقض هرقل فخالف كسرى الى بلاده واستخلف أخاه
قسطنطين على قسطنطينية وسار فى خمسة آلاف من عساكر الروم الى بلاد فارس فخرب
وقتل وسبى وأخذ ابنى ابرويز كسرى من مريم بنت موريكش وهما قباد وشيرويه
ومر بحلوان وشهرزور الى المدائن ودجلة ورجع الى ارمينية ولما قرب من القسطنينية
وارتحل ابرويز كسرى الى بلاده فوجدها خرابا وكان ذلك مما أضعف من مملكة الفرس
وأوهنها وخرج هرقل لتاسعة من ملكه لجمع الاموال وطلب عامل دمشق منصور بن
سرحون فاعتذر بأنه كان يحمل الاموال الى كسرى فعاقبه واستخلص منه مائة ألف
دينار وأبقاه على عمله ثم سار الى بيت المقدس وأهدى اليه اليهود فأمنهم أولا ثم عرفه
الاساقفة والرهبان بما فعلوه فى الكنائس ورآها خرابا وأخبروه بمن قتلوه من النصارى
فأمر هرقل بقتلهم فلم ينج منهم الامن اختفى أو أبعد المفر الى الجبال والبرارى وأمر
بالكنائس فبنيت وفى العاشرة من ملكه قدم اندراسكون بطركا للعاقبة باسكندرية
فأقام ست سنين خربت فيها الديور ثم مات فجعل مكانه بنيامين فمكث سبعا وثلاثين سنة
ومات والفرس يومئذ قد ملكوا مصر والاسكندرية وأما هرقل فسار من بيت المقدس
الى مصر وملكها وقتل الفرس وولى على الاسكندرية قوس وكان امانيا وجمع له بين
البطركة والولاية ورأى بنيامين البطرك فى نومه شخصا يقول قم فاختف الى أن يجوز
غضب الرب فاختفى وتقبض هرقل على أخيه مينا وأراده على الاخذ بالامانة
الخلقدونية فامتنع فأحرقه بالنار ورمى بجثته فى البحر ثم عاد هرقل الى قسطنطينية
بعد ان جمع الاموال من دمشق وحمص وحماة وحلب وعمر البلاد الى أن ملك مصر عمرو
ابن العاصى وفتحها الثلثمائة وسبع وخمسين لديقلاديانوس وكتب لبنيامين البطرك
بالامان فرجع الى اسكندرية بعد ان غاب عن كرسيه ثلاث عشرة سنة قال ابن العميد
وانتقل التاريخ الى الهجرة لاحدى عشرة من ملك هرقل وذلك لتسعمائة وثلاث
وثلاثين للاسكندر وستمائة وأربع عشرة للمسيح (قال المسعودى) وقيل ان مولده
عليه السلام كان لعهد يسطيانش الثانى الذى ذكرانه نوسطيونس الذى بنى كنيسة
الرها وان ملكه كان عشرين سنة ثم ملك هرقل بن نوسطيونس خمس عشرة سنة وهو الذى
ضرب السكة الهرقلية وبعده موريق بن هرقل قال والمشهور بين الناس أن الهجرة
وأيام الشيخين كان ملك الروم لهرقل قال وفى كتب السير أن الهجرة كانت على عهد
قيصر بن مورق ثم كان بعده ابنه قيصر بن قيصر أيام أبى بكر ثم هرقل بن قيصر أيام
عمر وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشأم قال ومدة تملكهم الى الهجرة مائة وخمس
وسبعون سنة (قال الطبرى) مدة ما بين عمارة المقدس بعد تخريب بختنصر الى الهجرة

على قول النصارى ألف سنة وتزيد ومن ملك الاسكندر اليها تسعمائة ونيف وعشرين
سنة ومنه الى مولد عيسى ثلثمائة وثلاث سنين وعمره الى رفعه اثنان وثلاثون سنة ومن
رفعه الى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وقال هروشيوش ان ملك هرقل كانت
الهجرة فى تاسعته وسماه هرقل بن هرقل بن انطونيوس لستمائة واحدى عشرة من
تاريخ المسيح ولالف ومائة من بناء رومة والله تعالى أعلم

* (الخبر عن ملوك القياصرة من لدن هرقل والدولة الاسلامية الى
حين انقراض أمرهم وتلاشى أحوالهم) *

قال ابن العميد وفى الثانية من الهجرة بعث ابرويز عساكره الى الشأم والجزيرة
فملكها وأثخن فى بلاد الروم وهدم كنائس النصارى واحتمل ما فيها من الذهب والفضة
والآنية حتى نقل الرخام الذى كان بالمبانى وحمل أهل الرها على رأى اليعقوبية باغراء
طبيب منهم كان عنده فرجعوا اليه وكانوا ملكية وفى سابعة الهجرة بعث عساكر الفرس
ومقدمهم مرزبانه شهربار فدوخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ثم تغير له فكتب الى
المرازبة معه بالقبض عليه واتفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث به الى شهربار
فانتقض ومن معه وطلبوا هرقل فى المدد فخرج معهم بنفسه فى ثلثمائة ألف من الروم
وأربعين ألفا من الخزر الذين هم التركمان وسار الى بلاد الشأم والجزيرة وافتتح مدائنهم
التى كان ملكها كسرى من قبل وفيما افتتح ارمينية ثم سار الى الموصل فلقيه جموع
الفرس وقائدهم المرزبان فانهزموا وقتل وأجفل ابرويز عن المدائن واستولى
هرقل على ذخائر ملكهم وكان شيرويه بن كسرى محبوسا فأخرجه شهربار وأصحابه
وملكوه وعقد مع هرقل الصلح ورجع هرقل الى آمد بعد ان ولى أخاه تداوس على
الجزيرة والشأم ثم سار الى الرها ورد النصارى المعاقبة الى مذهبهم الذى أكرهوا على
تركه وأقام بها سنة كاملة ومن غير ابن العميد وفى آخر سنة ست من الهجرة كتب النبى
صلى الله عليه وسلم الى هرقل كتابه من المدينة مع دحية الكلبى يدعوه الى الاسلام ونصه
على ما وقع فى صحيح البخارى بسم الله الرحمن الرحيم (من محمد رسول الله) الى هرقل عظيم
الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك
الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون
الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون فلما بلغه الكتاب جمع من كان بأرضه من
قريش وسألهم عن أقربهم نسبا منه فأشاروا الى أبى سفيان بن حرب فقال لهم انى
سائله عن شأن هذا الرجل فاستمعوا ما يقوله ثم سأل أبا سفيان عن أحوال تجب أن تكون

قوله ست أى وكان
وصوله الى هرقل
سنة سبع كما صرح به
ابن حجر قاله نصر

للنبي صلى الله عليه وسلم أو ينزه عنها وكان هرقل عارفا بذلك فأجابه أبو سفيان عن جميع ماسأله من ذلك فرآى هرقل انه نبي لا محالة مع انه كان حزاء ينظر في علم النجوم وكان عنده علم من القرآن الكائن قبل الملة بظهور الملة والعرب فاستيقن بنبوته وصحة مايدعو اليه حسبما ذكره البخاري في صحيحه وكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى الحرث ابن أبي شمر الغساني ملك غسان بالبلقاء من أرض الشأم وعامل قيصر على العرب مع شجاع بن وهب الاسدي يدعوه الى الاسلام قال شجاع فأتيته وهو بغوطة دمشق يهيئ النزل لقيصر حين جاء من حمص الى ايلياء فشغل عني الى ان دعاني ذات يوم وقرأ كتابي وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان باليمن ثم أمر بالخيول تنعل وكتب بالخبر الى قيصر فنهاه عن المسير ثم أمرني بالانصراف وزودني بمائة دينار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثامنة من الهجرة جيشه الى الشأم وهي غزوة مؤتة كان المسلمون فيها ثلاثة آلاف وامّر عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب فجعفر فعبد الله ابن رواحة فانتهوا الى معان من أرض الشأم ونزل هرقل صاب من أرض البلقا في مائة ألف من الروم وانضمت اليهم جموع جذام والغيد وبهرام وبلي وعلى بلي مالك بن زافلة ثم زحف المسلمون الى البلقا ولقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب على موتة فكان التمحيص والشهادة واستشهد زيد ثم جعفر ثم عبد الله وانصرف خالد بن الوليد بالناس فقدموا المدينة ووجد النبي صلى الله عليه وسلم على من قتل من المسلمين ولا كوجده على جعفر بن أبي طالب لانه كان تلاده ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف ان يتهيؤا لغزو الروم فكانت غزوة تبوك فبلغ تبوك وأتاه صاحب ايلة وجرباء واذرح واعطوا الجزية وصاحب ايلة يومئذ يوحنا بن روبة بن نفاثة أحد بطون جذام وأهدى له بغلة بيضاء وبعث خالد بن الوليد الى دومة الجندل وكان بها اكيدر بن عبد الملك فأصابوه بضواحيها في ليلة مقمرة فأسروه وقتلوا أخاه وجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فحقن دمه وصالحه على الجزية ورده الى قريته وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة وقفل الى المدينة وبلغ خبر يوحنا الى هرقل فأمر بقتله وصلبه عند قريته اه من غير ابن العميد ورجعنا الى كلامه قال وفي الثالثة عشر من الهجرة جهز أبو بكر العساكر من المسلمين من العرب لفتح الشأم عمرو بن العاصي لفلسطين ويزيد بن أبي سفيان لحمص وشرحبيل بن حسنة للبلقاء وقائدهم أبو عبيدة بن الجراح وبعث خالد بن سعيد بن العاصي الى سماوة فلقيه ماهاب البطريق في جموع الروم فهزمهم خالد الى دمشق ونزل مرج الصفراء ثم أخذوا عليه الطريق ونازلوه ثانية فتحيز الى جهة المسلمين وقتل ابنه وبعث أبو بكر خالد بن الوليد بالعراق يسير الى الشأم أميرا على المسلمين فسار ونزل معهم دمشق وفتحوها كما نذكر في الفتوحات وزحف عمرو ابن العاصي الى غزة ولقيته

الروم هنالك فهزمهم وتحصنوا ببيت المقدس وقيسارية ثم زحف عساكر الروم من كل جانب في مائتين وأربعين ألفا والمسلمون في بضع وثلاثين ألفا والتقوا باليرموك فانهزم الروم وقتل منهم من لا يحصى وذلك في خامسة عشر من الهجرة ثم تتابعت عليهم الهزائم ونازل أبو عبيدة وخالد بن الوليد حمص فصالحوهم على الجزية ثم سار خالد الى قنسرين ولقيه مناس البطريق في جموع الروم فهزمهم وقتل منهم خلق كثير وفتح قنسرين ودوّخ البلاد ثم سار عمرو بن العاصي وشرحبيل بن حسنة فحاصروا مدينة الرملة وجاء عمر بن الخطاب الى الشأم فعقد لاهل الرملة الصلح على الجزية وبعث عمرا وشرحبيل لحصار بيت المقدس فحاصروها ولما أجهدهم البلاء طلبوا الصلح على أن يكون أمانهم من عمر نفسه فحضر عندهم وكتب أمانهم ونصه بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب لاهل ايلياء انهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تسكن ولا تهدم اه (ودخل عمر بن الخطاب) بيت المقدس وجاء كنيسة القمامة فجلس في صحنها وحان وقت الصلاة فقال للبترك أريد الصلاة فقال له صل موضعك فامتنع وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفردا فلما قضى صلاته قال للبترك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا هنا صلى عمر وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها ثم قال للبترك أرني موضعا أبني فيه مسجدا فقال على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب ووجد عليها ردما كثيرا فشرع في ازالته وتناوله بيده يرفعه في ثوبه واقتدى به المسلمون كافة فزال لحينه وأمر ببناء المسجد ثم بعث عمرو بن العاصي الى مصر فحاصرها وأمده بالزبير بن العوام في أربعة آلاف من المسلمين فصالحهم المقوقس على الجزية ثم سار الى الاسكندرية فحاصرها وافتتحها وفي السابعة عشر من الهجرة جاء ملك الروم الى حمص في جموع النصرانية وبها أبو عبيدة فهزمهم واستلحمهم ورجع هرقل الى انطاكية وقد استكمل المسلمون فتح فلسطين وطبرية والساحل كله واستنفر العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وقدم عليهم ماهاب البطريق وبعثه للقاء العرب وكتب الى عامله على دمشق منصور بن سرحون أن يمده بالاموال وكان يحقد عليه نكبته من قبل واستصفى ماله حين أفرج الفرج عن حصاره بالقسطنطينية لاول ولايته فاعتذر العامل للبطريق عن المال وهون عليه أمر العرب فسار من دمشق للقائهم ونازلهم بجابية الخولان ثم اتبعه العامل ببعض مال جهزه للعساكر وجاء العسكر ليلا وأوقد المشاعل وضرب الطبول ونفخ البوقات فظنهم الروم عسكر العرب جاؤا من خلفهم وانهم أحيط بهم فأجفلوا وتساقطوا في الوادي وذهبوا طوائف الى دمشق وغيرها من ممالك الروم ولحق ماهاب بطور سيناء وترهب الى أن هلك

واتبع المسلمون الفل مع منصور الى دمشق وحاصروها ستة أشهر فرقوا على أبوابها ثم
طلب منصور العامل الامان للروم من خالد فأمنه ودخل المدينة من الباب الشرقى
وتسامع الروم الذين بسائر الابواب فهربوا وتركوها ودخل منها الامراء الآخرون
عنوة ومنصور ينادى بأمان خالد فاختلف المسلمون قليلا ثم اتفقوا على أمان الروم
الذين كانوا بالاسكندرية بعد ان افتتحها عمرو بن العاصى ركبوا اليه البحر ووافوه بها
ثم هلك هرقل لاحدى وعشرين من الهجرة ولاحدى وثلاثين من ملكه فملك على الروم
بقسطنطينية قسطنطين وقتله بعض نساء أبيه لستة أشهر من ملكه وملك أخوه هرقل
ابن هرقل ثم تشاءم به الروم فخلعوه وقتلوه وملكوا عليهم قسطنينوس بن قسطنطين
فملك ست عشرة سنة ومات لسابعة وثلاثين من الهجرة وفى أيامه غزا معاوية بلاد الروم
سنة أربع وعشرين وهو يومئذ أمير على الشأم فى خلافة عمر بن الخطاب فدوّخ البلاد
وفتح منها مدنا كثيرة وقفل ثم أغزى عساكر المسلمين الى قبرص فى البحر ففتح منها حصونا
وضرب الجزية على أهلها وذلك سنة سبع وعشرين وكان عمرو بن العاصى لما فتح
الاسكندرية كتب لبنيامين بطرك اليعاقبة بالامان فرجع بعد ثلاث عشرة من مغيبه
وكان ولاه هرقل فى أول الهجرة كما قدمنا وملك الفرس مصر والاسكندرية عشر سنين
عند حصار قسطنطينية أيام هرقل ثم غاب عن الكرسى عندما ملك الفرس وقدموا
الملكية وبقى غائبا ثلاث عشرة سنة أيام الفرس عشرة وثلاث من ملكة المسلمين ثم أمنه
عمرو بن العاصى فعاد ثم مات فى تاسعة وثلاثين من الهجرة وخلفه فى مكانه اغاثوا فملك
سبع عشرة سنة ولما هلك قسطنينوس بن قسطنطين فى سابعة وثلاثين من الهجرة كما قلناه
ملك على الروم القسطنطينية ابنه يوطيانوس فمكث ثنتى عشرة سنة وتوفى سنة خمسين
فملك بعده طيباريوس ومكث سبع سنين وفى أيامه غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية فى
عساكر المسلمين وحاصرها مدة ثم أفرج عنها واستشهد أبو أيوب الانصارى فى حصارها
ودفن فى ساحتها ولما قفل عنها توعدهم بتعطيل كنائسهم بالشأم ان تعرضوا القبره ثم قتل
طيباريوس قيصر سنة ثمان وخمسين وملك أوغسطس قيصر وفى أيام ولايته مات أغاثوا
بطرك اليعاقبة القبط باسكندرية وقدم مكانه يوحنا ثم قتل أوغسطس قيصر ذبحه بعض
عبيده سنة (بياض بالأصل) وملك ابنه اصطفانيوس وكان لعهد عبد الملك بن مروان
وفى سنة خمس وستين من الهجرة زاد عبد الملك فى المسجد الاقصى وأدخل الصخرة
فى الحرم ثم خلع اصطفانيوس ثم ملك بعده لاون ومات سنة ثمان وسبعين وملك
طيباريوس سبع سنين ومات سنة ست وثمانين فملك نسطيانوس وذلك فى أيام الوليد
ابن عبد الملك وهو الذى بنى مسجد بنى أمية بدمشق يقال انه أنفق فيه أربعمائة

صندوق

صندوق فى كل صندوق أربعمائة عشر ألف دينار وكان فيه من جملة الفعلة اثنا عشر
ألف مرخم ويقال كانت فيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فكانت تغشى
عيون الناظرين وتفتن المسلمين فأزالها عمر بن عبد العزيز وردها الى بيت المال وكان
الوليد لما اعتزم على الزيادة فى المسجد أمر بهدم كنيسة النصارى وكانت ملاصقة
للمسجد فأدخلها فيه وهى معروفة عندهم بكنيسة ماريوحنا ويقال ان عبد الملك
طلبهم فى ذلك فامتنعوا وان الوليد بذل لهم فيها أربعين ألف دينار فلم يقبلوا فهدمها
ولم يعطهم شيئا وشكوا أمرها الى عمر بن عبد العزيز وجاؤه بكتاب خالد بن الوليد وعهده
أن لا تخرب كنائسهم ولا تسكن فراودهم على أخذ الاربعين ألفا التى بذل لهم الوليد
فأبوا فأمر أن ترد عليهم فعظم ذلك على الناس وكان قاضيه أبو داريس الخولانى فقال
لهم تتركون هذه الكنيسة فى الكنائس التى فى (بياض بالأصل) العنوة فى المدينة والا
هدمناها فأذعنوا وكتب لهم عمر الامان على ما بقى من كنائسهم وفى سنة ست وسبعين
بعث كاتب الخراج الى سليمان بن عبد الملك بأن مقياس حلوان بطل فأمر ببناء مقياس
فى الجزيرة بين الفسطاط والجزيرة فهو لهذا العهد وفى سنة احدى ومائة من الهجرة
ملك تداوس على الروم سنة ونصفا ثم ملك بعده لاون أربعا وعشرين سنة وبعده ابنه
قسطنطين وفى سنة ثلاث عشرة ومائة غزا هشام بن عبد الملك الصائفة اليسرى وأخوه
سليمان الصائفة اليمنى ولقيهم قسطنطين فى جموع الروم فانهزموا وأخذ أسيرا ثم أطلقوه
بعد وفى أيام مروان بن محمد وولاية موسى بن نصير لقى النصارى بالاسكندرية ومصر
شدة وأخذوا بغرامة المال واعتقل بطرك الاسكندرية ابى ميخايل وطلب بجملة من
المال فبذلوا موجودهم وانطلقوا يستعون ما يحصل لهم من الصدقة وبلغ ملك
النوبة ما حل بهم فزحف فى مائة ألف من العساكر الى مصر فخرج اليه عامل مصر
فرجع من غير قتال وفى أيام هشام ردت كنائس الملكية من أيدى اليعاقبة وولى
عليهم بطرك قريبا من مائة سنة كانت رياسة البطرك فيها لليعاقبة وكانوا يبعثون
الاساقفة للنواحى ثم صارت النوبة ومن وراءهم للحبشة يعاقبة ثم ملك بالقسطنطينية
رجل من غير بيت الملك اسمه جرجس فبقى أيام السفاح والمنصور وأمره مضطرب ثم
مات وملك بعده قسطنطين بن لاون وبنى المدن وأسكنها أهل ارمينية وغيرها ثم مات
قسطنطين بن لاون وملك ابنه لاون ثم هلك لاون وملك بعده نقفور وفى سنة سبع
وثمانين ومائة غزا الرشيد هرقلة ودوخ جهاتها وصالحه نقفور ملك الروم على الجزية
فرجع الى الرقة وأقام شاتيا وقد كلب البرد وامن نقفور من رجوعهم فانتقض
فعاد اليه الرشيد وأناخ عليه حتى قرر الموادعة والجزية عليه ورجع ودخلت عساكر

الصائفة بعدها من درب الصفصاف فدوخوا أرض الروم وجمع نغفور رواتبهم فكانت عليه هزيمة شنعاء قتل فيها أربعون ألفا ونجا نغفور جريحا وفى سنة تسعين ومائة دخل الرشيد بالصائفة الى بلاد الروم فى مائة وخمسة وثلاثين ألفا سوى المطوعة وبث السرايا فى الجهات وأناخ على هرقلة ففتحها وبلغ سبيها ستة عشر ألفا وبعث نغفور بالجزية فقبل وشرط عليهم أن لا يعمر هرقلة وهلك نغفور فى خلافة الامين وولى ابنه استبراق قيصر وغزا المأمون سنة خمس عشرة ومائتين الى بلاد الروم ففتح حصونا عدة ورجع الى دمشق ثم بلغه أن ملك الروم غزا طرسوس والمصيصة وقتل منها نحوا من ألف وستمائة رجل فرجع وأناخ على انطواغوا حتى فتحها صلحا وبعث المعتصم ففتح ثلاثين من حصون الروم وبعث يحيى بن أكثم بالعساكر فدوخ أرضهم ورجع المأمون الى دمشق ثم دخل بلاد الروم وأناخ على مدينة لؤلؤة مائة يوم وجهز اليها العساكر مع عجيف مولاه ورجع ملك الروم فنازل عجيفا فأمده المأمون بالعسكر فرحل عنه ملك الروم وافتتح لولوة صلحا ثم سار المأمون الى بلاد الروم ففتح سلغوس والبروة وبعث ابنه العباس بالعساكر فدوخ أرضهم وبنى مدينة الطولية ميلا فى ميل وجعل لها أربعة أبواب ثم دخل غازيا بلاد الروم ومات فى غزاته سنة ثمان عشرة ومائتين وفى أيامه غلب قسطنطين على مملكة الروم وطرد ابن نغفور عنها وفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتح المعتصم عمورية وقصتها معروفة فى أخباره اهـ كلام ابن العميد وأغفلنا من كلامه أخبار البطاركة من لدن فتح الاسكندرية لانا رأيناه مستغنى عنه وقد صارت بطركيتهم الكبرى التى كانت بالاسكندرية بمدينة رومة وهى هنالك للملكية ويسمونه البابا ومعناه أبو الآباء وبقى ببلاد مصر بطرك اليعاقبة على المعاهدين من النصارى بتلك الجهات وعلى ملوك النوبة والحبشة (وأما المسعودى فذكر ترتيب هؤلاء القياصرة من بعد الهجرة والفتح كما ذكره ابن العميد (قال والمشهور بين الناس أن الهجرة وأيام الشيخين كان ملك الروم فيها لهرقل قال وفى كتب أهل السير أن الهجرة كانت على عهد قيصر بن مورق ثم كان بعده ابنه قيصر بن قيصر أيام أبى بكر ثم هرقل بن قيصر أيام عمر وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشأم أيام أبى عبيدة وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان فاستقر بالقسطنطينية وبعده مورق بن هرقل أيام عثمان وبعده مورق بن مورق أيام على ومعاوية وبعده قلفط بن مورق آخر أيام معاوية وأيام يزيد ومروان بن الحكم كان معاوية يراسله ويراسل أباه مورق وكانت تختلف اليه علامة نياق وبشره مورق بالملك وأخبره أن عثمان يقتل وان الامر يرجع الى معاوية وهادى ابنه قلفط حين سار الى حرب على رضى الله عنه ثم نزلت جيوش معاوية مع ابنه اليزيد قسطنطينية وهلك

عليها فى حصاره أبو أيوب الانصارى ثم ملك من بعده قلفط بن مورق لاون بن قلفط أيام عبد الملك بن مروان وبعده جيرون بن لاون أيام الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ثم غشيهم المسلمون فى ديارهم وغزوهم فى البر والبحر ونازل مسلمة القسطنطينية واضطرب ملك الروم وملك عليهم جرجيس بن مرعش وملك تسع عشرة سنة ولم يكن من بيت الملك ولم يزل أمرهم مضطربا الى أن ملك عليهم قسطنطين بن أليون وكانت أمه مستبدة عليه لمكان صغره ومن بعده نغفور بن استبراق أيام الرشيد وكانت له معه حروب وغزاه الرشيد فأعطاه الانقياد ودفع اليه الجزية ثم نقض العهد فتجهز الرشيد الى غزوه ونزل هرقلة وافتتحها سنة تسعين ومائة وكانت من أعظم مدائن الروم وانقاد نغفور بعد ذلك وحمل الشروط وملك بعده استبراق بن نغفور أيام الامين وغلب عليه قسطنطين ابن قلفط وملك أيام المأمون وبعده نوفيل أيام المعتصم واسترد زبطرة ونازل عمورية وافتتحها وقتل من كان بها من أمم النصرانية ثم ملك ميخاييل بن نوفيل أيام الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين ثم تنازع الروم وملكوا عليهم نوفيل بن ميخاييل ثم غلب على الملك بسيل الصقلبى ولم يكن من بيت الملك وكان ملكه أيام المعتز والمهتدى وبعضا من أيام المعتمد ومن بعده اليون بن بسيل بقية أيام المعتمد وصدرا من أيام المعتضد ومن بعده الاسكندروس ونقموا سيرته فخلعوه وملكوا أخاه لاوى بن اليون بقية أيام المعتضد والمكتفى وصدرا من أيام المقتدر ثم هلك وملك ابنه قسطنطين صغيرا وقام بأمره ارمنوس بطريق البحر وزوجه ابنته ويسمى الدمستق وهو الذى كان يحارب سيف الدولة ملك الشأم من بنى حمدان واتصل ذلك أيام المقتدر والقاهر والراضى والمتقى وافترق أمر الروم وأقام بعض بطارقتهم ويعرف استفانس فى بعض النواحى وخوطب بالملك ارمنوس بطركا بكرسى القسطنطينية الى هنا انتهى كلام المسعودى وقال عقبه فجميع سنى الروم المتنصرة من أيام قسطنطين بن هلانة الى عصرنا وهو حدود الثلثمائة والثلاثين للهجرة خمسمائة سنة وسبع سنين وعدد ملوكهم احد وأربعون ملكا قال فيكون ملكهم الى الهجرة مائة وخمسا وسبعين سنة اهـ كلام المسعودى (وفى تاريخ ابن الاثير) ان ارمانوس لما مات ترك ولدين صغيرين وكان الدمستق على عهده قوقاش وملك ملطية من يد المسلمين بالامان سنة ثنتين وعشرين وثلثمائة وكان أمر الثغور لسيف الدولة بن حمدان وملك قوقاش مرعش وعرزبه وحصونهما وأوقع بجابية طرسوس مرارا وسار سيف الدولة فى بلادهم فبلغ خرشنة وصارخة ودوخ البلاد وفتح حصونا عدة ثم رجع ثم ولى ارمانوس نغفور دمستقا واسم الدمستق عندهم على من يلى شرقى الخليج حيث ملك ابن عثمان لهذا العهد فأقام نغفور دمستقا وهلك

ارمانوس وترك ولدين صغيرين وكان نقفور غازيا فى بلاد المسلمين فلما رجع اجتمع اليه زعما
الروم وقدموه لتدبير أمر الولدين وألبسوه التاج وسار الى بلاد المسلمين سنة احدى
وخمسين وثلثمائة الى حلب فهزم سيف الدولة وملك البلد وحاصر القلعة فامتنعت عليه
وقتل ابن أخت الملك فى حصارها فقتل جميع الاسرى الذين عنده ثم بنى سنة ست
وخمسين مدينة بقيسارية ليجلب منها على بلاد الاسلام فخافه أهل طرسوس واستأمنوا
اليه فسار اليهم وملكها بالامان وملك المصيصة عنوة ثم بعث أخاه فى العساكر سنة تسع
وخمسين الى حلب فملكها وهرب أبو المعالى بن سيف الدولة الى البرية وصالحه مرعوية
بعد ان امتنع بالقلعة ورجع ثم أن أم الملكين ابنى ارمانوس اللذين كانا مكفولين له
استوحشت منه ودخلت فى قتله ابن الشمشقيق فقتله سنة ستين وقام ابن ارمانوس
الاكبر وهو بسيل بتدبير ملكه وجعل ابن الشمشقيق دمستقا وقام على الاورق أخى نقفور
وعلى ابنه ورديس بن لاون واعتقلهما وسار الى الرها وميافارقين وعاث فى نواحيهما
وصانعه أبو تغلب بن حمدان صاحب الموصل بالمال فرجع ثم خرج سنة ثنتين وستين
فبعث أبو تغلب ابن عمه أبا عبد الله بن حمدان فهزمه وأسره وأطلقه وكان لام بسيل آخ
قام بوزارتها فتحيل فى قتل ابن الشمشقيق بالسم ثم ولى بسيل بن ارمانوس سقلاروس
دمستقا فعصى عليه سنة خمس وستين وطلب الملك لنفسه وغلبه بسيل ثم خرج على
بسيل ورد بن منير من عظماء البطارقة واستجاش بأبى تغلب بن حمدان وملكوا الاطراف
وهزم عساكر بسيل مرة بعد مرة فأطلق ورديس لاون وهو ابن أخى نقفور من معقله وبعثه
فى العساكر لقتاله فهزمه ورديس ولحق ورد بن منير بميافارقين صريخا بعضد الدولة
وراسله بسيل فى شأنه فجنح عضد الدولة الى بسيل وقبض على ورديس واعتقله ببغداد ثم
أطلقه ابنه صمصام الدولة لخمس سنين من اعتقاله وشرط عليه اطلاق أسرى المسلمين
والنزول عن حصون عدة من معاقل الروم وأن لا يغير على بلاد الاسلام وسار فاستولى
على ملطية ومضى الى القسطنطينية فحاصرها وقتل ورديس بن لاون واستنجد بسيل
بملك الروس وزوجه أخته ثم صالح وردا على ما بيده ثم هلك ورد بعد ذلك بقليل واستولى
بسيل على أمره وسار الى قتال البلغار فهزمهم وملك بلادهم وعاث فيها أربعين سنة
واستمده صاحب حلب أبو الفضائل بن سيف الدولة فلما زحف اليه منجوتكين صاحب
دمشق من قبل الخليفة بمصر سنة احدى وثمانين فجاء بسيل لمدده وهزمه منجوتكين
ورجع مهزوما ورجع منجوتكين الى دمشق ثم عاود الحصار فجاء بسيل صريخا لابى
الفضل فاجفل منجوتكين من مكانه على حلب وسار الى حمص وشيزر فملكها وحاصر
طرابلس وصالحه ابن مروان على ديار بكر ثم بعث الدوقس الدمستق الى امامه فبعث

اليه صاحب مصر أبا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان فى العساكر فهزمه وقتله ثم هلك
بسيل سنة عشر وأربعمائة لنيف وسبعين من ملكه وملك بعده أخوه قسطنطين وأقام
تسعا ثم هلك عن ثلاث بنات فملك الروم عليهم الكبرى منهن وأقام بأمرها ابن خالها
ارمانوس وتزوجت به فاستولى على مملكة الروم وكان خاله ميخاييل متحكما فى دولته
ومداخلا لاهلها فمالت اليه الملكة وحملته على قتل ارمانوس فقتله واستولى على الامر ثم
أصابه الصرع وأذاه فعهد لابن أخته واسمه ميخاييل أيضا وكان ارمانوس قد خرج سنة
احدى وعشرين الى حلب فى ثلاثة آلاف مقاتل ثم خار عن اللقاء فاضطرب ورجع
واتبعه العرب فنهبوا عساكره وكان معه ابن الدوقس من عظماء البطارقة فارتاب
وقبض عليه وخرج سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة فى جموع الروم فملك الرها وسروج
وهزم عساكر ابن مروان ولما ملك ميخاييل سار الى بلاد الاسلام فلقيه الدزبرى
صاحب الشأم من قبل العلوية فهزمه واقتصر الروم بعدها عن الخروج الى بلاد
الاسلام وملك ميخاييل ابن أخته كما قلناه وقبض على اخواله وقراباتهم وأحسن السيرة
فى المملكة ثم طلب زوجته فى الخلع فأبت فنفاها الى بعض الجزائر واستولى على
المملكة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ونكر عليه البترك ما وقع فيه فهم بقتله ودخل
بعض حاشيته فى ذلك ونمى الخبر الى البترك فنادى فى النصرانية بخلعه وحاصره فى قصره
واستدعى الملكة التى خلعها ميخاييل من مكانها وأعادوها الى الملك فنفت ميخاييل
كما نفاها أولا ثم اتفق البترك والروم على خلع الملكة بنت قسطنطين وملكوا أختها
الاخرى تودورة وسملوا ميخاييل ابها ثم وقعت الفتنة بين شيعة تودورة وشيعة ميخاييل
واتصلت وطلب الروم أن يملكوا عليهم من يمحو هذه الفتنة وأقرعوا على المرشحين
فخرجت القرعة على قسطنطين منهم فملكوه أمرهم وتزوج بالملكة الصغيرة تودورة
وجعلت أختها الكبرى على ما بذلته لها وذلك سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ثم توفى
قسطنطين سنة ست وأربعين وملك على الروم ارمانوس وقارن ذلك بظهور الدولة
السلجوقية واستيلاء طغرلبك على بغداد فرددا الغزو اليهم من ناحية اذربيجان ثم سار
ابنه الملك ألب ارسلان وملك مدنا من بلاد الكرج منها مدينة آنى وأنحن فى بلادهم ثم
سار ملك الروم الى منبج وهزم ابن مرداس وابن حسان وجموع العرب فسار ألب ارسلان
اليه سنة ثلاث وستين وخرج ارمانوس فى مائتى ألف من الروم والعرب والروس
والكرج ونزل على نواحى ارمينية فزحف اليه ألب ارسلان من اذربيجان فهزمه
وحصل فى أسره ثم فاداه على مال يعطيه وأجروه عليه وعقد معه صلحا وكان ارمانوس
لما انهزم وثب ميخاييل بعده على مملكة الروم فلما انطلق من الاسر ورجع دفعه ميخاييل

عن الملك والتزم أحكام الصلح الذى عقده مع ألب ارسلان وترهب ارمانوس الى هنا انتهى
كلام ابن الاثير (ثم استفحل ملك الافرنج بعد ذلك واستبدوا بملك رومة وما وراءها
وكان الروم لما أخذوا بدين النصرانية حملوا عليه الامم المجاورين لهم طوعا وكرها فدخل
فيه طوائف من الامم منهم الارمن وقد تقدم نسبهم الى ناحور اخى ابراهيم عليه
السلام وبلدهم ارمينية وقاعدتها خلاط ومنهم الكرج وهم من شعوب الروم وبلادهم
الخزر ما بين أرمينية والقسطنطينية شمالا فى جبال ممتنعة ومنهم الجركس فى جبال
بالعدوة الشرقية من بحر نيطش وهم من شعوب الترك ومنهم الروس فى جزائر بحر
نيطش وفى عدوته الشمالية ومنهم البلغار نسبة الى مدينة لهم فى العدوة الشمالية أيضا
من بحر نيطش ومنهم البرجان أمة كبيرة متوغلون فى الشمال لا تعرف أخبارهم لبعدها
وهؤلاء كلهم من شعوب الترك وأعظم من أخذ به من الامم الافرنج وقاعدة بلادهم
فرنجة ويقولون فرنسة بالسين وملكهم الفرنسيس وهم فى بسائط على عدوة البحر
الرومى من شماليه وجزيرة الاندلس من ورائهم فى المغرب تفصل بينهم وبينها جبال
متوعرة ذات مسالك ضيقة يسمونها البون وساكنها الجلالقة من شعوب الافرنج
وهؤلاء فرنسة أعظم ملوك الافرنجة بالعدوة الشمالية من هذا البحر واستولوا من
الجزيرة البحرية منه على صقلية وقبرص واقريطش وجنوة واستولوا أيضا على قطعة
من بلاد الاندلس الى برشلونة واستفحل ملكهم بعد القياصرة الاول ومن أمم الافرنجة
البنادقة وبلادهم حفافى خليج يخرج من بحر الروم متضايقا الى ناحية الشمال ومغربا
بعض الشئ على سبعمائة ميل من البحر وهذا الخليج مقابل لخليج القسطنطينية
وفى القرب منه وعلى ثمان مراحل من بلاد جنوة ومن ورائها مدينة رومة حاضرة
الافرنجة ومدينة ملكهم وبها كرسى البطرك الاكبر الذى يسمونه البابا ومن أمم
الافرنجة الجلالقة وبلادهم الاندلس وهؤلاء كلهم دخلوا فى دين النصرانية تبعا للروم
الى من دخل فيه منهم من أمم السودان والحبشة والنوبة ومن كان على ملكة الروم
من برابرة العدوة بالمغرب مثل نفزاوة وهوارة بافريقية والمصامدة بالمغرب الاقصى
واستفحل ملك الروم ودين النصرانية (ولما جاء الله بالاسلام وغلب دينه على الاديان
وكانت مملكة الروم قد انتشرت حفافى البحر الرومى من عدوتيه فانتزعوا منهم لاول
أمرهم عدوته الجنوبية كلها من الشأم ومصر وافريقية والمغرب وأجازوا من خليج
طنجة فملكوا الاندلس كلها من يد القوط والجلالقة وضعف أمر الروم وملكهم بعد
الانتهاء الى غايته شأن كل أمة ثم شغل الافرنجة بما دهمهم من العرب فى الاندلس
والجزائر بما كانوا يتخمونهم ويرددون الصوائف الى بسائطهم أيام عبد الرحمن

الداخل وبنيه بالاندلس وعبد الله الشيعى وبنيه بالافريقية وملكوا عليهم جزائر البحر
الرومى التى كانت لهم مثل صقلية وميورقة ودانية واخواتها الى ان فشل ريح
الدولتين وضعف ملك العرب فاستفحل الافرنجة ورجعت لهم واسترجعوا ما ملكه
المسلمون الاقل لا يسيف البحر الرومى مضائق العرض فى طول أربع عشرة مرحلة
واستولوا على جزائر البحر كلها ثم سموا الى ملك الشأم وبيت المقدس مسجد أنبيائهم
ومطلع دينهم فسربوا اليه آخر المائة الخامسة وتواثبوا على الامصار والحصون
وسواحله ويقال ان المستنصر العبيدى هو الذى دعاهم لذلك وحرضهم عليه لما رجى
فيه من اشتغال ملوك السلجوقية بأمرهم واقامتهم سدا بينه وبينهم عندما سموا الى ملك
الشأم ومصر وكان ملك الافرنجة يومئذ اسمه بردويل وصهره زجار ملك صقلية من أهل
طاعته فتظاهروا على ذلك وساروا الى القسطنطينية سنة احدى وتسعين ليجعلوها
طريقا الى الشأم فنعهم ملك الروم يومئذ ثم أجازهم على أن يعطوه ملطية اذا ملكوها
فقبلوا شرطه ثم ساروا الى بلاد ابن قلطمش وقد استولى يومئذ على مرية وأعمالها
وأرزن الروم وأقصر وسيواس افتتح تلك الاعمال كلها عند هبوب ريح قومه على
السلجوقية ثم حدثت الفتنة بينهم وبين الروم بالقسطنطينية واستصد كل منهم بملوك
المسلمين فى ثغور الشأم والجزيرة وعظمت الفتن فى تلك الآفاق ودامت الحال على ذلك
نحوا من مائة سنة وملك الروم بالقسطنطينية فى تناقص واضمحلال وكان زجار
صاحب صقلية يغزو القسطنطينية من البحر ويأخذ ما يجد فى مرساها من سفن التجار
وشوانى المدينة ولقد دخل جرجى بن ميخاييل صاحب اصطوله الى مينا القسطنطينية
سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى قصر الملك بالسهام فكانت تلك أنكى على الروم من
كل ناحية ثم كان استيلاء الافرنج على القسطنطينية آخر المائة السادسة وكان من
خبرها ان ملك الروم بالقسطنطينية أصهر الى الفرنسيس عظيم ملوك الافرنج
فى أخته فزوجها له الفرنسيس وكان له منها ابن ذكر ثم وثب بملك الروم أخوه فسمله وملك
القسطنطينية مكانه ولحق الابن بخاله الفرنسيس صريخا به على عمه فوجده قد جهز
الاساطيل لارتجاع بيت المقدس واجتمع فيها ثلاثة من ملوك الافرنجة بعساكرهم
دوقس البنادقة صاحب المراكب البحرية وفى مراكبه كان ركوبهم وكان شيخا
أعمى نقادا ذا ركب والمركس مقدم الفرنسيس وكيد فليد وهو أكبرهم فأمر
الفرنسيس بالجواز على القسطنطينية ليصلحوا بين ابن اخته وبين عمه ملك الروم فلما
وصلوا الى مرسى القسطنطينية خرج عمه وحاربهم فهزموه ودخلوا البلد وهرب الى
أطراف البلد وقتل حاضروه وأضرموا النار فى البلد فاشتغل الناس بها وأدخل

الصبي بشيعته فدخل الافرنج معه وملكوا البلد وأجلسوا الصبي في ملكه وساء أثرهم
في البلد وصادروا أهل الذمم وأخذوا أموال الكنائس وثقلت وطأتهم على الروم فعقلوا
الصبي وأخرجوهم واستدعوا لملكهم عم الصبي من مكان مقرّه وملكوه عليهم
وحاصرهم الافرنج فاستنجد بسليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وبلاد الروم شرقي
الخليج وكان في البلد خلق من الافرنج فقبل أن يصل سليمان ثاروا فيها وأضرموا
النيران حتى شغل بها الناس وفتحوا الابواب فدخل الافرنج واستباحوها ثمانية أيام
حتى أقفرت واعتصم الروم بالكنيسة العظمى منها وهي صوفيا ثم خرجت جماعة
القسيسين والاساقفة والرهبان وفي أيديهم الانجيل والصلبان فقتلوهم أجمعين ولم
يراعوا لهم ذمة ولا عهدا ثم خلعوا الصبي واقترعوا ثلاثتهم على الملك فخرجت القرعة
على كندفليد كبيرهم فملكوه على القسطنطينية وما يجاورها وجعلوا لدوقس البنادقة
الجزائر البحرية مثل اقريطش ورودس وغيرهما وللمركيس مقدم الفرنسيس البلاد التي
في شرقي الخليج ثم تغلب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكري ودفع عنها الافرنج
وبقيت بيده واستولى بعدها على القسطنطينية وكان اسمه ميخاييل وفي كتاب المؤيد
صاحب حماة أنه أقام ببعض الحصون ثم بيّت القسطنطينية وملكها وفرّ الافرنج
في مراكبهم وملكه الروم وقتل الذي كان ملكا قبله وتوفي سنة احدى وثمانين وستمائة
وعقد معه الصلح المنصور قلاون صاحب مصر والشام لذلك العهد قال وملك بعده ابنه
ماند ويلقب الدوقس وشهرتهم جميعا اللشكري ثم انقرضت دولة بني قلج ارسلان
وملك أعمالهم التتر كما نذكر في أخبارهم وبقي بنو اللشكري ملوكا على القسطنطينية
الى هذا العهد وملك شرقي الخليج بعد انقضاء دولة التتر من بلاد الروم ابن عثمان جق
أمير التركمان وهو الآن متحكم على صاحب القسطنطينية ومتغلب على نواحيه من سائر
جهاته هذا ما بلغنا من أخبار الروم من أول دولتهم منذ يونان والقياصرة لهذا العهد
والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(الخبر عن القوط وما كان لهم من الملك بالاندلس الى حين الفتح الاسلامي وأوّلية ذلك ومصايره)

هذه الامة من أمم أهل الدولة العظيمة المعاصرة لدول الطبقة الثانية من العرب وقد
ذكرناهم عقب اللطينيين لان الملك صار اليهم من بينهم كما ذكرناه وسياقة الخبر عنهم أنهم
كانوا يعرفون في الزمن القديم بالسيسيين نسبة الى الارض التي كانوا يعمرونها بالمشرق
فيما بين الفرس واليونان وهم في نسبهم اخوة الصين من ولد ماغوغ بن يافث وكانت لهم
مع الملوك السريانيين حروب موصوفة زحف اليهم فيها سومن مالي ملك سريان فدافعوه

لعهد ابراهيم الخليل عليه السلام ثم كانت لهم حروب مع الفرس عند تخريب بيت
المقدس وبناء رومة ثم غلبهم الاسكندر وصاروا في ملكته واندرجوا في قبائل الروم
ويونان ثم لما ضعف أمر الروم بعد الاسكندر وتغلبوا على بلاد الغريقيين ومقدونية
ونبطة أيام غلينوش بن بابرايان من ملوك القياصرة وكانت بينه وبينهم حروب سجال ثم
غلبهم القياصرة من بعده وظفروا بهم حتى اذا انتقل القياصرة الى القسطنطينية
وفشل أمرهم برومة زحف اليها هؤلاء القوط واقتحموها عنوة فاستباحوها ثم
خرجوا عنها أيام طودوشيس بن أركادش بعد حروب كثيرة وكان أميرهم لذلك العهد
انطرك كما ذكرناه ومات لعهد طودوشيش وأراد أن يجعل اسمه سمة الملوك برومة
منهم مكان سمة قيصر فاختلف عليه أصحابه في ذلك فرجع عنه ثم صالح الرومانيين على أن
يكون لهم ما يفتح من بلاد الاندلس لما كان أمر الرومانيين قد ضعف عن الاندلس ولحق
بها ثلاث طوائف من الغريقيين فاقتسموا ملكها وهم الابيون والشوانيون
والقندلش وباسم قندلش سميت الاندلس وكان بالاندلس من قبلهم الاربايون من ولد
طوال بن يافث وهم اخوة الانطاليين سكنوها من بعد الطوفان وصاروا الى طاعة أهل
رومة حتى دخل اليهم هؤلاء الطوائف من الغريقيين عندما اقتحم القوط مدينة رومة
وغلبوا الامم الذين كانوا بها من ولد طوال وقد يقال ان هؤلاء الطوائف كلهم من ولد طوال
ابن يافث وليسوا من الغريقيين واقتسم هؤلاء الطوائف ملكها وكانت جليقية لقندلش
ولشبونة وماردة وطليطلة ومرسية لشوانش وكانوا أشرافهم وكانت اشبيلية وقرطبة
وجيان وطالعة للابيق وأميرهم عندريقش أخو لشيقش أربعين سنة حين زحف اليهم
القوط من رومة وكان قد ولي عليهم بعد اطفانش ملك آخر منهم اسمه بطشريك وقتله
الرومانيون وولي مكانه منهم ماسنة ثلاث سنين وزوّج أخته من طودوشيش ملك
الرومانيين وصالحه على أن يكون له ما يفتحه من الاندلس ثم مات وولي مكانه لزريق ثلاث
عشرة سنة وهو الذي زحف الى الاندلس وقتل ملوكها وطرد الطوائف الذين كانوا بها
فأجازوا الى طنجة وتغلبوا على بلاد البربر وصرفوا البربر الذين كانوا بالعدوة عن طاعة
القسطنطين الى طاعتهم فلم يزالوا على ذلك الى دولة يشتيانش نحوا من ثمانين سنة ثم هلك
طورديق ملك القوط بالاندلس وولي مكانه   سبع عشرة سنة وانتقض عليه
البسكنس احدى طوائف القوط فزحف اليهم وردّهم الى طاعته ثم هلك وولي بعده
الديك ثلاثا وعشرين سنة وكانت الافرنج لعهده قد طمعوا في ملك الاندلس وأن
يغلبوا عليها القوط فجمعوا لهم وملكوا على أنفسهم منهم فزحف اليهم الديك في أمم
القوط الى أن توغل في بلاد الافرنج فغلبوه وقتلوه وعامة أصحابه وكانت القوط فمل

بياض بالاصل

دخولهم الى الاندلس فرقتين كما ذكرنا فى دولة يلنسيان بن قسطنطين من القياصرة المتنصرة وكانت احدى الفرقتين قد أقامت بمكانها من نواحى رومة فلما بلغهم خبر الذيك صاحب الاندلس منهم امتعضوا لذلك وكان أميرهم طودريك منهم فزحف الى الافرنج وغلبهم على ما كانوا يملكونه من الاندلس ودخل القوط الذين كانوا بالاندلس فى طاعته فولى عليهم ابنه اشتريك ورجع الى مكانه من نواحى رومة فزحف الافرنج الى محاربة اشتريك حتى غلبوه على طلوسة من ناحيتهم وهلك اشتريك بعد خمس سنين من ملكه وولى عليهم بعده بشليقش أربع سنين ثم بعده طودريق احدى وستين سنة وقتله بعض أصحابه باشبيلية وولى بعده ابرليق خمس سنين وبعده طودس ثلاث عشرة سنة وبعده طودشكل سنتين وبعده ايله خمس سنين وانتقض عليه أهل قرطبة فحاربهم وتغلب عليهم وبعده طنجادخمس عشرة سنة وبعده ليولة سنة واحدة وبعده لو بليدة ثمانى عشرة سنة وانتقضت عليه الاطراف فحاربهم وسكنهم ونكر عليه النصارى تثليث أريش وراودوه على الاخذ بتوحيدهم الذين يزعمونه فأبى وحاربهم فقتل وولى ابنه زدريق ست عشرة سنة ورجع الى توحيد النصارى بزعمهم وهو الذى بنى البلاد المنسوبة اليه بقرطبة ولما هلك ولى بعده على القوط ابوبه سنتين وبعده نبديقا عندمار سنتين وبعده شيشوط ثمانى سنين وعلى عهده كان هرقل ملك قسطنطينية والشأم ولعهده كانت الهجرة وهلك شيشوط ملك القوط وولى بعده زدريق آخر منهم ثلاثة أشهر وبعده شنتله ثلاث سنين وبعده سنشادش خمس سنين وبعده خنشوند سبع سنين وبعده وبنشوند ثلاثا وعشرين سنة ولهذه العصور ابتداء ضعف الاحكام للقوط وبعده مايه ثمان سنين وبعده لورى ثمان سنين وبعده ايقه ست عشرة سنة وبعده غطشة أربع عشرة سنة وهو الذى وقع من قصته مع ابنه بليان عامل طنجة ما وقع ثم بعده زدريق سنتين وهو الذى دخل عليه المسلمون وغلبوه على ملك القوط وملكوا الاندلس ولذلك العهد كان الوليد بن عبد الملك حسبما نذكره عند فتح الاندلس ان شاء الله تعالى هذه سياقة الخبر عن هؤلاء القوط نقلته من كلام هروشيوش وهو أصح ما رأيناه فى ذلك والله سبحانه وتعالى الموفق المعين بفضله وكرمه لا رب غيره ولا مأمول الا خيره

* (الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب وذكر افاريقهم وأنسابهم وممالكهم وما كان لهم من الدول على اختلافها والبادية والرحالة منهم وملكها) *

هذه الامة من العرب البادية أهل الخيام الذين لا اغلاق لهم لم يزالوا من أعظم أمم العالم وأكثر أجيال الخليقة يكثرون الامم تارة وينتهى اليهم العز والغلبة بالكثرة فيظفرون

بالملك ويغلبون على الاقاليم والمدن والامصار ثم يهلكهم الترفه والتنعم ويغلبون عليهم ويقتلون ويرجعون الى باديتهم وقد هلك المتصدرون منهم للرياسة بما باشروه من الترف ونضارة العيش وتصير الامر لغيرهم من أولئك المبعدين عنهم بعد عصور أخرى هكذا سنة الله فى خلقه وللبادية منهم مع من يجاورهم من الامم حروب ووقائع فى كل عصر وجيل بما تركوا من طلب المعاش وجعلوا طلب المعاش رزقهم فى معاشهم بترصد السبيل وانتهاب متاع الناس ولما استفحل الملك للعرب فى الطبقة الاولى للعمالقة وفى الثانية للتبابعة وكان ذلك عن كثرتهم فكانوا منتشرين لذلك العهد باليمن والحجاز ثم بالعراق والشأم فلما تقلص ملكهم وكانوا بالعراق منهم بقية أقاموا ضاحين من ظل الملك يقال فى مبدا كونهم هنالك ان بختنصر لما سلطه الله على العرب وعلى بنى اسرائيل بما كانوا من بغيهم وقتلهم الانبياء قتل أهل الوبر بناحية عدن اليمن نبيهم شعيب بن ذى مهدم على ما وقع فى تفسير قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون فأوحى الله الى ارمياء بن حزقيا وبرخيا ان يسير بختنصر الى العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم أن يقتل ولا يستحيى ويستلحمهم أجمعين ولا يبقى منهم أثرا وقال بختنصر وأنا رأيت مثل ذلك وسار الى العرب وقد نظم ما بين ايلة والابلة خيلا ورجلا وتسامع العرب باقطار جزيرتهم واجتمعوا للقائه فهزم عدنان أولا ثم استلحم الباقين ورجع الى بابل وجمع السبايا فأنزلهم بالانبار ثم خالطهم بعد ذلك النبطة (وقال ابن الكلبى) ان بختنصر لما نادى بغزو العرب افتتح أمره بالقبض على من كان فى بلاده من تجارهم للميرة وأنزلهم الحيرة ثم خرج اليهم فى العساكر فرجعت قبائل منهم اليه آثروا الاذعان والمسالمة وأنزلهم بالسواد على شاطئ الفرات وابتنوا موضع عسكرهم وسموه الانبار ثم أنزلهم الحيرة فسكنوها سائر أيامه ورجعوا الى الانبار بعد مهلكه (وقال الطبرى) ان تبعا أبا كرب لما غزا العراق أيام اردشير بهمن كانت طريقه على جبل طيئ ومنه الى الانبار وانتهى الى موضع الحيرة ليلا فتحير وأقام فسمى المكان الحيرة ثم سار لوجهه وخلف هنالك قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة وطنوا وبنوا ولحق بهم ناس من طيئ وكلب والسكون وإياد والحرث بن كعب فكانوا معهم (وقيل) وهو قريب من الاول خرج تبع فى العرب حتى تحيروا بظاهر الكوفة فنزل بها ضعفاء الناس فسميت الحيرة ولما رجع ووجدهم قد استوطنوا تركهم هنالك وفيهم من كل قبائل العرب من هذيل ولخم وجعفى وطيئ وكلب وبنى لحيان من جرهم (قال هشام بن محمد) لما مات بختنصر انتقل الذين أسكنهم بالحيرة الى الانبار ومعهم من انضم اليهم من بنى اسمعيل وبنى معد وانقطعت طوالع العرب من اليمن عنهم ثم كثر أولاد

معد وفرقتهم العرب وخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشأم ونزلت قبائل منهم البحرين وبها يومئذ قوم من الازد نزلوها أيام خروج مزيقياء من اليمن وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله بن أسد ابن وبرة بن قضاعة وابن أخيهما مالك بن زهير وابن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم والحنفار بن الحيق بن عمرو بن معد بن عدنان في قنص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن لطمان بن عبد مناف بن يعدم بن دعمى بن اياد بن ارقص بن صبيح بن الحارث بن أفصى بن دعمى وزهير بن الحرث ابن أهل بن زهير بن اياد واجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على المقام والتناصر وانهم يد واحدة وكان هذا الاجتماع والحلف أزمان الطوائف وكان ملكهم قليلا ومفترقا وكان كل واحد منهم يغير على صاحبه ويرجع على أكثر من ذلك فتطلعت نفوس العرب بالبحرين الى ريف العراق وطمعوا في غلب الاعاجم عليه أو مشاركتهم فيه واهتبلوا الخلاف الذى كان بين الطوائف وأجمع رؤساؤهم المسير الى العراق فسار منهم الاول الحنفار بن الحيق في اشلاء قنص بن معد ومن معهم من أخلاط الناس فوجدوا بأرض بابل الى الموصل بنى إرم بن سام الذين كانوا ملوكا بدمشق وقيل انما من أجلهم دمشق ارم وهم من بقايا العرب الاولى فوجد وهم يقاتلون ملوك الطوائف فدفعوهم عن سواد العراق فارتفعوا عنه الى اشلاء قنص هؤلاء ينسبون الى عمرو بن عدى بن ربيعة جد بنى المنذر عند نسابة مضر وفي قول حماد الراوية كما يأتى ذكره ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم وابن مالك بن زهير من قضاعة وغطفان بن عمرو وصبح بن صبيح وزهير بن الحرث من اياد فيمن معهم من غسان وحلفائهم بالانبار وكلهم تنوخ كما قدمنا فغلبوا بنى ارم ودفعوهم عن جهات السواد وجاء على اثرهم نمارة بن قيس ونمارة ابن لخم نجدة من قبائل كندة فنزلوا الحيرة وأوطنوها وأقامت طالعة الانبار وطالعة الحيرة لا يدينون للاعاجم ولا تدين لهم حتى مر بهم تبع وترك فيهم ضعفة عساكره كما تقدم وأوطنوا فيهم من كل القبائل كما ذكرنا جعف وطيئ وتميم وبنى لحيان من جرهم ونزل كثير من تنوخ ما بين الحيرة والانبار بادين في الخيام لا يأوون الى المدن ولا يخالطون أهلها وكانوا يسمون عرب الضاحية وأول من ملك منهم ازمان الطوائف مالك بن فهم وبعده أخوه عمرو وبعده ابن أخيه جذيمة الابرش كما يأتى ذكر ذلك كله وكان أيضا ولد عمرو مزيقياء بعد خروجه من اليمن بالازد قومه عند خروجه انذرهم بسيل العرم في القصة المشهورة وقد انتشروا بالشأم والعراق وتخلف من تخلف منهم بالحجاز وهم خزاعة فنزلوا مر الظهران وقاتلوا جرهما بمكة فغلبوهم عليها ونزل نصر بن الازد عمان ونزلت غسان جبال الشراة وكانت لهم حروب مع بنى معد الى أن استقروا

هنالك في التخوم بين الحجاز والشأم هذا شأن من أوطن العراق والشأم من قبائل سبا تشاءم منهم أربعة وبقى باليمن ستة وهم مذحج وكندة والاشعريون وحمير وانمار وهو أبو خثعم وبجيلة فكان الملك لهؤلاء باليمن في حمير ثم التبابعة منهم ويظهر من هذا أن خروج مزيقياء والازد كان لاول ملك التبابعة أو قبله بيسير وأما بنو معد بن عدنان فكان ارميا وبرخيا لما أوحى اليهما بغزو بختنصر العرب أمرهما الله أن يستخرجا معد بن عدنان لان من ولده محمدا صلى الله عليه وسلم أخرجه آخر الزمان أختم به النبيين وأرفع به من الضعة فأخرجاه على البراق وهو ابن ثنتى عشرة سنة وذهبا به الى حران فربى عندهما وغزا بختنصر العرب واستلحمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا ثم هلك بختنصر فخرج معد بن عدنان مع أنبياء بنى اسرائيل فحجوا جميعا وطفق يسأل عمن بقى من ولد الحرث بن مضاض الجرهمى وكانت قبائل دوس   أكثر جرهم على يده فقيل له بقى جرهم بن جلهمة فتزوج ابنته معانة وولدت له نزار بن معد (قال السهيلى) وكان رجوع معد الى الحجاز بعد ما رفع الله بأسه عن العرب ورجعت بقاياهم التى كانت بالشواهق الى محالاتهم بعد أن دوخ بختنصر بلادهم وخرب معمورهم واستأصل حضورا وأهل الرس التى كانت سطوة الله بالعرب من أجلهم اه كلام السهيلى ثم كثر نسل معد في ربيعة ومضر واياد وتدافعوا الى العراق والشأم وتقدم منهم اشلاء قنص كما ذكرنا وجاؤا على أثرهم فنزلوا مع احياء اليمنية الذين ذكرناهم قبل وكانت لهم مع تبع حروب وهو الذى يقول

بياض بالاصل

لست بالتبع اليمانى ان لم * تركض الخيل في سواد العراق

اوتؤدى ربيعة الخرج قسرا * لم تعقها موانع العواق

ثم كان بالعراق والشأم والحجاز أيام الطوائف ومن بعدهم في أعقاب ملك التبابعة اليمنية والعدنانية ملك ودول بعد ان درست الاجيال قبلهم وتبدلت الاحوال السابقة لعصرهم فاستحق بذلك أن يكون جيلا منفردا عن الاول وطبقة مباينة للطباق السالفة ولما لم يكن لهم أثر في انشاء العروبية كما للعرب العاربة ولا في لغتها عنهم كما في المستعربة وكانوا تبعا لمن تبعهم في سائر أحوالهم استحقوا التسمية بالعرب التابعة للعرب واستمرت الرياسة والملك في هذه الطبقة اليمانية أزمنة وآمادا بما كانت صبغتها لهم من قبل واحياء مضر وربيعة تبعا لهم فكان الملك بالحيرة للخم في بنى المنذر وبالشأم لغسان في بنى جفنة وبيثرب كذلك في الاوس والخزرج ابنى قيلة وما سوى هؤلاء من العرب فكانوا ظواعن بادية واحياء ناجعة وكانت في بعضهم رياسة بدوية وراجعة في الغالب الى أحد هؤلاء ثم نبضت عروق الملك في مضر وظهرت قريش على مكة

ونواحى الحجاز أزمنة عرف فيها منهم ودانت الدول بتعظيمهم ثم صبح الاسلام أهل هذا الجيل وأمرهم على ما ذكرناه فاستحالت صبغة الملك اليهم وعادت الدول لمضر من بينهم واختصت كرامة الله بالنبوة بهم فكانت فيهم الدول الاسلامية كلها الابعضا من دولها قام بها العجم اقتداء بالملة وتمهيد الدعوة حسبما نذكر ذلك كله (فلنأت الآن بذكر قبائل هذه الطبقة من قحطان وعدنان وقضاعة وما كان لكل واحدة منها من الملك قبل الاسلام وبعده) ومن كتاب الاغانى لابى الفرج الاصبهانى فى أخبار حزيمة بن نهد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة قال كان بدء تفرق بنى اسمعيل من تهامة ونزوعهم عنها الى الآفاق وخروج من خرج منهم عن نسبه ان قضاعة كانوا مجاورين لنزار وكان حزيمة بن نهد فاسقا متعرضا للنساء فشبب بفاطمة بنت يذكر وهو عامر بن عنزة وذكرها فى شعره حيث يقول

اذا الجوزاء أردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك من هموم * هموم تخرج الشجر الدفينا
أرى ابنة يذكر ظعنت فحلت * جنوب الحزن يا شحطا مبينا

وسخط ذلك يذكر فخشيه حزيمة على نفسه فاغتاله وقتله وانطفت نار يذكر ولم يصح على حزيمة شئ تتوجه به المطالبة على قضاعة حتى قال فى شعره

فاه كان عند رضاب العصير * نفيها يعل به الزنجبيل
قتلت أباها على حبها * فتبخل ان بخلت أو تقيل

فلما سمعت نزار شعر حزيمة بن نهد وقتله يذكر بن عنزة ثاروا مع قضاعة وتساندوا مع احياء العرب الذين كانوا معهم وكانت هذه مع نزار ونسبها يومئذ كندة بن جنادة بن معد وجيرانهم يومئذ أجأ بن عمرو بن أدد بن أدد ابن أخى عدنان بن ادد وكانت قضاعة تنتسب الى معد ومعد الى عدنان والاشعريون الى الاشعر بن أدد أخى عدنان وكانوا يظعنون من تهامة الى الشأم ومنازلهم بالصفاح وكانت عقلان من ولد ربيعة وكانت قضاعة ما بين مكة والطائف وكندة من العمد الى ذات عرق ومنازل أجأ والاشعر ومعد ما بين جدة والبحر فلما اقتتلوا هزمت نزار قضاعة وقتل حزيمة وخرجوا مفترقين فسارت تيم اللات من قضاعة وبعض بنى رفيدة منهم وفرقة من الاشعريين نحو البحرين ونزلوا هجر وأجلوا من كان بها من النبط وملكوها وكانت الزرقاء بنت زهير كاهنة منهم فتكهنت لهم بنزول ذلك المكان والخروج عن تهامة وقالت فى شعرها

ودع تهامة لاوداع مخالف * بذمامه لكن قلى وملام
لا تنكرى هجرا مقام غريبة * لن تعدمى من ظاعنين تهام

ثم تكهنت لهم فى سجع بأنهم يقيمون بهجر حتى ينعق غراب أبقع عليه خلخال ذهب ويقع على نخلة وصفتها فيسيرون الى الحيرة وكان فى سجعها مقام وتنوخ فسميت تلك القبائل تنوخ من أجل هذه اللفظة ولحق بهم قوم من الازد فدخلوا فى تنوخ وأصاب بقية قضاعة الموتان وسارت فرقة من بنى حلوان فنزلوا عبقرة من أرض الجزيرة ونسج نساؤهم البرود العبقرية من الصوف والبرود التزيدية اليهم لانهم بنو تزيد وأغارت عليهم الترك فأصابوا منهم وأقبل الحرث بن قراد البهرانى ليستجيش بنى حلوان فعرض له أبان ابن سليح صاحب العين فقتله الحرث ولحقت بهرا بالترك فاستنقذوا ما أخذوه من بنى تزيد وهزموهم وقال الحرث

كان الدهر جمع فى ليال * ثلاث بتهن بشهرزور
صففنا للاعاجم من معد * صفوفا بالجزيرة كالسعير

وسارت سليح بن عمرو بن الحاف وعليهم الهدرجان بن مسلمة حتى نزلوا فلسطين على بنى أذينة بن السميدع بن عاملة وسارت أسلم بن الحاف وهى عذرة ونهد وحويكة وجهينة حتى نزلوا بين الحجر ووادى القرى وأقامت تنوخ بالبحرين سنين ثم أقبل الغراب بحلقتى الذهب ووقع على النخلة ونعق كما قالت الزرقاء فذكروا قولها وارتحلوا الى الحيرة فنزلوها وهم أول من اختطها وكان رئيسهم مالك بن زهير واجتمع اليه ناس كثيرة من بسائط القرى وبنوا بها المنازل وأقاموا زمانا ثم أغار عليهم سابور الاكبر وقاتلوه وكان شعارهم يا العباد الله فسموا العباد وهزمهم سابور فافترقوا وسار أهل المهبط منهم مع الضيزن بن معاوية التنوخى فنزل بالحضر الذى بناه الساطرون الجرمقانى فأقاموا عليه وأغارت حمير على قضاعة فأجلوهم وهم كلب وخرج بنو زبان بن تغلب بن حلوان فلحقوا بالشأم ثم أغارت عليهم كنانة بعد ذلك بحين واستباحوهم فلحقوا بالسماوة وهى الى اليوم منازلهم اه كلام صاحب الاغانى (قلت) وأحياء جدهم لهذا العهد ما بين عنزة وقلمة وفلسطين الى معان من أرض الحجاز

قوله سليح بن عمرو يأتى فى ٢٤٧ سليح ابن عمران فالله نصر

* (الخبر عن أنساب العرب من هذه الطبقة الثالثة واحدة واحدة وذكر مواطنهم ومن كان له الملك منهم) *

اعلم أن جميع العرب يرجعون الى ثلاثة أنساب وهى عدنان وقحطان وقضاعة فأما عدنان فهو من ولد اسمعيل بالاتفاق الا ذكر الآباء الذين بينه وبين اسمعيل فليس فيه شئ يرجع الى يقينه وغير عدنان من ولد اسمعيل قد انقرضوا فليس على وجه الارض منهم أحد (وأما قحطان فقيل من ولد اسمعيل وهو ظاهر كلام البخارى فى قوله باب نسبة اليمن الى اسمعيل وساق فى الباب قوله صلى الله عليه وسلم لقوم من أسلم

ينا ضلون ارموا يا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا ثم قال وأسلم ابن افصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعنى وخزاعة من سبأ والاوس والخزرج منهم وأصحاب هذا المذهب على ان قحطان ابن الهميسع بن ابين بن قيذار بن نبت بن اسمعيل والجمهور على ان قحطان هو يقطن المذكور فى التوراة فى ولد عابر وان حضرموت من شعوب قحطان (وأما قضاعة) فقيل انها حمير قاله ابن اسحق والكلبى وطائفة وقد يحتج لذلك بما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهنى قال يارسول الله ممن نحن قال أنتم من قضاعة ابن مالك وقال عمرو بن مرة وهو من الصحابة

نحن بنو الشيخ الهجان الازهرى * قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر *

وقال زهير قضاعية وأختها مضرية فجعلهما أخوين وقال انهما من حمير بن معد بن عدنان (وقال ابن عبد البر) وعليه الاكثرون ويروى عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وابن مصعب الزبيرى وابن هشام (قال السهيلى والصحيح) ان أم قضاعة وهى عكبرة مات عنها مالك بن حمير وهى حامل بقضاعة فتزوجها معد وولدت قضاعة فتكنى به ونسب اليه وهو قول الزبير اه كلام السهيلى (وفى كتب الحكماء الاقدمين من يونان) مثل بطلميوس وهروشيوش ذكر القضاعيين والخبر عن حروبهم فلا يعلم أهم أوائل قضاعة هؤلاء وأسلافهم أو غيرهم وربما يشهد للقول بأنهم من عدنان وان بلادهم لا تتصل ببلاد اليمن وانما هى ببلاد الشأم وبلاد بنى عدنان والنسب البعيد يحتمل الظنون ولا يرجع فيه الى يقين (ولنبدأ بقحطان وبطونها) لما أن الملك الاقدم للعرب كان فى نسب سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنه تشعب بطون حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وتفرد بنو حمير بالملك وكان منهم التبابعة أهل الدولة المشهورة وغيرهم كما نذكر فلنبدأ بذكر حمير أولا من القحطانية ونذكر بعدهم قضاعة لانتسابهم فى المشهور الى حمير ثم نتبعهم بذكر كهلان اخوان حمير من القضاعية ثم نرجع الى ذكر عدنان

* (الخبر عن حمير من القحطانية وبطونها وتفرع شعوبها) *

قد تقدم لنا ذكر الشعوب من حمير الذين كان لهم الملك قبل التبابعة فلا حاجة لنا الى اعادة ذكرهم وتقدم لنا أن حمير بن سبا كان له من الولد تسعة وهم الهميسع ومالك وزيد وعريب ووائل ومشروح ومعديكرب واوس ومرة فبنو مرة دخلوا الى حضرموت وكان من حمير أبين بن زهير بن الغوث بن أبين بن الهميسع بن حمير واليهم تنسب عدن أبين ومنهم بنو الاملوك وبنو عبد شمس وهما ابنا وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير وعريب وأبين اخوان ومن بنى عبد شمس بنو شرعب بن قيس

ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس وقد تقدم قول من ذهب الى أن جشم وعبد شمس اخوان وهما ابنا وائل والصحيح ما ذكرناه هنا فلترجع و بنو خيران وشعبان وهما ابنا عمرو أخى شرعب بن قيس وزيد الجمهور بن سهل أخى خيران وشعبان ورابعهم حسان القيل بن عمرو وقد مر ذكره ومن زيد الجمهور ذو رعين واسمه يريم بن زيد بن سهل واليه ينسب عبد كلال الذى تقدم ذكره فى ملوك التبابعة والحارث وعريب ابنا عبد كلال بن عريب بن يشرح بن مدان بن ذى رعين وهما اللذان كتب لهما النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم كعب بن زيد الجمهور ويلقب كعب الظلم وأبناء سبا الاصغر بن كعب واليه ينتهى نسب ملوك التبابعة ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عدى بن مالك بن زيد وقد مر ذكرهم وتقول اليمن ان منهم كان شعيب بن ذى مهدم النبى الذى قتله قومه فغزاهم بختنصر فقتلهم وقيل بل هو من حضور بن قحطان الذى اسمه فى التوراة يقطن ومنهم أيضا بنو ميتم و بنو حاطة ابنى سعد بن عوف بن عدى بن مالك أخى ذى رعين وعوف هذا أخو حضور واخوه احاظة وميتم بنو حراز بن سعد فمن ميتم كعب الاحبار وقد مر ذكره وهو كعب بن ماتع بن هلسوع بن ذى هجرى بن ميتم ومن احاظة رهط ذى الكلاع وهو السميقع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن يزيد وهو ذو الكلاع الاكبر بن النعمان بن احاظة ومن عمرو بن سعد الخبائر والسحول بنو سوادة بن عمرو ابن الغوث بن سعد يحصب وذو أصبح ابرهة بن الصباح وكان من ملوك اليمن لعهد الاسلام وقد مر ذكره ونسبه ومنهم مالك بن أنس امام دار الهجرة وكبير فقهاء السلف وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر وهو نافع بن عمرو بن الحرث بن عثمان بن خثيل ابن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح وابناه يحيى ومحمد وأعمامه أويس وأبو سهل والربيع وكانوا حلفاء لبنى تيم من قريش ومن زيد الجمهور مرثد بن علس بن ذى جدن بن الحرث ابن زيد وهو الذى استجاشه امرؤ القيس على بنى أسد قاتلى أبيه ومن بنى سبأ الاصغر الاوزاع وهم بنو مرثد بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبا الاصغر ومن اخوان هؤلاء الاوزاع بنو يعفر الذين استبدوا بملك اليمن كما يأتى عند ذكر ملوك اليمن فى الدولة العباسية وهو يعفر بن عبد الرحمن بن كريب بن عثمان بن الوضاح بن ابراهيم بن مانع بن عون بن تدرص بن عامر بن ذى مغار البطين بن ذى مرايش بن مالك بن زيد بن غوث ابن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن شدد بن زرعة وكان آخر ملوك بنى يعفر هؤلاء باليمن أبو حسان أسعد بن أبى يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر ملك أبو ابراهيم صنعاء وبنى قلعة كحلان باليمن وورث ملكه بنوه من بعده الى أن غلب عليهم الصليحيون من همدان بدعوة العبيديين من الشيعة كما نذكر فى أخبارهم ومن زيد الجمهور ملوك

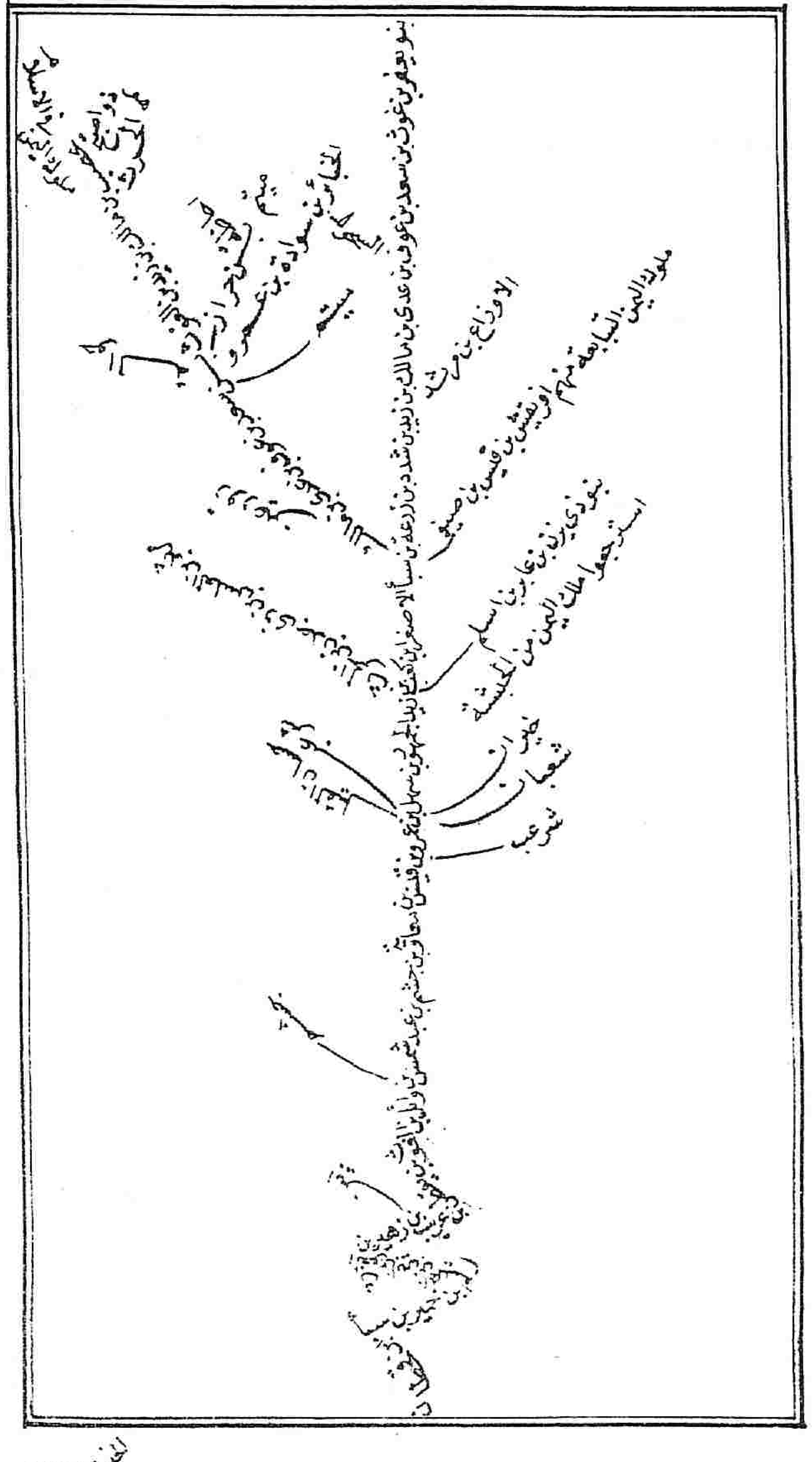
التبابعة وملوك حمير من ولد صيفى بن سبا الاصغر بن كعب بن زيد (قال ابن حزم) فمن ولد صيفى هذا تبع وهو تبان وهو أيضا أسعد أبو كرب بن كليكرب وهو تبع بن زيد وهو تبع بن عمرو وهو تبع ذو الاذعار ابن ابرهة وهو تبع ذو المنار ابن الرايش بن قيس بن صيفى قال فولد تبع أسعد أبو كرب حسان ذو معاهر وتبع زرعة وهو ذو نواس الذى تهود وهود أهل اليمن ويسمى يوسف وقتل أهل نجران من النصارى وعمرو بن سعد وهو موثبان (قال) ومن هؤلاء التبابعة شمر يرعش بن ياسر ينعم بن عمرو ذى الاذعار وافريقش بن قيس بن صيفى وبلقيس بنت ايلى اشرح بن ذى جدن بن ايلى اشرح بن الحرث بن قيس بن صيفى قال وفى أنساب التبابعة تخليط واختلاف ولا يصح منها ومن أخبارهم الا القليل اه (ومن زيد الجمهور ذو يزن بن عامر بن أسلم بن زيد وقال ابن حزم ان عامر هو ذو يزن قال ومن ولده سيف بن النعمان بن عفير بن زرعة بن عفير بن الحرث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن ذى يزن الذى استجاش كسرى على الحبشة وأدخل الفرس الى اليمن هذه بطون حمير وأنسابها وديارهم باليمن من صنعاء الى ظفار الى عدن وأخبار دولهم قد تقدمت والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(ونلحق بالكلام فى أنساب حمير بن سبا انساب حضرموت وجرهم وما ذكره النسابون من شعوبهما) فانهم يذكرونهما مع حمير لان حضرموت وجرهم اخوة سبا كما وقع فى التوراة وقد ذكرناه ولم يبق من ولد قحطان بعد سبا معروف العقب غير هذين (فأما) حضرموت فقد تقدم ذكرهم فى العرب البائدة ومن كان منهم من الملوك يومئذ ونبهنا هنالك ان منهم بقية فى الاجيال المتأخرة اندرجوا فى غيرهم فلذلك ذكرناهم فى هذه الطبقة الثالثة قال ابن حزم ويقال ان حضرموت هو ابن يقطن أخى قحطان والله أعلم وكان فيهم رياسة الى الاسلام منهم وائل بن حجر له صحبة وهو وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل ابن النعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعد بن عوف بن عدى بن شرحبيل بن الحرث بن مالك بن مرة بن حمير بن زيد بن لاى بن مالك بن قدامة بن اعجب ابن مالك ابن لاى بن قحطان وابنه علقمة بن وائل وسقط عنده بين حجر أبى وائل وسعيد ابن مسروق أب اسمه سعد وهو ابن سعيد ثم قال ابن حزم ويذكر بنو خلدون الاشبيليون فيقال انهم من ولد الجبار بن علقمة بن وائل ومنهم على المنذر بن محمد وابنه بقرمونة واشبيلية اللذين قتلهما ابراهيم بن حجاج اللخمى غيلة وهما ابنا عثمان أبى بكر ابن خالد بن عثمان أبى بكر بن مخلوف المعروف بخلدون الداخل المشرق وقال غيره فى خلدون الاول انه ابن عمرو بن خلدون وقال ابن حزم فى خلدون انه ابن عثمان بن هانئ

ابن

ابن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل بن حجر وقال غيره خلدون بن مسلم بن عمر بن الخطاب بن هانئ بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل قال ابن حزم والصدف من بنى حضرموت وهو الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الاكبر قال ومن حضرموت العلاء بن الحضرمى الذى ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين وأبو بكر وعمر من بعده الى أن توفى سنة احدى وعشرين وهو العلاء بن عبد الله بن عبدة بن حماد بن مالك حليف بنى أمية بن عبد شمس وأخوه ميمون ابن الحضرمى بن الصدف فيقال عبد الله بن حماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عريب بن مالك بن الخزرج بن الصدف قال وأخت العلاء الصعبة بنت الحضرمى أم طلحة بن عبد الله اه (وأما جرهم) فقال ابن سعيد انهم أمتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك أخوه جرهم الحجاز ثم ملك من بعده ابنه عبد ياليل بن جرهم ثم ابنه جرشم بن عبد ياليل ثم ملك من بعده ابنه عبد المدان بن جرشم ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ثم ابنه عمرو بن مضاض ثم أخوه الحرث بن مضاض ثم ابنه عمرو بن الحرث ثم أخوه بشر ابن الحرث ثم مضاض بن عمرو بن مضاض قال وهذه الامة الثانية هم الذين بعث اليهم اسمعيل وتزوج فيهم اه

و ولد الصدف حريعا بالضم ويدعى بالاحروم وجدا اما ويدعى بالاجذوم كما فى القاموس قاله نصر



الخبر عن قضاعة

(الخبر عن قضاعة وبطونهم والالمام ببعض الملك الذى كان فيها)

قد تقدم آنفا ذكر الخلاف الذى فى قضاعة هل هم لحمير او لعدنان ونقلنا احتجاج كلا المذهبين وأتينا بذكر أنسابهم تالية حمير ترجيحا للقول بأنهم منهم وعلى هذا فقيل هو قضاعة بن مالك بن حمير وقال ابن الكلبى قضاعة ابن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير وكان قضاعة فيما قال ابن سعيد ملكا على بلاد الشحر وصارت بعده لابنه الحاف ثم لابنه مالك ولم يذكر ابن حزم فى ولد الحاف مالكا قال ابن سعيد وكانت بين قضاعة وبين وائل بن حمير حروب ثم استقل ببلاد الشحر مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاعة وعرفت به قال وملك بنو قضاعة أيضا نجران ثم غلبهم عليها بنو الحرث بن كعب ابن الازد وساروا الى الحجاز فدخلوا فى قبائل معد ومن هنا غلط من نسبهم الى معد اهـ (ولنذكر الآن تشعب البطون من قضاعة) اتفق النسابون على أن قضاعة لم يكن له من الولد الا الحافى ومنه سائر بطونهم وللحافى ثلاثة من الولد عمرو وعمران وأسلم بضم اللام قاله ابن حزم (فمن عمرو بن الحافى حيدان وبلى وبهرا فمن حيدان مهرة ومن بلى جماعة من مشاهير الصحابة منهم كعب بن عجرة وخديج بن سلامة وسهل بن رافع وأبو بردة ابن نيار ومن بهرا جماعة من الصحابة أيضا منهم المقداد بن عمرو وينسب الى الاسود ابن عبد يغوث بن وهب خال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى أمه وتبناه فنسب اليه ويقال ان خالد بن برملث مولى بنى بهرا (ومن أسلم سعد هذيم وجهينة ونهد بنو زيد بن ليث ابن سود بن أسلم فجهينة ما بين الينبع ويثرب الى الآن فى متسع من برية الحجاز وفى شماليهم الى عقبة ايلة مواطن بلى وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم وأجاز منهم أمم الى العدوة الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هنالك سائر الامم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم الى هذا العهد ومن سعد هذيم بنو عذرة المشهورون بين العرب فى المحبة كان منهم جميل بن عبد الله بن معمر وصاحبته بثينة بنت حبابا قال ابن حزم كان لابيها صحبة ومنهم عروة بن حزام وصاحبته عفرا ومن بنى عذرة كان رزاح بن ربيعة أخو قصى بن كلاب لامه وهو الذى استظهر قصى به وبقومه على بنى سعد بن زيد بن مناة بن تميم فغلبهم على الاجازة بالناس من عرفة وكانت مفتاح رياسته فى قريش (ومن عمران بن الحافى بنو سليح وهو عمرو بن حلوان بن عمران ومن بنى سليح الضجاعم بنو ضجعم بن سعد بن سليح كانوا ملوكا بالشأم للروم قبل غسان ومن بنى عمران بن الحافى بنو جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بطن كبير وفيهم كثير من الصحابة ومواطنهم ما بين غزة وجبال الشراة من الشأم وجبال الشراة من جبال الكرك ومن تغلب بن حلوان بنو أسد وبنو النمر وبنو كلب

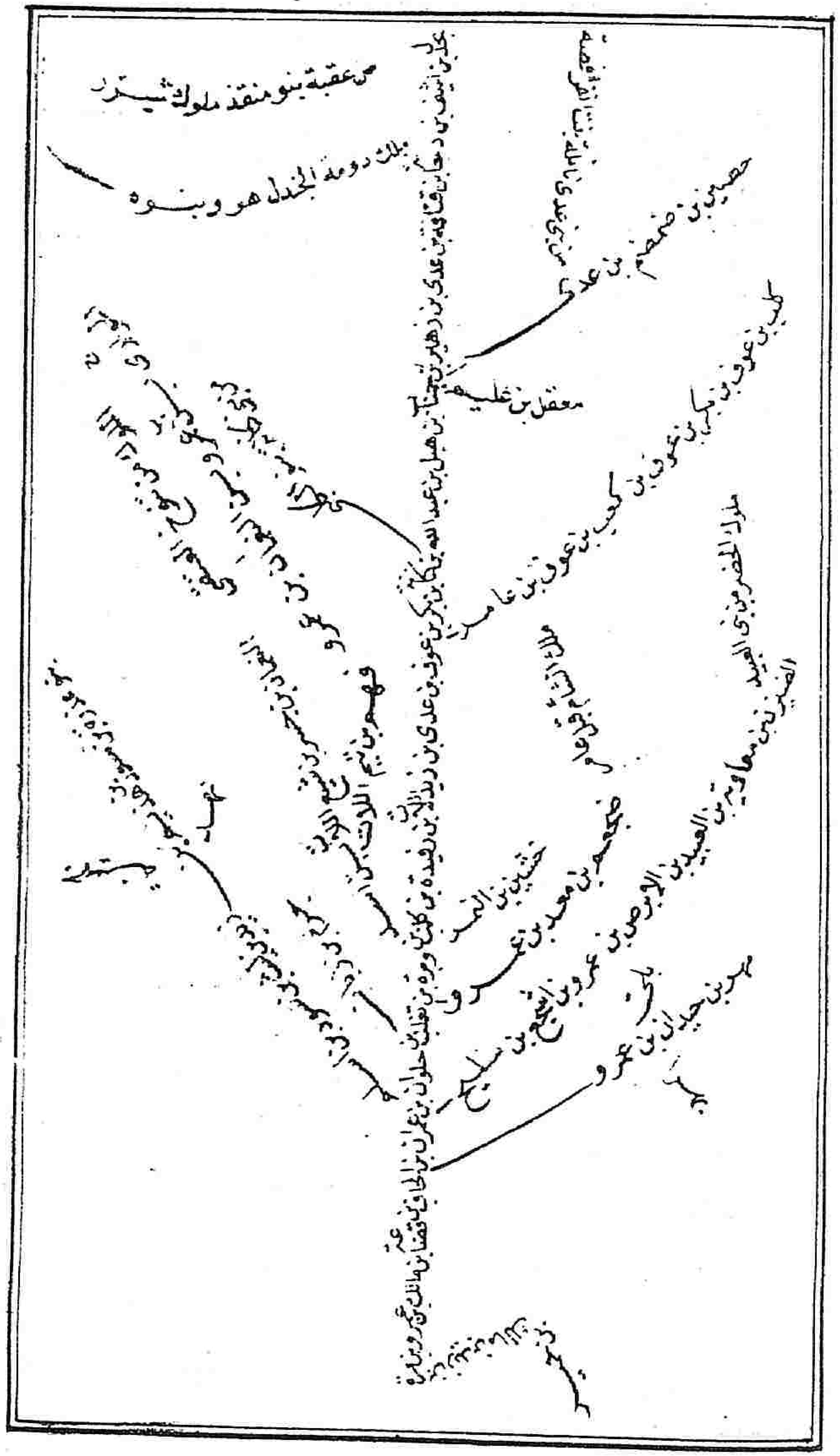
قبائل ضخمة كلهم بنو وبرة بن تغلب فمن النمر بنو خشين بن النمر ومن بنى أسد بن وبرة تنوخ وهم فهم بن تيم اللات بن أسد منهم مالك بن زهير بن عمرو بن عمرو بن فهم وعليه تحالفت تنوخ وعلى عهد أبيه مالك بن فهم كانت وكانوا احلافا لبنى حزم فتنوخ على ثلاثة أبطن بطن اسمه فهم وهم هؤلاء وبطن اسمه نزار وهم ليس نزار لهم بوالد لكنهم من بطون قضاعة كلها ومن بنى تيم اللات ومن غيرهم بطون ثلاث يقال لهم الاحلاف من جميع قبائل العرب من كندة ولخم وجذام وعبد القيس اه كلام ابن حزم ومن بنى أسد بن وبرة بنو القين واسمه النعمان بن جسر بن شيع اللات بن أسد ومن بنى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بنو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب قبيلة ضخمة فيها ثلاثة بطون بنو عدى وبنو زهير وبنو عليم وبنو جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بطون ضخمة ومنهم عبيدة بن هبيل شاعر قديم ويقول فيه بعض الناس ابن حرام وهو الذى عنى امرؤ القيس بقوله * نبكى الديار كما بكى ابن حرام * وقد قيل انه من بكر بن وائل وقال هشام بن السائب الكلبى اذا سئلوا بم بكى ابن حرام الديار أنشدوا خمسة أبيات من كلمات امرئ القيس المشهورة * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ويقولون ان بقيتها لامرئ القيس بن حجر وهذا امرؤ القيس بن حرام شاعر قديم دثر شعره لانه لم يكن للعرب كتاب لبدأتها وانما بقى من أشعارهم ما ذكره رواة الاسلام وقيدوه من رواية الكتاب من محفوظ الرجال ومن بنى عدى بنو حصين بن ضمضم بن عدى كانت منهم نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصن امرأة عثمان ابن عفان ومنهم أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان بن جشم بن ربيعة بن حصن أمير الاندلس ومنسبة بن شحيم بن منجاش بن مزغور بن منجاش بن هزيم بن عدى بن زهير وابن ابنه حسان بن مالك بن بحدل الذى قام بمروان يوم مرج راهط وكانت رياسة الاسلام فى كلب لبنى بحدل هؤلاء ومن عقبهم بنو منقذ ملوك شيزر ومن بنى زهير بن جناب حنظلة بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن هرير بن أبى جابر بن زهير ولى افريقية لهشام ومن عليم بن جناب بنو معقل وربما يقال ان عرب المعقل الذين بالمغرب الاقصى لهذا العهد وفى زمانه ينتسبون فيهم ومن بطون كلب بن عوف بن بكر بن عوف بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أتاه جبريل عليه السلام فى صورته ومنصور بن جهور بن حفر بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العبيد بن عامر بن عوف القائم مع يزيد بن الوليد وولاه الكوفة وحب ٣ رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة

٣ بكسر الحاء

ابن

ابن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف سبى أبوه زيد فى الجاهلية وصار الى خديجة فوهبته الى النبى صلى الله عليه وسلم وجاءه أبوه وخيره النبى صلى الله عليه وسلم فاختاره على أبيه وأهله وأقام فى كفالة النبى صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه وربى ابنه أسامة فى بيته ومع مواليه وأخباره مشهورة ومن بنى كلب ثم من بنى كنانة بن بكر بن عوف النسابة ابن الكلبى وهو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحرث بن عبد العزى بن امرئ القيس قال ابن حزم هكذا ذكره ابن الكلبى فى نسبه وأرى امرأ القيس هذا هو عامر بن النعمان بن عامر ابن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن عذرة وقد مر بقية نسبه وكان لقضاعة هؤلاء ملك ما بين الشأم والحجاز الى العراق فى ايلة وجبال الكرك الى مشارف الشأم واستعملهم الروم على بادية العرب هنالك وكان أول الملك فيهم فى تنوخ وتتابعت فيهم فيما ذكر المسعودى ثلاثة ملوك النعمان بن عمرو ثم ابنه عمرو بن النعمان ثم ابنه الحوارى بن عمرو ثم غلبهم على أمرهم سليح من بطون قضاعة وكانت رياستهم فى ضجعم بن سعد منهم وقارن ذلك استيلاء ططس من القياصرة على الشام فولاهم ملوكا على العرب من قبله يجبون له من ساحتهم الى أن ولى منهم زيادة بن هبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم وخرجت غسان من اليمن فغلبوهم على أمرهم وصار ملك العرب بالشأم لبنى جفنة وانقرض ملك الضجاعم حسبما نذكر (وقال ابن سعيد) سار زيادة بن هبولة بن أبى السيف منهم بعد غسان الى الحجاز فقتله حجر آكل المرار الكندى كان على الحجاز من قبل التبابعة وأفنى بقيتهم فلم ينج منهم الا القليل (قال) ومن الناس من يطلق تنوخ على الضجاعمة ودوس الذين تنخوا بالبحرين أى أقاموا (قال) وكان لبنى العبيد بن الابرص بن عمر بن أشجع بن سليح ملك يتوارثونه بالحضر آثاره باقية فى برية سنجار وكان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور ذى الجنود من الاكاسرة معروفة (قال) وكان لقضاعة ملك آخر فى كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا فى دين النصرانية وجاء الاسلام والدولة فى دومة الجندل لاكيدر بن عبد الملك بن السكون ويقال انه كندى من ذرية الملوك الذين ولاهم التبابعة على كلب فأسره خالد بن الوليد وجاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فصالح على دومة وكان فى أول من ملكها دجانة بن قنافة بن عدى بن زهير بن جناب قال وبقيت بنو كلب الآن فى خلق عظيم على خليج القسطنطينية منهم مسلمون ومنهم متنصرون اه الكلام فى أنساب قضاعة (قال ابن حزم) وجميع قبائل العرب فهى راجعة الى أب واحد حاش ثلاث قبائل وهى تنوخ والعتق وغسان

فأمّا تنوخ فقد ذكرناهم (وأمّا العتقى) فهم من حجر حمير ومن حجر بن ذى رعين ومن سعد العشيرة ومن كنانة بن خزيمة ومنهم زيد بن الحرث العتقى من حجر حمير وهو مولى عبد الرحمن بن القاسم وخالد بن جنادة المصرى صاحب مالك بن أنس وهو مولى زبيد المذكور من أسفل (وأما غسان) فانهم من بنى أب لا يدخل بعضهم فى هذا النسب ويدخل فيهم من غيرهم وسموا العتقاء لانهم اجتمعوا ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر بهم فأعتقهم وكانوا جماعة من بطون شتى وسموا تنوخ لانّ التنوخ الاقامة فتحالفوا على الاقامة بموضعهم بالشأم وهم من بطون شتى وأمّا غسان فانهم أيضا طوائف نزلوا ماء يقال له غسان فنسبوا اليه اهـ كلام ابن حزم



(الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم واتصال بعضها مع بعض وانقضائها)

هؤلاء بنو كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان اخوة بنى حمير بن سبا وتداولوا معهم الملك أول أمرهم ثم انفرد بنو حمير به وبقيت بطون بنى كهلان تحت ملكتهم باليمن ثم لما تقلص ملك حمير بقيت الرياسة على العرب البادية لبنى كهلان لما كانوا بادين لم يأخذ ترف الحضارة منهم ولا أدركهم الهرم الذى أودى بحمير انما كانوا أحياء ناجعة فى البادية والرؤساء والامراء فى العرب انما كانوا منهم وكان لكندة من بطونهم ملك باليمن والحجاز ثم خرجت الازد من شعوبهم أيضا من اليمن مع مزيقيا وافترقوا بالشأم وكان لهم ملك بالشأم فى بنى جفنة وملك بيثرب فى الاوس والخزرج وملك بالعراق فى بنى فهم ثم خرجت لخم وطى من شعوبهم أيضا من اليمن وكان لهم ملك بالحيرة فى آل المنذر حسبما نذكر ذلك كله (وأما شعوبهم فهى كلها تسعة من زيد بن كهلان فى مالك بن زيد وعريب بن زيد فمن مالك بطون همدان وديارهم لم تزل باليمن فى شرقيه وهم بنو أوسلة وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن نوف بن همدان ومن شعوب حاشد بنو يام بن أصفى بن مانع بن مالك بن جشم بن حاشد ومنهم طلحة بن مصرف (ولما جاء الله بالاسلام) افترق كثير من همدان فى ممالكه وبقى منهم من بقى باليمن وكانوا شيعة لعلى كرم الله وجهه ورضى عنه عند ما شجر بين الصحابة وهو المنشد فيهم متمثلا

فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ولم يزل التشيع دينهم أيام الاسلام كلها ومنهم كان على بن محمد الصليحى من بنى يام القائم بدعوة العبيديين باليمن فى حصن حراز من بنى يام وهو من بطونهم وهو من بنى يام من بطون حاشد فاستولى على اليمن وورث ملكه ابنه حسبما نذكره فى أخبارهم وكانت بعد ذلك وقبله دولة بنى الرسى أيام الزيدية بصعدة فكانت على يدهم وبمظاهرتهم ولم يزل التشيع دينهم لهذا العهد (وقال البيهقى) وتفرقوا فى الاسلام فلم يبق لهم قبيلة وبرية الا باليمن وهم أعظم قبائله وهم عصبة المعطى من الزيدية القائمين بدعوته باليمن وملكوا جملة من حصون اليمن باليمن ولهم بها اقليم بكيل واقليم حاشد من بطونهم قال ابن سعيد ومن همدان بنو الزريع وهم أصحاب الدعوة والملك فى عدن والحيرة وهم زيدية واخوة همدان الهان بن مالك بن زيد بن أوسلة ومن مالك بن زيد أيضا الازد وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك وخثعم وبجيلة ابنا انمار بن اراش أخى الازد بن الغوث وقد يقال انمار هو ابن نزار بن معد وليس بصحيح فأما الازد فبطن عظيم متسع وشعوب كثيرة فمنهم بنو دوس من بنى نصر بن الازد وهو دوس بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد

الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الازد بطن كبير ومنهم كان جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وديارهم بنواحى عمان وكان بعد دوس وجذيمة ملك بعمان فى اخوانهم بنى نصر بن زهران بن كعب كان منهم قبيل الاسلام المستكبر بن مسعود بن الجرار بن عبد الله بن مغولة بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب ابن عثمان بن نصر بن زهران والذى أدرك الاسلام منهم جيفر بن الجلندى بن كركر بن المستكبر وأخوه عبد الله ملك عمان كتب اليهما النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا واستعمل على نواحيهما عمرو بن العاصى ومن الازد ثم من بنى مازن بن الازد بنو عمرو مزيقيا ابن عامر ويلقب ماء السماء ابن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البهلول ابن ثعلبة بن مازن بن الازد وعمرو هذا وآباؤه كانوا ملوكا على بادية كهلان باليمن مع حمير واستفحل لهم الملك من بعدهم وكانت أرض سبا باليمن لذلك العهد من أرفه البلاد وأخصبها وكانت مدافع للسيول المنحدرة بين جبلين هنالك فضرب بينهما سد بالصخر والقار يحبس سيول العيون والامطار حتى يصرفوه من خروق فى ذلك السد على مقدار ما يحتاجون اليه فى سقيهم ومكث كذلك ما شاء الله أيام حمير فلما تقلص ملكهم وانحل نظام دولتهم وتغلب بادية كهلان على أرض سبا وانطلقت عليها الايدى بالعيث والفساد وذهب الحفظة القائمون بأمر السد نذروا بخرابه وكان الذى نذر به عمرو مزيقيا ملكهم لما رأى من اختلال أحواله ويقال ان أخاه عمران الكاهن أخبره ويقال طريفة الكاهنة وقال السهيلى طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر وهى طريفة بنت الخير الحميرية لعهده (وقال ابن هشام) عن أبى زيد الانصارى انه رأى جرذا تحفر السد فعلم أنه لا بقاء للسد مع ذلك فأجمع النقلة من اليمن وكاد قومه بأن أمر أصغر بنيه أن يلطمه اذا أغلظ له ففعل فقال لا أقيم فى بلد لطمنى فيها أصغر ولدى وعرض أمواله فقال أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا أمواله وانتقل فى ولده وولد ولده فقال الازد لا نتخلف عن عمرو فتجشموا للرحلة وباعوا أموالهم وخرجوا معه وكان رؤساؤهم فى رحلتهم بنو عمرو مزيقيا ومن اليهم من بنى مازن ففصل الازد من بلادهم باليمن الى الحجاز (قال السهيلى) كان فصولهم على عهد حسان بن تبان أسعد من ملوك التبابعة ولعهده كان خراب السد ولما فصل الازد من اليمن كان أول نزولهم ببلاد عك ما بين زبيد وزمع وقتلوا ملك عك من الازد ثم افترقوا الى البلاد ونزل بنو نصر ابن الازد بالشراة وعمان ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب وأقام بنو حارثة بن عمرو بمر الظهران بمكة وهم فيما يقال خزاعة ومروا على ماء يقال له غسان بين زبيد وزمع فكل من شرب منه من بنى مزيقيا سمى به والذين شربوا منه بنو مالك وبنو الحرث وبنو

جفنة وبنو كعب فكلهم يسمون غسان وبنو ثعلبة العنقاء لم يشتهر بوا منه فلم يسموا به فمن ولد جفنة ملوك الشأم الذين يأتى ذكرهم ودولتهم بالشأم ومن ولد ثعلبة العنقاء الاوس والخزرج ملوك يثرب فى الجاهلية وسنذكرهم ومن بطن عمرو مزيقيا بنو افصى ابن حارثة بن عمرو ويقال انه افصى بن عامر بن قمعة بالاشك ابن الياس بن مضر (قال ابن حزم) فان كان أسلم بن افصى منهم فمن بنى أسلم بالاشك وبنوا بان وهو سعد بن عدى بن حارثة بن عمرو وبنو العتيك من الازد عمران بن عمرو (وأمّا بجيلة) فبلادهم فى سروات البحرين والحجاز الى تبالة وقد افترقوا على الآفاق أيام الفتح فلم يبق منهم بمواطنهم الا القليل ويقدم الحاج منهم على مكة فى كل عام عليهم أثر الشظف ويعرفون من أهل الموسم بالسرو وأمّا حالهم لاوّل الفتح الاسلامى فمعروف ورجالاتهم مذكورة فمن بطون بجيلة قسر وهو مالك بن عبقر بن انمار وبنو احمس بن الغوث بن انمار (وأمّا بنو عريب) ابن زيد بن كهلان فمنهم طيئ والاشعريون ومذحج وبنو مرة وأربعتهم بنو أدد بن زيد بن يشجب بن عريب فأمّا الاشعريون فهم بنو اشعر وهو نبت بن أدد وبلادهم فى ناحية الشمال من زبيد وكان لهم ظهور أوّل الاسلام ثم افترقوا فى الفتوحات وكان لمن بقى منهم باليمن حروب مع ابن زياد لاوّل امارته عليها أيام المأمون ثم ضعفوا عن ذلك وصاروا فى عدد الرعايا (وأمّا بنو طيئ بن أدد) فكانوا باليمن وخرجوا منه على اثر الازد الى الحجاز ونزلوا سميرا وفيد فى جوار بنى أسد ثم غلبوهم على اجا وسلمى وهما جبلان من بلادهم فاستقروا بهما وافترقوا لاوّل الاسلام فى الفتوحات (قال ابن سعيد) ومنهم فى بلادهم الآن أمم كثيرة ملأوا السهل والجبل حجازا وشاما وعراقا يعنى قبائل طيئ هؤلاء وهم أصحاب الدولة فى العرب لهذا العهد فى العراق والشأم وبمصر منهم سنبس والثعالب بطنان مشهوران فسنبس ابن معاوية بن شبيل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ومعهم بحتر بن ثعل (قال ابن سعيد) ومنهم زبيد بن معن بن عمرو بن عس بن سلامان بن ثعل وهم فى برية سنجار والثعالب بنو ثعلبة بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيئ وثعلبة بن جدعا بن ذهل بن رومان (قال ابن سعيد) ومنهم بنو لام بن ثعلبة منازلهم من المدينة الى الجبلين وينزلون فى أكثر أوقاتهم مدينة يثرب والثعالب الذين بصعيد مصر من ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيئ (قال ابن حزم) لام بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعا ومن الثعالب بنو ثعلبة بن ذهل بن رومان وبجهة بنيامين والشأم بنو صخر ومن بطونهم غزية المرهوب صولتهم بالشأم والعراق وهم بنو غزية بن أفلت بن معبد بن عمرو بن عس بن سلامان بن ثعل وبنو غزية كثيرون وهم فى طريق الحاج بين العراق ونجد وكانت الرياسة على طيئ فى الجاهلية لبنى هنى بن عمرو بن الغوث

هنى بالفتح وسكون النون اه أبو الفدا

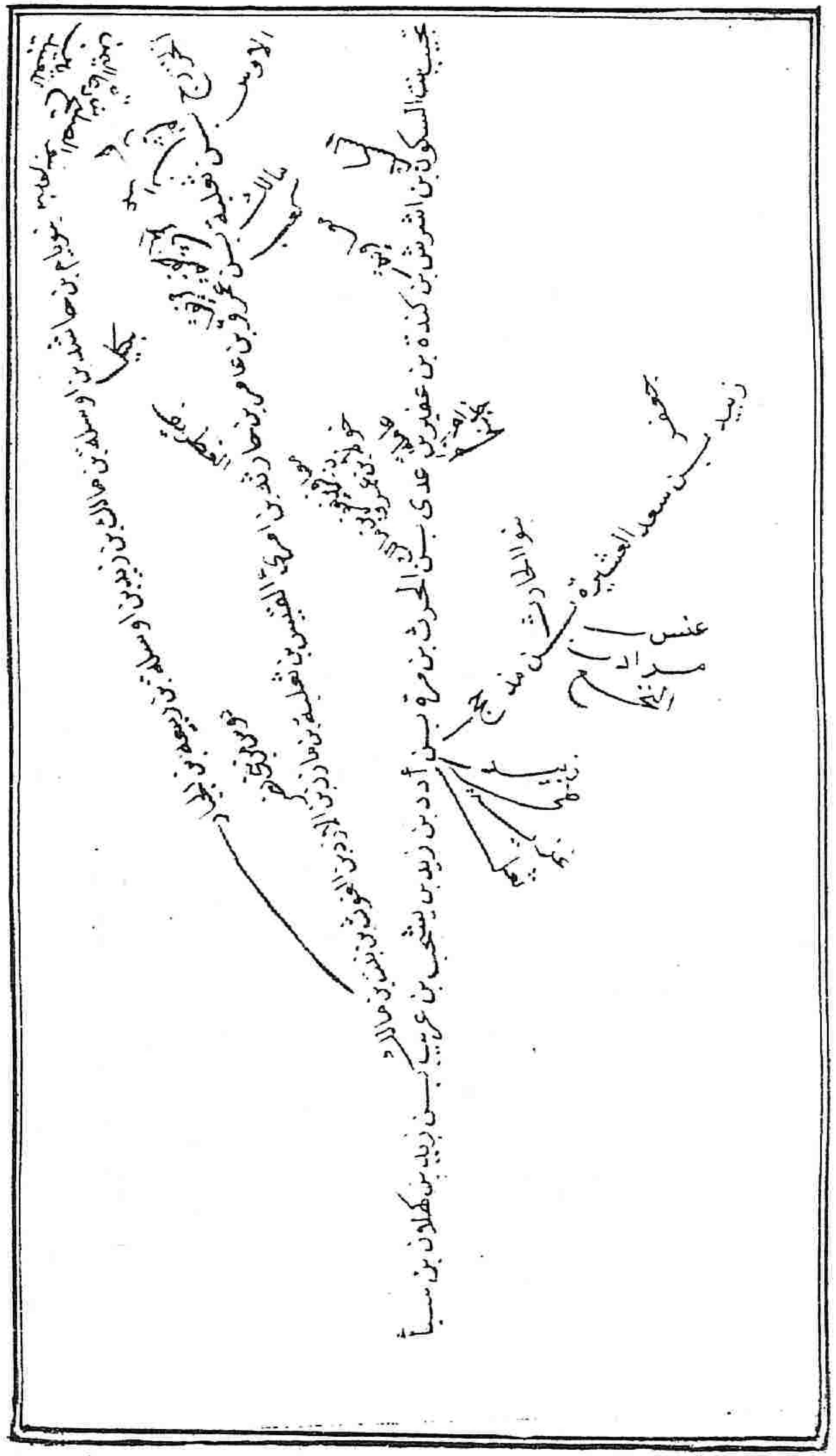
ابن

ابن طيئ وهم رمليون واخوتهم جبليون ومن ولده إياس بن قبيصة الذى أدال به كسرى ابرويز النعمان المنذر حين قتله وأنزل طيا بالحيرة مكان لخم قوم النعمان وولى على العرب منهم اياسا هذا وهو اياس بن قبيصة بن أبى يعفر بن النعمان بن خبيب بن الحرث ابن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سعد بن هنى فكانت لهم الرياسة الى حين انقراض ملك الفرس ومن عقب اياس هذا بنو ربيعة بن على بن مفرج بن بدر بن سالم بن قصة بن بدر بن سميع ومن ربيعة شعب آل مراد وشعب آل فضل وآل فضل شعبان آل على وآل مهنا فعلى ومهنا ابنا فضل وفضل ومراد ابنا ربيعة وسميع الذين ينتسبون اليه من عقب قبيصة بن أبى يعفر ويزعم كثير من جهلة البادية انه الذى جاءت به العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى زعما كاذبا لا أصل له وكانت الرياسة على طيئ أيام العبيديين لبنى المفرج ثم صارت لبنى مراد بن ربيعة وكلهم ورثوا أرض غسان بالشأم وملكهم على العرب ثم صارت الرياسة لبنى على وبنى مهنا ابنى فضل بن ربيعة اقتسموها مدة ثم انفرد بها لهذا العهد بنو مهنا الملوك على العرب الى هذا العهد بمشارف الشأم والعراق وبرية نجد وكان ظهورهم لامر الدولة الايوبية ومن بعدهم من ملوك الترك بمصر والشأم ويأتى ذكرهم والله وارث الارض ومن عليها (وأمّا مذحج) واسمه مالك بن زيد بن أدد بن زيد بن كهلان ومنهم مراد واسمه يحابر بن مذحج ومنهم سعد العشيرة بن مذحج بطن عظيم لهم شعوب كثيرة منهم جعفر بن سعد العشيرة وزبيد بن صعب ابن سعد العشيرة ومن بطون مذحج النخع ورها ومسلية وبنو الحرث بن كعب فأمّا النخع فهو جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ومسلية ابن عامر بن عمرو بن علة وأمّا رها فهو ابن منبه بن حرب بن علة وبقى من مذحج وبرية ينجعون مع احياء طيئ فى جملة أيام بنى مهنا مع العرب بالشأم زمن احلافهم وأكثرهم من زبيد وأمّا بنو الحرث فالحرث أبوهم ابن كعب بن علة وديارهم بنواحى نجران يجاورون بها بنى ذهل بن مزيقيا من الازد وبنى حارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد وكان نجران قبلهم لجرهم ومنهم كان ملكها الافعى الكاهن الذى حكم بين ولد نزار بن معد لما تنافروا اليه بعد موت نزار واسمه القلس بن عمرو بن همدان بن مالك بن منتاب بن زيد بن وائل بن حمير وكان داعية لسليمان عليه السلام بعد ان كان والى بلقيس على نجران وبعثته الى سليمان فصدّق وآمن وأقام على دينه بعد موته ثم نزل نجران بنو الحرث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج فغلبوا عليها بنى الافعى ثم خرجت الازد من اليمن فمروا بهم وكانت بينهم حروب وأقام من أقام فى جوارهم من بنى نصر بن الازد وبنى ذهل بن مزيقيا واقتسموا الرياسة فنجران معهم وكان من بنى الحرث بن كعب هؤلاء المذحجيين بنو الزياد واسمه

يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث وهم بيت مذحج وملوك نجران وكانت رياستهم فى عبد المدان بن الديان وانتهت قبيل البعثة الى يزيد بن عبد المدان ووفد أخوه عبد الحجر بن عبد المدان على النبى صلى الله عليه وسلم على يد خالد بن الوليد وكان ابن أخيهم زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح وولاه نجران واليمامة (وقال ابن سعيد) ولم يزل الملك بنجران فى بنى عبد المدان ثم فى بنى أبى الجواد منهم وكان منهم فى المائة السادسة عبد القيس بن أبى الجواد ثم صار الامر لهذا العهد الى الاعاجم شأن النواحى كلها بالمشرق ثم من بطون الحرث بن كعب بنو معقل وهو ربيعة بن الحرث بن كعب وقد يقال ان المعقل الذين هم بالمغرب الاقصى لهذا العهد انما هم من هذا البطن وليسوا من معقل بن كعب القضاعيين ويؤيد هذا أن هؤلاء المعقل جميعا ينتسبون الى ربيعة وربيعة اسم معقل هذا كما رأيت والله تعالى أعلم (وأما بنو مرة بن أدد اخوة طى ومذحج والاشعريين فهم أبطن كثيرة وتنتهى كلها الى الحرث ابن مرة مثل خولان ومعافر ولخم وجذام وعاملة وكندة فأما معافر فهم بنو يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة وافترقوا فى الفتوحات وكان منهم المنصور بن أبى عامر صاحب هشام بالاندلس وأما خولان واسمه أفكل بن عمرو بن مالك وعمرو أخو يعفر وبلادهم فى جبال اليمن من شرقيه وافترقوا فى الفتوحات وليس منهم اليوم ببرية الا البين وهم لهذا العهد وهمدان أعظم قبائل العرب باليمن ولهم الغلب على أهله والكثير من حصونه وأما لخم واسمه مالك بن عدى بن الحرث بن مرة فبطن كبير متسع ذو شعوب وقبائل منهم الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم ومن أكبرهم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عمم بن انمارة بن لخم ويقال نمارة رهم رهط آل المنذر وحافده عمرو بن عدى بن نصر هو ابن أخت جذيمة الوضاح الذى أخذ بثاره من الزبا قاتلته وولى الملك على العرب للاكاسرة بعد خاله جذيمة وأنزلوه بالحيرة حسبما يأتى الخبر عن ملكه وملك بنيه ومن شعوب بنى لخم هؤلاء كان بنو عباد ملوك اشبيلية ويأتى ذكرهم وأما جذام واسمه عمرو بن عدى أخو لخم بن عدى فبطن متسع له شعوب كثيرة مثل غطفان وامصى وبنو حرام بن جذام وبنو ضبيب وبنو مخرمة وبنو بعجة وبنو نفاثة وديارهم حوالى ايلة من أول أعمال الحجاز الى الينبع بن أطراف يثرب وكانت لهم رياسة فى معان وما حولها من أرض الشأم لبنى النافرة من نفاثة ثم لفروة ابن عمرو بن النافرة منهم وكان عاملا للروم على قومه وعلى من كان حوالى معان من العرب وهو الذى بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه وأهدى له بغلة بيضاء وسمع بذلك قيصر فأغرى به الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان فأخذه وصلبه

بفلسطين

بفلسطين وبقيتهم اليوم فى مواطنهم الاولى فى شعبين من شعوبهم يعرف أحدهما بنو عائذ وهم ما بين بلبيس من أعمال مصر الى عقبة ايلة الى الكرك من ناحية فلسطين وتعرف الثانية بنو عقبة وهم من الكرك الى الازلم من برية الحجاز وضمان السابلة ما بين مصر والمدينة النبوية الى حدود غزة من الشأم عليهم وغزة من مواطن جرم احدى بطون قضاعة كما مر وبافريقية لهذا العهد منهم وبرية كبيرة ينتجعون مع ذياب بن سليم بنواحى طرابلس (وأما عاملة) واسمه الحرث بن عدى وهم اخوة لخم وجذام وانما سمى الحرث عاملة بأمه القضاعية وهم بطن متسع ومواطنهم ببرية الشأم (وأما كندة) واسمه ثور بن عفير بن عدى وعفير أخو لخم وجذام وتعرف كندة الملوك لان الملك كان لهم على بادية الحجاز من بنى عدنان كما نذكر وبلادهم بجبال اليمن مما يلى حضرموت ومنها دمون التى ذكرها امرؤ القيس فى شعره وبطونهم العظيمة ثلاثة معاوية بن كندة ومنه الملوك بنو الحرث بن معاوية الاصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية والسكون والسكسك وابنهما أشرس بن كندة ومن السكون بطن تجيب وهم بنو عدى وبنو سعد بن أشرس بن شبيب ابن السكون وتجيب اسم أمهما وكان للسكون ملك بدومة الجندل وكان عليها عبد المغيث بن أكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن أعمى بن معاوية بن حلاوة بن امامة بن شكامة بن شبيب بن السكون بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك خالد ابن الوليد فجاء به أسيرا وحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية ورده الى موضعه ومن معاوية بن كندة بنو حجر بن الحرث الاصغر ابن معاوية بن كندة منهم حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية وهو حجر أبو الملوك ابن كندة الذين يأتى ذكرهم والحرث الولادة أخو حجر وكان من عقبه الخارجين باليمن المسلمين طالب الحق وكان أباضيا وسيأتى ذكره ومنهم الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية وجبلة بن عدى بن ربيعة ابن معاوية بن الحرث الاكبر جاهلى اسلامى وابنه محمد بن الاشعث وابنه عبد الرحمن بن الاشعث القائم على عبد الملك والحجاج وهو مشهور وابن عمهم أيضا ابن عدى وهو الادبر ابن عدى بن جبلة له صحبة فيما يقال وهو الذى قتله معاوية على الثورة بأخيه زياد وخبره معروف (هذه قبائل اليمن من قحطان) استوفينا ذكر بطونهم وأنسابهم ونرجع الآن الى ذكر من كان الملك منهم بالشأم والحجاز والعراق حسبما نقصه والله تعالى المعين بكرمه ومنه لا رب غيره ولا خير الا خيره



* (الخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة وكيف انساق الملك اليهم ممن قبلهم وكيف صار الى طيء من بعدهم) *

أمّا أخبار العرب بالعراق فى الجيل الاول وهم العرب العاربة فلم يصل الينا تفاصيلها وشرح حالها الا أنّ قوم عاد والعمالقة ملكوا العراق والمسند فى بعض الاقوال أنّ الضحاك بن سنان منهم كما مرّ وأمّا فى الجيل الثانى وهم العرب المستعربة فلم يكن لهم به مستبد وانما كان ملكهم به بدويا ورياستهم فى أهل الظواعن وكان ملك العرب كما مرّ فى التبابعة من أهل اليمن وكانت بينهم وبين فارس حروب وربما غلبوهم على العراق وملكوه أو بعضه كما مرّ لكن اليمن لم يغلبوا ثانيا على ما ملكوا منه وقد مرّ ايقاع بختنصر واثخانه فيهم ما تقدم وكان فى سواد العراق وأطراف الشأم والجزيرة الارمانيون من بنى ارم بن سام ومن كان من بقية عساكر ابن تبع من جعفر طيء وكلب وتميم وغيرهم من جرهم ومن نزل معهم بعد ذلك من تنوخ ونمارة بن لخم وقنص بن معد ومن اليهم كما قدمناذكر ذلك وكان ما بين الحيرة والفرات الى ناحية الانبار موطن لهم وكانوا يسمون عرب الضاحية وكان أوّل من ملك منهم فى زمن الطوائف مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن قضاعة وكان منزله مما يلى الانبار وملك من بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك من بعدهما جذيمة الابرش ثنتى عشرة سنة وقد تقدم انه صهرهما وان مالك بن زهير بن عمرو بن فهم زوّجه أخته وصاروا حلفاء مع الازد من قوم جذيمة ونسب جذيمة فى الازد الى بنى زهران ثم الى دوس بن عدثان بن عبد الله ابن زهران وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس هكذا قال ابن الكلبى ويقال انه من وبار بن أميم بن لاوذ بن سام وكان بنو زهران من الازد خرجوا قبل خروج مزيقيا من اليمن ونزلوا بالعراق وقيل ساروا من اليمن مع أولاد جفنة بن مزيقيا فلما تفرّق الازد على المواطن نزل بنو زهران هؤلاء بالشراة وعمان وصار لهم مع الطوائف ملك وكان مالك ابن فهم هذا من ملوكهم وكان بشاطئ الفرات من الجانب الشرقى عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة من ولد السميدع بن هوثر من بقايا العمالقة فكان عمرو بن الظرب على مشارف الشأم والجزيرة وكان منزله بالمضيق بين الخابور وقرقيسا فكانت بينه وبين مالك ابن فهم حروب هلك عمرو فى بعضها وقامت بملكه من بعده ابنته الزباء بنت عمرو واسمها نائلة عند الطبرى وميسون عند ابن دريد (قال السهيلى) ويقال انّ الزباء الملكة كانت من ذرية السميدع بن هوثر من بنى قطورا أهل مكة وهو السميدع بن مرثد بالثاء المثلثة ابن لاى بن قطور بن كركى بن عملاق وهى بنت عمرو بن أذينة بن الظرب بن حسان وبين حسان هذا والسميدع آباء كثيرة ليست بصحيحة لبعد زمن الزباء من زمن

السميدع انتهى كلام السهيلى ولم تزل الحرب بين مالك بن فهم وبين الزباء بنت عمرو الى ان ألجأها الى اطراف مملكتها وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما فى أيديهم (قال أبو عبيدة) وهو أوّل ملك كان بالعراق من العرب وأوّل من نصب المجانيق وأوقد الشموع وملك ستين سنة ولما هلك قام بأمره من بعده جذيمة الوضاح ويقال له الابرش وكان يكنى بأبى مالك وهو منادم الفرقدين (قال أبو عبيدة) كان جذيمة بعد عيسى بثلاثين سنة فلك ازمان الطوائف خمسا وسبعين سنة وأيام اردشير كلها خمسة عشر سنة وثمانى سنين من أيام سابور وكان بينه وبين الزباء سلم وحرب ولم تزل تحاول الثار منه بأبيها حتى تحيلت عليه وأطمعته فى نفسها فخطبها وأجابته وأجمع المسير اليها وأبى عليه وزيره قصير بن سعد فعصاه ودخل اليها واقيته بالجنود وأحس بالشر فنجا قصير ودخل جذيمة الى قصرها فقطعت رواهشه وأجرت دمه الى ان هلك فى حكاية منقولة فى كتب الاخباريين (قال الطبرى) وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم حزما وأوّل من استجمع له الملك بأرض العراق وسرى بالجيوش وكان به برص فكنوا عنه بالوضاح اجلالا له وكانت منازله بين الحيرة والانبار وهيت ونواحيها وعين التمر واطراف البر الى العمق والقطقطانية وجفنة وكانت تجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود وغزا فى بعض الايام طسما وجديسا فى منازلهم باليمامة ووجد حسان بن تبع قد أغار عليهم فانكفا هو راجعا بمن معه وأتت خيول حسان على سراياه فأجاحوها وكان أكثر غزو جذيمة للعرب العاربة وكان قد تكهن وادّعى النبوّة وكانت منازل إياد بعين اباغ سميت باسم رجل من العمالقة نزل بها وكان جذيمة كثيرا ما يغزوهم حتى طلبوا مسالمته وكان بينهم غلام من لخم من بنى أختهم وكانوا اخواله وهو عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عمرو بن نمارة بن لخم وكان له جمال وظرف وطلبه منهم جذيمة فامتنعوا من تسليمه اليه فألح عليهم بالغزو وبعث اياد من سرق لهم صنمين كانا عند جذيمة يدعو بهما ويستسقى بهما وعرّفوه أنّ الصنمين عندهم وانهم يردّونهما بشريطة رفع الغزو عنهم فأجابهم الى ذلك بشريطة أن يبعثوا مع الصنمين عدى بن نصر فكان ذلك ولما جاءه عدى بن نصر استخلصه لنفسه وولاه شرابه وهويته رقاش أخته فراسلته فدافعها بالخشية من جذيمة فقالت له اخطبنى منه اذا أخذت الخمر منه وأشهد عليه القوم ففعل وأعرس بها من ليلته وأصبح مضرجا بالخلوق وراب جذيمة شأنه ثم أعلم بما كان منه فعض على يديه أسفا وهرب عدى فلم يظهر له أثر ثم سألها فى أبيات شعر معروفة فأخبرته بما كان منه فعرف عذرها وكف وأقام عدى فى اخواله إياد الى ان هلك وولدت رقاش منه غلاما وسمته

عمرا وربى عند خاله جذيمة وكان يستظرفه ثم استهوته الجن فغاب وضرب له جذيمة فى الآفاق الى ان ردّه عليه وافدان من العتقا ثم من قضاعة وهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك بن العنس اهديا له طرفا ومتاعا ولقيا عمرا بطريقهما وقد ساءت حاله وسألاه فأخبرهما باسمه ونسبه فأصلحا من شانه وجاآ به الى جذيمة بالحيرة فسرّ به وسرّت أمّه وحكم الرجلين فطلبا منادمته فأسعفهما وكانا ينادمانه حتى ضرب المثل بهما وقيل ندمانى جذيمة والقصة مبسوطة فى كتب الاخباريين بأكثر من هذا (قال الطبرى) وكان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشأم عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوثر العملاقى فكانت بينه وبين جذيمة حرب قتل فيها عمرو بن الظرب وفضت جموعه وملكت بعده بنته الزبا واسمها نائلة وجنودها بقايا العمالقة من عاد الاولى ومن نهد وسليح ابنى حلوان ومن كان معهم من قبائل قضاعة وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت هنالك قصرا وتربع عند بطن المجاز وتصيف بتدمر ولما استحكم لها الملك أجمعت أخذ الثار من جذيمة بأبيها فبعثت اليه توهمه الخطبة وانها امرأة لا يليق بها الملك فيجمع ملكها الى ملكه فطمع فى ذلك ووافقه قومه وأبى عليه منهم قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن أربى بن نمارة بن لخم وكان حازما ناصحا وحذره عاقبة ذلك فعصاه واستشار ابن اخته عمرو بن عدى فوافقه فاستخلفه على قومه وجعل على خيوله عمرو بن عبد الجن وسار هو على غربى الفرات الى أن نزل رحبة مالك ابن طوق وأتته الرسل منها بالالطاف والهدايا ثم استقبلته الخيول فقال له قصير ان أحاطت بك الخيول فهو الغدر فاركب فرسك العصا وكانت لا تجارى فأحاطت به الخيول ودخل جذيمة على الزبا فقطعت رواهشه فسال دمه حتى نزف ومات وقدم قصير على عمرو بن عدى وقد اختلف عليه قومه ومال جماعة منهم الى عمرو بن عبد الجن فأصلح أمرهم حتى انقادوا جميعا لعمرو بن عدى وأشار عليه بطلب الثار من الزبا بخاله جذيمة وكانت الكاهنة قد عرفتها بملكها وأعطتها علامات عمرو وحذرته وبعثت رجلا مصورا يصور لها عمرا فى جميع حالاته فسار اليه متنكرا واختلط بحشمه وجاء اليها بصورته فاستثبتته وتيقنت أنّ مهلكها منه واتخذت نفقا فى الارض من مجلسها الى حصن داخل مدينتها وعمد عمرو الى قصير فجدع أنفه بمواطأة منه على ذلك فلحق بالزبا يشكو ما أصابه من عمرو وانه اتهمه بمداخلة الزبا فى أمر خاله جذيمة وما رأيت بعد ما فعل بى انكى له من أن أكون معك فأكرمته وقرّبته حتى اذا رضى منها من الوثوق به أشار عليها بالتجارة فى طرف العراق وأمتعته فأعطته مالا وعيرا وذهب الى العراق ولقى عمرو بن عدى بالحيرة فجهزه بالطرف والامتعة كيما يرضيها وأتاها بذلك فازدادت به

وثوقا وجهزته بأكثر من الاولى ثم عاد الثالثة وحمل بغاة الجند من أصحاب عمرو فى الغرائر على الجمال وعمرو فيهم وتقدم فبشرها بالعير وبكثرة ما حمل اليها من الطرف فخرجت تنظر فانكرت ما رأته فى الجمال من التكارد ثم دخلت العير المدينة فلما توسطت انيخت وخرج الرجال وبادر عمرو الى النفق فوقف عنده ووضع الرجال سيوفهم فى أهل البلد وبادرت الزبا الى النفق فوجدت عمرا قائما عنده فلحمها بالسيف وماتت وأصاب ما أصاب من المدينة وانكفا راجعا (قال الطبرى) وعمرو بن عدى أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب وأول من تجده أهل الحيرة فى كتبهم من ملوك العرب بالعراق واليه ينسبون وهم ملوك آل نصر ولم يزل عمرو بن عدى ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة مستبدا منفردا يغزوهم ويغنم وتفد عليه الوفود ولا يدين لملوك الطوائف ولا يدينون له حتى قدم اردشير بن بابك فى أهل فارس (قال الطبرى) وانما ذكرنا فى هذا الموضع أمر جذيمة وابن أخته عمرو بن عدى لما قدمناه عند ذكر ملوك اليمن وأنهم لم يكن لهم ملك مستفحل وانما كانوا طوائف على المخاليف يغير كل واحد على صاحبه اذا استغفله ويرجع خوف الطلب حتى كان عمرو بن عدى فاتصل له ولعقبه الملك على من كان بنواحى العراق وبادية الحجاز بالعرب فاستعمله ملوك فارس على ذلك الى آخر أمرهم وكان أمر آل نصر هؤلاء ومن كان من ولاة الفرس وعمالهم على العرب معروفا مثبتا عندهم فى كنائسهم وأشعارهم (وقال هشام بن الكلبى) كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولى منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة وأما ابن اسحق فذكر فى آل نصر ومصيرهم الى العراق أن ذلك كان بسبب الرؤيا التى رآها ربيعة بن نصر وعبرها الكاهنان شق وسطيح وفيها أن الحبشة يغلبون على ملكهم باليمن قال فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة ومن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر وقد يقال ان المنذر من أعقاب ساطرون ملك الحضر من تنوخ قضاعة رواه ابن اسحق من علماء الكوفة ورواه عن جبير بن مطعم قال لما أتى عمر رضى الله عنه بسيف النعمان دعا بجبير بن مطعم وكان أنسب قريش لقريش والعرب تعلمه من أبى بكر رضى الله عنه فسلمه اياه ثم قال عمن كان النعمان يا جبير قال كان من اسلاف قنص ابن معد (قال السهيلى) كان ولد قنص بن معد انتشروا بالحجاز فوقعت بينهم وبين بنى أبيهم حرب وتضايق بالبلاد وأجدبت الارض فساروا نحو سواد العراق وذلك فى أيام ملوك الطوائف فقاتلهم الاردوانيون وبعض ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد

وقتلوهم الا أشلاء لحقت بقبائل العرب ودخلوا فيهم فانتسبوا اليهم (قال الطبرى) حين سأله عمر عن النعمان قال كانت العرب تقول من اشلاء قنص بن معد وهم من ولد عجم ابن قنص الا أن الناس صحفوا عجم وجعلوا مكانه لخم (قال ابن اسحق) وأما سائر العرب فيقولون النعمان بن المنذر رجل من لخم ربى بين ولد ربيعة بن نصر اه ولما هلك عمرو بن عدى ولى بعده على العرب وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ويقال له البدء وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر وعمال الفرس وعاش فيما ذكر هشام بن الكلبى مائة وأربعة عشر سنة منها أيام سابور ثلاثا وعشرين سنة وأيام هرمز بن سابور سنة واحدة وأيام بهرام بن هرمز ثلاث سنين وأيام بهرام بن بهرام ثمانى عشرة سنة ومن أيام سابور سبعون سنة وهلك لعهده فولى مكانه ابنه عمرو بن امرئ القيس البدء فأقام فى ملكه ثلاثين سنة بقية أيام سابور بن سابور ثم ولى مكانه أوس بن قلام العمليقى فيما قال هشام بن محمد وهو من بنى عمرو بن عملاق نأقام فى ولايته خمس سنين ثم سار به جحجبا بن عتيك بن لخم فقتله وولى مكانه ثم هلك فى عهد بهرام بن سابور وولى من بعده امرؤ القيس بن عمرو خمسا وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الاثيم فولى مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس وأمه شقيقة بنت ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو صاحب الخورنق ويقال ان سبب بنائه اياه أن يزدجرد الاثيم دفع اليه ابنه بهرام جور ليربيه وأمره ببناء هذا الخورنق مسكناله وأسكنه اياه ويقال ان الصانع الذى بناه كان اسمه سنمار وانه لما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه فمات من أجل محاورة وقعت اختلف الناس فى نقلها والله أعلم بصحتها وذهب ذلك مثلا بين العرب فى قبح الجزاء ووقع فى أشعارهم منه كثير وكان النعمان هذا من أفحل ملوك آل نصر وكانت له سنانان احداهما للعرب والاخرى للفرس وكان يغزو بهما بلاد العرب بالشأم ويدوّخها وأقام فى ملكه ثلاثين سنة ثم زهد وترك الملك ولبس المسوح وذهب فلم يوجد له أثر (قال الطبرى) وأما العلماء بأخبار الفرس فيقولون ان الذى تولى تربية بهرام هو المنذر بن النعمان بن امرئ القيس دفعه اليه يزدجرد الاثيم لاشارة كانت عنده فيه من المنجمين فأحسن تربيته وتأديبه وجاءه بمن يلقنه الخلال من العلوم والاداب والفروسية والنقابة حتى اشتمل على ذلك كله بما رضيه ثم رده الى أبيه فأقام عنده قليلا ولم يرض بحاله ووفد على أبيه وافد قيصر وهو أخوه قياودس فقصده بهرام أن يسأل له من أبيه الرجوع الى بلاد العرب فرجع ونزل على المنذر ثم هلك يزدجرد فاجتمع أهل فارس وولوا عليهم شخصا من ولد اردشير وعدلوا عن بهرام لمرباه بين العرب وخلوه عن آداب العجم وجهز المنذر العساكر لبهرام لطلب ملكه وقدم ابنه النعمان فحاصر مدينة

الملك ثم جاء على أثره بعساكر العرب وبهرام معه فأذعن له فارس وأطاعوه واستوهب
المنذر ذنوبهم من بهرام فعفا عنهم واجتمع أمره ورجع المنذر الى بلاده وشغل باللهو
وطمع فيه الملوك حوله وغزاه خاقان ملك الترك فى خمسين ألفا من العساكر وسار اليه
بهرام فانتهى الى اذربيجان ثم الى ارمينية ثم ذهب يتصيد وخلف أخوه نرسى على
العساكر فرماه أهل فارس بالجبن وانه فارّ عن لقاء الترك فراسلوا خاقان فى الصلح على
ما رضاه فرجع عنهم وانتهى الخبر بذلك الى بهرام فسار فى اتباعه وبيته فانفض بعسكره
وقتله بيده واستولى بهرام على ما فى العساكر من الاثقال والذرارى وظفر بتاج خاقان
واكاليله وسيفه بما كان فيه من الجواهر واليواقيت وأسر زوجته وغلب على ناحية من
بلاده فولى عليها بعض مرازبته وأذن له فى الجلوس على سرير الفضة وأغزى ما وراء
النهر فدانوا بالجزية وانصرف الى اذربيجان فجعل سيف خاقان واكاليله معلقا ببيت
النار وأخدمه خاتون امرأة خاقان ورفع الخراج عن الناس ثلاث سنين شكرا لله
تعالى على النصر وتصدق بعشرين ألف ألف درهم مكررة مرتين وكتب بالخبر الى
النواحى وولى أخاه نرسى على خراسان واستوزر له مهرنرسى بن بدارة بن فرخزاد ووصل
الطبرى نسبه من هنا بعد أربعة فكان رابعهم أشك بن دارا وأغزى بهرام أرض الروم
فى أربعين ألفا فانتهى الى القسطنطينية ورجع (قال هشام بن الكلبى) ثم جاء الحرث
ابن عمرو بن حجر الكندى فى جيش عظيم الى بلاد معد والحيرة وقد ولاه تبع بن حسان
ابن تبع فسار اليه النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة وقاتله فقتل النعمان وعدة
من أهل بيته وانهزم أصحابه وأفلت المنذر بن النعمان الاكبر وأمه ماء السماء امرأة
من اليمن وتشتت ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو ما كانوا يملكونه وقال غير هشام
ابن الكلبى ان النعمان الذى قتله الحرث هو ابن المنذر بن النعمان وأمه هند بنت زيد
مناة بن زيد الله بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو الذى أسرته فارس ملك
عشرين سنة منها فى أيام فيروز بن يزدجرد عشر سنين وأيام بلاوش بن يزدجرد أربع سنين
وفى أيام قباذ بن فيروز ست سنين (قال هشام بن محمد الكلبى) ولما ملك الحرث بن عمرو
ملك آل النعمان بعث اليه قباذ يطلب لقاءه وكان مضعفا فجاءه الحرث وصالحه على أن
لا يجاوز بالعرب الفرات ثم استضعفه فأطلق العرب للغارة فى نواحى السواد وراء
الفرات فسأله اللقاء بابنه واعتذر اليه باشطاط العرب وانه لا يضبطهم الا المال
فاقطعه جانبا من السواد فبعث الحرث الى ملك اليمن تبع يستنهضه بغزو فارس
فى بلادهم ويخبره بضعف ملكهم فجمع وسار حتى نزل الحيرة وبعث ابن أخيه شمرا
ذا الجناح الى قباذ فقاتله واتبعه الى الرى فقتله ثم سار شمر الى خراسان وبعث تبع ابنه

حسان الى الصغد وأمرهما معا أن يدوخا أرض الصين وبعث ابن أخيه يعفر الى الروم
فحاصر القسطنطينية حتى أعطوا الطاعة والاتاوة وتقدم الى رومة فحاصرها ثم
أصابهم الطاعون ووهنوا له فوثب عليهم الروم فقتلوهم جميعا وتقدم شمر الى سمرقند
فحاصرها واستعمل الحيلة فيها فملكها ثم سار الى الصين وهزم الترك ووجد أخاه حسان
قد سبقه الى الصين منذ ثلاث سنين فأقاما هنالك احدى وعشرين سنة الى أن هلك قال
والصحيح المتفق عليه انهما رجعا الى بلادهما بما غنماه من الاموال والذخائر وصنوف
الجواهر والطيوب وسار تبع حتى قدم مكة ونزل شعب جياز وكانت وفاته باليمن بعد ان
ملك مائة وعشرين سنة ولم يخرج أحد بعده من ملوك اليمن غازيا ويقال انه دخل
فى دين اليهود للاحبار الذين خرجوا معه من يثرب (وأما ابن اسحق) فعنده أن
الذى سار الى المشرق من التبابعة تبع الاخير وهو تبان أسعد أبو كرب (قال هشام بن
محمد) وولى أنوشروان بعد الحرث بن عمرو المنذر بن النعمان الذى أفلت يوم قتل
أبوه ونزل الحيرة وأبوه هو النعمان الاكبر فلما قوى سلطان أنوشروان واشتد أمره بعث
الى المنذر فملكه الحيرة وما كان يليه الحرث بن عمرو آكل المرار فلم يزل كذلك حتى هلك
(قال) وملك العرب من قبل الفرس بعد الاسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر وأمه
ماوية بنت النعمان سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الاسود بن المنذر وأمه أم الملك
أخت الحرث بن عمرو أربع سنين ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدى بن
الذميل بن ثور بن أسد بن أودى بن نمارة بن لخم ثلاث سنين ثم ملك المنذر بن امرئ القيس
وهو ذو القرنين لظفيرتين كانتا له من شعره وأمه ماء السماء بنت عوف بن جشم بن هلال بن
ربيعة بن زيد مناة بن عامر بن الضحيب بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط فملك
تسعا وأربعين سنة ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر وأمه هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر آكل
المرار ست عشرة سنة ولثمان سنين من ملكه كان عام الفيل الذى ولد فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ولى عمرو بن هند شقيقه قابوس أربع سنين سنة منها أيام أنوشروان
وثلاثة أيام ابنه هرمز ثم ولى بعده أخوهما المنذر أربع سنين ثم ولى بعده النعمان بن
المنذر وهو أبو قابوس اثنين وعشرين سنة منها ثمان سنين أيام هرمز وأربع عشرة أيام
ابرويز وفى أيام النعمان هذا اضمحل ملك آل نصر بالجزيرة وعليه انقرض وهو الذى
قتله كسرى ابرويز وأبدل منه فى الولاية على الحيرة والعرب باياس بن قبيصة الطائى
ثم رد رياسة الحيرة لمرازبة فارس الى أن جاء الاسلام وذهب ملك فارس وكان الذى دعا
ابرويز الى قتله سعاية زيد بن عدى العبادى فيه عند ابرويز بسبب أن النعمان قتل اباه
عدى بن زيد وسياقة الخبر عن ذلك ان عدى بن زيد كان من تراجمة ابرويز وكان

سبب قتل النعمان أن أباه وهو زيد بن حماد بن أيوب بن محروب بن عامر بن قبيصة بن
امرئ القيس بن زيد مناة والد عدى هذا كان جميلا شاعرا خطيبا وقارئا كتاب العرب
والفرس وكانوا أهل بيت يكونون مع الاكاسرة ويقطعونهم القطائع على أن يترجموا
عندهم عن العرب وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان فى حجر عدى فأرضعه
أهل بيته ورباه قوم من أشراف الحيرة ينسبون الى لخم ويقال لهم بنو مرسى وكان
للمنذر بن المنذر عشرة سوى النعمان يقال لهم الاشاهب لجمالهم وكان النعمان من
بينهم أحمر أبرش قصيرا وأمه سلمى بنت وائل بن عطية من أهل فدك كانت أمة للحرث بن
حصن بن ضمضم بن عدى بن جناب بن كلب وكان قابوس بن المنذر الاكبر عم النعمان
بعث الى أنوشروان بعدى بن زيد واخوته فكانوا فى كتابه يترجمون له فلما مات المنذر
أوصى على ولده اياس بن قبيصة الطائى وجعل أمره كله بيده فأقام على ذلك شهرا ونظر
أنوشروان فيمن يملكه على العرب وشاور عدى بن زيد واستنصحه فى بنى المنذر فقال
بقيتهم فى بنى المنذر بن المنذر فاستقدمهم كسرى وانزلهم على عدى وكان هواه مع
النعمان فجعل يرعى اخوته تفضلهم عليه ويقول لهم ان أشار عليكم كسرى بالملك
ومن يكفوه أمر العرب تكفلوا بشأن ابن أخيكم النعمان ويسر للنعمان ان سأله
كسرى عن شأن اخوته أن يتكفله ويقول ان عجزت عنهم فأنا عن سواهم أعجز وكان مع
أخيه الاسود بن المنذر رجل من بنى مرسى الذين ربوهم اسمه عدى بن أوس بن مرسى
فنصحه فى عدى وأعلمه أنه يغشه فلم يقبل ووقف كسرى على مقالاتهم فمال الى النعمان
وملكه وتوجه بقيمة ستين ألف دينار ورجع الى الحيرة ملكا على العرب وعدى بن أوس
فى خدمته وقد أضمر السعاية بعدى بن زيد فكان يظهر الثناء عليه ويتواصى به مع
أصحابه وأن يقولوا مثل قوله الا أنه يستصغر النعمان ويزعم أنه ملكه وانه عامله حتى
أسفوه بذلك وبعث اليه فى الزيارة فأتاه وحبسه ثم ندم وخشى عاقبة اطلاقه فجعل يمنيه
ثم خرج النعمان الى البحرين وخالفه جفنة ملك غسان الى الحيرة وغار عليها ونال منها
وكان عدى بن زيد كتب الى أخيه عند كسرى يشعره بطلب الشفاعة من كسرى الى
النعمان فجاء الشفيع الى الحيرة وبها خليفة النعمان وجاء الى عدى فقال له اعطنى
الكتاب أبعثه أنا ولا زمنى أنت هنا لئلا أقتل وبعث أعداؤه من بنى بقيلة الى النعمان
بأن رسول كسرى دخل عنده فبعث من قتله فلما وفد وافد كسرى فى الشفاعة أظهر
له الاجابة وأحسن له بأربعة آلاف دينار وجارية وأذن له أن يخرجه من محبسه فوجده
قد مات منذ ليال فجاء الى النعمان مثربا فقال والله لقد تركته حيا فقال وكيف
تدخل اليه وأنت رسول الى فطرده فرجع الى كسرى وأخبره بموته وطوى عنه ما كان

من

من دخوله اليه ثم ندم النعمان على قتله ولقى يوما وهو يتصيد ابنه زيدا فاعتذر اليه من
أمر أبيه وجهزه الى كسرى ليكون خليفة أبيه على ترجمة العرب فأعجب به كسرى
وقربه وكان أثيرا عنده ثم ان كسرى أراد خطبة بنات العرب فأشار عليه عدى بالخطبة
فى بنى منذر فقال له كسرى اذهب اليهم فى ذلك فقال انهم لا ينكحون العجم ويستريبون
فى ذلك فابعث معى من يفقه العربية فلعلى آتيك بغرضك فلما جاء الى النعمان قال لزيد
اما فى عير السواد وفارس ما يغنيكم عن بناتنا وسأل الرسول عن العير فقال له زيد هى
البقر ثم رجعا الى كسرى بالخيبة وأغراه زيد فغضب كسرى وحقدها على النعمان ثم
استقدمه بعد حين لبعض حاجاته وقال له لا بد من المشافهة لان الكتاب لا يسعها ففطن
فذهب الى طىء وغيرهم من قبائل العرب ليمنعوه فأبوا وفرقوا من معاداة كسرى الا
بنى رواحة بن سعد من بنى عبس فانهم أجابوه لو كانوا يغنون عنه فعذرهم وانصرف عنهم
الى بنى شيبان بذى قار والرياسة فيهم لهانئ بن مسعود بن عامر بن الخطيب بن عمرو
المزدلف ابن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ولقيس بن خالد بن ذى الجدين وعلم أن هانئا
يمنعه وكان كسرى قد أقطعه فرجع اليه النعمان ماله ونعمه وحلقته وهى سلاح ألف
فارس شاكة وسار الى كسرى فلقيه زيد بن عدى بساباط ونمى الغدر فلما بلغ الى
كسرى قيده وأودعه السجن الى ان هلك فيه بالطاعون ودعا ذلك الى واقعة ذى قار
بين العرب وفارس وذلك ان كسرى لما قتل النعمان استعمل اياس بن قبيصة الطائى
على الحيرة مكان النعمان ليده التى أسلفها طىء عند كسرى يوم واقعة بهرام على ابرويز
وطلب من النعمان فرسه ينجو عليها فأبى واعترضه حسان بن حنظلة بن جنة الطائى
وهو ابن عم اياس بن قبيصة فأركبه فرسه ونجا عليه ومر فى طريقه باياس فأهدى له فرسا
وجزورا فرعى له ابرويز هذه الوسائل وقدم اياسا مكان النعمان وهو اياس بن قبيصة بن
أبى عفر بن النعمان بن جنة فلما هلك النعمان بعث اياس الى هانئ بن مسعود فى حلقة
النعمان ويقال كانت أربعمائة درع وقيل ثمانمائة فمنعها هانئ وغضب كسرى
وأراد استئصال بكر بن وائل وأشار عليه النعمان بن زرعة من بنى تغلب أن يمهل الى
فصل القيظ عند ورودهم مياه ذى قار فلما قاظوا ونزلوا تلك المياه جاءهم النعمان بن
زرعة يخيرهم فى الحرب واعطاء اليد فاختاروا الحرب اختاره حنظلة بن سنان العجلى
وكانوا قد ولوه أمرهم وقال لهم انما هو الموت قتلا ان أعطيتم باليد أو عطشا ان هربتم
وربما لقيكم بنو تميم فقتلوكم ثم بعث كسرى الى اياس بن قبيصة أن يسير الى حربهم
ويأخذ معه مسالح فارس وهم الجند الذين كانوا معه بالقطقطانية وبارق وتغلب وبعث
الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين وكان على طف سفوان أن يوافى اياسا

فجاءت الفرس معها الجنود والافيال عليها الاساورة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة فقال اليوم انتصف العرب من العجم ونصروا وحفظ ذلك اليوم فاذا هو يوم الوقعة ولما تواقف الفريقان جاء قيس بن مسعود الى هانئ وأشار عليه أن يفرق سلاح النعمان على أصحابه ففعل واختلف هانئ بن مسعود وحنظلة بن ثعلبة بن سنان فأشار هانئ بركوب الفلاة وقطع حنظلة حزم الرجال وضرب على نفسه وآلى أن لا يفر ثم استقوا الماء لنصف شهر واقتتلوا وهرب العجم من العطش واتبعهم بكر وعجل فاصطف العجم وقاتلوا وصبروا وراسلت إياد بكر بن وائل انا نفر عند اللقاء فصبروهم واشتد القتال وقطعوا الآمال حتى سقطت الرجال الى الارض ثم حملوا عليهم واعترضهم يزيد ابن حماد السكونى فى قومه كان كمينا أمامهم فشدوا على اياس بن قبيصة ومن معه من العرب فولت اياد منهزمة وانهزمت الفرس وجاوزوا الماء فى حر الظهيرة فى يوم قائظ فهلكوا أجمعين قتلا وعطشا وأقام اياس فى ولاية الحيرة مكان النعمان ومعه النهرجان من مرازبة فارس تسع سنين وفى الثامنة منها كانت البعثة وولى بعده على الحيرة آخر من المرازبة اسمه زاذويه بن ماهان الهمذانى سبع عشرة سنة الى أيام بوران بنت كسرى ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر وتسميه العرب الغرور الذى قتل بالبحرين يوم اجداث ولما زحف المسلمون الى العراق ونزل خالد بن الوليد الحيرة حاصرهم بقصورها فلما أشرفوا على الهلكة خرج اليهم اياس بن قبيصة فى أشراف أهل الحيرة واتقى من خالد والمسلمين بالجزية فقبلوا منه وصالحهم على مائة وستين ألف درهم وكتب لهم خالد بالعهد والامان وكانت أول جزية بالعراق وكان فيهم هانئ بن قبيصة أخو اياس بن قبيصة بالقصر الابيض وعدى بن عدى العبادى ابن عبد القيس وزيد بن عدى بقصر العدسيين وأهل قصر بنى عدس من قصور الحيرة وهو بنو عوان بن عبد المسيح بن كلب بن وبرة وأهل قصر بنى بقيلة لانه خرج على قومه فى بردين أخضرين فقالوا يا حارث ما أنت الا بقيلة خضراء وعبد المسيح هذا هو المعمر وهو الذى بعثه كسرى أبرويز الى سطيح فى شأن رؤيا المرزبان ولما صالح اياس بن قبيصة المسلمين وعقد لهم الجزية سخطت عليه الاكاسرة وعزلوه فكان ملكه تسع سنين ولسنة منها وثمانية أشهر كانت البعوث وولى حينئذ الخلافة عمر بن الخطاب وعقد لسعد بن أبى وقاص على حرب فارس فكان من أول عمل يزدجرد أن أمر مرزبان الحيرة أن يبعث قابوس بن قابوس بن المنذر وأغراه بالعرب ووعده بملك آبائه وقال له ادع العرب وأنت على من أجابك منهم كما كان آباؤك فنهض قابوس الى القادسية ونزلها وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان للنعمان فكاتبهم مقاربة ووعدا وانتهى الخبر الى المثنى بن حارثة الشيبانى عقب مهلك أخيه المثنى وقبل وصول

سعد

سعد فأسرى من ذى قار وبيت قابوس بالقادسية ففض جمعه وقتله وكان آخر من بقى من ملوك آل نصر بن ربيعة وانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس اهـ كلام الطبرى وما نقله عن هشام بن الكلبى (وقد كان) المغيرة بن شعبة تزوج هندا بنت النعمان وسعد بن أبى وقاص تزوج صدقة بنت النعمان وخبرهما معروف ذكره المسعودى وغيره وعدة ملوك آل نصر عند هشام بن الكلبى عشرون ملكا ومدتهم خمسمائة وعشرون سنة وعند المسعودى ثلاث وعشرون ملكا ومدتهم ستمائة وعشرون سنة قال وقد قيل ان مدة عمران الحيرة الى أن خربت عند بناء الكوفة خمسمائة سنة قال ولم يزل عمرانها يتناقص الى أيام المعتضد ثم أقفرت وفيما نقله بعض الاخباريين أن خالد ابن الوليد قال لعبد المسيح أخبرنى بما رأيت من الايام قال نعم قال رأيت المرأة من الحيرة تضع مكتلها على رأسها ثم تخرج حتى تأتى الشام فى قرى متصلة وبساتين ملتفة وقد أصبحت اليوم خرابا والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(هذا ترتيب الملوك من ولد نصر بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن عدى الاول منهم وهو الترتيب الذى ذكره الطبرى عن ابن الكلبى وغيره وبين الناس فيه خلاف فى ترتيب ملوكهم بعد اتفاقهم على أن الذى ملك بعد عمرو بن عدى ابنه امرؤ القيس ثم ابنه عمرو ابن امرئ القيس وهو الثالث منهم (قال على بن عبد العزيز) الجرجانى فى أنسابه بعد ذكر عمرو هذا ثم ثار أوس بن قلام العملقى وملك فثار به جحجب بن عتيك اللخمى فقتله وملك ثم ملك من بعده امرؤ القيس البدء بن عمرو الثالث ثم ملك من بعده ابنه النعمان الاكبر ابن امرئ القيس بن الشقيقة وهو الذى ترك الملك وساح ثم ملك من بعده ابنه المنذر ثم ابنه الاسود بن المنذر ثم أخوه المنذر بن المنذر ثم النعمان بن الاسود بن المنذر ثم أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدى بن الذميل بن ثور بن أسنس بن ربى بن نمارة بن لخم ثم ملك من بعده امرؤ القيس بن النعمان الاكبر ثم ابنه امرؤ القيس ثم كان أمر الحرث بن عمرو الكندى حتى تصالحا وتزوج المنذر بنته هند فولدت له عمرا ثم ملك بعد المنذر عمرو بن هند ثم قابوس بن المنذر أخوه ثم المنذر بن المنذر أخوه الآخر ثم ابنه النعمان بن المنذر هكذا نسبه الجرجانى وهو موافق لترتيب الطبرى الا فى الحرث بن عمرو الكندى فان الطبرى جعله بعد النعمان الاكبر بن امرئ القيس وابنه المنذر والجرجانى جعله بعد المنذر بن امرئ القيس بن النعمان وبين هذا المنذر والمنذر ابن النعمان الاكبر خمسة من ملوكهم فيهم أبو يعفر بن الذميل فالله أعلم بالصحيح من ذلك (وأما المسعودى فخالف ترتيبهم فقال) بعد النعمان الاكبر ابن امرئ القيس وسماه قائد الفرس ملك خمسا وستين سنة ثم ملك ابنه المنذر خمسا وعشرين سنة وهذا مثل

ترتيب الطبرى والجرجانى ثم خالفهما وقال وملك النعمان بن المنذر الحيرة وهو الذى بنى الخورنق خمسا وثلاثين سنة وملك الاسود بن النعمان عشرين سنة وملك ابنه المنذر أربعين سنة وأمه ماء السماء من النمر بن قاسط من ربيعة وبها عرف وملك ابنه عمرو ابن المنذر أربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده أخوه النعمان وأمه مامة وقتله كسرى وهو آخرهم هكذا ساق المسعودى نسق ملوكهم ونسبهم وهو مخالف لما ذكره الطبرى والجرجانى (وقال السهيلى) كان للمنذر بن ماء السماء من الولد المملكين عمرو والنعمان وكان عمرو لهند بنت الحرث آكل المرار قال وكان عمرو هذا من أعاظم ملوك الحيرة ويعرف بمحرق لانه حرق مدينة الملهم عند اليمامة وكان يملك من قبل كسرى أنوشروان ومن بعده ملك أخوه النعمان بن المنذر وأمه مامة وقتله كسرى ابرويز بن هرمز بن أنوشروان لموجدة وجدها بسعاية زيد بن عدى بن زيد العبادى وساق قصة مقتله وولاية اياس بن قبيصة الطائى من بعده وما وقع بعد ذلك من حرب ذى قار وغلب العرب فيها على العجم الى آخرها فالله أعلم بالصحيح فى ترتيب ملوكهم (وقال ابن سعيد) أول حديثهم فى الملك ان بنى عمارة كانوا اجناد للعمالقة باطراف الشأم والجزيرة وكانوا مع الزباء ولما قتلت جذيمة قام عمرو بن عدى منهم بثاره وكان ابن أخته حتى أدركه وقتلها وبنى الحيرة على فرع من الفرات فى أرض العراق (وقال صاحب تواريخ الامم) ملك مائة وثمانية وعشرين سنة أيام ملوك الطوائف وبعده امرؤ القيس بن عمرو ولما مات ولى اردشير بن سابور على الحيرة أوس بن قلام من العمالقة ثم كان ملك الحيرة فوليها امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس المعروف بمحرق قال وهو المذكور فى قصيدة الاسود بن يعفر التى على روى الدال وبعده ابنه النعمان بن شقيقة وهى من بنى شيبان وجعل معه كسرى واليا للفرس وهو بانى الخورنق والسدير على مياه الفرات وملك الى ان ساح وتزهد ثلاثين سنة وذكره عدى بن زيد فى شعره وملك بعده ابنه المنذر وهو الذى سعى لبهرام جور فى الملك حتى تم له وملك أربعا وأربعين سنة وملك بعده ابنه الاسود ثم أخوه المنذر بن المنذر ثم النعمان بن الاسود وغضب عليه كسرى وولى مكانه الذميل بن لخم من غير بيت الملك ثم عاد الملك اليهم فولى امرؤ القيس ابن النعمان الاكبر وهو ابن الشقيقة وهو الذى غزا بكر بن وائل وملك بعده ابنه المنذر بن ماء السماء وهى أمه أخت كليب سيد وائل وطالبه قباذ باتباع مزدك على الزندقة فأبى وولى مكانه الحرث بن عمرو بن حجر الكندى ثم رده أنوشروان الى ملك الحيرة وقتله الحرث الاعرج الغسانى يوم حليمة كما يأتى وملك بعده ابنه عمرو بن هند وهى مامة عمة امرئ القيس بن حجر المعروف بمضرط الحجارة لشدة بأسه وهو محرق الثانى

حرق بنى دارم من تميم لانهم قتلوا أخاه وحلف ليحرقن منهم مائة فحرقهم وملك ستة عشر سنة أيام أنوشروان فتك به فى رواق بين الحيرة والفرات عمرو بن كلثوم سيد تغلب ونهبوا حباءه وملك بعده أخوه قابوس بن هند وكان أعرج وقتله بعض بنى يشكر فولى أنوشروان على الحيرة بعض مرازبة الفرس فلم تستقم له طاعة العرب فولى عليهم المنذر ابن المنذر بن ماء السماء فخرج الى جهة الشأم طالبا ثار أبيه من الحرث الاعرج الغسانى فقتله الحرث أيضا يوم أباغ وملك بعده ابنه النعمان بن المنذر وكان ذميما أشقر أبرش وهو أشهر ملوك الحيرة وعليه كثرت وفود العرب وطلبه بثار أبيه وحرد من بنى جفنة حتى أسر خلقا كثيرا من أشرافهم وحمله عدى بن زيد على أن تنصر وترك دين آبائه وحبس عديا فشفع كسرى فيه بسعاية أخ له كان عنده فقتله النعمان فى محبسه ثم نشأ ابنه زيد بن عدى وصار ترجمانا لكسرى فأغراه بالنعمان وحضر مع كسرى ابرويز فى وقعة بين الفرس والروم وانهزمت الفرس ونجا النعمان على فرسه اليحموم بعد ان طلبه منه كسرى ينجو عليه فأعرض عنه ونزل له اياس بن قبيصة الطائى عن فرسه فنجا عليه ووفد عليه النعمان بعد ذلك فقتله وولى على الحيرة اياس بن قبيصة فلم تستقم له طاعة العرب وغضبوا لقتل النعمان وكان لهم على الفرس يوم ذى قار سنة ثلاث من البعثة ومات اياس وصارت الفرس يولون على الحيرة منهم الى أن ملكها المسلمون (وذكر البيهقى أن دين بنى نصر كان عبادة الاوثان) وأول من تنصر منهم النعمان بن الشقيقة وقيل بل النعمان الاخير وملكت العرب تلك الجهات ابنه المنذر فقتله جيش أبى بكر رضى الله عنه وفى تواريخ الامم أن جميع ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم خمسة وعشرون ملكا فى نحو ستمائة سنة والله أعلم وهذا الترتيب مساو لترتيب الطبرى والجرجانى والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

المنذر بن النعمان بن المنذر

النعمان الاسود

بن المنذر بن امرئ القيس

المنذر بن المنذر

الاكبر

بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى

ابن نصر بن ربيعة

أوس بن قلام العمليقى

جحجبى بن عتيك اللخمى

(هذه الشجرة على ما عند الطبرى والجرجانى وابن سعيد)

(الخبر عن ملوك كندة من هذه الطبقة ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم)

قال الطبرى عن هشام بن محمد الكلبى كان يخدم ملوك حمير أبناء الاشراف من حمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو بن حجر سيد كندة لوقته وأبوه حجر هو الذى تسميه العرب آكل المرار وهو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الاصغر ابن معاوية بن الحرث الاكبر ابن معاوية بن كندة وكان أخا حسان بن تبع لامه فلما دوخ حسان بلاد العرب وسار فى الحجاز وهم بالانصراف ولى على معد بن عدنان كلها أخاه حجر بن عمرو هذا وهو آكل المرار فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة ثم هلك وملك من بعده ابنه عمرو المقصور (قال الطبرى عن هشام ولما سار حسان الى جديس خلفه على بعض أمور ملكه فى حمير فلما قتل حسان وولى بعده أخوه عمرو بن تبع وكان ذا رأى ونبل فأراد أن يكرم عمرو بن حجر بما نقصه من ابن أخيه حسان فزوجه بنت أخيه حسان بن تبع وتكلمت حمير فى ذلك وكان عندهم من الاحداث التى ابتلوا بها أن يتزوج فى ذلك البيت أحد من العرب سواهم فولدت بنت حسان لعمرو بن حجر الحرث بن عمرو وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب أصغر أولاد حسان واستهوت الجن منهم تبع بن حسان فولوا عبد كلال مخافة أن يطمع فى ملكهم أحد من بيت الملك فولى عبد كلال لسرور جة وكان على دين النصرانية الاولى وكان ذلك يسوء قومه ودعا اليه رجل من غسان قدم عليه من الشأم ووثب حمير بالغسانى فقتلوه ثم رجع تبع بن حسان من استهواء الجن وهو أعلم الناس بنجم وأعقل من يعلم فى زمانه وأكثرهم حديثا عما كان ويكون فملك على حمير وهابته حمير والعرب وبعث بابن أخته الحرث بن عمرو بن حجر الكندى فى جيش عظيم الى بلاد معد والحيرة وما والاها فسار الى النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة فقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وهزم أصحابه وأفلت المنذر بن النعمان الاكبر وأمه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط وذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو ما كانوا يملكون (وفى كتاب الاغانى) قال لما ملك قباذ وكان ضعيف الملك توثبت العرب على المنذر الاكبر ابن ماء السماء وهو ذو القرنين ابن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه وانما سمى ذا القرنين لذؤابتين كانتا له فخرج هاربا منهم حتى مات فى اياد وترك ابنه المنذر الاصغر فيهم وكان انكى ولده وجاؤا بالحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فملكوه على بكر وحشدوا له وقاتلوا معه وظهر على من قاتله من العرب وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش فلما رأى ذلك كتب الى الحرث بن عمرو انى فى غير قومى وأنت أحق من ضمنى وأنا متحول اليك فحوله وزوجه بنته هندا (وقال غير هشام بن محمد) ان الحرث بن عمرو لما ولى على العرب بعد أبيه

اشتدت وطأته وعظم بأسه ونازع ملوك الحيرة وعليهم يومئذ المنذر بن امرئ القيس
وبين لهم اذ ولى كسرى قباذ بعد أبيه فيروز بن يزدجرد وكان زنديقا على رأى مانى فدعا
المنذر الى رأيه فأبى عليه وأجابه الحرث بن عمرو فملكه على العرب وأنزله بالحيرة ثم هلك
قباذ وولى ابنه أنوشروان فرد ملك الحيرة الى المنذر وصالحه الحرث على ان له ما وراء نهر
السواد فاقتسما ملك العرب وفرق الحرث ولده فى معد فملك حجرا على بنى أسد وشرحبيل
على بنى سعد والرباب وسلمة على بكر وتغلب ومعد يكرب على قيس وكنانة ويقال بل كان
سلمة على حنظلة وتغلب وشرحبيل على سعد والرباب وبكر وكان قيس بن الحرث سيارة
أى قوم نزل بهم فهو ملكهم (وفى كتاب الاغانى) انه ملك ابنه شرحبيل على بكر وائل
وحنظلة على بنى أسد وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرباب وغلفاء وهو معد يكرب على
قيس وسلمة بن الحرث على بنى تغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة اه كلام الاغانى
(فأما شرحبيل) فانه فسد ما بينه وبين أخيه سلمة واقتتلوا بالكلاب ما بين البصرة
والكوفة على سبع من اليمامة وعلى تغلب السفاح وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير
ابن تيم بن اسامة بن مالك بن بكر بن حبيب وسبق الى الكلاب سفيان بن مجاشع بن دارم
من أصحاب سلمة فى تغلب مع اخوته لامه ثم ورد سلمة وأصحابه فاقتتلوا عامة يومهم
وخذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانصرفت بنو سعد وأتباعها
عن تغلب وصبر بنو بكر وتغلب ليس معهم غيرهم الى الليل ونادى منادى سلمة فى ذلك
اليوم من يقتل شرحبيل واقاتله مائة من الابل فقتل شرحبيل فى ذلك اليوم قتله عصيم
ابن النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن بكر بن حبيب التغلبى وبلغ الخبر الى
أخيه معد يكرب فاشتد جزعه وحزنه على أخيه وزاد ذلك حتى اعتراه منه وسواس
هلك به وكان معتزلا عن الحرث ومنع بنو سعد بن زيد مناة عيال شرحبيل وبعثوا بهم الى
قومهم فعل ذلك عوف بن شجنة بن الحرث بن عطارد بن عوف بن سعد بن كعب (وأما سلمة
فانه فلج فمات (وأما حجر بن الحرث) فلم يزل أميرا على بنى أسد الى ان بعث رسله فى بعض
الايام لطلب الاتاوة من بنى أسد فمنعوها وضربوا الرسل وكان حجر بتهامة فبلغه الخبر
فسار اليهم فى ربيعة وقيس وكنانة فاستباحهم وقتل اشرافهم وسرواتهم وحبس عبيد
ابن الابرص فى جمع منهم فاستعطفه بشعر بعث به اليه فسرحه وأصحابه وأوفدهم فلما
بلغوا اليه هجموا عليه بيته فقتلوه وتولى قتله علباء بن الحرث الكاهلى كان حجر قتل أباه
وبلغ الخبر امرأ القيس فحلف أن لا يقرب لذة حتى يدرك بثاره من بنى أسد وسار صريخا
الى بنى بكر وتغلب فنصروه وأقبل بهم فأجفل بنو أسد وساروا الى المنذر بن امرئ القيس
ملك الحيرة وأوقع امرؤ القيس فى كنانة فأثخن فيهم ثم سار فى اتباع بنى أسد الى أن أعيا ولم

يظفر منهم بشئ ورجعت عنه بكر وتغلب فسار الى مؤثر الخير بن ذى جدن من ملوك
حمير صريخا بنصره بخمسمائة رجل من حمير وبجمع من العرب سواهم وجمع المنذر
لامرئ القيس ومن معه وأمده كسرى أنوشروان بجيش من الاساورة والتقوا فانهزم
امرؤ القيس وفرت حمير ومن كان معه ونجا بدمه ومازال يتنقل فى القبائل والمنذر
فى طلبه وسار الى قيصر صريخا فأمده ثم سعى به الطماح عند قيصر أنه يشبب بابنته
فبعث اليه بحلة مسمومة كان فيها هلاكه ودفن بأنقرة (قال الجرجانى) ولا يعلم
لكندة بعد هؤلاء ملوك اجتمع لهم أمرها وأطيع فيها سوى انهم قد كان لهم رياسة
ونباهة وفيهم سودد حتى كانت العرب تسميهم كندة الملوك وكانت الرياسة يوم جبلة على
العساكر لهم فكان حسان بن عمرو بن الجون على تميم ومعاوية بن شرحبيل بن
حصن على بنى عامر والجون هو معاوية بن حجر آكل المرار أخو الملك المقصود عمرو بن
حجر والله وارث الارض ومن عليها (وفى كتاب الاغانى) أن امرأ القيس لما سار الى
الشأم نزل على السموأل بن عاديا بالابلق بعد ايقاعه ببنى كنانة على انهم بنو أسد وتفرق
عنه أصحابه كراهية لفعله واحتاج الى الهرب فطلبه المنذر بن ماء السماء وبعث فى طلبه
جموعا من اياد وبهراء وتنوخ وجيوشا من الاساورة أمده بهم أنوشروان وخذلته
حمير وتفرقوا عنه فالتجأ الى السموأل ومعه ادراع خمسة مسماة كانت لبنى آكل المرار
يتوارثونها ومعه بنته هند وابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث ومال وسلاح
كان بقى معه والربيع بن ضبع بن نزارة وأشار عليه الربيع بمدح السموأل فمدحه ونزل
به فضرب لابنته قبة وأنزل القوم فى مجلس له براح فمكثوا ما شاء الله وسأله امرؤ
القيس أن يكتب له الى الحرث بن أبى شمر يوصله الى قيصر ففعل واستصحب رجلا
يدله على الطريق وأودع ابنته وماله وادراعه السموأل وخلف ابن عمه يزيد بن الحرث
مع ابنته هند ونزل الحرث بن ظالم غازيا على الابلق ويقال الحرث بن أبى شمر ويقال ابن
المنذر وبعث الحرث بن ظالم ابنه يتصيد ويهدده بقتله فأبى من اخفار ذمته وقتل ابنه
فضرب به المثل فى الوفاء بذلك (وأما) نسب السموأل فقال ابن خليفة عن محمد بن سالم
السكندى عن الطوسى عن ابن حبيب انه السموأل بن عريض بن عاديا بن حيا ويقال ان
الناس يدرجون عريضا فى النسب ونسبه عمرو بن شبة ولم يذكر عريضا وقال عبد الله
ابن سعد عن دارم بن عقال من ولد السموأل بن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو
ابن عامر مزيقيا وهذا عندى محال لان الاعشى أدرك شريح بن السموأل وأدرك
الاسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة
وقد قيل ان أمه من غسان وكلهم قالوا هو صاحب الحصن المعروف بالابلق بتيما

المشهور بالزباء وقيل من ولد الكوهن بن هارون وكان هذا الحصن لجده عاديا واحتفر فيه أروية عذبة وتنزل به العرب فتصيبها وتمتار من حصنه وتقيم هنالك سوقا اه كلام الاغانى (وقال ابن سعيد) كندة لقب لثور بن عفير بن الحرث بن مرة بن أدد بن يشجب ابن عبيد الله بن زيد بن كهلان وبلادهم فى شرقى اليمن ومدينة ملكهم دمون وتوالى الملك منهم فى بنى معاوية بن عنزة وكان التبابعة يصاهرونهم ويولونهم على بنى معد بن عدنان بالحجاز فأول من ولى منهم حجرا آكل المرار ابن عمرو بن معاوية الاكبر ولاه تبع بن كرب الذى كسا الكعبة وولى بعده ابنه عمرو بن حجر ثم ابنه الحرث المقصور وهو الذى أبى أن يتزندق مع قباذ ملك الفرس فقتل فى بنى اكاب ونهب ماله وكان قد ولى أولاده على بنى معد فقتل أكثرهم وكان على بنى أسد منهم حجر بن الحرث فجار عليهم فقتلوه وتجرد للطلب بثاره ابنه امرؤ القيس وسار الى قيصر فأغراه به الطماح الاسدى وقال انه يتغزل ببنات الملوك فألبسه حلة مسمومة تقطع بها (وقال صاحب التواريخ) ان الملك انتقل بعدهم الى بنى جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية الاكرمين واشتهر منهم قيس بن معديكرب بن جبلة ومنهم الاعشى وابنته العمردة من مردة الانس ولها فى قتال المسلمين اخبار فى الردة وأسلم أخوها الاشعث ثم ارتد بعد الوفاة واعتصم بالحبر ففتحه جيش أبى بكر رضى الله عنه وجىء به اليه أسيرا فمنّ عليه وزوجه أخته وخرج من نسله بنو الاشعث المذكورون فى الدولة الاموية (ومن بطون كندة) السكون والسكاسك وللسكاسك مجالات شرقى اليمن متميزة وهم معروفون بالسحر والكهانة (ومنهم) تجيب بطن كبير كان منهم بالاندلس بنو صمادح وبنو ذى النون وبنو الافطس من ملوك الطوائف والله تعالى وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الاصغر ابن معاوية بن الحارث الاكبر ابن معاوية بن كندة

معديكرب — حجر — ...

شرحبيل — بن — ...

(الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشأم من هذه الطبقة وأوليتهم ودولهم وكيف انساق الملك اليهم ممن قبلهم)

أول ملك كان للعرب بالشأم فيما علمناه للعمالقة ثم لبنى إرم بن سام و يعرفون بالارمانيين وقد ذكرنا خلاف الناس فى العمالقة الذين كانوا بالشأم هل هم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام أو من ولد عماليق بن أليفاز بن عيصو وأن المشهور المتعارف انهم من عمليق بن لاوذ وكان بنو إرم يومئذ بادية فى نواحى الشأم والعراق وقد ذكروا فى التوراة وكان لهم مع ملوك الطوائف حروب كما تقدمت الاشارة الى ذلك كله من قبل وكان آخر هؤلاء العمالقة ملك السميدع بن هوثر وهو الذى قتله يوشع بن نون حين تغلب بنو اسرائيل على الشأم وبقى فى عقبه ملك فى بنى الطرب بن حسان من بنى عاملة العماليق وكان آخرهم ملكا الزباء بنت عمرو بن السميدع وكانت قضاعة مجاورين لهم فى ديارهم بالجزيرة وغلبوا العمالقة لما فشل ريحهم فلما هلكت الزباء وانقرض أمر بنى الطرب بن حسان ملك أمر العرب تنوخ من بطون قضاعة وهم تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الاسود بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وقد تقدم ذكر نزولهم بالحيرة والانبار ومجاورتهم للارمانيين فملك من تنوخ ثلاثة ملوك فيما ذكر المسعودى النعمان بن عمرو ثم ابنه عمرو بن النعمان ثم أخوه الحوار بن عمرو وكانوا مملكين من قبل الروم ثم تلاشى أمر تنوخ واضمحل وغلبت عليهم سليح من بطون قضاعة ثم الضجاعم منهم من ولد ضجعم بن سعد بن سليح واسمه عمرو بن حلوان بن عمران بن الحاف فتنصروا وملكتهم الروم على العرب وأقاموا على ذلك مدة وكان نزولهم ببلاد مؤاب من أرض البلقاء ويقال ان الذى ولى سليح على نواحى الشأم هو قيصر طيطش ابن قيصر ماهان (قال ابن سعيد) كان لبنى سليح دولتان فى بنى ضجعم وبنى العبيد فأما بنو ضجعم فملكوا الى أن جاءهم غسان فسلبوهم ملكهم وكان آخرهم زياد بن الهبولة سار بمن أبقى السيف منهم الى الحجاز فقتله والى الحجاز للتبابعة حجر آكل المرار قال ومن النسابين من يطلق تنوخ على بنى ضجعم ودوس الذين تنخوا بالبحرين أى أقاموا ثم سار الضجاعم الى برية الشأم ودوس الى برية العراق قال وأما بنو العبيد بن الابرص بن عمرو ابن اشجع بن سليح فتوارثوا الملك بالحضر الذى آثاره باقية فى برية سنجار والمشهور منهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور معروفة اه كلام ابن سعيد ثم استحالت صبغة الرياسة عن العرب لحمير وصارت الى كهلان الى بلاد الحجاز ولما فصلت الازد من اليمن كان نزولهم ببلاد عك ما بين زبيد وزمع فحاربوهم وقتلوا ملك عك قتله ثعلبة بن عمرو مزيقيا قال بعض أهل اليمن عك ابن عدنان

ابن عبد الله بن أدد قال الدارقطنى عك بن عبد الله بن عدثان بالثاء المثلثة وضم العين ولا خلاف انه بنونين كما لم يختلف فى دوس بن عدثان قبيلة من الازد انه بالثاء المثلثة ثم نزلوا بالظهران وقاتلوا جرهم بمكة ثم افترقوا فى البلاد فنزل بنو نصر بن الازد الشراة وعمان ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب وأقام بنو حارثة بن عمرو بمر الظهران بمكة وهم يقال لهم خزاعة (وقال المسعودى) سار عمرو مزيقيا حتى اذا كان بالشراة بمكة أقام هنالك بنو نصر بن الازد وعمران الكاهن وعدى بن حارثة بن عمرو بالازد حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد وزمع فشربوا من ذلك الماء فسموا غسان وكانت بينهم وبين معد حروب الى أن ظفرت بهم معد فأخرجوهم الى الشراة وهو جبل الازد الذين هم به وهم على تخوم الشأم ما بينه وبين الجبال مما يلى أعمال دمشق والاردن (قال ابن الكلبى) ولد عمرو بن عامر مزيقيا جفنة ومنه الملوك والحرث وهو محرق أول من عاقب بالنار وثعلبة وهو العنقاء وحارثة وأبا حارثة ومالكا وكعبا ووداعة وهو فى همدان وعوفا وذهل وائل ودفع ذهل الى نجران ومنه أسقف وعبيدة وذهلا وقيسا درج هؤلاء الثلاثة وعمران بن عمرو فلم يشرب ابو حارثة ولا عمران ولا وائل ماء غسان فليس يقال لهم غسان وبقى من أولاد مزيقيا ستة شربوا منه فهم غسان وهم جفنة وحارثة وثعلبة ومالك وكعب وعوف ويقال ان ثعلبة وعوفا لم يشربا منه ولما نزلت غسان الشأم جاوروا الضجاعم وقومهم من سليح ورئيس غسان يومئذ ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن ابن الازد ورئيس الضجاعم يومئذ داود اللثق بن هبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم وكانت الضجاعم هؤلاء ملوكا على العرب عمالا للروم كما قلناه يجمعون ممن نزل بساحتهم لقيصر فغلبتهم غسان على ما بأيديهم من رياسة العرب لما كانت صبغة رياستهم الحميرية قد استحالت وعادت الى كهلان وبطونها وعرفت الرياسة منها باليمن قبل فصولهم وربما كانوا أولى عدة وقوة وانما العزة للكاثر * وكانت غسان لاول نزولها بالشأم طالبها ملوك الضجاعم بالاتاوة فمانعتهم غسان فاقتتلوا فكانت الدائرة على غسان وأقرت بالصغار وأدت الاتاوة حتى نشأ جذع بن عمرو (١) بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن المجالد ابن الحرث بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن بن الازد ورجال سليح من ولد رئيسهم داود اللثق وهو سبطة بن المنذر بن داود ويقال بل قتله فالتقوا فغلبتهم غسان وأفادتهم وتفردوا بملك الشأم وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس فخاف ملك الروم أن يعينوا عليه فارسا فكتب اليهم واستدناهم ورئيسهم يومئذ ثعلبة بن عمرو أخو جذع بن عمرو وكتبوا بينهم الكتاب على انه ان دهمهم أمر من العرب أمدهم بأربعين ألفا من الروم

(١) انظر مجمع الامثال فى قوله خذ من جذع ما أعطاك اه

وان دهمه أمر أمدته غسان بعشرين ألفا وثبت ملكهم على ذلك وتوارثوه أول من ملك منهم ثعلبة بن عمرو فلم يزل ملكها الى أن هلك وولى مكانه منهم ثعلبة بن عمرو مزيقيا (قال الجرجانى) وبعد ثعلبة بن عمرو ابنه الحرث بن ثعلبة يقال انه ابن مارية ثم بعده ابنه المنذر بن الحرث ثم ابنه النعمان بن المنذر بن الحرث ثم أبو بشر بن الحرث بن جبلة ابن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة هكذا نسبه بعض النساب والصحيح انه بن عوف ابن الحرث بن عوف بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن ثم الحرث الاعرج ابن أبى شمر ثم عمرو ابن الحرث الاعرج ثم المنذر بن الحرث الاعرج ثم الايهم بن جبلة بن الحرث ابن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ثم ابنه جبلة (وقال المسعودى) أول من ملك منهم الحرث بن عمرو مزيقيا ثم بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة وهو ابن مارية ذات القرطين وبعده النعمان بن الحرث بن جفنة بن الحرث ثم أبو شمر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن الحارث ثم ملك بعده أخوه المنذر بن الحارث ثم أخوه جبلة بن الحارث ثم بعده عوف بن أبى شمر ثم بعده الحارث بن أبى شمر وعلى عهده كانت البعثة وكتب له النبى صلى الله عليه وسلم فيمن كتب اليه من ملوك تهامة والحجاز واليمن وبعث اليه شجاع بن وهب الاسدى يدعوه الى الاسلام ويرغبه فى الدين كذا عند ابن اسحق وكان النعمان بن المنذر على عهد الحارث بن أبى شمر هذا وكانا يتنازعان فى الرياسة ومذاهب المدح وكانت شعراء العرب تفد عليهما مثل الاعشى وحسان بن ثابت وغيرهما (ومن شعر حسان) رضى الله تعالى عنه فى مدح أبناء جفنه

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

ثم ملك بعد الحارث بن أبى شمر ابنه النعمان ثم ملك بعده جبلة بن الايهم بن جبلة وجبلة جده هو الذى ملك بعد أخويه شمر والمنذر (وقال ابن سعيد) أول من ملك من غسان بالشأم وأذهب ملك الضجاعم جفنة بن مزيقيا ونقل عن صاحب تواريخ الامم لما ملك جفنة بنى جلق وهى دمشق وملك خمسا وأربعين سنة واتصل الملك فى بنيه الى أن كان منهم الحارث الاعرج ابن أبى شمر وأمه مارية ذات القرطين من بنى جفنة بنت الهانئ المذكورة فى شعر حسان بأرض البلقاء ودعان قال ابن قتيبة وهو الذى سار اليه المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة فى مائة ألف فبعث اليه الحارث مائة من قبائل العرب فيهم لبيد الشاعر وهو غلام فأظهروا انهم رسل فى الصلح حتى اذا أحاطوا برواق المنذر فتكوا به وقتلوا جميع من كان معه فى الرواق وركبوا خيولهم فنهم من

نجا ومنهم من قتل وحملت غسان على عسكر المنذر وقد اختبطوا فهزموهم وكانت حليمة بنت الحارث تحرض الناس وهم منهزمون على القتال فسمى يوم حليمة ويقال ان النجوم ظهرت فيه بالنهار من كثرة العجاج ثم توالى الملك فى ولد الحارث الاعرج الى أن ملك منهم جفنة بن المنذر بن الحارث الاعرج وهو محرق لانه حرق الحيرة دار ملك آل النعمان وكان جوالا فى الآفاق وملك ثلاثين سنة ثم كان ثالثه فى الملك النعمان بن عمرو بن المنذر الذى بنى قصر السويدا وقصر حارث عند صيدا وهو مذكور فى شعر النابغة ولم يكن أبوه ملكا وانما كان يغزو بالجيوش ثم ملك جبلة بن النعمان وكان منزله بصفين وهو صاحب عين اباغ يوم كانت له الهزيمة فيه على المنذر بن المنذر ابن ماء السماء وقتل المنذر فى ذلك اليوم ثم اتصل الملك فى تسعة منهم بعده وكان العاشر أبو كرب النعمان بن الحارث الذى رثاه النابغة وكان منزله بالجولان من جهة دمشق ثم ملك الايهم بن جبلة بن الحارث وكان له رأى فى الافساد بين القبائل حتى أفنى بعضهم بعضا فعل ذلك ببنى جسر وعاملة وغيرهم وكان منزله بتدمر وملك بعده منهم خمسة فكان السادس منهم ابنه جبلة بن الايهم وهو آخر ملوكهم اهـ كلام ابن سعيد واستفحل ملك جبلة هذا وجاء الله بالاسلام وهو على ملكه ولما افتتح المسلمون الشأم أسلم جبلة وهاجر الى المدينة واستشرف أهل المدينة لمقدمه حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته لكرم وفادته وأحسن عمر رضى الله عنه نزله وأكرم وفادته وأجله بأرفع رتب المهاجرين ثم غلب عليه الشقاء واطم رجلا من المسلمين من فزارة وطئ فضل ازاره وهو يسحبه فى الارض ونابذه الى عمر رضى الله عنه فى القصاص فأخذته العزة بالاثم فقال له عمر رضى الله عنه لا بد أن أقيده منك فقال له اذن أرجع عن دينكم هذا الذى يقاد فيه للسوقة من الملوك فقال له عمر رضى الله عنه اذن أضرب عنقك فقال أمهلنى الليلة حتى أرى رأيى واحتمل رواحله وأسرى فتجاوز الدروب الى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة وفيما تذكره الثقات انه ندم ولم يزل باكيا على فعلته تلك وكان فيما يقال يبعث بالجوائز الى حسان بن ثابت لما كان منه فى مدح قومه ومدحه فى الجاهلية (وعند ابن هشام) أن شجاع بن وهب انما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبلة (قال المسعودى) جميع ملوك غسان بالشأم أحد عشر ملكا وقال ان النعمان والمنذر اخوة جبلة وأبى شمر وكلهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة ملكوا كلهم (قال) وقد ملك الروم على الشأم من غير آل جفنة مثل الحارث الاعرج وهو أبو شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف وعوف هذا جد ثعلبة بن عامر قاتل داود اللثق وملكوا عليهم أيضا أبا جبلة بن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن

جبلة بن الايهم بن جبلة

النعمان

المنذر بن الحرث بن أبى شمر

بن الحرث بن جبلة

بن مارية

بن الحرث بن ثعلبة

أول من ولى منهم ثعلبة بن عمرو بن جفنة وهو أخو جذع بن عمرو ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن بن الازد

بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن مزيقيا

هكذا ترتيب انسابهم وترتيب ملوكهم عند الجرجانى

ثعلبة بن مزيقيا وهو أبو جبيلة الذى استصرخه مالك بن العجلان على يهود يثرب حسبما نذكر بعد (وقال ابن سعيد) عن صاحب تواريخ الامم إن جميع ملوك بنى جفنة اثنان وثلاثون ومدتهم ستمائة سنة ولم يبق لغسان بالشأم قائمة وورث أرضهم بها قبيلة طىء قال ابن سعيد وأمراؤهم بنو مرا وأما الآن فأمراؤهم بنو مهنا وهما معا ربيعة بن على بن مقرج بن بدر بن سالم بن على بن سالم بن قصة بن بدر بن سميع وقامت غسان بعد منصرفهما من الشأم بأرض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة فتجهزوا الى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذى يمده خليج القسطنطينية وفى هذا الجبل باب الابواب وفيه من شعوب الترك المتنصرة الشركس وأركس واللاص وكسا ومعهم أخلاط من الفرس ويونان والشركس غالبون على جميعهم فانحازت قبائل غسان الى هذا الجبل عند انقراض القياصرة والروم وتحالفوا معهم واختلطوا بهم ودخلت أنساب بعضهم فى بعض حتى ليزعم كثير من الشركس أنهم من نسب غسان ولله حكمة بالغة فى خلقه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا انقضاء لملكه ولا رب غيره

جبلة بن الايهم بن جفنة بن الحرث بن الحرث بن عمار به بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا

النعمان بن الحرث
عوف بن أبي شمر
النعمان بن الحرث
المنذر
الحرث

هكذا أنسابهم وترتيبهم عند المسعودي رحمه الله

هكذا انسابهم وترتيبهم عند ابن سعد رحمه الله

جبلة بن الايهم بن جبلة بن الحرث بن النعمان بن عمرو بن المنذر بن الحارث بن أبي شمر بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقيا

أبو كرب النعمان – سادس بعد الايهم

قتل المنذر بن المنذر يوم عين أباغ

جبلة

جفنة

جفنة الثالث

الاعرج أمه مارية ذات القرطين منهم وسار اليه المنذر بن ماء السماء ولم يكن ملكا وانما كان قائدا فقتل يوم حليمة

* (الخبر عن الاوس والخزرج أبناء قيلة من هذه الطبقة ملوك يثرب دار الهجرة وذكر أوليتهم والالمام بشأن نصرتهم وكيف انقراض أمرهم) *

قد ذكرنا فيما تقدم شأن يثرب وأنها من بناء يثرب بن قانية بن مهلهل بن ارم بن عبيل ابن عوص وعبيل أخو عاد وفيما ذكر السهيلي أن يثرب ابن قائد بن عبيل بن مهلاييل ابن عوص بن عمليق بن لاوذ بن إرم وهذا أصح وأوجه وقد ذكرنا كيف صار أمر هؤلاء لاخوانهم جاسم من الامم العمالقة وان ملكهم كان يسمى الارقم وكيف تغلب بنو اسرائيل عليه وقتلوه وملكوا الحجاز دونه كله من أيدى العمالقة ويظهر من ذلك أن الحجاز لعهدهم كان آهلا بالعمران وجميع مياهه يشهد بذلك أن داود عليه السلام لما خلع بنو اسرائيل طاعته وخرجوا عليه بابنه اشبوشت فر مع سبط يهوذا الى خيبر وملك ابنه الشأم وأقام هو وسبط يهوذا بخيبر سبع سنين فى ملكه حتى قتل ابنه وعاد الى الشأم فيظهر من هذا أن عمرانه كان متصلا بيثرب ويجاوزها الى خيبر وقد ذكرنا هنالك كيف أقام من بنى اسرائيل من أقام بالحجاز وكيف تبعتهم يهود خيبر وبنو قريظة (قال المسعودى) وكانت الحجاز اذ ذاك أشجر بلاد الله وأكثرها ماء فنزلوا بلاد يثرب واتخذوا بها الاموال وبنوا الآطام والمنازل فى كل موطن وملكوا أمر أنفسهم وانضافت اليهم قبائل من العرب نزلوا معهم واتخذوا الاطم والبيوت وأمرهم راجع الى ملوك المقدس من عقب سليمان عليه السلام قال شاعر بنى نعيف

ولو نطقت يوما قباء لخبرت * بأنا نزلنا قبل عاد وتبع

وآطامنا عادية مشمخرة * تلوح فتنعى من يعادى ويمنع

(فلما خرج مزيقيا من اليمن وملك غسان بالشأم ثم هلك وملك ابنه ثعلبة العنقا ثم هلك ثعلبة العنقاء وولى أمرهم بعد ثعلبة عمرو ابن أخيه جفنة سخط مكانه ابنه حارثة فأجمع الرحلة الى يثرب وأقام بنو جفنة بن عمرو ومن انضاف اليهم بالشأم ونزل حارثة يثرب على يهود خيبر وسألهم الحلف والجوار على الامان والمنعة فأعطوه من ذلك ماسأل (قال ابن سعيد) وملك اليمن يومئذ شريب بن كعب فكانوا بادية لهم الى أن انعكس الامر بالكثرة والغلبة (ومن كتاب الاغانى) لابى الفرج الاصبهانى قال بنو قريظة وبنو النضير الكاهنان من ولد الكوهن بن هرون عليه السلام كانوا بنواحى يثرب بعد موسى عليه السلام وقبل تفرق الازد من اليمن بسيل العرم ونزول الاوس والخزرج يثرب وذلك بعد الفجار ونقل ذلك عن على بن سليمان الاخفش بسنده الى العمارى قال ساكنوا المدينة العماليق وكانوا أهل عدوان وبغى وتفرقوا فى البلاد وكان بالمدينة منهم بنو نعيف وبنو سعد وبنو الازرق وبنو نظرون وملك الحجاز منهم

الارقم ما بين تيما الى فدك وكانوا ملوك المدينة ولهم بها نخل وزرع وكان موسى عليه السلام قد بعث الجنود الى الجبابرة يغزونهم وبعث الى العمالقة جيشا من بنى اسرائيل وأمرهم أن لا يستبقوا أحدا فأبقوا ابنا للارقم ضنوا به على القتل فلما رجعوا بعد وفاة موسى عليه السلام وأخبروا بنى اسرائيل بشأنه فقالوا هذه معصية لا تدخلوا علينا الشأم فرجعوا الى بلاد العمالقة ونزلوا المدينة وكان هذا أولية سكنى اليهود بيثرب وانتشروا فى نواحيها واتخذوا بها الآطام والاموال والمزارع ولبثوا زمانا وظهر الروم على بنى اسرائيل بالشأم وقتلوهم وسبوا فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين الى الحجاز وتبعهم الروم فهلكوا عطشا فى المفازة بين الشأم والحجاز وسمى الموضع ثمر الروم ولما قدم هؤلاء الثلاثة المدينة نزلوا العالية فوجدوها وبية وارتادوا ونزل بنو النضير مما يلى البهجان وبنو قريظة وبنو بهدل على نهروز وكان ممن سكن المدينة من اليهود حين نزلها الاوس والخزرج بنو الشقمة وبنو ثعلبة وبنو زرعة وبنو قينقاع وبنو يزيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف وبنو عصص وكان بنو يزيد من بلى وبنو نعيف من بلى وبنو الشقمة من غسان وكان يقال لبنى قريظة وبنى النضير الكاهنان كما مر فلما كان سيل العرم وخرجت الازد نزلت ازد شنوءة الشأم بالسراة وخزاعة بطوى ونزلت غسان بصرى وأرض الشأم ونزلت ازد عمان الطائف ونزلت الاوس والخزرج يثرب نزلوا فى ضرار بعضهم بالضاحية وبعضهم بالقرى مع أهلها ولم يكونوا أهل نعم وشاء لان المدينة كانت ليست بلاد مرعى ولا نخل لهم ولا زرع الا الاعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من الموات والاموال لليهود فلبثوا احينا ثم وفد مالك بن عجلان الى أبى جبيلة الغسانى وهو يومئذ ملك غسان فسأله فأخبره عن ضيق معاشهم فقال ما بالكم لم تغلبوهم حين غلبنا أهل بلدنا ووعده أنه يسير اليهم فينصرهم فرجع مالك وأخبرهم أن الملك أبا جبيلة يزورهم فأعدوا له نزلا فأقبل ونزل بذى حرض وبعث الى الاوس والخزرج بقدومه وخشى أن يتحصن منه اليهود فى الآطام فاتخذ حائرا وبعث اليهم فجاؤه فى خواصهم وحشمهم وأذن لهم فى دخول الحائر وأمر جنوده فقتلوهم رجلا رجلا الى أن أتوا عليهم وقال للاوس والخزرج ان لم تغلبوا على البلاد بعد قتل هؤلاء فلا حرقنكم ورجع الى الشأم فأقاموا فى عداوة مع اليهود ثم اجمع مالك بن العجلان وصنع لهم طعاما ودعاهم فامتنعوا الغدرة ابى جبيلة فاعتذر لهم مالك عنها وأنه لا يقصد نحو ذلك فأجابوه وجاؤا اليه فغدرهم وقتل منهم سبعة وثمانين من رؤسائهم وفطن الباقون فرجعوا وصورت اليهود بالحجاز مالك بن العجلان فى كنائسهم وبيعهم وكانوا يلعنونه كلما دخلوا ولما قتلهم مالك ذلوا وخافوا وتركوا امشى بعضهم

الى بعض فى الفتنة كما كانوا يفعلون من قبل وكان كل قوم من اليهود قد لجأوا الى بطن من الاوس والخزرج يستنصرون بهم و يكونون لهم أحلافا اه كلام الاغانى (وكان) لحارثة بن ثعلبة ولدان أحدهما أوس والآخر خزرج وأمهما قيلة بنت الارقم بن عمرو ابن جفنة وقيل بنت كاهن بن عذرة من قضاعة فأقاموا كذلك زمانا حتى أثروا وامتنعوا فى جانبهم وكثر نسلهم وشعوبهم فكان بنو الاوس كلهم لمالك بن الاوس منهم خطمة بن جشم بن مالك وثعلبة ولوذان وعوف كلهم بنو عمرو بن عوف بن مالك ومن بنى عوف بن عمرو حنش ومالك وكلفة كلهم بنو عوف ومن مالك بن عوف معاوية وزيد فمن زيد عبيد وضبيعة وأمية ومن كلفة بن عوف جحجبا بن كلفة ومن مالك بن الاوس أيضا الحارث وكعب ابنا الخزرج بن عمرو بن مالك فمن كعب بنو ظفر ومن الحارث بن الخزرج حارثة وجشم ومن جشم بنو عبد الاشهل ومن مالك بن الاوس أيضا بنو سعد و بنو عامر ابنا مرة بن مالك فبنو سعد الجعادرة ومن بنى عامر عطية وأمية ووائل كلهم بنو زيد بن قيس بن عامر ومن مالك بن الاوس أيضا أسلم وواقف بنو امرئ القيس بن مالك فهذه بطون الاوس (وأما الخزرج) فخمسة بطون من كعب وعمرو وعوف وجشم والحارث فمن كعب بن الخزرج بنو ساعدة بن كعب ومن عمرو بن الخزرج بنو النجار وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو وهم شعوب كثيرة بنو مالك وبنو عدى و بنو مازن و بنو دينار كلهم بنو النجار ومن مالك بن النجار مبذول واسمه عامر وغانم وعمرو ومن عمرو عدى ومعاوية ومن عوف بن الخزرج بنو سالم والقواقل وهما عوف بن عمرو بن عوف والقواقل ثعلبة ومرضخة بنو قوقل بن عوف ومن سالم بن عوف بنو العجلان بن زيد بن غنم بن سالم و بنو سالم بن عوف ومن جشم بن الخزرج بنو غضب بن جشم وتزيد بن جشم فمن غضب بن جشم بنو بياضة وبنو زريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة ابن مالك بن غضب ومن تزيد بن جشم بنو سلمة بن سعد بن على بن راشد بن ساردة بن تزيد ومن الحارث بن الخزرج بنو خدرة و بنو حرام ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج فهذه بطون الخزرج فلما انتشر بيثرب هذان الحيان من الاوس والخزرج وكثروا يهود خافوهم على أنفسهم فنقضوا الحلف الذى عقدوه لهم وكانت العزة يومئذ بيثرب لليهود قال قيس بن الحطيم

كنا اذا رابنا قوم بظلمة * شدت لنا الكاهنان الخيل واعتزموا

بنو الرهون وواسونا بأنفسهم * بنو الصريخ فقد عفوا وقد كرموا

ثم نبغ فيهم بعد حين مالك بن العجلان وقد ذكر نسب العجلان فعظم شأن مالك وسوده الحيان فلما نقض يهود الحلف واقعهم وأصاب منهم ولحق بأبى جبيلة ملك غسان

بالشام وقيل بعث اليه الرنق بن زيد بن امرئ القيس فقدم عليه فأنشده

أقمت أطعم من رزق قطرة * حتى تكثر للنجاة رحيل

حتى ألاقى معشرا انى لهم * خل ومالهم لنا مبذول

أرض لنا تدعى قبائل سالم * ويجيب فيها مالك وسلول

قوم أولو عز وعزة غيرهم * ان الغريب ولو يعز ذليل

فأعجبه وخرج فى نصرتهم وأبو جبيلة هو ابن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج كان حبيب بن عبد حارثة وأخوه غانم ابنا الجشمى سار وامع غسان الى الشأم وفارقوا الخزرج ولما خرج أبو جبيلة الى يثرب لنصرة الاوس والخزرج لقيه أبناء قيلة وأخبروه أن يهود علموا بقصده فتحصنوا فى آطامهم فورى عن قصده باليمن وخرجوا اليه فدعاهم الى صنيع أعده لرؤسائهم ثم استلحمهم فعزت الاوس والخزرج من يومئذ وتفرقوا فى عالية يثرب وسافلتها يتبوؤن منها حيث شاؤا وملكت أمرها على يهود فذلت اليهود وقل عددهم وعلت قدم أبناء قيلة عليهم فلم يكن لهم امتناع الا بحصونهم وتفرقهم أحزابا على الحيين اذا اشتجرا (وفى كتاب ابن اسحق) ان تبعا أبا كرب غزا المشرق فمر بالمدينة وخلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فلما رجع أجمع على تخريبها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحى من الانصار ورئيسهم عمرو بن ظلة وظلة أمه وأبوه معاوية بن عمرو (قال ابن اسحق) وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر نزل بهم تبع وقال انما التمر لمن أبره فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم فاقتتلوا وقال ابن قتيبة فى هذه الحكاية ان الذى عدا على التبعى هو مالك بن العجلان وأنكره السهيلى وفرق بين القصتين بأن عمرو بن ظلة كان لعهد تبع ومالك بن العجلان لعهد أبى جبيلة واستبعد ما بين الزمانين ولم يزل هذان الحيان قد غلبوا اليهود على يثرب وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم فى ذلك و يدخل فى حلفهم من جاورهم من قبائل مضر وكانت قد تكون بينهم فى الحين فتن وحروب ويستصرخ كل بمن دخل فى حلفه من العرب ويهود (قال ابن سعيد) ورحل عمرو بن الاطنابة من الخزرج الى النعمان ابن المنذر ملك الحيرة فملكه على الحيرة واتصلت الرياسة فى الخزرج والحرب بينهم وبين الاوس ومن أشهر الوقائع التى كانت بينهم يوم بعاث قبل المبعث كان على الخزرج فيه عمرو بن النعمان بن صلاة بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة وكان على الاوس يومئذ حضير الكتائب ابن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل وكان حلفاء الخزرج يومئذ أشجع من غطفان وجهينة من قضاعة وحلفاء الاوس مزينة من أحياء طلحة بن اياس وقريظة والنضير من يهود وكان الغلب صدر النهار للخزرج ثم نزل حضير

وحلف لا أركب أو اقتل فتراجعت الاوس وحلفاؤها وانهزم الخزرج وقتل عمرو بن
النعمان رئيسهم وكان آخر الايام بينهم وصبحهم الاسلام وقد سئموا الحرب وكرهوا
الفتنة فأجمعوا على أن يتوجوا عبد الله بن أبي ابن سلول ثم اجتمع أهل العقبة منهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعاهم الى نصرة الاسلام فجاؤا الى قومهم بالخبر كما نذكر
وأجابوا واجتمعوا على نصرته ورئيس الخزرج سعد بن عبادة والاوس سعد بن معاذ
قالت عائشة كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله ولما بلغهم خبر مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة وما جاء به من الدين وكيف أعرض قومه عنه وكذبوه وآذوه وكان بينهم
وبين قريش اخاء قديم وصهر فبعث أبو قيس بن الاسلت من بني مرة بن مالك بن الاوس
ثم من بني وائل منهم واسمه صيفي بن عامر بن جشم بن وائل وكان يحبهم لمكان صهره فيهم
فكتب اليهم قصيدة يعظم لهم فيها الحرمة ويذكر فضلهم وحلمهم وينهاهم عن الحرب
ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرهم بما رفع الله عنهم من أمر
الفيل وأولها

أيا راكبا إمّا عرضت فبلغن * مقالة أوسي لؤي بن غالب

تناهز خمسا وثلاثين بيتا ذكرها ابن اسحق في كتاب السير فكان ذلك أول ما ألقح بينهم من
الخير والايمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يئس من اسلام قومه يعرض
نفسه على وفود العرب وحجاجهم أيام الموسم أن يقوموا بدين الاسلام وبنصره حتى يبلغ
ما جاء به من عند الله وقريش يصدونهم عنه ويرمونه بالجنون والشعر والسحر كما نطق به
القرآن وبينما هو في بعض المواسم عند العقبة لقي رهطا من الخزرج ست نفر اثنان من
بني غانم بن مالك وهما أسعد بن زرارة بن عدي بن عبيد الله بن ثعلبة بن غانم وعوف بن
الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غانم وهو ابن عفراء ومن بني زريق بن عامر رافع بن
مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ومن بني غانم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عبد
الله بن عمرو بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث بن حرام بن كعب بن غانم كعب بن رئاب بن
غانم وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غانم بن سواد بن غانم وعقبة بن عامر بن نابي بن
زيد بن حرام بن كعب بن غانم فلما لقيهم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن
موالي يهود قالوا نعم فقال ألا تجلسون أكلمكم فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض
عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض تعلموا والله انه النبي الذي تعدكم
يهود به فلا يسبقنكم اليه فأجابوه فيما دعاهم وصدقوه وآمنوا به وأرجأوا الامر
في نصرته الى لقاء قومهم وقدموا المدينة فذكروا لقومهم شأن النبي صلى الله عليه
وسلم ودعوهم الى الاسلام ففشا فيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثم وافى الموسم في العام المقبل اثنا عشر منهم فوافوه بالعقبة وهي
العقبة الاولى وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وأخوه معاذ ابنا عفراء ورافع بن
مالك بن العجلان وعقبة بن عامر من الستة الاولى وستة آخرون منهم من بني غانم بن
عوف من القواقل منهم عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غانم
ومن بني زريق ذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق والعباس بن
عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان هؤلاء التسعة من الخزرج وأبو عبد الرحمن بن زيد
ابن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني عصية من بلي احدى بطون
قضاعة حليف لهم ومن الاوس رجلان الهيثم بن التيهان واسمه مالك بن التيهان بن
مالك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل وعويم بن ساعدة من بني عمرو
ابن عوف فبايعوه على الاسلام بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب ومعناه انه
حينئذ لم يؤمر بالجهاد وكانت البيعة على الاسلام فقط كما وقع في بيعة النساء على أن
لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن الآية وقال لهم فان وفيتم
فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وان سترتم عليه
في الدنيا الى يوم القيامة فأمركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر وبعث معهم مصعب
ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي يقريهم القرآن ويعلمهم الاسلام
ويفقههم في الدين فكان يصلي بهم وكان منزله على اسعد بن زرارة وغلب الاسلام في
الخزرج وفشا فيهم وبلغ المسلمون من أهل يثرب أربعين رجلا فجمعوا ثم أسلم من
الاوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل وابن عمه أسيد
ابن حضير الكتائب وهما سيدا بني عبد الاشهل وأوعب الاسلام بني عبد الاشهل وأخذ
من كل بطن من الاوس ما عدا بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وهي أوس أمته
من الاوس من بني حارثة ووقف بهم عن الاسلام أبو قيس بن الاسلت يرى رأيه حتى
مضى صدر من الاسلام ولم يبق دار من دور أبناء قيلة الا وفيها رجال ونساء مسلمون ثم
رجع مصعب الى مكة وقدم المسلمون من أهل المدينة معه فواعدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فبايعوه وكانوا ثلثمائة وسبعين رجلا
وامرأتين بايعوه على الاسلام وأن يمنعوه ممن أراده بسوء ولو كان دون ذلك القتل
وأخذ عليهم النقباء اثني عشر تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وأسلم ليلتئذ عبد
الله بن عمرو بن حرام أبو جابر بن عبد الله وكان أول من بايع البراء بن معرور من بني تزيد بن
جشم من الخزرج وصرخ الشيطان بمكانهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحسست
قريش الخبر فوجدوه قد كان فخرجوا في طلب القوم وأدركوا سعد بن عبادة وأخذوه

وربطوه حتى أطلقه جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل والحرث بن حرب بن أمية بن عبد شمس لجوار كان له عليهما ببلده فلما قدم المسلمون المدينة أظهروا الاسلام ثم كانت بيعة الحرب حتى أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال فبايعوه على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة عليهم وأن لا ينازعوا الامر أهله وان يقوموا بالحق أينما كانوا ولا يخافوا فى الله لومة لائم ولما تمت بيعة العقبة وأذن الله لنبيه فى الحرب أمر المهاجرين الذين كانوا يؤذون بمكة أن يلحقوا باخوانهم من الانصار بالمدينة فخرجوا أرسالا وأقام هو بمكة ينتظر الاذن فى الهجرة فهاجر من المسلمين كثير سماهم ابن اسحق وغيره (وكان عمر بن الخطاب) رضى الله عنه فيمن هاجر هو وأخوه زيد وطلحة بن عبيد الله وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأنيسة وأبو كبشة موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان رضى الله عنهم ثم أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فهاجر وصحبه أبو بكر رضى الله عنه فقدم المدينة ونزل فى الاوس على كلثوم بن مطعم بن امرئ القيس بن الحرث ابن زيد بن عبيد بن مالك بن عوف وسيد الخزرج يومئذ عبد الله بن أبى ابن سلول وأبى هو ابن مالك بن الحرث بن عبيد واسم ام عبيد سلول وعبيد هو ابن مالك بن سالم بن غانم ابن عوف بن غانم بن مالك بن النجار وقد نظموا له الخرز ليملكوه على الحيين فغلب على أمره واجتمعت أبناء قيلة كلهم على الاسلام فضغن لذلك لكنه أظهر ان يكون له اسم منه فأعطى الصفقة وطوى على النفاق كما نذكر بعد وسيد الاوس يومئذ أبو عامر بن عبد عمرو ابن صيفى بن النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد فخرج الى مكة هاربا من الاسلام حين رأى اجتماع قومه الى النبى صلى الله عليه وسلم بغضا فى الدين ولما فتحت مكة فر الى الطائف ولما فتح الطائف فر الى الشأم فمات هنالك (ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب الانصارى حتى ابتنى مساكنه ومسجده ثم انتقل الى بيته وتلاحق به المهاجرون واستوعب الاسلام سائر الاوس والخزرج وسموا الانصار يومئذ بما نصروا من دينه وخطبهم النبى صلى الله عليه وسلم وذكرهم وكتب بين المهاجرين والانصار كتابا وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم كما يفيده كتاب ابن اسحق فلينظر هنالك ثم كانت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قومه فغزاهم وغزوه وكانت حروبهم سجالا ثم كان الظهور والظفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم آخرا كما نذكر فى سيرته صلى الله عليه وسلم وصبر الانصار فى المواطن كلها واستشهد من اشرافهم ورجالاتهم كثير هلكوا فى سبيل الله وجهاد عدوه ونقض اثناء ذلك اليهود الذين بيثرب على المهاجرين والانصار ما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهروا

عليه فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيهم وحاصرهم طائفة بعد أخرى وأما بنو قينقاع فانهم تشاوروا مع المسلمين بسوقهم وقتلوا مسلما وأما بنو النضير وقريظة فنهم من قتله الله وأجلاه فأما بنو النضير فكان من شأنهم بعد أحد وبعد بئر معونة جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية من القرى ولم يكن علم بعقدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما نذكره فهموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءهم لذلك خديعة منهم ومكرا فحاصرهم حتى نزلوا على الجلاء وان يحملوا ما استقلت به الابل من أموالهم الا الحلقة وافترقوا فى خيبر وبنى قريظة وأما بنو قريظة فظاهروا قريشا فى غزوة الخندق فلما فرج الله كما نذكره حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه وكلمه وشفع الاوس فيهم وقالوا انهم اننا كما وهبت بنى قينقاع للخزرج فرد حكمهم الى سعد بن معاذ وكان جريحا فى المسجد أثبت فى غزوة الخندق فجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فى هؤلاء بعد ان استحلف الاوس انهم راضون بحكمه فقال يا رسول الله تضرب الاعناق وتسبى الاموال والذرية فقال حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتلوا عن آخرهم وهم ما بين الستمائة والتسعمائة (ثم خرج الى خيبر) بعد الحديبية سنة ست فحاصرهم وافتتحها عنوة وضرب رقاب اليهود وسبى نساءهم وكان فى السبى صفية بنت حيى بن أخطب وكان أبوها قتل مع بنى قريظة وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وقتله محمد بن مسلمة غزاه من المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ستة نفر فبيته فلما افتتحت خيبر اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وقسم الغنائم فى الناس من القمح والتمر وكان عدد السهام التى قسمت عليها أموال خيبر ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم الرجال ألف وأربعمائة والخيل مائتان وكانت أرضهم الشق ونطاة والكتيبة فحصلت الكتيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والخمس ففرقها على قرابته ونسائه ومن وصلهم من المسلمين وأعمل أهل خيبر على المساقاة ولم يزالوا كذلك حتى أجلاهم عمر رضى الله عنه (ولما كان فتح مكة سنة ثمان وغزوة حنين على أثرها وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم فيمن كان يستألفه على الاسلام من قريش وسواهم وجد الانصار فى أنفسهم وقالوا سيوفنا تقطر من دمائهم وغنائمنا تقسم فيهم مع انهم كانوا ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح بلاده وجمع على الدين قومه انه سيقيم بأرضه وله غنية عنهم وسمعوا ذلك من بعض المنافقين وبلغ ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم وقال يا معشر الانصار ما الذى بلغكم عنى فصدقوه الحديث فقال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى وعالة فأغناكم الله

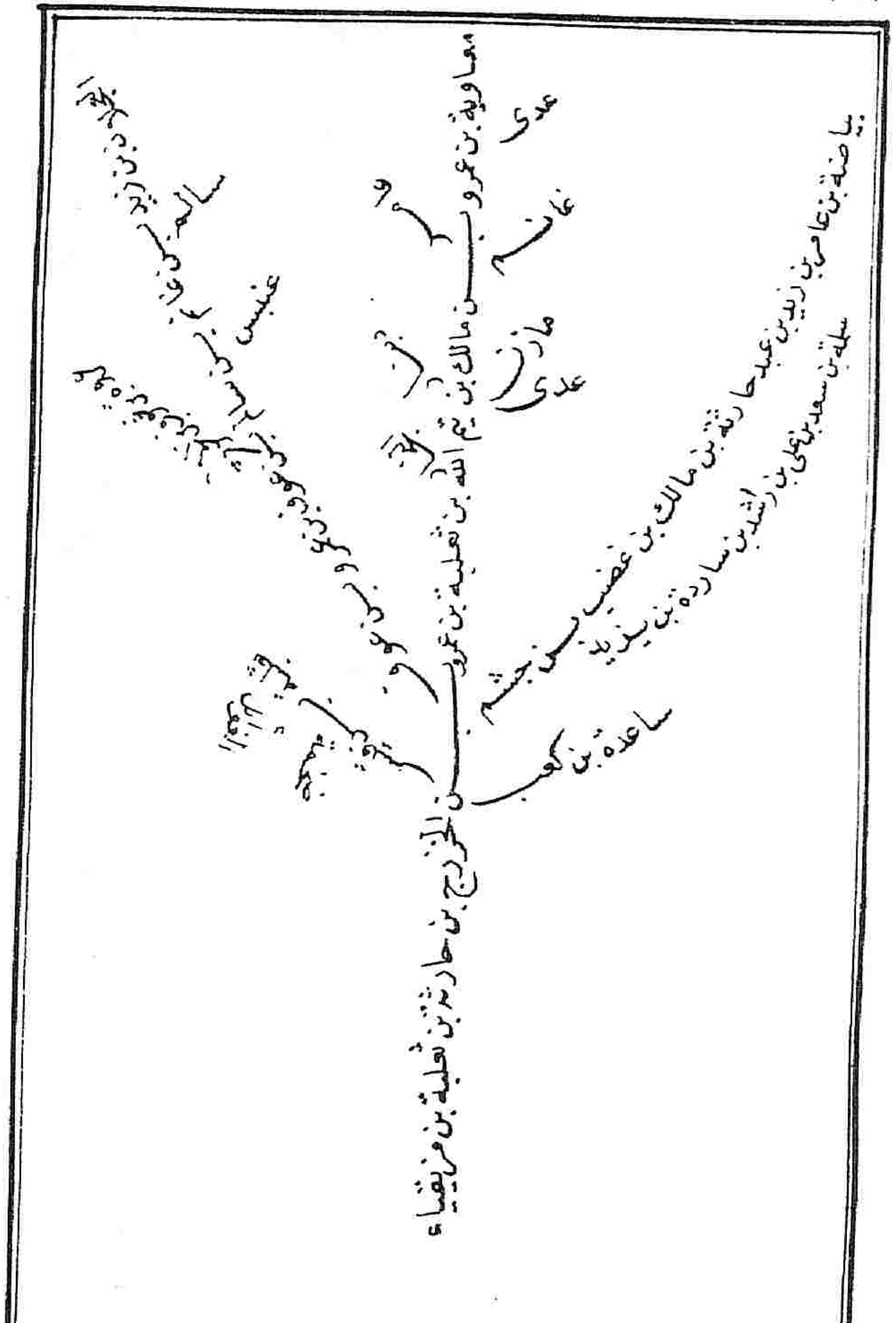
ومتفرقين فجمعكم الله فقالوا الله ورسوله أمن فقال لو شئتم لقلتم جئتنا طريدا فآويناك ومكذبا فصدقناك ولكن والله انى لاعطى رجالا استألفهم على الدين وغيرهم أحب الىّ ألا ترضون أن ينقلب الناس بالشاء والبعير وتنقلبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم أما والذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار الناس دثار وأنتم شعار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار ففرحوا بذلك ورجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الى يثرب فلم يزل بين أظهرهم الى ان قبضه الله اليه (ولما كان يوم وفاته صلى الله عليه وسلم) اجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة بن كعب ودعت الخزرج الى بيعة سعد بن عبادة وقالوا لقريش منا أمير ومنكم أمير ضنا بالامر أو ببعضه فيهم لما كان من قيامهم بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامتنع المهاجرون واحتجوا عليهم بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالانصار فى الخطبة ولم يخطب بعدها قال أوصيكم بالانصار انهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فأوصيكم بأن تحسنوا الى محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم فلو كانت الامارة لكم لكانت ولم تكن الوصية بكم فحجوهم فقام بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج فبايع لابى بكر واتبعه الناس فقال حباب بن المنذر بن الجموح بن حرام بن كعب بن غانم بن سلمة بن سعد يا بشير أنفست بها ابن عمك يعنى الامارة قال لا والله ولكنى كرهت أن أنازع الحق قوما جعله الله لهم فلما رأى الاوس ما صنع بشير بن سعد وكانوا لا يريدون الامر للخزرج قاموا فبايعوا أبا بكر ووجد سعد فتخلف عن البيعة ولحق بالشأم الى ان هلك وقتله الجن فيما يزعمون وينشدون من شعر الجن

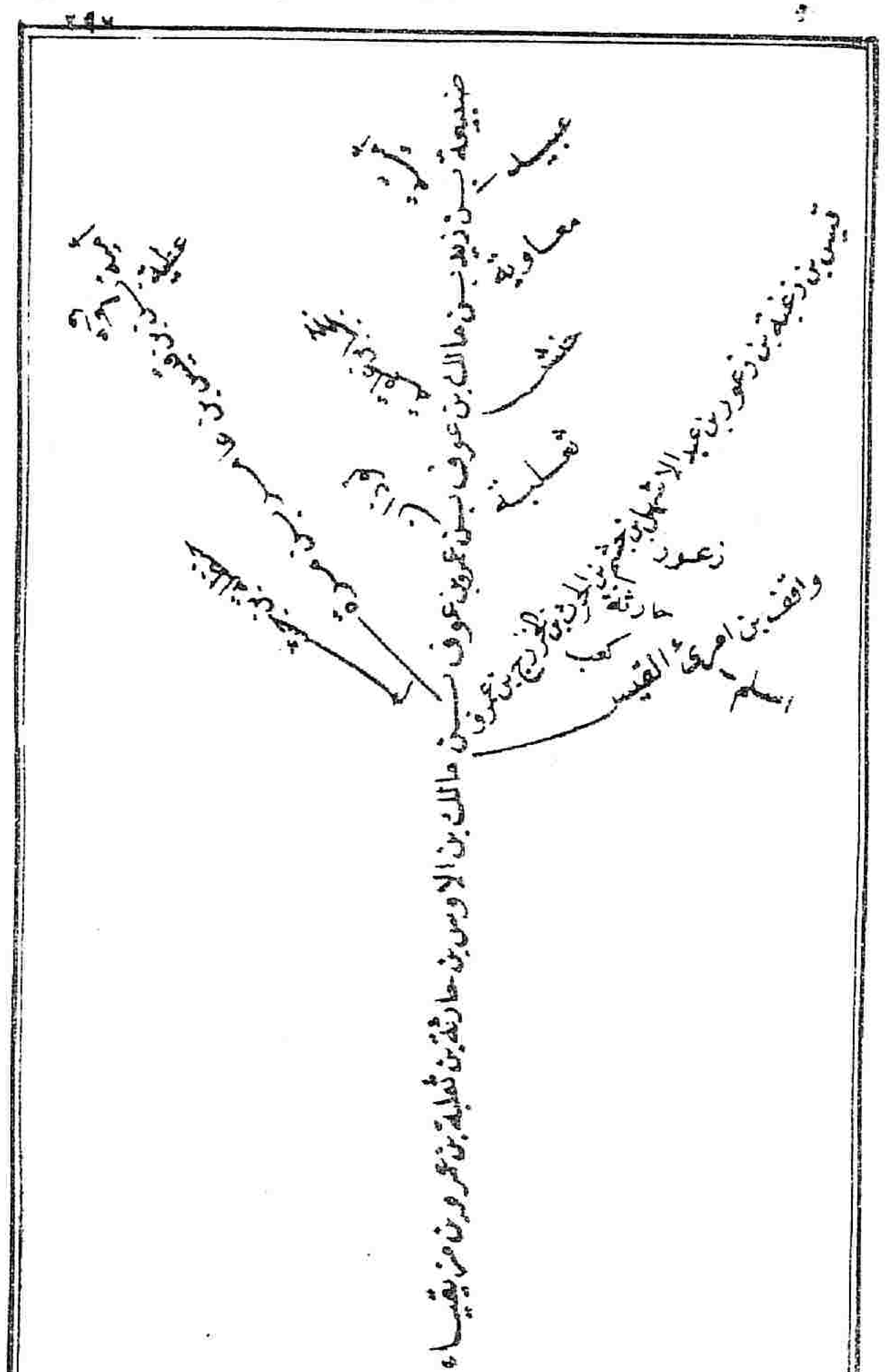
نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده * ضربناه بسهم فلم تخط فؤاده

وكان لابنه قيس من بعده غناء فى الايام * وأثر فى فتوحات الاسلام *

وكان له انحياش الى علىّ فى حروبه مع معاوية وهو القائل لمعاوية بعد مهلك علىّ رضى الله عنه وقد عرض به معاوية فى تشيعه فقال والآن ماذا يا معاوية والله ان القلوب التى أبغضناك بها لفى صدورنا وان السيوف التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا وكان أجود العرب وأعظمهم جثمانا يقال انه كان اذا ركب تخط رجلاه الارض ولما ولى يزيد بن معاوية وظهر من عسفه وجوره وادالته الباطل من الحق ما هو معروف امتعضوا للدين وبايعوا لعبد الله بن الزبير حين خرجوا بمكة واجتمعوا على حنظلة بن عبد الله الغسيل ابن أبى عامر بن عبد عمرو بن صيفى بن النعمان بن مالك بن صيفى بن أميه بن ضبيعة ابن زيد وعقد ابن الزبير لعبد الله بن مطيع بن اياس على المهاجرين معهم وسرح يزيد

اليهم مسلم بن عقبة المرى وهو عقبة بن رباح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مرة بن عوف ابن سعد بن دينار بن بغيض بن ريث بن غطفان فيمن فرض عليه من بعوث الشأم والمهاجرين فالتقوا بالحرة حرة بنى زهرة وكانت الدبرة على الانصار واستلحمهم جنود يزيد ويقال انه قتل فى ذلك اليوم من المهاجرين والانصار سبعون بدريا وهلك عبد الله ابن حنظلة يومئذ فيمن هلك وكانت احدى الكبر التى أتاها يزيد واستفحل ملك الاسلام من بعد ذلك واتسعت دولة العرب وافترقت قبائل المهاجرين والانصار فى قاصية الثغور بالعراق والشأم والاندلس وافريقية والمغرب حامية ومرابطين فافترق الحىّ أجمع من أبناء قيلة وافترقت وأقفرت منهم يثرب ودرسوا فيمن درس من الامم وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا خالق سواه ولا معبود الا اياه ولا خير الا خيره ولا رب غيره وهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين





* (الخبر عن بنى عدنان وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول والملك فى الاسلام وأوّلية ذلك ومصايره) *

قد تقدّم لنا ان نسب عدنان الى اسمعيل عليه السلام باتفاق من النسابين وانّ الآباء بينه وبين اسمعيل غير معروفة وتنقلب فى غالب الامر مخلطة مختلفة بالقلة والكثرة فى العدد حسبما ذكرناه فأمّا نسبته اليه فصحيحة فى الغالب ونسب النبى صلى الله عليه وسلم منها الى عدنان صحيح باتفاق من النسابين وأمّا بين عدنان واسمعيل فبين الناس فيه اختلاف كثير فقيل من ولد نابت بن اسمعيل وهو عدنان بن أدد المقدّم ابن ناحور بن تنوخ بن يعرب بن يشجب بن نابت قاله البيهقى وقيل من ولد قيذار بن اسمعيل وهو عدنان بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار قاله الجرجانى على بن عبد العزيز النسابة وقيل عدنان بن أدد بن يشجب بن أيوب بن قيذار وروى ان قصى بن كلاب كان يومى شعره بالانتساب الى قيذار (ونقل) القرطبى عن هشام ابن محمد فيما بين عدنان وقيذار نحوا من أربعين أبا وقال سمعت رجلا من أهل تدمر من مسلمة يهود وممن قرأ كتبهم يذكر نسب معد بن عدنان الى اسمعيل من كتاب ارمياء النبى عليه السلام وهو يقرب من هذا النسب فى العدد والاسماء الا قليلا ولعل الخلاف انما جاء من قبل اللغة لانّ الاسماء ترجمت من العبرانية ونقل القرطبى عن الزبير بن بكار بسنده الى ابن شهاب فيما بين عدنان وقيذار قريبا من ذلك العدد ونقل عن بعض النسابين انه حفظ لمعد بن عدنان أربعين أبا الى اسمعيل وانه قابل ذلك بما عند أهل الكتاب فى نفسه فوجده موافقا وانما خالف فى بعض الاسماء قال واستمليته فأملاه علىّ ونقله الطبرى الى آخره (ومن النسابين) من يعدّ بين عدنان واسمعيل عشرين أو خمسة عشر ونحو ذلك وفى الصحيح عن أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال معد بن عدنان بن أدد بن زيد بن برا بن أعراق الثرا قالت أم سلمة وزيد هو الهميسع وبرا هو نبت أو نابت واعراق الثرى هو اسمعيل وقد تقدّم هذا أوّل الكتاب وانّ السهيلى ردّ تفسير أم سلمة وقال ليس المراد بالحديث عدّ الآباء بين معد واسمعيل وانما معناه معنى قوله فى الحديث الآخر أنتم بنو آدم وآدم من التراب وعضد ذلك باتفاق النسابين على بعد المدّة بين عدنان واسمعيل بحيث يستحيل فى العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو خمسة أو عشرة اذ المدّة أطول من هذا كله بكثير وكان لعدنان من الولد على ما قال الطبرى ستة الريب وهو عك وعرق وبه سميت عرق اليمن وأدوانى والضحاك وعبق وأمهم مهدد قال هشام بن محمد هى من جديس وقيل من طسم وقيل من الطواسيم من نسل لقشان ابن ابراهيم (قال الطبرى) ولما قتل أهل حضور شعيب بن مهدم نبيهم أوحى الله

الى

الى ارمياء وابرخيا من أنبياء بنى اسرائيل بأن يأمرا بختنصر يغزو العرب ويعلماه انّ الله سلطه عليهم وان يحملا معد بن عدنان الى أرضهم ويستنقذاه من الهلكة لما أراده من شأن النبوّة المحمدية فى عقبه كما مرّ ذلك من قبل فحملاه على البراق ابن اثنتى عشرة سنة وخلصا به الى حران فأقام عندهما وعلماه علم كتابهما وسار بختنصر الى العرب فلقيه عدنان فيمن اجتمع اليه من حضورا وغيرهم بذات عرق فهزمهم بختنصر وقتلهم أجمعين ورجع الى بابل بالغنائم والسبى وألقاها بالانبار ومات عدنان عقب ذلك وبقيت بلاد العرب خرابا حقبا من الدهر حتى اذا هلك بختنصر خرج معد فى أنبياء بنى اسرائيل الى مكة فحجوا وحج معهم ووجد أخويه وعمومته من بنى عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن وتزوّجوا فيهم وتعطف عليهم أهل اليمن بولادة جرهم فرجعهم الى بلادهم وسأل عمن بقى من أولاد الحرث بن مضاض الجرهمى فقيل له بقى جرهم بن جلهمة فتزوّج ابنته معانة وولدت له نزار بن معد (وأمّا) مواطن بنى عدنان هؤلاء فهى مختصة بنجد وكلها بادية رحالة الا قريشا بمكة ونجد هو المرتفع من جانبى الحجاز طوله مسيرة شهر من أوّل السروات التى تلى اليمن الى آخرها المطلة على أرض الشأم مع طول تهامة وأوّله فى أرض الحجاز من جهة العراق العذيب مما يلى الكوفة وهو ماء لبنى تميم واذا دخلت فى أرض الحجاز فقد انجدت وأوّله من جهة تهامة الحجاز حضن ولذلك يقال أنجد من رأى حضنا قال السهيلى وهو جبل متصل بجبل الطائف الذى هو أعلى نجد تبيض فيه النسور قال وسكانه بنو جشم بن بكر وهو أوّل حدود نجد وأرض تهامة من الحجاز فى قرب نجد مما يلى بحر القلزم فى سمت مكة والمدينة وتيما وأيلة وفى شرقها بينها وبين جبل نجد غير بعيد منها العوالى وهى ما ارتفع عن هذه الارض ثم تعلو عن السروات ثم ترتفع الى نجد وهى أعلاها والعوالى والسروات بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن الى الشأم كسروات الخيل تخرج من نجد منفصلة من تهامة داخلة فى بلاد أهل الوبر وفى شرقى هذا الجبل برية نجد ما بينه وبين العراق متصلة باليمامة وعمان والبحرين الى البصرة وفى هذه البرية مشاتى للعرب تشتو بها منهم خلق أحياء لا يحصيهم الا خالقهم (قال السهيلى) واختص بنجد من العرب بنو عدنان لم تزاحمهم فيه قحطان الا طيئ من كهلان فيما بين الجبلين سلمى وأجا وافترق أيضا من عدنان فى تهامة والحجاز ثم فى العراق والجزيرة ثم افترقوا بعد الاسلام على الاوطان (وأمّا) شعوبهم فمن عدنان عك ومعد فمواطن عك فى نواحى زبيد ويقال عك ابن الديث بالدال غير منقوطة والثاء مثلثة ابن عدنان ويقال أنّ عكا هذا هو ابن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله من بطون الازد ومن عك بن عدثان بنو عابق بن الشاهد بن علقمة بن عك بطن متسع كان منهم

فى الاسلام رؤساء وأمراء (وأما معد) فهو البطن العظيم ومنه تناسل عقب
عدنان كلهم وهو الذى تقدم الخبر عنه بأن أرمياء النبى من بنى اسرائيل
أوحى الله اليه أن يأمر بختنصر بالانتقام من العرب وأن يحمل معدا على البراق أن
تصيبه النقمة لانه مستخرج من صلبه نبيا كريما خاتما للرسل فكان كذلك ومن ولده
إياد ونزار ويقال وقنص وانمار فأما قنص فكانت له الامارة بعد أبيه على العرب
وأراد اخراج أخيه نزار من الحرم فأخرجوه أهل مكة وقدموا عليه نزارا ولما احتضر
قسم ماله بين ولديه فجعل لربيعة الفرس ولمضر القبة الحمراء ولانمار الحمار ولاياد عنده
من جلد من ولده الحلة والعصا ثم تحاكموا فى هذا الميراث الى أفعى نجران فى قصة معروفة
ليست من غرض الكتاب (وأما إياد) فتشعبوا بطونا كثيرة وتكاثر بنو اسمعيل
وانفرد بنو مضر بن نزار برياسة الحرم وخرج بنو اياد الى العراق ومضى انمار الى
السروات بعد بنيه فى اليمانية وهم خثعم وبجيلة ونزلوا بار يافه وكان لهم فى بلاد الاكاسرة
آثار مشهورة الى ان تابع لهم الاكاسرة الغزو وأبادوهم وأعظم ما بادمنهم سابور
ذو الاكتاف هو الذى استلحمهم وأفناهم (وأما نزار) ففيه البطنان العظيمان ربيعة
ومضر ويقال ان إيادا يرجعون الى نزار وكذلك انمار فأما ربيعة فديارهم ما بين الجزيرة
والعراق وهم ضبيعة وأسد ابنا ربيعة ومن أسد عنزة وجديلة ابنا أسد فعنزة بلادهم
فى عين التمر فى برية العراق على ثلاثة مراحل من الانبار ثم انتقلوا عنها الى جهات خيبر
فهم هنالك وورثت بلادهم غزية من طيئ الذين لهم الكثرة والامارة بالعراق لهذا
العهد ومن عنزة هؤلاء بافريقية حى قليل مع رياح من بنى هلال بن عامر ومنهم أحياء
مع طيئ ينتجعون ويشتون فى برية نجد (وأما جديلة) فمنهم عبد القيس وهنب ابنا أفصى
ابن دعمى بن جديلة فأما عبد القيس وكانت مواطنهم بتهامة ثم خرجوا الى البحرين
وهى بلاد واسعة على بحر فارس من غربيه وتتصل باليمامة من شرقيها وبالبصرة من
شماليها وبعمان من جنوبها وتعرف ببلاد هجر ومنها القطيف وهجر والعسير وجزيرة
أوال والاحساء وهجر هى باب اليمن من العراق وكانت أيام الاكاسرة من اعمال الفرس
وعمالهم وكان بها بشر كثير من بكر بن وائل وتميم فى باديتها فلما نزل معهم بنو عبد القيس
زاحموهم فى ديارهم تلك وقاسموهم فى الموطن ووفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وأسلموا ووفد منهم المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن نصر
ابن عمرو بن عوف بن جذيمة بن عوف بن انمار بن عمرو بن وديعة بن بكر وذكروا انه سيدهم
وقائدهم الى الاسلام فكانت له صحبة ومكانة من النبى صلى الله عليه وسلم ووفد أيضا
الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلى بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة وثعلبة

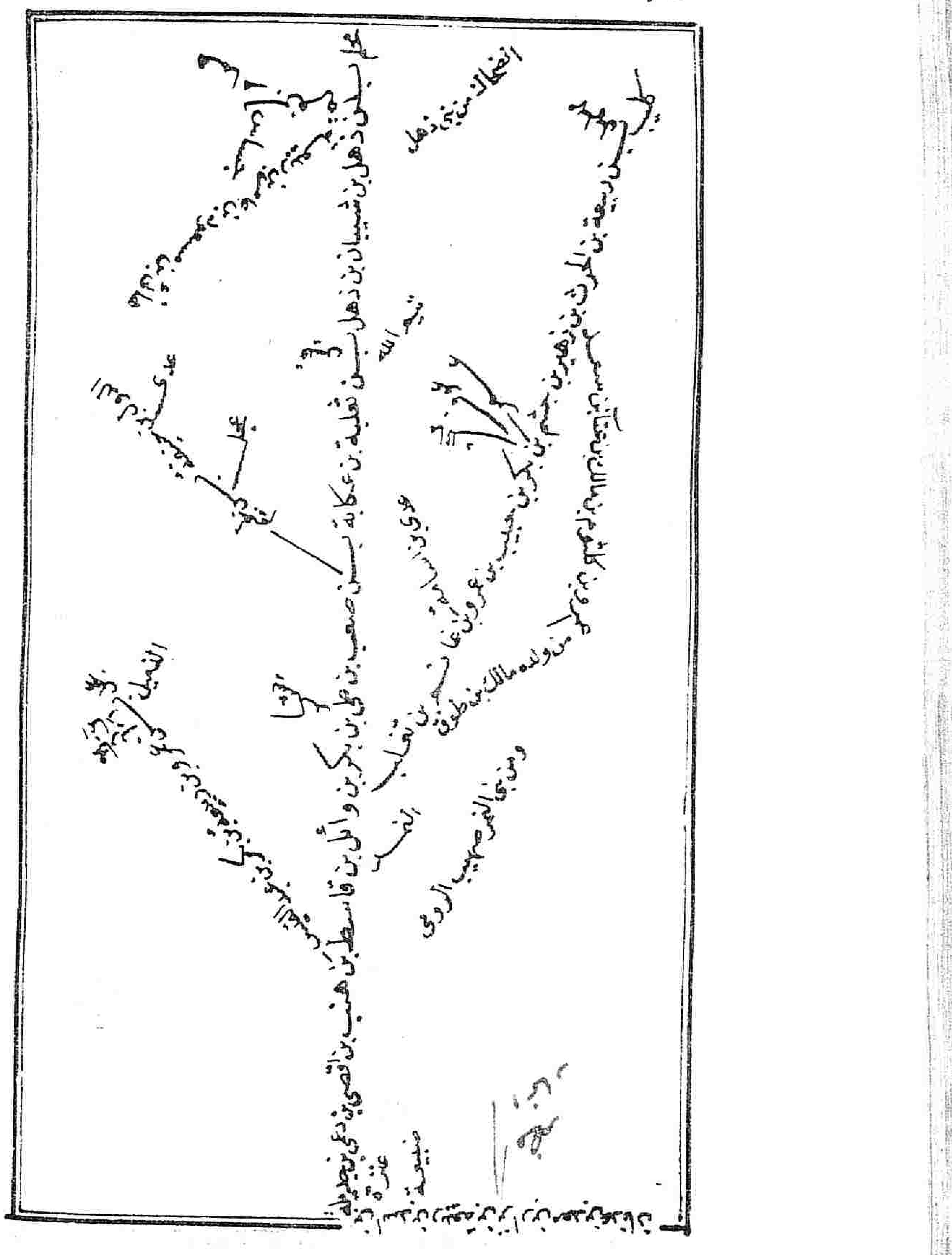
أخو عوف بن جذيمة وفد فى عبد القيس سنة تسع مع المنذر بن ساوى من بنى تميم وسيأتى
ذكره وكان نصرانيا فأسلم وكانت له أيضا صحبة ومكانة وكان عبد القيس هؤلاء من أهل
الردة بعد الوفاة وأمروا عليهم المنذر بن النعمان الذى قتل كسرى أباه فبعث
اليهم أبو بكر بن العلاء بن الحضرمى ففتح البحرين وقتل المنذر ولم تزل رياسة عبد القيس
فى بنى الجارود أولا ثم فى ابنه المنذر وولاه عمر على البحرين ثم ولاه على اصطخر ثم عبد الله
ابن زياد ولاه على الهند ثم ابنه حكيم بن المنذر وتردد على ولاية البحرين قبل ولاية العراق
(وأما هنب بن أفصى) فمنهم النمر ووائل ابنا قاسط بن هنب فأما بنو النمر بن قاسط
فبلادهم رأس العين ومنهم صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن
جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم المشهور وينسب الى الروم وكان سنان أبوه استعمله كسرى على
الابلة وكان لبنى النمر بن قاسط شأن فى الردة مذكور ومنهم ابن القرية المشهور
بالفصاحة أيام الحجاج ومنصور بن النمر الشاعر مادح الرشيد (وأما بنو وائل) فبطن عظيم
متسع أشهرهم بنو تغلب وبنو بكر بن وائل وهما اللذان كانت بينهما الحروب المشهورة
التى طالت فيما يقال أربعين سنة فلبنى تغلب شهرة وكثرة وكانت بلادهم بالجزيرة
الفراتية بجهات سنجار ونصيبين وتعرف بديار ربيعة وكانت النصرانية غالبة عليهم
لمجاورة الروم ومن بنى تغلب عمرو بن كلثوم الشاعر وهو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب
ابن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب وأمه هند بنت مهلهل
ومن ولده مالك بن طوق بن مالك بن عتاب بن زافر بن شريح بن عبد الله بن عمرو بن
كلثوم واليه تنسب رحبة مالك بن طوق على الفرات وعاصم بن النعمان عم عمرو بن
كلثوم هو الذى قتل شرحبيل بن الحرث الملك آكل المرار يوم الكلاب ومن بنى تغلب
كليب ومهلهل ابنا ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم وكان كليب سيد بنى تغلب وهو
الذى قتله جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان متزوجا باخته فرعت ناقة البسوس
فى حمى كليب فرماها بسهم فأثبتها وقتله جساس لان البسوس كانت جارته فقام أخو
كليب وهو مهلهل بن الحرث كمن برياسة تغلب وطلب بكر بن وائل بثار كليب
فاتصلت الحرب بينهم أربعين سنة وأخبارها معروفة وطال عمر مهلهل وتغرب الى اليمن
فقتله عبدان له فى طريقه وبنو شعبة الذين بالطائف لهذا العهد من ولد شعبة بن
مهلهل ومن تغلب الوليد بن طريف بن عامر الخارجى وهو من بنى صيفى بن حى بن عمرو
ابن بكر بن حبيب وهو الذى رثته أخته ليلى بقولها

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يريد العز الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
خفيف على ظهر الجواد الى الوغى * وليس على أعدائه بخفيف
فلو كان هذا الموت يقبل فدية * فديناه من ساداتنا بألوف

ومنهم بنو حمدان ملوك الموصل والجزيرة أيام المتقى ومن بعده من خلفاء العباسيين وسيأتى ذكرهم فى أخبار بنى العباس وهم بنو حمدان من بنى عدى بن أسامة بن غانم بن تغلب كان منهم سيف الدولة الملك المشهور (وأما بكر بن وائل) ففيهم الشهرة والعدد فنهم يشكر بن بكر بن وائل وبنو عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ومنهم بنو حنيفة وبنو عجل ابنى لجيم بن صعب ففى بنى حنيفة بطون متعددة أكثرهم بنو الدول ابن حنيفة فيهم البيت والعدد ومواطنهم باليمامة وهى من أوطان الحجاز كما هى نجران من اليمن والشرقى منها يوالى البحرين وبنى تميم والغربى يوالى أطراف اليمن والحجاز والجنوب نجران والشمالى أرض نجد وطول اليمامة عشرون مرحلة وهى على أربعة أيام من مكة بلاد نخل وزرع وقاعدتها حجر بالفتح وبها بلد اسمه اليمامة ويسمى أيضا جو باسم الزرقا وكانت مقر الملوك قبل بنى حنيفة واتخذ بنو حنيفة بعدها بلد حجر وبقى كذلك فى الاسلام وكانت مواطن اليمامة لبنى همدان بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير غلبوا على من كان بها من طسم وجديس وكان آخر ملوكهم بها فيما ذكره الطبرى قرط ابن يعفر ثم هلك فغلب عليها بعده طسم وجديس وكانت منهم الزرقا أخت رياح بن مرة ابن طسم كما تقدم فى أخبارهم ثم استولى على اليمامة آخرا بنو حنيفة وغلبوا عليها طسما وجديسا وكان ملكها منهم هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزى بن شحيم بن مرة ابن الدول بن حنيفة وتوجه كسرى وابن عمه عمرو بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزى قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين اباغ وكان منهم ثمامة بن اثال بن النعمان ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة ملك اليمامة عند المبعث وثبت عند الردة ومنهم الخارجى نافع بن الازرق بن قيس بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة واليه تنسب الازارقة ومنهم محلم بن سبيع بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة صاحب مسيلمة الكذاب وهو من بنى عدى بن حنيفة وهو مسيلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحرث بن عبد الحرث بن عدى وأخبار مسيلمة فى الردة معروفة وسيأتى الخبر عنها (وأما بنو عجل بن لجيم بن صعب) وهم الذين هزموا الفرس بعونة يوم ذى قار كما مر فنازلهم من اليمامة الى البصرة وقد دثروا وخلفهم اليوم فى تلك البلاد بنو عامر المنتفق بن عقيل بن عامر وكان منهم بنو أبى دلف العجلى كانت لهم دولة بعراق العجم يأتى ذكرها (وأما عكابة بن صعب بن على) بن بكر بن وائل فنهم تيم الله وقيس

ابنا ثعلبة بن عكابة وشيبان بن ذهل بن ثعلبة بطون ثلاثة عظيمة وأوسعها وأكثرها شعوبا بنو شيبان وكانت لهم كثرة فى صدر الاسلام شرقى دجلة فى جهات الموصل وأكثر أئمة الخوارج فى ربيعة منهم وسيدهم فى الجاهلية مرة بن ذهل بن شيبان كان له أولاد عشرة نسلوا عشرة قبائل أشهرهم همام وجساس وسادهما بعد ابيه (وقال ابن حزم) تفرع من همام ثمانية وعشرون بطنا (وأما) جساس فقتل كليبا زوج أخته وهو سيد تغلب حين قتل ناقة البسوس جارته وأقام ابن كليب عند بنى شيبان الى ان كبر وعقل ان جساسا خاله هو الذى قتل أباه فقتله ورجع الى تغلب فمن ولد جساس بنو الشيخ كانت لهم رياسة بآمد وانقطعت على يد المعتضد ومن بنى شيبان هانئ بن مسعود الذى منع حلقة النعمان من ابرويز لما كانت وديعة عنده وكان سبب ذلك يوم ذى قار وهو هانئ بن مسعود بن عامر بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ومنهم الضحاك بن قيس الخارجى الذى بويع أيام مروان بن محمد على مذهب الصفرية وملك الكوفة وغيرها وبايعه بالخلافة جماعة من بنى أمية منهم سليمان بن هشام بن عبد الملك وعبد الله ابن عمر بن عبد العزيز وقتله آخرا مروان بن محمد وهو الضحاك بن قيس بن الحصين بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد مناة بن أبى عمرو بن عوف بن ربيعة بن محلم بن ذهل بن شيبان وسيأتى الالمام بخبره ومنهم المثنى بن حارثة الذى فتح سواد العراق أيام أبى بكر وعمرو أخوه المعنى ابن حارثة منهم عمران بن حطان من أعلام الخوارج وهذا انقضاء الكلام فى ربيعة بن نزار والله المعين



(وأمّا مضر بن نزار) وكانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بنى عدنان وكانت لهم رياسة بمكة فيجمعهم نخذان عظيمان وهما خندف وقيس لانه كان له من الولد اثنان الياس وقيس عيلان عبد حضنه قيس فنسب اليه وقيل هو فرس وقد قيل ان عيلان هو ابن مضر واسمه الياس وان له ابنين قيس ودهم وليس ذلك بصحيح وكان لالياس ثلاثة من الولد مدركة وطابخة وقمعة لامرأة من قضاعة تسمى خندف فانتسب بنو الياس كلهم اليها وانقسمت مضر الى خندف وقيس عيلان فاما قيس فتشعبت الى ثلاث بطون من كعب وعمرو وسعد بنيه الثلاثة فمن عمرو بنو فهم وبنو عدوان ابنى عمرو بن قيس وعدوان بطن متسع وكانت منازلهم الطائف من أرض نجد نزلها بعد إياد العمالقة ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا الى تهامة وكان منهم عامر بن الظرب بن عمرو ابن عباد بن يشكر بن عدوان حكم العرب فى الجاهلية وكان منهم أيضا أبو سيارة الذى يدفع بالناس فى الموسم وعميلة بن الاعزل بن خالد بن سعد بن الحرث بن رابش بن زيد بن عدوان وبافريقية لهذا العهد منهم أحياء بادية بالقفر يظعنون مع بنى سليم تارة ومع رياح بن هلال بن عامر أخرى (ومن بنى فهم بن عمرو) فيما ذكر البيهقى بنو طرود بن فهم بطن متسع كانوا بأرض نجد وكان منهم الاعشى وليس منهم الآن بها أحد وبافريقية لهذا العهد حى يظعنون مع سليم ورياح وانقضى الكلام فى بنى عمرو بن قيس (وأمّا سعد بن قيس) فنهم غنىّ وباهلة وغطفان ومرة فأمّا غنى فهم بنو عمرو بن أعصر بن سعد وأمّا باهلة فنهم بنو مالك بن أعصر بن سعد صاحب خراسان المشهور ومنهم أيضا الاصمعى راوية العرب المشهور وهو عبد الملك بن على بن قريب بن عبد الملك ابن على بن اصمع بن مطر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد غانم بن قتيبة ابن معن بن مالك (وأمّا بنو غطفان بن سعد) فبطن عظيم متسع كثير الشعوب والبطون ومنازلهم بنجد مما يلى وادى القرى وجبلى طيئ ثم افترقوا فى الفتوحات الاسلامية واستولت عليها قبائل طيئ وليس منهم اليوم عمودة رحالة فى قطر من الاقطار الاما كان لفزارة ورواحة فى جوار هيب ببلاد برقة وبنو غطفان بطون ثلاثة * منهم اشجع بن ريث بن غطفان * وعبس بن بغيض بن ريث بن غطفان * وذبيان * فأمّا اشجع فكانوا عرب المدينة يثرب وكان سيدهم معقل بن سنان من الصحابة وكان منهم نعيم بن مسعود بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن أشجع الذى شتت جموع الاحزاب عن النبى صلى الله عليه وسلم الى آخرين مذكورين منهم وليس لهذا العهد منهم بنجد أحد الابقايا حوالى المدينة النبوية وبالمغرب الاقصى منهم حى عظيم الآن يظعنون مع عرب المعقل بجهات سجلماسة ووادى ملوية ولهم عدد وذكر * وأمّا بنو عبس فبيتهم فى بنى عدة بن

قطيعة كان منهم الربيع بن زياد وزير النعمان ثم اخوتهم بنو الحرث بن قطيعة كان منهم زهير بن جذيمة ابن رواحة بن ربيعة بن آزر بن الحرث سيدهم وكانت له السيادة على غطفان أجمع وله بنون أربعة منهم قيس ساد بعده على عبس وابنه زهير هو صاحب حرب داحس والغبرا فرسين كانت احداهما وهى داحس لقيس والاخرى وهى الغبرا لحذيفة ابن بدر سيد فزارة فأجرياهما وتشاحا فى الحكم بالسبق فتشاجرا وتحاربا وقتل قيس حذيفة ودامت الحرب بين عبس وفزارة وأخوة قيس بن زهير الحرث وشاس ومالك وقتل مالك فى تلك الحرب وكان منهم الصحابى المشهور حذيفة بن اليمانى بن حسل ابن جابر بن ربيعة بن جروة بن الحرث بن قطيعة ومن عبس بن جابر بنو غالب بن قطيعة ثم عنترة ابن معاوية بن شداد بن مراد بن مخزوم بن مالك بن غالب الفارس المشهور وأحد الشعراء الستة فى الجاهلية وكان بعده من أهل نسبه وقرابته الحطيئة الشاعر المشهور واسمه جرول بن أوس بن جوبة بن مخزوم وليس نجد لهذا العهد أحدا من بنى عبس وفى أحياء زغبة من بنى هلال لهذا العهد أحياء ينتسبون الى عبس فما أدرى من عبس هؤلاء أم هو عبس آخر من زغبة نسبوا اليه (وأمّا ذبيان بن بغيض) فلهم بطون ثلاثة مرة وثعلبة وفزارة فأمّا فزارة فهم خمسة شعوب عدى وسعد وشمخ ومازن وظالم وفى بدر بن عدى كانت رياستهم فى الجاهلية وكانوا يرأسون جميع غطفان ومن قيس واخوتهم بنو ثعلبة بن عدى كان منهم حذيفة بن بدر بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى ابن فزارة الذى راهن قيس بن زهير العبسى على جرى داحس والغبرا وكانت بسبب ذلك الحرب المعروفة ومن ولده عيينة بن حصن بن حذيفة الذى قاد الاحزاب الى المدينة وأغار على المدينة لاول بيعة أبى بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الاحمق المطاع (ومنهم) أيضا الصحابى المشهور سمرة بن جندب بن هلال بن خديج بن مرة بن خرق بن عمرو بن جابر بن خشين ذى الرأسين ابن لاى بن عصيم بن شمخ بن فزارة ومن بنى سعد بن فزارة يزيد بن عمرو بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد ابن عدى بن فزارة ولى العراقين هو وأبوه أيام يزيد بن عبد الملك ومروان بن محمد وهو الذى قتله المنصور بعد ان عاهده ومن بنى مازن بن فزارة هرم بن قطبة أدرك الاسلام وأسلم الى آخرين يطول ذكرهم ولم يبق نجد منهم أحد (وقال ابن سعيد) ان أبرق الحنان وأبانا من وادى القرى من معالم بلادهم وان جيرانهم من طىء مولدها لهذا العهد وان بأرض برقة منهم الى طرابلس قبائل رواحة وهيب وفزان (قلت) و بأفريقية والمغرب لهذا العهد أحياء كثيرة اختلطوا مع أهله فنهم مع المعقل بالمغرب الاقصى أحياء كثيرة لهم عدد وذكر بالمعقل الى الاستظهار بهم حاجة ومنهم مع بنى سليم بن منصور بافريقية

طائفة أخرى أحلاف لاولاد أبى الليل من شعوب بنى سليم يستظهرون بهم فى مواقف حروبهم ويولونهم على ما يتولونه للسلطان من أمور باديتهم نيابة عنهم شأن الوزراء فى الدول وكان من أشهرهم معن بن مطاعن وزير حمزة بن عمر بن أبى الليل أمير الكعوب بعده حسبما نذكره فى أخبارهم وربما يزعم بنو مرين أمراء الزاب لهذا العهد أنهم منهم وينتسبون الى مازن بن فزارة وليس ذلك بصحيح وهو نسب مصنون يتقرب به اليهم بعض البدو من فزارة هؤلاء طمعا فيما بأيديهم لمكانهم من ولاية الزاب والانفراد بجبايته ومصانعة الناس بوفرها فيلهجونهم بذلك ترفعا على أهل نسبهم بالحقيقة من الاثابج كما يذكر لكونه تحت أيديهم ومن رعاياهم (وأمّا بنو مرة بن عوف) بن سعد بن ذبيان فنهم هرم بن سنان بن غيظ بن مرة وهو سيدهم فى الجاهلية الذى مدحه زهير بن أبى سلمى ومنهم أيضا الفاتك وهو الحرث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ فتك بخالد بن جعفر ابن كلاب وشرحبيل بن الاسود بن المنذر وحصل ابن الحرث فى يد النعمان بن المنذر فقتله وشاعره فى الجاهلية النابغة زياد بن عمرو الذبيانى أحد الشعراء الستة ومنهم أيضا مسلم بن عقبة بن رباح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع قائد يزيد بن معاوية صاحب يوم الحرة على أهل المدينة الى آخرين يطول ذكرهم وهذا آخر الكلام فى بنى غطفان وبلادهم بنجد مما يلى وادى القرى وبها من المعالم أبنى والحاجر والهباءة وأبرق الحنان وتفرقوا على بلاد الاسلام فى الفتوحات ولم يبق لهم فى تلك البلاد ذكر ونزلت بها قبائل طىء وبانقضاء ذكرهم انقضى بنو سعد بن قيس (وأمّا خصفة بن قيس) فتفرع منهم بطنان عظيمان وهما بنو سليم بن منصور وهوازن بن منصور ولهوازن بطون كثيرة يأتى ذكرها ويلحق بهذين البطنين بنو مازن بن منصور وعددهم قليل وكان منهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نشيب بن وهب بن زيد بن مالك بن عبد عوف بن الحرث بن مازن الصحابى المشهور الذى بنى البصرة لعمر بن الخطاب واليه ينسب العتبيون الذين سادوا بخرسان ويلحق أيضا بنو محارب بن خصفة فأمّا بنو سليم فشعوبهم كثيرة منهم بنو ذكوان بن رفاعة بن الحرث بن رجاب الحارث بن بهثة بن سليم واخوتهم بنو عبس بن رفاعة الذين منهم عباس بن مرداس بن أبى عامر بن حارثة بن عبد عبس الصحابى المشهور الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فى المؤلفة قلوبهم ثم زاده حين غضب استقلالا لعطائه وأنشد الابيات المعروفة فى السير وكان أبوه مرداس تزوج الخنساء وولدت منه (ومن بنى سليم أيضا) بنو ثعلبة بن بهثة ابن سليم كان منهم عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى الاعور والى افريقية وجده أبو الاعور من قواد معاوية واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن

الاوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة والرود بن خالد بن حذيفة بن عمرو
ابن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة وكان على بنى سليم يوم الفتح وعمرو بن عتبة بن منقذ
ابن عامر بن خالد كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وأسلم ثالث
أبو بكر وبلال فكان يقول كنت يومئذ ربع الاسلام ومن بنى سليم أيضا بنو على
ابن مالك بن امرئ القيس بن بهثة وبنو عصية بن خفاف بن امرئ القيس وهما اللذان
لعنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بئر معونة وقتلهم اياهم ومن شعوب عصية
الشريد واسمه عمرو بن يقظة بن عصية (وقال ابن سعيد) الشريد بن رياح بن ثعلبة
ابن عصية الذين كانت منهم الخنساء واخواها صخر ومعاوية ابنا عمرو بن الحرث بن
الشريد والشريد بيت سليم فى الجاهلية قال ابن سعيد كان عمرو بن الشريد يمسك بيده
ابنيه صخرا ومعاوية فى الموسم فيقول أنا أبو خيرى مضر ومن أنكر فليغتبر فلا ينكر
أحد وابنته الخنساء الشاعرة وقد تقدم ذكرها وحضرت بأولادها حروب القادسية
وبنو الشريد لهذا العصر فى جملة بنى سليم فى افريقية ولهم شوكة وصولة ومنهم اخوة
عصية بن خفاف الذين كان منهم الخفاف كبير أهل الردة الذى أحرقه أبو بكر بالنار
واسمه اياس بن عبد الله بن اليل بن سلمة بن عميرة (ومن بنى سليم أيضا) بنو بهز بن امرئ
القيس بن بهثة كان منهم الحجاج بن علاط بن خالد بن نديرة بن حبتر بن هلال بن عبد ظفر
ابن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز الصحابى المشهور وابنه نصر بن حجاج الذى نفاه عمر عن
المدينة الى آخرين من سليم يطول ذكرهم قال ابن سعيد ومن بنى سليم بنو زغبة بن مالك
ابن بهثة كانوا بين الحرمين ثم انتقلوا الى المغرب فسكنوا بافريقية فى جوار اخوتهم بنى
ذياب بن مالك ثم صاروا فى جوار بنى كعب ومن بنى سليم بنو ذياب بن مالك ومنازلهم
ما بين قابس وبرقة يجاورون مواطن يعهب وبجهة المدينة خلق منهم يؤذون الحاج
ويقطعون الطريق وبنو سليمان بن ذياب فى جهة فزان وودان ورؤساء ذياب لهذا
العهد الجوارى ما بين طرابلس وقابس وبينهم بنو صابر والمحامد بنواحى فاس وبينهم
فى بنى رصاب بن محمود وسيأتى ذكرهم (ومن بنى سليم بنو عوف بن بهثة) ما بين
قابس وبلد العناب من افريقية وجرماهم مرداس وعلاق فأما مرداس فرياستهم
فى بنى جامع لهذا العهد وأما علاق فكان رئيسهم الاول فى دخولهم افريقية رافع
ابن حماد ومن أعقابه بنو كعب رؤساء سليم لهذا العهد بافريقية ومن بنى سليم بنو يعهب
ابن بهثة اخوة بنى عوف بن بهثة وهم ما بين السدرة من برقة الى العدوة الكبيرة ثم
الصغيرة من حدود الاسكندرية فأول ما يلى الغرب منهم بنو أحمد لهم اجدابية وجهاتها
وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون الى شماخ وقبائل شماخ لها عدد واسماء متمايزة ولها

العز

العز فى بيت لكونها جازت المحصب من بلاد برقة مثل المرج وطلميثا ودرنا وفى المشرق
عن بنى أحمد الى العقبة الكبيرة وأما الصغيرة فسال ومحارب والرياسة فى هذين
القبيلتين لبنى عزاز وهيب بخلاف سائر سليم لانها استولت على اقليم طويل خربت
مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية الا لاشياخها وتحت أيديهم خلق من البرابرة واليهود
زراعا وتجارا (وأما رواحة وفزارة اللذين فى بلاد هيب) فهم من غطفان وهذا آخر
الكلام فى بنى سليم بن منصور وكانت بلادهم فى عالية نجد بالغرب وخيبر ومنها حرة
بنى سليم وحرة النار بين وادى القرى وتيما وليس لهم الآن عدد ولا بقية فى بلادهم
وبافريقية منهم خلق عظيم كما يأتى ذكره فى أخبارهم عند ذكر الطبقة الرابعة من
العرب (وأما هوازن بن منصور) ففيهم بطون كثيرة يجمعهم ثلاثة أجرام كلهم
لبكر بن هوازن وهم بنو سعد بن بكر وبنو معاوية بن بكر وبنو منبه بن بكر فأما بنو سعد
ابن بكر وهم أظآر النبى صلى الله عليه وسلم أرضعته منهم حليمة بنت أبى ذؤيب ابن
عبد الله بن الحرث بن سحنة بن ناصرة بن عصية بن نصر بن أسعد وبنوها عبد الله وأنيسة
والشيما بنو الحرث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملاذ بن ناصرة وحصلت الشيما فى سبى
هوازن فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها الى قومها وكان فيها أثر عضة
عضها اياها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تحمله (فأما بنو منبه بن بكر فهم
ثقيف وهم بنو قسى بن منبه بطن عظيم متسع منهم بنو جهم بن ثقيف كان منهم عثمان
ابن عبد الله بن ربيعة بن حبيب بن الحرث بن مالك بن حطيط صاحب لوائهم يوم حنين
وقتل يومئذ كافرا وكان من ولده أمير الاندلس لسليمان بن عبد الملك وهو الحر بن عبد
الرحمن بن عبد الله بن عثمان ومنهم بنو عوف بن ثقيف ويعرفون بالاحلاف فمنهم بنو سعد
ابن عوف كان منهم عتبان بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الذى وضعته
ثقيف رهينة عند أبى مكسورة وأخوه معتب كان من بنيه عروة بن مسعود بن
معتب الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه داعيا الى الاسلام فقتلوه وهو
أحد عظيمى القريتين ومن بنيه أيضا الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن
مسعود بن عامر بن معتب صاحب العراقين لعبد الملك وابنه الوليد ومنهم يوسف بن
عمر بن محمد بن عبد الحكم والى العراقين لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وكثير
من قومه كانوا ولاة بالعراق والشأم واليمن ومكة ومن بنى معتب أيضا غيلان بن مسلمة
ابن معتب كانت له وفادة على كسرى ومنهم بنو غيرة بن عوف الذين منهم الاخنس بن
شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبى سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف
والحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج طبيب العرب وأبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن

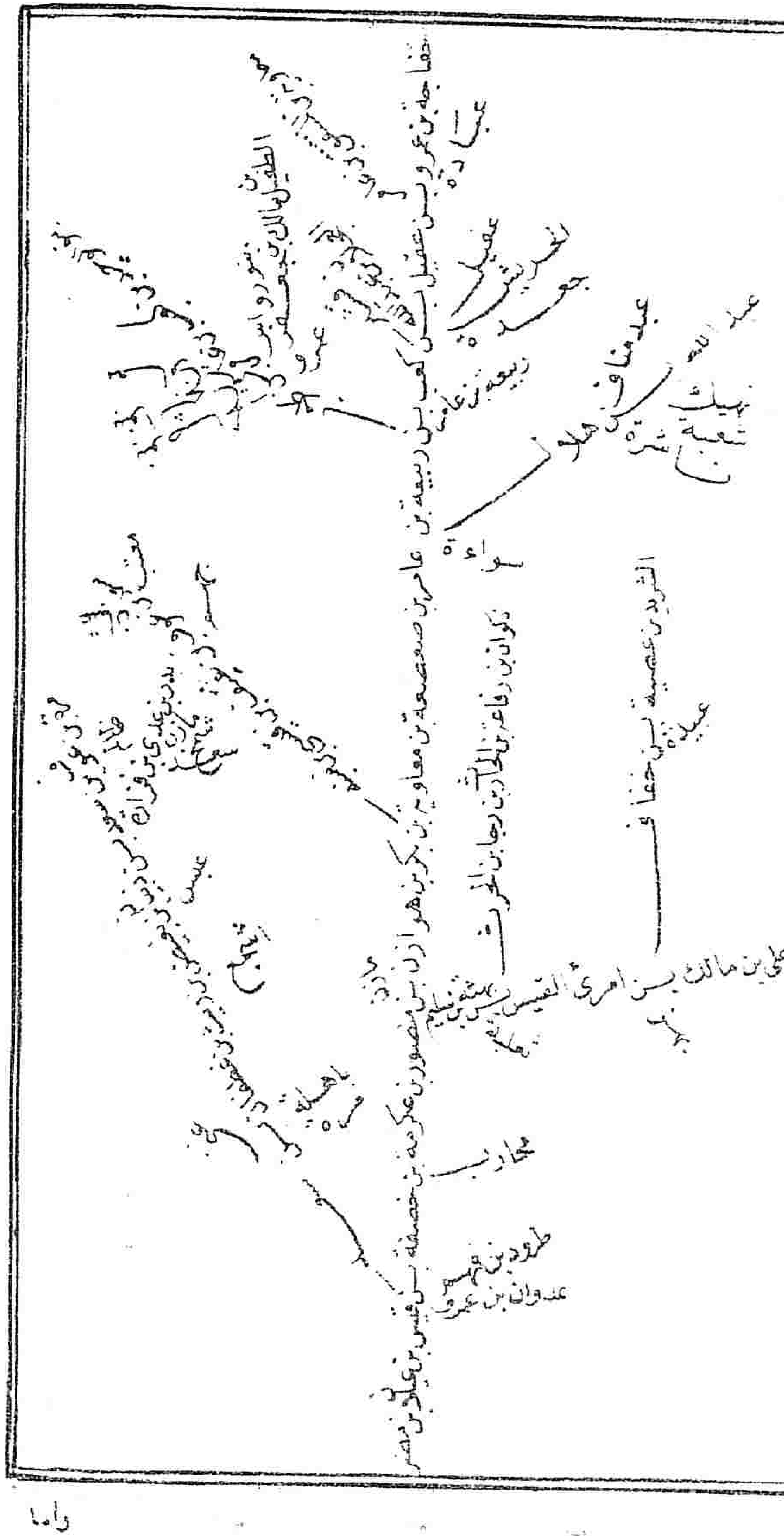
عوف بن غبيرة الصحابى المقتول يوم الجسر من أيام القادسية وابنه المختار بن أبى عبيد
الذى ادعى النبوة بالكوفة وكان عاملا عليها لعبد الله بن الزبير فانتقض عليه ودعا لمحمد بن
الحنفية ثم ادعى النبوة ومنهم أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير فى آخرين يطول ذكرهم
ومواطن ثقيف كانت بالطائف وهى مدينة من أرض نجد قريبا من مكة ثم جلس
فى شرقيها وشمالها وهى على قبة الجبل كانت تسمى واج وبوج وكانت فى الجاهلية
للعمالقة ثم نزلتها ثمود قبل وادى القرى ومن ثم يقال ان ثقيفا كانت من بقايا ثمود
ويقال ان الذى سكنها بعد العمالقة عدوان وغلبهم عليها ثقيف وهى الآن دارهم كذا
ذكره السهيلى ويقال انهم موال لهوازن ويقال انهم من إياد ومن أعمال الطائف
سوق عكاظ والعرج وعكاظ حجر بين اليمن والحجاز وكانت سوقها فى الجاهلية يوما
فى السنة يقصدها العرب من الاقطار فكانت لهم موسما (وأما بنو معاوية بن بكر
ابن هوازن ففيهم بطون كثيرة منهم بنو نصر بن معاوية الذين منهم مالك بن سعد بن عوف
ابن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر قائد المشركين يوم حنين
وأسلم وحسن اسلامه ومنهم بنو جشم بن معاوية ومن جشم غزية رهط دريد بن الصمة
ومواطنهم بالسروات وهى بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن الى الشأم
كسروات الجبل وسروات جشم متصلة بسروات هذيل وانتقل معظمهم الى الغرب
وهم الآن به كما يأتى ذكره فى الطبقة الرابعة من العرب ولم يبق بالسروات منهم الا من
ليس له صولة ومنهم بنو سلول ومنهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية وانما عرفوا بامهم
سلول وكانوا فى الغرب كثيرا وفى الغرب منهم كثير لهذا العهد ومنهم فيما يزعم العرب
بنو يزيد أهل وطن حمزة غربى بجاية وبعض أحياء بجبل عياض كما نذكر ومنهم بنو عامر بن
صعصعة بن معاوية جرم كبير من اجرام العرب لهم بطون أربعة نمير وربيعة وهلال
وسوأة فأما نمير بن عامر فهم احدى جمرات العرب وكانت لهم كثرة وعزة فى الجاهلية
والاسلام ودخلوا الى الجزيرة الفراتية وملكوا حران وغيرها واستلحمهم بنو العباس
أيام المعتز فهلكوا ودثروا وأما سوأة بن عامر فشعوبهم فى رباب من   ابن
سواة فمنهم جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن رباب الصحابى المشهور ومن بطن رباب
هؤلاء حى بافريقية يجمعون مع رياح بن هلال ويعرفون بهذا النسب كما يأتى فى أخبار
هلال من الطبقة الرابعة وأما هلال بن عامر فبطون كثيرة كانوا فى الجاهلية بنجد
ثم ساروا الى الديار المصرية فى حروب القرامطة ثم ساروا الى افريقية أجازهم الوزير
اليازورى فى خلافة المستنصر العبيدى لحرب المعز بن باديس فملك عليه ضواحى
افريقية ثم زاحمهم بنو سليم فساروا الى الغرب ما بين بونة وقسنطينة الى البحر المحيط

وكان

وكان لهلال خمسة من الولد شعبة وناشرة ونهيك وعبد مناف وعبد الله وبطونهم كلها
ترجع الى هؤلاء الخمسة فكان من بنى عبد مناف زينب أم المؤمنين بنت خزيمة بن الحرث
ابن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن عبد مناف وكان من بنى عبد الله ميمونة أم المؤمنين
بنت الحرث بن حزن بن بجير بن هرم بن رويبة بن عبد الله قال ابن حزم ومن بطون بنى
هلال بنو قرة وبنو نجعة الذين بين مصر وافريقية وبنو حرب الذين بالحجاز وبنو رياح
الذين أفسدوا افريقية (وقال ابن سعيد) وجبل بنى هلال مشهور بالشأم وقد صار
عربه حرائر وفيه قلعة صرخد مشهورة * قال وقبائلهم فى الغرب ترجع لهذا العهد
الى أثبج ورياح وزغبة وقارع فأما الاثبج فنهم سراح بجهة برقة وعياض بجبل القلعة
المسمى لهم ولغيرهم وأما رياح فبلادهم بنواحى قسنطينة والسلم والزاب ومنهم عتبة
بنواحى بجاية ومنهم بالغرب الاقصى خلق كثير كما يأتى فى أخبارهم وأما زغبة فانهم
فى بلاد زناتة خلق كثير وأما قارع فانهم فى الغرب الاقصى مع المعقل وقرة وجشم
وبنو قرة كانت منازلهم ببرقة وكانت رياستهم أيام الحاكم العبيدى لماضى ابن مقرب
ولما بايعوا لابى ركوة من بنى أمية بالاندلس وقتله الحاكم سلط عليهم العرب
والجيوش فأفنوهم وانتقل جلهم الى المغرب الاقصى فهم مع جشم هنالك كما يأتى ذكره
ويأتى الكلام فى نسب هلال وشعوبهم ومواطنهم بالمغرب الاوسط وافريقية عند
الكلام عليهم فى الطبقة الرابعة وأما بنو ربيعة بن عامر فبطون كثيرة وعامتها ترجع الى
ثلاثة من بنيه وهم عامر وكلاب وكعب وبلادهم بأرض نجد الموالية لتهامة بالمدينة
وأرض الشأم ثم دخلوا الى الشأم وافترق منهم على ممالك الاسلام فلم يبق منهم بنجد
أحد فمن عامر بن ربيعة بنو البكاء وهو ربيعة بن عامر بن ربيعة الذى اشترك ابنه جندح
مع خالد بن جعفر بن كلاب فى قتل زهير بن جذيمة العبسى وبنو ذى السهمين معاوية بن
عامر بن ربيعة وهو ذو الجرعوف بن عامر بن ربيعة وبنو فارس الضحياء عمرو بن عامر
ابن ربيعة منهم خداش بن زهير بن عمرو من فرسان الجاهلية وشعرائها وأما بنو كلاب
ابن ربيعة فمنهم بنو الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب وبنو ربيعة المجنون ابن عبد الله بن
أبى بكر بن كلاب وبنو عمرو بن كلاب (قال ابن حزم) يقال ان منهم بنى صالح
ابن مرداس امراء حلب ومن بنى كلاب بنو رواس واسمه الحرث بن كلاب وبنو
الضباب واسمه معاوية بن كلاب الذين منهم شمر بن ذى الجوشن بن الاعور بن معاوية
قاتل الحسين بن على ومن عقبه كان الصميل بن حاتم بن شمر وزير عبد الرحمن بن يوسف
الفهرى بالاندلس وبنو جعفر بن كلاب الذين منهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر
وعمه أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة وربيعة بن مالك وتبع المعتبرين وأبوه لبيد بن

ربيعة شاعر معروف مشهور وكانت بلاد بنى كلاب حمى ضرية والربذة فى جهات المدينة وفدك والعوالى وحمى ضرية هى حمى كليب وائل نباته النضر تسمن عليه الخيل والابل وحمى الربذة هو الذى أخرج عليه عثمان أباذر رضى الله عنهما ثم انتقل بنو كلاب الى الشأم فكان لهم فى الجزيرة الفراتية صيت وملك وملكوا حلب وكثيرا من مدن الشأم تولى ذلك منهم بنو صالح بن مرداس ثم ضعفوا فهم الآن تحت خفارة العرب المشهورين بالشأم وهنالك بالامارة من طىء (قال ابن سعيد) وكان لهم فى الاسلام دولة باليمامة ومن بنى كعب بن ربيعة) بطون كثيرة منهم الحريش بن كعب بطن كان منهم مطرف ابن عبد الله بن الشخير بن عوف بن وقدان بن الحريش الصحابى المشهور ويقال ان منهم ليلى التى شبب بها قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة الشاعر مادح النبى صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن الحشرج بن الاشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة ابن جعدة الذى غلب على ناب فارس أيام الزبير وعم امه زياد بن الاشهب الذى وفد على علىّ ليصلح بينه وبين معاوية ومالك بن عبد الله بن جعدة الذى أجار قيس بن زهير العبسى وبنو قشير بن كعب منهم مرة بن هبيرة بن عامر بن مسلمة الخير بن قشير وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فولاه صدقات قومه وكلثوم بن عياض بن رصوح بن الاعور ابن قشير الذى ولى افريقية وابن أخيه بلج بن بشر ومن بنى قشير بخراسان أعيان منهم أبو القاسم القشيرى صاحب الرسالة ومنهم عريسة الاندلس بنو رشيق ملكها منهم عبد الرحمن بن رشيق وأخرجها منها ابن عمارة ومنهم الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة وبنو العجلان بن عبد الله بن كعب وشاعرهم تميم بن مقبل وبنو عقيل بن كعب وهم بطون كثيرة منهم بنو المنتفق بن عامر بن عقيل ومن اعقاب بنى المنتفق هؤلاء العرب المعروفون فى الغرب بالخلط قال علىّ بن عبد العزيز الجرجانى الخلط بنو عوف وبنو معاوية ابنا المنتفق بن عامر بن عقيل انتهى (قال ابن سعيد) ومنازل المنتفق الآجام التى بين البصرة والكوفة والامارة منهم فى بنى معروف قلت والخلط لهذا العهد فى أعداد جشم بالمغرب ومن بنى عقيل بن كعب بنو عبادة بن عقيل منهم الاخيل واسمه كعب بن الرحال بن معاوية بن عبادة ومن عقبه ليلى الاخيلية بنت حذيفة بن سداد بن الاخيل (وذكر ابن قتيبة) ان قيس بن الملوح المجنون منهم وبنو عبادة هؤلاء لهذا العهد فيما قال ابن سعيد بالجزيرة الفراتية فيما يلى العراق ولهم عدد وذكر وغلب منهم على الموصل وحلب فى أواسط المائة الخامسة قريش بن بدران بن مقلد فملكها هو وابنه مسلم بن قريش من بعده ويسمى شرف الدولة وتوالى الملك فى عقب مسلم بن قريش منهم الى ان انقرضوا (قال ابن سعيد) ومنهم لهذا العهد بقية بين الحاز والزاب

يقال لهم عرب شرف الدولة ولهم احسان من صاحب الموصل وهم فى تجمل وعز الا أن عددهم قليل نحو مائة فارس ومن بنى عقيل بن كعب خفاجة بن عمرو بن عقيل وانتقلوا فى قرب من هذه العصور الى العراق والجزيرة ولهم ببادية العراق دولة ومن بنى عامر بن عقيل بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف وهم اخوة بنى المنتفق وهم ساكنون بجهات البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بنى أبى الحسن ملكوها من تغلب (قال ابن سعيد) وملكوا أرض اليمامة من بنى كلاب وكان ملكهم لعهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبنوه وقد انقضى الكلام فى بطون قيس عيلان والله المعين لا رب غيره ولا خير الا خيره وهو نعم المولى ونعم النصير وهو حسبى ونعم الوكيل واسأله الستر الجميل آمين



(وأمّا بطون خندف بن الياس بن مضر) ولد الياس مدركة وطابخة وقمعة وأمّهم امرأة من قضاعة اسمها خندف فانتسب ولد الياس كلهم اليها فمن بطون قمعة أسلم وخزاعة فأسلم بنو افصى بن عامر بن قمعة وخزاعة ابن عمرو بن عامر بن لحىّ وهو ربيعة ابن عامر بن قمعة واسمه حارثة وعمرو بن لحىّ هو أوّل من غيّر دين اسمعيل وعبد الاوثان وأمر العرب بعبادتها وفيه قال صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحىّ يجرّ قصبه فى النار يعنى أحشاءه ومواطنهم بانحاء مكة فى مرّ الظهران وما يليه وكانوا احلافا لقريش ودخلوا عام الحديبية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا ممّا صالح قريشا عليه ثم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فغزا قريشا وغلبهم على أمرهم وافتتح مكة وكان عام الفتح وقد يقال ان خزاعة هؤلاء من غسان وانهم بنو حارثة بن عمرو مزيقيا وانهم أقاموا بمرّ الظهران حين سارت غسان الى الشأم وتخزعوا عنهم فسموا خزاعة وليس ذلك بصحيح كما ذكر وكانت لخزاعة ولاية البيت قبل قريش فى بنى كعب بن عمرو بن لحىّ وانتهت الى حليل بن حبشية بن سلول وهو الذى أوصى بها لقصى بن كلاب حين زوّجه ابنته حبى بنت حليل ويقال ان أبا غبشان بن حليل واسمه المحترش باع الكعبة من قصى بزق خمر وفيه جرى المثل المعروف يقال اخسر صفقة من أبى غبشان ومن ولد حليل بن حبشية كان كرز بن علقمة بن هلال بن حرية بن عبد نهم بن حليل الذى قفا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى الغار ورأى عليه نسج العنكبوت وعش اليمامة ببيضها فرجعوا عنه ولخزاعة هؤلاء بطون كثيرة منهم بنو المصطلق بن سعد بن عمرو بن لحىّ وبنو كعب بن عمرو ومنهم عمران بن الحصين صحابى وسليمان بن صرد أمير التوابين القائمين بثار الحسين ومالك بن الهيثم من نقباء بنى العباس وبنو عدى بن عمرو ومنهم جويرية بنت الحارث أم المؤمنين وبنو مليح بن عمرو ومنهم طلحة الطلحات وكثير الشاعر صاحب عزة وهو ابن عبد الرحمن بن الاسود ابن عامر بن عويمر بن مخلد بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح وبنو عوف بن عمرو ومنهم العباد أهل الحيرة وهم بنو جهينة بن عوف ومن اخوة خزاعة بنو أسلم بن افصى بن عامر ابن قمعة وبنو مالك بن أفصى وملكان بن أفصى فمن أسلم سلمة بن الاكوع الصحابى ودعبل وبنو الشيص الشاعران ومحمد بن الاشعث قائد بنى العباس ومن ذلك مالك بن سليمان ابن كثير من دعاة بنى العباس قتله أبو مسلم (وأمّا طابخة فلهم بطون كثيرة أشهرها ضبة والرباب ومزينة وتميم وبطون صغار اخوة لتميم منهم صوفة ومحارب وأمّا تميم بن مر فهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة وانتشرت الى العذيب من أرض الكوفة وقد تفرّقوا لهذا العهد

في الحيرا ضرو لم تبق منهم باقية وورث منازلهم الحيان العظيمان بالمشرق لهذا العهد غزية من طي وخفاجة من بني عقيل بن كعب ولتميم بطون كثيرة منهم الحارث بن تميم وفيهم ينسب المسيب بن شريك الفقيه وهم قليل وبنو العنبر الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات وزفر الفقيه ابن ذهيل بن قيس بن مسلم بن قيس بن مكمل بن ذهل بن ذويب بن جذيمة بن عمرو بن جيجو بن جندب بن العنبر صاحب أبي حنيفة والناسك الفاضل عامر بن عبد قيس بن ثابت بن بشامة بن حذيفة بن معاوية بن الجون بن كعب بن جندب وربيعة بن رفيع بن سلمة بن محلم بن صلاة بن عبدة بن عدي بن جندب وبنو الهجيج بن عمرو بن تميم وبنو أسيد بن عمير وكان منهم أبو هالة هند بن زرارة ابن النباش بن عدي بن نمير بن أسيد الصحابي المشهور وحنظلة بن الربيع بن صيفي بن رياح ابن الحرث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم والحليم المشهور أكثم بن صيفي بن رياح ويحيى بن أكثم قاضي المأمون من ولد صيفي بن رياح وبنو مالك بن عمرو بن تميم منهم النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم ابن عبدة بن زهير بن عروة بن جميل بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك النحوي المحدث وسلم ابن أخوز بن أربد بن محرز بن لاي بن مهل بن ضباب بن حجبة بن كابية بن حرقوص ابن مازن بن مالك صاحب الشرطة لنصر بن سيار وقاتل يحيى بن زيد بن زين العابدين وأخوه هلال بن أخوز قاتل آل المهلب وقطري بن الفجاءة واسم الفجاءة جعونة بن يزيد بن زياد بن حنز بن كابية بن حرقوص الخارجي الازرقي سلم عليه بالخلافة عشرين سنة ومالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حسيل بن ربيعة بن كنانة بن حرقوص صاحب القصيدة المشهورة نعى بها نفسه وبعث بها الى قومه وهو في خراسان في بعث عثمان بن عفان وأولها

دعاني الهوى من أهل ودي ورفقتي * بذي الشبطين فالتفت ورائيا
يقولون لا تبعد وهم يدفنونني * وأين مكان البعد الا مكانيا

الشبطين مثنى شبط بتشديد الباء اهـ

وبنو عمرو بن العلاء بن عمار بن عدنان بن عبد الله بن الحصي بن الحرث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك وبنو الحرث بن عمرو بن تميم وهم الحبطات منهم عباد بن الحصين ابن يزيد بن أوس بن سيف بن عدم بن جبلة بن قمار بن سعد بن الحرث وهو الملقب بالحبط لعظم بطنه وبنو امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم وكان منهم زيد بن عدي بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عطية بن امرئ القيس صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة الذي سعى به الى كسرى حتى قتله ومقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن ابراهيم بن أيوب بن محروف صاحب قصر بني مقاتل بن منصور بالحيرة ولاهز بن قريط بن سري بن

الكاهن بن زيد بن عصية من دعاة بني العباس الذي قتله أبو مسلم لنذارته لنصر بن سيار وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم منهم الابناء كان منهم رؤبة بن العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر ابن كنيف بن عمير بن حي بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد وعبدة بن الطيب الشاعر وبنو منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة كان منهم قيس بن عاصم ابن سنان بن خالد بن منقر ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه وكان من ولده مية صاحبة ذي الرمة بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ومن بني منقر عمرو بن الاهتم صحابي وبنو مرة بن عبيد بن مقاعس منهم الاحنف بن قيس بن معاوية بن حصين ابن حفص بن عبادة بن النزال بن مرة وأبو بكر الابهري المالكي وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح بن عمرو بن حفص بن عمرو بن مصعب بن الزبير بن سعد بن كعب بن عبادة بن النزال وبنو صريم بن مقاعس منهم عبد الله بن أباض رئيس الاباضية من الخوارج وعبد الله بن صفار رئيس الصفرية والبرك بن عبد الله الذي اشترط بقتل معاوية وضربه بخرجه وبنو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة منهم ثم من بني بهدلة بن عوف الزبرقان واسمه الحصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة وأويس ابن اخيه حنظلة الذي أسر هوذة بن علي الحنفي ومن بني عطارد بن عوف كرب بن صفوان بن شجنة ابن عطارد الذي كان يجيز بأهل الموسم في الجاهلية ومن بني قريع بن عوف بن كعب جعفر الملقب أنف الناقة وكان ولده يغضبون منها الى أن مدحهم الحطيئة بقوله

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يسوي بانف الناقة الذنبا

وبنو الحرث الاعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة كان منهم زهرة بن حوية بن عبد الله ابن قتادة بن مرثد بن معاوية بن قطن بن مالك بن أرتم بن جشم بن الحرث الذي أبلى في القادسية وقتل الجالنوس أمير الفرس وقتله هو بعد ذلك أصحاب شبيب الخارجي مع عتاب بن ورقا وبنو مالك بن سعد بن زيد مناة كان منهم الاغلب بن سالم بن عقال بن خفافة بن عباد بن عبد الله بن محرث بن سعد بن حرام بن سعد بن مالك أبو الولاة بافريقية لبني العباس وبنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة كان منهم عروة بن جرير بن عامر بن عبد ابن كعب بن ربيعة أول خارجي قال لا حكم الا الله يوم صفين ويعرف بأن أباه نسبه الى أمه ومن بني حنظلة بن مالك البراجم وهم بنو عمرو والظلم وغالب وكلبة وقيس كلهم بنو حنظلة كان منهم ضابئ بن الحرث بن ارطاة بن شهاب بن عبيد بن جنادل بن قيس وابن عمير بن ضابئ الذي قتله الحجاج وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة كان منهم بعرائيه المشهورة وبنو الحرث بن يربوع منهم الزبير بن الماحور أمير الخوارج وأخوه عثمان وعلي وهم بنو بشير بن يزيد الملقب بالماحور بن الحارث بن ساحق بن الحرث بن سليط بن

يربوع وكلهم أمراء الازارقة وبنو كليب بن يربوع كان منهم جرير الشاعر ابن عطية بن
الخطفى وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب وبنو العنبر بن يربوع منهم كانت سجاح
المتنبئة بنت أوس بن جوين بن سامة بن عنبر وبنو رياح كان منهم شبث بن ربعى بن
حصين بن عميم بن ربيعة بن زيد بن رياح كان منهم رياح أسلم ثم سار مع الخوارج ثم
رجع عنهم تائبا ومعقل بن قيس أوفده عمار بن ياسر على عمر بفتح تستر وعتاب بن ورقا
ابن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح أمير أصبهان وقتله شبيب الخارجى وبنو طهية بن
مالك وهم بنو أبى سود وعوف ابنى مالك وبنو دارم بن مالك بن حنظلة كان منهم ثم من
بنى نهشل بن دارم بن حازم بن خزيمة بن عبد الله بن حنظلة نضلة بن حدثان بن مطلق بن
أصحر بن نهشل صاحب الشرطة لبنى العباس ومن بنى مجاشع بن دارم الاقرع بن حابس
ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع والفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال
والحتات بن يزيد بن علقمة الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن
أبى سفيان ومن بنى عبد الله بن دارم المنذر بن ساوى بن عبد الله بن زيد بن عبد مناة
ابن دارم صاحب هجر ومن بنى غرس بن زيد بن عبد الله بن دارم حاجب بن زرارة بن غرس
وابنه عطارد وبنوهم كان فيهم رؤساء وأمراء وانقضى الكلام فى تميم (وأما بنو مزينة)
وهم بنو مر بن أد بن طابخة بن الياس واسم ولده عثمان وأوس وأمهما مزينة فسمى
جميع ولديهما بها فكان منهم زهير بن أبى سلمى وهو ربيعة ابن أبى رباح بن قرة بن
الحرث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاطم بن عثمان أحد الشعراء
الستة وابناه بجير وكعب الذى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والنعمان بن مقرن
ابن عامر بن صبح بن هجيم بن نصر بن حبشية بن كعب بن عفراء بن ثور بن هرمة وأخوه
سويد الذى قتل يوم نهاوند ومعقل بن يسار بن عبد الله بن معير بن حراق بن لاى بن كعب
ابن عبد ثور الصحابى المشهور (وأما الرباب) وهم بنو عبد مناة بن أد بن طابخة فن بنيه
تيم وعدى وعوف وثور وسموا الرباب لانهم غمسوا فى الرب أيديهم فى حلف على بنى ضبة
وبلادهم جوار بنى تميم بالدهنا وفى أشعارهم ذكر حزوى وعالج من معالمهما وتفرقوا لهذا
العهد ولم يبق منهم أحد هنالك وكان من بنى تيم بن عبد مناة المستورد بن علقمة بن
الفريس بن صبارى بن نشبة بن ربيع بن عمرو بن عبد الله بن لوى بن عمرو بن الحرث
ابن تيم الخارجى قتله معقل بن قيس الرياحى فى امارة المغيرة بن شعبة وابن باخمة وردبن
مجالد بن علقمة حضر مع عبد الرحمن بن ملجم فى قتل على وقتل وقطام بنت بجنة بن عدى
ابن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تيم التى تزوجها عبد الرحمن بن ملجم
ومهرها قتل على فيما قيل حيث يقول

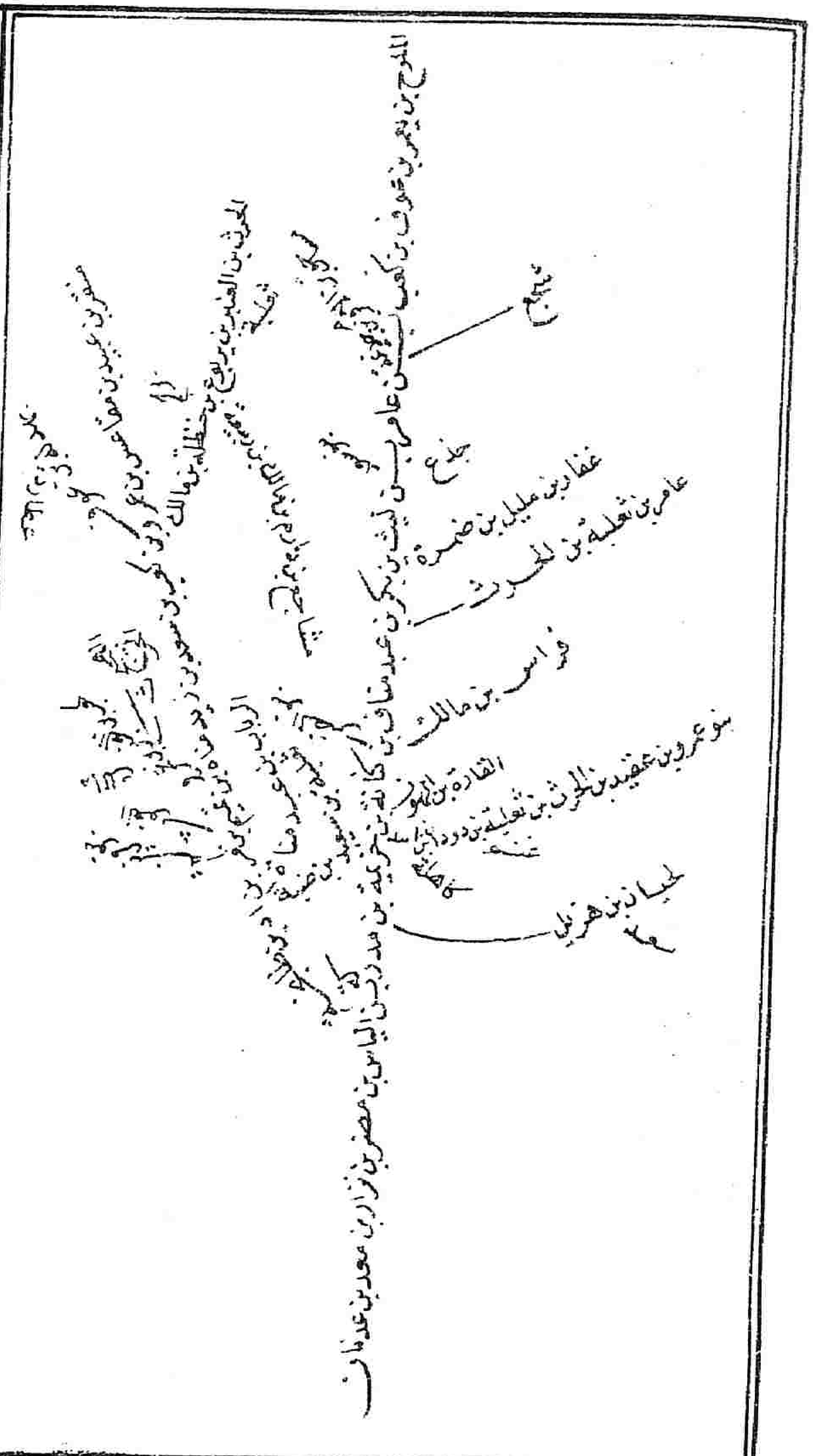
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم

وكانت خارجية وقتل أبوها شجنة وعمها الاخضر يوم النهروان ومن بنى عدى بن عبد
مناة ذى الرمة الشاعر وهو غيلان بن عقبة بن بهس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن
ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدى ومن بنى ثور
ابن عبد مناة ويسمى أطحل سفيان الثورى وهو سفيان بن سعيد بن مسروق بن
حبيب بن رافع بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن
ثور وأخواه عمر والمبارك والربيع بن خثيم الفقيه (وأما ضبة) فهم بنو ضبة بن أد
وكانت ديارهم جوار بنى تميم اخوتهم بالناحية الشمالية التهامية من نجد ثم انتقلوا
فى الاسلام الى العراق بجهة النعمانية وبها قتلوا المتنبى الشاعر فنهم ضرار بن عمرو
ابن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن أسعد بن ضبة سيد بنى ضبة
فى الجاهلية وبقيت سيادتهم فى بنيه وكان له ثمانية عشر ولدا ذكرا شهدوا معه يوم
القرنتين وابنه حصين كان مع عائشة يوم الجمل ومن ولده القاضى أبو شبرمة عبد الله
ابن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر بن ضرار بن عفنسة بن اسحق بن شمر بن عبس
ابن عفنسة بن شعبة بن المختبر بن عامر بن العباب بن حسل بن بجالة المذكور فى قواد
بنى العباس ولى مصر أيام المتوكل ويقال ان الديلم من بنى باسل بن ضبة بن أد والله أعلم
(وأما صوفة) فهم بنو الغوث بن مر بن أد كانوا يجيزون بالحاج فى الموسم لا يجوز أحد
حتى يجوزوا ثم انقرضوا عن آخرهم فى الجاهلية وورث ذلك آل صفوان بن شجنة من
بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وقد مر ذكر ذلك وانقضى بنو طابخة بن الياس (وأما مدركة
ابن الياس) فهم بطون كثيرة أعظمها هذيل والقارة وأسد وكنانة وقريش فأما هذيل
فهم بنو هذيل بن مدركة وديارهم بالسروات وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل
بالطائف ولهم أماكن ومياه فى أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة ومنها
الرجيع وبئر معونة وهم بطنان سعد بن هذيل ولحيان بن هذيل فن بنى سعد بن هذيل أبو
بكر الشاعر والحطيئة فيما يقال وعبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار
ابن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد الصحابى المشهور وأخواه عتبة وعميس
وبنوه عبد الرحمن وعتبة والمسعودى المؤرخ ابن عتبة وهو على بن الحسين بن على بن
عبد الله بن زيد بن عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ومن عتبة
أخيه عتبة بن عبيد الله بن زيد بن عتبة فقيه المدينة وقد افترقوا فى الاسلام على الممالك
ولم يبق لهم حى بطرف وبافريقية منهم قبيلة بنواحى باجة يعسكرون مع جند السلطان
ويؤدون المغرم (وأما بنو أسد) فهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بطن كبير متسع
ذو بطون وبلادهم فيما يلى الكرخ من أرض نجد وفى مجاورة طيىء ويقال ان بلاد

طئ كانت لبنى أسد فلما خرجوا من اليمن غلبوهم على أجا وسلمى وجاؤا واصطلحوا وتجاوروا لبنى أسد والتغلبية وواقصة وغاضرة ولهم من المنازل المسماة فى الاشعار غاضرة والنعف وقد تفرقوا من بلاد الحجاز على الاقطار ولم يبق لهم حى و بلادهم الآن فيما ذكر ابن سعيد لطيئ وبنى عقيل الامراء كانوا بأرض العراق والجزيرة وكانوا فى الدولة السلجوقية قد عظم أمرهم وملكوا الحلة وجهاتها وكان بها منهم الملوك بنو مزين الذين ألف الهبارى ارجوزته المعروفة به فى السياسة ثم اضمحل ملكهم بعد ذلك [illegible] بالعرق خفاجة وكانت بنو اسد بطونا كثيرة كان منها بنو [illegible] بن عمرو الملك والد امرئ القيس وبنو غنم بن دودان بن أسد منهم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم الذى أسلم ثم تنصر ومات نصرانيا وأخته زينب أم المؤمنين رضى الله عنها وعكاشة بن محصن بن حدثان بن قيس بن مرة بن كثير الصحابى المشهور وبنو ثعلبة بن دودان بن أسد منهم الكميت الشاعر ابن زيد بن الاخنس بن ربيعة بن امرئ القيس بن الحرث بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة وضرار بن الازور وهو مالك بن أويس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة الصحابى قاتل مالك بن نويرة والحضرمى بن عامر بن مجمع بن موالة بن همام بن صعب بن القيس بن مالك وافدهم على النبى صلى الله عليه وسلم وبنو عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان منهم الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين الذى سعى عند قيصر فى هلاك امرئ القيس وطليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الاشتر بن حجوان بن فقعس بن طريف بن عمرو الذى كان كاهنا وادعى النبوة ثم أسلم وفى بنى أسد بطون يطول ذكرها (وأما القارة وعضل) فهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس اخوة بنى أسد وكانوا حلفاء لبنى زهرة من قريش (وأما كنانة) فهم كنانة بن خزيمة بن مدركة اخوة بنى أسد وديارهم بجهات مكة وفيهم بطون كثيرة وأشرفها قريش وهم بنو النضر بن كنانة وسيأتى ذكرهم ثم بنو عبد مناة بن كنانة وبنو مالك بن كنانة فمن بنى عبد مناة بنو بكر وبنو مرة وبنو الحرث وبنو عامر ففى بنى بكر بنو ليث بن بكر منهم بنو الملوح بن يعمر وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ومنهم الصعب بن جثامة بن قيس بن الشداخ الصحابى المشهور والشاعر عروة بن أذينة بن يحيى بن مالك بن الحرث بن عبد الله ابن الشداخ ومنهم بنو شجع بن عامر بن ليث بن بكر ومنهم أبو واقد الليثى الصحابى وهو الحرث بن عوف بن أسيد بن جابر بن عديدة بن عبد مناة بن شجع وبنو سعد بن ليث بن بكر منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر بن خميس بن عدى ابن سعد آخر من بقى ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم مات سنة سبع ومائة وواثلة بن

الاسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن عبدة بن سعد الصحابى المشهور وبنو جذع بن بكر بن ليث بن بكر منهم أمير خراسان نصر بن سيار بن رافع بن عدى بن ربيعة بن عامر بن عوف بن جذع ورافع بن الليث بن نصر القائم بسمرقند أيام الرشيد بدعوة بنى أمية ثم استأمن الى المأمون ومن بنى عبد مناف بنو عريج بن بكر بن عبد مناف وبنو الديل بن بكر منهم الاسود بن رزق بن يعمر بن نافثة بن عدى بن الديل الذى كان بسببه فتح مكة وسارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدى ابن الديل الذى ناداه عمر فيما اشتهر من المدينة وهو بالعراق يقاتل وأبو الاسود واضع النحو وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندب بن يعمر بن حليس بن نافثة بن عدى وبنو ضمرة بن بكر منهم عامرة بن مخشى بن خويلد بن عبد بن نهم بن يعمر بن عوف ابن جرى بن ضمرة الذى وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن اياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جرى الصحابى والبراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جرى الفاتك قاتل عروة الرحال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب وكان بسببها حرب الفجار * ومن ضمرة غفار بن مليل بن ضمرة بطن كان منهم أبو ذر الغفارى الصحابى وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار وصاحبه كثير الشاعر الذى تشبب بعزة بنت جميل بن حفص بن اياس بن عبد العزى بن حاجب غافر بن غفار ومنهم كلثوم بن الحصين بن خالد بن معيسر بن بدر بن خميس بن غفار واستخلفه النبى صلى الله عليه وسلم على المدينة فى غزوة الفتح وبنو مدلج بن مرة بن عبد مناة منهم سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم بن مدلج الذى اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجعالة قريش ليرده فظهرت فيه الآية وصرفه الله تعالى عنه ومجزز المدلجى الذى سر النبى صلى الله عليه وسلم بقيافته فى اسامة وزيد وهو مجزز بن الاعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج وبنو عامر بن عبد مناة منهم بنو مساحق بن الافرم بن جذيمة بن عامر الذين قتلهم خالد بن الوليد بالغميصا ووداهم النبى صلى الله عليه وسلم وأنكر فعل خالد وبنو الحارث بن عبد مناة منهم الحليس بن علقمة بن عمرو بن الاوقح بن عامر بن جذيمة بن عوف بن الحارث الذى عقد حلف الاحابيش مع قريش واخوه تيم الذى عقد حلف القارة معهم وبنو فراس بن مالك ابن كنانة منهم فارس العرب ربيعة بن المكدم بن عامر بن خويلد بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فارس وبنو عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة منهم نسأة الشهور فى الجاهلية قام الاسلام فيهم على جنادة بن أمية بن عوف بن قلع بن جذيمة بن فقيم بن على بن عامر وكل من صارت اليه هذه المرتبة كان يسمى القلمس وأول من نسأ

الشهور سمير بن ثعلبة بن الحارث وكان منهم الرماحس بن عبد العزيز بن الرماحس
ابن الرسارس بن واقد بن وهب بن هاجر بن عمر بن واثلة بن الفاكه بن عمرو بن الحرث
ولاه عبد الرحمن الداخل حين جاء الى الاندلس على الجزيره وشذونة واستمع بها ثم زحف
اليه ففر الى العدوة وبها مات وكان له بالاندلس عقب ولهم فى الدولة الاموية ذكر
وولايات كان منها على الاساطيل فكان لهم فيها غناء وكانوا يغزون سواحل العبيد بين
بافريقية فتعظم نكايتهم فيها وهو وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لارب غيره
ولاخير الا خيره ولا يرجى الا اياه ولا معبود سواه وهو نعم المولى ونعم النصير
وأسأله الستر الجميل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين حمدا دائما
كثيرا والله ولى التوفيق



(وأما قريش) وهم ولد النضر بن كنانة بن فهر بن مالك بن النضر والنضر هو الذى
يسمى قريشا قيل للتقرش وهو التجارة وقيل تصغير قرش وهو الحوت الكبير المفترس
دواب البحر وانما انتسبوا الى فهر لان عقب النضر منحصر فيه لم يعقب من بنى النضر
غيره فهذا وجه القول بأن قريشا من بنى فهر بن مالك أعنى انحصار نسبهم فيه وأما
الذى اسمه قريش فهو النضر فولد فهر غالب والحارث ومحارب فبنو محارب بن فهر
من قريش الظواهر منهم الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن
شيبان بن محارب صاحب مرج راهط قاتل فيه مروان بن الحكم حين بويع له بالخلافة
وقتل وضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو آكل السقف ابن حبيب بن عمرو
ابن شيبان الفارس المشهور فى الصحابة وأبوه الخطاب بن مرداس سيد الظواهر
فى الجاهلية وكان يأخذ المرباع منهم وحضر حروب الفجار وابنه من فرسان الاسلام
وشعرائه وعبد الملك بن قطن بن نهشل بن عمرو بن عبد الله بن وهب بن سعد بن عمرو
آكل السقف شهد يوم الحرة وعاش حتى ولى الاندلس وصلبه أصحاب بلج بن بشر
القشيرى وكرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان قتل يوم الفتح
وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بنو الحرث بن فهر من الظواهر منهم أبو
عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهب بن ضبة بن الحرث من العشيرة
وأمير المسلمين بالشأم عند الفتح وعقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية
ابن ضرب بن الحرث فاتح افريقية ومؤسس القيروان بها ومن عقبه عبد الرحمن
ابن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة والى افريقية أبوه حبيب بن عقبة هو قاتل عبد العزيز
ابن موسى بن نصير ويوسف بن عبد الرحمن بن أبى عبيدة صاحب الاندلس وعليه دخل
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فقتله ووليها هو وبنوه من بعده (وأما
غالب بن فهر) وهو فى عمود النسب الكريم فولد تيم الادرم وولدين فبنو تيم الادرم
من الظواهر وهم بادية كان منهم ابن خطل الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله
يوم الفتح فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وهو هلال بن عبد الله بن عبد منات بن
أسعد بن جابر بن كبير بن تيم الادرم (وأما لؤى بن غالب) فى عمود النسب الكريم
فولد كعبا وعامرا وبطونا أخرى يختلف فى نسبها الى لؤى خزيمة وسامة وسعد وجشم
وهو الحارث وعوف وهم من قريش الظواهر على أقل فمنهم خزيمة بن لؤى وبنو سامة
ابن لؤى ويقال ليس بنو سامة من قريش وهم بعمان ويقال ان منهم بنى سامان ملوك
ماوراء النهر فأما بنو عامر بن لؤى فهم شقيرحسل بن عامر ومعيص بن عامر فمن
بنى معيص بشر بن ارطاة وهو عمير عمران بن الحليس بن يسار بن نزار بن معيص بن

عامر وهو أحد قواد معاوية ومكرز بن حفص بن الاحنف بن علقمة بن عبد الحارث
ابن منقذ بن عمرو بن معيص من سادات قريش الذى أجار أبا جندل بن سهيل فرده
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عمرو بن قيس بن زايدة بن جندب الاصم ابن هرم بن
رواحة بن حجر بن عبد معيص وهو ابن خال خديجة وأمه أم كلثوم عاتكة بنت عبد الله
ابن عنكثة بن عامر بن مخزوم (ومن بنى حسل) عامر بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح
ابن الحارث بن جبيب بن خزيمة بن مالك بن حسل بن عامر أمير المسلمين فى فتح افريقية
أيام عثمان وولى مصر وكان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى مكة ثم جاء
تائبا وحسنت حاله وقصته معروفة وحويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن
نصر بن مالك بن حسل له صحبة وعبد عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك
صاحب الحديبية وأخوه السكران وابنه أبو جندل سهيل واسمه العاصى وهو
الذى جاء فى قيوده يوم صلح الحديبية الى النبى صلى الله عليه وسلم فرده وقصته معروفة
وزمعة بن قيس بن عبد شمس وابنه عبد بن زمعة وبنته سوده بنت زمعة أم المؤمنين
وكانت زوجة السكران ابن عمها ثم تزوجها بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأما
كعب بن لؤى) وهو فى عمود النسب الكريم فولد مرة وهصيص وعدى وهم قريش
البطاح أى بطائح مكة فمن ابن كعب هصيص بن كعب بن لؤى بن سهم بن عمرو بن هصيص
ابن كعب منهم العاصى بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم وابناه عمرو وهشام ابنا
العاصى وعبد الرحمن بن معيص بن أبى وداعة وهو الحارث بن سعيد بن سعد بن سهم
قارى أهل مكة واسمعيل بن جامع بن عبد المطلب بن أبى وداعة مفتى مكة ونبيه ومنبه
ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم قتلا يوم بدر كافرين وألقيا فى القليب وقتل
يومئذ العاصى بن منبه وكان له ذو الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله
ابن الزبعرى بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم كان يؤذى بشعره ثم أسلم وحسن اسلامه
وحذافة بن قيس أبو الاخنس وخنيس وكان خنيس على حفصة قبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعبد الله بن حذافة من مهاجرة الحبشة وهو الذى مضى بكتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى كسرى وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب كان منهم أمية بن خلف
ابن وهب بن حذافة قتل يوم بدر وأخوه أبى قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد
بيده وابنه صفوان بن أمية أسلم يوم الفتح وابنه عبد الله بن صفوان قتل مع الزبير وعثمان
ابن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة واخوته قدامة والسائب وعبد الله مهاجرون
بدريون واختهم زينب بنت مظعون أم حفصة (وبنو عدى بن كعب) منهم زيد بن
عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن زراح بن عدى * رفض

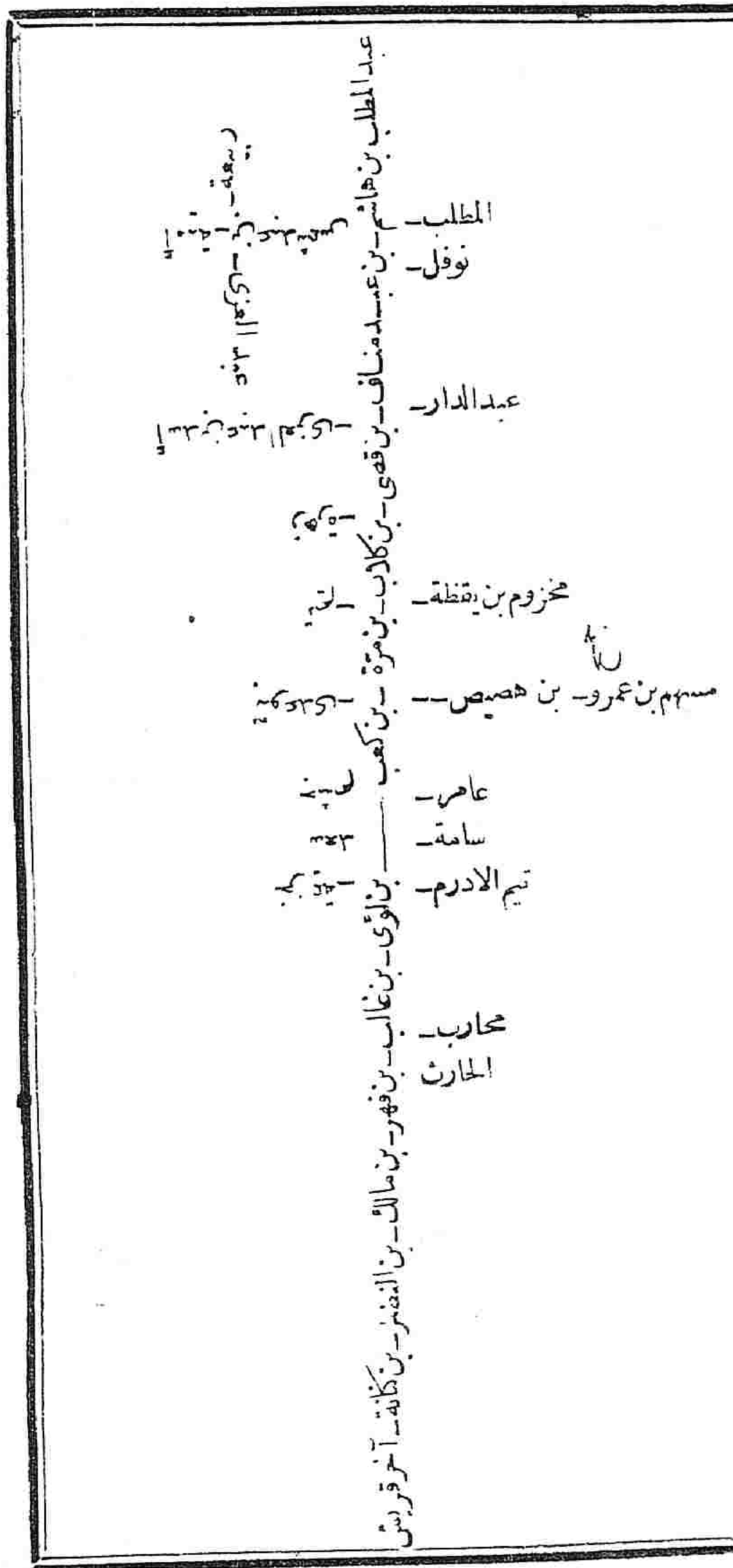
الاوثان فى الجاهلية والتزم الحنيفية ملة ابراهيم الى أن قتل بقرية من قرى البلقاء قتله
لخم أو جذام وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة (وعمر الخطاب) أمير
المؤمنين وابنه عبد الله وعاصم وعبيد الله وغيرهم وخارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن
عبد الله بن عويج بن عدى بن كعب الذى قتله الحرورى بمصر يظنه عمرو بن العاصى
وقال أردت عمرا وأراد الله خارجة فصارت مثلا وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم صاحب
النفل يوم حنين ومطيع بن الاسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج صحابى
وابنه عبد الله بن مطيع كان على المهاجرين يوم الحرة قتل مع ابن الزبير بمكة (وأما مرة
ابن كعب) وهو من عمود النسب الكريم فكان له من الولد كلاب وتيم ويقظة فاما
تيم بن مرة فنهم عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم سيد قريش
فى الجاهلية وتنسب اليه الدار المشهورة يومئذ بمكة (ومنهم أبو بكر الصديق) واسمه
عبد الله بن أبى قحافة وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب وابناه عبد الرحمن ومحمد*
وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب قتل يوم الجمل وابنه محمد السجاد
وأعقابهم كثيرة (وبنو يقظة بن مرة) منهم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة فنهم صيفى بن
أبى رفاعة وهو أمية بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قتل هو وأخوه ببدر كافرا
والارقم بن أبى الارقم واسمه عبد مناف بن أبى جندب واسمه أسد بن عبد الله بن عمرو
ابن مخزوم صحابى بدرى كان يجتمع بداره النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون سرا قبل أن
يفشو الإسلام وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
من قدماء المهاجرين كان زوج أم سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم والفاكه بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم واسمه أبو قيس قتل يوم بدر كافرا وأبو جهل بن هشام بن
المغيرة واسمه عمرو قتل يومئذ كافرا وابنه عكرمة صحابى والحارث بن هشام بن المغيرة
أسلم وحسن اسلامه وله عقب كثير مشهورون وأبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة قتل يوم
بدر كافرا وبنته أم سلمة أم المؤمنين وهشام بن أبى حذيفة من مهاجرة الحبشة وعبد الله
ابن أبى ربيعة وهو عمرو بن المغيرة من الصحابة من ولده الحارث بن عبد الله بن أبى
ربيعة المعروف بالقباع والوليد بن المغيرة مات بمكة كافرا وابنه خالد بن الوليد سيف
الله صاحب الفتوحات الاسلامية وسعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن
عائذ بن عمران بن مخزوم تابعى وأبوه المسيب من أهل بيعة الرضوان (وأما كلاب بن
مرة) من عمود النسب الكريم فولد له قصى وزهرة فبنو زهرة بن كلاب منهم آمنة بنت
وهب بن عبد مناف بن زهرة أم النبى صلى الله عليه وسلم وابن أخيها عبد الله بن الارقم
ابن عبد يغوث بن وهب وسعد بن أبى وقاص واسمه مالك بن وهب بن عبد مناف أمير

المسلمين

المسلمين فى فتح العراق وهاشم ابن أخيه عتبة من الامراء يومئذ وابنه عمرو بن سعيد الذى
بعثه عبد الله بن زياد لقتال الحسين وقتله المختار بن أبى عبيد وأخوه محمد بن سعد قتله
الحجاج بن أبى الاشعث والمسور بن مخرمة بن نوفل بن وهب صحابى وأبوه من المؤلفة
قلوبهم وعبد الله بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة وابنه سلمة وله عقب
كثير (وأما قصى بن كلاب) من عمود النسب الكريم وهو الذى جمع أمر قريش
وأثل مجدهم فولد له عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى فبنو عبد الدار كان منهم النضر
ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار أسر يوم بدر مع المشركين
ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومر بالصفراء أمر به فضرب عنقه
هنالك ومصعب بن عمرو بن هاشم بن عبد مناف صحابى بدرى استشهد يوم أحد وكان
صاحب اللواء ومن عقبه كان عامر بن وهب القائم بسرقسطة من الاندلس بدعوة أبى
جعفر المنصور وقتله يوسف بن عبد الرحمن الفهرى أمير الاندلس قبل عبد الرحمن
الداخل ومنهم أبو السنابل بن بعكك بن السباق بن عبد الدار صحابى مشهور ومنهم عثمان
ابن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الذى دفع اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح مفتاح الكعبة وقيل انما دفعه الى أخيه شيبة وصارت حجابة البيت الى بنى
شيبة بن طلحة من يومئذ وبنو عبد العزى بن قصى منهم أبو البخترى العاصى بن هاشم بن
الحارث بن أسد بن عبد العزى أراد التملك على قريش من قبل قيصر فنعوه فرجع عنهم
الى الشأم وسجن من وجد بها من قريش وكان فى جملتهم أبو أحيحة سعيد بن العاصى
فدست قريش الى عمرو بن جفنة الغسانى فسم عثمان بن الحويرث ومات بالشأم وهبار
ابن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى كان من عقبه عمر بن عبد العزيز بن المنذر
ابن الزبير بن عبد الرحمن بن هبار صاحب السند وليها فى ابتداء الفتنة إثر قتل المتوكل
وتداول أولاده ملكها الى ان انقطع أمرهم على يد محمود بن سبكتكين صاحب غزنة
وما دون النهر من خراسان وكانت قاعدتهم المنصورة وكان جده المنذر بن الزبير قد
قام بقرقيسيا أيام السفاح فأسر وصلب واسماعيل بن هبار قتله مصعب بن عبد الرحمن
غيلة وهبار كان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ثم اتبه عوف أسلم فدحه وحسن اسلامه
وعبد الله بن زمعة بن الاسود له صحبة وتزوج زينب بنت أبى سلمة من أم سلمة أم المؤمنين
وخديجة أم المؤمنين بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى والزبير بن العوام بن خويلد
احد العشرة وابناه عبد الله ومصعب وحكيم بن حزام بن خويلد عاش ستين سنة فى
الاسلام وباع داره الندوة من معاوية بمائة ألف وابنه هشام بن حكيم (وأما عبد مناف)
وهو صاحب الشوكة فى قريش وسنام الشرف وهو فى عمود النسب الكريم فولد له عبد

شمس وهاشم والمطلب ونوفل وكان بنو هاشم وبنو عبد شمس متقاسمين رياسة بنى عبد مناف والبقية أحلاف لهم فبنو المطلب أحلاف لبنى هاشم وبنو نوفل أحلاف لبنى عبد شمس فأما بنو عبد شمس فنهم العبلات وهم بنو أمية الاصغر وبنته الثريا صاحبة عمرو ابن أبى ربيعة وهى سيدة القريض المغنى وبنو ربيعة بن عبد شمس منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ومن عتبة ابنه الوليد وقتل يوم بدر كافرا وأبو حذيفة صحابى وهو مولى سالم قتل يوم اليمامة وهند بنت عتبة أم معاوية رضى الله عنها وبنو عبد العزى بن عبد شمس منهم أبو العاصى بن الربيع بن عبد العزى صهر النبى وكانت له منها أمامة تزوجها على بعد فاطمة رضى الله عنهما (وبنو أمية الاكبر ابن عبد شمس منهم سعيد بن أبى أحيحة العاصى ابن أمية مات كافرا وابنه خالد بن سعيد قتل يوم اليرموك وسعيد بن العاصى ابن سعيد قديم الاسلام ولى صنعاء واستشهد فى فتح الشأم وابنه سعيد قتل يوم اليرموك وسعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية ولى الكوفة لعثمان وابنه عمرو الاشدق القائم على عبد الملك وقتله وأمير المؤمنين عثمان بن عفان بن العاصى بن أمية ومروان ابن الحكم بن أبى العاصى وأعقابه الخلفاء الاولون فى الاسلام والملوك بالاندلس معروفون يأتى ذكرهم عند أخبار دولهم وأبو سفيان بن حرب بن أمية وأبناؤه معاوية أمير المؤمنين ويزيد وحنظلة وعتبة وأم حبيبة أم المؤمنين وعقب معاوية بن الخلفاء والاسلام بين معروف يذكر عند ذكرهم وعتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة اذ فتحها فلم يزل عليها الى ان مات يوم ورود الخبر بموت أبى بكر الصديق ومنهم بنو أبى الشوارب القضاة ببغداد من عهد المتوكل الى المقتدر وهم بنو أبى عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العاص وعقبة بن أبى معيط واسمه أبان بن عمرو بن أمية قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر صبرا وابنه الوليد صحابى ولى الكوفة وهو الذى حد على الخمر بين يدى عثمان وابنه أبو قطيفة الشاعر ومن عقبة ابن أبى معيط المعيطى الذى بويع بدانية من شرق الاندلس بايع له ملكها مجاهد زمان الفتنة بعد المائة الرابعة فى آخر الدولة الاموية وهو عبد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عثمان بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عقبة بن أبى معيط وبنو نوفل بن عبد مناف منهم جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل الصحابى المشهور وأبو مطعم هو الذى نوه به النبى صلى الله عليه وسلم يوم الطائف ومات قبل بدر وطعيمة بن عدى قتل يوم بدرا كافرا ومولاه وحشى هو الذى قتل يوم أحد حمزة بن عبد المطلب وبنو المطلب بن عبد مناف منهم قيس بن مخرمة بن المطلب صحابى وابنه عبد الله بن قيس مولى يسار جد محمد بن اسحق بن يسار صاحب

المغازى ومسطح وهو عوف بن اثاثة بن عباد بن المطلب أحد من تكلم بالافك وهو ابن خالة أبى بكر الصديق وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب كان من أشد الرجال وصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه وكانت آية من آياته والسائب ابن عبد يزيد وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر يوم بدر ومن عقبه الشافعى محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب (وأما بنو هاشم) ابن عبد مناف فسيدهم عبد المطلب بن هاشم ولم يذكر من عقبه الاعقب عبد المطلب هذا وكان بنوه عشرة عبد الله أبو النبى صلى الله عليه وسلم وهو أصغرهم وحمزة والعباس وأبو طالب والزبير والمقوم ويقال اسمه الغيداق وضرار وحجل وأبو لهب وقثم والزبير لا عقب لهما وعقب حمزة انقرض فيما قال ابن حزم ومن عقب أبى لهب ابنه عتبة صحابى (وأما عقب العباس وأبى طالب) فأكثر من أن يحصروا والبيت والشرف من بنى العباس فى عبد الله بن العباس ومن بنى ابى طالب فى على أمير المؤمنين وبعده أخوه جعفر رضى الله عنهم أجمعين وسنذكر من مشاهيرهم عند ذكر أخبارهم ودولهم ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى * هذا آخر الكلام فى انساب قريش وانقضى بتمامها الكلام فى أنساب مضر وعدنان فلنرجع الآن الى اخبار قريش وسائر مضر وما كان لهم من الدول الاسلامية والله المستعان لا رب غيره ولا خير الا خيره ولا معبود سواه ولا يرجى الا اياه وهو حسبى ونعم الوكيل وأسأله الستر الجميل



(الخبر عن قريش من هذه الطبقة وملكهم بمكة وأولية أمرهم وكيف صار الملك اليهم فيها ممن قبلهم من الامم السابقة)

قد ذكروا عند الطبقة الاولى أن الحجاز وا كاف العرب كانت ديار العمالقة من ولد عمليق بن لاوذ وانهم كان لهم ملك هنالك وكانت جرهم أيضا من تلك الطبقة من ولد يقطن بن شالخ بن ارفخشد وكانت ديارهم اليمن مع اخوانهم حضرموت وأصاب اليمن يومئذ قحط ففروا نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى وعثروا في طريقهم باسمعيل مع أمه هاجر عند زمزم وكان من شأنه وشأنهم معه ماذكرناه عند ذكر ابراهيم عليه السلام ونزلوا على قطورا من بقية العمالقة وعليهم يومئذ السميدع بن هوثر بثاء مثلثة ابن لاوى ابن قطورا بن ذكر بن عملاق أو عمليق واتصل خبر جرهم من ورائهم من قومهم باليمن وما أصابوا من النجعة بالحجاز فلحقوا بهم وعليهم مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنء بن نبت بن جرهم فنزلوا على مكة بقعيقعان وكانت قطورا أسفل مكة وكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها والسميدع من أسفلها هكذا عند ابن اسحق والمسعودي ان قطورا من العمالقة وعند غيرهما ان قطورا من بطون جرهم وليسوا من العمالقة ثم افترق أمر قطورا وجرهم وتنافسوا الملك واقتتلوا وغلبهم المضاض وقتل السميدع وانقضت العرب العاربة قال الشاعر

مضى آل عملاق فلم يبق منهمو * حقير ولاذ وعزة متشاوس

عتوا فادال الدهر منهم وحكمه * على الناس هذا واغد و مبايس

ونشأ اسمعيل صلوات الله عليه بين جرهم وتكلم بلغتهم وتزوج منهم حرا بنت سعد بن عوف بن هنء بن نبت بن جرهم وهي المرأة التي أمره أبوه بطلاقها لما زاره ووجده غائبا فقال لها قولي لزوجك فليغير عتبته فطلقها وتزوج بنت أخيها امامة بنت مهلهل بن سعد ابن عوف ذكر هاتين المرأتين الواقدي في كتاب انتقال النور وتزوج بعدهما السيدة بنت الحرث بن مضاض بن عمرو بن جرهم ولثلاثين سنة من عمر اسمعيل قدم أبوه الحجاز فأمر ببناء الكعبة البيت الحرام وكان الحجر زربا للغنم اسمعيل فرفع قواعدها مع ابنه اسمعيل وصيرها خلوة لعبادته وجعلها حجا للناس كما أمره الله وانصرف الى الشأم فقبض هنالك كما مر وبعث الله اسمعيل الى العمالقة وجرهم وأهل اليمن فآمن بعض وكفر بعض الى أن قبضه الله ودفن بالحجر مع أمه هاجر ويقال آجر وكان عمره فيما يقال مائة وثلاثين سنة وعهد بأمره لابنه قيذار ومعنى قيذار صاحب الابل وذلك لانه كان صاحب ابل أبيه اسمعيل كذا قال السهيلي وقال غيره معناه الملك ويقال انما عهد لابنه نابت فقام ابنه بأمر البيت ووليها وكان ولده فيما ينقل أهل التوراة كما نقل اثنى عشر

قيذار نبايوت اديبيل مبسام مشمع دوما ماسا حدد ديما بطور ياقيس قدما أمهم السيدة بنت مضاض قاله السهيلي وهكذا وقعت أسماؤهم في الاسرائيليات والحروف مخالفة للحروف العربية بعض الشيء باختلاف المخارج فلهذا يقع الخلاف بين العلماء في ضبط هذه الالفاظ وقد ضبط ابن اسحق تيما منهم بالطاء والياء وضبطه الدارقطني بالضاد المعجمة والميم قبل الياء كأنها تأنيث آضم وذكر ابن اسحق ديما (وقال البكري) به سميت دومة الجندل لانه كان نزلها وذكر أن الطور يطون ابن اسمعيل ثم هلك نابت بن اسمعيل وولي أمر البيت جده الحرث بن مضاض وقيل وليها مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هني ابن نبت بن جرهم ثم ابنه الحرث بن عمرو ثم قسمت الولاية بين ولد اسمعيل بمكة واخوالهم من جرهم ولاة البيت لا ينازعهم ولد اسمعيل اعظاما للحرم أن يكون به بغي أو قتال ثم بغت جرهم في البيت ووافق بغيهم تفرق سبأ ونزول بني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة فأرادوا المقام مع جرهم فمنعوهم واقتتلوا فغلبهم بنو حارثة وهم فيما قيل خزاعة وملكوا البيت عليهم ورئيسهم يومئذ عمرو بن لحي وشرد بقية جرهم ولحي هذا هو ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ومزيقيا ابن عامر وقيل انما ثعلبة ابن حارثة بن عامر وفي الحديث رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار يعني أحشاءه لانه الذي بحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي وغير دين اسمعيل ودعا الى عبادة الاوثان وفي طريق آخر رأيت عمرو بن عامر قال عياض المعروف في نسب أبي خزاعة هذا هو عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس وانما عامر اسم أبيه أخو قمعة وهو مدركة بن الياس وقال السهيلي كان حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر خلف على أم لحي بعد أبيه قمعة ولحي تصغير واسمه ربيعة فتبناه حارثة وانتسب اليه فالنسب صحيح بالوجهين وأسلم بن أفصى بن حارثة أخو خزاعة وعن ابن اسحق ان الذي أخرج جرهم من البيت ليست خزاعة وحدها وانما تصدى للنكير عليهم خزاعه وكنانة وتولى كبره بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وبنو غبشان ابن عبد عمرو بن بوى بن ملكان بن أفصى بن حارثة فاجتمعوا لحربهم واقتتلوا وغلبهم بنو بكر وبنو غبشان بن كنانة وخزاعة على البيت ونفوهم من مكة فخرج عمرو وقيل عامر بن الحرث بن مضاض الاصغر بمن معه من جرهم الى اليمن بعد ان دفن حجر الركن وجميع أموال الكعبة بزمزم ثم اسفوا على ما فارقوا من أمر مكة وحزنوا حزنا شديدا وقال عمرو بن الحرث وقيل عامر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأزالنا * صروف الليالي والجدود العواثر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف فما تحظى لدينا المكاثر

ملكنا

ملكنا فعززنا فأعظم ملكنا * فليس لحي عندنا ثم فاخر

ألم تنكحوا من خير شخص علمته * فأبناؤنا منا ونحن الاصاهر

فان تنثني الدنيا علينا بحالها * فان لها حالا وفيها التشاجر

فأخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك بالناس تجري المقادر

أقول اذا نام الخلي ولم أنم * أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر

وبدلت منها أوجها لا أحبها * قبائل منها حمير ويحابر

وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة * بذلك عضتنا السنون الغوابر

فساحت دموع العين تبكي لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر

وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل بها أمنا وفيها العصافر

وفيه وحوش لا ترام أنيسة * اذا خرجت منه فليست تغادر

ثم غلبت بنو حبشية على أمر البيت بقومهم من خزاعة واستقلوا بولايته دون بني بكر عبد مناة وكان الذي يليها الآخر عهدهم عمرو بن الحرث وهو غبشان (وذكر الزبير) ان الذين أخرجوا جرهم من البيت من ولد اسمعيل هم إياد بن نزار ومن بعد ذلك وقعت الحرب بين مضر واياد فاخرجتهم مضر ولما خرجت اياد قلعوا الحجر الاسود ودفنوه في بعض المواضع ورأت ذلك امرأة من خزاعة فأخبرت قومها فاشترطوا على مضر ان دلوهم عليه ان لهم ولاية البيت دونهم فوفوا لهم بذلك وصارت ولاية البيت لخزاعة الى ان باعها أبو غبشان لقصي ويذكران من وليها منهم عمرو بن لحي ونصب الاصنام وخاطبه رجل من جرهم

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام

سائل بعاد أين هم * وكذاك تخترم الانام

وبني العماليق الذين * لهم بها كان السوام

وكانت ولاية البيت لخزاعة وكان لمضر ثلاث خصال الاجازة بالناس يوم عرفة لبني الغوث بن مرة اخوتهم وهو صوفة والافاضة بالناس غداة النحر من جمع الى منى لبني زيد بن عدي وانتهى ذلك منهم الى أبي سيارة عميرة بن الاعزل بن خالد بن سعد بن الحرث ابن كانس بن زيد فدفع من مزدلفة أربعين سنة على حمار ونسء الشهور الحرم كان لبني مالك بن كنانة وانتهى الى القلمس كما مر وكان اذا أراد الناس الصدور من مكة قال اللهم اني أحللت أحد الصفرين ونسأت الآخر للعام المقبل قال عمرو بن قيس من بني فراس

ونحن الناسئون على معد * شهور الحل نجعلها حراما

(قال ابن اسحق) فأقام بنو خزاعة وبنو كنانة على ذلك مدة الولاية لخزاعة دونهم كما قلناه وفى اثناء ذلك تشعبت بطون كنانة ومن مضر كلها وصاروا جرما وبيوتات متفرقين فى بطن قومهم من بنى كنانة وكلهم اذذاك أحياء حلول بظواهرها وصارت قريش على فرقتين قريش البطاح وقريش الظواهر فقريش البطاح ولد قصى بن كلاب وسائر بنى كعب بن لؤى وقريش الظواهر من سواهم وكانت خزاعة بادية لكنانة ثم صار بنو كنانة لقريش ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح وقريش الظواهر من كان على أقل من مرحلة ومن الضواحى ما كان على أكثر من ذلك وصار من سوى قريش وكنانة من قبائل مضر فى الضواحى أحياء بادية وظعونا ناجعة من بطون قيس وخندف من أشجع وعبس وفزارة ومرة وسليم وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة وثقيف ومن تميم والرباب وضبعى بنى أسد وهذيل والقارة وغير هؤلاء من البطون الصغار وكان التقدم فى مضر كلها لكنانة ثم لقريش والتقدم فى قريش لبنى لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وكان سيدهم قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى كان له فيهم شرف وقرابة وثروة وولد وكان له فى قضاعة ثم فى بنى عروة بن سعد بن زيد من بطونهم نسب ظائر ورحم كلالة كانوا من أجلها فيه شيعة وذلك بما كان ربيعة بن حرام بن عذرة قدم مكة قبل مهلك كلاب ابن مرة وكان كلاب خلف قصيا فى حجر أمه فاطمة بنت سعد بن يامل بن خثعمة الاسدى من اليمن فتزوجها ربيعة وقصى يومئذ فطيم فاحتملته الى بلاد بنى عذرة وتركت ابنها زهرة بن كلاب لانه كان رجلا بالغا وولدت لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة ولما شب قصى وعرف نسبه رجع الى قومه وكان الذى يلى أمر البيت لعهده من خزاعة حليل ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو فأصهر الى قصى فى ابنته حبى فأنكحه اياها فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى ولما انتشر ولد قصى وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصى انه أحق بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر اشرفه فى قريش ولما كثرت قريش سائر الناس واعتزت عليهم وقيل أوصى له بذلك حليل ولما بدا له ذلك مشى فى رجالات قريش ودعاهم الى ذلك فأجابوه وكتب الى أخيه رزاح فى قومه عذرة محتشدا بهم فقدم مكة فى اخوته من ولد ربيعة ومن تبعهم من قضاعة فى جملة الحاج مجمعا نصر قصى (قال السهيلى) وذكر غير ابن اسحق ان حليلا كان يعطى مفاتيح البيت بنته حبى حين كبر وضعف فكانت بيدها وكان قصى ربما أخذها يفتح البيت للناس ويغلقه فلما هلك حليل أوصى بولاية البيت الى قصى وأبت خزاعة أن تمضى ذلك لقصى فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة وأرسل الى رزاح أخيه يستنجده عليهم (وقال الطبرى) لما أعطى حليل مفاتيح

الكعبة لابنته حبى لما كبر وثقل قالت اجعل ذلك لرجل يقوم لك به فجعله الى أبى غبشان سليمان بن عمرو بن لؤى بن ملكان بن قصى وكانت له ولاية الكعبة ويقال ان أبا غبشان هو ابن حليل باعه من قصى بزق خمر فقيل فيه أخسر من صفقة أبى غبشان فكان من أول ما بدؤا به نقض ما كان لصوفة من اجازة الحاج وذلك ان بنى سعد بن زيد مناة بن تميم كانوا يلون الاجازة للناس بالحج من عرفة بنفر الحاج لنفرهم ويرمون الجمار لرميهم وورثوا ذلك من بنى الغوث بن مرة كانت أمه من جرهم وكانت لا تلد فنذرت ان ولدت أن تتصدق به على الكعبة عبدا يخدمها فولدت الغوث وخلى اخواله من جرهم بينه وبين قرطاى بذلك فكان له ولولده وكان يقال لهم صوفة (وقال السهيلى) عن بعض الاخباريين ان ولاية الغوث بن مرة كانت من قبل ملوك كندة ولما انقرضوا ورث بالتعدد بنو سعد بن زيد مناة ولما جاء الاسلام كانت تلك الاجازة منهم لكرب بن صفوان بن حباب بن سجنة وقد مر ذكره فى بطون تميم فلما كان العام الذى أجمع فيه قصى الانفراد بولاية البيت وحضر اخوته من عذرة تعرض لبنى سعد أصحاب صوفة فى قومهم من قريش وكنانة وقضاعة عند الكعبة فلما وقفوا للاجازة قال لا نحن أولى بهذا منكم فتناجزوا وغلبهم قصى على ما كان بأيديهم وعرفت خزاعة وبنو بكر عند ذلك انه سيمنعهم من ولاية البيت كما منع الآخرين فانحازوا عنه وأجمعوا لحربه وتناجزوا وكثر القتل ثم صالحوه على أن يحكموا من أشراف العرب وتنافروا الى يعمر ابن عوف بن كعب بن عمرو بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فقضى لقصى عليهم فولى قصى البيت وقر بمكة وجمع قريشا من منازلهم بين كنانة اليها وقطعها ارباعا بينهم فأنزل كل بطن منهم بمنزله الذى صبحهم به الاسلام وسمى بذلك مجمعا قال الشاعر

قصى لعمرى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

فكان أول من أصاب من بنى لؤى بن غالب ملكا أطاع له به قومه فصار له لواء الحرب وحجابة البيت وتيمنت قريش برأيه فصرفوا مشورتهم اليه فى قليل أمورهم وكثيرها فاتخذوا دار الندوة ازاء الكعبة فى مشاوراتهم وجعل بابها الى المسجد فكانت مجتمع الملاء من قريش فى مشاوراتهم ومعاقدهم ثم تصدى لاطعام الحاج وسقايته لما رأى انهم ضيف الله وزوار بيته وفرض على قريش خراجا يؤدونه اليه زيادة على ذلك كانوا يرفدونه به فحاز شرفهم كله وكانت الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء له ولما أسن قصى وكان بكره عبد الدار وكان ضعيفا وكان أخوه عبد مناف شرف عليه فى حياة أبيه فأوصى قصى لعبد الدار بما كان له من الحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية يجبر له بذلك ما نقصه من شرف عبد مناف وكان أمره فى قومه كالدين المتبع لا يعدل عنه

ثم هلك وقام بأمره فى قومه بنوه من بعده وأقاموا على ذلك مدة وسلطان مكة لهم وأمر قريش جميعا ثم نفس بنو عبد مناف على بنى عبد الدار ما بأيديهم ونازعوهم فافترق أمر قريش وصاروا فى مظاهرة بنى قصى بعضهم على بعض فرقتين وكان بطون قريش قد اجتمعت لعهدها ذلك اثنى عشر بطنا بنو الحرث بن فهر وبنو محارب بن فهر وبنو عامر بن لؤى وبنو عدى بن كعب وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو جمح بن عمرو بن هصيص وبنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو زهرة ابن كلاب وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو عبد الدار وبنو عبد مناف بن قصى فأجمع بنو عبد مناف انتزاع ما بأيدى بنى عبد الدار مما جعل لهم قصى وقام بأمرهم عبد شمس أسن ولده واجتمع له من قريش بنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحرث واعتزل بنو عامر وبنو المحارب الفريقين وصار الباقى من بطون قريش مع بنى عبد الدار وهم بنو سهم وبنو جمح وبنو عدى وبنو مخزوم ثم عقد كل من الفريقين على أحلافه عقدا مؤكدا وأحضر بنو عبد مناف وحلف قومهم عند الكعبة جفنة مملوءة طيبا غمسوا فيها أيديهم تأكيدا للحلف فسمى حلف المطيبين وأجمعوا للحرب وسووا بين القبائل وأن بعضها الى بعض فعبت بنو عبد الدار لبنى أسد وبنو جمح لبنى زهرة وبنو مخزوم لبنى تيم وبنو عدى لبنى الحرث ثم تداعوا للصلح على أن يسلموا لبنى عبد مناف السقاية والرفادة ويختص بنو عبد الدار بالحجابة واللواء فرضى الفريقان وتحاجز الناس (وقال الطبرى) قيل ورثهما من أبيه ثم قام بأمر بنى عبد مناف هاشم ليساره وقراره بمكة وتقلب أخيه عبد شمس فى التجارة الى الشام فأحسن هاشم ما شاء فى اطعام الحاج واكرام وفدهم ويقال انه أول من أطعم الثريد الذى كان يطعم فهو ثريد قريش الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام والثريد لهذا العهد ثريد الخبز بعد أن يطبخ فى المقلاة والتنور وليس من طعام العرب الان عندهم طعام يسمونه البازين يتناوله الثريد لغة وهو ثريد الخبز بعد أن يطبخ فى الماء عجينا رطبا الى أن يتم نضجه ثم يدلكونه بالمغرفة حتى تتلاحم أجزاؤه وتتلازج وما أدرى هل كان ذلك الطعام كذلك أولا الا أن لفظ الثريد يتناوله لغة ويقال ان هاشم بن عبد المطلب أول من سن الرحلتين فى الشتاء والصيف للعرب ذكره ابن اسحق وهو غير صحيح لان الرحلتين من عوائد العرب فى كل جيل لمراعى ابلهم ومصالحها الان معاشهم فيها وهذا معنى العرب وحقيقتهم أنه الجيل الذى معاشهم فى كسب الابل والقيام عليها فى ارتياع المرعى وانتجاع المياه والنتاج والتوليد وغير ذلك من مصالحها والفرار بها من أذى البرد عند التوليد الى القفار

ودفئها

ودفئها وطلب التلول فى المصيف للحبوب وبرد الهواء وتكونت على ذلك طباعهم فلا بد لهم منها ظعنوا أو أقاموا وهو معنى العروبية وشعارها ان هاشما لما هلك وكان مهلكه بغزة من أرض الشأم تخلف عبد المطلب صغيرا بيثرب فأقام بأمره من بعده ابنه المطلب وكان ذا شرف وفضل وكانت قريش تسميه الفضل لسماحته وكان هاشم قدم يثرب فتزوج فى بنى عدى وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك سيد الاوس لعهده فولدت عمرو بن أحيحة وكانت لشرفها تشترط أمرها بيدها فى عقد النكاح فولدت عبد المطلب فسمته شيبة وتركه هاشم عندها حتى كان غلاما وهلك هاشم فخرج اليه أخوه المطلب فأسلمته اليه بعد تعسف واغتباط به فاحتمله ودخل مكة فردفه على بعيره فقالت قريش هذا عبد ابتاعه المطلب فسمى شيبة عبد المطلب من يومئذ ثم ان المطلب هلك بردمان من اليمن فقام بأمر بنى هاشم بعده عبد المطلب بن هاشم وأقام الرفادة والسقاية للحاج على أحسن ما كان قومه يقيمونه بمكة من قبله وكانت له وفادة على ملوك اليمن من حمير والحبشة وقد قدمنا خبره مع ابن ذى يزن ومع ابرهة (ولما أراد حفر زمزم) للرؤيا التى رآها اعترضته قريش دون ذلك ثم حالوا بينه وبين ما أراد منها فنذر لئن ولد له عشرة من الولد ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم قربانا لله عند الكعبة فلما كملوا عشرة ضرب عليهم القداح عند هبل الصنم العظيم الذى كان فى جوف الكعبة على البئر التى كانوا ينحرون فيها هدايا الكعبة فخرجت القداح على ابنه عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم وتحير فى شأنه ومنعه قومه من ذلك وأشار بعضهم وهو المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بسؤال العرافة التى كانت لهم بالمدينة على ذلك فأتوها بخيبر وسألوها فقالت قربوه وعشرا من الابل وأجيلوا القداح فان خرجت على الابل فذلك والا فزيدوا فى الابل حتى تخرج عليها القداح وانحروها حينئذ فهى الفدية عنه وقد رضى الهكم ففعلوا وبلغت الابل مائة فنحرها عبد المطلب وكانت من كرامات الله به وعليه قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يعنى عبد الله أباه واسمعيل بن ابراهيم جده اللذين قربا للذبح ثم فديا بذبح الانعام ثم ان عبد المطلب زوج ابنه عبد الله بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فدخل بها وحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه عبد المطلب يمتار لهم تمرا فمات هنالك فلما أبطأ عليهم خبره بعث فى اثره (وقال الطبرى) عن الواقدى الصحيح انه أقبل من الشأم فى حى لقريش فنزل بالمدينة ومرض بها ومات ثم أقام عبد المطلب فى رياسة قريش بمكة والكون يصغى لملك العرب والعالم يتمخض بفصال النبوة الى ان وضح نور الله من أفقهم وسرى خبر السماء الى بيوتهم واختلفت

 خلد فى

الملائكة الى أحبائهم وخرجت الخلافة فى انصبائهم وصارت العزة لمضر ولسائر العرب
بهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وهو الذى
احتفر زمزم (قال) السهيلى ولما حفر عبد المطلب زمزم استخرج منه تمثالى غزالين
من ذهب وأسيافا كذلك كان ساسان ملك الفرس أهداها الى الكعبة وقيل سابور
ودفنها الحرث بن مضاض فى زمزم لما خرج بجرهم من مكة فاستخرجها عبد المطلب
وضرب الغزالين حلية للكعبة فهو أول من ذهب حلية الكعبة بها وضرب من تلك
الاسياف باب حديد وجعله للكعبة ويقال ان أول من كسى الكعبة واتخذ لها غلقا
تبع الى ان جعل لها عبد المطلب هذا الباب ثم اتخذ عبد المطلب حوضا لزمزم يسقى
منه وحسده قومه على ذلك وكانوا يخربونه بالليل فلما غمه ذلك رأى فى النوم قائلا يقول
قل لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل فاذا قلتها فقد كفيتهم فكان بعد اذا أرادها
أحد بمكروه رمى بداء فى جسده ولما علموا بذلك تناهوا عنه (وقال السهيلى أول من كسا
البيت المسوح والخصف والانطاع تبع الحميرى) ويروى انه لما كساها انتقض البيت
فزال ذلك عنه وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما كساه الملاء والوصائل قبله وسكن
وممن ذكر هذا الخبر قاسم بن ثابت فى كتاب الدلائل وقال ابن اسحق أول من كسا البيت
الديباج الحجاج (وقال الزبير بن بكار بل عبد الله بن الزبير أول من كساها ذلك) وذكر
جماعة منهم الدارقطنى أن نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت أضلت
العباس صغيرا فنذرت ان وجدته أن تكسو الكعبة وكانت من بيت مملكة فوفت
بنذرها (هذا أخبار قريش) وملكهم بمكة وكانت ثقيف جيرانهم بالطائف يساجلونهم
فى مذاهب العروبية وينازعونهم فى الشرف وكانوا من أوفر قبائل هوازن لان ثقيفا
هو قسى بن منبه بن بكر بن هوازن وكانت الطائف قبلهم لعدوان الذين كان فيهم حكم
العرب عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان وكثر عددهم حتى
قاربوا سبعين ألفا ثم بغى بعضهم على بعض فهلكوا وقل عددهم وكان قسى بن منبه صهرا
لعامر بن الظرب وكان بنوه بينهم فلما قل عدد عدوان تغلب عليهم ثقيف وأخرجوهم
من الطائف وملكوه الى ان صبحهم الاسلام به على ما نذكره والله
وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله
وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم

تم الجزء الثانى من تاريخ ابن خلدون مصححا على يد الفقير نصر الهورينى غفر الله له

(فهرست بقية الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(جدول الصواب فى كلمات طبعت غلطا)

صحيفة	
٢٧	سطر ٢ ٢ وأخذ سيفه
٩٧	سطر ٣ فبهتت قلوب ٩ من ملوك الباب
٩٨	فى أول سطر لاثنتين ابيتها سطر ٢ فاستانفوا عملها ١٣ طعنا وضربا ٢٠ والى الجمال والزبيل
١٠١	سطر ١٠ حمل نصفها ٩ ٢ بهار كسرى وهو القطف
١٠٢	سطر ٦ القطف
١٠٤	سطر ٤ وشنس وكذا سادس سطر ٢٠ من آمد وأخذ
١٢٩	سطر ٥ عبدالله بن الزبير

بقية الجزء الثانى

من تاريخ ابن

خلدون

م

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر النبوّة والهجرة فى هذه الطبقة الثالثة وما كان من اجتماع العرب على الاسلام بعد الاباية والحرب

لما استقر أمر قريش بمكة على ما استقر وافترقت قبائل مضر فى أدنى مدن الشأم والعراق وما دونهما من الحجاز فكانوا ظعونا واحياء وكان جميعهم بمسغبة وفى جهد من العيش بحرب بلادهم وحرب فارس والروم على تلول العراق والشام وأريافهما ينزلون حاميتهم بثغورها ويجهزون كتائبهم بتخومها ويولون على العرب من رجالاتهم وبيوت العصائب منهم من يسومهم القهر ويحملهم على الانقياد حتى يؤتوا جباية السلطان الاعظم واتاوة ملك العرب ويؤدّوا ما عليهم من الدماء والطوائل من يسترهن أبناءهم على السلم وكف العادية ومن انتجاع الارباب وميرة الاقوات والعساكر من وراء ذلك توقع بمن منع الخراج وتستأصل من يروم الفساد وكان أمر مضر راجعا فى ذلك الى ملوك كندة بنى حجر آكل المرار منذ ولاه عليهم تبع حسان كما ذكرناه ولم يكن فى العرب ملك الا فى آل المنذر بالحيرة للفرس وفى آل جهينة بالشأم للروم وفى بنى حجر هؤلاء على مضر والحجاز وكانت قبائل مضر مع ذلك بل وسائر العرب أهل بغى والحاد وقطع للارحام وتنافس فى الردى واعراض عن ذكر الله فكانت عبادتهم الاوثان والحجارة وأكلهم العقارب والخنافس والحيات

والجعلان وأشرف طعامهم أوبار الابل اذا أمرّوها فى الحرارة فى الدم وأعظم عزهم وفادة على آل المنذر وآل جهينة وبنى جعفر ونجعة من ملوكهم وانما كان تنافسهم المؤودة والسائبة والوصيلة والحامى فلما تأذن الله بظهورهم واشرأبت الى الشرف هوادى ايامهم وتم أمر الله فى اعلاء امرهم وهبت ريح دولتهم وملة الله فيهم تبدت تباشير الصباح من أمرهم وأونس الخير والرشد فى خلالهم وأبدل الله بالطيب الخبيث من أحوالهم وشرهم واستبدلوا بالذل عزا وبالمآثم متابا وبالشر خيرا ثم بالضلالة هدى وبالمسغبة شبعا وريا وايالة وملكا واذا أراد الله أمرا يسر أسبابه فكان لهم من العز والظهور قبل المبعث ما كان وأوقع بنو شيبان وسائر بكر بن وائل وعبس بن غطفان بطيء وهم يومئذ ولاة العرب بالحيرة وأميرها منهم قبيصة بن اياس ومعه الباهوت صاحب مسلحة كسرى فأوقعوا بهم الوقعة المشهورة بذى قار واقتحمت عساكر الفرس وأخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمدينة ليومها وقال اليوم انتصفت العرب من العجم وبى نصروا ووفد حاجب بن زرارة من بنى تميم على كسرى فى طلب الانتجاع والميرة بقومه فى ابان العراق فطلب الاساورة منه الرهن على عادتهم فاعطاهم قوسه واستكبر عن استرهان ولده توقعوا منه عجزا عما سواها وانتقلت خلال الخير من العجم ورجالات فارس فصارت أغلب فى العرب حتى كان الواحد منهم همه بخلافه وشرفه وغلب الشرّ والسفسفة على أهل دول العجم وانظر فيما كتب به عمر الى أبى عبيد بن المثنى حين وجهه الى حرب فارس انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والحيرة تقدم على أقوام قد جرؤا على الشرّ فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون اه وتنافست العرب فى الخلال وتنازعوا فى المجد والشرف حسبما هو مذكور فى ايامهم وأخبارهم وكان حظ قريش من ذلك أوفر على نسبة حظهم من مبعثه وعلى ما كانوا ينتحلونه من هدى آبائهم وانظر ما وقع فى حلف الفضول حيث اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تيم فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته وسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول (وفى الصحيح) عن طلحة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لى به حمر النعم ولو دعى به فى الاسلام لاجبت ثم ألقى الله فى قلوبهم التماس الدين وانكار ما عليه قومهم من عبادة الاوثان حتى لقد اجتمع منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعثمان بن الحويرث بن أسد وزيد بن عمرو بن نفيل من بنى عدى بن كعب عم عمر بن الخطاب وعبيد الله بن جحش من بنى أسد بن خزيمة وتلاوموا فى عبادة الاحجار والاوثان

وتواصوا بالنفر فى البلدان بالتماس الحنيفية دين ابراهيم نبيهم فأما ورقة فاستحكم فى النصرانية وابتغى من أهلها الكتب حتى علم من أهل الكتاب وأمّا عبيد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه حتى جاء الاسلام فأسلم وهاجر الى الحبشة فتنصر وهلك نصرانيا وكان يمرّ بالمهاجرين بأرض الحبشة فيقول فقحنا وصأصأتم أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر مثل ما يقال فى الجرو اذا فتح عينيه فقح واذا أراد ولم يقدر صأصأ وأمّا عثمان ابن الحويرث فقدم على ملك الروم قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده وأمّا زيد بن عمرو فما همّ ان يدخل فى دين ولا اتبع كتابا واعتزل الاوثان والذبائح والميتة والدم ونهى عن قتل الموؤدة وقال اعبد رب ابراهيم وصرّح بعيب آلهتهم وكان يقول اللهم لو انى أعلم أى الوجوه أحب اليك لعبدتك ولكن لا اعلم ثم يسجد على راحته وقال ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب يارسول الله استغفر الله لزيد بن عمرو قال نعم انه يبعث أمة واحدة ثم تحدث الكهان والحزاة قبل النبوة وانها كائنة فى العرب وان ملكهم سيظهر وتحدث أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما فى التوراة والانجيل من بعث محمد وامته وظهرت كرامة الله بقريش ومكة فى أصحاب الفيل ارهاصا بين يدى مبعثه ثم ذهب ملك الحبشة من اليمن على يد ابن ذى يزن من بقية التابعة ووفد عليه عبد المطلب يهنيه عند استرجاعه ملك قومه من أيدى الحبشة فبشره ابن ذى يزن بظهور نبى من العرب وأنه من ولده فى قصة معروفة وتحين الامر لنفسه كثير من رؤساء العرب يظنه فيه ونفروا الى الرهبان والاحبار من أهل الكتاب يسألونهم ببلدتهم علم ذلك مثل أمية بن أبى الصلت الثقفى وما وقع له فى سفره الى الشام مع أبى سفيان بن حرب وسؤاله الرهبان ومفاوضته ابا سفيان فيما وقف عليه من ذلك يظن ان الامر له أو لاشراف قريش من بنى عبد مناف حتى تبين لهما خلاف ذلك فى قصة معروفة (ثم رجمت) الشياطين عن استماع خبر السماء فى أمره واصغى الكون لاستماع أنبائه

(المولد الكريم وبدء الوحى)

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول لاربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان وقيل لثمان وأربعين ولثمانمائة واثنتين وثمانين لذى القرنين وكان عبد الله أبوه غائبا بالشأم وانصرف فهلك بالمدينة وولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مهلكه بأشهر قلائل وقيل غير ذلك وكفله جده عبد المطلب بن هاشم وكفالة الله من ورائه والتمس له الرضعاء واسترضع فى بنى سعد من بنى هوازن ثم فى بنى نصر بن سعد ارضعته منهم حليمة بنت ابى ذؤيب عبد الله ابن الحرث بن شجنة بن رزاح بن ناصرة بن خصفة بن قيس وكان ظئره منهم الحارث

ابن

ابن عبد العزى وقد مرّ ذكرهما فى بنى عامر بن صعصعة وكان أهله يتوسمون فيه علامات الخير والكرامات من الله ولما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الملكين بطنه واستخراج العلقة السوداء من قلبه وغسلهم حشاه وقلبه بالثلج ما كان وذلك لرابعة من مولده وهو خلف البيوت يرعى الغنم فرجع الى البيت منتقع اللون وظهرت حليمة على شأنه فخافت أن يكون أصابه شئ من اللمم فرجعته الى أمه واسترابت آمنة برجعها اياه بعد حرصها على كفالته فأخبرتها الخبر فقالت كلا والله لست أخشى عليه وذكرت من دلائل كرامة الله له وبه كثيرا وأزارته أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة أخوال جده عبد المطلب من بنى عدى بن النجار بالمدينة وكانوا اخوالا لها أيضا وهلك عبد المطلب لثمان سنين من ولادته وعهد به الى ابنه أبى طالب فأحسن ولايته وكفالته وكان شأنه فى رضاعه وشبابه ومرباه عجبا وتولى حفظه وكلاءته من مفارقة أحوال الجاهلية وعصمته من التلبس بشئ منها حتى لقد ثبت أنه مرّ بعرس مع شباب قريش فلما دخل على القوم أصابه غشى النوم فما أفاق حتى طلعت الشمس وافترقوا ووقع له ذلك أكثر من مرة وحمل الحجارة مع عمه العباس لبنيان الكعبة وهما صبيان فأشار عليه العباس بحملها فى ازاره فوضعه على عاتقه وحمل الحجارة فيه وانكشف فلما حملها على عاتقه سقط مغشيا عليه ثم عاد فسقط فاشتمل ازاره وحمل الحجارة كما كان يحملها وكانت بركاته تظهر بقومه وأهل بيته ورضعائه فى شؤنهم كلها وحمله عمه أبو طالب الى الشأم وهو ابن ثلاث عشرة وقيل ابن سبع عشرة فمرّوا ببحيرا الراهب عند بصرى فعاين الغمامة تظله والشجر تسجد له فدعا القوم وأخبرهم بنبوته وبكثير من شأنه فى قصة مشهورة ثم خرج ثانية الى الشأم تاجرا بمال خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى مع غلامها ميسرة ومرّوا بنسطور الراهب فرآى ملكين يظلانه من الشمس فأخبر ميسرة بشأنه فأخبر بذلك خديجة فعرضت نفسها عليه وجاء أبو طالب فخطبها الى أبيها فزوجه وحضر الملأ من قريش وقام أبو طالب خطيبا فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا امناء بيته وسوّاس حرمه وجعلنا الحكام على الناس وانّ ابن أخى محمد بن عبد الله من قد علمتم قرابته وهو لا يوزن بأحد الا رجح به فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة وشهد بنيان الكعبة لخمس وثلاثين من مولده حين أجمع كل قريش على هدمها وبنائها ولما انتهوا

الى الحجر تنازعوا أيهم يضعه وتداعوا للقتال وتحالف بنو عبد الدار على الموت ثم اجتمعوا وتشاوروا وقال أبو أمية حكموا أول داخل من باب المسجد فتراضوا على ذلك ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا الامين وبذلك كانوا يسمونه فتراضوا به وحكموه فبسط ثوبا ووضع فيه الحجر وأعطى قريشا أطراف الثوب فرفعوه حتى أدنوه من مكانه ووضعه عليه السلام بيده وكانوا أربعة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم وقيس بن عدى السهمى ثم استمر على أكمل الزكاء والطهارة فى أخلاقه وكان يعرف بالامين وظهرت كرامة الله فيه وكان اذا أبعد فى الخلاء لا يمر بحجر ولا شجر الا ويسلم عليه

(بدء الوحى)

ثم بدئ بالرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم تحدث الناس بشأن ظهوره ونبوته ثم حببت اليه العبادة والخلوة بها فكان يتزود للانفراد حتى جاء الوحى بحراء لاربعين سنة من مولده وقيل لثلاث وأربعين وهى حالة يغيب فيها عن جلسائه وهو كائن معهم فأحيانا يتمثل له الملك رجلا فيكلمه ويعى قوله وأحيانا يلقى عليه القول ويصيبه أحوال الغيبة عن الحاضرين من الغط والعرق وتصيبه كما ورد فى الصحيح من أخباره قال وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول فأصابته تلك الحالة بغار حرا وألقى عليه اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وأخبر بذلك كما وقع فى الصحيح وآمنت به خديجة وصدقته وحفظت عليه الشأن ثم خوطب بالصلاة وأراه جبريل طهرها ثم صلى به وأراه سائر أفعالها ثم كان شأن الاسراء من مكة الى بيت المقدس من الارض الى السماء السابعة والى سدرة المنتهى وأوحى اليه ما أوحى ثم آمن به على ابن عمه أبى طالب وكان فى كفالته من أزمة أصابت قريشا وكفل العباس جعفرا أخاه فخففا من عيال أبى طالب فأدركه الاسلام وهو فى كفالته فآمن وكان يصلى معه فى الشعاب مختفيا من أبيه حتى اذا ظهر عليهما أبو طالب دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أستطيع فراق دينى ودين آبائى ولكن لا يخلص اليك شئ تكرهه ما بقيت وقال لعلى الزمه فانه لا يدعو الا لخير فكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ثم أبو بكر وعلى بن أبى طالب كما ذكرنا وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال بن حمامة مولى أبى بكر ثم عمرو بن عنبسة السلمى وخالد بن سعيد بن العاصى بن أمية ثم أسلم بعد ذلك قوم من قريش اختارهم الله لصحابته من سائر قومهم وشهد

لكثير منهم بالجنة وكان أبو بكر محببا سهلا وكانت رجالات قريش تألفه فأسلم على يديه من بنى أمية عثمان بن عفان بن أبى العاصى بن أمية ومن عشيرة بنى عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ومن بنى زهرة بن قصى سعد بن أبى وقاص واسمه مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة ومن بنى أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وهو ابن صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم من بنى الحرث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب أبو سلمة عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومن بنى جمح بن عمرو ابن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح واخواه قدامة ومن بنى عدى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد الله بن قرط بن رياح بن عدى وزوجته فاطمة أخت عمر بن الخطاب بن نفيل وأبوه زيد هو الذى رفض الاوثان فى الجاهلية ودان بالتوحيد وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ثم أسلم عمير أخو سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه ابن غافل بن حبيب بن شمخ ابن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة حليف بنى زهرة كان يرعى غنم عقبة بن أبى معيط وكان سبب اسلامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلب من غنمه شاة حائلا فدرت ثم أسلم جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان ابن كعب بن مالك بن قحافة الخثعمى والسائب بن عثمان بن مظعون وأبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس واسمه مهشم وعامر بن فهيرة أزدى وفهيرة أمه مولاة أبى بكر وواقد بن عبد الله بن عبد مناف تميمى من حلفاء بنى عدى وعمار ابن ياسر عنسى بن مذحج مولى أبى مخزوم وصهيب بن سنان من بنى النمر بن قاسط حليف بنى جدعان ودخل الناس فى الدين أرسالا وفشا الاسلام وهم يتحلون به ويذهبون الى الشعاب فيصلون (ثم أمر) رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بأمره ويدعو الى دينه بعد ثلاث سنين من مبدأ الوحى فصعد على الصفا ونادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقال لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقونى قالوا بلى قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ثم نزل قوله وأنذر عشيرتك الاقربين وتردد اليه الوحى بالنذارة فجمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون على طعام صنعه لهم على ابن أبى طالب بأمره ودعاهم الى الاسلام ورغبهم وحذرهم وسمعوا كلامه وافترقوا (ثم) ان قريشا حين صدع وسب الآلهة وعابها انكروا ذلك منه ونابذوه واجمعوا على عداوته فقام أبو طالب دونه محاميا ومانعا ومشت اليه رجال قريش

يدعونه الى النصفة عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو البخترى (٣) بن هشام بن الحرث بن أسد بن عبد العزى والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ابن أخى الوليد والعاصى بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن على بن حذيفة بن سعد بن سهم والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة فكلموا أباطالب وعادوه فردهم ردًّا جميلا ثم عادوا اليه فسألوه النصفة فدعا النبىّ صلى الله عليه وسلم الى بيته بحضرهم وعرضوا عليه قولهم فتلا عليهم القرآن وأيأسهم من نفسه وقال لابى طالب يا عماه لا أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه واستعبر وظن ان أباطالب بدا له فى أمره فرق له أبو طالب وقال يا ابن أخى قل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبدا

(هجرة الحبشة)

ثم افترق أمر قريش وتعاهد بنو هاشم وبنو المطلب مع أبى طالب على القيام دون النبىّ صلى الله عليه وسلم ووثب كل قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم واشتدّ عليهم العذاب فامرهم النبىّ صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى أرض الحبشة فرارا بدينهم وكان قريش يتعاهدونها بالتجارة فيحمدونها فخرج عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة مراغما لأبيه وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو بن عامر بن لؤى والزبير بن العوام ومصعب بن عمير بن عبد شمس وابو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى العامرى من بنى عامر بن لؤى وسهيل ابن بيضاء من بنى الحرث بن فهر وعبد الله بن مسعود وعامر بن ربيعة العنزى حليف بنى عدى وهو من عنز بن وائل ليس من عنزة وامرأته ليلى بنت أبى خيثمة فهؤلاء الاحد عشر رجلا كانوا أول من هاجر الى أرض الحبشة وتتابع المسلمون من بعد ذلك ولحق بهم جعفر بن أبى طالب وغيره من المسلمين وخرجت قريش فى آثارا الاولين الى البحر فلم يدركوهم وقدموا الى أرض الحبشة فكانوا بها وتتابع المسلمون فى اللحاق بهم يقال انّ المهاجرين الى أرض الحبشة بلغوا ثلاثة وثمانين رجلا فلما رأت قريش النبىّ صلى الله عليه وسلم قد امتنع بعمه وعشيرته وانهم لا يسلمونه طفقوا يرمونه عند الناس ممن يفد على مكة بالسحر والكهانة والجنون والشعر يرومون بذلك صدهم عن الدخول فى دينه ثم انتدب جماعة منهم لمجاهرته صلى الله عليه وسلم بالعداوة والاذاية منهم عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب أحد المستهزئين وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وعقبة بن أبى معيط أحد المستهزئين وأبو سفيان من المستهزئين والحكم بن أبى العاصى بن أمية من المستهزئين أيضا والنضر بن

(٣) هو بالخاء المعجمة بوزن جعفرى كما فى شرح القاموس فاحفظه

الحرث من بنى عبد الدار والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى من المستهزئين وابنه زمعة وأبو البخترى العاصى بن هشام والاسود بن عبد يغوث وأبو جهل بن هشام وأخوه العاصى وعمهما الوليد وابن عمهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وزهير بن أبى أمية بن المغيرة والعاصى بن وائل السهمى وابنا عمه نبيه ومنبه وأمية وأبى ابنا خلف ابن جمح وأقاموا يستهزئون بالنبى صلى الله عليه وسلم ويتعرضون له بالاستهزاء والاذاية حتى لقد كان بعضهم ينال منه بيده وبلغ عمه حمزة يوما انّ أباجهل بن هشام تعرّض له يوما بمثل ذلك وكان قوى الشكيمة فلم ينشب ان جاء الى المسجد وأبو جهل فى نادى قريش حتى وقف على رأسه وضربه وشجه وقال له تشتم محمدا وأنا على دينه وثار رجال بنى مخزوم اليه فصدهم أبو جهل وقال دعوه فانى سببت ابن أخيه سبا قبيحا ومضى حمزة على اسلامه وعلمت قريش انّ جانب المسلمين قد اعتز بحمزة فكفوا بعض الشر بمكانه فيهم ثم اجتمعوا وبعثوا عمرو بن العاصى وعبد الله بن أبى ربيعة الى النجاشى ليسلم اليهم من هاجر الى أرضه من المسلمين فنكر النجاشى رسالتهما وردهما مقبوحين (ثم أسلم) عمر بن الخطاب وكان سبب اسلامه انه بلغه انّ أخته فاطمة اسلمت مع زوجها سعيد ابن عمه زيد وان خباب بن الارت عندهما يعلمهما القرآن فجاء اليهما منكرا وضرب أخته فشجها فلما رأت الدم قالت قد أسلمنا وتابعنا محمدا فافعل ما بدا لك وخرج اليه خباب من بعض زوايا البيت فذكره ووعظه وحضرته الانابة فقال له اقرأ علىّ من هذا القرآن فقرأ من سورة طه وأدركته الخشية فقال له كيف تصنعون اذا اردتم الاسلام فقالوا له وأروه الطهور ثم سأل على مكان النبى صلى الله عليه وسلم فدل عليه فطرقهم فى مكانهم وخرج اليه النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ابن الخطاب فقال يارسول الله جئت مسلما ثم تشهد شهادة الحق ودعاهم الى الصلاة عند الكعبة فخرجوا وصلوا هنالك واعتز المسلمون باسلامه وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين يعنيه أو أباجهل ولما رأت قريش فشوّ الاسلام وظهوره أهمهم ذلك فاجتمعوا وتعاقدوا على بنى هاشم وبنى المطلب ألا ينكحوهم ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى الكعبة وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب كلهم كافرهم ومؤمنهم فصاروا فى شعب أبى طالب محصورين متجنبين حاشا أبى لهب فانه كان مع قريش على قومهم فبقوا كذلك ثلاث سنين لا يصل اليهم شئ ممن أراد صلتهم إلا سرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل على شأنه من الدعاء الى الله والوحى عليه متتابع الى أن قام فى نقض الصحيفة رجال من قريش كان أحسنهم فى ذلك أثرا هشام بن عمرو بن الحرث من بنى حسل بن عامر بن

مطلب سبب اسلام عمر رضى الله عنه

لؤى لقى زهير بن أبى أمية بن المغيرة وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فعيره باسلامه أخواله الى ماهم فيه فأجاب الى نقض الصحيفة ثم مضى الى مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف وذكر رحم هاشم والمطلب ثم الى أبى البخترى (٣) بن هشام وزمعة بن الاسود فاجابوا كلهم وقاموا فى نقض الصحيفة وقد بلغهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الصحيفة أكلت الارضة كتابتها كلها حاشا أسماء الله فقاموا بأجمعهم فوجدوها كما قال فخزوا ونقض حكمها ثم أجمع أبو بكر الهجرة وخرج لذلك فلقيه ابن الدغنة فرده ثم اتصل بالمهاجرين فى أرض الحبشة خبر كاذب بأن قريشا قد أسلموا فرجع الى مكة قوم منهم عثمان بن عفان وزوجته وأبو حذيفة وامرأته وعبد الله بن عتبة بن غزوان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير وأخوه والمقداد بن عمرو وعبد الله بن مسعود وأبو سلمة بن عبد الاسد وامرأته أم المؤمنين وسلمة بن هشام بن المغيرة وعمار بن ياسر وبنو مظعون عبد الله وقدامة وعثمان وابنه السائب وخنيس ابن حذافة وهشام بن العاصى وعامر بن ربيعة وامرأته وعبد الله بن مخرمة من بنى عامر بن لؤى وعبد الله بن سهل بن السكران بن عمرو وسعد بن خولة وأبو عبيدة بن الجراح وسهيل بن بيضاء وعمرو بن أبى سرح فوجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه مع قريش من الصبر على أذاهم ودخلوا الى مكة بعضهم مختفيا وبعضهم بالجوار فأقاموا الى أن كانت الهجرة الى المدينة بعد أن مات بعضهم بمكة ثم هلك أبو طالب وخديجة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين فعظمت المصيبة وأقدم عليه سفهاء قريش بالاذاية والاستهزاء والقاء القاذورة فى مصلاه فخرج الى الطائف يدعوهم الى الاسلام والنصرة والمعونة وجلس الى عبد ياليل بن عمرو بن عمير وأخويه مسعود وحبيب وهم يومئذ سادات ثقيف واشرافهم وكلمهم فأساؤا الرد ويئس منهم فأوصاهم بالكتمان فلم يقبلوا واغروا به سفهاءهم فاتبعوه حتى الجاؤه الى حائط عتبة وشيبة ابنى ربيعة فأوى الى ظله حتى اطمأن ثم رفع طرفه الى السماء يدعو اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين أنت ربى الى من تكلنى الى بعيض يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (ولما) انصرف من الطائف الى مكة بات بنخلة وقام يصلى من جوف الليل فمر به نفر من الجن وسمعوا القرآن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فى جوار المطعم ابن عدى بعد أن عرض ذلك على غيره من رؤساء قريش فاعتذروا بما قبلوا منهم ثم قدم

(٣) البخترى بوزن الجعفرى والخاء معجمة على مافى شرح القاموس قاله نصر

عليه الطفيل بن عمرو الدوسى فأسلم ودعا قومه فأسلم بعضهم ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله له علامة للهداية فجعل فى وجهه نورا ثم دعا له فنقله الى سوطه وكان يعرف بذى النور قال ابن حزم ثم كان الاسراء الى بيت المقدس ثم الى السموات ولقى من لقى من الانبياء ورآى جنة المأوى وسدرة المنتهى فى السماء السادسة وفرضت الصلاة فى تلك الليلة (وعند الطبرى) الاسراء وفرض الصلاة كان أول الوحى ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على وفود العرب فى الموسم يأتيهم فى منازلهم ليعرض عليهم الاسلام ويدعوهم الى نصره ويتلو عليهم القرآن وقريش مع ذلك يتعرضونهم بالمقابح ان قبلوا منه وأكثرهم فى ذلك أبو لهب وكان من الذين عرض عليهم فى الموسم بنو عامر بن صعصعة من مضر وبنو شيبان وبنو حنيفة من ربيعة وكندة من قحطان وكلب من قضاعة وغيرهم من قبائل العرب فكان منهم من يحسن الاستماع والعذر ومنهم من يعرض ويصرح بالاذاية ومنهم من يشترط الملك الذى ليس هو من سبيله فيرد صلى الله عليه وسلم الامر الى الله ولم يكن فيهم أقبح ردا من بنى حنيفة وقد ذخر الله الخير فى ذلك كله للانصار فقدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو ابن عوف بن الاوس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فلم يبعد ولم يجب وانصرف الى المدينة فقتل فى بعض حروبهم وذلك قبل بعاث ثم قدم بمكة أبو الحيسر أنس ابن رافع فى فتية من قومه من بنى عبد الاشهل يطلبون الحلف فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال اياس بن معاذ منهم وكان شابا حدثا هذا والله خير مما جئنا له فانتهره أبو الحيسر فسكت ثم انصرفوا الى بلادهم ولم يتم لهم الحلف ومات اياس فيقال انه مات سلما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى عند العقبة فى الموسم ستة نفر من الخزرج وهم أبو امامة اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم وهو ابن عفراء ورافع ابن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زيد بن مالك بن غضبة بن جشم بن الخزرج وطبقة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد ابن مراد بن يزيد بن جشم وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة وجابر بن عبد الله بن رئاب بن نعمان بن سلمة بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان من صنع الله لهم أن اليهود جيرانهم كانوا يقولون ان نبيا يبعث وقد أظل زمانه فقال بعضهم لبعض هذا والله النبى الذى تحدثكم به اليهود فلا يسبقونا اليه فآمنوا وأسلموا وقالوا انا قد قدمنا فيهم حروبا فننصرف وندعوهم الى ما دعوتنا اليه فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك فلا

يكون أحداعز منك فانصرفوا الى المدينة ودعوا الى الاسلام حتى فشا فيهم ولم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام القابل قدم مكة من الانصار اثناعشر رجلا منهم خمسة من الستة الذى ذكرناهم ما عدا جابر بن عبد الله فانه لم يحضرها وسبعة من غيرهم وهم معاذ بن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور وقيل انه ابن عفراء وذكوان بن عبد قيس بن خالدة وخالد بن مخلد بن عامر بن زريق وعبادة بن الصامت بن قيس بن اصرم بن فهد بن ثعلبة بن صرمة بن اصرم بن عمرو ابن عبادة بن عصيبة من بنى حبيب والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف هؤلاء عشرة من الخزرج ومن الاوس أبو الهيثم مالك بن التيهان وهو من بنى عبد الاشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمر ابن مالك بن اوس وعويم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف بن مالك من الاوس بن حارثة فبايع هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض الحرب على الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يفتروا الكذب فلما ان انصرافهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يدعوهم الى الاسلام ويعلم من أسلم منهم القران والشرائع فنزل بالمدينة على أسعد بن زرارة وكان مصعب يؤمهم وأسلم على يديه خلق كثير من الانصار وكان سعد بن معاذ وأسعد بن زرارة ابنا الخالة فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير الى اسعد بن زرارة وكان جار البنى عبد الاشهل فانكروا عليه فهداهما الله الى الاسلام وأسلم باسلامهما جميع بنى عبد الاشهل فى يوم واحد الرجال والنساء ولم تبق دار من دور الانصار الا وفيها المسلمون رجال ونساء حاشا بنى أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف بطون من الاوس وكانوا فى عوالى المدينة فأسلم منهم قوم سيدهم ابو قيس صيفى بن الاسلت الشاعر فوقف بهم عن الاسلام حتى كان الخندق فأسلموا كلهم

(العقبة الثانية)

ثم رجع مصعب المذكور ابن عمير الى مكة وخرج معه الى الموسم جماعة ممن أسلم من الانصار للقاء النبى صلى الله عليه وسلم فى جملة قوم منهم لم يسلموا بعد فوافوا مكة وواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ووافوا الليلة ميعادهم الى العقبة متسللين عن رحالهم سرا ممن حضر من كفار قومهم وحضر معهم عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر وأسلم تلك الليلة فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم وان يرحل اليهم هو وأصحابه

وحضر العباس بن عبد المطلب وكان على دين قومه بعد وانما توثق للنبى صلى الله عليه وسلم وكان للبراء بن معرور فى تلك الليلة المقام المحمود فى الاخلاص والتوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول من بايع وكانت عدة الذين بايعوا تلك الليلة ثلاثا وسبعين رجلا وامرأتين واختار منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وقال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى فمن الخزرج من أهل العقبة الاولى أسعد بن زرارة ورافع بن مالك وعبادة بن الصامت ومن غيرهم سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس ومالك بن مالك وثعلبة ابن كعب بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن لودان بن عبد ود بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة وثلاثة من الاوس وهم أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن الاوس ورفاعة بن المنذر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس وقد قدم أبو الهيثم بن التيهان مكان رفاعة هذا والله أعلم

(ولما تمت هذه البيعة) أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى رحالهم فرجعوا ونمى الخبر الى قريش فغدت الجلة منهم على الانصار فى رحالهم فعاتبوهم فانكروا ذلك وحلفوا لهم وقال لهم عبد الله بن أبى ابن سلول ما كان قومى ليتفقوا على مثل هذا وأنا لا أعلمه فانصرفوا عنه وتفرق الناس من منى وعلمت قريش صحة الخبر فخرجوا فى طلبهم فأدركوا سعد بن عبادة فجاؤا به الى مكة يضربونه ويجرونه بشعره حتى نادى بجبير بن مطعم والحرث بن أمية وكان يجيرهما ببلده فخلصاه مما كان فيه وقد كانت قريش قبل ذلك سمعوا صائحا يصيح ليلا على جبل أبى قبيس

فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف مخالف

فقال أبو سفيان السعدان سعد بكر وسعد هذيم فلما كان فى الليلة القابلة سمعوه يقول

أيا سعد سعد الاوس كن أنت ناصرا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
* اجيبا الى داعى الهدى وتمنيا * على الله فى الفردوس منية عارف
* فان ثواب الله للطالب الهدى * جنان من الفردوس ذات رفارف

فقال هما والله سعد بن عبادة وسعد بن معاذ (ولما فشا) الاسلام بالمدينة وطفق أهلها

بأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تعاقدت على أن يفتنوا المسلمين عن دينهم
فأصابهم من ذلك جهد شديد ثم نزل قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله فلما تمت بيعة الانصار على ما وصفناه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أصحابه ممن هو بمكة بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا وأول من خرج أبو سلمة بن
عبد الاسد ونزل فى قبا ثم هاجر عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بامرأته ليلى بنت أبى
خيثمة بن غانم ثم هاجر جميع بنى جحش من بنى أسد بن خزيمة ونزلوا بقبا ثم عكاشة بن
محصن وجماعة من بنى اسد حلفاء بنى أمية كانت فيهم زينب بنت جحش أم المؤمنين
واختاها حمنة وأم حبيبة ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش بن أبى ربيعة فى عشرين راكبا
فنزلوا فى العوالى فى بنى امية بن زيد وكان يصلى بهم سالم مولى أبى حذيفة وجاء أبو جهل
ابن هشام فخادع عياش بن أبى ربيعة ورده الى مكة فحبسوه حتى تخلص بعد حين ورجع
وهاجر مع عمر أخوه زيد وسعيد ابن عمه زيد وصهره على بنته حفصة أم المؤمنين خنيس بن
حذافة السهمى وجماعة من حلفاء بنى عدى نزلوا بقبا على رفاعة بن عبد المنذر من بنى
عوف بن عمرو ثم هاجر طلحة بن عبيد الله فنزل هو وصهيب بن سنان على حبيب بن اساف
فى بنى الحرث بن الخزرج بالسلم وقيل بل نزل طلحة على اسعد بن زرارة ثم هاجر حمزة بن
عبد المطلب ومعه زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليفه أبو مرثد
كناز بن حصن الغنوى فنزلوا فى بنى عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم ونزل
جماعة من بنى المطلب بن عبد مناف فيهم مسطح بن اثاثة ومعه خباب بن الارت مولى
عتبة بن غزوان فى بنى المعجلان بقبا ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين
على سعد بن الربيع فى بنى الحرث بن الخزرج ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رهم
ابن عبد العزى على المنذر بن محمد بن عقبة بن احيحة ابن الجلاح فى دار بنى جحجبا ونزل مصعب
ابن عمير على سعد بن معاذ فى بنى عبد الاشهل ونزل أبو حذيفة بن عتبة ومولاه سالم وعتبة
ابن غزوان المازنى على عباد بن بشر من بنى عبد الاشهل ولم يكن سالم عتيق أبى حذيفة
وانما أعتقته امرأة من الاوس كانت زوجا لابى حذيفة اسمها ثبيتة بنت معاذ فتبناه
ونسب اليه ونزل عثمان بن عفان فى بنى النجار على اوس أخى حسان بن ثابت ولم يبق
أحد من المسلمين بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أبو بكر وعلى بن أبى طالب
فانهما أقاما بأمره وكان صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة

(الهجرة)

ولما علمت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شيعة وأنصار من غيرهم وانه
مجمع على اللحاق بهم وان أصحابه من المهاجرين سبقوه اليهم تشاوروا ما يصنعون فى

أمره واجتمعت لذلك مشيختهم فى دار الندوة عتبة وشيبة وأبو سفيان من بنى أمية
وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر من بنى نوفل والنضر بن الحارث من
بنى عبد الدار وأبو جهل من بنى مخزوم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج من بنى سهم وأمية بن
خلف من بنى جمح ومعهم من لا يعد من قريش فتشاوروا فى حبسه أو اخراجه عنهم
ثم اتفقوا على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى شابا جلدا فيقتلونه جميعا فيتفرق دمه فى
القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم واستعدوا لذلك من ليلتهم وجاء
الوحى بذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآى أرصدهم على باب منزله أمر على بن أبى
طالب ان ينام على فراشه ويتوشح ببرده ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم
فطمس الله تعالى على ابصارهم ووضع على رؤسهم ترابا وأقاموا طول ليلهم فلما أصبحوا
خرج اليهم على فعلموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نجا وتواعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع أبى بكر الصديق واستأجر عبد الله بن اريقط الدولى من بنى بكر بن عبد مناة
ليدل بهما الى المدينة وينكب عن الطريق العظمى وكان كافرا وحليفا للعاصى بن
وائل لكنهما وثقا بامره وكان دليلا بالطرق وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من
خوخة فى ظهر دار أبى بكر ليلا وأتيا الغار الذى فى جبل ثور باسفل مكة فدخلا فيه
وكان عبد الله بن أبى بكر يأتيهما بالاخبار وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وراعى غنمه
يريح غنمه عليهما بالليل ليأخذا حاجتهما من لبنها وأسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام
وتقفى عامر ابالغنم اثر عبد الله ولما فقدته قريش اتبعوه ومعهم القائف فقاف الاثر
حتى وقف عند الغار وقال هنا انقطع الاثر واذا بنسج العنكبوت على فم الغار
فاطمأنوا الى ذلك ورجعوا وجعلوا مائة ناقة لمن ردهما عليهم ثم أتاهما عبد الله بن اريقط
بعد ثلاث براحلتهما فركبا وأردف ابو بكر عامر بن فهيرة وأتتهما أسماء بسفرة لهما
وشقت نطاقها وربطت السفرة فسميت ذات النطاقين وحمل أبو بكر جميع ماله نحو
ستة آلاف درهم ومروا بسراقة بن مالك بن جعشم فاتبعهم ليردهم ولما رأوه دعا عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فى الارض فنادى بالامان وان
يقفوا له وطلب من النبى أن يكتب له كتابا فكتبه أبو بكر بأمره وسلك الدليل من
أسفل مكة على الساحل أسفل من عسفان وامج واجاز قديدا الى العرج ثم الى قبا من
عوالى المدينة ووردوها قريبا من الزوال يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع
الاول وخرج الانصار يتلقونه وقد كانوا ينتظرونه حتى اذا قلصت الظلال رجعوا الى
بيوتهم فتلقوه مع أبى بكر فى ظل نخلة ونزل عليه السلام بقبا على سعد بن خيثمة وقيل
على كلثوم بن الهدم ونزل ابو بكر بالسنح فى بنى الحرث بن خزرج على خبيب بن اسد

وقيل على خارجة بن زيد ولحق بهم على رضى الله عنه من مكة بعد أن ردّ الودائع للناس
التى كانت عند النبى صلى الله عليه وسلم فنزل معه بقباء وأقام رسول صلى الله عليه وسلم
هنالك أياما ثم نهض لما أمر الله وأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد
هنالك ورغب اليه رجال بنى سالم أن يقيم عندهم وتبادروا الى خطام ناقته اغتناما
لبركته فقال عليه السلام خلوا سبيلها فانها مأمورة ثم مشى والانصار حواليه الى أن
مر بدار بنى بياضة فتبادر اليه رجالهم يتبدرون خطام الناقة فقال دعوها فانها مأمورة
ثم مر بدار بنى ساعدة فتلقاه رجال وفيهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ودعوه كذلك وقال
لهم مثل ما قال للآخرين ثم الى دار بنى حارثة بن الخزرج فتلقاه سعد بن الربيع
وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة ثم مر ببنى عدى بن النجار اخوال عبد المطلب
ففعلوا وقال لهم مثل ذلك الى أن أتى دار بنى مالك بن النجار فبركت ناقته على باب
مسجده اليوم وهو يومئذ لغلامين منهم فى حجر معاذ بن عفراء اسمهما سهل وسهيل وفيه
خرب ونخل وقبور للمشركين ومربد ثم بركت الناقة وبقى على ظهرها ولم ينزل
فقامت ومشت غير بعيد ولم يثنها ثم التفتت خلفها ورجعت الى مكانها الاول فبركت
واستقرت ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وحمل ابو أيوب رحله الى داره فنزل
عليه وسأل عن المربد وأراد أن يتخذه مسجدا فاشتراه من بنى النجار بعد أن وهبوه
اياه فأبى من قبوله ثم أمر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطعت وبنى المسجد باللبن وجعل
عضادتيه الحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد وعمل فيه المسلمون حسبة لله
عز وجل ثم وادع اليهود وكتب بينه وبينهم كتاب صلح وموادعة شرط فيه لهم وعليهم
ثم مات اسعد بن زرارة وكان نقيبا لبنى النجار فطلبوا اقامة نقيب مكانه فقال أنا نقيبكم
ولم يخص بها منهم آخرون آخر فكانت من مناقبهم ثم لما رجع عبد الله بن اريقط
الى مكة أخبر عبد الله بن أبى بكر بمكانه فخرج ومعه عائشة أخته وامها أم رومان
ومعهم طلحة بن عبيد الله فقدموا المدينة وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة
بنت أبى بكر وبنى بها فى منزل أبى بكر بالسنح وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع
الى بناته وزوجته سودة بنت زمعة فحملاهنّ اليه من مكة وبلغ الخبر بموت أبى احيحة
والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل من مشيخة قريش ثم آخى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين المهاجرين والانصار فآخى بين جعفر بن أبى طالب وهو بالحبشة ومعاذ بن جبل
وبين أبى بكر الصديق وخارجة بن زيد وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك من بنى سالم
وبين أبى عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع
وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك

وبين

وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخى حسان وبين سعيد بن زيد وأبى بن كعب وبين
مصعب بن عمير وابى أيوب وبين أبى حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر بن وقش من بنى عبد
الاشهل وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان العبسى حليف بنى عبد الاشهل وقيل بل
ثابت بن قيس ابن شماس وبين أبى ذر الغفارى والمنذر بن عمرو من بنى ساعدة وبين حاطب
ابن أبى بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف وبين
سلمان الفارسى وأبى الدرداء وعمير بن بلتعة من بنى الحرث بن الخزرج (٣) وبين بلال
ابن حمامة وأبى رويحة الخثعمى (ثم) فرضت الزكاة ويقال وزيد فى صلاة الحاضر
ركعتين فصارت أربعا بعد ان كانت ركعتين سفرا وحضرا ثم أسلم عبد الله بن سلام وكفر
جمهور اليهود وظهر قوم من الاوس والخزرج منافقون يظهرون الاسلام مراعاة
لقومهم من الانصار ويصرون الكفر وكان رؤسهم من الخزرج عبد الله بن ابى ابن
سلول والجد بن قيس ومن الاوس الحرث بن سهيل بن الصامت وعباد بن حنيف ومربع
ابن قيظى وأخوه أوس من أهل مسجد الضرار وكان قوم من اليهود أيضا تعوذوا
بالاسلام وهم يبطنون الكفر منهم سعد بن حنيس وزيد بن اللصيت ورافع بن خزيمة ورفاعة
ابن زيد بن التابوت وكنانة بن خبورا (الابواء) ولما كان شهر صفر بعد مقدم النبى صلى
الله عليه وسلم المدينة خرج فى مائتين من أصحابه يريد قريشا وبنى ضمرة واستعمل
على المدينة سعد بن عبادة فبلغ ودّان والابواء ولم يلقهم واعترضه مخشى بن عمرو سيد بنى
ضمرة بن عبد مناة بن كنانة وسأله موادعة قومه فعقد له ورجع الى المدينة ولم يلق حربا
وهى أول غزاة غزاها بنفسه وتسمى بالابواء وبودّان المكانان اللذان انتهى اليهما
وهما متقاربان بنحو ستة أميال وكان صاحب اللواء فيها حمزة بن عبد المطلب (بواط) ثم
بلغه أن عير قريش نحو ألفين وخمسمائة فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ذاهبة
الى مكة فخرج فى ربيع الآخر لاعتراضها واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن
مظعون وقال الطبرى سعد بن معاذ فانتهى الى بواط ولم يلقهم ورجع الى المدينة
(العشيرة) ثم خرج فى جمادى الاولى غازيا قريشا واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد
الاسد فسلك عن جانب من الطريق الى أن لقى الطريق بصخيرات اليمام الى العشيرة من
بطن ينبع فأقام هنالك بقية جمادى الاولى وليال من جمادى الثانية ووادع بنى مدلج ثم
رجع الى المدينة ولم يلق حربا (بدر الاولى) وأقام بعد العشيرة نحو عشر ليال ثم أغار كرز بن
جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج فى طلبه حتى بلغ ناحية بدر وفاته كرز فرجع المدينة
(البعوث) وفى هذه الغزوات كلها غزا بنفسه وبعث فيما بينها بعوثا نذكرها (فمنها)
بعث حمزة بعد الابواء بعثه فى ثلاثين راكبا من المهاجرين الى سيف البحر فلقى أبا جهل

٣ سقط أخو عمير اه

الغزوات

غزوة الابواء

ثم غزوة بواط

ثم العشيرة

ثم بدر الاولى

البعوث

فى ثلثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى ولم يكن قتال (ومنها) بعث عبيدة بن الحرث بن المطلب فى ستين راكبا وثمانين من المهاجرين فبلغ ثنية المرار ولقى بها جمعا عظيما من قريش كان عليهم عكرمة بن أبى جهل وقيل مكرز بن حفص ابن الاخيف ولم يكن بينهم قتال وكان مع الكفار يومئذ من المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان خرجا مع الكفار ليجدا السبيل الى اللحاق بالنبى صلى الله عليه وسلم فهربا الى المسلمين وجاآ معهم وكان بعث حمزة وعبيدة متقاربين واختلف أيهما كان قبل الا أنهما أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) الطبرى ان بعث حمزة كان قبل ودّان فى شوال لسبعة أشهر من الهجرة (ومنها) بعث سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رهط من المهاجرين يطلب كرز بن جابر حين أغار على سرح المدينة فبلغ المرار ورجع (ومنها) بعث عبد الله بن جحش مرجعه من بدر الاولى فى شهر رجب بعثه بثمانية من المهاجرين وهم أبو حذيفة بن عتبة وعكاشة بن محصن بن أسد بن خزيمة وعتبة بن غزوان بن مازن بن منصور وسعد بن أبى وقاص وعامر بن ربيعة العنزى حليف بنى عدى وواقد بن عبد الله بن زيد مناة بن تميم وخالد بن البكير وسعد بن ليث وسهيل بن بيضا من فهر بن مالك وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ولا يكره أحدا من أصحابه (فلما) قرأ الكتاب بعد يومين وجد فيه أن تمض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف وترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فأخبر أصحابه وقال حتى تنزل النخلة بين مكة والطائف ومن أحب الشهادة فلينهض ولا أستكره أحدا فمضوا كلهم وضل لسعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان فى بعض الطريق بعيرلهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ونفر الباقون الى نخلة فمرت بهم عير لقريش تحمل تجارة فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان مولاهم وذلك آخر يوم من رجب فتشاور المسلمون وتحرج بعضهم الشهر الحرام ثم اتفقوا واغتنموا الفرصة فيهم فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمى فقتله وأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت نوفل وقدموا بالعير والاسيرين وقد أخرجوا الخمس فعزلوه فأنكر النبى صلى الله عليه وسلم فعلهم ذلك فى الشهر الحرام فسقط فى أيديهم ثم أنزل الله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية الى قوله حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا فسرّى عنهم وقبض النبى صلى الله عليه وسلم الخمس وقسم الغنيمة وقبل الفداء فى الاسيرين وأسلم الحكم بن كيسان منهما ورجع سعد وعتبة سالمين الى المدينة وهذه أول غنيمة غنمت فى الاسلام وأول غنيمة خمست فى الاسلام وقتل عمرو بن الحضرمى هو الذى هيج وقعة بدر الثانية

تحويل القبلة

(صرف القبلة) ثم صرفت القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة خطب بذلك على المنبر وسمعه بعض الانصار فقام فصلى ركعتين الى الكعبة قاله ابن حزم وقيل على رأس ثمانية عشر شهرا وقيل ستة عشر ولم يقل غير ذلك

غزوة بدر العظمى

(بدر الثانية) فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى رمضان من السنة الثانية ثم بلغه ان عيرا لقريش فيها أموال عظيمة مقبلة من الشام الى مكة معها ثلاثون او أربعون رجلا من قريش عميدهم أبو سفيان ومعه عمرو بن العاصى ومخرمة بن نوفل فندب عليه السلام المسلمين الى هذه العير وأمر من كان ظهره حاضرا بالخروج ولم يحتفل فى الحشد لانه لم يظن قتالا واتصل خروجه بأبى سفيان فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وبعثه الى أهل مكة يستنفرهم لعيرهم فنفروا وارعبوا الا يسيرا منهم أبو لهب وخرج صلى الله عليه وسلم لثمان خلون من رمضان واستخلف على الصلاة عمرو بن أم مكتوم وردّ أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ودفع اللواء الى مصعب بن عمير ودفع الى على راية والى رجل من الانصار أخرى يقال كانتا سوداوين وكان مع أصحابه صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعون بعيرا يعتقبونها فقط وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة من بنى النجار وراية الانصار يومئذ مع سعد بن معاذ فسلكوا نقب المدينة الى ذى الحليفة ثم انتهوا الى صخيرات يمام ثم الى بئر الروحاء ثم رجعوا ذات اليمين عن الطريق الى الصفراء (وبعث) عليه السلام قبلها بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة وعدى بن أبى الزغباء الجهنى حليف بنى النجار الى بدر يتحسسون أخبار أبى سفيان وغيره ثم تنكب عن الصفراء يمينا وخرج على وادى دقران فبلغه خروج قريش ونفيرهم فاستشار أصحابه فتكلم المهاجرون وأحسنوا وهو يريد ما يقوله الانصار وفهموا ذلك فتكلم سعد بن معاذ وكان فيما قال لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك فسر بنا يا رسول الله على بركة الله فسرّ بذلك وقال سيروا وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين ثم ارتحلوا من دقران الى قريب من بدر وبعث عليا والزبير وسعدا فى نفر يلتمسون الخبر فأصابوا غلامين لقريش فأتوا بهما وهو عليه السلام قائم يصلى وقالوا نحن سقاة قريش فكذبوهما كراهية فى الخبر ورجاء أن يكونا من العير للغنيمة وقلة المؤنة فجعلوا يضربونهما فيقولان نحن من العير فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر عليهم وقال للغلامين أخبرانى أين قريش فاخبراه أنهم وراء الكثيب وانهم ينحرون يوما عشرا من الابل ويوما تسعا فقال عليه السلام القوم بين التسعمائة والالف وقد كان بسبس وعدى الجهنيان مضيا يتحسسان ولا خبر حتى نزلا وأناخا قرب الماء واستقيا فى شن لهما ومجدى بن عمرو من جهينة بقربهما فسمع عدى جارية

من جوارى الحى تقول لصاحبتها العير تأتى غداً أو بعد غد وأعمل لهم وأقضيك الذى
لك وجاءت الى مجدى بن عمرو فصدقتها فرجع بسبس وعدى بالخبر وجاء أبو سفيان
بعدهما يتجسس الخبر فقال لمجدى هل أحسست أحداً فقال راكبين أناخا ميلان
لهذا التل فاستقيا الماء ونهضا فأتى أبو سفيان مناخهما وفتت من أبعار رواحلهما فقال
هذه والله علائف يثرب فرجع سريعاً وقد حذر وتنكب بالعير الى طريق الساحل فنجا
وأوصى الى قريش بأنا قد نجونا بالعير فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد
ماء بدر ونقيم به ثلاثاً وتهابنا العرب أبداً ورجع الاخنس بن شريق بجميع بنى زهرة
وكان حليفهم ومطاعاً فيهم وقال انما خرجتم تمنعون أموالكم وقد نجت فارجعوا وكان
بنو عدى لم ينفروا مع القوم فلم يشهد بدراً من قريش عدوى ولا زهرى وسبق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قريشاً الى ماء بدر وثبطهم عنه مطر نزل وبله مما يليهم وأصاب مما يلى
المسلمين دهس الوادى وأعانهم على السير فنزل عليه السلام على أدنى ماء من مياه بدر الى
المدينة فقال له الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح آلله أنزلك بهذا المنزل فلا نتحول عنه
أم قصدت الحرب والمكيدة فقال عليه السلام لا بل هو الرأى والحرب فقال يا رسول
الله ليس هذا بمنزل وانما نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ونبنى عليه حوضاً فنملؤه ونعور
القلب كلها فنكون قد منعناهم الماء فاستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بنوا له
عريشاً يكون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتيه من ربه النصر ومشى يريهم
مصارع القوم واحداً واحداً ولما نزل قريش مما يليهم بعثوا عمير بن وهب الجمحى
يحزر لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم
فارسان الزبير والمقداد فحزرهم وانصرف وخبرهم الخبر ورام حكيم بن حزام وعتبة بن
ربيعة أن يرجعا بقريش ولا يكون الحرب فأبى أبو جهل وساعده المشركون وتواقفت
الفئتان وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف بيده ورجع الى العريش ومعه
أبو بكر وحده وطفق يدعو ويلح وأبو بكر يقاوله ويقول فى دعائه اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد فى الارض اللهم أنجز لى ما وعدتنى وسعد بن معاذ وقوم معه من الانصار
على باب العريش يحمونه وأخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انتبه فقال أبشر
يا أبا بكر فقد أتى نصر الله ثم خرج يحرض الناس ورمى فى وجوه القوم بحفنة من حصى
وهو يقول شاهت الوجوه ثم تزاحفوا فخرج عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد يطلبون
البراز فخرج اليهم عبيدة بن الحرث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فقتل حمزة
وعلى شيبة والوليد وضرب عتبة عبيدة فقطع رجله فمات وجاء حمزة وعلى الى عتبة
فقتلاه وقد كان برز اليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة من الانصار فأبوا

الاقومهم وجال القوم جولة فهزم المشركون وقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً فمن
مشاهيرهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وحنظلة بن أبى سفيان بن حرب وابنا
سعيد بن العاصى عبيدة والعاصى والحرث بن عامر بن نوفل وابن عمه طعيمة بن عدى
وزمعة بن الاسود وابنه الحرث وأخوه عقيل بن الاسود وابن عمه أبو البخترى بن هشام
ونوفل بن خويلد بن أسد وأبو جهل بن هشام اشترك فيه معاذ ومعوذ ابنا عفراء ووجده
عبد الله بن مسعود وبه رمق فحز رأسه وأخوه العاصى بن هشام وابن عمهما مسعود
ابن أمية وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وابن عمه وأبو قيس بن الفاكه ونبيه ومنبه ابنا
الحجاج والعاصى بن منبه وأمية بن خلف وابنه على وعمير بن عثمان عم طلحة
(وأسر العباس بن عبد المطلب) وعقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب
والسائب بن عبد يزيد من بنى المطلب وعمرو بن أبى سفيان بن حرب وأبو العاصى بن
الربيع وخالد بن أسيد بن أبى العيص وعدى بن الخيار من بنى نوفل وعثمان بن عبد شمس
ابن عم عتبة بن غزوان وأبو عزيز أخو مصعب بن عمير وخالد بن هشام بن المغيرة وابن عمه
رفاعة بن أبى رفاعة وأمية بن أبى حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد أخو خالد وعبد الله
وعمرو ابنا أبى بن خلف وسهيل بن عمرو وفى آخرين مذكورين فى كتب السير (واستشهد)
من المسلمين من المهاجرين عبيدة بن الحارث بن المطلب وعمير بن أبى وقاص وذو
الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى حليف بنى زهرة وصفوان بن بيضاء من بنى الحرث
ابن فهر ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أصابه سهم فقتله وعاقل بن البكير
الليثى حليف بنى عدى من الانصار ثم من الاوس سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر
ومن الخزرج يزيد بن الحارث بن الخزرج وعمير بن الحمام من بنى سلمة سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحض على الجهاد ويرغب فى الجنة وفى يده تمرات يأكلهن فقال بخ بخ
أما بينى وبين الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ثم رمى بهن وقاتل حتى قتل ورافع بن المعلى
من بنى حبيب بن عبد حارثة وحارثة بن سراقة من بنى النجار وعوف ومعوذ ابنا عفراء
(ثم انجلت الحرب) وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين فسحبوا الى
القليب وطم عليهم التراب وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن مبذول بن عمرو
ابن غنم بن مازن بن النجار ثم انصرف الى المدينة فلما نزل الصفراء قسم الغنائم كما أمر
الله وضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة من بنى عبد الدار ثم نزل عرق الظبية فضرب
عنق عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية وكان فى الاسارى ومر الى المدينة فدخلها
لثمان بقين من رمضان (الكدر) وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه الى
المدينة اجتماع غطفان فخرج يريد بنى سليم بعد سبع ليال من منصرفه واستخلف على

غزوة الكدر

المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم فبلغ ماء يقال له الكدر وأقام عليه ثلاثة أيام ثم انصرف ولم يلق حربا وقيل انه أصاب من نعمهم ورجع بالغنيمة وانه بعث غالب بن عبد الله الليثى فى سرية فنالوا منهم وانصرفوا بالغنيمة وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذى الحجة وفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أسارى بدر

غزوة السويق

(السويق) ثم ان أبا سفيان لما انصرف من بدر نذر أن يغزو المدينة فخرج فى مائتى راكب حتى أتى بنى النضير ليلا فتوارى عنه حيى بن أخطب ولقيه سلام بن مشكم وقراه وأعلمه بخبر الناس ثم رجع ومر باطراف المدينة فحرق نخلا وقتل رجلين فى حرث لهما فنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون واستعمل على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر وبلغ الكدر وفاته أبو سفيان والمشركون وقد طرحوا السويق من أزوادهم ليتخففوا فاخذها المسلمون فسميت لذلك غزوة السويق وكانت فى ذى الحجة بعد بدر بشهرين

ذى أمر

(ذى أمر) ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر المحرم غازيا غطفان واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فأقام بنجد صفر وانصرف ولم يلق حربا

بحران

(بحران) ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ربيع الاول يريد قريشا واستخلف ابن أم مكتوم فبلغ بحران معدنا فى الحجاز ولم يلق حربا وأقام هنالك الى جمادى الثانية من السنة الثالثة وانصرف الى المدينة

قتل ابن الاشرف

(قتل كعب بن الاشرف) وكان كعب بن الاشرف رجلا من طيئ وأمه من يهود بنى النضير ولما أصيب أصحاب بدر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة مبشرين الى المدينة جعل يقول ويلكم أحق هذا وهؤلاء اشراف العرب وملوك الناس وان كان محمد أصاب هؤلاء فبطن الارض خير من ظهرها ثم قدم مكة ونزل على المطلب بن أبى وداعة السهمى وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبى العيص بن أمية فجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار ويبكى على أصحاب القليب ثم رجع الى المدينة فشبب بعاتكة ثم شبب بنساء المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يقتل كعب بن الاشرف فانتدب لذلك محمد بن مسلمة وملكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة من بنى عبد الاشهل أخو كعب من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش والحرث بن بشر بن معاذ وأبو عبس بن جبر من بنى حارثة وتقدم اليه ملكان بن سلامة وأظهر له انحرافا عن النبى صلى الله عليه وسلم عن اذن منه وشكا اليه ضيق الحال ورام أن يبيعه وأصحابه طعاما ويرهنون سلاحهم فأجاب الى ذلك ورجع الى أصحابه فخرجوا وشيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد فى ليلة قمراء وأتوا كعبا فخرج اليهم من حصنه ومشوا غير بعيد ثم وضعوا عليه سيوفهم ووضع محمد بن مسلمة معولا كان معه فى ثنته

فقتله وصاح عدو الله صيحة شديدة انذعر لها أهل الحصون التى حواليه وأوقدوا النيران ونجا القوم وقد جرح منهم الحرث بن أوس ببعض سيوفهم فنزفه الدم وتأخر ثم وافاهم بحرة العريض آخر الليل وأتوا النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى وأخبروه وتفل على جرح الحرث فبرأ وأذن للمسلمين فى قتل اليهود لما بلغه أنهم خافوا من هذه الفعلة وأسلم حينئذ حويصة بن مسعود وقد كان أسلم قبله أخوه محيصة بسبب قتل بعضهم

غزوة بنى قينقاع

(غزوة بنى قينقاع) وكان بنو قينقاع لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقف بسوق بنى قينقاع فى بعض الايام فوعظهم وذكرهم ما يعرفون من أمره فى كتابهم وحذرهم ما أصاب قريشا من البطشة فأساؤا الرد وقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما لا يعرفون الحرب فأصبت منهم والله لئن جربتنا لتعلمن أنا نحن الناس فأنزل الله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء وقيل بل قتل مسلم يهوديا بسوقهم فى حق فثاروا على المسلمين ونقضوا العهد ونزلت الآية فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر وقيل أبا لبابة وكانوا فى طرف المدينة فى سبعمائة مقاتل منهم ثلثمائة دارع ولم يكن لهم زرع ولا نخل انما كانوا تجارا وصاغة يعملون بأموالهم وهم قوم عبد الله بن سلام فحصرهم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يكلم احدا منهم حتى نزلوا على حكمه فكتفهم ليقتلوا فشفع فيهم عبد الله بن أبى ابن سلول وألح فى الرغبة حتى حقن له رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهم ثم أمر باجلائهم وأخذ ما كان لهم من سلاح وضياع وأمر عبادة بن الصامت فمضى بهم الى ظاهر ديارهم ولحقوا بخيبر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس من الغنائم وهو أول خمس أخذه ثم انصرف الى المدينة وحضر الاضحى فصلى بالناس فى الصحراء وذبح بيده شاتين ويقال أنهما أول أضحيته صلى الله عليه وسلم

سرية زيد الى قردة

(سرية زيد بن حارثة الى قردة) وكانت قريش من بعد بدر قد تخوفوا من اعتراض المسلمين عيرهم فى طريق الشأم وصاروا يسلكون طريق العراق وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية واستجاروا بفرات بن حيان من بكر بن وائل فخرج بهم فى الشتاء وسلك بهم على طريق العراق وانتهى خبر العير الى النبى صلى الله عليه وسلم وما فيها من المال وآنية الفضة فبعث زيد بن حارثة فى سرية فاعترضهم وظفر بالعير وأتى بفرات بن حيان العجلى أسيرا فتعوذ بالاسلام وأسلم وكان خمس هذه الغنيمة عشرين ألفا

قتل ابن أبى الحقيق

(قتل ابن أبى الحقيق) كان سلام بن أبى الحقيق هذا من يهود خيبر وكنيته أبو رافع وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحزب عليهم الاحزاب مثل أو قريبا من كعب بن الاشرف وكان الاوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحلين فى طاعة

رسول الله صلى الله عليه وسلم والذب عنه والنيل من أعدائه لا يفعل أحد القبيلتين شيئا من ذلك الا فعل الآخرون مثله وكان الاوس قد قتلوا كعب بن الاشرف كما ذكرناه فاستأذن الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل ابن أبى الحقيق نظير ابن الاشرف فى الكفر والعداوة فأذن لهم فخرج اليهم من الخزرج ثم من بنى سلمة ثمانية نفر منهم عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وأبو قتادة والحرث بن ربعى الخزاعى من حلفائهم فى آخرين وأمّر عليهم عبد الله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة وخرجوا فى منتصف جمادى الاخرة من سنة ثلاث فقدموا خيبر وأتوا دار ابن أبى الحقيق فى علية له بعد ان انصرف عنه سمره ونام وقد أغلقوا الابواب من حيث أفضوا كلها عليهم وناداه ليعرفوا مكانه بصوته ثم تعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه وخرجوا من القصر وأقاموا ظاهره حتى قام الناعى على سور القصر فاستيقنوا موته وذهبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر وكان أحدهم قد سقط من درج العلية فأصابه كسر فى ساقه فمسح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرأ

(غزوة أحد)

وكانت قريش بعد واقعة بدر قد تآمروا وطلبوا من أصحاب العير أن يعينوهم بالمال ليتجهزوا به لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعانوهم وخرجت قريش بأحابيشها وحلفائها وذلك فى شوال من سنة ثلاث واحتملوا الظعن التماسا للحفيظة وأن لا يفروا وأقبلوا حتى نزلوا ذا الحليفة قرب أحد ببطن السبخة مقابل المدينة على شفير واد هنالك وذلك فى رابع شوال وكانوا فى ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وقائدهم أبو سفيان ومعهم خمس عشرة امرأة بالدفوف يبكين قتلى بدر وأشار صلى الله عليه وسلم على أصحابه بأن يتحصنوا بالمدينة ولا يخرجوا وان جاؤا قاتلوهم على أفواه الازقة وأقر ذلك على رأى عبد الله بن أبى ابن سلول وألح قوم من فضلاء المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة فلبس لأمته وخرج وقدم أولئك الذين ألحوا عليه وقالوا يا رسول الله ان شئت فاقعد فقال ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته ان يضعها حتى يقاتل وخرج فى الف من اصحابه واستعمل ابن ام مكتوم على الصلاة ببقية المسلمين بالمدينة فلما سار بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن ابى فى ثلث الناس مغاضبا لمخالفة رأيه فى المقام وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرة بنى حارثة ومر بين الحوائط وأبو خيثمة من بنى حارثة يدل به حتى نزل الشعب من أحد مستندا الى الجبل وقد سرحت قريش الظهر والكراع فى زروع المسلمين وتهيأ للقتال فى سبعمائة فيهم خمسون فارسا وخمسون راميا وأمّر على الرماة عبد الله بن جبير من بنى عمرو بن عوف والاوس اخو خوات ورتبهم

خلف الجيش ينضحون بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من خلفهم ودفع اللواء الى مصعب بن عمير من بنى عبد الدار وأجاز يومئذ سمرة بن جندب الفزارى ورافع بن خديج من بنى حارثة فى الرماة وسنهما خمسة عشر عاما ورد اسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومن بنى مالك بن النجار زيد بن ثابت وعمرو بن حرام ومن بنى حارثة البراء بن عازب وأسيد ابن ظهير ورد عرابة بن أوس وزيد بن ارقم وأبا سعيد الخدرى سن جميعهم يومئذ أربعة عشر عاما وجعلت قريش على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل وأعطى عليه السلام سيفه بحقه الى أبى دجانة سماك بن خرشة من بنى ساعدة وكان شجاعا بطلا يختال عند الحرب وكان مع قريش ذلك اليوم والد حنظلة غسيل الملائكة أبو عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان فى طائفة وكان فى الجاهلية قد ترهب وتنسك فلما جاء الاسلام غلب عليه الشقاء وفر الى مكة فى رجال من الاوس وشهد أحدا مع الكفار وكان يعد قريشا فى انحراف الاوس اليه لما انه سيدهم فلم يصدق ظنه ولما ناداهم وعرفوه قالوا لا أنعم الله لك علينا يا فاسق فقاتل المسلمين قتالا شديدا وأبلى يومئذ حمزة وطلحة وشيبة وأبو دجانة والنضر بن أنس بلاء شديدا وأصيب جماعة من الانصار مقبلين غير مدبرين واشتد القتال وانهزم قريش أولا فخلت الرماة عن مراكزهم وكر المشركون كرة وقد فقدوا متابعة الرماة فانكشف المسلمون واستشهد منهم من أكرمه الله ووصل العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل مصعب بن عمير صاحب اللواء دونه حتى قتل وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر وهشمت البيضة فى رأسه يقال ان الذى تولى ذلك عتبة بن أبى وقاص وعمرو بن قميئة الليثى وشد حنظلة الغسيل على أبى سفيان ليقتله فاعترضه شداد بن الاسود الليثى من شعوب فقتله وكان جنبا فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الملائكة غسلته وأكبت الحجارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط من بعض حفرها فأخذ على بيده واحتضنه طلحة حتى قام ومص الدم من جرحه مالك بن سنان الخدرى والد ابى سعيد ونشبت حلقتان من حلق المغفر فى وجهه صلى الله عليه وسلم فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح فندرت ثنيتاه فصار أهتم ولحق المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكر دونه نفر من المسلمين فقتلوا كلهم وكان آخرهم عمار بن يزيد بن السكن ثم قاتل طلحة حتى أجهض المشركون وأبو دجانة يلى النبى صلى الله عليه وسلم بظهره وتقع فيه النبل فلا يتحرك وأصيبت عين قتادة بن النعمان من بنى ظفر فرجع وهى على وجنته فردها عليه السلام بيده فصحت وكانت أحسن عينيه وانتهى النضر بن أنس الى جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا قتل

ويقال اثرم بدل اهتم اه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما تصنعون فى الحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه ثم استقبل الناس وقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف عشرين جراحة بعضها فى رجله فعرج منها وقتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم قتله وحشى مولى جبير بن مطعم بن عدى وكان قد جاء له على ذلك بعتقه فرآه يبارز سباع بن عبد العزى فرماه بحربته من حيث لا يشعر فقتله ونادى الشيطان ألا ان محمدا قد قتل لان عمرو بن قمئة كان قد قتل مصعب بن عمير يظن أنه النبى صلى الله عليه وسلم وضربته أم عمارة نسيبة بنت كعب بن أبى مازن ضربات فتوقى منها بدرعيه وخشى المسلمون لما أصابه ووهنوا لصريخ الشيطان ثم ان كعب بن مالك الشاعر من بنى سلمة عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى بأعلى صوته يبشر الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أنصت فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا معه نحو الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلى والزبير والحرث بن الصمة الانصارى وغيرهم وأدركه أبى بن خلف فى الشعب فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة وطعنه بها فى عنقه فكر أبى منهزما وقال له المشركون ما بك من بأس فقال والله لو بصق على لقتلنى وكان صلى الله عليه وسلم قد توعده بالقتل فمات عدو الله بسرف مرجعهم الى مكة ثم جاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء فغسل وجهه ونهض فاستوى على صخرة من الجبل وحانت الصلاة فصلى بهم قعودا وغفر الله للمنهزمين من المسلمين ونزل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وكان منهم عثمان بن عفان وعثمان بن أبى عقبة الانصارى واستشهد فى ذلك اليوم حمزة كما ذكرناه وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير فى خمسة وستين معظمهم من الانصار وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفنوا بدمائهم وثيابهم فى مضاجعهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم وقتل من المشركين اثنان وعشرون منهم الوليد بن العاصى بن هشام وأبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن جمح وكان أسر يوم بدر فمن عليه وأطلقه بلا فداء على أن لا يعين عليه فنقض العهد وأسر يوم أحد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه صبرا وأبى بن خلف قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وصعد أبو سفيان الجبل حتى أطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونادى بأعلى صوته الحرب سجال يوم أحد بيوم بدر أعل هبل وانصرف وهو يقول موعدكم العام القابل فقال عليه السلام قولوا هو بيننا وبينكم ثم سار المشركون الى مكة ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وكانت هند وصواحبها قد جدعنه وبقرن عن كبده فلاكتها ولم تسغها ويقال انه لما رآى ذلك فى حمزة قال لئن أظفرنى الله بقريش

ولامثلن

لأمثلن بثلاثين منهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ويقال انه قال لعلى لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا (حمراء الاسد) ولما كان يوم أحد سادس عشر شوال وهو صبيحة يوم أحد أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لطلب العدو وأن لا يخرج الا من حضر معه بالامس وفسح لجابر بن عبد الله ممن سواهم فخرج وخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح وصار عليه السلام متجلدا مرهبا للعدو وانتهى الى حمراء الاسد على ثمانية أميال من المدينة وأقام بها ثلاثا ومر به هناك معبد بن أبى معبد الخزاعى سائرا الى مكة ولقى أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم وكانوا يرومون الرجوع الى المدينة ففت ذلك فى أعضادهم وعادوا الى مكة

غزوة حمراء الاسد

الرجيع

(بعث الرجيع) ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفر متم الثلاثة من الهجرة نفر من عضل والقارة بنى الهون من خزيمة اخوة بنى أسد فذكروا أن فيهم اسلاما ورغبوا أن يبعث فيهم من يفقههم فى الدين فبعث معهم ستة رجال من أصحابه مرثد بن أبى مرثد الغنوى وخالد بن البكير الليثى وعاصم بن ثابت بن أبى الافلح من بنى عمرو بن عوف وخبيب بن عدى من بنى جحجبا بن كلفة وزيد بن الدثنة بن بياضة بن عامر وعبد الله ابن طارق حليف بنى ظفر وأمر عليهم مرثدا منهم فنهضوا مع القوم حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل قريبا من عسفان غدروا بهم واستصرخوا هذيلا عليهم فغشوهم فى رحالهم ففزعوا الى القتال فأمنوهم وقالوا انا نريد نصيب بكم فداء من أهل مكة فامتنع مرثد وخالد وعاصم من أمنهم وقاتلوا حتى قتلوا ورموا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت نذرت أن تشرب فيه الخمر لما قتل ابنيها من بنى عبد الدار يوم أحد فأرسل الله الدبر فحمت عاصما منهم فتركوه الى الليل فجاء السيل فاحتمله وأما الآخرون فأسروهم وخرجوا بهم الى مكة ولما كانوا بمر الظهران انتزع ابن طارق يده من القران وأخذ سيفه فرموه بالحجارة فمات وجاؤا بخبيب وزيد الى مكة فباعوهما الى قريش فقتلوهما صبرا (غزوة بئر معونة) وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفر هذا ملاعب الاسنة أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة فدعاه الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال انى أخاف عليهم فقال أبو براء أنا لهم جار فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو من بنى ساعدة فى أربعين من المسلمين وقيل فى سبعين منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان خال أنس وعامر بن فهيرة ونافع بن بديل بن ورقاء فنزلوا بئر معونة بين أرض بنى عامر

الدبر بفتح الدال وسكون الموحدة الزنابير اهـ

غزوة بئر معونة

وحرة بنى سليم وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل فقتله ولم ينظر فى كتابه واستعدى عليهم بنى عامر فأبوا لجوار أبى براء اياهم فاستعدى بنى سليم فنهضت منهم عصية ورعل وذكوان وقتلوهم عن آخرهم وكان سرحهم الى جانب منهم ومعهم المنذر بن أحيحة من بنى الجلاح وعمرو بن أمية الضمرى فنظرا الى الطير تحوم على العسكر فأسرعا الى أصحابهما فوجداهم فى مضاجعهم فاما المنذر بن أحيحة فقاتل حتى قتل وأما عمرو بن أمية فجز عامر بن الطفيل ناصيته حين علم أنه من مضر لرقبة كانت عن أمه وذلك لعشر بقين من صفر وكانت مع الرجيع فى شهر واحد ولما رجع عمرو بن أمية لقى فى طريقه رجلين من بنى كلاب أو بنى سليم فنزلا معه فى ظل كان فيه ومعهما عهد من النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فانتسبا له فى بنى عامر أو سليم فعدا عليهما لما ناما وقتلهما وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأدينهما

غزوة بنى النضير

(غزوة بنى النضير) ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير مستعينا بهم فى دية هذين القتيلين فأجابوا وقعد عليه السلام مع أبى بكر وعمر وعلى ونفر من أصحابه الى جدار من جدرانهم وأراد بنو النضير رجلا منهم على الصعود الى ظهر البيت ليلقى على النبى صلى الله عليه وسلم صخرة فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب منهم وأوحى الله بذلك الى نبيه فقام ولم يشعر أحدا ممن معه واستبطأوه وأتبعوه الى المدينة فأخبرهم عن وحى الله بما أراد به يهود وأمر من أصحابه بالتهيؤ لحربهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ونهض فى شهر ربيع الاول أول السنة الرابعة من الهجرة فتحصنوا منه بالحصون فحاصرهم ست ليال وأمر بقطع النخل واحراقها ودس اليهم عبد الله بن أبى والمنافقون إنا معكم قتلتم أو أخرجتم فغروهم بذلك ثم خذلوهم كرها وأسلموهم وسأل عبد الله من النبى صلى الله عليه وسلم أن يكف عن دمائهم ويجليهم بما حملت الابل من أموالهم الا السلاح واحتمل الى خيبر من أكابرهم حيى بن أخطب وابن أبى الحقيق فدانت لهم خيبر ومنهم من سار الى الشأم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم بين المهاجرين الاولين خاصة وأعطى منها أبا دجانة وسهل بن حنيف كانا فقيرين وأسلم من بنى النضير يامين بن عمير بن جحاش وسعد بن وهب فأحرزا أموالهما بالاسلام وفى هذه الغزاة نزلت سورة الحشر

غزوة ذات الرقاع

(ذات الرقاع) وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بنى النضير الى جمادى من السنة الرابعة ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى وقيل عثمان بن عفان ونهض حتى نزل نجدا فلقى بها جمعا من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب الا أنهم خاف بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين

صلاة الخوف وسميت ذات الرقاع لان أقدامهم نقبت وكانوا يلفون عليها الخرق وقال الواقدى لان الجبل الذى نزلوا به كان به سواد وبياض وحمرة رقاعا فسميت بذلك وزعم أنها كانت فى المحرم

غزوة بدر الموعد

(غزوة بدر الصغرى الموعد) كان أبو سفيان نادى يوم أحد كما قدمناه بموعد بدر من قابل وأجابوه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان فى شعبان من هذه السنة الرابعة خرج لميعاده واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ونزل فى بدر وأقام هنالك ثمان ليال وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل الظهران أو عسفان ثم بدا له فى الرجوع واعتذر بان العام عام جدب

غزوة دومة الجندل

(غزوة دومة الجندل) خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول من السنة الخامسة وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وسببها أنه عليه السلام بلغه أن جمعا تجمعوا بها فغزاهم ثم انصرفوا من طريقه قبل أن يبلغ دومة الجندل ولم يلق حربا (وفيها) وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن أن يرعى بأراضى المدينة لان بلاده كانت أجدبت وكانت هذه قد أخصبت بسحابة وقعت فأذن له فى رعيها

غزوة الخندق

(غزوة الخندق) كانت فى شوال من السنة الخامسة والصحيح أنها فى الرابعة ويقويه ان ابن عمر يقول ردنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أجازنى يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فليس بينهما الا سنة واحدة وهو الصحيح فهى قبل دومة الجندل بلا شك وكان سببها ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وسلام بن مشكم وحيى بن أخطب من بنى النضير وهود ابن قيس وأبو عمارة من بنى وائل لما انجلى بنو النضير الى خيبر خرجوا الى مكة يحزبون الاحزاب ويحرضون على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغبون من انتدب الى ذلك بالمال فأجابهم أهل مكة الى ذلك ثم مضوا الى غطفان وخرج بهم عيينة بن حصن على أشجع وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بحفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده والمسلمون معه ويقال ان سلمان أشار به ثم أقبلت الاحزاب حتى نزلوا بظاهر المدينة بجانب أحد وخرج عليه السلام فى ثلاثة آلاف من المسلمين وقيل فى تسعمائة فقط وهو راجل بلا شك وخلف على المدينة ابن أم مكتوم فنزل بسطح سلع والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذرارى فجعلوا فى الآطام وكان بنو قريظة موادعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم حيى وأغراهم فنقضوا العهد ومالوا مع الاحزاب وبلغ أمرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة وخوات بن جبير وعبد الله بن رواحة يستخبرون الامر فوجدوهم مكاشفين

بالغدر والنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاتمهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه
وانصرفوا وكان صلى الله عليه وسلم قد أمرهم ان وجدوا الغدر حقا أن يخبروه تعريضا
لئلا يفتوا فى أعضاد الناس فلما جاؤا اليه قالوا يارسول الله عضل والقارة يريدون
غدرهم بأصحاب الرجيع فعظم الامر وأحيط بالمسلمين من كل جهة وهم بالفشل بنو
حارثة وبنو سلمة معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة ثم ثبتهم الله ودام الحصار على
المسلمين قريبا من شهر ولم تكن حرب ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن
حصن والحرث بن عوف أن يرجعا ولهما ثلثا ثمار المدينة وشاور فى ذلك سعد بن معاذ
وسعد بن عبادة فأبيا وقالا يارسول الله أشئ أمرك الله به فلا بد منه أم شئ تحبه فتصدقه
فتصنعه لك أم شئ تصنعه لنا فقال بل أصنعه لكم انى رأيت ان العرب رمتكم عن
قوس واحدة فقال سعد بن معاذ قد كنا معهم على الشرك والاوثان ولا يطمعون منا
بثمرة الا شراء او بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا والله لا نعطيهم
الا السيف فصلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمادى الامر وظهر فوارس من
قريش الى الخندق وفيهم عكرمة بن أبى جهل وعمرو بن عبد ود من بنى عامر بن لؤى
وضرار بن الخطاب من بنى محارب فلما راوا الخندق قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب
تعرفها ثم اقتحموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وسلع ودعوا الى البراز
وقتل على بن أبى طالب عمرو بن عبد ود ورجعوا الى قومهم من حيث دخلوا ورمى فى
بعض تلك الايام سعد بن معاذ بسهم فقطع عنه الاكحل يقال رماه حيان بن قيس بن
العرقة وقيل أبو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم ويروى أنه لما أصيب جعل يدعو اللهم
ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فلا قوم أحب الى أن أجاهدهم من
قوم آذوا رسولك وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها الى شهادة
ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة ثم اشتد الحال وأتى نعيم بن مسعود بن عامر بن
أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فقال يارسول
الله انى أسلمت ولم يعلم قومى فمرنى بما تشاء فقال انما أنت رجل واحد فخذل عنا ان
استطعت فان الحرب خدعة فخرج فأتى بنى قريظة وكان صديقهم فى الجاهلية فنقم
لهم فى قريش وغطفان وانهم ان لم يكن الظفر لحقوا ببلادهم وتركوكم ولا تقدرون على
التحول عن بلدكم ولا طاقة لكم بمحمد وأصحابه فاستوثقوا منهم برهن أبنائهم حتى
يصابروا معكم ثم أتى أبا سفيان وقريشا فقال لهم ان اليهود قد ندموا وراسلوا محمدا
فى المواعدة على أن يسترهنوا أبناءكم ويدفعوهم اليه ثم أتى غطفان وقال لهم مثل ما قال
لقريش فأرسل أبو سفيان وغطفان الى بنى قريظة فى ليلة سبت انا لسنا بدار مقام

فأعدوا للقتال فاعتذر اليهود بالسبت وقالوا مع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا أبناءكم فصدق
القوم خبر نعيم وردوا اليهم بالاباية من الرهن والحث على الخروج فصدق أيضا بنو قريظة
خبر نعيم وأبوا القتال وأرسل الله على قريش وغطفان ريحا عظيمة أكفأت قدورهم
وآنيتهم وقلعت أبنيتهم وخباءهم وبعث عليه السلام حذيفة بن اليمان عينا فأتاه بخبر
رحيلهم وأصبح وقد ذهب الاحزاب ورجع الى المدينة (غزوة بنى قريظة) ولما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه جبريل بالنهوض الى بنى قريظة وذلك
بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم فأمر المسلمين أن لا يصلى أحد العصر الا فى بنى قريظة
وخرج وأعطى الراية على بن أبى طالب واستخلف ابن أم مكتوم وحاصرهم صلى الله
عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد احدى ثلاث إما
الاسلام وإما تبييت النبى صلى الله عليه وسلم ليلة السبت لكون الناس آمنين
منهم واما قتل الذرارى والنساء ثم الاستماتة فأبوا كل ذلك وأرسلوا الى النبى صلى الله
عليه وسلم أن يبعث اليهم أبا لبابة بن عبد المنذر بن عمرو بن عوف لانهم كانوا احلفاء
الاوس فأرسله واجتمع اليه الرجال والنساء والصبيان فقالوا يا أبا لبابة ترى لنا أن
ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده فى حلقه انه الذبح ثم رجع فندم وعلم أنه أذنب
فانطلق على وجهه ولم يرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وربط نفسه الى عمود فى المسجد
ينتظر توبة الله عليه وعاهد الله أن لا يدخل أرض بنى قريظة مكانا خان فيه ربه ونبيه
وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لو أتانى لاستغفرت له فاما بعد ما فعل فما
أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه فنزلت توبته فتولى عليه السلام اطلاقه بيده بعد
أن أقام مرتبطا بالجذع ست ليال لا يحل الا للصلاة ثم نزل بنو قريظة على حكم النبى
صلى الله عليه وسلم فأسلم بعضهم ليلة نزولهم وهم نفر أربعة من هذيل اخوة قريظة
والنضير وفر عنهم عمرو بن سعد القرظى ولم يكن دخل معهم فى نقض العهد فلم يعلم أين
وقع ولما نزل بنو قريظة على حكمه صلى الله عليه وسلم طلب الاوس أن يفعل فيهم ما فعل
بالخزرج فى بنى النضير فقال لهم ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك
الى سعد بن معاذ وكان جريحا منذ يوم الخندق وقد أنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى خيمة فى المسجد ليعوده من قريب فأتى به على حمار فلما أقبل على المجلس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم قوموا الى سيدكم ثم قالوا يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد ولاك حكم مواليك فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه قالوا نعم قال فانى
أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتسبى الذرارى والنساء وتقسم الاموال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم أنه أمر فأخرجوا

غزوة بنى قريظة

الى سوق المدينة وخندق لهم بها خنادق وضربت أعناقهم فيها وهم بين الستمائة والسبعمائة رجل وقتلت فيهم امرأة واحدة بنانة امرأة الحكم القرظى وكانت طرحت على خلاد بن سويد بن الصامت رحى من فوق الحائط فقتلته وأمر عليه السلام بقتل من أنبت منهم ووهب لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن باطا فاستحيا منهم عبد الرحمن بن الزبير كانت له صحبة وبعد أن كان ثابت استوهب من النبى صلى الله عليه وسلم الزبير وأهله وماله فوهبه ذلك فرالزبير عليه يده وأبى الا الشدّ مع قومه اغتباطا بهم قبحه الله ووهب عليه السلام لام المنذر بنت قيس من بنى النجار رفاعة ابن سموأل القرظى فأسلم رفاعة وله صحبة وقسم صلى الله عليه وسلم أموال بنى قريظة فأسهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهما وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارسا ووقع فى سهم النبى صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بنى عمرو بن قريظة فلم تزل فى ملكه حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فتح بنى قريظة آخر ذى القعدة من السنة الرابعة ولما تم أمرهم قد أجيبت دعوة سعد بن معاذ فانفجر عرقه ومات فكان ممن استشهد يوم الخندق فى سبعة آخرين من الانصار وأصيب من المشركين يوم الخندق أربعة من قريش فيهم عمرو بن عبد ودّ وابنه حسل ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ولم تغز كفار قريش المسلمين مذ يوم الخندق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الاولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بنى قريظة فقصد بنى لحيان يطالب بثار عاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وأهل الرجيع وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل فسلك على طريق الشأم أولا ثم أخذ ذات اليسار الى صخيرات اليمام ثم رجع الى طريق مكة وأجد السير حتى نزل منازل لبنى بين أمج وعسفان فوجدهم قد حذروا وامتنعوا بالجبال وفاتتهم الغرة فيهم فخرج فى مائتى راكب الى المدينة (غزوة الغابة ذى قرد) وبعد قفوله والمسلمين الى المدينة بليال أغار عيينة بن حصن الفزارى فى بنى عبد الله من غطفان فاستلحموا لقاح النبى صلى الله عليه وسلم بالغابة وكان فيها رجل من بنى غفار وامرأته فقتلوا الرجل وحملوا المرأة ونذر بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمى وكان ناهضا فعلا ثنية الوداع وصاح بأعلى صوته نذيرا بهم ثم اتبعهم واستنقذ ما كان بأيديهم ولما وقعت الصيحة بالمدينة ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثرهم ولحق به المقداد بن الاسود وعباد بن بشر وسعد بن زيد من بنى عبد الاشهل وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة الاسدى وأبو قتادة من بنى سلمة فى جماعة من المهاجرين والانصار وأمّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد وانطلقوا فى اتباعهم حتى أدركوهم فكانت بينهم جولة قتل فيها محرز بن نضلة قتله عبد الرحمن بن

غزوة الغابة

عيينة وكان أول من لحق بهم ثم ولى المشركون منهزمين وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء يقال له ذو قرد فأقام عليه ليلة ويومها ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة ثم قفل الى المدينة (غزاة بنى المصطلق) وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شعبان من هذه السنة السادسة ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة لما بلغه أنهم مجتمعون له وقائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية أم المؤمنين فخرج اليهم واستخلف أبا ذر الغفارى وقيل نميلة بن عبد الله الليثى ولقيهم بالمريسيع من مياههم ما بين قديد والساحل فتزاحفوا وهزمهم الله وقتل من قتل منهم وسبى النساء والذرية وكانت منهم جويرية بنت الحرث سيدهم ووقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبها وأدّى عليه السلام عنها وأعتقها وتزوجها وأصيب فى هذه الغزاة هشام بن صبابة الليثى من بنى ليث بن بكر قتله رجل من رهط عبادة بن الصامت غلطا يظنه من العدو وفى مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من هذه الغزاة وفيها قال عبد الله بن أبى ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل لمشاجرة وقعت بين جهجاه بن مسعود الغفارى أجير عمر بن الخطاب وبين سنان ابن وافد الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج فتثاوروا وتناهوا فقال ما قال وسمع زيد ابن أرقم مقالته وبلغها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت سورة المنافقين وتبرأ منه ابنه عبد الله وقال يا رسول الله أنت والله الاعز وهو الاذل وان شئت والله أخرجته ثم اعترض أباه عند المدينة وقال والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له وحينئذ دخل وقال يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبى وانى أخشى أن تأمر غيرى فلا تدعنى نفسى أن أقاتله وان قتلته قتلت مؤمنا بكافر ولكن مرنى بذلك فأنا والله أحمل اليك رأسه فجزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا وأخبره انه لا يصل الى أبيه سوء (وفيها) قال أهل الافك ما قالوا فى شأن عائشة مما لا حاجة بنا الى ذكره وهو معروف فى كتب السير وقد أنزل الله القرآن الحكيم ببراءتها وتشريفها وقد وقع فى الصحيح أن مراجعته وقعت فى ذلك بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهو وهم ينبغى التنبيه عليه لان سعد بن معاذ مات بعد فتح بنى قريظة بلا شك داخل السنة الرابعة وغزوة بنى المصطلق فى شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهرا من موت سعد والملاحاة بين الرجلين كانت بعد غزوة بنى المصطلق بأزيد من خمسين ليلة والذى ذكر ابن اسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله وغيره ان المقاول لسعد بن عبادة انما هو أسيد بن الحضير والله أعلم (ولما) علم المسلمون ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية أعتقوا كل من كان فى أيديهم من بنى المصطلق أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق بسببها مائة من أهل بيتها ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى

غزوة بنى المصطلق

المصطلق بعد اسلامهم بعامين الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقبض صدقاتهم فخرجوا يتلقونه فخافهم على نفسه ورجع وأخبر أنهم هموا بقتله فتشاور المسلمون في غدرهم ثم جاء وفدهم منكرين ما كان من رجوع الوليد قبل لقيهم وأنهم انما خرجوا تلقية وكرامة وروده فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ونزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق الآية

(عمرة الحديبية)

(عمرة الحديبية)

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السادسة وفي ذي القعدة منها معتمرا بعد بني المصطلق بشهرين واستنفر الاعراب حوالي المدينة فأبطأ أكثرهم فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار واتبعه من العرب فيما بين الثلثمائة بعد الالف الى الخمسمائة وساق الهدى وأحرم من المدينة ليعلم الناس أنه لا يريد حربا وبلغ ذلك قريشا فأجمعوا على صده عن البيت وقتاله دونها وقدموا خالد بن الوليد في خيل الى كراع الغميم وورد خبرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان فسلك على ثنية المرار حتى نزل الحديبية من أسفل مكة وجاء من ورائهم فكر خالد في خيله الى مكة فلما جاء صلى الله عليه وسلم الى مكة بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال ما خلأت وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم نزل واشتكى الناس فقد الماء فأعطاهم سهما من كنانته غرزوه في بعض القلب من الوادي فجاش الماء حتى كفى جميع الجيش يقال نزل به البراء بن عازب ثم جرت السفراء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش وبعث عثمان بن عفان بينهما رسولا وشاع الخبر ان المشركين قتلوه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وجلس تحت شجرة فبايعوه على الموت وأن لا يفروا وهي بيعة الرضوان وضرب عليه السلام بيسراه على يمينه وقال هذه عن عثمان ثم كان سهيل بن عمرو وآخر من جاء من قريش فقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينصرف عامه ذلك ويأتي من قابل معتمرا ويدخل مكة وأصحابه بلا سلاح حاشا السيوف في القرب فيقيم بها ثلاثا ولا يزيد وعلى أن يتصل الصلح عشرة أعوام يتداخل فيه الناس ويأمن بعضهم بعضا وعلى أن من هاجر من الكفار الى المسلمين من رجل أو امرأة أن يرد الى قومه ومن ارتد من المسلمين اليهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين حتى تكلم فيه بعضهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الاسلام وان الله يجعل فيه فرجا للمسلمين وهو أعلم بما علمه ربه وكتب الصحيفة علي وكتب في صدرها هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى سهيل عن ذلك وقال لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يمحوها فأبى وتناول هو الصحيفة بيده ومحا ذلك وكتب محمد بن عبد الله (ولا يقع في ذهنك من أمر هذه الكتابة ريب فانها قد ثبتت في الصحيح وما يعترض في الوهم من ان كتابته قادحة في المعجزة فهو باطل لان هذه الكتابة اذا وقعت من غير معرفة بأوضاع الحروف ولا قوانين الخط وأشكالها بقيت الامية على ما كانت عليه وكانت هذه الكتابة الخاصة من احدى المعجزات انتهى ثم أتى أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده وكان قد أسلم فقال سهيل هذا أول ما نقاضي عليه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبيه وعظم ذلك على المسلمين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جندل ان الله سيجعل له فرجا وبينما هم يكتبون الكتاب اذ جاءت سرية من جهة قريش قيل ما بين الثلاثين والاربعين يريدون الايقاع بالمسلمين فأخذتهم خيول المسلمين وجاؤا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم فاليهم ينسب العتقيون (ولما تم الصلح وكتابه) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحروا ويحلقوا فتوقفوا فغضب حتى شكى الى زوجته أم سلمة فقالت يا رسول الله اخرج وانحر واحلق فانهم تابعوك فخرج ونحر وحلق رأسه حينئذ خراش بن أمية الخزاعي ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وما فتح من قبله فتح كان أعظم من هذا الفتح قال الزهري لما كان القتال حيث لا يلتقي الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضا فالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالاسلام أحدا يفعل شيئا الا دخل عليه فلقد دخل في ذينك السنتين في الاسلام مثلما كان قبل ذلك أو أكثر (ولما رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة لحقه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية هاربا وكان قد أسلم وحبسه قومه بمكة وهو ثقفي من حلفاء بني زهرة فبعث اليه الازهر بن عبد عوف عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس بن شريق سيد بني زهرة رجلا من بني عامر بن لؤي مع مولى لهم فأسلمه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتملاه فلما نزلوا بذي الحليفة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين ثم ضرب به العامري فقتله وفر الآخر وأتى أبو بصير الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد وفت ذمتك وأطلقني الله فقال عليه السلام ويله (٣) مسعر حرب لو كان له رجال ففطن أبو بصير من لحن هذا القول أنه سيرده وخرج الى سيف البحر على طريق قريش الى الشأم وانضاف اليه جمع ممن يفر من قريش ممن أراد الاسلام فآذوا قريشا وقطعوا على رفاقهم وسابلتهم فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يضمهم بالمدينة ثم هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وجاء فيها أخواها عمارة والوليد فمنع الله من رد النساء وفسخ ذلك الشرط المكتتب ثم نسخت براءة ذلك كله وحرم الله حينئذ

(٣) أصله ويل أمه

على المسلمين امساك الكوافر فى عصمتهم فانفسخ نكاحهن

(ارسال الرسل الى الملوك)

ارسال الرسل الى الملوك

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين الحديبية ووفاته رجالا من أصحابه الى ملوك العرب والعجم دعاة الى الله عز وجل فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود أخا بنى عامر بن لؤى الى هوذة بن على صاحب اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر ابن ساوى أخى بنى عبد القيس صاحب البحرين وعمرو بن العاصى الى جيفر بن جلندى ابن عامر بن جلندى صاحب عمان وبعث حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية فأدى اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى المقوقس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار منهن مارية أم ابراهيم ابنه وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبى الى قيصر وهو هرقل ملك الروم فوصل الى بصرى وبعثه صاحب بصرى الى هرقل وكان يرى فى ملاحمهم أن ملك الختان قد ظهر فقرأ الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين وفى رواية اثم الاكارين عليك تعما تحمله فطلب من فى مملكته من قوم النبى صلى الله عليه وسلم فأحضروا له من غزة وكان فيهم أبو سفيان فسأله كما وقع فى الصحيح فأجابه وسلم أحواله وتفرس صحة أمره وعرض على الروم اتباعه فأبوا ونفروا فلاطفهم بالقول وأقصر (ويروى) عن ابن اسحق أنه عرض عليهم الجزية فأبوا فعرض عليهم أن يصالحوا بأرض سورية (قالوا وهى أرض فلسطين والاردن ودمشق وحمص وما دون الدرب وما كان وراء الدرب فهو الشأم) فأبوا (قال ابن اسحق) وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الاسدى أخا بنى أسد بن خزيمة الى الحرث بن شمر الغسانى صاحب دمشق وكتب معه السلام على من اتبع الهدى وآمن به أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك فلما قرأ الكتاب قال من ينزع ملكى أنا سائر اليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم باد ملكه (قال) وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه وكتب معه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى الاصحم عظيم الحبشة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم الطيبة البتول الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول

الله وقد بعثت اليك ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين فاذا جاؤك فاقرهم ودع التجبر وانى أدعوك وجنودك الى الله فلقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى فكتب اليه النجاشى الى محمد رسول الله من النجاشى الاصحم ابن الحر سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته أحمد الله الذى لا اله الا هو الذى هدانا للاسلام أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ما نزيد بالرأى على ما ذكرت انه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد انك رسول الله صادقا مصدقا فقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك بابنى أرحا الاصحم فانى لا أملك الا نفسى ان شئت ان آتيك فعلت يا رسول الله فانى أشهد ان الذى تقول حق والسلام عليك يا رسول الله فذكر انه بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة فغرقت بهم (وقد جاء) انه أرسل الى النجاشى ليزوجه أم حبيبة وبعث اليها بالخطبة جاريته فأعطتها أوضاحا وفتخا ووكلت خالد بن سعيد بن العاصى فزوجها ودفع النجاشى الى خالد بن سعيد أربعمائة دينار اصداقها وجاءت اليها بها الجارية فأعطتها منها خمسين مثقالا فردت الجارية ذلك بأمر النجاشى وكانت الجارية صاحبة دهنه وثيابه وبعث اليها نساء النجاشى بما عندهن من عود وعنبر وأركبها فى سفينتين مع بقية المهاجرين فلقوا النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر وبلغ أبا سفيان تزويج أم حبيبة منه فقال ذلك الفحل الذى لا يقدع انفه (وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة الى كسرى وبعث بالكتاب عبد الله بن حذافة السهمى وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسله أما بعد فانى رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حيا أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس فمزق كسرى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكه وفى رواية ابن اسحق بعد قوله وآمن بالله ورسله واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فان أبيت فاثم الاريسيين عليك (قال) فلما قرأه مزقه وقال يكتب الى هذا وهو عبدى (قال) ثم كتب كسرى الى باذان وهو عامله على اليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتيانى به فبعث باذان قهرمانه بانويه وكان حاسبا كاتبا بكتاب فارس ومعه خرخسرة من الفرس وكتب اليه معهما أن ينصرف الى كسرى وقال لقهرمانه اختبر الرجل وعرفنى بأمره وأول ما قدما الطائف سألا

عنه فقيل هو بالمدينة وفرح من سمع بذلك من قريش وكانوا بالطائف وقالوا قطب
له كسرى وقد كفيتموه وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فكلمه باذويه
وقال ان شاهنشاه قد كتب الى الملك باذان أن يبعث اليك من يأتيه بك وبعثني
لتنطلق معي ويكتب معه فينفعك وان أبيت فهو من علمت ويهلك قومك ويخرب بلادك
وكانا قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقالا أمرنا به ربنا يعنون به كسرى فقال لهما لكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص
شاربي لم أؤخرهما الى غد وجاءه الوحي بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله
ليلة كذا من شهر كذا العشرين من جمادى الاولى سنة سبع فدعاهما وأخبرهما
فقالا هل تدري ما تقول يحزنانه عاقبة هذا القول فقال اذهبا وأخبراه بذلك عني
وقولا له ان ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ ملك كسرى وان أسلمت أعطيتك ما تحت يدك
وملكتك على قومك من الابناء وأعطى خرخسرة منطقة فيها ذهب وفضة كان بعض
الملوك أهداها له فقدما على باذان وأخبراه فقال ما هذا كلام ملك ما أرى الرجل الا نبيا
كما يقول ونحن ننتظر مقالته فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد فاني قد
قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل اشرافهم وتجميرهم في
ثغورهم فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وأنظر الرجل الذي كان كسرى
كتب فيه اليك فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه فلما بلغ باذان الكتاب وأسلمت الابناء
معه من فارس ممن كان منهم باليمن وكانت حمير تسمى خرخسرة ذا المفخرة للمنطقة التي
أعطاه اياها النبي صلى الله عليه وسلم والمنطقة بلسانهم المفخرة وقد كان باذويه قال
لباذان ما كلمت رجلا قط أهيب عندي منه فقال هل معه شرط قال لا (قال الواقدي)
وكتب الى المقوقس عظيم القبط يدعوه الى الاسلام فلم يسلم

(غزوة خيبر)

(غزوة خيبر)

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا الى خيبر في بقية المحرم آخر السنة
السادسة (٣) وهو في ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس واستخلف نميلة بن
عبد الله الليثي وأعطى رايته لعلي بن أبي طالب وسلك على الصهباء حتى نزل بواديها الى
الرجيع فحيل بينهم وبين غطفان وقد كانوا أرادوا امدادهم ودخيبر فلما خرجوا لذلك
قذف الله في قلوبهم الرعب لحس سمعوه من ورائهم فانصرفوا وأقاموا في أماكنهم
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح حصون خيبر حصنا حصنا فافتتح أولا منها
حصن ناعم وألقيت على محمود بن سلمة من أعلاه رحى فقتلته ثم افتتح القموص حصن
ابن أبي الحقيق وأصيبت منهم سبايا كانت منهن صفية بنت حي بن أخطب وكانت

(٣) هذا منقول عن مالك بناء على ان ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع وعلى المشهور محرم هو أول سنة سبع كما في المواهب قاله نصر

عروسا

عروسا عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فوهبها عليه السلام لدحية ثم ابتاعها منه
بسبعة أرؤس ووضعها عند أم سلمة حتى اعتدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها ثم فتح
حصن الصعب بن معاذ ولم يكن بخيبر أكثر طعاما وودكا منه وآخر ما افتتح من حصونهم
الوطيح والسلالم حصرهما بضع عشرة ليلة ودفع الى علي الراية في حصار بعض
حصونهم ففتحه وكان أرمد فتفل في عينه صلى الله عليه وسلم فبرأ وكان فتح بعض خيبر
عنوة وبعضها وهو الاكثر صلحا على الجلاء فقسمها صلى الله عليه وسلم وأقر اليهود على
أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما تخرج من زرع أو تمر يقرهم
على ذلك ما بدا له فبقوا على ذلك الى آخر خلافة عمر فبلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في مرضه الذي مات فيه لا يبقى دينان بأرض العرب فأمر باجلائهم عن خيبر
وغيرها من بلاد العرب وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر فتصرفوا فيها
وكان متولي قسمتها بين أصحابها جابر بن صخر من بني سلمة وزيد بن ثابت من بني النجار
واستشهد من المسلمين جماعة تنيف على العشرين من المهاجرين والانصار منهم عامر
ابن الاكوع وغيره (وفي هذه الغزاة) حرمت لحوم الحمر الاهلية فأكفئت القدور
وهي تفور بلحمها (وفيها) أهدت اليهودية زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم
الى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية وجعلت السم في الذراع منها وكان أحب
اللحم اليه فتناوله ولاك منه مضغة ثم لفظها وقال ان هذا العظم يخبرني أنه مسموم
وأكل معه بشر بن البراء بن معرور وازدرد لقمته فمات منها ثم دعا باليهودية
فاعترفت ولم يقتلها لاسلامها حينئذ على ما قيل ويقال انه دفعها الى أولياء بشر فقتلوها
(قدوم مهاجرة الحبشة) وكان مهاجرة الحبشة قد جاء جماعة منهم الى مكة قبل الهجرة
حين سمعوا باسلام قريش ثم هاجروا الى المدينة وجاء آخرون منهم قبل خيبر بسنتين
ثم جاء بقيتهم اثر فتح خيبر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري
الى النجاشي في شأنهم ليقدمهم عليه فقدم جعفر بن أبي طالب وامرأته اسماء بنت
عميس وبنوهما عبد الله ومحمد وعون وخالد بن سعيد بن العاصي بن أمية وامرأته أمينة
بنت خلف وابناهما سعيد وأم خالد وعمرو بن سعيد بن العاصي ومعيقيب بن أبي فاطمة
حليف أبي سعيد بن العاصي ولي بيت المال لعمر وأبو موسى الاشعري حليف آل
عتبة بن ربيعة والاسود بن نوفل بن خويلد ابن أخي خديجة وجهم بن قيس بن شرحبيل
ابن عبد الدار وابناه عمرو وخزيمة والحرث بن خالد بن صخر بن تميم وعثمان بن ربيعة بن
اهبان من بني جمح ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ولي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الاخماس ومعمر بن عبد الله بن نضلة من بني عدي وأبو حاطب بن عمرو بن عبد

شمس بن عامر بن لؤى وأبى عمرو مالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس فكان هؤلاء آخر من بقى بأرض الحبشة ولما قدم جعفر على النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر قبل ما بين عينيه والتزمه وقال ما أدرى بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر

فتح فدك ووادى القرى

(فتح فدك ووادى القرى)

ولما اتصل بأهل فدك شان أهل خيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه الامان على أن يتركوا الاموال فأجابهم الى ذلك فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فلم يقسمها ووضعها حيث أمره الله ثم انصرف عن خيبر الى وادى القرى فافتتحها عنوة وقسمها وقتل به غلامه مدعم فقال فيه لما شهد له الناس بالجنة كلا ان الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم قبل القسم لتشتعل عليه نارا ثم رحل الى المدينة فى شهر صفر

(عمرة القضاء)

(عمرة القضاء)

وأقام صلى الله عليه وسلم بعد خيبر الى انقضاء شوال من السنة السابعة ثم خرج فى ذى القعدة لقضاء العمرة التى عاهده عليها قريش يوم الحديبية وعقد لها الصلح وخرج ملأ من قريش عن مكة عداوة لله ولرسوله وكرها فى لقائه فقضى عمرته وتزوج بعد احلاله بميمونة بنت الحرث من بنى هلال ابن عامر خالة ابن عباس وخالد بن الوليد وأراد أن يبنى بها وقد تمت الثلاث التى عاهده قريش على المقام بها وأوصوا اليه بالخروج وأعجلوه عن ذلك فبنى بها بسرف

مطلب غزوة مؤتة

(غزوة جيش الامراء)

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من عمرة القضاء الى جمادى الاولى من السنة الثامنة ثم بعث الامراء الى الشام وقد كان أسلم قبل ذلك عمرو بن العاصى وخالد ابن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبى طلحة وهم من كبراء قريش وقد كان عمرو بن العاصى مضى عن قريش الى النجاشى يطلبه فى المهاجرين الذين عنده ولقى هنالك عمرو بن أمية الضمرى وافد النبى صلى الله عليه وسلم فغضب النجاشى لما كلمه فى ذلك فوفقه الله ورىء الحق فأسلم وكتم اسلامه ورجع الى قريش ولقى خالد بن الوليد فأخبره فتقفا وضا ثم هاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاسلما وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا مع بعث الشأم وأمّر على الجيش مولاه زيد بن حارثة نحوا من ثلاثة آلاف وقال ان أصابه قدر فالامير جعفر بن أبى طالب فان أصابه قدر فالامير عبد الله بن رواحة فان أصيب فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه أميرا عليهم وشيعهم صلى الله عليه وسلم

وودعهم ونهضوا حتى انتهوا الى معان من أرض الشأم فأتاهم الخبر بأن هرقل ملك الروم قد نزل مؤاب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب البادين هنالك من لخم وجذام وقبائل قضاعة من بهراء وبلى والقين وعليهم مالك بن زافلة من بنى اراشة فأقام المسلمون فى معان ليلتين يتشاورون فى الكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظار أمره ومدده ثم قال لهم عبد الله بن رواحة أنتم انما خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا الى جموع هرقل عند قرية مؤتة ورتبوا الميمنة والميسرة واقتتلوا فقتل زيد بن حارثة ملاقيا بصدره الرماح والراية فى يده فأخذها جعفر بن أبى طالب وعقر فرسه ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذها بيساره فقطعت كذلك وكان ابن ثلاث وثلاثين سنة فأخذها عبد الله بن رواحة وتردد عن النزول بعض الشئ ثم صمم الى العدو فقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أقرم من بنى العجلان وناولها لخالد بن الوليد فانحاز بالمسلمين وانذر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل هؤلاء الامراء قبل ورود الخبر وفى يوم قتلهم واستشهد مع الامراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة أكرمهم الله بالشهادة ورجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأحزنه موت جعفر ولقيهم خارج المدينة وحمل عبد الله بن جعفر بين يديه على دابته وهو صبى وبكى عليه واستغفر له وقال أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة فسمى ذا الجناحين

(فتح مكة)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عقد الصلح بينه وبين قريش فى الحديبية أدخل خزاعة فى عقده المؤمن منهم والكافر وأدخلت قريش بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى عقدها وكانت بينهم ترات فى الجاهلية وذحول كان فيها الاول للاسود بن رزن من بنى الدئل بن بكر بن عبد مناة وثارهم عند خزاعة لما قتلت حليفهم مالك بن عباد الحضرمى وكانوا قد عدوا على رجل من خزاعة فقتلوه فى مالك بن عباد حليفهم وعدت خزاعة على سلمى وكلثوم وذؤيب بنى الاسود بن رزن فقتلوهم وهم اشراف بنى كنانة وجاء الاسلام فاشتغل الناس به ونسوا أمر هذه الدماء فلما انعقد هذا الصلح من الحديبية وأمن الناس بعضهم بعضا فاغتنم بنو الدئل هذه الفرصة فى ادراك الثار من خزاعة بقتلهم بنى الاسود بن رزن وخرج نوفل بن معاوية الدؤلى فيمن أطاعه من بنى بكر بن عبد مناة وليس كلهم تابعه وخرج معه بعضهم وخرجوا منهم وانحجزوا فى دور مكة ودخلوا دار بديل بن ورقاء الخزاعى ورجع بنو بكر وقد انتقض العهد فركب بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم فى وفد من قومهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

نى خالد ج

مستغيثين مما أصابهم به بنو الدئل بن عبد مناة وقريش فأجاب صلى الله عليه وسلم صريخهم وأخبرهم بأن أبا سفيان يأتى يشدّ العقد ويزيد فى المدة وانه يرجع بغير حاجة وكان ذلك سببا للفتح وندم قريش على مافعلوا فخرج أبو سفيان الى المدينة ليؤكد العقد ويزيد فى المدة ولقى بديل بن ورقاء بعسفان فكتمه الخبر وورّى له عن وجهه وأتى أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فطوت دونه فراش النبى صلى الله عليه وسلم وقالت لايجلس عليه مشرك فقال لها قد أصابك بعدى شر يابنية ثم أتى المسجد وكلم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فذهب الى أبى بكر وكلمه أن يتكلم فى ذلك فأبى فلقى عمر فقال والله لولم أجد الا الذر لجاهدتكم به فدخل على علىّ بن أبى طالب وعنده فاطمة وابنه الحسن صبيا فكلمه فيما أتى له فقال علىّ مانستطيع أن نكلمه فى أمر عزم عليه فقال افاطمة يابنت محمد أما تأمرى أبنك هذا يجير بين الناس فقالت لايجير أحد على رسول الله فقال له على يا أبا سفيان أنت سيد بنى كنانة فقم وأجر وارجع الى أرضك فقال ترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال ما أظنه ولكن لا اجد لك سواه فقام أبو سفيان فى المسجد فنادى ألا انى قد أجرت بين الناس ثم ذهب الى مكة وأخبر قريشا فقالوا ماجئت بشئ ومازاد ابن أبى طالب على ان لعب بك ثم أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سائر الى مكة وأمر الناس بأن يتجهزوا ودعا الله ان يطمس الاخبار عن قريش وكتب اليهم حاطب بن أبى بلتعة بالخبر مع ظعينة قاصدة الى مكة فاوحى الله اليه بذلك فبعث عليا والزبير والمقداد الى الظعينة فأدركوها بروضة خاخ وفتشوا رحلها فلم يجدوا شيئا وقالوا رسول الله أصدق فقال على لتخرجن الكتاب أو لتلقين الحوائج فأخرجته من بين قرون رأسها فلما قرئ على النبى صلى الله عليه وسلم قال ماهذا ياحاطب فقال يارسول الله والله ماشككت فى الاسلام ولكنى ملصق فى قريش فأردت عندهم يدا يحفظونى بها فى مخلف أهلى وولدى فقال عمر يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال ومايدريك ياعمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فانى قد غفرت لكم وخرج صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة فى عشرة آلاف فيهم من سليم ألف رجل وقيل سبعمائة ومن مزينة ألف ومن غفار أربعمائة ومن أسلم أربعمائة وطوائف من قريش واسد وتميم وغيرهم من سائر القبائل جموع وكتائب الله من المهاجرين والانصار واستخلف أبارهم الغفارى على المدينة ولقيه العباس بذى الحليفة وقيل بالجحفة مهاجرا فبعث رحله الى المدينة وانصرف معه غازيا ولقيه بنيق العقاب أبو سفيان بن الحرث وعبد الله بن أبى أمية مهاجرين واستأذنا فلم يؤذن لهما وكلمته أم سلمة فأذن لهما وأسلما فسار

حتى نزل مرّ الظهران وقد طوى الله أخباره عن قريش الا أنهم يتوجسون الخيفة وخشى العباس تلاف قريش ان فاجأهم الجيش قبل ان يستأمنوا فركب بغلة النبى صلى الله عليه وسلم وذهب يتحسس وقد خرج أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم ابن حزام يتحسسون الخبر وبينما العباس قد اتى الاراك ليلقى من السابلة من ينذر أهل مكة فسمع صوت أبى سفيان وبديل وقد أبصرا نيران العساكر فيقول بديل نيران بنى خزاعة فيقول أبو سفيان خزاعة اذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فقال العباس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس والله ان ظفر بك ليقتلنك واصباح قريش فارتدف خلفى ونهض به الى المعسكر ومر بعمر فخرج يشتد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد فسبقه العباس على البغلة ودخل على أثره فقال يارسول الله هذا عدو الله أبو سفيان أمكن الله منه بلا عهد فدعنى أضرب عنقه فقال العباس قد اجرته فزأره عمر فقال العباس لو كان من بنى عدى ماقلت هذا ولكنه من عبد مناف فقال عمر والله لاسلامك كان أحب الىّ من اسلام الخطاب لانى أعرف انه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس يحمله الى رحله ويأتيه به صباحا فلما اتى به قال له صلى الله عليه وسلم ألم يأن لك أن تعلم ان لا اله الا الله فقال بأبى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك والله لقد علمت لو كان معه اله غيره أغنى عنا فقال ويحك ألم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك اما هذه ففى النفس منها شئ فقال له العباس ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم فقال العباس يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم أمر العباس أن يوقف أبا سفيان بخطم الوادى ليرى جنود الله ففعل ذلك ومرت به القبائل قبيلة قبيلة الى ان جاء مركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار عليهم الدروع البيض فقال من هؤلاء فقال العباس هذا رسول الله فى المهاجرين والانصار فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال يا أبا سفيان انها النبوة فقال هى اذا فقال له العباس النجاء الى قومك فأتى مكة وأخبرهم بما أحاط بهم وبقول النبى صلى الله عليه وسلم من أتى المسجد أو دار أبى سفيان أو اغلق بابه ورتب الجيش واعطى سعد بن عبادة الراية فذهب يقول اليوم يوم الملحمه * اليوم تستحل الحرمه * وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأمر عليا ان يأخذ الراية منه ويقال أمر الزبير وكان على الميمنة خالد بن الوليد وفيها اسلم وغفار ومزينة وجهينة وعلى الميسرة الزبير وعلى المقدمة ابو

عبيدة بن الجراح ورتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش من ذى طوى وامرهم
بالدخول الى مكة الزبير من اعلاها وخالد من أسفلها وان يقاتلوا من تعرض لهم وكان
عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن امية وسهيل بن عمرو قد جمعوا للقتال فناوشتهم
أصحاب خالد القتال واستشهد من المسلمين كرز بن جابر من بنى محارب وخنيس بن خالد
من خزاعة وسلمة بن جهينة وانهزم المشركون وقتل منهم ثلاثة عشر وأمّن النبى
صلى الله عليه وسلم سائر الناس وكان الفتح لعشر بقين من رمضان واهدر دم جماعة
من المشركين سماهم يومئذ منهم عبد العزى بن خطل من بنى تيم الادرم ابن غالب كان قد
اسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من المشركين فقتله وارتد
ولحق بمكة وتعلق يوم الفتح باستار الكعبة فقتله سعد بن حريث المخزومى وابو برزة
الاسلمى (ومنهم) عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ثم
ارتد ولحق بمكة ونمت عنه اقوال فاختفى يوم الفتح وأتى به عثمان بن عفان وهو اخوه
من الرضاعة فاستأمن له فسكت عليه السلام ساعة ثم امنه فلما خرج قال لاصحابه هلا
ضربتم عنقه فقال له بعض الانصار هلا أومأت الىّ فقال ما كان لنبى ان تكون له
خائنة الاعين ولم يظهر بعد اسلامه إلا خير وصلاح واستعمله عمر وعثمان (ومنهم)
الحويرث بن نفيل [٣] من بنى عبد قصى كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقتله
على بن أبى طالب يوم الفتح (ومنهم) مقيس بن صبابة كان هاجر فى غزوة الخندق ثم عدا
على رجل من الانصار كان قتل أخاه قبل ذلك غلطا ووداه فقتله وفر الى مكة مرتدا فقتله
يوم الفتح نميلة بن عبد الله الليثى وهو ابن عمه (ومنهم) قينتا ابن خطل كانتا تغنيان بهجو
النبى صلى الله عليه وسلم فقتلت احداهما واستؤمن للاخرى فأمنها (ومنهم) مولاة
لبنى عبد المطلب اسمها سارة واستؤمن لها فأمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستجار رجلان من بنى مخزوم بأم هانئ بنت أبى طالب يقال انهما الحرث بن هشام
وزهير بن ابى أمية اخو أم سلمة فأمنتهما وامضى رسول الله صلى الله عليه وسلم امانها
فأسلما ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالكعبة وأخذ المفتاح من
عثمان بن طلحة بعد ان مانعت دونه ام عثمان ثم اسلمته فدخل الكعبة ومعه اسامة بن
زيد وبلال وعثمان بن طلحة وابقى له حجابة البيت فهى فى ولد شيبة الى اليوم وامر بكسر
الصور داخل الكعبة وخارجها وبكسر الاصنام حواليها وعليها وهى مشدودة
بالرصاص يشير اليها بقضيب فى يده وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا فما بقى منهم صنم إلا خرّ على وجهه وأمر بلالا فأذن على ظهر الكعبة ووقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب الكعبة ثانى يوم الفتح وخطب خطبته المعروفة

ووضع

[٣] قوله نفيل وفى المواهب نقيد

ووضع مآثر الجاهلية الا سدانة البيت وسقاية الحاج وأخبر ان مكة لم تحل لاحد قبله
ولا بعده وانما أحلت له ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالامس ثم قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا ان كل مأثورة أو دم
أو مال يدعى فى الجاهلية فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة الكعبة وسقاية الحاج
ألا وان قتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا فيهما الدية مغلظة منها اربعون فى بطونها
أولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس
من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس انا
خلقنا كم من ذكر وأنثى الى خبير يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون انى فاعل فيكم قالوا
خيرا أخ كريم ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء وأعتقهم على الاسلام وجلس لهم فيما قيل
على الصفا فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ولما فرغ من بيعة
الرجال بايع النساء أمر عمر بن الخطاب أن يبايعهن واستغفر لهن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه كان لا يمس امرأة حلالا ولا حراما وهرب صفوان بن أمية الى اليمن واتبعه
عمير بن وهب من قومه بأمان النبى صلى الله عليه وسلم له فرجع وأنظره أربعة أشهر
وهرب ابن الزبعرى الشاعر الى نجران ورجع فأسلم وهرب هبيرة بن أبى وهب المخزومى
زوج ام هانئ الى اليمن فمات هنالك كافرا ثم بعث النبى صلى الله عليه وسلم السرايا حول
مكة ولم يأمرهم بقتال وفى جملتهم خالد بن الوليد الى بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن
كنانة فقتل منهم واخذ ذلك عليه وبعث اليهم عليا بمال فودى لهم قتلاهم ورد عليهم
ما أخذ لهم ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا الى العزى بيت بنخلة كانت مضر
من قريش تعظمه وكنانة وغيرهم وسدنته بنو شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم
فهدمه ثم ان الانصار توقفوا الى أن يقيم صلى الله عليه وسلم داره بعد ان فتحها فأعمهم
ذلك وخرجوا له فخطبهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم ان المحيا محياهم والممات مماتهم
فسكنوا الذلك واطمأنوا

بعث خالد الى بنى جذيمة ثم الى العزى

(غزوة حنين)

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة فبلغه ان
هوازن وثقيف جمعوا له وهم عامدون الى مكة وقد نزلوا حنينا وكانوا حين سمعوا بمخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يظنون انه انما يريدهم فاجتمعت هوازن الى مالك
ابن عوف من بنى نصر وقد أوعب معه بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وبنى جشم بن
معاوية وبنى سعد بن بكر وناسا من بنى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية والاحلاف
وبنى مالك بن ثقيف بن بكر ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب وفى جشم دريد بن

الصمة بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن أزية بن جشم رئيسهم وسيدهم شيخ كبير ليس فيه الا ليؤتم برأيه ومعرفته وفى ثقيف سيدان ليس لهم فى الاحلاف الاقارب بن الاسود ابن مسعود بن معتب وفى بنى مالك ذو الخمار سبيع بن الحرث بن مالك وأخوه أحمر وجميع أمر الناس الى مالك بن عوف فلما أتاهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة اقبلوا عامدين اليه وأسار مالك مع الناس اموالهم ونساءهم وابناءهم يرى انه أثبت لموقفهم فنزلوا با وطاس فقال دريد بن الصمة لمالك مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير فقال أموال الناس وابناءهم سقنا معهم ليقاتلوا عنها فقال راعى ضان والله وهل يرد المنهزم شئ ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسلاحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ثم سال عن كعب وكلاب وأسف لغيابهم وأنكر على مالك رأيه ذلك وقال لم تصنع بتقديم بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئا ارفعهم الى ممتنع بلادهم ثم ألق الصبيان على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت لغيرك كنت قد أحرزت أهلك ومالك وأبى عليه مالك واتبعه هوازن ثم بعث النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى يستعلم خبر القوم فجاءه وأطلعه على جلية الخبر وأنهم قاصدون اليه فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية مائة درع وقيل أربعمائة وخرج فى اثنى عشر ألفا من المسلمين عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة والفان من مسلمة الفتح واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ومضى لوجهه وفى جملة من اتبعه عباس بن مرداس والضحاك بن سفيان الكلابى وجموع من عبس وذبيان ومزينة وبنى أسد ومر فى طريقه بشجرة سدر خضراء وكان لهم فى الجاهلية مثلها يطوف بها الاعراب ويعظمونها ويسمونها ذات انواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال لهم قلتم كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم واجرم من ذلك ثم نهض حتى أتى وادى حنين من أودية تهامة أول يوم من شوال من السنة الثامنة وهو وادى حزن فتوسطوه فى غبش الصبح وقد كمنت هوازن فى جانبيه فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد فولى المسلمون لا يلوى احد على أحد وناداهم صلى الله عليه وسلم فلم يرجعوا وثبت معه أبو بكر وعمر وعلى والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه جعفر والفضل وقثم ابنا العباس وجماعة سواهم والنبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء دلدل والعباس آخذ بشكائمها وكان جهير الصوت فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالانصار وأصحاب الشجرة قيل وبالمهاجرين فلما سمعوا الصوت وذهبوا ليرجعوا فصدهم ازدحام الناس

قوله أول يوم لعل الصواب كما فى غير هذا الكتاب سادس يوم اه وانتهى الى حنين عاشره قاله نصر

عن أن يثنوا رواحلهم فاستقاموا وتناولوا سيوفهم وتراسهم واقتحموا عن الرواحل راجعين الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا هوازن والناس متلاحقون واشتدت الحرب وحمى الوطيس وقذف الله فى قلوب هوازن الرعب حين وصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يملكوا أنفسهم فولوا منهزمين ولحق آخر الناس واسرى هوازن مغلولة بين يديه وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم واستحر القتل فى بنى مالك من ثقيف فقتل منهم يومئذ سبعون رجلا فى جملتهم ذو الخمار وأخوه عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب سيداهم واما قارب بن الاسود سيد الاحلاف من ثقيف ففر بقومه منذ أول الامر وترك رايته فلم يقتل منهم أحد ولحق بعضهم بنخلة وهرب مالك بن عوف النصرى مع جماعة من قومه فدخلوا الطائف مع ثقيف وانحازت طوائف هوازن الى اوطاس واتبعتهم طائفة من خيل المسلمين الذين توجهوا من نخلة فأدركوا فيهم دريد بن الصمة فقتلوه يقال قتله ربيعة بن رفيع بن اهبان بن ثعلبة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس وبعث صلى الله عليه وسلم الى من اجتمع بأوطاس من هوازن أبا عامر الاشعرى عم أبى موسى فقاتلهم وقتل بسهم رماه به سلمة بن دريد بن الصمة فأخذ أبو موسى الراية وشد على قاتل عمه فقتله وانهزم المشركون واستحر القتل فى بنى رباب من بنى نصر بن معاوية وانفضت جموع أهل هوازن كلها واستشهد من المسلمين يوم الخميس أربعة منهم ايمن بن أم أيمن أخو اسامة لامه ويزيد بن زمعة بن الاسود وسراقة بن الحرث من بنى العجلان وأبو عامر الاشعرى

(حصار الطائف)

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والاموال فحبست بالجعرانة بنظر مسعود بن عمرو الغفارى وسار من فوره الى الطائف فحاصر بها ثقيف خمس عشرة ليلة وقاتلوا من وراء الحصون وأسلم من كان حولهم من الناس وجاءت وفودهم اليه وقد كان مر فى طريقه بحصن مالك بن عوف النصرى فأمر بهدمه ونزل على اطم لبعض ثقيف فتمنع فيه صاحبه فأمر بهدمه فأخرب وتحصنت ثقيف وقد كان عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة من ساداتهم ذهبا الى جرش يتعلمان صنعة المجانيق والدبابات للحصار لما أحسوا من قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم فلم يشهدا الحصار ولا حنينا قبله وحاصرهم المسلمون بضع عشرة أو بضعا وعشرين ليلة واستشهد بعضهم بالنبل ورماهم صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ودخل نفر من المسلمين تحت دبابة ودنوا الى سور الطائف فصبوا عليهم سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا منهم

قوله النصرى بالصاد المهملة كذا فى فضائل رمضان للاجهورى قال وأسلم بعد ذلك اه نقله نصر

قوما وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم ورغب اليه ابن الاسود بن
مسعود فى ماله وكان بعيدا من الطائف وكف عنه ثم دخل الى الطائف وتركهم ونزل
أبو بكرة فأسلم واستشهد من المسلمين فى حصاره سعيد بن سعيد بن العاصى وعبد الله
ابن أبى أمية بن المغيرة اخو أم سلمة وعبد الله بن عامر بن ربيعة العنزى حليف بنى
عدى فى آخرين قريبا من اثنى عشر فيهم أربعة من الانصار ثم انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الجعرانة وأتاه هنالك وفد هوازن مسلمين راغبين فخيرهم بين العيال
والابناء والاموال فاختاروا العيال والابناء وكلموا المسلمين فى ذلك بأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وقال
المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامتنع الاقرع بن
حابس وعيينة بن حصن ان يردا عليهم ما وقع لهما من الفئ وساعدهم قومهم وامتنع
العباس بن مرداس كذلك وخالف بنو سليم وقالوا ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تطب نفسه عن نصيبه ورد عليهم
نساءهم وابناءهم بأجمعهم وكان عدد سبى هوازن ستة آلاف بين ذكر وانثى فيهن الشيما
أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وهى بنت الحرث بن عبد العزى من بنى
سعد بن بكر من هوازن وأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن اليها وخيرها
فاختارت قومها فردها اليهم وقسم الاموال بين المسلمين ثم أعطى من نصيبه من خمس
الخمس قوما يستألفهم على الاسلام من قريش وغيرهم فنهم من أعطاه مائة مائة ومنهم
خمسين خمسين ومنهم ما بين ذلك ويسمون المؤلفة وهم مذكورون فى كتب السير
يقاربون الاربعين (منهم) أبو سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام وصفوان بن أمية
ومالك بن عوف وغيرهم (ومنهم) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والاقرع بن حابس
وهما من اصحاب المائة واعطى عباس بن مرداس دونهما فانشده أبياته المعروفة
يتسخطها فيها فقال اقطعوا عنى لسانه فأتموا اليه المائة ولما أعطى المؤلفة قلوبهم وجد
الانصار فى أنفسهم اذ لم يعطهم مثل ذلك وتكلم شبانهم مع ما كانوا يظنون انه اذا فتح
الله عليه بلده يرجع الى قومه ويتركهم فجمعهم ووعظهم وذكرهم وقال انما أعطى قوما
حديثى عهد بالاسلام أتألفهم عليه أما ترضون أن ينصرف الناس بالشاء والبعير
وتنصرفوا برسول الله الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك
الانصار شعبا وسلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار فرضوا وافترقوا
ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة الى مكة ثم رجع الى المدينة فدخلها
لست بقين من ذى القعدة من السنة الثامنة لشهرين ونصف من خروجه واستعمل على

مكة عتاب بن أسيد شابا ينيف عمره على عشرين وكان غلب عليه الورع والزهد فأقام الحج
بالمسلمين فى سنته وهو أول أمير أقام حج الاسلام وحج المشركون على مشاعرهم (وخلف)
بمكة معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن (وبعث) عمرو بن العاصى الى
جيفر وعبد ابنى الجلندى من الازد بعمان مصدقا فأطاعوا له بذلك واستعمل صلى الله
عليه وسلم مالك بن عوف على من أسلم من قومه ومن سلم منهم وماله حول الطائف من
ثقيف وأمره بمغادرة الطائف من التضييق عليهم ففعل حتى جاؤا مسلمين كما يذكر بعد
وحسن اسلام المؤلفة قلوبهم ممن أسلم يوم الفتح أو بعده وان كانوا متفاوتين فى ذلك
(ووفد) على النبى صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير فاهدر دمه وضاقت به الارض
وجاء فاسلم وأنشد النبى صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة بمدحه التى أولها

مطلب غزوة تبوك

* بانت سعاد فقلبى اليوم متبول الخ وأعطاه بردة فى ثواب مدحه فاشتراها
معاوية وورثته بعد موته وصار الخلفاء يتوارثونها شعارا (ووفد) فى سنة تسع على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بنو أسد فأسلموا وكان منهم ضرار بن الازور
وقالوا قدمنا يا رسول الله قبل أن يرسل الينا فنزلت يمنون عليك أن أسلموا الآية ووفد
فيها وفد تين فى شهر ربيع الاول ونزلوا على رويفع بن ثابت البلوى وأقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من الطائف فى ذى الحجة الى شهر رجب من
السنة التاسعة (ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم) وكان فى غزواته كثيرا ما يورى بغير
الجهة التى يقصدها على طريقة الحرب الا ما كان من هذه الغزاة لعسرها بشدة الحرب
وبعد البلاد وفصل الفواكه وقلة الظلال وكثرة العدو الذين يصدون وتجهز الناس على
ما فى أنفسهم من استثقال ذلك وطفق المنافقون يثبطونهم عن الغزو وكان نفر منهم
يجتمعون فى بيت بعض اليهود فامر طلحة بن عبيد الله أن يخرب عليهم البيت فخربها
واستأذن ابن قيس من بنى سلمة فى القعود فأذن له واعرض عنه وتدرب كثير من المسلمين
بالانفاق والحملان وكان من أعظمهم فى ذلك عثمان بن عفان يقال انه انفق فيها ألف دينار
وحمل على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهز ركابا وجاء بعض المسلمين يستحمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما يحملهم عليه فنزلوا باكين لذلك وحمل بعضهم يامين بن عمير
النضرى وهما أبو ليلى بن كعب من بنى مازن بن النجار وعبد الله بن المغفل المزنى
واعتذر المخلفون من الاعراب فعذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض وخلف
على المدينة محمد بن مسلمة وقيل بل سباع بن عرفطة وقيل بل على بن أبى طالب وخرج
معه عبد الله بن أبى ابن سلول فى عدد وعدة فلما سار صلى الله عليه وسلم تخلف هو فيمن
تخلف من المنافقين ومر صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فأمر ان لا يستعمل ماؤها

ويعلف ماعجن منه للابل واذن لهم فى بئر الناقة وأمران لايدخلوا عليهم بيوتهم الاباكين ونهى أن يخرج أحد منفردا عن صاحبه فخرج رجلان من بنى ساعدة فخنق أحدهما فمسح عليه فشفى والآخر رمته الريح فى جبل طى فردوه بعد ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم وضل صلى الله عليه وسلم ناقته فى بعض الطريق فقال أحد المنافقين محمد يدعى علم خبر السماء وهو لايدرى أين ناقته فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله لاأعلم الا ماعلمنى الله وان الناقة بموضع كذا وكان قد أوحى اليه بها فوجدوها ثم (وكان) قائل هذا القول زيد بن اللصيت من بنى قينقاع وقيل انه تاب بعد ذلك وفضح الوحى قوما من المنافقين كان يخذلون الناس و يهولون عليهم أمر الروم فتاب منهم مخشى بن جهير ودعا أن يكفر عنه بشهادة يخفى مكانه فقتل يوم اليمامة (ولما) انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب ايلة وأهل جرباء وأذرح فصالحوا على الجزية وكتب لكل كتابا (وبعث) صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل من كندة كان ملكا عليها و كان نصرانيا وأخبر أنه يجده يصيد البقر واتفق ان بقر الوحش باتت تهد القصر بقرونها فنشط أكيدر لصيدها وخرج ليلا فوافق وصوله خالدا فأخذه وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنه وصالحه على الجزية ورده وأقام بتبوك عشرين ليلة ثم انصرف وكان فى طريقه ماء قليل نهى أن يسبق اليه أحد فسبق رجلان واستنفدا مافيه فنكر عليهما ذلك ثم وضع يده تحت وشله فصب ماشاء الله أن يصب ونضح به الوشل ودعا فجاش الماء حتى كفى العسكر (ولما) قرب المدينة بساعة من نهار أنفذ مالك بن الدخشم من بنى سالم ومعن بن عدى من بنى العجلان الى مسجد الضرار فأحرقاه وهدماه وقد كان جماعة من المنافقين بنوه وأتوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فسألوه الصلاة فيه فقال انا على سفر ولو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه فلما رجع أمر بهدمه (وفى هذه الغزاة) تخلف كعب بن مالك من بنى سلمة ومرارة بن الربيع من بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية بن واقف وكانوا صالحين فنهى صلى الله عليه وسلم عن كلامهم خمسين يوما ثم نزلت توبتهم وكان المتخلفون من غير عذر نيفا وثلاثين رجلا وكان وصوله صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان سنة تسع (وفيه) كانت وفادة ثقيف واسلامهم ونزل الكثير من سورة براءة فى شأن المنافقين وما قالوه فى غزوة تبوك آخر غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم

(اسلام عروة بن مسعود ثم وفد ثقيف وهدم اللات)

كان صلى الله عليه وسلم لما أفرج عن الطائف وارتحل المدينة اتبعه عروة بن مسعود

سيدهم فأدركه فى طريقه وأسلم ورجع يدعو قومه فرمى بسهم فى سطح بيته وهو يؤذن للصلاة فمات ومنع قومه من الطلب بدمه وقال هى شهادة ساقها الله الى وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين ثم قدم ابنه أبو المليح وقارب بن الاسود بن مسعود فأسلما وضيق مالك بن عوف على ثقيف واستباح سرحهم وقطع سابلتهم و بلغهم رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من تبوك وعلموا ان لاطاقة لهم بحرب العرب وفزعوا الى عبد ياليل بن عمرو بن عمير فشرط عليهم أن يبعثوا معه رجالا منهم ليحضروا مشهده خشية على نفسه مما نزل بعروة فبعثوا معه رجلين من احلاف قومه وثلاثا من بنى مالك فخرج بهم عبد ياليل وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان من السنة التاسعة يريدون البيعة والاسلام فضرب لهم قبة فى المسجد وكان خالد بن سعيد بن العاصى يمشى فى أمرهم وهو الذى كتب كتابهم بخطه وكانوا لايأكلون طعاما يأتيهم حتى يأكل منه خالد وسألوه أن يدع لهم اللات ثلاث سنين رغبا لنسائهم وابنائهم حتى يأنسوا فأبى وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال لاخير فى دين لاصلاة فيه فسألوه أن لايكسروا أوثانهم بأيديهم فقال اما هذه فسنكفيكم منها فأسلموا وكتب لهم وأمر عليهم عثمان بن أبى العاصى اصغرهم سنا لانه كان حريصا على الفقه وتعلم القرآن ثم رجعوا الى بلادهم وخرج معه أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم اللات وتأخر أبو سفيان حتى دخل المغيرة فتناولها بيده ليهدمها وقام بنو معتب دونه خشية عليه ثم جاء أبو سفيان وجمع ما كان لها من الحلى وقضى منه دين عروة والاسود ابنى مسعود كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم وقسم الباقى

(الوفود)

مطلب الوفود

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك وأسلمت ثقيف ضربت اليه وفود العرب من كل وجه حتى لقد سميت سنة الوفود (قال ابن اسحق) وانما كانت العرب تتربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان قريشا كانوا امام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد اسمعيل وقادتهم لاينكرون لهم وكانت قريش هى التى نصبت لحربه وخلافه فلما استفتحت مكة ودانت قريش ودخلها الاسلام عرفت العرب انهم لاطاقة لهم بحربه وعداوته فدخلوا فى دينه أفواجا يضربون اليه من كل وجه انتهى (فأول) من قدم اليه بعد تبوك وفد بنى تميم وفيه من رؤسهم عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس من بنى دارم بن مالك والحتات بن زيد والاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر من بنى سعد وقيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم وهما من بنى منقر ونعيم بن زيد ومعهم عيينة بن حصن

الفزارى وقد كان الاقرع وعيينة شهدا فتح مكة وخيبر وحصار الطائف ثم جاء مع
وفد بنى تميم فلما دخلوا المسجد نادوا من وراء الحجرات فنزلت الآيات فى انكار ذلك
عليهم ولما خرج قالوا جئنا نفاخرك بخطيبنا وشاعرنا فأذن لهم فخطب عطارد وفاخر
ويقال والاقرع بن حابس ثم أنشد الزبرقان بن بدر شعرا بالمفاخرة ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثابت بن قيس بن الشماس من بنى الحرث بن الخزرج فخطب وحسان بن ثابت
فأنشد مساجلين لهم فاذعنوا للخطبة والشعر والسؤدد والحلم وقالوا هذا الرجل هو
مؤيد من الله خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا واصواتهم أعلى من
أصواتنا ثم اسلموا واحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوائزهم وهذا كان شأنه
مع الوفود ينزلهم اذا قدموا ويجهزهم اذا رحلوا (ثم قدم) على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى آخر رمضان مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير مع رسولهم ومع الحرث بن عبد
كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذى رعين وهمدان ومعافر (وبعث زرعة)
ابن ذى يزن رسوله مالك بن مرة الرهاوى باسلامهم ومفارقة الشرك وأهله وكتب اليهم
النبى صلى الله عليه وسلم كتابه (وبعث الى ذى يزن) معاذ بن جبل مع رسوله مالك
ابن مرة يجمع الصدقات واوصاهم برسله معاذ واصحابه ثم مات عبد الله بن أبى ابن سلول
فى ذى القعدة ونعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشى وانه مات فى رجب قبل تبوك
(وقدم) وفد بهرا فى ثلاثة عشر رجلا ونزلوا على المقداد بن عمرو وجاء بهم فاسلموا
وأجازهم وانصرفوا (وقدم) وفد بنى البكاء ثلاثة نفر منهم (وقدم) وفد بنى فزارة بضعة
عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس فأسلموا (ووفد) عدى بن حاتم
من طى فأسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث قبل تبوك الى بلاد طى على بن
ابى طالب فى سرية فأغار عليهم واصيب حاتم وسبيت ابنته وغنم سيفين فى بيت اصنامهم
كانتا من قربان الحرث بن ابى شمر وكان عدى قد هرب قبل ذلك ولحق ببلاد قضاعة
بالشام فرارا من جيوش المسلمين وجوارا لاهل دينه من النصارى واقام بينهم ولما
سيقت ابنة حاتم جعلت فى الحظيرة بباب المسجد التى كانت السبايا تحبس بها
ومر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته ان يمن عليها فقال قد فعلت ولا تعجلى حتى
تجدى ذا ثقة من قومك يبلغك الى بلادك ثم اذنينى قالت فأقمت حتى قدم ركب من
بنى قضاعة وأنا اريد ان آتى اخى بالشام فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسانى
وحملنى وزودنى وخرجت معهم فقدمت الشام فلما لقيها عدى تلاوما ساعة ثم قال لها
ماذا ترين فى أمرى مع هذا الرجل فأشارت عليه باللحاق به فوفد وأكرمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأدخله الى بيته وأجلسه على وسادته بعد ان استوقفته فى طريقه

امرأة

امرأة فوقف لها فعلم عدى انه ليس بملك وانه نبى ثم أخبره عن أخذه المرباع من قومه
ولا يحل له فازداد استبصارا فيه ثم قال لعله انما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ماترى
من حاجتهم فيوشك ان يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه أو لعله يمنعك ماترى
من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على
بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف أو لعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى
الملك والسلطان لغيرهم فيوشك ان تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت فأسلم عدى
وانصرف الى قومه ثم أنزل الله على نبيه الاربعين آية من أول براءة فى نبذ هذا العهد
الذى بينه وبين المشركين ان لا يصدوا عن البيت ونهوا ان يقرب المسجد الحرام
مشرك بعد ذلك وان لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد فيتم له الى مدته وأجلهم أربعة اشهر من يوم النحر فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات أبا بكر وأمره على اقامة الحج بالموسم من هذه السنة
فبلغ ذا الحليفة فأتبعه بعلى فأخذها منه فرجع أبو بكر مشفقا ان يكون نزل فيه قرآن
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل شئ ولكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى فسار
أبو بكر على الحج وعلى على الاذان ببراءة فحج أبو بكر بالناس وهم على حج الجاهلية وقام
على عند العقبة يوم الاضحى فأذن بالآية التى جاء بها (قال) الطبرى وفى هذه السنة
فرضت الصدقات لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الآية
(وفيها) قدم وفد ثعلبة بن سعد ووفد سعد هذيم من قضاعة قال الطبرى (وفيها) بعث
بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جاء
به من الاسلام وذكر التوحيد والصلاة والزكوة والصيام والحج واحدة واحدة حتى
اذا فرغ تشهد واسلم وقال لأؤدى هذه الفرائض وأجتنب مانهيت عنه ثم لا أزيد
عليها ولا انقص فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم ان صدق دخل الجنة ثم قدم على
قومه فأسلموا كلهم يوم قدومه (والذى عليه الجمهور) ان قدوم ضمام وقصته كانت سنة
خمس (ثم دخلت) سنة عشر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى ربيع
أو جمادى فى سرية اربعمائة الى نجران وماحولها يدعو بنى الحرث بن كعب الى
الاسلام ويقاتلهم ان لم يفعلوا فأسلموا واجابوا داعيته وبعث الرسل فى كل وجه فأسلم
الناس فكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه بأن يقدم مع وفدهم
فاقبل خالد ومعه وفد بنى الحرث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو الغصة ويزيد بن
عبد المدان ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادى وشداد بن عبد الله الضبابى
وعمرو بن عبد الله الضبابى فأكرمهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لهم بم كنتم تغلبون

من بقاتلكم فى الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم فأسلموا وأمّر عليهم قيس بن الحصين ورجعوا اصدر ذى القعدة من سنة عشر ثم أتبعهم عمرو بن حزم من بنى النجار ليفقههم فى الدين ويعلمهم السنة وكتب اليه كتابا عهد اليه فيه عهده وأمره بأمره وأقام عاملا على نجران وهذا الكتاب وقع فى السير مرويا واعتمده الفقهاء فى الاستدلالات وفيه مآخذ كثيرة للاحكام الفقهية ونصه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهدا من محمد النبى صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن آمره بتقوى الله فى أمره كله فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وآمره ان يأخذ بالحق كما أمره الله وان يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه وأن ينهى الناس فلا يمس القرآن انسان الا وهو طاهر وان يخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ويلين للناس فى الحق ويشتد عليهم فى الظلم فان الله حرّم الظلم ونهى عنه فقال ألا لعنة الله على الظالمين وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يتفقهوا فى الدين ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه وما أمر الله به والحج الاكبر والحج الاصغر وهو العمرة وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير الا أن يكون واسعا يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى ان يحتبى أحد فى ثوب واحد ويفضى بفرجه الى السماء وينهى أن يقص أحد شعر رأسه اذا عفا فى قفاه وينهى اذا كان بين الناس هيج عن الدعاء الى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له فمن لم يدع الى الله ودعا القبائل والعشائر فليعطفوه بالسيف حتى يكون دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له ويأمر الناس باسباغ الوضوء فى وجوههم وأيديهم الى المرافق وأرجلهم الى الكعبين وان يمسحوا برؤسهم كما أمرهم الله وآمره بالصلاة لوقتها واتمام الركوع والسجود وأن يغلس بالصبح ويهجر بالهاجرة حتى تميل الشمس وصلاة العصر والشمس فى الارض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدو نجوم السماء والعشاء أول الليل وآمره بالسعى الى الجمعة اذا نودى لها والغسل عند الرواح اليها وآمره أن يأخذ من الغنائم خمس الله وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين او سقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفى كل عشر من الابل شاتان وفى كل عشرين اربع شياه وفى كل أربعين من البقر بقرة وفى كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة جذع أو جذعة وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فانها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له وانه من أسلم من يهودى او نصرانى اسلاما خالصا من

نفسه ودان بدين الاسلام فانه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فانه لا يردّ عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكرا وأنثى حرا وعبد دينار واف او عوضه ثيابا فمن أدى ذلك فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فانه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمته وبركاته (وقدم وفد غسان) فى رمضان من هذه السنة العاشرة فى ثلاثة نفر فاسلموا وانصرفوا الى قومهم فلم يجيبوا الى الاسلام فكتموا أمرهم وهلك اثنان منهم ولقى الثالث أبو عبيدة عامر باليرموك فأخبره باسلامه (وقدم عليه) وفد عامر عشرة نفر فأسلموا وتعلموا شرائع الاسلام واقرأهم أبىّ القرآن وانصرفوا (وقدم) فى شوّال وفد سلامان سبعة نفر رئيسهم حبيب فاسلموا وتعلموا الفرائض وانصرفوا (وفيها) قدم وفد أزد جرش وفد فيهم صرد بن عبد الله الازدى فى عشرة من قومه ونزلوا على فروة بن عمرو وأمّر النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلموا صردا على من أسلم منهم وأن يجاهد المشركين حوله فحاصر جرش ومن بها من خثعم وقبائل اليمن وكانت مدينة حصينة اجتمع اليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين فحاصرهم شهرا ثم قفل عنهم فظنوا انه انهزم فاتبعوه الى جبل شكر فصف وحمل عليهم ونال منهم وكانوا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رائدين وأخبرهما ذلك اليوم بواقعة شكر وقال ان بدن الله لتنحر عنده الآن فرجعا الى قومهما واخبراهم بذلك وأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم (وفيها) كان اسلام همدان ووفادتهم على يد على رضى الله عنه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام فمكث ستة أشهر لا يجيبونه فبعث عليه السلام على بن أبى طالب وأمره أن يقفل خالدا فلما بلغ علىّ أوائل اليمن جمعوا له فلما لقوه صفوا فتقدم علىّ الانذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان كلها فى ذلك اليوم وكتب بذلك الى النبىّ صلى الله عليه وسلم فسجد لله شكرا ثم قال السلام على همدان ثلاث مرّات ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام وقدمت وفودهم وكان عمرو بن معديكرب الزبيدى قال لقيس بن مكشوح المرادى اذهب بنا الى هذا الرجل فلن يخفى علينا أمره فأبى قيس من ذلك فقدم عمرو على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان فروة بن مسيك المرادى على زبيد لانه وفد قبل عمرو مفارقا الملوك كندة فأسلم ونزل على سعد بن عبادة وتعلم القرآن وفرائض الاسلام واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاصى على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى كانت الوفاة (وفى هذه السنة) قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو وكانوا على دين النصرانية فأسلموا ورجعوا الى

قومهم ولما كانت الوفاة وارتد عبد القيس ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر
الذى يسمى الغرور ثبت الجارود على الاسلام وكان له المقام المحمود وهلك قبل أن
راجعوا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة
الى المنذر بن ساوى العبدى فأسلم وحسن اسلامه وهلك بعد الوفاة وقبل ردة أهل
البحرين والعلاء أمير عنده لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين (وفى) هذه
السنة قدم وفد بنى حنيفة فى سنة عشر فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب ورجال بن عنفوة
وطلق بن على بن قيس وعليهم سلمان بن حنظلة فأسلموا وأقاموا أياما يتعلمون القرآن من
أبى بن كعب ورجال يتعلم وطلق يؤذن لهم ومسيلمة فى الرحال وذكروا للنبى صلى الله
عليه وسلم مكانه فى رحالهم فأجازه وقال ليس بشركم مكانا لحفظه رحالكم فقال مسيلمة
عرف ان الامر لى من بعده ثم ادعى مسيلمة بعد ذلك النبوة وشهد له طلق ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشركه فى الامر فافتتن الناس به كما سنذكره (وفيها) قدم وفد كندة
يقدمهم الاشعث بن قيس فى بضعة عشر وقيل فى ستين وقيل فى ثمانين وعليهم الديباج
والحرير وأسلموا ونهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عنه فتركوه وقال له اشعث نحن بنو
آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فضحك وقال ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد
المطلب وربيعة بن الحرث وكانا تاجرين فاذا ساحا فى أرض العرب قال نحن بنو آكل
المرار فيعتز بذلك لان لهم عليه ولادة من الامهات ثم قال لهم لا نحن بنو النضر بن كنانة
فانقفوا امنا ولا ننتفى من أبينا (وقدم) مع وفد كندة وفد حضرموت وهم بنو وليعة
وملوكهم جمد ومخوس ومشرح وأبضعة فأسلموا ودعا لمخوس بازالة الرتة من لسانه
(وقدم وائل بن حجر) راغبا فى الاسلام فدعا له ومسح رأسه ونودى الصلاة جامعة
سرورا بقدومه وأمر معاوية ان ينزله بالحرة فمشى معه وكان راكبا فقال له معاوية
أعطنى نعلك أتوقى بها الرمضاء فقال ما كنت لالبسها وقد لبستها وفى رواية لا يبلغ أهل
اليمن ان سوقة لبس نعل ملك فقال اردفنى قال لست من ارداف الملوك ثم قال ان الرمضاء
قد أحرقت قدمى قال امش فى ظل ناقتى كفاك به شرفا ويقال انه وفد على معاوية فى
خلافته فأكرمه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بسم الله الرحمن الرحيم هذا
كتاب محمد النبى لوائل بن حجر قيل حضرموت انك ان أسلمت لك ما فى يديك من الارض
والحصون ويؤخذ منك من كل عشر واحدة ينظر فى ذلك ذوا عدل وجعلت لك
ألا تظلم فيها ما علم الدين والنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أشهاد عليه قال عياض
(وفيه) الى الاقيال العباهلة والاوراع المشابيب (وفيه) فى التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى ممبكر

فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين
ولا غمة فى فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال (وفيها)
قدم وفد محارب فى عشرة نفر فأسلموا (وفيها) قدم وفد الرها من مذحج فى خمسة عشر
نفرا وأهدوا افرسا فاسلموا وتعلموا القرآن وانصرفوا ثم قدم نفر منهم وحجوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتوفى فأوصى لهم بمائة وسق من خيبر جارية عليهم من الكتيبة
وباعوها من معاوية (وفيها) قدم وفد نجران النصارى فى سبعين راكبا يقدمهم
أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل والسيد
الايهم وجادلوا عن دينهم فنزل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة فأبوا منها وفرقوا
وسألوا الصلح وكتب لهم به على ألف حلة فى صفر وألف فى رجب وعلى دروع ورماح
وخيل وحمل ثلاثين من كل صنف وطلبوا ان يبعث معهم والياً يحكم بينهم فبعث
معهم أبا عبيدة بن الجراح ثم جاء العاقب والسيد وأسلما (وفيها) قدم وفد الصدف
من حضرموت فى بضعة عشر نفرا فأسلموا وعلمهم أوقات الصلاة وذلك فى حجة الوداع
(وفى هذه السنة) قدم وفد عبس قال ابن الكلبى وفد منهم رجل واحد فأسلم ورجع
ومات فى طريقه وقال الطبرى وفيها وفد عدى بن حاتم فى شعبان انتهى (وفيها) قدم وفد
خولان عشرة نفر فأسلموا وهدموا اصنمهم وكان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الضبيبى من جذام وأهدى غلاما فاسلم
وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوهم الى الاسلام فأسلموا ولم يلبث
ان قفل دحية بن خليفة الكلبى منصرفا من عند هرقل حين بعثه النبى صلى الله عليه
وسلم ومعه تجارة فأغار عليه الهنيد بن عوض وقومه بنو الضليع من بطون جذام
فأصابوا كل شئ معه وبلغ ذلك مسلمين من بنى الضبيب فاستنقذوا ما أخذه الهنيد وابنه
وردوه على دحية وقدم دحية على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فبعث النبى صلى
الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى جيش من المسلمين فأغار عليهم بالقضقاض من حرة الرمل
وقتلوا الهنيد وابنه فى جماعة وكان معهم ناس من بنى الضبيب فاستباحوهم معهم
وقتلوهم فركب رفاعة بن زيد ومعه ابو زيد بن عمرو من قومه فى جماعة منهم فقدموا
على النبى صلى الله عليه وسلم واخبروه الخبر فقال كيف أصنع بالقتلى فقالوا يا رسول
الله أطلق لنا من كان حيا فبعث معهم على بن أبى طالب وحمله على جمل وأعطاه سيفه
فلحقه بنفاء الفحلتين وأمره برد أموالهم فردها (وفى هذه السنة) قدم وفد عامر بن
صعصعة فيهم عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن ربيعة بن مالك فقال له عامر يا محمد
اجعل لى الامر بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك قال اجعل لى الوبر ولك المدر قال لا

ولكن أجعل لك أعنة الخيل فانك امرؤ فارس فقال لأملأنها عليك خيلا ورجلا ثم ولوا فقال اللهم اكفنيهم اللهم اهد عامرا وأغن الاسلام عن عامر (وذكر) ابن اسحق والطبرى انهما أرادا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقدروا عليه فى قصة ذكرها أهل الصحيح ثم رجعوا الى بلادهم فاخذه الطاعون فى عنقه فمات فى طريقه فى أحياء بنى سلول وأصابت أخاه أربد صاعقة بعد ذلك ثم قدم علقمة بن علاثة بن عوف وعوف بن خالد بن ربيعة وابنه فاسلموا (وفيها) قدم وفد طئ فى خمسة عشر نفرا يقدمهم سيدهم زيد الخيل وقبيصة بن الاسود من بنى نبهان فأسلموا وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير واقطع له بئرا وارضين معها وكتب له بذلك ومات فى مرجعه (وفى هذه السنة) ادعى مسيلمة النبوة وانه أشرك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الامر وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك فانى قد أشركت فى الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريش قوم لا يعدلون وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قال الطبرى وقد قيل ان ذلك كان بعد منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع كما نذكر

(حجة الوداع)

ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى حجة الوداع فى خمس ليال بقين من ذى القعدة ومعه من اشراف الناس ومائة من الابل عريا ودخل مكة يوم الاحد لاربع خلون من ذى الحجة ولقيه على بن أبى طالب بصدقات نجران فحج معه وعلم صلى الله عليه وسلم الناس مناسكهم واسترجهم وخطب الناس بعرفة خطبته التى بين فيها ما بين حمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اسمعوا قولى فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم وقد بلغت فمن كان عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان كان ربا فهو موضوع ولكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا ان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وان كل دم فى الجاهلية موضوع كله وان أول دم يوضع دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتله بنو هذيل فهو أول ما أبدأ من دم الجاهلية أيها الناس ان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه رضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم انما النسىء

زيادة فى الكفر الى فيحلوا ما حرم الله ألا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد الذى بين جمادى وشعبان أما بعد أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن ان لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى فانى قد بلغت قولى وتركت فيكم ما ان استعصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس اسمعوا قولى واعلموا ان كل مسلم أخو المسلم وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرئ من مال أخيه الا ما أعطاه اياه عن طيب نفس فلا تظلموا أنفسكم ألا هل بلغت فذكر انهم قالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد (وكانت) هذه الحجة تسمى حجة البلاغ وحجة الوداع لانه لم يحج بعدها وكان قد حج قبل ذلك حجتين واعتمر مع حجة الوداع عمرة فتلك ثلاث ثم انصرف الى المدينة فى بقية ذى الحجة من العاشرة

(العمال على النواحى)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وأسلمت اليمن أمره على جميع مخاليفها ولم يشرك معه فيها أحدا حتى مات وبلغه موته منصرفه من حجة الوداع فقسم عمله على جماعة من أصحابه فولى على صنعاء ابنه شهر بن باذان وعلى مأرب اباموسى الاشعرى وعلى الجند يعلى بن أمية وعلى همدان عامر بن شهر الهمدانى وعلى عك والاشعريين الطاهر بن أبى هالة وعلى ما بين نجران وزمع وزبيد خالد بن سعيد بن العاصى وعلى نجران عمرو بن حزم وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضى وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور بن أصفر الغوثى وعلى معاوية بن كندة عبد الله المهاجر بن ابى أمية واشتكى المهاجر فلم يذهب فكان زياد بن لبيد يقوم على عمله وبعث معاذ بن جبل معلما لاهل اليمن وحضرموت وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات عدى بن حاتم على صدقة طئ وأسد ومالك بن نويرة على صدقات بنى حنظلة وقسم صدقة بنى سعد بين رجلين منهم وبعث العلاء بن الحضرمى على البحرين وبعث على بن أبى طالب الى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عليه بها فوافاه من حجة الوداع كما مر

(خبر العنسي)

كان الاسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب ولقبه ذو الخمار وكان كاهنا مشعوذا يفعل الاعاجيب ويغلب بحلاوة منطقه وكانت داره كهف حنار بها ولد ونشا وادّعى النبوّة وكاتب مذحجا عامّة فأجابوه ووعدوه نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص وأقاموه فى عملها ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلوه وسار الاسود فى سبعمائة فارس الى شهر ابن باذان بصنعاء فلقيه شهر بن باذان فهزمه الاسود فقتله وغلب على ما بين صنعاء وحضرموت الى اعمال الطائف الى البحرين من قبل عدن وجعل يطير استطارة الحريق وعامله المسلمون بالتقية وارتد كثير من أهل اليمن وكان عمرو بن معدى كرب مع خالد بن سعيد بن العاص فخالفه واستجاب للاسود فسار اليه خالد ولقيه فاختلفا ضربتين فقطع خالد سيفه الصمصامة وأخذها ونزل عمرو عن فرسه وفتك فى الخيل ولحق عمرو بن الاسود فولاه على مذحج وكان أمر جنده الى قيس بن عبد يغوث المرادى وأمر الابناء الى فيروز وداذويه وتزوّج امرأة شهر بن باذان واستفحل أمره وخرج معاذ بن جبل هاربا ومر بأبى موسى فى مأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت ونزل معاذ فى السكون وأبو موسى فى السكاسك ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة وأقام الطاهر بن أبى هالة بملادعك حيال صنعاء فلما ملك الاسود اليمن واستفحل استخف بقيس بن عبد يغوث وبفيروز وداذويه وكانت ابنة عم فيروز هى زوجة شهر ابن باذان التى تزوّجها الاسود بعد مقتله واسمها أزاد وبلغ الخبر الى النبى صلى الله عليه وسلم فكتب مع وبر بن يحنس الى الابناء والى موسى ومعاذ والطاهر يأمرهم فيه أن يعملوا فى أمر الاسود بالغيلة أو المصادمة ويبلغ منه من يروم عنده دينا أو نجدة وقام معاذ والابناء فى ذلك فداخلوا قيس بن عبد يغوث فى أمره فأجاب ثم داخل فيروز بنت عمه زوجة الاسود فواعدته قتله وكتب النبى صلى الله عليه وسلم الى عامر بن شهر الهمدانى وبعث جرير بن عبد الله الى ذى الكلاع وذى أمران وذى ظليم من أهل ناحيته والى أهل نجران من عربهم ونصاراهم واعترضوا الاسود ومشوا وتنحوا الى مكان واحد وأخبر الاسود شيطانه بغدر قيس وفيروز وداذويه فعاتبهم وهمّ بهم ففروا الى امرأته وواعدتهم أن ينقبوا البيت من ظهره ويدخلوا فيبيتوه ففعلوا ذلك ودخل فيروز ومعه قيس فقتل عنقه ثم ذبحه فنادى بالاذان عند طلوع الفجر ونادى داذويه بشعار الاسلام وأقام وبر بن يحنس الصلاة واهتاج الناس مسلمهم وكافرهم وماج بعضهم فى بعض واختطف الكثير من أصحابه صبيانا من ابناء المسلمين وبرزوا وتركوا

كثيرا من ابنائهم ثم تراسلوا فى ردّ كل ما بيده وأقاموا يتردّدون فيما بين صنعاء ونجران وخلصت صنعاء والجنود وتراجع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى اعمالهم وتنافسوا الامارة فى صنعاء ثم اتفقوا على معاذ فصلى بهم وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر وكان قد أتى خبر الواقعة من السماء فقال فى غداتها قتل العنسى البارحة قتله رجل مبارك وهو فيروز ثم قدمت الرسل وقد توفى النبى صلى الله عليه وسلم

(بعث اسامة) ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع آخر ذى الحجة ضرب على الناس فى شهر المحرم بعثا الى الشأم وأمّر عليهم مولاه اسامة بن زيد بن حارثة أمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم الى الاردن من أرض فلسطين ومشارف الشام فتجهز الناس وأوعب معه المهاجرون الاوّلون فبينا الناس على ذلك ابتدأ صلى الله عليه وسلم بشكواه التى قبضه الله فيها الى كرامته ورحمته وتكلم المنافقون فى شان الكرامة وبلغ الخبر بارتداد الاسود ومسيلمة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه من الصداع وقال انى رأيت البارحة فى نومى أنّ فى عضدىّ سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأوّلتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن وقد بلغنى انّ أقواما تكلموا فى امارة اسامة ان يطعنوا فى امارته لقد طعنوا فى امارة أبيه من قبله وان كان أبوه لخليقا بالامارة وانه لخليق بها انفروا فبعث اسامة فضرب اسامة بالجرف وتمهل وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفاه الله قبل توجه اسامة

(أخبار الاسود ومسيلمة وطليحة) كان النبى صلى الله عليه وسلم بعدما قضى حجة الوداع تحلل به السير فاشتكى وطارت الاخبار بذلك فوثب الاسود باليمن كما مرّ ووثب مسيلمة باليمامة ثم وثب طليحة بن خويلد فى بنى أسد يدّعى كلهم النبوّة وحاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسل والكتب الى عماله ومن ثبت على اسلامه من قومهم أن يجدّوا فى جهادهم فأصيب الاسود قبل وفاته بيوم ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذب عن دينه فبعث الى المسلمين من العرب فى كل ناحية من نواحى هؤلاء الكذابين يأمرهم بجهادهم وجاء كتاب مسيلمة اليه فأجابه كما مرّ وجاء ابن أخى طليحة يطلب الموادعة فدعا عليه صلى الله عليه وسلم حتى كان من حكم الله فيهم بعده ما كان

(مرضه صلى الله وسلم عليه) أوّل ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك انّ الله نعى اليه نفسه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة ثم بدأه الوجع لليلتين بقيتا من صفر وتمادى به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استقر به فى بيت ميمونة فاستأذن نساءه أن يمرّض فى بيت عائشة فأذنّ له وخرج على الناس فخطبهم وتحلل منهم وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم ثم قال لهم انّ عبدا من عباد الله

خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده وفهمها أبو بكر فبكى فقال بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فرحب بهم وعيناه تدمعان ودعا لهم كثيرا وقال أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم وأستخلفه عليكم وأودعكم اليه انى لكم نذير وبشير ألا تعلوا على الله فى بلاده وعباده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين (ثم سألوه) عن مغسله فقال الادنون من أهلى (وسألوه) عن الكفن فقال فى ثيابى هذه أو ثياب مصر أو حلة يمانية (وسألوه) عن الصلاة عليه فقال ضعونى على سريرى فى بيتى على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة حتى تصلى علىّ الملائكة ثم ادخلوا فوجا بعد فوج فصلوا وليبدأ رجال أهلى ثم نساؤهم (وسألوه) عمن يدخله القبر فقال أهلى ثم قال ائتونى بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فتنازعوا وقال بعضهم أهجر يستفهم ثم ذهبوا يعيدون عليه ثم قال دعونى فما أنا فيه خير مما تدعوننى اليه (وأوصى بثلاث) أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب وان يجيزوا الوفد كما كان يجيزهم وسكت عن الثالثة أو نسيها الراوى وأوصى بالانصار فقال انهم كرشى وعيبتى التى أويت اليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم قد أصبحتم يا معشر المهاجرين تزيدون والانصار لا يزيدون ثم قال سدوا هذه الابواب فى المسجد الا باب أبى بكر فانى لا أعلم امرأ أفضل يدا عندى فى الصحبة من أبى بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صحبة اخاء وايمان حتى يجمعنا الله عنده ثم ثقل به الوجع وأغمى عليه فاجتمع اليه نساؤه وبنوه وأهل بيته والعباس وعلى ثم حضر وقت الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة انه رجل أسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك فمر عمر فامتنع عمر وصلى ابو بكر ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فخرج فلما أحس أبو بكر تأخر فجذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقامه مكانه وقرأ من حيث انتهى أبو بكر ثم كان أبو بكر يصلى بصلاته والناس بصلاة أبى بكر قيل صلوا كذلك سبع عشرة صلاة وكان يدخل يده فى القدح وهو فى النزع فيمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت فلما كان يوم الاثنين وهو يوم وفاته خرج الى صلاة الصبح عاصبا رأسه وأبو بكر يصلى فنكص عن صلاته ورده رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وصلى قاعدا عن يمينه ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فوعظهم وذكرهم (ولما فرغ من كلامه) قال له أبو بكر انى أراك أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب وخرج الى أهله فى السنح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته فاضطجع فى حجرة عائشة ودخل عبد الرحمن بن أبى بكر عليه وفى يده سواك

أخضر فنظر اليه وعرفت عائشة انه يريده قالت فمضغته حتى لان وأعطيته اياه فاستن به ثم وضعه ثم ثقل فى حجرى فذهبت انظر فى وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول الرفيق الاعلى من الجنة فعلمت انه خير فاختار (وكانت تقول) قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وذلك نصف نهار يوم الاثنين لليلتين من شهر ربيع الاول ودفن من الغد نصف النهار من يوم الثلاثاء ونادى النعى فى الناس بموته وأبو بكر غائب فى أهله بالسنح وعمر حاضر فقام فى الناس وقال ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وانه لم يمت وانه ذهب الى ربه كما ذهب موسى وليرجعن فيقطعن أيدى رجال وأرجلهم وأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله وقال بأبى انت وامى قد ذقت الموتة التى كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موتة أبدا وخرج الى عمر وهو يتكلم فقال أنصت فأبى وأقبل على الناس يتكلم فجاؤا اليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية فى المنزل قال عمر فما هو الا أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت الى الارض ما تحملنى رجلاى وعرفت انه قد مات وقيل تلا معها انك ميت وانهم ميتون الآية وبينما هم كذلك اذ جاء رجل يسعى بخبر الانصار انهم اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة يبايعون سعد بن عبادة ويقولون منا أمير ومن قريش أمير فانطلق أبو بكر وعمر وجماعة المهاجرين اليهم وأقام على وعباس وابناه الفضل وقثم واسامة بن زيد يتولون تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسله علىّ مسنده الى ظهره والعباس وابناه يقلبونه معه واسامة وشقران يصبان الماء وعلى يدلك من وراء القميص لا يفضى الى بشرته بعد ان كانوا اختلفوا فى تجهيزه ثم أصابتهم سنة فخفقوا وسمعوا من وراء البيت ان اغسلوه وعليه ثيابه ففعلوا ثم كفنوه فى ثوبين صحاريين وبرد حبرة ادرج فيهن ادراجا واستدعوا حفارين أحدهما يلحد والآخر يشق ثم بعث اليهما العباس رجلين وقال اللهم خر لرسولك فجاء الذى يلحد وهو ابو طلحة زيد بن سهل كان يحفر لاهل المدينة فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولما فرغوا من جهازه يوم الثلاثاء) وضع على سرير بيته واختلفوا أيدفن فى مسجده أو بيته فقال أبو بكر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبىّ الا يدفن حيث قبض فرفع فراشه الذى قبض عليه وحفر له تحته ودخل الناس يصلون عليه أفواجا الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد لا يؤم أحدهم أحدا ثم دفن من وسط الليل ليلة الاربعاء وعن عائشة لاثنتى عشرة ليلة من ربيع الاول فكملت سنو الهجرة عشر

سنين كوامل وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل خمس وستين سنة وقيل ستين

(خبر السقيفة)

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتاع الحاضرون لفقده حتى ظن انه لم يمت واجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة يبايعون سعد بن عبادة وهم يرون ان الامر لهم بما آووا ونصروا وبلغ الخبر الى أبى بكر وعمر فجاؤا اليهم ومعهم أبو عبيدة ولقيهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة فأرادوهم على الرجوع وخفضوا عليهم الشان فأبوا الا أن يأتوهم فأتوهم فى مكانهم ذلك فأعجلوهم عن شأنهم وغلبوهم عليه حجاجا وموعظة (وقال أبو بكر) نحن أولياء النبى وعشيرته وأحق الناس بأمره ولا ننازع فى ذلك وأنتم لكم حق السابقة والنصرة فنحن الامراء وأنتم الوزراء (وقال) الحباب بن المنذر بن الجموح منا أمير ومنكم أمير وان أبوا فاجلوهم يا معشر الانصار عن البلاد فبأسيافكم دان الناس لهذا الدين وان شئتم أعدناها جذعة أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب (وقال عمر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بكم كما تعلمون ولو كنتم الامراء لاوصاكم بنا ثم وقعت ملاحاة بين عمر وابن المنذر وأبو عبيدة يخفضهما اتقوا الله يا معشر الانصار أنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير بن سعد بن النعمان بن كعب بن الخزرج فقال ألا ان محمدا من قريش وقومه أحق وأولى ونحن وان كنا أولى فضل فى الجهاد وسابقة فى الدين فما أردنا بذلك الا رضى الله وطاعة نبيه فلا نبتغى به من الدنيا عوضا ولا نستطيل به على الناس فقال الحباب بن المنذر نفست والله عن ابن عمك يا بشير فقال لا والله ولكن كرهت ان أنازع قوما حقهم فأشار أبو بكر الى عمر وأبى عبيدة فامتنعا وبايعا أبا بكر وسبقهما اليه بشير بن سعد ثم تناجى الاوس فيما بينهم وكان فيهم اسيد بن حضير أحد النقباء وكرهوا امارة الخزرج عليهم وذهبوا الى بيعة أبى بكر فبايعوه وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطأون سعد بن عبادة فقال ناس من أصحابه اتقوا سعدا لا تقتلوه فقال عمر اقتلوه قتله الله وتماسكا فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق هنا ابلغ فأعرض عمر ثم طلب سعد فى البيعة فأبى وأشار بشير بن سعد بتركه وقال انما هو رجل واحد فأقام سعد لا يجتمع معهم فى الصلاة ولا يفيض معهم فى الحديث حتى هلك أبو بكر ونقل الطبرى أن سعدا بايع يومئذ وفى أخبارهم انه لحق بالشام فلم يزل هنالك حتى مات وان الجن قتلته وينشدون البيتين الشهيرين وهما

نحن قتلنا سيد الخز * رج سعد بن عباده

فرميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

{ الخبر عن الخلافة الاسلامية فى هذه الطبقة وما كان فيها من الردة والفتوحات
وما حدث بعد ذلك من الفتن والحروب فى الاسلام ثم الاتفاق والجماعة }

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أمر السقيفة كما قدمناه اجمع المهاجرون والانصار على بيعة أبى بكر ولم يخالف إلا سعد إن صح خلافه فلم يلتفت اليه لشذوذه وكان من أول ما اعتمده إنفاذ بعث اسامة وقد ارتدت العرب إما القبيلة مستوعبة وإما بعض منها ونجم النفاق والمسلمون كالغنم فى الليلة المطرة لقلتهم وكثرة عدوهم واظلام الجو بفقد نبيهم ووقف اسامة بالناس ورغب من عمر التخلف عن هذا البعث والمقام مع أبى بكر شفقة من أن يدهمه أمر وقالت له الانصار فان أبى الا المضى فليول علينا أسن من أسامة فأبلغ عمر ذلك كله أبا بكر فقام وقعد وقال لا أترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخرج وأنفذه ثم خرج حتى أتاهم فأشخصهم وشيعهم وأذن لعمر فى الشخوص وقال أوصيكم بعشر فاحفظوها على "لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الطفل ولا الشيخ ولا المرأة ولا تغرقوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للاكل واذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له واذا القيتم أقواما فحصوا أواسط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصاب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه فاذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا يا أسامة اصنع ما أمرك به نبى الله ببلاد قضاعة ثم أنت آفل ولا تقصر فى شئ من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ودعه من الجرف ورجع وقد كان بعث معه من القبائل من حول المدينة الذين لهم الهجرة فى ديارهم وحبس من بقى منهم فصار مسالح حول قبائلهم ومضى اسامة مغذا وانتهى لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم وبعث الجنود فى بلاد قضاعة وأغار على أبنى فسبى وغنم ورجع لاربعين يوما وقيل لسبعين ولم يحدث أبو بكر فى مغيبه شيئا وقد جاء الخبر بارتداد العرب عامة وخاصة الا قريشا وثقيفا واستغلظ أمر مسيلمة واجتمع على طليحة عوام طئ وأسد وارتدت غطفان وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة وارتد خواص من بنى سليم وكذا سائر الناس بكل مكان وقدمت رسل النبى صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبنى أسد ومن الامراء من كل مكان بانتقاض العرب عامة أو خاصة وحاربهم بالكتب والرسل وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة فعاجلته عبس وذبيان ونزلوا فى الابرق ونزل آخرون بذى القصة ومعهم حبال من بنى أسد ومن انتسب اليهم من بنى كنانة وبعثوا وفدا الى أبى بكر نزلوا على وجوه من الناس يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة فأبى أبو بكر من ذلك وجعل على أنقاب المدينة عليا والزبير وطلحة وعبد الله

قوله أبنى بضم الهمزة موضع بناحية البلقاء اه

ابن مسعود وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد ورجع وفد المرتدين وأخبروا قومهم
بقلة أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة فبعثوا الى أبي بكر فخرج في أهل
المسجد على النواضح فهربوا والمسلمون في اتباعهم الى ذي خشب ثم نفروا ابل المسلمين
بالعباءات اتخذوها فنفرت ورجعت بهم وهم لا يملكونها الى المدينة ولم يصبهم شئ وظن
القوم بالمسلمين الوهن فبعثوا الى أهل ذي القصة يستقدمونهم ثم خرج أبو بكر في التعبية
وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى الساقة سويد بن
مقرن وطلع عليهم مع الفجر واقتتلوا فما ذر قرن الشمس الا وقد هزموهم وغنموا ما معهم
من الظهر وقتل حبال واتبعهم أبو بكر الى ذي القصة فجهز بها النعمان بن مقرن في عدد
ورجع الى المدينة ووثب بنو ذبيان وعبس على من كان فيهم من المسلمين فقتلوهم وفعل
ذلك غيرهم من المرتدين وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين مثل من قتلوه من المسلمين
وزيادة واعتز المسلمون بوقعة أبي بكر وطرقت المدينة صدقات وقدم أسامة فاستخلفه
أبو بكر على المدينة وخرج في نفر الى ذي خشب والى ذي القصة ثم سار حتى نزل على
أهل الربذة بالابرق وبها عبس وذبيان وبنو بكر من كنانة وثعلبة بن سعد ومن يليهم من
مرة فاقتتلوا وانهزم القوم وأقام أبو بكر على الابرق وحرم تلك البلاد على بني ذبيان ثم
رجع المدينة (ردة اليمن) توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وبني كنانة عتاب
ابن أسيد وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص على المدر ومالك بن عوف على
الوبر وعلى عجز هوازن عكرمة بن أبي جهل وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم على الصلاة
وأبو سفيان بن حرب على الصدقات وعلى ما بين زمع وزبيد الى نجران خالد بن سعيد بن
العاص وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني وعلى صنعاء فيروز الديلمي ومسانده
داذويه وقيس بن مكشوح المرادي رجعوا اليها بعد قتل الأسود وعلى الجند يعلى بن
أمية وعلى مأرب أبو موسى الاشعري وعلى الاشعريين وعك الطاهر بن أبي هالة وعلى
حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي وعلى كندة المهاجر بن
أبي أمية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب عليه في غزوة تبوك فاسترضته
له أم سلمة وولاه على كندة ومرض فلم يصل اليها وأقام زياد بن لبيد ينوب عنه وكان معاذ
ابن جبل يعلم القرآن باليمن يتنقل على هؤلاء وعلى هؤلاء في أعمالهم وثار الأسود
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربه بالرسل وبالكتب فقتله الله وعاد الاسلام
في اليمن كما كان فلما بلغهم الموت انتقضت اليمن وارتد أهلها في جميع النواحي وكانت
القالة من جند العنسي بين نجران وصنعاء لا يأوون الى أحد ورجع عمرو بن حزم الى
المدينة واتبعه خالد بن سعيد وكان عمرو بن معديكرب بالجبال حيال فروة بن مسيك

وابن

وابن مكشوح وتحيل في قتل الابناء فيروز وداذويه وخشنش والاستبداد بصنعاء
وبعث الى القالة من جيش الاسود يغريهم بالابناء ويعدهم المظاهرة عليهم فجاؤا اليه
وخشي الابناء غائلتهم وفزعوا اليه فأظهر لهم المناصحة وهيأ طعاما فجمعهم له ليغدر
بهم فظفر بداذويه وهرب فيروز وخشنش وخرج قيس في أثرهما فامتنعا بخولان أخوال
فيروز وثار قيس بصنعاء وجبي ما حولها وجمع القالة من جنود الاسود اليه وكتب
فيروز الى أبي بكر بالخبر فكتب له بولاية صنعاء وكتب الى الطاهر بن أبي هالة باعانته
والى عكاشة بن ثور بأن يجمع أهل تهامة ويقيم بمكانه وكتب الى ذي الكلاع سميفع
وذي ظليم حوشب وذي تبان شهر باعانة الابناء وطاعة فيروز وان الجند يأتيهم وأرسل
اليهم قيس بن مكشوح يغريهم بالابناء فاعتزل الفريقان واتبعوا أمهم قيس بن
مكشوح في شأنه وعمد قيس الى عيلات الابناء الذين مع فيروز فغربهم وأخرجهم من
اليمن في البر والبحر وعرضهم للنهب فأرسل فيروز الى بني عقيل بن ربيعة والى عك
يستصرخهم فاعترضوا أعيال فيروز والابناء الذين معه فاستنقذوهم وقتلوا من كان
معه وجاؤا الى فيروز فقاتلوا معه قيس بن مكشوح دون صنعاء فهزموه ورجع الى
المكان الذي كان به مع قالة الاسود العنسي وانضاف قيس الى عمرو بن معديكرب وهو
مرتد منذ تنبأ الاسود العنسي وقام حيال فروة بن مسيك وقد كان فروة وعمرو أسلما
وكذلك قيس واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيسا على صدقات مراد وكان
عمرو قد فارق قومه سعد العشيرة مع بني زبيد واحلافها وانحاز اليهم فأسلم معهم وكان
فيهم فلما انتقض الاسود واتبعه عوام مذحج كان عمرو فيمن اتبعه وأقام فروة فيمن معه
على الاسلام فولى الاسود عمرا وجعله بحياله وكانت كندة قد ارتدوا وتابعوا الاسود
العنسي بسبب ما وقع بينهم وبين زياد الكندي في أمر فريضة من فرائض الصدقة
أطلقها بعض بني عمرو بن معاوية بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة غلطا فقاتلهم زياد
وهزمهم فاتفق بنو معاوية على منع الصدقة والردة الا شراحيل بن السمط وابنه وأشير
على زياد بمعاجلتهم قبل أن ينضم اليهم بعض السكاسك وحضرموت وأبضعة وجمد
ومشرح ومخوس وأختهم العمردة وهرب الباقون ورجع زياد بالسبي والغنائم ومر
بالاشعث بن قيس وبني الحرث بن معاوية واستغاث نساء السبي فغار الاشعث وتنقذهم
ثم جمع بني معاوية كلهم ومن أطاعه من السكاسك وحضرموت وأقام على ردته وكان
أبو بكر قد حارب أهل الردة أولا بالكتب والرسل ولم يرسل الى من ارتدوا وابتدأ
بالمهاجرين والانصار ثم استنفر كلا على من يليه حتى فرغ من آخر أمور الناس
لا يستعين بمرتد وكتب الى عتاب بن أسيد بمكة وعثمان بن أبي العاص بالطائف بركوب

من ارتد بمن لم يرتد وثبت على الاسلام من أهل عملهما وقد كان اجتمع بتهامة أوشاب
من مدلج وخزاعة فبعث عتاب اليهم ففرقهـم وقتلهـم واجتمع بشنوءة جمع من الازد
وخثعم وبجيلة فبعث اليهـم عثمان بن أبى العاصى من فرقهم وقتلهم واجتمع بطريق
الساحل من تهامة جموع من عك والاشعر يين فسار اليهم الطاهر بن أبى هالة ومعه
مسروق العكى فهزموهم وقتلوهـم وأقام بالاجناد ينتظر أمر أبى بكر ومعـه مسروق
العكى وبعث أهل نجران من بنى الافعى الذين كانوا بها قبل بنى الحرث وهـم فى أربعين
ألف مقاتل وجاء وفدهم يطلبون امضاء العهد الذى بأيديهـم من النبى صلى الله عليه
وسلم فامضاه أبو بكر الا ما نسخه الوحى بأن لا يترك دينان بأرض العرب ورجعت رسل
النبى صلى الله عليه وسلم الذين كان بعثهم عند انتقاض الأسود العنسى وهم جرير بن
عبد الله والاقرع ووبر بن يحنس فرد أبو بكر جريرا ليستنفر من ثبت على الاسلام
على من ارتد ويقاتل خثعم الذين غضبوا الهدم ذى الخلصة فيقتلهم ويقيم بنجران فنفذ
لما أمره به ولم يعرّ به أحد الا رجال قليل تتبعهم بالقتل وسار الى نجران وكتب أبو بكر الى
عثمان بن ابى العاص أن يضرب البعوث على مخاليف أهـل الطائف فضرب على كل
مخلاف عشرين وأمّر عليهم أخاه وكتب الى عتاب بن أسيد أن يضرب على مكة وعملها
خمسمائة بعث وأمّر عليهـم أخاه خالدا وأقاموا ينتظرون ثم أمر المهاجر بن أبى أمية بان
يسير الى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ الى عمله وأمره بقتال من بين نجران وأقصى اليمن
ففصل لذلك ومرّ بمكة والطائف فسار معهم خالد بن أسيد وعبد الرحمن بن أبى العاص
بمن معهما ومرّ بجرير بن عبد الله وعكاشة بن ثور فضمهـما اليه ثم مرّ بنجران وانضم اليه
فروة بن مسيك وجاء عمرو بن معديكرب وقيس بن مكشوح فأوثقهما وبعث بهـما الى
أبى بكر وسار الى اقتاله فتتبعهم بالقتل ولم يؤمنهم فقتلوا بكل سبيل وحضر قيس عند أبى
بكر فخطر قتل دادويه ولم يجد أمرا جليا فى أمره وتاب عمرو بن معديكرب واستقال
فأقالهـما وردّهـما وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر
عليه وقبل توبة من رجع اليه وكتب الى أبى بكر بدخوله صنعاء فجاءه الجواب بأن يسير
الى كندة مع عكرمة بن أبى جهل وقد جاء من ناحية عمان ومعه خلق كثير من مهرة
والازد وناجيـة وعبد القيس وقوم من مالك بن كنانة وبنى العنبر وقدم أبين وأقام بها
لاجتماع النخع وحمير ثم سار مع المهاجر الى كندة وكتب زياد الى المهاجر يستحثه فلقيه
الكتاب بالمفازة بين مأرب وحضرموت فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل الى زياد
ونهدوا الى كندة وعليهم الاشعث بن قيس فهزموهم وقتلوهم وفرّوا الى النجير حصـن
لهم فتحصنوا فيه مع من استغووه من السكاسك وشذاذ السكون وحضرموت وسدّوا

عليهـم الطريق الا واحدة جاء عكرمة بعدهـم فسدّها وقطعوا عنهـم المدد وخرجوا
مستميتين فى بعض الايام فغلبوهم وأحجروهم واستأمن الاشعث الى عكرمة بما كانت
أسماء بنت النعمان بن الجون تحته فخرج اليه وجاء به الى المهاجر وأمّنه فى أهله وماله
وتسعة من قومه على أن يفتح لهـم الباب فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا
الذرية فكان فى السبى الف امرأة فلما فرغ من النجير دعا بكتاب الامان من الاشعث
واذا هو قد كتب غرض نفسه فى التسعة رجلا من أصحابه فأوثقه كتافا وبعث به الى أبى
بكر ينظر فى أمره فقدم مع السبايا والاسرى فقال له أبو بكر أقتلك قال انى راودت
القوم على عشرة وأتيناهم بالكتاب مختومة فقال أبو بكر انما الصلح على من كان
فى الصحيفة واما غير ذلك فهو مردود فقال يا أبا بكر احتسب فىّ وأقلنى واقبل اسلامى
وردّ علىّ زوجتى وقد كان تزوج أم فروة أخت أبى بكر حين قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأخرها الى أن يرجع فأطاقه أبو بكر وقبل اسلامه وردّ عليه زوجته
وقال ليبلغنى عنك خير ثم خلى عن القوم فذهبوا وقسم الانفال

* (بعث الجيوش للمرتدين) *

لما قدم أسامة ببعث الشأم على أبى بكر استخلفه على المدينة ومضى الى الربذة فهزم بنى
عبس وذبيان وكنانة بالابرق ورجع الى المدينة كما قدمناه حتى اذا استجم جند أسامة
وتاب من حوالى المدينة خرج الى ذى القصة على بريد من تلقاء نجد فعقد فيها أحد عشر
لواء على أحد عشر جندا لقتال اهل الردة وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين
من كل قبيلة وترك بعضها لحماية البلاد فعقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة وبعده
لمالك بن نويرة بالبطاح ولعكرمة بن ابى جهل وأمره بمسيلمة واليمامة ثم أردفه بشرحبيل
ابن حسنة وقال له اذا فرغت من اليمامة فسر الى قتال قضاعة ثم تمضى الى كندة
بحضرموت ولخالد بن سعيد بن العاصى وقد كان قدم بعد الوفاة الى المدينة من اليمن
وترك أعماله فبعثه الى مشارف الشأم ولعمرو بن العاصى الى قتال المرتدة من قضاعة
ولحذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة فحذيفة لاهل دبا وعرفجة لمهرة وكل واحد منهما
أمير فى عمله على صاحبه ولطريفة بن حاجز وبعثه الى بنى سليم ومن معهـم من هوازن
ولسويد بن مقرن وبعثه الى تهامة اليمن وللعلاء بن الحضرمى وبعثه الى البحرين وكتب
الى الامراء عهودهم بنص واحد بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبى بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام
وعهد اليه ان يتقى الله ما استطاع فى أمره كله سرّه وجهره وأمره بالجدّ فى أمر الله
ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى أمانى الشيطان بعد أن يعذر اليهـم

فيدعوهم بدعاية الاسلام فان أجابوه أمسك عنهم وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فمن أجاب الى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به ومن لم يجب الى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لا يقبل الله من أحد شيئا مما أعطى الا الاسلام فمن أجابه وأقر قبل منه وأعانه ومن أبى قاتله فان أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله عليه الا الخمس فانه يبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيونا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول انتهى (وكتب) الى كل من بعث اليه الجنود من المرتدة كتابا واحدا فى نسخ كثيرة على يد رسل تقدموا بين أيديهم نصه بعد البسملة هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابى هذا من عامة أو خاصة أقام على الاسلام أو رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع الى الضلالة والهوى فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأومن بما جاء به وأكفر من أبى وأجاهده أما بعد ثم قرر أمر النبوة ووفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطنب فى الموعظة ثم قال وانى بعثت اليكم فلانا فى جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية الاذان فاذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وان لم يؤذنوا فاسألوهم بما عليهم فان أبوا عاجلوهم وان أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم انتهى فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الامراء ومعهم العهود وكان أول ما بدأ به خالد طليحة وبنى أسد

(خبر طليحة)

كان طليحة قد ارتد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كاهنا فادعى النبوة واتبعه أفاريق من بنى اسرائيل ونزل سميراء وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار ابن الازور الى قتاله مع جماعة فاجتمع عليهم المسلمون وهم ضرار بعثا بجزئه فاتى الخبر

بموت النبى صلى الله عليه وسلم فاستطار أمر طليحة واجتمعت اليه غطفان وهوازن وطيئ وفر ضرار ومن معه من العمال الى المدينة وقدمت وفودهم على أبى بكر فى الموادعة على ترك الزكاة فأبى من ذلك وخرج كما قدمناه الى غطفان وأوقع بهم بذى القصة فانضموا بعد الهزيمة الى طليحة وبنى أسد ببزاخة وكذلك فعلت طيئ وأقامت بنو عامر وهوازن ينتظرون وحمل خالد الى طليحة ومعه عيينة بن حصن على بزاخة من مياه بنى أسد وأظهر أنه يقصد خيبر ثم ينزل الى سلمى وأجا فيبدأ بطيئ وكان عدى بن حاتم قد خرج معه فى الجيش فقال له أنا أجمع لك قبائل طى يصحبونك الى عدوك وسار اليهم فجاء بهم وبعث خالد عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم من الانصار طليعة ولقيهما طليحة وأخوه فقتلاهما ومر بهما المسلمون فعظم عليهم قتلهما ثم عبى خالد كتائبه وثابت ابن قيس على الانصار وعدى بن حاتم على طى ولقى القوم فقاتلهم وعيينة بن حصن مع طليحة فى سبعمائة من غطفان واشتد المجال بينهم وطليحة فى عباءة يتكذب لهم فى انتظار الوحى فجاء عيينة بعد ما ضجر من القتال وقال هل جاءك أحد بعد قال لا ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال جاء وقال ان لك رحى كرحاه وحديثا لا تنساه فقال عيينة يا بنى فزارة الرجل كذاب وانصرف فانهزموا وقتل من قتل وأسلم الناس طليحة فوثب على فرسه واحتقب امرأته فنجا بها الى الشأم ونزل فى كلب من قضاعة على النقع حتى أسلمت أسد وغطفان فأسلم ثم خرج معتمرا أيام عمر ولقيه بالمدينة فبايعه وبعثه فى عساكر الشأم فأبلى فى الفتح ولم يصب عيالات بنى أسد فى واقعة بزاخة شى لانهم كانوا أخرجوهم فى الحصون عند واسط وأسلموا خشية على ذراريهم

(خبر هوازن وسليم وبنى عامر)

كان بنو عامر ينتظرون أمر طليحة وما تصنع أسد وغطفان حتى أحيط بهم وكان قرة بن هبيرة فى كعب وعلقمة بن علاثة فى كلاب وكان علقمة قد ارتد بعد فتح الطائف ولما قبض النبى صلى الله عليه وسلم رجع الى قومه وبلغ أبا بكر خبره فبعث اليه سرية مع القعقاع ابن عمرو من بنى تميم فأغار عليهم فأفلت وجاء بأهله وولده وقومه فأسلموا وكان قرة بن هبيرة قد لقى عمرو بن العاصى منصرفه من عمان بعد الوفاة وأضافه وقال له اتركوا الزكاة فان العرب لا تدين لكم بالاتاوة فغضب لها عمرو وأسمعه وأبلغها أبا بكر فلما أوقع خالد ببنى أسد وغطفان وكانت هوازن وسليم وعامر ينتظرون أمرهم فجاؤا الى خالد وأسلموا وقبل منهم الاسلام الا من عدا على أحد من المسلمين أيام الردة فانه تتبعهم فأحرق وقمط ورضخ بالحجارة ورمى من رؤس الجبال ولما فرغ من أمر بنى عامر أوثق عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة وبعث بهما الى أبى بكر فتجاوز لهما وحقن دماءهما ثم اجتمعت قبائل

غطفان الى سلمى بنت مالك بن حذيفة من بدر بن ظفر فى الحوأب فنزلوا اليها وتذامروا وكانت سلمى هذه قد سبيت قبل وأعتقتها عائشة وقال لها النبى صلى الله عليه وسلم يوما وقد دخل عليها وهى فى نسوة ببيت عائشة فقال ان احداكن تستنبح كلاب الحوأب وفعلت ذلك واجتمع اليها الفلال من غطفان وهوازن وسليم وطىء وأسد وبلغ ذلك خالدا وهو يتبع الثأر ويأخذ الصدقات فسار اليهم وقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل فانهزموا وبعث خالد بالفتح على أثره بعده بعشرين ليلة وأما بنو سليم فكان الفجاءة بن عبد ياليل قدم على أبى بكر يستعينه مدعيا اسلامه ويضمن له قتال أهل الردة فأعطاه وأمره وخرج الى الجون وارتد وبعث نجبة بن أبى المثنى من بنى الشريد وأمره بشن الغارة على المسلمين فى سليم وهوازن فبعث أبو بكر الى طريفة بن حاجز قائده على جرهم وأعانه بعبد الله بن قيس الحاسى فنهضا اليه ولقياه فقتل نجبة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره وجاء به الى أبى بكر فأوقد له فى مصلى المدينة حطبا ثم رمى به فى النار مقموطا وفاءت بنو سليم كلهم وفاء معهم أبو شجرة بن عبد العزى أبو الخنساء وكان فيمن ارتد

(خبر بنى تميم وسجاح)

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله فى بنى تميم الزبرقان بن بدر على الرباب وعوف والابناء وقيس بن عاصم على المقاعس والبطون وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بنى عمرو ووكيع بن مالك على بنى مالك ومالك بن نويرة على حنظلة فجاء صفوان الى أبى بكر حين بلغته الوفاة بصدقات بنى عمرو وجاء الزبرقان بصدقات أصحابه وخالفه قيس بن عاصم فى المقاعس والبطون لانه كان ينتظره ثم بقى من أسلم منهم متشاغلا بين تربص أو ارتياب وبينما هم على ذلك فجئتهم سجاح بنت الحارث بن سويد من بنى عقفان أحد بطون تغلب وكانت تنبأت بعد الوفاة واتبعها الهذيل بن عمران فى بنى تغلب وعقبة ابن هلال فى النمر والسليل بن قيس فى شيبان وزياد بن بلال وكان الهذيل نصرانيا فترك دينه الى دينها وأقبلت من الجزيرة فى هذه الجموع قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر والمسلمين وانتهت الى الجرف فدهم بنى تميم أمر عظيم لما كانوا عليه من اختلاف الكلمة فوادعها مالك بن نويرة وثناها عن الغزو وحرضها على بنى تميم ففروا امامها ورجع اليها وكيع بن مالك واجتمعت الرباب وضبة فهزموا أصحاب سجاح وأسروا منهم ثم اصطلحوا وسارت سجاح فيمن معها تريد المدينة فبلغت النباج فاعترضهم بنو الهجيم فيمن ناشب اليهم من بنى عمرو واغاروا عليهم فأسر الهذيل وعقبة ثم تحاجزوا على أن تطلق اسراهم ويرجعوا ولا يجتازوا عليهم ورجع عن سجاح مالك بن نويرة ووكيع بن مالك الى

قومهم ويئست سجاح وأصحابها من الجواز عليهم ونهدت الى بنى حنيفة وسار معها من تميم الزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم وغيلان بن حريث وشبث ابن ربعى ونظراؤهم وصانعها مسيلمة بما كان فيه من مزاحمة ثمامة بن اثال له فى اليمامة وزحف شرحبيل بن حسنة والمسلمون اليه فاهدى لها واستأمنها وكانت نصرانية أخذت الدين من نصارى تغلب فقال لها مسيلمة نصف الارض لنا ونصف الارض لقريش لكنهم لم يعدلوا فقد جعلت نصفهم لك ويقال انها جاءت اليه واستأمنته وخرج اليها من الحصن الى قبة ضربت لها بعد أن جمرها ٣ فدخل اليها وتحرك الحرس حوالى القبة فسجع لها وسجعت له من أسجاع الفرية فشهدت له بالنبوة وخطبها لنفسه فتزوجته وأقامت عنده ثلاثا ورجعت الى قومها فعذلوها فى التزويج على غير صداق فرجعت اليه فقال لها نادى فى أصحابك انى وضعت عنهم صلاة الفجر والعتمة مما فرض عليهم محمد وصالحته على أن يحمل لها النصف من غلات اليمامة فأخذته وسألت أن يسلفها النصف للعام القابل ودفعت الهذيل وعقبة لغضبه فهم على ذلك واذا بخالد بن الوليد وعساكره قد أقبلوا فانفضت جموعهم وافترقوا ولحقت سجاح بالجزيرة فلم تزل فى بنى تغلب حتى نقل معاوية عام الجماعة بنى عقفان عشيرتها الى الكوفة وأسلمت حينئذ سجاح وحسن اسلامها ولما افترق وفد الزبرقان والاقرع على أبى بكر وقالا اجعل لنا خراج البحرين ونحن نضمن لك أمرها ففعل وكتب لهم بذلك وكان طلحة بن عبيد الله يتردد بينهم فى ذلك فجاء الى عمر ليشهد فى الكتاب فمزقه ومحاه وغضب طلحة وقال لابى بكر رضى الله عنه أنت الامير أم عمر رضى الله عنه فقال عمر غير ان الطاعة لى وشهد الاقرع والزبرقان مع خالد اليمامة والمشاهد كلها ثم مضى الاقرع مع شرحبيل الى دومة

٣ أى بخرها وطيبها

(البطاح ومالك بن نويرة)

لما انصرفت سجاح الى الجزيرة وراجع بنو تميم الاسلام أقام مالك بن نويرة متحيرا فى أمره واجتمع اليه من تميم بنو حنظلة واجتمعوا بالبطاح فسار اليهم خالد بعد ان تقاعد عنه الانصار يسألونه انتظار أبى بكر فأبى الا انتهاز الفرصة من هؤلاء فرجعوا الى اتباعه ولحقوا به وكان مالك بن نويرة لما تردد فى أمره فرق بنى حنظلة فى أموالهم ونهاهم عن القتال ورجع الى منزله ولما قدم خالد بعث السرايا يدعون الى الاسلام ويأتون بمن لم يجب أن يقتلوه فجاؤا بمالك بن نويرة فى نفر معه من بنى ثعلبة بن يربوع واختلفت السرية فيهم فشهد أبو قتادة أنهم أذنوا وصلوا فحبسهم عند ضرار بن الازور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه أن أدفئوا أسراكم وكانت فى لغة كنانة كناية

عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيا وسمع خالد الواعية فخرج متأسفا وقد فرغوا منهم وأنكر عليه أبو قتادة فزجره خالد فغضب ولحق بأبى بكر ويقال انهم لما جاؤا بهم الى خالد خاطبه مالك بقوله فعل صاحبكم شان صاحبكم فقال له خالد أوليس لك بصاحب ثم قتله وأصحابه كلهم ثم قدم خالد على أبى بكر وأشار عمر أن يقيد منه بمالك بن نويرة او يعزله فأبى وقال ما كنت أشيم سيفا سله الله على الكافرين وودى مالكا وأصحابه ورد خالدا الى عمله

(خبر مسيلمة واليمامة)

لما بعث أبو بكر عكرمة بن أبى جهل الى مسيلمة وأتبعه شرحبيل استعجل عكرمة فانهزم وكتب الى أبى بكر بالخبر فكتب اليه لا ترجع فتوهن الناس وامض الى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عمان فاذا فرغتم فامض أنت وجنودك واستنفروا من مررتم عليه حتى تلقوا المهاجر بن أبى أمية باليمن وحضرموت وكتب الى شرحبيل يمضى الى خالد فاذا فرغتم فامض أنت الى قضاعة فكن مع عمرو بن العاصى على من ارتد منهم ولما فرغ خالد من البطاح ورضى عنه أبو بكر بعثه نحو مسيلمة وأوعب معه الناس وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد وعلى الانصار ثابت بن قيس والبراء بن عازب وتعجل خالد الى البطاح وانتظر البعوث حتى قدمت عليه فنهض الى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير يقال أربعون ألف مقاتل متفرقين فى قراها وحجرها وتعجل شرحبيل كما فعل عكرمة بقتال مسيلمة فنكب وجاء خالد فلامه على ذلك ثم جاء خليط من عند أبى بكر مددا لخالد ليكون ردءا له من خلفه ففرقت جموع كانت تجمعت هنالك من فلال سجاح وكان مسيلمة قد جعل لها جعلا وكان الرجال بن عنفوة من اشراف بنى حنيفة شهد لمسيلمة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه معه فى الامر لان الرجال كان قد هاجر وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وتفقه فى الدين فلما ارتد مسيلمة بعثه النبى صلى الله عليه وسلم معلما لاهل اليمامة ومشغبا على مسيلمة فكان أعظم فتنة على بنى حنيفة منه واتبع مسيلمة على شأنه وشهد له وكان يؤذن لمسيلمة ويشهد له بالرسالة بعد النبى صلى الله عليه وسلم فعظم شأنه فيهم وكان مسيلمة ينتهى الى أمره وكان مسيلمة يسجع لهم باسجاع كثيرة يزعم أنها قرآن يأتيه ويأتى بمخارق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضد المقصود ولما بلغ مسيلمة وبنى حنيفة دنو خالد خرجوا وعسكروا فى منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا اليهم وأقبل خالد ولقيه شرحبيل بن حسنة فجعله على مقدمته حتى اذا كان على ليلة من القوم هجم على مجاعة فى سرية أربعين أو ستين راجعين من بلاد بنى عامر وبنى تميم يثأرون فيهم

الرجال بوزن شداد بالجيم قال فى القاموس ووهم من ضبطه بالحاء واسمه على ما فى البداية نهار قاله نصر

فوجدوهم دون ثنية اليمامة فقتلوهم أجمعين وقيل له استبق مجاعة بن مرارة ان كنت تريد اليمامة فاستبقى ثم سار خالد ونازل بنى حنيفة ومسيلمة والرجال على مقدمة مسيلمة واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ومجاعة بها اسير مع ام متمم ٣ زوجة خالد فدافعهم عنها مجاعة وقال نعمت الحرة ثم تراجع المسلمون وكروا على بنى حنيفة فقال المحكم بن الطفيل ادخلوا الحديقة يا بنى حنيفة فانى أمنع أدباركم فقاتل ساعة ثم قتله عبد الرحمن بن أبى بكر ثم تذامر المسلمون وقاتل ثابت بن قيس فقتل ثم زيد بن الخطاب ثم أبو حذيفة ثم سالم مولاه ثم البراء اخو أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ثم يثور كالاسد فقاتل وفعل الافاعيل ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون الى الحديقة وفيها مسيلمة فقال البراء ألقونى عليهم من أعلى الجدار فاقتحم وقاتلهم على باب الحديقة ودخل المسلمون عليهم فقتل مسيلمة وهو مزبد متساند لا يعقل من الغيظ وكان زيد بن الخطاب قتل الرجال بن عنفوة وكان خالد لما نازل بنى حنيفة ومسيلمة ودارت الرحى عليه طلب البراز فقتل جماعة ثم دعا مسيلمة البراز والكلام محادثة يحاول فيه غرة وشيطانه يوسوس اليه ثم ركبه خالد فأرهقه وأدبروا وزالوا عن مراكزهم وركبهم المسلمون فانهزم وتطاير الناس عن مسيلمة بعد أن قالوا له أين ما كنت تعدنا فقال قاتلوا على أحسابكم وأتاه وحشى فرماه بحربته فقتل واقتحم الناس عليه حديقة الموت من حيطانها وأبوابها فقتل فيها سبعة عشر ألف مقاتل من بنى حنيفة وجاء خالد بمجاعة ووقفه على القتلى ليريه مسيلمة فمر بمحكم فقال هو ذا فقال مجاعة هذا والله خير منه ثم أراه مسيلمة رويجل دميم أخينس فقال خالد هذا الذى فعل فيكم ما فعل فقال مجاعة قد كان ذلك وانه والله ما جاءك الا سرعان الناس وان جماهيرهم فى الحصون فهلم أصالحك على قومى وقد كان خالد التقط من دون الحصون ما جاء من مال ونساء وصبيان ونادى بالنزول عليها فلما قال له مجاعة ذلك قال له أصالحك على ما دون النفوس وانطلق يشاورهم فأفرغ السلاح على النساء ووقفن بالسور ثم رجع اليه وقال أبوا أن يجيزوا ذلك ونظر خالد الى رؤس الحصون قد اسودت والمسلمون قد نهكتهم الحرب وقد قتل من الانصار ما ينيف على الثلثمائة وستين ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أو يزيدون وقد فشت الجراحات فيمن بقى فجنح الى السلم فصالحه على الصفراء والبيضاء ونصف السبى والحلقة وحائط ومزرعة من كل قرية فأبوا فصالحهم على الربع فصالحوه وفتحت الحصون فلم يجد فيها الا النساء والصبيان فقال خالد خدعتنى يا مجاعة فقال قومى ولم أستطع الا ما صنعت فعقد له وخيرهم ثلاثا فقال له سلمة بن عمير لا نقبل

٣ رواية غيره ام تميم

صلحا ونعتصم بالحصون ونبعث الى أهل القرى فالطعام كثير والشتاء قد حضر فتشاءم مجاعة برأيه وقال لهم لولا انى خدعت القوم ما أجابوا الى هذا فخرج معه سبعة من وجوه القوم وصالحوا خالدا وكتب لهم وخرجوا الى خالد للبيعة والبراءة مما كانوا عليه وقد أضمر سلمة بن عمير الفتك بخالد فطرده حين وقعت عينه عليه واطلع أصحابه على غدره فأوثقوه وحبسوه ثم أفلت فاتبعوه وقتلوه وكان أبو بكر بعث الى خالد مع سلمة بن وقش ان أظفره الله أن يقتل من جرت عليه الموسى من بنى حنيفة فوجده قد صالحهم فأتم عقده معهم ووفى لهم وبعث وفدا منهم الى أبي بكر باسلامهم فلقيهم وسالهم عن اسجاع مسيلمة فقصوها عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فأين يذهب بكم عن أحلامكم وردهم الى قومهم

(ردة الحطم وأهل البحرين)

لما فرغ خالد من اليمامة ارتحل عنها الى واد من أوديتها وكانت عبد القيس وبكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدوا بعد الوفاة وكذا المنذر بن ساوى من بعدها بقليل فأما عبد القيس فردهم الجارود بن المعلى وكان قد وفد وأسلم ودعا قومه فأسلموا فلما بلغهم خبر الوفاة ارتدوا وقالوا لو كان نبيا ما مات فقال لهم الجارود تعلمون أن لله أنبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قد مات ثم تشهد فتشهدوا معه وثبتوا على اسلامهم وخلوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوى والمسلمين (وقال) ابن اسحق كان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه فلما كانت الوفاة وارتدت ربيعة ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمى المغرور فأقاموه ملكا كما كان قومه بالحيرة وثبت الجارود وعبد القيس على الاسلام واستمر بكر بن وائل على الردة وخرج الحطم بن ربيعة اخو بنى قيس بن ثعلبة حتى نزل بين القطيف وهجر وبعث الى دارين فأقاموا ليجعل عبد القيس بينه وبينهم وأرسل الى المغرور بن سويد أخى النعمان بن المنذر وبعثه الى جوائى وقال اثبت فان ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة فحاصره المسلمون بجوائى وجاء العلاء بن الحضرمى لقتال أهل الردة بالبحرين ومر باليمامة فاستنفر ثمامة بن أثال فى مسلمة بنى حنيفة وكان مترددا وألحق عكرمة بعمان ومهرة وأمر شرحبيل بالمقام حيث هو يغاور مع عمرو بن العاصى أهل الردة من قضاعة عمرو يغاور سعدا وبلق وشرحبيل يغاور كلبا ولفها ثم مر ببلاد بنى تميم فاستقبله بنو الرباب وبنو عمرو ومالك بن نويرة بالبطاح يقاتلهم ووكيع بن مالك يواقف عمرو بن العاصى وقيس بن عاصم من المقاعس والبطون يواقف الزبرقان بن بدر والابناء وعوف وقد أطاعوه على الاسلام وحنظلة

متوقفون فلما رأى قيس بن عاصم تلقى الرباب وبنى عمرو وقدم وجاء بالصدقات الى العلاء وخرج معه لقتال البحرين فسار مع العلاء من بنى تميم مثل عسكره ونزل هجر وبعث الى الجارود أن ينازل بعبد القيس الحطم وقومه مما يليه واجتمع المشركون الى الحطم الا أهل دارين والمسلمون الى العلاء وخندقوا واقتتلوا وسمعوا فى بعض الليالى ضوضاة شديدة أى جلبة وصياحا وبعثوا من يأتيهم بخبرها فجاءهم بأن القوم سكارى فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم واقتحموا الخندق وفر القوم هرابا فمترد وناج ومقتول ومأسور وقتل قيس بن عاصم الحطم بن ربيعة ولحق جابر بن بجير وضربه فقطع عصبه ومات وأسر عفيف بن المنذر والمغرور بن سويد وقال للعلاء أجرنى فقال له العلاء أنت غررت بالناس فقال لكنى أنا مغرور ثم أرسل وأقام بهجر ويقال ان المغرور اسمه وليس هو بلقب وقتل المغرور بن سويد بن المنذر وقسم الانفال بين الناس وأعطى عفيف بن المنذر وقيس بن عاصم وثمامة بن أثال من أسلاب القوم وثيابهم وقصد الفلال دارين وركبوا السفين اليها ورجع الآخرون الى قومهم وكتب العلاء الى من أقام على اسلامه من بكر بن وائل بالقعود لاهل الردة فى السبل والى خصفة التميمى والمثنى بن حارثة بمثل ذلك فرجعوا الى دارين وجمعهم الله بها ثم لما جاءته كتب بكر بن وائل وعلم حسن اسلامهم أمر أن يؤتى من خلفه على أهل البحرين ثم لما ندب الناس الى دارين وأن يستعرضوا البحر فارتحلوا واقتحموا البحر على الظهر وكلهم يدعو يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حى يا محيى الموتى يا حى يا قيوم لا اله الا أنت يا ربنا ثم أجازوا الخليج يمشون على مثل رمل مشى فوقها ما يغمر اخفاف الابل فى مسيرة يوم وليلة فلقوا العدو واقتتلوا وما تركوا بدارين مخبرا وسبوا الذرارى واستاقوا الاموال وبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين ورجع العلاء الى البحرين وضرب الاسلام بجرانه ثم ارجف المرجفون بأن أبا شيبان وثعلبة والحر قد جمعهم مفروق الشيبانى على الردة فوثق العلاء باللهازم وتقاربهم وكانوا مجمعين على نصره وأقبل العلاء بالناس فرجعوا الى مراحب المقام وقتل ثمامة بن أثال فيهم ومروا بقيس بن ثعلبة بن بكر ابن وائل فرأوا خميصة الحطم عليه فقالوا هو قتله فقال لم أقتله ولكن الامير نفلنيها فلم يقبلوا وقتلوه وكتب العلاء الى أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم قتله زيد ومسمع فكتب اليه أبو بكر ان بلغك عن بنى ثعلبة ما خاض فيه المرجفون فابعث اليهم جندا وأوطئهم وشرد بهم من خلفهم

(ردة أهل عمان ومهرة واليمن)

نبغ بعمان بعد الوفاة رجل من الازد يقال له لقيط بن مالك الازدى يسامى فى الجاهلية

الجلندى فدفع عنها الملكين اللذين كانا بها وهما جيفر وعبد ابنا الجلندى فارتد وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين وبعث جيفر الى أبى بكر بالخبر فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن من حمير وعرفجة البارقى حذيفة الى عمان وعرفجة الى مهرة وان اجتمعا فالامير صاحب العمل وأمرهما أن يكاتبا جيفرا ويأخذا برأيه وقد كان بعث عكرمة الى اليمامة ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مر فأمره بالمسير الى حذيفة وعرفجة ليقاتل معهما عمان ومهرة ويتوجه اذا فرغ من ذلك الى اليمن فمضى عكرمة فلحق بهما قبل أن يصلا الى عمان وقد عهد اليهم أبو بكر أن ينتهوا الى رأى عكرمة فراسلوا جيفرا وعبدا وبلغ لقيطا مجئ الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعبد بصحار واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤساء الذين فقدموا بجيوشهم ثم صمدوا الى لقيط وأصحابه فقاتلوهم وقد أقام لقيط عياله وراء صفوفه وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بنى ناجية وعليهم الحريث ابن راشد ومن عبد القيس وعليهم سيحار بن صرصار فانهزم العدو وظفر المسلمون وقتلوا منهم نحوا من عشرة آلاف وسبوا الذرارى والنساء وتم الفتح وقسموا الانفال وبعثوا بالخمس الى أبى بكر مع عرفجة وكان الخمس ثمانمائة رأس وأقام حذيفة بعمان وسار عكرمة الى مهرة وقد استنفر أهل عمان ومن حولها من ناحيته الازد وعبد القيس وبنى سعيد من تميم فاقتحم مهرة بلادهم وهم على فرقتين يتنازعان الرياسة فأجابه أحد الفريقين وسار الى الآخرين فهزمهم وقتل رئيسهم وأصابوا منهم ألفى نجيبة وأفاد المسلمون قوة بغنيمتهم وأجاب أهل تلك النواحى الى الاسلام وهم أهل نجد والروضة والساطى والجزائر والمر واللسان وأهل جيرة وظهور الشحر والفرات وذات الخيم فاجتمعوا كلهم على الاسلام وبعث الى أبى بكر بذلك مع البشير وساروا الى اليمن للقاء المهاجر بن ابى أمية كما عهد اليه أبو بكر

(بعوث العراق وصلح الحيرة)

ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث اليه أبو بكر فى المحرم من سنة ثنتى عشرة فأمره بالمسير الى العراق وفرج الهند وهى الابلة منتهى بحر فارس فى جهة الشمال قرب البصرة فيتألف أهل فارس ومن فى مملكتهم من الامم فسار من اليمامة وقيل قدم على أبى بكر ثم سار من المدينة وانتهى الى قرية بالسواد وهى بانقيا وبرسوما وصاحبهما جابان فجاء صلوبا فصالحهم على عشرة آلاف دينار فقبضها خالد ثم سار الى الحيرة وخرج اليه اشرافها مع اياس بن قبيصة الطائى الامير عليها بعد النعمان بن المنذر فدعاهم الى الاسلام أو الجزية أو المناجزة فصالحوه على تسعين ألف درهم وقيل انما أمره أبو بكر

أن يبدأ بالابلة ويدخل من أسفل العراق وكتب الى عياض بن غنم أن يبدأ بالمصيخ ويدخل من أعلى العراق وأمر خالدا بالقعقاع بن عمرو التميمى وعياض بن عوف الحمى وقد كان المثنى بن حارثة الشيبانى استأذن أبا بكر فى غزو العراق فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد فكتب أبو بكر اليه والى حرملة ومذعور وسلمان أن يلحقوا بخالد بالابلة وكانوا فى ثمانية آلاف فارس ومع خالد عشرة آلاف فسار خالد فى أول مقدمته المثنى وبعده عدى بن حاتم وجاء هو بعدهما على مسيرة يوم بين كل عسكر وواعدهما الحفير ليجتمعوا به ويصادموا عدوهم وكان صاحب ذلك الفرج من أساورة الفرس اسمه هرمز وكان يحارب العرب فى البر والهند فى البحر فكتب الى أردشير كسرى بالخبر وتعجل هو الى الكواظم فى سرعان أصحابه حتى نزل الحفير وجعل على مجنبتيه قباذ وأنوشجان يناسبانه فى أردشير الاكبر واقترنوا بالسلاسل لئلا يفروا وأروا خالدا أنهم سبقوا الى الحفير فمال الى كاظمة فسبقه هرمز اليها أيضا وكان للعرب على هرمز حنق لسوء مجاورته وقدم خالد فنزل قبالتهم على غير ماء وقال جالدوهم على الماء فان الله جاعله لاصبر الفريقين ثم أرسل الله سحابة فأغدرت من ورائهم ولما حطوا أثقالهم قدم خالد ودعا الى النزال فبرز اليه هرمز وترجلا ثم اختلفا ضربتين فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز لغدر به فلم يشغله ذلك عن قتله وحمل القعقاع ابن عمرو ففقتلهم وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون وسميت الواقعة ذات السلاسل وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف وبعث بالفتح والاخماس الى أبى بكر وسار فنزل بمكان البصرة وبعث المثنى بن حارثة فى آثار العدو فحاصر حصن المرأة وفتحه وأسلمت فتزوجها وبعث معقل بن مقرن الى الابلة ففتحها عتبة بن غزوان أيام عمر سنة أربع عشرة ولم يتعرض خالد وأصحابه الى الفلاحين وتركهم وعمارة البلاد كما أمرهم أبو بكر وكان كسرى اردشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد أمره بقارن بن فريانس فسار الى المدار ولما انتهى الى المذار لقيه المنهزمون من هرمز ومعهم قباذ وأنوشجان فتذامروا ورجعوا ونزلوا النهر وسار اليهم خالد واقتتلوا وبرز قارن فقتله معقل بن الاعشى بن النباش وقتل عاصم أنوشجان وقتل عدى قباذ وانهزمت الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين الفا سوى من غرق ومنعت المياه المسلمين من طلبهم وكانت الغنيمة عظيمة وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا فى ذمة ولم يقاتل المسلمين من الفرس بعد قارن أعظم منه وتسمى هذه الوقعة بالثنى وهو النهر ولما جاء الخبر الى اردشير بالهزيمة بعث الاندرزغر وكان فارسا من مولدى السواد فارسل فى اثره عسكرا مع بهمن جاذويه وحشد الاندرزغر ما بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية

والدهاقين وعسكروا بالولجة وسار اليهم خالد فقاتلهم وصبروا ثم جاءهم كمين من خلفهم فانهزموا ومات الاندرزغر عطشا وبذل خالد الامان للفلاحين فصاروا ذمة وسبى ذرارى المقاتلة ومن أعانهم وأصاب اثنين من نصارى بنى وائل أحدهما جابر بن بجير والآخر ابن عبد الاسود من عجل فأسرهما وغضب بكر وائل لذلك فاجتمعوا على الليس وعليهم عبد الاسود العجلى فكتب أردشير الى بهمن جاذويه وقد أقام بعد الهزيمة كتابا يأمره بالمسير الى نصارى العرب بالليس فيكون معهم الى أن يقدم عليهم جابان من المرازبة فقدم بهمن على اردشير ايشاوره وخالفه جابان الى نصارى العرب من عجل وتيم اللات وضبيعه وعرب الضاحية من الحيرة وهم مجتمعون على الليس وسار اليهم خالد حين بلغه خبرهم ولا شعر لهم بجابان فلما حط الاثقال سار اليهم وطلب المبارزة فبرز اليه مالك بن قيس فقتله خالد واشتد القتال بينهم وسائر المشركين ينتظرون قدوم بهمن ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمى نهر الدم ووقف على طعام الاعاجم وكانوا قعودا للاكل فنفله المسلمين وجعل العرب يتساءلون عن الرقاق يحسبونه رقاعا وبلغ عدد القتلى سبعين ألفا ولما فرغ من الليس سار الى أمغيشيا فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع ما فيها وخربها

(فتح الحيرة)

ثم سافر خالد الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال فى السفن وخرج ابن زيان من الحيرة ومعه الازاذبه فعسكر عند الغريين وأرسل ابنه ليقاطع الماء عن السفن فوقفت على الارض وسار اليه خالد فلقيه على فرات باذقلا فقتله وجميع من معه وسار نحو أبيه على الحيرة فهرب بغير قتال لما كان بلغه من موت اردشير كسرى وقتل ابنه ونزل خالد منزله بالغريين وحاصر قصور الحيرة وافتتح الديور وصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور فرجعوا على الاباية وخرج ابن قبيصة من القصر الابيض وعمرو بن عبد المسيح بن قيس ابن حيان بن بقيلة وكان معمرا وسأله خالد عن عجيبة قد رآها فقال رأيت القرى ما بين دمشق والحيرة تسافر بينهما المرأة فلا تتزود الا رغيفا واحدا ثم جاءه واستقرب منه ورآى مع خادمه كيسا فيه سم فأخذه خالد ونثره فى يده وقال ما هذا قال خشيت أن تكونوا على غير ما وجدت فيكون الموت أحب الىّ من مكروه أدخله على قومى فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتى على أجلها ثم قال باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ وابتلع السم فوعك ساعة ثم قام كأنما نشط من عقال فقال عبد المسيح لتبلغن ما اردتم ما دام أحد منكم هكذا ثم صالحهم على مائة أو مائتين وتسعين ألفا وعلى كرامة [3] بنت عبد المسيح لشريك كان النبى صلى الله عليه وسلم عرّف بها اذا فتحت الحيرة فأخذها

شريك

[3] رواية الدميري الشيماء والصحابي هو أوس ابن حزن انظر ترجمة البغلة قاله نصر

شريك وافتدت منه بألف درهم وكتب لهم بالصلح وذلك فى أول سنة ثنتى عشرة

(فتح ما وراء الحيرة)

كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلى الحيرة من الفلاليج وغيرها على ألف ألف وقيل على ألفى ألف سوى جباية كسرى وبعث خالد ضرار بن الازور وضرار بن الخطاب والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة وعيينة بن الشماس فكانوا فى الثغور وأمرهم بالغارة فمخروا السواد كله الى شاطئ دجلة وكتب الى ملوك فارس أما بعد فالحمد لله الذى حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو لم نفعل ذلك كان شرا لكم فادخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم الى غيركم والا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحيوة وكتب الى المرازبة أما بعد فالحمد لله الذى فض حدتكم وفرق كلمتكم وجفل حرمكم وكسر شوكتكم فأسلموا تسلموا والا فاعتقدوا منى الذمة وأدوا الجزية والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر انتهى وكان العجم مختلفين بموت اردشير وقد أزالوا بهمن جاذويه فى سيره فى العساكر فجبى خالد خراج السواد فى خمسين ليلة وغلب العجم عليه وأقام بالحيرة سنة يصعد ويصوب والفرس حائرون فيمن يملكونه ولم يجدوا من يجتمعون عليه لان شيرين كان قتل جميع من تناسب الى بهرام جور (فلما وصل) كتاب خالد تكلم نساء آل كسرى وولوا الفرخزاد بن البندوان الى أن يجدوا من يجتمعون عليه ووصل جرير بن عبد الله البجلى الى خالد بعد فتح الحيرة وكان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام ثم قدم على أبى بكر فكلمه أن يجمع له قومه كما وعده النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا أوزاعا متفرقين فى العرب فسخط ذلك منه أبو بكر فقال تكلمنى بما لا يعنى وأنت ترى ما نحن فيه من فارس والروم وأمره بالمسير الى خالد فقدم عليه بعد فتح الحيرة

(فتح الانبار وعين التمر) (وتسمى هذه الغزوة ذات العيون)

ثم سار خالد على تعبيته الى الانبار وعلى مقدمته الاقرع بن حابس وكان بالانبار شيرزاد صاحب ساباط فحاصرهم ورشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين ثم نحر ضعاف الابل وألقاها فى الخندق حتى ردمه بها وجازه هو وأصحابه فوقها فاجتمع المسلمون والكفار فى الخندق وصالح شيرزاد على أن يلحقوه بمأمنه ويخلى لهم عن البلد وما فيها فلحق ببهمن جاذويه ثم استخلف خالد على الانبار الزبرقان بن بدر وسار الى عين التمر وبها بهرام بن بهرام جوبين فى جمع عظيم من العجم وعقبة بن أبى عقبة فى جمع عظيم من

العرب وحولهم طوائف من النمر وتغلب وإياد وغيرهم من العرب وقال عقبة لبهرام دعنا وخالدا فالعرب أعرف بقتال العرب فتركه لذلك واتقى به وسار عقبة الى خالد وحمل خالد عليه وهو يقيم صفوفه فاحتضنه وأخذه أسيرا وانهزم العسكر عن غير قتال وأسر أكثرهم وبلغ الخبر الى بهرام فهرب وترك الحصن وتحصن به المنهزمون واستأمنوا لخالد فأبى فنزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين وعقبة معهم وغنم ما فى الحصن وسبى عيالهم وأولادهم وأخذ من البيعة وهى الكنيسة غلمانا كانوا يتعلمون الانجيل ففرقهم فى الناس منهم سيرين أبو محمد ونصير أبو موسى وحمران مولى عثمان وبعث الى أبى بكر بالفتح والخمس وقتل من المسلمين عمير بن رباب السهمى من مهاجرة الحبشة وبشير بن سعد والد النعمان ولما فرغ خالد من عين التمر وافق وصول كتاب عياض ابن غنم وهو على من بازائه من نصارى العرب بناحية دومة الجندل وهم بهرام وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم وكانت رياسة دومة لاكيدر بن عبد الملك والجودى بن ربيعة يقتسمانها وأشار أكيدر بصلح خالد فلم يقبلوا منه فخرج عنهم وبلغ خالد مسيره فأرسل من اعترضه فقتله وأخذ ما معه وسار خالد فنزل دومة وعياض عليها من الجهة الاخرى وخرج الجودى لقتال خالد وأخرج طائفة أخرى لقتال عياض فانهزموا من الجهتين الى الحصن فأغلق دونهم وقتل الجودى وافتتح الحصن عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية

مطلب وقعة دومة الجندل

(الوقائع بالعراق)

وأقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم فى الحيرة وملأهم عرب الجزيرة غضبا لعقبة فخرج اسواران الى الانبار وانتهيا الى الحصيد والخنافس فبعث القعقاع من الحيرة عسكرين حالا بينهما وبين الريف ثم جاء خالد الى الحيرة فعجل القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكى الى لقائهما بالحصيد فقتل من العجم مقتلة عظيمة وقتل الاسواران وغنم المسلمون ما فى الحصيد وانهزمت الاعاجم الى الخنافس وبها المهبوذان من الاساورة وسار أبو ليلى فى اتباعهم فهزم المهبوذان الى المضيخ وكان بها الهذيل بن عمران وربيعة بن بجير من عرب الجزيرة غضبا بالعقبة وجاآمددا لاهل الحصيد فكتب خالد الى القعقاع وأبى ليلى وواعدهما المضيخ وسار اليهم فتوافقا هنالك وأغاروا على الهذيل ومن معه من ثلاثة أوجه فأكثروا فيهم القتل ففر الهذيل فى قليل وكان مع الهذيل عبد العزيز بن أبى رهم من أوس مناة ولبيد بن جرير وكانا أسلما وكتب لهما أبو بكر باسلامهما فقتلا فى المعركة فوداهما أبو بكر وأوصى بأولادهما وكان عمر يعتد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد ولما فرغ خالد من الهذيل

بالمضيخ

بالمضيخ وعد القعقاع وأبا ليلى الى الثنى شرقى الرصافة ليغير على ربيعة بن بجير التغلبى صاحب الهذيل الذى جاء معه لمدد الفرس وبيتهم فلم يلق منهم أحدا ثم اتبع الهذيل بعد مفره من المضيخ الى البسير وقد لحق هنالك بعتاب بن اسيد فبيتهم خالد قبل أن يصل اليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة وسار الى الرصافة وبها هلال بن عقبة فتفرق عنه أصحابه وهرب فلم يلق بها خالد أحدا ثم سار خالد الى الرضاب والى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة فحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح فارس واجتمعت معهم تغلب وإياد والنمر وساروا الى خالد وطلبوا منه العبور فقال اعبروا أسفل منا فعبروا وامتاز الروم من العرب فانهزمت الروم ذلك اليوم وقتل منهم نحو من مائة ألف وأقام خالد على الفراض الى ذى القعدة ثم أذن للناس بالرجوع الى الحيرة وجعل شجرة بن الاغر على الساقة وخرج من الفراض حاجا مكتما بحجه وذهب يعسف فى البلاد حتى أتى مكة فحج ورجع فوافى الحيرة مع جنده وشجرة بن الاغر معهم ولم يعلم بحجه الا من أعلمه به وعتب به أبو بكر فى ذلك لما سمعه وكانت عقوبته اياه ان صرفه من غزو العراق الى الشام ثم شن خالد بن الوليد الغارات على نواحى السواد فأغار هو على سوق بغداد وعلى قطربل وعقرقوما ومسكن وبادروبا وحج أبو بكر فى هذه السنة واستخلف على المدينة عثمان بن عفان

(بعوث الشام)

وكان من أول عمل أبى بكر بعد عوده من الحج ان بعث خالد بن سعيد بن العاصى فى الجنود الى الشام أول سنة ثلاث عشرة وقيل انما بعثه الى الشام لما بعث خالد بن الوليد الى العراق أول السنة التى قبلها ثم عزله قبل أن يسير لانه كان لما قدم من اليمن عند الوفاة تخلف عن بيعة أبى بكر اياما وغدا على على وعثمان فعزلهما على الاستكانة لتيم وهما رؤس بنى عبد مناف فنهاه على وبلغت الشيخين فلما ولاه أبو بكر عقد له عمر لعزله وأمره ان يقيم بتيماء ويدعو من حوله من العرب الى الجهاد حتى يأتيه أمره فاجتمعت اليه جموع كثيرة وبلغ الروم خبره فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهرا وسليح وكلب وغسان ولخم وجذام وسار اليهم خالد فغلبهم على منازلهم وافترقوا وكتب له أبو بكر بالاقدام فسار متقدما ولقيه البطريق ماهان من بطارقة الروم فهزمه خالد واستلحم الكثير من جنوده وكتب الى أبى بكر يستمده ووافق كتابه المستنفرين وفيهم ذو الكلاع ومعه حمير وعكرمة بن أبى جهل ومن معه من تهامة والشحر وعمان والبحرين فبعثهم اليه وحينئذ اهتم ابو بكر بالشام وكان عمرو بن العاصى لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الى عمان وعده أن يعيده الى عمله

عند فراغه من أمر عمان فلما جاء بعد الوفاة أعاده اليها أبو بكر انجازا لوعده صلى الله عليه وسلم تسليما وهى صدقات سعد هذيم وبنى عذرة فبعث اليه الآن يأمره باللحاق بخالد بن سعيد لجهاد الروم وأن يقصد فلسطين وبعث أيضا الى الوليد بن عقبة وكان على صدقات قضاعة وولاه الاردن وأمر يزيد بن أبى سفيان على جمهور من انتدب اليه فيهم سهيل بن عمرو واشباهه وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حمص وأوصى كل واحد منهم ولما وصل المدد الى خالد بن سعيد وبلغه توجه الامراء تعجل للقاء الروم قبلهم فاستطرد له ماهان ودخل دمشق واقتحم خالد الشام ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى نزل مرج الصفر ٣ عند دمشق فانطوت مسالح ماهان عليه وسدوا الطريق دونه وزحف اليه ماهان ولقى ابنه سعيدا فى طريقه فقتلوه وبلغ الخبر أباه خالدا فهرب فيمن معه وانتهى الى ذى المروة قرب المدينة وأقام عكرمة ردءا من خلفهم فردعنهم الروم فأقام قريبا من الشام وجاء شرحبيل بن حسنة الى أبى بكر وافدا من العراق من عند خالد فندب معه الناس وبعثه مكان الوليد الى اردن ومر بخالد ففصل ببعض أصحابه ثم بعث أبو بكر معاوية وأمره باللحاق بأخيه يزيد واذن لخالد ابن سعيد بدخول المدينة وزحف الامراء فى العساكر نحو الشام فعبى هرقل عساكر الروم ونزل حمص بعد ان أشار على الروم بعدم قتال العرب ومصالحتهم على ما يريدون فأبوا ولجوا ثم فرقهم على أمراء المسلمين فبعث شقيقه تذارق فى تسعين ألفا نحو عمرو ابن العاصى بفلسطين وبعث جرجة ابن توذر نحو يزيد بن أبى سفيان وبعث الدراقص نحو شرحبيل بن حسنة بالاردن وبعث القيقلان بن نسطورس فى ستين ألفا نحو أبى عبيدة بالجابية فهابهم المسلمون ثم رأوا ان الاجتماع اليق بهم وبلغ كتاب ابى بكر بذلك فاجتمعوا باليرموك احدا وعشرين ألفا وأمر هرقل ايضا باجتماع جنوده ووعدهم بوصول ملحان اليهم ردءا فاجتمعوا بحيال المسلمين والوادى خندق بينهم فأقاموا بازائه ثلاثة أشهر واستمدوا أبا بكر فكتب الى خالد بن الوليد أن يستخلف على العراق المثنى بن حارثة ويلحق بهم وامره على جند الشام

(بعوث الشام)

ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث اليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه فى السير اليهم فنفذ خالد لذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان والروم أيضا وولى خالد قباله وولى الامراء قبل الآخرين ازاءهم فهزم ماهان وتتابع الروم على الهزيمة وكانوا مائتين وأربعين ألفا وتقسموا بين القتل والغرق فى الواقوصة والهوى فى الخندق وقتل صناديد الروم وفرسانهم وقتل تذارق أخو هرقل وانتهت الهزيمة

(٣) موزن سكر مشدد اه

الى هرقل وهو دون حمص فارتحل وأخلد الى ما وراءها لتكون بينه وبين المسلمين وأمر عليها وعلى دمشق ويقال ان المسلمين كانوا يومئذ ستة وأربعين ألفا سبعة وعشرين منها مع الامراء وثلاثة آلاف من امداد أهل العراق مع خالد بن الوليد وستة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءا بعد خالد بن سعيد وان خالد بن سعيد سماهم كراديس ستة وثلاثين كردوسا لما راى الروم لقبوا كراديس وكان كل كردوس ألفا وكان ذلك فى شهر جمادى وان أبا سفيان بن حرب أبلى يومئذ بلاء حسنا بسعيه وتحريضه (قالوا) وبينما الناس فى القتال قدم البريد من المدينة بموت أبى بكر وولاية عمر فأسره الى خالد وكتمه عن الناس ثم خرج جرجه من أمراء الروم فطلب خالدا وسأله عن أمره وأمر الاسلام فوعظه خالد فاستبصر وأسلم وكانت وهنا على الروم ثم زحف خالد بجماعة من المسلمين فيهم جرجه فقتل من يومه واستشهد عكرمة بن أبى جهل وابنه عمرو واصيبت عين أبى سفيان واستشهد سلمة بن هشام وعمرو وأبان ابنا سعيد وهشام بن العاصى وهبار بن سفيان والطفيل بن عمرو وأثبت خالد بن سعيد فلا يعلم أين مات بعد ويقال استشهد فى مرج الصفر فى الوقعة الاولى ويقال ان خالدا لما جاء من العراق مددا للمسلمين بالشام طلب من الادلاء ان يغوروا به حتى يخرج من وراء الروم فسلك به رافع بن عمرو الطائى من فزارة فى بلاد كلب حتى خرج الى الشام ونحر فيها الابل وأغار على مضيخ فوجد به رفقة فقتلهم وأسلبهم وكان الحرث بن الايهم وغسان قد اجتمعوا بمرج راهط فسلك اليهم واستباحهم ثم نزل بصرى ففتحها ثم سار منها الى المسلمين بالواقوصة فشهد معهم اليرموك ويقال ان خالدا لما جاء من العراق الى الشام اتى أمراء المسلمين ببصرى فحاصروها جميعا حتى فتحوها على الجزية ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاصى وعمرو بالغور والروم بجلق مع تذارق أخى هرقل وكشفوا عن جلق الى أجنادين وراء الرملة شرقا ثم تزاحف الناس فاقتتلوا وانهزم الروم وذلك فى منتصف جمادى الاولى من السنة وقتل فيها تذارق ثم رجع هرقل ولقى المسلمين بالفاقوصة عند اليرموك فكانت واقعة اليرموك كما قدمنا فى رجب بعد اجنادين وبلغت المسلمين وفاة أبى بكر وانها كانت لثمان بقين من جمادى الآخرة

(خلافة عمر رضى الله عنه)

ولما احتضر أبو بكر عهد الى عمر رضى الله عنهما بالامر من بعده بعد ان شاور عليه طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه فأثنوا على رأيه فأشرف على الناس وقال انى قد استخلفت عمر ولم آل لكم نصحا فاسمعوا له وأطيعوا ودعا عثمان فأمره فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آل لكم خيرا فان صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فكان أول ما أنفذه من الامور عزل خالد عن امارة الجيوش بالشام وتولية أبي عبيدة وجاء الخبر بذلك والمسلمون موافقون عدوهم في اليرموك فكتم أبو عبيدة الامر كله فلما انقضى أمر اليرموك كما مر سار المسلمون الى فحل من ارض الاردن وبها رافضة الروم وخالد على مقدمة الناس فقاتلوا الروم

(فتح دمشق)

واقتحموها عنوة وذلك في ذي القعدة ولحقت رافضة الروم بدمشق وعليها ماهان من البطارقة فحاصرهم المسلمون حتى فتحوا دمشق وأظهر ابو عبيدة إمارته وعزل خالد وقال سيف ان أبا بكر كان يسخط خالد بن سعيد والوليد بن عقبة من أجل فرارهما كما مر فلما ولي عمر رضي الله عنه اباح لهما دخول المدينة ثم بعثهما مع الناس الى الشام ولما فرغ أمر اليرموك وساروا الى فحل وبلغ عمر خبر اليرموك فكتب فعزل خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي حتى يصير الحرب الى فلسطين فيتولاها عمرو وان خالدا قدم على عمر بعد العزل وذلك بعد فتح دمشق وانهم ساروا الى فحل فافتتحوها ثم ساروا الى دمشق وعليها نسطاس بن نسطورس فحاصروها سبعين ليلة وقيل ستة أشهر من نواحيها الاربع خالد وأبو عبيدة ويزيد وعمرو كل واحد على ناحية وقد جعلوا بينهم وبين هرقل مدينة حمص ومن دونها ذو الكلاع في جيش من المسلمين وبعث هرقل المدد الى دمشق وكان فيهم ذو الكلاع فسقط في أيديهم وقدموا على دخول دمشق وطمع المسلمون فيهم واستغفلهم خالد في بعض الليالي فتسور سورهم من ناحيته وقتل الوليد وفتح الباب واقتحم البلد وكبروا وقتلوا جميع من لقوه وفزع أهل النواحي الى الامراء الذين يلونهم فنادوا لهم بالصلح والدخول فدخلوا من نواحيهم صلحا فأجريت ناحية خالد على الصلح مثلهم (قال سيف) وبعثوا الى عمر بالفتح فوصل كتابه بأن يصرف جند العراق الى العراق فخرجوا وعليهم هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع وخرج الامراء الى فحل وأقام يزيد بن أبي سفيان بدمشق وكان الفتح في رجب سنة أربع عشرة وبعث يزيد دحية الكلبي الى تدمر وأبا الازاهر القشيري الى حوران والبثنية فصالحوهما ووليا عليهما ووصل الامراء الى فحل فبيتهم الروم فظفر المسلمون بهم وهزموهم فقتل منهم ثمانون ألفا وكان على الناس في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة

فسار

فسار بهم الى بيسان وحاصرها فقتل مقاتلتها وصالحه الباقون فقبل منهم وكان ابو الاعور السلمي على طبرية محاصرا لها فلما بلغهم شأن بيسان صالحوه فكمل فتح الاردن صلحا ونزلت القواد في مدائنها وقراها وكتبوا الى عمر بالفتح (وزعم الواقدي) ان اليرموك كانت سنة خمس عشرة وان هرقل انتقل فيها من انطاكية الى قسطنطينية وان اليرموك كانت آخر الوقائع (والذي تقدم لنا من رواية سيف) ان اليرموك كانت سنة ثلاث عشرة وان البريد بوفاة أبي بكر قدم يوم هزمت الروم فيه وان الامراء بعد اليرموك ساروا الى دمشق ففتحوها ثم كانت بعدها وقعة فحل ثم وقائع أخرى قبل شخوص هرقل والله أعلم

(خبر المثنى بالعراق بعد مسير خالد الى الشام)

لما وصل كتاب أبي بكر الى خالد بعد رجوعه من حجه بأن ينصرف الى الشام أميرا على المسلمين بها ويخرج في شطر الناس ويرجع بهم اذا فتح الله عليه الى العراق ويترك الشطر الثاني بالعراق مع المثنى بن حارثة وفعل ذلك خالد ومضى لوجهه وأقام المثنى بالحيرة ورتب المصالح واستقام أهل فارس بعد خروج خالد بقليل على شهريار ابن شيرين بن شهريار ممن يناسبه الى كسرى أبي سابور وذلك سنة ثلاث عشرة فبعث الى الحيرة هرمز فاقتتلوا هنالك قتالا شديدا بعدوة الضراء وعار الفيل بين الصفوف فقتله المثنى وناس معه وانهزم أهل فارس واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى انتهوا الى المدينة ومات شهريار اثر ذلك وبقي ما دون دجلة من السواد في أيدي المسلمين ثم اجتمع أهل فارس من بعد شهريار على آزرميدخت ولم ينفذ لها أمر فخلعت وملك سابور بن شهريار وقام بأمره الفرخزاذ بن البندوان وزوجه آزرميدخت فغضب وبعث الى سياوخش وكان من كبار الاساورة وشكت اليه فأشار عليها بالقبول وجاء ليلة العرس فقتل الفرخزاذ ومن معه ونهض الى سابور فحاصره ثم اقتحم عليه فقتله وملكت آزرميدخت وتشاغل بذلك آل ملكها حتى انتهى شأن أبي بكر وصار السواد في سلطانه وتشاغل أهل فارس عن دفاع المسلمين عنه ولما أبطأ خبر أبي بكر على المثنى استخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية وخرج نحو المدينة يستعلم ويستأذن فقدم وأبو بكر يجود بنفسه وقد عهد الى عمر وأخبره الخبر فأحضر عمر وأوصاه أن يندب الناس مع المثنى وان يصرف أصحاب خالد من الشام الى العراق فقال عمر يرحم الله ابا بكر علم انه تسترني امارة خالد فأمرني بصرف أصحابه ولم يذكره

(ولاية أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله)

ولما ولى عمر ندب الناس مع المثنى بن حارثة أياما وكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود
وقال عمر للناس ان الحجاز ليس لكم بدار الا النجعة ولا يقوى عليه أهله الا بذلك أين
المهاجرون عن موعد الله سيروا فى الارض التى وعدكم الله فى الكتب أن يورثكموها
فقال ليظهره على الدين كله فالله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى أهله مواريث الأمم
أين عباد الله الصالحون فانتدب أبو عبيد الثقفى ثم سعد بن عبيد الانصارى ثم سليط
ابن قيس فولى أبا عبيد على البعث لسبقه وقال اسمع من أصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم واشركهم فى الامر ولا تجتهد مسرعا بل اتئد فانها الحرب والحرب لا يصلحها
الا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف ولم يمنعنى ان أؤمر سليطا الا لسرعته
الى الحرب وفى السرعة الى الحرب إلا عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمرته فكان
بعث أبى عبيد هذا أول بعث بعثه عمر ثم بعث بعده يعلى بن أمية الى اليمن وأمره باجلاء
أهل نجران لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فى مرضه وقال أخبرهم أنا
نجليهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك دينان بأرض العرب ثم نعطيهم أرضا كأرضهم وفاء
بذمتهم كما أمر الله (قالوا) فخرج أبو عبيد مع المثنى بن حارثة وسعد وسليط الى العراق
وقد كانت بوران بنت كسرى كلما اختلف الناس بالمدائن عدلت بينهم حتى
يصطلحوا فلما قتل الفرخزاذ بن البندوان وملكت آزرميدخت اختلف أهل فارس
واشتغلوا عن المسلمين غيبة المثنى كلها فبعثت بوران الى رستم تستحثه للقدوم وكان
على فرج خراسان فأقبل فى الناس الى المدائن وعزم الفرخزاذ وفقأ عين آزرميدخت
ونصب بوران فملكته وأحضرت مرازبة فارس فأسلموا له ورضوا به وتوجته وسبق
المثنى الى الحيرة ولحقه أبو عبيد ومن معه وكتب رستم الى دهاقين السواد أن يثوروا
بالمسلمين وبعث فى كل رستاق رجلا لذلك فكان فى فرات باذقلا جابان وفى كسكر نرسى
وبعث جند المصادمة للمثنى فساروا واجتمعوا أسفل الفرات وخرج المثنى من
الحيرة خوفا ان يؤتى من خلفه فقدم عليه أبو عبيد ونزل جابان النمارق ومعه
جمع عظيم فلقيه أبو عبيد هنالك وهزم الله أهل فارس وأسر جابان ثم أطلق وساروا فى
المنهزمين حتى دخلوا كسكر وكان بها نرسى ابن خالة كسرى فجمع الفالة الى عسكره
وسار اليهم أبو عبيد من النمارق فى تعبيته وكان على مجنبتى نرسى بندويه وشيرويه ابنا
بسطام خال كسرى واتصلت هزيمة جابان ببوران ورستم فبعثوا الجالنوس مددا
النرسى وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر فاشتد القتال وانهزمت الفرس
وهرب نرسى وغنم المسلمون ما فى عسكره وبعث أبو عبيد المثنى وعاصما فهزموا من كان
تجمع من أهل الرساتيق وخربوا وسبوا وأخذوا الجزية من أهل السواد وهم يتربصون

قدوم الجالنوس ولما سمع به أبو عبيد سار اليه على تعبيته فانهزم الجالنوس وهرب
ورجع أبو عبيد فنزل الحيرة وقد كان عمر قال له انك تقدم على ارض المكر والخديعة
والخيانة والخزى تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر
كيف تكون واحرز لسانك ولا تفش سرك فان صاحب السر ما ضبطه متحصن
لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة ولما رجع الجالنوس الى رستم بعث
بهمن حادويه ذا الحاجب الى الحيرة فأقبل ومعه درفش كابيان راية كسرى عرض
ثمانية أذرع فى طول اثنى عشر من جلود النمر فنزل فى الناطف على الفرات وأقبل أبو
عبيد فنزل عدوته وقعد الى ان نصبوا الفريقين جسرا على الفرات وخيرهم بهمن حادويه
فى عبوره أو عبورهم فاختار أبو عبيد العبور وأجاز اليهم وماجت الارض بالمقاتلة
ونفرت خيول المسلمين وكراديسهم من الفيلة وأمر بالتخفيف عن الخيل فترجل أبو عبيد
والناس وصافحوا العدو بالسيوف ودافعتهم الفيلة فقطعوا وضنها فسقطت رحالها
وقتل من كان عليها وقابل أبو عبيد فيلا منهم فوطئه بيده وقام عليه فأهلكه وقاتلهم
الناس ثم انهزموا عن المثنى وسبقه بعض المسلمين الى الجسر فقطعه وقال موتوا
أو تظفروا وتواثب بعضهم الفرات فغرقوا وأقام المثنى وناس معه مثل عروة بن زيد
الخيل وأبى محجن الثقفى وانظارهم وقاتل أبو زيد الطائى كان نصرانيا قدم الحيرة
لبعض أمره فحضر مع المثنى وقاتل حينئذ حمية ونادى المثنى الذين عبروا من المسلمين
فعقدوا الجسر وأجاز بالناس وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس فانفض
أصحابه الى المدينة وبقى المثنى فى قلة جريحا وبلغ الخبر الى عمر فشق عليه وعذر
المنهزمين وهلك من المسلمين يومئذ أربعة آلاف قتلى وغرقى وهرب ألفان وبقيت ثلاثة
آلاف وبينما بهمن حادويه يروم العبور خلاف المسلمين أتاه الخبر بأن الفرس ثاروا برستم
مع الفيرزان فرجع الى المدائن وكانت الوقعة فى مدائن سنة ثلاث عشرة ولما رجع
بهمن حادويه اتبعه جابان ومعه مردانشاه وخرج المثنى فى أثرهما فلما أشرف
عليهما أتياه يظنان انه هارب فأخذهما أسيرين وخرج أهل أليس على أصحابهما
فأتوه بهم اسرى وعقدوا معه مهادنة وقتل جميع الاسرى (ولما) بلغ عمر رضى الله عنه
وقعة أبى عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم الى جرير بن
عبد الله لانه الذى جمعهم من القبائل بعد ان كانوا مفترقين ووعده النبى صلى الله عليه
وسلم بذلك وشغل عن ذلك أبو بكر بأمر الردة ووفى له عمر به وسيره مددا للمثنى بالعراق
وبعث عصمة بن عبد الله الضبى وكتب الى أهل الردة بأن يوافوا المثنى وبعث المثنى
الرسل فيمن يليه من العرب فوافوا فى جموع عظيمة حتى نصارى النمر جاؤه وعليهم أنس بن

هلال وقالوا نقاتل مع قومنا وبلغ الخبر الى رستم والفيرزان فبعثا مهران الهمدانى
الى الحيرة والمثنى بين القادسية وخفان فلما بلغه الخبر استبقى فرات باذقلا وكتب بالخبر
الى جرير وعصمة ان يقصدا العذيب مما يلى الكوفة فاجتمعوا هنالك ومهران
قبالتهم عدوة الفرات وتركوا له العبور فأجازاليهم وسار اليه المثنى فى التعبية وعلى
مجنبتيه مهران مرزبان الحيرة من الازدبة ومردانشاه ووقف المثنى على الرايات
يحرض الناس فأعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت حربهم واشتدت ثم حمل المثنى على
مهران فأزاله عن مركزه وأصيب مسعود أخو المثنى وخالط المثنى القلب ووثب المجنبات
على المجنبات قبالتهم فانهزمت الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر فهربوا مصعدين
ومنحدرين واستلحمتهم خيول المسلمين وقتل فيها مائة ألف أو يزيدون وأحصى مائة
رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة وتبعهم المسلمون الى الليل وأرسل المثنى فى
آثار الفرس فبلغوا ساباط فغنموا وسبوا ساباط واستباحوا القرى ومخروا السواد
بينهم وبين دجلة لا يلقون مانعا ورجع المنهزمون الى رستم فاستهانوا ورضوا أن
يتركوا ما وراء دجلة ثم خرج المثنى من الحيرة واستخلف بشير بن الخصاصية وسار نحو
السواد ونزل الليس من قرى الانبار فسميت الغزاة غزاة الانبار الآخرة وغزاة الليس
الآخرة وجاءت الى المثنى عيون فدلته على سوق الخنافس وسوق بغداد وان سوق
الخنافس اقرب ويجتمع بها تجار المدائن والسواد وخفراؤهم ربيعة وقضاعة فركب
اليها واغار عليها يوم سوق فاشتف السوق وما فيها وسلب الخفراء ورجع الى الانبار
فأتوه بالعلوفة والزاد وأخذ منهم ادلاء تظهر له المدائن وسار بهم الى بغداد ليلا وصبح
السوق فوضع فيهم السيف وأخذ ما شاء من الذهب والفضة والجيد من كل شئ
ثم رجع الى الانبار وبعث المضارب العجلى الى الركان وبه جماعة من تغلب فهربوا
عنه ولحقهم المضارب فقتل فى أخرياتهم وأكثر ثم سرح فرات بن حيان التغلبى
وعتيبة بن النهاس للاغارة على احياء من تغلب بصفين ثم اتبعهما المثنى بنفسه
فوجدوا احياء صفين قد هربوا عنها فعبر المثنى الى الجزيرة وفنى زادهم وأكلوا
رواحلهم وادركوا عيرا من أهل خفان فخضر نفر من تغلب فأخذوا العير ودلهم
أحد الخفراء على حى من تغلب ساروا اليه يومهم وهجموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا
الذرية واستاقوا الاموال وكان هذا الحى بوادى الرويحلة فاشترى اسراهم من كان
هنالك من ربيعة بنصيبهم من الفئ واعتقوهم وكانت ربيعة لا تسبى فى الجاهلية
(ولما) سمع المثنى ان جميع من تلك البلاد قد اجتمع بشاطئ دجلة خرج فى اتباعهم
فأدركهم بتكريت فغنم ما شاء وعاد الى الانبار ومضى عتيبة وفرات حتى أغارا

على

على النمر وتغلب بصفين وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس وملكوا ما بين
الفرات ودجلة

(أخبار القادسية)

ولما دهم أهل فارس من المسلمين بالسواد ما دهمهم وهم مختلفون بين رستم والفيرزان
واجتمع عظماؤهم وقالوا لهما إما ان تجتمعا والا فنحن لكما حرب فقد عرضتونا للهلكة
وما بعد بغداد وتكريت الى المدائن فأطاعا لذلك وفزعوا الى بوران يسألونها فى ولد
من كسرى يولونه عليهم فأحضرت لهم النساء والسرارى وبسطوا عليهن العذاب
فذكروا لهم غلاما من شهريار بن كسرى اسمه يزدجرد أخذته أمه عند ما قتل شيرويه أبناء
أبيه فسألوا أمه عنه فدلتهم عليه عند اخواله كانت اودعته عندهم حينئذ فجاؤا به ابن
احدى وعشرين سنة فملكوه واجتمعوا عليه وتبارى المرازبة فى طاعته وعين المسالح
والجنود لكل ثغر ومنها الحيرة والابلة والانبار وخرجوا اليها من المدائن وكتب المثنى
بذلك الى عمر وبينما هو ينتظر الجواب انتقض أهل السواد وكفروا وخرج المثنى الى
ذى قار ونزل الناس فى عسكر واحد ولما وصل كتابه الى عمر قال والله لأضربن
ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيسا ولا ذا رأى وشرف وبسطة ولا خطيبا
ولا شاعرا الا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وكتب الى المثنى يأمره بخروج
المسلمين من بين العجم والتفرق فى المياه بحيالهم وان يدعو الفرسان واهل النجدات
من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعا وكرها فنزل المسلمون بالجل وشراف الى غضى وهو
جبل البصرة متناظرين وكتب الى عماله على العرب ان يبعثوا اليه من كانت له نجدة
أو فرس أو سلاح أو رأى وخرج الى الحج فحج سنة ثلاث عشرة ورجع فجاءته
افواجهم الى المدينة ومن كان أقرب الى العراق انضم الى المثنى فلما اجتمعت عنده
امداد العرب خرج من المدينة واستخلف عليها عليا وعسكر على صرار من ضواحيها
وبعث على المقدمة طلحة وجعل على المجنبتين عبد الرحمن والزبير وابهم أمره على
الناس ولم يطق أحد سؤاله فسأله عثمان فأحضر الناس واستشارهم فى المسير الى
العراق فقال العامة سر نحن معك فوافقهم ثم رجع الى اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأحضر عليا وطلحة والزبير وعبد الرحمن واستشارهم فأشاروا بمقامه وأن
يبعث رجلا بعده آخر من الصحابة بالجنود حتى يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوهم
فقبل ذلك ورأى فيه الصواب وعين لذلك سعد بن أبى وقاص وكان على صدقات
هوازن فأحضره وولاه حرب العراق وأوصاه وقال يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله
أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه

يعمو السيئ بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الا بطاعته فالناس فى دين الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر ثم سرحه فى أربعة آلاف ممن اجتمع اليه فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة على بارق وعمرو بن معدى كرب وابو سبرة بن أبى رهم على مذحج ويزيد بن الحرث الصدائى على عذرة وجنب ومسلية وبشر بن عبد الله الهلالى على قيس عيلان والحصين بن نمير ومعاوية بن حديج على السكون وكندة ثم أمر بعد خروجه بألفى يمانى وألفى نجدى سار سعد وبلغه فى طريقه بزرود أن المثنى مات من جراحة انتقضت وانه استخلف على الناس بشير بن الخصاصية وكانت جموع المثنى ثلاثة آلاف وكذلك أربعة آلاف من تميم والرباب واقاموا وعمر ضرب على بنى أسد أن ينزلوا على حد أرضهم فنزلوا فى ثلاثة آلاف وأقاموا بين سعد والمثنى وسار سعد الى سيراف فنزلها واجتمعت اليه العساكر ولحقه الاشعث بن قيس ومعه ثلاثون الفا ولم يكن أحد أجرأ على الفرس من ربيعة ثم عبى سعد كتائب من سيراف وأمّر الامراء وعرّف على كل عشرة عريفا وجعل الرايات لاهل السابقة ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع وكل ذلك بأمر عمر ورأيه وبعث فى المقدمة زهرة بن عبد الله بن قتادة الحيوى من بنى تميم فانتهى الى العذيب وعلى الميمنة عبد الله بن المعتمر وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط وخليفة بن خالد بن عرفطة حليف بنى عبد شمس وعاصم بن عمرو التميمى وسواد بن مالك التميمى على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلى على المجردة ثم سار على التعبية ولقيه المهنى بن حارثة الشيبانى بسيراف وقد كان بعد موت أخيه المثنى سار بذى قار الى قابوس بن المنذر بالقادسية وقد بعث الفرس اليها يستنفرون العرب فبيته المهنى واستلحمه ومن معه ورجع الى ذى قار وجاء الى سعد بالخبر ليعلمه بوصية المثنى اليه ان لا تدخلوا بلاد فارس وقاتلوهم على حد أرضهم بادئ حجر من أرض العرب فان يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم والا رجعتم الى فئة ثم تكونوا أعلم بسبيهم وأجرأ على أرضهم الى ان يرد الله الكرب فترحم سعد ومن معه على المثنى وولى أخاه المهنى على عمله وتزوج سلمى زوجته ووصله كتاب عمر بمثل رأى المثنى يسأله من سيراف ونزل العرب ثم أتى القادسية فنزلها بحيال القنطرة بين العتيق والخندق ووصله كتاب عمر يؤكد عليهم فى الوفاء بالانبار ولو كان اشارة أو ملاعبة ٢ وكان زهرة فى المقدمة فبعث سرية للاغارة على الحيرة عليها بكر بن عبد الله الليثى واذا أخت مرزبان الحيرة تزف الى زوجها فحمل بكير على ابن الازادبه فقتله وحملوا الاثقال والعروس فى ثلاثين امرأة ومائة من التوابع ومعهم ما لا يعرف

٢

قيمته

قيمته ورجع بالغنائم فصبح سعد بالعذيب فقسمه فى المسلمين ولما رجع سعد القادسية أقام بها شهرا يشن الغارات بين كسكر والانبار ولم يأته خبر عن الفرس وقد بلغت اخبارهم الى يزدجرد وان ما بين الحيرة والفرات قد نهب وخرب فأحضر رستم ودفعه لهذا الوجه فتقاعد عنه وقال ليس هذا من الرأى وبعث الجيوش يعقب بعضها بعضا أولى من مصادمة مرة فأبى يزدجرد الا مسيره لذلك فعسكر رستم بساباط وكتب سعد بذلك الى عمر فكتب اليه لا يكترثنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث رجالا من أهل الراى والجلد يدعونه فان الله جاعل ذلك وهنا لهم فأرسل سعد نفرا منهم النعمان بن مقرن وقيس بن زرارة والاشعث بن قيس وفرات بن حيان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معدى كرب والمغيرة بن شعبة والمهنى بن حارثة فقدموا على يزدجرد وتركوا رستم واجتمعوا واجتمع الناس ينظرون اليهم والى خيولهم ويردوهم فأحضرهم يزدجرد وقال لترجمانه سلهم ما جاء بكم وما أولعكم بغزونا وبلادنا من أجل انا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فتكلم النعمان بن مقرن بعد ان استأذن أصحابه وقال ما معناه ان الله رحمنا وأرسل الينا رسولا صفته كذا يدعونا الى كذا ووعدنا بكذا فأجابه منا قوم وتباعد قوم ثم أمر أن نجاهد من خالفه من العرب فدخلوا معه على وجهين مكره اغتبط وطائع ازداد حتى اجتمعنا عليه وعرفنا فضل ما جاء به ثم امرنا بجهاد من يلينا من الامم ودعائهم الى الانصاف فان أبيتم فأمر أهون من ذلك وهو الجزية فان أبيتم فالمناجزة فقال يزدجرد لا أعلم فى الارض امة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا اسوأ ذات بين منكم وقد كان أهل الضواحى يكفوننا أمركم ولا تطمعوا ان تقوموا للفرس فان كان بكم جهد اعطيناكم قوتا وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقال قيس بن زرارة هؤلاء أشراف العرب والاشراف يستحيون من الاشراف وأنا أكلمك وهم يشهدون فاما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد ثم ذكر من عيش العرب ورحمة الله بهم بارسال النبى صلى الله عليه وسلم مثل ما قال النعمان الخ ثم قال له اختر إمّا الجزية عن يد وأنت صاغر أو السيف والا فنج نفسك بالاسلام فقال يزدجرد لو قتل أحد الرسل قبلى لقتلتكم ثم استدعى بوقر من تراب وحمل على أعظمهم وقال ارجعوا الى صاحبكم واعلموه انى مرسل رستم حتى يدفنكم أجمعين فى خندق القادسية ثم يدوخ بلادكم أعظم من تدويخ سابور فقام عاصم بن عمر فحمل التراب على عنقه وقال انا أشرف هؤلاء ولما رجع الى سعد فقال أبشر فقد أعطانا الله تراب أرضهم وعجب رستم من محاورتهم وأخبر يزدجرد بما قاله عاصم بن عمر فبعث فى اثرهم الى الحيرة فأعجزوهم ثم أغار سواد بن مالك التميمى بعد مسير الوفد الى يزدجرد على الفراض

فاستاق ثلثمائة دابة بين بغل وحمار وقد روا آخرها سمكا وصبح بها العسكر فقسمه سعد
فى الناس وواصلوا السرايا والبعوث لطلب اللحم وأما الطعام فكان عندهم كثيرا وسار
رستم الى ساباط فى ستين ألفا وعلى مقدمته الجالنوس فى أربعين ألفا وساقته عشرون
ألفا وفى الميمنة الهرمزان وفى الميسرة مهران بن بهرام الرازى وجملة ثلاثة وثلاثين
فيلا ثمانية عشر فى القلب وخمسة عشر فى الجنبين ثم سار حتى نزل كوثى فأتى برجل
من العرب فقال له رستم ماجاء بكم وما تطلبون فقال نطلب وعد الله
بأرضكم وابنائكم ان لم تسلموا قال رستم فان قتلتم دون ذلك قال من قتل دخل الجنة
ومن بقى انجزه الله وعده قال رستم فنحن اذا وضعنا فى أيديكم فقال أعمالكم
وضعتكم وأسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فلست تحاول الناس
انما تحاول القضاء والقدر فغضب وأمر به فضربت عنقه وسار فنزل الفرس
وفشا من عسكره المنكر وغصبوا الرعايا اموالهم وابناءهم حتى نادى رستم منهم
بالويل وقال صدق والله العربى وأتى ببعضهم فضرب عنقه ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا
أهلها فعزرهم وهم بهم فقال له ابن بقيلة لاتجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا
على الدفع عن أنفسنا وأرسل سعد السرايا الى السواد وسمع بهم رستم فبعث
لاعتراضهم الفرس وبلغ ذلك سعدا فأمدهم بعاصم بن عمرو فجاءهم وخيل فارس
تحتوشهم فلما رأوا عاصما هربوا وجاء عاصم بالغنائم ثم أرسل سعد عمرو بن معدى كرب
وطليحة الاسدى طليعة فلما ساروا فرسخا وبعضه لقوا المسالح فرجع عمرو ومضى طليحة
حتى وصل عسكر رستم وبات فيه وهتك اطناب خيمة أو خيمتين واقتاد بعض الخيل
وخرج يعدو به فرسه وتذربه الفرس فركبوا فى طلبه الى أن أصبح وهم فى أثره فكر
على فارس فقتله ثم آخر وأسر الرابع وشارف عسكر المسلمين فرجعوا عنه ودخل طليحة
على سعد بالفارسى ولم يخلف بعده فيهم مثله فأسلم ولزم طليحة ثم سار رستم فنزل القادسية
بعد ستة أشهر من المدائن وكان يطاول خوفا وتقية والملك يستحثه وكان رآى
فى منامه كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبى صلى الله عليه وسلم وعمر وأخذ الملك
سلاح اهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ودفعه النبى الى عمر
فحزن لذلك اهل فارس فى سيره (ولما) وصل القادسية وقف على العتيق حيال عسكر
المسلمين والناس يتلاحقون حتى أعتموا من كثرتهم وركب رستم غداة تلك الليلة وصعد
مع النهر وصوب حتى وقف على القنطرة وأرسل الى زهرة فواقفه وعرض له بالصلح
وقال كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم ويقرر صنيعهم مع العرب ويقول
زهرة ليس أمرنا بذلك وانما طلبنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى أن بعث الله فينا رسولا

دعانا الى دين الحق فأجبناه وقال قد سلطتكم على من لم يدن به وأنا منتقم بكم منهم
وأجعل لكم الغلبة فقال رستم وماهو دين الحق فقال الشهادتان واخراج الناس من
عبادة الخلق الى عبادة الله وأنتم اخوان فى ذلك فقال رستم فان أجبنا الى هذا ترجعون
فقال إى والله فانصرف عنه رستم ودعا رجال فارس وذكر ذلك لهم فأنفوا وأرسل
الى سعد أن ابعث الينا رجلا نكلمه ويكلمنا فبعث اليهم ربعى بن عامر وحبسوه على
القنطرة حتى أعلموا رستم فجلس على سرير من ذهب وبسط النمارق والوسائد منسوجة
بالذهب وأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب وقدم حتى انتهى
الى البساط ووطئه بفرسه ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما فلم يقبلوا
ذلك وأظهروا التهاون ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها وأشاروا اليه بوضع سلاحه فقال
لو أتيتكم فعلت كذا بأمركم وانما دعوتمونى ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه
حتى أفسد مامر عليه من البسط ثم دنا من رستم وجلس على الارض وركز رمحه على
البساط وقال إنا لانقعد على زينتكم فقال له الترجمان ماجاء بكم فقال الله بعثنا
لنخرج عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام وأرسلنا
بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى نفىء الى
الجنة أو الظفر فقال رستم هل لكم أن تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم كم
أحب اليك يوما أو يومين قال لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا فقال إن مما
سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانمكن الاعداء أكثر من ثلاث فانظر فى
أمرك وأمرهم واختر اما الاسلام وندعك وأرضك أو الجزية فنقبل ونكف عنك وان
احتجت الينا نصرناك أو المنابذة فى الرابع ان تنبذ وأنا كفيل بهذا عن أصحابى
قال أسيدهم أنت قال لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير بعضهم عن بعض يجير
ادناهم على اعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه وقال رأيتم كلاما قط مثل كلام هذا
الرجل فأروه الاستخفاف بشأنه وثيابه فقال ويحكم انما أنظر الى الرأى والكلام
والسيرة والعرب تستخف اللباس وتصون الاحساب ثم أرسل الى سعد أن ابعث
الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن ففعل كما فعل الاول ولم ينزل عن فرسه
وتكلم وأجاب مثل الاول فقال له ماقعد بالاول عنا فقال أميرنا يعدل بيننا فى الشدة
والرخاء وهذه نوبتى فقال رستم والمواعدة الى متى فقال الى ثلاث من أمس وانصرف
وخاص رستم باصحابه يعجبهم من شأن القوم وبعث فى الغد عن آخر فجاءه المغيرة بن
شعبة فلما وصل اليهم وهم على زيهم وبسطهم على غلوة من مجلس رستم فجاء المغيرة حتى
جلس معه على سريره فأنزلوه فقال لا أرى قوما أسفه منا معشر العرب لانستعبد

بعضنا بعضا فظننتكم كذلك وكان احسن بكم ان تخبروني أن بعضكم أرباب بعض مع
انى لم آتكم وانما دعوتمونى فقد علمت انكم مغلوبون ولم يقم ملك على هذه السيرة
فقالت السفلة صدق والله العربى وقالت الاساطين لقد رمانا بكلام لاتزال عبيدنا
ينزعون اليه قاتل الله من يصغر أمر هذه الامة ثم تكلم رستم فعظم من أمر فارس بل من
شان فارس وسلطانهم وصغر أمر العرب وقال كانت عيشتكم سيئة وكنتم تقصدونا
فى الجدب فنردكم بشئ من التمر والشعير ولم يحملكم على ماصنعتم إلا ما بكم من الجهد
ونحن نعطى أميركم كسوة وبغلا وألف درهم وكل رجل منكم حمل تمر وتنصرفون فلست
اشتهى قتلكم فتكلم المغيرة وخطب فقال اما الذى وصفتنا به من سوء الحال والضيق
والاختلاف فنعرفه ولاننكره والدنيا دول والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكم
الله لكان شكركم قليلا عما أوتيتم وقد أسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال وان الله
بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل ماتقدم الى التخيير بين الاسلام أو الجزية او القتال ثم قال
وانا عيالنا ذاقوا طعام بلادكم فقالوا الاصبر لنا عنه فقال رستم اذا تموتون دونها فقال
المغيرة يدخل من قتل منا الجنة ويظفر من بقى منا بكم فاستشاط غضبا وحلف
ان لايقع الصلح أبدا حتى أقتلكم أجمعين وانصرف المغيرة وخلا رستم بأهل فارس
وعرض عليهم مصالحة القوم وحذرهم عاقبة حربهم فلجوا وبعث اليه سعد يعرض عليه
الاسلام ويرغب فأجابه بمثل ما كان يقول لأولئك من الامتنان على العرب والتعريض
بالمطامع فلم يتفق شئ من رأيهم فقال رستم تعبرون الينا أم نعبر اليكم فقالوا بل اعبروا
وأرسل اليهم سعد بذلك وأرادوا القنطرة فقال سعد لا ولا كرامة لانرد عليكم شيئا غلبناكم
عليه فأبى فأتوا يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوا جسرا ثم عبر
رستم ونصب له سريره وجلس عليه وضرب طيارة وعبر عسكره وجعل الفيلة فى القلب
والمجنبتين عليها الصناديق والرجال والرايات امثال الحصون وجعل الجالنوس بينه
وبين الميمنة والفيرزان بينه وبين الميسرة ورتب يزدجرد الرجال بين المدائن والقادسية
وما بينه وبين رستم رجلا على كل دعوة تنتقل اليه ينبئهم أخبار رستم فى أسرع وقت ثم
أخذ المسلمون مصافهم واختط سعد قصره وكان به عرق النساء وأصابته معه دماميل
لايستطيع معها الجلوس فصعد على سطح القصر راكبا على وسادة فى صدره وأشرف
على الناس وعاب ذلك عليه بعض الناس فنزل واعتذر اليهم وأراهم القروح فى جسده
فعذروه واستخلف خالد بن عرفطة على الناس وحبس من شغب عليه فى القصر وقيدهم
وكان فيهم أبو محجن الثقفى وقيل انما حبسه بسبب الخمر ثم خطب الناس وحثهم على
الجهاد وذكرهم بوعد الله وذلك فى المحرم سنة أربع عشرة وأخبرهم انه استخلف

خالد

خالد بن عرفطة وارسل جماعة من أهل الرأى لتحريض الناس على القتال مثل المغيرة
وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس وغالب وعمرو ومن الشعراء الشماخ والحطيئة
والعبدى بل وعبدة بن الطيب وغيرهم ففعلوا ثم أمر بقراءة الانفال فشهت قلوب
الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها فلما فرغت القراءة قال سعد الزموا
مواقفكم فاذا صليتم الظهر فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية
فكبروا وأتموا عدتكم فاذا سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا الناس فاذا سمعتم الرابعة
فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لاحول ولاقوة الا بالله (فلما كبر الثالثة) برز
أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج امثالهم من الفرس فاعتوروا الطعن والضرب
وارتجزوا الشعر وأول من أسر فى ذلك اليوم هرمز من ملوك الكبار وكان متوجا
أسره غالب بن عبد الله الاسدى فدفعه الى سعد ورجع الى الحرب وطلب البراز أسوار
منهم فبرز اليه عمرو بن معدى كرب فأخذه وجلد به الارض فذبحه وسلب سواريه
ومنطقته ثم حملوا الفيلة على المسلمين واما لوها على بجيلة فثقلت عليهم فارسل سعد الى
بنى اسد أن يدافعوا عنهم فجاء طليحة بن خويلد وحمل بن مالك فردوا الفيلة وخرج
على طليحة عظيم منهم فقتله طليحة وعير الاشعث بن قيس كندة بما يفعله بنو أسد
فاستشاطوا ونهدوا معه فأزالوا الذين بازائهم وحين رأى الفرس مالقى الناس والفيلة
من بنى أسد حملوا عليهم جميعا وفيهم ذو الحاجب والجالنوس وكبر سعد الرابعة فزحف
المسلمون وثبت بنو أسد ودارت رحى الحرب عليهم وحملت الفيول على الميمنة والميسرة
ونفرت خيول المسلمين منها فأرسل سعد الى عاصم بن عمرو هل من حيلة لهذه الفيلة
فبعث الرماة يرشقونها بالنبل واشتد آخرون يقطعون الوضن وخرج عاصم
بجميعهم ورحى الحرب على أسد واشتد عواء الفيلة ووقعت الصناديق فهلك أصحابها
ونفس عن أسد أن أصيب منهم خمسمائة وردوا فارس الى مواقفهم ثم اقتتلوا الى هدء
من الليل وكان هذا اليوم الاول وهو يوم الرماة ولما أصبح دفن القتلى وأسلم الجرحى الى
نساء يقمن عليهم واذا بنواصى الخيل طالعة من الشام كان عمر بعد فتح دمشق عزل خالد
ابن الوليد عن جند العراق وأمر أبا عبيدة أن يؤمر عليهم هاشم بن عتبة يردهم الى
العراق فخرج بهم هاشم وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو فقام القعقاع على الناس
صبيحة ذلك اليوم يوم اغواث وقد عهد الى أصحابه أن يقطعوا اعشارا بين كل عشرين
مد البصر وكانوا ألفا فسلم على الناس وبشرهم بالجنود وعرضهم على القتال وطلب
البراز فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع ونادى بالثار لاصحاب الجسر وتضاربا فقتله
القعقاع وسر الناس بقتله ووهنت الاعاجم لذلك ثم طلب البراز فخرج اليه الفيرزان

والبندوان وأكثر المسلمون القتل في الفرس وأخذوا الفيلة عن القتال لان توابيتها
تكسرت بالامس فاستأنفوا احلها وجعل القعقاع ابلا وجعل عليها البراقع واركبها
عشرة عشرة وأطاف عليها الخيول تحملها وحملها على خيل الفرس فنفرت منها
وركبتهم خيول المسلمين ولقي الفرس من الابل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة وبرز
القعقاع يومئذ في ثلاثين فارسا في ثلاثين حملة فقتلهم كان آخرهم بزرجمهر الهمداني
وبارز الاعور بن قطنة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه (ولما)
انتصف النهار تزاحف الناس فاقتتلوا الى انتصاف الليل وقتلوا عامة اعلام فارس ثم
أصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم بين الصفين ومن المسلمين ألفا جريح وقتيل ومن
المشركين عشرة آلاف فدفن المسلمون موتاهم وأسلموا الجرحى الى النساء ووكلوا
النساء والصبيان بحفر القبور وبقي قتلى المشركين بين الصفين وبات القعقاع يسرب
أصحابه الى حيث فارقهم بالامس وأوصاهم اذا طلعت الشمس أن يقبلوا مائة مائة
يجدد بذلك الناس وجاء بينهما بلحق هاشم بن عتبة فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب
القعقاع فتقدموا والمسلمون يكبرون فتزاحفت الكتائب طعنا وهربا وما جاء آخر
أصحاب القعقاع حتى لحق هاشم فعبى أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن المكشوح
فلما خالط القلب كبر وكبر المسلمون ثم كبر فخرق الصفوف الى العتيق ثم عاد وقد أصبح
الفرس على مواقفهم وأعادوا الصناديق على الفيلة وأحدقوا الرجال بها يحمونها أن
تقطع وضنها وأقام الفرسان يحمون الرجالة فلم تنفر خيل المسلمين منها وكان هذا اليوم
يوم عماس وكان شديدا الا أن الطائفتين فيه سواء وأبلى فيه قيس بن المكشوح وعمرو
ابن معدي كرب ثم زحفت الفيلة وفرقت بين الكتائب وأرسل سعد الى القعقاع وعاصم
أن اكفياني الابيض وكان بازائهما والى حمال والذميل أن اكفياني الاجرب وكان
بازائهما فحملوا على الفيلين فقتل الابيض ومن كان عليه وقطع مشفر الاجرب وفقئت
عينه وضرب سائسه الذميل بالطبرزين فأفلت جريحا وتحير الاجرب بين الطائفتين
وألقى نفسه في العتيق واتبعته الفيلة وخرقت صفوف الاعاجم في اثره وقصدت
المدائن بتوابيتها وهلك جميع من فيها وخلص المسلمون والفرس فاختلفوا على سواء
الى المساء واقتتلوا بقية ليلتهم وتسمى ليلة الهرير فأرسل سعد طليحة وعمرا الى مخاضة
أسفل العسكر يقومون عليها خشية ان يؤتى المسلمون منها فتشاوروا ان يأتوا
الاعاجم من خلفهم فجاء طليحة وراء العسكر وكبر فارتاع أهل فارس فأغار عمرو أسفل
المخاضة ورجع وزاحفهم الناس دون اذن سعد وأول من زاحفهم من الناس دون اذن
سعد زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم ثم حمل بنو أسد ثم النخع ثم بجيلة ثم كندة

وسعد يقول في كل واحدة اللهم اغفر لهم وانصرهم وقد كان قال لهم اذا كبرت
ثلاثا فاحملوا فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا صلاة العشاء واختلطوا
وصليل الحديد كصوت القرن الى الصباح وركدت الحرب وانقطعت الاخبار
والاصوات عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء وسمع نصف الليل صوت القعقاع
في جماعة من الرؤساء الى رستم حتى خالطوا صفه مع الصبح فحمل الناس من كل
جهة على من يليهم واقتتلوا الى قائم الظهيرة فناجز الفيرزان والهرمزان بعض الشئ
وانفرج القلب وهبت ريح عاصف فقلبت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق
وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل وحمله
وضرب هلال بن علقمة الحمل فوقع احد العدلين على رستم فكسر ظهره وضربه
هلال ضربة نفحت مسكا وضرب نحو العتيق فرمى بنفسه فيه فاقتحم هلال وجره
برجله فقتله وصعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الي الي فأطافوا به وكبروا
وقيل ان هلالا لما قصد رستم رماه بسهم فاثبت قدمه بالركاب ثم حمل عليه فقتله واحتز
رأسه ونادى في الناس قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام الجالنوس على الردم
ونادى الفرس الى العبور وتهافت المقترنون بالسلاسل في العتيق وكانوا ثلاثين
فهلكوا وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس العظيمة وهي درفش كابيان فعوض
منها ثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألف ألف ومائة ألف ألف وقتل ذلك اليوم من الاعاجم
عشرة آلاف في المعركة وقتل من المشركين في ذلك اليوم ستة آلاف دفنوا بالخندق
سوى ألفين وخمسمائة قتلوا ليلة الهرير وجمع من الاسلاب والاموال مالم
يجمع قبله ولا بعده مثله ونفل سعد هلال بن علقمة سلب رستم وأمر القعقاع وشرحبيل
باتباع العدو وقد كان خرج زهرة بن حيوة قبلها في آثارهم فلحق الجالنوس يجمع
المنهزمين فقتله وأخذ سلبه فتوقف سعد من عطائه وكتب الى عمر فكتب اليه تعمد
الى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقي عليك من حربك ما بقي تفسد قلبه أمض
له سلبه وفضله على أصحابه في العطاء بخمسمائة ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وأخذه
عبد الرحمن بطائفة من الفرس قد استماتوا فقتلوهم واستمات بعد الهزيمة بضعة
وثلاثون رئيسا من المسلمين فقتلوهم أجمعين وكان ممن هرب من أمراء الفرس
الهرمزان وأهود وزاد بن بيهس وقارن وممن استمات فقتل شهريار بن كنارا وأمر
المدمرون والفردان الاهوازي وحشر شوم الهمداني وكتب سعد الى عمر بالفتح
وبمن أصيب من المسلمين وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح الى انتصاف النهار ثم يرجع
الى أهله فلما ألقى البشير قال من أين فأخبره فقال حدثني فقال هزم الله المشركين ففرح

بذلك وأقام المسلمون بالقادسية ينتظرون كتاب عمر الى أن وصلهم بالاقامة وكانت وقعة القادسية سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة

(فتح المدائن وجلولاء بعدها)

ولما انهزم أهل فارس بالقادسية انتهوا الى بابل وفيهم بقايا الرؤساء النخيرجان ومهران الاهوازى والهرمزان واشباههم واستعملوا عليهم الفيرزان واقام سعد بعد الفتح شهرين وسار بأمر عمر الى المدائن وخلف العيال بالعتيق فى جند كثيف حامية لهم وقدم بين يديه زهرة بن حيوة وشرحبيل بن السمط وعبد الله بن المعتمر ولقيهم بعض عساكر الفرس برستن فهزموهم حتى لحقوا ببابل ثم جاء سعد وسار فى التعبية ونزلوا على الفيرزان ومن معه ببابل فخرجوا وقاتلوا المسلمين فانهزموا وافترقوا فرقتين ولحق الهرمزان بالاهواز والفيرزان بنهاوند وبها كنوز كسرى وسار النخيرجان ومهران الى المدائن فتحصنوا وقطعوا الجسر ثم سار سعد من بابل على التعبية وزهرة فى المقدمة وقدم بين يديه بكير بن عبد الله الليثى وكثير بن شهاب السبيعى حتى عبرا ولحقا بأخريات القوم فقتلا فى طريقهما اسوارين من أساورتهم ثم تقدموا الى كوثى وعليها شهريار فخرج لقتالهم فقتل وانهزم أصحابه فافترقوا فى البلاد وجاء سعد فنفل قاتله سلبه وتقدم زهرة الى ساباط فصالحه أهلها على الجزية وهزم كتيبة كسرى ثم نزلوا جميعا نهرشير من المدائن ولما عاينوا الايوان كبروا وقالوا هذا أبيض كسرى هذا ما وعد الله وكان نزولهم عليها ذا الحجة سنة خمس عشرة فحاصروها ثلاثة أشهر ثم اقتحموها وكانت خيولهم تغير على النواحى وعهد اليهم عمر أن من أجاب من الفلاحين ولم يعن عليهم فذلك أمانه ومن هرب فأدرك فشأنكم به ودخل الدهاقين من غربى دجلة وأهل السواد كلهم فى أمان المسلمين واغتبطوا بملكهم واشتد الحصار على نهرشير ونصبوا عليها المجانيق واستلحموهم فى المواطن وخرج بعض المرازبة يطلب البراز فقاتله زهرة بن حيوة فقتلا معا ويقال ان زهرة قتله شبيب الخارجى ايام الحجاج ولما ضاق بهم الحصار ركب اليهم الناس بعض الايام فلم يروا على الاسوار أحدا الا رجلا يشير اليهم فقال ما بقى بالمدينة أحد وقد صاروا الى المدينة القصوى التى فيها الايوان فدخل سعد والمسلمون وأرادوا العبور اليهم فوجدوهم جمعوا المعابر عندهم فأقام أياما من صفر ودله بعض العلوج على مخاضة فى دجلة فتردد فقال له اقدم فلا تأتى عليك ثلاثة الا ويزدجرد قد ذهب بكل شئ فيها فعزم سعد على العبور وخطب الناس وندبهم الى العبور ورغبهم وندب من يجيز أن لا يحى الفراض حتى يجيز اليه الناس فانتدب عاصم بن عمر فى ستمائة واقتحموا دجلة فلقيهم أمثالهم من الفرس عند

الفراض

الفراض وشدوا عليهم فانهزموا وقتل أكثرهم وعوروا من الطعن فى العيون وعاينهم المسلمون على الفراض فاقتحموا فى اثرهم يصيحون نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وساروا فى دجلة وقد طبقوا ما بين عدوتيها وخيلهم سابحة بهم وهم يتمون تارة ويتحادثون أخرى حتى أجازوا البحر ولم يفقدوا شيئا الا قدحا لبعضهم غلبت صاحبه عليه جرية الماء وألقته الريح الى الشاطئ ورأى الفرس عساكر المسلمين قد أجازوا البحر فخرجوا هاربين الى حلوان وكان يزدجرد قدم اليها قبل ذلك عياله ورفعوا ما قدروا عليه من عرض المتاع وخفيفه ومن بيت المال والنساء والذرارى وتركوا بالمدائن من الثياب والامتعة والآنية والالطاف ما لا تحصر قيمته وكان فى بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف مكررة ثلاث مرات تكون جملتها ثلاثة آلاف قنطار من الدنانير وكان رستم عند مسيره الى القادسية حمل نصفها لنفقات العساكر وابقى النصف واقتحمت العساكر المدينة تجول فى سككها لا يلقون بها أحدا وأرز سائر الناس الى القصر الابيض حتى توثقوا لانفسهم على الجزية ونزل سعد القصر الابيض واتخذ الايوان به مصلى ولم يغير ما فيه من التماثيل ولما دخله قرأ كم تركوا من جنات وعيون الآية وصلى فيه صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن وأتم الصلاة بنية الاقامة وسرح زهرة بن حيوة فى آثار الاعاجم الى النهروان وقراها من كل جهة وجعل على الاخماس عمرو بن عمرو بن مقرن وعلى القسم سلمان بن ربيعة الباهلى وجمع ما كان فى القصر والايوان والدور وما نهبه أهل المدائن عند الهزيمة ووجدوا حلية كسرى ثيابه وخرزاته وتاجه ودرعه التى كان يجلس فيها للمباهاة أخذ ذلك من أيدى الهاربين على بغلين وأخذ منهم أيضا وقر بغل من السيوف وآخر من الدروع والمغافر منسوبة كلها درع هرقل وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وبهرام جور وسياوخش والنعمان بن المنذر وسيف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان أحضرها القعقاع وخيره فى الاسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام وبعث الى عمر سيف كسرى والنعمان وتاج كسرى وحليته وثيابه ليراها الناس وقسم سعد الفئ بين المسلمين بعد ما خمسه وكانوا ستين ألفا فصار للفارس اثنا عشر ألفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ونفل من الاخماس فى أهل البلاد وقسم فى المنازل بين الناس واستدعى العيالات من العتيق فانزلهم الدور ولم يزالوا بالمدائن حتى تم فتح جلولاء وحلوان وتكريت والموصل واختطت الكوفة فتحولوا اليها وارسل فى الخمس كل شئ يعجب العرب منهم أن يضع اليهم وحضر اليهم نهار كسرى وهو الغطف وهو بساط طوله

ستون ذراعا فى مثلها مقدار مزرعة جريب فى أرضه وهى منسوجة بالذهب طرقا كالانهار وتماثيل خلالها بصدف الدر والياقوت وفى حافاتها كالارض المزدرعة والمقبلة بالنبات ورقها من الحرير على قضبان الذهب وزهره حبات الذهب والفضة وغيره الجوهر كانت الاكاسرة يبسطونه فى الايوان فى فصل الشتاء عند فقدان الرياحين يشربون عليه فلما قدمت الاخماس على عمر قسمها فى الناس ثم قال أشيروا فى هذا القصب فاختلفوا وأشاروا على نفسه فقطعه بينهم فأصاب على قطعة منه باعها بعشرين ألفا ولم تكن بأجودها وولى عمر سعد بن أبى وقاص على الصلاة والحرب فيما غلب عليه وولى حذيفة بن اليمان على سقى الفرات وعثمان بن حنيف على سقى دجلة ولما انتهى الفرس بالهرب الى جلولاء وافترقت الطرق من هنالك بأهل آذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس وقفوا هنالك خشية الافتراق واجتمعوا على مهران الرازى وخندقوا على أنفسهم وأحاطوا الخندق بحسره الحديد وتقدم يزدجرد الى حلوان وبلغ ذلك سعدا فكاتب عمر بذلك يأمره ان يسرح بجلولاء هاشم ابن أخيه عتبة فى اثنى عشر ألفا وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو وان يولى القعقاع بعد الفتح ما بين السواد والجبل فسار هاشم من المدائن لذلك فى وجوه المسلمين واعلام العرب حتى قدم جلولاء فأحاط بهم وحاصرهم فى خنادقهم وزاحفوهم ثمانين يوما ينصرون عليهم فى كلها والمدد متصل من ههنا وههنا ثم قاتلهم آخر الايام فقتلوا منهم أكثر من ليلة الهرير وأرسل الله عليهم ريحا وظلمة فسقط فرسانهم فى الخندق وجعلوه طرقا مما يليهم فقسد حصنه وشعر المسلمون بذلك فجاء القعقاع الى الخندق فوقف على بابه وشاع فى الناس انه أخذ فى الخندق فحمل الناس حملة واحدة انهزم المشركون لها وافترقوا ومروا بالحسرة التى تحصنوا بها فعقرت دوابهم فترجلوا ولم يفلت منهم الا القليل يقال انه قتل منهم يومئذ مائة ألف واتبعهم القعقاع بالطلب الى خانقين وأجفل يزدجرد من حلوان الى الرى واستخلف عليها حشرشوم وجاء القعقاع الى حلوان فبرز اليه حشرشوم وعلى مقدمته الرمى فقتله القعقاع وهرب حشرشوم من ورائه وملك القعقاع حلوان وكتب الى عمر بالفتح واستأذنوا فى اتباعهم فأبى وقال وددت أن بين السواد والجبل سدا احصننا من ريف السواد فقد آثرت سلامة المسلمين على الانفال واحصيت الغنيمة فكانت ثلاثين ألف ألف فقسمها سلمان بن ربيعة يقال انه أصاب الفارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وبعثوا بالاخماس الى عمر مع زياد ابن ابيه فلما قدم الخمس قال عمر والله لا يجنه سقف حتى أقسمه فجعله فى المسجد وبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن ارقم يحرسانه ولما أصبح جاء فى الناس ونظر الى ياقوته وجوهره فبكى فقال عبد الرحمن بن عوف

مايبكيك يا أمير المؤمنين وهذا موطن شكر قال والله ما أعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا فيلقى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد ما بين حلوان والقادسية فاقره حبسا واشترى جرير بعضه بشاطئ الفرات فرد عمر الشراء (ولما) رجع هاشم من جلولاء الى المدائن بلغهم ان آذين بن الهرامون جمع جمعا وجاء بهم الى السهل فبعث اليه ضرار بن الخطاب فى جيش فلقيهم بماسبذان فهزمهم وأسر آذين فقتله وانتهى فى طلبهم الى النهروان وفتح ماسبذان عنوة ورد اليها أهلها ونزل بها فكانت أحد فروج الكوفة وقيل كان فتحها بعد نهاوند والله سبحانه أعلم

(ولاية عتبة بن غزوان على البصرة)

كان عمر عندما بعث المثنى الى الحيرة بعث قطبة بن قتادة السدوسى الى البصرة فكان يغير بتلك الناحية ثم استمد عمر فبعث اليه شريح بن عامر بن سعد بن بكر فأقبل الى البصرة ومضى الى الاهواز ولقيه مسلحة الاعاجم فقتلوه فبعث عمر عتبة بن غزوان واليا على تلك الناحية وكتب الى العلاء بن الحضرمى ان يمده بعرفجة بن هرثمة وأمره ان يقيم بالتخوم بين أرض العرب وأرض العجم فانتهى الى حيال الجسر وبلغ صاحب الفرات خبرهم فأقبل فى أربعة آلاف وعتبة فى خمسمائة والتقوا فقتلوا الاعاجم أجمعين وأسروا صاحب الفرات ثم نزل البصرة فى ربيع سنة أربع عشرة وقيل ان البصرة بصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت أرسل سعد اليها عتبة فأقام بها شهرا وخرج اليه أهل الابلة وكانت مرفأ للسفن من الصين فهزمهم عتبة وأجحرهم فى المدينة ورجع الى عسكره ورعب الفرس فخرجوا عن الابلة وحملوا ما خف وأدخلوا المدينة وعبروا النهر ودخلها المسلمون فغنموا ما فيها واقتسموه ثم اختط البصرة وبدأ بالمسجد فبناه بالقصب وجمع لهم أهل دست ميسان فلقيهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيرا وأخذ قتادة منطقته فبعث بها الى عمر وسأل عنهم فقيل له انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة فرغب الناس فى البصرة وأتوها ثم سار عتبة الى عمر بعد ان بعث مجاشع بن مسعود فى جيش الى الفرات واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة الى قدوم مجاشع وجاء الفيكان من عظماء الفرس الى المسلمين ولقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب وبينما هم فى القتال اذ لحق بهم النساء وقد اتخذن خمرهن رايات فانهزم الاعاجم وكتبوا بالفتح الى عمر فرد عتبة الى عمله فمات فى طريقه وقيل ان امارة عتبة كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة فوليها ستة أشهر واستعمل عمر بعده المغيرة بن شعبة سنتين فلما رمى بما رمى به عزله واستعمل أبا موسى وقيل استعمل بعد عتبة أبا سبرة وبعده المغيرة

(وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام بعدها)

لما انهزم الروم بفحل سار أبو عبيدة وخالد الى حمص واجتمعوا بذى الكلاع فى طريقهم
وبعث هرقل توذر البطريق للقائهم فنزلوا جميعا بمرج الروم وكان توذر بازاء خالد
وشمس بطريق آخر بازاء أبى عبيدة وأمسوا متباريين ثم أصبح فلم يجدوا توذر وسار
الى دمشق واتبعه خالد واستقبله يزيد من دمشق فقاتله وجاء خالد من خلفه فلم يفلت
منهم الا القليل وغنموا ما معهم وقاتل شمس أبو عبيدة بعد مسير خالد فانهزم الروم وقتلوا
واتبعهم أبو عبيدة الى حمص ومعه خالد فبلغ ذلك هرقل فبعث بطريق حمص اليها وسار
هو فى الرهاء فحاصر ابو عبيدة حمص حتى طلبوا الامان فصالحهم وكان هرقل يعدهم
فى حصارهم المدد وأمر أهل الجزيرة بامدادهم فساروا لذلك وبعث سعد بن أبى
وقاص العساكر من العراق فحاصروا هيت وقرقيسيا فرجع أهل الجزيرة الى
بلادهم ويئس أهل حمص من المدد فصالحوا على صلح أهل دمشق وأنزل ابو عبيدة
فيها السمط بن الاسود فى بنى معاوية من كندة والاشعث بن ميناس فى السكون والمقداد
فى بلى وغيرهم وولى عليهم أبو عبيدة عبادة بن الصامت وصار الى حماة فصالحوه على
الجزية عن رؤسهم والخراج عن أرضهم ثم سار نحو شيزر فصالحوا كذلك ثم الى المعرة
كذلك ويقال معرة النعمان وهو النعمان بن بشير الانصارى ثم سار الى اللاذقية
ففتحها عنوة ثم سلمية أيضا ثم أرسل ابو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فاعترضه
ميناس عظيم الروم بعد هرقل فهزمهم خالد وأثخن فيهم ونازل قنسرين حتى افتتحها
عنوة وخربها وأدرب الى هرقل من ناحيته وأدرب عياض بن غنم لذلك وأدرب عمر بن
مالك من الكوفة الى قرقيسيا وأدرب عبد الله بن المعتمر من الموصل فارتحل هرقل الى
القسطنطينية من آمد وأخذ أهل الحصون بين الاسكندرية وطرسوس وشعثها أن
ينتفع المسلمون بعمارتها ولما بلغ عمر صنيع خالد قال امر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر
هو كان أعلم منى بالرجال وقد كان عزل خالدا والمثنى بن حارثة خشية أن يداخلهما كبر
من تعظيم فوكلوا اليه ثم رجع عن رأيه فى المثنى عند قيامه بعد أبى عبيد وفى خالد بعد
قنسرين فرجع خالد الى امارته (ولما) فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار الى حلب
وبلغه ان أهل قنسرين غدروا فبعث اليهم السمط الكندى فحاصرهم وفتح وغنم
ووصل أبو عبيدة الى خناصر حلب وهو موضع قريب منها يجمع اصنافا من العرب
فصالحوا على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك ثم أتى حلب وكان على مقدمته عياض بن غنم
الفهرى فحاصرهم حتى صالحوه على الامان وأجاز ذلك أبو عبيدة وقيل صولحوا على
مقاسمة الدور والكنائس وقيل انتقلوا الى انطاكية حتى صالحوا ورجعوا الى حلب

ثم سار أبو عبيدة من حلب الى انطاكية وبها جمع كبير من فل قنسرين وغيرهم ولقوه
قريبا منها فهزمهم وأحجرهم وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء أو الجزية ورحل عنهم ثم
نقضوا فبعث أبو عبيدة اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاول
وكانت عظيمة الذكر فكتب عمر الى أبى عبيدة ان يرتب فيها حامية مرابطة ولا يؤخر
عنهم العطاء ثم بلغ أبا عبيدة ان جمعا بالروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فهزمهم
وقتل بطارقتهم وامعن بل وأثخن فيهم وفتح معرة مصرين على صلح حلب وجالت خيوله
فبلغت سرمين وتيرى وغلبوا على جميع أرض قنسرين وانطاكية ثم فتح حلب ثانية
وسار يريد قورس وعلى مقدمته عياض فصالحوه على صلح انطاكية وبث خيله ففتح
تل نزار وما يليه ثم فتح منبج على يد سلمان بن ربيعة الباهلى ثم بعث عياضا الى دلوك
وعينتاب فصالحهم على مثل منبج واشترط عليهم ان يكونوا عونا للمسلمين وولى أبو عبيدة
على كل ما فتح من الكور عاملا وضم اليه جماعة وشحن الثغور المخوفة بالحامية
واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد أبو عبيدة الى فلسطين
وبعث أبو عبيدة جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسى فسلكوا درب تفليس الى بلاد
الروم فلقى جمعا للروم ومعهم عرب من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقع
بهم وأثخن فيهم ولحق به على انطاكية مالك بن الاشتر النخعى مددا فرجعوا جميعا الى
أبى عبيدة وبعث أبو عبيدة جيشا آخر الى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على اجلاء
أهلها بالامان وخربها وبعث جيشا آخر مع حبيب بن مسلمة الى حصن الحرث كذلك
وفى خلال ذلك فتحت قيسارية بعث اليها يزيد بن أبى سفيان أخاه معاوية بأمر عمر فسار
اليها وحاصرهم بعد أن هزمهم وبلغت قتلاهم فى الهزائم ثمانين ألفا وفتحها آخرا
وكان علقمة بن مجزز على غزة وفيها القيفار من بطارقة الروم (٣)

(٣) مجزز بجيم مفتوحة وزايين الاولى مشددة مكسورة كما فى الكامل اه

(وقعة أجنادين وفتح بيسان والاردن وبيت المقدس)

لما انصرف أبو عبيدة وخالد الى حمص بعد واقعة مرج الروم نزل عمرو وشرحبيل على
أهل بيسان فافتتحها وصالح أهل الاردن واجتمع عسكر الروم باجنادين وغزة وبيسان
وعليهم أرطبون من بطارقة الروم فسار عمرو وشرحبيل اليهم واستخلف على الاردن
أبا الاعور السلمى وكان الارطبون قد أنزل بالرملة جندا عظيما من الروم وبيت المقدس
كذلك وبعث عمرو علقمة بن حكيم الفراسى ومسرور بن العكى لقتال بيت المقدس
وبعث أبا أيوب المالكى الى قتال أهل الرملة وكان معاوية محاصرا لاهل قيسارية
فشغل جميعهم عنه ثم زحف عمرو الى الارطبون واقتتلوا كيوم اليرموك أو أشد وانهزم
ارطبون الى بيت المقدس وأفرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها حتى دخل

ورجعوا الى عمرو وقد نزل أجنادين وقد تقدم لنا ذكر هذه الوقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها وهذا على قول من جعلها بعدها ولما دخل ارطبون بيت المقدس فتح عمرو غزة وقيل كان فتحها فى خلافة أبى بكر ثم فتح سبسطية وفيها قبر يحيى بن زكريا وفتح نابلس على الجزية ثم فتح مدينة لد ثم عمواس وبيت حبرين ويافا ورفح وسائر مدائن الاردن وبعث الى الارطبون فطلب أن يصالح كأهل الشام ويتولى العقد عمر وكتبوا اليه بذلك فسار عن المدينة واستخلف على بن أبى طالب بعد أن عذله فى مسيره فأبى وقد كان واعد أمراء الاجناد هنالك فلقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل ورماهم بالحجارة وقال أتستقبلونى فى هذا الزى وانما شبعتم منذ سنتين والله لو كان على رأس المائتين لاستبدلت بكم فقالوا انها يلامقة وان علينا السلاح فسكت ودخل الجابية وجاءه أهل بيت المقدس وقد هرب ارطبون عنهم الى مصر فصالحوه على الجزية وفتحوها له وكذلك أهل الرملة وولى علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة وعلقمة بن مجزز على النصف الآخر وأسكنه بيت المقدس وضم عمرا وشرحبيل اليه فلقياه بالجابية وركب عمر الى بيت المقدس فدخلها وكشف عن الصخرة وأمر ببناء المسجد عليها وذلك سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة ولحق ارطبون بمصر مع من أبى الصلح من الروم حتى هلك فى فتح مصر وقيل انما لحق بالروم وهلك فى بعض الصوائف ثم فرق عمر العطاء ودون الدواوين سنة خمس عشرة ورتب ذلك على السابقة (ولما) أعطى صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو أقل من غيرهم قالوا لا والله لا يكون أحد أكرم منا فقال انما أعطيت على سابقة الاسلام لا على الاحساب قالوا فنعم اذا وخرجوا الى الشام فلم يزالوا مجاهدين حتى أصيبوا (ولما وضع عمر الدواوين) قال له على وعبد الرحمن ابدأ بنفسك قال لا بل بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب ورتب ذلك على مراتب ففرض خمسة آلاف ثم أربعة ثم ثلاثة ثم ألفين وخمسمائة ثم ألفين ثم ألفا واحدا ثم خمسمائة ثم ثلثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين وأعطى نساء النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف لكل واحدة وفضل عائشة بألفين وجعل النساء على مراتب فلاهل بدر خمسمائة ثم أربعمائة ثم ثلثمائة ثم مائتين والصبيان مائة مائة والمساكين جريبين فى الشهر ولم يترك فى بيت المال شيئا وسئل فى ذلك فأبى وقال هى فتنة لمن بعدى وسأل الصحابة فى قوته من بيت المال فأذنوا له وسألوه فى الزيادة على لسان حفصة ابنته متكتمين عنه فغضب وامتنع وسألها عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيشه وملبسه وفراشه فأخبرته بالكفاف من ذلك فقال والله لأضعن الفضول مواضعها

سبسطية بوزن أجدبية اه قاموس
وعمواس بفتحات اه مصباح

ولاتبلغن

ولاتبلغن بالترجية وانما مثلى ومثل صاحبى كثلاثة سلكوا طريقا وتزود الاول فبلغ المنزل واتبعه الآخر مقتديا به كذلك ثم جاء الثالث بعدهما فان اقتفى طريقهما وزادهما لحق بهما والا لم يبلغهما (وفتحت) فى جمادى من هذه السنة تكريت لان أهل الجزيرة كانوا قد اجتمعوا الى المرزبان الذى كان بها وهم من الروم وإياد وتغلب والنمر ومعهم المشهارجة ليحموا أرض الجزيرة من ورائهم فسرح اليهم سعد بن أبى وقاص بأمر عمر كاتبه عبد الله بن المعتمر وعلى مقدمته ربعى بن الافكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فحاصروهم أربعين يوما وداخلوا العرب الذين معهم فكانوا يطلعونهم على أحوال الروم ثم يئس الروم من أمرهم واعتزموا على ركوب السفن فى دجلة للنجاة فبعث العرب بذلك الى المسلمين وسألوهم الامان فاجابوهم على ان يسلموا فأسلموا وواعدوهم الثبات والتكبير وان يأخذوا على الروم أبواب البحر مما يلى دجلة ففعلوا ولما سمع الروم التكبير من جهة البحر ظنوا ان المسلمين استداروا من هنالك فخرجوا الى الناحية التى فيها المسلمون فأخذتهم السيوف من الجهتين ولم يفلت الامن أسلم من قبائل ربيعة من تغلب والنمر وإياد وقسمت الغنائم فكان للفارس ثلاثة آلاف درهم وللراجل ألف ويقال ان عبد الله بن المعتمر بعث ربعى بن الافكل بعهد عمر الى الموصل ونينوى وهما حصنان على دجلة من شرقيها وغربيها فسار فى تغلب وإياد والنمر وسبقوه الى الحصنين فأجابوا الى الصلح وساروا ذمة وقيل بل الذى فتح الموصل عتبة بن فرقد سنة عشرين وانه ملك نينوى وهو الشرقى عنوة وصالحوا أهل الموصل وهو الغربى على الجزية وفتح معها جبل الاكراد وجميع أعمال الموصل وقيل انما بعث عتبة بن فرقد عياض بن غنم عندما فتح الجزيرة على ما نذكره والله أعلم

(مسير هرقل الى حمص وفتح الجزيرة وارمينية)

كان أهل الجزيرة قد راسلوا هرقل وأغروه بالشام وان يبعث الجنود الى حمص وواعدوه المدد وبعثوا الجنود الى أهل هيت مما يلى العراق فأرسل سعد عمر بن مالك ابن جبير بن مطعم فى جند وعلى مقدمته الحرث بن يزيد العامرى فسار الى هيت وحاصرهم فلما رأى اعتصامهم بخندقهم حجر عليهم الحرث بن يزيد وخرج فى نصف العسكر وجاء قرقيسيا على غرة فأجابوه الى الجزية وكتب الى الحرث أن يخندق على عسكر الجزيرة فبيت حتى سألوا المسالمة والعود الى بلادهم فتركهم ولحق بعمر بن مالك ولما اعتزم هرقل على قصد حمص وبلغ الخبر أبا عبيدة ضم اليه مسالحه وعسكر بفنائها وأقبل اليه خالد من قنسرين وكتبوا الى عمر بخبر هرقل فكتب الى سعد أن يذهب بل أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسرحهم من يومهم فان أبا عبيدة

قد أحيط به وان يسرح سهيل بن عدى الى الرقة فان أهل الجزيرة هم الذين استدعوا
الروم الى حمص وان يسرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين ثم يقصد حران والرها وأن
يسرح الوليد بن عقبة الى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وان يكون عياض بن غنم
على أمراء الجزيرة هؤلاء ان كانت حرب ففضى القعقاع من يومه فى أربعة آلاف الى
حمص وسار عياض بن غنم وأمراء الجزيرة كل أمير الى كورته وخرج عمر من
المدينة فأتى الجابية يريد حمص مغيثا لابى عبيدة ولما سمع أهل الجزيرة خبر الجنود
فارقوا هرقل ورجعوا الى بلادهم وزحف أبو عبيدة الى الروم فانهزموا وقدم القعقاع
من العراق بعد الوقعة بثلاث وكتبوا الى عمر بالفتح فكتب اليهم ان أشركوا أهل
العرب فى الغنيمة وسار عياض بن غنم الى الجزيرة وبعث سهيل بن عدى الى الرقة عند
ما انقبضوا عن هرقل فنهضوا معه الا إياد بن نزار فانهم دخلوا أرض الروم ثم بعث
عياض بن سهيل وعبد الله يضمهما اليه وسار بالناس الى حران فأجابوه الى الجزية
ثم سرح سهيلا وعبد الله الى الرها فأجابوا الى الجزية وكمل فتح الجزيرة وكتب أبو
عبيدة الى عمر لما رجع من الجابية وانصرف معه خالد أن يضم اليه عياض بن غنم
مكانه ففعل وولى حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على
عربها (ولما) بلغ عمر دخول إياد الى بلاد الروم كتب الى هرقل بلغنى ان حيا من أحياء
العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتخرجنهم أو لنخرجن النصارى اليك فأخرجهم
هرقل وتفرق منهم أربعة آلاف فيما يلى الشام والجزيرة وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل
منهم الا الاسلام فكتب اليه عمر انما ذلك فى جزيرة العرب الى تل التى فيها مكة والمدينة
واليمن فدعهم على ان لا ينصروا وليدا ولا يمنعوا أحدا منهم من الاسلام ثم وفدوا
الى عمر فى أن يضع عنهم اسم الجزية فجعلها الصدقة مضاعفة ثم عزل الوليد عنهم
لسطوته وعزتهم وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمرو الجملى وقال ابن اسحق ان فتح
الجزيرة كان سنة تسع عشرة وان سعدا بعث اليها الجند مع عياض بن غنم وفيهم ابنه
عمر ومع عياض بن غنم ففتح عمر مع عياض الرها وصالحت حران وافتتح أبو موسى
نصيبين وبعث عثمان بن ابى العاصى الى ارمينية فصالحوه على الجزية ثم كان
فتح قيسارية من فلسطين فتكون الجزيرة على هذا من فتوح أهل العراق والاكثر
انها من فتوح أهل الشام وان أبا عبيدة سير عياض بن غنم اليها وقيل بل استخلفه
لما توفى فولاه عمر على حمص وقنسرين والجزيرة فسار اليها سنة ثمان عشرة فى خمسة
آلاف فانتهت طائفة الى الرقة فحاصروها حتى صالحوه على الجزية والخراج على
الفلاحين ثم سار الى حران فجهز عليها صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة وسار هو

الى

الى الرها فحاصرها حتى صالحوه ثم رجع الى حران وصالحهم كذلك ثم فتح سميساط
وسروج ورأس كيفا فصالحوه على منبج كذلك ثم آمد ثم ميافارقين ثم كفرتوثا
ثم نصيبين ثم ماردين ثم الموصل وفتح احد حصنيها ثم سار الى ارزن الروم ففتحها ودخل
الدرب الى بدليس ثم خلاط فصالحوه وانتهى الى اطراف ارمينية ثم عاد الى الرقة
ومضى الى حمص فمات واستعمل عمر عمير بن سعد الانصارى ففتح رأس عين وقيل ان
عياضا هو الذى ارسله وقيل ان أبا موسى الاشعرى هو الذى افتتح رأس عين بعد
وفاة عياض بولاية عمر وقيل ان خالدا حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل الحمام
بآمد فاطلى بشئ فيه خمر وقيل لم يسر خالد تحت لواء أحد بعد أبى عبيدة (ولما) فتح عياض
سميساط بعث حبيب بن مسلمة الى ملطية ففتحها عنوة أيضا ورتب فيها الجند وولى عليها
ولما أدرب عياض بن غنم من الجابية فرجع عمر الى المدينة سنة سبع عشرة وعلى
حمص أبو عبيدة وعلى قنسرين خالد بن الوليد من تحته وعلى دمشق يزيد وعلى الاردن
معاوية وعلى فلسطين علقمة بن مجزز وعلى السواحل عبد الله بن قيس وشاع فى الناس
ما أصاب خالد مع عياض بن غنم من الاموال فانتجعه رجال منهم الاشعث بن قيس
وأجازه بعشرة آلاف وبلغ ذلك عمر مع ما بلغه فى آمد من تدلكه بالخمر فكتب الى
أبى عبيدة أن يقيمه فى المجلس وينزع عنه قلنسوته ويعقله بعمامته ويسأله من أين أجاز
الاشعث فان كان من ماله فقد أسرف فاعزله واضمم اليك عمله فاستدعاه أبو عبيدة
وجمع الناس وجلس على المنبر وسأل البريد خالدا فلم يجبه فقام بلال وأنفذ فيه أمر عمر
وسأله فقال من مالى فاطلقه وأعاد قلنسوته وعمامته ثم استدعاه عمر فقال من أين
هذا الثراء قال من الانفال والسهمان وما زاد على ستين ألفا فهو لك فجمع ماله فزاد
عشرين فجعلها فى بيت المال ثم استصلحه وفى سنة سبع عشرة هذه اعتمر عمر ووسع فى
المسجد وأقام بمكة عشرين ليلة وهدم على من أبى البيع دورهم لذلك وكانت العمارة
فى رجب وتولاها مخرمة بن نوفل والازهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العزى
وسعيد بن يربوع واستأذنه أهل المياه أن يبنوا المنازل بين مكة والمدينة فأذن لهم على
شرط ان ابن السبيل أحق بالظل والماء

(غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة وولاية أبى موسى)

كان العلاء بن الحضرمى على البحرين أيام أبى بكر ثم عزله عمر بقدامة بن مظعون ثم أعاده
وكان العلاء يناوى سعد بن أبى وقاص ووقع له فى قتال أهل الردة ما وقع فلما ظفر سعد
بالقادسية كانت أعظم من فعل العلاء فأراد أن يؤثر فى الفرس شيئا فندب الناس الى
فارس وأجابوه وفرقهم اجنادا بين الجارود بن المعلى والسوار بن همام وخليد بن

المنذر وأمره على جميعهم وحمله فى البحر الى فارس بغير اذن من عمر لانه كان ينهى عن ذلك وأبو بكر قبله خوف الغرق فخرجت الجنود الى اصطخر وبازائهم الهربذ فى أهل فارس وحالوا بينهم وبين سفنهم فخاطبهم خليد وقال انما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض لمن غلب ثم ناهدوهم واقتتلوا بطاوس وقتل الجارود والسوار وأمر خالد أصحابه أن يقاتلوا رجالة وقتل من الفرس مقتلة عظيمة ثم خرج المسلمون نحو البصرة وأخذ الفرس عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا وبلغ ذلك عمر فأرسل الى عتبة بالبصرة يأمره بانفاذ جيش كثيف الى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا وأمر العلاء بالانصراف عن البحرين الى سعد بن معه فأرسل عتبة الجنود اثنى عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والاحنف بن قيس وامثالهم وعليهم أبو سبرة بن أبى رهم من عامر بن لؤى فساحل بالناس حتى لقوا خليدا والعسكر وقد تداعى اليهم بعد وقعة طاوس أهل فارس من كل ناحية فاقتتلوا وانهزم المشركون وقتلوا ثم انكفؤا بما أصابوا من الغنائم واستحثهم عتبة بالرجوع فرجعوا الى البصرة ثم استأذن عتبة فى الحج فأذن له عمر فحج ثم استعفاه فأبى وعزم عليه ليرجعن الى عمله فانصرف ومات ببطن نخلة على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد واستخلف على عمله أبا سبرة بن أبى رهم فأقره عمر بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها وكان بينه وبين أبى بكرة منافرة وكانا متجاورين فى مشربتين ينفذ البصر من احداهما الى الاخرى من كوتين فزعموا ان أبا بكرة وزياد ابن أبيه وهو أخوه لامه وآخرين معهما عاينوا المغيرة على حالة قذفوه بها وادعوا الشهادة ومنعه أبو بكرة من الصلاة وبعثوا الى عمر فبعث أبا موسى أميرا فى تسعة وعشرين من الصحابة فيهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ومعهم كتاب عمر الى المغيرة أما بعد فقد بلغنى عنك نبأ عظيم وبعثت أبا موسى أميرا فسلم اليه ما فى يدك والعجل ولما استحضرهم عمر اختلفوا فى الشهادة ولم يستكملها زياد فجلد الثلاثة ثم عزل أبا موسى عن البصرة بعمر بن سراقة ثم صرفه الى الكوفة ورد أبا موسى فأقام عليه

(بناء البصرة والكوفة)

وفى هذه السنة وهى اربع عشرة بلغ عمر أن العرب تغيرت ألوانهم ورأى ذلك فى وجوه وفودهم فسألهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا وقيل ان حذيفة وكان مع سعد كتب بذلك الى عمر فسأل عمر سعدا فقال غيرتهم وخومة البلاد والعرب لا يوافقها من البلاد الا ما وافق ابلها فكتب اليه أن يبعث سلمان وحذيفة شرقية فلم يرضيا الا بقعة الكوفة فصليا فيها ودعيا أن تكون منزل ثبات ورجع الى سعد فكتب الى القعقاع

وعبد

وعبد الله بن المعتمر أن يستخلفا على جندهما ويحضرا وارتحل من المدائن فنزل الكوفة فى المحرم سنة سبع عشرة لسنتين وشهرين من وقعة القادسية ولثلاث سنين وثمانية أشهر من ولاية عمر وكتب الى عمر انى قد نزلت الكوفة بين الحيرة والفرات بريا بحريا بين الجلاء والنصر وخيرت الناس بينهما وبين المدائن ومن أعجبته تلك جعلته فيها مسلحة فلما استقروا بالكوفة ثاب اليهم ما فقدوه من حالهم ونزل أهل البصرة أيضا منازلهم فى وقت واحد مع أهل الكوفة بعد ثلاث مرات نزلوها من قبل واستأذنوا جميعا فى بنيان القصب فكتب عمر ان العسكرة أشد لحربكم وأذكر لكم وما أحب أن أخالفكم فابتنوا بالقصب ثم وقع الحريق فى القصرين فاستأذنوا فى البناء باللبن فقال افعلوا ولا يزيد أحد على ثلاثة بيوت ولا تطاولوا فى البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك وعلى تنزيل البصرة أبو الجرب عاصم ابن الدلف وكانت ثغور الكوفة أربعة حلوان وعليها القعقاع وماسبذان وعليها ضرار بن الخطاب وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك والموصل وعليها عبد الله بن المعتمر ويكون بها خلفاؤهم اذا غابوا

(فتح الاهواز والسوس بعدها)

لما انهزم الهرمزان يوم القادسية قصد خوزستان وهى قاعدة الاهواز فملكها وملك سائر الاهواز وكان أصله منهم من البيوتات السبعة فى فارس وأقام يغير على أهل ميسان ودستميسان من ثغور البصرة يأتى اليها من مناذر ونهر تيرى من ثغور الاهواز واستمد عتبة بن غزوان سعدا فأمده بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود فنزلا بين ثغور البصرة وثغور الاهواز وبعث عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة من بنى العدوية بن حنظلة فنزلا على ثغور البصرة بميسان ودعوا بنى العم بن مالك وكانوا ينزلون خراسان فأهل البلاد يأمنونهم فاستجابوا وجاء منهم غالب الوائلى وكليب بن وائل الكلبى فلقيا سلمى وحرملة وواعداهما الثورة بمناذر ونهر تيرى ونهض سلمى وحرملة يوم الموعد فى التعبية وأنهضا نعيما والتقوا هم والهرمزان وسلمى على أهل البصرة ونعيم على أهل الكوفة وأقبل اليهما المدد من قبل غالب وكليب وقد ملك مناذر ونهر تيرى فانهزم الهرمزان وقتل المسلمون من أهل فارس مقتلة وانتهوا فى اتباعهم الى شاطئ دجيل وملكوا ما دونها وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز وصار دجيل بينه وبين المسلمين ثم طلب الهرمزان الصلح فصالحوه على الاهواز كلها ما خلا نهر تيرى ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد وبقيت المسالح على نهر تيرى ومناذر وفيهما غالب وكليب ثم وقع بينهما وبين الهرمزان اختلاف فى التخم ووافقهما سلمى

وحرملة فنقض الهرمزان ومنع ماقبله وكثف جنوده بالاكراد وبعث عتبة بن غزوان حرقوص بن زهير السعدى لقتاله فانهزم وسار الى رام هرمز وفتح حرقوص سوق الاهواز ونزل بها واتسقت له البلاد الى تستر ووضع الجزية وكتب بالفتح وبعث فى اثر الهرمزان جزء بن معاوية فانتهى الى قرية الشغر ثم الى دورق فملكها وأقام بالبلاد وعمرها وطلب الهرمزان الصلح على مابقى من البلاد ونزل حرقوص جبل الاهواز وكان يزدجرد فى خلال ذلك يمد ويحرض أهل فارس حتى اجتمعوا وتعاهدوا مع أهل الاهواز على النصرة وبلغت الاخبار حرقوصا وجزءا وسلمى وحرملة فكتبوا الى عمر فكتب الى سعد أن يبعث جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن ينزلون منازل الهرمزان وكتب الى أبى موسى أن يبعث كذلك جندا كثيفا مع سعد بن عدى أخى سهيل ويكون فيهم البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى الجندين أبو سبرة بن أبى رهم فخرج النعمان بن مقرن فى أهل الكوفة فخلف حرقوصا وسلمى وحرملة الى الهرمزان وهو برام هرمز فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره الشده ولقيه فانهزم ولحق بتستر وجاء النعمان الى رام هرمز فنزلها وجاء أهل البصرة من بعده فلحقهم خبر الواقعة بسوق الاهواز فساروا حتى أتوا تستر ولحقهم النعمان فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وأمدهم عمر بأبى موسى جعله على أهل البصرة فحاصروهم أشهرا وأكثروا فيهم القتل وزاحفهم المشركون ثمانين زحفا ثم انهزموا فى آخرها واقتحم المسلمون خنادقهم وأحاطوا بها وضاق عليهم الحصار فاستأمن بعضهم من داخل البلد بمكتوب فى سهم على أن يدلهم على مدخل يدخلون منه فانتدب لهم طائفة ودخلوا المدينة من مدخل الماء وملكوها وقتلوا المقاتلة وتحصن الهرمزان بالقلعة فأطافوا بها واستنزلوه على حكم عمر وأوثقوه واقتسموا الفىء فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألف وقتل من المسلمين فى تلك الليلة البراء بن مالك ومجزأة بن ثور قتلهما الهرمزان ثم خرج أبو سبرة فى اثر المنهزمين ومعه النعمان وأبو موسى فنزلوا على السوس وسار زر بن عبد الله الفقيمى الى جنديسابور فنزل عليها وكتب عمر الى أبى موسى الاشعرى بالرجوع الى البصرة وأمر مكانه الاسود بن ربيعة بن مالك صحابى يسمى المقترب وأرسل أبو سبرة بالهرمزان الى عمر فى وفد منهم أنس بن مالك والاحنف بن قيس فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج المذهب وتاجه مرصعا بالياقوت وحليته ليراه المسلمون فلما رآه عمر أمر بنزع ماعليه وقال ياهرمزان كيف رأيت أمر الله وعاقبة الغدر فقال يا عمر إنا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما صار الآن معكم غلبتمونا قال فما حجتك وما عذرك

فى الانتقاض مرة بعد أخرى قال أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك قال لا تخف ذلك ثم استسقى فأتى بالماء فقال أخاف أن أقتل وأنا أشرب فقال لا بأس عليك حتى تشربه فألقاه من يده وقال لا حاجة لى فى الماء وقد أمنتنى قال كذبت قال أنس صدق ياأمير المؤمنين فقد قلت له لا بأس عليك حتى تخبرنى وحتى تشربه وصدق الناس فأقبل عمر على الهرمزان وقال خدعتنى لا والله الا أن تسلم فاسلم ففرض له فى ألفين وأنزله المدينة واستأذنه الاحنف بن قيس فى الانسياح فى بلاد فارس وقال لا يزالون فى الانتقاض حتى يهلك ملكهم فأذن له (ولما) لحق أبو سبرة بالسوس ونزل عليها وبها شهريار أخو الهرمزان فأحاط بها ومعه المقترب بن ربيعة فى جند البصرة فسأل أهل السوس الصلح فأجابوهم وسار النعمان بن مقرن بأهل الكوفة الى نهاوند وقد اجتمع بها الاعاجم وسار المقترب الى زر بن عبد الله على جنديسابور فحاصروها مدة ثم رمى السهم بالامان من خارج على الجزية فخرجوا لذلك فما كرهم المسلمون فاذا عبد فعل ذلك أصله منهم فأمضى عمر أمانه وقيل فى فتح السوس إن يزدجرد سار بعد وقعة جلولاء فنزل اصطخر ومعه سياه فى سبعين ألفا من فارس فبعثه الى السوس ونزل الكلبانية وبعث الهرمزان الى تستر ثم كانت واقعة أبى موسى فحاصرهم فصالحوه على الجزية وسار الى هرمز ثم الى تستر ونزل سياه بين رام هرمز وتستر وحمل أصحابه على صلح أبى موسى ثم على الاسلام على ان يقاتلوا الاعاجم ولا يقاتلوا العرب ويمنعهم هو من العرب ويلحقوا بأشراف العطاء فأعطاهم ذلك عمر وأسلموا وشهدوا فتح تستر ومضى سياه الى بعض الحصون فى زى العجم فغدرهم وفتحه للمسلمين وكان فتح تستر وما بعدها سنة سبع عشرة وقيل ست عشرة

(مسير المسلمين الى الجهات للفتح)

لما جاء الاحنف بن قيس بالهرمزان الى عمر قال له ياأمير المؤمنين لا يزال أهل فارس يقاتلون ما دام ملكهم فيهم فلو أذنت بالانسياح فى بلادهم فأزلنا ملكهم انقطع رجاؤهم فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة غير بعيد ويقيم حتى يأتى أمره ثم بعث اليه مع سهيل بن عدى بألوية الامراء الذين يسيرون فى بلاد العجم لواء خراسان للاحنف بن قيس ولواء أردشير خرة وسابور لمجاشع بن مسعود السلمى ولواء اصطخر لعثمان بن أبى العاصى الثقفى ولواء فسا ودارابجرد لسارية بن زنيم الكنانى ولواء كرمان لسهيل بن عدى ولواء سجستان لعاصم بن عمرو ولواء مكران للحكم بن عمير التغلبى ولم يتهيأ مسيرهم الى سنة ثمان عشرة ويقال سنة احدى وعشرين أو اثنين وعشرين ثم ساروا فى بلاد العجم وفتحوا كما نذكر بعد

(مجاعة عام الرمادة وطاعون عمواس)

وأصاب الناس سنة ثمان عشرة قحط شديد وجدب أعقب جوعا بعد العهد بمثله مع طاعون أتى على جميع الناس وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيا الناس وكتب الى الامراء بالامصار يستمدهم لاهل المدينة فجاء أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام وأصلح عمرو بن العاصى بحر القلزم وراسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر واستسقى عمر بالناس فخطب الناس وصلى ثم قام وأخذ بيد العباس وتوسل به ثم بكى وجثا على ركبتيه يدعو الى أن مطر الناس وهلك بالطاعون أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبى سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة فى آخرين أمثالهم وتفانى الناس بالشأم وكتب عمر الى أبى عبيدة أن يرتفع بالمسلمين من الارض التى هو بها فدعا أبا موسى يرتاد له منزلا ومات قبل رحيله وسار عمر بالناس الى الشأم وانتهى الى سرغ ولقيه أمراء الاجناد وأخبروه بشدة الوباء واختلف الناس عليه فى قدومه فقبل اشارة العود ورجع وأخبر عبد الرحمن بن عوف بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الوباء فقال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه أخرجاه فى الصحيحين (ولما) هلك يزيد ولى عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن أبى سفيان وعلى الارض شرحبيل بن حسنة ولما خف أثر الطاعون بالشأم أجمع عمر على المسير اليه ليقسم مواريث المسلمين ويتطوف على الثغور ففعل ذلك ورجع واستقضى فى سنة ثمان عشرة على الكوفة شريح بن الحرث الكندى وعلى البصرة كعب بن سوار الازدى وحج فى هذه السنة ويقال ان فتح جلولا والمدائن والجزيرة كان فى هذه السنة وقد تقدم ذكر ذلك وكذلك فتح قيسارية على يد معاوية وقيل سنة عشرين

(فتح مصر)

ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاصى فى فتح مصر فأغزاه ثم اتبعه الزبير بن العوام فساروا سنة عشرين أو احدى أو اثنين أو خمس فاقتحموا باب اليون ثم ساروا فى قرى الريف الى مصر ولقيهم الجاثليق أبو مريم والاسقف قد بعثه المقوقس وجاء أبو مريم الى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم وأجلهم ثلاثا ورجعوا الى المقوقس وارطبون أمير الروم فأبى من ذلك ارطبون وعزم على الحرب وبيت المسلمين فهزموه وجنده ونازلوا عين شمس وهى المطرية وبعثوا لحصار الفرما أبرهة بن الصباح ولحصار الاسكندرية عوف

ابن مالك وراسلهم أهل البلاد وانتظروا عين شمس فحاصرهم عمرو والزبير مدة حتى صالحوهما على الجزية وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عنوة مجرى الصلح وشرطوا رد السبايا فأمضاه لهم عمر بن الخطاب على أن يخير السبايا فى الاسلام وكتب العهد بينهم ونصه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاصى أهل مصر من الامان على أنفسهم ودمهم وأموالهم وكافتهم وصاعهم ومدهم وعددهم لا يزيد شئ فى ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليه ممن جنى نصرتهم فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب فله ما لهم وعليه ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ويخرج من سلطاننا وعليهم ما عليهم اثلاثا فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا على ان لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر هذا نص الكتاب منقولا من الطبرى قال فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح ونزل المسلمون الفسطاط وجاء أبو مريم الجاثليق يطلب السبايا التى بعد المعركة فى أيام الاجل فأبى عمرو من ردها وقال أغاروا وقاتلوا وقسمتهم فى الناس وبلغ الخبر الى عمر فقال من يقاتل فى أيام الاجل فله الامن وبعث بهم الى الرباق فردهم عليهم ثم سار عمرو الى الاسكندرية فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم وأثخن فيهم ونازل الاسكندرية وبها المقوقس وسأله الهدنة الى مدة فلم يجبه وحاصرهم ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة وقيل ان المقوقس صالح عمرا على اثنى عشر ألف دينار على أن يخرج من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم وجعل عمرو فيها جندا (ولما) تم فتح مصر والاسكندرية أغزى عمرو العساكر الى النوبة فلم يظفروا فلما كان أيام عثمان وعبد الله بن أبى سرح على مصر صالحهم على عدة رؤس فى كل سنة ويهدى اليهم المسلمون طعاما وكسوة فاستمر ذلك فيها

(وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات)

لما فتحت الاهواز ويزدجرد بمرو كاتبوه واستنجدوه فبعث الى الملوك ما بين الباب والسند وخراسان وحلوان يستمدهم فأجابوه واجتمعوا الى نهاوند وعلى الفرس الفيرزان فى مائة وخمسين ألف مقاتل وكان سعد بن أبى وقاص قد ألب أقوام عليه من

عسكره وشكوا الى عمر فبعث محمد بن مسلمة فى الكشف عن أمره فلم يسمع الا خيرا سوى
مقالة من بنى عبس فاستقدمه محمد الى عمر وخبره الخبر وقال كيف تصلى يا سعد قال
أطيل الاولتين وأحذف الاخيرتين قال هكذا الظن بك ثم قال من خلفتك على الكوفة
قال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره وشافهه بخبر الاعاجم وأشار بالانسياح ليكون
أهيب على العدو فجمع عمر الناس واستشارهم بالمسير بنفسه فمن موافق ومخالف الى
ان اتفق رأيهم على أن يبعث الجنود ويقيم ردءا لهم وكان ذلك رأى على وعثمان وطلحة
وغيرهم فولى على حربهم النعمان بن مقرن المزنى وكان على جند الكوفة بعد انصرافهم
من حصار السوس وأمره أن يصير الى ماه لتجتمع الجيوش عليه ويسير بهم الى الفيرزان
ومن معه وكتب الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان أن يستنفر الناس مع النعمان فبعثهم
مع حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن وكتب الى المقترب وحرملة وزر الذين كانوا
بالاهواز وفتحوا السوس وجنديسابور ان يقيموا بتخوم اصبهان وفارس ويقطعوا
المدد عن أهل نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة وجرير والمغيرة وابن عمر
وأمثالهم وأرسل النعمان طليحة وعمرو بن معديكرب طليعة ورجع عمرو من طريقه
وانتهى طليحة الى نهاوند ونفض الطرق فلم يلق بها أحدا وأخبر الناس فرحل النعمان
وعبى المسلمين ثلاثين ألفا وجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن
اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ومع
الفيرزان كتائبه وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جادويه مكان ذى الحاجب وقد توافى اليهم
بنهاوند كل من غاب من القادسية من أبطالهم فلما رآى الجمعان كبر المسلمون وحطت
العرب الاثقال وتبادر اشراف الكوفة الى فسطاط النعمان فبنوه حذيفة بن اليمان
والمغيرة بن شعبة وعقبة بن عمرو وجرير بن عبد الله وحنظلة الكاتب وبشير بن الخصاصية
والاشعث بن قيس ووائل بن حجر وسعيد بن قيس الهمدانى ثم تزاحفوا للقتال يوم
الاربعاء والخميس والحرب سجال ثم أجروهم فى خنادقهم يوم الجمعة وحاصروهم أياما
وسئم المسلمون اعتصامهم بالخنادق وتشاوروا وأشار طليحة باستخراجهم للمناجزة
بالاستطراد فناشبهم القعقاع فبرزوا اليه كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا
وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما بارزوا استطرد لهم حتى فارقوا الخنادق
وقد ثبت لهم المسلمون ونزل الصبر ثم وقف النعمان على الكتائب وحرض المسلمين ودعا
لنفسه بالشهادة وقال اذا كبرت الثالثة فاحملوا ثم كبر وحمل عند الزوال وتجاول
الناس ساعة وركدت الحرب ثم انفض الاعاجم وانهزموا وقتلوا ما بين الظهر والعتمة
حتى سالت أرض المعركة دما تزلق فيه المشاة حتى زلق فيه النعمان وصرع وقيل بل

أصابه سهم فسجاه أخوه نعيم بثوب وتناول الراية حذيفة بعهده وتواصوا بكتمان
موته وذهب الاعاجم ليلا وعميت عليهم المذاهب وعقرهم حسك الحديد ووقعوا فى
اللهب الذى أعدوه فى عسكرهم فمات منهم أكثر من مائة ألف منها نحو ثلاثين ألفا
فى المعركة وهرب الفيرزان بعد ان صرع الى همذان واتبعه نعيم بن مقرن فادركه بالثنية
دونها وقد سدتها الاحمال وترجل وصعد فى الجبل وكان نعيم قد قدم القعقاع أمامه
فاعترضه وقتله المسلمون على الثنية ودخل الفل همذان وبها خسرشنوم فنزل المسلمون
عليها مع نعيم والقعقاع ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة وغنموا ما فيها وجمعوه الى
صاحب الاقباض السائب بن الاقرع وولى على الجند حذيفة بعهد النعمان اليه ثم جاء
الهربذ صاحب بيت النار الى حذيفة فأمنه وأخرج له سفطين مملوأين جوهرا نفيسا
كانا من ذخائر كسرى أودعهما عنده النخرجان فنقلهما المسلمون وبعث الخمس مع
السائب الى عمر وأخبره بالواقعة وبالفتح وبمن استشهد فبكى وبالسفطين فقال ضعهما
فى بيت المال والحق بجندك قال السائب ثم لحقنى رسوله بالكوفة فردنى اليه فلما رآنى
قال مالى وللسائب ما هو الا أن نمت الليلة التى خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى الى
السفطين يشتعلان نارا يتوعدونى بالكى ان لم أقسمهما فخذهما عنى وبعهما فى أرزاق
المسلمين فبعتهما بالكوفة من عمرو بن حريث المخزومى بالفى ألف درهم وباعهما عمرو
بأرض الاعاجم بضعفهما فكان له بالكوفة مال وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف
والراجل ألفين ولم يكن للفرس من بعدها اجتماع وكان أبو لؤلؤة قاتل عمر من أهل
نهاوند حصل فى أسر الروم وأسره الفرس منهم فكان اذا لقى سبى نهاوند بالمدينة يبكى
ويقول أكل عمر كبدى وكان أبو موسى الاشعرى قد حضر نهاوند على أهل البصرة فلما
انصرف مر بالدينور فحاصرها خمسة أيام ثم صالحوه على الجزية وسار الى أهل شيروان
فصالحوه كذلك وبعث السائب بن الاقرع الى الصيمرة ففتحها صلحا ولما اشتد الحصار
بأهل همذان بعث خسرشنوم الى نعيم والقعقاع فى الصلح على قبول الجزية فأجابوه الى
ذلك ثم اقتدى أهل الماهين وهم الملوك الذين جاؤا النصرة يزدجرد وأهل همذان وبعثوا
الى حذيفة فصالحوه وأمر عمر بالانسياح فى بلاد الاعاجم وعزل عبد الله بن عبد الله
ابن عتبان عن الكوفة وبعثه فى وجه آخر وولى مكانه ابن حنظلة حليف بنى عبد قصى
واستعفى فاعفاه وولى عمار بن ياسر واستدعى ابن مسعود من حمص فبعثه معه معلما لاهل
الكوفة وأمدهم بأبى موسى وأمد أهل البصرة مكانه بعبد الله بن عبد الله ثم بعثه الى
اصبهان مكان حذيفة وولى على البصرة عمرو بن سراقة ثم انتقض أهل همذان فبعث
الى نعيم بن مقرن فحاصرهم وصار بعد فتحها الى خراسان وبعث عتبة بن فرقد وبكر

ابن عبد الله الى اذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل ولما انفصل عبد الله بن عبد الله بن عتبان الى اصبهان وكان من الصحابة من وجوه الانصار حليف بنى الحبلى فأمده بأبى موسى وجعل على مجنبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحى وعصمة بن عبد الله فسار الى نهاوند ورجع حذيفة الى عمله على ماسقت دجلة فسار عبد الله بمن معه ومن تبعه من عند النعمان نحو اصبهان وعلى جندها الاسبيدان وعلى مقدمته شهريار ابن جادويه فى جمع عظيم برستاق اصبهان فاقتتلوا وبارز عبد الله بن ورقاء شهريار فقتله وانهزم أهل اصبهان وصالحهم الاسبيدان على ذلك الرستاق ثم ساروا الى اصبهان وتسمى جى وملكها الفادوسفان فصالحهم على الجزية والخيار بين المقام والذهاب وقال ولكم أرض من ذهب وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الاهواز فدخل معه اصبهان وكتبوا الى عمر بالفتح فكتب الى عبد الله أن يسير الى سهيل بن عدى لقتال كرمان فاستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل قبل أن يصل كرمان وقد قيل ان النعمان بن مقرن حضر فتح اصبهان أرسله اليها عمر من المدينة واستجاش له أهل الكوفة فقتل فى حرب اصبهان والصحيح أن النعمان قتل بنهاوند وافتتح ابو موسى قم وقاشان ثم ولى عمر على الكوفة سنة احدى وعشرين المغيرة بن شعبة وعزل عمارا

(فتح همذان)

كان أهل همذان قد صالح عليهم حشر شنوم القعقاع ونعيما وضمنهما ثم انتقض فكتب عمر الى نعيم أن يقصدها فودّع حذيفة ورجع اليها من الطريق على تعبيته فاستولى على بلادها أجمع حتى صالحوا على الجزية وقيل ان فتحها كان سنة أربع وعشرين فبينما نعيم يجول فى نواحى همذان اذ جاء الخبر بخروج الديلم وأهل الرى واسفنديار أخو رستم بأهل اذربيجان فاستخلف نعيم على همذان يزيد بن قيس الهمدانى وسار اليهم فاقتتلوا وانهزم الفرس وكانت واقعتها مثل نهاوند واعظم وكتبوا الى عمر بالفتح فامر نعيما بقصد الرى والمقام بها بعد فتحها وقيل ان المغيرة بن شعبة أرسل من الكوفة جرير بن عبد الله الى همذان ففتحها صلحا وغلب على ارضها وقيل تولاها بنفسه وجرير على مقدمته ولما فتح جرير همذان بعث البراء بن عازب الى قزوين ففتح ماقبلها وسار اليها فاستنجدوا بالديلم فوعدوهم ثم جاء البراء فى المسلمين فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل ينظرون فيئس أهل قزوين منهم وصالحوا البراء على صلح أبهر قبلها ثم غزا البراء الديلم وجيلان

(فتح الرى)

ولما

ولما انصرف نعيم من واقعته سار الى الرى وخرج اليه أبو الفرخان من أهلها فى الصلح وأبى ذلك ملكها سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين واستمد أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فأمدوه والتقوا مع نعيم فشغلوا به عن المدينة وقد كان خلفهم أبو فرخان ودخل المدينة من الليل ومعه المنذر بن عمرو أخو نعيم فلم يشعروا وهم موافقون لنعيم الا بالتكبير من ورائهم فانهزموا وقتلوا وافاء الله على المسلمين بالرى مثل ما كان بالمدائن وصالحه أبو الفرخان الزينبى على البلاد فلم يزل شرفهم فى عقبه وأخرب نعيم مدينتهم العتيقة وأمر ببناء أخرى وكتب الى عمر بالفتح وصالحه أهل دنباوند على الجزية فقبل منهم (ولما) بعث بالاخماس الى عمر كتب اليه بارسال أخيه سويد الى قومس ومعه هند بن عمرو الجملى فسار فلم يقم له أحد وأخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الفل الذين بطبرستان وبالمفاوز فصالحوه على الجزية ثم سار الى جرجان وعسكر فيها ببسطام وصالحه ملكها على الجزية وتلقاه مرزبان صول قبل جرجان فكان معه حتى جبى الخراج وأراه فروجها وسدها وقيل كان فتحها سنة ثلاثين أيام عثمان ثم أرسل سويد الى الاصبهبذ صاحب طبرستان على الموادعة فقبل وعقدا له بذلك

(فتح اذربيجان)

ولما افتتح نعيم الرى أمره عمر أن يبعث سماك بن خرشة الانصارى الى اذربيجان ممدا لبكير بن عبد الله وكان بكير بن عبد الله عندما سار الى اذربيجان لقى بالجبال اسفنديار ابن فرخزاد مهزوما من واقعة نعيم من ماح رود دون همذان وهو أخو رستم فهزمه بكير وأسره فقال له أمسكنى عندك فأصالح لك على البلاد والا فروا الى الجبال وتركوها وتحصن من تحصن الى يوم ما فأمسكه وسارت البلاد صلحا الا الحصون وقدم عليه سماك وهو فى مثل ذلك وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه فى التقدم فأذن له أن يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتح فاستخلف عتبة بن فرقد وجمع له عمر اذربيجان كلها فولى عتبة سماك بن خرشة على ما افتتحه بكير وكان بهرام بن الفرخزاد قصد طريق عتبة وأقام به فى عسكره مقتصدا معترضا له فلقيه عتبة وهزمه وبلغ خبر الاسفنديار وهو أسير عند بكير فصالحه واتبعه أهل اذربيجان كلهم وكتب بكير وعتبة بذلك الى عمر وبعثوا بالاخماس فكتب عمر لاهل اذربيجان كتاب الصلح ثم غزا عتبة بن فرقد شهرزور والصامغان ففتحهما بعد قتال على الجزية والخراج وقتل خلقا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوحى بلغت اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل

(فتح الباب)

ولما أمر عمر بكير بن عبد الله بغزو الباب والتقدم اليها بعث سراقه بن عمرو على حربها فسار من البصرة وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وعلى احدى مجنبتيه ابن أسيد الغفارى وعلى الاخرى بكير بن عبد الله المتقدم وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلى وردّ أبا موسى الاشعرى الى البصرة مكان سراقة ثم أمدّ سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة وسار سراقة من أذربيجان فلما وصل عبد الرحمن بن ربيعة فى مقدمته على الباب والملك بها يومئذ شهريار من ولد شهريرار الذى أفسد بنى اسرائيل وأعرى الشام منهم فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتى فحضر وطلب الصلح والموادعة على أن تكون جزيته النصر والطاعة للمسلمين قال ولا تسومونا الجزية فتوهنونا العدو كم فسيره عبد الرحمن الى سراقة فقبل منه وقال لا بد من الجزية على من يقيم ولا يحارب العدو فأجاب وكتبوا الى عمر فأجاز ذلك

(فتح موقان وجبال ارمينية)

ولما فرغ سراقة من الباب بعث امراء الى ما يليه من الجبال المحيطة بارمينية فارسل بكير بن عبد الله الى موقان وحبيب بن مسلمة الى تفليس وحذيفه بن اليمان الى جبال اللان وسلمان بن ربيعة الى الوجه الآخر وكتب بالخبر الى عمر فلم يرج تمام ذلك لانه فرج عظيم ثم بلغه موت سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة فأقره عمر على فرج الباب وأمره بغزو الترك ولم يفتح أحد من أولئك الامراء الا بكير بن عبد الله فانه فتح موقان ثم تراجعوا على الجزية دينارا عن كل حالم

(غزو الترك)

ولما أمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك سار حتى جاء الباب وسار معه شهريار فغزا بلنجر وهم قوم من الترك ففروا منه وتحصنوا وبلغت خيله على مائتى فرسخ من بلنجر وعاد بالظفر والغنائم ولم يزل يردد الغزو فيهم الى أيام عثمان فتذامر الترك وكانوا يعتقدون ان المسلمين لا يقتلون لان الملائكة معهم فأصابوا فى هذه الغزاة رجلا من المسلمين على غرة فقتلوه وتجاسروا وقاتل عبد الرحمن فقتل وانكشف أصحابه وأخذ الراية أخوه سلمان فخرج بالناس ومعه أبو هريرة الدوسى فسلكوا على جيلان الى جرجان

(فتح خراسان)

ولما عقدت الالوية للامراء للانسياح فى بلاد فارس كان الاحنف بن قيس منهم بخراسان وقد تقدم ان يزدجرد سار بعد جلولاء الى الرى وبها ابان جادويه من

مرازبته فأكرهه على خاتمه وكتب الصحائف بما اقترح من ذخائر يزدجرد وختم عليها وبعث بها الى سعد فردّها عليه على حكم الصلح الذى عقد له ثم سار يزدجرد والناس معه الى اصبهان ثم الى كرمان ثم رجع الى مرو من خراسان فنزلها وأمن من العرب وكاتب الهرمزان وأهل فارس بالاهواز والفيرزان وأهل الجبال فنكثوا جميعا وهزمهم الله وخذلهم وأذن عمر للمسلمين بالانسياح فى بلادهم وأمّر الامراء كما قدمناه وعقد لهم الالوية فسار الاحنف الى خراسان سنة ثمان عشرة وقيل ثنتين وعشرين فدخلها من الطبسين وافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار الى مرو الشاهجان وأرسل الى نيسابور مطرّف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحرث بن حسان ودرج يزدجرد من مرو الشاهجان الى مرو الروذ فملكها الاحنف ولحقه مدد أهل الكوفة هنالك فسار الى مرو الروذ واستخلف على الشاهجان حارثة ابن النعمان الباهلى وجعل مدد الكوفة فى مقدمته والتقوا هم ويزدجرد على بلخ فهزموه وعبر النهر فلحقهم الاحنف وقد فتح الله عليهم ودخل أهل خراسان فى الصلح ما بين نيسابور وطخارستان وولى على طخارستان ربعى بن عامر وعاد الى مرو الروذ فنزلها وكتب الى عمر بالفتح فكتب اليه أن يقتصر على مادون النهر وكان يزدجرد وهو بمرو الروذ قد استنجد ملوك الامم وكتب الى ملك الصين والى خاقان ملك الترك والى ملك الصغد فلما عبر يزدجرد النهر مهزوما أنجده خاقان فى الترك وأهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا بلخ ورجع أهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه ثم رحل ونزل سفح الجبل فى عشرين ألفا من أهل البصرة وأهل الكوفة وتحصن العسكران بالخنادق وأقاموا يقاتلون أياما وصحبهم الاحنف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب بطبله ويتلوه اثنان كذلك ثم يخرج العسكر بعدهم عادة لهم فقتل الاحنف الاول ثم الثانى ثم الثالث فلما مرّ بهم خاقان تشاءم وتطير ورجع ادراجه فارتحل وعاد الى بلخ وبلغ الخبر الى يزدجرد وكان على مرو الشاهجان محاصرا الحارثة بن النعمان ومن معه فجمع خزائنه وأجمع اللحاق بخاقان على بلخ فمنعه أهل فارس وحملوه على صلح المسلمين والركون اليهم وأنهم أوفى ذمة من الترك فأبى من ذلك وقاتلهم فهزموه واستولوا على الخزائن ولحق بخاقان وعبروا النهر الى فرغانة وأقام يزدجرد ببلد الترك أيام عمر كلها الى ان كفر أهل خراسان أيام عثمان ثم جاء أهل فارس الى الاحنف ودفعوا اليه الخزائن والاموال وصالحوه واغتبطوا بملكة المسلمين وقسم الاحنف الغنائم فأصاب الفارس ما أصابه يوم القادسية ثم نزل الاحنف بلخ وأنزل أهل الكوفة فى كورها الاربع ورجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بالفتح الى عمر

وكان يزدجرد لما عبر النهر لقى رسوله الذى بعثه الى ملك الصين قد رده اليه يسأله أن يصف له المسلمين الذين فعلوا به هذه الافاعيل مع قلة عددهم ويسأل عن وفائهم ودعوتهم وطاعة أمرائهم ووقوفهم عند الحدود وما آكلهم ومشاربهم وملابسهم ومراكبهم فكتب اليه بذلك كله وكتب اليه ملك الصين أن يسالمهم فانهم لا يقوم لهم شئ بما أقام زنبيل ٢ فأقام يزدجرد بفرغانة بعهد من خاقان (ولما) وصل الخبر الى عمر خطب الناس وقال ألا وان ملك المجوسية قد ذهب فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم ألا وان الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فانى لا أخاف على هذه الامة أن تؤتى الا من قبلكم

(فتوح فارس)

ولما خرج الامراء الذين توجهوا الى فارس من البصرة افترقوا وسار كل أمير الى جهته وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا الى بلدانهم وكانت تلك هزيمتهم وشتاتهم وقصد مجاشع بن مسعود من الامراء سابور وأردشير خرة فاعترضه الفرس دونهما بتوج فقتلهم وأثخن فيهم وافتتح توج واستباحها وصالحهم على الجزية وأرسل بالفتح والاخماس الى عمر فكانت واقعة توج هذه ثانية لواقعة العلاء بن الحضرمى عليهم أيام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقروا بها (اصطخر)

وقصد عثمان بن أبى العاصى اصطخر فزحفوا اليه بجور فهزمهم وأثخن فيهم وفتح جور واصطخر ووضع عليهم الجزية وأجابه الهربذ اليها وكان ناس منهم فروا فتراجعوا اليها وبعث بالفتح والخمس الى عمر ثم فتح كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها ولحق به أبو موسى فافتتحا مدينة شيراز وأرجان على الجزية والخراج وقصد عثمان جنابة ففتحها ولقى الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم نقض شهرك فى أول خلافة عثمان فبعث عثمان بن أبى العاص ابنه وأخاه الحكم وأتته الامداد من البصرة وعليهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد والتقوا بأرض فارس فانهزم شهرك وقتله الحكم بن أبى العاصى وقيل سوار بن همام العبدى وقيل ان ابن شهرك حمل على سوار فقتله ويقال ان اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين وقيل ان عثمان ابن ابى العاصى أرسل أخاه الحكم من البحرين الى فارس فى ألفين فسار الى توج وعلى مجنبته الجارود وأبو صفرة والد المهلب وكان كسرى أرسل شهرك فى الجنود الى لقائهم فالتقوا بتوج وهزمهم الى سابور وقتل شهرك وحاصروا مدينة سابور حتى صالح عليها ملكها واستعانوا به على قتال اصطخر ثم مات عمر رضى الله عنه وبعث عثمان بن

عفان عبيد الله بن معمر مكان عثمان بن أبى العاصى وأقام محاصرا اصطخر وأراد ملك سابور الغدر به ثم أحضر وأصابت عبيد الله حجارة منجنيق فمات بها ثم فتحوا المدينة فقتلوا بها بشرا كثيرا منهم (پساودرابجرد)

وقصد سارية بن زنيم الكنانى من أمراء الانسياح مدينة پساودارابجرد فحاصرهم ثم استجاشوا أكراد فارس واقتتلوا بصحراء وقام عمر على المنبر ونادى ياسارية الجبل يشير الى جبل كان ازاءه أن يستند اليه فسمع ذلك سارية ولجأ اليه ثم انهزم المشركون وأصاب المسلمون مغانمهم وكان فيها سفط جوهر فاستوهبه سارية من الناس وبعث به مع الفتح الى عمر ولما قدم به الرسول سأله عمر فأخبره عن كل شئ ودفع اليه السفط فأبى الا أن يقسم على الجند فرجع به وقسمه سارية (كرمان)

وقصد سهيل بن عدى من أمراء الانسياح كرمان ولحق به عبد الله بن عبد الله بن عتبان وحشد أهل كرمان واستعانوا بالقفص وقاتلوا المسلمين فى أدنى أرضهم فهزموهم باذن الله وأخذ المسلمون عليهم الطريق بل الطرق ودخل النسير بن عمرو العجلى الى جيرفت وقتل فى طريقه مرزبان كرمان وعبد الله بن عبد الله مفازة سيرزاد وأصابوا ما أرادوا من ابل وشاء وقيل ان الذى فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ثم أتى الطبسين من كرمان ثم قدم على عمر وقال أقطعنى الطبسين فأراد أن يفعل فقال إنها رستاقان فامتنع (سجستان)

وقصد عاصم بن عمرو من الامراء سجستان ولحق به عبد الله بن عمير وقاتلوا أهل سجستان فى أدنى أرضهم فهزموهم وحصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ثم طلبوا الصلح على مدينتهم وأرضها على أن الفدافد حمى وبقى أهل سجستان على الخراج وكانت أعظم من خراسان وأبعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وأمما أخرى فلما كان زمن معاوية هرب الشاه من أخيه زنبيل ملك الترك الى بلد من سجستان يدعى آمل وكان على سجستان سلم بن زياد بن أبى سفيان فعقد له وأنزله آمل وكتب الى معاوية بذلك فأقره بغير نكير وقال ان هؤلاء قوم غدر وأهون ما يجئ منهم اذا وقع اضطراب أن يغلبوا على بلاد آمل بأسرها فكان كذلك وكفر الشاه بعد معاوية وغلب على بلاد آمل واعتصم منه زنبيل بمكانه وطمع هو فى زرنج فحاصرها حتى جاءت الامداد من البصرة فأجفلوا عنها (مكران) ٣

وقصد الحكم بن عمرو التغلبى من أمراء الانسياح بلد مكران ولحق به شهاب بن المخارق وجاء سهيل بن عدى وعبد الله بن عبد الله بن عتبان وانتهوا جميعا الى دوين وأهل مكران على شاطئه وقد أمدهم أهل السند بجيش كثيف ولقيهم المسلمون

وفى بعض الكتب رتبيل بدل زنبيل اه

٣ بضم الميم وسكون الكاف اه كامل

فهزموهم وأثخنوا فيهم بالقتل واتبعوهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجعوا الى مكران
فاقاموا بها وبعثوا الى عمر بالفتح والاخماس مع صحار العبدى وسأله عمر عن البلاد
فأثنى عليها شرا فقال والله لايغزوها جيش لى أبدا وكتب الى سهيل والحكم أن لايجوز
مكران أحد من جنودكما

(خبر الاكراد)

كان امر أمراء الانسياح لما فصلوا الى النواحى اجتمع ببيروذ بين نهر تيرى ومناذر

بيروز على وزن فيروز قال فى الكامل وآخره ذال معجمة اه

من أهل الاهواز جموع من الاعاجم أعظمهم الاكراد وكان عمر قد عهد الى أبى
موسى أن يسير الى أقصى تخوم البصرة ردءا للامراء المنساحين فجاء الى بيروذ وقاتل
تلك الجموع قتالا شديدا وقاتل المهاجر بن زياد حتى قتل ثم وهن الله المشركين
فتحصنوا منه فى قلة وذلة فاستخلف أبو موسى عليهم أخاه الربيع بن زياد وسار الى
اصبهان مع المسلمين الذين يحاصرونها حتى اذا فتحت رجع الى البصرة وفتح الربيع بن
زياد بيروذ وغنم مافيها ولحق به بالبصرة وبعثوا الى عمر بالفتح والاخماس وأراد ضبة بن
محصن العنزى أن يكون فى الوفد فلم يجبه أبو موسى فغضب وانطلق شاكيا الى عمر
بانتقائه ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه وأنه أجاز الحطيئة بألف وولى زياد بن أبى
سفيان أمور البصرة واعتذر أبو موسى وقبله عمر وكان عمر قد اجتمع اليه جيش من
المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى ودفعهم الى الجهاد على عادته وأوصاهم
فلقوا عدوا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام أو الجزية فأبوا وقاتلوهم
وهزموهم وقتلوا وسبوا وقسموا الغنائم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى المسلمين
وبعث به الى عمر فسأل الرسول عن أمور الناس حتى أخبره بالسفط فغضب وأمر به
فوجئ فى عنقه وقال اسرع قبل أن تفترق الناس ليقسمه سلمة فيهم فباعه سلمة وقسمه فى
الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفا

(مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان رضى الله عنه)

كان للمغيرة بن شعبة مولى من نصارى العجم اسمه أبو لؤلؤة وكان يشدد عليه فى الخراج
فلقى يوما عمر فى السوق فشكى اليه وقال أعدنى على المغيرة فانه يثقل على فى الخراج
درهمين فى كل يوم قال وماصناعتك قال نجار حداد نقاش فقال ليس ذلك بكثير على
هذه الصنائع وقد بلغنى انك تقول أصنع رحى تطحن بالريح فاصنع لى رحى قال أصنع
لك رحى يتحدث الناس بها أهل المشرق والمغرب وانصرف فقال عمر توعدنى العلج
فلما اصبح خرج عمر الى الصلاة واستوت الصفوف ودخل ابو لؤلؤة فى الناس وبيده
خنجر برأسين نصابه فى وسطه فضرب عمر ست ضربات احداها تحت سرته وقتل كليبا

ابن

ابن أبى البكير الليثى وسقط عمر فاستخلف عبد الرحمن بن عوف فى الصلاة واحتمل الى
بيته ثم دعا عبد الرحمن وقال أريد أن أعهد اليك قال أتشير على بها قال لا قال والله
لا أفعل قال فهبنى صمتا حتى اعهد الى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو عنهم راض ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن معهم وقال انتظروا
طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا أمركم وناشد الله من يفضى اليه الامر منهم أن يحمل
أقاربه على رقاب الناس وأوصاهم بالانصار الذين تبوؤا الدار والايمان أن يحسن الى
محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصى بالعرب فانهم مادة الاسلام أن تؤخذ صدقاتهم
فى فقرائهم وأوصى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم ثم قال اللهم
قد بلغت لقد تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة ثم دعى أبا طلحة الانصارى
فقال قم على باب هؤلاء ولا تدع أحدا يدخل اليهم حتى يقضوا أمرهم ثم قال يا عبد الله
ابن عمر اخرج فانظر من قتلنى قال يا أمير المؤمنين قتلك ابو لؤلؤة غلام المغيرة قال الحمد
لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ثم بعث الى عائشة يستأذنها
فى دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فأذنت له ثم قال يا عبد الله ان اختلف
القوم فكن مع الاكثر فان تساووا فكن مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ثم أذن
للناس فدخل المهاجرون والانصار فقال لهم أهذا عن ملأ منكم فقالوا معاذ الله
وجاء على وابن عباس فقعدوا عند رأسه وجاء الطبيب فسقاه نبيذا فخرج متغيرا ثم لبنا
فخرج كذلك فقال له اعهد قال قد فعلت ولم يزل يذكر الله الى أن توفى ليلة الاربعاء
لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه صهيب وذلك لعشر سنين
وستة أشهر من خلافته وجاء أبو طلحة الانصارى ومعه المقداد بن الاسود وقد كان
أمرهما عمر أن يجمعا هؤلاء الرهط الستة فى مكان ويلزماهم أن يقدموا للناس من
يختاروه منهم وان اختلفوا كان الاتباع للاكثر وان تساووا حكموا عبد الله بن عمر
واتبعوا عبد الرحمن بن عوف ويؤجلوهم فى ذلك ثلاثا يصلى فيها بالناس صهيب ويحضر
عبد الله بن عمر معهم مشيرا ليس له شئ من الامر وطلحة شريكهم ان قدم فى الثلاث
ليال فجمعهم أبو طلحة والمقداد فى بيت المسور بن مخرمة وقيل فى بيت عائشة وجاء
عمرو بن العاصى والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريدان أن
تقولا حضرنا وكنا فى أهل الشورى ثم دار بينهما الكلام وتنافسوا فى الامر فقال عبد
الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويجتهد فيوليها أفضلكم وأنا أفعل ذلك فرضى القوم
وسكت على فقال ما تقول على شريطة أن تؤثر الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم
ولا تألو الامة نصحا وتعطينا العهد بذلك قال وتعطونى أنتم مواثيقكم على أن تكونوا

معى على من خالف وترضوا من اخترت وتواثقوا ثم قال لعلى أنت أحق من حضر بقرابتك وسوابقك وحسن أثرك فى الدين ولم تبعد فى نفسك فمن ترى أحق فيه بعدك من هؤلاء قال عثمان وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك فقال على ودار عبد الرحمن لياليه كلها يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوافى المدينة من أمراء الاجناد واشراف الناس ويشيرهم الى صبيحة الرابع فأتى منزل المسور بن مخرمة وخلافه بالزبير وسعد أن يتركا الامر لعلى او عثمان فاتفقا على على ثم قال له سعد بايع لنفسك وأرحنا فقال قد خلعت لهم نفسى على أن أختار ولو لم أفعل ما أريدها ثم استدعى عبد الرحمن عليا وعثمان فناجى كلا منهما الى أن رضوا بل الى أن صلوا الصبح ولا يعلم أحد ما قالوا ثم جمع المهاجرين وأهل السابقة من الانصار وأمراء الاجناد حتى غص المسجد بهم فقال أشيروا على فأشار عمار بعلى فقال ابن أبى سرح ان أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان ووافقه عبد الله بن أبى ربيعة فتقاوضا وتشاتما ونادى سعد يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس فقال نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ثم قال لعلى عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال أرجو أن أجتهد بل أن أفعل بمبلغ علمى وطاقتى وقال لعثمان مثل ذلك فقال نعم فرفع رأسه الى سقف المسجد ويده فى يد عثمان وقال اللهم اشهد أنى قد جعلت ما فى عنقى من ذلك فى عنق عثمان فبايعه الناس ثم قدم طلحة فى ذلك اليوم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت على الخيار فى الامر وان أبيت رددتها فقال أكل الناس بايعوك قال نعم قال رضيت ولا أرغب عما أجمعوا عليه وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض ومر أبو لؤلؤة بالهرمزان وبيده الخنجر الذى طعن به عمر فتناوله من يده وأطال النظر فيه ثم رده اليه ومعهم جفينة نصرانى من أهل الحيرة فلما طعن عمر من الغداة قال عبد الرحمن بن أبى بكر لعبيد الله بن عمر انى رأيت هؤلاء الثلاثة يتناجون فلما رأونى افترقوا وسقط منهم هذا الخنجر فعدا عبيد الله عليهم فقتلهم ثلاثتهم وأمسكه سعد بن أبى وقاص وجاء به الى عثمان بعد البيعة وهو فى المسجد فاشار على بقتله وقال عمرو بن العاصى لا يقتل عمر بالامس ويقتل ابنه اليوم فجعلها عثمان دية واحتملها وقال انا وليه ثم قام عثمان وصعد المنبر وبايعه الناس كافة وولى لوقته سعد بن أبى وقاص على الكوفة وعزل المغيرة وذلك بوصية عمر لانه أوصى بتولية سعد وقال لم أعزله عن سوء ولا خيانة منه وقيل انما ولاه وعزل المغيرة بعد سنة وانه أقر لاول أمره عمال عمر كلهم

(نقض اهل الاسكندرية وفتحها)

لما سار هرقل الى القسطنطينية وفارق الشأم واستولى المسلمون على الاسكندرية وبقى الروم بها تحت أيديهم فكاتبوا هرقل فاستنجدوه فبعث اليهم عسكرا مع منويل الخصى ونزلوا بساحل الاسكندرية لمنعهم المقوقس من الدخول اليه فساروا الى مصر ولقيهم عمرو بن العاصى والمسلمون فهزموهم واتبعوهم الى الاسكندرية وأثخنوا فيهم بالقتل وقتل قائدهم منويل الخصى وكانوا قد أخذوا فى مسيرهم الى مصر أموال أهل القرى فردها عمرو عليهم بالبينة ثم هدم سور الاسكندرية ورجع الى مصر

(ولاية الوليد بن عقبة الكوفة وصلح ارمينية واذربيجان)

وفى سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعدا عن الكوفة لانه اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضا وتقاضاه ابن مسعود فلم يوسر سعد فتلاحيا وتناجيا بالقبيح وافترقا يتلاومان وتداخلت بينهما العصبية وبلغ الخبر عثمان فعزل سعدا ثم عزل عتبة بن فرقد عن اذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الاحمسى فأغار على أهل موقان والبرزند والطيلسان ففتح وغنم وسبى وطلب أهل كور آذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة ثمانمائة الف درهم وقبض المال ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلى الى اهل ارمينية فى اثنى عشر ألفا فسار فيها وأثخن ثم انصرف الى الوليد وعاد الوليد الى الكوفة وجعل طريقه على الموصل فلقيه كتاب عثمان بأن الروم أجلبوا على معاوية بالشأم فابعث اليهم رجلا من أهل النجدة والبأس فى عشرة آلاف عند قراءة المكتوب فبعث الوليد الناس مع سلمان بن ربيعة ثمانية آلاف ومضوا الى الشام ودخلوا أرض الروم مع حبيب بن مسلمة فشنوا عليهم الغارات واستفتحوا الحصون وقيل ان الذى أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة هو سعيد بن العاصى وذلك أن عثمان كتب الى معاوية أن يغزى حبيب بن مسلمة فى أهل الشأم أرمينية فبعثه وحاصر قاليقلا حتى نزلوا على الجلاء أو الجزية فجلى كثيرا الى بلاد الروم وأقام فيها فيمن معه أشهرا ثم بلغه أن بطريق أرميناقس وهى بلاد ملطية وسيواس وقونية الى خليج قسطنطينية قد زحف اليه فى ثمانين ألفا فاستنجد معاوية فكتب الى عثمان فأمر سعيد بن العاصى بامداد حبيب فأمده بسلمان فى ستة آلاف وبيت الروم فهزمهم وعاد الى قاليقلا ثم سار فى البلاد فجاء بطريق خلاط وبيده أمان عياض بن غنم وحمل ما عليه من المال فنزل حبيب خلاط ثم سار منها فصالحه صاحب السيرجان ثم صاحب اردستان ثم صالح أهل دبيل بعد الحصار ثم أهل بلاد السيرجان كلهم ثم أتى أهل شمشاط فحاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم ثم صالحه بطريق خرزان على بلاده وسار الى تفليس فصالحوه وفتح عدة حصون ومدن تجاورها وسار ابن ربيعة الباهلى

الى أرّان فصالح أهل البيلقان على الجزية والخراج ثم أهل بردعة كذلك وقراها
وقاتل اكراد البوشنجان وظفر بهم وصالح بعضهم على الجزية وفتح مدينة شمكور وهى
التى سميت بعد ذلك المتوكلية وسار سلمان حتى فتح قلية ٢ وصالحه صاحب كسكر على
الجزية وملك شروان وسائر ملوك الجبال الى مدينة الباب وانصرفوا ثم غزا معاوية
الروم وبلغ عمورية ووجد ما بين انطاكية وطرسوس من الحصون خاليا فجمع فيها
العساكر حتى رجع وخربها

(ولاية عبد الله بن أبى سرح على مصر وفتح افريقية)

وفى سنة ست وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاصى عن خراج مصر واستعمل مكانه
عبد الله بن أبى سرح أخاه من الرضاعة فكتب الى عثمان يشكو عمرا فاستقدمه واستقل
عبد الله بالخراج والحرب وأمره بغزو افريقية وقد كان عمرو بن العاصى سنة احدى
وعشرين سار من مصر الى برقة فصالح أهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس فحاصرها
شهرا وكانت مكشوفة السور من جانب البحر وسفن الروم فى مرساها فحسر القوم
فى بعض الايام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين فاقتحموا البلد بين البحر
والبيوت فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم وارتفع الصياح فأقبل عمرو بعساكره فدخل
البلد ولم تفلت الروم الا بما خف فى المراكب ورجع الى مدينة صبرة وكانوا قد أمنوا
بمنعة طرابلس فصبحهم المسلمون ودخلوها عنوة وكمل الفتح ورجع عمرو الى برقة فصالحه
أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر أهل برقة لواتة وكان يقال ان البربر
ساروا بعد قتل ملكهم جالوت الى الغرب وانتهوا الى لوبية ومراقية كورتان من كور
مصر فصارت زناتة ومغيلة من البربر الى الغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة برقة
وتعرف قديما انطابلس وانتشروا الى السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت
نفوسة مدينة صبرة وجلوا من كان هنالك من الروم وأقام الافارق وهم خدم الروم
وبقيتهم على صلح يؤدونه الى من غلب عليهم الى أن كان صلح عمرو بن العاصى ثم ان عبد
الله بن ابى سرح كان أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين وقال له ان فتح الله
عليك فلك خمس الخمس من الغنائم وأمّر عقبة بن نافع بن عبد القيس على جند وعبد الله
ابن نافع بن الحرث على آخر وسرحهما فخرجوا الى افريقية فى عشرة آلاف وصالحهم
أهلها على مال يؤدّونه ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان عبد الله بن أبى
سرح استأذن عثمان فى ذلك واستمدّه فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به فجهز العساكر
من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن
العاصى وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وساروا مع عبد الله بن أبى سرح

سنة

سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة ثم ساروا الى
طرابلس فنهبوا الروم عندها ثم ساروا الى افريقية وبثوا السرايا فى كل ناحية وكان
ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل اليه الخراج فلما
بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيطلة دار
ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه الى الاسلام أو الجزية فاستكبر ولحقهم عبد الرحمن
ابن الزبير مددا بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد ففتّ فى
عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبى سرح وسأل عنه فقيل انه سمع
منادى جرجير يقول من قتل ابن أبى سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتى فخاف
وتأخر عن شهود القتال فقال له ابن الزبير تنادى أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة
ألف وزوّجته ابنته واستعملته على بلاده فخاف جرجير أشد منه ثم قال عبد الله بن
الزبير لابن أبى سرح أن يترك جماعة من ابطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب
ويقاتلون الروم بباقى العسكر الى أن يضجروا فيركب عليهم بالآخرين على غرة لعل الله
ينصرنا عليهم ووافق على ذلك أعيان أصحابه ففعلوا ذلك وركبوا من الغد الى الزوال
وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين
فكبروا وحملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم فى خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم
وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سبية فنفلها ابن الزبير وحاصر ابن أبى سرح سبيطلة
ففتحها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألف وبث جيوشه فى
البلاد الى قفصة فسبوا وغنموا وبعث عسكرا الى حصن الاجم وقد اجتمع به أهل البلاد
فحاصره وفتحه على الامان ثم صالحه أهل افريقية على ألفى الف وخمسمائة دينار وأرسل
ابن الزبير بالفتح والخمس فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار وبعض الناس
يقول أعطاه اياه ولا يصح وانما أعطى ابن أبى سرح خمس الخمس من الغزوة الاولى
ثم رجع عبد الله بن أبى سرح الى مصر بعد مقامه سنة وثلاثة أشهر (ولما) بلغ هرقل ان
أهل افريقية صالحوه بذلك المال الذى أعطوه غضب عليهم وبعث بطريقا يأخذ منهم
مثل ذلك فنزل قرطاجنة وأخبرهم بما جاء له فأبوا وقالوا قد كان ينبغى أن يساعدنا مما
نزل بنا فقاتلهم البطريق وهزمهم وطرد الملك الذى ولوه بعد جرجير فلحق بالشام وقد
اجتمع الناس على معاوية بعد على رضى الله عنه فاستجاشه على افريقية فبعث معه
معاوية بن حديج (٣) السكونى فى عسكر فلما وصل الاسكندرية وهلك الرومى ومضى
ابن حديج فى العساكر فنزل قونية وسرح اليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل وقاتلهم
معاوية فهزمهم معاوية وحاصر حصن جلولاء فامتنع معه حتى سقط ذات سوره فملكه

(٣) حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم اهـ

كامل

المسلمون وغنموا مافيه ثم بث السرايا ودوخ البلاد فأطاعوا وعاد الى مصر ولما أصاب ابن أبي سرح من افريقية ما أصاب ورجع الى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازيا الى اسكندرية في ستمائة مركب وركب المسلمون البحر مع ابن ابي سرح ومعه معاوية في أهل الشام فلما تراآى الجمعان ارسوا جميعا وباتوا على أمان والمسلمون يقرؤن ويصلون ثم قرنوا سفنهم عند الصباح واقتتلوا ونزل الصبر واستحر القتل ثم انهزم قسطنطين جريحا في فل قليل من الروم وأقام ابن أبي سرح بالموضع أياما ثم قفل وسمي المكان ذات الصواري والغزوة كذلك لكثرة ما كان بها من الصواري وكانت هذه الغزاة سنة احدى وثلاثين وقيل أربع وثلاثين وسار قسطنطين الى صقلية وعرفهم خبر الهزيمة فنكروه وقتلوه في الحمام

(فتح قبرص)

كان أبو عبيدة لما احتضر استخلف على عمله عياض بن غنم وكان ابن عمه وخاله وقيل استخلف معاذ بن جبل واستخلف عياض بعده سعيد بن حذيم الجمحي ومات سعيد فولى عمر مكانه عمير بن سعيد الانصاري ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية فاجتمعت له دمشق والاردن ومات عمر وهو كذلك وعمير على حمص وقنسرين ثم استعفى عمير عثمان في مرضه فأعفاه وضم حمص وقنسرين الى معاوية ومات عبد الرحمن بن أبي علقمة وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام كله لمعاوية لسنتين من امارة عثمان وكان يلح على عمر في غزو البحر وكان وهو بحمص كتب اليه في شان قبرص ان قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلاب قبرص وصياح دجاجهم فكتب عمر الى عمرو بن العاصي صف لي البحر وراكبه فكتب اليه هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد فلق القلوب وان تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة وراكبه دود على عود ان مال غرق وان نجا برق فكتب عمر الى معاوية والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على أطول شئ من الارض فيستأذن الله كل يوم وليلة في أن يغرق الارض فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر وبالله لمسلم واحد أحب الي مما حوت الروم فاياك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت مالقي العلاء مني ثم كاتب ملك الروم عمر وقاربه وأقصر عن الغزو ثم ألح معاوية على عثمان بعده في غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم فاختار الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبو ذر وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أم حرام بنت ملحان واستعمل عليهم عبد الله بن قيس حليف بني فزارة وساروا الى قبرص وجاء عبد الله بن أبي سرح من مصر

فاجتمعوا عليها وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ويؤدون مثلها للروم ولا منعة لهم على المسلمين ممن أرادهم من سواهم وعلى أن يكونوا عينا للمسلمين على عدوهم ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم وكانت هذه الغزاة سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين وقيل ثلاث وثلاثين وماتت فيها أم حرام سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك وأقام عبد الله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة لم ينكب فيها احد الى أن نزل في بعض ايام في ساحل المرقى من أرض الروم فثاروا اليه فقتلوه ونجا الملاح وكان استخلف سفيان بن عوف الازدي على السفن فجاء الى أهل المرقى وقاتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة

(ولاية ابن عامر على البصرة وفتوح فارس وخراسان)

وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان خرج أبو موسى من البصرة غازيا الى أهل آمد والاكراد لما كفروا وحمل ثقله على أربعين بغلا من القصر بعد ان كان حض على الجهاد مشيا فألب الناس عليه ومضوا الى عثمان فاستعفوه منه وتولى كبر ذلك غيلان بن خرشة فعزله عثمان وولى عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان وكان ابن خمس وعشرين سنة وجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاصي من عمان والبحرين فصرف عبيد الله بن معمر عن خراسان وبعثه الى فارس وولى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد فأثخن فيها حتى بلغ فرغانة ولم يدع كورة الا أصلحها ثم ولى عليها سنة أربع أمير (٣) بن أحمر اليشكري وعلى كرمان عبد الرحمن بن عبس واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمي وعلى كرمان عاصم بن عمرو ونجاشت فارس وانتقضت بعبيد الله بن عمرو وجمعوا له فلقيهم بباب اصطخر فقتل عبيد الله وانهزم جنده وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاصي وفي المجنبتين أبو برزة الاسلمي ومعقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن حصين ولقيهم باصطخر فقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزموا وفتح اصطخر عنوة وبعدها دارابجرد وسار الى مدينة جور وهي اردشير وكان هرم بن حيان محاصرا لها فلما جاء ابن عامر فتحها ثم عاد الى اصطخر وقد نقضت فحاصرها طويلا ورماها بالمجانيق واقتحمها عنوة فغني فيها أكثر أهل البيوتات والاساورة لانهم كانوا لجأوا اليها ووطئ أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل وكتب الى عثمان بالفتح فكتب اليه أن يستعمل على كور فارس هرم بن حيان اليشكري وهرم بن حيان العبسي والخريت بن راشد وأخاه المنجاب من بني سامة والبرجمان الهجيمي وان يفرق كور خراسان بين ستة نفر الاحنف بن قيس على المرو وحبيب بن قرة اليربوعي على بلخ

(٣) أمير بوزن زبير وكذا كريز وعبيس كما في الكامل اهـ

وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة وأمير بن أحمر اليشكرى على طوس وقيس بن هبيرة
السلمى على نيسابور ثم جمع عثمان خراسان كلها لقيس واستعمل أمير بن أحمر اليشكرى
على سجستان ثم بعده عبد الرحمن بن سمرة من قرابة ابن عامر بن كريز فلم يزل عليها
حتى مات عثمان وعمران على كرمان وعمير بن عثمان بن مسعود على فارس وابن كريز
القشيرى على مكران وخرج على قيس بن هبيرة بعد موت عثمان ابن عمه عبد الله بن حازم
كما نذكره ولما افتتح ابن عامر فارس أشار عليه الناس بقصد خراسان وكانوا قد
انتقضوا فسار اليها وقيل عاد الى البصرة واستخلف على فارس شريك بن الاعور
الحارثى فبنى مسجدها فلما دخل البصرة أشار عليه الاحنف بن قيس وحبيب بن أوس
بالمسير الى خراسان فتجهز واستخلف على البصرة زياد بن أبيه وسار الى كرمان وقد
نكثوا فبعث لحربهم مجاشع بن مسعود السلمى ولحرب سجستان الربيع بن زياد
الحارثى وسار هو الى نيسابور وتقدمه الاحنف بن قيس الى الطبسين حصنان هما
بابا خراسان فصالحه أهلها وسار الى قوهستان فقتل أهلها حتى الجأهم فى حصنهم
ولحقه ابن عامر فصالحوه على ستمائة ألف درهم وقيل كان المتولى حرب قوهستان
أمير بن أحمر اليشكرى ثم بعث ابن عامر السرايا الى أعمال نيسابور ففتح رستاق زام
عنوة وباخرز وجيرفت عنوة وبعث الاسود بن كلثوم من عدى الرباب وكان ناسكا الى
بيهق من أعمالها فدخل البلد من ثلمة كانت فى سورها وقاتل حتى قتل وظفر أخوه
أدهم بالبلد وفتح ابن عامر بشت بالشين المعجمة من أعمال نيسابور ثم اسفراين ثم قصد
نيسابور وبعد ما استولى على أعمالها فحاصرها أشهرا وكان بها أربع مرازبة من
فارس فسأل واحد منهم الامان على أن يدخلهم ليلا وفتح لهم الباب وتحصن الاكبر
منهم فى حصنها حتى صالح على ألف ألف درهم وولى ابن عامر على نيسابور قيس بن
الهيثم السلمى وبعث جيشا الى نسا وأبيورد فصالحهم أهلها وآخر الى سرخس
فصالحوا مرزبانها على أمان مائة رجل لم يدخل فيها نفسه فقتله وافتتحها عنوة وجاء
مرزبان طوس فصالحه على ستمائة ألف درهم وبعث جيشا الى هراة مع عبد الله بن حازم
فصالح مرزبانها على ألف ألف درهم ثم بعث مرزبان مرو فصالح على ألف ألف ومائتى
ألف وأرسل اليه ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلى ثم بعث الاحنف بن قيس الى
طخارستان فصالح فى طريقه رستاقا على ثلثمائة ألف وعلى أن يدخل رجل يؤذن فيه
ويقيم حتى ينصرف ومر الى مرو الروذ وزحف اليه أهلها فهزمهم وحاصرهم وكان
مرزبانها من أقارب باذام صاحب اليمن فكتب الى الاحنف متوسلا بذلك فى الصلح
فصالحه على ستمائة ألف ثم اجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفارياب فى جمع عظيم

ولقيهم الاحنف فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزموا فقتلوا قتلا ذريعا ورجع الاحنف
الى مرو الروذ وبعث الاقرع بن حابس الى فلهم بالجوزجان فهزمهم وفتحها عنوة ثم
فتح الاحنف الطالقان صلحا والفارياب وقيل فتحها أمير بن أحمر ثم سار الاحنف الى بلخ
وهى مدينة طخارستان فصالحوه على أربعمائة ألف وقيل سبعمائة واستعمل عليها
أسيد بن المتشمس ثم سار الى خوارزم على نهر جيحون فامتنعت عليه فرجع الى بلخ وقد
استوفى أسيد قبض المال وكتبوا الى ابن عامر ولما سار مجاشع بن مسعود الى كرمان
كما ذكرناه وكانوا قد انتقضوا ففتح هميد عنوة وبنى بها قصرا ينسب اليه ثم سار الى
السيرجان وهى مدينة كرمان فحاصرها وفتحها عنوة وجلا كثيرا من أهلها ثم فتح
جيرفت عنوة ودوخ نواحى كرمان وأتى القفص وقد تجمع له من العجم من أهل الجلاء
وقاتلهم فظفر وركب كثير منهم البحر الى كرمان وسجستان ثم أنزل العرب فى
منازلهم وأراضيهم وسار الربيع بن زياد الحارثى بولاية ابن عامر كما قدمناه الى سجستان
فقطع المفازة من كرمان حتى أتى حصن زالق فأغار عليهم يوم المهرجان وأسر دهقانهم
فافتدى بما غمر عنزة قاعه من الذهب والفضة وصالحوه على صلح فارس وسار الى
زرنج ولقيه المشركون دونها فهزمهم وقتلهم وفتح حصونا عدة بينها وبينه ثم انتهى
اليها وقاتله أهلها فالجأهم وحاصرهم وبعث مرزبانها فى الامان ليحضر فأتته وجلس
له على شلو من أشلاء القتلى وارتفق بآخر وفعل أصحابه مثله فرعب المرزبان من ذلك
وصالح على ألف جام من الذهب يحملها ألف وصيف ودخل المسلمون المدينة ثم سار
منها الى وادى سناروذ فعبره الى القرية التى كان رستم الشديد يربط بها فرسه فقاتلهم
وظفر بهم وعاد الى زرنج وأقام بها سنة ثم سار بها الى ابن عامر واستخلف عليها عاملا
فأخرجوه وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصف سنة سبى فيها أربعين ألف رأس
وكان الحسن البصرى يكتب له ثم استعمل ابن عامر على سجستان عبد الرحمن بن سمرة
فسار اليها وحاصر زرنج حتى صالحوه على ألفى ألف درهم وألفى وصيف وغلب على
ما بينها وبين الكش من ناحية الهند وعلى ما بينها وبين الداذين من ناحية الرخج ولما
انتهى الى بلد الداذين حاصرهم فى جبل الزور حتى صالحوه ودخل على الزور وهو صنم
من ذهب عيناه ياقوتتان فأخذهما وقطع يده وقال للمرزبان دونك الذهب والجوهر
وانما قصدت انه لا يضر ولا ينفع ثم فتح كابل وزابلستان وهى بلاد غزنة فتحها صلحا
ثم عاد الى زرنج الى أن اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها أمير بن أحمر وانصرف
فأخرجه أهلها وانتقضوا ولما كان الفتح لابن عامر فى فارس وخراسان وكرمان
وسجستان قال له الناس لم يفتح لاحد ما فتح عليك فقال لا جرم لاجعلن شكرى لله على

ذلك ان أخرج محرما من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان استخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس فى أرض طخارستان ودوخها وامتنع عليه سنجار فافتتحها عنوة

(ولاية سعيد بن العاصى الكوفة)

كان عثمان لاول ولايته قد ولى على الكوفة الوليد بن عقبة استقدمه اليها من عمله بالجزيرة وعلى بنى تغلب ونحوهم من العرب فبقى على ولاية الكوفة خمس سنين وكان أبو زبيد الشاعر قد انقطع اليه من اخواله بنى تغلب ليد أسداها اليه وكان نصرانيا فأسلم على يده وكان يغشاه بالمدينة والكوفة وكان أبو زبيد يشرب الخمر فكان بعض السفهاء يتحدث بذلك فى الوليد لملازمته اياه ثم عدا الشباب من الازد بالكوفة على رجل من خزاعة فقتلوه ليلا فى بيته وشهد عليهم أبو شريح الخزاعى فقتلهم الوليد فيه بالقسامة وأقام آباؤهم للوليد على حقد وكانوا ممن يتحدثون فيه وجاؤا الى ابن مسعود بمثل ذلك فقال لا نتبع عورة من استتر عنا وتغيظ الوليد من هذه المقالة وعاتب ابن مسعود عليها ثم عمد أحد أولئك الرهط الى ساحر قد أتى به الوليد فاستفتى ابن مسعود فيه وأفتى بقتله وحبسه الوليد ثم أطلقه فغضبوا وخرجوا الى عثمان شاكين من الوليد وانه يشرب الخمر فاستقدمه عثمان وأحضره وقال رأيتموه يشرب قالوا لا وانما رأيناه يقيء الخمر فأمر سعيد بن العاصى بجلده وكان على حاضرا فقال انزعوا خميصته للجلد وقيل ان عليا أمر ابنه الحسن أن يجلده فأبى فجلده عبد الله بن جعفر ولما بلغ أربعين قال أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة ولما وقعت هذه الواقعة عزل عثمان الوليد عن الكوفة وولى مكانه سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية مات سعيد الاول كافرا وكان يكنى أحيحة وخالد ابنه عم سعيد الثانى ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعاء وكان يكتب له واستشهد يوم مرج الصفر ورُبى سعيد الثانى فى حجر عثمان فلما فتح الشام أقام مع معاوية ثم استقدمه عثمان وزوجه وأقام عنده حتى كان من رجال قريش فلما استعمله عثمان وذلك سنة ثلاثين سار الى الكوفة ومعه الاشتر وأبو خشة الغفارى وجندب بن عبد الله والصعب بن جثامة وكانوا شخصوا مع الوليد ليعينوه فصاروا عليه فلما وصل خطب الناس وحذرهم وتعرف الاحوال وكتب الى عثمان ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب الروادف والتابعة على أهل الشرف والسابقة فكتب اليه عثمان أن يفضل أهل السابقة ويجعل من جاء بعدهم تبعا ويعرف لكل منزلته ويعطيه حقه فجمع الناس وقرأ عليهم كتاب عثمان وقال أبلغونى حاجة ذى الحاجة وجعل القراء فى سمره

فلم ترض أهل الكوفة ذلك وفشت المقالة وكتب سعيد الى عثمان فجمع الناس واستشارهم فقالوا أصبت لا تطمع فى الامور من ليس لها باهل فتفسد فقال يا أهل المدينة انى أرى الفتن دبت اليكم وانى أرى أن أتخلص الذى لكم وأنقله اليكم من العراق فقالوا وكيف ذلك قال تبيعونه ممن شئتم بما لكم فى الحجاز واليمن ففعلوا ذلك واستخلصوا ما كان لهم بالعراق منهم طلحة ومروان والاشعث بن قيس ورجال من القبائل اشتروا ذلك بأموال كانت لهم بخيبر ومكة والطائف

(غزو طبرستان)

وفى هذه السنة غزا سعيد بن العاصى طبرستان ولم يغزها أحد قبله وقد تقدم ان الاصبهبذ صالح سويد بن مقرن عنها أيام عمر على مال فغزاها سعيد فى هذه السنة ومعه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وحذيفة بن اليمان فى غيرهم ووافق خروج ابن عامر من البصرة الى خراسان فنزل نيسابور ونزل سعيد قومس وهى صلح كان حذيفة صالحهم بعد نهاوند فأتى سعيد جرجان فصالحوه على مائتى ألف ثم أتى متاخمة جرجان على البحر فقاتله أهلها ثم سألوا الامان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا وفتحوا فقتلهم أجمعين الا رجلا وقتل معه محمد بن الحكم بن أبى عقيل جد يوسف بن عمرو وكان أهل جرجان يعطون الخراج تارة مائة ألف وأخرى مائتين وثلثمائة وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس إلا على خوف شديد وصار الطريق الى خراسان من فارس كما كان من قبل حتى ولى قتيبة بن مسلم خراسان وقدمها يزيد بن المهلب فصالح المرزبان وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد

(غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف)

وفى سنة ثلاثين هذه صرف حذيفة من غزو الرى الى غزو الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة وأقام له سعيد بن العاصى باذربيجان ردءا حتى عاد بعد مقتل عبد الرحمن كما مر فأخبره بما رأى من اختلاف أهل البلدان فى القرآن وان أهل حمص يقولون قراءتنا خير من قراءة غيرنا وأخذناها عن المقداد وأهل دمشق يقولون كذلك وأهل البصرة عن أبى موسى وأهل الكوفة عن ابن مسعود وأنكر ذلك واستعظمه وحذر من الاختلاف فى القرآن ووافقه من حضر من الصحابة والتابعين وأنكر عليه أصحاب ابن مسعود فأغلظ عليهم وخطأهم فأغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وافترق المجلس وسار حذيفة الى عثمان فأخبره وقال أنا النذير العريان فأدرك الامة فجمع عثمان الصحابة فرأوا ما رآه حذيفة فأرسل عثمان الى حفصة أن ابعثى الينا بالصحف ننسخها

وكانت هذه الصحف هى التى كتبت أيام أبى بكر فان القتل لما استحر فى القراء
يوم اليمامة قال عمر لأبى بكر أرى أن تأمر بجمع القرآن لئلا يذهب الكثير منه لفناء
القراء فأبى وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله ثم استبصر ورجع الى رأى
عمر وأمر زيد بن ثابت بجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال وكتب فى الصحف
فكانت عند أبى بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة وأرسل عثمان فأخذها وأمر زيد بن ثابت
وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن ينسخوها
فى المصاحف وقال اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش ففعلوا ونسخوا المصاحف
فبعث الى كل أفق بمصحف يعتمد عليه وحرق ماسوى ذلك الصحابة فى سائر الامصار ونكره
عبد الله بن مسعود فى الكوفة حتى نهاهم عن ذلك وحملهم عليه

(مقتل يزدجرد)

لما خرج ابن عامر من البصرة الى فارس فافتتحها هرب يزدجرد من جور وهى اردشير
خره فى سنة ثلاثين وبعث ابن عامر فى إثره مجاشع بن مسعود وقيل هرم بن حيان اليشكرى
وقيل العبسى فاتبعه الى كرمان فهرب الى خراسان وهلك الجند فى طريقهم بالثلج فلم
يسلم الا مجاشع ورجع معه وكان مهلكهم على خمسة فراسخ من السيرجان ولحق
يزدجرد بمرو ومعه خرزاذ أخو رستم فرجع عنه الى العراق ووصى به ماهويه
مرزبان مرو فسأله فى المال فمنعه وخافه على نفسه وعلى مرو واستجاش بالترك فبيتوه
وقتل أصحابه وهرب يزدجرد ماشيا الى شط المرغاب وآوى الى بيت رجل ينقر الارحاء
فلما نام قتله ورماه فى النهر وقيل انما بيته أهل مرو ولما جاؤا الى بيت الرجل أخذوه
وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله واستخرجوا يزدجرد من النهر وحملوه فى تابوت
الى اصطخر فدفن فى ناوس هنالك وقيل ان يزدجرد هرب من وقعة نهاوند الى أرض
اصبهان واستأذن عليه بعض رؤسائها وحجب فضرب البواب وشجه فرحل عن
اصبهان الى الرى وجاء صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده فلم يجبه ومضى من فوره
ذلك الى سجستان ثم الى مرو فى ألف فارس وقيل بل أقام بفارس أربع سنين ثم بكرمان
سنتين وطلبه دهقانها فى شئ فمنعه فطرده عن بلاده وأقام بسجستان خمس سنين ثم نزل
خراسان ونزل مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين وفرخزاذ وكاتب ملوك الصين
وفرغانة والخزر وكابل وكان دهقان مرو قد منعه الدخول خوفا من مكره ووكل ابنه
بحفظ الابواب فعمد يزدجرد يوما الى مرو ليدخلها فمنعه ابن الدهقان وأظهر عصيان
أبيه فى ذلك وقيل بل أراد يزدجرد أن يجعل ابن أخيه دهقانا عليها فعمل فى هلاكه
وكتب الى نيزك طرخان يستقدمه لقتل يزدجرد ومصالحة العرب عليه وأن يعطيه كل

يوم ألف درهم فكتب نيزك الى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وانه يقدم عليه
فيلقاه منفردا عن العسكر وعن فرخزاذ فأجابه الى ذلك بعد ان امتنع فرخزاذ واتهمه
يزدجرد فى امتناعه فتركه لشأنه بعد أن أخذ خطه برضاه بذلك وسار الى نيزك فاستقبله
بأشياء وجاء به الى عسكره ثم سأله أن يزوجه ابنته فأنف يزدجرد من ذلك وسبه فعلا
رأسه بالمقرعة فركض منهزما وقتل أصحابه وانتهى الى بيت طحان فمكث فيه ثلاثا
لم يطعم ثم عرض عليه الطعام فقال لا أطعم الا بالزمزمة فسأل من زمزم له حتى أكل
وبنى المزمزم بأمره الى بعض الاساورة فبعث الى الطحان بخنقه والقائه فى النهر فأبى
من ذلك وجحده فدل عليه ملبسه وعرف المسك فيه فأخذوا ما عليه وخنقوه وألقوه
فى الماء فجعله أسقف مرو فى تابوت ودفنه وقيل بل سار يزدجرد من كرمان قبل وصول
العرب اليها الى مرو فى أربعة آلاف على الطبسين وقهستان ولقيه قبل مرو قائدان
من الفرس متعادين فسعى أحدهما فى الآخر ووافقه يزدجرد فى قتله ونمى الخبر اليه
فبيت يزدجرد وعدوه فهرب الى رحى على فرسخين من مرو وطلب منه الطحان شيئا
فأعطاه منطقته فقال انما أحتاج أربعة دراهم فقال ليست معى ثم قام فقتله الطحان
وألقى شلوه فى الماء وبلغ خبر قتله الى المطران بمرو فجمع النصارى ووعظهم عليه من
فوق سلفه فدفنوه وبنوا له ناووسا وأقاموا له مأتما بعد عشرين سنة من ملكه
ستة عشر منها فى محاربة العرب وانقرض ملك الساسانية بموته ويقال ان قتيبة حين
فتح الصغد وجد جاريتين من ولد المخدج ابنه كان قد وطئ أمه بمرو فولدت هذا الغلام بعد
موته ذاهب الشق فسمى المخدج وولد له أولاد بخراسان ووجد قتيبة هاتين الجاريتين
من ولده فبعث بهما الى الحجاج وبعث بهما الى الوليد أو باحداهما فولدت له يزيد
الناقص

(ظهور الترك بالثغور)

كان الترك والخزر يعتقدون ان المسلمين لا يقتلون لما رأوا من شدتهم وظهورهم فى
غزواتهم حتى اكمنوا لهم فى بعض الغياض فقتلوا بعضهم فتجاسروا على حربهم وكان
عبد الرحمن بن ربيعة على ثغور ارمينية الى الباب واستخلف عليها سراقة بن عمرو وأقره
عمر وكان كثير الغزو فى بلاد الخزر وكثيرا ما كان يغزو بلنجر وكان عثمان قد نهاه عن
ذلك فلم يرجع فغزاهم سنة ثنتين وثلاثين وجاء الترك لمظاهرتهم وتذامروا فاشتدت
الحرب بينهم وقتل عبد الرحمن كما مر وافترقوا فرقتين فرقة سارت نحو الباب لقوا سلمان
ابن ربيعة قد بعثه سعيد بن العاص من الكوفة مددا للمسلمين بأمر عثمان فساروا
معه وفرقة سلكوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسى وأبو هريرة ثم استعمل

سعيد بن العاصى على الباب سلمان بن ربيعة مكان أخيه وبعث معه جندا من أهل الكوفة عليهم حذيفة بن اليمان وأمدهم عثمان بحبيب بن مسلمة فى جند الشام وسلمان أمير على الجميع ونازعه حبيب الامارة فوقع الخلاف ثم غزا حذيفة بعد ذلك ثلاث غزوات آخرها عند مقتل عثمان وخرجت جموع الترك سنة ثنتين وثلاثين من ناحية خراسان فى أربعين ألفا عليهم قارن من ملوكهم فانتهى الى الطبسين واجتمع له أهل بادغيس وهراة وقهستان وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم السلمى استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه الى مكة محرما فدوّخ جهتها وكان معه ابن عمه عبد الله بن حازم فقال لابن عامر اكتب لى على خراسان عهدا اذا خرج منها قيس ففعل فلما أقبلت جموع الترك قال قيس لابن حازم ماترى قال أرى أن تخرج عن البلاد فان عهد ابن عامر عندى بولايتها فترك منازعته وذهب الى ابن عامر وقيل أشار عليه أن يخرج الى ابن عامر يستمده فلما خرج أظهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس وسار ابن حازم للقاء الترك فى أربعة آلاف ولما التقى الناس أمر جيشه بايقاد النار فى اطراف رحالهم فهاج العدو على دهش وغشيهم ابن حازم بالناس متتابعين فانهزموا وأثخن المسلمون فيهم بالقتل والسبى وكتب ابن حازم بالفتح الى ابن عامر فأقره على خراسان فلم يزل واليا عليها الى حرب الجمل فأقبل الى البصرة وبقى أهل البصرة بعد غزوة ابن حازم هذه حتى غزوا المنتقضين من أهلها وعادوا وجهزوا كتيبة من أربعة آلاف فارس هنالك

(بدء الانتقاض على عثمان رضى الله عنه)

لما استكمل الفتح واستكمل للملة الملك ونزل العرب بالامصار فى حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر وكان المختصون بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديه وآدابه المهاجرين والانصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم وأما سائر العرب من بنى بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والازد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان الا قليلا منهم وكان لهم فى الفتوحات قدم فكانوا يرون ذلك لانفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم وما كانوا فيه من الذهول والدهش لأمر النبوة وتردد الوحى وتنزل الملائكة فلما انحسر ذلك العباب وتنوسى الحال بعض الشئ وذل العدو واستفحل الملك كانت عروق الجاهلية تنفض ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والانصار من قريش وسواهم فأنفت نفوسهم منه ووافق أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن فى ولاته بالامصار والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات والاستبطاء عليهم فى الطاعات والتجنى بسؤال الاستبدال منهم والعزل

ويفيضون فى النكير على عثمان وفشت المقالة فى ذلك من أتباعهم وتنادوا بالظلم من الامراء فى جهاتهم وانتهت الاخبار بذلك الى الصحابة بالمدينة فارتابوا لها وأفاضوا فى عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه وبعث الى الامصار من يأتيه بصحيح الخبر محمد بن مسلمة الى الكوفة واسامة بن زيد الى البصرة وعبد الله بن عمر الى الشام وعمار بن ياسر الى مصر وغيرهم الى سوى هذه فرجعوا اليه فقالوا ما انكرنا شيئا ولا أنكره أعيان المسلمين ولا عوامهم الا عمارا فانه استماله قوم من الاشرار انقطعوا اليه منهم عبد الله بن سبأ ويعرف بابن السوداء كان يهوديا وهاجر أيام عثمان فلم يحسن اسلامه وأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلحق بمصر وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو فى السر لاهل البيت ويقول ان محمدا يرجع كما يرجع عيسى وعنه أخذ ذلك أهل الرجعة وان عليا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يجز وصيته وان عثمان أخذ الامر بغير حق ويحرض الناس على القيام فى ذلك والطعن على الامراء فاستمال الناس بذلك فى الامصار وكاتب به بعضهم بعضا وكان معه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فثبطوا عمارا عن المسير الى المدينة (وكان مما أنكروه على عثمان) اخراج أبى ذر من الشام ومن المدينة الى الربذة وكان الذى دعا الى ذلك شدة الورع من ابى ذر وحمله الناس على شدائد الامور والزهد فى الدنيا وانه لا ينبغى لاحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه ويأخذ بالظاهر فى ذم الادخار بكنز الذهب والفضة وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب قوله المال مال الله ويوهم ان فى ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين حتى عتب أبوذر معاوية فاستعتب له وقال سأقول مال المسلمين وأتى ابن سبأ الى أبى الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك فدفعوه وجاء به عبادة الى معاوية وقال هذا الذى بعث عليك أباذر (ولما) كثر ذلك على معاوية شكاه الى عثمان فاستقدمه وقال له ما لاهل الشام يشكون منك فأخبره فقال يا أباذر لا يمكن حمل الناس على الزهد وانما على أن أقضى بينهم بحكم الله وارغبهم فى الاقتصاد فقال أبوذر لا نرضى من الاغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا للجيران والاخوان ويصلوا القرابة فقال له كعب الاحبار من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه أبوذر فشجه وقال يا ابن اليهودية ما أنت وهذا فاستوهب عثمان من كعب شجته فوهبه ثم استأذن أبوذر عثمان فى الخروج من المدينة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى بالخروج منها اذا بلغ البناء سلعا فأذن له ونزل الربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا وكان يتعاهد المدينة فعدّ أولئك الرهط خروج أبى ذر فيما ينقمونه على عثمان مع ما كان من أعطاء مروان خمس مغانم افريقية

والصحيح انه اشتراه بخمسمائة ألف فوضعها عنه (ومما نقموا عليه أيضا) زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة واتمامه الصلاة في منى وعرفة مع أن الامر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده كان على القصر (ولما) سأله عبد الرحمن واحتج عليه بذلك قال له بلغنى ان بعض حاج اليمن والجفاة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتى وقد اتخذت بمكة اهلا ولى بالطائف مال فلم يقبل ذلك عبد الرحمن فقال زوجتك بمكة انما تسكن بسكناك ولو خرجت خرجت ومالك بالطائف على اكثر من مسافة القصر (وأما حاج اليمن) فقد شهدوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده وقد كان الاسلام ضرب بجرانه فقال عثمان هذا رأى رأيته فمن الصحابة من تبعه على ذلك ومنهم من خالفه (ومما عدوا عليه) سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يده فى بئر أريس على ميلين من المدينة فلم يوجد (واما الحوادث) التى وقعت فى الامصار فمنها قصة الوليد بن عقبة وقد تقدم ذكرها وانه عزله على شرب الخمر واستبدله بسعيد بن العاصى منه وكان وجوه الناس وأهل القادسية يسمرون عنده مثل مالك بن كعب الارحبى والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس من النخع وثابت بن قيس الهمدانى وجندب ابن زهير الغامدى وجندب بن كعب الازدى وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعى وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد وابن الكواء وكميل بن زياد وعمير بن ضابئ وطليحة بن خويلد وكانوا يفيضون فى أيام الوقائع وفى أنساب الناس وأخبارهم وربما ينتهون الى الملاحاة ويخرجون منها الى المشاتمة والمقاتلة ويعذلهم فى ذلك حجاب سعيد بن العاصى فينهرونهم ويضربونهم وقد قيل ان سعيدا قال يوما انما هذا السواد بستان قريش فقال له الاشتر السواد الذى أفاءه الله علينا بأسيافنا تزعم انه بستان لك ولقومك وخاض القوم فى ذلك فأغلظ لهم عبد الرحمن الاسدى صاحب شرطته فوثبوا عليه وضربوه حتى غشى عليه فمنع سعيد بعدها السمر عنده فاجتمعوا فى مجالسهم يثلبون سعيدا وعثمان والسفهاء يغشونهم فكتب سعيد وأهل الكوفة الى عثمان فى اخراجهم فكتب أن يلحقوهم بمعاوية وكتب الى معاوية ان نفرا خلقوا للفتنة فقم عليهم وانههم وان آنست منهم رشدا فاقبل وان أعيوك فارددهم على فأنزلهم معاوية وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق وأقاموا عنده يحضرون مائدته ثم قال لهم يوما أنتم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتم مواريثهم وقد بلغنى انكم نقمتم قريشا ولو لم تكن قريش كنتم أذلة اذ أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا على جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحملون عنكم المؤنة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ولا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على

الرعية فى حياتكم وبعد وفاتكم فقال له صعصعة منهم أما ما ذكرت من قريش فانها لم تكن أكثر الناس ولا أمنعها فى الجاهلية فتخوفنا وأما ما ذكرت من الجنة فان الجنة اذا اخترمت خلص الينا فقال معاوية الآن عرفتكم وعلمت ان الذى أغراكم على هذا قلة العقول وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الاسلام وتذكرنى الجاهلية أخزى الله قوما عظموا أمركم افقهوا عنى ولا أظنكم تفقهون ثم ذكر شأن قريش وان عزها انما كان بالله فى الجاهلية والاسلام ولم يكن بكثرة ولا شدة وكانوا على أكرم أحساب وأكمل مروءة وبوأهم الله حرمه فأمنوا فيه مما أصاب العرب والعجم والاسود والاحمر فى بلادهم ثم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وان الله ارتضى له أصحابا كان خيارهم قريشا فبنى الملك عليهم وجعل الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك الا بهم ثم قرعهم ووبخهم وهددهم ثم أحضرهم بعد أيام وقال اذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم احدا ولا يضره وان أردتم النجاة فالزموا الجماعة ولا تبطرنكم النعمة وسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم وكتب الى عثمان انه قدم على اقوام ليست لهم عقول ولا أديان أبطرهم العدل انما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة والله مبتليهم ثم فاضحهم وليسوا بالذين ينكون أحدا الا مع غيرهم فانه سعيدا ومن عنده عنهم فخرجوا من عنده قاصدين الجزيرة ومروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص فأحضرهم وقال يا ألة الشيطان ٣ لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد فى نشاط خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يا معشر من لا أدرى أعرب هم أم عجم ثم مضى فى توبيخهم على ما فعلوا وما قالوا لسعيد ومعاوية فهابوا سطوته وطفقوا يقولون نتوب الى الله أقلنا أقالك الله حتى قال تاب الله عليكم وسرح الاشتر الى عثمان تائبا فقال له عثمان أحلك حيث تشاء فقال مع عبد الرحمن بن خالد قال ذاك اليك فرجع اليهم وقيل انهم عادوا الى معاوية من القابلة ودار بينهم وبينه القول وأغلظوا له وأغلظ عليهم وكتب الى عثمان فأمر أن يردهم الى سعيد فردهم فأطلقوا ألسنتهم وضج سعيد منهم وكتب الى عثمان فكتب اليه أن يسيرهم الى عبد الرحمن بن خالد فدار بينهم وبينه ما قدمناه * وحدث بالبصرة مثل ذلك من الطعن وكان بدؤه فيما يقال شأن عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء هاجر الى الاسلام من اليهودية ونزل على حكيم بن جبلة العبدى وكان يتشيع لاهل البيت ففشت مقالته بالطعن وبلغ ذلك حكيم بن جبلة فأخرجه وأتى الكوفة فأخرج أيضا واستقر بمصر وأقام يكاتب أصحابه بالبصرة ويكاتبونه والمقالات تفشو بالطعن والنكير على الامراء وكان حمران بن أبان أيضا يحقد لعثمان انه ضربه على زواجه امرأة فى العدة وسيره الى البصرة فلزم ابن عامر وكان بالبصرة عامر بن عبد القيس

٣ الألة بتشديد اللام الحربة اه

وكان زاهدا متقشفا فأغرى به حمران صاحب ابن عامر فلم يقبل سعايته ثم أذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس انه لايرى التزويج ولايأكل اللحم ولايشهد الجمعة فألحقه عثمان بمعاوية وأقام عنده حتى تبينت براءته وعرف فضله وحقه وقال ارجع الى صاحبك فقال لاأرجع الى بلد استحل أهله منى ما استحلوا وأقام بالشام كثير العبادة والانفراد بالسواحل الى أن هلك (ولما) فشت المقالات بالطعن والارجاف على الامراء اعتزم سعيد بن العاصى على الوفادة على عثمان سنة أربع وثلاثين وكان قبلها قد ولى على الاعمال امراء من قبله فولى الاشعث بن قيس على اذربيجان وسعيد بن قيس على الرى والنسير العجلى على همذان والسائب بن الاقرع على اصبهان ومالك بن حبيب على ماه وحكيم بن سلامة على الموصل وجرير بن عبد الله على قرقيسيا وسلمان بن ربيعة على الباب وجعل على حلوان عتيبة بن النهاس وعلى الحرب القعقاع بن عمرو فخرجوا الاعمالهم وخرج هو وافدا على عثمان واستخلف عمرو بن حريث وخلت الكوفة من الرؤساء وأظهر الطاعنون أمرهم وخرج بهم يزيد ابن قيس يريد خلع عثمان فبادره القعقاع بن عمرو فقال له انما نستعفى من سعيد وكتب يزيد الى الرهط الذين عند عبد الرحمن بن خالد بحمص فى القدوم فساروا اليه وسبقهم الاشتر ووقف على باب المسجد يوم الجمعة يقول جئتكم من عند عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم وردّ أولى البلاء منكم الى ألفين ويزعم ان فيئكم بستان قريش ثم استخف الناس ونادى يزيد فى الناس من شاء أن يلحق بيزيد لردّ سعيد فليفعل فخرجوا وذووا الرأى يعذلونهم فلا يسمعون وأقام اشراف الناس وعقلاؤهم مع عمرو بن حريث ونزل يزيد وأصحابه الجزعة قريبا من القادسية لاعتراض سعيد وردّه فلما وصل قالوا ارجع فلا حاجة لنا بك قال انما كان يكفيكم ان تبعثوا واحدا الىّ والى عثمان رجلا وقال مولى له ما كان ينبغى لسعيد أن يرجع فقتله الاشتر ورجع سعيد الى عثمان فأخبره بخبر القوم وانهم يختارون أبا موسى الاشعرى فولاه الكوفة وكتب اليهم أما بعد فقد أمّرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لاقرضنكم عرضى ولابذلنكم صبرى ولاستصلحنكم بجهدى (وخطب) أبو موسى الناس وأمرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فرضوا ورجع الامراء من قرب الكوفة واستمرّ أبو موسى على عمله (وقيل) انّ أهل الكوفة أجمع رأيهم أن يبعثوا الى عثمان ويعذلوه فيما نقم عليه فأجمع رأيهم على عامر بن عبد القيس الزاهد وهو عامر بن عبد الله من بنى تميم ثم من بنى العنبر فأتاه وقال له انّ ناسا اجتمعوا ونظروا فى أعمالك فوجدوك ركبت أمورا عظاما فاتق الله وتب اليه فقال عثمان

ألا تسمعون الى هذا الذى يزعم الناس انه قارئ ثم يجىء يكلمنى فى المحقرات ووالله لايدرى أين الله فقال عامر بل والله انى لادرى إنّ الله لبالمرصاد فأرسل عثمان الى معاوية وعبد الله بن أبى سرح وسعيد بن العاصى وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاصى وكانوا بطانته دون الناس فجمعهم وشاورهم وقال انكم وزرائى ونصحائى وأهل ثقتى وقد صنع الناس ما رأيتم فطلبوا ان أعزل عمالى وأرجع الى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم فقال ابن عامر أرى أن تشغلهم بالجهاد وقال سعيد متى تهلك قادتهم يتفرقوا وقال معاوية اجعل كفالتهم الى أمرائهم وأنا أكفيك الشام وقال عبد الله استصلحهم بالمال فردّهم عثمان الى أعمالهم وأمرهم بتجهيز الناس فى البعوث ليكون لهم فيها شغل وردّ سعيدا الى الكوفة فلقيه الناس بالجزعة وردوه كما ذكرناه وولى أبا موسى وأمر عثمان حذيفة بغزو الباب فسار نحوه (ولما كثر) هذا الطعن فى الامصار وتواتر بالمدينة وكثر الكلام فى عثمان والطعن عليه وكان له منهم شيعة يذبون عنه مثل زيد بن ثابت وأبى اسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فلم يغنوا عنه واجتمع الناس الى على بن أبى طالب وكلموه وعددوا عليه مانقموه فدخل على عثمان وذكر له شأن الناس وما نقموا عليه وذكره بافعال عمر وشدّته ولينه هو لعماله وعرض عليه ما يخاف من عواقب ذلك فى الدنيا والآخرة فقال له انّ المغيرة بن شعبة ولينا ه عمر ولاه ومعاوية كذلك وابن عامر تعرفون رحمه وقرابته فقال له علىّ انّ عمر كان يطأ على صماخ من ولاه وأنت ترفق بهم وكانوا أخوف لعمر من غلامه يرفأ ومعاوية يستبدّ عليك ويقول هذا أمر عثمان فلا تغير عليه ثم تكالما طويلا وافترقا وخرج عثمان على اثر ذلك وخطب وعرض بما هو فيه من الناس وطعنهم وما يريدون منه وانهم تجرؤا عليه لرفقه بما لم يتجرؤا بمثله على ابن الخطاب ووافقهم برجوعه فى شأنه الى ما يقدمهم

(حصار عثمان ومقتله رضى الله عنه وأثابه ورفع درجته)

ولما كثرت الاشاعة فى الامصار بالطعن على عثمان وعماله وكتب بعضهم الى بعض فى ذلك وتوالت الاخبار بذلك على أهل المدينة جاؤا الى عثمان وأخبروه فلم يجدوا عنده علما منه وقال أشيروا علىّ وأنتم شهود المؤمنين قالوا تبعث من تثق به الى الامصار يأتوك بالخبر فأرسل محمد بن مسلمة الى الكوفة واسامة بن زيد الى البصرة وعبد الله ابن عمر الى الشام وغيرهم الى سواها فرجعوا وقالوا ما أنكرنا شيئا ولا انكره علماء المسلمين ولا عوامهم وتأخر عمار بن ياسر بمصر واستماله ابن السوداء وأصحابه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر وكتب عثمان الى أهل الامصار انى قد رفع الىّ

أهل المدينة ان عمالى وقع منهم اضرار بالناس وقد أخذتهم بأن يوافونى فى كل موسم فمن كان له حق فليحضر يأخذ بحقه منى أو من عمالى أو تصدقوا فان الله يجزى المتصدقين فبكى الناس عند قراءة كتابه عليهم ودعوا له وبعث الى عمال الامصار فقدموا عليه فى الموسم عبد الله بن عامر وابن أبى سرح ومعاوية وأدخل معهم سعيد بن العاصى وعمرا وقال ويحكم ما هذه الشكاية والاذاعة وانى لأخشى والله أن يكونوا صادقين فقالوا له ألم يخبرك رسلك بأن أحدا لم يشافههم بشئ وانما هذه اشاعة لا يحل الاخذ بها واختلفوا فى وجه الرأى فى ذلك فقال عثمان ان الامر كائن وبابه سيفتح ولا احب أن تكون لأحد على حجة فى فتحه وقد علم الله انى لم آل الناس خيرا فسكتوا الناس وبينوا لهم حقوقهم ثم قدم المدينة فدعا عليا وطلحة والزبير ومعاوية حاضر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنتم ولاة هذا الامر واخترتم صاحبكم يعنى عثمان وقد كبر وأشرف وفشت مقالة خفتها عليكم فما عبتم فيه من شئ فأنا الكم به ولا تطمعوا الناس فى أمركم فانتهره على ثم ذهب عثمان يتكلم وقال اللذان كانا قبلى منعا قرابتهما احتسابا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وان قرابتى أهل عيلة وقلة معاش فأعطيتهم فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فقالوا أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفا ومروان خمسة عشر ألفا قال آخذ ذلك منهما فانصرفوا راضين وقال له معاوية اخرج معى الى الشام قبل أن يهجم عليك ما لا تطيقه قال لا أبتغى بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلا قال فأبعث اليك جندا يقيمون معك قال لا أضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية لتغتالن ولتعزين قال حسبى الله ونعم الوكيل ثم سار معاوية ومر على على وطلحة والزبير فوصاهم بعثمان وودعهم ومضى وكان المنحرفون عن عثمان بالامصار قد تواعدوا عند مسير الامراء الى عثمان أن يثبوا عليه فى مغيبهم فرجع الامراء ولم يتهيأ لهم ذلك وجاءتهم كتب من المدينة ممن صار الى مذهبهم فى الانحراف عن عثمان أن اقدموا علينا فان الجهاد عندنا فتكاتبوا من امصارهم فى القدوم الى المدينة فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوى فى خمسمائة وقيل فى ألف وفيهم كنانة بن بشر الليثى وسودان بن حمران السكونى وميسرة أو قتيرة بن فلان السكونى وعليهم جميعا الغافقى بن حرب العكى وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدى والاشتر النخعى وزياد بن النضر الحارثى وعبد الله بن الاصم العامرى وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدى وذريح بن عباد وبشر بن شريح القيسى وابن المحرش وعليهم حرقوص بن زهير السعدى وكلهم فى مثل عدد أهل مصر وخرجوا جميعا فى شوال مظهرين للحج ولما كانوا من المدينة على ثلاث

مراحل تقدم ناس من أهل البصرة وكان هواهم فى طلحة فنزلوا ذا خشب وتقدم ناس من أهل الكوفة وكان هواهم فى الزبير فنزلوا الاعوص ونزل معهم ناس من أهل مصر وكان هواهم فى على وتركوا عامتهم بذى المروة وقال زياد بن النضر وعبد الله بن الاصم من أهل الكوفة لا تعجلوا حتى ندخل المدينة فقد بلغنا انهم عسكروا النا فوالله ان كان حقا لا يقوم لنا أمر ثم دخلوا المدينة ولقوا عليا وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين وأخبروهم انهم انما أتوا للحج وأن يستعفوا من بعض العمال واستأذنوا فى الدخول فمنعوهم ورجعوا الى أصحابهم وتشاوروا فى أن يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريق الى أصحابهم كيادا وطلبا فى الفرقة فأتى المصريون عليا وهو فى عسكر عند احجار الزيت وقد بعث ابنه الحسن الى عثمان فيمن اجتمع عليه فعرضوا عليه أمرهم فصاح بهم وطردهم وقال ان جيش ذى المروة وذى خشب والاعوص ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم ذلك الصالحون وأتى البصريون طلحة والكوفيون الزبير فقالا مثل ذلك فانصرفوا وافترقوا عن هذه الاماكن الى عسكرهم على بعد فتفرق أهل المدينة فلم يشعروا الا والتكبير فى نواحيها وقد هجموا وأحاطوا بعثمان ونادوا بأمان من كف يده وصلى عثمان بالناس أياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه وغدا عليهم على فقال ما ردكم بعد ذهابكم قالوا أخذنا كتابا مع بريد بقتلنا وقال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل مقالة أهل مصر وانهم جاؤا لينصروهم فقال لهم على كيف علمتم بما لقى أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعا هذا أمر أبرم بليل فقالوا اجعلوه كيف شئتم لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا وهم يصلون خلفه ومنعوا الناس من الاجتماع معه وكتب عثمان الى الامصار يستحثهم فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى وبعث عبد الله بن أبى سرح معاوية بن حديج وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وتسابقوا الى المدينة على الصعب والذلول وقام بالكوفة نفر يحضون على اعانة أهل المدينة فمن الصحابة عقبة بن عامر وعبد الله بن أبى أوفى وحنظلة الكاتب ومن التابعين مسروق الاسود وشريح وعبد الله بن حكيم وقام بالبصرة فى ذلك عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر ومن التابعين كعب بن سور وهرم بن حيان وقام بالشام وبمصر جماعة أخرى من الصحابة والتابعين ثم خطب عثمان فى الجمعة القابلة وقال يا هؤلاء الله الله فوالله ان أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد فامحوا الخطايا بالصواب فقال محمد بن مسلمة أنا أشهد بذلك فأقعده حكيم بن جبلة وقام زيد بن ثابت فأقعده آخر وحصبوا الناس حتى اخرجوهم من المسجد وأصيب عثمان بالحصباء فصرع وقاتل

دونه سعد بن أبي وقاص والحسين وزيد بن ثابت وأبو هريرة ودخل عثمان بيته وعزم عليهم في الانصراف فانصرفوا ودخل علي وطلحة والزبير على عثمان يعودونه وعنده نفر من بني أمية فيهم مروان فقالوا لعلي أهلكتنا وصنعت هذا الصنع والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا فقام مغضبا وعادوا الى منازلهم وصلى عثمان بالناس وهو محصور ثلاثين يوما ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أمير المصريين الغافقي بن حرب العكي وتفرق أهل المدينة في بيوتهم وحيطانهم ملازمين للسلاح وبقي الحصار أربعين يوما وقيل بل أمر عثمان أبا أيوب الانصاري فصلى اياما ثم صلى علي بعده بالناس وقيل أمر علي سهل بن حنيف فصلى عشر ذي الحجة ثم صلى العيد والصلوات حتى قتل عثمان وقد قيل في حصار عثمان ان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان فلما خرج المصريون في رجب مظهرين للحج ومضمرين قتل عثمان أو خلعه وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي كان فيمن خرج مع المصريين محمد بن أبي بكر وبعث عبد الله بن سعد في آثارهم وأقام محمد بن حذيفة بمصر فلما كان ابن أبي سرح بأيلة بلغه ان المصريين رجعوا الى عثمان فحصروه وان محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر فرجع سريعا اليها فامتنع منها فأتى فلسطين وأقام بها حتى قتل عثمان وأما المصريون فلما نزلوا ذا خشب جاء عثمان الى بيت علي ومت اليه بالقرابة في أن يركب اليهم ويردهم لئلا تظهر الجراءة منهم فقال له علي قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني يعني مروان ومعاوية وابن عامر وابن أبي سرح وسعيدا فعلى أي شيء أردهم فقال على أن أصير الى ما تراه وتشير به وان أعصي أصحابي وأطيعك فركب علي في ثلاثين من المهاجرين والانصار فيهم سعيد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان ابن الحكم وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن بن عتاب ومن الانصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان وكعب بن مالك ومن العرب نيار بن مكرز فأتوا المصريين وتولى الكلام معهم علي ومحمد بن مسلمة فرجعوا الى مصر وقال ابن عديس لمحمد أتوصينا بحاجة قال تتقي الله وترد من قبلك عن امامهم فقد وعدنا أن يرجع وينزع ورجع القوم الى المدينة ودخل علي على عثمان وأخبره برجوع المصريين ثم جاء مروان من الغد فقال له أخبر الناس بان أهل مصر قد رجعوا وان ما بلغهم عنك كان باطلا قبل أن تجيء الناس من الامصار ويأتيك ما لا تطيقه ففعل فلما خطب ناداه الناس من كل ناحية اتق الله يا عثمان وتب الى الله وكان أولهم عمرو بن العاصي فرفع يديه وقال لهم اني تائب وخرج عمرو بن العاصي الى منزله بفلسطين ثم جاء الخبر بحصاره وقتله وقيل ان عليا لما رجع عن المصريين أشار على عثمان أن يسمع الناس

ما اعتزم عليه من النزع قبل أن يجيء غيرهم ففعل وخطب بذلك وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال أنا أول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فليأت اشرافكم يروني رأيهم فوالله ان ردني الحق عبدا لاستن بسنة العبد ولأذلن ذل العبد وما عن الله مذهب الا اليه فوالله لاعطينكم الرضى ولأحتجبن عنكم ثم بكى وبكى الناس ودخل منزله فجاءه نفر من بني أمية يعذلونه في ذلك فوبختهم نائلة بنت الفرافصة فلم يرجعوا اليها وعابوه فيما فعل واستذلوه في اقراره بالخطبة والتوبة عند الخوف واجتمع الناس بالباب وقد ركب بعضهم بعضا فقال لمروان كلمهم فأغلظ لهم في القول وقال جئتم لنزع ملكنا من أيدينا والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا وبلغ الخبر عليا فنكر ذلك وقال لعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث أسمعت خطبته بالامس ومقالة مروان للناس اليوم يا لله وللناس ان قعدت في بيتي قال تركتني وقرابتي وحقي وان تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان ويسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول وقام مغضبا الى عثمان واستقبح مقالة مروان وأنبه عليها وقال ما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتكم فقد أذهبت شرفك وغلبت على رأيك ثم دخلت عليه امرأته نائلة وقد سمعت قول علي فعذلته في طاعة مروان وأشارت عليه باستصلاح علي فبعث اليه فلم يأته فأتاه عثمان الى منزله ليلا يستلينه ويعده الثبات على رأيه معه فقال بعد ان قام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذيهم فخرج عثمان وهو يقول خذلتني وجرأت الناس فقال علي والله اني أكثر الناس ذبا عنك ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضى جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي ثم منع عثمان الماء فغضب علي غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان وقيل ان عليا كان عند حصار عثمان بخيبر فقدم والناس مجتمعون عند طلحة فجاء عثمان وقال يا علي ان لي حق الاخاء والقرابة والصهر ولو كان أمر الجاهلية فقط كان عارا على بني عبد مناف أن تنزع تيم أمرهم فجاء علي الى طلحة وقال ما هذا فقال طلحة ابعد ما مس الحزام الطبيين يا أبا حسن فانصرف علي الى بيت المال واعطى الناس فبقي طلحة وحده وسر بذلك عثمان وجاء اليه طلحة فقال له والله ما جئت تائبا ولكن مغلوبا فالله حسيبك يا طلحة وقيل ان المصريين لما رجعوا خرج اليهم محمد بن مسلمة فأعطوه صحيفة قالوا وجدناها عند غلام عثمان بالبويب وهو على بعير من ابل الصدقة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البياع وحبسهم وحلق رؤسهم ولحاهم وصلب بعضهم وقيل وجدت الصحيفة بيد أبي الاعور السلمي فعاد المصريون وعاد معهم الكوفيون

والبصريون وقالوا لمحمد بن مسلمة حين سألهم قد كلمنا عليا وسعد بن أبي وقاص وسعيد
ابن زيد فوعدونا أن يكلموه فليحضر على معنا عند عثمان ثم دخل على ومحمد على عثمان
وأخبروه بقول أهل مصر فحلف ما كتب ولا علم وقال محمد صدق هذا من عمل مروان
ودخل المصريون فشكى ابن عديس بابن أبي سرح وما أحدثه بمصر وانه ينسب ذلك الى
كتاب عثمان وانا جئنا من مصر لقتلك فردنا على ومحمد وضمنا لنا النزوع عن هذا كله
فرجعنا ولقينا هذا الكتاب وفيه أمرك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس
وهو بيد غلامك وعليه خاتمك فحلف عثمان ما كتب ولا أمر ولا علم قالوا فكيف يجترأ
عليك بمثل هذا فقد استحقيت الخلع على التقديرين ولا يحل أن يولى الامور من ينتهى
الى هذا الضعف فاخلع نفسك فقال لا أنزع ما ألبسني الله ولكن أتوب وأرجع قال
رأيناك تتوب وتعود فلا بد من خلعك أو قتلك وقتال أصحابك دون ذلك أن يخلص
اليك أو تموت فقال لا ينالكم أحد بأذى ولو أردت ذلك لاستجشت بأهل الامصار ثم
كثر اللغط وأخرجوا ومضى على الى منزله وحصر المصريون عثمان وكتب الى معاوية
وابن عامر يستحثهم وقام يزيد بن أسد القسرى فاستنفر أهل الشام وسار الى عثمان
وبلغهم قتله بوادى القرى فرجعوا وقيل سار من الشام حبيب بن مسلمة ومن البصرة
مجاشع بن مسعود فبلغهم قتله بالربذة فرجعوا وكانت بطانة عثمان أشاروا عليه أن
يبعث الى على فى كفهم عنه على الوفاء لهم فبعث اليه فى ذلك فأجاب بعد توقف ثم بعث
اليهم فقالوا لابد لنا أن نتوثق منه وجاء فأعلمه وتوثق منه على أجل ثلاثة أيام وكتب بينهم
كتابا على رد المظالم وعزل من كرهوه من العمال ثم مضى الاجل وهو مستعد ولم يغير شيئا
فجاء المصريون من ذى خشب يستنجدون عهدهم فأبى فحصروه وأرسل الى على وطلحة
والزبير وأشرف عليهم فحياهم ودعا لهم ثم قال أنشدكم الله تعالى هل تعلمون انكم دعوتم
الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون انه لم يستجب لكم
أو تقولون ان الله لم يبال بمن ولى هذا الدين أم تقولون ان الامة ولوا مكابرة وعن غير
مشورة فوكلهم الى أمرهم أو لم يعلم عاقبة أمرى ثم أنشدكم الله هل تعلمون لى من السوابق
ما يجب حقه فهلا فلا يحل الا قتل ثلاثة زان بعد احصان وكافر بعد ايمان وقاتل بغير
حق ثم اذا قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ثم لا يرفع الله عنكم الاختلاف فقالوا له
ما ذكرت من الاستخارة بعد عمر فكل ما صنع الله تعالى فيه الخيرة ولكن الله ابتلى بك عباده
وأما حقك وسابقتك فصحيح لكن أحدثت ما علمت ولا نترك اقامة الحق مخافة الفتنة عاما
قابلا وأما حصر القتل فى الثلاثة ففى كتاب الله قتل من سعى فى الارض فسادا ومن
قاتل على البغى وعلى منع الحق والمكابرة عليه وأنت انما تمسكت بالامارة علينا وانما

قاتل

قاتل دونك هؤلاء لهذه التسمية فلو نزعتها انصرفوا فسكت عثمان ولزم الدار وأقسم
على الناس بالانصراف فانصرفوا الا الحسن بن على ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير
وكانت مدة انحصاره أربعين يوما ولثمان عشرة منها وصل الخبر بمسير الجنود من
الامصار فاشتد الانحصار ومنعوه من لقاء الناس ومن الماء وأرسل الى على وطلحة
والزبير وأمهات المؤمنين يطلب الماء فركب على اليهم مغلسا وقال أيها الناس ان هذا
لا يشبه أمر المؤمنين ولا الكافرين وانما الاسير عند فارس والروم يطعم ويسقى فقالوا لا
والله ولا نعمة عين فرجع وجاءت أم حبيبة على بغلتها مشتملة على اداوة وقالت أردت أن
أسأل هذا الرجل عن وصايا عنده لبنى أمية أو تهلك أموال أيتامهم وأراملهم
فقالوا لا والله وضربوا وجه البغلة فنفرت وكادت تسقط عنها وذهب بها الناس الى بيتها
وأشرف عليهم عثمان وقرر حقوقه وسوابقه فقال بعضهم مهلا عن أمير المؤمنين فجاء
الاشتر وفرق الناس وقال لا يمكر بكم ثم خرجت عائشة الى الحج ودعت أخاها فأبى
فقال له حنظلة الكاتب تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع سفهاء العرب فيما
لا يحل ولو قد صار الامر الى الغلبة غلبك عليه بنو عبد مناف ثم ذهب حنظلة الى
الكوفة وبلغ طلحة والزبير ما لقى على وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وكان آل حزم يدسون
الماء الى بيت عثمان فى الغفلات وكان ابن عباس ممن لزم باب عثمان للمدافعة فأشرف
عليه عثمان وأمره أن يحج بالناس فقال جهاد هؤلاء أحب الى فأقسم عليه وانطلق
ولما رأى أهل مصر ان أهل الموسم يريدون قصدهم وان أهل الامصار يسيرون اليهم
اعتزموا على قتل عثمان رضى الله عنه يرجون فى ذلك خلاصهم واشتغال الناس
عنهم فقاموا الى الباب ليقتحموه فمنعهم الحسن بن على وابن الزبير ومحمد بن طلحة
ومروان وسعيد بن العاصى ومن معهم من أبناء الصحابة وقاتلوهم وغلبوهم دون
الباب ثم صدهم عثمان عن القتال وحلف ليدخلن فدخلوا وأغلق الباب فجاؤا بالنار
وأحرقوه ودخلوا وعثمان يصلى وقد افتتح سورة طه وقد سار أهل الدار فما شغله شئ
من أمرهم حتى فرغ وجلس الى المصحف يقرأ فقرأ الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم قال لمن عنده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهدا فأنا صابر عليه ومنعهم من القتال
وأذن للحسن فى اللحاق بأبيه وأقسم عليه فأبى وقاتل دونه وكان المغيرة بن الاخنس
ابن شريق قد تعجل من الحج فى عصابة لنصره فقاتل حتى قتل وجاء أبو هريرة ينادى
يا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار وقاتل ثم اقتحمت الدار من ظهرها
من جهة دار عمرو بن حزم فامتلأت قوما ولا يشعر الذين بالباب وانتدب رجل

فدخل على عثمان فى البيت فحاوره فى الخلع فأبى فخرج ودخل آخر ثم آخر كلهم يعظه
فيخرج و يفارق القوم وجاء ابن سلام فوعظهم فهموا بقتله ودخل عليه محمد بن أبى
بكر فحاوره طويلا بما لا حاجة الى ذكره ثم استحيا وخرج ثم دخل عليه السفهاء فضربه
أحدهم وأكبت عليه نائلة امرأته تتقى الضرب بيدها فنفحها أحدهم بالسيف
فى أصابعها ثم قتلوه وسال دمه على المصحف وجاء غلمانه فقتلوا بعض أولئك القاتلين
وقتلاء أخروا انتهبوا ما فى البيت وما على النساء حتى نائلة وقتل الغلمان منهم وقتلوا
من الغلمان ثم خرجوا الى بيت المال فانتهبوه وأرادوا قطع رأسه فمنعهم النساء فقال
ابن عديس اتركوه ويقال ان الذى تولى قتله كنانة بن بشر التجيبى وطعنه عمرو بن الحمق
طعنات وجاء عمير بن ضابئ وكان أبوه مات فى سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعا من
اضلاعه وكان قتله لثمان عشرة خلت من ذى الحجة وبقى فى بيته ثلاثة أيام ثم جاء حكيم
ابن حزام وجبير بن مطعم الى على فأذن لهم فى دفنه فخرجوا به بين المغرب والعشاء
ومعهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان فدفنوه فى حش كوكب وصلى
عليه جبير وقيل مروان وقيل حكيم ويقال ان ناسا تعرضوا لهم ليمنعوا من الصلاة
عليه فأرسل اليهم على وزجرهم وقيل ان عليا وطلحة حضرا جنازته وزيد بن ثابت
وكعب بن مالك وكان عماله عند موته على ما نذكره فعلى مكة عبد الله بن الحضرمى وعلى
الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن
ربيعة وعلى البصرة والبحرين عبد الله بن عامر وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان
وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد من قبله وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة كذلك وعلى
الاردن ابو الاعور السلمى كذلك وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكندى كذلك وعلى
البحرين عبد الله بن قيس الفزارى وعلى القضاء أبو الدرداء وعلى الكوفة أبو موسى
الاشعرى على الصلاة والقعقاع بن عمرو على الحرب وعلى خراج السواد جابر المزنى
وسماك الانصارى على الخراج وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله وعلى اذربيجان
الاشعث بن قيس وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وعلى اصبهان السائب بن الاقرع وعلى
ماسبدان خنيس وعلى بيت المال عقبة بن عمرو وعلى القضاء زيد بن ثابت

(بيعة على رضى الله عنه)

لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والانصار وأتوا عليا يبايعونه فأبى
وقال أكون وزيرا لكم خير من أن أكون أميرا ومن اخترتم رضيته فألحوا عليه وقالوا
لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه فى ذلك فخرج الى المسجد وبايعوه وأول
من بايعه طلحة ثم الزبير بعد ان خيرهما ويقال انهما ادّعيا الاكراه بعد ذلك بأربعة

أشهر وخرجا الى مكة ثم بايعه الناس وجاؤا بسعد فقال لعلى حتى تبايعك الناس فقال
اخلوه وجاؤا بابن عمر فقال كذلك فقال ائتنى بكفيل قال لا أجده فقال الاشتر دعنى أقتله
فقال على دعوه أنا كفيله وبايعت الانصار وتأخر منهم حسان بن ثابت وكعب بن
مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن
ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وسلمة بن سلامة بن وقش وتأخر
من المهاجرين عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان واسامة بن زيد وقدامة بن مظعون
والمغيرة بن شعبة وأما النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة امرأة عثمان وقميصه الذى
قتل فيه ولحق بالشام صريخا (وقيل) ان عثمان لما قتل بقى الغافقى بن حرب أميرا على
المدينة خمسة أيام والتمس من يقوم بالامر فلم يجبه أحد وأتوا الى على فامتنع وأتى
الكوفيون الزبير والبصريون طلحة فامتنعا ثم بعثوا الى سعد وابن عمر فامتنعا فبقوا
حيارى ورأوا أن رجوعهم الى الامصار بغير امام يوقع فى الخلاف والفساد فجمعوا
أهل المدينة وقالوا أنتم اهل الشورى وحكمكم جائز على الامة فاعقدوا الامامة ونحن
لكم تبع وقد أجلنا كم يومين وان لم تفعلوا قتلنا فلانا وفلانا وغيرهما يشيرون الى الاكابر
فجاء الناس الى على فاعتذر وامتنع فخوفوه الله فى مراقبة الاسلام فوعدهم الى
الغد ثم جاؤه من الغد وجاء حكيم بن جبلة فى البصريين فأحضر الزبير كرها وجاء الاشتر
فى الكوفيين فأحضر طلحة كذلك وبايعوا العلى وخرج الى المسجد وقال هذا أمركم
ليس لأحد فيه حق الا من أردتم وقد افترقنا أمس وأنا كاره فأبيتم الا أن أكون عليكم
فقالوا نحن على ما افترقنا عليه بالامس فقال اللهم اشهد ثم جاؤا بقوم ممن تخلف قالوا
نبايع على اقامة كتاب الله ثم بايع العامة وخطب على وذكر الناس وذلك يوم الجمعة
لخمس بقين من ذى الحجة ورجع الى بيته فجاء طلحة والزبير وقالا قد اشترطنا اقامة
الحدود فأقمها على قتلة هذا الرجل فقال لا قدرة لى على شئ مما تريدون حتى يهدأ
الناس وننظر الامور فتؤخذ الحقوق فافترقوا عنه وأكثر بعضهم المقالة فى قتلة عثمان
وباستناده الى أربعة فى رأيه وبلغه ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم
ثم هرب مروان وبنو أمية ولحقوا بالشام فاشتد على على منع قريش من الخروج
ثم نادى فى اليوم الثالث برجوع الاعراب الى بلادهم فأبوا وتذامرت معهم السبئية
وجاء طلحة والزبير فقالا دعنا نأتى البصرة والكوفة فنستنفر الناس فأمهلهما وجاء
المغيرة فأشار عليه باستبقاء العمال حتى يستقر الامر ويستبدلوا بمن شاء فأمهله ورجع
من الغد فأشار بمعاجلة الاستبدال وجاء ابن عباس فأخبره بخبر المغيرة فقال نصحك
أمس وغشك اليوم قال فما الرأى قال كان أن تخرج عند قتل الرجل الى مكة وأما

اليوم فانّ بنى أمية يشبهون على الناس بأن يلحموك طرفا من هذا الامر ويطلبون
ماطلب أهل المدينة فى قتلة عثمان فلا يقدرون عليهم والامر ان تقرّ معاوية فقال
على رضى الله عنه والله لا أعطيه الا السيف فقال له ابن عباس أنت رجل شجاع لست
صاحب رأى فى الحرب أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة قال
بلى فقال ابن عباس اما والله ان أطعتنى لاتركنهم ينظرون فى دبر الامور ولا يعرفون
ما كان وجهها من غير نقصان عليك ولا اثم لك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك
ولا هنيات معاوية فى شئ فقال ابن عباس اطعنى والحق بمالك بينبع وأغلق بابك عليك
فانّ العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك وان نهضت مع هؤلاء القوم يحملك
الناس دم عثمان غدا فأبى علىّ وقال اشر علىّ واذا خالفتك أطعنى قال أيسر مالك
عندى الطاعة قال فسر الى الشام فقد وليتكها قال اذا يقتلنى معاوية بعثمان أو يحبسنى
فيتحكم علىّ لقرابتى منك ولكن اكتب اليه وعده فأبى وكان المغيرة يقول نصحته
فلم يقبل فغضب ولحق بمكة ثم فرق علىّ العمال على الامصار فبعث على البصرة عثمان بن
حنيف وعلى الكوفة عمارة بن شهاب من المهاجرين وعلى اليمن عبيد الله بن عباس وعلى
مصر قيس بن سعد وعلى الشام سهل بن حنيف فمضى عثمان الى البصرة واختلفوا
عليه فأطاعته فرقة وقال آخرون ما يصنع أهل المدينة فنقتدى بهم ومضى عمارة
الى الكوفة فلما بلغ زبالة لقى طليحة بن خويلد فقال له ارجع فانّ القوم لا يستبدلون
بأبى موسى والاضربت عنقك ومضى ابن عباس الى اليمن فجمع يعلى بن منية مال
الجباية وخرج به الى مكة ودخل عبيد الله الى اليمن ومضى قيس بن سعد الى مصر
ولقيه بأيلة خيالة من أهل مصر فقالوا من أنت قال قيس بن سعد من فل عثمان أطلب
من آوى اليه وأنتصر به ومضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فافترقوا عليه فرقة
كانت معه وأخرى تربصوا حتى يروا فعله فى قتلة عثمان ومضى سهل بن حنيف الى
الشام حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقال لهم أنا أمير على الشام قالوا ان كان بعثك
غير عثمان فارجع فرجع فلما رجع وجاءت أخبار الآخرين دعا علىّ طلحة والزبير وقال
قد وقع ما كنت أحذركم فسألوه الاذن فى الخروج من المدينة وكتب علىّ الى أبى
موسى مع معبد الاسلمى فكتب اليه بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ومن الكاره منهم
والراضى حتى كأنه يشاهد وكتب الى معاوية مع سبرة الجهنى فلم يجبه الى ثلاثة أشهر
من مقتل عثمان ثم دعا قبيصة من عبس وأعطاه كتابا مختوما عنوانه من معاوية الى على
وأوصاه بما يقول وأعاده مع رسول علىّ فقدما فى ربيع الاول ودخل العبسى وقد
رفع الطومار كما أمره حتى دفعه الى على ففضه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول ما وراءك قال

آمن أنا قال نعم قال تركت قوما لا يرضون الا بالقود قال وممن قال منك وتركت ستين
ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوبا على منبر دمشق فقال اللهم انى أبرأ اليك
من دم عثمان قد نجا والله قتلة عثمان الا أن يشاء الله ثم ردّه الى صاحبه وصاحت
السبئية اقتلوا هذا الكلب وافد الكلاب فنادى يا آل مضر يا لقيس أحلف بالله ليردنها
عليكم أربعة آلاف خصى فانظروا كم الفحول والركاب وتقاووا عليه فمنعته مضر ودس
أهل المدينة على علىّ من يأتيهم برأيه فى القتال وهو زياد بن حنظلة التميمى وكان
منقطعا اليه فجالسه ساعة فقال له علىّ سيروا الغزو الشام فقال لعلى الأناة والرفق
أمثل فتمثل

متى تجمع القلب الذكى وصارما * وأنفا حميا تجتنبك المظالم

فعلم ان رأيه القتال ثم جاء الى القوم الذين دسوه فأخبرهم ثم استأذنه طلحة والزبير
فى العمرة ولحقا بمكة ثم اعتزم على الخروج الى الشام ودعا أهل المدينة الى قتالهم
وقال أنصتوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم
ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذى عليكم وأمر الناس بالتجهز الى الشام ودفع
اللواء لمحمد بن الحنفية وولى عبد الله بن عباس ميمنته وعمرو بن أبى سلمة ميسرته ويقال
بل عمرو بن سفيان بن عبد الاسد وولى أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخى عبيدة مقدمته
ولم يول أحدا ممن خرج على عثمان واستخلف على المدينة تمام بن العباس وعلى مكة
قثم بن العباس وكتب الى قيس بن سعد بمصر وعثمان بن حنيف بالبصرة وأبى موسى
بالكوفة ان يندبوا الناس الى الشام وبينما هو على التجهز للشام اذ أتاه الخبر عن
أهل مكة بنحو آخر وانهم على الخلاف فانتقض من الشام

(أمر الجمل)

ولما جاء خبر مكة الى علىّ قام فى الناس وقال ألا إنّ طلحة والزبير وعائشة قد تمالأوا
على نقض إمارتى ودعوا الناس الى الاصلاح وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكف
ان كفوا واقتصد نحوهم وندب أهل المدينة فتثاقلوا وبعث كميلا النخعى فجاءه بعبد
الله بن عمر فقال انهض معى فقال أنا من أهل المدينة افعل ما يفعلون قال فأعطنى
كفيلا بانك لا تخرج قال ولا هذه فتركه ورجع الى المدينة وخرج الى مكة وقد أخبر ابنة
على أم كلثوم بأنه سمع من أهل المدينة تثاقلهم وانه على طاعة على ويخرج معتمرا وجاء
الخبر من الغداة الى علىّ بأنه خرج الى الشام فبعث فى اثره على كل طريق وماج أهل
المدينة وركبت أم كلثوم الى أبيها وهو فى السوق يبعث الرجال ويظاهر فى طلبه فحدثته
فانصرف عن ذلك ووثق به فيما قاله ورجع الى أهل المدينة فخاطبهم وحرضهم فرجعوا

الى اجابته وأول من أجابه أبو الهيثم بن التيهان البدرى وخزيمة بن ثابت وليس
بذى الشهادتين ولما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس عن على انتدب اليه وقال من
تثاقل عنك فانا نخف معك ونقاتل دونك وكان سبب اجتماعهم بمكة ان عائشة كانت
خرجت الى مكة وعثمان محصور كما قدمناه فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة
فلقيت فى طريقها رجلا من بنى ليث اخوالها فأخبرها بقتل عثمان وبيعة على فقالت
قتل عثمان والله ظلما ولاطلبن بدمه فقال لها الرجل ولم أنت كنت تقولين ماقلت
فقالت انهم استتابوه ثم قتلوه وانصرفت الى مكة وجاءها الناس فقالت ان الغوغاء من
أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما
ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل امثالهم من كان قبله ومواضع
من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولاعذرا بادروا بالعدوان
فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام
والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم ولو أن الذى اعتدوا به عليه
كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه فقال عبد الله بن
عامر الحضرمى وكان عامل مكة لعثمان أنا أول طالب فكان أول مجيب وتبعه
بنو أمية وكانوا هربوا الى مكة بعد قتل عثمان منهم سعيد بن العاصى والوليد بن
عقبة وقدم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن منية من اليمن بستمائة
بعير وستمائة ألف فأناخ بالابطح ثم قدم طلحة والزبير من المدينة فقالت لهما عائشة
ماوراءكما فقالا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء واعراب غلبوا على خيارهم فلم يمنعوا
أنفسهم ولايعرفون حقا ولاينكرون باطلا فقالت انهضوا بنا اليهم وقال آخرون
نأتى الشام فقال ابن عامر ان معاوية كفاكم الشام فأتوا البصرة فلى بها صنائع ولهم
فى طلحة هوى فنكروا عليه مجيئه من البصرة واستقام رأيهم على رأيه وقالوا
ان الذين معنا لايطيقون من بالمدينه ويحتجون ببيعة على واذا أتينا البصرة انهضناهم
كما أنهضنا أهل مكة وجاهدنا فاتفقوا ودعوا عبد الله بن عمر الى النهوض فأبى وقال
أنا من أهل المدينة أفعل مايفعلون وكان أمهات المؤمنين معها على قصد المدينة
فلما نهضت الى البصرة قعدوا عنها وأجابتها حفصة فمنعها أخوها عبد الله وجهزهم
ابن عامر بما معه من المال ويعلى بن منية بما معه من المال والظهر ونادوا فى الناس
بالحملان فحملوا على ستمائة بعير وساروا فى ألف من أهل مكة ومن أهل المدينة وتلاحق
بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف وبعثت أم الفضل أم عبد الله بن عباس بالخبر استأجرت
على كتابها من أبلغه عليا ونهضت عائشة ومن معها وجاء مروان بن الحكم الى طلحة

يعلى بن منية هو يعلى ابن أمية وهو أبوه ومنية أمّه كما فى شرح مسلم والكامل فينسب تارة الى أبيه وتارة الى أمّه منية وقول الناس منبه تحريف قاله نصر

والزبير

والزبير فقال على أيكما أسلم بالامرة وأوذن بالصلاة فقال ابن الزبير على أبى وقال ابن طلحة
على أبى فأرسلت عائشة الى مروان تقول له أتريد أن تفرق أمرنا ليصل بالناس ابن
أختى تعنى عبد الله بن الزبير وودع أمهات المؤمنين عائشة من ذات عرق باكيات وأشار
سعيد بن العاصى على مروان بن الحكم وأصحابه بادراك ثارهم من عائشة وطلحة
والزبير فقالوا انسير لعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا ثم جاء الى طلحة والزبير فقال لمن
تجعلان الامر ان ظفرتما قالا لاحدنا الذى تختاره الناس فقال بل اجعلوه لولد عثمان
لانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم
قال فلا أرانى أسعى الالاخراجها من بنى عبد مناف فرجع ورجع عبد الله بن خالد
ابن أسيد ووافقه المغيرة بن شعبة ومن معه من ثقيف فرجعوا ومضى القوم ومعهم
ابان والوليد ابنا عثمان وأركب يعلى بن منية عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بمائة
دينار وقيل بثمانين وقيل بل كان لرجل من عرينة عرض لهم بالطريق على جمل
فاستبدلوا به جمل عائشة على ان حمله بألف فزادوه أربعمائة درهم وسألوه عن
دلالة الطريق فدلهم ومر بهم على ماء الحوأب فنبحتهم كلابه وسألوه عن الماء فعرفهم
باسمه فقالت عائشة ردونى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده
نساؤه ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته
وأقامت بهم يوما وليلة الى أن قيل النجاء النجاء قد أدرككم على فارتحلوا نحو
البصرة فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمى وأشار بأن يتقدم عبد الله بن
عامر اليهم فأرسلته عائشة وكتبت معه الى رجال من البصرة الى الاحنف بن قيس
وسمرة وأمثالهم وأقامت بالحفين تنتظر الجواب ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان
ابن حنيف عمران بن حصين وكان رجلا عامة وأبا الاسود الدؤلى وكان رجلا خاصة
وقال انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها فجاآها بالحفين وقالا ان أميرنا
بعثنا نسألك عن مسيرك فقالت ان الغوغاء ونزاع القبائل فعلوا مافعلوا فخرجت فى
المسلمين أعلمهم بذلك وبالذى فيه الناس وراءنا ومايبنغى من اصلاح هذا الامر ثم قرأت
لاخير فى كثير من نجواهم الآية ثم عدلا عنها الى طلحة فقالا ما أقدمك قال الطلب بدم
عثمان فقالا ألم تبايع عليا قال بلى والسيف على رأسى وما أستقبل على البيعة ان هو
لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان وقال لهما الزبير مثل ذلك ورجعا الى عثمان بن حنيف
فاسترجع وقال دارت رحى الاسلام ورب الكعبة ثم قال أشيروا على فقال عمران
اعتزل قال بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين فجاءه هشام بن عامر فأشار عليه بالمسالمة
والمسامحة حتى يأتى أمر على فأبى ونادى فى الناس فلبس السلاح ثم دس من يتكلم فى

الجمع ليرى ما عندهم فقال رجل ان هؤلاء القوم ان كانوا جاؤا خائفين فبلدهم يأمن فيه
الطير وان جاؤا الدم عثمان فما نحن بقتلته فأطيعونى وردّوهم من حيث جاؤا فقال
الاسود بن سريع السعدى انما جاؤا يستعينون بنا على قتلته منا ومن غيرنا فحصبه الناس
فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصرا وكسره ذلك كله وانتهت عائشة ومن معها الى
المربد وخرج اليها عثمان فيمن معه وحضر أهل البصرة فتكلم طلحة من الميمنة فحمد الله
وذكر عثمان وفضله ودعا الى الطلب بدمه وحث عليه وكذلك الزبير فصدقهما أهل الميمنة
وقال أصحاب عثمان من الميسرة بايعتم عليا ثم جئتم تقولون ثم تكلمت عائشة وقالت
كان الناس يجنون على عثمان ويأتوننا بالمدينة فنجدهم فجرة ونجده برا تقيا وهم
يحاولون غير ما يظهرون ثم كثروا واقتحموا عليه داره وقتلوه واستحلوا المحرمات بلا ترة
ولا عذر ألا وان مما ينبغى لكم ولا ينبغى غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله ثم قرأت
ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الآية فاختلف
أصحاب عثمان عليه ومال بعضهم الى عائشة ثم افترق الناس وتحاصبوا وانحدرت
عائشة الى المربد وجاءها جارية بن قدامة السعدى فقال يا أم المؤمنين والله لقتل
عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح انه قد كان لك
من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك وانه من رأى قتالك يرى قتلك فان
كنت أتيتنا طائعة فارجعى الى منزلك وان كنت مكرهة فاستعينى بالله وبالناس على
الرجوع وأقبل حكيم بن جبلة وهو على الخيل فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة
رماحهم فاقتتلوا على فم السكة وحجز الليل بينهم وباتوا يتأهبون وعاداهم حكيم بن جبلة
فاعترضه رجل من عبد القيس فقتله حكيم ثم قتل امرأة أخرى واقتتلوا الى أن زال النهار
وكثر القتل فى أصحاب عثمان بن حنيف ولما عضتهم الحرب تنادوا الى الصلح وتوادعوا
على أن يبعثوا الى المدينة فان كان طلحة والزبير أكرها سلم لهم عثمان الامر والا رجعا
عنه وسار كعب بن سور القاضى الى أهل المدينة يسألهم عن ذلك فجاءهم يوم جمعة
وسألهم فلم يجبه الا اسامة بن زيد فانه قال بايعا مكرهين فضربه الناس حتى كاد يقتل
ثم خلصه صهيب وأبو أيوب ومحمد بن مسلمة الى منزله ورجع كعب وبلغ الخبر بذلك الى
على فكتب الى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على
جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا
ولما جاء كعب بقول أهل المدينة بعث طلحة والزبير الى عثمان ليجتمع بهما فامتنع واحتج
بالكتاب وقال هذا غير ما كنا فيه فجمع طلحة والزبير الناس وجاآ الى المسجد بعد صلاة
العشاء فى ليلة ظلماء شاتية وتقدم عبد الرحمن بن عتاب فى الوحل فوضع السلاح فى

الجائية من الزط والسيابجة وهم أربعون رجلا فقاتلوهم وقتلوا عن آخرهم واقتحموا
على عثمان فأخرجوه الى طلحة والزبير وقد نتفوا شعر وجهه كله وبعثا الى عائشة بالخبر
فقالت خلوا سبيله وقيل أمرت باخراجه وضربه وكان الذى تولى اخراجه وضربه
مجاشع بن مسعود وقيل انّ الاتفاق انما وقع بينهم على أن يكتبوا الى على فكتبوا اليه
وأقام عثمان يصلى فاستقبلوه ووثبوا عليه فظفروا به وأرادوا قتله ثم استبقوه من أجل
الانصار وضربوه وحبسوه ثم خطب طلحة والزبير وقالا يا أهل البصرة توبة بحوبة
انما أردنا أن نستعتب عثمان فغلب السفهاء فقتلوه فقالوا لطلحة قد كانت كتبك
تأتينا بغير هذا قال الزبير اما أنا فلم أكاتبكم وأخذ يرمى عليا بقتل عثمان فقال رجل
من عبد القيس يا معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب داعى الاسلام وكان لكم بذلك
الفضل ثم استخلفتم مرارا ولم تشاورونا وقتلتم كذلك ثم بايعتم عليا وجئتم
تستعدوننا عليه فما الذى نقمتم عليه فهموا بقتله ومنعته عشيرته ثم وثبوا من
الغد على قتل عثمان ومن معه فقتلوا منهم سبعين وبلغ حكيم بن جبلة ما فعل
بعثمان بن حنيف فجاء لنصره فى جماعة من عبد القيس فوجد عبد الله بن الزبير
فقال له ما شأنك قال تخلوا عن عثمان وتقيمون على ما كنتم حتى يقدم على ولقد
استحللتم الدم الحرام تزعمون الطلب بثأر عثمان وهم لم يقتلوه ثم ناجزهم الحرب فى
ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأقام حكيم أربعة قواد فكان هو بحيال طلحة وذريح
بحيال الزبير وابن المحرش بحيال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال
عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وتزاحفوا واستحرّ القتل فيهم حتى قتل كثير منهم وقتل
حكيم وذريح وأفلت حرقوص فى فل من أصحابه الى قومهم بنى سعد وتتبعوهم بالقتل
وطالبوا بنى سعد بحرقوص وكانوا عثمانية فاعتزلوا وغضبت عبد القيس كلهم والكثير
من بكر بن وائل وأمر طلحة والزبير بالعطاء فى أهل الطاعة لهما وقصدت عبد القيس
وبكر بيت المال فقاتلوهم ومنعوهم وكتبت عائشة الى أهل الكوفة بالخبر وأمرتهم أن
يثبطوا الناس عن على وأن يقدموا بدم عثمان وكتبت بمثل ذلك الى اليمامة والمدينة
(ولنرجع الى خبر على) وقد كان لما بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة ومسيرهم الى البصرة
دعا أهل المدينة للنصرة وخطبهم فتثاقلوا أولا وأجابه زياد بن حنظلة وأبو الهيثم
وخزيمة بن ثابت وليس بذى الشهادتين وأبو قتادة فى آخرين وبعثت أم سلمة معه ابن
عمها وخرج يسابق طلحة والزبير الى البصرة ليردّهما واستخلف على المدينة تمام بن
عباس وقيل سهل بن حنيف وعلى مكة قثم بن عباس وسار فى ربيع الآخر سنة ست
وثلاثين وسار معه من نشط من الكوفيين والمصريين متخففين فى تسعمائة ولقيه

عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله ان خرجت منها
لا يعود اليها سلطان المسلمين أبدا فبدر الناس اليه فقال دعوه فنعم الرجل من أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وسار فانتهى الى الربذة وجاء خبر سبقهم الى البصرة فأقام يأتمر
ما يفعل ولحقه ابنه الحسن وعذله فى خروجه وما كان من عصيانه اياه فقال ما الذى
عصيتك فيه حين أمرتنى قال أمرتك أن تخرج عند حصار عثمان من المدينة ولا تحضر
اقتله ثم عند قتله ألا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة الامصار ثم عند خروج هؤلاء
أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فقال أما الخروج من المدينة فلم يكن اليه سبيل وقد
كان أحيط بنا كما أحيط بعثمان وأما البيعة فخفنا ضياع الامر والحل والعقد لاهل
المدينة لا للعرب ولا للامصار ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحق بالامر
بعده فبايع الناس غيرى واتبعتهم فى أبى بكر وعمر وعثمان فقتلوه وبايعونى طائعين غير
مكرهين فأنا أقاتل من خالفنى بمن أطاع الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين وأما القعود
عن طلحة والزبير فاذا لم أنظر فيما يلزمنى من هذا الامر فمن ينظر فيه ثم أرسل الى الكوفة محمد
ابن أبى بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس وأقام بالربذة يحرض وأرسل الى المدينة
فى أداته وسلاحه وقال له بعض أصحابه عرفنا بقصدك من القوم قال الاصلاح ان قبلوه
والا انتظرهم وان بادرونا امتنعنا ثم جاءه جماعة من طيئ نافرين معه فقبلهم وأثنى عليهم
ثم سار من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمرو بن الجراح ولما انتهى الى فيد أتته أسد
وطيئ وعرضوا عليه النفير معه فقال الزموا قراركم ففى المهاجرين كفاية ولقيه هنالك
رجل من أهل الكوفة من بنى شيبان فسأله عن أبى موسى فقال ان أردت الصلح فهو
صاحبه وان أردت القتال فليس بصاحبه فقال والله ما أريد الا الصلح حتى يرد علينا
ثم انتهى الى الثعلبية والاساد فبلغه ما لقى عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ثم جاءه
بذى قار عثمان بن حنيف وأراه ما بوجهه فقال أصبت أجرا وخيرا ان الناس وليهم قبلى
رجلان فعملا بالكتاب ثم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعونى ومنهم طلحة والزبير ثم نكثا وألبا
علىّ ومن العجب انقيادهما لابى بكر وعمر وعثمان وخلافهما علىّ والله انهما ليعلمان
انى لست دونهم ثم أخذ فى الدعاء عليهما وابن وائل هنالك يعرضون عليه النفير فأجابهم
مثل طيئ وأسد وبلغه خروج عبد القيس على طلحة والزبير فأثنى عليهم وأما محمد بن أبى
بكر ومحمد بن جعفر فبلغا الى الكوفة ودفعا الى أبى موسى كتاب على وقاما فى الناس بأمره
فلم يجبهما أحد وشاوروا أبا موسى فى الخروج الى على فقال الخروج سبيل الدنيا والقعود
سبيل الآخرة فقعدوا كلهم وغضب محمد ومحمد وأغلظا لابى موسى فقال لهما والله ان
بيعة عثمان لفى عنقى وعنق على وان كان لا بد من القتال فحتى نفرغ من قتلة عثمان حيث

كانوا فرجعا الى على بالخبر وهو بذى قار فرجع علىّ باللائمة على الاشتر وقال أنت
صاحبنا فى أبى موسى فاذهب أنت وابن العباس وأصلح ما أفسدت فقدما على أبى
موسى وكلماه واستعانا عليه بالناس لم يجب الى شئ ولم ير الا القعود حتى تنجلى الفتنة ويلتئم
الناس فرجع ابن عباس والاشتر الى على فأرسل علىّ ابنه الحسن وعمار بن ياسر وقال
لعمار انطلق فأصلح ما أفسدت فانطلقا حتى دخلا المسجد وخرج أبو موسى فلقى الحسن
ابن على فضمه اليه وقال لعمار يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا وأحللت
نفسك مع الفجار فقال لم أفعل فأقبل الحسن على أبى موسى فقال لم تثبط الناس عنا
وما أردنا الا الاصلاح ومثل أمير المؤمنين لا يخاف على شئ قال صدقت بأبى أنت وأمى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم
والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب والمسلمون اخوان ودماؤهم
وأموالهم حرام فغضب عمار وسبه فسبه آخر وتثاور الناس ثم كفهم أبو موسى وجاء
زيد بن صوحان بكتاب عائشة اليه وكتابها الى أهل الكوفة فقرأهما على الناس فى سبيل
الانكار عليها فسبه شبث بن ربعى (٣) وتهاوى الناس وأبو موسى يكفهم ويأمرهم بلزوم
البيوت حتى تنجلى الفتنة ويقول أطيعونى وخلوا قريشا اذ أبوا الا الخروج من دار
الهجرة وفراق أهل العلم حتى ينجلى الامر وناداه زيد بن صوحان باجابة على والقيام
بنصرته وتابعه القعقاع بن عمرو فقام بعده فقال لا سبيل الى الفوضى وهذا أمير المؤمنين
ملىء بما ولى وقد دعاكم فانفروا وقال عبد خير مثل ذلك وزاد يا أبا موسى هل تعلم ان طلحة
والزبير بايعا قال نعم قال فهل أحدث علىّ ما ينقض البيعة قال لا أدرى قال لا دريت
ونحن نتركك حتى تدرى ثم قال سيحان بن صوحان مثل ما قال القعقاع وحرض على
طاعة على وقال فانه دعاكم تنظرون ما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه
فى الدين فقال عمار هو دعاكم الى ذلك لتنظروا فى الحق وتقاتلوا معه عليه وقال الحسن
أجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول ان كنت
مظلوما أطيعونى أو ظالما فخذوا منى بالحق والله ان طلحة والزبير أول من بايعنى وأول
من غدر فأجاب الناس وحرض عدى بن حاتم قومه وحجر بن عدى كذلك فنفر مع
الحسن من الكوفة تسعة آلاف سارت منها ستة فى البر وباقيهم فى الماء وأرسل على بعد
مسير الحسن وعمار الاشتر الى الكوفة فدخلها والناس فى المسجد وأبو موسى
والحسن وعمار فى منازعة معه ومع الناس فجعل الاشتر يمر بالقبائل ويدعوهم الى القصر
حتى انتهى اليه فى جماعة الناس فدخله وأبو موسى بالمسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن
يقول له اعتزل عملنا واترك منبرنا فدخل الاشتر الى القصر وأمر باخراج غلمان أبى

(٣) شبث بفتح الشين المعجمة والموحدة كما فى القاموس سيحان بوزن جيحان اهـ

موسى من القصر وجاء أبو موسى فصاح به الاشتر أخرج لا أم لك وأجله تلك العشية ودخل الناس لينهبوا امتاعه فنعهم الاشتر ونفر الناس مع الحسن كما قلنا وكان الامراء على أهل النفير على كنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحى وعلى قبائل قيس سعد بن مسعود الثقفى عم المختار وعلى بكر وتغلب وعلة بن مجدوح الذهلى وعلى مذحج والاشعريين حجر بن عدى وعلى بجيلة وانمار وخثعم والازد مخنف بن سليم الازدى ورؤساء الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب ورؤساء النفار زيد بن صوحان والاشتر وعدى بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس وأمثالهم فقدموا على على بذى قار فركب اليهم ورحب بهم وقال يا أهل الكوفة دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من أهل البصرة فان يرجعوا فهو الذى نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم ولا ندع أمرا فيه الصلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله فاجتمع الناس عنده بذى قار وعبد القيس بأسرها وهم ألوف ينتظرونه ما بينه وبين البصرة ثم دعا القعقاع وكان من الصحابة فأرسله الى أهل البصرة وقال الق هذين الرجلين فادعهما للالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له كيف تصنع اذا قالوا ما لا وصاة منى فيه عندك قال نلقاهم بالذى أمرت به فاذا جاء منهم ما ليس عندنا منك رأى فيه اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه ينبغى قال أنت لها فخرج القعقاع فقدم البصرة وبدأ بعائشة وقال أى أمه ما أشخصك قالت أريد الاصلاح بين الناس قال فابعثى الى طلحة والزبير تسمعى منى ومنهما فبعثت اليهما فجاآ فقال لهما انى سألت ام المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح وكذلك قالا قال فأخبرانى ما هو قالا قتلة عثمان فان تركهم ترك للقرآن قال فقد قتلتم منهم ستمائة من أهل البصرة وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم حرقوص بن زهير فنعه ستة آلاف فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمعت مضر وربيعة على حربكم فأين الاصلاح قالت عائشة فماذا تقول أنت قال هذا الامر دواؤه التسكين واذا سكن اختلجوا فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير ولا تعرضونا للبلاء فنتعرض له ويصرعنا واياكم فقالوا قد أصبت وأحسنت فارجع فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر فرجع وأخبر عليا فأعجبه وأشرف القوم على الصلح وقد كانت وفود أهل البصرة أقبلوا الى على قبل رجوع القعقاع وتفاوضوا مع أهل الكوفة واتفقوا جميعا على الاصلاح ثم خطب على الناس وأمرهم بالرحيل من الغد وأن لا يرحل معه أحد ممن أعان على عثمان فاجتمع من أهل مصر ابن السوداء وخالد بن ملجم والاشتر والذين رضوا بمن سار اليه مثل علباء بن الهيثم وعدى بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسى وشريح بن أوفى وتشاوروا فيما قال على وقالوا هو أبصر

نجبة بنون وجيم وموحدة مفتوحات اه كامل

بكتاب

بكتاب الله وأقرب الى العمل به من أولئك وهو يقول ما يقول وانما معه الذين أعانوا على عثمان فكيف اذا اصطلحوا واجتمعوا ورأوا قلتنا فى كثرتهم فقال الاشتر أيهم والله فينا واحد وأن يصطلحوا فعلى دمائنا فهلموا نثب على طلحة نلحقه بعثمان ثم يرضى منا بالسكون فقال ابن السوداء طلحة وأصحابه نحو من خمسة آلاف وانتم الفان وخمسمائة فلا تجدون الى ذلك سبيلا وقال علباء بن الهيثم اعتزلوا الفريقين حتى يأتيكم من تقومون به فقال ابن السوداء ود والله الناس لو انفردتم فيتخطفونكم فقال عدى والله ما رضيت ولا كرهت فاما اذ وقع ما وقع ونزل الناس بهذه المنزلة فان لنا خيلا وسلاحا فان أقدمتم أقدمنا وان أحجمتم أحجمنا ثم قال سالم بن ثعلبة وسويد بن اوفى أبرموا امركم ثم تكلم ابن السوداء فقال يا قوم ان عزكم فى خلطة الناس فصانعوهم واذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال فلا يجدون بدا منه ويشغلهم الله عما تكرهون وافترقوا على ذلك وأصبح على راحلا حتى نزل على عبد القيس فانضموا اليه وساروا معه فنزل الزاوية وسار من الزاوية الى البصرة وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة والتقوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد منتصف جمادى الآخرة وتراسلت بكر بن وائل وعبد القيس وجاؤا الى على رضى الله عنه فكانوا معه وأشار على الزبير بعض أصحابه أن يناجز القتال فاعتذر بما وقع بينه وبين القعقاع وطلب من على رضى الله تعالى عنه أصحابه مثل ذلك فأبى وسئل ما حالنا وحالهم فى القتلى فقال ارجو أن لا يقتل منا ومنهم احد نقى قلبه لله الا أدخله الله الجنة ونهى عن قتالهم وبعث اليهم حكيم بن سلام ومالك بن حبيب ان كنتم على ما جاء به القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر فى الامر وجاءه الاحنف بن قيس وكان معتزلا عن القوم وقد كان بايع عليا بالمدينة بعد قتل عثمان مرجعه من الحج قال الاحنف ولم أبايعه حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وعثمان محصور وعلمت انه مقتول فقلت لهم من أبايع بعده قالوا عليا فلما رجعت وقد قتل عثمان بايعت عليا فلما جاؤا الى البصرة دعونى الى قتال على فحرت فى أمرى بين خذلانهم أو خلع طاعتى فقلت ألم تأمرونى بمبايعته قالوا نعم لكنه بدل وغير فقلت لا أنقض بيعتى ولا أقاتل أم المؤمنين ولكن أعتزل ونزل بالجلحاء على فرسخين من البصرة فى زهاء ستة آلاف فلما قدم على جاءه وخيره بين القتال معه أو كف عشرة آلاف سيف عنه فاختار الكف ونادى فى تميم وبنى سعد فأجابوه فاعتزل بهم حتى ظفر على فرجع اليه واتبعه ولما تراآى الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم على حتى اختلفت اعناق دوابهم فقال على لقد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان دمى وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمى

قال طلحة ألبت على عثمان قال على يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق فلعن الله قتلة عثمان
يا طلحة اما بايعتنى قال والسيف على عنقى ثم قال للزبير أتذكر يوم قال لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وأنت له ظالم قال اللهم نعم ولوذكرت قبل مسيرى ماسرت
والله لا أقاتلك أبدا وافترقوا فقال على لاصحابه ان الزبير قد عهد أن لا يقاتلكم ورجع
الزبير الى عائشة وقال ما كنت فى موطن منذ عقلت الا وأنا أعرف أمرى غير موطنى
هذا قالت فما تريد أن تصنع قال أدعهم وأذهب فقال له ابنه عبد الله خشيت رايات ابن
أبى طالب وعلمت ان حامليها فتية انجاد وان تحتها الموت الاحمر فجبنت فأحفظه ذلك
وقال حلفت قال كفر عن يمينك فأعتق غلامه مكحولا وقيل انما أراد الرجوع
عن القتال حين سمع ان عمار بن ياسر مع على لما ورد وقد ورد ويح عمار تقتله الفئة الباغية
وكان أهل البصرة على ثلاث فرق مفترقين مع هؤلاء وهؤلاء وثالثة اعتزلت كالاحنف
ابن قيس وعمران بن حصين ونزلت عائشة فى الازد ورأسهم صبرة بن شيمان وأشار
عليه كعب بن سور بالاعتزال فأبى وكان معها قبائل كثيرة من مضر الرباب وعليهم
المنجاب بن راشد وبنو عمرو بن تميم وعليهم أبو الجرباء وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع
وسليم وعليهم مجاشع بن مسعود وبنو عامر وغطفان وعليهم زفر بن الحرث والازد وعليهم
صبرة بن شيمان وبكر وعليهم مالك بن مسمع وبنو ناجية وعليهم الخرّيت بن راشد وهم فى
نحو ثلاثين ألفا وعلى فى عشرين ألفا والناس جميعا متنازلون مضر الى مضر وربيعة
الى ربيعة ولا يشكون فى الصلح وقد ردوا حكيما ومالكا الى على إنا على ما فارقنا عليه
القعقاع وجاء ابن عباس الى طلحة والزبير ومحمد بن طلحة الى على وتقارب أمر الصلح
وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة يتشاورون واتفقوا على انشاب الحرب بين
الناس فغلسوا وما يشعر بهم أحد وقصد مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة ويمن الى يمن
فوضعوا فيهم السلاح وثار أهل البصرة وثار كل قوم فى وجوه أصحابهم وبعث طلحة
والزبير عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى الميمنة وهم ربيعة وعبد الرحمن بن عتاب الى
الميسرة وركبا فى القلب وسألا الناس ما هذا فقالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا فقال طلحة
والزبير ان عليا لا ينتهى حتى يسفك الدماء ثم دفعوا أولئك المقاتلين فسمع على وأهل
عسكره الصيحة فقال ما هذا فقيل له أظنه سقط من ههنا طرقنا أولئك وهو السبئية بيتونا
ليلا فرددتهم فوجدنا القوم على أهبة فركبونا وثار الناس وركب على وبعث الى الميمنة
والميسرة صاحبيها وقال ان طلحة والزبير لا ينتهيان حتى تسفك الدماء ونادى فى الناس
كفوا وكان رأيهم جميعا فى تلك الفتنة أن لا يقتتلوا حتى يقيموا الحجة ولا يقتلوا
مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلبا وأقبل كعب بن سور الى عائشة وقال

الخرّيت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة اهـ كامل

قد أبى القوم الا القتال فلعل الله يصلح بك فأركبها وألبسوا هودجها الادراع
وأوقفوها بحيث تسمع الغوغاء واقتتل الناس حتى انهزم أصحاب الجمل وذهب وأصيب
طلحة بسهم فى رجله فدخل البصرة ودمه يسيل الى أن مات وذهب الزبير الى وادى
السباع لما ذكره على فمر بعسكر الاحنف واتبعه عمرو بن الجرموز وكان يسائله حتى اذا
قام الى الصلاة قتله ورجع بفرسه وسلاحه وخاتمه الى الاحنف فقال والله ما أدرى
أحسنت أم أسأت فجاء ابن جرموز الى على وقال للحاجب استأذن لقاتل الزبير
فقال لحاجبه ائذن له وبشره بالنار ولما بلغت الهزيمة البصرة ورأوا الخيل
أطافت بالجمل فرجعوا وشبت الحرب كما كانت وقالت عائشة لكعب بن سور وناولته
مصحفا تقدم فادعهم اليه واستقبل القوم فقتله السبئية رشقا بالسهم ورموا عائشة فى
هودجها حتى جأرت بالاستغاثة ثم بالدعاء على قتلة عثمان وضج الناس بالدعاء فقال
على ما هذا قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان فقال اللهم العن قتلة عثمان ثم أرسلت
عائشة الى الميمنة والميسرة وحرضتهم وتقدم مضر الكوفة ومضر البصرة فاجتلدوا
أمام الجمل حتى ضرسوا وقتل زيد بن صوحان من أهل الكوفة وأخوه سيحان وارتث
أخوهما صعصعة وتزاحف الناس وتأخرت يمن الكوفة وربيعتها ثم عادوا فقتل على
راياتهم عشرة ثم أخذها يزيد بن قيس فثبت وقتل تحت راية ربيعة زيد وعبد الله بن
رقبة وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى واشتد الامر ولزقت ميمنة الكوفة بقلبهم وميسرة
أهل البصرة بقلبهم ومنعت ميمنة هؤلاء ميسرة هؤلاء وميسرة هؤلاء ميمنة هؤلاء
وتنادى شجعان مضر من الجانبين بالصبر وقصدوا الاطراف يقطعونها وأصيبت
يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله وقاتل عند الجمل الازد ثم بنو ضبة وبنو عبد مناة وكثر
القتل والقطع وصارت المجنبات الى القلب واستحر القتل الى الجمل حتى قتل على
الخطام أربعون رجلا وسبعون كلهم من قريش فجرح عبد الله بن الزبير وقتل
عبد الرحمن بن عتاب وجندب بن زهير العامرى وعبد الله بن حكيم بن حزام ومعه راية
قريش قتله الاشتر وأعانه فيه عدى بن حاتم وقتل الاسود بن أبى البخترى وهو آخذ
بالخطام وبعده عمرو بن الاشرف الازدى فى ثلاثة عشر من أهل بيته وجرح مروان بن
الحكم وعبد الله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة ما بين طعنة ورمية ونادى على اعقروا
الجمل يتفرقوا وضربه رجل فسقط فما كان صوت أشد عجيجا منه وكانت راية الازد من
أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل فأخذها الصقعب أخوه فقتل ثم أخوهما عبد الله
كذلك فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهى بيده وكانت راية عبد القيس من أهل
الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل ومعه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة فقتلوا

منهم عبد الله بن رقية ثم منقذ بن النعمان ودفعها الى ابنه مرة فكان الفتح وهى بيده
وكانت راية بكر بن وائل فى بنى ذهل مع الحرث بن حسان فقتل فى خمسة من بنى أهله
ورجال من بنى محدوج وخمسة وثلاثين من بنى ذهل وقيل فى عقر الجمل ان القعقاع دعا
الاشتر وقد جاء من القتال عند الجمل الى العود فلم يجبه وحمل القعقاع والخطام بيد زفر
ابن الحرث فأصيب شيوخ من بنى عامر وقال القعقاع لبجير بن دلجة من بنى ضبة وهو من
أصحاب على يا بجير صح بقومك يعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين فضرب
ساق البعير فوقع على شقه وأمّن القعقاع من يليه واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير
وحملا الهودج فوضعاه وهو كالقنفذ بالسهام وفر من وراءه وأمر على فنودى لا تتبعوا
مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وأمر بحمل الهودج من بين القتلى
وأمر محمد بن أبى بكر أن يضرب عليها قبة وأن ينظر هل بها جراحة فجاء يسألها وقيل
لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبى بكر اليه ومعه عمار فاحتملا الهودج الى ناحية ليس قربه
أحد وأتاها على فقال كيف أنت يا أمه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك وجاء وجوه
الناس اليها فيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها وقالت له وددت انى مت قبل هذا اليوم
بعشرين سنة وجاء الى على فقال له مثل قولها ولما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبى
بكر الصديق البصرة فاقرها فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى على صفية زوجه بنت
الحرث بن أبى طلحة من بنى عبد الدار أم طلحة الطلحات بن عبد الله وتسلل الجرحى
من بين القتلى فدخلوا ليلا الى البصرة وأذن على فى دفن القتلى فدفنوا بعد ان أطاف
عليهم ورآى كعب بن سور وعبد الرحمن بن عتاب وطلحة بن عبيد الله وهو يقول زعموا
انه لم يخرج الينا الا الغوغاء مع أن هؤلاء فيهم ثم صلى على القتلى من الجانبين وأمر
بالاطراف فدفنت فى قبر عظيم وجمع ما كان فى العسكر من كل شئ وبعث به الى مسجد
البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه الا سلاحا عليه سمة السلطان وأحصى القتلى من
الجانبين فكانوا عشرة الاف منهم من ضبة ألف رجل (ولما فرغ على من الوقعة) جاءه
الاحنف بن قيس فى بنى سعد فقال له تربصت فقال ما أرانى الا قد أحسنت وبأمرك كان
ما كان فارفق فان طريقك بعيد وأنت الى غدا أحوج منك أمس فلا تقل لى مثل
هذا فانى لم أزل لك ناصحا ثم دخل البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى
الجرحى والمستأمنة وأتاه عبد الرحمن بن أبى بكرة فبايعه وعرض له فى عمه زياد بأنه
متربص فقال والله انه لمريض وعلى مسرتك لحريص فقال انهض امامى فمضى فلما
دخل عليه على اعتذر فقبل عذره واعترض بالمرض قبل عذره وأراده على البصرة
فامتنع وقال ولها رجلا من أهلك تسكن اليه الناس وسأشير عليه واشار بابن عباس

فولاه

فولاه وجعل زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس بموافقته فيما يراه ثم راح
على الى عائشة فى دار ابن خلف وكان عبد الله بن خلف قتل فى الوقعة فأساءت أمه
وبعض النسوة عليه فأعرض عنهن وحرضه بعض أصحابه عليهن فقال ان النساء
ضعيفات وكنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف بهن مسلمات ثم بلغه ان بعض
الغوغاء عرض لعائشة بالقول والاساءة فأمر من أحضر له بعضهم وأوجعهم ضربا
ثم جهزها على الى المدينة بما احتاجت اليه وبعثها مع أخيها محمد مع أربعين من نسوة
البصرة اختارهن لمرافقتها وأذن للفل ممن خرج عنها ان يرجعوا معها ثم جاء يوم
ارتحالها فودعها واستعتبت له واستعتب لها ومشى معها اميالا وشيعها بنوه مسافة يوم
وذلك غرة رجب فذهبت الى مكة فقضت الحج ورجعت الى المدينة ورجع بنو أمية من
الفل ناجين الى الشام فعتبة بن أبى سفيان وعبد الرحمن ويحيى أخو امروان خلصوا الى
عصمة بن أبير التيمى الى أن اندملت جراحهم ثم بعثهم الى الشام وأما عبد الله بن عامر
فخلص الى بنى حرقوص ومضى من هنالك وأما مروان بن الحكم فأجاره أيضا مالك بن
مسمع وبعثه وقيل كان مع عائشة فلما ذهبت الى مكة فارقها الى المدينة وأما ابن الزبير
فاختفى بدار بعض الازد وبعث الى عائشة يعلمها بمكانه فأرسلت أخاها محمدا وجاء اليها به
ثم قسم على جميع ما فى بيت المال على من شهد معه وكان يزيد على ستمائة ألف فأصاب
كل رجل خمسمائة وقال ان أظفركم الله بالشام فلكم مثلها الى أعطياتكم فخاض
السبئية فى الطعن عليه بذلك وبتحريم أموالهم مع اراقة دمائهم ورحلوا عنه فأعجلوه
عن المقام بالبصرة وارتحل فى آثارهم ليقطع عليهم أمرا ان أرادوه وقد قيل فى سياق
أمر الجمل غير هذا وهو أن عليا لما أرسل محمد بن أبى بكر الى أبى موسى ليستنفر له أهل
الكوفة وامتنع سار هاشم بن عتبة ابن أبى وقاص الى على بالربذة فأخبره فأعاده اليه
يقول له انى لم أولك الا لتكون من اعوانى على الحق فامتنع أبو موسى وكتب اليه هاشم
مع المحل بن خليفة الطائى فبعث على ابنه الحسن وعمار بن ياسر يستنفران كما مر وبعث
قرظة بن كعب الانصارى أميرا وبعث اليه انى قد بعثت الحسن وعمارا يستنفران
الناس وبعثت قرظة بن كعب واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم
تفعل فقد أمرته أن ينابذك وان ظفر بك أن يقطعك أربا أربا وان الناس تواقفوا
للقتال وأمر على من يتقدم بالمصحف يدعوهم الى ما فيه وان قطع وقتل وحمله بعض
الناس وفعل ذلك فقتل وحملت ميمنتهم على ميسرتهم فاقتتلوا ولاذ الناس بجمل
عائشة أكثرهم من ضبة والازد ثم انهزموا آخر النهار واستحر فى الازد القتل وحمل
عمار على الزبير يحوزه بالرمح ثم استلان له وتركه وألقى عبد الله بن الزبير نفسه مع الجرحى

أبير بضم الهمزة وفتح الموحدة اهـ كامل

وعقر الجمل واحتمل عائشة أخوها محمد فأنزلها وضرب عليها قبة ووقف عليها علىّ يعاتبها فقالت له ملكت فأسجح (٣) نعم ما أبليت قومك اليوم فسرحها فى جماعة رجال ونساء الى المدينة وجهزها بما تحتاج اليه هذا أمر الجمل ملخص من كتاب أبى جعفر الطبرى اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الاهواء الموجودة فى كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين وقتل يوم الجمل عبد الرحمن أخو طلحة من الصحابة والمحرز بن حارثة العبشمى وكان عمر ولاه على أهل مكة ومجاشع ومجالد ابنا مسعود مع عائشة وعبد الله ابن حكيم بن حزام وهند بن أبى هالة وهو ابن خديجة قتل مع علىّ وقيل بالبصرة وغيرهم انتهى أمر الجمل

(ولما فرغ الناس) من هذه الوقعة اجتمع صعاليك من العرب وعليهم جبلة بن عتاب الحبطى وعمران بن الفضيل البرجمى وقصدوا سجستان وقد نكث أهلها وبعث علىّ اليهم عبد الرحمن بن جرو الطائى فقتلوه فكتب الى عبد الله بن عباس أن يبعث الى سجستان واليا فبعث ربعى بن كاس العنبرى فى أربعة آلاف ومعه الحصين بن أبى الحر فقتل جبلة وانهزموا وضبط ربعى البلاد واستقامت

(انتقاض محمد بن أبى حذيفة بمصر ومقتله)

لما قتل أبو حذيفة بن عتبة يوم اليمامة ترك ابنه محمدا فى كفالة عثمان وأحسن تربيته وسكر فى بعض الايام فجلده عثمان ثم تنسك وأقبل على العبادة وطلب الولاية من عثمان فقال لست بأهل فاستأذنه على اللحاق بمصر لغزو البحر فأذن له وجهزه ولزمه الناس وعظموه لما رأوا من عبادته ثم غزا مع ابن أبى سرح غزوة الصوارى كما مر فكان يتعرض له بالقدح فيه وفى عثمان بتوليته ويجتمع فى ذلك مع محمد بن أبى بكر وشكاهما ابن أبى سرح الى عثمان فكتب اليه بالتجافى عنهما لوسيلة ذلك بعائشة وهذا تربيته وبعث الى ابن أبى حذيفة ثلاثين ألف درهم وحمل من الكسوة فوضعهما ابن أبى حذيفة فى المسجد وقال يا معشر المسلمين كيف أخادع عن دينى وآخذ الرشوة عليه فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على رياستهم وكتب اليه عثمان يذكره بحقوقه عليه فلم يرده ذلك ومازال يحرض الناس عليه حتى خرجوا لحصاره وأقام هو بمصر وخرج ابن أبى سرح الى عثمان فاستولى هو على مصر وضبطها الى ان قتل عثمان وبويع على وبايع عمرو بن العاصى لمعاوية وسارا الى مصر قبل قدوم قيس بن سعد فمنعهما فخدعا محمدا حتى خرج الى العريش فتحصن بها فى ألف رجل فحاصراه حتى نزل على حكمهم فقتلوه وفى هذا الخبر بعض الوهن لان الصحيح ان عمرا ملك مصر بعد صفين وقيس ولاه على لاول بيعته وقد قيل ان ابن أبى حذيفة لما حوصر عثمان بالمدينة

(٣) أى أحسن العفو اه

أخرج هو ابن أبى سرح عن مصر وضبطها وأقام ابن أبى سرح بفلسطين حتى جاء الخبر بقتل عثمان وبيعة علىّ وتوليته قيس بن سعد على مصر فأقام بمعاوية وقيل ان عمرا سار الى مصر بعد صفين فبرز اليه ابن أبى حذيفة فى العساكر وخادعه فى الرجوع الى بيعة علىّ وأن يجتمعا لذلك بالعريش فى غير جيش من الجنود ورجع الى معاوية عمرو فأخبره ثم جاء الى ميعاده بالعريش وقد استعد بالجنود وأكمنهم خلفه حتى اذا التقيا طلعوا على اثره فتبين ابن أبى حذيفة الغدر فتحصن بقصر العريش الى أن نزل على حكم عمرو وبعث به الى معاوية فحبسه الى أن فر من محبسه فقتل وقيل انما بعثه عمرو الى معاوية عندما قتل محمد بن أبى بكر وانه أمنه ثم حمله الى معاوية فحبسه بفلسطين

(ولاية قيس بن سعد على مصر)

كان علىّ قد بعث الى مصر لاول بيعته قيس بن سعد أميرا فى صفر من سنة ست وثلاثين وأذن له فى الاكثار من الجنود وأوصاه فقال له لو كنت لا أدخلها الا بجند آتى بهم من المدينة لا أدخلها أبدا فأنا أدع لك الجند تبعثهم فى وجوهك وخرج فى سبعة من أصحابه حتى أتى مصر وقرأ عليهم كتابا يعلمهم بمبايعته وطاعته وانه أميرهم ثم خطب فقال بعد أن حمد الله أيها الناس قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله فبايعه الناس واستقامت مصر وبعث عليها عماله الا بعض القرى كان فيها قوم يدعون الى الطلب بدم عثمان مثل يزيد بن الحرث ومسلمة بن مخلد فهادنهم وجبى الخراج وانقضى أمر الجمل وهو بمصر وخشى معاوية أن يسير اليه علىّ فى أهل العراق وقيس من ورائه فى أهل مصر فكتب اليه يعظم قتل عثمان ويطوقه عليا ويحضه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره على أن يوليه العراقين اذا ظفر ولا يعزله ويولى من أراد من أهل الحجاز كذلك ويعطيه ما شاء من الاموال فنظر فى أمره بين موافقته أو معاجلته بالحرب فآثر الموافقة فكتب اليه أما بعد فانى لم أقارف شيئا مما ذكرته وما اطلعت لصاحبى على شئ منه وأما متابعتك فانظر فيها وليس هذا مما يسرع اليه وأنا كاف عنك فلا يأتيك شئ من قبلى تكرهه حتى نرى وترى فكتب اليه معاوية انى لم أرك تدنو فأعدك سلما ولا تتباعد فأعدك حربا وليس مثلى يصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل والسلام فعلم قيس ان المدافعة لا تنفع معه فأظهر له ما فى نفسه وكتب اليه بالرد القبيح والشتم والتصريح بفضل علىّ والوعيد فحينئذ أيس معاوية منه وكاده من قبل علىّ فأشاع فى الناس ان قيسا شيعة له تأتينا كتبه ورسله ونصائحه وقد ترون ما فعل باخوانكم القائمين بثار عثمان وهو يجرى عليهم من الاعطية والارزاق فأبلغ ذلك الى علىّ محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر وعيونه بالشام

فأعظم ذلك وفاوض فيه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فقال له عبد الله دع ما يريبك الى ما لا يريبك واعزله عن مصر ثم جاء كتابه بالكف عن قتال المعتزلين فقال ابن جعفر مره بقتالهم خشية أن تكون هذه ممالأة فكتب اليه يأمره بذلك فلم ير قيس ذلك رأيا وقال متى قاتلناهم ساعدوا عليك عدوك وهم الآن معتزلون والرأي تركهم فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر وكان أخاه لامه واعزل قيسا فبعثه وقيل بعث قبله الاشتر النخعي ومات بالطريق فبعث محمدا ولما قدم محمد على قيس خرج عنها مغضبا الى المدينة وكان عليها مروان بن الحكم فأخافه فخرج هو وسهل ابن حنيف الى علي وكتب معاوية الى مروان يعاتبه لو أمددت عليا بمائة ألف مقاتل كان أيسر علي من قيس بن سعد (ولما) قدم قيس على علي وكشف له عن وجه الخبر قبل عذره وأطاعه في أمره كله وقدم محمد مصر فقرأ كتاب علي على الناس وخطبهم ثم بعث الى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم ادخلوا في طاعتنا أو اخرجوا عن بلادنا فقالوا دعنا حتى ننظر وأخذوا حذرهم ولما انقضت صفين وصار الامر الى التحكيم بارزوه وبعث العساكر الى يزيد بن الحرث الكناني بخربتا وعليهم الحرث بن جمهان فقتلوه ثم بعث آخر فقتلوه

(مبايعة عمرو بن العاصي لمعاوية)

لما أحيط بعثمان خرج عمرو بن العاصي الى فلسطين ومعه ابناه عبد الله ومحمد فسكن بها هاربا مما توقعه من قتل عثمان الى أن بلغه الخبر بقتله فارتحل يبكي ويقول كما تقول النساء حتى أتى دمشق فبلغه بيعة علي فاشتد عليه الامر وأقام ينتظر ما يصنعه الناس ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجا من أمره ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتاب في أمره وسمع ان معاوية بالشام لا يبايع عليا وانه يعظم قتل عثمان فاستشار ابنيه في المسير اليه فقال له ابنه عبد الله توفي النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان بعده وهم راضون عنك فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس وقال له محمد أنت ناب من أنياب العرب وكيف يجتمع هذا الامر وليس لك فيه صيت فقال يا عبد الله أمرتني بما هو خير لي في ديني ويا محمد أمرتني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجدهم يطلبون دم عثمان فقال أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم فأعرض معاوية قليلا ثم رجع اليه وشركه في سلطانه

(أمر صفين)

لما رجع علي بعد وقعة الجمل الى الكوفة مجمعا على قصد الشام بعث الى جرير بن عبد الله البجلي بهمدان والى الاشعث بن قيس باذربيجان وهما من عمال عثمان بأن يأخذا له البيعة ويحضرا عنده فلما حضرا بعث جريرا الى معاوية يعلمه ببيعته ونكث طلحة والزبير وحربهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس فلما قدم عليه طاوله في الجواب وحمل أهل الشام ليرى جرير قيامهم في دم عثمان واتهامهم عليا به وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان ملوثا بالدم كما قدمناه وبأصابع زوجته نائلة وضع معاوية القميص على المنبر والاصابع من فوقه فمكث الناس يبكون مدة وأقسموا ألا يمسهم ماء الاجنابة ولا يناموا على فراش حتى يثأروا من عثمان ومن حال دون ذلك قتلوه فرجع جرير بذلك الى علي وعذله الاشتر في بعث جرير وانه طال مقامه حتى تمكن أهل الشام من رأيهم فغضب لذلك جرير ولحق بقرقيسيا واستقدمه معاوية فقدم عليه وقيل ان شرحبيل بن السمط الكندي اشار على معاوية برد جرير لاجل منافسة كانت بينهما منذ أيام عمر وذلك ان شرحبيل كان عمر بن الخطاب بعثه الى سعد بالعراق ليكون معه فقربه سعد وقدمه ونافسه له أشعث بن قيس فأوصى جريرا عند وفادته على عمر أن ينال من شرحبيل عنده ففعل فبعث عمر شرحبيل الى الشام فكان يحقد ذلك على جرير فلما جاء الى معاوية أغراه شرحبيل به وحمله على الطلب بدم عثمان ثم خرج علي وعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود الانصاري وقدم عليه عبد الله بن عباس في أهل البصرة وتجهز معاوية وأغراه عمرو بقتله عسكر علي واضطغان أهل البصرة له بمن قتل منهم وعبى معاوية أهل الشام وعقد لعمرو ولابنيه وغلامه وردان الالوية وبعث علي في مقدمته زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف وشريح بن هانئ في أربعة آلاف وسار من النخيلة الى المدائن واستنفر من كان بها من المقاتلة وبعث منها معقل بن قيس في ثلاثة آلاف يسير من الموصل ويوافيه بالرقة وولى علي على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد وسار فلما وصل الى الرقة نصب له جسر فعبر وجاء زياد وشريح من ورائه وكانا سمعا بمسير معاوية وخشيا أن يلقاهما معاوية وبينهما وبين علي البحر ورجعا الى هيت وعبرا الفرات ولحقا بعلي فقدمهما امامه فلما أتيا الى سور الروم لقيهما أبو الاعور السلمي في جند من أهل الشام فطاولاه وبعثا الى علي فسرح الاشتر وامره ان يجعلهم على مجنبتيه وقال لا تقاتلهم حتى آتيك وكتب الى شريح وزياد بطاعته فقدم عليهما وكف عن القتال سائر يومه حتى حمل عليهم أبو الاعور بالعشي فاقتتلوا ساعة وافترقوا ثم خرج من الغداة وخرج اليه من أصحاب الاشتر هاشم بن عتبة المرقال واقتتلوا عامة يومهم

وبعث الاشتر سنان بن مالك النخعي الى أبي الاعور السلمي يدعوه الى البراز فأبى وحجز
بينهم الليل ووافاهم من الغد علي وعساكره فقدم الاشتر وانتهى الى معاوية ولحق
به علي وكان معاوية قد ملك شريعة الفرات فشكى الناس الى علي العطش فبعث
صعصعة بن صوحان الى معاوية بأنا سرنا ونحن عازمون على الكف عنكم حتى نعذر
اليكم فسابقنا جندكم بالقتال ونحن رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وقد منعتم
الماء والناس غير منتهين فابعث الى أصحابك يخلون عن الماء للورود حتى ننظر بيننا
وبينكم وان أردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا فأشار عمرو بن العاص بتخلية
الماء لهم وأشار ابن أبي سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء وعرضا بشتم فتشاتم معهم
صعصعة ورجع وأوعز الى أبي الاعور بمنعهم الماء وجاء الاشعث بن قيس الى الماء
فقاتلهم عليه ثم أمر معاوية أبا الاعور ويزيد بن أبي أسد القسري جد خالد بن عبد الله ثم
بعمرو بن العاص بعدهم وأمر علي الاشعث بشبث بن ربعي ثم بالاشتر وعليهم أصحاب
علي وملكوا الماء عليهم وأرادوا منعهم منه فنهاهم علي عن ذلك وأقام يومين ثم بعث
الى معاوية أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الانصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث
ابن ربعي التميمي يدعونه الى الطاعة وذلك أول ذي الحجة سنة ست وثلثين فدخلوا عليه
وتكلم بشير بن عمرو بعد حمد الله والثناء عليه والموعظة الحسنة وناشده الله أن لا يفرق
الجماعة ولا يسفك الدماء فقال هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال بشير ليس مثلك هو
أحق بالامر بالسابقة والقرابة قال فما رأيك قال تجيبه الى ما دعا اليه من الحق قال
معاوية ونترك دم عثمان لا والله لا أفعله أبدا ثم قال شبث بن ربعي يا معاوية انما طلبت
دم عثمان تستميل به هؤلاء السفهاء الطغام الى طاعتك ولقد علمنا انك أبطأت على
عثمان بالنصر لطلب هذه المنزلة فاتق الله ودع ما أنت عليه ولا تنازع الامر أهله فأجابه
معاوية وأبدع في سبه وقال انصرفوا فليس بيني وبينكم الا السيف فقال له شبث أقسم
بالله لنعجلنها لك ورجعوا الى علي بالخبر وأقاموا يقتتلون أيام ذي الحجة كلها عسكر من
هؤلاء وعسكر من هؤلاء وكرهوا أن يلتقوا بجمع أهل العراق بجمع أهل الشأم حذرا
من الاستئصال والهلاك ثم جاء المحرم فذهبوا الى الموادعة حتى ينقضي طمعا في
الصلح وبعث الى معاوية عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الارحبي وشبث بن ربعي وزياد
ابن خصفة فتكلم عدي بعد الحمد والثناء ودعا الى الدخول في طاعة علي ليجمع الله
به الكلمة فلم يبق غيرك ومن معك واحذر يا معاوية أن يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل
فقال معاوية كأنك جئت مهددا لا مصلحا هيهات يا عدي أنا ابن حرب والله ما يقعقع
لي بالشنان وانك من قتلة عثمان وأرجو أن يقتلك الله به فقال له يزيد بن قيس

انما

انما أتيناك رسلا ولا ندع مع ذلك النصح والسعي في الالفة والجماعة وذكر من فضل علي
واستحقاقه للامر بتقواه وزهده فقال معاوية بعد الحمد والثناء أما الجماعة التي تدعون
اليها فهي معنا وأما طاعة صاحبكم فلا نراها لانه قتل خليفتنا وآوى أهل ثارنا ونحن
مع ذلك نجيبكم الى الطاعة والجماعة اذا دفع الينا قتلة عثمان فقال شبث بن
ربعي أيسرك يا معاوية أن تقتل عمارا قال نعم ولو لاه قال شبث حتى تضيق والله الارض
الفضاء عليك فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيق وافترقوا عن معاوية
ثم خلا بزياد بن خصفة وشكى اليه من علي وسأله النصر منه بعشيرته وأن يوليه أحد
المصرين فأبى وقال اني على بينة من ربي فلن أكون ظهيرا للمجرمين وقام عنه فقال
معاوية لعمرو كان قلوبهم قلب رجل واحد ثم بعث معاوية الى علي حبيب بن مسلمة
وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الاخنس فدخلوا عليه فتكلم حبيب بعد الحمد لله
والثناء فقال ان عثمان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله وينيب الى أمره فاستثقلتم
حياته واستبطأتم موته فقتلتموه فادفع الينا قتلته ان كنت لم تقتله ثم اعتزل أمر
الناس فيولوا من اجمعوا عليه فقال علي ما أنت وهذا الامر فاسكت فلست
بأهل له فقال والله لتراني بحيث تكره فقال وما أنت لا أبقى الله عليك ان ابقيت اذهب
فصوب وصعد ثم تكلم بعد الحمد لله والثناء وهداية الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم
وخلافة الشيخين وحسن سيرتهما وقد وجدنا عليهما أن توليا ونحن أقرب منهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن سمحنا لهما بذلك وولي عثمان فعاب الناس عليه
وقتلوه ثم بايعوني مخافة الفرقة فأجبتهم ونكث علي رجلان وخالف صاحبكم الذي
ليس له مثل سابقتي والعجب من انقيادكم له دون بيت نبيكم ولا ينبغي لكم ذلك
وأنا أدعوكم الى الكتاب والسنة ومعالم الدين وإماتة الباطل واحياء الحق فقالوا
تشهد أن عثمان قتل مظلوما فقال لا أقول مظلوما ولا ظالما قالوا فمن لم يقل ذلك فنحن
منه براء وانصرفوا فقرأ علي انك لا تسمع الموتى الآية ثم قال لاصحابه لا يكن هؤلاء
في ضلالهم أجد منكم في حقكم ثم تنازع عدي بن حاتم في راية طيء وعامر بن قيس
الحزمري وكان رهطه أكثر من رهط عدي فقال عبد الله بن خليفة البولاني ما فينا
أفضل من عدي ولا من أبيه حاتم ولم يكن في الاسلام أفضل من عدي وهو الوافد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس طيء في النخيلة والقادسية والمداين وجلولا
ونهاوند وتستر وسأل علي قومهم فوافقوه على ذلك فقضى بها لعدي ولما انسلخ المحرم
نادى علي في الناس بالقتال وعبى الكتائب وقال لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فاذا
هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا ولا

تاخذوا مالا ولا تهيجوا امرأة وان شتمتكم فانهن ضعاف الانفس والقوى ثم حرضهم
ودعا لهم وجعل الاشتر على خيل الكوفة وسهل بن حنيف على خيل البصرة وقيس بن
سعد على رجالة البصرة وعمار بن ياسر على رجالة الكوفة وهاشم بن عتبة معه الراية
ومسعر بن فدكى على القراء وعبى معاوية كتائبه فجعل على الميمنة ذا الكلاع الحميرى
وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة وعلى المقدمة أبا الاعور وعلى خيل دمشق عمرو بن
العاصى وعلى رجالتها مسلم بن عقبة المرى وعلى الناس كلهم الضحاك بن قيس وتبايع
رجال من أهل الشأم على الموت فعقلوا أنفسهم بالعمائم فى خمسة صفوف فاقتتلوا
عامة يومهم وفى اليوم الثانى هاشم بن عتبة وأبو الاعور السلمى وفى اليوم الثالث
عمار بن ياسر وعمرو بن العاصى فاقتتلوا أشد قتال وحمل عمار فأزال عمرا عن
موضعه وفى اليوم الرابع محمد بن الحنفية وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وتداعيا الى
البراز فرد على ابنه وتراجعوا وفى اليوم الخامس عبد الله بن عباس والوليد بن عقبة
فاقتتلا كذلك ثم عاد فى اليوم السادس الاشتر وحبيب فاقتتلا قتالا شديدا وانصرفا
وخطب على الناس عشية يومه وأمرهم بمناهضة القوم بأجمعهم وأن يطيلوا الليلتهم
القيام ويكثروا التلاوة ويدعوا الله بالنصر والصبر ويرموا غدا فى لقائهم بالجد والحزم
فبات الناس يصلحون لليلتهم سلاحهم وعبى على الناس ليلته الى الصباح وزحف
وسأل عن القبائل من أهل الشأم وعرف مواقفهم وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها
من الشأم ومن ليس منهم أحد بالشأم يصرفهم الى من ليس منهم أحد بالعراق مثل
بجيلة صرفهم الى لخم وخرج معاوية فى أهل الشام فاقتتلوا يوم الاربعاء قتالا شديدا
عامة يومهم ثم انصرفوا وغلس على يوم الخميس بالزحف وعلى ميمنته عبد الله بن بديل
ابن ورقاء وعلى ميسرته عبد الله بن عباس والقراء مع عمار وقيس بن سعد وعبد الله
ابن يزيد والناس على راياتهم ومراكزهم وعلى فى القلب بين أهل الكوفة والبصرة
ومعه أهل البصرة والكوفة ومعه أهل المدينة من الانصار وخزاعة وكنانة ورفع
معاوية قبة عظيمة وألقى عليها الثياب وبايعه أكثر أهل الشأم على الموت وأحاط بقبته
خيل دمشق وزحف ابن بديل فى الميمنة فقاتلهم الى الظهر وهو يحرض أصحابه ثم كشف
خيلهم واضطرهم الى قبة معاوية وجاء الذين تبايعوا على الموت الى معاوية فبعثهم الى
حبيب فحمل بهم على ميمنة أهل العراق فانجفل الناس عن ابن بديل الا ثمانمائة أو
مائتين من القراء وانتهت الهزيمة الى على وأمده على بسهل بن حنيف فى أهل المدينة
فاستقبلهم جموع عظيمة لاهل الشأم فمنعتهم ثم انكشفت مضر من الميسرة وثبتت ربيعة
وجاء على يمشى نحوهم فاعترضه أحمر مولى أبى سفيان فحال دونه كيسان مولاه فقتله

أحمر فتناول على أحمر من درعه فجذبه وضرب به الارض وكسر منكبه وعضديه ثم دنا
من ربيعة فصبرهم وثبت أقدامهم وتنادوا بينهم ان أصيب بينكم أمير المؤمنين افتضحتم
فى العرب وكان الاشتر مر به راكضا نحو الميمنة واستقبل الناس منهزمين فأبلغهم مقالة
على أين فراركم من الموت الذى لا تعجزوه الى الحياة التى لا تبقى لكم ثم نادى أنا
الاشتر فرجع اليه بعضهم فنادى مذحجا وحرضهم فأجابوه وقصد القوم واستقبله شباب
من همدان ثمانمائة أو نحوها وكان قد هلك منهم فى ذلك اليوم أحد عشر رئيسا
وأصيب منهم ثمانون ومائة وزحف الاشتر نحو الميمنة وتراجع الناس واشتد القتال
حتى كشف أهل الشأم وألحقهم بمعاوية عند الاصفرار وانتهى الى ابن بديل فى مائتين
أو ثلثمائة من القراء قد لصقوا بالارض فانكشفوا عنهم أهل الشأم وأبصروا
اخوانهم وسألوا عن على فقيل لهم هو فى الميسرة يقاتل فقال ابن بديل استقدموا
بنا ونهاه الاشتر فأبى ومضى نحو معاوية وحوله امثال الجبال تقتل كل من دنا منه
حتى وصل الى معاوية فنهض اليه الناس من كل جانب وأحيط به فقتل وقتل من
أصحابه ناس ورجع آخرون مجرحين وأهل الشأم فى اتباعهم فبعث الاشتر من نفس عنهم
حتى وصلوا اليه وزحف الاشتر فى همدان وطوائف من الناس فأزال أهل الشأم عن
مواقفهم حتى ألحقهم بالصفوف المعقلة بالعمائم حول معاوية ثم حمل أخرى فصرع
منهم أربعة صفوف حتى دعا معاوية بفرسه فركبه وخرج عبد الله بن أبى الحصين
الازدى فى القراء الذين مع عمار فقاتلوا وتقدم عقبة بن حديد النميرى مستميتا ومعه
اخوته وقاتلوا حتى قتلوا وتقدم شمر بن ذى الجوشن مبارزا فضرب أدهم بن محرز
الباهلى وجهه بالسيف وحمل هو على أدهم فقتله وحمل قيس بن المكشوح ٣ ومعه
راية بجيلة فقاتل حتى أخذها آخر كذلك ولما رآى على أهل ميمنة أصحابه قد عادوا الى
مواقفهم وكشفوا العدو وقبالتهم أقبل اليهم وعذلهم بعض الشئ عن فرهم وأثنى على
وجوههم وقاتل الناس قتالا شديدا وتبارز الشجعان من كل جانب وأقبلت قبائل طئ
والنخع وخرجت حمير من ميمنة أهل الشأم وتقدم ذو الكلاع ومعهم عبيد الله بن عمر بن
الخطاب فقصد ربيعة فى ميسرة أهل العراق وعليهم ابن عباس وحملوا عليهم حملة شديدة
فثبتت ربيعة وأهل الحفاظ منهم وانهزم الضعفاء والفشلة ثم رجعوا ولحقت بهم عبد
القيس وحملوا على حمير فقتل ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر وأخذ سيف ذى الكلاع
وكان لعمر فلما ملك معاوية العراق أخذه من قاتله ثم خرج عمار بن ياسر وقال اللهم
انى لا أعمل اليوم عملا أرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين ثم نادى من سعى فى رضوان
ربه فلا يرجع الى مال ولا ولد فأتاه عصابة اقصدوا بنا هؤلاء الذين يطلبون بدم عثمان

٣ المكشوح لقب واسمه هبيرة اه كامل

يخادعون بذلك عما فى نفوسهم من الباطل ثم مضى فلا عثر بواد من صفين الا أتبعه من
هناك من الصحابة ثم جاء الى هاشم بن عتبة وكان صاحب الراية فأنهضه حتى دنا من
عمرو بن العاصى وقال يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك فقال انما أطلب دم عثمان فقال
أشهد أنك لا تطلب وجه الله فى كلام كثير من أمثال ذلك وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فى عمار تقتله الفئة الباغية ولما قتل عمار حمل على وحمل معه ربيعة ومضر
وهمدان حملة منكرة فلم يبق لاهل الشأم صف الا انتقض حتى بلغوا معاوية فناداه
على علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقام له الامر
فقال له عمرو أنصفك فقال له معاوية لكنك ما أنصفت وأسر يومئذ جماعة من أصحاب
على فترك سبيلهم وكذلك فعل على ومر على بكتيبة من الشأم قد ثبتوا فبعث اليهم محمد
ابن الحنفية فأزالهم عن مواقفهم وصرع عبد الله بن كعب المرادى فمر به الاسود بن
قيس فأوصاه بتقوى الله والقتال مع على وقال أبلغه عنى السلام وقال له قاتل على
المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من أصبح غدا والمعركة خلف ظهره فانه العالى
ثم اقتتل الناس الى الصباح وهى ليلة الجمعة وتسمى ليلة الهرير وعلى يسير بين
الصفوف ويحرض كل كتيبة على التقدم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره
والاشتر فى الميمنة وابن عباس فى الميسرة والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم
الجمعة ثم ركب الاشتر ودعا الناس الى الحملة على أهل الشأم فحمل حتى انتهى الى
عسكرهم وقتل صاحب رايتهم وأمده على بالرجال فلما رآى عمرو شدة أهل
العراق وخاف على أصحابه الهلاك قال لمعاوية مر الناس يرفعون المصاحف على
الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فان قبلوا ذلك ارتفع عنا القتال وان أبى
بعضهم وجدنا فى افتراقهم راحة ففعلوا ذلك فقال الناس نجيب الى كتاب الله
فقال لهم على يا عباد الله امضوا على حقكم وقتال عدوكم فان معاوية وابن أبى معيط
وحبيبا وابن أبى سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم صحبتهم
اطفالا ورجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها الا مكيدة
وخديعة فقالوا لا يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فلا نقبل فقال انما قاتلناهم ليدينوا
بكتاب الله فانهم نبذوه فقال له مسعر بن فدك التميمى وزيد بن حصين الطائى فى عصابة
من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك يا على أجب الى كتاب الله والا دفعنا
برمتك الى القوم أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عفان فقال ان تطيعونى فقاتلوا وان
تعصونى فافعلوا ما بدا لكم قالوا فابعث الى الاشتر وكفه عن القتال فبعث اليه
يزيد بن هانئ بذلك فابى وقال قد رجوت أن يفتح الله لى فلما جاء يزيد بذلك ارتفع الموقف

باللغط وقالوا لعلى ما نراك الا أمرته بقتال فابعث اليه فليأتك والا اعتزلناك فقال على
ويحك يا يزيد قل له أقبل الى فان الفتنة قد رفعت فقال ألرفع المصاحف فقال نعم
قال لقد ظننت أن ذلك يوقع فرقة كيف ندع هؤلاء وننصرف والفتح قد وقع فقال
يزيد تحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم على عدوه أو يقتل ثم أقبل اليهم الاشتر وأطال
عتبهم وقال امهلونى فواقا فقد احسست بالفتح فأبوا فعذلهم وأطال فى عذلهم
فقالوا دعنا يا أشتر قاتلناهم لله فقال بل خدعتم فانخدعتم ثم كثرت الملاحاة بينهم
وتشاتموا فصاح بهم على فكفوا فقال له الاشعث بن قيس ان الناس قد رضوا بما دعوا
اليه من حكم القرآن فان شئت أتيت معاوية وسألته ما يريد قال افعل فأتاه وسأله
لاى شئ رفعتم المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به من كتابه تبعثون رجلا
ترضونه ونحن آخر ونأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا
عليه فقال الاشعث هذا الحق ورجع الى على والناس وأخبرهم فقال الناس رضينا
وقبلنا ورضى أهل الشأم عمرا وقال الاشعث وأولئك القراء الذين صاروا خوارج
رضينا بأبى موسى فقال على لا أرضاه فقال الاشعث ويزيد بن الحصين ومسعر بن فدك
لا نرضى الا به قال فانه ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس عنى وهرب منى حتى أمنته
بعد شهر قالوا لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء قال فالاشتر قالوا وهل سعر
الارض غير الاشتر قال فاصنعوا ما بدا لكم فبعثوا الى أبى موسى وقد اعتزل القتال
فقيل ان الناس قد اصطلحوا فحمد الله قيل وقد جعلوك حكما فاسترجع وجاء أبو موسى
الى العسكر وطلب الاحنف بن قيس من على أن يجعله مع أبى موسى فأبى الناس من
ذلك وحضر عمرو بن العاصى عند على لتكتب القضية بحضوره فكتبوا بعد البسملة
هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين فقال عمرو ليس هو بأميرنا فقال له الاحنف لا تمحها
فانى أتطير بمحوها فمكث مليا ثم قال الاشعث امحها فقال على الله أكبر وذكر قصة
الحديبية وفيها انك ستدعى الى مثلها فتجيبها فقال عمرو سبحان الله نشبه بالكفار ونحن
مؤمنون فقال على يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا فقال عمرو
والله لا يجمع بينى وبينك مجلس بعد اليوم فقال على أرجو أن يطهر الله مجلسى منك ومن
أشباهك وكتب الكتاب هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان
قاضى على على أهل الكوفة ومن معهم ومعاوية على أهل الشأم ومن معهم انا ننزل
عند حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته
نحيى ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان فى كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله
ابن قيس وعمرو بن العاصى وما لم يجدا فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة

وأخذ الحكمان من علىّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما والامة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاصى عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة ولا يورداها فى حرب ولا فرقة حتى يقضيا وأجلا القضاء الى رمضان وان أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشأم وشهد رجال من أهل العراق ورجال من أهل الشأم وضعوا خطوطهم فى الصحيفة وأبى الاشتر أن يكتب اسمه فيها وحاوره الاشعث فى ذلك فأساء الرد عليه وتهدده وكتب الكتاب لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يوافى علىّ موضع الحكمين بدومة الجندل وبأذرح فى شهر رمضان ثم جاء بعض الناس الى علىّ يحضه على قتال القوم فقال لا يصلح الرجوع بعد الرضى ولا التبديل بعد الاقرار ثم رجع الناس عن صفين ورجع علىّ وخالفت الحرورية وأنكروا تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذى جاؤا فيه حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة ومرّ علىّ بقبر خباب بن الارت توفى بعد خروجه فوقف واسترحم له ثم دخل الكوفة فسمع رجة البكاء فى الدور فقال يبكين على القتلى فترحم لهم ولم يزل يذكر الله حتى دخل القصر فلم تدخل الخوارج معه وأتوا حروراء فنزلوا بها فى اثنى عشر ألفا وقدّموا شبث بن عمر التميمى أمير القتال وعبيد الله بن الكوا اليشكرى أمير الصلاة قالوا البيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والامر شورى بعد الفتح فقالوا للناس بايعتم عليا انكم أولياء من والى وأعداء من عادى وبايع أهل الشأم معاوية على ما أحب وكرهوا فلستم جميعا من الحق فى شئ فقال لهم زياد بن النضر والله ما بايعناه الا على الكتاب والسنة لكن لما خالفتموه تعينتم للضلال وتعيّنا للحق ثم بعث علىّ عبد الله بن عباس اليهم وقال لا تراجعهم حتى آتيك فلم يصبر عن مكالمتهم وقال ما نقمتم من أمر الحكمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين فكيف بالامة فقالوا لا يكون هذا بالرأى والقياس فان ذلك جعله الله حكما للعباد وهذا أمضاه كما أمضى حكم الزانى والسارق قال ابن عباس قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم قالوا والاخرى كذلك وليس أمر الصيد والزوجين كدماء المسلمين ثم قالوا والله قد كنا بالامس نقاتل عمرو بن العاصى فان كان عدلا فعلى ما قتلناه وان لم يكن عدلا فكيف يسوغ تحكيمه وأنتم قد حكمتم الرجال فى أمر معاوية وأصحابه والله تعالى قد أمضى حكمه فيهم أن يقتلوا أو يرجعوا وجعلتم بينكم الموادعة فى الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة ثم جاء علىّ الى فسطاط يزيد بن قيس منهم بعد ان علم أنهم يرجعون اليه فى رأيهم فصلى عنده ركعتين وولاه على اصبهان

والرى ثم خرج اليهم وهم فى مجلس ابن عباس فقال من زعيمكم قالوا ابن الكوا قال فما هذا الخروج قالوا لحكومتكم يوم صفين قال أنشدكم الله أتعلمون انه لم يكن رأيى وانما كان رأيكم مع انى اشترطت على الحكمين أن يحكما بحكم القرآن فان فعلا فلا ضير وان خالفا فلا خير ونحن براء من حكمهم قالوا فتحكيم الرجال فى الدماء عدل قال انما حكمنا القرآن الا أنه لا ينطق وانما يتكلم به الرجال قالوا فلم جعلتم الاجل بينكم قال لعل الله يأتى فيه بالهدنة بعد افتراق الامة فرجعوا الى رأيه وقال ادخلوا مصركم فلنمكث ستة أشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا فدخلوا من عند آخرهم

(أمر الحكمين)

ولما انقضى الاجل وحان وقت الحكمين بعث علىّ أبا موسى الاشعرى فى أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثى ومعهم عبد الله بن عباس يصلى بهم وأوصى شريحا بموعظة عمر فلما سمعها قال متى كنت أقبل مشورة علىّ وأعتدّ برأيه قال وما يمنعك أن تقبل من سيد المسلمين وأساء الرد عليه فسكت عنه وبعث معاوية عمرو بن العاصى فى أربعمائة من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل فكان أصحاب عمرو أطوع من أصحاب ابن عباس لابن عباس حتى لم يكونوا يسألوه عن كتاب معاوية اذا جاءه ويسأل أهل العراق ابن عباس ويتهمونه وحضر مع الحكمين عبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن أبى بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الرحمن ابن عبد يغوث الزهرى وأبو جهم بن حذيفة العدوى والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبى وقاص على خلاف فيه وقيل قدم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس ولما اجتمع الحكمان قال عمرو لابى موسى أتعلم ان عثمان قتل مظلوما وان معاوية وقومه أولياؤه قال بلى قال فما يمنعك منه وهو فى قريش كما علمت وان قصرت به السابقة فله حسن السياسة وانه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وصاحبه والطالب بدم عثمان وعرّض بالولاية فقال أبو موسى يا عمرو اتق الله واعلم ان هذا الامر ليس بالشرف والا لكان لآل ابرهة بن الصباح وانما هو بالدين والفضل مع انه لو كان بشرف قريش لكان لعلى بن أبى طالب وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأوليه وأدع المهاجرين الاولين وما تعريضك بالولاية فلو خرج لى معاوية عن سلطانه ما وليته وما ارتشى فى حكم الله ثم دعاه الى تولية عبد الله بن عمر فقال له عمرو فما يمنعك من ابنى وهو من علمت فقال هو رجل صدق ولكنك غمسته فى الفتنة فقال عمرو إن هذا الامر لا يصلح الا لرجل له ضرس يأكل ويطعم وكانت فى ابن عمر غفلة وكان ابن الزبير بازائه

فنبهه لما قال فقال ابن عمر لا أرشو عليها أبدا ثم قال أبو موسى يا ابن العاص ان العرب أسندت أمرها اليك بعد المقارعة بالسيوف فلا تردنهم فى فتنة قال له فخبرنى ما رأيك قال أرى أن نخلع الرجلين ونجعل الامر شورى يختار المسلمون لانفسهم فقال عمرو الرأى ما رأيت ثم أقبلوا على الناس وهم ينتظرونهم وكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه فى الكلام لماله من الصحبة والسن فقال يا أبا موسى أعلمهم ان رأينا قد اتفق فقال إنا رأينا أمرا نرجو الله أن يصلح به الامة فقال له ابن عباس ويحك أظنه خدعك فاجعل له الكلام قبلك فأبى وقال أيها الناس إنا نظرنا فى أمر الامة فلم نر أصلح لهم مما اتفقنا عليه وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويولى الناس أمرهم من أحبوا وانى قد خلعتهما فولوا من رأيتموه أهلا فقال عمرو ان هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعه وأثبت معاوية فهو ولى ابن عفان وأحق الناس بمقامه ثم غدا ابن عباس وسعد على أبى موسى باللائمة فقال ما أصنع غدرنى ورجع باللائمة على عمرو وقال لا وفقك الله غدرت وفجرت وحمل شريح على عمرو فضربه بالسيف وضربه ابن عمر كذلك وحجز الناس بينهم فلحق أبو موسى بمكة وانصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح الى علىّ بالخبر فكان يقنت اذا صلى الغداة ويقول اللهم العن معاوية وعمرا وحبيبا وعبد الرحمن بن مخلد والضحاك بن قيس والوليد وأبا الاعور وبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت يلعن عليا وابن عباس والحسن والحسين والاشتر (٣)

(٣) قال ابن كثير فى تاريخه ان هذا لم يصح اه ولعل الدعاء كان بغير اللعن قاله نصر

(أمر الخوارج وقتالهم)

ولما اعتزم علىّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى من الخوارج وقالا له تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم وقال علىّ قد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وعاهدناهم فقال حرقوص ذلك ذنب تنبغى التوبة منه فقال علىّ ليس بذنب ولكنه عجز من الرأى فقال زرعة لئن لم تدع تحكيم الرجال لاقاتلنك أطلب وجه الله فقال علىّ بؤسا لك كأنى بك قتيلا تسفى عليك الرياح قال وددت لو كان ذلك وخرجا من عنده يناديان لا حكم الا لله وخطب علىّ يوما فتنادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة فقال علىّ الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل وخطب ثانيا فقالوا كذلك فقال أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا الفئ ما دمتم معنا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وننتظر فيكم أمر الله ثم اجتمع الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى فوعظهم وحرضهم على الخروج الى بعض النواحى لانكار هذه البدع وتبعه حرقوص بن زهير فى المقالة

فقال حمزة بن سنان الاسدى الرأى ما رأيتم لكن لابد لكم من أمير وراية فعرضوها على زيد بن حصين الطائى ثم حرقوص ثم زهير ثم حمزة بن سنان ثم شريح بن أوفى العبسى فأبوا ثم عرضوها على عبد الله بن وهب فأجاب فبايعوه لعشر خلون من شوال وكان يقال له ذو الثفنات ثم اجتمعوا فى منزل شريح وتشاوروا وكتب ابن وهب الى أهل البصرة منهم يستحثهم على اللحاق بهم ولما اعتزموا على المسير تعبدوا ليلة الجمعة ويومها وساروا فخرج معهم طرفة بن عدى بن حاتم الطائى واتبعه أبوه الى المدائن فلم يقدر عليه فرجع ولقيه عبد الله بن وهب فى عشرين فارسا وأراد قتله فمنعه من كان معه من طيئ وأرسل علىّ الى عامل المدائن سعد بن مسعود يخبرهم فاستخلف ابن أخيه المختار بن عبيد وسار فى طلبهم فى خمسمائة فارس فتركوا طريقهم وساروا على بغداد ولحقهم سعد بالكرخ مساء وجاء عبد الله فى ثلاثين فارسا وقاتلهم وامتنعوا وأشار أصحابه بتركهم الى أن يأتى فيهم أمر علىّ فأبى ولما جنّ عليهم الليل عبر عبد الله اليهم دجلة وسار الى أصحابه بالنهروان واجتمعت خوارج البصرة فى خمسمائة رجل عليهم مسعر بن فدكى التميمى واتبعهم أبو الاسود الدؤلى بأمر ابن عباس ولحقهم فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل فأدلج مسعر بأصحابه فلحق بعبد الله بن وهب بالنهروان ولما خرجت الخوارج بايع علىّ أصحابه على قتالهم ثم انكر شأن الحكمين وخطب الناس وقال بعد الحمد لله والموعظة ألا إن هذين الحكمين نبذا حكم القرآن واتبع كل واحد هواه واختلفا فى الحكم وكلاهما لم يرشد فاستعدوا للسير الى الشام وكتب الى الخوارج بالنهروان بذلك واستحثهم للمسير الى العدو وقال نحن على الامر الاول الذى كنا عليه فكتبوا اليه انك غضبت لنفسك ولم تغضب لربك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا بيننا وبينك والا فقد نابذناك على السواء فيئس علىّ منهم ورأى أن يمضى الى الشام ويدعهم وقام فى الناس يحرضهم لذلك وكتب الى ابن عباس من معسكره بالنخيلة يأمره بالشخوص بالعساكر والمقام الى أن يأتى أمره فأشخص ابن عباس الاحنف بن قيس فى ألف وخمسمائة ثم خطب ثانية وندب الناس وقال كيف ينفر هذا العدد القليل وأنتم ستون ألف مقاتل ثم تهددهم وأمرهم بالنفير مع جارية بن قدامة السعدى فخرج معه ألف وسبعمائة ووافوا عليا فى ثلاثة آلاف ويزيدون ثم خطب أهل الكوفة ولاطفهم بالقول وحرضهم وأخبرهم بما فعل أهل البصرة مع كثرتهم وقال ليكتب الىّ كل رئيس منكم ما فى عشيرته من المقاتلة من أبنائهم ومواليهم فأجابه سعيد بن قيس الهمدانى ومعقل بن قيس وعدى بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدى واشراف الناس بالسمع والطاعة وأمر واذويهم ألا يختلف منهم أحد فكانوا أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر

ممن بلغ الحلم وانتهت عساكره الى ثمانية وستين ألفا وبلغه أن الناس يرون تقديم الخوارج فقال لهم ان قتال أهل الشام أهم علينا لانهم يقاتلونكم ليكونوا ملوكا جبارين ويتخذوا عباد الله خولا فرجعوا الى رأيه وقالوا سر بنا الى حيث شئت وبينما هو على اعتزام السير الى أهل الشام بلغه ان خوارج أهل البصرة لقوا عبد الله بن خباب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهروان فعرفهم بنفسه فسألوه عن أبي بكر وعمر فأثنى خيرا ثم عن عثمان فى أول خلافته وآخرها فقال كان محقا فى الاول والآخر فسألوه عن علي قبل التحكيم وبعده فقال هو أعلم بالله وأشد توقيا على دينه فقالوا انك توالى الرجال على أسمائها ثم ذبحوه وبقروا بطن امرأته ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيء فأسف عليا قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم على الناس فبعث الحرث بن مرة العبدى لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه فقال له أصحابه كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم فى أموالنا وعيالنا انما نقدم أمرهم على الشام وقام الاشعث بن قيس بمثل ذلك فوافقهم علي وسار اليهم وبعث من يقول لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم فنكف عنكم حتى نرجع من قتال العرب (٣) لعل الله يردكم الى خير فقالوا كلنا قتلهم وكلنا مستحل دماءكم ودماءهم ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظهم وأبو أيوب الانصارى كذلك ثم جاءهم علي فتهددهم وسفه رأيهم وبين لهم شأن الحكمين وانهما لما خالفا حكم الكتاب والسنة نبذنا أمرهما ونحن على الامر الاول فقالوا انا كفرنا بالتحكيم وقد تبنا فان تبت أنت فنحن معك وان أبيت فقد نابذناك فقال كيف أحكم على نفسي بالكفر بعد ايمانى وهجرتى وجهادى ثم انصرف عنهم وقيل ان عليا خطبهم وأغلظ عليهم فيما فعلوه من الاستعراض والقتل فتنادوا الا تكلموهم وتأهبوا للقاء الله ثم قصدوا جسر الخوارج ولحقهم علي دونه وقد عبى أصحابه وعلى ميمنته حجر بن عدى وعلى ميسرته شبث بن ربعى أو معقل بن قيس وعلى الخيل أبو أيوب وعلى الرجالة أبو قتادة وعلى أهل المدينة سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد وعبأت نحوه الخوارج على ميمنتهم زيد بن حصين الطائى وعلى الميسرة شريح بن أوفى العنسى وعلى الخيل حمزة بن سنان الاسدى وعلى الرجالة حرقوص بن زهير ودفع علي الى أبي أيوب راية أمانا لهم لمن جاءها ممن لم يقتل ولم يستعرض فناداهم اليها وقال من انصرف الى الكوفة والمدائن فهو آمن فاعتزل عنهم فروة بن نوفل الاشجعى فى خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لى أمر فى قتال علي فنزل الدسكرة وخرج آخرون الى الكوفة ورجع آخرون الى علي وكانوا أربعة آلاف وبقى منهم ألف وثمانمائة فحمل عليهم علي والناس حتى فرقهم على الميمنة والميسرة ثم استقبلتهم الرماة وعطفت عليهم الخيل من الجنبتين ونهض اليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم فى ساعة واحدة كأنما

(٣) يعنى أهل الشام كذا فى بداية ابن كثير

قيل

قيل لهم موتوا وقتل عبد الله بن وهب وزيد بن حصن وحرقوص بن زهير وعبد الله بن شجرة وشريح بن أوفى وأمر علي أن يلتمس المخدج فى قتلاهم وهو الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى علاماتهم فوجد فى القتلى فاعتبر علي وكبروا استنصر الناس وأخذ ما فى عسكرهم من السلاح والدواب فقسمه بين المسلمين ورد عليهم المتاع والاماء والعبيد ودفن عدى بن حاتم ابنه طرفة ورجالا من المسلمين فنهى علي عن ذلك وارتحل ولم يفقد من أصحابه الا سبعة أو نحوهم وشكا اليه الناس الكلال ونفود السهام والرماح وطلبوا الرجوع الى الكوفة ليستعدوا فانه أقوى على القتال وكان الذى تولى كلامه الاشعث بن قيس فلم يجبه وأقبل فنزل ومنعهم من دخول منازلهم حتى يسيروا الى عدوهم فتسللوا أيام المقامة الى البيوت وتركوا المعسكر خاليا فلما رأى علي ذلك دخل ثم ندبهم ثانيا فلم ينفروا فأقام أياما ثم كلم رؤساءهم على رأيهم والذى يبطئ بهم فلم ينشط من ذلك الا القليل فخطبهم وأغلظ فى عتابهم وأعلمهم بماله عليهم من الطاعة فى الحق والنصح فتثاقلوا وسكتوا

(ولاية عمرو بن العاصى مصر)

قد تقدم لنا ما كان من اجتماع العثمانية بنواحى مصر مع معاوية بن حديج السكونى وان محمد بن أبي بكر بعث اليهم العساكر من الفسطاط مع ابن مضاهم فهزموه وقتلوه واضطربت الفتنة بمصر على محمد بن أبي بكر وبلغ ذلك عليا فبعث الى الاشتر من مكان عمله بالجزيرة وهو نصيبين فبعثه على مصر وقال ليس لها غيرك وبلغ الخبر الى معاوية وكان قد طمع فى مصر فعلم أنها ستمتنع بالاشتر وجاء الاشتر فنزل على صاحب الخراج بالقلزم فمات هنالك وقيل ان معاوية بعث الى صاحب القلزم فسمه على أن يسقط عنه الخراج وهذا بعيد وبلغ موته عليا فاسترجع واسترحم وكان محمد بن أبي بكر لما بلغته ولاية الاشتر شق عليه فكتب علي يعتذر اليه وانه لم يوله لسوء رأى فى محمد وانما هو لما كان يظن فيه من الشدة وقد صار الى الله ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب فاصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر من ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفيك ما أهمك ويعينك على ما ولاك فأجابه محمد بالرضى برأيه والطاعة لأمره وانه مزمع على حرابة من خالفه ثم لما كان من أمر الحكمين ما كان واختلف أهل العراق على علي وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة فأراد معاوية صرف عمله الى مصر لما كان يرجو من الاستعانة على حروبه بخراجها ودعا بطانته أبا الاعور السلمى وحبيب بن مسلمة وبسر بن ارطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط وشاورهم فى شأنها

فأشار عليه عمرو بافتتاحها وأشار ببعث الجيش مع حازم صارم يوثق و يجتمع اليه من كان على رأيه من العثمانية وقال معاوية بل الرأى ان نكاتب العثمانية بالوعد ونكاتب العدو بالصلح والتخويف ونأتى الحرب من بعد ذلك ثم قال معاوية انك يا ابن العاصى بورك لك فى العجلة وأنا فى التؤدة فقال افعل ما تراه واظن الامر لا يصير الا للحرب فكتب معاوية الى معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد يشكرهما على الخلاف ويحثهما على الحرب والقيام فى دم عثمان وفرحا بجوابهما فطلبا المدد فجمع أصحابه وأشاروا بذلك فأمر عمرو بن العاصى أن يتجهز الى مصر فى ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة فنزل أدنى أرض مصر واجتمعت اليه العثمانية وبعث كتابه وكتاب معاوية الى محمد بن أبى بكر بالتهديد وان الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فاخرج فبعث بالكتابين الى على فوعده بانفاذ الجيوش وأمره بقتال العدو والصبر فقدم محمد بن أبى بكر كنانة بن بشر فى ألفين فبعث معاوية عمرو بن حديج وسرحه فى أهل الشام فأحاطوا بكنانة فترجل عن فرسه وقاتل حتى استشهد وجاء الخبر الى محمد بن أبى بكر فافترق عنه أصحابه وآوى فى مفره الى خربة واستتر فى تلك الخربة فقبض عليه فأخذه ابن حديج وجاء به الى الفسطاط وطلب أخوه عبد الرحمن من عمرو ان يبعث الى ابن حديج فى البقاء عليه فأبى وطلب محمد الماء فمنعه ابن حديج جزاء بما فعل بعثمان ثم احرقه فى جوف حمار بعد أن لعنه ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو وكانت عائشة تقنت فى الصلاة بالدعاء على قتلته ويقال انه لما انهزم اختفى عند جبلة بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حديج وأصحابه فخرج اليهم فقاتل حتى قتل ولما بلغ الخبر عليا خطب الناس وندبهم الى اعدائهم وقال اخرجوا بنا الى الجرعة بين الحيرة والكوفة وخرج من الغد الى منتصف النهار يمشى اليها حتى نزلها فلم يلحق به أحد فرجع من العشى وجمع اشراف الناس ووبخهم فأجاب مالك بن كعب الارحبى فى ألفين فقال سر وما أراك تدركهم فسار خمسا ولقى حجاج بن عرفة الانصارى قادما من مصر فأخبره بقتل محمد وجاء الى على عبد الرحمن ابن شبث الفزارى وكان عينا له بالشام فأخبره بقتل محمد واستيلاء عمرو على مصر فحزن لذلك وبعث الى مالك بن كعب أن يرجع بالجيش وخطب الناس فأخبرهم بالخبر وعذلهم على ما كان منهم من التثاقل حتى فات هذا الامر ووبخهم طويلا ثم نزل

(دعاء ابن الحضرمى بالبصرة لمعاوية ومقتله)

ولما فتح معاوية مصر بعث عبد الله بن الحضرمى الى البصرة داعيا لهم وقد آنس منهم الطاعة بما كان من مقتل على اياهم يوم الجمل وانهم على رأيه فى دم عثمان وأوصاه بالنزول فى مصر يتودد الى الازد وحذره من ربيعة وقال انهم ترابية يعنى شيعة لعلى

أى من الشاميين والمصريين الذين قاتلوا محمد بن أبى بكر اه بدايه

فسار ابن الحضرمى حتى قدم البصرة (وكان ابن عباس قد خرج الى على واستخلف عليها زيادا) ونزل فى بنى تميم واجتمع اليه العثمانية فحضهم على الطلب بدم عثمان من على فقال الضحاك بن قيس الهلالى قبح الله ما جئت به وما تدعو اليه تحملنا على الفرقة بعد الاجتماع وعلى الموت ليكون معاوية أميرا فقال له عبد الله بن حازم السلمى اسكت فلست لها بأهل ثم قال لابن الحضرمى نحن انصارك ويدك والقول قولك فقرأ كتاب معاوية يدعوهم الى رأيه من الطلب بدم عثمان على أن يعمل فيهم بالسنة ويضاعف لهم الاعطية فلما فرغ من قراءته قام الاحنف بن قيس معتزلا وحض عمر بن مرحوم على لزوم البيعة والجماعة وقام العباس بن حجر فى مناصرة ابن الحضرمى فقال له المثنى بن مخرمة لا يغرنك ابن صحار وارجع من حيث جئت فقال ابن الحضرمى لصبرة بن شيمان الازدى ألا تنصرنى قال لو نزلت عندى فعلت ودعا زياد أمير البصرة حضين بن المنذر ومالك بن مسمع ورؤس بكر بن وائل الى المنعة من ابن الحضرمى الى أن يأتى أمر على فأجاب حضين وتثاقل مالك وكان هواه فى بنى أمية فأرسل زياد الى صبرة بن شيمان يدعوه الى الجوار بما معه من بيت المال فقال ان حملته الى دارى أجرتك فتحول اليه ببيت المال والمنبر وكان يصلى الجمعة فى مسجد قومه وأراد زياد اختبارهم فبعث اليهم من ينذرهم بمسيره بهم اليهم وأخذ زياد جندا منهم بعد صبره لذلك وقال ان جاؤا جئناهم وكتب زياد الى على بالخبر فارسل أعين بن ضبيعة ليفرق تميما عن ابن الحضرمى ويقاتل من عصاه بمن أطاعه فجاء لذلك وقاتلهم يوما أو بعض يوم ثم اغتاله قوم فقتلوه يقال من الخوارج

*(ولاية زياد على فارس)

ولما قتل ابن الحضرمى بالبصرة والناس مختلفون على على طمع أهل النواحى من بلاد العجم فى كسر الخراج وأخرج أهل فارس عاملهم سهل بن حنيف فاستشار على الناس فأشار عليه جارية بن قدامة بزياد فأمر ابن عباس أن يوليه عليها فبعثه اليها فى جيش كثيف فطوى بهم أهل فارس وضرب بعضهم ببعض وهرب قوم وأقام آخرون وصفت له فارس بغير حرب ثم تقدم الى كرمان فدوخها مثل ذلك فاستقامت وسكن الناس ونزل اصطخر وسكن قلعة بها تسمى قلعة زياد

(فراق ابن عباس لعلى رضى الله عنهم)

وفى سنة أربعين فارق عبد الله بن عباس عليا ولحق بمكة وذلك انه مر يوما بأبى الاسود ووبخه على أمر فكتب أبو الاسود الى على بان ابن عباس استتر بأموال الله فاجابه على

جارية بن قدامة بضم القاف والتخفيف والحضرمى ضبط به فى شرح مسلم والدر جارية بالمهملة والمثلثة قاله نصر

يشكره على ذلك وكتب لابن عباس ولم يخبره بالكاتب فكتب اليه يكذب ما بلغه من ذلك وانه ضابط للمال حافظ له فكتب اليه على أعلمنى ما أخذت ومن أين أخذت وفيما صنعت فكتب اليه ابن عباس فهمت استعظامك لما رفع اليك انى رزأته من هذا المال فابعث الى عملك ولم يبعث الاموال وقال هذه ارزاقنا واتبعه أهل البصرة ووقفت دونه قيس فرجع صبرة بن شيمان الهمدانى بالازد وقال قيس اخواننا وهم خير من المال فأطيعونى وانصرف معهم بكر وعبد القيس ثم انصرف الاحنف بقومه من بنى تميم وحجز بقية تميم عنه ولحق ابن عباس بمكة

(مقتل على)

قتل رضى الله عنه سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان وقيل لاحدى عشرة وقيل فى ربيع الآخر والاول أصح وكان سبب قتله ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى والبرك بن عبد الله التميمى الصريمى واسمه الحجاج وعمرو بن بكر التميمى السعدى ثلاثتهم من الخوارج لحقوا من فلهم بالحجاز واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاة وترحموا على قتلى النهروان وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس فقال ابن ملجم وكان من مصر أنا أكفيكم عليا وقال البرك أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر التميمى أنا أكفيكم عمرو بن العاصى وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وانطلقوا ولقى ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم ثم جاء الى شبيب بن شجرة من أشجع ودعاه الى الموافقة فى شأنه فقال شبيب ثكلتك أمك فكيف تقدر على قتله قال أكمن له فى المسجد فى صلاة الغداة فان قتلناه والا فهى الشهادة قال ويحك لا أجدنى أنشرح لقتله مع سابقته وفضله قال ألم يقتل العباد الصالحين اهل النهروان قال بلى قال فنقتله بمن قتله منهم فأجابه ثم لقى امرأة من تيم الرباب فائقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم النهروان فأخذت قلبه فخطبها فاشترطت عليه عبدا وقينة وقتل على فقال كيف يمكن ما أنت تريدين قالت التمس غرته فان قتلته شفيت النفوس والا فهى الشهادة قال والله ما جئت الا لذلك ولك ما سألت قالت سأبعث معك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت معه رجلا من قومها اسمه وردان فلما كانت الليلة التى واعد ابن ملجم أصحابه على قتل على وكانت ليلة الجمعة جاء الى المسجد ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها على للصلاة فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع بعضادة الباب وضربه ابن ملجم على مقدم رأسه وقال الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك وهرب وردان الى منزله وأخبر بعض أصحابه بالامر فقتله

البرك بوزن صرد كذا ضبطه الحافظ اه تاج العروس

وهرب شبيب مغلسا وصاح الناس به فلحقه رجل من حضرموت فأخذه وجلس عليه والسيف فى يد شبيب والناس قد أقبلوا فى طلبه وخشى الحضرمى على نفسه لاختلاط الغلس فتركه وذهب فى غمار الناس وشد الناس على ابن ملجم واستخلف على على الصلاة جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانئ فصلى الغداة بالناس وأدخل ابن ملجم مكتوفا على على فقال أى عدو الله ما حملك على هذا قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه فقال أراك مقتولا به ثم قال ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى وان بقيت رأيت فيه رأيى يا بنى عبد المطلب لا تخوضون على دماء المسلمين وتقولون قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا الا قاتلى يا حسن ان أنا مت من ضربتى هذه فاضربه بسيفه ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والمثلة وقالت أم كلثوم لابن ملجم وهو مكتوف وهى تبكى أى عدو الله انه لا بأس على أبى والله مخزيك قال فعلام تبكين والله لقد شريته بألف وضلعته أربعين ولو كانت هذه الضربة بأهل بلد ما بقى منهم أحد وقال جندب بن عبد الله لعلى أنبايع الحسن ان فقدناك قال ما آمركم به ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين ووصاهما قال أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شئ زوى منها عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم قال لمحمد بن الحنفية انى أوصيك بمثل ذلك وبتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ولا تقطع أمرا دونهما ثم وصاهما بابن الحنفية ثم أعاد على الحسن وصيته ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ولم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض فأحضر الحسن ابن ملجم فقال له هل لك فى البقاء على وانى قد عاهدت الله أن اقتل عليا ومعاوية وانى عاهدت الله على الوفاء بالعهد فخل بينى وبين ذلك فان قتلته وبقيت فلك عهد الله أن آتيك فقال لا والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله واما البرك فانه قعد لمعاوية تلك الليلة فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف فى أليته واخذ فقال عندى بشرى اتنفعنى ان أخبرتك بها قال نعم قال ان أخالى قتل عليا هذه الليلة قال فلعله لم يقدر عليه قال بلى ان عليا ليس معه حرس فأمر به معاوية فقتل وأحضر الطبيب فقال ليس الا الكى أو شربة تقطع منك الولد فقال فى يزيد وعبد الله ما تقر به عينى والنار لا صبر لى عليها وقد قيل انه أمر بقطع البرك فقطع وأقام الى أيام زياد فقتله بالبصرة وعند ذلك اتخذ معاوية المقصورة وحرس الليل وقيام الشرط على راسه اذا سجد ويقال ان أول من اتخذ المقصورة مروان بن الحكم سنة أربع وأربعين حين طعنه اليمانى وأما عمرو ابن بكر فانه جلس لعمرو بن العاصى تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى فأمر صاحب

شرطته خارجة بن ابى حبيبة بن عامر بن لؤى يصلى بالناس فشد عليه فضربه فقتله وهو يرى أنه عمرو بن العاص فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو قال فمن قتلت اذا قالوا خارجة فقال لعمرو بن العاص والله ماظننته غيرك فقال عمرو أردت عمرا واراد الله خارجه وامر بقتله وتوفى على رضى الله عنه وعلى البصرة عبد الله بن عباس وعلى قضائها أبو الاسود الدؤلى وعلى فارس زياد بن سمية وعلى اليمن عبيد الله بن العباس حتى وقع أمر بسر بن أبى ارطاة وعلى مكة والطائف قثم بن عباس وعلى المدينة أبو أيوب الانصارى وقيل سهل بن حنيف

(بيعة الحسن وتسليمه الامر لمعاوية)

ولما قتل على رضى الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن وأول من بايعه قيس ابن سعد وقال ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله ويأتيان على كل شرط ثم بايعه الناس فكان يشترط عليهم انكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا وقالوا ماهذا لكم بصاحب ومايريد القتال وبلغ الخبر بقتل على الى معاوية فبويع بالخلافة ودعى بأمير المؤمنين وقد كان بويع بها بعد اجتماع الحكمين ولاربعين ليلة بعد مقتل على مات الاشعث بن قيس الكندى من أصحابه ثم مات من أصحاب معاوية شرحبيل بن السمط الكندى وكان على قبل قتله قد تجهز بالمسلمين الى الشام وبايعه أربعون ألفا من عسكره على الموت فلما بويع الحسن زحف معاوية فى أهل الشام الى الكوفة فسار الحسن فى ذلك الجيش للقائه وعلى مقدمته قيس بن سعد فى اثنى عشر ألفا وقيل بل كان عبد الله بن عباس على المقدمة وقيس فى طلائعه فلما نزل الحسن فى المدائن شاع فى العسكر ان قيس بن سعد قتل واهتاج الناس وماج بعضهم فى بعض وجاؤا الى سرادق الحسن ونهبوا ماحوله حتى نزعوه بساطه الذى كان عليه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم فى فخذه وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير الى المدائن ودخل الى القصر وكاد امره ان ينحل فكتب الى معاوية يذكر له النزول عن الامر على ان يعطيه مافى بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف ويعطيه خراج دارابجرد من فارس وألا يشتم عليا وهو يسمع وأخبر بذلك أخوه الحسين وعبد الله بن جعفر وعذلاه فلم يرجع اليهما وبلغت صحيفته الى معاوية فأمسكها وكان قد بعث عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة الى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم فى أسفلها وكتب اليه أن اشترط فى هذه الصحيفة ماشئت فهو لك فاشترط فيها اضعاف ماكان فى الصحيفة فلما سلم له وطالبه فى الشروط أعطاه مافى الصحيفة الاولى وقال هو الذى طلبت ثم نزعه أهل

البصرة خراج دارابجرد وقالوا هو فيئنا لانعطيه وخطب الحسن أهل العراق وقال سخى نفسى عنكم ثلاث قتل أبى وطعنى وانتهاب بيتى ثم قال ألا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين يبكون له وقتيل بالنهروان يطلبون بثاره وأما الباقى فخاذل وأما الباكى فثائر وان معاوية دعانا الى أمر ليس فيه عز ولانصفة فان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله بظبا السيوف وان أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضى فناداه الناس من كل جانب البقية البقية فأمضى الصلح ثم بايع لمعاوية لستة أشهر من بيعته ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس وكتب الحسن الى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس فى أصحابه فقال نحن بين القتال مع غير امام أو طاعة امام ضلالة فقال الناس طاعة الامام أولى وانصرفوا الى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص ان يقيم الحسن للناس خطيبا ليبدو للناس عيه فلما قدم حمد الله وقال أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فقال له معاوية اجلس وعرف أنه خدع فى رأيه ثم ارتحل الحسن فى أهل بيته وحشمهم الى المدينة وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين فلم يزل مقيما بالمدينة الى أن هلك سنة تسع وأربعين وقال أبو الفرج الاصبهانى سنة احدى وخمسين وعلى فراشه بالمدينة وماينقل من ان معاوية دس اليه السم مع زوجه جعدة بنت الاشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة وكان معاوية قد بعث عبد الله بن عامر فى جيش الى عبيد الله بن عباس لما كتب اليه فى الامان بنفسه فلقيه ليلا وأمنه وسار معه الى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا فى الفتنة وبلغ الخبر الى معاوية وأشار عليه عمرو فى قتاله وقال معاوية يقتل فى ذلك امثالهم من أهل الشام ولاخير فيه ثم بعث اليه بصحيفة ختم فى أسفلها وقال اكتب فى هذا ماشئت فهو لك فكتب قيس له ولشيعته الامان على ما أصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل مالا فأعطاه معاوية ذلك وبايعه قيس والشيعة الذين معه ثم جاء سعد بن أبى وقاص فبايعه واستقر الامر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك فى منتصف سنة احدى وأربعين وسمى ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم فقاتلهم واستلحمهم كما يأتى فى أخبارهم على ما اشترطناه فى تأليفنا من افراد الاخبار عن الدول وأهل النحل دولة دولة وطائفة طائفة (وهذا) آخر الكلام فى الخلافة الاسلامية وما كان فيها من الردة

والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبرى وهو تاريخه الكبير فانه أوثق ما رأيناه فى ذلك وأبعد من المطاعن عن الشبه فى كبار الامة من خيارهم وعدولهم من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين فكثيرا ما يوجد فى كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه فى حقهم أكثرها من أهل الاهواء فلا ينبغى أن تسود بها الصحف وأتبعتها بمفردات من غير كتاب الطبرى بعد أن تحريت الصحيح جهد الطاقة واذا ذكرت شيئا فى الاغلب نسبته الى قائله وقد كان ينبغى ان تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة ولا ينظر فى ذلك الى حديث الخلافة بعدى ثلاثون سنة فانه لم يصح والحق ان معاوية فى عداد الخلفاء وانما أخره المؤرخون فى التأليف عنهم لامرين (الاول) ان الخلافة لعهده كانت مغالبة لاجل ما قدمناه من العصبية التى حدثت لعصره وأما قبل ذلك كانت اختيارا واجتماعا فميزوا بين الحالتين فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الاهواء بالملوك ويشبهون بعضهم ببعض وحاشى الله ان يشبه معاوية بأحد ممن بعده فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه فى الدين والفضل من الخلفاء المروانية ممن تلاه فى المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بنى العباس ولا يقال ان الملك ادون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكا (واعلم) ان الملك الذى يخالف بل ينافى الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التى أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها واما الملك الذى هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافى الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين كانا على غاية الاستقامة فى دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا وانما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك اليه قومهم عندما تستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده اذا دعتهم ضرورة الملك الى استعمال أحكامه ودواعيه والقانون فى ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الاخبار لا بالواهى فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبى صلى الله عليه وسلم فى المسلمين ومن خرجت افعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وانما سمى خليفة بالمجاز (الامر الثانى) فى ذكر معاوية مع خلفاء بنى أمية دون الخلفاء الاربعة انهم كانوا أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء الاولون مختلفو الانساب فجعلوا فى نمط واحد وألحق بهم عثمان وان كان من أهل هذا النسب للحوقه بهم قريبا فى الفضل والله يحشرنا فى زمرتهم ويرحمنا بالاقتداء بهم

*(تمت

(تمت تكملة الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله)

{الخبر عن الدول الاسلامية ونبدأ منها بدولة بنى أمية معقبة لخلفاء صدر الاسلام وذكر أوليتهم وأخبار دولهم واحدة واحدة الى انقضائها}

كان لبنى عبد مناف الخ

كمل تصحيح هذه البقية فى ذى الحجة ختام سنة ١٢٨٤ وصححها الفقير نصر أبو الوفا الهورينى عفا الله عنه آمين

(يقول مصححها) الفقير كان معتمدى فى تصحيحها على
مراجعة شرح المواهب اللدنية فيما يتعلق بسيرة امام
المرسلين وعلى تاريخ ابن كثير وابن الاثير
فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين والحمد لله
الذى بنعمته تتم الصالحات
والصلاة والسلام على
خير المخلوقات
وآله
تم

يقول راجى غفران الاوزار ابراهيم الدسوقى عبد الغفار سبب تأخر طبع هذه البقية عدم وجودها بنسخ الديار المصريه وذلك أن هذا التاريخ البديع المثال البعيد المنال الفائق فى بابه الرائق لطلابه لما كانت النفوس الى طبعه مائله والاعناق الى حسن طلعته متطاوله لكون نسخه نادرة الوجود والنادر فى حكم المفقود وما فيه من النقص والبياض اليسير لا يمنع من طبعه والتكثير لان جلب النفع مقدم على ما سواه والطبع السليم يألفه ويتمناه وما لا يدرك كله لا يترك جله انتدب الى اختيار طبعه صاحب النخوة الوطنيه والطبيعة المدنية والنفس العزيزة الابيه والجبلة التى تأبى الدنيه المقتبس من شوارد صنائع الاوروبيين الرائقه وآلاتهم المحكمة القوانين الفائقه فى أيام المعرض اليسيره ما لم ينله غيره فى الاعوام الكثيره من لم يثن عزيمته عن نفع وطنه مثنى حضرة ناظر المطبعة حسين بيك حسنى فانه كان يقتبس من مخترعاتهم بمجرد النظر ما أطالوا فيه اتعاب الفكر فلله دره ما أسرع نقله وأوسع عقله ولما كمل طبعه وفيه بقيه لا توجد بنسخ الديار النيليه شرع يجد ويدأب فى البحث عنها والطلب فجعل يفتش عنها فى كافة المظان لاجل تخليص

الكتاب عن شين النقصان الى أن بلغ ذلك من غذى بلبان المعارف وتضلع من تليدها والطارف الامير ابن الامير صاحب الفضل الغزير من أجابته المعارف بسعديك حضرة صبحى بيك فتفضل بارسال تلك التكملة البهيه التى هى زهرة التواريخ الاسلاميه بل هى المقصودة بالذات لاحتوائها على سيرة كامل الصفات وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم أجمعين على ما فيها من يسير البياض فى الاصلاب الذى لا تخلو عنه نسخ هذا الكتاب وكأن هذه البياضات فى أصل التصنيف كما هو الغالب فيما لم يبيض من التآليف فبادر حضرة الناظر الى طبع هذه التكمله وبها صارت النسخ متكامله فجاءت موفية بالمرام وتمت فى ختام ذى الحجة الحرام سنة ١٢٨٤ أربع وثمانين بعد المائتين والالف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف بالمطبعة الكبرى ذات الآلات المتقنه والصنائع المستحسنه المعجبة بنفسها التائهة على أبناء جنسها فى ظل من تعطرت الافواه بطيب ثنائه وبلغ من كل وصف جميل حد انتهائه ومحا ظلم الظلم بشناصونته القمريه وأثبت مراسم العدل بسيرته العمريه وأسبل على أهل مملكته غيوث إنعامه واحسانه وشملهم بعظيم رأفته وامتنانه وبسط لهم بساط عدله وحلاهم بحلى جوده وفضله عزيز الديار المصريه وحامى حمى حوزتها الشمليه سعادة أفندينا ذى القدر العلى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على

أدام الله عز مليك مصر * وأيده بتعـــــزيز ونصر

ولا زالت مغردة عليـــه * طيور اليمن فى بر وبحـــر

فلا وحياته ما عدل كسرى * يعادل عنده معشار كسر

ومالى حيـــــلة الادعاء * أرجى نفعـــه لولى أمرى

وأما مدحـــه فقصور مثلى * عن الاطناب فيه عين عذرى

اللهم إنا نسألك يا أكرم مسؤل ونتوسل اليك بأعظم نبى وأكرم رسول أن تديم علينا أحكامـــه وتنشر على هام الخافقين أعـلامه وأن تبقى أنجاله الكرام وتحرسهم بعينك التى لا تنام بجاه خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام

(فهرسة الجزء الثالث من تاريخ الامام ابن خلدون)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

الجزء الثالث

من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر

وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كان) لبنى عبدمناف فى قريش جمل من العـدد والشرف لا يناهضهـم فيها أحـد من سائر بطون قريش وكان فخذاهم بنو أمية وبنو هاشم حيا جميعا ينتمون لعبدمناف وينسبون اليه وقريش تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهـم الا أن بنى أمـيـة كانوا أكثر عددا من بنى هاشم وأوفر رجالا والعزة انما هى بالكثرة قال الشاعر

وانما العزة للكاثر *

وكان لهم قبيل الاسلام شرف معروف انتهى الى حرب أمية وكان رئيسهم فى حرب الفجار وحدث الاخباريون أن قريشا تواقعوا ذات يوم وحرب هذا مسند ظهره الى الكعبة فتبادر اليـه غلمة منهـم ينادون يا عم أدرك قومك فقام يجر ازاره حتى اشرف عليهـم من بعض الربا ولوح بطرف ثوبه اليهم أن تعالوا فبادرت الطائفتان اليه بعد أن كان حمى وطيسهـم (ولما) جاء الاسلام ودهش الناس لما وقع من أمر النبوة والوحى وتنزل الملائكة وما وقع من خوارق الامور ونسى الناس أمر العصبية مسلمهم وكافرهم أما المسلمون فنهاهم الاسلام عن أمور الجاهلية كما فى الحـديث ان الله أذهب عنكم غبية الجاهلية وفخرها لانا وأنتم بنو آدم وآدم من تراب وأما المشركون فشغلهـم ذلك الامر العظـيم عن شأن العصائب وذهلوا

بهامش نسخة غبية بالغين المعجمة أى الافتخار بالآباء وغير ذلك من أمور العصبية اه

عنه

عنه حينا من الدهر ولذلك لما افترق أمر بنى أمية وبنى هاشم بالاسـلام انما كان ذلك الافتراق بحصار بنى هاشم فى الشعب لا غير ولم يقع كبير فتنة لاجل نسيان العصبيات والذهول عنها بالاسلام حتى كانت الهجرة وشرع الجهاد ولم يبق الا العصبية الطبيعية التى لا تفارق وهى بعزة الرجـل على أخيـه وجاره فى القتـل والعـدوان عليه فهذه لا يذهبها شئ ولا هى محظورة بل هى مطلوبة ونافعة فى الجهاد والدعاء الى الدين ألا ترى الى صفوان بن أمية وقوله عندما انكشف المسلمون يوم حنـين وهو يومئذ مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله صـلى الله عليه وسلم حتى يسلم فقال له أخوه ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان اسكت فض الله فاك لان يربنى رجـل من قريش أحب الى من أن يربنى رجـل من هوازن ثم ان شرف بنى عبـد مناف لم يزل فى بنى عبد شمس وبنى هاشم فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة كذلك ثم من بعده العباس والكثير من بنى عبد المطلب وسائر بنى هاشم خلا الجو حينئذ من مكان بنى هاشم بمكة واستغلظت رياسة بنى أميـة فى قريش ثم استحكمتها مشيخة قريش من سائر البطون فى بدر وهلك فيها عظماء بنى عبـد شمس عتبة وربيعة والوليد وعقبة بن أبى معيط وغيرهم فاستقل أبو سفيان بشرف بنى أمية والتقـدم فى قريش وكان رئيسهم فى أحد وقائدهم فى الاحزاب وما بعـدها (ولما كان الفتح) قال العباس للنبى صـلى الله عليه وسـلم لما أسلم أبو سفيان ليلتئذ كما هو معروف وكان صديقا له يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعـل له ذكرا فقال من دخـل دار أبى سفيان فهو آمن ثم من على قريش بعـد أن ملكهم يومئـذ وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء وأسلموا وشكت مشيخة قريش بعد ذلك لابى بكر ما وجـدوه فى أنفسهـم من التخلف عن رتب المهاجرين الاولين وما بلغهـم من كلام عمـر فى تركه شوراهـم فاعتذر لهم أبو بكر وقال أدركوا اخوانكم بالجهاد وأنفذهم لحروب الردة فأحسنوا الغناء عن الاسـلام وقوموا الاعراب عن الحيف والميـل ثم جاء عمر فرمى بهـم الروم وأرغب قريشا فى النفير الى الشأم فكان معظمهم هنالك واستعمل يزيد بن أبى سفيان على الشأم وطال أمد ولايتـه الى أن هلك فى طاعون عمواس سنـة ثمانى عشرة فولى مكانه أخاه معاوية وأقره عثمان من بعد عمر فاتصلت رياستهم على قريش فى الاسـلام برياستهم قبيل الفتح التى لم تحل صبغتها ولا ينسى عهدها أيام شغل بنى هاشم بأمر النبوة ونبذوا الدنيا من أيديهـم بما اعتاضوا عنها من مباشرة الوحى وشرف القرب من الله برسوله وما زال الناس يعرفون ذلك لبنى أميـة وانظر مقالة حنظلة بن زياد الكاتب لمحمد بن أبى بكر ان هـذا الامر ان صار الى التغالب غلبك عليـه بنو عبد مناف

(ولما هلك عثمان) واختلف الناس على على كانت عساكر على أكثر عددا لمكان الخلافة والفضل الا أنها من سائر القبائل من ربيعة ويمن وغيرهم وجموع معاوية انما هي جند الشأم من قريش شوكة مضر وبأسهم نزلوا بثغور الشأم منذ الفتح فكانت عصبيته أشد وأمضى شوكة ثم كسر من جناح على ما كان من أمر الخوارج وشغله بهم الى أن ملك معاوية وخلع الحسن نفسه واتفقت الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة احدى وأربعين عندما نسي الناس شأن النبوة والخوارق ورجعوا الى أمر العصبية والتغالب وتعين بنو أمية للغلب على مضر وسائر العرب ومعاوية يومئذ كبيرهم فلم تتعده الخلافة ولا ساهمه فيها غيره فاستوت قدمه واستفحل شأنه واستحكمت في أرض مصر رياسته وتوثق عقده وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدا من أهل الترشيح من ولد فاطمة وبني هاشم وآل الزبير وأمثالهم ويصانع رؤس العرب وقروم مضر بالاغضاء والاحتمال والصبر على الاذى والمكروه وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصابته فيها لا تنزع ومرقاته فيها تزل عنها الاقدام (ذكر) أنه مازح عدى بن حاتم يوما يؤنبه بصحبة على فقال له عدى والله ان القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا وان السيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر شبرا لندنين اليك من الشر باعا وان حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في على فشم السيف يامعاوية يبعث السيف فقال معاوية هذه كلمات حق فاكتبوها وأقبل عليه ولاطفه وتحادثا وأخباره في الحلم كثيرة

قوله وحشرجة الخ قال المجد والحشرجة الغرغرة عند الموت تردد النفس اه وقوله الحيزوم قال المجد أيضا وكأمير الصدر أو وسطه كالحيزوم فيهما جمعه أحزمة وحزم اه

(بعث معاوية العمال الى الامصار)

لما استقل معاوية بالخلافة عام عدم الجماعة بعث العمال الى الامصار فبعث على الكوفة المغيرة بن شعبة ويقال انه ولى عليها أولا عبد الله بن عمرو بن العاص فأتاه المغيرة منتصحا وقال عمرو بمصر وابنه بالكوفة فأنت بين نابي أسد فعزله وولى المغيرة وبلغ ذلك عمرا فقال لمعاوية يختان المال فلا تقدر على رده فمد فاستعمل من يخافك فنصب المغيرة على الصلاة وولى على الخراج غيره وكان على القضاء شريح (ولما ولى) المغيرة على الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الرى وأقره زياد بعده وكان يغزو الديلم ثم بعث على البصرة بسر بن أرطاة وكان قد تغلب عليها حمران بن زيد عند صلح الحسن مع معاوية فبعث بسرا عليها فخطب الناس وتعرض لعلى ثم قال نشدت الله رجلا يعلم أني صادق أو كاذب ولا صدقني أو كذبني فقال أبو بكرة اللهم لا نعلمك الا كاذبا فأمر به فخنق فقام أبو لؤلؤة الضبي فدفع عنه وكان على فارس من أعمال

البصرة زياد ابن أبيه وبعث اليه معاوية يطلبه في المال فقال صرفت بعضه في وجهه واستودعت بعضه للحاجة اليه وحملت ما فضل الى أمير المؤمنين رحمه الله فكتب اليه معاوية بالقدوم لينظر في ذلك فامتنع فلما ولى بسر على البصرة جمع عنده أولاد زياد الاكابر عبد الرحمن وعبد الله وعبادا وكتب اليه لتقدمن أو لاقتلن بنيك فامتنع واعتزم بسر على قتلهم فأتاه أبو بكرة وكان أخا زياد لامه فقال أخذتهم بلا ذنب وصالح الحسن على أصحاب على حيث كانوا فأمهله بسر الى أن يأتي بكتاب معاوية ثم قدم أبو بكرة على معاوية وقال ان الناس لم يبايعوك على قتل الاطفال وان بسرا يريد قتل بني زياد فكتب اليه بتخليتهم وجاء الى البصرة يوم الميعاد ولم يبق منه الا ساعة وهم موثقون للقتل فأدركهم وأطلقهم انتهى. (ثم عزل) معاوية بسرا عن البصرة وأراد أن يولى عتبة ابن أبي سفيان فقال له ابن عامر ان لي بالبصرة أموالا وودائع وان لم تولني عليها ذهبت فولاه وجعل اليه معها خراسان وسجستان وقدمها سنة احدى وأربعين فولى على خراسان قيس بن الهيثم السلمي وكان أهل بلخ وباذغيس وهراة وبوشنج قد نقضوا فسار الى بلخ وحاصرها حتى سألوا الصلح وراجعوا الطاعة وقيل انما صالحهم الربيع ابن زياد سنة احدى وخمسين على ما سيأتي (ثم قدم) قيس على ابن عامر فضربه وحبسه وولى مكانه عبد الله بن حازم وقدم خراسان فأرسل اليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج في الامان والصلح فأجابهم وحمل لابن عامر مالا انتهى (ثم ولى) معاوية سنة اثنتين وأربعين على المدينة مروان بن الحكم وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام واستقضى مروان عبد الله بن الحرث بن نوفل وعزل مروان عن المدينة سنة تسع وأربعين وولى مكانه سعد بن العاص وذلك لثمان سنين من ولايته وجعل سعيدا على القضاء ابن عبد الرحمن مكان عبد الله بن الحرث ثم عزل معاوية سعيدا سنة أربع وخمسين ورد اليها مروان

(قدوم زياد) وكان زياد قد امتنع بفارس بعد مقتل على كما قدمناه وكان عبد الرحمن ابن أخيه أبي بكرة يلى أمواله بالبصرة ورفع الى معاوية أن زيادا استودع أمواله عبد الرحمن فبعث الى المغيرة بالكوفة أن ينظر في ذلك فأحضر عبد الرحمن وقال له ان يكن أبوك أساء الى فقد أحسن عمك وأحسن العذر عند معاوية (ثم قدم المغيرة) على معاوية فذكر له ما عنده من الوجل باعتصام زياد بفارس فقال داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل فما آمن أن يبايع لرجل من أهل البيت ويعيد الحرب خدعة فاستأذنه المغيرة أن يأتيه ويتلطف له ثم أتاه وقال ان معاوية بعثني اليك وقد بايعه الحسن ولم يكن هناك غيره فخذ لنفسك قبل أن يستغنى معاوية عنك قال أشر على

والمستشار مؤتمن فقال أرى أن تشخص اليه وتصل حبلك بحبله وترجع عنه فكتب اليه معاوية بأمانه وخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبي وحارثة بن بدر الغداني واعترضه عبد الله بن حازم في جماعة وقد بعثه ابن عامر ليأتيه به فلما رأى كتاب الامان تركه وقدم على معاوية فسأله عن أموال فارس فأخبره بما أنفق وبما حمل الى علي وبما بقي عنده مودعا للمسلمين فصدقه معاوية وقبضه منه ويقال انه قال له أخاف أن تكون مكرو بابي فصالحه على ألفي ألف درهم بعث بها اليه واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له وكان المغيرة يكرمه ويعظمه وكتب اليه معاوية أن يلزم زيادا وحجر بن عدي وسليمان بن صرد وشبث بن ربعي وابن الكوا وابن الحمق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلوات

(عمال ابن عامر على الثغور) لما ولي ابن عامر على البصرة استعمل عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطتها عباد بن الحصين ومعه من الاشراف عمر ابن عبيد الله بن معمر وغيره وكان أهل البلاد قد كفروا ففتح أكثرها حتى بلغ كابل وحاصرها أشهرا ونصب عليها المجانيق حتى ثلم سورها ولم يقدر المشركون على سد الثلمة وبات عباد بن الحصين عليها يطاعنهم الى الصبح ثم خرجوا من الغد للقتال فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة اه (ثم سار) الى نسف فملكها عنوة ثم الى خشك فصالحه أهلها ثم الى الرخج فقاتلوه وظفر بهم وفتحها اه ثم الى زابلستان وهي غزنة وأعمالها ففتحها ثم عاد الى كابل وقد نكث أهلها ففتحها اه (واستعمل) على ثغر الهند عبد الله بن سوار العبدي ويقال بل ولاه معاوية من قبله فغزا القيقان فأصاب مغنما ووفد على معاوية وأهدى له من خيولها ثم عاد الى غزوهم فاستنجدوا بالترك وقتلوه وكان كريما في الغاية يقال لم يكن أحد يوقد النار في عسكره وسأل ذات ليلة عن نار رآها فقيل له خبيص يصنع لنفساء فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام (واستعمل) على خراسان قيس بن الهيثم فتغافل بالخراج والهدنة فولى مكانه عبد الله بن حازم فخاف قيسا وأقبل فزاد ابن عامر غضبا لتضييعه الثغر وبعث مكانه رجلا من يشكر وقيل أسلم بن زرعة الكلابي اه (ثم بعث) عبد الله بن حازم وقيل ان ابن حازم قال لابن عامر ان قيسا لا ينهض بخراسان وأخاف ان لقي قيس حربا أن ينهزم ويفسد خراسان فاكتب لي عهدا ان عجز عن عدو قمت مقامه فكتب وخرجت خارجة من طخارستان فأشار ابن حازم عليه أن يتأخر حتى يجتمع عليه الناس فلما سار غير بعيد أخرج ابن حازم عهده وقام بأمر الناس وهزم العدو وبلغ الخبر الى الامصار فغضبت أصحاب قيس وقالوا خدع صاحبنا وشكوا الى معاوية فاستقدمه فاعتذر

فقبل منه وقال له أقم في الناس بعذرك ففعل اه (وفي سنة) ثلاث وأربعين توفي عمرو ابن العاص بمصر فاستعمل معاوية مكانه عبد الله ابنه

(عزل ابن عامر) وكان ابن عامر حليما لينا للسفهاء فطرق البصرة الفساد من ذلك وقال له زياد جرد السيف فقال لا أصلح الناس بفساد نفسي ثم بعث وفدا من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة ومنهم ابن الكوا وهو عبد الله بن أبي أوفى اليشكري فلما سألهم معاوية عن الامصار أجابه ابن الكوا بعجز ابن عامر وضعفه فقال معاوية تتكلم على أهل البصرة وهم حضور وبلغ ذلك ابن عامر فغضب وولى على خراسان من أعداء ابن الكوا عبد الله بن أبي شيخ اليشكري أو طفيل بن عوف فسخر منه ابن الكوا لذلك وقال وددت أنه ولى كل يشكري من أجل عداوتي ثم ان معاوية استقدم ابن عامر فقدم وأقام أياما فلما ودعه قال اني سائلك ثلاثا قال هن لك قال ترد علي عملي ولا تغضب وتهب لي مالك بعرفة ودورك بمكة قال قد فعلت قال وصلتك رحم فقال ابن عامر واني سائلك ثلاثا ترد علي عملي بعرفة ولا تحاسب لي عاملا ولا تتبع لي أثرا وتنكحني ابنتك هندا قال قد فعلت ويقال ان معاوية خيره بين أن يرده على اتباع أثره وحسابه بما سار اليه أو يعزله ويسوغه ما أصاب فاختار الثالثة فعزله وولى مكانه الحرث بن عبد الله الازدي

(استلحاق زياد) كانت سمية أم زياد مولاة للحرث بن كلدة الطبيب وولدت عنده أبا بكرة ثم زوجها بمولى له وولدت زيادا وكان أبو سفيان قد ذهب الى الطائف في بعض حاجاته فأصابها بنوع من أنكحة الجاهلية وولدت زيادا هذا ونسبه الى أبي سفيان وأقر لها به الا أنه كان يخفيه ولما شب زياد سمت به النجابة واستكتبه أبو موسى الاشعري وهو على البصرة واستكفاه عمر في أمر فحسن منابه دينه وحضر عنده يعلمه بما صنع فأبلغ ما شاء في الكلام فقال عمرو بن العاص وكان حاضرا لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش ساق العرب بعصاه قال أبو سفيان وعلي يسمع والله اني لاعرف أباه ومن وضعه في رحم أمه فقال له علي اسكت فلو سمع عمر هذا منك كان اليك سريعا ثم استعمل علي زيادا على فارس فضبطها وكتب اليه معاوية يتهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان اياه فقام في الناس فقال عجبا لمعاوية يخوفني دين ابن عم الرسول في المهاجرين والانصار وكتب اليه علي اني وليتك وأنا أراك أهلا وقد كان من أبي سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس لا توجب ميراثا ولا نسبا ومعاوية يأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام اه ولما قتل علي وصالح زياد معاوية وضع مصقلة بن هبيرة

قوله وفي سنة ثلاث الخ هذا يخالف ما ذكره الميداني في مجمع الامثال قال ليس هذا من كيسك يضرب لمن يرى منه ما لا يمكن أن يكون هو صاحبه وأصل هذا أن معاوية لما أراد المبايعة ليزيد دعا عمرا فعرض عليه البيعة له فامتنع فتركه معاوية ولم يستقص عليه فلما اعتل معاوية العلة التي توفي فيها دعا يزيد وخلا به وقال له اذا وضعتم سريري على شفير حفرتي فادخل أنت القبر ومر عمرا يدخل معك فاذا دخل فاخرج واخترط سيفك ومره ليبايعك فان فعل والا فادفنه قبلي ففعل ذلك =

الشيبانى على معاوية ليعرض له بنسب أبى سفيان ففعل ورأى معاوية أن يعمله باستلحاقه فالتمس الشهادة بذلك ممن علم لحوق نسبه بأبى سفيان فشهد له رجال من أهل البصرة وألحقه وكان أكثر شيعة على ينكرون ذلك وينقمونه على معاوية حتى أخوه أبو بكرة (وكتب زياد) الى عائشة فى بعض الاحيان من زياد بن أبى سفيان يستدعى جوابها بهذا النسب ليكون له حجة فكتبت اليه من عائشة أم المؤمنين الى ابنها زياد وكان عبد الله عامر يبغض زيادا وقال يوما لبعض أصحابه من عبد القيس بن سمية يقبح آثارى ويعترض عمالى لقد هممت بقسامة من قريش ان أبا سفيان لم ير سمية فأخبر زياد بذلك فأخبر به معاوية فأمر حاجبه أن يرده من أقصى الابواب وشكا ذلك الى يزيد فركب معه فأدخله على معاوية فلما رآه قام من مجلسه ودخل الى بيته فقال يزيد نقعد فى انتظاره فلم يزالا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول وقال انى لا أتكثر بزياد من قلة ولا أتعزز به من ذلة ولكن عرفت حق الله فوضعته موضعه فخرج ابن عامر وترضى زيادا ورضى له معاوية

(ولاية زياد البصرة) كان زياد بعد صلح معاوية واستلحاقه نزل الكوفة وكان يتشوف الامارة عليها فاستثقل المغيرة ذلك منه فاستعفى معاوية من ولاية الكوفة فلم يعفه فيقال انه خرج زياد الى الشأم ثم ان معاوية عزل الحرث بن عبد الله الازدى عن البصرة وولى عليها زيادا سنة خمس وأربعين وجمع له خراسان وسجستان ثم جمع له السند والبحرين وعمان وقدم البصرة فخطب خطبته البتراء وهى معروفة وانما سميت البتراء لانه لم يفتتحها بالحمد والثناء فحذرهم فى خطبته ما كانوا عليه من الانهماك فى الشهوات والاسترسال فى الفسق والضلال وانطلاق أيدى السفهاء على الجنايات وانتهاك الحرم وهم يدنون منهم فأطال فى ذلك عنفهم ووبخهم وعرفهم ما يجب عليهم فى الطاعة من المناصحة والانقياد للائمة وقال لكم عندى ثلاث لا أحتجب عن طالب حاجة ولو طرقنى ليلا ولا أحبس العطاء عن ابانه ولا أجمر البعوث فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الاهتم أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب قال كذبت ذاك نبى الله داود ثم استعمل على شرطته عبد الله بن حصين وأمره أن يمنع الناس من الولوج بالليل وكان قد قال فى خطبته لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وكان يأمر بقراءة سورة البقرة بعد صلاة العشاء مؤخرة ثم يمهل بقدر ما يبلغ الرجل أقصى البصرة ثم يخرج صاحب الشرطة فلا يجد أحدا الا قتله وكان أول من شدد أمر السلطان وشيد الملك فجرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه السفهاء والذعار وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم حتى كان الشئ يسقط من يد الانسان

يزيد فبايع عمرو وقال ما هذا سن كيسك ولكنه من كيس الموضوع فى اللحد فذهبت مثلا اه

فلا يتعرض له أحد حتى يأتى صاحبه فيأخذه ولا يغلق أحد بابه وأدر العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف وسئل فى اصلاح السابلة فقال حتى أصلح المصر فلما ضبطه أصلح ما وراءه وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عمران بن حصين ولاه قضاء البصرة فاستعفى فولى مكانه عبد الله بن فضالة الليثى ثم أخاه عاصما ثم زرارة بن أوفى وكانت أخته عند زياد وكان يستعين بأنس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب ويقال ان زيادا أول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس رابطة فكان خمسمائة منهم لا يفارقون المسجد ثم قسم ولاية خراسان على أربعة فولى على مرو أمين ابن أحمد اليشكرى وعلى نيسابور خليد بن عبد الله الحنفى وعلى مرو الروذ والفاريات والطالقان قيس بن الهيثم وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطاحى ثم ان نافعا بعث اليه بجواد باهر غنمه فى بعض وجوهه وكانت قوائمه منه فأخذ منها قائمة وجعل مكانها أخرى ذهبا وبعث الجواد مع غلامه زيد وكان يتولى أموره فسعى فيه عند زياد بأمر تلك القائمة فعزله وحبسه وأغرمه مائة ألف كتب عليه بها كتابا وقيل ثمانمائة ألف وشفع فيه رجال من الازد فأطلقه واستعمل مكانه الحكم بن عمرو الغفارى وجعل معه رجالا على الجباية منهم أسلم بن زرعة الكلابى وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم سار سنة سبع وأربعين الى جبال الغور وكانوا قد ارتدوا ففتح وغنم وسبى وعبر النهر فى ولايته الى ما وراءه فلا مغارة ولما رجع من غزاة الغور مات بمرو واستخلف على عمله أنس بن أبى أناس بن زنيم فلم يرضه زياد وكتب الى خليد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد الحارثى فى خمسين ألفا من البصرة والكوفة

(طوائف الشأم) ودخل المسلمون سنة اثنتين وأربعين الى بلاد الروم فهزموهم وقتلوا جماعة من البطارقة وأثخنوا فيها ثم دخل بسر بن أرطاة أرضهم سنة ثلاث وأربعين ومشى بها وبلغ القسطنطينية ثم دخل عبد الرحمن بن خالد وكان على حمص فشتى بهم وغزاهم بسر تلك السنة فى البحر ثم دخل عبد الرحمن اليها سنة ست وأربعين فشتى بها وشتى أبو عبد الرحمن السبيعى على انطاكية ثم دخلوا سنة ثمان وأربعين فشتى عبد الرحمن بانطاكية أيضا ودخل عبد الله بن قيس الفزارى فى تلك السنة بالصائفة وغزاهم مالك بن هبيرة السكونى فى البحر وعقبة بن عامر الجهنى فى البحر أيضا بأهل مصر وأهل المدينة ثم دخل مالك بن هبيرة سنة تسع وأربعين فشتى بأرض الروم ودخل عبد الله بن كرز البجلى بالصائفة وشتى يزيد بن شجرة الرهاوى فى بلاد الروم بأهل الشأم فى البحر وعقبة بن نافع بأهل مصر كذلك (ثم) بعث معاوية سنة خمسين جيشا كثيفا الى بلاد الروم مع سفيان بن عوف وندب يزيد ابنه معهم فتثاقل فتركه ثم بلغ

الناس أنّ الغزاة أصابهم جوع ومرض وبلغ معاوية أنّ يزيد أنشد فى ذلك

ما ان أبالى بما لاقت جموعهم * بالفدفد البيد من حمى ومن شوم
اذا اتطأت على الانماط مرتفقا * بدير مرّان عندى أمّ كلثوم

وهى امرأته بنت عبد الله بن عامر فحلف ليلحقن بهم فسار فى جمع كثير جمعهم اليه معاوية فيهم ابن عباس وابن عامر وابن الزبير وأبو أيوب الانصارى فأوغلوا فى بلاد الروم وبلغوا القسطنطينية وقاتلوا الروم عليها فاستشهد أبو أيوب الانصارى ودفن قريبا من سورها ورجع يزيد والعساكر الى الشأم ثم شتى فضالة بن عبيد بأرض الروم سنة احدى وخمسين وغزا بسر بن أرطاة الصائفة

(وفاة المغيرة) توفى المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطاعون وقيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين فولى مكانه معاوية زيادا وجمع له المصرين فسار زياد اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب فلما وصل الكوفة خطبهم فحصبوه على المنبر فلما نزل جلس على كرسى وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك ومن لم يحلف حبسه فبلغوا ثمانين واتخذ المقصورة من يوم حبس ثم بلغه عن أوفى بن حسين شئ فطلبه فهرب ثم أخذه فقتله وقال له عمارة بن عتبة بن أبى معيط انّ عمر بن الحمق يجتمع اليه شيعة على فأرسل اليه زياد ونهاه عن الاجتماع عنده وقال لا أبيح أحدا حتى يخرج على وأكثر سمرة بن جندب اليتامى بالبصرة يقال قتل ثمانية آلاف فأنكر ذلك عليه زياد اه

(كان عمرو بن العاص) قبل وفاته استعمل عقبة بن عامر بن عبد قيس على افريقية وهو ابن خالته انتهى الى لواته ومرانه فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غدامس وفى السنة التى بعدها ودّان وكورا من كور السودان وأثخن فى تلك النواحى وكان له فيها جهاد وفتوح ثم ولاه معاوية على افريقية سنة خمسين وبعث اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه مسلمة البربر فكبر جمعه ووضع السيف فى أهل البلاد لانهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا فاذا رجعوا عنهم ارتدوا فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها العساكر من البربر فاختط القيروان وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وكملت فى خمس سنين وكان يغزو ويبعث السرايا للاغارة والنهب ودخل أكثر البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين ثم ولى معاوية على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد الانصارى واستعمل على افريقية مولاه أبا المهاجر فأساء عزل عقبة واستخف به فسير ابن مخلد الانصارى عقبة الى معاوية

وشكا اليه فاعتذر له ووعده برده الى عمله ثم ولاه يزيد سنة اثنتين وستين (وذكر) الواقدى أنّ عقبة ولى افريقية سنة ست وأربعين فاختط القيروان ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بأبى المهاجر فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه فكتب اليه يزيد يبعثه اليه وأعاده واليا على افريقية فحبس أبا المهاجر الى أن قتلهم جميعا كسيلة ملك البرانس من البربر كما نذكر بعد * (كان المغيرة بن شعبة أيام امارته على الكوفة) كثيرا ما يتعرض لعلى فى مجالسه وخطبه ويترحم على عثمان ويدعو له فكان حجر بن عدى اذا سمعه يقول بلايا كم قد أضل الله ولعن ثم يقول أنا أشهد أنّ من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أحق بالذم فيعث له المغيرة يقول يا حجر اتق غضب السلطان وسطوته فانها تهلك أمثالك لا يزيده على ذلك (ولما كان) آخر امارة المغيرة قال فى بعض أيامه مثل ما كان يقول فصاح به حجر ثم قال له مر لنا بأرزاقنا فقد حبستها منا وأصبحت مولعا بذم المؤمنين وصاح الناس من جوانب المسجد صدق حجر فمر لنا بأرزاقنا فالذى أنت فيه لا يجدى علينا نفعا فدخل المغيرة الى بيته وعذله قومه فى جراءة حجر عليه يوهن سلطانه ويسخط عليه معاوية فقال لا أحب أن آتى بقتل أحد من أهل المصر وسيأتى بعدى من يصنع معه مثل ذلك فيقتله ثم توفى المغيرة وولى زياد فلما قدم خطب الناس وترحم على عثمان ولعن قاتليه وقال حجر ما كان يقول فسكت عنه ورجع الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث وبلغه أنّ حجرا يجتمع اليه شيعة على ويعلنون بلعن معاوية والبراءة منهم وانهم حصبوا عمرو بن حريث فشخص الى الكوفة حتى دخلها ثم خطب الناس وحجر جالس يسمع فتهدده وقال لست بشئ ان لم أمنع الكوفة من حجر وأودعه نكالا لمن بعده ثم بعث اليه فامتنع من الاجابة فبعث صاحب الشرطة شداد بن الهيثم الهلالى اليه جماعة فسبهم أصحابه فجمع زياد أهل الكوفة وتهددهم فتبرؤا فقال ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر ففعلوا حتى اذا لم يبق معه الا قومه قال زياد لصاحب الشرطة انطلق اليه فأت به طوعا أو كرها فلما جاءه يدعوه امتنع من الاجابة فحمل عليهم وأشار اليه أبو العمرطة الكندى بأن يلحق بكندة فمنعوه هذا وزياد على المنبر ينتظر ثم غشيهم أصحاب زياد وضرب عمرو بن الحمق فسقط ودخل فى دور الازد فاختفى وخرج حجر من أبواب كندة فركب ومعه أبو العمرطة الى دور قومه واجتمع اليه الناس ولم يأته من كندة الا قليل ثم أرسل زياد وهو على المنبر مذحج وهمدان ليأتوه بحجر فلما علم أنهم قصدوه تسرّب من داره الى النخع ونزل على أخى الاشتر وبلغه أنّ الشرطة تسأل عنه فى النخع فأتى الازد واختفى عند ربيعة بن ناجد وأعياهم طلبه فدعا حجر محمد بن الاشعث أن يأخذ له

أمانا من زياد حتى يبعث به الى معاوية فجاء محمد ومعه جرير بن عبد الله وحجر بن يزيد
وعبد الله بن الحرث أخو الاشتر فاستأمنوا له زيادا فأجابهم ثم أحضروا حجرا فحبسه
وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحمق الى الموصل ومعه زواعة بن شداد فاختفى فى جبل
هنالك ورفع أمرهما الى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ابن أخت
معاوية ويعرف بابن أم الحكم فسار اليهما وهرب زواعة وقبض على عمرو وكتب
الى معاوية بذلك فكتب اليه انه طعن عثمان سبعا بمشاقص كانت معه فاطعنه كذلك
فمات فى الاولى والثانية ثم جد زياد فى طلب أصحاب حجر وأتى بقبيصة بن ضبيعة العبسى
بأمان فحبسه وجاء قيس بن عباد الشبلى برجل من قومه من أصحاب حجر فأحضره زياد
وسأله عن علىّ فأثنى عليه فضربه وحبسه وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن
الاشعث ثم دخل بيته فى الكوفة وسعى به الى الحجاج فقتله ثم أرسل زياد الى عبد الله
ابن خليفة الطائى من أصحاب حجر فتوارى وجاء الشرط فأخذوه ونادت أخته الفرار
بقومه فخلصوه فأخذ زياد عدىّ بن حاتم وهو فى المسجد وقال ائتنى بعبد الله وخبره
جهرة فقال آتيك بابن عمى تقتله والله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه فحبسه فنكر
ذلك الناس وكلموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبير طيئ
قال أخرجه على أن يخرج ابن عمه عنى فأطلقه وأمر عدى عبد الله أن يلحق بجبل
طيئ فلم يزل هنالك حتى مات وأتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمى من أصحاب حجر وغيره
ولما جمع منهم اثنى عشر فى السجن دعا رؤس الارباع يومئذ (بياض بالاصل) وهم
عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان وقيس
ابن الوليد على ربع ربيعة وكندة وأبو بردة بن أبى موسى على ربع مذحج وأسد
فشهدوا كلهم أن حجرا جمع الجموع وأظهر شتم معاوية ودعا الى حربه وزعم
أن الامر لا يصلح الا فى الطالبيين ووثب بالمصر وأخرج العامل وأظهر عذر أبى تراب
والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وأن النفر الذين معه وهم رؤس أصحابه
على مقدم رأيه ثم استكثر زياد من الشهود فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة والمنذر
ابن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبى معيط وعمر بن سعد بن أبى وقاص وغيرهم وفى الشهود
شريح بن الحرث وشريح بن هانئ ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمى وكثير
ابن شهاب ودفع اليهما حجر بن عدىّ وأصحابه وهم الارقم بن عبد الله الكندى وشريك
ابن شداد الحضرمى وصيفى بن فضيل الشيبانى وقبيصة بن ضبيعة العبسى وكريم
ابن عفيف الخثعمى وعاصم بن عوف البجلى وورقاء بن سمىّ البجلى وكرام بن حبان
العنزى وعبد الرحمن بن حسان العنزى ومحرز بن شهاب التميمى وعبد الله بن حوية

السعدى

السعدى ثم أتبع هؤلاء الاحدى عشر بعتبة بن الاخنس من سعد بن بكر وسعد بن
غوات الهمدانى وأمرهما أن يسيرا بهم الى معاوية ثم لحقهما شريح بن هانئ ودفع
كتابه الى معاوية بن وائل ولما انتهوا الى مرج عذراء قرب دمشق تقدم ابن وائل وكثير
الى معاوية فقرأ كتاب شريح وفيه بلغنى أن زيادا كتب شهادتى وانى أشهد على حجر
أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر حرام الدم والمال فان شئت فاقبله أو فدعه فقال معاوية ما أرى هذا
الا أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء حتى لحقهم عتبة بن الاخنس
وسعد بن غوات اللذين ألحقهما زياد بهما وجاء عامر بن الاسود العجلى الى معاوية
فأخبره بوصولهما فاستوهب يزيد بن أسد البجلى عاصما وورقاء ابنى عمه وقد كتب يزيد
يزكيهما ويشهد ببراءتهما فأطلقهما معاوية وشفع وائل بن حجر فى الارقم وأبو الاعور
السلمى فى ابن الاخنس وحبيب بن سلمة فى أخويه فتركهم وسأله مالك بن هبيرة
السكونى فى حجر فرده فغضب وحبس فى بيته وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعى
والحسين بن عبد الله الكلابى وأبا شريف البدرى الى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم
من أمرهم بقتله فأتوهم وعرض عليهم البراءة من على فأبوا وصلوا عامة ليلتهم ثم قدموا
من الغد للقتل وتوضأ حجر وصلى وقال لولا أن يظنوا بى الجزع من الموت لاستكثرت
منها اللهم انا نستعديك على أمتنا أهل الكوفة يشهدون علينا وأهل الشأم يقتلوننا
ثم مشى اليه هدبة بن فياض بالسيف فارتعد فقالوا كيف وأنت زعمت أنك لا تجزع
من الموت فابرأ من صاحبك وندعك فقال ومالى لا أجزع وأنا بين القبر والكفن
والسيف وان جزعت من الموت لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة معه
وهم شريك بن شداد وصيفى بن فضيل وقبيصة بن حنيفة ومحرز بن شهاب وكرام
ابن حبان ودفنوهم وصلوا عليهم بعبد الرحمن بن حسان العنزى وجئ بكريم بن
الخثعمى الى معاوية فطلب منه البراءة من علىّ فسكت واستوهبه سمرة بن عبد
الله الخثعمى من معاوية فوهبه له على أن لا يدخل الكوفة فنزل الى الموصل
ثم سأل عبد الرحمن بن حسان عن علىّ فأثنى خيرا ثم عن عثمان فقال أول من فتح باب
الظلم وأغلق باب الحق فرده الى زياد ليقتله شر قتلة فدفنه حيا وهو سابع القوم
(وأما مالك) بن هبيرة السكونى فلما لم يشفعه معاوية فى حجر جمع قومه وسار ليخلصه
وأصحابه فلقى القتلة وسألهم فقالوا مات القوم وسار الى عدى فتيقن قتلهم فأرسل
فى اثر القتلة فلم يدركوهم وأخبروا معاوية فقال تلك حرارة يجدها فى نفسه وكأنى بها
قد طفئت ثم أرسل اليه بمائة ألف وقال خفت أن يعيد القوم حربا فيكون على المسلمين

أعظم من قتل حجر فطابت نفسه (ولما بلغ) عائشة خبر حجر وأصحابه أرسلت عبد الرحمن
ابن الحرث الى معاوية يشفع فيهم فجاء وقد قتلوا فقال لمعاوية أين غاب عنك حلم أبى
سفيان فقال حيث غاب عنى مثلك من حلماء قومى وحملنى ابن سمية فاحتملت وأسفت
عائشة لقتل حجر وكانت تثنى عليه وقيل فى سياقة الحديث غير ذلك وهو أن زيادا أطال
الخطبة فى يوم جمعة فتأخرت الصلاة فأنكر حجر ونادى بالصلاة فلم يلتفت اليه وخشى
فوت الصلاة فحصبه بكف من الحصباء وقام الى الصلاة فقام الناس معه فخافهم زياد
ونزل فصلى وكتب الى معاوية وعظم عليه الامر فكتب اليه أن يبعث به موثقا
فى الحديد وبعث من يقبض عليه فكان ما مر ثم قبض عليه وحمله الى معاوية فلما رآه
معاوية أمر بقتله فصلى ركعتين وأوصى من حضره من قومه لا تفكوا عنى قيدا
ولا تغسلوا دما فانى لاقى معاوية غدا على الجادة وقتل اه (وقالت) عائشة لمعاوية
أين حلمك عن حجر قال لم يحضرنى رشيد اه (وكان) زياد قد ولى الربيع بن زياد
الحارثى على خراسان سنة احدى وخمسين بعد أن هلك حسن بن عمر الغفارى وبعث
معه من جند الكوفة والبصرة خمسين ألفا فيهم بريدة بن الحصيب وأبو برزة الاسلمى
من الصحابة وغزا بلخ ففتحها صلحا وكانوا انتقضوا بعد صلح الاحنف بن قيس ثم فتح
قهستان عنوة واستلحم من كان بناحيتها من الترك ولم يفلت منهم الا قيزل طرخان وقتله
قتيبة بن مسلم فى ولايته فلما بلغ الربيع بن زياد بخراسان قتل حجر سخط ذلك وقال لا تزال
العرب تقتل بعده صبرا ولو نكروا قتله منعوا أنفسهم من ذلك لكنهم أقروا فذلوا
ثم دعا بعد صلاة جمعة لايام من خبره وقال للناس انى قد مللت الحياة وانى داع فأمنوا
ثم رفع يديه وقال اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك عاجلا وأمن الناس ثم خرج
فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل الى بيته واستخلف ابنه عبد الله ومات من يومه ثم مات
ابنه بعده بشهرين واستخلف خليد بن عبد الله الحنفى وأقره زياد

(وفاة زياد) ثم مات زياد فى رمضان سنة ثلاث وخمسين بطاعون أصابه فى يمينه
يقال بدعوة ابن عمر وذلك أن زيادا كتب الى معاوية انى ضبطت العراق بشمالى ويمينى
فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له عهده بذلك وخاف أهل الحجاز وأتوا عبد الله بن عمر
يدعو لهم الله أن يكفيهم ذلك فاستقبل القبلة ودعا معهم وكان من دعائه اللهم اكفناه
ثم كان الطاعون فأصيب فى يمينه فأشير عليه بقطعها فاستدعى شريحا القاضى
فاستشاره فقال ان يكن الاجل فرغ فتلقى الله أجذم (١) كراهية فى لقائه
والا فتعيش أقطع ويعير ولدك فقال لا أبيت والطاعون فى لحاف واحد واعتزم على
قطعها فلما نظر الى النار والمكاوى جزع وتركه وقيل تركه لاشارة شريح وعذل الناس

(١) بياض بالاصل وفى مروج الذهب ما يؤخذ منه تسويده وعبارته وانه شاور شريحا فى قطعها فقال له لك رزق مقسوم وأجل معلوم وانى أكره ان كانت لك مدة أن تعيش اجذم وان حم أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك اه

شريحا فى ذلك فقال المستشار مؤتمن ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت
لك كفنك ستين ثوبا فقال يا بنى قد دنا لابيك لباس خير من لباسه ثم مات ودفن
بالثوية قرب الكوفة وكان يلبس القميص ويرقعه ولما مات استخلف على الكوفة
عبد الله بن خالد بن أسيد وكان خليفته على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان وعزل
بعد ذلك عبد الله بن خالد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس

(ولاية عبيد الله بن زياد على خراسان ثم على البصرة)

ولما قدم ابنه عبيد الله على معاوية وهو ابن خمس وعشرين سنة قال من استعمل
أبوك على المصرين فأخبره فقال لو استعملك لاستعملتك فقال عبيد الله أنشدك الله
أن يقول لى أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك استعملتك فولاه خراسان ووصاه
فكان من وصيته اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيأ فان فى تقواه عوضا وق عرضك
من أن تدنسه وان أعطيت عهدا فأوف به ولا تتبعن كثيرا بقليل ولا يخرجن منك
أمر حتى تبرمه فاذا خرج فلا يردن عليك واذا لقيت عدوك فكبر أكبر من معك
وقاسمهم على كتاب الله ولا تطمعن أحدا فى غير حقه ولا تؤيس أحدا من حق هو له
ثم ودعه فسار الى خراسان أول سنة أربع وخمسين وقدم اليها أسلم بن زرعة الكلابى
ثم قدم فقطع النهر الى جبال بخارى على الابل ففتح رامين ونسف وسكند ولقيه الترك
فهزمهم وكان مع ملكهم امرأته خاتون فأعجلوها عن لبس خفيها فأصاب المسلمون
احدهما وقوم بمائتى ألف درهم وكان عبيد الله ذلك اليوم يحمل عليهم وهو يطعن
حتى يغيب عن أصحابه ثم يرفع رايته تقطر دما وكان هذا الزحف من زحوف خراسان
المعدودة وكانت أربعة منها للاحنف بن قيس بقهستان والمرغاب وزحف لعبد الله
ابن حازم قضى فيه جموع قاران وأقام عبيد الله واليا على خراسان سنتين وولاه معاوية
سنة خمس وخمسين على البصرة وذلك أن ابن غيلان خطب وهو أمير على البصرة
فحصبه رجل من بنى ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة يسألونه الكتاب الى معاوية بالاعتذار
عنه وانه قطع على أمر لم يصح مخافة أن يعاقبهم معاوية جميعا فكتب لهم وسار ابن غيلان
الى معاوية رأس السنة وأوفاه الضبيون بالكتاب فادعوا أن ابن غيلان قطع صاحبهم
ظلما فلما قرأ معاوية الكتاب قال أما القود من عمالى فلا سبيل اليه ولكن أدى
صاحبكم من بيت المال وعزل عبد الله بن غيلان عن البصرة واستعمل عليها عبيد الله
ابن زياد فسار اليها عبيد الله وولى على خراسان أسلم بن زرعة الكلابى فلم يغز ولم يفتح

(العهد ليزيد)

ذكر الطبرى بسنده قال قدم المغيرة على معاوية فشكا اليه الضعف فاستعفاه فأعفاه

وأراد أن يولى سعيد بن العاص وقال أصحاب المغيرة للمغيرة ان معاوية قلاك فقال لهم رويدا ونهض الى يزيد وعرض له بالبيعة وقال ذهب أعيان الصحابة وكبراء قريش وذوو أسنانهم وانما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وسياسة وما أدرى ما يمنع أمير المؤمنين من العهد لك فأدى ذلك يزيد الى أبيه واستدعاه وفاوضه فى ذلك فقال قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان وفى يزيد منك خلف فاعهد له يكون كهفا للناس بعدك فلا تكون فتنة ولا يسفك دم وأنا أكفيك الكوفة ويكفيك ابن زياد البصرة فرد معاوية المغيرة الى الكوفة وأمره أن يعمل فى بيعة يزيد فقدم الكوفة وذاكر من يرجع اليه من شيعة بنى أمية فأجابوه وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى فدعاه الى عقد البيعة ليزيد فقال أوقد رضيتموه قالوا نعم نحن ومن وراءنا فقال ننظر ما قدمتم له ويقضى الله أمره والاناة خير من العجلة ثم كتب الى زياد يستشيره بفكر

بياض بالاصل

وكف عن هدم دار سعيد وكتب سعيد الى معاوية يعذله فى ادخال الظعينة بين قرابته ويقول لو لم تكن بنى أب واحد لكانت قرابتنا ما جمعنا الله عليه من نصرة الخليفة المظلوم يجب عليك أن تدعى ذلك فاعتذر له معاوية وتنصل وقدم سعيد عليه وسأله عن مروان فأثنى خيرا فلما كان سنة سبع وخمسين عزل مروان وولى مكانه الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان وقيل سنة ثمان

(عزل الضحاك عن الكوفة وولاية ابن أم الحكم ثم النعمان بن بشير)

عزل معاوية الضحاك عن الكوفة سنة ثمان وخمسين وولى مكانه عبد الرحمن بن عبد الله ابن عثمان الثقفى وهو ابن أم الحكم أخت معاوية فخرجت عليه الخوارج الذين كان

المغيرة حبسهم فى بيعة المستورد بن علقمة وخرجوا من سجنه بعد موته فاجتمعوا على حيان بن ضبيان السلمى ومعاذ بن جرير الطائى فسير اليهم عبد الرحمن الجيش من الكوفة فقتلوا أجمعين كما يذكر فى أخبار الخوارج ثم ان أهل الكوفة نقلوا عن عبد الرحمن سوء سيرته فعزله معاوية عنهم وولى مكانه النعمان بن بشير وقال أوليك خيرا من الكوفة فولاه مصر وكان عليها معاوية بن خديج السكونى وسار الى مصر فاستقبله معاوية على مرحلتين منها وقال ارجع الى خالك لا تسر فينا سيرتك فى اخواننا أهل الكوفة فرجع الى معاوية وأقام معاوية بن خديج فى عمله

(ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان) وفى سنة تسع وخمسين قدم عبد الرحمن بن زياد وافدا على معاوية فقال يا أمير المؤمنين أما لنا حق قال بلى فماذا قال توليني قال بالكوفة النعمان بن بشير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالبصرة وخراسان عبيد الله أخوك وبسجستان عباد أخوك ولا أرى ما يشبهك الا أن أشركك فى عمل عبيد الله فان عمله واسع يحتمل الشركة فولاه خراسان فسار اليها وقدم بين يديه قيس ابن الهيثم السلمى فأخذ أسلم بن زرعة وحبسه ثم قدم عبد الرحمن فأغرمه ثلثمائة ألف درهم وأقام بخراسان وكان متضعفا لم يغز قط وقدم على يزيد بين يدى قتل الحسين فاستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فقال له يزيد كم معك من مال خراسان قال عشرون ألف ألف درهم فخيره بين أخذها بالحساب ورده الى عمله أو تسويغه اياها وعزله على أن يعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم فاختار تسويغها والعزل وبعث الى ابن جعفر بألف ألف وقال نصفها من يزيد ونصفها منى ثم ان أهل البصرة وفدوا مع عبيد الله بن زياد على معاوية فأذن له على منازلهم ودخل الاحنف آخرهم وكان هيأ المنزلة من عبيد الله فرحب به معاوية وأجلسه معه على سريره ثم تكلم القوم وأثنوا على عبيد الله وسكت الاحنف فقال معاوية تكلم يا أبا بحر فقال أخشى خلاف القوم فقال انهضوا فقد عزلت عنكم عبيد الله واطلبوا واليا ترضونه فطفق القوم يختلفون الى رجال بنى أمية وأشراف الشام وقعد الاحنف فى منزله ثم أحضرهم معاوية وقال من اخترتم فسمى كل فريق رجلا والاحنف ساكت فقال معاوية تكلم يا أبا بحر فقال ان وليت علينا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحدا وان وليت من غيرهم ننظر فى ذلك قال فانى قد أعدته عليكم ثم أوصاه بالاحنف وقبح رأيه فى مباعدته ولما هاجت الفتنة لم يعزله غير الاحنف ثم أخذ على وفد البصرة البيعة لابنه يزيد معهم

(بقية الصوائف) دخل بسر بن أرطاة سنة اثنتين وخمسين أرض الروم وشتى بها

وقيل رجع ونزل هنالك سفيان بن عوف الازدى فشتى بها وتوفى هنالك اه وغزا
بالصائفة محمد بن عبد الله الثقفى ثم دخل عبد الرحمن ابن أم الحكم سنة ثلاث وخمسين
الى أرض الروم وشتى بها وافتتحت فى هذه السنة رودس فتحها جنادة بن أبى أمية
الازدى ونزلها المسلمون على حذر من الروم ثم كانوا يعترضونه فى البحر ويأخذون سفنه
وكان معاوية يدركهم بالعطاء حتى خافهم الروم ثم نقلهم يزيد فى ولايته ثم دخل سنة أربع
وخمسين الى بلاد الروم محمد بن مالك وشتى بها وغزا بالصائفة ابن يزيد

بياض بالاصل

السلمى وفتح المسلمون جزيرة أروى قرب القسطنطينية ومقدمهم جنادة بن أبى أمية
فملكوها سبع سنين ونقلهم يزيد فى ولايته وفى سنة خمس وخمسين كان شتى سفيان بن
عوف بأرض الروم وقيل عمر بن محرز وقيل عبد الله بن قيس وفى سنة ست وخمسين
كان شتى جنادة بن أبى أمية وقيل عبد الرحمن بن مسعود وقيل غزا فى البحر يزيد
ابن سمرة وفى البر عياض بن الحرث وفى سنة سبع وخمسين كان شتى عبد الله
ابن قيس بأرض الروم وغزا مالك بن عبد الله الخثعمى فى البر وعمر بن يزيد الجهنى
فى البحر وفى سنة ثمان وخمسين كان شتى عمر بن مرة الجهنى بأرض الروم وغزا فى البحر
جنادة بن أمية وفتح المسلمون فى هذه السنة حصن كفخ من بلاد الروم وعليهم عمير
ابن الحباب السلمى صعد سورها وقاتل عليه وحده حتى انكشف الروم وفتحه وفى سنة
ستين غزا مالك بن عبد الله سورية وملك جنادة بن أبى أمية رودس وهدم مدينتها
(وفاة معاوية) وتوفى معاوية سنة ستين وكان خطب الناس قبل موته وقال انى كزرع
مستحصد وقد طالت امارتى عليكم حتى مللتكم ومللتمونى وتمنيت فراقكم وتمنيتم
فراقى ولن يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما أن من كان قبلى خير منى وقد قيل
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه اللهم انى قد أحببت لقاءك فاحبب لقائى وبارك لى
فلم يمض الا قليل حتى ازداد به مرضه فدعا ابنه يزيد وقال يا بنى انى قد كفيتك الرحلة
والترحال ووطأت لك الامور وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد
وانى لا أخاف عليك أن ينازعك هذا الامر الذى استتب لك الا أربعة نفر من قريش
الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر
فأما ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق غيره بايعك وأما الحسين فان أهل
العراق لم يدعوه حتى يخرجوه فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فان له رحما
ماسة وحقا عظيما وأما ابن أبى بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله وليس له
همة الا فى النساء وأما الذى يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك روغان الثعلب
واذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك وقدرت عليه فقطعه

اربا اربا هذا حديث الطبرى عن هاشم وله عن هاشم من طريق آخر قال لما حضرت
وفاة معاوية سنة ستين كان يزيد غائبا فدعا بالضحاك بن قيس الفهرى وكان صاحب
شرطته ومسلم بن عقبة المزنى فقال أبلغا يزيد وصيتى انظر أهل الحجاز فانهم أصلك فأكرم
من قدم اليك منهم وتعاهد من غاب وانظر أهل العراق فان سألوك أن تعزل عنهم
كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف وانظر
أهل الشأم فليكونوا بطانتك وعيبتك وان رابك شئ من عدوك فانتصر بهم فاذا أصبتم
فاردد أهل الشأم الى بلادهم فانهم ان قاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم ولست
أخاف عليك من قريش الا ثلاثا ولم يذكر فى هذا الطريق عبد الرحمن بن أبى بكر وقال
فى ابن عمر قد وقذه الدين فليس ملتمسا شيئا قبلك وقال فى الحسين ولو أنى صاحبه عفوت
عنه وأنا أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وقال فى ابن الزبير اذا شخص
اليك فالبد له الا أن يلتمس منك صلحا فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت
(وتوفى فى منتصف رجب) ويقال جمادى لتسع عشرة سنة وأشهر من ولايته وكان على
خاتمه عبد الله بن محصن الحميرى وهو أول من اتخذ ديوان الخاتم وكان سببه انه أمر
لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب له بذلك الى زياد بالعراق ففض عمر الكتاب وصير
المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية وأخذ عمر بردها وحبسه فأداها
عنه أخوه عبد الله فأحدث عند ذلك ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم وكان
على شرطته قيس بن همزة الهمدانى فعزله ابن بيد بن عمر العدوى وكان على حرسه
المختار من مواليه وقيل أبو المحارى مالك مولى حميرة وهو أول من اتخذ الحرس
وعلى حجابه مولاه سعد وكان كاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور الرومى وعلى
القضاء فضالة بن عبد الله الانصارى وبعده أبو دويس عائذ بن عبد الله الخولانى

(بيعة يزيد)

بويع يزيد بعد موت أبيه وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وعلى مكة عمر
ابن سعيد بن العاصى وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الكوفة النعمان
ابن بشير ولم يكن همه الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته فكتب الى الوليد
بموت معاوية وأن يأخذ حسينا وابن عمر وابن الزبير بالبيعة من غير رخصة فلما قرأ
مروان الكتاب بنعى معاوية استرجع وترحم واستشاره الوليد فى أمر أولئك النفر
فأشار عليه أن يحضرهم لوقته فان بايعوا والا قتلتهم قبل أن يعلموا بموت معاوية فيثب
كل رجل منهم فى ناحية الا ابن عمر فانه لا يحب القتال ولا يحب الولاية الا أن
يرفع اليه الامر فبعث الوليد لوقته عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث فجاء

الى الحسين وابن الزبير فى المسجد فى ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس وقال
أجيبا الامير فقالا لا تنصرف الا أن نأتيه ثم حدثنا فيما بعث اليهما فلم يعلموا
ما وقع وجمع الحسين فتيانه وأهل بيته وسار اليه فأجلسهم بالباب وقال ان دعوتكم
أو سمعتم صوتى عاليا فادخلوا بأجمعكم ثم دخل فسلم ومروان عنده فشكرهما على
الصلة بعد القطيعة ودعا لهما باصلاح ذات البين فأقرأه الوليد الكتاب بنعى معاوية
ودعاه الى البيعة فاسترجع وترحم وقال مثلى لا يبايع سرا ولا يكتفى بها منى فاذا
ظهرت الى الناس ودعوتهم كان أمرنا واحدا وكنت أول مجيب فقال الوليد وكان
يحب المسالمة انصرف فقال مروان لا يقدر منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى
بينك وبينهم ألزمه البيعة والا اضرب عنقه فوثب الحسين وقال أنت تقتلنى أو هو
كذبت والله وانصرف الى منزله وأخذ مروان فى عذل الوليد فقال يا مروان
والله ما أحب أن لى ما طلعت الشمس من مال الدنيا وملكها وأنى قتلت الحسين ان
قال لا أبايع وأما ابن الزبير فاختفى فى داره وجمع أصحابه وألح الوليد فى طلبه وبعث
مواليه فشتموه وهددوه وأقاموا ببابه فى طلبه فبعث ابن الزبير أخاه جعفرا يلاطف
الوليد ويشكو ما أصابه من الذعر ويعده بالحضور من الغداة وأن يصرف رسله
من بابه فبعث اليهم وانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته مع أخيه جعفر وحدهما
وأخذا طريق الفرع الى مكة فسرح الرحالة فى طلبه فلم يدركوه ورجعوا وتشاغلوا
بذلك عن الحسين سائر يومه ثم أرسل الى الحسين يدعوه فقال أصبحوا وترون وفرى
وسار فى الليلة الثانية ببنيه واخوته وبنى أخيه الا محمد بن الحنفية وكان قد نصحه
وقال تنح عن يزيد وعن الامصار ما استطعت وابعث دعاتك الى الناس فان أجابوك
فاحمد الله وان اجتمعوا على غيرك فلم يضر بذلك دينك ولا عقلك ولم تذهب به مروأتك
ولا فضلك وأنا أخاف أن تأتى مصرا أو قوما فيختلفون عليك فتكون الاول اساءة
فاذا خير الامة نفسا وأبا أضيعها ذمارا وأذلها قال له الحسين فانى ذاهب قال انزل مكة
فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك وان فاتت بك لحقت بالرمال وشعب الجبال ومن بلد
الى آخر حتى تنظر مصير أمر الناس وتعرف الرأى فقال يا أخى نصحت وأشفقت ولحق
بمكة وبعث الوليد الى ابن عمر ليبايع فقال أنا أبايع الناس وقيل ابن عمر وابن عباس
كانا بمكة ورجعا الى المدينة فلقيا الحسين وابن الزبير وأخبراهما بموت معاوية وبيعة
يزيد فقال ابن عمر لا تفرقا جماعة المسلمين وقدم هو وابن عباس المدينة وبايعا عند
بيعة الناس ولما دخل ابن الزبير مكة وعليها عمر بن سعيد قال أنا عائذ بالبيت ولم يكن
يصلى ولا يقف معهم ويقف هو وأصحابه ناحية

*(عزل

(عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد)

ولما بلغ الخبر الى يزيد بصنيع الوليد بن عتبة فى أمر هؤلاء النفر عزله عن المدينة
واستعمل عليها عمر بن سعيد الاشدق فقدمها فى رمضان واستعمل على شرطته عمرو
ابن الزبير بالمدينة لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء وأحضر نفرا من شيعة الزبير
بالمدينة فضربهم من الاربعين الى الخمسين الى الستين منهم المنذر بن الزبير وابنه
محمد وعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ومحمد
ابن عمار بن ياسر وغيرهم ثم جهز البعوث الى مكة سبعمائة أو نحوها وقال لعمرو بن الزبير
من نبعث الى أخيك فقال لا تجد رجلا أنكى له منى فجهز معه سبعمائة مقاتل فيهم
أنس بن عمرو الاسلمى وعذله مروان بن الحكم فى غزو مكة وقال له اتق الله ولا تحل حرمة
البيت فقال والله لنغزونه فى جوف الكعبة وجاء أبو شريح الخزاعى الى عمرو بن سعيد
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما أذن لى بالقتال فيها ساعة من نهار
ثم عادت كحرمتها بالامس فقال له عمرو نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ وقيل ان يزيد
كتب الى عمرو بن سعيد أن يبعث عمرو بن الزبير بالجيش الى أخيه فبعثه فى ألفى مقاتل
وعلى مقدمته أنيس فنزل أنيس بذى طوى ونزل عمرو بالابطح وبعث الى أخيه أن بر
يمين يزيد فانه حلف أن لا يقبل بيعة الا أن يؤتى بك فى جامعة فلا يضرب الناس بعضهم
بعضا فانك فى بلد حرام فأرسل عبد الله بن الزبير من اجتمع له من أهل مكة مع
عبد الله بن صفوان فهزموا أنيسا بذى طوى وقتل أنيس فى الهزيمة وتخلف عن عمرو
ابن الزبير أصحابه فدخل دار ابن علقمة وأجاره عبيدة بن الزبير وقال لاخيه قد أجرته
فانكر ذلك عليه وقيل ان صفوان قال لعبد الله بن الزبير اكفنى أخاك وأنا أكفيك
أنيس بن عمرو وسار الى أنيس فهزمه وقتله وسار مصعب بن عبد الرحمن الى عمرو فتفرق
عنه أصحابه وأجاره أخوه عبيدة فلم يجز أخوه عبد الله جواره وضربه بكل من ضربه
بالمدينة وحبسه بسجن عارم ومات تحت السياط

(مسير الحسين الى الكوفة ومقتله)

ولما خرج الحسين الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع وسأله أين تريد فقال مكة وأستخير الله
فيما بعد فنصحه أن لا يقرب الكوفة وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه وأن يقيم بمكة
لا يفارق الحرم حتى يتداعى اليه الناس ورجع عنه وترك الحسين بمكة فأقام والناس
يختلفون اليه وابن الزبير فى جانب الكعبة يصلى ويطوف عامة النهار ويأتى الحسين
فيمن يأتى ويعلم أن أهل الحجاز لا يلقون اليه مع الحسين ولما بلغ أهل الكوفة بيعة يزيد
ولحاق الحسين بمكة اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد وكتبوا اليه عن نفر منهم

سليمان والمسيب بن محمد ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم يستدعونه وأنهم لم يبايعوا النعمان ولا يجتمعون معه فى جمعة ولا عيد ولو جئتنا أخرجناه وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمدانى وعبد الله بن وال ثم كتبوا اليه ثانيا بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحيفة ثم ثالثا يستحثونه للحاق بهم كتب له بذلك شبث بن ربعى وحجار ابن ابجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمر بن الحجاج الزبيدى ومحمد ابن عمير التميمى فأجابهم الحسين فهمت ما قصصتم وقد بعثت اليكم ابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل يكتب الى بأمركم ورأيكم فان اجتمع ملؤكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم عليكم قريبا ولعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب القائم بالقسط الدين بدين الحق وسار مسلم فدخل المدينة وصلى فى المسجد وودع أهله واستأجر دليلين من قيس فضلا الطريق وعطش القوم فمات الدليلان بعد أن أشارا اليهم بموضع الماء فانتهوا اليه وشربوا ونجوا فتطير مسلم من ذلك وكتب الى الحسين يستعفيه فكتب اليه خشيت أن لا يكون حملك على ذلك الا الجبن فامض لوجهك والسلام وسار مسلم فدخل الكوفة أول ذى الحجة من سنة ستين واختلف اليه الشيعة وقرأ عليهم كتاب الحسين فبكوا ووعدوه النصر وعلم مكانه النعمان بن بشير أمير الكوفة وكان حليما يجنح الى المسالمة فخطب وحذر الناس الفتنة وقال لا أقاتل من لا يقاتلنى ولا آخذ بالظنة والتهمة ولكن ان نكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله لاضربنكم بسيفى ما دام قائمه بيدى ولو لم يكن لى ناصر فقال له بعض حلفاء بنى أمية لا يصلح ما ترى الا الغشم وهذا الذى أنت عليه مع عدوك رأى المستضعفين فقال أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب الى من أن أكون من الاعزين فى معصية الله ثم تركه فكتب عبد الله بن مسلم وعمارة بن الوليد وعمارة بن سعد بن أبى وقاص الى يزيد بالخبر وتضعف النعمان وضعفه فابعث الى الكوفة رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل عملك فى عدوك فأشار عليه سرحون

(مسيرة المختار الى الكوفة وأخذها من ابن المطيع بعد وقعة كربلاء)

مضى ابراهيم الى المختار وأخبره الخبر وبعثوا فى الشيعة ونادوا يا ثأر الحسين ومضى ابراهيم الى النخع فاستركبهم وسار بهم فى المدينة ليلا وهو يتجنب المواضع التى فيها الامراء ثم لقى بعضهم فهزمهم ثم آخرين كذلك ثم رجع الى المختار فوجد شبث بن ربعى وحجار بن أبجر العجلى يقاتلانه فهزمهما وحاشب بن المطيع فأشار اليه بجمع الناس والنهوض الى القوم قبل فوات أمرهم فركب واجتمع الناس وتوافى الى المختار نحو أربعة آلاف من الشيعة وبعث ابن مطيع شبث بن ربعى فى ثلاثة آلاف وربع بن اياس فى أربعة آلاف فسرح اليهم المختار ابراهيم بن الاشتر لراشد فى ستمائة فارس وستمائة راجل ونعيم بن هبيرة لشبث فى ثلثمائة فارس وستمائة راجل واقتتلوا من بعد صلاة الصبح وقتل نعيم فوهن المختار لقتله وظهر شبث وأصحابه عليهم وقاتل ابراهيم بن الاشتر راشد بن اياس فقتله وانهزم أصحابه وركبهم الفشل وبعث ابن المطيع جيشا كثيفا فهزمهم ثم حمل على شبث فهزمه وبعث المختار فمنعه الرماة من دخول الكوفة ورجع المنهزمون الى ابن مطيع فدهش فشجعه عمر ابن الحجاج الزبيدى وقال له اخرج واندب الناس ففعل وقام فى الناس ووبخهم على هزيمتهم وندبهم ثم بعث عمر بن الحجاج فى ألفين وشمر بن ذى الجوشن فى ألفين ونوفل ابن مساحق فى خمسة آلاف ووقف هو بكتائبه واختلف على القصر شبث بن ربعى فحمل ابن الاشتر على ابن مساحق فهزمه وأسره ثم من عليه ودخل ابن مطيع القصر وحاصره ابراهيم بن الاشتر ثلاثا ومعه يزيد بن أنس وأحمد بن شميط ولما اشتد الحصار على ابن مطيع أشار عليه شبث بن ربعى بأن يستأمن للمختار ويلحق بابن الزبير ولا يعلمه فخرج عنهم مساء ونزل دار أبى موسى واستأمن القوم للمختار فدخل القصر وغدا على الناس فى المسجد فخطبهم ودعاهم الى بيعة ابن الحنفية فبايعه أشراف الكوفة على الكتاب والسنة والطلب بأهل البيت ووعدهم بحسن السيرة وبلغه أن ابن مطيع فى دار أبى موسى فبعث اليه بمائة ألف درهم وقال تجهز بهذه وكان ابن مطيع قد فرق بيوت الاموال على الناس وسار ابن مطيع الى وجهه وملك الكوفة وجعل على شرطته عبد الله بن كامل وعلى حرسه كيسان أبا عمرة وجعل الاشراف جلساءه وعقد لعبد الله بن الحرث بن الاشتر على أرمينية ولمحمد بن عمير ابن عطارد على أذربيجان ولعبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ولاسحق ابن مسعود على المدائن ولسعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الاكراد واصلاح السابلة وولى شريحا على القضاء ثم طعنت فيه الشيعة بأنه شهد على

حجر بن عدى ولم يبلغ عن هانئ بن عروة رسالته الى قومه وأن عليا غرمه وأنه عثمانى
وسمع ذلك هو فتمارض فجعل مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم مرض فولى مكانه
عبد الله بن مالك الطائى

(مسيرة ابن زياد الى المختار وخلافة أهل الكوفة عليه)

كان مروان بن الحكم لما استوثق له الشأم بعث جيشين أحدهما الى الحجاز
مع جيش بن دلجة القينى وقد شاته ومقتله والآخر الى العراق مع عبيد الله بن زياد
فكان من أمره وأمر التوابين من الشيعة ما تقدم وأقام محاصر الزفر بن الحرث
بقرقيسيا وهو مع قومه قيس على طاعة ابن الزبير فاشتغل بهم عن العراق سنة أو نحوها
ثم توفى مروان وولى بعده عبد الملك فأقره على ولايته وأمره بالجد ويئس من أمر زفر
وقيس فنهض الى الموصل فخرج عنها عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار الى تكريت
وكتب الى المختار بالخبر فبعث يزيد بن أنس الاسدى فى ثلاثة آلاف الى الموصل فسار
اليها على المدائن وسرح ابن زياد للقائه ربيعة بن المختار الغنوى فى ثلاثة آلاف فالتقيا
ببابل وعبى يزيد أصحابه وهو راكب على حمار وحرضهم وقال ان مت فأميركم ورقاء
ابن عازب الاسدى وان هلك فعبد الله بن ضمرة الفزارى وان هلك فسعد الخثعمى
ثم اقتتلوا يوم عرفة وانهزم أهل الشأم وقتل ربيعة وسار الفل غير بعيد فلقيهم
عبد الله بن حملة الخثعمى قد سرحه ابن زياد فى ثلاثة آلاف فرد المنهزمين وعاد القتال
يوم الاضحى فانهزم أهل الشأم وأثخن فيهم أهل الكوفة بالقتل والنهب وأسروا منهم
ثلثمائة فقتلوهم وهلك يزيد بن أنس من آخر يومه وقام بأمرهم ورقاء بن عازب خليفته
وهاب لقاء ابن زياد بعد يزيد وقال نرجع بموت أميرنا قبل أن يتجرأ علينا أهل الشأم بذلك
وانصرف الناس وتقدم الخبر الى الكوفة فأرجف الناس بالمختار وأشيع أن يزيد
قتل وسر المختار رجوع العسكر فسرح ابراهيم بن الاشتر فى سبعة آلاف وضم اليه
جيش يزيد ثم تأخر ابن زياد فسار لذلك ثم اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن ربعى
وكان شيخهم جاهليا اسلاميا وشكوا من سيرة المختار وايثاره الموالى عليهم ودعوه
الى الوثوب به فقال حتى ألقاه وأعذر اليه ثم ذهب اليه وذكر له جميع ما نكروه فوعده
الرجوع الى مرادهم وذكر له شأن الموالى وشركتهم فى الفىء فقال ان أعطيتمونى عهدكم
على قتال بنى أمية وابن الزبير تركتهم فقال اخرج اليهم بذلك وخرج فلم يرجع واجتمع
رأيهم على قتاله وهم شبث بن ربعى ومحمد بن الاشعث وعبد الرحمن بن سعد بن قيس وشمر
ابن ذى الجوشن وكعب بن أبى كعب النخعى وعبد الرحمن بن مخنق الازدى وقد كان
ابن مخنق أشار عليهم بأن يمهلوه لقدوم أهل الشأم وأهل البصرة فيكفونكم أمره

قبل أن يقاتلكم بعواليكم وشجعانكم وهم عليكم أشد فأبوا من رأيه وقالوا لا تفسد
جماعتنا ثم خرجوا وشهروا السلاح وقالوا للمختار اعتزلنا فان ابن الحنفية لم يبعثك
فقال نبعث اليه الرسل منى ومنكم وأخذ يعللهم بأمثال هذه المراجعات وكف أصحابه
عن قتالهم ينتظر وصول ابراهيم بن الاشتر وقد بعث اليه بالرجوع فجاء فرأى القوم
مجتمعين ورفاعة بن شداد البجلى يصلى بهم فلما وصل ابراهيم عبد المختار أصحابه
وسرح بين يديه أحمد بن شميط البجلى وعبد الله بن كامل الشادى فانهزم أصحابهما وصبرا
ومدهما المختار بالفرسان والرجال فوجا بعد فوج وسار ابن الاشتر الى مصر وفيهم شبث
ابن ربعى فقاتلوه فهزمهم فاشتد ابن كامل على اليمن ورجع رفاعة بن شداد أمامهم
الى المختار فقاتل معه حتى قتل من أهل اليمن عبد الله بن سعيد بن قيس والفرات
ابن زحر بن قيس وعمر بن مخنف وخرج أخوه عبد الرحمن فمات وانهزم أهل اليمن
هزيمة قبيحة وأسر من الوادعيين خمسمائة أسير فقتل المختار كل من شهد قتل الحسين
منهم فكانوا نصفهم وأطلق الباقين ونادى المختار الامان الا من شهد فى دماء أهل البيت
وفر عمر بن الحجاج الزبيدى وكان أشد من حضر قتل الحسين فلم يوقف له على خبر وقيل
أدركه أصحاب المختار فأخذوا رأسه وبعث فى طلب شمر بن ذى الجوشن فقتل
طالبه وانتهى الى قرية الكلبانية فارتاح يظن انه نجا واذا فى قرية أخرى بازائه أبو عمرة
صاحب المختار بعثه مسلحة بينه وبين أهل البصرة فنمى اليه خبره فركب اليه فقتله
وألقى شلوه للكلاب وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا أكثرهم من اليمن وكان
آخر سنة ست وستين وخرج أشراف الناس الى البصرة وتتبع المختار قتلة الحسين
ودل على عبيد الله بن أسد الجهنى ومالك بن نسير الكندى وحمل بن مالك المحاربى
بالقادسية فأحضرهم وقتلهم ثم أحضر زياد بن مالك الضبعى وعمران بن خالد العنزى
وعبد الرحمن بن أبى حشكارة البجلى وعبد الله بن قيس الخولانى وكانوا نهبوا من
الورس الذى كان مع الحسين فقتلهم وأحضر عبد الله أو عبد الرحمن بن طلحة وعبد
الله بن وهب الهمدانى ابن عم الاعشى فقتلهم وأحضر عثمان بن خالد الجهنى وأبا
أسماء بشر بن سميط القابسى وكانا مشتركين فى قتل عبد الرحمن بن عقيل وفى سلبه
فقتلهما وحرقهما بالنار وبحث عن خولى بن يزيد الاصبحى صاحب رأس الحسين
فجىء برأسه وحرق بالنار ثم قتل عمر بن سعد بن أبى وقاص بعد ان كان أخذ له الامان
منه عبد الله بن جعدة بن هبيرة فبعث أبا عمرة فجاءه برأسه وابنه حفص عنده فقال
تعرف هذا قال نعم ولا خير فى العيش بعده فقتله ويقال ان الذى بعث المختار على قتله
الحسين أن يزيد بن شراحيل الانصارى قدم على محمد بن الحنفية فقال له ابن الحنفية

يزعم المختار انه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسى يحدثونه فلما سمع المختار ذلك
تتبعهم بالقتل وبعث برأس عمر وابنه الى ابن الحنفية وكتب اليه أنه قتل من قدر عليه
وهو فى طلب الباقين ثم أحضر حكيم بن طفيل الطائى وكان رمى الحسين بسهم وأصاب
سلب العباس ابنه وجاء عدى بن حاتم يشفع فيه فقتله ابن كامل والشيعة قبل أن يصل
حذرا من قبول المختار شفاعته وبحث عن مرة بن منقذ بن عبد القيس قاتل على بن
الحسين فدافع عن نفسه ونجا الى مصعب بن الزبير وقد شلت يده بضربة وبحث عن زيد
وفاد الحسين قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل رماه بسهمين وقد وضع كفه على جبهته يتقى
النبل فأثبت كفه فى جبهته وقتله بالاخرى فخرج بالسيف يدافع فقال ابن كامل ارموه
بالحجارة فرموه حتى سقط وأحرقوه حيا وطلب سنان بن أنس الذى كان يدعى قتل
الحسين فلحق بالبصرة وطلب عمر بن صبح الصدائى فقتله طعنا بالرماح وأرسل فى طلب
محمد بن الاشعث وهو فى قريته عند القادسية فهرب الى مصعب وهدم المختار داره
وطلب آخرين كذلك من المتهمين بأمر الحسين فلحقوا بمصعب وهدم دورهم

(شأن المختار مع ابن الزبير)

كان على البصرة الحرث بن أبى ربيعة وهو القباع عاملا لابن الزبير وعلى شرطته عباد
ابن حسين وعلى المقاتلة قيس بن الهيثم وجاء المثنى بن مخرمة العبدى وكان ممن شهد
مع سليمان بن صرد ورجع فبايع للمختار وبعثه الى البصرة يدعو له بها فأجابه كثير
من الناس وعسكر لحرب القباع فسرّح اليه عباد بن حسين وقيس بن الهيثم
فى العساكر فانهزم المثنى الى قومه عبد القيس وأرسل القباع عسكرا يأتونه به فجاءه
زياد بن عمر العتكى فقال له لتردن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنهم فأرسل الاحنف
ابن قيس وأصلح الامر على أن يخرج المثنى عنهم فسار الى الكوفة وقد كان المختار لما
أخرج ابن مطيع من البصرة كتب الى ابن الزبير يخادعه ليتمّ أمره فى الدعاء لاهل
البيت وطلب المختار فى الوفاء بما وعده به من الولاية فأراد ابن الزبير أن يتبين الصحيح
من أمره فولى عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام على الكوفة وأعلمه بطاعة المختار
وبعثه اليها وجاء الخبر الى المختار فبعث زائدة بن قدامة فى خمسمائة فارس وأعطاه
سبعين ألف درهم وقال ادفعها الى عمر فهى ضعف ما أنفق وأمره بالانصراف
بعد تمكث فان أبى فأره الخيل فكان كذلك ولما رأى عمر الخيل أخذ المال وسار
نحو البصرة واجتمع هو وابن مطيع فى امارة القباع قبل وثوب ابن مخرمة وقيل
انّ المختار كتب الى ابن الزبير انى اتخذت الكوفة دارا فان سوّغتنى ذلك وأعطيتنى
مائة ألف درهم سرت الى الشام وكفيتك مروان فمنعه من ذلك فأقام المختار يطاعنه

ويوادعه ليتفرغ لاهل الشأم ثم بعث عبد الملك بن مروان عبد الملك بن الحرث
ابن الحكم بن أبى العاص الى وادى القرى فكتب المختار الى ابن الزبير يعرض عليه
المدد فأجابه أن يجعل بانفاذ الجيش الى جند عبد الملك بوادى القرى فسرّح شرحبيل
ابن دوس الهمدانى فى ثلاثة آلاف اكثرهم من الموالى وأمره أن يأتى المدينة
ويكاتبه بذلك واتهمه ابن الزبير فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين وأمره
أن يستنفر العرب وان رأى من جيش المختار خلافا ناجزهم وأهلكهم فلقيهم عباس
بالرقيم وهم على تعبئة فقال سيروا بنا الى العدوّ الذى بوادى القرى فقال ابن دوس
انما أمرنى المختار أن آتى المدينة ففطن عباس لما يريد فأتاهم بالعلوفة والزاد وتخير
ألفا من أصحابه وحمل عليهم فقتل ابن دوس وسبعين معه من شجعان قومه وأمن
الباقين فرجعوا للكوفة ومات أكثرهم فى الطريق وكتب المختار الى ابن الحنفية
يشكو ابن الزبير ويوهمه أنه بعث الجيش فى طاعته ففعل بهم ابن الزبير ما فعل
ويستأذنه فى بعث الجيوش الى المدينة ويبعث ابن الحنفية عليهم رجلا من قبله فيفهم
الناس أنى فى طاعتك فكتب اليه ابن الحنفية قد عرفت قصدك ووفاءك بحقى وأحبّ
الامر الىّ الطاعة فأطع الله وتجنب دماء المسلمين فلو أردت القتال لوجدت الناس
الىّ سراعا والاعوان كثيرا لكنى أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين
(ثم دعا ابن الزبير) محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته الى البيعة فامتنع
وبعث اليه ابن الزبير وأغلظ عليه وعليهم فاستكانوا وصبروا فتركهم فلما استولى
المختار على الكوفة وأظهر الشيعة دعوة ابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى
الناس الى الرضا به فاعتزم عليهم فى البيعة وتوعدهم بالقتل وحبسهم بزمزم وضرب
لهم أجلا وكتب ابن الحنفية الى المختار بذلك فأخبر الشيعة وندبهم وبعث أمراءهم
فى نحو ثلثمائة عليهم أبو عبد الله الجدلى وبعث لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم
وساروا الى مكة فدخلوا المسجد الحرام وبأيديهم الخشب كراهة اشهار السيوف
فى الحرم وطفقوا ينادون بثار الحسين حتى انتهوا الى زمزم وأخرج ابن الحنفية
وكان قد بقى من أجله يومان واستأذنوه فى قتال ابن الزبير فقال لا أستحلّ القتال
فى الحرم ثم جاء باقى الجند وخافهم ابن الزبير وخرج ابن الحنفية الى شعب علىّ واجتمع له
أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال (ولما قتل المختار) واستوثق أمر ابن الزبير بعث
اليهم فى البيعة فخافه على نفسه وكتب لعبد الملك فأذن له أن يقدم الشأم حتى يستقيم
أمر الناس ووعده بالاحسان وخرج ابن الحنفية وأصحابه الى الشأم ولما وصل
مدين لقيه خبر مهلك عمرو بن سعيد فندم وأقام بايلة وظهر فى الناس فضله وعبادته

وزهده وكتب له عبد الملك أن يبايعه فرجع الى مكة ونزل شعب أبى طالب فأخرجه ابن الزبير فسار الى الطائف وعذل ابن عباس ابن الزبير على شانه ثم خرج عنه ولحق بالطائف ومات هنالك وصلى عليه ابن الحنفية وعاش الى أن أدرك حصار الحجاج لابن الزبير (ولما قتل ابن الزبير) بايع لعبد الملك وكتب عبد الملك الى الحجاج بتعظيم حقه وبسط أمله ثم قدم الى الشأم وطلب من عبد الملك أن يرفع حكم الحجاج عنه ففعل وقيل ان ابن الزبير بعث الى ابن عباس وابن الحنفية فى البيعة حتى يجتمع الناس على امام فان فى هذه فتنة فحبس ابن الحنفية فى زمزم وضيق على ابن عباس فى منزله وأراد احراقهما فأرسل المختار جيشه كما تقدم ونفس عنهما ولما قتل المختار قوى ابن الزبير عليهما فخرجا الى الطائف

(مقتل ابن زياد)

ولما فرغ المختار من قتال أهل الكوفة آخر سنة ست وستين بعث ابراهيم بن الاشتر لقتال ابن زياد وبعث معه وجوه أصحابه وفرسانهم وشيعته وأوصاه وبعث معه بالكرسى الذى كان يستنصر به وهو كرسى قد غشاه بالذهب وقال للشيعة هذا فيكم مثل التابوت فى بنى اسرائيل فكبر شأنه وعظم وقاتل ابن زياد فكان له الظهور وافتتن به الشيعة ويقال انه كرسى على بن أبى طالب وان المختار أخذه من ولد جعدة بن هبيرة وكانت أمه أم هانئ بنت أبى طالب فهو ابن أخت على ثم أسرع ابراهيم بن الاشتر فى السير وأوغل فى أرض الموصل وكان ابن زياد قد ملكها كما مر فلما دخل ابراهيم أرض الموصل عبى أصحابه ولما بلغ نهر الخازر بعث على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعى ونزل ابن زياد قريبا من النهر وكانت قيس مطبقة على بنى مروان عند المرج وجند عبد الملك يومئذ فلقى عمير بن الحباب السلمى ابراهيم بن الاشتر وأوعده أن ينهزم بالميسرة وأشار عليه بالمناجزة ورأى عند ابن الاشتر ميلا الى المطاولة فثناه عن ذلك وقال انهم ملئوا منكم رعبا وان طاولتهم اجترؤا عليكم قال وبذلك أوصانى صاحبى ثم عبى أصحابه فى السحر الاول ونزل يمشى ويحرض الناس حتى أشرف على القوم وجاءه عبد الله بن زهير السلولى بأنهم خرجوا على دهش وفشل وابن الاشتر يحرض أصحابه ويذكرهم أفعال ابن زياد وأبيه ثم التقى الجمعان وحمل الحصين بن نمير من ميمنة أهل الشأم على ميسرة ابراهيم فقتل على بن مالك الخثعمى ثم أخذ الراية فرد بن على فقتل وانهزمت الميسرة فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولى ورجع بالمنهزمين الى الميسرة كما كانوا وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن الحباب كما وعدهم فمنعته الانفة

من ذلك وقاتل قتالا شديدا وقصد ابن الاشتر قلب العسكر وسواده الاعظم فاقتتلوا أشد قتال حتى كانت أصوات الضرب بالحديد كأصوات القصارين وابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم ثم حملوا حملة رجل واحد فانهزم أصحاب ابن زياد وقال ابن الاشتر انى قتلت رجلا تحت راية منفردة شممت منه رائحة المسك وضربته بسيفى فقصمته نصفين فالتمسوه فاذا هو ابن زياد فأخذت رأسه وأحرقت جثته وحمل شريك بن جدير التغلبى على الحصين بن نمير فاعتقله وجاء أصحابه فقتلوا الحصين ويقال ان الذى قتل ابن زياد هو ابن جدير هذا وقتل شرحبيل بن ذى الكلاع وادعى قتله سفيان بن يزيد الازدى وورقاء بن عازب الازدى وعبيد الله بن زهير السلمى واتبع أصحاب ابن الاشتر المنهزمين فغرق فى النهر أكثر ممن قتل وغنموا جميع ما فى العسكر وطير ابن الاشتر بالبشارة الى المختار فأتته بالمدائن وأنفذ ابن الاشتر عماله الى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن على نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة وولى زفر بن الحرث قيس وحاتم بن النعمان الباهلى حران والرهاء وشمشاط وعمير بن الحباب السلمى كفرتوثا وطور عبدين وأقام بالموصل وأنفذ رؤس عبيد الله وقواده الى المختار

(مسير مصعب الى المختار وقتله اياه)

كان ابن الزبير فى أول سنة سبع وستين أو آخر ست عزل الحرث بن ربيعة وهو القباع وولى مكانه أخاه مصعبا فقدم البصرة وصعد المنبر وجاء الحرث فأجلسه مصعب تحته بدرجة ثم خطب وقرأ الآيات من أول القصص ونزل ولحق به أشراف الكوفة حين قربوا من المختار ودخل عليه شبث بن ربعى وهو ينادى واغوثاه ثم قدم محمد ابن الاشعث بعده واستوثقوه الى المسير وبعث الى المهلب بن أبى صفرة وهو عامله على فارس ليحضر معه قتال المختار فأبطأ وأغفل فأرسل اليه محمد بن الاشعث بكتابه فقال المهلب ما وجد مصعب بريدا غيرك فقال ما أنا ببريد ولكن غلبنا عبيدنا على أبنائنا وحرمنا فأقبل معه المهلب بالجموع والاموال وعسكر مصعب عند الجسر فأرسل عبد الرحمن بن مخنف الى الكوفة سرا ليثبط الناس عن المختار ويدعو الى ابن الزبير وسار على التعبية وبعث فى مقدمته عباد بن الحصين الحبطى التميمى وعلى ميمنته عمر ابن عبيد الله بن معمر وعلى ميسرته المهلب وبلغ الخبر المختار فقام فى أصحابه وقربهم الى الخروج مع ابن شميط وعسكر محمد فى أعفر وبعث رؤس الارباع الذين كانوا مع ابن الاشتر مع ابن شميط وأصحابه فثبتوا وحمل المهلب من الميسرة على ابن كامل فثبت ثم كر المهلب وحمل حملة منكرة وصبر ابن كامل قليلا وانهزموا وحمل الناس

قال فى المشترك قيس بفتح القاف وسكون المثناة من تحت وفى آخرها سين مهملة وقال فى اللباب كيش بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وفى آخرها شين معجمة وجزيرة كيش بين الهند والبصرة وبهذه الجزيرة مغاص اللؤلؤ وبها النخيل محدث وأشجار جليلة وشرب أهلها من الآبار من أبى الفداء

جمعا على ابن شميط فانهزم وقتل واستمر القتل فى الرجالة وبعث مصعب عبادا فقتل كل أسير أخذه وتقدم محمد بن الاشعث فى خيل من أهل الكوفة فلم يدركوا منهزما الا قتلوه ولما فرغ مصعب منهم أقبل فقطع الفرات من موضع واسط وحملوا الضعفاء وأثقالهم فى السفن ثم خرجوا الى نهر الفرات وسار الى الكوفة ولما بلغ المختار خبر الهزيمة ومن قتل من أصحابه وأن مصعبا أقبل اليه فى البر والبحر سار الى مجتمع الانهار نهر الجزيرة والسلحين والقادسية ونهر يسر فسكر الفرات فذهب ماؤه فى الانهار وبقيت سفن أهل البصرة فى الطين فخرجوا الى السكر وأزالوه وقصدوا الكوفة وسار المختار ونزل حروراء بعد أن حصن القصر وأدخل عدة الحصار وأقبل مصعب وعلى ميمنته المهلب وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله وعلى الخيل عباد بن الحصين وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندى وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمدانى وعلى الخيل عمر بن عبيد الله النهدى ونزل محمد بن الاشعث فيمن هرب من أهل الكوفة بين العسكرين ولما التقى الجمعان اقتتلوا ساعة وحمل عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى على من بازائه فحطم أصحاب المختار حطمة منكرة وكشفوهم وحمل مالك ابن عمر النهدى فى الرجالة عند المساء على ابن الاشعث حملة منكرة فقتل ابن الاشعث وعامة أصحابه وقتل عبيد الله بن على بن أبى طالب وقاتل المختار ثم افترق الناس ودخل القصر وسار مصعب من الغد فنزل السبخة وقطع عنهم الميرة وكان الناس يأتونهم بالقليل من الطعام والشراب خفية ففطن مصعب لذلك فمنعه وأصابهم العطش فكانوا يصبون العسل فى الآبار ويشربون ثم ان المختار أشار على أصحابه بالاستمانة فتحنط وتطيب وخرج فى عشرين رجلا منهم السائب بن مالك الاشعرى فعذله فقال ويحك يا أحمق وثب ابن الزبير بالحجاز ووثب نجدة باليمامة وابن مروان بالشام فكنت كاحدهم الا أنى طلبت بثار أهل البيت اذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك ان لم يكن لك نية ثم تقدم فقاتل حتى قتل على يد رجلين من بنى حنيفة أخوين طرفة وطراف ابنى عبد الله بن دجاجة وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة لما رأى عزم المختار على الاستمانة تدلى من القصر واختفى عند بعض اخوانه ثم بعث الذين بقوا بالقصر الى مصعب ونزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين وأشار عليه المهلب باستبقائهم فاعترضه أشراف أهل الكوفة ورجع الى رأيهم ثم أمر بكف المختار بن أبى عبيد فقطعت وسمرت الى جانب المسجد فلم ينزعها من هنالك الا الحجاج وقتل زوجه عمرة بنت النعمان بن بشير زعمت أن المختار [بياض بالاصل] فاستأذن أخاه عبد الله وقتلها ثم كتب مصعب الى ابراهيم بن الاشتر يدعوه الى طاعته ووعده بولاية أعنة الخيل

وماغلب

وماغلب عليه من المغرب وكتب اليه عبد الملك بولاية العراق واختلف عليه أصحابه فجنح الى مصعب خشية مما أصاب ابن زياد وأشراف أهل الشأم وكتب الى مصعب بالاجابة وسار اليه فبعث على عمله بالموصل والجزيرة وارمينية واذربيجان المهلب بن أبى صفرة وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وانه بعث على مقدمته أحمد بن شميط وبعث مصعب عبادا الحبطى ومعه عبيد الله بن على بن أبى طالب وتراضوا البلا فناجزهم المختار من ليلته وانكشف أصحاب مصعب الى عسكرهم واشتد القتال وقتل من أصحاب مصعب جماعة منهم محمد بن الاشعث فلما أصبح المختار وجد أصحابه قد توغلوا فى أصحاب مصعب وليس عنده أحد فانصرف ودخل قصر الكوفة وفقد أصحابه فلحقوا به ودخل القصر معه ثمانية آلاف منهم وأقبل مصعب فحاصرهم أربعة أشهر يقاتلهم بالسيوف كل يوم حتى قتل وطلب الذين فى القصر الامان من مصعب ونزلوا على حكمه فقتلهم جميعا وكانوا ستة آلاف رجل ولما ملك مصعب الكوفة بعث عبد الله بن الزبير ابنه حمزة على البصرة مكان مصعب فأساء السيرة وقصر بالاشراف ففزعوا الى مالك بن مسمع فخرج الى الجسر وبعث الى حمزة أن الحق بأبيك وكتب الاحنف الى أبيه أن يعزله عنهم ويعيد لهم مصعبا ففعل وخرج حمزة بالاموال فعرض له مالك بن مسمع وقال لا ندعك تخرج باعطياتنا فضمن له عمر بن عبيد الله العطاء فكف عنه وقيل ان عبد الله بن الزبير انما رد مصعبا الى البصرة عند وفادته عليه بعد سنة من قتل المختار ولما رده الى البصرة استعمل عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس وولاه حرب الازارقة وكان المهلب على حربهم أيام مصعب وحمزة فلما رد مصعبا أراد أن يولى المهلب الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه وبين عبد الملك فاستقدمه واستخلف على عمله المغيرة فلما قدم البصرة عزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس واستعمل عليها عمر بن عبيد الله بن معمر فكان له فى حروبهم ما نذكره فى أخبار الخوارج

(خلاف عمر بن سعيد الاشرف ومقتله)

كان عبد الملك بعد رجوعه من قنسرين أقام بدمشق زمانا ثم سار لقتال زفر بن الحرث الكلابى بقرقيسيا واستخلف على دمشق عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى ابن أخته وسار معه عمرو بن سعيد فلما بلغ بطنان انتقض عمرو وأسرى ليلا الى دمشق وهرب ابن أم الحكم عنها فدخلها عمرو وهدم داره واجتمع اليه الناس فخطبهم ووعدهم وجاء عبد الملك على اثره فحاصره بدمشق ووقع بينهما القتال أياما ثم اصطلحا وكتب بينهما كتابا وأمنه عبد الملك فخرج اليه عمرو ودخل عبد الملك دمشق فأقام أربعة أيام

ثم بعث الى عمر ليأتيه فقال له عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو صهره وكان عنده لا تأته
فانى أخشى عليك منه فقال والله لو كنت نائما ما أيقظنى ووعد الرسول بالرواح اليه
ثم أتى بالعشى ولبس درعه تحت القباء ومضى فى مائة من مواليه وقد جمع عبد الملك
عنده بنى مروان وحسان بن بحدل الكلبى وقبيصة بن ذؤيب الخزاعى وأذن لعمر فدخل
ولم يزل أصحابه يجلسون عند كل باب حتى بلغوا قاعة الدار وما معه الا غلام واحد
ونظر الى عبد الملك والجماعة حوله فأحس بالشر وقال للغلام انطلق الى أخى يحيى
وقل له يأتينى فلم يفهم عنه وأعاد عليه فيجيبه الغلام لبيك وهو لا يفهم فقال له اعزب
عنى ثم أذن عبد الملك لحسان وقبيصة فلقيا عمر ودخل فأجلسه معه على السرير
وحادثه زمنا ثم أمر بنزع السيف عنه فأنكر ذلك عمر وقال اتق الله يا أمير المؤمنين
فقال له عبد الملك أتطمع أن تجلس معى متقلدا سيفك فأخذ عنه السيف ثم قال له
عبد الملك يا أبا أمية انك حين خلعتنى حلفت بيمين ان أنا رأيتك بحيث أقدر عليك
أن أجعلك فى جامعة فقال بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال نعم وما عسيت
أن أصنع بأبى أمية فقال بنو مروان أبر قسم أمير المؤمنين يا أبا أمية فقال عمر قد أبر
الله قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج من تحت فراشه جامعة وأمر غلاما فجمعه فيها وسأله
أن لا يخرجه على رؤس الناس فقال أمكرا عند الموت ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير
فكسر ثنيته ثم سأل الابقاء فقال عبد الملك والله لو علمت أنك تبقى ان أبقيت عليك
وتصلح قريش لابقيتك ولكن لا يجتمع رجلان مثلنا فى بلد فشتمه عمر وخرج عبد الملك
الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز بقتله فلما قام اليه بالسيف ذكره الرحم فامسك عنه
وجلس ورجع عبد الملك من الصلاة وغلقت الابواب فغلظ لعبد العزيز ثم تناول عمر
فذبحه بيده وقيل أمر غلامه بن الزعير فقتله وفقد الناس عمر مع عبد الملك حين خرج
الى الصلاة فأقبل أخوه يحيى فى أصحابه وعبيده وكانوا ألفا ومعه حميد بن الحرث
وحريث وزهير بن الابرد فهتفوا باسمه ثم كسروا باب المقصورة وضربوا الناس
بالسيوف وخرج الوليد بن عبد الملك واقتتلوا ساعة ثم خرج عبد الرحمن ابن أم الحكم
الثقفى بالرأس فألقاه الى الناس وألقى اليهم عبد العزيز بن مروان بدر الاموال
فانتهبوها وافترقوا ثم خرج عبد الملك الى الناس وسأل عن الوليد فأخبر بجراحته
وأتى بيحيى بن سعيد وأخيه عنبسة فحبسهما وحبس بنى عمر بن سعيد ثم أخرجهم جميعا
وألحقهم بمصعب حتى حضروا عنده بعد قتل مصعب فأمنهم ووصلهم وكان بنو عمر
أربعة أمية وسعيد واسمعيل ومحمد ولما حضروا عنده قال أنتم أهل بيت ترون لكم
على جميع قومكم فضلا لن يجعله الله لكم والذى كان بينى وبين أبيكم لم يكن حديثا

بل كان قديما فى أنفس أوليكم على أولينا فى الجاهلية فقال سعيد يا أمير المؤمنين
تعد علينا أمرا كان فى الجاهلية والاسلام قد هدم ذلك ووعد جنة وحذر نارا
وأما عمر فهو ابن عمك وقد وصل الى الله وأنت أعلم بما صنعت وان أخذتنا به فبطن
الارض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك وقال أبوكم خيرنى بين أن يقتلنى أو أقتله
واخترت قتله على قتلى وأما أنتم فما أرغبنى فيكم وأوصلنى لقرابتكم وأحسن حالتهم
وقيل ان عمر انما كان خلفه وقتله حين سار عبد الملك لقتال مصعب طلبه أن يجعل له
العهد بعده كما فعل أبوه فلم يجبه الى ذلك فرجع الى دمشق فعصى وامتنع بها وكان قتله
سنة تسعة وستين

(مسير عبد الملك الى العراق ومقتل مصعب)

ولما صفا الشأم لعبد الملك اعتزم على غزو العراق وأتته الكتب من أشرافهم يدعونه
فاستمهله أصحابه فأبى وسار نحو العراق وبلغ مصعبا سيره فأرسل الى المهلب بن أبى صفرة
وهو بفارس فى قتال الخوارج يستشيره وقد كان عزل عمر بن عبيد الله بن معمر
عن فارس وحرب الخوارج وولى مكانه المهلب وذلك حين استخلف على الكوفة
وجاء خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة مختفيا وأعيد لعبد الملك عند مالك
ابن مسمع فى بكر بن وائل والازد وأمد عبد الملك بعبيد الله بن زياد بن ضبيان
وحاربهم عمر بن عبيد الله بن معمر ثم صالحهم على أن يخرجوا خالدا فأخرجوه وجاء
مصعب وقد طمع أن يدرك خالدا فوجده قد خرج فسخط على ابن معمر وسب أصحابه
وضربهم وهدم دورهم وحلقهم وهدم دار مالك بن مسمع واستباحها وعزل ابن معمر
عن فارس وولى المهلب وخرج الى الكوفة فلم يزل بها حتى سار للقاء عبد الملك وكان
معه الاحنف فتوفى بالكوفة ولما بعث عن المهلب ليسير معه أهل البصرة الا أن يكون
المهلب على قتال الخوارج ردّه وقال له المهلب ان أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك
وكاتبهم فلا يتعدى ثم بعث مصعب عن ابراهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة
فجعله فى مقدمته وسار حتى عسكر فى معسكره وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد
ابن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فنزلوا قريبا من قرقيسيا وحصر زفر
ابن الحرث الكلابى ثم صالحه وبعث زفر معه الهذيل ابنه فى عسكر وسار معه فنزل
بمسكن قريبا من معسكر مصعب وفر الهذيل بن زفر فلحق بمصعب وكتب عبد الملك
الى أهل العراق وكتبوا اليه وكلهم بشرط اصفهان وأتى ابن الاشتر بكتاب مختوما
الى مصعب فقرأه فاذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فأخبره مصعب
بما فيه وقال مثل هذا لا يرغب عنه فقال ابراهيم ما كنت لا تقلد الغدر والخيانة

ولقد كتب عبد الملك لاصحابك كلهم مثل هذا فاطعنى واقتلهم أو احبسهم فى أضيق محبس فأبى عليه مصعب وأضمر أهل العراق الغدر بمصعب وعذلهم قيس بن الهيثم منهم فى طاعة أهل الشأم فأعرضوا عنه ولما تدانى العسكران بعث عبد الملك الى مصعب يقول فقال نجعل الامر شورى فقال مصعب ليس بيننا الا السيف فقدم عبد الملك أخاه محمدا وقدم مصعب ابراهيم بن الاشتر وأمده بالجيش فأزال محمدا عن موقفه وأمده عبد الملك بعبد الله بن يزيد فاشتد القتال وقتل من أصحاب مصعب بن عمر الباهلى والد قتيبة وأمد مصعب ابراهيم بعتاب بن ورقاء فساء ذلك ابراهيم ونكره وقال أوصيته لا يمدنى بعتاب وأمثاله وكان قد بايع لعبد الملك فجر الهزيمة على ابراهيم وقتله وحمل رأسه الى عبد الملك وتقدم أهل الشأم فقاتل مصعب ودعا رؤس العراق الى القتال فاعتذروا وتثاقلوا فدنا محمد بن مروان من مصعب وناداه بالامان وأشعره بأهل العراق فأعرض عنه فنادى ابنه عيسى بن مصعب فأذن له أبوه فى لقائه فجاءه وبذل له الامان وأخبر أباه فقال أتظنهم يعرفون لك ذلك فان أحببت فافعل قال لا يتحدث نساء قريش انى رغبت بنفسى عنك قال فاذهب الى عمك بمكة فأخبره بصنيع أهل العراق ودعنى فانى مقتول فقال لا أخبر قريشا عنك أبدا ولكن الحق أنت بالبصرة فانهم على الطاعة أو بأمير المؤمنين بمكة فقال لا يتحدث قريش انى فررت ثم قال لعيسى تقدم يا بنى أحتسبك فتقدم فى ناس فقتل وقتلوا وألح عبد الملك فى قبول أمانه فأبى ودخل سرادقه فتحفظ ورمى السرادق وخرج فقاتل ودعاه عبيد الله بن زياد ابن ضبيان فشتمه وحمل عليه وضربه فجرحه وخذل أهل العراق مصعبا حتى بقى فى سبعة أنفس وأثخنته الجراحة فرجع اليه عبيد الله بن زياد بن ضبيان فقتله وجاء برأسه الى عبد الملك فأمر له بألف دينار فلم يأخذها وقال انما قتلته بثار أخى وكان قطع الطريق فقتله صاحب شرطته وقيل ان الذى قتله زائدة بن قدامة الثقفى من أصحاب المختار وأخذ عبيد الله رأسه وأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا بدار الجاثليق عند نهر دجيل وكان ذلك سنة احدى وسبعين ثم دعا عبد الملك جند العراق الى البيعة فبايعوه وسار الى الكوفة فأقام بالنخيلة أربعين يوما وخطب الناس فوعد المحسن وطلب يحيى بن سعيد من جعفة وكانوا اخواله فأحضروه فأمنه وولى أخاه بشر ابن مروان على الكوفة ومحمد بن نمير على همدان ويزيد بن ورقاء بن رويم على الرى ولم يف لهم باصبهان كما شرطوا عليه وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسرى ويحيى بن معتوق الهمدانى قد لجآ الى على بن عبد الله بن عباس ولجأ هذيل بن زفر ابن الحرث وعمر بن يزيد الحكمى الى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك وصنع عمر

ابن

ابن حريث لعبد الملك طعاما فأخبره بالخورنق وأذن للناس عامة فدخلوا وجاء عمر ابن حريث فأجلسه معه على سريره وطعم الناس ثم طاف مع عمر بن حريث على القصر يسأله عن مساكنه ومعالمه ولما بلغ عبد الله بن حازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال أمعه عمر بن معمر قيل هو على فارس قال فالمهلب قيل فى قتال الخوارج قال فعباد ابن الحصين قيل على البصرة قال وأنا بخراسان

خذينى فجرينى جهارا وانشدى * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ثم بعث عبد الملك برأس مصعب الى الكوفة ثم الى الشأم فنصب بدمشق وأرادوا التطاوف به فنعت من ذلك زوجة عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية فغسلته ودفنته وانتهى قتل مصعب الى المهلب وهو يحارب الازارقة فبايع الناس لعبد الملك ابن مروان ولما جاء خبر مصعب لعبد الله بن الزبير خطب الناس فقال الحمد لله الذى له الخلق والامر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء الا وانه لم يذل الله من كان الحق معه وان كان الناس عليه طرا وقد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب فالذى أفرحنا منه ان قتله شهادة وأما الذى أحزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم عمد من عبيد الله وعون من أعوانى ألا وان أهل العراق أهل الغدر والنفاق سلموه وباعوه بأقل الثمن فان فوالله مانموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبى العاص والله ماقتل رجل منهم فى الجاهلية ولا فى الاسلام ولا نموت الا طعنا بالرماح وتحت ظلال السيوف الا انما الدنيا عارية من الملك الاعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها أخذ الاشر البطور وان تدبر لم أبك عليها بكاء الضرع المهين أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم (ولما بلغ الخبر) الى البصرة تنازع ولايتها حمدان بن أبان وعبد الله بن أبى بكرة واستعان حمدان بعبد الله بن الاهتم عليها وكانت له منزلة عند بنى أمية فلما تمهد الامر بالعراق لعبد الملك بعد مصعب ولى على البصرة خالد بن عبد الله بن أسيد فاستخلف عليها عبد الله بن أبى بكرة فقدم على حمدان وعزله حتى جاء خالد ثم عزل خالدا سنة ثلاث وسبعين وولى مكانه على البصرة أخاه بشرا وجمع له المصرين وسار بشر الى البصرة واستخلف على الكوفة عمر بن حريث وولى عبد الملك على الجزيرة وأرمينية بعد قتل مصعب أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وستين فغزا الروم وهزمهم بعد أن كان هادن ملك الروم أيام الفتنة على ألف دينار يدفعها اليه فى كل يوم

بياض بالاصل

(أمر زفر بن الحرث بقرقيسيا)

قد ذكرنا فى وقعة راهط مسير بن زفر الى قرقيسيا واجتماع قيس عليه وأقام بها يدعو

لابن الزبير ولما ولى عبد الملك كتب الى أبان بن عقبة بن أبى معيط وهو على حمص بالمسير الى زفر فسار وعلى مقدمته عبد الله بن رميت العلائى فعاجله عبد الله بالحرب وقتل من أصحابه نحو ثلثمائة ثم أقبل أبان فواقع زفر وقتل ابنه وكيع بن زفر وأوهنه ثم سار اليه عبد الملك الى قرقيسيا قبل مسيره الى مصعب فحاصره ونصب عليه المجانيق وقال كاب لعبد الملك لا تخلط معنا القيسية فانهم ينهزمون اذا التقينا مع زفر ففعل واشتد حصارهم وكان زفر يقاتلهم فى كل غداة وأمر ابنه الهذيل يوما أن يحمل زفر حتى يضرب فسطاط عبد الملك ففعل وقطع بعض أطنابه ثم بعث عبد الملك أخاه بالامان لزفر وابنه الهذيل على أنفسهما ومن معهما وان لهم ما أحبوا فأجاب الهذيل وأدخل أباه فى ذلك وقال عبد الملك لنا خير من ابن الزبير فأجاب على أن له الخيار فى بيعته سنة وأن ينزل حيث شاء ولا يعين على ابن الزبير وبينما الرسل تختلف بينهم اذ قيل لعبد الملك قد هدم من المدينة أربعة أبراج فترك الصلح وزحف اليهم فكشفوا أصحابه الى عسكرهم ورجع الى الصلح واستقر بينهم على الامان ووضع الدماء والاموال وأن لا يبايع لعبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التى له فى عنقه وأن يدفع اليه مال نفسه فى أصحابه وتأخر زفر عن لقاء عبد الملك خوفا من فعلته بعمر بن سعيد فأرسل اليه بقضيب النبى صلى الله عليه وسلم فجاء اليه وأجلسه عبد الملك معه على سريره وزوج ابنه مسلمة الرباب بنت زفر وسار عبد الملك الى قتال مصعب فبعث زفر ابنه الهذيل معه بعسكر ولما قارب مصعبا هرب اليه وقاتل مع ابن الاشتر حتى اذا اقتتلوا اختفى الهذيل فى الكوفة حتى أمنه عبد الملك كما مر

(مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها)

قد تقدم لنا خلاف بنى تميم على ابن حازم بخراسان وانهم كانوا على ثلاث فرق وكف فرقتين منهم وبقى يقاتل الفرقة الثالثة من نيسابور وعليهم بحير بن ورقاء الصريمى فلما قتل مصعب بعث عبد الملك الى حازم يدعوه الى البيعة ويطعمه خراسان سبع سنين وبعث الكتاب مع رجل من بنى عامر بن صعصعة فقال ابن حازم لولا الفتنة بين سليم وعامر ولكن كل كتابك فأكله وكان بكير بن وشاح التميمى خليفة بن حازم على مرو فكتب اليه عبد الملك بعهده على خراسان ورغبه بالمطامع ان انتهى فخلع ابن الزبير ودعا الى عبد الملك وأجابه أهل مرو وبلغ ابن حازم فخاف أن يأتيه بكير ويجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور فترك بحيرا وارتحل عنه الى مرو ويريد ابنه بترمذ فأتبعه بحير ولحقه قريبا من مرو واقتتلوا فقتل ابن حازم طعنه بحير وآخران معه فصرعوه وقعد أحدهم على صدره فقطع رأسه وبعث بحير البشير بذلك الى عبد الملك وترك الرأس

وجاء بكير بن وشاح فى أهل مرو وأراد انفاذ الرأس الى عبد الملك وأنه الذى قتل ابن حازم وأقام فى ولاية خراسان وقيل ان ذلك انما كان بعد قتل ابن الزبير وأن عبد الملك أنفذ رأسه الى ابن حازم ودعاه الى البيعة فغسل الرأس وكفنه وبعثه الى ابن الزبير بالمدينة وكان من شأنه مع الرسول ومع بحير وبكير ما ذكرناه

بياض بالاصل :

(كان) عبد الملك لما بويع بالشأم بعث الى المدينة عروة بن أنيف فى ستة آلاف من أهل الشأم وأمره أن يسكن بالعرصة ولا يدخل المدينة وعامل ابن الزبير يومئذ على المدينة الحرث بن حاطب بن الحرث بن معمر الجمحى فهرب الحرث وأقام ابن أنيف شهرا يصلى بالناس الجمعة بالمدينة ويعود الى معسكره ثم رجع ابن أنيف الى الشأم ورجع الحرث الى المدينة وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الدورقى على خيبر وفدك ثم بعث عبد الملك الى الحجاز عبد الملك بن الحرث بن الحكم فى أربعة آلاف فنزل وادى القرى وبعث سرية الى سليمان بخيبر وهرب وأدركوه فقتلوه ومن معه وأقاموا بخيبر وعليهم ابن القمقام وذكر لعبد الملك ذلك فاغتم وقال قتلوا رجلا صالحا بغير ذنب ثم عزل ابن الزبير الحرث بن حاطب عن المدينة وولى مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزهرى فبعث جابر الى خيبر أبا بكر بن أبى قيس فى ستمائة فانهزم ابن القمقام وأصحابه أمامه وقتلوا صبرا ثم بعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان وأمره أن ينزل بين ايلة ووادى القرى ويعمل كما يعمل عمال ابن الزبير من الانتشار وليسد خللا ان ظهر له بالحجاز فبعث طارق خيلا الى أبى بكر بخيبر واقتتلوا فأصيب أبو بكر فى مائتين من أصحابه وكتب ابن الزبير الى القباع وهو عامله على البصرة يستمده ألفى فارس الى المدينة فبعثهم القباع وأمر ابن الزبير جابر بن الاسود أن يسيرهم الى قتال طارق ففعل ولقيهم طارق فهزمهم وقتل مقدمهم وقتل من أصحابه خلقا وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ورجع الى وادى القرى ثم عزل ابن الزبير جابرا عن المدينة واستعمل طلحة بن عبد الله بن عوف وهو طلحة الندا وذلك سنة سبعين فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق ولما قتل عبد الملك مصعبا ودخل الكوفة وبعث منها الحجاج بن يوسف الثقفى فى ثلاثة آلاف من أهل الشأم لقتال ابن الزبير وكتب معه بالامان لابن الزبير ومن معه ان أطاعوا فسار فى جمادى سنة اثنتين وسبعين فلم يتعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويلقاهم هنالك خيل ابن الزبير فينهزمون دائما وتعود خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بضعف ابن الزبير وتفرق أصحابه ويستأذنه فى دخول الحرم لحصار ابن الزبير ويستمده فكتب عبد الملك الى طارق يأمره باللحاق

بالحجاج فقدم المدينة فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عنها طلحة الندا، عامل
ابن الزبير وولى مكانه رجلا من أهل الشأم وسار الى الحجاج بمكة فى خمسة آلاف
ولما قدم الحجاج مكة أحرم بحجة ونزل بئر ميمون وحج بالناس ولم يطف ولا سعى وحصر
ابن الزبير عن عرفة فنحر بدنة بمكة ولم يمنع الحاج من الطواف والسعى ثم نصب الحجاج
المنجنيق على أبى قبيس ورمى به الكعبة وكان ابن عمر قد حج تلك السنة فبعث الى الحجاج
بالكف عن المنجنيق لاجل الطائفين ففعل ونادى منادى الحجاج عند الافاضة
انصرفوا فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير ورمى بالمنجنيق على الكعبة وألحت الصواعق
عليهم فى يومين وقتلت من أصحاب الشأم رجالا فذعروا فقال لهم الحجاج لاتنكروا
فهذه صواعق تهامة وان الفتح قد حضر فابشروا ثم أصابت الصواعق من أصحاب
ابن الزبير فسرى عن أهل الشأم فكانت الحجارة تقع بين يدى ابن الزبير وهو يصلى
فلا ينصرف ولم يزل القتال بينهم وغلت الاسعار وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح
ابن الزبير فرسه وقسم لحمها فى أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد من الذرة
بعشرين وبيوت ابن الزبير مملوأة قمحا وشعيرا وذرة وتمرا ولا ينفق منها الا ما يمسك
الرمق يقوى بها نفوس أصحابه ثم أجهدهم الحصار وبعث الحجاج الى أصحاب ابن الزبير
بالامان فخرج اليه منهم نحو عشرة آلاف وافترق الناس عنه وكان ممن فارقه ابناه
حمزة وحبيب وأقام ابنه الزبير حتى قتل معه وحرض الناس الحجاج وقال قد ترون
قلة أصحاب ابن الزبير وما هم فيه من الجهد والضيق فتقدموا وملؤا ما بين الحجون
والابواء فدخل ابن الزبير على أمه أسماء وقال يا أمه قد خذلنى الناس حتى ولدى
والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت له أنت أعلم بنفسك ان كنت
على حق وتدعو اليه فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك وقد بلغت بها
علمين بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن
قتل معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فليس هذا فعل الاحرار ولا
أهل الدين فقال يا أمه أخاف أن يمثلوا بى ويصلبونى فقالت يا بنى الشاة اذا ذبحت لا تتألم
بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيى والذى خرجت به
داعيا الى يومى هذا وما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة وما أخرجنى الا الغضب لله
وأن تستحل حرماته ولكن أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتينى بصيرة وانى يا أمه فى يومى
هذا مقتول فلا يشتد حزنك وسلمى لامر الله فان ابنك لم يتعمد اتيان منكر ولا عمد
بفاحشة ولم يجر ولم يغدر ولم يظلم ولم يقر على الظلم ولم يكن آثر عندى من رضا الله تعالى
اللهم لا أقر هذا تزكية لنفسى لكن تعزية لامى حتى تسلو عنى فقالت انى لارجو

أن يكون عزائى فيك جميلا ان تقدمتنى احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك ثم قالت
اخرج حتى أنظر ما يصير أمرك جزاك الله خيرا قال فلا تدعى الدعاء لى فدعت له وودعها
وودعته ولما عانقته للوداع وقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد
فقال ما لبستها الا لاشد منك فقالت انه لا يشد منى فنزعها وقالت له البس ثيابك مشمرة ثم
خرج فحمل على أهل الشأم حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وأشار عليه
بعضهم بالفرار فقال بئس الشيخ اذن أنا فى الاسلام اذا أوقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن
مثل مصارعهم وامتلأت أبواب المسجد بأهل الشأم والحجاج وطارق بناحية الابطح
الى المروة وابن الزبير يحمل على هؤلاء وعلى هؤلاء وينادى أبا صفوان لعبد الله
ابن صفوان بن أمية بن خلف فيجيبه من جانب المعترك ولما رأى الحجاج احجام الناس
عن ابن الزبير غضب وترجل وحمل الى صاحب الراية بين يديه فتقدم ابن الزبير اليهم
وكشفهم عنه ورجع فصلى ركعتين عند المقام وحملوا على صاحب الراية فقتلوه عند باب
بنى شيبة وأخذوا الراية ثم قاتلهم وابن مطيع معه حتى قتل ويقال أصابته جراحة
فمات منها بعد أيام ويقال انه قال لاصحابه يوم قتل يا آل الزبير أطيبوا لى نفسا
عن أنفسكم كأهل بيت من العرب اصطلمنا فى الله فلا يرعكم وقع السيوف فان ألم الدواء
فى الجرح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم بما تصونون وجوهكم وغضوا أبصاركم
عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا تسألوا عنى ومن كان سائلا فانى فى الرعيل
الاول ثم حمل حتى بلغ الحجون فأصابته حجارة فى وجهه فأرعش لها ودمى وجهه ثم قاتل
قتالا شديدا وقتل فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وحمل رأسه الى الحجاج فسجد
وكبر أهل الشأم وثار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله
ابن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى عبد الملك وصلب جثته منكسة
على ثنية الحجون اليمنى وبعثت اليه أسماء فى دفنه فأبى وكتب اليه عبد الملك يلومه
على ذلك فخلى بينها وبينه ولما قتل عبد الله ركب أخوه عروة وسبق الحجاج الى عبد الملك
فرحب به وأجلسه على سريره وجرى ذكر عبد الله فقال عروة انه كان فقال عبد الملك
وما فعل قال قتل فخر ساجدا ثم أخبره عروة ان الحجاج صلبه فاستوهب جثته لامه
فقال نعم وكتب الى الحجاج ينكر عليه صلبه فبعث بجثته الى أمه وصلى عليه عروة ودفنه
وماتت أمه بعده قريبا ولما فرغ الحجاج من ابن الزبير دخل الى مكة فبايعه أهلها
لعبد الملك وأمر بكنس المسجد من الحجارة والدم وسار الى المدينة وكانت من عمله
فأقام بها شهرين وأساء الى أهلها وقال أنتم قتلة عثمان وختم أيدى جماعة من الصحابة
بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل بأهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل

ابن سعد ثم عاد الى مكة ونقلت عنه فى ذم المدينة أقوال قبيحة أمره فيها الى الله وقيل ان ولاية الحجاج المدينة وما دخل منها كانت سنة أربع وسبعين وان عبد الملك عزل عنها طارقا واستعمله ثم هدم الحجاج بناء الكعبة الذى بناه ابن الزبير وأخرج الحجر منه وأعاده الى البناء الذى أقره عليه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصدق ابن الزبير فى الحديث الذى رواه عن عائشة فلما صح عنده بعد ذلك قال وددت انى تركته وما تحمل

(ولاية المهلب حرب الازارقة)

ولما عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة واستعمل مكانه أخاه بشر بن مروان وجمع له المصرين أمره أن يبعث المهلب الى حرب الازارقة فيمن ينتخبه من أهل البصرة ويتركه وراءه فى الحرب وأن يبعث من أهل الكوفة رجلا شريفا معروفا بالبأس والنجدة والتجربة فى جيش كثيف الى المهلب فيتبعوا الخوارج حتى يهلكوهم فأرسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة ينتخب الناس من الديوان وشق على بشر ان امرأة المهلب جاءت من عند عبد الملك فغص به ودعا عبد الرحمن بن مخنف فأعلمه منزلته عنده وقال انى أوليك جيش الكوفة بحرب الازارقة فكن عند حسن ظنى بك ثم أخذ يغريه بالمهلب وأن لا يقبل رأيه ولا مشورته فأظهر له الوفاق وسار الى المهلب فنزلوا رامهرمز ولقى بها الخوارج فخندق عليه على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران ثم أتاهم نعى بشر بن مروان لعشر ليال من مقدمهم وانه استخلف على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد فافترق الناس من أهل المصرين الى بلادهم ونزلوا الاهواز وكتب اليهم خالد بن عبد الله يتهددهم ويحذرهم عقوبة عبد الملك ان لم يرجعوا الى المهلب فلم يلتفتوا اليه ومضوا الى الكوفة واستأذنوا عمر بن حريث فى الدخول ولم يأذن لهم فدخلوا وأضربوا عن اذنه

(ولاية أسد بن عبد الله على خراسان)

ولما ولى بكير بن وشاح على خراسان اختلف عليه بطون تميم وأقاموا فى العصبية له وعليه سنتين وخاف أهل خراسان أن تفسد البلاد ويقهرهم العدو فكتبوا الى عبد الملك بذلك وأنها لا تصلح الا على رجل من قريش واستشار أصحابه فقال له أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد نزكيهم برجل منك فقال لولا انهزامك عن أبى فديك كنت لها فاعتذر وحلف ان الناس خذلوه ولم يجد مقاتلا فانحزت بالعصبة التى بقيت من المسلمين عن الهلكة وقد كتب اليك خالد بن عبد الله بعذرى وقد علمه الناس فولاه خراسان (ولما) سمع بكير بن وشاح بمسيره بعث الى بحير بن ورقاء وهو فى حبسه كما مر فأبى وأشار عليه بعض أصحابه أن يقبل مخافة القتل فقبل وصالح بكيرا وبعث اليه بكير بأربعين ألفا

على

على أن لا يقاتله فلما قارب أمية نيسابور سار اليه بحير وعرفه عن أمور خراسان وما يحسن به طاعة أهلها وحذره غدر بكير وجاء معه الى مرو فلم يعرض أمية لبكير ولا لعماله وعرض عليه شرطته فأبى وقال لا أحمل الجزية اليوم وقد كانت تحمل الى بالامس وأراد أن يوليه بعض النواحى من خراسان فحذره بحير منه ثم ولى أمية ابنه عبد الله على سجستان فنزل بستا وغزا رتبيل الذى ملك على الترك بعد المقتول الاول وكان هائبا للمسلمين فراسلهم فى الصلح وبعث ألف ألف وبعث بهدايا ورقيق فأبى عبد الله من قبولها وطلب الزيادة فخلا رتبيل عن البلاد حتى أوغل فيها عبد الله ثم أخذ عليه الشعاب والمضايق حتى سأل منه الصلح وأن يخلى عنه عن المسلمين فشرط رتبيل عليه ثلثمائة ألف درهم والعهد بأن لا يغزو بلادهم فأعطاه ذلك وبلغ الخبر بذلك عبد الملك فعزله

(ولاية الحجاج العراق)

ثم ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف على الكوفة والبصرة سنة خمسة وسبعين وأرسل اليه وهو بالمدينة يأمره بالمسير الى العراق فسار على النجب فى اثنى عشر راكبا حتى قدم الكوفة فى شهر رمضان وقد كان بشر بعث المهلب الى الخوارج فدخل المسجد وصعد المنبر وقال على بالناس فظنوه من بعض الخوارج فهموا به حتى تناول عمير بن ضابى البرجمى الحصباء وأراد أن يحصبه فلما تكلم جعل الحصباء يسقط من يديه وهو لا يشعر به ثم حضر الناس فكشف الحجاج عن وجهه وخطب خطبته المعروفة ذكرها الناس واحسن من أوردها المبرد فى الكامل يتهدد فيها أهل الكوفة ويتوعدهم عن التخلف عن المهلب ثم نزل وحضر الناس عنده للعطاء واللحاق بالمهلب فقام اليه عمير ابن ضابى وقال أنا شيخ كبير عليل وابنى هذا أشد منى فقال هذا خير لنا منك قال ومن أنت قال عمير بن ضابى قال الذى غزا عثمان فى داره قال نعم فقال يا عدو الله الى عثمان بدلا قال انه حبس أبى وكان شيخا كبيرا فقال انى لاحب حياتك ان فى قتلك صلاح المصرين وأمر به فقتل ونهب ماله وقيل ان عنبسة بن سعيد بن العاص هو الذى أغرى به الحجاج حين دخل عليه ثم أمر الحجاج مناديه فنادى ألا ان ابن ضابى تخلف بعد ثلاثة من النداء فأمرنا بقتله وذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب فتسايل الناس الى المهلب وهو برامهرمز وجاءه العرفاء فأخذوا كتبه بموافاة العسكر ثم بعث الحجاج على البصرة الحكم بن أيوب الثقفى وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله وبلغه الخبر فقسم فى أهل البصرة ألف ألف وخرج عنها ويقال ان الحجاج أول من عاقب على التخلف عن البعوث بالقتل قال الشعبى كان الرجل اذا أخل بوجهه الذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلى تنزع عمامته ويقام بين الناس فلما ولى مصعب أضاف اليه

قوبل على الاصل

حلق الرؤس واللحى فلما ولى بشر أضاف اليه تعليق الرجل بمسمارين فى يده فى حائط فيخرق المسماران يده وربما مات فلما جاء الحجاج ترك ذلك كله وجعل عقوبة من تخلى بمكانه من الثغر أو البعث القتل ثم ولى الحجاج على السند سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية بن الحرث الكلابى العلاقى وأخوه فغلباه على البلاد وقتلاه فأرسل الحجاج مجاعة بن سعيد التميمى مكانه فغلب على الثغر وغزا وفتح فتوحات بمكران لسنة من ولايته

(وقوع أهل البصرة بالحجاج)

ثم خرج الحجاج من الكوفة واستخلف عليها عروة بن المغيرة بن شعبة وسار الى البصرة وقدمها وخطب كما خطب بالكوفة وتوعد على القعود عن المهلب كما توعد فأتاه شريك ابن عمرو السكرى وكان به فتق فاعتذر به وبأن بشر بن مروان قبل عذره بذلك وأحضر عطاءه ليرد لبيت المال فضرب الحجاج عنقه وتتابع الناس مزدحمين الى المهلب ثم سار حتى كان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا وأقام يشد ظهره وقال يا أهل المصرين هذا والله مكانكم حتى يهلك الله الخوارج ثم قطع لهم الزيادة التى زادها مصعب فى الاعطية وكانت مائة مائة وقال لسنا نجيزها فقال عبد الله بن الجارود انما هى زيادة عبد الملك وقد أجازها أخوه بشر بأمره فانتهره الحجاج فقال انى لك ناصح وانه قول من ورائى فمكث الحجاج أشهرا لا يذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل الرد الاول فقال له مصقلة بن كرب العبدى سمعا وطاعة للامير فيما أحببنا وكرهنا وليس لنا أن نرد عليه فانتهره ابن الجارود وشتمه وأتى الوجوه الى عبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعى وقالوا ان هذا الرجل مجمع على نقص هذه الزيادة وانا نبايعك على اخراجه من العراق ونكتب الى عبد الملك أن يولى علينا غيره والا خلعناه وهو يخافنا ما دامت الخوارج فى العراق فبايعوه سرا وتعاهدوا وبلغ الحجاج أمرهم فاحتاط وجد ثم خرجوا فى ربيع سنة ست وسبعين وركب عبد الله بن الجارود فى عبد قيس على راياتهم ولم يبق مع الحجاج الا خاصته وأهل بيته وبعث الحجاج يستدعيه فأفحش فى القول لرسوله وصرح بخلع الحجاج فقال له الرسول تهلك قومك وعشيرتك وأبلغه تهديد الحجاج اياه فضرب وأخرج وقال لولا انك رسول لقتلتك ثم زحف ابن الجارود فى الناس حتى غشى فسطاطه فنهبوا ما فيه من المتاع وأخذوا زجاجته وانصرفوا عنها فكان رأيهم أن يخرجوه ولا يقتلوه وقال الغضبان بن أبى القبعثرى الشيبانى لابن الجارود لا ترجع عنه وحرضه على معالجته فقال الى الغداة وكان مع الحجاج عثمان بن قطن وزياد ابن عمر العتكى صاحب الشرطة بالبصرة فاستشارهما فأشار زياد بأن يستأمن القوم

ويلحق بأمير المؤمنين وأشار عثمان بالثبات ولو كان دونه الموت وقال لا تخرج الى أمير المؤمنين من العراق بعد أن رقاك الى ما رقاك وفعلت ما فعلت بابن الزبير والحجاز فقبل رأى عثمان وحقد على زياد فى اشارته وجاءه عامر بن مسمع يقول قد أخذت لك الامان من الناس فجعل الحجاج يغالط رافعا صوته عليه ليسمع الناس و يقول والله لا آمنهم حتى تؤتونى بالهذيل بن عمران وعبد الله بن حكيم ثم أرسل الى عبيد بن كعب النميرى ان ائتنى فامنعنى فقال له ان أتيتنى منعتك فأبى وبعث الى محمد بن عمير بن عطارد وعبد الله بن حكيم بمثل ذلك وأجابوه مثله ثم ان عباد الحصين الحبطى مر بابن الجارود والهذيل وعبد الله بن حكيم يتناجون فطلب الدخول معهم فأبوا وغضب وسار الى الحجاج وجاءه قتيبة بن مسلم فى بنى أعصر للعصبية القيسية ثم جاءه سبرة بن على الكلابى وسعيد بن أسلم الكلابى وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الازدى فثابت اليه نفسه وعلم أنه قد امتنع وأرسل اليه مسمع بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك وان شئت أقمت وثبطت عنك فأجابه أن أقم فلما أصبح اذا حوله ستة آلاف وقال ابن الجارود لعبد الله ابن زياد بن ظبيان ما الرأى قال تركته أمس ولم يبق الا الصبر ثم تراجعوا وعبى ابن الجارود وأصحابه على ميمنته الهذيل وعلى ميسرته سعيد بن أسلم وحمل ابن الجارود حتى جاوز أصحاب الحجاج وعطف الحجاج عليه فقارب ابن الجارود ان يظفر ثم أصابه سهم غرب فوقع ميتا ونادى منادى الحجاج بأمان الناس الا الهذيل وابن حكيم وأمر أن لا يتبع المنهزمون ولحق ابن ظبيان بعمار فهلك هنالك وبعث الحجاج برأس ابن الجارود ورأس ثمانية عشر من أصحابه الى الملك ونصبت ليراها الخوارج فيتأسوا من الاختلاف وحبس الحجاج عبيد بن كعب ومحمد بن عمير لامتناعهما من الاتيان اليه وحبس ابن القبعثرى لتحريضه عليه فأطلقه عبد الملك وكان فيمن قتل مع ابن الجارود عبد الله بن أنس بن مالك فقال الحجاج لا أرى أنسا يعين على ودخل البصرة وأخذ ماله وجاءه أنس فأساء عليه وأفحش فى كلمة فى شتمه وكتب أنس الى عبد الملك يشكوه فكتب عبد الملك الى الحجاج يشتمه و يغلظ عليه فى التهديد على ما فعل بأنس وأن تجىء الى منزله وتتنصل اليه والا بعثت من يضرب ظهرك ويهتك سترك قالوا وجعل الحجاج فى قراءته يتغير ويرتعد وجبينه يرشح عرقا ثم جاء الى أنس بن مالك واعتذر اليه وفى عقب هذه الواقعة خرج الزنج بفرات البصرة وقد كانوا خرجوا قبل ذلك أيام مصعب ولم يكونوا بالكثير وأفسدوا الثمار والزروع ثم جمع لهم خالد بن عبد الله فافترقوا قبل أن ينال منهم وقتل بعضهم وصلبه فلما كانت هذه الواقعة قدموا عليهم رجلا منهم اسمه رياح ويلقب بشير زنجى أى أسد الزنج وأفسدوا فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد

ابن عمر صاحب الشرطة أن يبعث اليهم من يقاتلهم وبعث ابنه حفصا في جيش فقتلوه وانهزم أصحابه فبعث جيشا فهزم الزنج وأبادهم

(مقتل ابن مخنف وحرب الخوارج)

كان المهلب وعبد الرحمن بن مخنف واقفين للخوارج برامهرمز فلما أمدهم الحجاج بالعساكر من الكوفة والبصرة تأخر الخوارج من رامهرمز الى كازرون وأتبعهم العساكر حتى نزلوا بهم وخندق المهلب على نفسه وقال ابن مخنف وأصحابه خدمنا سيوفنا فبيتهم الخوارج وأصابوا الغرة في ابن مخنف فقاتل هو وأصحابه حتى قتلوا هكذا حديث أهل البصرة وأما أهل الكوفة فذكروا أنهم لما ناهضوا الخوارج اشتد القتال بينهم ومال الخوارج على المهلب فاضطروه الى معسكره وأمده عبد الرحمن بالخيل والرجال ولما رأى الخوارج مدده تركوا من يشغل المهلب وقصدوا عبد الرحمن فقاتلوه وانكشفوا عنه وصبر في سبعين من قومه فثابوا الى عتاب بن ورقاء وقد أمره الحجاج أن يسمع للمهلب فثقل ذلك عليه فلم يحسن بينهما العشرة وكان يتراءف في الكلام وربما أغلظ له المهلب فأرسل عتاب الى الحجاج يسأله القعود وكان حرب الخوارج وشبيب قد اتسع عليه فصادف ذلك منه موقعا واستقدمه وأمره أن يترك العسكر مع المهلب فولى المهلب عليهم ابنه حبيبا وأقام يقاتلهم بنيسابور نحوا من سنة وتحركت الخوارج على الحجاج من لدن سنة ستة وسبعين الى سنة ثمان وشغل بحربهم وأول من خرج منهم صالح بن سرح من بني تميم بعث اليه العساكر فقتل فولوا عليهم شبيبا واتبعه كثير من بني شيبان وبعث اليهم الحجاج العساكر مع الحرث بن عميرة ثم مع سفيان الخثعمي ثم انحدر ابن سعيد فهزموها وأقبل شبيب الى الكوفة فحاربهم الحجاج وامتنع ثم سرح عليه العساكر وبعث في أثرهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فهزموهم ثم بعث عتاب ابن ورقاء وزهرة ابن حوية مددا لهم فانهزموا وقتل عتاب وزهرة ثم قتل شبيب واختلف الخوارج بينهم وقتل منهم جماعة كما نذكر ذلك كله في أخبارهم

(ضرب السكة الاسلامية)

كان عبد الملك كتب في صدر كتابه الى الروم قل هو الله أحد وذكر النبي مع التاريخ فنكر ذلك ملك الروم وقال اتركوه والا ذكرنا نبيكم في دنانيرنا بما تكرهونه فعظم ذلك عليه واستشار الناس فأشار عليه خالد بن يزيد بضرب السكة وترك دنانيرهم ففعل ثم نقش الحجاج فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لانه قد يمسها غير الطاهر ثم بالغ في تخلص الذهب والفضة من الغش وزاد ابن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك عليه ثم زاد خالد القسري عليهم في ذلك أيام هشام ثم أفرط يوسف بن عمر من بعدهم في المبالغة

وامتحان

وامتحان العيار وضرب عليه فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ثم أمر المنصور أن لا يقبل في الخراج غيرها وسميت النقود الاولى مكروهة اما لعدم جودتها أو لما نقش عليها الحجاج وكرهه وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر فكان منها مثقال وزن عشرين قيراطا واثني عشر وعشرة قراريط وهي انصاف المثاقيل فجمعوا قراريط الانصاف الثلاثة فكانت اثنين وأربعين فجعلوا ثلثها وهو اثنا عشر قيراطا وزن الدرهم العربي فكانت كل عشرة دراهم تزن سبعة مثاقيل وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله والاصح أن عبد الملك أول من ضرب السكة في الاسلام

(مقتل بكير بن وشاح بخراسان)

قد تقدم لنا عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد سنة أربع وسبعين وأن بكيرا أقام في سلطان أمية بخراسان وكان يكرمه ويدعوه لولاية ما شاء من أعمال خراسان فلا يجيب وانه ولاه طخارستان وتجهز لها فمنعه بحير بن ورقاء فمنعه ثم أمره بالتجهز للغزو وما وراء النهر فحذره منه بحير فرده فغضب بكير ثم تجهز أمية للغزو وغزا وموسى ابن عبد الله ابن حازم لترمذ واستخلف ابنه على خراسان فلما أراد قطع النهر قال لبكير ارجع الى مرو فاكفنيها فقد وليتكها وقم بأمر ابن حازم فاني أخشى أن لا يضبطها فانتخب من وثق به من أصحابه ورجع وأشار عليه صاحبه عتاب بأن يحرق السفن ويرجع الى مرو ويخلع أمية ووافقه الاحنف بن عبد الله العنبري على ذلك فقال لهم بكير اخشى على من معي قالوا نأتيك من أهل مرو بمن تشاء قال يهلك المسلمون قال ناد في الناس برفع الخراج فيكونون معك قال فيهلك أمية وأصحابه قال لهم عدد وعدد يقاتلون عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع الى مرو فخلع أمية وحبس ابنه وبلغ الخبر أمية فصالح أهل الشام ببخارى ورجع وأمر باتخاذ السفن وعبر وجاءه موسى بن عبد الله بن حازم من مددوا له وبعث شماس ابن ورقاء في ثمانمائة في مقدمته فبيته بكير وهزمه فبعث مكانه ثابت بن عطية فهزمه ثم التقى أمية وبكير فاقتتلوا أياما ثم انهزم بكير الى مرو وحاصره أمية أياما حتى سأل الصلح على ولاية ما شاء من خراسان وأن يقضى عنه أربعمائة ألف دينه ويصل أصحابه ولا يقبل فيه سعاية بحير فتم الصلح ودخل أمية مدينة مرو وأعاد بكيرا الى ما كان عليه من الكرامة وأعطى عتاب الغداني عشرين ألفا وعزل بحيرا عن شرطته بعطاء بن أبي السائب وقيل ان بكيرا لم يصحب أمية الى النهر وانما استخلفه على مرو فلما عبر أمية النهر خلع وفعل ما فعل ثم ان بحيرا سعى بأمية بأن بكيرا دعاه الى الخلاف وشهد عليه جماعة

بياض بالأصل

من أصحابه وأن معه ابنى أخيه فقبض عليه أمية وقتله وقتل معه ابنى أخيه وذلك سنة سبع وسبعين ثم عبر النهر لغزو بلخ فحصره الترك حتى جهد هو وعسكره وأشرفوا على الهلاك ثم نجوا ورجعوا الى مرو

(مقتل بحير بن زياد)

ولما قتل بكير بسعاية بحير بن ورقاء تعاقد بنو سعد بن عوف من تميم وهم عشيرته على الطلب بدمه وخرج فتى منهم من البادية اسمه شمردل وقدم خراسان ووقف يوما على بحير فطعنه فصرعه ولم يمت وقتل شمردل وجاء مكانه صعصعة بن حرب العوفى ومضى الى سجستان وجاور قرابة بحير مدة وانتسب الى حنيفة ثم قال لهم ان لى بخراسان ميراثا فاكتبوا الى بحير يعيننى فكتبوا له وجاء اليه وأخبره بنسبه وميراثه وأقام عنده شهرا يحضر باب المهلب وقد أنس به وأمن غائلته وجاء صعصعة يوما وهو عند المهلب فى قميص ورداء ودنا ليكلمه فطعنه ومات من الغد وقال صعصعة نعته متاعس وقالوا أخذ بثاره فحمل المهلب دم صعصعة وجعل دم بحير ببكير وقيل ان المهلب بعثه الى بحير فقتله والله أعلم وكان ذلك سنة احدى وثمانين

(ولاية الحجاج على خراسان وسجستان)

وفى سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن خراسان وسجستان وضمهما الى الحجاج بن يوسف فبعث المهلب بن أبى صفرة على خراسان وقد كان فرغ من حرب الازارقة فاستدعاه وأجلسه معه على السرير وأحسن الى أهل البلاد من أصحابه وزادهم وبعث عبيد الله بن أبى بكرة على سجستان فأما المهلب فقدم ابنه حبيبا الى خراسان فلم يعرض لامية ولا لعماله حتى قدم أبوه المهلب بعد سنة من ولايته وسار فى خمسة آلاف وقطع النهر الغربى وما وراء النهر وعلى مقدمته أبو الادهم الزمانى فى ثلاثة آلاف فنزل على كش وجاءه ابن عم الختن يستنجده على ابن عمه فبعث معه ابنه يزيد فبيت ابن العم عساكر الختن وقتل الملك وجاء صمر يزيد قلعتهم حتى صالحوا بما رضى ورجع وبعث المهلب ابنه حبيبا فى أربعة آلاف ووافى صاحب بخارى فى أربعين ألفا وكبس بعض جنده فى قرية فقتلهم وأحرقها ورجع الى أبيه وأقام المهلب يحاصر كش سنتين حتى صالحوه على فدية وأما عبيد الله بن أبى بكرة فأقام بسجستان ورتبيل على صلحه يؤدى الخراج ثم امتنع فأمر الحجاج ابن أبى بكرة فغزوه واستباحوا بلاده فسار فى أهل المصرين وعلى أهل الكوفة شريح بن هانئ من أصحاب على فدخل بلاد رتبيل وتوغل فيها حتى كانوا على ثمانية عشر فرسخا من مدينتهم وأثخن واستباح وخرب القرى والحصون ثم أخذ الترك عليهم القرى والشعاب حتى ظنوا الهلكة

فصالحهم

فصالحهم عبيد الله على الخروج من أرضهم على أن يعطيهم سبعمائة ألف درهم ونكر ذلك عليه شريح وأبى الا القتال وحرض الناس ورجع وقتل حين قتل فى ناس من أصحابه ونجا الباقون وخرجوا من بلاد رتبيل ولقيهم الناس بالاطعمة فكانوا يموتون اذا شبعوا فجعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمروا وكتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه فى غزو بلاد رتبيل فأذن له فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفا من البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة وأزاح عللهم وأنفق فيهم ألفى ألف سوى أعطياتهم وأخذهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان يبغضه ويقول أريد قتله ويخبر الشعبى بذلك عبد الرحمن فيقول أنا أزيله عن سلطانه فلما بعثه على ذلك الجيش تنصح أخوه اسمعيل للحجاج وقال لا تبعثه فانى أخشى خلافه فقال هو أهيب لى من أن يخالف أمرى وسار عبد الرحمن فى الجيش وقدم سجستان واستنفرهم وحذر العقوبة لمن يتعدى وساروا جميعا الى بلاد رتبيل وبذل الخراج فلم يقبل منه ودخل بلاده فحواها شيأ فشيأ وبعث عماله عليها ورجع المصالح بالنواحى والارصاد على العقاب والشعاب وامتلأت أيدى الناس من الغنائم ومنع من التوغل فى البلاد الى قابل وقد قيل فى بعث عبد الرحمن بن الاشعث غير هذا وهو أن الحجاج كان قد أنزل هميان بن عدى السدى مسلحة بكرمان ان احتاج اليه عامل السند وسجستان فعصى هميان فبعث الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث فهزمه وقام بموضعه ثم مات عبيد الله بن أبى بكرة فولاه الحجاج مكانه وجهز اليه هذا الجيش وكان يسمى جيش الطواويس لحسن زيهم

(أخبار ابن الاشعث ومقتله)

ولما وصل كتاب ابن الاشعث الى الحجاج كتب اليه يوبخه على القعود عن التوغل ويأمره بالمضى لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانيا وثالثا وقال له ان مضيت والا فأخوك اسحق أمير الناس فجمع عبد الرحمن الناس ورد الرأى عليهم وقال قد كنا عزمنا جميعا على ترك التوغل فى بلد العدو ورأيتم رأيا وكتبت بذلك الى الحجاج وهذا كتابه يستعجزنى ويستضعفنى ويأمرنى بالتوغل بكم وأنا رجل منكم فثار الناس وقالوا لا نسمع ولا نطيع للحجاج وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فتنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا وقال عبد المؤمن بن شبث بن ربعى انصرفوا الى عدو الله الحجاج فانفوه عن بلادكم ووثب الناس الى عبد الرحمن على خلع الحجاج ونفيه من العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك وصالح عبد الرحمن رتبيل على أنه ان ظهر

فلا خراج على رتبيل ما بقي من الدهر وان هزم منعه فمن يريده وجعل عبد الرحمن على بست عياض بن هميان الشيباني وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي وعلى كرمان حرثة ابن عمر التميمي ثم سار الى العراق في جموعه وأعشى همدان بين يديه يجري بمدحه وذم الحجاج وعلى مقدمته عطية بن عمير العنبري ولما بلغ فارس بدا للناس في أمر عبد الملك وقالوا اذا خلعنا الحجاج فقد خلعناه فخلعه الناس وبايعوا عبد الرحمن على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمحلين وخلعهم وكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره ويستمده وكتب المهلب الى الحجاج بأن لا يعترض أهل العراق حتى يسقطوا الى أهليهم فنكر كتابه واتهمه وجند عبد الملك الجند الى الحجاج فساروا اليه متتابعين وسار الحجاج من البصرة فنزل تستر وبعث مقدمة خيل فهزمهم أصحاب عبد الرحمن بعد قتال شديد وقتل منهم جمعا كثيرا وذلك في أضحى احدى وثمانين وأجفل الحجاج الى البصرة ثم تأخر عنها الى الغاوية وراجع كتاب المهلب فعلم نصيحته ودخل عبد الرحمن البصرة فبايعه أهلها وسائر نواحيها الآن الحجاج كان اشتد على الناس في الخراج وأمر من دخل الامصار أن يرجع الى القرى يستوفي الجزية فنكر ذلك الناس وجعل القرى يبكون منه فلما قدم عبد الرحمن بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك ثم اشتد القتال بينهم في المحرم سنة اثنتين وثمانين وتزاحفوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة وانهزم منهم خلق كثير وفشا القتل في القرى فقتل منهم عقبة بن عبد الغفر الازدي في جماعة استلحموا معه وقتل الحجاج بعد الهزيمة منهم عشرة آلاف وكان هذا اليوم يسمى يوم الزاوية واجتمع من بقي بالبصرة على عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وبايعوه فقاتل بهم الحجاج خمس ليال ثم لحق بابن الاشعث بالكوفة وتبعه طائفة من أهل البصرة ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجاج عليها عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي وثب به مطر بن ناجية من بني تميم مع أهل الكوفة فاستولى على القصر وأخرجه فلما وصل ابن الاشعث لقيه أهل الكوفة واحتف به همدان وجاء الى القصر فمنعه مطر فصعد الناس القصر وأخذوه فحبسه عبد الرحمن وملك الكوفة ثم ان الحجاج استعمل على البصرة الحكم بن أيوب الثقفي ورجع الى الكوفة فنزل دير قرة ونزل عبد الرحمن دير الجماجم واجتمع الى كل واحد أمداده وخندق على نفسه وبعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمدا في جند كثيف وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج ويجري عليهم اعطياتهم كأهل الشام وينزل عبد الرحمن الى أي بلد شاء عاملا لعبد الملك فوجم الحجاج لذلك وكتب الى عبد الملك ان هذا من يزيدهم جراءة وذكره بقضية عثمان

وسعيد بن العاص فأبى عبد الملك من رأيه وعرض عبد الله ومحمد بن مروان ما جاء به عبد الملك وتشاور أهل العراق بينهم وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك وأن العزة لهم على عبد الملك لا تزول فتوانبوا من كل جانب منكرين لذلك ومجددين الخلع وتقدمهم في ذلك عبد الله بن ذواب السلمي وعمير بن تيحان ثم برزوا للقتال وجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي وعلى الخيل سفيان بن الابرد الكلبي وعلى الرجالة عبد الله بن حبيب الحكمي وجعل عبد الرحمن على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمي وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمي وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وعلى رجالته محمد بن سعد بن أبي وقاص وعلى مجنبته عبد الله بن رزم الحرشي وعلى القرى جبلة بن زحر بن قيس الجعفي وفيهم سعيد بن جبير وعامر الشعبي وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ثم أقاموا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون بقية سنتهم وكتيبة القرى معروفة بالصبر يحملون عليها فلا تنتقص فعبى الحجاج ثلاث كتائب مع الجراح بن عبد الله الحكمي وحملوا على القرى ثلاث حملات وجبلة يحرض القرى ويثبتهم والشعبي وسعيد بن جبير كذلك ثم حملوا على الكتائب ففرقوها وأزالوها عن مكانها وتأخر جبلة عنهم ليكون لهم فئة يرجعون اليه وأبصره الوليد بن نجيب الكلبي فقصده في جماعة من أهل الشأم وقتله وجيء برأسه الى الحجاج وقدموا عليهم مكانه وظهر القتل في القرى ثم اقتتلوا بعد ذلك ما يزيد على مائة يوم كثر فيها القتلى والمبارزة ثم اقتتلوا يوما في منتصف جمادى الآخرة وحمل سفيان ابن الابرد في ميمنة الحجاج على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الابرد بن قرة من غير قتال فتقوضت صفوف الميمنة وركبهم أصحاب الحجاج ثم انهزم عبد الرحمن وأصحابه ومضى الحجاج الى الكوفة ومحمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشأم وأخذ الحجاج الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر وقتل من أبى ذلك ودعا بكميل ابن زياد صاحب علي فقتله لاقتصاصه ثم أقام بالكوفة شهرا وأنزل أهل الشأم في بيوت أهل الكوفة ولحق ابن الاشعث بالبصرة فاجتمع اليه جموع المنهزمين ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ولحق به محمد بن سعيد بن أبي وقاص بالمدائن وسار نحو الحجاج ومعه بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني كان قدم عليه قبل الهزيمة من الري وكان انتقض بها ثم غلب عليها ولحق بعبد الرحمن فكان معه وبايع عبد الرحمن خلق كثير على الموت ونزل مسكن وخندق عليه وعلى أصحابه والحجاج قبالتهم وقاتلهم خالد بن جرير بن عبد الله وكان قدم من خراسان في بعث الكوفة فقاتلهم خمسة عشر يوما من شعبان أشد قتال وقتل زياد بن غنيم القيني وكان على مسالح الحجاج فهد منهم

ثم أبا بكر والقتال وحمل بسطام بن مصقلة بن هبيرة فى أربعة آلاف من فرسان الكوفة والبصرة كسروا جفون سيوفهم وحملوا على أهل الشأم فكشفوهم مرارا وأحاط بهم الرماة ولحقوا فقتلوا وحمل عبد الملك بن المهلب على أصحاب عبد الرحمن فكشفوهم ثم حمل أصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن وأصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه وأبو البخترى الطائى ومعلى بن الأشعث نحو سجستان ويقال ان بعض الاعراب جاء الى الحجاج فدله على طريق من وراء معسكر ابن الاشعث فبعث معه أربعة آلاف جاؤا من ورائه وأصبح الحجاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره وأقبلت السرية من الليل الى معسكر ابن الاشعث وكان الغرقى منهم أكثر من القتلى وجاء الحجاج الى المعسكر فقتل من وجد فيه وكان عدة القتلى أربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن الهادى وبسطام بن مصقلة وعمر بن ربيعة الرقاشى وبشر بن المنذر ابن الجارود وغيرهم (ولما سار) ابن الاشعث الى سجستان أتبعه الحجاج بالعساكر وعليهم عمارة بن تميم اللخمى ومعهم محمد بن الحجاج فأدركوه بالسوس فقاتلوه وانهزم الى سابور واجتمع اليه الاكراد وقاتلوا العساكر قتالا شديدا فهزم وخرج عمارة ولحق ابن الاشعث بكرمان فلقيه عامله بها وهيأ له النزول فنزل ثم رحل الى زرنج فمنعه عامله من الدخول فحاصرها أياما ثم سار الى بست وعليها من قبله عياض بن هميان ابن هشام السلوبى الشيبانى ثم استغفله فأوثقه وكان رتبيل ملك الترك قد سار ليستقبله ونزل على بست وتهدد عياضا فأطلقه وحمل رتبيل الى بلاده وأنزله عنده واجتمع المنهزمون فاتفقوا على قصد خراسان ليمنوا بعشائرهم وقصدوا للصلاة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث وكتبوا الى عبد الرحمن بن الاشعث يستقدمونه فقدم عليهم وثناهم عن قصد خراسان مخافة من سطوة يزيد بن المهلب وأن يجتمع أهل الشأم وأهل خراسان فأبوا وقالوا بل يكثر بها تابعنا فسار معهم الى هراة فهرب عنهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فخشى الانتقاض وقال انما أتيتكم وأمركم جميعا وأنا الآن منصرف الى صاحبى الذى جئت من عنده يعنى رتبيل ورجع عنهم فى قليل وبقى معظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس بسجستان فجمع بابن الاشعث وسار الى خراسان فى عشرين ألفا ونزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه وبعث اليه يزيد بن المهلب بالرحلة من البلاد وقال انما نزلنا ليستريح ونرتحل ثم أخذ فى الجباية وسار نحوه يزيد بن المهلب والتقوا فافترق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبرت معه طائفة ثم انهزموا وأمر يزيد بالكف عنهم وغنم ما فى عسكرهم وأسر جماعة منهم فيهم محمد بن سعد ابن أبى وقاص وعمر بن موسى بن عبد الله بن معمر وعباس بن الاسود بن عوف والهلقام

ا ب

ابن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وفيروز وأبو العلج مولى عبد الله بن معمر وسوار ابن مروان وعبد الله بن طلحة الطلحات وعبد الله بن فضالة الزهرانى الازدى ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأتى ابن سمرة الى مرو وانصرف يزيد الى مرو وبعث بالاسرى الى الحجاج مع سبرة بن نجدة وقال له أخوه حبيب أألاشعث عبد الرحمن بن طلحة فان له عندنا يدين وقد ودى عن المهلب أبوه طلحة مائة ألف فتركه وترك عبد الله بن فضالة لانه من الازد وبعث الباقين وقدموا عليه بمكان واسط قبل بنائها فدعا بفيروز وقال ما أخرجك مع هؤلاء وليس بينك وبينهم نسب قال فتنة عمت الناس قال اكتب اموالك فكتب ألفى ألف وأكثر فقال للحجاج وأنا آمن على دمى قال لا والله لتؤدينها ثم أقتلك قال لا تجمع مالى ودمى وأمر به فنحى ثم أحضر محمد بن سعد بن أبى وقاص فوبخه طويلا ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فوبخه ولاطفه فى العذر فلم يقبل ثم أمر به فقتل ثم أحضر الهلقام بن نعيم فوبخه وقال ابن الاشعث طلب الممالك فما الذى طلبت أنت قال أن توليني العراق مكانك فأمر به فقتل ثم أحضر عبد الله ابن عامر فعذله فى عبد الله يزيد بن المهلب لانه أطلق قومه من الاسر وقاد نحوه مطرا فأطرق الحجاج ثم قال ما أنت وذاك ثم أمر به فقتل فلم يزل فى نفسه من يزيد حتى عزله ثم أمر بفيروز فعذب ولما أحس بالموت قال أظهرونى للناس ليردوا على ودائعى فلما ظهر نادى من كان لى عنده شئ فهو فى حل فأمر به فقتل وأمر بقتل عمر بن فهر الكندى وكان شريفا وأحضر أعشى همدان واستنشده قصيدته بين الاشج وبين قيس وفيها تحريض ابن الاشعث وأصحابه فقال ليست هذه وانما التى بين الاشج وبين قيس بارق على روى الدال فأنشده فلما بلغ قوله بخ بخ للوالدة وللمولود قال والله لا تبخبخ بعدها أبدا وقتل (وسأل الحجاج) عن الشعبى فقال له يزيد بن أبى مسلم انه لحق بالرى فكتب الى قتيبة بن مسلم وعاد له على الرى بارسال الشعبى فقدم على الحجاج سنة ثلاث وثمانين وكان ابن أبى مسلم له صديقا فأشار عليه بحسن الاعتذار فلما دخل على الحجاج سلم عليه بالامرة وقال وايم الله لا أقول الا الحق قد والله حرضنا وجهدنا فما كنا أقوياء فجرة ولا أتقياء بررة وقد نصرك الله وظفرت فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فقال الحجاج هذا والله أحب الى ممن يقول ما شهدت ولا فعلت وسيفه يقطر من دمائنا ثم أمنه وانصرف (ولما ظفر الحجاج) بابن الاشعث وهزمه لحق كثير من المنهزمين بعمر بن الصلت وقد كان غلب على الرى فى تلك الفتنة فلما اجتمعوا أرادوا أن يحظوا عند الحجاج ويمحوا عن أنفسهم ذنب الجماجم فأشاروا على عمر بخلع الحجاج فامتنع فدسوا عليه أباه فأجاب ولما سار قتيبة الى الرى خرجوا مع عمر لقتاله

ثم غدر وابه فانهزم ولحق بطبرستان وأقره الاصبهبد وأحسن اليه وأرادوا الوثوب على الاصبهبد فشاور أباه وقال قد علمت الاعاجم أنى أشرف منه فمنعه أبوه ودخل قتيبة الرى وكتب الحجاج الى الاصبهبد ان يبعث بهم أو برؤسهم ففعل ذلك (ولما انصرف عبد الرحمن بن الاشعث من هراة الى رتبيل قال له علقمة بن عمرو الاودى لا ادخل معك دار الحرب لان رتبيل ان دخل اليه الحجاج فيك وفى أصحابك قتلكم أو اسلمكم اليه ونحن خمسمائة قد تبايعنا على أن نتحصن بمدينة حتى نأمن أو نموت كراما وقدم عليهم مودود البصرى وزحف اليهم عمارة بن تميم اللخمى وحاصرهم حتى استأمنوا فخرجوا اليه وقاتلهم وتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل فى عبد الرحمن يرهبه ويرغبه وكان عبيد بن سميع التميمى من أصحاب ابن الاشعث وكان رسوله الى رتبيل أولا فانس به رتبيل وزحف عليه وأغرى القاسم بن الاشعث أخاه عبد الرحمن بقتله فخافه وزين لرتبيل أخذ العهد من الحجاج واسلام عبد الرحمن اليه على أن يكف عن أرضه سبع سنين فأجابه رتبيل وخرج الى عمارة سرا وكتب عمارة الى الحجاج بذلك فأجاب وكتب له بالكف عنه عشر سنين وبعث اليه رتبيل برأس عبد الرحمن وقيل مات بالسل فقطع رأسه وبعث به وقيل أرسله مقيدا مع ثلاثين من أهل بيته الى عمارة فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح القصر فمات فبعث عمارة برأسه وذلك سنة أربع أو خمس وثمانين

قد كنا قدمنا حصار المهلب مدينة كش من وراء النهر فأقام عليها سنتين وكان استخلف على خراسان ابنه المغيرة فمات سنة اثنتين وثمانين فجزع عليه وبعث ابنه يزيد الى مرو ومكنه فى سبعين فارسا ولقيهم فى مفازة نسف جمع من الترك يقاربون الخمسمائة فقاتلوهم قتالا شديدا يطلبون ما فى أيديهم والمغيرة يمتنع حتى أعطى بعض أصحابا لبعضهم شيأ من المتاع والسلاح ولحقوا بهم ولحق يزيد بمرو ثم سأل أهل كش من المهلب الصلح على مال يعطونه فاسترهن منهم رهنا من أبنائهم فى ذلك وانفتل المهلب وخلف حريث بن قطنة مولى خزاعة ليأخذ الفدية ويرد الرهن فلما صار ببلخ كتب اليه لا تخل الرهن وان قبضت الفدية حتى تقدم أرض بلخ لئلا يغيروا عليك فأقرأ صاحب كش كتابه وقال ان عجلت أعطيتك الرهن وأقول له جاء الكتاب بعد اعطائه فعجل صاحب كش بالفدية وأخذ الرهن وعرض له الترك كما عرضوا ليزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى ففدوهم فردا فردا وأطلقهم ولما وصل الى المهلب ضربه ثلاثين سوطا عقوبة على مخالفة كتابه فى الرهن فخاف حريث ابن قطنة ليقتلن المهلب وخاف ثابتا أن كان ذلك المسير اليه فبعث اليه المهلب أخاه

ثابت

ثابت بن قطنة يلاطفه فأبى وحلف ليقتلن المهلب وخاف ثابت ان كان ذلك أن يقتلوا جميعا فأشار عليه باللحاق بموسى بن عبد الله بن خازم فلحق به فى ثلثمائة من أصحابهما (ثم هلك المهلب) واستخلف ابنه يزيد وأوصى ابنه حبيبا بالصلاة وأوصى ولده جميعا بالاجتماع والالفة ثم قال أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسئ فى الاجل وتثرى المال وتكثر العدد وأنهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والذلة والقلة وعليكم بالطاعة والجماعة ولتكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان فان الرجل تزل قدمه فينعش ويزل لسانه فيهلك واعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل وأحبوا العرف واصنعوا المعروف فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت فكيف بالصنيعة عنده وعليكم فى الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها أنفع من الشجاعة واذا كان اللقاء نزل القضاء وان أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الامر من وجهه فظفر وان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وآداب الصالحين واياكم وكثرة الكلام فى مجالسكم ثم مات وذلك سنة اثنتين وثمانين (ويقال) انه لما حثهم على الالفة والاجتماع أحضر سهاما محزومة فقال أتكسرون هذه مجتمعة قالوا لا قال أفتكسرونها مفترقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة واستولى يزيد على خراسان بعد أبيه وكتب له الحجاج بالعهد عليها ثم وضع العيون على بيزك حتى بلغه خروجه عن قلعته فسار اليها وحاصرها ففتحها وغنم ما كان فيها من الاموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وكان بيزك اذا أشرف عليها يسجد لها ولما فتحها كتب الى الحجاج بالفتح وكان كاتبه يعمر العدوانى حليف هذيل فكتب انا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال ومهامه الاودية وأهضام الغيطان وأفناء الانهار فقال الحجاج من يكتب ليزيد فقيل يحيى بن يعمر فكتب بحمله على البريد فلما جاءه قال أين ولدت قال بالاهواز قال فمن أين هذه الفصاحة قال حفظت من أولاد أبى وكان فصيحا قال يلحن عنبسة بن سعيد قال نعم كثيرا قال ففلان قال نعم قال فأنا قال تلحن خفيفا تجعل أن موضع إن وإن موضع أن قال أجلتك ثلاثا وان وجدتك بأرض العراق قتلتك فرجع الى خراسان

(بناء الحجاج مدينة واسط)

كان الحجاج ينزل أهل الشام على أهل الكوفة فضرب البعث على أهل الكوفة الى خراسان سنة ثلاث وثمانين وعسكروا قريبا من الكوفة حتى يستتموا ورجع منهم ذات ليلة فتى حديث عهد بعرس بابنة عمه فطرق بيته ودق الباب فلم يفتح له الا بعد هنيهة

وأنا سكران من أهل الشأم فشكت اليه ابنة عمه مراودته اياها فقال لها ائذنى له فأذنت له وجاء فقتله الفتى وخرج الى العسكر وقال ابعثى الى الشاميين وارفعى اليهم صاحبهم فأحضروها عند الحجاج فأخبرته فقال صدقت وقال للشاميين لاقود له ولا عقل فانه قتيل الله الى النار ثم نادى مناديه لا ينزل أحد على أحد وبعث الرواد فارتادوا له مكان واسط ووجد هنالك راهبا ينظف بقعته من النجاسات فقال ماهذه قال نجد فى كتبنا أنه ينشأ ههنا مسجد للعبادة فاختط الحجاج مدينة واسط هنالك وبنى المسجد فى تلك البقعة

(عزل يزيد عن خراسان)

يقال ان الحجاج وفد الى عبد الملك ومر فى طريقه براهب قيل له ان عنده علما من الحدثان فقال هل تجدون فى كتابكم ما أنتم فيه قال نعم فقال مسمى أو موصوفا قال موصوفا قال فما تجدون صفة ملكنا قال صفته كذا قال ثم من قال آخر اسمه الوليد قال ثم من قال آخر اسمه ثقفى قال فمن تجد بعدى قال رجل يدعى يزيد قال أتعرف صفته قال لا أعرف صفته الا أنه يغدر غدرة فوقع فى نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ووجل منه وقدم على عبد الملك ثم عاد الى خراسان وكتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب وأنهم زبيرية فكتب اليه ان وفاءهم لآل الزبير يدعوهم الى الوفاء لى فكتب له الحجاج يخوفه غدرهم وما يقول الراهب فكتب اليه عبد الملك انك أكثرت فى يزيد فانظر من تولى مكانه فسمى له قتيبة بن مسلم فكتب له أن يوليه وكره الحجاج أن يكاتبه بالعزل فاستقدمه وأمره أن يستخلف أخاه المفضل واستشار يزيد حصين بن المنذر الرقاشى فقال له أقم واعتل وكاتب عبد الملك فانه حسن الرأى فيك فقال نحن أهل بيت بورك لنا فى الطاعة وأنا أكره الخلاف وأخذ يتجهز وأبطأ فكتب الحجاج الى المفضل بولاية خراسان واستحثاق يزيد فقال انه لا يضرك بعدى وانما ولاك مخافة أن امتنع وخرج يزيد فى ربيع سنة خمس وثمانين ثم عزل المفضل لتسعة أشهر من ولايته وولى قتيبة بن مسلم وقيل سبب عزل اليزيد أن الحجاج أذل العراق كلهم الا آل المهلب وكان يستقدم يزيد فيعتل عليه بالعدا والحروب وقيل كتب اليه أن يغزو خوارزم فاعتذر اليه بأنها قليلة السلب شديدة الكلف ثم استقدمه بعد ذلك فقال انى أغزو خوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فغزاها وأصاب سبيا وصالحه أهلها وانقتل فى الشتاء وأصاب الناس البرد فتدثروا بلباس الاسرى فبقوا عرايا وقتلهم المفضل ولما ولى المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه ثم غزا شومان فغنم وقسم ما أصابه

(مقتل موسى بن حازم)

كان

كان عبد الله بن حازم لما قتل بنى تميم بخراسان وافترقوا عليه فخرج الى نيسابور وخاف بنو تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى اقطع نهر بلخ حتى تلتجئ الى بعض الملوك أو الى حصن تقيم فيه فسار موسى عن مرو فى مائتين وعشرين فارسا واجتمع اليه شبه الاربعمائة وقوم من بنى سليم وأتى قم فقاتله أهلها فظفر بهم وأصاب منهم مالا وقطع النهر وسأل صاحب بخارى أن يأوى اليه فأبى وخافه وبعث اليه بصلة فسار عنه وعرض نفسه على ملوك الترك فأبوا خشية منه وأتى سمرقند فأذن له ملكها طرخون ملك الصغد فى المقام فأقام وبلغه قتل أبيه عبد الله بن حازم ولم يزل مقيما بسمرقند وبارز بعض أصحابه يوما بعض الصغد فقتله فأخرجه طرخون عنه فأتى كش فنزلها ولم يطق صاحبها مدافعته واستجاش عليه بطرخون فخرج موسى للقائه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فاقتتلوا الى الليل ودس موسى بعض أصحابه الى طرخون يخوفه عاقبة أمره وان كل من يأتى خراسان يطالبه بدمه فقال يرتحل عن كش قال له نعم وكف حتى ارتحل وأتى ترمذ فنزل الى جانب حصن بها مشرف على النهر وأبى ملك ترمذ من تمليكه الحصن فأقام هنالك ولاطف الملك وتودد له وصار يتصيد معه وصنع له الملك يوما طعاما وأحضره فى مائة من أصحابه ليأكلوا فلما طعموا امتنعوا من الذهاب وقال موسى هذا الحصن اما بيتى أو قبرى وقاتلهم فقتل منهم عدة واستولى على الحصن وأخرج ملك ترمذ ولم يتعرض له ولا لاصحابه ولحق به جمع من أصحاب أبيه فقوى بهم وكان يغير على ما حوله ولما ولى أمية خراسان سار لغزوه وخالفه بكير كما تقدم ثم بعث اليه بعد صلحه مع بكير الجيوش مع رجل من خزاعة وحاصروه وعاود ملك ترمذ استنصاره بالترك فى جمع كثير ونزلوا عليه من جانب آخر وكان يقاتل العرب أول النهار والترك آخره ثلاثة أشهر ثم بيت الترك ليلة فهزمهم وحوى عسكرهم بما فيه من المال والسلاح ولم يهلك من أصحابه الا ستة عشر رجلا وأصبح الخزاعى والعرب وقد خافوا مثلها وغدا عمر بن خالد بن حصين الكلابى على موسى بن حازم وكان صاحبه فقال انا لا نظفر الا بمكيدة فاضربنى وخلنى فضربه خمسين سوطا فلحق بالخزاعى وقال ان ابن حازم اتهمنى بعصبيتكم وأنى عين لكم فأمنه الخزاعى وأقام عنده ودخل عليه يوما وهو خال فقال له لا ينبغى أن تكون بغير سلاح فرفع طرف فراشه وأراد سيفا منتضى تحته فضربه عمر حتى قتله ولحق بموسى وتفرق الجيش واستأمن بعضهم موسى ولما ولى المهلب على خراسان قال لبنيه اياكم وموسى فانه ان مات جاء على خراسان أمير من قيس ثم لحق به حريث وثابت ابنا قطنة الخزاعى فكانا معه ولما ولى يزيد أخذ أموالهما وحرمهما وقتل أخاهما للام الحرث بن معقد فسار ثابت الى

طرخون صريحا وكان محببا الى الترك فغضب له طرخون وجمع له نيزك وملك الصغد وأهل بخارى والصاغان فقدموا مع ثابت الى موسى وقد اجتمع عليه فل عبد الرحمن ابن عباس من هراة وفل ابن الاشعث من العراق ومن كابل فكان معه نحو ثمانية آلاف فقال له ثابت وحريث سر بنا فى هذا العسكر مع الترك فخرج يزيد من خراسان ونوليك فحذر موسى أن يغلباه على خراسان ونصحه بعض أصحابه فى ذلك فقال لهما ان أخرجنا يزيد قدم عامل المدينة عبد الملك ولكنا نخرج عمال يزيد من وراء النهر ويكون لنا فأخرجوهم وانصرف طرخون والترك وقوى أمر العرب بترمذ وجبوا الاموال واستبد ثابت وحريث على موسى وأغراه أصحابه بهما فهم بقتلهما واذا بجموع العجم قد خرجت اليهم من الهياطلة والتبت والترك فخرج موسى فيمن معه للقتال ووقف ملك الترك على قبل فى عشرة آلاف فحمل عليهم حريث ابن قطنة حتى أزالهم عن موضعهم وأصيب بسهم فى وجهه وتحاجزوا ثم بيتهم موسى فانهزموا وقتل من الترك خلق كثير ومات منهم قليل ومات حريث بعد يومين ورجع موسى بالظفر والغنيمة وقال له أصحابه قد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فأبى وبلغ ثابتا بعض ما كانوا يخوضون فيه ودس محمد بن عبد الله الخزاعى عليهم على أنه من سبى الباميان ولا يحسن العربية فاتصل بموسى وكان ينقل الى ثابت خبر أصحابه فقال لهم ليلة قد أكثرتم على فعلى أى وجه تقتلونه ولا أغدر به فقال له أخوه نوح اذا أتاك غدا عدلنا به الى بعض الدور فقتلناه قبل أن يصل اليك فقال والله انه لهلاككم وجاء الغلام الى ثابت بالخبر فخرج من ليلته فى عشرين فارسا وأصبحوا ففقدوه وفقدوا الغلام فعلموا أنه كان عينا ونزل ثابت بحشور واجتمع اليه خلق كثير من العرب والعجم وسار اليه موسى وقاتله فحصر ثابتا بالمدينة وأتاه طرخون مددا فرجع موسى الى ترمذ ثم اجتمع ثابت وطرخون وأهل بخارى ونسف وأهل كش فى ثمانين ألفا فحاصروا موسى بترمذ حتى جهد أصحابه وقال يزيد بن هذيل والله لاقتلن ثابتا أو أموت فاستأمن اليه وحذره بعض أصحابه منه فأخذ ابنيه قدامة والضحاك رهنا وأقام يزيد يتلمس غرة ثابت ومات ابن الزياد والقصير الخزاعى فخرج اليه ثابت يعزيه وهو بغير سلاح فضربه يزيد على رأسه وهرب وأخذ طرخون قدامة والضحاك ابنى يزيد فقتلهما وهلك ثابت لسبعة أيام وقام مكانه من أصحابه ظهير وضعف أمرهم وبيتهم موسى ليلا فى ثلثمائة فبعث اليه طرخون كف أصحابك فانا نرحل الغداة فرجع وارتحل طرخون والعجم جميعا ولما ولى المفضل خراسان بعث عثمان بن مسعود فى جيش الى موسى بن حازم وكتب الى مدرك بن المهلب فى بلخ بالمسير معه فعبر النهر

بياض بالاصل

فى خمسة

فى خمسة عشر ألفا وكتب الى رتبيل والى طرخون أن يكونوا مع عثمان فحاصروا موسى بن حازم فضيقوا عليه شهرين وقد خندق عثمان على معسكره حذر البيات فقال موسى لاصحابه اخرجوا بنا مستميتين واقصدوا الترك فخرجوا وخلف النضر ابن أخيه سليمان فى المدينة وقال له ان أنا قتلت فلك المدينة لمدرك بن المهلب دون عثمان وجعل ثلث أصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه الا ان قاتلكم وقصد طرخون وأصحابه وصدقوهم القتال فانهزم طرخون وأخذوا وحجزت الترك والصغد بينهم وبين الحصن فقاتلهم فعقروا فرسه وأردفه مولى له فبصر به عثمان حين وثب فعرفه فقصده وعقروا به الفرس وقتلوه وقتل خلق كثير من العرب وتولى قتل موسى واصل العنبرى ونادى منادى عثمان بكف القتل وبالاسر وبعث النضر بن سليمان الى مدرك بن المهلب فسلم اليه مدينة ترمذ وسلمها مدرك الى عثمان وكتب المفضل الى الحجاج بقتل موسى فلم يسره لانه من قيس وكان قتل موسى (١) سنة خمس وثمانين لخمس عشرة سنة من تغلبه على ترمذ

(البيعة للوليد بالعهد)

وكان عبد الملك يروم خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد وكان قبيصة ينهاه عن ذلك ويقول لعل الموت يأتيه وتدفع العار عن نفسك وجاءه روح بن زنباع (٢) ليلة وكان عنده عظيما ففاوضه فى ذلك فقال لو فعلته ما انتطح فيه عنزان فقال نصلح ان شاء الله وأقام روح عنده ودخل عليهما قبيصة بن ذؤيب من جنح الليل وهما نائمان وكان لا يحجب عنه واليه الخاتم والسكة فأخبره بموت عبد العزيز أخيه فقال روح كفانا الله ما نريد ثم ضم مصر الى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه عليها ويقال ان الحجاج كتب الى عبد الملك يزين له بيعة الوليد فكتب الى عبد العزيز انى رأيت أن يصير الامر الى ابن أخيك فكتب له أن تجعل الامر له من بعده فكتب له انى أرى فى أبى بكر ما ترى فى الوليد فكتب له عبد الملك أن يحمل خراج مصر فكتب اليه عبد العزيز انى واياك يا أمير المؤمنين قد أشرفنا على عمر أهل بيتنا ولا ندرى أينا يأتيه الموت فلا تفسد على بقية عمرى فرق له عبد الملك وتركه (ولما) بلغ الخبر بموت عبد العزيز عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنه الوليد وسليمان وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وكان على المدينة هشام بن اسمعيل المخزومى فدعا الناس الى البيعة فأجابوا وأبى سعيد ابن المسيب فضربه ضربا مبرحا وطاف به وحبسه وكتب عبد الملك الى هشام يلومه ويقول ان سعيدا ليس عنده شقاق ولا نفاق ولا خلاف وقد كان ابن المسيب امتنع من بيعة ابن الزبير فضربه جابر بن الاسود عامل المدينة لابن الزبير ستين سوطا وكتب اليه

(١) رحمه الله لو أبقى فى حصنه ليكون سدا بينهم وبين طوائف الامم المجاورة له لكان خيرا لهم وللاسلام فقد فجعوا الاسلام بقتله كما فجعوه بقتل قتيبة بن مسلم الباهلى فانى أظن أنه لم يأت فى صدر الاسلام عند قيام الدولة الاموية مثلهما يعرف ذلك من نظر فى وقائعهما وحروبهما من خط الشيخ العطار

(٢) روح بن زنباع قالت فيه زوجته (بكى الخز من روح وأنكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارف) وهذا البيت أورده السنوسى فى شرح الكبرى واختلفت نسخ الشراح والحواشى فيه فمن قائل عون وآخر عوف والصحيح روح وله ترجمة

ابن الزبير يلومه وقيل ان بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والاول أصح وقيل قدم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق فى الامور فهو أبلغ لك وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتكون أنت الذى تأذن له أو ترده فاذا خرجت الى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك وتثبت فى قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فانها تفتح مغاليق الامور المبهمة واعلم أن لك نصف الرأى ولاخيك نصفه ولن يهلك امرؤ عن مشورة واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد اصابتها

(وفاة عبد الملك وبيعة الوليد)

ثم توفى عبد الملك منتصف شوال سنة ست وثمانين وأوصى الى بنيه فقال أوصيكم بتقوى الله فانها أزين حلية وأحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذى عنه تفترون ومجنكم الذى عنه ترمون واكرموا الحجاج فانه الذى وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد وأذل لكم الاعداء وكونوا بنى أم بررة لاتدب بينكم العقارب وكونوا فى الحرب أحرارا فان القتال لايقرب منية وكونوا للمعروف منارا فان المعروف يبقى أجره وذخره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوى الاحساب فانه لصون له واشكر لما يؤتى اليهم منه وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا وان عادوا فانتقموا (ولما دفن عبد الملك) قال الوليد انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة فكان أول من عزى نفسه وهنأها ثم قام عبد الله بن همام السلولى وهو يقول

الله أعطاك التى لافوقها * وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

وبايعه ثم بايعه الناس بعده وقيل ان الوليد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لامقدم لما أخره الله ولا مؤخر لما قدمه الله وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه الموت وقد صار الى منازل الابرار وولى هذه الامة بالذى يحق لله عليه فى الشدة على المذنب واللين لاهل الحق والفضل واقامة ما أقام الله من منازل الاسلام واعلائه من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع

فى كتاب الاغانى ولزوجته قائلة البيت قصة ظريفة رحمهما الله تعالى اه من خط الشيخ العطار

المنفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل

(ولاية قتيبة بن مسلم خراسان وأخباره)

قدم قتيبة (١) خراسان أميرا عن الحجاج سنة ست وثمانين فعرض الجند وحث على الجهاد وسار غازيا وجعل على الحرب بمرو (٢) اياس بن عبد الله بن عمرو وعلى الخراج عثمان بن السعدى وتلقاه دهاقين البلخ الطالقان وساروا معه ولما عبر النهر تلقاه ملك الصغانيان بهدايا وكان ملك اخرون وسومان يسئ جواره فدعاه الى بلاده وسلمها اليه وسار قتيبة الى اخرون وسومان وهو من طخارستان فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه وقبضها ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ففتح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت من فرغانة ثم اخسيكت مدينة فرغانة القديمة وكان معه ابن بسار وأبلى فى هذه الغزاة وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين وكان من ذلك السبى امرأة برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم أخى قتيبة فوقع عليها وعلقت منه بخالد ثم صالح أهل بلخ وأمر قتيبة برد السبى فألحق عبد الله به حملها ثم ردت الى برمك وذكر أن ولد عبد الله بن مسلم ادعوه ورفعوا أمرهم الى المهدى وهو بالرى فقال لهم بعض قرابتهم انكم ان استلحقتموه لابد لكم أن تزوجوه فتركوه ولما صالح قتيبة ملك سومان كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس فيمن عنده من أسرى المسلمين وهددهم فبعث بهم اليه ثم كتب اليه يستقدمه على الامان فخشى وتثاقل ثم قدم وصالح لاهل باذغيس على أن لايدخلها قتيبة ثم غزا بيكند ادنى مدائن بخارى الى النهر سنة سبع وثمانين فلما نزل بهم استجاشوا بالصغد ومن حولهم من الترك وساروا اليه فى جموع عظيمة وأخذوا عليه الطرق فانقطعت الاخبار والرسل ما بينه وبين المسلمين شهرين ثم هزمهم بعض الايام وأثخن فيهم بالقتل والاسر وجاء الى السور ليهدمه فسألوا الصلح فصالحهم واستعمل عليهم وسار عنهم غير بعيد فقتلوا العامل ومن معه فرجع اليهم وهدم سورهم وقتل المقاتلة وسبى الذرية وغنم من السلاح وآنية الذهب والفضة مالم يصيبوا مثله ثم غزا سنة ثمان وثمانين بلد نومكثت فصالحوه وسار الى رامسة فصالحوه أيضا فانصرف وزحف أيضا اليه الترك والصغد وأهل فرغانة فى مائتى ألف وملكهم كور بغانور ابن أخت ملك الصين واعترضوا مقدمته وعليها أخوه عبد الرحمن فقاتلهم حتى جاء قتيبة وكان ينزل معه فأبلى مع المسلمين ثم انهزم الترك وجموعهم ورجع قتيبة الى مرو ثم أمره الحجاج سنة تسع وثمانين بغزو بخارى وملكها وردان خذاه فعبر النهر من زم ولقيه الصغد وأهل كش ونسف بالمفازة وقاتلوه فهزمهم

(١) هذا فحل أمراء الدولة الاموية كما أن الحجاج فرعونها كتبه الشيخ العطار

(٢) مرو احدى قواعد اقليم خراسان الاربع وهى مرو وهراة وبلخ ونيسابور كتبه أيضا

ومضى الى بخارى فنزل عن يمين وردان ولم يظفر منه بشىء ورجع الى مرو

(عمارة المسجد)

كان الوليد عزل هشام بن اسمعيل المخزومى عن المدينة سنة سبع وثمانين لاربع سنين من ولايته وولى عليها عمر بن عبد العزيز فقدمها ونزل دار مروان ودعا عشرة من فقهاء المدينة فيهم الفقهاء السبعة المعروفون فجعلهم أهل مشورته لا يقطع أمرا دونهم وأمرهم أن يبلغوه الحاجات والظلامات فشكروه وجزوه خيرا ودعا له الناس ثم كتب اليه سنة ثمان أن يدخل حجر أمهات المؤمنين فى المسجد ويشترى ما فى نواحيه حتى يجعله مائتى ذراع فى مثلها وقدم القبلة ومن أبى أن يعطيك ملكه فقومه قيمة عدل وادفع اليه الثمن واهدم عليه الملك ولك فى عمر وعثمان اسوة فأعطاه أهل الاملاك ما أحب منها بأثمانها وبعث الوليد الى ملك الروم أنه يريد بناء المسجد فبعث اليه ملك الروم بمائة ألف مثقال من الذهب ومائة من الفعلة وأربعين حملا من الفسيفساء وبعث بذلك كله الى عمر بن عبد العزيز واستكثر معهم من فعلة الشأم وشرع عمر فى عمارته اهـ وولى الوليد فى سنة تسع وثمانين على مكة خالد بن عبد الله القسرى

(فتح السند)

كان الحجاج قد ولى على ثغر السند ابن عمه محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل وجهز معه ستة آلاف مقاتل ونزل مكران فأقام بها أياما ثم أتى فيربوز ففتحها ثم ارمايل ثم سار الى الديبل وكان به بد عظيم فى وسط المدينة على رأسه دقل عظيم وعليه راية فاذا هبت الريح دارت فأطافت بالمدينة والبد صنم من كوز فى بناء والدقل منارة عليه وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحاصر الديبل ورماهم بالمنجنيق فكسر الدقل فتطيروا بذلك ثم خرجوا اليه فهزمهم وتسنم الناس الاسوار ففتحت عنوة وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى النيروز وقد كانوا بعثوا الى الحجاج وصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمر بمدينة من مدائن السند الا فتحها حتى بلغ نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر بن صصة ثم عقد الجسر على النهر وعبر فقاتله داهر وهو على الفيل وحوله الفيلة ثم اشتد القتال وترجل داهر فقاتل حتى قتل وانهزم الكفار واستلحمهم المسلمون ولحقت امرأة داهر بمدينة رار وفاروا اليها وخافته فأحرقت نفسها وجواريها وملك المدينة ولحق الفل بمدينة بدهمتاباد العتيقة على فرسخين من مكان المنصورة وهى يومئذ غيضة ففتحها عنوة واستلحم من وجد بها وخربها ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر ساسل الى الملقاد فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل

قوله الفسيفساء هى أحجار صغيرة ملونة اهـ من خط الشيخ العطار

المقاتلة وسبى الذرية وقتل سدنة البلد وهم ستة آلاف وأصابوا فى البلد ذهبا كثيرا فى بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية كانت الاموال تهدى اليه من البلدان ويحجون اليه ويحلقون شعرهم عنده ويزعمون أنه هو أيوب فاستكمل فتح السند وبعث من الخمس بمائة وعشرين ألف ألف وكانت النفقة نصفها

(فتح الطالقان وسمرقند وغزو كش ونسف والشاش وفرغانة وصلح خوارزم)

قد تقدم أن قتيبة غزا بخارى سنة تسع وثمانين وانصرف عنها ولم يظفر وبعث اليه الحجاج سنة تسعين يوبخه على الانصراف عنها ويأمره بالعود فسار اليها ومعه نيزك طرخان صاحب باذغيس وحاصرها واستجاش ملكها وردان اخذاه بمن حوله من الصغد والترك فلما جاء مددهم خرجوا الى المسلمين وكانت الازد فى المقدمة فانهزموا حتى جازوا عسكر المسلمين ثم رجعوا وزحفت العساكر حتى ردوا الترك الى موقفهم ثم زحف بنو تميم وقاتلوا الترك حتى خالطوهم فى مواقفهم وأزالوهم عنها وكان بين المسلمين وبينهم نهر لم يتجاسر أحد على عبوره الا بنو تميم فلما زالوا عن مواقفهم عبر الناس واتبعوهم وأثخنوا فيهم بالقتل وخرج خاقان وابنه وفتح الله على المسلمين وكتب بذلك الى الحجاج ولما استوت الهزيمة جاء طرخون ملك الصغد ومعه فارسان ودنا من عسكر قتيبة يطلب الصلح على فدية يؤديها فأجابه قتيبة وعقد له ورجع قتيبة ومعه نيزك وقد خافه لما رأى من الفتوح فاستأذنه فى الرجوع وهو بآمد فرجع يريد طخارستان وأسرع السير وبعث قتيبة الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسه وتبعه المغيرة فلم يدركه وأظهر نيزك الخلع ودعا لذلك الاصبهند ملك بلخ وباذان ملك مرو الروذ وملك الطالقان وملك القاريات وملك الجوزجان فأجابوه وتوعدوا الغزو قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بأثقاله وأمواله واستأذنه فى الاتيان ان اضطر الى ذلك وكان جيفونة ملك طخارستان نيزك ينزل عنده فاستضعفه وقبض عليه وقيده خشية من خلافه وأخرج عامل قتيبة من بلده وبلغ قتيبة خبرهم قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم فى اثنى عشر ألفا الى البروقان وقال أقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء تقدم الى طخارستان وأنا قريب منك ولما انصرم الشتاء استقدم قتيبة الجنود من نيسابور وغيرها فقدموا فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد دخل معهم فى الخلع ففتحها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ فى مثلها واستخلف عليها أخاه محمد بن مسلم وسار الى القاريات فخرج اليه ملكها مطيعا واستعمل عليها وسار الى الجوزجان فلقيه أهلها بالطاعة وهرب ملكها الى الجبال واستعمل عليها عامر بن ملك الحماس ثم أتى بلخ وتلقاه أهلها بالطاعة وسار يتبع

أخاه عبد الرحمن الى شعب حمله ومضى نيزك الى بغلان وخلف المقاتلة على فم الشعب
ولا يهتدى الى مدخل ومضايقه يمنعونه ووضع أثقاله فى قلعة من وراء الشعب وأقام
قتيبة أياما يقاتلهم على فم الشعب ولا يهتدى الى مدخل حتى دله عليه بعض العجم
هنالك على طريق سرب منه الرجال الى القلعة فقتلوهم وهرب من بقى منهم ومضى الى
سمنجان ثم الى نيزك وقدم أخاه عبد الرحمن وارتحل نيزك الى وادى فرغانة وبعث أثقاله
وأمواله الى كابل شاه ومضى الى الكون فتحصن به ولم يكن له الا مسلك واحد صعب
على الدواب فحاصره قتيبة شهرين حتى جهدوا وأصابهم جهد الجدرى وقرب فصل
الشتاء فدعا قتيبة بعض خواصه ممن كان يصادق نيزك فقال انطلق اليه وأتن عليه
بغير أمان وان أعياك فأمنه وان جئت دونه صلبتك فمضى الرجل وأشار عليه بلقائه
وانه عازم على أن يشتو هنالك فقال أخشاه فقال له لا يخلصك الا اتيانك وتنصح له بذلك
وبانه يخشى عليه من غدر أصحابه الذين معه ولم يزل يفتل له فى الذروة والغارب وهو
يمتنع حتى قال له انه قد أمنك فأشار عليه أصحابه بالقبول لعلمهم بصدقه وخرج معه نيزك
ومعهم جيغونة ملك طخارستان الذى كان قيده حتى انتهوا الى الشعب وهنالك خيل
أكمنه الرجل ما كان فيه وكتب الى الحجاج يستأذنه فى قتل نيزك فوافاه كتابه لاربعين يوما
بقتله فقتله وقتل معه صول طرخان خليفة جيغونة وابن أخى نيزك ومن أصحابه سبعمائة
وصلبهم وبعث برأسه الى الحجاج وأطلق جيغونة وبعث به الى الوليد ثم رجع الى مرو
وأرسل اليه ملك الجوزجان يستأمنه فأمنه على أن يأتيه فطلب الرهن فأعطاه وقدم
ثم رجع فمات بالطالقان وذلك سنة احدى وتسعين ثم سار الى شومان فحاصرها وقد كان
ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فبعث اليه بعد مرجعه من هذه الغزاة أن يؤدى
ما كان صالح عليه فقتل الرسول فسار اليه قتيبة وبعث له صالح أخو قتيبة وكان صديقه
ينصحه فى مراجعة الطاعة فأبى فحاصره قتيبة ونصب عليه المجانيق فهدم الحصن
وجمع الملك ما فى الحصن من مال وجوهر ورمى به فى بئر لا يدرك قعره ثم استمات وخرج
فقاتل حتى قتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم بعث أخاه عبد
الرحمن الى الصغد وملكهم طرخون فأعطى ما كان صالح عليه قتيبة وسار قتيبة
الى كش ونسف فصالحوه ورجع ولقى أخاه ببخارى وساروا الى مرو (ولما رجع) عن
الصغد حبس الصغد ملكهم طرخون لاعطائه الجزية وولوا عليهم غورك فقتل
طرخون نفسه ثم غزا فى سنة اثنتين وتسعين الى سجستان يريد رتبيل فصالحه وانصرف
وكان ملك خوارزم قد غلبه أخوه خرزاد على أمره وكان أصغر منه وعاث فى الرعية
وأخذ أموالهم وأهليهم فكتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه ليسلمها اليه على أن يمكنه

قوله يفتل له الخ هو مثل من أمثال العرب يضرب فى الخداع والمماكرة اه من الميدانى

من أخيه ومن عصاه من دونهم فأجابه قتيبة ولم يطلع الملك أحدا من مرازبته على
ذلك وتجهز قتيبة سنة ثلاث وتسعين وأظهر غزو الصغد فأقبل أهل خوارزم على شأنهم
ولم يحتفلوا بغزوه واذا به قد نزل هزارسب قريبا منهم وجاء أصحاب خوارزم شاه اليه
ندعوه للقتال فقال ليس لنا به طاقة ولكن نصالحه على شئ نعطيه كما فعل غيرنا
فوافقوه وسار الى مدينة الفيل من وراء النهر وهذا حصن بلاده وصالحه بعشرة
آلاف رأس وعين ومتاع وأن يعينه على خام جرد وقيل على مائة ألف رأس وبعث
قتيبة أخاه عبد الرحمن الى خام جرد وهو عدو لخوارزم شاه فقاتله وقتله عبد الرحمن
وغلب على أرضه وأسر منهم أربعة آلاف فقتلهم وسلم قتيبة الى خوارزم شاه أخاه
ومن كان يخالفه من أمرائه فقتلهم ودفع أموالهم الى قتيبة ولما قبض قتيبة أموالهم
أشار عليه المحشر بن مخازم السلمى بغزو الصغد وهم آمنون على مسافة عشرة أيام
فقال اكتم ذلك فقدم أخاه فى الفرسان والرماة وبعثوا بالاثقال الى مرو وخطب قتيبة
الناس وحثهم على الصغد وذكرهم الضغائن فيهم ثم سار فأتى الصغد بعد ثلاث من وصول
أخيه فحاصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش واخشاد خاقان وفرغانة
فانتخبوا أهل النجدة من ابناء الملوك والمرازبة والاساورة وولوا عليهم ابن خاقان وجاؤا
الى المسلمين فانتخب قتيبة من عسكره ستمائة فارس وبعث بهم أخاه صالحا لاعتراضهم
فى طريقهم فلقوهم بالليل وقاتلوهم أشد قتال فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم
يفلت منهم الا القليل وغنموا ما معهم ونصب قتيبة المجانيق فرماهم بها وثلم السور واشتد
فى قتالهم وحمل الناس عليهم الى أن بلغوا الثلمة ثم صالحوه على ألفى ألف ومائتى ألف
مثقال فى كل عام وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس وأن يمكنوه من بناء مسجد
بالمدينة ويخلوها حتى يدخل فيصلى فيه فلما فعل ذلك ودخل المدينة أكرههم على
اقامة جند فيها وقيل انه شرط عليهم الاصنام وما فى بيوت النار فأعطوه فأخذ الحلية
وأحرق الاصنام وجمع من بقايا مساميرها وكانت ذهبا خمسين ألف مثقال وبعث
بجارية من سبيها من ولد يزدجرد الى الحجاج فأرسلها الحجاج الى الوليد وولدت له يزيد
ثم قال فورك لقتيبة انتقل عنا فانتقل وبعث الى الحجاج بالفتح ثم رجع الى مرو واستعمل
على سمرقند اياس بن عبد الله على حربها وعبيد الله بن أبى عبيد الله مولى مسلم على
خراجها فاستضعف أهل خوارزم اياسا وجمعوا له فبعث قتيبة عبد الله عاملا على
سمرقند وأمره أن يضرب اياسا وحبابا السلمى مائة مائة ويحلقهما فلما قرب عبد الله
من خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك وخشى ملكه من ابناء الذين كان
قتلهم ففر الى بلاد الترك وجاء المغيرة فقتل وسبى وصالحه الباقون على الجزية ورجع الى

قوله على مائة ألف رأس لعله من يأخذ منهم خراجا والا فمن البعيد استغراق هذا العدد وأخذه منهم وماذا يصنعون بهذا العدد وأى طعام يكفيهم كل يوم من خط الشيخ العطار

قوله واخشاد لعله اخشيد فرغانة لان ملك فرغانة يقال له الاخشيد من خط الشيخ العطار

قتيبة فولاه على نيسابور ثم غزا قتيبة سنة أربع وتسعين الى ماوراء النهر وفرض البعث على أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم فسار منهم عشرون ألف مقاتل فبعثهم الى الشاش وساره والى خجندة فجمعوا له واقتتلوا امرا ما كان الظفر فيه للمسلمين وفتح الجند الذين ساروا الى الشاش مدينة الشاش وأحرقوها ورجعوا الى قتيبة وهو على كشان مدينة فرغانة وانصرف الى مرو ثم بعث الحجاج اليه جيشا من العراق وأمره بغزو الشاش فسار لذلك وبلغه موت الحجاج فرجعوا الى مرو

(خبر يزيد بن المهلب واخوته)

كان الحجاج قد حبس يزيد واخوته سنة ست وثمانين وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان فأقاموا فى محبسهم الى سنة تسعين وبلغه أن الاكراد غلبوا على فارس فعسكر قريبا من البصرة للبعث وأخرج معه بنى المهلب وجعلهم فى فسطاط قريبا منه ورتب عليهم الحرس من أهل الشأم ثم طلب منهم ستة آلاف ألف وأمر بعذابهم وبكت أختهم هند بنت المهلب زوجة الحجاج فطلقها ثم كف عنهم وجعل يستأديهم وبعثوا الى أخيهم مروان وكان على البصرة أن يعد لهم خيلا وكان حبيب منهم يعذب بالبصرة فصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا وأمر لهم بشراب فأقاموا يتعاقرون واستغفلهم يزيد والمفضل وعبد الملك وخرجوا ولم يفطنوا لهم ورفع الحرس خبرهم الى الحجاج فخشيهم على خراسان وبعث البريد الى قتيبة يخبرهم ليحذرهم وكان يزيد قد ركب السفن الى البطائح واستقبلته الخيل المعدة له هنالك وساروا الى الشأم على السماوة ومعهم دليل من كلب ونمى خبرهم الى الحجاج فبعث الى الوليد بذلك وقدموا الى فلسطين فنزلوا على وهيب بن عبد الرحمن الازدى وكان كريما على سليمان فأخبره بحالهم وانهم استجاروا به من الحجاج فقال ائتنى بهم فقد أجرتهم وكتب الحجاج الى الوليد ان بنى المهلب خانوا مال الله وهربوا منى فلحقوا بسليمان فسكن ما به لانه كان خشيهم على خراسان كما خشيهم الحجاج وكان غضبا للمال الذى ذهبوا به فكتب سليمان الى الوليد ان يزيد عندى وقد أمنته وكان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فأدى نصفها وأنا أؤدى النصف فكتب الوليد لا أؤمنه حتى تبعث به فكتب سليمان لأجيئن معه فكتب الوليد اذن لا أؤمنه فقال يزيد لسليمان لا يتشاءم الناس بى لكما فاكتب معى وتلطف ما أطقت فأرسله وارسل معه ابنه أيوب وكان الوليد أمر أن يبعث مقيدا فقال سليمان لابنه ادخل على عمك أنت ويزيد فى سلسلة فقال الوليد لما رأى ذلك لقد بلغنا من سليمان ثم دفع أيوب كتاب أبيه بالشفاعة وضمان المال عن يزيد فقرأه الوليد واستعطفه أيوب فى ذمة أبيه وجواره وتكلم يزيد واعتذر فأمنه الوليد ورجع الى سليمان وكتب الوليد الى الحجاج

بالكف عنهم فكف عن حبيب وأبى عبيدة وكانا عنده وأقام يزيد عند سليمان يهدى اليه الهدايا ويصنع له الاطعمة

(ولاية خالد القسرى على مكة واخراج سعيد بن جبير عنها ومقتله)

ولما كان فى سنة ثلاث وتسعين كتب عمر بن عبد العزيز الى الوليد يقص عليه أفعال الحجاج بالعراق وما هم فيه من ظلمه وعدوانه فبلغ بذلك الحجاج فكتب الى الوليد ان كثيرا من المراق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر ذلك وهن فولى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسرى وعثمان بن حيان باشارة الحجاج وعزل عمر عن الحجاز وذلك فى شعبان من السنة ولما قدم خالد مكة أخرج من كان بها من أهل العراق كرها وتهدد من أنزل عراقيا أو أجره دارا وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز يلجأ الى مكة والمدينة كل من خاف الحجاج فيأمن وكان منهم سعيد بن جبير هاربا من الحجاج وكان قد جعله على عطاء الجند الذين وجههم مع عبد الرحمن بن الاشعث الى قتال رتبيل فلما خرج عبد الرحمن كان سعيد فيمن خلع فكان معه الى أن هزم وسار الى بلاد رتبيل فلحق سعيد باصبهان وكتب الحجاج فيه الى عاملها فتحرج من ذلك ودس الى سعيد فسار الى أذربيجان ثم طال عليه المقام فخرج الى مكة فكان بها مع ناس أمثاله من طلبة الحجاج يستخفون بأسمائهم فلما قدم خالد ابن عبد الله مكة أمره الوليد بحمل أهل العراق الى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطلق بن حبيب وبعث بهم الى الحجاج فمات طلق فى الطريق وجىء بالآخرين الى الكوفة وأدخلا على الحجاج فلما رأى سعيدا شتم خالدا القسرى على ارساله وقال لقد كنت أعرف أنه بمكة وأعرف البيت الذى كان فيه ثم أقبل على سعيد وقال ألم أشركك فى أمانتى ألم أستعملك ثم تفعل يعدد أياديه عنده فقال بلى قال فما أخرجك على قال انما أنا امرؤ من المسلمين أخطئ مرة وأصيب أخرى ثم استمر فى محاورته فقال انما كانت بيعة فى عنقى فغضب الحجاج وقال ألم آخذ بيعتك لعبد الملك بمكة بعد مقتل ابن الزبير ثم جددت له البيعة بالكوفة فأخذت بيعتك ثانيا قال بلى قال فنكثت بيعتين لامير المؤمنين وتوفى بواحدة للفاعل بن الفاعل والله لاقتلنك فقال انى لسعيد كما سمتنى أمى فضربت عنقه فهلل رأسه ثلاثا أفصح منها بمرة ويقال ان عقل الحجاج التبس يومئذ وجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوها قيود سعيد بن جبير فأخذوها من رجليه وقطعوا عليها ساقيه وكان اذا نام يرى سعيد بن جبير فى منامه آخذا بمجامع ثوبه يقول يا عدو الله فيم قتلتنى فينتبه مرعوبا يقول ما لى ولسعيد بن جبير

خالد هذا من جبابرة أمراء الدولة المروانية على شاكلة الحجاج اهـ من خط الشيخ العطار

(وفاة الحجاج)

وتوفى الحجاج فى شوال سنة خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق ولما حضرته الوفاة استخلف على ولايته ابنه عبد الله وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبى كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبى مسلم فأقرهم الوليد بعد وفاته وكتب الى قتيبة بن مسلم بخراسان قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهدك وجهادك أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذى تحب فاتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى أنظر الى بلادك والثغر الذى أنت فيه ولم يغير الوليد أحدا من عمال الحجاج

(أخبار محمد بن القاسم بالسند)

كان محمد بن القاسم بالملتان وأتاه خبر وفاة الحجاج هنالك فرجع الى الدور والثغور وكان قد فتحها ثم جهز الناس الى السلماس مع حبيب فأعطوا الطاعة وسالمه أهل شرست وهى مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون فى البحر ثم سار فى العسكر الى   فخرج اليه دوهر فقاتله محمد وهزمه وقتله ونزل أهل المدينة على حكمه فقتل وسبا ولم يزل عاملا على السند الى أن ولى سليمان بن عبد الملك فعزله وولى يزيد بن أبى كبشة السكسكى على السند مكانه فقيده يزيد وبعث به الى العراق فحبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط وعذبه فى رجال من قرابة الحجاج على قتلهم وكان الحجاج قتل أخاه آدم على رأى الخوارج ومات يزيد بن أبى كبشة لثمان عشرة ليلة من مقدمه فولى سليمان على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم ورجع حبشة بن داهر الى   فنزل حبيب على شاطئ مهران وأعطاه أهل الروم الطاعة وحارب فظفر ثم أسلم الملوك لما كتب عمر بن عبد العزيز الى الاسلام على أن يملكهم وهم أسوة المسلمين فيما لهم وعليهم فأسلم حبشة والملوك وتسموا بأسماء العرب وكان عمر بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند وظفر ثم ولى الجنيد بن عبد الرحمن على السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى شط مهران ومنعه حبشة ابن داهر العبور وقال انى قد أسلمت وولانى الرجل الصالح ولست آمنك فأعطاه الرهن ثم ردها حبشة وكفر وحارب فحاربه الجنيد فى السفن وأسره ثم قتله وهرب صصه ابن داهر الى العراق شاكيا لغدر الجنيد فلم يزل يؤنسه حتى جاءه فقتله ثم غزا الجنيد الكيرج من آخر الهند وكانوا نقضوا فاتخذ كباشا (١) زاحفة ثم صك بها سور المدينة فثلمها ودخل فقتل وسبى وغنم وبعث العمال الى المرمد والمعدل ودهنج وبعث جيشا الى أرين فأغاروا عليها وأحرقوا ربضها وحصل عنده سوى ما حمل أربعون ألف ألف وحمل مثلها وولى تميم بن زيد الضبى فضعف ووهن ومات قريبا من الديل وفى أيامه

بياضان بالاصل

(١) ليس المراد بالكباش ههنا الغنم وانما هى آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الخيل فتدق الحائط فينهدم وقد بطلت هذه الآلة كالمنجنيقات لما حدثت الآلات النارية من المدافع وغيرها كبطلان النبال فليس الآن من الآلات القديمة الا السيف والرماح قليلا اه من خط الشيخ العطار

خرج

خرج المسلمون عن بلاد الهند وتركوا مراكزهم ثم ولى الحكم بن سوام الكلبى وقد كفر أهل الهند الا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى المسلمين وكان معه عمر بن محمد بن القاسم وكان يفوض اليه عظائم الامور وأغزاه عن المحفوظة فلما قدم وقد ظهر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة وهى التى كانت أمراء السند ينزلونها واستخلص ما كان غلب عليه العدو ورضى الناس بولايته ثم قتل الحكم وضعفت الدولة الاموية عن الهند وتأتى أخبار السند فى دولة المأمون

(فتح مدينة كاشغر)

أجمع قتيبة لغزو مدينة كاشغر سنة ست وتسعين وهى أدنى مدائن الصين فسار لذلك وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعها بسمرقند وعبر النهر وجعل على المجاز مسلحة (١) يمنعون الراجع من العسكر الا باذنه وبعث مقدمه الى كاشغر فغنموا وسبوا وختم أعناق السبى وأوغل حتى قارب الصين فكتب اليه ملك الصين يستدعى من أشراف العرب من يخبره عنهم وعن دينهم فانتخب قتيبة عشرة من العرب كان منهم هبيرة بن شمرج الكلابى وأمر لهم بعدة حسنة ومتاع من الخز والوشى وخيول أربعة وقال لهم أعلموه انى حالف انى لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبى خراجهم ولما قدموا على ملك الصين دعاهم فى اليوم الاول فدخلوا وعليهم الغلائل والاردية وقد تطيبوا ولبسوا النعال فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن حضره وقالوا بعد انصرافهم هؤلاء نسوان فلبسوا الوشى والمطارف وعمائم الخز وغدوا عليه فلم يكلموهم وقالوا هذه أقرب الى هيئة الرجال ثم دعاهم الثالثة فلبسوا سلاحهم وعلى رؤسهم البيضات والمغافر وتوشحوا السيوف واعتقلوا الرماح وتنكبوا القسى فهالهم منظرهم ثم انصرفوا وركبوا فتطاردوا فعجب القوم منهم ثم دعا زعيمهم هبيرة بن شمرج فسألهم لم خالفوا فى زيهم فقال أما الاول فانا نساء فى أهلنا وأما الثانى فزينا عند أمرائنا وأما الثالث فزينا لعدونا فاستحسن ذلك ثم قال له قد رأيتم عظم ملكى وأنه ليس أحد يمنعكم منى وقد عرفت قلتكم فقولوا لصاحبكم ينصرف والا بعثت من يهلككم فقال هبيرة كيف نكون فى قلة وأول خيلنا فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون وأما القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه ولنا آجال اذا حضرت فلن نتعداها وقد حلف صاحبنا أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ جزيتكم قال الملك فانا نخرجه من يمينه نبعث له بتراب من أرضنا فيطؤه ويقبض أبناءنا فيختمهم وبهدية ترضيه ثم أجازهم فأحسن وقدموا على قتيبة فقبل الجزية ووطئ التراب وختم الغلمان وردهم ثم انصرف من غداته وأوفد هبيرة الى الوليد وبلغه وهو فى الفرات موت الوليد

(١) المسلحة جماعة من العسكر يقفون فى الطريق للحاجة اليهم اه من خط الشيخ العطار

(وفاة الوليد وبيعة سليمان)

ثم توفي الوليد في منتصف جمادى الاخيرة من سنة ست وتسعين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان من أفضل خلفاء بني أمية وبني المساجد الثلاثة مسجد المدينة ومسجد القدس ومسجد دمشق ولما أراد بناء مسجد دمشق كانت في موضعه كنيسة فهدمها وبناها مسجدا وشكوا ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فانها خارج المدينة مما فتح عنوة ونبنيها مسجدا فتركوا ذلك وفتح في ولايته الاندلس وكاشغر والهند وكان يتخذ الضياع وكان متواضعا يمر بالبقال فيسأله بكم حزمة البقل ويسعر عليه وكان يختم القرآن في ثلاث وفي رمضان في يومين وكان أراد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز فأبى سليمان فكتب الى عماله ودعا الناس الى ذلك فلم يجبه الا الحجاج وقتيبة وبعض خواصه واستقدم سليمان ثم استبطأه فأجمع السير اليه ليخلعه فمات دون ذلك ولما مات بويع سليمان من يومه وهو بالرملة فعزل عثمان بن حيان من المدينة آخر رمضان وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعزل ولاة الحجاج عن العراق فولى يزيد بن المهلب على المصرين وعزل عنهما يزيد بن أبي مسلم فبعث يزيد أخاه زيادا على عمان وأمر سليمان يزيد بن المهلب بنكبة آل أبي العقيل قوم الحجاج وبني أبيه وبسط أصناف العذاب عليهم فولى على ذلك عبد الملك بن المهلب

(مقتل قتيبة بن مسلم)

ولما ولى سليمان خافه قتيبة لما قدمناه من موافقته الوليد على خلعه فخشي أن يولي يزيد ابن المهلب خراسان فأجمع خلعه وكتب اليه لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمني لاخلعنك ولأملأنها عليك خيلا ورجلا فأمنه وكتب له العهد على خراسان وبعث اليه رسوله بذلك فبعث الرسول وهو بحلوان انه قد خلع وكان هو بعد بعثة الكتاب الى سليمان قد اشتد وجله وأشار عليه أخوه عبد الله بالمعاجلة فدعا الناس الى الخلع وذكرهم بوائقه وسوء ولاية من تقدمه فلم يجبه أحد فغضب وشتمهم وعدد مثالبهم قبيلة قبيلة وأثنى على نفسه بالاب والبلد والمعشر فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان وأجمعوا على خلع قتيبة وخلافه وعذل قتيبة أصحابه فيما كان منه فقال لما لم تجيبوني غضبت فلم أدر ما قلت وجاء الازد الى حضين بن المنذر بالضاد المعجمة فقالوا كيف ترى هذا يدعو الى فساد الدين ويشتمنا فعرف مغزاهم فقال ان مضر بخراسان كثير وتميم أكثرهم وهم شوكتها ولا يرضون بغيرهم فيصيبوا قتيبة ولا أرى لها الا وكيعا وكان وكيع موثقا من قتيبة بعزله وولاية ضرار بن حصين الضبي مكانه وقال حيان

النبطي

النبطي مولى بني شيبان ليس لها غير وكيع ومشى الناس بعضهم الى بعض سرا وتولى كبر ذلك حيان ونمى خبره الى قتيبة فأمر بقتله اذا دخل عليه ونصح بعض خدم قتيبة بذلك الى حيان فلما دعاه تمارض واجتمع الناس الى وكيع وبايعوه فمن أهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف ومن بكر سبعة آلاف رئيسهم حضين بن المنذر ومن تميم عشرة آلاف عليهم ابن زحر ومن الموالي سبعة آلاف عليهم حيان النبطي وقيل من الديلم وسمي نبطيا للكنته وشرط على وكيع أن يحول له الجانب الشرقي من نهر بلخ فقبل وفشا الخبر وبلغ قتيبة فدس ضرار بن سنان الضبي الى وكيع فبايعه وجاء الى قتيبة بالخبر فأرسل قتيبة الى وكيع فاعتذر بالمرض فقال لصاحب شرطته ائتني به وان أبى ائتني برأسه فلما جاء الى وكيع ركب ونادى في الناس فأتوه ارسالا واجتمع الى قتيبة أهل بيته وخواصه وثقاته وبنو عمه وأمر فنودي في الناس قبيلة قبيلة وأجابوه بالجفوة يقول أين بنو فلان فيقولون حيث وضعتهم فنادى بأذكركم الله والرحم فقالوا أنت قطعتها فنادى لكم العتبى فقالوا لا أقالنا الله اذا فدعا ببرذون ليركبه فمنعه ورمحه فعاد الى سريره وجاء حيان النبطي في العجم فأمره عبد الله أخو قتيبة أن يحمل على القوم فاعتذر وقال لابنه اذا رأيتني حولت قلنسوتي فمل بالاعاجم الى وكيع ثم حولها وسار بهم ورمى صالح أخو قتيبة بسهم فحمل الى أخيه ثم تهايج الناس وجاء الى عبد الرحمن أخي قتيبة الغوغاء ونحوهم فأحرقوا اريا فيه ابل قتيبة ودوابه ثم زحفوا به حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا أطنابه وجرح جراحات كثيرة ثم قطعوا رأسه وقتل معه اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وابنه كثير وقيل قتل عبد الكريم بقزوين فكان عدة من قتل من أهله احد عشر رجلا ونجا أخوه عمر مع اخواله من تميم ثم صعد وكيع المنبر وأنشد الشعر في الثناء على نفسه وفعله والذم من قتيبة ووعد بحسن السيرة وطلب رأس قتيبة وخاتمه من الازد وهددهم عليه فجاؤا به فبعثه الى سليمان ووفى وكيع لحيان النبطي بما ضمن له

(ولاية يزيد بن المهلب خراسان)

كان يزيد بن المهلب لما ولاه سليمان العراق على الحرب والصلاة والخراج استكره أن يحيف على الناس في الخراج فتلحقه المذمة كما لحقت الحجاج ويخرب العراق وان قصر عن ذلك لم يقبل منه فرغب من سليمان أن يعفيه من الخراج وأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن مولى تميم فولاه سليمان الخراج وبعثه قبل يزيد فلما جاء صالح الى يزيد ضيق عليه صالح وكان يزيد يطعم على ألف خوان فاستكثرها صالح فقال اكتب ثمنها علي وغير ذلك وضجر يزيد وجاء خبر خراسان ومقتل قتيبة فطمع يزيد في ولايتها ودس عبد الله

ابن الاهتم على سليمان أن يوليه خراسان ولا يشعر بطلبته بذلك وسيره على البريد فقال له سليمان ان يزيد كتب الى يذكر علمك بالعراق فقال نعم بها ولدت وبها نشأت ثم استشاره فيمن يوليه خراسان ولم يزل سليمان يذكر الناس وهو يردهم ثم حذره من وكيع وغدره قال فسم أنت قال شريطة الكمال الاجازة ممن أشير به واذا علم يكره ذلك ثم قال هو يزيد بن المهلب فقال سليمان العراق أحب اليه فقال ابن الاهتم قد علمت ولكن نكرهه فيستخلف على العراق ويسير الى خراسان فكتب عهد يزيد على خراسان وبعثه مع ابن الاهتم فلما جاءه بعث ابنه مخلدا على خراسان ثم سار بعده واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي وعلى البصرة ابن عبد الله بن هلال الكلابي وعلى الكوفة حرملة بن عبد اللخمي ثم عزله لاشهر بشير بن حيان النهدي فكانت قيس تطلب بثأر قتيبة وتزعم أنه لم يخلع فأوصى سليمان يزيد ان أقامت قيس بينة انه لم يخلع أن يقيد به من وكيع

• (أخبار الصوائف وحصار قسطنطينية) *

الصوائف هى الجيوش التى كانت تجهز فى أوان الصيف لسد الثغور وحرب الكفار استمر ذلك من صدر الاسلام الى أواخر الدولة العباسية اه من خط الشيخ العطار

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدوث الفتن واشتدت الفتن أيام عبد الملك اجتمعت الروم واستجاشوا على أهل الشام فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على أن يؤدى اليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين ونظرا لهم وذلك سنة سبعين لعشر سنين من وفاة معاوية ثم لما قتل مصعب وسكنت الفتنة بعث الجيوش سنة احدى وسبعين فى الصائفة فدخل فافتتح قيسارية ثم ولى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وسبعين فدخل فى الصائفة الى بلاد الروم فهزمهم ودخل عثمان بن الوليد من ناحية أرمينية فى أربعة آلاف ولقيه الروم فى ستين ألفا فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر ثم غزا محمد بن مروان سنة أربع وسبعين فبلغ انبولية وغزا فى السنة بعدها فى الصائفة من طريق مرعش فدوخ بلادهم وخرج الروم فى السنة بعدها الى العمق فغزاهم من ناحية مرعش ثانية ثم غزاهم سنة ست وسبعين من ناحية ملطية ودخل فى الصائفة سنة سبع وسبعين الوليد بن عبد الملك فأثخن فيهم ورجع وجاء الروم سنة تسع وسبعين فأصابوا من أهل انطاكية وظفروا بهم فبعث عبد الملك سنة احدى وثمانين ابنه عبيد الله بالعسكر ففتح قاليقلا ثم غزا محمد بن مروان سنة اثنتين وثمانين أرمينية وهزمهم فسألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبا شيخ بن عبد الله فغدروه وقتلوه فغزاهم سنة خمس وثمانين وصاف فيها وشتى ثم غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ودوخها ورجع وعاد اليها سنة سبع وثمانين فأثخن فيهم بناحية المصيصة وفتح حصونا كثيرة منها حصن بولق

والاحزم وبولس وقميم وقتل من المستقربة ألف مقاتل وسبى أهاليهم ثم غزا بلاد الروم سنة تسع وثمانين مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فافتتح مسلمة حصن سورية وافتتح العباس اردولية ولقى جمعا من الروم فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا من الروم فهزمهم وافتتح هرقلة وقمولية وغزا العباس الصائفة من ناحية البلدبدون وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك سنة تسع وثمانين من ناحية أذربيجان ففتح حصونا ومدائن هنالك ثم غزا سنة تسعين ففتح الحصون الخمس التى بسورية وغزا العباس حتى بلغ أردن وسورية وفى سنة احدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد فى الصائفة مع مسلمة بن عبد الملك وكان الوليد قد ولى مسلمة على الجزيرة وارمينية وعزل عمه محمد بن مروان عنها فغزا الترك من ناحية أذربيجان حتى الباب وفتح مدائن وحصونا ثم غزا سنة اثنتين وتسعين بعدها ففتح ثلاثة حصون وجلا أهل سرسنة الى بلاد الروم ثم غزا العباس بن الوليد سنة ثلاث بعدها بلاد الروم ففتح سبيطلة وغزا مروان بن الوليد فبلغ خنجرة وغزا مسلمة ففتح ماشية وحصن الحديد وغزالة من ناحية ملطية وغزا العباس بن الوليد سنة أربع وتسعين ففتح انطاكية وغزا عبد العزيز بن الوليد ففتح غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى مروج الحمام ويزيد بن أبى كبشة أرض سورية وفى سنة خمس وتسعين غزا العباس الروم ففتح هرقلة وفى سنة سبع وتسعين غزا مسلمة أرض الرضاخية وفتح الحصن الذى فتحه الرصاع وغزا عمر بن هبيرة أرض الروم فى البحر فشتى بها وبعث سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية وبعث ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المراة وفى سنة ثمان وتسعين مات ملك الروم فجاء القون الى سليمان فأخبره وضمن له فتح الروم وسار سليمان الى وابق وبعث الجيوش مع أخيه مسلمة ولما دنا من القسطنطينية أمر أهل المعسكر أن يحمل كل واحد مدين من الطعام ويلقوه فى معسكرهم فصار أمثال الجبال واتخذ البيوت من الخشب وأمر الناس بالزراعة وصاف وشتى وهم يأكلون من زراعتهم وطعامهم الذى استاقوه مدخرا ثم جهد أهل القسطنطينية الحصار وسألوا الصلح على الجزية دينارا على الرأس فلم يقبل مسلمة وبعث الروم الى القون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فقال لمسلمة لو أحرقت هذا الزرع علم الروم انك قصدتهم بالقتال فنأخذهم باليد وهم الآن يظنون مع بقاء الزرع انك تطاولهم فأحرق الزرع فقوى الروم وغدر القون وأصبح محاربا وأصاب الناس الجوع فأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وسليمان مقيم بوابق وحال الشتاء بينهم وبينه فلم يقدر أن يمدهم حتى مات وأغارت برجان على مسلمة وهو

فى قلة فهزمهم وفتح مدينتهم وغزا فى هذه السنة الوليد بن هشام فأثخن فى بلاد الروم وغزا داود بن سليمان سنة ثمان وتسعين ففتح حصن المراة مما يلى ملطية وفى سنة تسع وتسعين بعث عمر بن عبد العزيز مسلمة وهو بأرض الروم وأمده بالنفول بالمسلمين وبعث اليه بالخيل والدواب وحث الناس على معونتهم ثم أمر عمر بن عبد العزيز أهل طريدة بالجلاء عنها الى ملطية وخربها وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين وفرض على أهل الجزيرة مسلحة تكون عندهم الى فصل الشتاء وكانت متوغلة فى أرض الروم فخربها عمر وولى على ملطية جعونة بن الحرث من بنى عامر بن صعصعة وأغزى عمر سنة مائة من الهجرة بالصائفة الوليد بن هشام المعيطى وعمرو بن قيس الكندى

(فتح جرجان وطبرستان)

كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما لما أنهما كانتا للكفار وتوسطتا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح وكان يقول وهو فى جوار سليمان بالشأم اذا قصت عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وماوراء النهر ما فعلت جرجان التى قطعت الطريق وأفسدت توس ونيسابور وليست هذه الفتوح بشئ والشأن فى جرجان فلما ولاه سليمان خراسان سار اليها فى مائة ألف من أهل العراق والشأم وخراسان سوى الموالى والمتطوعة ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هى جبال ومخارم يقوم الرجل على باب منها فيمنعه فابتدأ بقهستان فحاصرها وبها طائفة من الترك فكانوا يخرجون فيقاتلون وينهزمون فى كل يوم ويدخلون حصنهم ولم يزل على ذلك حتى بعث اليه دهقان يستأذن يسأل فى الصلح ويسلم المدينة وما فيها فصالحه وأخذ ما فيها من الاموال والكنوز والسبى ما لا يحصى وقتل أربعة عشر ألفا من الترك وكتب الى سليمان بذلك ثم سار الى جرجان وكان سعيد بن العاصى قد صالحهم على الجزية مائة ألف فى السنة فكانوا أحيانا يجبون مائة وأحيانا مائتين وأحيانا ثلثمائة وربما أعطوا ذلك وربما منعوا ثم كفروا ولم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا الطريق الى خراسان على .... فكان الناس يسلكون على فارس وسلماس ثم فتح قتيبة طريق قومس وبقى أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه ولما فتح يزيد قهستان وجرجان طمع فى طبرستان فاستعمل عبد الله بن معمر اليشكرى على ساسان وقهستان وخلف معه أربعة آلاف فارس وسار الى أدنى جرجان من جهة طبرستان ونزل بآمد ونسا راشد بن عمرو فى أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فسأل صاحبها الاصبهند فى الصلح وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه أخاه عيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه واذا اجتمعا فعيينة على الناس واستجاش الاصبهند

بياض بالاصل

أهل جيلان والديلم والتقوا فانهزم المشركون واتبعهم المسلمون الى الشعب وصعد المشركون فى الجبل فامتنعوا على المسلمين وصعد أبو عيينة بمن معه خلفهم فهزمهم المشركون فى الوعر فكفوا وكاتب الاصبهند أهل جرجان ومقدمهم المرزبان أن يبيتوا المسلمين عندهم ليقطعوا المادة عن يزيد والطرق بينه وبين جرجان ووعدهم بالمكافأة على ذلك فساروا بالمسلمين وهم غارون وقتل عبد الله بن معمر وجميع من معه ولم ينج أحد وكتبوا الى الاصبهند بأخذ المضايق والطرق وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعظم عليهم وهالهم وفزع يزيد الى حيان النبطى وكان قد غرمه مائتى ألف درهم بسبب أنه كتب الى ابنه مخلد كتابا فبدأ بنفسه فقال له لا يمنعك ما كان منى اليك من نصيحة المسلمين وقد علمت ما جاء ناس جرجان فاعمل فى الصلح فأتى حيان الاصبهند ومت اليه بنسب العجم وتنصل له وفتل له فى الذروة والغارب حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين وأربعمائة رجل على يد كل رجل منهم ترس وطيلسان وجام من فضة وخرقة حرير وكسوة فأرسل يزيد لقبض ذلك ورجع اهـ (وقيل) فى سبب مسير يزيد الى جرجان أن صولا التركى كان على قهستان والبحيرة جزيرة فى البحر على خمسة فراسخ من قهستان وهما من جرجان مما يلى خوارزم وكان يغير على فيروز بن قول مرزبان جرجان وأشار فيروز بنصيب من بلاده فسار فيروز الى يزيد هاربا منه وأخذ صول جرجان وأشار فيروز على يزيد أن يكتب الى الاصبهند ويرغبه فى العطاء ان هو حبس صولا بجرجان حتى يحاصر بها ليكون ذلك وسيلة الى معاكسته وخروجه عن جرجان فيتمكن يزيد منه فكتب الى الاصبهند وبعث بالكتاب الى صول فخرج من حينه الى البحيرة وبلغ يزيد الخبر فسار الى جرجان ومعه فيروز واستخلف على خراسان ابنه مخلدا وعلى سمرقند وكش ونسف وبخارى ابنه معاوية وعلى طخارستان ابن قبيصة بن المهلب وأتى جرجان فلم يمنعه دونها أحد ودخلها ثم سار منها الى البحيرة وحصر صولا بها أشهرا حتى سأل الصلح على نفسه وماله وثلثمائة ويسلم اليه البحيرة فأجابه يزيد وخرج صول عن البحيرة وقتل يزيد من الاتراك أربعة عشر ألفا وأمر ادريس بن حنظلة العمى أن يحصى ما فى البحيرة ليعطى الجند فلم يقدر وكان فيها من الحنطة والشعير والارز والسمسم والعسل شئ كثير ومن الذهب والفضة كذلك ولما صالح يزيد اصبهند طبرستان كما قدمناه سار الى جرجان وعاهد الله ان ظفر بهم ليطحنن القمح على سائل دمائهم ويأكل منه فحاصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون اليه فيقاتلونه ويرجعون وكانوا ممتنعين فى الجبل والاوعار وقصد رجل من عجم خراسان فأتبع .... بخلا فى الجبل وانتهى الى معسكرهم وعرف الطريق اليه ودل الادلة

قوله صول هو اسم ملك من ملوك الترك وقول بعض العرب (ما أقدر الله أن يدنى على شحط * من داره الحزن ممن داره صول) أى داره دار صول اهـ من خط الشيخ العطار

بياض بالاصل

على معالمه وأتى يزيد فأخبره فانتخب ثلثمائة رجل مع ابنه خالد وضم اليه جهم بن زحر وبعثه وذلك الرجل يدل به وواعده أن يناهضهم العصر من الغداة ولما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران ونظر العدو الى النار فهالهم وحاموا للقتال آمنين خلفهم فناشبهم يزيد الى العصر واذا بالتكبير من ورائهم فهربوا الى حصنهم وأتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فقتل المقاتلة وسبى الذرية وقاد منهم اثنى عشر ألفا الى وادى جرجان ومكن أهل الثار منهم حتى استلحموهم وجرى الماء على الدم وعليه الارحاء فطحن وخبزوأكل وقتل منهم أربعين ألفا (١) وبنى مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ورجع الى خراسان وولى على جرجان جهم بن زحر الجعفى ولما قتل مقاتلهم صلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره

(١) من ثم كان يسمى عمر بن عبد العزيز جبارا اه من خط الشيخ العطار

(وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز)

ثم توفى سليمان بدابق من أرض قنسرين من سنة تسعة وتسعين فى صفر منها وقد كان فى مرضه أراد أن يعهد الى ولده داود ثم استصغره وقال له كاتبه رجاء بن حيوة ابنك غائب عنك بقسطنطينية ولا يعرف حياته من موته فعدل الى عمر بن عبد العزيز وقال له انى والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبدا يلى عليهم الا أن أجعل أحدهم بعده وكان عبد الملك قد جعل ذلك له وكتب بعد البسملة هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز انى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب ثم أمر كعب بن جابر العبسى صاحب الشرطة أن يجمع أهل بيته وأمر رجاء بن حيوة أن يدفع لهم كتابه وقال أخبرهم انه كتابى فليبايعوا من وليت فيه فبايعوه رجلا رجلا وتفرقوا وأتى عمر الى رجاء يستعمله و يناشده الله والمودة يستعفى من ذلك فأبى وجاءه هشام أيضا يستعمله ليطلب حقه فى الامر فأبى فانصرف أسفا أن يخرج من بنى عبد الملك ثم مات سليمان وجمع رجاء أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب فلما ذكر عمر قال هشام والله لانبايعه أبدا فقال له رجاء والله نضرب عنقك فقام أسفا يجر رجله حتى جاء الى عمر بن عبد العزيز وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه فبايعه واتبعه الباقون ودفن سليمان وصلى عليه عمر بن عبد العزيز والوليد كان غائبا عن موت سليمان ولم يعلم ببيعة عمر فعقد لواء ودعا لنفسه وجاء الى دمشق ثم بلغه عهد سليمان فجاء الى عمر واعتذر اليه وقال بلغنى أن سليمان لم يعهد فخفت على الاموال أن تنهب فقال عمر لو قمت بالامر لقعدت فى بيتى ولم أنازعك فقال عبد العزيز والله لا أحب لهذا الامر غيرك وأول ما بدأ به عمر لما استقرت البيعة له انه رد ما كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجته من المال والحلى

والجوهر الى بيت المال وقال لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد فردته جميعه ولما ولى أخوها يزيد من بعد ردّه عليها فأبت وقالت ما كنت أعطيه حيا أعطيه ميتا ففرقه يزيد على أهله وكان بنو أمية يسبون عليا فكتب عمر الى الآفاق بترك ذلك وكتب الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول بالمسلمين

(عزل يزيد بن المهلب وحبسه والولاية على عماله)

ولما استقرت البيعة لعمر كتب فى سنة مائة الى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عماله ويقدم فاستخلف مخلدا ابنه وقدم من خراسان وقد كان عمر ولى على البصرة عدى بن أرطاة الفزارى وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وضم اليه أبا الزناد فكتب الى عدى بن ارطاة موسى أن يقبض على يزيد بن المهلب ويبعثه مقيدا فلما نزل يزيد واسط وركب السفن يريد البصرة بعث على بن ارطاة موسى بن الرحبة الحميرى فلقيه فى نهر معقل عند الجسر فقيده وبعث به الى عمر وكان عمر يبغضه ويقول انه مراء وأهل بيته جبابرة فلما طالبه بالاموال التى كتب بها الى سليمان من خمس جرجان قال انما كتبت لأسمع الناس وعلمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى بذلك فقال له عمر اتق الله وهذه حقوق المسلمين لا يسعنى تركها ثم حبسه بحصن حلب وبعث الجراح بن عبد الله الحكمى واليا على خراسان مكانه وانصرف يزيد بن يزيد فقدم على عمر واستعطفه لابيه وقال له يا أمير المؤمنين ان كانت له بينة فخذ بها والا فاستحلفه والا فصالحه أو فصالحنى على ما تسأل فأبى عمر من ذلك وشكر من مخلد ما فعل ثم ألبس يزيد جبة صوف وحمله على جمل وسيره الى دهلك ومر يزيد على الناس وهو ينادى بعشيره وبالنكير لما فعل به فدخل سلامة بن نعيم الخولانى على عمر وقال اردد يزيد الى محبسه لئلا ينزعه قومه فانهم قد غضبوا فرده الى أن كان من أمر فزارة ما نذكر

(ولاية عبد الرحمن بن نعيم القشيرى على خراسان)

ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جرجان جهم بن زحر الجعفى فأرسل عامل العراق على جرجان عاملا مكانه فحبسه جهم وقيده فلما جاء الجراح الى خراسان أطلق أهل جرجان عاملهم ونكر الجراح على جهم ما فعل وقال لولا قرابتك منى ما سوغتك هذا يعنى أن جهما وجعفا معا ابنا سعد العشيرة ثم بعث فى الغزو وأوفد على عمر وفدا فتكلم فيه بعضهم عمر بأنه يعرى الموالى بلا عطاء ولا رزق ويؤاخذ من أسلم من أهل الذمة بالخراج ثم عرض بأنه سيف من سيوف الحجاج قد علم بالظلم والعدوان فكتب عمر الى الجراح انظر من صلى قبلك فخل عنه الجزية فسارع الناس الى الاسلام فرارا من الجزية فامتحنهم بالختان وكتب الى عمر بذلك فكتب اليه عمر ان الله بعث محمدا داعيا ولم

يبعثه خاتنا واستقدم الجراح وقال احمل معك أبا مخلد واستخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القشيري ولما قدم على عمر قال متى خرجت قال في شهر رمضان قال صدق من وصفك بالجفاء ألا أقمت حتى تفطر ثم تسافر ثم سأل عمر أبا مخلد عن عبد الرحمن بن عبد الله فقال يكافئ الاكفاء ويعادي الاعداء ويقدم ان وجد ما يساعده قال فعبد الرحمن بن نعيم قال يحب العافية وتأتيه قال هو أحب الي فولاه الصلاة والحرب وولى عبد الرحمن القشيري الخراج فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى قتل يزيد بن المهلب وولي مسلمة فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف وظهر من أيام الجراح بخراسان دعاة بني العباس فيمن بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الى الآفاق حسبما نذكر في أخبار الدولة العباسية

(وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد)

ثم توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة احدى ومائة بدير سمعان ودفن بها لسنتين وخمسة أشهر من ولايته ولاربعين من عمره وكان يدعى أشج بني أمية رمحته دابة وهو غلام فشجته ولما مات ولي بعده يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان كما تقدم وقيل لعمر حين احتضر اكتب الى يزيد فأوصه بالامة فقال بماذا أوصيه انه من بني عبد الملك ثم كتب أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة انك تترك ما تترك لمن لا يحمدك وتصير الى من لا يعذرك والسلام ولما ولي يزيد عزل أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري وغير كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز وكان من ذلك شأن خراج اليمن فان محمدا أخا الحجاج جعل عليهم خراجا مجددا وأزال ذلك عمر الى العشر او نصف العشر وقال لان يأتيني من اليمن حبة ذرة أحب الي من تقرير هذه الوظيفة فلما ولي يزيد أعادها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حرضا وهلك عمه محمد بن مروان فولى مكانه على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية عمه الآخر مسلمة بن عبد الملك

(اختبال يزيد بن المهلب ومقتله)

قد تقدم لنا حبس يزيد بن المهلب فلم يزل محبوسا حتى اشتد مرض عمر بن عبد العزيز فعمل في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك لان زوجته بنت أخي الحجاج وكان سليمان أمر ابن المهلب بعذاب قرابة الحجاج كلهم فنقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد وعذبها وجاء يزيد بن عبد الملك الى منزله شافعا فلم يشفعه فضمن حمل ما قرر عليها فلم يقبل فتهدده فقال له ابن المهلب لئن وليت أنت لارمينك بمائة ألف سيف فحمل يزيد بن عبد الملك عنها مائة ألف دينار ولما اشتد مرض عمر خاف من ذلك وأرسل الى مواليه أن يغدوا

له الابل والخيل في مكان عينه لهم وبعث الى عامل حلب باشفاقه من يزيد وبذل له المال والى الحرس الذين يحفظونه فخلى سبيله وأتى الى دوابه فركبها ولحق بالبصرة وكتب الى عمر اني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكن خفت أن يقتلني يزيد شر قتلة فقرأ عمر الكتاب وبه رمق فقال اللهم ان كان ابن المهلب يريد بالمسلمين سوأ فألحقه به وهصه فقد هاض انتهى ولما بويع ليزيد بن عبد الملك كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة والى عدي بن ارطاة بالبصرة بهربه والتحرز منه وأبى عدي أن يأخذ المهلب بالبصرة فحبس المفضل حبيبا ومروان ابني المهلب وبعث عبد الحميد من الكوفة جندا عليهم هشام بن ساحق بن عامر فأتوا العذيب ومر بيزيد عليهم فوق القطقطانة فلم يقدموا عليه ومضى نحو البصرة وقد جمع عدي بن ارطاة أهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيلها المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل وجاء يزيد على أصحابه الذين معه وانضم اليه أخوه محمد فيمن اجتمع اليه من قومهم وبعث عدي بن ارطاة على كل خمس من أخماس البصرة رجالا فعلى الازد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي وعلى تميم محرز بن حمدان السعدي وعلى بكر نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود وعلى أهل العالية عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر وهم قريش وكنانة والازد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان ومزينة فلم يعرضوا ليزيد وأقبل فنزل انتهى واختلف الناس اليه وأرسل الى عدي أن يطلق له اخوته فينزل به البصرة ويخرج حتى يأخذ لنفسه من يزيد وبعث حميد بن أخيه عبد الملك بن المهلب يستأمن له من يزيد بن عبد الملك فأجاره خالد القسري وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد له ولاهله وقد كان بعد منصرف حميد فرق في الناس قطع الذهب والفضة فانثالوا عليه وعدي يعطي درهمين درهمين ثم تناجزوا الحرب وحمل أصحاب يزيد على أصحاب عدي فانهزموا ودنا يزيد من القصر وخرج عدي بنفسه فانهزم أصحابه وخاف اخوة يزيد وهم في الحبس أن يقتلوا قبل وصوله فأغلق الباب وامتنعوا فجاءهم الحرس يعالجون فأجعلهم الناس عنه فخلوا عنهم وانطلقوا الى أخيهم ونزل يزيد دار مسلم بن زياد الى جنب القصر وتسور القصر بالسلالم وفتحه وأتى بعدي بن ارطاة فحبسه وهرب رؤس البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر الى الكوفة والشام وخرج المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي الى الشام فلقي خالدا القسري وعمر بن يزيد وقد جاؤا بأمان يزيد بن المهلب مع حميد بن أخيه فأخبرهما بظهور يزيد على البصرة وحبسه عديا فرجعا الى وعداهما فلم يقبلا وقبض عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة على خالد بن يزيد بن المهلب وحماد بن زحر وحملهما وسيرهما الى الشام فحبسهما يزيد حتى هلكا بالسجن وبعث يزيد بن عبد

الملك الى أهل الكوفة يثنى عليهم و يمنيهم الزيادة وجهز أخاه مسلمة وابن أخيه العباس
ابن الوليد الى العراق فى سبعين ألف مقاتل أو ثمانين من أهل الشام والجزيرة فقدموا
الكوفة ونزلوا النخيلة وتكلم العباس يوما ببعض الكلام فأساء عليه حيان النبطى
باللكنة الاعجمية ولما سمع ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام خطب الناس
وشجعهم للقائهم وهوّن عليهم أمرهم وأخبرهم ان أكثرهم له واستوثق له أهل البصرة
وبعث عماله على الاهواز وفارس وكرمان وبعث الى خراسان مدرك بن المهلب
وعليها عبد الرحمن بن نعيم و بعث بنو تميم ليمنعوه ولقيه الازد على رأس المغارة فقالوا
ارجع عنا حتى نرى ما آل أمركم ثم خطب يزيد الناس يدعوهم الى الكتاب والسنة
ويحثهم على الجهاد وأنّ جهاد أهل الشأم أعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم ونكر ذلك
الحسن البصرى والنضر بن أنس بن مالك وتابعهما الناس فى النكير وسار يزيد من
البصرة الى واسط واستخلف عليها أخاه مروان بن المهلب واقام بواسط أياما ثم خرج
منها سنة اثنتين ومائة واستخلف عليها أمان معونة وقدّم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو
الكوفة فاستقبله ابن الوليد دبسور له فاقتتلوا وانهزم عبد الملك وعاد الى يزيد وأقبل
مسلمة على شاطئ الفرات الى الانبار فعقد الجسر وعبر وسار حتى نزل على يزيد بن
المهلب وفزع اليه ناس من أهل الكوفة وكان عسكره مائة وعشرين وكان عبد
الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وشق المياه وجعل الارصاد على أهل الكوفة
أن يفزعوا الى يزيد بن المهلب وبعث بعثا الى مسلمة مع صبرة بن عبد الرحمن بن مخنف
فعزل مسلمة بن عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمر بن الوليد بن عقبة ثم
أراد يزيد بن المهلب أن يبعث أخاه محمدا بالعساكر يبيتون مسلمة فأبى عليه أصحابه
وقالوا قد وعدناهم بالكتاب والسنة ووعدوا بالاجابة فلا نغدر بهم فقال يزيد ويحكم
تصدقونهم انهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم اليه والله ما فى بنى مروان
امكر ولا أبعد غورا من هذه الجرادة الصغرى يعنى مسلمة وكان مروان بن المهلب
بالبصرة يحث الناس على اللحاق بيزيد أخيه والحسن البصرى يثبطهم ويتهدده
فلم يكف ثم طلب الذين يجتمعون اليه فافترقوا فأقام مسلمة بن عبد الملك يطاول
يزيد بن المهلب ثمانية أيام ثم خرج يوم الجمعة منتصف صفر فعبى أصحابه وعبى العباس
ابن الوليد كذلك والتقوا واشتدّ القتال وأمر مسلمة فأحرق الجسر فسطع دخانه فلما
رآه أصحاب يزيد انهزموا واعترضهم يزيد يضرب فى وجوههم حتى كثروا عليه فرجع
وترجل فى أصحابه وقيل له قتل أخوك حبيب فقال لا خير فى العيش بعده ولا بعد الهزيمة
ثم استمات ودلف الى مسلمة لا يريد غيره فعطف عليه أهل الشام فقتلوه هو وأصحابه

وفيهم أخوه محمد وبعث مسلمة برأسه الى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة
وقيل ان الذى قتله الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابى وأنف أن ينزل فيأخذ رأسه
فأخذه غيره وكان المفضل بن المهلب يقاتل فى ناحية المعترك وما علم بقتل يزيد فبقى ساعة
كذلك يكر ويفر حتى أخبر بقتل اخوته فافترق الناس عنه ومضى الى واسط وجاء
أهل الشام الى عسكر يزيد فقاتلهم أبو روبة رأس الطائفة المرجئة ومعه جماعة منهم
صدق فقاتلوا ساعة من النهار ثم انصرفوا وأسر مسلمة ثلثمائة أسير حبسهم بالكوفة
وجاء كتاب يزيد الى محمد بن عمر بن الوليد بقتلهم فأمر العريان بن الهيثم صاحب
الشرطة بذلك وبدأ بثمانين من بنى تميم فقتلهم ثم جاء كتاب يزيد باعفائهم فتركهم وأقبل
مسلمة فنزل الحيرة وجاء الخبر بقتل يزيد الى واسط فقتل ابنه معاوية عدى بن أرطاة
ومحمدا ابنه ومالكا وعبد الملك ابنا مسمع فى ثلاثين ورجع الى البصرة بالمال والخزائن
واجتمع بعمه المفضل وأهل بيتهم وتجهزوا للركوب فى البحر وركبوا الى قندابيل وبها
وداع بن حميد الازدى ولاه عليها يزيد بن المهلب ملجأ لاهل بيته ان وقع بهم ذلك فركبوا
البحر بعيالهم وأموالهم الى جبال كرمان فنزلوا بها واجتمع اليهم الفل من كل جانب
وبعث مسلمة مدرك بن ضب الكلبى فى طلبهم فقاتلهم وقتل من أصحاب المفضل
النعمان بن ابراهيم ومحمد بن اسحق بن محمد بن الاشعث وأسر ابن صول قهستان وهرب
عثمان بن اسحق بن محمد بن الاشعث فقتل وحمل رأسه الى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من
أصحاب بنى المهلب فاستأمنوا وأمنهم مسلمة منهم مالك بن ابراهيم بن الاشتر والورد بن
عبد الله بن حبيب السعدى التميمى ومضى الى آل المهلب ومن معهم قندابيل فمنعهم
وداع بن حميد من دخولها وخرج معهم لقتال عدوهم وكان مسلمة قد ردّ مدرك بن
ضب بعد هزيمتهم فى جبال كرمان وبعث فى أثرهم هلال بن أحوز التميمى فلحقهم
بقندابيل فتبعوا لقتاله وبعث هلال راية أمان فمال اليه وداع بن حميد وعبد الملك
ابن هلال وافترق الناس عن آل المهلب ثم استقدموا فاستأمنوا فقتلهم عن آخرهم
المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ومعاوية بن يزيد بن المهلب والمنهال بن
أبى عيينة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب برتبيل ملك
الترك وبعث هلال بن أحوز برؤسهم وسبيهم وأسراهم الى مسلمة بالحيرة فبعث بهم مسلمة
الى يزيد بن عبد الملك فسيرهم يزيد الى العباس بن الوليد فى حلب فنصب الرؤس وأراد
مسلمة أن يبتاع الذرية فاشتراهم الجراح بن عبد الله الحكمى بمائة ألف وخلى سبيلهم
ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيأ ولما قدم بالاسرى على يزيد بن عبد الملك وكانوا ثلاثة
عشر أمر يزيد فقتلوا وكلهم من ولد المهلب واستأمنت هند بنت المهلب لاخيها عيينة

الى يزيد بن عبد الملك فأمنه وأقام عمرو وعثمان عند رتبيل حتى أمنهما أسد بن عبد الله القسرى وقدما عليه بخراسان

(ولاية مسلمة على العراق وخراسان)

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب بنى المهلب ولاه يزيد بن عبد الملك على العراق وجمع له ولاية البصرة والكوفة وخراسان فأقر على الكوفة محمد بن عمرو بن الوليد وكان قد قام بأمر البصرة بعد بنى المهلب شبيب بن الحرث التميمى فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليم الكلبى وعلى شرطتها عمر بن يزيد التميمى وأراد عبد الرحمن أن يقتل شنعة بن المهلب بالبصرة فعزله وولى على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وأقر عمر ابن يزيد على الشرطة واستعمل مسلمة على خراسان صهره على   سعيد ابن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبى العباس ويلقب سعيد خذينة دخل عليه بعض العرب بخراسان وعليه ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة وسئل عنه لما خرج فقال خذينة وهى الدهقانة ربة البيت ولما ولاه على خراسان سار اليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلى على سمرقند فسار اليها وقدم الصغد وكان أهلها كفروا أيام عبد الرحمن بن نعيم ثم عادوا الى الصلح فوبخ ساكنها من العرب وغيرهم بالجبن فاعتذروا بأمر أميرهم على بن حبيب العبدى ثم حبس سعيد عمال عبد الرحمن بن عبد الله وأطلقهم ثم حبس عمال يزيد بن المهلب رفع لهم انهم اختانوا الاموال فعذبهم فمات بعضهم فى العذاب وبقى بعضهم بالسجن حتى غزاهم الترك والصغد فأطلقهم

(العهد لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد)

لما بعث يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب مع مسلمة أخيه والعباس بن أخيه الوليد قال له العباس انا نخاف أن يرجف أهل العراق بموتك ويبث ذلك فى أعضادنا وأشار عليه بالعهد لعبد العزيز أخيه بن الوليد وبلغ ذلك مسلمة فجاءه وقال أخوك أحق فان ابنك لم يبلغ وأشار عليه بأخيه هشام وابنه الوليد من بعده والوليد ابن احدى عشرة سنة فبايع لهما كذلك ثم بلغ ابنه الوليد فكان اذا رآه يقول الله بينى وبين من قدم هشاما عليك

(غزوة الترك)

لما ولى سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خذينة واستعمل شعبة على سمرقند ثم عزله كما مر وولى مكانه عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير فطمعت الترك وبعثهم خاقان الى الصغد وعلى الترك كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلى وفيه مائة أهل

بيت بذراريهم وكتبوا الى عثمان بسمرقند وخافوا أن يبطئ المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحى ومعه أربعة آلاف من سائر القبائل فقال لهم المسيب من أراد الغزو والصبر على الموت فليتقدم فرجع عنه ألف وقالها بعد فرسخ فرجع ألف آخر ثم أعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله ألف وسار حتى كان على فرسخين من العدو فأخبره بعض الدهاقين بقتل الرهائن وميعادهم غدا وقال أصحابى ثلثمائة مقاتل وهم معكم فبعث المسيب الى القصر رجلين عجميا وعربيا يأتيانه بالخبر فجاؤا فى ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل اليه أحد فصاح بهما فقالا له اسكت وادع لنا فلانا فأعلماه قرب العسكر وسألا هل عندكم امتناع غدا فقال لهما نحن مستميتون فرجعا الى المسيب فأخبراه فعزم على تبييت الترك وبايعه أصحابه على الموت وساروا يومهم الى الليل ولما أمسى حثهم على الصبر وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا واعقروا الدواب فانه أشد عليهم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها فى عسكر الا أوهنته وان كثر أهله ثم دنوا من العسكر فى السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون وعقروا الدواب وترجل المسيب فى أصحاب له فقاتلوا قتالا شديدا وقتل عظيم من عظماء الترك فانهزموا ونادى منادى المسيب لا تتبعوهم واقصدوا القصر واحملوا من فيه ولا تحملوا من متاعهم الا المال ومن حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا حسبة فأجره على الله والا فله أربعون درهما وحملوا من فى القصر الى سمرقند ورجع الترك من الغد فلم يروا فى القصر أحدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤنا بالامس

(غزو الصغد)

ولما كان من انتقاض الصغد واعانتهم الترك على المسلمين ما ذكرنا تجهز سعيد لغزوهم وعبر النهر فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون ونهاهم سعيد عن اتباعهم وقال هم جباية أمير المؤمنين فانكفوا عنهم ثم سار المسلمون الى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعض العسكر وقد أكمن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهزم المسلمون الى الوادى وقيل بل كان المنهزمون مسلحة للمسلمين وكان فيمن قتل شعبة بن ظهر فى خمسين رجلا وجاء الامير والناس فانهزم العدو وكان سعيد اذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا رد السبى وعاقب السرية فثقل سعيد على الناس وضعفوه ولما رجع من هذه الغزاة وكان سورة بن الابجر قد قال لحيان النبطى يوم أمر سعيد بالكف عن الصغد وانهم جباية أمير المؤمنين فقال سورة ارجع عنهم يا حيان فقال عقيرة الله لا أدعها فقال

قوله هم جباية أمير المؤمنين معناه أنه يأخذ منهم المال ففى استئصالهم ضياع له اهـ من خط الشيخ العطار

انصرف يا بطى قال أبط الله وجهك فحقدها عليه سورة وأغرى به سعيد خذينة وقال انه أفسد خراسان على قتيبة ويثب عليك ويتحصن ببعض القلاع فقال له سعيد لا يسمع هذا منك أحد ثم حاول عليه وسقاه لبنا قد ألقى فيه ذهبا مسحوقا ثم ركض والناس معه أربعة فراسخ فعاش حيان من بعدها ليالي قلائل ومات

(ولاية ابن هبيرة على العراق وخراسان)

كان مسلمة لما ولى على هذه الاعمال لم يدفع من الخراج شيأ واستحيا يزيد من عزله فكتب اليه بالقدوم وأن يستخلف على عمله وسار لذلك سنة ثلاث وأربع مائة فلقيه عمر بن هبيرة بالطريق على دواب البريد وقال وجهنى أمير المؤمنين لحيازة أموال بنى المهلب فارتاب لذلك وقال له بعض أصحابه كيف يبعث ابن هبيرة من عند الجزيرة لمثل هذا الغرض ثم أتاه ان ابن هبيرة عزل عماله وكان عمر بن هبيرة من النجابة بمكان وكان الحجاج يبعثه فى البعوث وهو ممن سار لقتال مطرف بن المغيرة حين خلع ويقال انه الذى قتله وجاء برأسه فسيره الحجاج الى عبد الملك فاقطعه قرية قريبة من دمشق ثم بعثه الى كروم ابن مرثد الفزارى ليخلص منه مالا فارتاب وأخذ المال ولحق بعبد الملك عائذا به من الحجاج وقال قتلت ابن عمه ولست آمنه على نفسى فأجاره عبد الملك وكتب الحجاج اليه فيه فقال أمسك عنه وعظم شأنه عبد الملك وبنوه واستعمله عمر بن عبد العزيز على الروم من ناحية أرمينية وأثخن فيهم وأسر سبعمائة منهم وقتلهم واستخدم أيام يزيد لمحبوبته حبابة فسعت له فى ولاية العراق فولاه يزيد مكان أخيه مسلمة ولما ولى قدم عليه المجشر بن مزاحم السلمى وعبد الله بن عمر الليثى فى وفد فشكوا من سعيد وحذيفة عاملهم وهو صهر مسلمة فعزله وولى مكانه على خراسان سعيد بن عمر الحريشى من بنى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فسار خذينة عن خراسان وقدم سعيد فلم يعرض لعماله ولما قدم على خراسان كان الناس بازاء العدو وقد نكثوا فحثهم على الجهاد وخاف الصغد منه بما كانوا أعانوا الترك أيام خذينة فقال لهم ملكهم احملوا الخراج لما مضى واضمنوا خراج ما يأتى والعمارة والغزو معه وأعطوه الرهن بذلك فأبوا الا أن يستجيروا بملك فرغانة وخرجوا من بلادهم الى خجندة وسألوا الجوار وأن ينزلوا شعب عصام فقال أمهلونا عشرين يوما أو أربعين لنخليه لكم وليس لكم على جوار قبل دخولكم اياه ثم غزاهم الحريش سنة أربع ومائة فقطع النهر وترك قصر الريح على فرسخين من الدنوسية وأتاه ابن عم ملك فرغانة يغريه بأهل الصغد وانهم بخجندة ولم يدخلوا جواره بعد فبعث معه عبد الرحمن القسرى فى عسكر وجاء فى اثره حتى نزلوا على خجندة وخرج أهل صغد لقتالهم فانهزموا وقد كانوا حفروا

حبابة هذه جارية أحبها يزيد حبا تجاوز به الحد وضرب به المثل اهـ من خط الشيخ العطار

خندقا وغطوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال فلما انهزموا ذلك اليوم أخطأهم الطريق وأسقطهم الله فى ذلك الخندق ثم حاصرهم الحريشى ونصب عليهم المجانيق وأرسلوا الى ملك فرغانة ليجيرهم فقال قد شرطت عليكم ان لا جوار قبل الاجل الذى بينى وبينكم فسألوا الصلح من الحريشى على أن يردوا ما فى أيديهم من سبى العرب ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلف أحد منهم بخجندة وان أحدثوا حدثا استبيحت دماؤهم فقبل منهم وخرجوا من خجندة ونزلوا فى العسكر على كل من يعرفه وبلغ الحريشى انهم قتلوا امرأة فقتل قاتلها فخرج قبيل منهم فاعترض الناس وقتل جماعة وقتل الصغد من أسرى المسلمين مائة وخمسين ولقى الناس منهم عنفا ثم أحاطوا بهم وهم يقاتلون بالخشب ليس لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم ثلاثة آلاف أو سبعة آلاف وكتب الحريشى الى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب لعمر بن هبيرة فأحفظه ذلك ثم سرح الحريشى سليمان بن أبى السرى الى حصن يطيف به وراء الصغد ومعه خوارزم شاه وملك أجرون وسومان فسار سليمان وعلى مقدمته المسيب ابن بشر الرياحى ولقيه أهل الحصن فهزمهم ثم حاصرهم فسألوا الصلح على أن لا يعرض لسبيهم ويسلموا القلعة بما فيها فقبل وبعث الى الحريشى فقبضه وبعث من قبضه وسار الحريشى الى كش فصالحوه على عشرة آلاف رأس وولى نصر بن سيار على قبضها واستعمل على كش ونسف حربا وخراجا سليمان بن السرى واستنزل مكانه آخر اسمه قشقرى من حصنه على الامان وجاء به الى مرو فخنقه وصلبه

(ولاية الجراح على أرمينية وفتح بلنجر)

ولما سار ابن هبيرة على الجزيرة وأرمينية تشبب البهرانى فخفل لهم الخزر وهم التركمان واستجاشوا بالقفجاق وغيرهم من أنواع الترك ولقوا المسلمين بمرج الحجارة فهزموهم واحتوى التركمان على عسكرهم وغنموا ما فيه وقدم المنهزمون على يزيد ابن عبد الملك فولى على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمى وأمده بجيش كثيف وسار لغزو الخزر فعادوا للباب والابواب ونزل الجراح بردعة فأراح بها قليلا ثم سار نحوهم وعبر نهر الكر وأشاع الاقامة ليرجع بذلك عيونهم اليهم ثم أسرى من ليلته وأجد السير الى مدينة الباب فدخلها وبث السرايا للنهب والغارة وزحف اليه التركمان وعليهم ابن ملكهم فلقيهم عند نهر الزمان واشتد القتال بينهم ثم انهزم التركمان وكثر القتل فيهم وغنم المسلمون ما معهم وساروا حتى نزلوا على الحصن ونزل أهلها على الامان فقتلهم ثم سار الى مدينة برغوا فحاصرها ستة أيام ثم نزلوا على الامان ونقلهم ثم ساروا الى بلنجر فقاتلهم التركمان دونها فانهزموا وافتتح الحصن عنوة وغنم

المسلمون جميع ما فيه فأصاب الفارس ثلثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين ألفا ثم ان الجراح رجع حصن بلنجر الى صاحبه ورد عليه أهله وماله على أن يكون عينا للمسلمين على الكفار ثم نزل على حصن الوبند وكان به أربعون ألف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال أعطوه اياه ثم تجمع الترك والتركمان وأخذوا الطرق على المسلمين فأقام فى رستاق سبى وكتب الى يزيد بالفتح وطلب المدد وكان ذلك آخر عمر يزيد وبعث هشام بعد ذلك اليه بالمدد وأقره على العمل

(ولاية عبد الواحد القسرى على المدينة ومكة)

كان عبد الرحمن بن الضحاك عاملا على الحجاز منذ أيام عمر بن عبد العزيز وأقام عليها ثلاث سنين ثم حدثته نفسه خطبة فاطمة بنت الحسين فامتنعت فهددها بأن يجلد ابنها فى الخمر وهو عبد الله بن الحسن المثنى وكان على ديوان المدينة عامل من أهل الشام يسمى ابن هرمز ولما رفع حسابه وأراد السير الى يزيد جاء ليودع فاطمة فقالت اخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرض لى ثم بعث رسولها بكتابها الى يزيد يخبره وقدم ابن هرمز على يزيد فبينا هو يحدثه عن المدينة قال الحاجب بالباب رسول فاطمة بنت الحسين فذكر ابن هرمز ما حملته فنزل عن فراشه وقال عندك مثل هذا وما تخبرنى به فاعتذر بالنسيان فأدخل يزيد الرسول وقرأ الكتاب وجعل ينكث الارض بخيزرانة ويقول لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعنى صوته فى العذاب قيل له عبد الواحد بن عبد الله القسرى فكتب اليه بيده قد وليتك المدينة فانهض اليها واعزل ابن الضحاك وغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع وأنا على فراشى وجاء البريد بالكتاب اليه ولم يدخل على ابن الضحاك فأحضر البريد ودس اليه بألف دينار فأخبره الخبر فسار ابن الضحاك الى مسلمة بن عبد الملك واستجار به وسأل مسلمة فيه يزيد فقال والله لا أعفيه أبدا فرده مسلمة الى عبد الواحد بالمدينة فعذبه ولقى شرا ولبس جبة صوف يسأل الناس وكان قد آذى الانصار فذموه وكان قدوم القسرى فى شوال سنة أربع ومائة وأحسن السيرة فأحبه الناس وكان يستشير القاسم ابن محمد وسالم بن عبد الله

(عزل الحريشى وولاية مسلم الكلابى على خراسان)

كان سعيد الحريشى عاملا على خراسان لابن هبيرة كما ذكرنا وكان يستخف به ويكاتب الخليفة دونه ويكنيه أبا المثنى وبعث من عيونه من يأتيه بخبره فبلغه أعظم مما سمع فعزله وعذبه حتى أدى الاموال وعزم على قتله ثم كف عنه وولى ابن هبيرة على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى ولما جاء الى خراسان حبسه وقيده وعذبه كما قلنا

فلما هرب ابن هبيرة بعد ذلك عن العراق أرسل خالد القسرى فى طلبه الحريشى فأدركه على الفرات وقال لابن هبيرة ما ظنك بى قال انك لا تدفع رجلا من قومك الى رجل من قسر قال هو ذاك ثم انصرف وتركه

(وفاة يزيد وبيعة هشام)

ثم توفى يزيد بن عبد الملك فى شعبان سنة خمس ومائة لاربع سنين من خلافته وولى بعده أخوه هشام بعهده اليه بذلك كما مر وكان بحمص فجاءه الخبر بذلك فعزل عمر ابن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسرى فسار الى العراق من يومه

(غزو مسلم الترك)

غزا مسلم بن سعيد الترك سنة خمسة ومائة فعبر النهر وعاث فى بلادهم ولم يفتح شيأ وقفل فأتبعه الترك ولحقوه على النهر فعبر بالناس ولم ينالوا منه ثم غزا بقية السنة وحاصر افشين حتى صالحوه على ستة آلاف رأس ثم دفعوا اليه القلعة ثم غزا سنة ست ومائة وتباطأ عنه الناس وكان ممن تباطأ البخترى بن درهم فرد مسلم نصر بن سيار الى بلخ وأمره أن يخرج الناس اليه وعلى بلخ عمر بن قتيبة أخو مسلم فجاء نصر وأحرق باب البخترى وزياد بن طريف الباهلى ثم منعهم عمر من دخول بلخ وقد قطع سعيد النهر ونزل نصر بن سيار البروقان وأتاه جند الضلاضيان وتجمعت ربيعة والازد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر وخرجت مضر الى نصر وخرج عمر بن مسلم الى ربيعة والازد وتوافقوا وسفر الناس بينهما فى الصلح وانصرف نصر ثم حمل البخترى وعمر بن مسلم على نصر فكر عليهم فقتل منهم ثمانية عشر وهزمهم وأتى بعمر بن مسلم والبخترى وزياد ابن طريف فضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح وقيل ان سبب تعزير عمر بن مسلم انهزام تميم عنه وقيل انهزام ربيعة والازد ثم أمنهم نصر بعد ذلك وأمرهم أن يلحقوا بمسلم بن سعيد ولما قطع مسلم النهر ولحقه من لحق من أصحابه سار الى بخارى فلحقه بها كتاب خالد بن عبد الله القسرى بولايته وبأمره باتمام غزاته فسار الى فرغانة وبلغه ان خاقان قد أقبل اليه فارتحل ولحقه خاقان بعد ثلاثة مراحل لقى فيها طائفة من المسلمين فأصابهم ثم أطاف بالعسكر وقاتل المسلمين وقتل المسيب ابن بشر الرياحى والبراء من فرسان المهلب وأخو غورك وثار الناس فى وجوههم فأخرجوهم من العسكر ورحل مسلم بالناس ثمانية أيام والترك مطيفون بهم بعد أن أمر باحراق ما ثقل من الامتعة فأحرقوا ما قيمته ألف ألف وأصبحوا فى التاسع قريب النهر دونه أهل فرغانة والشاش فأمر مسلم الناس أن يخرطوا سيوفهم ويحملوا فافرج أهل فرغانة والشاش عن النهر ونزل مسلم بعسكره ثم عبر من الغد واتبعهم

ابن خاقان فكان حميد بن عبد الله على الساقة من وراء النهر وهو مثخن بالجراحة فبعث الى مسلم بالانتظار وعطف على الترك فقاتلهم وأسر قائدهم وقائد الصغد ثم أصابه سهم فمات وأتوا الخجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد واقيهم هنالك كتاب أسد ابن عبد الله القسرى أخى خالد بولايته على خراسان واستخلافه عبد الرحمن بن نعيم فقرأ مسلم الكتاب وقال سمعا وطاعة

(ولاية أسد القسرى على خراسان)

ولما غزا خالد بن عبد الله خراسان استخلف عليها أخاه أسد بن عبد الله فقدم ومسلم ابن سعيد بفرغانة فلما رجع وأتى النهر ليقطعه منعه الاشهب بن عبد الله التميمى وكان على السفن بآمد حتى عرفه أنه الامير فأذن له ثم عبر أسد النهر ونزل بالمرج وعلى سمرقند هانئ بن هانئ فخرج بالناس وتلقى أسدا وأدخله سمرقند وبعث أسد الى عبد الرحمن بن نعيم بالولاية على العسكر فقفل بالناس الى سمرقند ثم عزل أسدا عنها وولى مكانه الحسن بن أبى العمرطة الكندى ثم قدم مسلم بن سعيد بن عبد الله بخراسان فكان يكرمه ومر بابن هبيرة وهو يروم الهرب وأسلم على يديه ثم غزا الغور وهى جبال هراة فوضع أهلها أثقالهم فى الكهوف ولم يكن اليها طريق فاتخذ التوابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه ثم قطع كاق النهر وجاءه خاقان ولم يكن بينهما قتال وقيل عاد مهزوما من الجسر ثم سار الى ءوبرين وقاتلها وأبلى نصر بن سيار ومسلم بن أحوز وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم بما فيه

(ولاية أشرس على العراق)

كان أسد بن عبد الله فى ولايته على خراسان يتعصب حتى أفسد الناس وضرب نصر ابن سيار بالسياط وعبد الرحمن بن نعيم وسورة بن أبجر والبخترى بن أبى درهم وعامر ابن مالك الحمانى وحلقهم وسيرهم الى أخيه وكتب اليه انهم أرادوا الوثوب بى فلامه خالد وعنفه وقال هلا بعثت برؤسهم وخطب أسد يوما فلعن أهل خراسان فكتب هشام بن عبد الملك الى خالد اعزل أخاك فعزله فى رمضان سنة تسع وولى مكانه الحكم ابن عوانة الكلبى فقعد عن الصائفة تلك السنة فاستعمل هشام على خراسان أشرس ابن عبد الله السلمى وأمره أن يراجع خالدا فكان خيرا ففرح به أهل خراسان

(عزل أشرس)

أرسل أشرس الى سمرقند سنة عشر ومائة أبا الصيدا صالح بن طريف مولى بنى ضبة

والربيع بن عمران التميمى الى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية وعليها الحسن بن العمرطة الكندى على حربها وخراجها فدعاهم لذلك وأسلموا وكتب غورك الى الاشرس ان الخراج قد انكسر فكتب أشرس الى ابن العمرطة بلغنى ان أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وانما أسلموا نفورا من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه ثم عزل ابن العمرطة عن الخراج وولى عليها ابن هانئ ومنعهم أبو الصيدا أخذ الجزية ممن أسلم وكتب هانئ الى اشرس بأنهم أسلموا وبنوا المساجد فكتب اليه والى العمال أن يعيدوا الجزية على من كانت عليه ولو أسلم فامتنعوا واعتزلوا فى سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند وخرج معهم أبو الصيدا وربيع بن عمران والهيثم الشيبانى وأبو فاطمة الازدى وعامر بن قشير وبشير الجحدرى وبيان العنبرى واسمعيل بن عقبة لينصروهم وبلغ الخبر الى أشرس فعزل ابن العمرطة عن الحرب وولى مكانه المجشر ابن مزاحم السلمى وعميرة بن سعد الشيبانى فكتب المجشر الى أبى الصيدا يستقدمه هو وأصحابه فقدم ومعه ثابت قطنة فحبسهما وسيرهما الى أشرس واجتمع الباقون وولوا عليهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئا فكتب أشرس ووضع عنهم الخراج فرجعوا وضعف أمرهم وتتبعوا فحبسوا كلهم وألح هانئ فى الخراج واستخف بفعل العجم والدهاقين وأقيموا فى العقوبات وحرقت ثيابهم وألقيت مناطقهم فى أعناقهم وأخذت الجزية ممن أسلم فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا بالترك وخرج أشرس غازيا فنزل آمد وأقام أشهرا وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فى عشرة آلاف فعبر النهر ولقى الترك وأهل الصغد وبخارى ومعهم خاقان فحصروا قطنا فى خندقه وأغار الترك على سرح المسلمين وأطلق أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود ابن عمرو بعثه معه فى خيل فاستنقذه من أيدى الترك ما أخذوه ثم عبر أشرس بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا أمامهم وسار أشرس بالناس حتى جاء بيكند فحاصرها المسلمون وقطع أهل البلد عنهم الماء وأصابهم العطش فرحلوا الى المدينة واعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالا شديدا وأبلى الحرث بن شريح وقطن بن قتيبة بلاء شديدا وأزالوا الترك عن الماء فقتل يومئذ ثابت قطنة وصخر بن مسلم بن النعمان العبدى وعبد الملك بن دثار الباهلى وغيرهم وحمل قطن بن قتيبة فى جماعة تعاقدوا على الموت فانهزم العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم الى الليل ثم رجع أشرس الى بخارى وجهز عليها عسكرا يحاصرونها وعليهم الحرث بن شريح الازدى ثم حاصر خاقان مدينة كرجة من خراسان وبها جمع من المسلمين وقطعوا القنطرة

وأتاهم ابن جسر وابن يزدجرد وقال ان خاقان جائر على منكبي وأنا آخذ
لكم الامان فشتموه وأتاهم بزغرى في مائتين وكان داهية وكان خاقان لايخالفه
فطلب رجلا يكلمه فجاءه يزيد بن سعد الباهلي فرغبه باضعاف العطاء والاحسان
على النزول ويسيرون معهم فلاطفه ورجع الى أصحابه وقال هؤلاء يدعونكم لقتال
المسلمين فأبوا وأمر خاقان فألقى الحطب الرطب في الخندق ليقطعه وألقى المسلمون
اليها ثم ليأكلوها ويحشوا جلودها ترابا ويعلوا بها الخندق وأرسل الله سبحانه
سحابة فاحتمل السيل ما في الخندق الى النهر الاعظم ورمى المسلمون بالسهام فأصيب
بزغرى بسهم ومات من ليلته فقتلوا جميع من عندهم من الاسرى والرهن ولم يزالوا
كذلك حتى نزلت جيوش المسلمين فرغانة فجردوا عليهم واشتد قتالهم وصالحهم
المسلمون على أن يسلموا اليهم كرجة ويرحلوا عليها الى سمرقند والدنوسية وتراهنوا
على ذلك وتأخر خاقان حتى يخرجوا وخلف معهم كورصول ليبلغهم الى مأمنهم
فارتحلوا حتى بلغوا الدنوسية وأطلقوا الرهن وكان مدة الحصار ستين يوما

(عزل أشرس عن خراسان وولاية الجنيد)

وفي سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان وولى مكانه
الجنيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري أهدى الى
أم حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جواهر فأعجبت هشاما فاهدى له
أخرى مثلها فولاه خراسان وحمله على البريد فقدم خراسان في خمسمائة ووجد الخطاب
ابن محرز السلمي خليفة أشرس على خراسان فسار الجنيد الى ماوراء النهر ومعه
الخطاب واستخلف على مرو المجشر بن مزاحم السلمي وعلى بلخ سورة بن أبجر التميمي
وبعث الى أشرس وهو يقاتل أهل بخارى والصغد أن يبعث اليه بسرية مخافة
أن يعترضه العدو فبعث اليه أشرس عامر بن مالك الحماني فعرض له الترك والصغد
فقاتلوهم ثم استداروا وراء معسكر الترك وحمل المسلمون عليهم من أمامهم فانهزم
الترك ولحق عامر بالجنيد فأقبل معه وعلى مقدمته عمارة بن حزيم واعترضه الترك
فهزمهم وزحف اليه خاقان بنواحي سمرقند وقطن بن قتيبة على ساقته فهزم خاقان
وأسر ابن أخيه وبعث به الى هشام ورجع الى مرو ظافرا واستعمل قطن بن قتيبة
على بخارى والوليد بن القعقاع العبسي على هراة وحبيب بن مرة العبسي على شرطته
ومسلم بن عبد الرحمن الباهلي على بلخ وعليها نصر بن سيار فبعث مسلم الى نصر وجيء به
في قميص دون سراويل فقال شيخ مضر جئتم به على هذه الحالة فعزل الجنيد مسلما عن
بلخ وأوفد وفدا الى هشام بخبر غزاته

(مقتل الجراح الحكمي)

قد كان تقدم لنا دخوله الى بلاد الخزر سنة أربع ومائة وانهزامهم أمامه وانه أثخن
فيهم وملك بلنجر وردها على صاحبها وأدركه الشتاء فأقام هنالك وان هشاما أقره على
عمله ثم ولاه أرمينية فدخل بلاد التركمان من ناحية تفليس سنة احدى عشرة ففتح
مدينتهم البيضاء وانصرف ظافرا فاجتمع الخزر والترك من ناحية اللان وزحف اليهم
الجراح سنة اثنتي عشرة ولقيهم بمرج اردبيل فاقتتلوا أشد قتال وتكاثر العدو عليه
فاستشهد ومن معه وقد كان استخلف أخاه الحجاج على أرمينية ولما قتل طمع الخزر وهم
التركمان وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل وقيل كان قتله ببلنجر ولما بلغ الخبر
هشاما دعا سعيدا الحريشي فقال بلغني أن الجراح انهزم قال الجراح اعرف بالله من أن
ينهزم ولكن قتل فابعثني على أربعين من دواب البريد وابعث الى كل يوم أربعين
رجلا مددا واكتب الى أمراء الاجناد يواسوني ففعل وسار الحريشي فلا يمر بمدينة
الا ويستنهض أهلها فيجيبه من أراد الجهاد ووصل مدينة أزور فلقيه جماعة من
أصحاب الجراح فردهم معه ووصل الى خلاط فحاصرها وفتحها وقسم غنائمها ثم سار
عنها يفتح القلاع والحصون الى بروعة فنزلها وابن خاقان يومئذ باذربيجان يحاصر مدينة
ورثان منها ويعيث في نواحيها وبعث الحريشي الى أهل ورثان يخبرهم بوصوله فأخرج
العدو عنهم ووصل اليهم الحريشي ثم اتبع العدو الى أردبيل وجاءه بعض عيونه بان
عشرة آلاف من عسكرهم على أربعة فراسخ منه ومعهم خمسة آلاف بيت من
المسلمين أسارى وسبايا فبيتهم وقتلهم أجمعين ولم ينج منهم أحد واستنقذ المسلمين منهم
وسار الى باجروان فجاءه عين آخر ودله على جمع منهم فسار اليهم واستلحمهم أجمعين
واستنقذ من معهم من المسلمين وكان فيهم أهل الجراح وولده فحملهم الى باجروان
ثم زحف اليهم جموع الخزر مع ابن ملكهم والتقوا بأرض زرند واشتد القتال والسبي
من معسكر الكفار فبكى المسلمون رحمة لهم وصدقوا الحملة فانهزم الكفار واتبعهم
المسلمون الى نهر ارس وغنموا ما كان معهم من الاموال واستنقذوا الاسرى والسبايا
وحملوهم الى باجروان ثم تناصر الخزر في ملكهم ورجعوا فنزلوا نهر البيلقان
واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزموا فكان من غرق أكثر ممن قتل وجمع الحريشي الغنائم
وعاد الى باجروان فقسمها وكتب الى هشام بالفتح واستقدمه وولى أخاه مسلمة على
أرمينية واذربيجان

(وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان)

وخرج الجنيد سنة اثنتي عشرة ومائة من خراسان غازيا الى طخارستان وبعث اليها عمارة

ابن حزيم فى ثمانية عشر ألفا وبعث ابراهيم بن سام الليثى فى عشرة آلاف الى وجه آخر
وجاشت الترك وزحف بهم خاقان الى سمرقند وعليها سورة بن أبجر فكتب الى الهند
مستغيثا فأمر الجنيد بعبور النهر فقال له المجشر بن مزاحم السلمى وابن بسطام
الازدى ان الترك ليسوا كغيرهم وقد مزقت جندك فسلم ابن عبد الرحمن بالنراود
والبخترى بهراة وعمارة بن حزيم بطخارستان ولا تعبر النهر فى أقل من خمسين ألفا
فاستقدم عمارة وأمهل فقال أخى على سورة وعبر الجنيد فنزل كش وتأهب للسير
وغور الترك الآبار فى طريق كش وسار الجنيد على التعبية واعترضه خاقان ومعه أهل
الصغد وفرغانة والشاش وحملوا على مقدمته وعليها عثمان بن عبد الله بن الشخير
فرجعوا والترك فى أتباعهم ثم حملوا على المدينة وأمدهم الجنيد بنصر بن سيار وشدوا
على العدو وقتل أعيانا منهم وأقبل الجنيد على الميمنة وأقبل تحت راية الازد فقال له
صاحب الراية ما قصدت كرامتنا لكن علمت انا لا نصل اليك ومنا عين تطرف فصبروا
وقاتلوا حتى كلت سيوفهم وقطع عبيدهم الخشب فقاتلوا بها حتى أدركهم الملل
وتعانقوا ثم تحاجزوا وهلك من الازد فى ذلك المعترك نحو من ثمانين فيهم عبد الله بن
بسطام ومحمد بن عبد الله بن جودان والحسين بن شيخ ويزيد بن المفضل الحرانى وبين
الناس كذلك اذ طلعت أوائل عسكر خاقان فنادى منادى الجنيد بالنزول فترجلوا
وخندق كل كائن على رجاله وقصد خاقان جهة بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحرث
فحملت بكر عليهم فأفرجوا واشتد القتال وأشار أصحاب الجنيد عليه بأن يبعث الى
سورة بن أبجر من سمرقند ليستقدم الترك اليه ليكون لهم شغل به عن الجنيد وأصحابه
فكتب يستقدمه فاعتذر فأعاد عليه وتهدده وقال اخرج وسر مع النهر لا تفارقه فلما
خرج هو استبعد طريق النهر واستخلف على سمرقند موسى بن أسود الحنظلى وسار مجد
فى اثنى عشر ألفا حتى اذا بقى بينه وبين الجنيد وعساكره فرسخ لقيه خاقان عند الصباح
وحال بينهم وبين الماء واضرم النار فى اليبس حواليهم فاستماتوا وحملوا وانكشفت الترك
وأظلم الجو بالعجاج وكان من وراء الترك لهب سقط فيه جميع العدو والمسلمون وسقط
سورة فاندقت فخذه ثم عطف الترك فقتلوا المسلمين ولم يبق منهم الا القليل وانحاش
بالناس المهلب بن زياد والعجمى فى ستمائة أو ألف ومعه قريش بن عبد الله العبدى الى
رستاق المرغاب وقاتلوا بعض قصوره فأصيب المهلب وولوا عليهم الرحب بن خالد
وجاءهم الاسكند صاحب نسف وغورك ملك الصغد فنزلوا معه الى خاقان فلم يجز أمان
غورك وقتلهم ولم ينج منهم ثم خرج الجنيد من الشعب قاصدا سمرقند وأشار عليه مجشر
ابن مزاحم بالنزول فنزل ووافقته جموع الترك فجال الناس جولة وصبر المسلمون وقاتل

العبيد وانهزم العدو ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل العيالات الى مرو وأقام بالصغد
أربعة أشهر وكان صاحب الرأى بخراسان فى الحرب المجشر بن مزاحم السلمى وعبد
الرحمن بن صبح المخزومى وعبيد الله بن حبيب الهجرى ولما انصرفت الترك بعث الجنيد
نهار بن توسعة بن تيم الله وزميل بن سويد بن شيم بالخبر وتحامل فيه على سورة بن أبجر
بما عصاه من مفارقة النهر حتى نال العدو منه فكتب اليه هشام قد بعثت اليك من المدد
عشرة آلاف من البصرة ومثلها من الكوفة وثلاثون ألف رمح ومثلها سيفا وأقام
الجنيد بسمرقند وسار خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف عليه من
الترك واستشار عبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم بعد ان اختلف عليه أصحابه
فاشترط عليه أن لا يخالفه فأشار بحمل العيالات من سمرقند فقدمهم واستخلف
بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير فى أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ووفر
أعطياتهم وسار العيالات فى مقدمته حتى   من الضيق ودنا من
الطواويس فأقبل اليه خاقان بكرمينية أول رمضان سنة اثنتى عشرة واقتتلوا قليلا
ثم رجع الترك وارتحل من الغد فاعترضه الترك ثانيا وقتل مسلم بن أحوز بعض عظمائهم
فرجعوا من الطواويس ثم دخل الجنيد بالمسلمين بخارى وقدمت الجنود من البصرة
والكوفة فسرح الجنيد معهم حورثة بن زيد العنبرى فيمن انتدب معه

بياض بالاصل

(ولاية عاصم على خراسان وعزل الجنيد)

بلغ هشاما سنة ست عشرة أن الجنيد بن عبد الرحمن عامل خراسان تزوج بنت يزيد بن
المهلب فغضب لذلك وعزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى وكان الجنيد
قد مرض بالاستسقاء فقال هشام لعاصم ان أدركته وبه رمق فأزهق نفسه فلما قدم
عاصم وجده قد مات وكانت بينهما عداوة فحبس عمارة بن حزيم وكان الجنيد استخلفه
وهو ابن عذبة فعذبه عاصم وعذب عمال الجنيد

(ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان)

لما عاد مسلمة من غزو الخزر وهم التركمان الى بلاد المسلمين وكان فى عسكره مروان بن
محمد بن مروان فخرج مختفيا عنه الى هشام وشكا اليه من مسلمة وتخاذله عن الغزو وما
أدخل بذلك على المسلمين من الوهم وبعث الى العدو بالحرب وأقام شهرا حتى استعدوا
وحشدوا ودخل بلادهم فلم يكن له فيهم نكاية وقصد أراد السلامة ورغب اليه
بالغزو اليهم لينتقم منهم وأن يمده بمائة وعشرين ألف مقاتل ويكتم عليه فأجابه لذلك
وولاه على أرمينية فسار اليها وجاءه المدد من الشأم والعراق والجزيرة فاظهر انه
يريد غزو اللان وبعث الى ملك الخزر فى المهادنة فأجاب وأرسل رسله لتقرير الصلح

فأمسكهم مروان الى أن تجهزوودّعهم وسار على أقرب الطرق فوافاهم ورأى ملك الخزر أنّ اللقاء على تلك الحال غرر فتأخر الى أقصى بلاده ودخل مروان فأوغل فيها وخرب وغنم وسبى الى آخرها ودخل بلاد ملك السرير وفتح قلاعها وصالحوه على ألف رأس نصفها غلمان ونصفها جوارى ومائة ألف مدتحمل الى الباب وصالحه أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مد ثم دخل أرض وردكران فصالحوه ثم أتى حمرين وافتتح حصنهم ثم أتى سبدان فافتتحها صلحا ثم نزل صاحب اللكز فى قلعته وقد امتنع من أداء الوظيفة فخرج يريد ملك الخزر فأصيب بسهم ومات وصالح أهل اللكز مروان وأدخل عامله وسار مروان الى قلعة سروان فأطاعوا وسار الى الرودانية فأوقع بهم ورجع

(خلع الحرث بن شريح بخراسان)

كان الحرث هذا عظيم الازد بخراسان فخلع سنة ست عشرة ولبس السواد ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا على ما كان عليه دعاة بنى العباس هنالك وأقبل الى الغاريات وجاءته رسل عاصم مقاتل بن حيان النبطى والخطاب بن محرز السلمى فحبسهما وفرّوا من السجن الى عاصم بدم الحرث وغدره وسار الحرث من الغاريات الى بلخ وعليها نصر بن سيار والتجيبى فلقياه فى عشرة آلاف وهو فى أربعة فهزمهم وملك بلخ واستعمل عليها سليمان بن عبد الله بن حازم وسار الى الجوزجان ثم سار الى مرو ونمى الى عاصم انّ أهل مرو يكاتبونه فاستوثق منهم بالقسامة وخرج عليها وعسكر قريبا من مرو وقطع الجسور وأقبل الحرث فى ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم ودهاقين الجوزجان والغاريات وملك الطالقان وأصلحوا القناطر ثم نزع محمد بن المثنى فى ألفين من الازد وحماد بن عامر الحمانى فى مثلها من بنى تميم الى عاصم ولحقوا به ثم اقتتلوا فانهزم الحرث وغرق كثير من أصحابه فى نهر مرو وقتلوا قتلا ذريعا وكان ممن غرق حازم ولما قطع الحرث نهر مرو ضرب رواقه واجتمع اليه بها ثلاثة آلاف فارس وكف عاصم عنهم

(ولاية أسد القسرى الثانية بخراسان)

كتب عاصم الى هشام سنة سبع عشرة أنّ خراسان لا تصلح الا أن تضم الى العراق ليكون مددها قريب الغوث فضم هشام خراسان الى خالد بن عبد الله القسرى وكتب اليه ابعث أخاك يصلح ما أفسد فبعث خالد أخاه أسدا فسار على مقدمته محمد بن مالك الهمدانى (ولما بلغ عاصم) الخبر زاود الحرث بن شريح على الصلح وأن يكتبا جميعا الى هشام يسألانه الكتاب والسنة فان أبى اجتمعا وأبى بعض أهل خراسان ذلك

فانتقض بينهما واقتتلا فانهزم الحرث وأسر من أصحابه كثير قتلهم عاصم وبعث بالفتح الى هشام مع محمد بن مسلم العنبرى فلقيه أسد بالرى وجاء الى خراسان فبعث عاصما وطلبه بمائة ألف درهم وأطلق عمارة بن حزيم وعمال الجنيد ولم يكن لعاصم بخراسان الا مرو ونيسابور وكانت مرو الروذ للحرث وواصل لخالد بن عبيد الله الهجرى على مثل رأى الحرث فبعث أسد عبد الرحمن بن نعيم فى أهل الكوفة والشأم الى الحرث وسار هو بالناس الى آمد فخرج اليه زياد القرشى مولى حيان النبطى فى العسكر فهزمهم أسد وحاصرهم حتى سألوا الامان واستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى وسار الى بلخ وقد بايعوا سليمان بن عبد الله بن حازم فسار حتى قدمها ثم سار منها الى ترمذ والحرث محاصر لهما وأعجزه وصول المدد اليها فخرج الى بلخ وخرج أهل ترمذ فهزموا الحرث وقتلوا أكثر أصحابه ثم سار أسد الى سمرقند ومرّ بحصن زمّ وبه أصحاب الحرث فبعث اليهم وقال انما أنكرتم منا سوء السيرة ولم يبلغ ذلك النساء واستحلال الفروج ولا مظاهرة المشركين على مثل سمرقند وأعطاه الامان على تسليم سمرقند وهدده ان قاتل بأنه لا يؤمنه أبدا فخرج الى الامان وسار معه الى سمرقند فانزلهم على الامان ثم رجع أسد الى بلخ وسرح جديعا الكرمانى الى القلعة التى فيها ثقل الحرث وأصحابه فى طخارستان فحاصرها وفتحها وقتل مقاتلهم ومنهم بنو برزى من ثعلب أصحاب الحرث وباع سبيهم فى سوق بلخ وانتقض على الحرث أربعمائة وخمسون من أصحابه بالقلعة ورئيسهم جرير ابن ميمون القاضى فقال لهم الحرث ان كنتم مفارقىّ ولا بدّ فاطلبوا الامان وان طلبتموه بعد رحيلى لا يعطونه لكم فأبوا الا ان ارتحل فبعثوا بالامان فلم يجبهم اليه وسرح جديعة الكرمانى فى ستة آلاف فحصرهم حتى نزلوا على حكمه وحمل خمسين منهم الى أسد فيهم ابن ميمون القاضى فقتلهم وكتب الى الكرمانى باهلاك الباقين واتخذ أسد مدينة بلخ دارا ونقل اليها الدواوين ثم غزا طخارستان وأرض حبونة فغنم وسبى

(مقتل خاقان)

ولما كانت سنة تسع عشرة غزا أسد بن عبد الله بلاد الختل ففتح منها قلاعا وامتلأت أيدى العسكر من السبى والشاء وكتب ابن السائحى صاحب البلاد يستجيش خاقان على العرب ويضعفهم له فتجهز وخفف من الازودة استعجالا للعرب فلما أحس به ابن السائحى بعث بالنذير الى أسد فلم يصدّقه فأعاد عليه انى الذى استمددت خاقان لانك معرت البلاد ولا أريد أن يظفر بك خشية من معاداة العرب واستطالة خاقان علىّ فصدّقه حينئذ أسد وبعث الاثقال مع ابراهيم بن عاصم العقيلى الذى كان ولى

سجستان وبعث معه المشيخة كثير بن أمية وأبا سفيان بن كثير الخزاعى وفضيل بن
حيان المهرى وغيرهم وأمدهما بجند آخر وجاء فى أثرهم فانتهى الى نهر بلخ وقد قطعه
ابراهيم بن عاصم بالسبى والاثقال فخاض النهر من ثلاثة وعشرين موضعا وحمل
الناس شياههم حتى حمل هو شاة فما استكمل العبور حتى طلعت عليهم الترك وعلى
المسلحة الازد وتميم فحمل خاقان عليهم فانكشفوا فرجع أسد الى عسكره وخندق
وظنوا أن خاقان لا يقطع النهر فقطع النهر اليهم وقاتله المسلمون فى معسكرهم وباتوا
والترك محيطون بهم فلما أصبحوا لم يروا منهم أحدا فعلموا أنهم اتبعوا الاثقال والسبى
واستعلموا علمها من الطلائع فشاور أسد الناس فأشاروا بالمقام وأشار نصر بن سيار
باتباعهم يخلص الاثقال ويقطع شقة لا بد من قطعها فوافقه أسد وطير النذر الى
ابراهيم بن عاصم وصبح خاقان للاثقال وقد خندقوا عليهم فأمر أهل الصغد بقتالهم
فهزمتهم مسلحة المسلمين فصعد على تل حتى رأى المسلمين من خلفهم وأمر الترك أن
يأتوهم من هنالك ففعلوا وخالطوهم فى معسكرهم وقتلوا صاغان خذاه وأصحابه وأحسوا
بالهلاك واذا بالغبار قد رهج والترك يتنحون قليلا قليلا وجاء أسد ووقف على التل الذى
كان عليه خاقان وخرج اليه بقية الناس وجاءته امرأة صاغان خذاه معولة فأعول
معها ومضى خاقان يقود أسرى المسلمين فى الآفاق ويسوق الابل الموقورة والجوارى
وأراد أهل العسكر قتالهم فمنعهم أسد ونادى رجل من عسكر خاقان وهو من أصحاب
الحرث بن شريح يعير أسدا ويحرضه ويقول قد كان لك عن الختل مندوحة وهى أرض
آبائى وأجدادى قد كان ما رأيت ولعل الله ينتقم منك ومضى أسد الى بلخ فعسكر
فى مرجها حتى جاء الشتاء فدخل البلد وشتى فيها وكان الحرث بن شريح بناحية
طخارستان فانضم الى خاقان وأغراه بغزو خراسان وزحفوا الى بلخ وخرج أسد يوم
الاضحى فخطب الناس وعرفهم بأن الحرث بن شريح استجلب الطاغية ليطفئ نور الله
ويبدل دينهم وحرضهم على الاستنصار بالله وقال أقرب ما يكون العبد لله ساجدا
ثم سجد وسجد الناس وأخلصوا الدعاء وخرج للقائهم وقد استمد خاقان من وراء
النهر وأهل طخارستان وجبونة فى ثلاثين ألفا وجاء الخبر الى أسد وأشار بعض الناس
بالتحصن منهم بمدينة بلخ واستمد خالد وهشام وأبى الاسد الا اللقاء فخرج واستخلف
على بلخ الكرمانى بن على وعهد اليه انه لا يدع أحدا يخرج من المدينة واعتزم نصر بن
سيار والقاسم بن نجيب وغيرهم على الخروج فأذن لهم وصلى بالناس ركعتين وطول
ثم دعا وأمر الناس بالدعاء ونزل من وراء القنطرة ينتظر من تخلف ثم بدا له وارتحل فلقى
طليعة خاقان وأسر قائدهم وسار حتى نزل على فرسخين من الجوزجان ثم أصبحوا وقد

تراءى الجمعان وأنزل أسد الناس ثم تهيأ للحرب ومعه الجوزجان اه وحملت الترك
على الميسرة فانهزموا الى رواق أسد فشدت عليهم الاسد وبنو تميم والجوزجان من
الميمنة فانكشفوا الى خاقان وقد انهزم والحرث معه واتبعهم الناس ثلاثة فراسخ
يقتلونهم واستاقوا مائة وخمسين ألفا من الشاء ودواب كثيرة وسلك خاقان غير الجادة
والحرث بن شريح ولقيهم أسد عند الطريقة وسلك الجوزجان بعثمان بن
عبد الله بن الشخير طريقا يعرفها حتى نزلوا على خاقان وهو آمن فتركوا الابنية
والقدور تغلى ونساء العرب والموالى والعسكر مشحون من آنية الفضة وركب خاقان
والحرث يمانع عنه وأعجلوا امرأة خاقان عن الركوب فقتلها الخصى الموكل بها
وبعث أسد بجوار الترك دهاقين خراسان يفادون بها أسراهم وأقام خمسة أيام
وانصرف الى بلخ لتاسعة من خروجه ونزل الجوزجان وخاقان هارب امامه وانتهى
خاقان الى جونة الطخارى فنزل عليه وانصرف أسد الى بلخ وأقام خاقان عند
جونة حتى أصلح آلته وسار وسبيه بها فأخذه جدكاوش أبو فشين فأهدى
اليه وأتحفه وحمل أصحابه يتخذ بذلك عنده يدا ثم وصل خاقان بلاده وأخذ فى
الاستعداد فى الحرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحرث وابن شريح وأصحابه على خمسة
آلاف برذون ولاعب خاقان بالنرد كورصول يوما فغمزه كورصول فأنف وتشاجر
فصك كورصول يد خاقان فحلف خاقان ليكسرن يده فتنحى وجمع ثم بيت خاقان فقتله
وافترق الترك وجلوه وتركوه بالعراء فحمله بعض عظمائهم ودفنه وكان أسد بعث بالفتح
من بلخ الى خالد بن عبد الله فأخبره وبعث به الى هشام فلم يصدقه ثم بعده القاسم بن
نجيب بقتل خاقان فحنث قيس أسدا وخالدا وقالوا لهشام استقدم مقاتل بن حيان
فكتب بذلك الى خالد فأرسل الى أسد أن يبعث به فقدم على هشام والابرش وزيره جالس
عنده فقص عليه الخبر فسر بذلك وقال لمقاتل ما حاجتك قال يزيد بن المهلب أخذ من
حيان أبى مائة ألف درهم بغير حق فأمر بردها عليه فاستحلفه وكتب له بردها وقسمها
مقاتل بين ورثة حيان ثم غزا أسد الختل بعد مقتل خاقان وقدم مصعب بن عمر الخزاعى
اليها فسار الى حصن بدر طرخان فاستأمن له أن يلقى أسدا فأمنه وبعث الى أسد
فسأل أن يقبل منه ألف درهم وراوده على ذلك فأبى أسد ورده الى مصعب ليرده الى
حصنه فقال له مسلمة بن أبى عبد الله وهو من الموالى أن أمير المؤمنين سيندم على حبسه
ثم أقبل أسد بالناس ووعد له المجشر بن مزاحم بدر طرخان أو قبول ما عرض فندم أسد
وأرسل الى مصعب يسأل عنه فوجده مقيما عند مسلمة فجىء به وقطعت يده ثم أمر
رجلا من الازد كان بدر طرخان قتل أباه فضرب عنقه وغلب على القلعة وبعث

بياض بالاصل

العساكر فى بلاد الختل فامتلأت أيديهم من الغنائم والسبى وامتنع ولد بدرطرخان وأمواله فى قلعة فوق بلدهم صغيرة فلم يوصل اليهم

(وفاة أسد)

وفى ربيع الاول سنة عشرين توفى ابن عبد الله القسرى بمدينة بلخ واستخلف جعفر ابن حنظلة النهروانى فعمل أربعة أشهر ثم جاء عهد نصر بن سيار بالعمل فى رجب

(ولاية يوسف بن عمر الثقفى على العراق وعزل خالد)

وفى هذه السنة عزل هشام خالدا عن أعماله جميعها بسعاية أبى المثنى وحسان النبطى وكانا يتوليان ضياع هشام بالعراق فثقلا على خالد وأمر الاشدق بالنهوض على الضياع وانهى ذلك حسان بعد أبى المثنى وأن غلته فى السنة ثلاثة عشر ألف ألف فوقرت فى نفس هشام وأشار عليه بلال بن أبى بردة والعريان بن الهيثم أن يعرض أملاكه على هشام ويضمنون له الرضا فلم يجبهم ثم شكا من خالد بعض آل عمر والاشدق بأنه أغلظ له فى القول بمجلسه فكتب اليه هشام يوبخه ويأمره بأن يمشى ساعيا على قدميه الى بابه ويترضاه ونميت عنه من هذا أقوال كثيرة وأنه يستقل ولاية العراق فكتب اليه هشام يا ابن أم خالد بلغنى أنك تقول ما ولاية العراق لى بشرف يا ابن اللخناء كيف لا تكون امرة العراق لك شرفا وأنت من بجيلة القليلة الذليلة أما والله انى لاظن أن أول من يأتيك صقر من قريش يشد يديك الى عنقك ثم كتب الى يوسف ابن عمر الثقفى وهو باليمن يأمره أن يقدم فى ثلاثين من أصحابه الى العراق فقد ولاه ذلك فسار الى الكوفة ونزل قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده وأهدى اليه وصيفا ووصيفة سوى الاموال والثياب ومر يوسف وأصحابه ببعض أهل العراق فسألوهم فعرضوا وظنوهم خوارج وركب يوسف الى دور ثقيف فكتموا ثم جمع يوسف بالمسجد من كان هنالك من مضر ودخل مع الفجر فصلى وأرسل الى خالد وطارق فأخذهما وقيل ان خالدا كان بواسط وكتب اليه بالخبر بعض أصحابه من دمشق فركب الى خالد وأخبره بالخبر وقال اركب الى أمير المؤمنين واعتذر اليه قال لا أفعل بغير اذن قال فترسلنى أستأذنه قال لا قال فاضمن له جميع ما انكسر فى هذه السنين وآتيك بعهده وهى مائة ألف ألف قال والله ما أجد عشرة آلاف ألف قال أتحملها أنا وفلان وفلان قال لا أعطى شيأ وأعود فيه فقال طارق انما نقيك ونقى أنفسنا بأموالنا ونستبقى الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجىء من يطالبنا بالاموال وهى عند الكوفة فنقتل ويأكلون الاموال فأبى خالد من ذلك كله فودعه طارق ومضى وبكى ورجع الى الكوفة وخرج خالد الى الحمة وجاء كتاب هشام بخطه الى

يوسف بولاية العراق وأن يأخذ ابن النصرانية يعنى خالدا وعماله فيعذبهم فأخذ الاولاد وسار من يومه واستخلف على اليمن ابنه الصلت وقدم فى جمادى الاخيرة سنة عشرين ومائة فنزل النجف وأرسل مولى كيسان فجاء بطارق ولقيه بالحيرة فضربه ضربا مبرحا ودخل الكوفة وبعث عثمان عطاء بن مقدم الى خالد بالحمة فقدم عليه وحبسه وصالحه عنه ابان بن الوليد وأصحابه على سبعة آلاف ألف وقيل أخذ منه مائة ألف وكانت ولايته العراق خمس عشرة سنة ولما ولى يوسف نزلت الذلة بالعراق فى العرب وصار الحكم فيه الى أهل الذمة

(ولاية نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصغد)

ولما مات أسد بن عبد الله ولى هشام على خراسان نصر بن سيار وبعث اليه عهده على عبد الكريم بن سليط الحنفى وقد كان جعفر بن حنظلة لما استخلفه أسد عند موته عرض على نصر أن يوليه بخارى فقال له البخترى بن مجاهد مولى بنى شيبان لا تقبل فانك شيخ مضر بخراسان وكان عهدك قد جاء على خراسان كلها فكان كذلك ولما ولى نصر استعمل على بلخ مسلم بن عبد الرحمن وعلى مرو الروذ وشاح بن بكير بن وشاح وعلى هراة الحرث بن عبد الله بن الحشرج وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القسرى وعلى خوارزم أبا حفص على بن حقنة وعلى الصغد قطن بن قتيبة وبقى أربع سنين لا يستعمل فى خراسان الا مضريا فعمرت عمارة لم تعمر مثلها وأحسن الولاية والجباية وكان وصول العهد اليه بالولاية فى رجب سنة عشرين فغزا غزوات أولها الى ماوراء النهر من نحو باب الحديد وسار اليها من بلخ ورجع الى مرو فوضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة وجعلها على من كان يخفف عنه منهم وانتهى عددهم ثلاثين ألفا من الصنفين وضعت عن هؤلاء وجعلت على هؤلاء ثم غزا الثانية الى سمرقند ثم الثالثة الى الشاش سار اليها من مرو ومعه ملك بخارى وأهل سمرقند وكش ونسف فى عشرين ألفا وجاء الى نهر الشاش فحال بينه وبين عبوره كورصول عسكر نصر فى ليلة ظلماء ونادى نصر لا يخرج أحد وخرج عاصم بن عمير فى جند سمرقند فجاولته خيل الترك ليلا وفيهم كورصول فأسره عاصم وجاء به الى نصر فقتله وصلبه على شاطئ النهر فحزنت الترك لقتله وأحرقوا أبنيته وقطعوا آذانهم وشعورهم وأذناب خيولهم وأمر نصر باحراق عظامه لئلا يحملوها بعد رجوعه ثم سار الى فرغانة فسبى منها ألف رأس وكتب اليه يوسف بن عمران ليسير الى الحرث بن شريح فى الشاش ويخرب بلادهم ويسبيهم فسار لذلك وجعل على مقدمته يحيى بن حصين وجاء بهم الى الحرث وقاتلهم وقتل عظيما من عظماء الترك وانهزموا وجاء ملك الشاش فى الصلح والهدنة والرهن واشترط نصر

عليه اخراج الحرث بن شريح من بلده فأخرجه الى فاراب واستعمل على الشاش نيزل
ابن صالح مولى عمرو بن العاصى ثم سار الى أرض فرغانة وبعث أمه فى اتمام الصلح
فجاءت لذلك وأكرمها نصر وعقد لها ورجعت وكان الصغد لما قتل خاقان طمعوا
فى الرجعة الى بلادهم فلما ولى نصر بعث اليهم فى ذلك وأعطوه ما سألوه من الشروط
وكان أهل خراسان قد نكروا شروطهم وكان منها أن لا يعاقب من ارتد عن الاسلام
اليهم ولا يؤخذ منهم أسرى الابينة وحكم وعاب الناس ذلك على نصر لما أمضاه لهم
فقال لو عاينتم شكوتهم فى المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم وأرسل الى هشام فى ذلك
فأمضاه وذلك سنة ثلاث وعشرين

(ظهور زيد بن على ومقتله)

ظهر زيد بن على بالكوفة خارجا على هشام داعيا للكتاب والسنة والى جهاد الظالمين
والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين والعدل فى قسمة الفىء ورد المظالم وأفعال
الخير ونصر أهل البيت واختلف فى سبب خروجه فقيل ان يوسف بن عمر لما كتب
فى خالد القسرى كتب الى هشام انه شيعة لاهل البيت وانه ابتاع من زيد أرضا بالمدينة
بعشرة آلاف دينار ورد عليه الامن وانه أودع زيدا وأصحابه الوافدين عليه مالا
فكان زيد قد قدم على خالد بالعراق هو ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب وداود بن على
ابن عبد الله بن عباس فأجازهم ورجعوا الى المدينة فبعث هشام عنهم وسألهم فأقروا
بالجائزة وحلفوا على ما سوى ذلك وان خالدا لم يودعهم شيأ فصدقهم هشام وبعثهم
الى يوسف فقاتلوا خالدا وصدقهم الآخر وعادوا الى المدينة ونزلوا القادسية وراسل
أهل الكوفة زيدا فعاد اليهم وقيل فى سبب ذلك ان زيدا اختصم مع ابن عمه جعفر
ابن الحسن المثنى فى وقف على ثم مات جعفر فخاصم أخوه عبد الله زيدا وكانا يحضران
عند عامل خالد بن عبد الملك بن الحرث فوقعت بينهما فى مجلسه مشاتمة وأنكر زيد
من خالد اطالته للخصومة وان يستمع لمثل هذا فأغلظ له زيد وسار الى هشام فحجبه ثم أذن
له بعد حين فحاوره طويلا ثم عرض له بأنه ينكر الخلاف وتنقصه ثم قال له اخرج قال نعم
ثم لا أكون الا بحيث تكره فسار الى الكوفة وقال له محمد بن عمر بن على بن أبى طالب
ناشدتك الله الحق بأهلك ولا تأت الكوفة وذكره بفعلهم مع جده وجده يستعظم
ما وقع به وأقبل الكوفة فأقام بها مستخفيا ينتقل فى المنازل واختلف اليه الشيعة
وبايعه جماعة منهم مسلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسى ومعاوية بن اسحق بن زيد
ابن حارثة الانصارى وناس من وجوه أهل الكوفة يذكر لهم دعوته ثم يقول أتبايعون
على ذلك فيقولون نعم فيضع يده على أيديهم ويقول عهد الله عليك وميثاقه وذمته وذمة

بلده
٢٠

نبيه بيقين تتبعنى ولا تقاتلنى مع عدوى ولتنصحن لى فى السر والعلانية فاذا قال نعم
وضع يده على يده ثم قال اللهم اشهد فبايعه خمسة عشر ألفا وقيل أربعون وأمرهم
بالاستعداد وشاع أمره فى الناس وقيل انه أقام فى الكوفة ظاهرا ومعه داود بن على
ابن عبد الله بن عباس لما جاؤا لمقاتلة خالد فاختلف اليه الشيعة وكانت البيعة وبلغ
الخبر الى يوسف بن عمر فأخرجه من الكوفة ولحق الشيعة بالقادسية أو الغلبية وعذله
داود بن على فى الرجوع معه وذكره حال جده الحسين فقالت الشيعة لزيد هذا انما يريد
الامر لنفسه ولاهل بيته فرجع معهم ومضى داود الى المدينة ولما أتى الكوفة جاءه
مسلمة بن كهيل فصده عن ذلك وقال أهل الكوفة لا يعولون لك وقد كان مع جدك
منهم أضعاف من معك ولم تعاوله وكان أعز عليهم منك على هؤلاء فقال له قد بايعونى
ووجبت البيعة فى عنقى وعنقهم قال فتأذن لى أن أخرج من هذا البلد فلا آمن
أن يحدث حدث وأنا لا أهلك نفسى فخرج لليمامة وكتب عبد الله بن الحسن المثنى
الى زيد يعذله ويصده فلم يصغ اليه وتزوج نساء بالكوفة وكان يختلف اليهن والناس
يبايعونه ثم أمر أصحابه يتجهزون ونمى الخبر الى يوسف بن عمر فطلبه وخاف فتعجل
الخروج وكان يوسف بالحيرة وعلى الكوفة الحكم بن الصلت وعلى شرطته عمر
ابن عبد الرحمن من القاهرة ومعه عبيد الله بن عباس الكندى فى ناس من أهل الشأم
ولما علم الشيعة ان يوسف يبحث عن زيد جاء اليه جماعة منهم فقالوا ما تقول فى الشيخين
فقال زيد رحمهما الله وغفر لهما وما سمعت أهل بيتى يذكرونهما الا بخير وغاية
ما أقول انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس فدفعونا عنه
ولم يبلغ ذلك الكفر وقد عدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قال فاذا كان
أولئك لم يظلموك فلم تدعو الى قتالهم فقال ان هؤلاء ظلموا المسلمين أجمعين فانا ندعوهم
الى الكتاب والسنة وأن نحيى السنن ونطفىء البدع فان أجبتم سعدتم وان أبيتم فلست
عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام الحق يعنون محمدا الباقر
وان جعفرا ابنه امامنا بعده فسماهم زيد الرافضة ويقال انما سماهم الرافضة
حيث فارقوه ثم بعث يوسف بن عمر الى الحكم بأن يجمع أهل الكوفة فى المسجد
فجمعوا وطلبوا زيدا فى دار معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة فخرج منها ليلا واجتمع
اليه ناس من الشيعة وأشعلوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر وأصبح جعفر
ابن أبى العباس الكندى فلقى اثنين من أصحاب زيد ينادیان بشعاره فقتل واحدا
وأتى بالآخر الى الحكم فقتله وأغلق أبواب المسجد على الناس وبعث الى يوسف
بالخبر فسار من الحيرة وقدم الريان بن سلمة الاراشى فى ألفين خيالة وثلثمائة ماشية

وافتقد زيد الناس فقيل انهم فى الجامع محصورون ولم يجد معه الا مائتين وعشرين
وخرج صاحب الشرطة فى خيله فلقى نصر بن خزيمة العبسى من أصحاب زيد ذاهبا اليه
فحمل عليه نصر وأصحابه فقتلوه وحمل زيد على أهل الشأم فهزمهم وانتهى الى دار
أنس بن عمر الازدى ممن بايعه وناداه فلم يخرج اليه ثم سار زيد الى الكناسة فحمل على
أهل الشأم فهزمهم ثم دخل الكوفة والرايات فى اتباعه فلما رأى زيد خذلان الناس
قال لنصر بن خزيمة أفعلتموها حسينية قال أما أنا فوالله لاموتن معك وان الناس
بالمسجد فامض بنا اليهم فجاء الى المسجد ينادى بالناس بالخروج اليه فرماه أهل الشأم
بالحجارة من فوق المسجد فانصرفوا عند المساء وأرسل يوسف بن عمر من الغد العباس
ابن سعد المزنى فى أهل الشأم فجاءه فى دار الزرق وقد كان أوى اليها عند المساء فلقيه
زيد بن ثابت فاقتتلوا فقتل نصر ثم حملوا على أصحاب العباس فهزمهم زيد وأصحابه
وعبأهم يوسف بن عمر من العشى ثم سرحهم فكشفهم أصحاب زيد ولم يثبت حيلهم لخيله
وبعث اليهم يوسف بن عمر بالقادسية واشتد القتال وقتل معاوية بن زيد ثم رمى زيد عند
المساء بسهم أثبته فرجع أصحابه وأهل الشأم يظنون انهم تحاجزوا ولما نزع النصل
من جبهته مات فدفنوه وأجروا عليه الماء وأصبح الحكم يوم الجمعة يتبع الجرحى من
الدور ودله بعض الموالى على قبر زيد فاستخرجه وقطع رأسه وبعث بها الى يوسف
بالحيرة فبعثه الى هشام فنصبه على باب دمشق وأمر يوسف الحكم أن يصلب زيدا
بالكناسة ونصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحق ويحرسهم فلما ولى الوليد أمر باحراقهم
واستجار يحيى بن زيد بعبد الملك بن بشر بن مروان فأجاره حتى سكن المطلب ثم سار
الى خراسان فى نفر من الزيدية

(ظهور أبى مسلم بالدعوة العباسية)

كان أهل الدعوة العباسية بخراسان يكتمون أمرهم منذ بعث محمد بن على بن عبد الله
ابن عباس دعاته الى الآفاق سنة مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز لما مر
أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ذاهبا وجائيا من الشأم من عند سليمان بن عبد الملك
فمرض عنده بالحميمة من أعمال البلقاء وهلك هنالك وأوصى له بالامر وكان أبو هاشم
قد علم شيعته بالعراق وخراسان وان الامر صائر فى ولد محمد بن على بن عبد الله
ابن عباس فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمدا وبايعوه سرا وبعث دعاته منهم
الى الآفاق وكان الذى بعث الى العراق ميسرة بن والى خراسان محمد بن حبيش
وأبا عكرمة السراج وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمة فجاؤا الى
خراسان ودعوا اليه سرا وأجابهم الناس وجاؤا بكتب من أجاب الى ميسرة اه فبعث

بها الى محمد واختار أبو محمد الصادق اثنى عشر رجلا من أهل الدعوة فجعلهم نقباء
عليهم وهم سليمان بن كثير الخزاعى ولاهز بن قريط التميمى وأبو النجم عمران بن اسمعيل
مولى أبى معيط ومالك بن الهيثم الخزاعى وطلحة بن زريق الخزاعى وأبو حمزة بن عمر
ابن أعين مولى خزاعة وأخوه عيسى وأبو على شبلة بن طهمان الهروى مولى بنى
حنيفة واختار بعده سبعين رجلا وكتب اليه محمد بن على كتابا يكون لهم مثالا
يقتدون به فى الدعوة وأقاموا على ذلك ثم بعث ميسرة رسله من العراق سنة ثنتين
ومائة فى ولاية سعيد خذينة وخلافة يزيد بن عبد الملك وسعى بهم الى سعيد فقالوا
نحن تجار فضمنهم قوم من ربيعة واليمن فأطلقهم وولد لمحمد ابنه عبد الله السفاح
سنة أربع ومائة وجاء اليه أبو محمد الصادق فى جماعة من دعاة خراسان فأخرجه لهم
ابن خمسة عشر يوما وقال هذا صاحبكم الذى يتم الامر على يده فقبلوا أطرافه
وانصرفوا ثم دخل معهم فى الدعوة بكير بن هامان جاء من السند مع الجنيد
ابن عبد الرحمن فلما عزل قدم الكوفة ولقى أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن حبيش
وعمارا العبادى خال الوليد الازرق دعاه الى خراسان فى ولاية أسد القسرى أيام
هشام ووشى بهم اليه فقطع أيدى من ظفر به منهم وصلبه وأقبل عمار الى بكير
ابن هامان فأخبره فكتب الى محمد بن على بذلك فأجابه الحمد لله الذى صدق دعوتكم
ومقالتكم وقد بقيت منكم قتلى ستعد ثم كان أول من قدم محمد بن على الى خراسان
أبو محمد زياد مولى همدان بعثه محمد بن على سنة تسعة فى ولاية أسد أيام هشام وقال له
انزل فى اليمن وتلطف لمضر ونهاه عن الغالب النيسابورى شيعة بنى فاطمة فشتى زياد
بمرو ثم سعى به الى أسد فاعتذر بالتجارة ثم عاد الى أمره فأحضره أسد وقتله فى عشرة
من أهل الكوفة ثم جاء بعدهم الى خراسان رجل من أهل الكوفة اسمه كثير ونزل
على أبى النجم وأقام يدعو سنتين أو ثلاثة ثم اخذ أسد بن عبد الله فى ولايته الثانية
سنة سبع عشرة اخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز
ابن قريط بثلثمائة سوط وشهد حسن بن زيد الازدى ببراءتهم فأطلقهم ثم بعث بكير
ابن هامان سنة ثمانى عشرة عمار بن زيد على شيعتهم بخراسان فنزل مرو وتسمى بخراش
وأطاعه الناس ثم نزل دعوتهم بدعوة الخرمية فأباح النساء وقال ان الصوم انما هو
عن ذكر الامام وأشار الى اخفاء اسمه والصلاة الدعاء له والحج القصد اليه وكان
خراش هذا نصرانيا بالكوفة واتبعه على مقالته مالك بن الهيثم والحريش بن سليم
وظهر أسد على خبره وبلغ الخبر بذلك الى محمد بن على فنكر عليهم قبولهم من خراش
وقطع مراسلتهم فقدم عليه ابن كثير منهم يستعلم خبره ويستعطفه على ما وقع منهم وكتب

معه اليهم كتابا مختوما لم يجدوا فيه غير البسملة فعلموا مخالفة خراش لامره وعظم عليهم ثم بعث محمد بن بكير بن بان وكتب معه بكذب خراش فلم يصدقوه فجاء الى محمد وبعث معه عصيا مضببة بعضها بالحديد وبعضها بالنحاس ودفع الى كل رجل عصا فعلموا انهم قد خالفوا السيرة فتابوا ورجعوا وتوفى محمد بن على سنة أربع وعشرين وعهد ابنه ابراهيم بالامر وأوصى الدعاة بذلك وكانوا يسمونه الامام وجاء بكير بن هامان الى خراسان بنعيه والدعاء لابراهيم الامام سنة ست وعشرين ومائة ونزل مرو ودفع الى الشيعة والنقباء كتابه بالوصية والسيرة فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقاتهم فقدم بها بكير على ابراهيم ثم بعث اليهم أبا مسلم سنة أربع وعشرين وقد اختلف فى أوليته اختلافا كثيرا وفى سبب اتصاله بابراهيم الامام أو أبيه محمد فقيل كان من ولد بزرجمهر ولد باصبهان وأوصى به أبوه الى عيسى بن موسى السراج فحمله الى الكوفة ابن سبع سنين ونشأ بها واتصل بابراهيم الامام وكان اسم أبى مسلم ابراهيم بن عثمان بن بشار فسماه ابراهيم الامام عبد الرحمن وزوجه أبيه أبى النجم عمران بن اسمعيل من الشيعة فبنى بها بخراسان وزوج ابنته من محرز بن ابراهيم فلم يعقب وابنته أسماء من فهم بن محرز فأعقبت فاطمة هى التى يذكرها الخرمية وقيل فى اتصاله بابراهيم الامام ان أبا مسلم كان مع موسى السراج وتعلم منه صناعة السروج وكان يتجهز فيها باصبهان والجبال والجزيرة والموصل واتصل بعاصم بن يونس العجلى صاحب عيسى السراج وابنى أخيه عيسى وادريس ابنى معقل وادريس هو جد أبى دلف ونمى الى يوسف بن عمران العجلى من دعاة بنى العباس فحبسهم مع عمال خالد القسرى وكان أبو مسلم معهم فى السجن يخدمهم وقبل منهم الدعوة وقيل لم يتصل بهم من عيسى السراج وانما كان من ضياع بنى العجلى بأصبهان أو الجبل وتوجه سليمان ابن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريط وقحطبة بن شبيب من خراسان يريدون ابراهيم الامام بمكة فمروا بعاصم بن يونس وعيسى وادريس ابنى معقل العجلى بمكانهم من الحبس فرأوا معهم أبا مسلم فأعجبهم وأخذوه ولقوا ابراهيم الامام بمكة فأعجبه فأخذه وكان يخدمه ثم قدم النقباء بعد ذلك على ابراهيم الامام يطلبون أن يوجه من قبله الى خراسان فبعث معه أبا مسلم فلما تمكن وقوى أمره ادعى أنه من ولد سليط بن عبد الله بن عباس وكان من أولية هذا الخبر أن جارية لعبد الله بن العباس ولدت لغير رشدة فحدها واستعبد وليدها وسماه سليطا فنشأ واختص بالوليد وادعى ان عبد الله بن عباس أقر بأنه ابنه وأقام البينة على ذلك وخاصم على بن عبد الله فى الميراث واذاه وكان فى صحابته عمر الدن من ولد أبى رافع مولى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فدخل عليها سليط بالخبر فاستعدت الوليد على على فأنكر وحلف فنبشوا فى البستان فوجدوه فامر الوليد بعلى فضرب ليدله على عمر الدن ثم شفع فيه عباد ابن زياد فأخرج الى الحمية ولما ولى سليمان رده الى دمشق وقيل ان أبا مسلم كان عبدا للعجليين وان بكير بن هامان كان كاتبا لعمال بعض السند وقدم الكوفة فكان دعاة بنى العباس فحبسوا وبكير معهم وكان العجليون فى الحبس وأبو مسلم العبسى بن معقل فدعاهم بكير الى رأيه فأجابوه واستحسن الغلام فاشتراه من عيسى بن معقل بأربعمائة درهم وبعث به الى ابراهيم الامام فدفعه ابراهيم الى موسى السراج من الشيعة فسمع منه وحفظ وصار يتردد الى خراسان وقيل كان لبعض أهل هراة وابتاعه منه ابراهيم الامام ومكث عنده سنين وكان يتردد بكتبه الى خراسان ثم بعثه أميرا على الشيعة وكتب اليهم بالطاعة له والى أبى سلمة الخلال داعيهم بالكوفة يأمره بانفاذه الى خراسان فنزل على سليمان بن كثير وكان من أمره ما يذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى ثم جاء سليمان بن كثير ولاهز بن قريط وقحطبة الى مكة سنة سبع وعشرين بعشرين ألف دينار للامام ابراهيم ومائتى ألف درهم ومسك ومتاع كثير ومعهم أبو مسلم وقالوا هذا مولاك وكتب بكير بن هامان الى الامام بأنه أوصى بأمر الشيعة بعده لابى سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو رضى فكتب اليه ابراهيم بالقيام بأمر أصحابه وكتب الى أهل خراسان بذلك فقبلوه وصدقوه وبعثوا بخمس أموالهم ونفقة الشيعة للامام ثم بعث ابراهيم فى سنة ثمان وعشرين مولاه أبا مسلم الى خراسان وكتب له انى قد أمرته بأمرى فاسمعوا له وأطيعوا وقد أمرته على خراسان وما غلبت عليه فارتابوا من قوله ووفدوا على ابراهيم الامام من قابل مكة وذكر له أبو مسلم انهم لم يقبلوه فقال لهم قد عرضت عليكم الامر فأبيتم من قبوله وكان عرضه على سليمان ابن كثير ثم على ابراهيم بن مسلمة فأبوا وانى قد أجمع رأيى على أبى مسلم وهو منا أهل البيت فاسمعوا له وأطيعوا وقال لابى مسلم انزل فى أهل اليمن وأكرمهم فان بهم يتم الامر واتهم ربيعة وأما مضر فهم العدو والغريب واقتل من شككت فيه وان قدرت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل وارجع الى سليمان بن كثير واكتف به منى وسرحه معهم فساروا الى خراسان

(وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد)

توفى هشام بن عبد الملك بالرصافة فى ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة لعشرين سنة من خلافته وولى بعده الوليد بن أخيه يزيد بعهد يزيد بذلك كما مر وكان الوليد متلاعبا وله مجون وشراب وندمان وأراد هشام خلعه فلم يمكنه وكان يضرب

من يأخذه فى صحبته فخرج الوليد فى ناس من خاصته ومواليه وخلف كاتبه عياض
ابن مسلم ليكاتبه بالاحوال فضربه هشام وحبسه ولم يزل الوليد مقيما بالبرية حتى مات
هشام وجاءه مولى أبى محمد السفيانى على البريد بكتاب سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان
الرسائل بالخبر فسأل عن كاتبه عياض فقال لم يزل محبوسا حتى مات هشام فأرسل
الى الخزان أن يحتفظوا بما فى أيديهم حتى منعوا هشاما من شئ طلبه ثم خرج
بعدموته من الحبس وختم أبواب الخزائن ثم كتب الوليد من وقته الى عمه العباس
ابن عبد الملك أن يأتى الرصافة فيحصى مافيها من أموال هشام وولده وعماله وخدمه
الامسلمة بن هشام فانه كان يراجع أباه فى الرفق بالوليد فانتهى العباس لما أمر به
الوليد ثم استعمل الوليد العمال وكتب الى الآفاق بأخذ البيعة فجاءته بيعتهم
وكتب مروان ببيعته واستأذن فى القدوم ثم عقد الوليد من سنته لابنيه الحكم وعثمان
بعده وجعلهما وليي عهده وكتب بذلك الى العراق وخراسان

(ولاية نصر للوليد على خراسان)

وكتب الوليد فى سنته الى نصر بن سيار بولاية خراسان وأفرده بها ثم وفد يوسف بن عمر
على الوليد فاشترى منه نصرا وعماله فرد اليه الوليد خراسان وكتب يوسف الى نصر
بالقدوم ويحمل معه الهدايا والاموال وعياله جميعا وكتب له الوليد بأن يتخذ له برابط
وطنابير وأباريق ذهب وفضة ويجمع له البراذين الغرة ويجمع بذلك اليه فى وجوه
أهل خراسان واستحثه رسول يوسف فأجازه ثم سار واستخلف على خراسان عصمة بن
عبد الله الاسدى وعلى شاش موسى بن ورقاء وعلى سمرقند حسان بن من
أهل الصغانيان وعلى آمد مقاتل بن على الصغدى وأسر اليهم أن يداخلوا الترك
فى المسير الى خراسان ليرجع اليهم وبيناهو فى طريقه الى العراق ببيهق لقيه مولى
لبنى ليث وأخبره بقتل الوليد والفتنة بالشأم وان منصور بن جمهور قدم العراق
وهرب يوسف بن عمر فرجع بالناس

(مقتل يحيى بن زياد)

كان يحيى بن زياد سار بعد قتل أبيه وسكون الطلب عنه كما مر فأقام عند الحريش
ابن عمرو بن مروان فى بلخ ولما ولى الوليد كتب الى نصر بأن يأخذه من عند الحريش
فأحضر الحريش وطالبه بيحيى فأنكر فضربه ستمائة سوط فجاء ابنه قريش ودله
على يحيى فحبسه وكتب الى الوليد فأمره أن يخلى سبيله وسبيل أصحابه فأطلقه نصر
وأمره أن يلحق بالوليد فسار وأقام بسرخس فكتب نصر الى عبد الله بن قيس بن عباد
يخرجه عنها فأخرجه الى بيهق وخاف يحيى بن يوسف بن عمر فسار الى نيسابور وبها عمر

ابن زرارة وكان مع يحيى سبعون رجلا ولقوا دواب وأدركهم الاعياء فأخذوها بالثمن
وكتب عمر بن زرارة بذلك الى نصر فكتب اليه يأمره بحربهم فحاربهم فى عشرة
آلاف فهزموه وقتلوه ومروا بهراة فلم يعرضوا لها وسرح نصر بن سيار مسلم بن أحوز
المازنى اليهم فلحقهم بالجوزجان فقاتلهم قتالا شديدا وأصيب يحيى بسهم فى جبهته
فمات وقتل أصحابه جميعا وبعثوا برأسه الى الوليد وصلب بالجوزجان وكتب الوليد
الى يوسف بن عمر بأن يحرق شلو زيد فأحرقه وذراه فى الفرات ولم يزل يحيى مصلوبا
بالجوزجان حتى استولى أبو مسلم على خراسان فدفنه ونظر فى الديوان اسماء من حضر
لقتله فمن كان حيا قتله ومن كان ميتا خلفه فى أهله بسوء

(مقتل خالد بن عبد الله القسرى)

قد تقدم لنا ولاية يوسف بن عمر على العراق وأنه حبس خالدا أصحاب العراق وخراسان
قبله فأقام بحبسه فى الحيرة ثمانية عشر شهرا مع أخيه اسمعيل وابنه يزيد بن خالد والمنذر
ابن أخيه أسد واستأذن هشاما فى عذابه فأذن له على أنه ان هلك قتل يوسف به فعذبه
ثم أمر هشام باطلاقه سنة احدى وعشرين فأتى الى قرية بازاء الرصافة فأقام بها
حتى خرج زيد وقتل وانقضى أمره فسعى يوسف بخالد عند هشام بانه الذى داخل زيدا
فى الخروج فرد هشام سعايته ووبخ رسوله وقال لسنا نتهم خالدا فى طاعة وسار خالد
الى الصائفة وأنزل أهله دمشق وعليها كلثوم بن عياض القشيرى وكان يبغض خالدا
فظهر فى دمشق حريق فى ليال فكتب كلثوم الى هشام بان موالى خالد يريدون الوثوب
الى بيت المال ويتطرقون الى ذلك بالحريق كل ليلة فى البلد فكتب اليه هشام بحبس
الكبير منهم والصغير والموالى فحبسهم ثم ظهر على صاحب الحريق وأصحابه وكتب
بهم الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج ولم يذكر فيهم أحدا من آل خالد ومواليه فكتب
هشام الى كلثوم يوبخه ويأمره باطلاق آل خالد وترك الموالى فشفع فيهم خالد عند
مقدمه من الصائفة فلما قدم دخل منزله وأذن للناس فاجتمعوا ببابه فوبخهم وقال
ان هشاما يسوقهن الى الحبس كل يوم ثم قال خرجت غازيا سامعا مطيعا فحبس أهلى
مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين ولم يغير ذلك أحد منكم أخفتم القتل أخافكم الله
والله ليكفن عنى هشام أو لاعودن الى عراقى الهوى شامى الدار حجازى الاصل يعنى
محمد بن على بن عبد الله بن عباس وبلغ ذلك هشاما فقال خرف أبو الهيثم ثم تتابعت كتب
يوسف بن عمر الى هشام يطلب يزيد بن خالد فأرسل الى كلثوم بانفاذه اليه فهرب يزيد فطلبه
كلثوم من خالد وحبسه فيه فكتب اليه هشام بتخليته ووبخه اه ولما ولى الوليد بن يزيد
استقدم خالدا وقال أين ابنك قال هرب من هشام وكنا نراه عندك حتى استخلفك الله

فلم نره وطلبناه ببلاد قومه من الشراة فقال ولكن خلفته طلبا للفتنة فقال انا أهل بيت
طاعة فقال لتأتيني به أو لازهقن نفسك فقال والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه
فأمر الوليد بضربه ولما قدم يوسف بن عمر من العراق بالاموال اشتراه من الوليد بخمسين
ألف ألف فقال له الوليد ان يوسف يشتريك بكذا فاضمنها لي قبل أن أدفعك اليه فقال
ما عهدت العرب تباع والله لو سألتني عودا ما ضمنته فدفعه الى يوسف فألبسه عباءة
وحمله على غير وطاء وعذبه عذابا شديدا وهو لا يكلمه ثم حمله الى الكوفة فاشتد في عذابه
ثم قتله ودفنه في عباءة يقال انه قتله بشئ وضعه على وجهه وقيل وضع على رجليه
الاعواد وقام عليها الرجال حتى تكسرت قدماه وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة

* (مقتل الوليد وبيعة يزيد) *

ولما ولي الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمجون حتى نسب اليه في ذلك كثير
من الشنائع مثل رميه المصحف بالسهام حين استفتح فوقع على قوله وخاب كل جبار
عنيد وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما ولقد ساءت المقالة فيه
كثيرا وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا انها من شناعات الاعداء الصقوها به
قال المدائني دخل ابن الغمر بن يزيد على الرشيد فسأله ممن أنت فقال من قريش قال
من أيها فوجم فقال قل وأنت امن ولو أنك مروان فقال أنا ابن الغمر بن يزيد فقال
رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقص فانه قتل خليفة مجمعا عليه ارفع حوائجك فرفعها
وقضاها وقال شبيب بن شبة كنا جلوسا عند المهدي فذكر الوليد فقال المهدي كان
زنديقا فقام ابن علاثة الفقيه فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل أعدل من أن يولي
خلافة النبوة وأمر الامة زنديقا لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه
ويراه في طهارته وصلاته فكان اذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المصبغة
المصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظيفة فيلبسها ويشتغل بربه
أترى هذا فعل من لا يؤمن بالله فقال المهدي بارك الله عليك يا ابن علاثة وانما كان
الرجل محسودا في خلاله ومزاحما بكبار عشيرة بيته من بني عمومته مع لهو كان يصاحبه
أوجد لهم به السبيل على نفسه وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام
البليغ قال يوما لهشام يعزيه في مسلمة أخيه ان عقبى من بقي لحوق من مضى وقد أقفر
بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فهوى وعلى اثر من سلف يمضي من خلف
فتزودوا فان خير الزاد التقوى فأعرض هشام وسكت القوم واما حكاية مقتله
فانه لما تعرض له بنو عمه ونالوا من عرضه أخذ في مكافأتهم فضرب سليمان بن
عمه هشام مائة سوط وحلقه وغربه الى معان من أرض الشام فحبسه الى آخر دولته

وحبس

وحبس أخاه يزيد بن هشام وفرق بين ابن الوليد وبين امرأته وحبس عدة من ولد الوليد
فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساء أبيه وخوفوا بني أمية منه بانه اتخذ مئة جامعة
لهم وطعنوا عليه في تولية ابنيه الحكم وعثمان العهد مع صغرهما وكان أشدهم عليه
في ذلك يزيد بن الوليد لانه كان يتنسك فكان الناس الى قوله أميل ثم فسدت اليمانية
عليه بما كان منه لخالد القسري وقالوا انما حبسه ونكبه لامتناعه من بيعة
ولديه ثم فسدت عليه قضاعة وكان اليمن وقضاعة أكثر جند الشأم واستعظموا منه
ما كان من بيعة خالد ليوسف بن عمر وصنعوا على لسان الوليد قصيدة معيرة اليمنية
بشأن خالد فازدادوا حنقا وأتوا الى يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة
وشاور عمرو بن زيد الحكمي فقال شاور أخاك العباس والا فاظهر انه قد بايعك
فان الناس له أطوع فشاور العباس فنهاه عن ذلك فلم ينته ودعا الناس سرا وكان
بالبادية وبلغ الخبر مروان بارمينية فكتب الى سعيد بن عبد الملك يعظم عليه الامر
ويحذره الفتنة ويذكر له أمر يزيد فأعظم ذلك سعيد وبعث بالكتاب الى العباس فتهدد
أخاه يزيد فكتمه فصدقه ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل الى دمشق لاربع ليال متنكرا معه
سبعة نفر على الحمر ودخل دمشق ليلا وقد بايع له أكثر أهلها سرا وأهل المزة وكان على
دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج فاستوباها فنزل قطنا واستخلف عليها ابنه محمدا
وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي ونمي الخبر اليهما فكذباه وتواعد يزيد
مع أصحابه بعد المغرب بباب الفراديس ثم دخلوا المسجد فصلوا العتمة ولما قضوا
الصلاة جاء حرس المسجد لاخراجهم فوثبوا عليهم ومضى يزيد بن عنبسة الى يزيد
ابن الوليد فجاء به الى المسجد في زهاء مائتين وخمسين وطرقوا باب المقصورة فأدخلهم
الخادم فأخذوا أبا العاج وهو سكران وخزان بيت المال وبعث عن محمد بن عبد الملك
فأخذه وأخذوا سلاحا كثيرا كان بالمسجد وأصبح الناس من الغد من النواحي
القريبة متسائلين للبيعة أهل المزة والسكاسك وأهل داريا وعيسى بن شبيب الثعلبي
في أهل درهة وحرستا وحميد بن حبيب اللخمي في أهل دير مران وأهل حرش
والحديثة ودير زكا وربعي بن هشام الحرثي في جماعة من عرو وسلامان ويعقوب بن عمير
ابن هانئ العبسي وجهينة ومواليهم ثم بعث عبد الرحمن بن مصادي في مائتي فارس فجاء
بعبد الملك بن محمد بن الحجاج من قصره على الامان ثم جهز يزيد الجيش الى الوليد بمكانه
من البادية مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ومنصور بن جمهور وقد كان الوليد
لما بلغه الخبر بعث عبد الله بن يزيد بن معاوية الى دمشق فأقام بطريقه قليلا ثم بايع
ليزيد وأشار على الوليد أصحابه أن يلحق بحمص فيتحصن بها قال له ذلك يزيد بن خالد
ابن يزيد وخالفه عبد الله بن عنبسة وقال ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وحرمه قبل

أن يقاتل فسار الى قصر النعمان بن بشير ومعه أربعون من ولد الضحاك وغيره وجاء
كتاب العباس بن الوليد بأنه قادم عليه وقاتلهم عبد العزيز ومنصور بعد أن بعث
اليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوهم الى الكتاب والسنة فقتله أصحاب الوليد واشتد
القتال بينهم وبعث عبد العزيز بن منصور بن جهور لاعتراض العباس من الوليد
أن يأتي بالوليد فجاء به كرها الى عبد العزيز وأرسل الوليد الى عبد العزيز بخمسين
ألف دينار وولاية حمص ما بقي على أن ينصرف عنه فأبى ثم قاتل قتالا شديدا حتى سمع
النداء بقتله وسبه من جوانب الحومة فدخل القصر فأغلق الباب وطلب الكلام
من أعلى القصر فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي فذكره بحرمه وفعله فيهم فقال
ابن عنبسة انا ما ننقم عليك في أنفسنا وانما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب
الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله قال حسبك الله يا أخا السكاسك
فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وان فيما أحل الله سعة عما ذكرت ثم رجع الى الدار فجلس
يقرأ في المصحف وقال يوم كيوم عثمان فتسوروا عليه وأخذ يزيد بن عنبسة بيده يقيمه
لا يريد قتله واذا منصور بن جهور في جماعة معه ضربوه واحتزوا رأسه فساروا به الى
يزيد فأمر بنصبه فتلطف له يزيد بن فروة مولى بني مرة في المنع من ذلك وقال هذا ابن عمك
وخليفة وانما تنصب رؤس الخوارج ولا آمن أن يتعصب له أهل بيته فلم يجبه وأطافه
بدمشق على رمح ثم دفع الى أخيه سليمان بن يزيد وكان معهم عليه وكان قتله آخر جمادى
الآخرة سنة ست وعشرين لسنتين وثلاثة أشهر من بيعته ولما قتل خطب الناس
يزيد فذمه وثلبه وانه انما قتله من أجل ذلك ثم وعدهم بحسن الظفر والاقتصار
عن النفقة في غير حاجاتهم وسد الثغور والعدل في العطاء والارزاق ورفع الحجاب
والا فلكم ما شئتم من الخلع وكان يسمى الناقص لانه نقص الزيادة التي زادها الوليد
في أعطيات الناس وهي عشرة عشرة ورد العطاء كما كان أيام هشام وبايع لاخيه
ابراهيم بالعهد ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك حمله على ذلك أصحابه
القدرية لمرض طرقه

ولما قتل الوليد وكان قد حبس سليمان بن عمه هشام بعمان خرج سليمان من الحبس
وأخذ ما كان هناك من الاموال ونقله الى دمشق ثم بلغ خبر قتله الى حمص وان
العباس بن الوليد أعان على قتله فانتقضوا وهدموا دار العباس وسبوها وطلبوه فلحق
بأخيه يزيد وكاتبوا الاجناد في الطلب بدم يزيد وأمروا عليهم مروان بن عبد الله بن عبد
الملك ومعاوية بن يزيد بن حصين بن نمير وراسلهم يزيد فطردوا رسوله فبعث أخاه مسرورا

في الجيش فنزل حوارين ثم جاء سليمان بن هشام من فرد عليه ما أخذ
الوليد من أموالهم وبعث على الجيش وأمر أخاه مسرورا بالطاعة واعتزم أهل حمص
على المسير الى دمشق فقال لهم مروان ليس من الرأي أن تتركوا خلفكم هذا الجيش
وانما نقاتله قبل فيكون ما بعده أهون علينا فقال لهم السمط بن ثابت انما يريد خلافكم
وانما هواه مع يزيد والقدرية فقتلوه وولوا عليهم محمدا السفياني وقصدوا دمشق
فاعترضهم ابن هشام بغدرا فقاتلهم قتالا شديدا وبعث يزيد عبد العزيز بن الحجاج
ابن عبد الملك في ثلاثة آلاف الى ثنية العقاب وهشام بن مصاد في ألف وخمسمائة الى
عقبة السلامية وبينما سالم يقاتلهم اذ أقبلت عساكر من ثنية العقاب فانهزم أهل
حمص ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسري الله الله على قومك يا سليمان فكف الناس
عنهم وبايعوا ليزيد واخذ أبا محمد السفياني ويزيد بن خالد بن يزيد وبعثهما الى يزيد
فحبسهما اه واستعمل على حمص معاوية بن يزيد بن الحصين وكان لما قتل الوليد وثب
أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه وتولى منهم سعيد وضبعان ابنا روح
وكان ولد سليمان ينزلون فلسطين فأحضروا يزيد بن سليمان وولوه عليهم وبلغ ذلك أهل
الاردن فولوا عليهم محمد بن عبد الملك وبعث يزيد سليمان بن هشام في أهل دمشق
وأهل حمص الذين كانوا مع السفياني على ثمانين ألفا وبعث الى ابني روح بالاحسان
والولاية فرجعا بأهل فلسطين وقدم سليمان عسكرا من خمسة آلاف الى طبرية
فنهبوا القرى والضياع وخشي أهل طبرية على من وراءهم فانتهبوا يزيد بن سليمان
ومحمد بن عبد الملك ونزلوا بمنازلهم فافترقت جموع الاردن وفلسطين وسار سليمان
ابن هشام ولحقه أهل الاردن فبايعوا ليزيد وسار الى طبرية والرملة وأخذ على أهلهما
البيعة ليزيد وولى على فلسطين ضبعان بن روح وعلى الاردن ابراهيم بن الوليد

(ولاية منصور بن جهور على العراق ثم ولاية عبد الله بن عمر)

لما ولي يزيد استعمل منصور بن جهور على العراق وخراسان ولم يكن من أهل الدين
وانما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية وحنقا على يوسف بقتله خالدا القسري ولما بلغ
يوسف قتل الوليد ارتاب في أمره وحبس اليمانية لما تجتمع المضرية عليه فلم ير
عندهم ما يحب فاطلق اليمانية وأقبل منصور وكتب من عين التمر الى قواد الشأم
في الحيرة بأخذ يوسف وعماله فأظهر يوسف الطاعة ولما قرب منصور دخل دار عمر
ابن محمد بن سعيد بن العاصي ولحق منها بالشأم سرا وبعث يزيد بن الوليد خمسين
فارسا لتلقيه فلما أحس بهم هرب واختفى ووجد بين النساء فأخذوه وجاؤا به الى
يزيد فحبسه مع ابني الوليد حتى قتلهم مولى ليزيد بن خالد القسري ولما دخل منصور

ابن جهور الكوفة لايام خلت من رجب أفاض العطاء وأطلق من كان فى السجون من العمال وأهل الخراج واستعمل أخاه على الرى وخراسان فسار لذلك فامتنع نصر ابن سيار من تسليم خراسان له ثم عزل يزيد منصور بن جهور لشهرين من ولايته وولى على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال سر الى أهل العراق فان أهله يميلون الى ابيك فسار وانقاد له أهل الشام وسلم اليه منصور العمل وانصرف الى الشام وبعث عبد الله العمال على الجهات واستعمل عمر بن الغضبان بن القبعثرا على الشرطة وخراج السواد والمحاسبات وكتب الى نصر بن سيار بعهده على خراسان

(انتقاض أهل اليمامة)

ولما قتل الوليد كان على بن المهاجر على اليمامة عاملا ليوسف بن عمر فجمع له المهير بن سليمان بن هلال من بنى الدول بن حولة وسار اليه وهو فى قصره بقاع هجر فالتقوا وانهزم على وقتل ناس من أصحابه وهرب الى المدينة وملك المهير اليمامة ثم مات واستخلف عليها عبد الله بن النعمان من بنى قيس بن ثعلبة من الدول فبعث المنداب ابن ادريس الحنفى على الفلج قرية من قرى بنى عامر بن صعصعة فجمع له بنى كعب ابن ربيعة بن عامر وبنى عمير فقتلوا المنداب وأكثر أصحابه فجمع عبد الله ابن النعمان جموعا من حنيفة وغيرها وغزا الفلج وهزم بنى عقيل وبنى بشير وبنى جعدة وقتل أكثرهم ثم اجتمعوا ومعهم نمير فلقوا بعض حنيفة بالصحراء فقتلوهم وسلبوا نساءهم ثم جمع عمر بن الوازع الحنفى الجموع وقال لست بدون عبد الله بن النعمان وهذه فترة من السلطان وأغاروا وامتلأت يداه من الغنائم وأقبل ومن معه وأقبلت بنو عامر والتقوا فانهزم بنو حنيفة ومات أكثرهم من العطش ورجع بنو عامر بالاسرى والنساء ولحق عمر بن الوازع باليمامة ثم جمع عبيد الله بن مسلم الحنفى جمعا وأغار على قشير وعكل فقتل منهم عشرين وجمع المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على اليمامة من قبل أبيه حتى ولى العراق لمروان فتعرض المثنى لبنى عامر وضرب عدة من بنى حنيفة وحلقهم ثم سكنت البلاد ولم يزل عبيد الله بن مسلم الحنفى مستخفيا حتى قدم كسرى بن عبيد الله الهاشمى واليا على العامة لبنى العباس ودل عليه فقتله

(اختلاف أهل خراسان)

ولما قتل الوليد وقدم على نصر عهد خراسان من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز صاحب العراق انتقض عليه جديع بن على الكرمانى وهو أزدى وانما سمى الكرمانى لانه ولد بكرمان وقال لاصحابه هذه فتنة فانظروا لاموركم رجلا فقالوا له أنت وولوه وكان الكرمانى قد أحسن الى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله فلما ولى نصر عزله

عن الرياسة بغيره فتباعد ما بينهما وأكثر على نصر أصحابه فى أمر الكرمانى فاعتزم على حبسه وأرسل صاحب حرسه ليأتى به وأراد الازد أن يخلصوه فأبى وجاء الى نصر بعدد عليه أياديه قبله من مراجعة يوسف بن عمر فى قتله والغرامة عنه وتقديم ابنه للرياسة ثم قال فبدلت ذلك بالاجماع على الفتنة فأخذ يعتذر ويتنصل وأصحاب نصر يتحاملون عليه مثل مسلم بن أحوز وعصمة بن عبد الله الاسدى ثم ضربه وحبسه آخر رمضان سنة ست وعشرين ثم نقب السجن واجتمع له ثلاثة آلاف وكانت الازد قد بايعوا عبد الملك بن حرملة على الكتاب والسنة فلما جاء الكرمانى قدمه عبد الملك ثم عسكر نصر على باب مرو الروذ واجتمع اليه الناس وبعث سالم بن أحوز فى الجموع الى الكرمانى وسفر الناس بينهما على أن يؤمنه نصر ولا يحبسه وأجاب نصر الى ذلك وجاء الكرمانى اليه وأمره بلزوم بيته ثم بلغه عن نصر شئ فعاد الى حاله وكلموه فيه فأمنه وجاء اليه وأعطى أصحابه عشرة عشرة فلما عزل جهور عن العراق وولى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز خطب نصر فذم ابن جهور وأثنى على عبد الله فغضب الكرمانى لابن الجهور وعاد لجمع المال واتخاذ السلاح وكان يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة ويصلى خارج المقصورة ويدخل فيسلم ولا يجلس ثم أظهر الخلاف وبعث اليه نصر سالم بن أحوز فافحش فى صرفه وسفر بينهما الناس فى الصلح على أن يخرج الكرمانى من خراسان وتجهز للخروج الى جرجان

(أمان الحرث بن شريح وخروجه من دار الحرث)

لما وقعت الفتنة بخراسان بين نصر والكرمانى خاف نصر أن يستظهر الكرمانى عليه بالحرث بن شريح وكان مقيما ببلاد الترك منذ اثنتى عشرة سنة كما مر فأرسل مقاتل ابن حيان النبطى يراوده على الخروج من بلاد الترك بخلاف ما يقتضى له الامان من يزيد بن الوليد وبعث خالد بن زياد البدى الترمذى وخالد بن عمرة مولى بنى عامر لاقتضاء الامان له من يزيد فكتب له الامان وأمر نصرا أن يرد عليه ما أخذ له وأمر عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة أن يكتب لهما بذلك أيضا ولما وصل الى نصر بعث الى الحرث بذلك فلقيه الرسول راجعا مع مقاتل بن حيان وأصحابه ووصل سنة سبع وعشرين فى جمادى الاخيرة وأنزله نصر بمرو ورد عليه ما أخذ له وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما وأطلق أهله وولده وعرض عليه أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل وقال لست من الدنيا واللذات فى شئ وانما أسأل كتاب الله والعمل بالسنة وبذلك أساعدك على عدوك وانما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور فكيف تريدنى عليه وبعث الى الكرمانى ان عمل نصر بالكتاب عضدته فى أمر الله

والا أعتبك ان ضمنت لى القيام بالعدل والسنة ثم دعا قبائل تميم فأجاب منهم ومن غيرهم كثير واجتمع اليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك

(انتقاض مروان لما قتل الوليد)

كان مروان بن محمد بن مروان على أرمينية وكان على الجزيرة عبدة بن رياح الغسانى وكان الوليد قد بعث بالصائفة أخاه فبعث معه مروان ابنه عبد الملك فلما انصرفوا من الصائفة لقيهم بحران حين مقتل الوليد وسار عبدة عن الجزيرة فوثب عبد الملك بالجزيرة وحران فضبطهما وكتب الى أبيه بأرمينية يستحثه فسار طالبا بدم الوليد بعد أن أرسل الى الثغور من يضبطها وكان معه ثابت بن نعيم الجذامى من اهل فلسطين وكان صاحب فتنة وكان هشام قد حبسه على افساد الجند بافريقية عند مقتل كلثوم بن عياض وشفع فيه مروان فأطلقاه واتخذ اعنده يدا فلما سار من أرمينية داخل ثابت أهل الشأم فى العود الى الشأم من وجه الفرات واجتمع له الكثير من جند مروان وناهضه القتال ثم غلبهم وانقادوا له وحبس ثابت بن نعيم وأولاده ثم أطلقهم من حران الى الشأم وجمع نيفا وعشرين ألفا من الجزيرة ليسير بهم الى يزيد وكتب اليه يشترط ما كان عبد الملك ولى أباه محمدا من الجزيرة والموصل وأذربيجان فأعطاه يزيد ولاية ذلك وبايع له مروان وانصرف

(وفاة يزيد وبيعة أخيه ابراهيم)

ثم توفى يزيد آخر سنة ست وعشرين لخمسة أشهر من ولايته ويقال انه كان قدريا وبايعوا لأخيه ابراهيم من بعده الا أنه انتقض عليه الناس ولم يتم له الامر وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة وأقام على ذلك نحوا من ثلاثة أشهر ثم خلعه مروان ابن محمد على ما نذكره وهلك سنة اثنتين وثلاثين

(مسير مروان الى الشأم)

ولما توفى يزيد وولى أخوه ابراهيم وكان مضعفا انتقض عليه مروان لوقته وسار الى دمشق فلما انتهى الى قنسرين وكان عليها بشر بن الوليد عاملا لاخيه يزيد ومعه أخوهما مسرور دعاهم مروان الى بيعته ومال اليه يزيد بن عمر بن هبيرة وخرج بشر للقاء مروان فلما تراءى الجمعان مال ابن هبيرة وقيس الى مروان وأسلموا بشرا ومسرورا فأخذهما مروان وحبسهما وسار بأهل قنسرين ومن معه الى حمص وكانوا امتنعوا من بيعة ابراهيم فوجه اليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فى جند أهل دمشق فكان يحاصرهم فلما دخل مروان رحل عبد العزيز عنهم وبايعوا مروان وخرج

للقائه سليمان بن هشام فى مائة وعشرين ألفا ومروان فى ثمانين فدعاهم الى الصلح وترك الطلب بدم الوليد على أن يطلقوا ابنيه الحكم وعثمان وليى عهده فأبوا وقاتلوه وسرب عسكرا جاؤهم من خلفهم فانهزموا وأثخن فيهم أهل حمص فقتلوا منهم نحوا من سبعة عشر ألفا وأسروا امثلها ورجع مروان الفل وأخذ عليهم البيعة للحكم وعثمان ابنى الوليد وحبس يزيد بن العفار والوليد بن مصاد الكلبيين فهلكا فى حبسه وكان ممن شهد قتل الوليد ابن الحجاج وهرب يزيد بن خالد القسرى الى دمشق فاجتمع له مع ابراهيم وعبد العزيز بن الحجاج وتشاوروا فى قتل الحكم وعثمان خشية أن يطلقهما مروان فيثأرا بأبيهما وولوا ذلك يزيد بن خالد فبعث مولاه أبا الاسد فقتلهما وأخرج يوسف ابن عمر فقتله واعتصم أبو محمد السفيانى بيت فى الحبس فلم يطيقوا فتحه وأعجلهم خيل مروان فدخل دمشق وأتى بأبى الوليد ويوسف بن عمر مقتولين فدفنهما وأتى بأبى عمر السفيانى فى قيوده فسلم عليه بالخلافة وقال ان ولى العهد جعلها لك ثم بايعه وسمع الناس فبايعوه وكان أولهم بيعة معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير وأهل حمص ثم رجع مروان الى خراسان واستأمن له ابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام وقدما عليه وكان قدوم سليمان من تدمر بمن معه من اخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية فبايعوا لمروان

(انتقاض الناس على مروان)

ولما رجع الى خراسان راسل ثابت بن نعيم من فلسطين أهل حمص فى الخلاف على مروان فأجابوه وبعثوا الى من كان بتدمر ممن طلب وجاء الاصبغ بن ذؤالة الكلبى وأولاده ومعاوية السكسكى فارس أهل الشأم وغيرها فى ألف من فرسانهم ودخلوا حمص ليلة الفطر من سنة سبعة وعشرين وزحف مروان فى العساكر من حران ومعه ابراهيم المخلوع وسليمان بن هشام ونزل عليهم ثالث يوم الفطر وقد سدوا أبوابهم فنادى مناديه ما دعاكم الى النكث قالوا لم ننكث ونحن على الطاعة ودخل عمر الوضاح فى ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون هنالك للخلاف وخرجوا من الباب الآخر وجفل مروان فى اتباعهم وعلا الباب فقتل منهم نحو خمسمائة وصلبهم وهدم من سورها علوه وأفلت الاصبغ بن ذؤالة وابنه فرافصة ثم بلغ مروان وهو بحمص خلاف أهل الغوطة وانهم ولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وحاصروا دمشق وأميرها زامل بن عمرو فبعث مروان اليهم أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحرث وعمر بن الوضاح فى عشرة آلاف فلما دنوا من دمشق حملوا عليهم وخرج اليهم من كان بالمدينة فهزموهم وقتلوا يزيد بن خالد وبعثوا برأسه الى مروان وأحرقوا المزة وقرى البرامة ثم خرج ثابت بن نعيم فى أهل

فلسطين وحاصر طبرية وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم فبعث مروان اليه أبا الورد فلما قرب منه خرج أهل طبرية عليه فهزموه ولقيه أبو الورد منهزما فهزمه أخرى وافترق أصحابه وأسر ثلاثة من ولده وبعث بهم الى مروان وتغيب ثابت وولى مروان على فلسطين الرماحس بن عبد العزيز الكنانى فظفر بثابت بعد شهرين وبعث به الى مروان موثقا فقطعه وأولاده الثلاثة وبعثهم الى دمشق فصلبوه ثم بايع لابنيه عبد الله وعبيد الله وزوجهما ابنتى هشام ثم سار الى ترمذ من دير ايوب وكانوا قد غوروا المياه فاستعمل المزاد والقرب والابل وبعث وزيره الابرش الكلبى اليهم وأجابوا الى الطاعة وهرب نفر منهم الى البلد وهدم الابرش سورها ورجع بمن أطاع الى مروان ثم بعث مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق لقتال الضحاك الشيبانى الخارجى بالكوفة وأمده ببعوث أهل الشأم ونزل قرقيسيا ليقدم ابن هبيرة لقتال الضحاك وكان سليمان بن هشام قد استأذنه بالمقام فى الرصافة أياما ويلحق به فرجعت طائفة عظيمة من أهل الشأم الذين بعثهم مروان مع ابن هبيرة فأقاموا بالرصافة ودعوا سليمان بن هشام بالبيعة فأجاب وسار معهم الى قنسرين فعسكر بها وكاتب أهل الشأم فأتوه من كل وجه وبلغ الخبر مروان فكتب الى ابن هبيرة بالمقام ورجع من قرقيسيا الى سليمان فقاتله فهزمه واستباح معسكره وأثخن فيهم وقتل اسراهم وقتل ابراهيم أكبر ولد سليمان وخالد بن هشام المخزومى جا   أبيه فيما ينيف على ثلاثين ألفا وهرب سليمان الى حمص فى الفل فعسكر بها وبنى ما كان تهدم من سورها وسار مروان اليه فلما قرب منه بيته جماعة من أصحاب سليمان تبايعوا على الموت وكان على احتراس وتعبية فترك القتال بالليل وكمنوا له فى طريقه من الغد فقاتلهم الى آخر النهار وقتل منهم نحوا من ستمائة وجاؤا الى سليمان فلحق بتدمر وخلف أخاه سعيدا بحمص وحاصره مروان عشرة أشهر ونصب عليهم نيفا وثمانين منجنيقا حتى استأموا له وأمكنوه من سعيد بن هشام وآخرين شرطهم عليهم ثم سار لقتال الضحاك الخارجى بالكوفة وقيل ان سليمان بن هشام لما انهزم بقنسرين لحق بعبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق وسار معه الى الضحاك فبايعوه وكان النضر بن سعيد قد ولى العراق فلما اجتمعوا على قتاله سار نحو مروان فاعترضه بالقادسية جنود الضحاك من الكوفة مع ابن ملحان فقتله النضر وولى الضحاك مكانه بالكوفة المثنى بن عمران وسار الضحاك الى الموصل وأقبل ابن هبيرة الى الكوفة فنزل بعين التمر وسار اليه المثنى فهزمه ابن هبيرة وقتله وعدة من قواد الضحاك وانهزم الخوارج ومعهم منصور بن جمهور ثم جاؤا الى الكوفة واحتشدوا وساروا للقاء ابن هبيرة فهزمهم ثانية ودخل الكوفة وسار الى واسط وأرسل الضحاك عبيدة

بياض بالأصل

ابن سوار التغلبى لقتاله فنزل الصراة وقاتله ابن هبيرة هنالك فانهزمت الخوارج كما يأتى فى أخبارهم

(ظهور عبد الله بن معاوية)

كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدم على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الكوفة فى اخوانه وولده فأكرمهم عبد الله وأجرى عليهم ثلثمائة درهم فى كل يوم وأقاموا كذلك ولما بويع ابراهيم بن الوليد بعد أخيه واضطرب الشأم وسار مروان الى دمشق حبس عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده وزاد فى رزقه يعده لمروان يبايعه ويقاتله فلما ظفر مروان بابراهيم سار اسمعيل بن عبد الله القسرى الى الكوفة وقاتله عبد الله ابن عمر ثم خاف اسمعيل أن يفتضح فكفوا اخبرهم فوقعت العصبية بين الناس من ايثار عبد الله بن عمر بعضا من مضر وربيعة بالعطاء دون غيرهم فثارت ربيعة فبعث اليهم أخاه عاصما ملقيا بيده فاستحيوا ورجعوا وأفاض   فى رؤس الناس بسة لهم فاستنفر الناس واجتمعت الشيعة الى عبد الله بن معاوية فبايعوه وأدخلوه نصر الكوفة وأخرجوا منه عاصم بن عمر فلحق بأخيه بالحيرة وبايع الكوفيون بن معاوية ومنهم منصور بن جمهور واسمعيل أخو خالد القسرى وعمر بن العطاء وجاءته البيعة من المدائن وجمع الناس وخرج الى عبد الله بن عمر بالحيرة فسرح للقائه مولاه ثم خرج فى أثره وتلاقيا ونزع منصور بن جمهور واسمعيل أخو خالد القسرى وعمر ابن العطاء وجاءته البيعة من ابن عمر ولحقوا بالحيرة وانهزم ابن معاوية الى الكوفة وكان عمر بن الغضبان قد حمل على ميمنة ابن عمر فكشفها وانهزم أصحابه من ورائه فرجع الى الكوفة وأقام مع ابن معاوية فى القصر ومعهم ربيعة والزيدية على أفواه السكك يقاتلون ابن عمر ثم أخذ ربيعة الامان لابن معاوية ولانفسهم وللزيدية وسار ابن معاوية الى المدائن وتبعه قوم من أهل الكوفة فتغلب بهم على حلوان والجبل وهمذان واصبهان والرى الى أن كان من خبره ما نذكره

بياض بالأصل

(غلبة الكرمانى على مرو وقتله الحرث بن سريج)

لما ولى مروان وولى على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة كتب يزيد الى نصر بعهده على خراسان فبايع لمروان بن محمد فارتاب الحرث وقال ليس لى أمان من مروان وخرج فعسكر وطلب من نصر أن يجعل الامر شورى فأبى وقرأ جهم بن صفوان مولى راسب وهو رأس الجهمية سيرته وما يدعو اليه على الناس فرضوا وكثر جمعه وأرسل الى نصر فى عزل سالم بن أحوز عن الشرطة وتغيير العمال فتقرر الامر بينهما على أن يردوا ذلك الى رجال أربعة مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان بتعيين نصر والمغيرة بن

شعبة الجهضى ومعاذ بن جبلة بتعيين الحرث وأمر نصرا أن يكتب بولاية سمرقند
وطخارستان لمن يرضاه هؤلاء الاربعة وكان الحرث يقول انه صاحب السور وانه يهدم
سور دمشق ويزيل ملك بنى أمية فأرسل اليه نصر ان كان ما تقوله حقا فتعال نسير الى
دمشق والا فقد أهلكت عشيرتك فقال الحرث هو حق لكن لا تبايعنى عامة أصحابى قال
فكيف تهلك عشرين ألفا من ربيعة واليمن ثم عرض عليه ولاية ما وراء النهر ويعطيه
ثلثمائة ألف فلم يقبل فقال له فابدأ بالكرمانى فاقتله وأنا فى طاعتك ثم اتفقا على تحكيم
جهم ومقاتل فاحتكما بأن يعزله نصر ويكون الامر شورى فأبى نصر فخالفه الحرث
وقدم على نصر جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة منهم عاصم بن عمير الضريمى
وأبو الديال الناجى ومسلم بن عبد الرحمن وغيرهم فكانوا معه وأمر الحرث أن يقرأ سيرته
فى الاسواق والمساجد وأتاه الناس وقرئت على باب نصر فضرب غلمان نصر قارئها
فنادى بهم وتجهزوا للحرب ونقب الحرث سور مرو من الليل ودخل بالنهار فاقتتلوا
وقتل جهم بن مسعود الناجى وأعين مولى حيان ونهبوا منزل مسلم بن أحوز فركب سالم
حين أصبح فقاتل الحرث وهزمه وجاء الى عسكره فقتل كاتبه وبعث نصر الى الكرمانى
وكان فى الازد وربيعة وكان موافقا للحرث لما قدمناه فجاءه نصر على الامان فحادثهم
وأغلظوا له فى القول فارتاب ومضى وقتل من أصحابه جهم بن صفوان ثم بعث الحرث
ابنه حاتما الى الكرمانى يستجيشه فقال له أصحابه دع عدويك يضطربان ثم ضرب بعد
يومين وناوش القتال أصحاب نصر فهزمهم وصرع تميم بن نصر ومسلم بن أحوز وخرج
نصر من مرو من الغد فقاتلهم ثلاثة أيام وانهزم الكرمانى وأصحابه ونادى مناد
يا معشر ربيعة واليمن ان أبا سيار قتل فانهزمت مضر ونصر وترجل ابنه تميم فقاتل
وأرسل اليه الحرث انى كاف عنك فان اليمانية يعيرونى بانهزامكم فاجعل أصحابك
ازاء الكرمانى ولما انهزم نصر غلب الكرمانى على مرو ونهب الاموال فأنكر ذلك
عليه الحرث ثم اعتزل عن الحرث بشر بن جرموز الضبى فى خمسة آلاف وقال انما كنا
نقاتل معك طلبا للعدل فأما ان اتبعت الكرمانى للعصبية فنحن لا نقاتل فدع الحرث
الكرمانى الى الشورى فأبى فانتقل الحرث عنه وأقاموا أياما ثم ثلم الحرث السور
ودخل البلد وقاتله الكرمانى قتالا شديدا فهزمه وقتله وأخاه سوادة واستولى
الكرمانى على مرو وقيل ان الكرمانى خرج مع الحرث لقتال بشر بن جرموز ثم ندم
الحرث على اتباع الكرمانى وأتى عسكر بشر فأقام معهم وبعث الى مضر من عسكر
الكرمانى فساروا اليهم وكانوا يقتتلون كل يوم ويرجعون الى خنادقهم ثم نقب الحرث
بعد أيام سور مرو ودخلها وتبعه الكرمانى واقتتلوا فقتل الحرث وأخاه وبشر بن

جرموز وجماعة من بنى تميم وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة فانهزم الباقون وصفت
مرو لليمن وهدموا دور المضرية

(ظهور الدعوة العباسية بخراسان)

قد ذكرنا أن أبا مسلم كان يتردد الى الامام من خراسان ثم استدعاه سنة تسعة وعشرين
ليسأله عن الناس فسار فى سبعين من النقباء مؤدين بالحج ومر بنسا فاستدعى أسيدا
فأخبره بان كتب الامام جاءت اليه مع الازهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد ودفع
اليه الكتب ثم لقيه بقومس كتاب الامام اليه والى سليمان بن كثير انى قد بعثت اليك
براية النصر فارجع من حيث لقيك كتابى ووجه قحطبة الى الامام بما معه من الاموال
والعروض وجاء أبو مسلم الى مرو وأعطى كتاب الامام لسليمان بن كثير وفيه الامر
باظهار الدعوة فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت. ودعوا الى طاعة بنى
العباس وكتبوا الى الدعاة باظهار الامر ونزل أبو مسلم بقرية من قرى مرو فى شعبان
من سنة تسع وعشرين ثم بثوا الدعاة فى طخارستان ومرو الروذ والطالقان وخوارزم
وانهم ان أعجلهم عدوهم دون الوقت عاجلوه وجردوا السيوف للجهاد ومن شغله العدو
عن الوقت فلا حرج عليه أن يظهر بعد الوقت ثم سار أبو مسلم فنزل على سليمان بن
كثير الخزاعى آخر رمضان ونصر بن سيار يقاتل الكرمانى وشيبان فعقد اللواء الذى
بعث به الامام اليه وكان يدعى الظل على رمح أربعة عشر ذراعا ثم عقد الراية التى بعثها
معه وتسمى السحاب وهو يتلو أذن للذين يقاتلون الآية ولبسوا السواد هو وسليمان
ابن كثير وأخوه سليمان ومواليه ومن أجاب الدعوة من أهل تلك القرى وأوقدوا
النيران ليلتهم لشيعتهم فى خرقان فأصبحوا عنده ثم قدم عليه أهل السقادم مع أبى
الوضاح فى سبعمائة راجل وقدم من الدعاة أبو العباس المروزى وحصن أبو مسلم
بسفيذنج ورمها وحضر عيد الفطر فصلى سليمان بن كثير وخطب على المنبر فى العسكر
وبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة وكبر فى الاولى ست تكبيرات وفى
الثانية خمسا خلاف ما كان بنو أمية يفعلون وكل ذلك مما سنه لهم الامام وأبوه ثم
انصرفوا من الصلاة مع الشيعة فطعموا وكان أبو مسلم وهو فى الخندق اذا كتب نصر
ابن سيار يبدأ باسمه فلما قوى بمن اجتمع اليه كتب الى نصر وبدأ بنفسه وقال (أما بعد)
فان الله تباركت أسماؤه عير قوما فى القرآن فقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن
جاءهم نذير الى وان تجد لسنة الله تحويلا فاستعظم الكتاب وبعث مولاه يزيد لمحاربة
ابى مسلم لثمانية عشر شهرا من ظهوره فبعث اليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعى فدعاه
الى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا فقاتلهم مالك وهو فى مائتين

يوما بكماله وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضبي وابراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى فسرحهم الى مالك تقوى مالك بهم وقاتلوا القوم فحمل عبد الله الطائي على يزيد مولى نصر فأسره وانهزم أصحابه وأرسله الطائي الى أبي مسلم ومعه رؤس القتلى فأحسن أبو مسلم الى يزيد وعالجه ولما اندملت جراحه قال ان شئت أقمت عندنا والا رجعت الى مولاك سالما بعد أن تعاهدنا على أن لا تحاربنا ولا تكذب علينا فرجع الى مولاه وتفرس نصر أنه عاهدهم فقال والله هو ما ظننت وقد استحلفوني أن لا أكذب عليهم وانهم وانه يصلون الصلاة لوقتها بأذان واقامة ويتلون القرآن ويذكرون الله كثيرا ويدعون الى ولاية آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسب أمرهم الا سيعلو ولولا أنك مولاي لأقمت عندهم وكان الناس يرجفون عنهم بعبادة الاوثان واستحلال الحرام ثم غلب حازم بن خزيمة على مرو الروذ وقتل عامل نصر بها وكان من بني تميم من الشيعة وأراد بنو تميم منعه فقال انا منكم فان ظفرت فهي لكم وان قتلت كفيتم أمري فنزل قرية زاها ثم تغلب على أهلها فقتل بشر بن جعفر السغدي عامل نصر عليها أوائل ذي القعدة وبعث بالفتح الى أبي مسلم مع ابنه خزيمة بن حازم وقيل في أمر أبي مسلم غير هذا وان ابراهيم الامام أزوج أبا مسلم لما بعثه خراسان بابنة أبي النجم وكتب الى النقباء بطاعته وكان أبو مسلم من سواد الكوفة فهزما فانتهى لادريس بن معقل العجلي ثم سار الى ولاية محمد بن علي ثم ابنه ابراهيم ثم للائمة من ولاية من ولده وقدم خراسان وهو حديث السن واستصغره سليمان بن كثير فرده وكان أبو داود خالد بن ابراهيم غائبا وراء النهر فلما جاء الى مرو أقرأه كتاب الامام وسألهم عن أبي مسلم فأخبروه أن سليمان بن كثير رده لحداثة سنه وأنه لا يقدر على الامر فنخاف على أنفسنا وعلى من يدعوه فقال لهم أبو داود ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى جميع خلقه وأنزل عليه كتابه بشرائعه وأنبأه بما كان وما يكون وخلف علمه رحمة لامته وعلمه انما هو عند عترته وأهل بيته وهم معدن العلم وورثة الرسول فيما علمه الله أتشكون في شيء من ذلك قالوا لا قال فقد شككتم والرجل لم يبعثه اليكم حتى علم أهليته لما يقوم به فبعثوا عن أبي مسلم وردوه من قومس بقول أبي داود وولوه أمرهم وأطاعوه ولم تزل في نفس أبي مسلم من سليمان بن كثير ثم بعث الدعاة ودخل الناس في الدعوة أفواجا واستدعاه الامام سنة تسع وعشرين أن يوافيه بالموسم ليأمره بأمره في اظهار الدعوة وأن يقدم معه قحطبة بن شبيب ويحمل ما اجتمع عنده من الاموال فسار في جماعة من النقباء والشيعة فلقيه كتاب الامام بقومس يأمره بالرجوع واظهار الدعوة بخراسان وبعث قحطبة بالمال وان قحطبة سار الى جرجان واستدعى خالد بن برمك وأبا عون فقدما بما عندهما

من مال الشيعة فسار به نحو الامام

(مقتل الكرماني)

قد ذكرنا من قبل أن الكرماني قتل الحرث بن شريح فخلصت له مرو وتنحى نصر عنها ثم بعث نصر سالم بن أحوز في رابطته وفرسانه الى مرو فوجد يحيى بن نعيم الشيباني في ألف رجل من ربيعة ومحمد بن المثنى في سبعمائة من الازد وأبو الحسن بن الشيخ في ألف منهم والحربي السغدي في ألف من اليمن فتلاحى سالم وابن المثنى وشتم سالم الكرماني فقاتلوه فهزموه وقتل من أصحابه نحو مائة فبعث نصر بعده عصمة بن عبد الله الاسدى فكان بينهم مثل ما كان أولا فقاتلهم محمد السغدي فانهزم السغدي وقتل من أصحابه أربعمائة ورجع الى نصر فبعث مالك بن عمر التميمي فاقتتلوا كذلك وانهزم مالك وقتل من أصحابه سبعمائة ومن أصحاب الكرماني ثلثمائة ولما استيقن أبو مسلم ان كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وانه لا مدد لهم جعل يكتب الى شيبان الخارجي يذم اليمانية تارة ومضر أخرى ويوصي الرسول بكتاب مضر أن يتعرض لليمانية ليقرؤا ذم مضر والرسول بكتاب اليمانية أن يتعرض لمضر ليقرؤا ذم اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه ثم كتب الى نصر بن سيار والكرماني أن الامام أوصاني بكم ولا أعدو رأيه فيكم ثم كتب يستدعي الشيعة أسد بن عبد الله الخزاعي بنسا ومقاتل بن حكيم بن غزوان وكانوا أول من سود ونادوا يا محمد يا منصور ثم سود أهل ابي ورد ومرو الروذ وقرى مرو فاستدعاهم أبو مسلم وأقبل فنزل بين خندق الكرماني وخندق نصر وهابه الفريقان وبعث الى الكرماني اني معك وقبل فانضم أبو مسلم اليه وكتب نصر بن سيار الى الكرماني يحذره منه ويشير عليه بدخول مرو وليصالحه فدخل ثم خرج من الغد وأرسل الى نصر في اتمام الصلح في مائتي فارس فرأى نصر فيه عزة فبعث اليه ثلثمائة فارس فقتلوه وسار ابنه الى أبي مسلم وقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الامارة الى بعض الدور ودخل أبو مسلم مرو فبايعه علي بن الكرماني وقال له أبو مسلم أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري وكان نصر حين نزل أبو مسلم بين خندقه وخندق الكرماني ورأى قوته كتب الى مروان بن محمد يعلمه بخروجه وكثرة من معه ودعائه لابراهيم بن محمد

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب اولها الكلام
فان لم تطفؤها يخرجوها * مسعرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام

فان يك قومنا أضحوا نياما * فقل قوموا فقد حان القيام

تعزى عن رجالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فوجده مشتغلا بحرب الضحاك بن قيس فكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثالول قبلك فقال نصر اما صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده وصادف وصول كتاب نصر الى مروان عثورهم على كتاب من ابراهيم الامام لابى مسلم يوبخه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانى اذ أمكنته ويأمره أن لا يدع بخراسان متكلما بالعربية فلما قرأ الكتاب بعث الى عامله بالبلقاء أن يسير الى الحميمة فيبعث اليه بابراهيم ابن محمد مشدود الوثاق فحبسه مروان

(اجتماع أهل خراسان على قتل أبى مسلم)

لما أظهر أبو مسلم أمره سارع اليه الناس وكان أهل مرو يأتونه ولا يمنعهم نصر وكان الكرمانى وشيبان الخارجى لا يكرهان أمر أبى مسلم لانه دعا الى خلع مروان وكان أبو مسلم ليس له حرس ولا حجاب ولا غلظة الملك فكان الناس يأنسون به لذلك وأرسل نصر الى شيبان الخارجى فى الصلح ليتفرغ لقتال أبى مسلم اما أن يكون معه أو يكف عنه ثم نعود الى ما كنا فيه فهم شيبان بذلك وكتب أبو مسلم الى الكرمانى فحرضه على منع شيبان من ذلك فدخل عليه وثناه عنه ثم بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبى الى هراة فملكها وطرد عنها عيسى بن عقيل بن معقل الليثى عامل نصر فجاء يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى الى الكرمانى وشيبان وأغراهما بمصالحة نصر وقال ان صالحتم نصرا قاتله أبو مسلم وترككم لان أمر خراسان لمضر وان لم تصالحوه صالحه وقاتلكم فتقدموا نصر قبلكم فأرسل شيبان الى نصر فى الموادعة فأجاب وجاء مسلم بن أحوز بكتب الموادعة فكتبوها وبعث أبو مسلم الى شيبان فى موادعة ثلاثة أشهر فقال ابن الكرمانى اذا ما صالحت نصرا انما صالحه شيبان وأنا موتور بأبى ثم عاود القتال وقعد شيبان عن نصره وقال لا يحل الغدر فاستنصر ابن الكرمانى بأبى مسلم فأقبل حتى نزل الماخران لاثنتين وأربعين يوما من نزوله بسفيذنج وخندق على معسكره وجعل له بابين وعلى شرطته مالك بن الهيثم وعلى الحرس أبا اسحق خالد بن عثمان وعلى ديوان الجند أبا صالح كامل بن المظفر وعلى الرسائل أسلم بن صبيح وعلى القضاء القاسم بن مجاشع النقيب وكان القاسم يصلى بأبى مسلم ويقرأ القصص بعد العصر فيذكر فضل بنى هاشم ومثالب بنى أمية ولما نزل أبو مسلم الماخران أرسل الى ابن الكرمانى بأنه معه فطلب لقاءه فجاءه أبو مسلم وأقام عنده يومين ثم رجع وذلك أول المحرم سنة ثلاثين ثم عرض الجند وأمر كامل ابن مظفر بكتب أسمائهم وأنسابهم فى دفتر فبلغت عدته سبعة آلاف ثم ان القبائل من

ربيعة ومضر واليمن توادعوا على وضع الحرب والاجتماع على قتال أبى مسلم فعظم ذلك عليه وتحول عن الماخران لاربعة أشهر من نزوله الا أنها كانت تحت الماء وخشى أن يقطع فتحول الى طبسين وخندق بها وخندق نصر بن سيار على نهر عياض وأنزل عماله بالبلاد فأنزل أبا الذيال فى جنده لطوسان فآذوا أهلها وعسفوهم وكان أكثرهم مع أبى مسلم فى خندق فسير اليهم جندا فقاتلوه فهزموه وأسروا من أصحابه ثلاثين فأطلقهم أبو مسلم ثم بعث محرز بن ابراهيم فى جمع من الشيعة ليقطع مادة نصر من مرو الروذ وبلخ وطخارستان فخندق بين نصر وبين هذه البلاد واجتمع اليه ألف رجل وقطع المادة عن نصر

(مقتل عبد الله بن معاوية)

قد تقدم لنا أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بويع بالكوفة وغلبه عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ولحق بالمدائن وجاءه ناس من أهل الكوفة وغيرها فسار الى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس واصبهان والرى وأقام باصبهان وكان محارب بن موسى مولى بنى يشكر عظيم القدر بفارس فجاء الى دار الامارة باصطخر وطرد عامل عبد الله بن عمر عنها وبايع الناس لعبد الله بن معاوية ثم سار الى كرمان فأغار عليها وانضم اليه قواد من أهل الشأم فسار الى سالم بن المسيب عامل عبد الله بن عمر على شيراز فقتله سنة ثمان وعشرين ثم سار محارب الى اصبهان وحول عبد الله بن معاوية الى اصطخر بعد أن استعمل على الجبال أخاه الحسن بن معاوية وأتى الى اصطخر فنزل بها وأتاه بنو هاشم وغيرهم وجبى المال وبعث العمال وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام وأتاه شيبان بن عبد العزيز الخارجى ثم أتاه أبو جعفر المنصور وعبد الله ابن أخيه عيسى ولما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق أرسل نباتة ابن حنظلة الكلابى على الاهواز وأن يقاتل عبد الله بن معاوية وبلغ سليمان بن حبيب وهو بالاهواز فسرح داود بن حاتم للقاء نباتة وهرب سليمان من الاهواز الى نيسابور وقد غلب الاكراد عليها فطردهم عنها وبايع لابن معاوية فبعث أخاه يزيد بن معاوية عليها ثم ان محارب بن موسى فارق عبد الله بن معاوية وجمع وقصد نيسابور فقاتله يزيد ابن معاوية وهزمه فأتى كرمان وأقام بها حتى قدم محمد بن الاشعث فصار معه ثم نافره فقتله ابن الاشعث وأربعة وعشرين ابنا له ثم بعث يزيد بن هبيرة بعد نباتة بن حنظلة ابنه داود بن يزيد فى العساكر الى عبد الله بن معاوية وعلى مقدمته داود بن ضبارة وبعث معن بن زائدة من وجه آخر فقاتلوا عبد الله بن معاوية وهزموه وأسروا وقتلوا وهرب منصور بن جمهور الى السند وعبد الرحمن بن يزيد الى عمان وعمر بن سهيل

ابن عبد العزيز بن مروان الى مصر و بعثوا بالاسرى الى ابن هبيرة فأطلقهم ومضى
ابن معاوية عن فارس الى خراسان وسار معن بن زائدة فى طلب منصور بن جمهور
وكان فيمن اسر مع عبد الله بن معاوية عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس شفع فيه حرب
ابن قطن من أخواله بنى هلال فوهبه له ضبارة وعاب عبد الله بن معاوية عن ابن ضبارة
ورمى أصحابه باللواطة فبعث الى ابن هبيرة ليخبره وسار ابن ضبارة فى طلب عبد الله بن
معاوية الى شيراز فحاصره بها حتى خرج منها هاربا ومعه اخوه الحسن و يزيد وجماعة
من أصحابه فسلك المفازة على كرمان الى خراسان طمعا فى أبى مسلم لانه كان يدعو الى
الرضا من آل محمد وقد استولى على خراسان فوصل الى نواحى هراة وعليها مالك فقال له
انتسب نعرفك فانتسب له فقال أمّا عبد الله وجعفر فمن أسماء آل الرسول وأمّا معاوية
فلا نعرفه فى أسمائهم قال ان جدّى كان عند معاوية حين ولد أبى فبعث اليه مائة ألف
على أن يسمى ابنه باسمه فقال لقد اشتريتم الاسماء الخبيثة بالثمن اليسير فلا نرى لك حقا
فيما تدعو اليه ثم بعث بخبره الى أبى مسلم فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فحبسهم ثم
كتب اليه باطلاق أخويه الحسن ويزيد وقتل عبد الله فوضع الفراش على وجهه فمات

بياض بالأصل

لما تعاقد نصر وابن الكرمانى وقبائل ربيعة واليمن ومضر على قتال أبى مسلم عظم
على الشيعة وجمع أبو مسلم اصحابه ودس سليمان بن كثير الى ابن الكرمانى يذكره بثار
أبيه من نصر فانتقضوا فبعث نصر الى أبى مسلم بموافقة مضر وبعث اليه أصحاب ابن
الكرمانى وهم ربيعة واليمن بمثل ذلك واستدعى وفد الفريقين ليختار الركون الى
أحدهما وأحضر الشيعة لذلك وأخبرهم بأنّ مضر أصحاب مروان وعماله وشيعته
وقتلة يحيى بن زيد فلما حضر الوفد تكلم سليمان بن كثير ويزيد بن شقيق السلمى بمثل
ذلك وبان نصر بن سيار عامل مروان ويسميه أمير المؤمنين وينفذ أوامره فليس
على هدى وانما يختار على بن الكرمانى وأصحابه ووافق السبعون من الشيعة على ذلك
وانصرف الوفد ورجع أبو مسلم من أبين الى الماخوان وأمر الشيعة ببناء المساكن
وأمن من فتنة العرب ثم أرسل اليه على بن الكرمانى أن يدخل مرو من ناحية
ليدخل هو وقومه من الناحية الاخرى فلم يطمئن لذلك أبو مسلم وقال ناشبهم الحرب
من قبل فناشب ابن الكرمانى نصر بن سيار الحرب ودخل مرو من ناحيته وبعث
أبو مسلم بعض النقباء فدخل معه ثم سار وعلى مقدمته أسد بن عبد الله الخزاعى
وعلى ميمنته مالك بن الهيثم وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع فدخل مرو والفريقان
يقتتلان ومضى الى قصر الامارة وهو يتلو ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها

وأمر

وأمر الفريقين بالانصراف فانصرفوا الى معسكرهم وصفت له مرو وأمر بأخذ
البيعة من الجند وتولى أخذها أبو منصور طلحة بن زريق أحد النقباء الذين اختارهم
محمد بن على من الشيعة حين بعث دعاته الى خراسان سنة ثلاث وأربع وكانوا اثنى
عشر رجلا فمن خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وطلحة بن زريق
وعمر بن أعين ومن طيئ قحطبة بن شبيب بن خالد بن سعدان ومن تميم أبو عيينة موسى
ابن كعب ولاهز بن قريط والقاسم بن مجاشع وأسلم بن سلام ومن بكر بن وائل
أبو داود خالد بن ابراهيم الشيبانى وأبو على الهروى ويقال شبل بن طهمان وكان عمر
ابن أعين مكان موسى بن كعب وأبو النجم اسمعيل بن عمران مكان أبى على الهروى
وهو ختن أبى مسلم ولم يكن أحد من النقباء ووالده غير أبى منصور طلحة بن زريق
ابن سعد وهو أبو زينب الخزاعى وكان قد شهد حرب ابن الاشعث وصحب المهلب وغزا
معه وكان أبو مسلم يشاوره فى الامور وكان نص البيعة أبايعكم على كتاب الله وسنة
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشى الى بيت الله الحرام وعلى
أن لا تسألوا رزقا ولا طمعا حتى يبدأكم به ولاتكم وذلك سنة ثلاثين ومائة ثم أرسل
أبو مسلم لاهز بن قريط فى جماعة الى نصر بن سيار يدعوه الى البيعة وعلم نصر أن أمره
قد استقام ولا طاقة له بأصحابه فوعده بأنه يأتيه يبايعه من الغد وأرسل أصحابه
بالخروج من ليلتهم الى مكان يأمنون فيه فقال أسلم بن أحوز لا يتهيأ لنا الليلة
فلما أصبح   أبو مسلم كتائبه وأعاد لاهز بن قريط الى نصر يستحثه فأجاب

هكذا بياض بالأصل

وأقام لوضوئه فقال لاهز ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فخرج نصر عند المساء من خلف
حجرته ومعه ابنه تميم والحكم بن غيلة النميرى وامرأته المرزبانة وانطلقوا هرابا
واستبطأه لاهز فدخل المنزل فلم يجده وبلغ أبا مسلم هربه فجاء الى معسكره وقبض
على أصحابه منهم سالم بن أحوز صاحب شرطته والبخترى كاتبه وابنان له ويونس
ابن عبد ربه ومحمد بن قطن وغيرهم وسار أبو مسلم وابن الكرمانى فى طلبه ليلتهما
فأدركا امرأته قد خلفها وسار فرجعوا الى مرو وبلغ نصر من سرخس فأقام بطوس
خمس عشرة ليلة ثم جاء نيسابور فأقام بها وتعاقد ابن الكرمانى مع أبى مسلم على رأيه
ثم بعث الى شيبان الحرورى يدعوه الى البيعة فقال شيبان بل أنت تبايعنى
واستنصر بابن الكرمانى فأبى عليه وسار شيبان الى سرخس واجتمع له جمع من بكر
ابن وائل وبعث اليه أبو مسلم فى الكف فسجن الرسل فكتب الى بسام بن ابراهيم
مولى بنى ليث المكنى بأبى ورد أن يسير اليه فقاتله وقتله وقتل بكر بن وائل الرسل الذين

كانوا عنده وقيل ان أبا مسلم انما وجه الى شيبان عسكرا من عنده عليهم خزيمة بن حازم وبسام بن ابراهيم ثم بعث أبو مسلم كعبا من النقباء الى ابيورد فافتتحها ثم أبا داود خالد بن ابراهيم من النقباء الى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيرى فجمع له أهل بلخ وترمذ وجند طخارستان ونزل الجوزجان ولقيهم أبو داود فهزمهم وملك مدينة بلخ وساروا الى ترمذ فكتب أبو مسلم الى أبى داود يستقدمه وبعث مكانه على بلخ يحيى ابن نعيم أبا الميلا فداخله زياد بن عبد الرحمن فى الخلاف على أبى مسلم واجتمع لذلك زياد ومسلم بن عبد الرحمن الباهلى وعيسى بن زرعة السلمى وأهل بلخ وترمذ وملوك طخارستان وماوراء النهر ونزلوا على فرسخ من بلخ وخرج اليهم يحيى بن نعيم بمن معه واتفقت كلمة مضر وربيعة واليمن ومن معهم من العجم على قتال المسودة وولوا عليهم مقاتل بن حيان النبطى مخافة أن يتنافسوا وبعث أبو مسلم أبا داود اليهم فأقبل بعساكره حتى اجتمعوا على نهر السرحسان واقتتلوا وكان زياد وأصحابه قد خلفوا أبا سعيد القرشى مسلحة وراءهم خشية أن يؤتوا من خلفهم وكانت راياته سودا وأغفلوا ذلك فلما اشتد القتال زحف أبو سعيد فى أصحابه لمددهم فظنوه كمينا للمسودة فانهزموا وسقطوا فى النهر وحوى أبو داود معسكرهم بما فيه وملك بلخ ومضى زياد ويحيى ومن معهما الى ترمذ وكتب أبو مسلم يستقدم أبا داود وبعث النضر بن صبيح المزنى على بلخ ولما قدم أبو داود أشار على أبى مسلم بالتفرقة بين على وعثمان ابنى الكرمانى فبعث عثمان على بلخ وقدمها فاستخلف الفرافصة بن ظهير العبسى وسار هو والنضر بن صبيح الى مرو الروذ وجاء مسلم بن عبد الرحمن الباهلى من ترمذ فى المضرية فاستولى على بلخ ورجع اليه عثمان والنضر فهربوا من ليلتهم ولم يعن النضر فى طلبهم وقاتلهم عثمان ناحية عنه فانهزم ورجع أبو داود الى بلخ وسار أبو مسلم الى نيسابور ومعه على بن الكرمانى وقد اتفق مع أبى داود على قتال ابنى الكرمانى فقتل أبو داود عثمان فى بلخ وقتل أبو مسلم عليا فى طريقه الى نيسابور

(مسير قحطبة للفتح)

وفى سنة ثلاثين قدم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم من عند الامام ابراهيم وقد عقد له لواء على محاربة العدو فبعثه أبو مسلم فى مقدمته وضم اليه العساكر وجعل اليه التولية والعزل وأمر الجنود بطاعته وقد كان حين غلب على خراسان بعث العمال على البلاد فبعث ساعى بن النعمان الازدى على سمرقند وأبا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان ومحمد بن الاشعث الخزاعى على طبسين وجعل مالك بن الهيثم على شرطته وبعث قحطبة الى طوس ومعه عدة من القواد أبو عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك

وعثمان بن نهيك وحازم بن خزيمة وغيرهم فهزم أهل طوس وأفحش فى قتلهم ثم بعث أبو مسلم القاسم بن مجاشع الى نيسابور على طريق المحجة وكتب الى قحطبة بقتال تميم ابن نصر بالسوذقان ومعه النابى بن سويد وأصحاب شيبان وأمده بعشرة آلاف مع على بن معقل فزحف اليهم ودعاهم بدعوته وقاتلهم فقتل تميم بن نصر وجماعة عظيمة من أصحابه يقال بلغوا ثلاثين ألفا واستبيح معسكرهم وتحصن الباقى بالمدينة فاقتحمها عليهم وخلف خالد بن برمك على قبض الغنائم وسار الى نيسابور فهرب منها نصر بن سيار الى قومس ثم تفرق عنه أصحابه فسار الى نباتة بن حنظلة بجرجان وكان يزيد بن هبيرة بعثه مددا لنصر فأتى فارس واصبهان ثم سار الى الرى ثم الى جرجان وقدم قحطبة نيسابور فأقام بها رمضان وشوال وارتحل الى جرجان وجعل ابنه الحسن على مقدمته وانتهى الى جرجان وأهل الشأم بها مع نباتة فهابهم أهل خراسان فخطبهم قحطبة وأخبرهم أن الامام أخبره أنهم يلقونه مثل هذه العدة فينصرونه عليهم ثم تقدم للقتال وعلى ميمنته ابنه الحسن فانهزم اهل الشأم وقتل نباتة فى عشرة آلاف منهم وبعث برأسه الى أبى مسلم وذلك فى ذى الحجة من السنة وملك قحطبة جرجان ثم بلغه أن أهل جرجان يرومون الخروج عليه فاستعرضهم وقتل منهم نحوا من ثلاثين ألفا وسار نصر من قومس الى خوار الرى وعليها أبو بكر العقيلى وكتب الى ابن هبيرة بواسط يستمده فحبس رسله فكتب مروان الى ابن هبيرة فجهز ابن هبيرة جيشا كثيفا الى نصر وعليهم ابن عطيف

(هلاك نصر بن سيار)

ثم بعث قحطبة ابنه الحسن الى محاصرة نصر فى خوار الرى فى محرم سنة احدى وثلاثين وبعث اليه المدد مع أبى كامل وأبى القاسم محرز بن ابراهيم وأبى العباس المروزى ولما تقاربوا نزع ابو كامل الى نصر فكان معه وهرب جند قحطبة وأصحاب نصر أصابهم شئ من متاعهم فبعثه نصر الى ابن هبيرة فاعترضه ابن عطيف بالرى فأخذه فغاضبه نصر فأقام ابن عطيف بالرى وسار نصر الى الرى وعليها حبيب بن يزيد النهشلى فلما قدمها سار ابن عطيف الى همذان وكان فيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلى فعدل ابن عطيف عنها الى اصبهان وبها عامر بن ضبارة وقدم نصر الرى فأقام بها يومين ومرض وارتحل فلما بلغ نهاوة مات لاثنى عشر من ربيع الاول من السنة ودخل أصحابه همذان

(استيلاء قحطبة على الرى)

ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن حازم الى سمنان واقبل قحطبة من جرجان وقدم زياد بن زرارة القشيرى وقد كان قدم على طاعة أبى مسلم

واعتزم على اللحاق بابن ضبارة فبعث قحطبة فى أثره المسيب بن زهير الضبى فهزمه وقتل عامة من مع ابن معاوية ورجع ولحق قحطبة ابنه الحسن الى الرى فخرج عنها حبيب بن يزيد النهشلى وأهل الشأم ودخلها الحسن فى صفر ثم لحق به أبوه وكتب بالخبر الى أبى مسلم وقد أكثر أهل الرى الى بنى أمية فأخذ أبو مسلم أملاكهم ولم يردها عليهم الا السفاح بعد حين فأقام قحطبة بالرى وكتب أبو مسلم الى اصبهبد طبرستان بالطاعة واداء الخراج فأجاب وكتب الى المصمغان صاحب دنباوند وكبير الديلم بمثل ذلك فأفحش فى الرد فكتب أبو مسلم الى موسى بن كعب أن يسير اليه من الرى فسار ولم يتمكن منه لضيق بلاده وكان الديلم يقاتلونه كل يوم فكثر فيهم الجراح والقتل ومنعهم الميرة فأصابهم الجوع فرجع موسى الى الرى ولم يزل المصمغان متمنعا الى أيام المنصور فأغزاه حماد ابن عمر فى جيش كثيف ففتح دنباوند ولما ورد كتاب قحطبة على ابى مسلم ارتحل عن مرو ونزل نيسابور ثم سير قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الرى بثلاث ليال فسار عن امالك بن أدهم وأهل الشأم وخراسان الى نهاوند ونزل على أربعة فراسخ من المدينة وأمده قحطبة بأبى الجهم بن عطية مولى باهلة فى سبعمائة وأقام محاصرا لها

(استيلاء قحطبة على اصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند وشهرزور)

قد تقدم لنا أن ابن هبيرة بعث ابنه داود بن يزيد لقتال عبد الله بن معاوية باصطخر وبعث معه عامر بن ضبارة فهزموه واتبعوه الى كرمان سنة تسع وعشرين فلما بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بجرجان سنة ثلاثين كتب الى ابنه داود بن ضبارة بالمسير الى قحطبة فسار من كرمان فى خمسين ألفا ونزلوا اصبهان وبعث اليهم قحطبة جماعة من القواد عليهم مقاتل بن حكيم الكعبى فنزلوا قم وسار قحطبة الى نهاوند مددا لولده الحسن الذى حاصرهم فبعث مقاتلا بذلك قحطبة فسار حتى لحقه وزحفوا للقاء داود ابن ضبارة وهم فى مائة ألف وقحطبة فى عشرين ألفا وحمل قحطبة وأصحابه فانهزم ابن ضبارة وقتل واحتووا على ما كان فى معسكرهم مما لا يعبر عنه من الاصناف وذلك فى رجب وطير قحطبة بالخبر الى ابنه الحسن وسار الى اصبهان فأقام بها عشرين ليلة وقدم على ابنه فحاصروا نهاوند ثلاثة أشهر الى آخر شوال ونصبوا عليهم المجانيق وبعث بالامان الى من كان فى نهاوند من أهل خراسان فلم يقبلوا فبعث الى أهل الشأم فقالوا أشغل عنا أهل المدينة بالقتال نفتح لك المدينة من ناحيتنا ففعلوا وخرجوا اليه جميعا فقتلوا أهل خراسان فيهم أبو كامل وحاتم بن شريح وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلى بن عقيل وبيهس وكان قحطبة لما جاء الى نهاوند بعث ابنه الحسن الى جهات حلوان وعليها عبد الله بن العلاء الكندى فتركها وهرب ثم بعث قحطبة

عبد

عبد الملك بن يزيد ومالك بن طرا فى أربعة آلاف الى شهرزور وبها عثمان بن سفيان على مقدمته عبد الله بن محمد فقاتلوا عثمان آخر ذى الحجة فانهزم وقتل وملك أبو عون بلاد الموصل وقيل ان عثمان هرب الى عبد الله بن مروان وغنم أبو عون عسكره وقتل أصحابه وبعث اليه قحطبة بالمدد وكان مروان بن محمد بحران فسار فى أهل الشأم والجزيرة والموصل ونزل الزاب الاكبر وأتوا شهرزور الى المحرم سنة ثنتين وثلاثين

(حرب سفاح بن هبيرة مع قحطبة ومقتلهما وفتح الكوفة)

ولما قدم على يزيد بن هبيرة ابنه داود منهزما من حلوان خرج يزيد للقاء قحطبة فى مدد لا يحصى وكان مروان أمده بحوثرة بن سهيل الباهلى فسار معه حتى نزل حلوان واحتفر الخندق الذى كانت فارس احتفرته أيام الواقعة وأقام وأقبل قحطبة الى حلوان ثم عبر دجلة الى الانبار فرجع ابن هبيرة مبادرا الى الكوفة وقدم اليها حوثرة فى خمسة عشر ألفا وعبر قحطبة الفرات من الانبار لثمان من المحرم سنة ثنتين وثلاثين وابن هبيرة معسكر على فم الفرات وعلى ثلاثة وعشرين فرسخا من الكوفة ومعه حوثرة وفل ابن ضبارة وأشار عليه أصحابه أن يدع الكوفة ويقصد هو خراسان فيتبعه قحطبة فأبى الا البدار الى الكوفة وعبر اليها دجلة من المدائن وعلى مقدمته حوثرة والفريقان يسيران على جانب الفرات وقال قحطبة لاصحابه ان الامام أخبرنى بأن وقعة تكون بهذا المكان والنصر لنا ثم دلوه على مخاضة فعبر منها وقاتل حوثرة وابن نباتة فانهزم أهل الشأم وفقد قحطبة وشهد مقاتل العلى بأن قحطبة عهد لابنه الحسن بعده فبايع جميع الناس لاخيه الحسن وكان فى سرية فبعثوا عنه وولوه ووجد قحطبة فى جدول هو وحرب بن كم بن أحوز وقيل ان قحطبة لما عبر الفرات وقاتل ضربه معن بن زائدة فسقط وأوصى اذا مات أن يلقى فى الماء ثم انهزم ابن نباتة وأهل الشأم ومات قحطبة وأوصى بأمر الشيعة الى أبى مسلمة الخلال بالكوفة وزير آل محمد ولما انهزم ابن نباتة وحوثرة لحقوا بابن هبيرة فانهزم الى واسط واستولى الحسن ابن قحطبة على ما فى معسكرهم وبلغ الخبر الى الكوفة فثار بها محمد بن خالد القسرى بدعوة الشيعة خرج ليلة عاشوراء وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثى وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العجلى وسار الى   فهرب زياد ومن معه من أهل الشأم ودخل القصر ورجع اليه حوثرة   وعن محمد عامة من معه ولزم القصر ثم جاء قوم من بجيلة من أصحاب حوثرة فدخلوا فى الدعوة ثم آخرون من كنانة ثم آخرون من بجيلة فارتحل حوثرة نحوه   وكتب محمد الى قحطبة وهو لم يعلم بهلاكه فقرأه الحسن على الناس وارتحل نحو الكوفة فصبحها الرابعة من مسيره وقيل

كذا بياض بالاصل

ان الحسن بن قحطبة سار الى الكوفة بعد قتل ابن هبيرة وعليها عبد الرحمن بن بشير العجلى فهرب عنها وسبق محمد بن خالد وخرج فى احد عشر رجلا فلاقى الحسن ودخل معه وأتوا الى أبى مسلمة فاستخرجوه من بنى مسلمة وعسكر بالنخيلة ثم نزل حمام أعين وبعث الحسن بن قحطبة الى واسط لقتال ابن هبيرة وبايع الناس أبا سلمة حفص ابن سليمان الخلال وزير آل محمد واستعمل محمد بن خالد القسرى على الكوفة وكان يسمى الامير حتى ظهر أبو العباس السفاح وبعث حميد بن قحطبة الى المدائن فى قواد والمسيب بن هبيرة وخالد بن مرمل الى دير قناء وشراحيل الى عبر وبسام ابن ابراهيم بن بسام الى الاهواز وبها عبد الرحمن بن عمر بن هبيرة فقاتله بسام وانهزم الى البصرة وعليها مسلم بن قتيبة الباهلى عاملا لاخيه وبعث بسام فى أثره سفيان ابن معاوية بن يزيد بن المهلب واليا على البصرة فجمع سالم قيسا ومضر وبنى أمية وجاء قائد من قواد ابن هبيرة فى ألفى رجل وجمع سفيان اليمانية وحلفاءهم من ربيعة واقتتلوا فى صفر وقتل ابن سفيان واسمه معاوية فانهزم لذلك ثم جاء الى سالم أربعة آلاف مددا من عند مروان فقاتل الازد واستباحهم ولم يزل بالبصرة حتى قتل ابن هبيرة فهرب عنها واجتمع ولد الحرث بن عبد المطلب الى محمد بن جعفر فولوه أياما حتى قدم أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعى من قبل أبى مسلم فلما بويع أبو العباس السفاح ولاها سفيان بن معاوية

(بيعة السفاح)

قد كنا قدمنا خبر الدعاة وقبض مروان على ابراهيم بن محمد وأنه حبسه بحران وكان نعى نفسه الى أهل بيته وأمرهم باللحاق بالكوفة وأوصى على أخيه أبى العباس عبد الله بن الحرثية فسار أبو العباس ومعه أهل بيته وفى اخوته أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ومحمد ابنا أخيه ابراهيم وعيسى ابن أخيه موسى ومن أعمامه داود وعيسى وصالح واسمعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو على بن عبد الله بن عباس وموسى ابن عمه داود ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس فقدموا الكوفة فى صفر وأبو سلمة والشيعة على حمام أعين بظاهر الكوفة وأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بنى هاشم فى بنى أود وكتم أمرهم عن جميع القواد والشيعة أربعين ليلة وأراد فيما زعموا أن يحول الامر الى أبى طالب وسأله أبو الجهم من الشيعة وغيره فيقول لا تعجلوا ليس هذا وقته ولقى أبو حميد محمد بن ابراهيم ذات يوم خادم ابراهيم الامام وهو سابق الخوارزمى فسأله عن الامام فقال قتل ابراهيم وأوصى الى أخيه أبى العباس وها هو بالكوفة ومعه أهل بيته فسأله فى اللقاء فقال حتى أستأذن وواعده من الغد

فى ذلك المكان وجاء أبو حميد الى أبى الجهم فأخبره وكان فى عسكر أبى سلمة فقال له تلطف فى لقائهم فجاء الى موعد سابق ومضى معه ودخل عليهم فسأل عن الخليفة فقال داود ابن على هذا امامكم وخليفتكم يشير الى أبى العباس فسلم عليه بالخلافة وعزاه بابراهيم الامام ورجع ومعه خادم من خدمهم الى أبى الجهم فأخبره عن منزلهم وان أبا العباس أرسل الى أبى سلمة أن يبعث اليه كراء الرواحل التى جاؤا اليها فلم يبعث اليهم شيأ فمشى أبو الجهم وأبو حميد والخادم الى موسى بن كعب وأخبروه بالامر وبعثوا الى الامام مائتى دينار مع خادمه واتفق رأى القواد على لقاء الامام فنهض موسى بن كعب وأبو الجهم عبد الحميد بن ربعى وسلمة بن محمد وعبد الله الطائى واسحق بن ابراهيم وشراحيل وأبو حميد وعبد الله بن بسام ومحمد بن ابراهيم ومحمد بن حصين وسليمان بن الاسود فدخلوا على أبى العباس فسلموا عليه بالخلافة وعزوه فى ابراهيم ورجع موسى ابن كعب وأبو الجهم وخلفوا الباقين عند الامام وأوصوهم ان جاء أبو سلمة لا يدخلن الا وحده وبلغه الخبر فجاء ودخل وحده كما حدوا له وسلم على أبى العباس بالخلافة وأمره بالعود الى معسكره وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الاول فلبسوا السلاح واصطفوا للخروج الى أبى العباس وأتوه بالدواب له ولمن معه من أهل بيته وأركبوهم الى دار الامارة ثم رجع الى المسجد فخطب وصلى بالناس وبايعوه ثم صعد المنبر ثانية فقام فى أعلاه وصعد عمه داود فقام دونه وخطب خطبته البليغة المشهورة وذكر حقهم فى الامر وميراثهم له وزاد الناس فى أعطياتهم وكان موعوكا فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر وقام عمه داود على أعلى المراقى فخطب مثله وذم سيرة بنى أمية وعاهد الناس على اقامة الكتاب والسنة وسيره ثم اعتذر عن عود السفاح بعد الصلاة الى المنبر وأنه أراد أن لا يخلط كلام الجمعة بغيرها وانما قطعه عن اتمام الكلام شدة الوعك فادعوا الله له بالعافية ثم بالغ فى ذم مروان وشكر شيعتهم من أهل خراسان وأن الكوفة منزلهم لا يتخلون عنها وأنه ما صعد هذا المنبر خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب أمير المؤمنين وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار الى السفاح وأن هذا الامر فينا ليس بخارج عنا حتى نسلمه لعيسى بن مريم ثم نزل أبو العباس وداود امامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبا جعفر فى المسجد يأخذ البيعة على الناس حتى جن الليل وخرج أبو العباس الى عسكر أبى سلمة ونزل معه فى حجرته بينهما ستر وحاجب السفاح يومئذ عبد الله بن بسام واستخلف على الكوفة عمه داود وبعث عمه عبد الله الى أبى عون بن يزيد بشهرزور وبعث ابن أخيه موسى الى الحسن ابن قحطبة وهو يحاصر ابن هبيرة بواسط وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس الى

أحمد بن قحطبة بالمدائن وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر الى بسام بن ابراهيم بن بسام بالاهواز وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان بن مالك بن الطواف وأقام السفاح بالعسكر شهرا ثم ارتحل فنزل قصر الامارة من المدينة الهاشمية وقد قيل ان داود بن علي وابنه موسى لم يكونا بالشأم عند مسير بني العباس الى الكوفة وانهما لقياهم بدومة الجندل فعرفا خبرهم وقال لهم داود كيف تأتون الكوفة ومروان ابن محمد في حران في أهل الشأم والجزيرة فطل على العراق ويزيد بن هبيرة بالعراق فقال ياعم من أحب الحياة ذل فرجع داود وابنه معه

(مقتل ابراهيم بن الامام)

قد تقدم لنا أن مروان حبسه بحران وحبس سعيد بن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان والعباس بن الوليد بن عبد الملك وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وأبا محمد السفياني فهلك منهم في السجن من وباء وقع بحران العباس بن الوليد وابراهيم بن الامام وعبد الله بن عمر ثم خرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبوسين بعد أن قتلوا اصاحب السجن فقتلهم الغوغاء من أهل حران وكان فيمن قتلوه شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر التغلبي وبطريق أرمينية واسمه كوشان وتخلف أبو محمد السفياني في الحبس لم يستحل الخروج منه ولما قدم مروان منهزما من الزاب حل عنه فيمن بقي وقيل ان شراحيل بن مسلمة كان محبوسا مع ابراهيم وكانا يتزاوران ويتهاديان فدس في بعض الايام الى ابراهيم بن الامام بلبن مسموم على لسان شراحيل فاستطلق بطنه وقيل ان شراحيل قال انا لله وانا اليه راجعون احتيل والله عليه وأصبح ميتا من ليلته

(هزيمة مروان بالزاب ومقتله بمصر)

قد ذكرنا أن قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الازدي الى شهرزور فقتل عثمان ابن سفيان وأقام بناحية الموصل وأن مروان بن محمد سار اليه من حران في مائة وعشرين ألفا وسار أبو عون الى الزاب ووجه أبو سلمة عيينة بن موسى والمنهال بن قبان واسحق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف مددا له فلما بويع أبو العباس وبعث مسلمة بن محمد في ألفين وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين ودراس بن فضلة في خمسمائة كلهم مددا لابي عون ثم ندب أهل بيته الى المسير الى ابي عون فانتدب عبد الله بن علي فسار وقدم على أبي عون فتحول له عن سرادقه بما فيه ثم أمر عيينة بن موسى بخمسة آلاف فعبر النهر من الزاب أول جمادى الاخيرة سنة اثنتين وثلاثين وقاتل عساكر مروان الى المساء ورجع فعقد مروان الجسر من الغد وقدم ابنه عبد الله وعبر فبعث عبد الله بن علي المخارق بن غفار في أربعة نحو عبد الله

ابن

ابن مروان فسرح ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم فانهزم أصحاب المخارق وأسر هو وجيء به الى مروان مع رؤس القتلى فقال أنت المخارق قال لا قال فتعرفه في هذه الرؤس قال نعم قال هو ذا فخلى سبيله وقيل بل أنكر أن يكون في الرؤس فخلى سبيله وعاجلهم عبد الله بن علي بالحرب قبل أن يفشو الخبر وعلى ميمنته أبو عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية وكان عسكره نحوا من عشرين ألفا وقيل اثني عشر وأرسل مروان اليه في الموادعة فأبى وحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو صهر مروان على ابنته فقاتل أبا عون حتى انهزم الى عبد الله بن علي فأمر الناس فارتجلوا ومشى قدما ينادي يالثارات ابراهيم وبالاشعار يا محمد يا منصور وأمر مروان القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطته ثم ظهر له الخلل فأباح الاموال للناس على أن يقاتلوا فأخذوها من غير قتال فبعث ابنه عبد الله يصدهم عن ذلك فتبادروا بالفرار وانهزموا وقطع مروان الجسر وكان من غرق أكثر ممن قتل وغرق ابراهيم بن الوليد المخلوع وقيل بل قتله عبد الله بن علي بالشام وممن قتل يحيى بن علي بن هشام وكان ذلك في جمادى الاخيرة سنة ثنتين وثلاثين وأقام عبد الله في عسكره سبعة أيام واحتاز عسكر مروان بما فيه وكتب بالفتح الى أبي العباس السفاح وسار مروان منهزما الى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمر التغلبي وابن خزيمة الاسدي فقطعا الجسر ومنعاه العبور اليهم وقيل هذا أمير المؤمنين فتجاهلوا وقالوا أمير المؤمنين لا يفر ثم أسمعوه الشتم والقبائح فسار الى حران وبها أبان ابن أخيه وسار الى حمص وجاء عبد الله الى حران فلقيه أبو مسعود فأمنه ولقي الجزيرة ولما بلغ مروان حمص أقام بها ثلاثا وارتحل فاتبعه أهلها لينهبوه فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم وسار الى دمشق وعليها الوليد ابن عمه فأوصاه بقتال عدوه وسار الى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي فأرسل الى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي فأجاره ثم سار عبد الله بن علي في أثره من حران بعد أن هدم الدار التي حبس فيها أخوه الامام ابراهيم وانتهى الى قنسرين فأطاعه أهلها وقدم عليه أخوه عبد الصمد بعثه السفاح مددا في ثمانية آلاف وافترق قواد الشيعة على أبواب دمشق فحاصروها أياما ثم دخلوها عنوة لخمس من رمضان واقتتلوا بها كثيرا وقتل عاملها الوليد بن معاوية وأقام عبد الله بدمشق خمس عشرة ليلة وارتحل يريد فلسطين فأجفل مروان الى العريش وجاء عبد الله فنزل نهر ابي فطرس ووصله هنالك كتاب السفاح بأن يبعث صالح ابن علي في طلب مروان فسار صالح في ذي القعدة وعلى مقدمته أبو عون وعامر بن اسمعيل الحارثي فأجفل مروان الى النيل ثم الى الصعيد ونزل صالح الفسطاط وتقدمت

عساكره فلقوا خيلا لمروان فهزموهم وأسروا منهم ودلوهم على مكانه ببوصير فسار اليه أبو عون وبيته هنالك خوفا من أن يفضحه الصبح فانهزم مروان وطعن فسقط في آخر ذي الحجة الحرام وقطع رأسه وبعث به طليعة أبي عون اليه فبعثه الى السفاح وهرب عبد الله وعبيد الله ابنا مروان الى أرض الحبشة وقاتلوهم فقتل عبيد الله ونجا عبد الله وبقي الى أيام المهدي فأخذه عامل فلسطين وسجنه المهدي وكان طليعة أبي عون عامر بن اسمعيل الحارثي فوجد نساء مروان وبناته في كنيسة بوصير قد وكل بهن خادما يقتلهن بعده فبعثهن صالح ولما دخلن عليه سألنه في الابقاء فلامهن على قتالهم عند بني أمية ثم عفا عنهن وحملهن الى حران يبكين وكان مروان يلقب بالحمار لحرنه في مواطن الحرب وكان أعداؤه يلقبونه الجعدي نسبة الى الجعد بن درهم كان يقول بخلق القرآن ويتزندق وأمر هشام خالدا القسري بقتله فقتله ثم تتبعوا بني أمية بالقتل ودخل اسديف يوما على السفاح وعنده سليمان بن هشام وقد أمنه والده فقال

لايغرنك ما ترى من رجال * ان بين الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى * لاترى فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بسليمان فقتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وعنده ثمانون أو تسعون من بني أمية يأكلون على مائدته فقال

أصبح الملك في ثبات الاساس * بالبهاليل من بني العباس

طلبوا امر هاشم فنعونا * بعد ميل من الزمان وياس

لاتقيلن عبد شمس عثارا * فاقطعن كل رقلة وغراس

فلنا أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي

فلقد غاضني وغاض سوائي * قربهم من نمارق وكراسي

* انزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أضحى * ثاويا رهن غربة ونعاس

فامر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسط من فوقهم الانطاع فأكل الطعام عليها وأنينهم يسمع حتى ماتوا وذلك بنهر ابي فطرس وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان والمعز بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان وسعيد بن عبد الملك وأبو عبيدة بن الوليد ابن عبد الملك وقيل ان ابراهيم المخلوع قتل معهم وقيل ان اسديفا هو الذي أنشد هذا الشعر للسفاح وانه الذي قتلهم ثم قتل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة جماعة من بني أمية فامر باشلائهم في الطرق فأكلتهم الكلاب وقيل ان عبد الله

ابن

ابن علي أمر بنبش قبور الخلفاء من بني أمية فلم يجدوا في القبور الا شبه الرماد وخيطا في قبر معاوية وجمجمة في قبر عبد الملك وربما وجد فيها بعض الاعضاء الا هشام بن عبد الملك فانه وجد كما هو لم يبل فضربه بالسوط ثم صلبه وحرقه وذراه في الريح والله أعلم بصحة ذلك ثم تتبعوا بني أمية بالقتل فلم يفلت منهم الا الرضعاء أو من هرب الى الاندلس مثل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وغيره ممن تبعه من قرابته كما يذكر في أخبارهم

(بقية الصوائف في الدولة الاموية)

قد انتهينا بالصوائف الى آخر أيام عمر بن عبد العزيز وفي سنة اثنتين ومائة أيام اليزيد غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق فهزمهم وأسر منهم خلقا وقتل منهم سبعمائة أسير وغزا العباس بن الوليد الروم أيضا ففتحها لسنة ثم غزا سنة ثلاث بعدها فافتتح مدينة رسلة ثم غزا الجراح الحكمي أيام هشام سنة خمس فبلغ وراء بلنجر وغنم وغزا في هذه السنة سعيد بن عبد الملك أرض الروم وبعث ألف مقاتل في سرية فهلكوا جميعا وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمنى ففتح مدينة قريبة من أرض الزوكخ ثم غزا سعيد بن عبد الملك بالصائفة أيام هشام سنة ست ثم غزا مسلمة بن عبد الملك الروم من الجزيرة وهو وال عليها ففتح قيسارية وغزا ابراهيم بن هشام ففتح حصنا وغزا معاوية بن هشام في البحر قبرس وغزا سنة تسع ففتح حصنا آخر يقال له طيبة وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عقبة الفهري وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وغزا بالصائفة اليسرى سنة احدى عشرة معاوية بن هشام وبالصائفة اليمنى سعيد بن هشام وفي البحر عبد الله بن أبي مريم وافتتح معاوية في صائفة ثلاث عشرة مدينة خرشفة وغزا سنة ثلاث عشرة عبد الله البطال فانهزم فثبت عبد الوهاب من أصحابه فقتل ودخل معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش ثم غزا سنة أربع عشرة بالصائفة اليسرى وأصحاب ربض أفرق والتقى عبد الله البطال مع قسطنطين فهزمه البطال وأسره وغزا سليمان بن هشام بالصائفة اليسرى فبلغ قيسارية وهزم مسلمة بن عبد الملك خاقان وباب الباب وغزا معاوية بن هشام بالصائفة سنة خمس عشرة وغزا سفيان بن هشام بالصائفة اليسرى سنة سبع عشرة وسليمان ابن هشام بالصائفة اليمنى من ناحية الجزيرة وفرق السرايا في أرض الروم وبعث فيها مروان بن محمد من أرمينية فافتتحوا من أرض اللان آهلها

بياض بالاصل

أخذها قوما نساه صلحا وغزا معاوية وسليمان أيضا أرض الروم سنة ثماني عشرة وغزا فيها مروان بن محمد من أرمينية ودخل أرض وارقيس فهرب وارقيس الى الحرور ونازل حصنه فحاصره وقتل وارقيس بعض من اجتاز به وبعث برأسه الى مروان ونزل

أهل الحصن على حكمه فقتل وسبى وغزا سنة تسع عشرة مروان بن محمد من أرمينية ومر ببلاد اللان الى بلاد الخزر على بلنجر وسمندر وانتهى الى خاقان فهرب خاقان منه وغزا سليمان بن هشام سنة عشرين بالصائفة فافتتح سندره وغزا اسحق بن مسلم العقيلى قومانساه وافتتح قلاعه وخرب أرضه وغزا مروان من أرمينية سنة احدى وعشرين وأتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ثم قلعة أخرى كذلك ودخل غزسك وهو حصن الملك فهرب منه الملك ودخل حصنا له يسمى حرج فيه سرير الذهب فنازله مروان حتى صالحه على ألف فارس كل سنة ومائة ألف مدنى ثم دخل أرض أرزق ونصران فصالحه ملكها ثم أرض نومان كذلك ثم أرض حمدين فأخرب بلاده وحصر حصنا له شهرا حتى صالحه ثم أرض مسداد ففتحها على صلح ثم نزل كيلان فصالحه أهل طبرستان وكيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من أرمينية الى طبرستان وغزا مسلمة بن هشام الروم فى هذه السنة فافتتح بها مطاميرو فى سنة اثنتين وعشرين بعدها قتل البطال واسمه عبد الله بن الحسين الانطاكى وكان كثير الغزو فى بلاد الروم والاغارة عليهم وقدمه مسلمة على عشرة آلاف فارس فكان يغزو بلاد الروم الى أن قتل هذه السنة وفى سنة أربعة وعشرين غزا سليمان بن هشام بالصائفة على عهد أبيه فلقى اليون ملك الروم فهزمه وغنم وفى سنة خمسة وعشرين خرجت الروم الى حصن زنطره وكان افتتحه حبيب بن مسلمة الفهرى وخزينة الروم وبنى بناء غير محكم فأخربوه ثانية أيام مروان ثم بناه الرشيد وطرقه الروم أيام المأمون فشعبوه فأمر ببنائه وتحصينه ثم طرقوه أيام المعتصم وخبره معروف وفى هذه السنة غزا الوليد بن يزيد بالصائفة أخاه العمر وبعث الاسود بن بلال المحاربى بالجيش فى البحر الى قبرس ليخير أهلها بين الشأم والروم فافترقوا فريقين وغزا أيام مروان سنة ثلاثين بالصائفة الوليد بن هشام ونزل العمق وبنى حصن مرعش

(عمال بنى أمية على النواحى)

استعمل معاوية أول خلافته سنة أربعين عبد الله بن عمرو بن العاصى على الكوفة ثم عزله واستعمل المغيرة بن شعبة على الصلاة واستعمل   على الخراج وكان على النقباء بها شريح وكان حمران بن أبان قد وثب على البصرة عندما صالح الحسن معاوية فبعث معاوية بشر بن ارطاة على البصرة وأمده فقتل أولاد زياد بن أبيه وكان عاملا على فارس لعلى بن أبى طالب فقدم البصرة وقد ذكرنا خبره مع بنى زياد فيما قبل ثم ولى على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وضم اليه خراسان وسجستان فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عميرة بن تبرى وقد تقدم لنا

بياض بالاصل

أخبار قيس فى خراسان وكان عمرو بن العاصى على مصر كما تقدم فولى سنة احدى وأربعين من قبله على افريقية عقبة بن نافع بن عبد قيس وهو ابن خالته فانتهى الى لواتة ومزاتة فأطاعوه ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين بعدها غدامس وقتل وسبى وافتتح سنة ثلاثة وأربعين بعدها بلد ودان وولى معاوية بالمدينة سنة اثنتين وأربعين مروان بن الحكم فاستقضى عبد الله بن الحرث بن نوفل وولى معاوية على مكة فى هذه السنة خالد بن العاصى بن هشام وكان على أرمينية حبيب بن مسلمة الفهرى وولاه عليها معاوية ومات سنة اثنتين وأربعين فولى مكانه

بياض بالاصل

واستعمل ابن عامر فى هذه السنة على ثغر الهند عبد الله بن سوار العبدى ويقال ولاه معاوية وعزل ابن عامر فى هذه السنة قيس بن الهيثم عن خراسان وولى مكانه الحرث ابن عبد الله بن حازم ثم عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة سنة أربع وأربعين وولى مكانه الحرث بن عبد الله الازدى ثم عزله لاربعة أشهر وولى أخاه زيادا سنة خمس وأربعين فولى على خراسان الحكم بن عمرو الغفارى وجعل معه على الخراج أسلم بن زرعة الكلابى ثم مات الحكم فولى خليد بن عبد الله الحنفى سنة سبعة وأربعين ثم ولى على خراسان سنة ثمان بعدها غالب بن فضالة الليثى وتولى عمرو بن العاصى سنة تسعة وأربعين فولى مكانه سعيد بن العاصى فعزل عبد الله بن الحرث عن القضاء واستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن وفى سنة خمسين توفى المغيرة بن شعبة فضم الكوفة الى أخيه زياد فجاء اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب وكان يقسم السنة بين المصرين فى الاقامة نصفا بنصف وفى سنة خمسين هذه اقتطع معاوية افريقية عن معاوية بن خديج بمصر وولى عقبة بن نافع الفهرى وكان مقيما ببرقة وزويلة من فتحها أيام عمرو بن العاصى فأمده بعشرة آلاف فسار اليها وانضاف اليه من أسلم من البربر ودوخ البلاد وبنى بالقيروان وأنزل عساكر المسلمين ثم استعمل معاوية على مصر وافريقية مولاه أبا المهاجر فأساء عزل عقبة وجاء عقبة الى الشأم فاعتذر اليه معاوية ووعده بعمله ومات معاوية فولاه يزيد سنة اثنتين وستين وذكر الواقدى أن عقبة ولى سنة اثنتين وستين واستعمل أبا المهاجر فولى الاسمار فحبس عقبة وضيق عليه وأمره يزيد باطلاقه فوفد عقبة فأعاده الى عمله فحبس أبا المهاجر وخرج غازيا وأثخن حتى قتله كسيلة كما يأتى فى أخباره وفى سنة احدى وخمسين ولى زياد على خراسان الربيع بن زياد الحرث مكان خليد بن عبد الله الحنفى وفى سنة ثلاث وخمسين توفى زياد واستخلف على البصرة سمرة ابن جندب وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ثم ولى الضحاك بن قيس سنة خمس بعدها وفى هذه السنة مات الربيع بن زياد عامل خراسان قبل موت زياد واستخلفه

ابنه عبد الله ومات لشهرين واستخلف خليد بن يربوع الحنفي وكان على صفا بروز
الديلمي من قبل معاوية فمات سنة ثلاث وخمسين وفي سنة أربع وخمسين عزل معاوية
عن المدينة سعيد بن العاص وردّ اليها مروان بن الحكم ثم عزله سنة سبعة وولى مكانه
الوليد بن عقبة بن أبي سفيان وعزل سنة تسعة وخمسين عن البصرة ابن جندب وولى
مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان وولى على خراسان عبيد الله بن زياد ثم ولاه سنة خمس
بعدها على البصرة مكان بن غيلان ثم ولى على خراسان سنة ستة وخمسين سعيد بن عثمان
بن عفان وفي سنة ثمانية وخمسين عزل معاوية عن الكوفة الضحاك بن قيس واستعمل
مكانه ابن أم الحكم وهي أخته وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وطرده أهل الكوفة
فولاه مصر فردّه معاوية بن خديج وولى مكانه على الكوفة سنة تسعة وخمسين النعمان
ابن بشير وولى فيها على خراسان عبد الرحمن بن زياد فقدم اليها قيس بن الهيثم السلمي
فحبس أسلم بن زرعة وأغرمه ثلثمائة ألف درهم ثم مات معاوية سنة ستين وولاته على
النواحي من ذكرناه وعلى سجستان عباد بن زياد وعلى كرمان شريك بن الاعور وعزل
يزيد لاول ولايته الوليد بن عقبة عن المدينة والحجاز وولاها عمر بن سعيد الاشدق ثم
عزله سنة احدى وستين ورد الوليد بن عقبة وولى على خراسان سالم بن زياد فبعث سالم
اليها الحرث بن معاوية الحرثي وبعث أخاه يزيد الى سجستان وكان بها أخوهما عباد
فخرج عنهما وقاتل يزيد أهل كابل فهزموه فبعث مسلم على سجستان طلحة الطلحات
وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي سنة وبعث سنة اثنتين وستين عقبة بن نافع الى
افريقية فحبس أبا المهاجر واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي كما نذكر في
أخباره وتوفي في هذه السنة مسلمة بن مخلد الانصاري أمير مصر ثم هلك يزيد سنة أربع
وستين واستخلف أهل العراق على عبيد الله بن زياد وولى أهل البصرة عليهم عبد الله
ابن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ويلقب ببه وهرب ابن زياد الى الشأم وجاء
الى الكوفة عامر بن مسعود من قبل ابن الزبير وبلغه خلاف أهل الري وعليهم الفرحان
فبعث عليهم محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب فهزموه فبعث عتاب بن ورقاء فهزمهم
ثم بويع مروان وسار الى مصر فملكها من يد عبد الرحمن بن جحدم القرشي داعية ابن
الزبير وولى عليها عمر بن سعيد ثم بعثه للقاء مصعب بن الزبير لما بعثه أخوه عبد الله الى
الشام وولى على مصر ابنه عبد العزيز فلم يزل عليها واليا الى أن هلك سنة خمسة وثمانين
فولى عبد الملك عليها ابنه عبد الله بن عبد الملك وخلع أهل خراسان بعد يزيد سالم بن زياد
واستخلف المهلب بن أبي صفرة ثم ولى مسلم عبد الله بن حازم فاستبد بخراسان الى حين
ثم أخرج أهل الكوفة عمر بن حريث خليفة بن زياد وبايعوا لابن الزبير وقدم المختار بن

أبي عبيد أميرا على الكوفة من قبله بعد ستة أشهر من مهلك يزيد وامتنع شريح من
القضاء أيام الفتنة

بياض بالاصل

واستعمل ابن الزبير على المدينة أخاه مصعبا سنة خمس وستين مكان أخيه عبد الله وثار
بنو تميم بخراسان على عبد الله بن حازم فغلبه عليها بكير بن وشاح وغلب المختار على ابن
مطيع عامل ابن الزبير بالكوفة سنة ست وستين (ثم مات) مروان سنة خمس وستين وولى
عبد الملك وولى ابن الزبير أخاه مصعبا على البصرة وولى مكانه بالمدينة جابر بن الاسود بن
عوف الزهري ثم ملك عبد العزيز العراق سنة احدى وسبعين واستعمل على البصرة
خالد بن عبد الله بن أسد وعلى الكوفة أخاه بشر بن مروان وكان على خراسان عبد الله
ابن حازم بدعوة ابن الزبير فقام بكير بن وشاح التميمي بدعوة عبد الملك وقتله وولاه عبد
الملك خراسان وكان على المدينة طلحة بن عبد الله بن عوف بدعوة ابن الزبير بعد جابر بن
الاسود فبعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان فغلبه عليها ثم قتل ابن الزبير سنة ثلاث
وسبعين وانفرد عبد الملك بالخلافة وولى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمدا وعزل خالد بن
عبد الله عن البصرة وضمها الى أخيه بشر فسار اليها واستخلف على الكوفة عمرو بن
حريث وولى على الحجاز واليمن واليمامة الحجاج بن يوسف وبعثه من الكوفة لحرب ابن
الزبير وعزل طارقا عن المدينة وسار من جنده وفي سنة أربع وسبعين استقضى أبا
ادريس الخولاني وأمر بشر أخاه أن يبعث المهلب بن أبي صفرة لحرب الازارقة وعزل
عن خراسان بكير بن وشاح وولى مكانه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فبعث أمية ابنه
عبد الله على سجستان وكان على افريقية زهير بن قيس البلوي فقتله البربر سنة تسع
وستين وشغل عبد الملك بفتنة ابن الزبير فلما فرغ منها بعث الى افريقية سنة أربع
وسبعين حسان بن النعمان الغساني في عساكر لم ير مثلها فأثخن فيها وافترقت جموع
الروم والبربر وقتل الكاهنة كما نذكر في أخبار افريقية ثم ولى عبد الملك سنة

بياض بالاصل

وسبعين الحجاج بن يوسف على العراق فقط وولى على السند سعيد بن أسلم بن زرعة وقتل
في حروبها وكان أمر الخوارج وفي سنة ست وسبعين ولى على المدينة أبان بن عثمان
وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أبي أوفى بعد هشام بن
هبيرة وعلى قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة ثم كانت حروب الخوارج كما نذكر
في أخبارهم وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن خراسان
وسجستان وضمهما الى الحجاج بن يوسف فبعث الحجاج على خراسان المهلب بن أبي
صفرة وعلى سجستان عبد الله بن ابي بكرة وولى على قضاء البصرة موسى بن أنس

واستعفى شريح بن الحرث من القضاء بالكوفة فولى مكانه أبا بردة بن أبى موسى ثم ولى
على قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة وخرج عبد الرحمن بن الاشعث فملك سجستان
وكرمان وفارس والبصرة ثم قتل ورجعت الى حالها وذلك سنة احدى وثمانين وفى سنة
اثنتين وثمانين مات المهلب بن أبى صفرة واستخلف ابنه يزيد على خراسان فأقره الحجاج
وفى هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة وولى مكانه هشام بن اسمعيل
المخزومى فعزل هشام نوفل بن مساحق عن القضاء وولى مكانه عمر بن خالد الزرقى وبنى
الحجاج مدينة واسط وفى سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وولى
مكانه هشام أخاه المفضل قليلا ثم ولى قتيبة بن مسلم وتوفى عبد الملك وعزل الوليد لاول
ولايته هشام بن اسمعيل عن المدينة وولى مكانه عمر بن عبد العزيز فولى على القضاء أبا
بكر بن عمر بن حزم وولى الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمى وولى على قضائها
عبد الله بن أذينة وعلى قضاء الكوفة أبا بكر بن أبى موسى الاشعرى وفى سنة تسع
وثمانين ولى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسرى وكان على ثغر السند محمد بن
القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى وهو ابن عم الحجاج ففتح السند وقتل
ملكه وكان على مصر عبد الله بن عبد الملك ولاه عليها أبوه فنقل ملكها فعزله الوليد
فى هذه السنة وولى مكانه قرة بن شريك وعزل خالدا عن الحجاز وولى عمر بن عبد العزيز
وفى سنة احدى وتسعين عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية وولى
مكانه أخاه مسلمة بن عبد الملك وكان على طنجة فى قاصية المغرب طارق بن زياد
عاملا لمولاه موسى بن نصير عامل الوليد بالقيروان فأجاز البلاد والبحر الى بلاد الاندلس
وافتتحها سنة اثنتين وتسعين كما نذكر فى أخبارها وفى سنة ثلاث وتسعين عزل عمر بن
عبد العزيز عن الحجاز وولى مكانه خالد بن عبد الله على مكة وعثمان بن حيان على المدينة
ومات الحجاج سنة خمس وتسعين ثم مات الوليد سنة ست وتسعين وفيها قتل قتيبة بن مسلم
لانتقاضه على سليمان وولاها سليمان يزيد بن المهلب وفيها مات قرة بن شريك

بياض فى الاصل

وكان على المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن
خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن
أذينة وفى سنة سبع وتسعين عزل سليمان بن موسى بن نصير عن افريقية وولى مكانه
محمد بن يزيد القرشى حتى مات سليمان فعزل واستعمل عمر مكانه اسمعيل بن عبد الله وفى
سنة ثمان وتسعين كان فتح طبرستان وجرجان أيام سليمان بن عبد الملك على يد يزيد
ابن المهلب وفى سنة تسع وتسعين استعمل عمر بن عبد العزيز على البصرة عدى بن

ارطاة الفزارى وأمره بابقاء يزيد بن المهلب موثوقا فولى على القضاء الحسن بن أبى
الحسن البصرى ثم اياس بن معاوية وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن
الخطاب وولى على المدينة عبد العزيز بن ارطاة وولى على خراسان الجراح بن عبد الله
الحكمى ثم عزل سنة مائة وولى عبد الرحمن بن نعيم القرشى وولى على الجزيرة عمر بن هبيرة
الفزارى وعلى افريقية اسمعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم وعلى الاندلس السمح بن
مالك الخولانى ثم فى سنة احدى ومائة عزل اسمعيل عن افريقية وولاها يزيد بن أبى مسلم
كاتب الحجاج فلم يزل عليها الى أن قتل ثم فى سنة اثنتين ومائة ولى يزيد بن عبد الملك أخاه
مسلمة على العراق وخراسان فولى على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم
ابن أبى العاصى بن أمية ويقال له سعيد خذينة ثم استحيا من مسلمة فى أمر الجراح فعزله
وولى مكانه ابن يزيد بن هبيرة فجعل على قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن مسعود وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى وكان على مصر أسامة بن زيد وليها بعد
قرة بن شريك وولى ابن هبيرة على خراسان سعيد الحريشى مكان حذيفة وفى سنة
ثلاث ومائة جمع يزيد مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك وعزل عبد العزيز بن عبد
الله بن خالد عن مكة وعن الطائف وولى مكانه على الطائف عبد الواحد بن عبد الله
البصرى وفى سنة أربع ومائة ولى يزيد على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمى وعزل
عبد الرحمن بن الضحاك عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولى عليهما مكانه عبد
الواحد النصرى وعزل ابن هبيرة سعيدا الحريشى عن خراسان وولى عليها مسلم بن سعيد
ابن أسلم بن زرعة الكلابى وولى على قضاء الكوفة الحسين بن حسين الكندى ومات
يزيد بن عبد الملك سنة خمس وولى هشام فعزل ابن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن
عبد الله القسرى واستعمل خالد على خراسان أخاه أسدا سنة سبع ومائة وعزل مسلم بن
سعيد وولى على البصرة عقبة بن عبد الاعلى وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس
وولى على السند الجنيد بن عبد الرحمن واستعمل هشام على الموصل الحر بن يوسف
وعزل عبد الواحد النصرى عن الحجاز وولى مكانه ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى
واستقضى بالمدينة محمد بن صفوان الجمحى ثم عزله واستقضى الصلت الكندى وعزل
الجراح بن عبد الله عن ارمينية واذربيجان وولى مكانه أخاه مسلمة فولى عليها الحرث
ابن عمر الطائى وكان على اليمن سنة ثمان يوسف بن عمر وفى سنة تسع عزل خالد أخاه
أسدا عن خراسان وولى هشام عليها أشرس بن عبد الله السلمى وأمره أن يكاتب خالدا
بعد أن كان خالد ولى الحكم بن عوانة الكلبى مكان أخيه فلم يقر فعزله هشام ومات
فى سنة تسع عامل القيروان بشر بن صفوان فولى هشام مكانه عبيدة بن عبد الرحمن بن

الاغر السلمى فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبى عن الاندلس واستعمل حذيفة بن الاخوص الاشجعى ثم عزل لستة أشهر وولى ها عثمان بن أبى تسعة الخثعمى وفى سنة عشر ومائة جمع خالد الصلاة والاحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبى بردة وعزل ثمامة عن القضاء وفى سنة احدى عشرة عزل هشام عن خراسان أشرس بن عبد الله وولى مكانه الجنيد بن عبد الرحمن بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبى حارثة المرى وولى على ارمينية الجراح بن عبد الله الحكمى وعزل مسلمة وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية وعثمان بن أبى تسعة عن الاندلس وولى مكانه الهيثم بن عبيد الكنانى وفى سنة اثنتى عشرة قتل الجراح بن عبد الله صاحب ارمينية قتله التركمان فولى هشام مكانه سعيد الحريشى ومات الهيثم عامل الاندلس وولوا على أنفسهم مكانه محمد بن عبد الله الاشجعى شهرين وبعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبيل ابن عبد الرحمن السلمى عامل افريقية وغزا افرنجة فاستشهد فولى عبيدة مكانه عبد الملك بن قطن الفهرى وعزل عبيدة عن افريقية وولى مكانه عبيد الله بن الحبحاب وكان على مصر فسار اليها وفى سنة أربع عشرة عزل هشام مسلمة عن أرمينية وولى مكانه مروان بن محمد بن مروان وعزل ابراهيم بن هشام عن الحجاز وولى مكانه على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم وعلى مكة والطائف محمد بن هشام المخزومى وفى سنة ست عشرة ومائة عزل هشام الجنيد بن عبد الرحمن المرى عن خراسان وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى وفيها استعمل عبيد الله بن الحبحاب على الاندلس عقبة بن الحجاج القيسى مكان عبد الملك بن قطن ففتح خليقيه وفى سنة سبع عشرة ومائة عزل هشام عاصم بن عبد الله عن خراسان وولى مكانه خالد بن عبد الله القسرى فاستخلف خالد أخاه أسدا وولى هشام على افريقية والاندلس عبيد الله بن الحبحاب وكان على مصر فسار اليها واستخلف على مصر ولده وولى على الاندلس عقبة بن الحجاج وعلى طنجة ابنه اسمعيل وبعث حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وأرض السودان وفتح وغنم وأغزاه الى صقلية سنة اثنتين وعشرين ومائة ففتح أكثرها ثم استدعاه لفتنة ميسرة كما نذكره فى أخبارهم وفى سنة ثمان عشرة عزل هشام عن المدينة خالد بن عبد الملك بن الحرث وولى مكانه محمد بن هشام بن اسمعيل وفى سنة عشرين مات أسد بن عبد الله الخراسانى وولى مكانه نصر بن سيار وعزل هشام خالدا القسرى عن جميع أعماله بالعراقين وخراسان وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفى استقدمه اليها من ولاية اليمن فأقر نصر بن سيار على خراسان وكان على قضاء الكوفة ابن شبرمة وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وولى يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان واستقضى مكانه محمد بن عبد الرحمن

ابن

ابن أبى ليلى وكان على قضاء البصرة اياس بن معاوية بن قرة فمات فى هذه السنة وفى سنة ثلاث وعشرين قتل كلثوم بن عياض الذى حشه هشام لقتال البربر بالمغرب وتوفى عقبة بن الحجاج أمير الاندلس وقيل بل خلعوه وولى مكانه عبد الملك بن قطن ولايته الثانية كما نذكر وفى سنة أربع وعشرين ظهر أمر أبى مسلم بخراسان وتغلب بلج على الاندلس ثم مات وكان سار اليها من فل كلثوم بن عياض لما قتله البربر بالمغرب وولى هشام على الاندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبى فأمر حنظلة بن صفوان أن يوليه فولاه وكان ثعلبة بن خزامة سلامة الجرابى قد ولوه بعد بلج فعزله أبو الخطار وفى هذه السنة ولى الوليد بن يزيد خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى على الحجاز فأسره ثم قتل الوليد سنة ست وعشرين فعزل يزيد عن العراق يوسف بن عمر وولى مكانه منصور ابن جهور فبعث عامله على خراسان فامتنع نصر بن سيار من تسليم العمل له ثم عزل يزيد منصور بن جهور وولى مكانه على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وغلب حنظلة على افريقية عبد الرحمن بن حبيب كما نذكر فى خبرها وعزل يزيد عن المدينة يوسف بن محمد بن يوسف وولى مكانه عبد العزيز بن عمر بن عثمان وغلب سنة سبع وعشرين عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على الكوفة وولى مروان على الحجاز عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعلى العراق النضر بن سعيد الحريشى وامتنع ابن عمر من استلام العمل اليه ووقعت الفتنة بينهم ولحق ابن عمر بالخوارج كما نذكر فى أخبارهم واستولى بنو العباس على خراسان وفى سنة تسع وعشرين ولى يوسف بن عبد الرحمن الفهرى على الاندلس بعد ثوابة بن سلامة كما يأتى فى أخبارهم وولى مروان على الحجاز عبد الواحد وعلى العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وفى سنة ثلاثين ملك أبو مسلم خراسان وهرب عنها نصر بن سيار فمات بنواحى همذان سنة احدى وثلاثين وجاء المسودة عليهم قحطبة فطلبوا ابن هبيرة على العراق وملكوه وبايعوا لخليفتهم أبا العباس السفاح ثم غلبوا مروان على الشام ومصر وقتلوه وانقرض أمر بنى أمية وعاد الامر والخلافة لبنى العباس والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده وهذه أخبار بنى أمية مخلصة من كتاب أبى جعفر الطبرى ولنرجع الى أخبار الخوارج كما شرطنا فى اخبارها بالذكر والله المعين لا رب غيره

بياض بالاصل

* (الخبر عن الخوارج وذكر أوليتهم وتكرر خروجهم فى الملة الاسلامية) *

قد تقدم لنا خبر الحكمين فى حرب صفين واعتزل الخوارج عليا منكرين للتحكيم مكفرين به ولاطفهم فى الرجوع عن ذلك وناظرهم فيه بوجه الحق فلجوا وأبوا الا الحرب وجعلوا شعارهم النداء بلا حكم الا لله وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى

وقاتلهم علىّ بالنهروان فاستلحمهم أجمعين ثم خرج من فلهم طائفة بالانبار فبعث اليهم من استلحمهم ثم طويفة أخرى مع هلال بن علية فبعث معقل بن قيس فقتلهم ثم أخرى ثالثة كذلك ثم أخرى على المدائن كذلك ثم أخرى بشهرزور كذلك وبعث شريح بن هانئ فهزموه فخرج واستلحمهم أجمعين واستأمن من بقى فأمنهم وكانوا نحو خمسين وافترق شمل الخوارج ثم اجتمع من وجدانهم الثلاثة الذين تواعدوا القتل على ومعاوية وعمرو بن العاص فقتل بالسهم عبد الرحمن بن ملجم عليا رضى الله عنه وباءبإثمه وسلم الباقون ثم اتفقت الجماعة على بيعة معاوية سنة احدى وأربعين واستقل معاوية بخلافة الاسلام وقد كان فروة بن نوفل الاشجعى اعتزل عليا والحسن ونزل شهرزور وهو فى خمسمائة من الخوارج فلما بويع معاوية قال فروة لاصحابه قد جاء الحق فجاهدوا واقبلوا فنزلوا النخيلة عند الكوفة فاستنفر معاوية أهل الكوفة فخرجوا لقتالهم وسألوا أهل الكوفة أن يخلوا بينهم وبين معاوية فأبوا فاجتمعت أشجع على فروة وأتوا له من القتال ودخلوا الكوفة قهرا واستعمل الخوارج بعده عبد الله بن أبى الحريشى من طيئ وقاتلوا أهل الكوفة فقاتلوا وابن أبى الحريشى معهم ثم اجتمعوا بعده على حوثرة بن وداع الاسدى وقدموا الى النخيلة فى مائة وخمسين ومعهم فل ابن أبى الحريشى وبعث معاوية الى حوثرة أباه ليرده عن شأنه فأبى فبعث اليهم عبد الله بن عوف فى معسكر فقتله وقتل أصحابه الا خمسين دخلوا الكوفة وتفرقوا فيها وذلك فى جمادى الاخيرة سنة احدى وأربعين وسار معاوية الى الشأم وخلف المغيرة بن شعبة فعاد فروة بن نوفل الاشجعى الى الخروج فبعث اليه المغيرة خيلا عليها ابن ربعى ويقال معقل بن قيس فلقيه بشهرزور فقتله ثم بعث المغيرة الى شبيب بن أبجر من قتله وكان من أصحاب ابن ملجم وهو الذى أتى معاوية يبشره بقتل علىّ فخافه على نفسه وأمر بقتله فتنكر بنواحى الكوفة الى أن بعث المغيرة من قتله ثم بلغ المغيرة أن بعضهم يريد الخروج وذكر له معن بن عبد الله المحاربى فحبسه ثم طالبه بالبيعة لمعاوية فأبى فقتله ثم خرج على المغيرة أبو مريم مولى بنى الحرث بن كعب فأخرج معه النساء فبعث المغيرة من قتله وأصحابه ثم حكم أبو ليلى فى المسجد بمشهد الناس وخرج فى اثنين من الموالى فأتبعه المغيرة معقل بن قيس الرياحى فقتله بسورا الكوفة سنة اثنتين وأربعين ثم خرج على ابن عامر فى البصرة سهم بن غالب الجهنى فى سبعين رجلا منهم الحطيم وهو يزيد بن مالك الباهلى ونزلوا بين الجسرين والبصرة ومر بهم بعض الصحابة منقلبا من الغزو فقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه وقالوا هؤلاء كفرة وخرج اليهم ابن عامر فقتل منهم عدة وأمن باقيهم ولما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب منهم الحطيم الى الاهواز وجمع ورجع

الى البصرة فافترق عنه أصحابه فاختفى وطلب الامان من زياد فلم يؤمنه ثم دل عليه فقتله وصلبه بداره وقيل بل قتله عبيد الله بعد زياد سنة أربع وخمسين ثم اجتمع الخوارج بالكوفة على المستورد بن عقلة التيمى من تيم الرباب وعلى حيان بن ضبيان السلمى وعلى معاذ بن جوين الطائى وكلهم من فل النهروان الذين ارتثوا فى القتلى ودخلوا الكوفة بعد مقتل على واجتمعوا فى أربعمائة فى منزل حيان بن ضبيان وتشاوروا فى الخروج وتدافعوا الامارة ثم اتفقوا على المستورد وبايعوه فى جمادى الاخيرة وكبسهم المغيرة فى منزلهم فسجن حيان وأفلت المستورد فنزل الحيرة واختلف اليه الخوارج وبلغ المغيرة خبرهم فخطب الناس وتهدد الخوارج فقام اليه معقل بن قيس فقال ليكفك كل رئيس قومه وجاء صعصعة بن صوحان الى عبد القيس وكان عالما بمنزلهم عند سليم بن محدوج العبدى الا أنه لا يسلم عشيرته فخرجوا ولحقوا بالصراة فى ثلثمائة فجهز اليهم معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف وجعل معظمهم من شيعة على وخرج معقل فى الشيعة وجاء الخوارج ليعبروا النهر الى المدائن فمنعهم عاملها سماك بن عبد العبسى ودعاهم الى الطاعة على الامان فأبوا فساروا الى المذار وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فبعث شريك بن الاعور الحارثى فى ثلاثة آلاف من الشيعة وجاء معقل بن قيس الى المدائن وقد ساروا الى المذار فقدم بين يديه أبا الرواع الشاكرى فى ثلثمائة وسار ولحقهم أبو الرواع بالمذار فقاتلهم ثم لحقه معقل بن قيس متقدما أصحابه عند المساء فحملت الخوارج عليه فثبت وباتوا على تعبية وجاء الخبر الى الخوارج بنهوض شريك بن الاعور من البصرة فأسروا من ليلتهم راجعين وأصبح معقل واجتمع بشريك وبعث أبا الرواع فى أتباعهم فى ستمائة فلحقهم بجرجان فقاتلهم فهزمهم الى ساباط وهو فى اتباعهم ورأى المستورد أن هؤلاء مع ابى الرواع حماة أصحاب معقل فتسرب عنهم الى معقل وأبو الرواع فى اتباعه ولما لحق بمعقل قاتلهم قتالا وأدركهم أبو الرواع بعد أن لقى كثيرا من أصحاب معقل منهزمين فردهم واقتتلوا قتالا شديدا وقتل المستورد معقلا طعنه بالرمح فانفذه وتقدم معقل والرمح فيه الى المستورد فقسم دماغه بالسيف وماتا جميعا وأخذ الراية عمر بن محرز بن شهاب التميمى بعهد معقل بذلك ثم حمل الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم الا خمسة أو ستة وعند ابن الكلبى ان المستورد من تيم من بنى رباح خرج بالبصرة أيام زياد قريب الازدى وزحاف الطائى ابنا الخالة وعلى البصرة سمرة بن جندب وقتلوا بعض بنى ضبة فخرج عليهم شبان من بنى على وبنى راسب فرموهم بالنبل وقتل قريب وجاء عبد الله بن أوس الطائى برأسه واشتد زياد فى أمر الخوارج وسمرة وقتلوا منهم خلقا ثم خرج سنة اثنتين وخمسين على زياد ابن حراش العجلى فى ثلثمائة بالسواد

فبعث اليهم زياد سعد بن حذيفة فى خيل فقتلوهم وخرج أيضا أصحاب المستورد حيان
ابن ضبيان ومعاذ من طي فبعث اليهما من قتلهما وأصحابهما وقيل بل استأمنوا
وافترقوا ثم اجتمع بالبصرة سنة ثمان وخمسين سبعون رجلا من الخوارج من عبد
القيس وبايعوا طواف بن على أن يفتكوا بابن زياد وكان سبب ذلك أن ابن
زياد حبس جماعة من الخوارج بالبصرة وحملهم على قتل بعضهم بعضا وخلى سبيل
القاتلين ففعلوا وأطلقهم وكان منهم طواف ثم ندموا وعرضوا على أولياء المقتولين
القود والدية فأبوا وأفتاهم بعض علماء الخوارج بالجهاد لقوله تعالى ثم أن ربك للذين
هاجروا من بعد ما فتنوا الآية فاجتمعوا للخروج كما قلنا وسعى بهم الى ابن زياد
فاستعجلوا الخروج وقتلوا رجلا ومضوا الى الجلحاء كما قلنا فندب ابن زياد الشرط
والمحاربة فقاتلوهم فانهزم الشرط أولا ثم كثرهم الناس فقتلوا عن آخرهم واشتد ابن
زياد على الخوارج وقتل منهم جماعة كثيرة منهم عروة بن أدية أخو مرداس وأدية
أمهما وأبوهما جرير بن تميم وكان وقف على ابن زياد يوما يعظه فقال أتبنون بكل ريع
آية تعبثون الآيات فظن ابن زياد أن معه غيره فأخذه وقطعه وقتل ابنه وكان أخوه
مرداس من عظمائهم وعبادهم وممن شهد النهروان بالاستعراض ويحرم خروج النساء
ولا يرى بقتال من لا يقاتله وكانت امرأته من العابدات من بنى يربوع وأخذها ابن
زياد فقطعها وألح ابن زياد فى طلب الخوارج وقتلهم وخلى سبيل مرداس من بينهم لما
وصف له من عبادته ثم خاف فخرج الى الاهواز وكان يأخذ مال المسلمين اذا مر به
فيعطى منه أصحابه ويرد الباقى وبعث ابن زياد اليهم أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفى
رجل ودعاهم الى معاودة الجماعة فأبوا وقاتلوهم فهزموا أسلم وأصحابه فسرح اليهم
ابن زياد عباد بن علقمة المازنى ولحقهم بتوج وهم يصلون فقتلهم أجمعين ما بين راكع
وساجد لم يتغيروا عن حالهم ورجع الى البصرة برأس أبى بلال مرداس فرصده عبيدة
ابن هلال فى ثلاثة نفر عند قصر الامارة ليستفتيه فقتلوه واجتمع عليهم الناس فقتلوا
منهم وكان على البصرة عبيد الله بن أبى بكرة فأمره زياد بتتبع الخوارج الى أن تقدم
فحبسهم وأخذ الكفلاء على بعضهم وأتى بعروة بن أدية فقال أنا كفيلك وأطلقه ولما
جاء ابن زياد قتل المحبوسين منهم والمكفولين وطالب ابن أبى بكرة بعروة بن أدية فبحث
عنه حتى ظفر به وجاء به الى ابن زياد فقطعه وصلبه سنة ثمان وخمسين ثم مات يزيد
واستفحل أمر ابن الزبير بمكة وكان الخوارج لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل أبى بلال
مرداس أشار عليهم نافع بن الازرق منهم باللحاق بابن الزبير لجهاد عساكر يزيد
لما ساروا اليه قالوا وان لم يكن على رأينا داحضنا عن البيت وقاموا يقاتلون معه

فلما مات يزيد وانصرفت العساكر كشفوا عن رأى ابن الزبير فيهم وجاؤه يرمون من
عثمان ويتبرؤن منه فصرح بمخالفتهم وقال بعد خطبة طويلة أثنى فيها على الشيخين
وعلى وعثمان واعتذر عنه فيما يزعمون وقال أشهدكم ومن حضرنى أنى ولى لابن عفان
وعدو لاعدائه قالوا فبرئ الله منك قال بل برئ الله منكم فافترقوا عنه وأقبل نافع
ابن الازرق الحنظلى وعبد الله بن صفار السعدى وعبد الله بن أباض وحنظلة بن
بيهس وبنو الماخور عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع وكلهم من
تميم حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت عن بنى بكر بن وائل وأبو فديك عبد الله
ابن ثور بن قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود اليشكرى الى اليمامة فوثبوا بها مع أبى
طالوت ثم تركوه ومالوا عنه الى نجدة بن عامر الحنفى ومن هنا افترقت الخوارج على
أربع فرق الازارقة أصحاب نافع بن الازرق الحنفى وكان رأيه البراءة من سائر
المسلمين وتكفيرهم والاستعراض وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفارا
والفرقة الثانية النجدية وهم بخلاف الازارقة فى ذلك كله والفرقة الثالثة الاباضية
أصحاب عبد الله بن اباض المرى وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين
فلا ينتهون الى الرأى الاول ولا يقفون عند الثانى ولا يحرمون مناكحة المسلمين
ولا موارثتهم ولا المنافقين فيهم وهم عندهم كالمنافقين وقول هؤلاء أقرب الى السنة
ومن هؤلاء البيهسية أصحاب أبى بيهس هيصم بن جابر الضبعى والفرقة الرابعة الصفرية
وهم موافقون للاباضية الا فى القعدة فان الاباضية أشد على القعدة منهم وربما
اختلفت هذه الآراء من بعد ذلك واختلف فى تسمية الصفرية فقيل نسبوا الى ابن
صفار وقيل اصفروا بما نهكتهم العبادة وكانت الخوارج من قبل هذا الافتراق
على رأى واحد لا يختلفون الا فى الشاذ من الفروع وفى أصل اختلافهم هذا مكاتبات
بين نافع بن الازرق وأبى بيهس وعبد الله بن اباض ذكرها المبرد فى كتاب الكامل فلينظر
هنالك (ولما جاء نافع) الى نواحى البصرة سنة أربع وستين فأقام بالاهواز يعترض الناس
وكان على البصرة عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فسرح اليه مسلم
عبس بن كويز بن ربيعة من أهل البصرة باشارة الاحنف بن قيس فدافعه عن نواحى
البصرة وقاتله بالاهواز وعلى ميمنة مسلم الحجاج بن باب الحميرى وعلى ميسرته حارثة
ابن بدر الغدانى وعلى ميمنة ابن الازرق عبيدة بن هلال وعلى ميسرته الزبير بن الماخور
التميمى فقتل مسلم ثم قتل نافع وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب والخوارج
عبد الله بن الماخور ثم قتل الحجاج وعبد الله فأمر أهل البصرة ربيعة بن الاجذم
والخوارج عبيد الله بن الماخور ثم اقتتلوا حتى أمسوا وجاء الى الخوارج مدد

فحملوا على أهل البصرة فهزموهم وقتل ربيعة وولوا مكانه حارثة بن بدر فقاتل وردهم على الاعقاب ونزل الاهواز ثم عزل عن البصرة عبد الله بن الحرث وبعث ابن الزبير عليها الحرث القباع بن أبى ربيعة فزحف الخوارج الى البصرة وأشار الاحنف بن قيس بتولية المهلب حروبهم وقد كان ابن الزبير ولاه خراسان فكتبوا الى ابن الزبير بذلك فأجاب واشترطوا للمهلب ما سأل من ولاية ما غلب عليه والاعانة بالاموال فاختار من الجند اثنى عشر ألفا وسار اليهم فدفعهم عن الجسر وجاء حارثة بن بدر بمن كان معه فى قتال الخوارج فردهم الحرث الى المهلب وركب حارثة البحر يريد البصرة فغرق فى النهر وسار المهلب وعلى مقدمته ابنه المغيرة فقاتلهم المقدمة ودفعوهم عن سوق الاهواز الى مادر ونزل المهلب بسولاف وقاتله الخوارج وصدقوا الحملة فكشفوا أصحاب المهلب ثم ترك من الغد قتالهم وقطع دجيل ونزل العاقول ثم ارتحل فنزل قريبا منهم وخندق عليه وأذكى العيون والحرس وجاء منهم عبيدة بن هلال والزبير بن الماخور فى بعض الليالى ليبيتوا عسكر المهلب فوجدوهم حذرين وخرج اليهم المهلب من الغد فى تعبية والازد وتميم فى ميمنته وبكر وعبد القيس فى ميسرته وأهل العالية فى القلب وعلى ميمنة الخوارج عبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير ابن الماخور واقتتلوا ونزل الصبر ثم شدوا على الناس فأجفل عسكر المهلب وانهزم وسبق المنهزمين الى ربوة ونادى فيهم فاجتمع له ثلاثة آلاف أكثرهم من الازد فرجع بهم وقصد عسكر الخوارج واشتد قتالهم ورموهم بالحجارة وقتل عبد الله بن الماخور وكثير منهم وانكفؤا راجعين الى كرمان وناحية اصبهان منهزمين واستخلفوا عليهم الزبير بن الماخور وأقام المهلب بمكانه حتى جاء مصعب بن الزبير أميرا على البصرة وعزل المهلب (وأما نجدة) وهو نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن مفرج الحنفى وكان مع نافع بن الازرق فلما افترقوا سار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه وهو من بكر ابن وائل وتابعه نجدة ونهب الخضارم بلد بنى حنيفة وكان فيها رقيق كثير يناهز أربعة آلاف فقسمها فى أصحابه وذلك سنة خمس وستين واعترض عيرا من البحرين جاءت لابن الزبير فأخذها وجاء بها الى أبى طالوت فقسمها بين أصحابه ثم رأى الخوارج أن نجدة خير لهم من أبى طالوت فخلعوه وبايعوا نجدة وسار الى بنى كعب بن ربيعة فهزمهم وأثخن فيهم ورجع نجدة الى اليمامة فى ثلاثة آلاف ثم سار الى البحرين سنة سبع وستين فاجتمع أهل البحرين من عبد القيس وغيرهم على محاربته وسالمته الازد والتقوا بالعطيف فانهزمت عبد القيس وأثخن فيهم نجدة وأصحابه وأرسل سرية الى الخط فظفروا بأهله ولما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين بعث عبد الله

ابن عمر الليثى الاعور فى عشرين ألفا ونجدة بالعطيف فقاتلوهم وهزمهم نجدة وغنم ما فى عسكرهم وبعث عطية بن الاسود الحنفى من الخوارج الى عمان وبها عباد ابن عبد الله شيخ كبير فقاتله عطية فقتله وأقام أشهرا وسار عنها واستخلف عليها بعض الخوارج فقتله أهل عمان وولوا عليهم سعيدا وسليمان ابنى عباد ثم خالف عطية نجدة وجاء الى عمان فامتنعت منه فركب البحر الى كرمان وأرسل اليه المهلب جيشا فهرب الى سجستان ثم الى السند فقتله خيل المهلب بقندابيل ثم بعث نجدة المعرفين الى البوادى بعد هزيمة ابن عمير فقاتلوا بنى تميم بكاظمة وأعانهم أهل طويلع وبعث نجدة من استباحهم وأخذ منهم الصدقة كرها ثم سار الى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من مخاليفها ثم بعث أبا فديك الى حضرموت فأخذ الصدقة منهم وحج سنة ثمان وستين فى تسعمائة رجل وقيل فى ألفين ووقف ناحية عن ابن الزبير على صلح عقد بينهما ثم سار نجدة الى المدينة وتأهبوا لقتاله فرجع الى الطائف وأصاب بنتا لعبد الله ابن عمر بن عثمان فضمها اليه وامتحنه الخوارج بسؤاله بيعها فقال قد أعتقت نصيبى منها قالوا فزوجها قال هى أملك بنفسها وقد كرهت الزوج ولما قرب من الطائف جاءه عاصم بن عروة بن مسعود فبايعه عن قومه وولى عليهم الخازرق وعلى تبالة والسراة وولى على ما يلى نجران سعد الطلائع ورجع الى البحرين وقطع الميرة عن الحرمين وكتب اليه ابن عباس أن ثمامة بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلاها لهم وانك قطعت الميرة ونحن مسلمون فخلاها لهم نجدة ثم اختلف اليه أصحابه لان أبا سنان حى بن وائل أشار عليه بقتل من أطاعه تقية فانتهره نجدة وقال انما علينا أن نحكم بالظاهر وأغضبه عطية فى منازعة جرت بينهما على تفضيله لسرية البر على سرية البحر فى الغنيمة فشتمه نجدة فغضب وسأله فى درء الحد فى الخمر عن رجل من شجعانهم فأبى وكاتبه عبد الملك فى الطاعة على أن يوليه اليمامة ويهدر له ما أصاب من الدماء فاتهموه فى هذه المكاتبة ونقموا عليه أمثال هذه وفارقه عطية الى عمان ثم انحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور احد بنى قيس بن ثعلبة واستخفى نجدة وألح أبو فديك فى طلبه وكان مستخفيا فى قرية من قرى حجر ثم نذر به فذهب الى اخواله من تميم وأجمع المسير الى عبد الملك فعلم به أبو فديك وجاءت سرية منهم وقاتلهم فقتلوه وسخط قتله جماعة من أصحاب أبى فديك واعتمده مسلم بن جبير فطعنه اثنتى عشرة طعنة وقتل مسلم لوقته وحمل أبو فديك الى منزله ثم جاء مصعب الى البصرة سنة ثمان وستين واليا على العراقين عن أخيه وكان المهلب فى حرب الازارقة

فأراد مصعب أن يوليه بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية ليكون بينه وبين عبد الملك
فاستقدمه من فارس وولاه وولى على فارس وحرب الازارقة عمر بن عبد الله بن معمر
وكان الخوارج قد ولوا عليهم بعد قتل عبد الله بن الماحور سنة خمس وستين أخاه الزبير
فجاؤا به الى اصطخر وقدم عمر ابنه عبيد الله اليهم فقتلوه ثم قاتل الزبير عمر فهزمهم وقتل
منهم سبعون وفلق قطرى بن الفجاءة وشتر صالح بن مخراق وساروا الى نيسابور فقاتلهم
عمر بها وهزمهم فقصدوا اصبهان فاستجموا بها ثم أقبلوا الى فارس وتجنبوا عسكر عمر
ومروا على ساجور ثم أرجان فأتوا الاهواز قاصدين العراق وأغذ عمر السير فى اثرهم
وعسكر مصعب عند الجسر فسار الزبير بالخوارج فقطع أرض صرصر وشن الغارة
على أهل المدائن يقتلون الولدان والرجال ويبقرون بطون الحبالى وهرب صاحب
المدائن عنها وانتهت جماعة منهم الى الكرخ فقاتلهم أبو بكر بن مخنف فقتلوه وخرج
أمير الكوفة وهو الحرث بن أبى ربيعة القباع حتى انتهى الى الصراة ومعه ابراهيم
ابن الاشتر وشبيب بن ربعى وأسماء بن خارجة ويزيد بن الحرث ومحمد بن عمير وأشاروا
عليه بعقد الجسر والعبور اليهم فانهزموا الى المدائن وأمر الحرث عبد الرحمن
ابن مخنف باتباعهم فى ستة آلاف الى حدود أرض الكوفة فانتهوا الى الرى وعليها
يزيد بن الحرث بن دويم الشيبانى وماوالاهم عليه أهل الرى فهزموه وقتلوه ثم انحطوا
الى اصبهان وبها عتاب بن ورقاء فحاصروه أشهرا وكان يقاتلهم على باب المدينة
ثم دعا الى الاستمانة فى قتالهم فخرجوا وقاتلوهم وانهزمت الخوارج وقتل الزبير
واحتووا على معسكرهم ثم بايع الخوارج قطرى بن الفجاءة المازنى ويكنى أبا نعامة
وارتحل بهم الى كرمان حتى استجمعوا فرجعوا الى اصبهان فامتنعت فأتوا الاهواز
وقاموا وبعث مصعب الى المهلب فرده الى قتال الخوارج وولى على الموصل والجزيرة
ابراهيم بن الاشتر وجاء المهلب فانتجعت الناس من البصرة وسار الى الخوارج فلقيهم
بسولاف واقتتلوا ثمانية أشهر وبعث مصعب الى عتاب بن ورقاء الرياحى عامل اصبهان
بقتال أهل الرى بما فعله فى ابن دويم فسار اليهم وعليهم الفرحان فقاتلهم وافتتحها
عنوة وقلاعها وعاث فى نواحيها

(خبر ابن الحر ومقتله)

كان عبيد الله بن الحر الجعفى من خيار قومه صلاحا وفضلا ولما قتل عثمان حزن عليه
وكان مع معاوية على علىّ وكانت له زوجة بالكوفة فتزوجت لطول مغيبه فأقبل
من الشام وخاصم زوجها الى علىّ فعقد عليه شهوده صفين فقال أيمنعنى ذلك من عدلك
قال لا ورد اليه امرأته فرجع الى الشأم وجاء الى الكوفة بعد مقتل على ولقى اخوانه

وتفاوضوا فى النكير على علىّ ومعاوية ولما قتل الحسين تغيب على ملحمته وسأل عنه
ابن زياد فلم يره ثم لقيه فأساء عذله وعرض له بالكون مع عدوه فأنكر وخرج مغضبا
وراجع ابن زياد رأيه فيه فطلبه فلم يجده فبعث عنه فامتنع وقال أبلغوه انى لا آتيه
طائعا أبدا وأتى منزل أحمد بن زياد الطائى فاجتمع اليه أصحابه وخرج الى المدائن
ومضى لمصارع الحسين وأصحابه فاستغفر لهم ولما مات يزيد ووقعت الفتنة اجتمع
اليه أصحابه وخرج بنواحى المدائن ولم يعترض للقتل ولا للمال انما كان يأخذ مال
السلطان متى لقيه فيأخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ويرد الباقى ويأخذ لصاحب
المال بما أخذ وحبس المختار امرأته بالكوفة وجاء فأخرجها من الحبس وأخرج
كل من فيه وأراد المختار أن يسطو به فمنعه ابراهيم بن الاشتر الى الموصل لقتال
ابن زياد ثم فارقه ولم يشهد معه وشهد مع مصعب قتال المختار وقتله ثم أغرى به مصعب
فحبسه وشفع فيه رجال من وجوه مذحج فشفعهم وأطلقه وأتى اليه الناس يهنونه
فصرح بأن احدا لا يستحق بعد الاربعة ولا يحل أن يعقد لهم بيعة فى اعناقنا فليس لهم
علينا من الفضل ما يستحقون به ذلك وكلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الآخرة
ونحن أصحاب الايام مع فارس ثم لا يعرف حقنا وفضلنا وانى قد أظهرت لهم العداوة
وخرج للحرب فأغار فبعث اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى يعرض عليه الطاعة
على أن يعطيه قطعة من بلاد فارس فأبى فسرح اليه الابرد بن فروة الرياحى فى عسكر
فهزمه عبيد الله فبعث اليه حريث بن زيد فهزمه فقتله فبعث اليه الحجاج بن حارثة
الخثعمى ومسلم بن عمرو فقاتلهما بنهر صرصر وهزمهما فأرسل اليه مصعب بالامان
والولاية فلم يقبل وأتى الى فرس فهرب دهقانها بالمال وتبعه ابن الحر الى عين التمر
وعليه بسطام بن معقلة بن هبيرة الشيبانى فقاتل عبيد الله وأوفاهم الحجاج بن حارثة
فهزمهما عبيد الله وأسرهما وأخذ المال الذى مع الدهقان وأقام بتكريت يجبى
الخراج فسرح مصعب لقتاله الابرد بن فروة الرياحى والجون بن كعب الهمدانى
فى ألف وأمدهم المهلب بيزيد بن المعقل فى خمسمائة وقاتلهم عبيد الله يومين فى ثلثمائة
ثم تحاجزوا وقال لاصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك فتجهزوا ثم قال انى خائف أن
أموت ولم أذعر مصعبا وقصد الكوفة وجاءته العساكر من كل جهة ولم يزل يهزمهم
ويقتل منهم بنواحى الكوفة والمدائن وأقام يغير بالسواد ويجبى الخراج ثم لحق بعبد
الملك فأكرمه وأجلسه معه على سريره وأعطاه مائة ألف درهم وقسم فى أصحابه
الاعطيات وسأل من عبد الملك أن يوجه معه عسكرا لقتال مصعب فقال سر بأصحابك
وادع من قدرت عليه وأنا ممدك بالرجال فسار نحو الكوفة ونزل بناحية الانبار وأذن

لاصحابه فى اتيان الكوفة ليخبروا أصحابه بقدومه وبعث الحرث بن أبى ربيعة اليه جيشا كثيفا فقاتلهم وتفرق عنه أصحابه وأثخنه الجراح فخاض البحر الى سفينة فركبها حتى توسط الفرات فأشرف خيل على السفينة وتبادروا به فقام يمشى فى البحر فتعلقوا به فألقى نفسه فى الماء مع بعضهم فغرقوه

(حروب الخوارج مع عبد الملك والحجاج)

ولما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب بعث على البصرة خالد بن عبد الله وكان المهلب يحارب الازارقة فولاه على خراج الاهواز وبعث أخاه عبد العزيز بن عبد الى قتال الخوارج ومعه مقاتل بن مسمع وأتت الخوارج من ناحية كرمان الى دارابجرد وبعث قطرى بن الفجاءة صالح بن مخراق فى تسعمائة فاستقبل عبد العزيز ليلا على غير تعبية فانهزم وقتل مقاتل بن مسمع وأسرت بنت المنذر بن الجارود امرأة عبد العزيز فقتلها الخوارج وتغير عبد العزيز الى رامهرمز وكتب خالد بالخبر الى عبد الملك فكتب اليه على ولاية أخيه الحرب وولاية المهلب جباية الخراج وأمره بأن يسرح المهلب بحربهم وكتب الى بشر بالكوفة بامداده بخمسة الاف مع من يرضاه فاذا فرغوا من قتال الخوارج ساروا الى الرى فكانوا هنالك مسلحة فانفذ بشر العسكر وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكتب له عهده على الرى وخرج خالد بأهل البصرة ومعه المهلب واجتمعوا بالاهواز وجاءت الازارقة فأحرقوا السفن ومر المهلب بعبد الرحمن بن الاشعث وأمره أن يخندق عليه وأقاموا كذلك عشرين ليلة ثم زحف الخوارج بالناس فهال الخوارج كثرتهم وانصرموا وبعث خالد داود بن قحذم فى آثارهم وانصرف الى البصرة وكتب بالخبر الى عبد الملك فكتب الى أخيه بشر أن يبعث أربعة آلاف من أهل الكوفة الى فارس ويلحقوا بداود بن قحذم فى طلب الازارقة فبعثهم بشر بن عتاب ولحقوا بداود واتبعوا الخوارج حتى أصابهم الجهد ورجع عامتهم مشاة الى الاهواز

(ثم خرج أبو فديك) من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى كما مر وهزم خالدا فكتب الى عبد الملك بذلك وأمر عبد الملك عمر بن عبيد الله ابن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير لقتال أبى فديك فانتدب معه عشرة آلاف وسار بهم وأهل الكوفة على ميمنته عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأهل البصرة فى ميسرته عليهم عمر بن موسى أخيه وهو فى القلب وانتهوا الى البحرين واصطفوا للقتال وحملوا على أبى فديك وأصحابه فكشفوا ميسرته حتى أبعدوا الا المغيرة بن المهلب ومجاعة وعبد الرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا الى أهل الكوفة

بالمينة ورجع أهل الميسرة وحمل أهل الميمنة على الخوارج فهزموهم واستباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر حتى نزلوا على الحكم فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة وذلك سنة ثلاث وسبعين ثم ولى عبد الملك أخاه بشرا على البصرة فسار اليها وأمره أن يبعث المهلب الى حرب الازارقة وأن ينتخب من أهل البصرة من أراد ويتركه ورأيه فى الحرب ويمده بعسكر كثيف من أهل الكوفة مع رجل معروف بالنجدة فبعث المهلب لانتخاب الناس جديع بن سعيد بن قبيصة وشق على بشر أن ولاية المهلب من عبد الملك وأوغرت صدره فبعث على عسكر الكوفة عبد الرحمن ابن مخنف وأغراه بالمهلب فى ترك مشورته وتنقصه وسار المهلب الى رامهرمز وبها الخوارج وأقبل ابن مخنف فى أهل الكوفة فنزل على ميل منه بحيث يتراءى العسكران ثم أتاهم نبأ بشر بن مروان وانه استخلف خالد بن عبد الله بن خالد على البصرة وخلفته على الكوفة عمر بن حريث فافترق ناس كثيرة من أهل البصرة وأهل الكوفة فنزلوا الاهواز وكتب اليهم خالد بن عبد الله يتهددهم فلم يلتفتوا اليه وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة وكتب اليهم عمر بن حريث بالنكير والعود الى المهلب ومنعهم الدخول فدخلوا ليلا الى بيوتهم (ثم قدم الحجاج) أميرا على العراقين سنة خمس وسبعين فخطب بالكوفة خطبته المعروفة كان منها واقد بلغنى رفضكم المهلب واقبالكم الى مصركم عاصين مخالفين وايم الله لا أجد أحدا من عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه وأنهب داره ثم دعا العرفاء وقال ألحقوا الناس بالمهلب وأتونى بالبراءة بموافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ووجد عمر بن ضابئ من المتخلفين وأخبر أنه من قتلة عثمان فقتله فأخرج جند المهلب وازدحموا على الجسر وجاء العرفاء الى المهلب برامهرمز فأخذوا كتابه بموافاة الناس وأمرهم الحجاج بمناهضة الخوارج فقاتلوهم شيئا ثم انزاحوا الى كازرون وسار المهلب وابن مخنف فنزلوا بهم وخندق المهلب ولم يخندق ابن مخنف وبيتهم الخوارج فوجدوا المهلب حذرا فمالوا الى ابن مخنف فانهزم عنه أصحابه وقاتل حتى قتل وفى حديث أهل الكوفة أنهم لما ناهضوا الخوارج مالوا الى المهلب واضطروه الى معسكره وأمده عبد الرحمن بعامة عسكره وبقى فى خف من الجند فمال اليه الخوارج فنزل ونزل معه القراء واحد وسبعون من أصحابه فقتلوا وجاء المهلب من الغد فدفنه وصلى عليه وكتب بالخبر الى الحجاج فبعث على معسكره عتاب ابن ورقاء وأمره بطاعة المهلب فأجاب لذلك وفى نفسه منه شئ وعاتبه المهلب يوما ورفع اليه القضيب فرده ابنه المغيرة عن ذلك وكتب عتاب يشكو المهلب الى الحجاج ويسأله العود وصادف ذلك أمر شبيب فاستقدمه وبقى المهلب

(حروب الصفرية وشبيب مع الحجاج)

ثم خرج صالح بن مسرح التميمى من بنى امرئ القيس بن زيد مناة وكان يرى رأى
الصفرية وكان عابدا ومسكنه أرض الموصل والجزيرة وله أصحاب يقرئهم القرآن
والفقه وكان يأتى الكوفة ويلقى أصحابه ويعد ما يحتاج اليه فطلبه الحجاج فترك
الكوفة وجاء الى أصحابه بالموصل ودارة فدعاهم الى الخروج وحثه عليه وجاءه كتاب
شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى من رؤسهم يحثه على مثل ذلك فكتب اليه انى
فى انتظارك فاقدم فقدم شبيب فى نفر من أصحابه منهم أخوه المضاد والمحلل بن وائل
اليشكرى ولقيه بدارا وأجمع صالح الخروج وبث الى أصحابه وخرجوا فى صفر
سنة ست وسبعين وأمر بالدعاء قبل القتال وخير فى الدماء والاموال وعرضت لهم
دواب لمحمد بن مروان بالجزيرة فأخذوها وحملوا عليها أصحابهم وبلغ محمد بن مروان
وهو أمير الجزيرة خروجهم فسرح اليهم عدى بن عدى الكندى فى ألف فسار من
حران وكان ناسكا فكره حربهم وبعث اليهم بالخروج فحبسوا الرسول فساروا اليه
فطلعوا عليه وهو يصلى الضحى وشبيب فى الميمنة وسويد بن سليم فى الميسرة وركب
عدى على غير تعبية فانهزم واحتوى الخوارج على معسكره ومضوا الى آمد وسرح
محمد بن مروان خالد بن جزء السلمى فى ألف وخمسمائة والحرث بن جعونة العامرى
فى مثلها وقال أيكما سبق فهو أمير على صاحبه وبعث صالح شبيبا الى الحرث وتوجه
هو نحو خالد وقاتلوهم أشد القتال واعتصم أصحاب محمد بخندقهم فسارت الخوارج
عنهم وقطعوا أرض الجزيرة والموصل الى الدسكرة فسرح اليهم الحجاج الحرث بن عميرة
ابن ذى الشعار فى ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فلقيهم على تخم ما بين الموصل وصرصر
والخوارج فى تسعين رجلا فانهزم سويد بن سليم وقتل صالح وصرع شبيب ثم وقف على
صالح قتيلا فنادى بالمسلمين فلاذوا به ودخلوا حصنا هنالك وهم سبعون وعاث الحرث
بهم وأحرق عليهم الباب ورجع حتى يصبحهم من الغداة فقال لهم شبيب بايعوا من شئتم
من أصحابكم واخرجوا بنا اليهم فبايعوه وأطفؤا النار بالماء فى اللبود وخرجوا اليه
فبيتوا وسرح الحرث فحملوا أصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم
وسار شبيب الى أرض الموصل فلقى سلامة بن سنان التميمى من تيم شيبان الا أخاه
فضالة من أكابر الخوارج وكان خرج قبل صالح فى ثمانية عشر رجلا ونزل على ماء لبنى
عنزة فقتلوهم وأتوا برؤسهم الى عبد الملك يتقربون له بهم فلما دعا شبيب سلامة الى
الخروج شرط عليه أن ينتخب ثلاثين فارسا ويسير بهم الى عنزة فيثأر منهم بأخيه فقبل
شرطه وسار الى عنزة فأثخن فيهم وجعل يقتل المحلة بعد المحلة ثم أقبل شبيب الى داران

فى بحر

فى نحو سبعين رجلا ففرت منهم طائفة من بنى شيبان نحو ثلاثة آلاف فنزلوا ديرا خرابا
واستعوا منه وسار فى بعض حاجاته واستخلف أخاه مضاد بن يزيد بجماعة من بنى شيبان
فى أموالهم مقيمين فقتل منهم ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد وأشرف بنو شيبان
على مضاد وأصحابه وسألوا الامان ليخرجوا اليهم ويسمعوا دعوتهم فأخرجوا وقبلوا
ونزلوا اليهم واجتمعوا بهم وجاء شبيب فاستصوب فعلهم وسار بطائفة نحو اذربيجان
وكان الحجاج قد بعث سفيان بن أبى العالية الخثعمى الى طبرستان يحاصرها فى ألف
فارس فكتب اليه الحجاج أن يرجع فصالح أهل طبرستان ورجع فأقام بالدسكرة يطلب
المدد وبعث الحجاج أيضا الى الحرث بن عميرة الهمدانى قاتل صالح أن يأتيه بجيش
الكوفة والمدائن والى سورة بن أبجر التميمى فى خيل المناظر وبعجل سفيان فى طلب
شبيب فلحقه بخانقين فاستطردهم وأكمن كمينا لهم مع أخيه واتبعوه فى سفح الجبل
فخرج عليهم الكمين فانهزموا بغير قتال وثبت سفيان وقاتل ثم حمل شبيب فانكشف
ونجا الى بابل مهرود وكتب الى الحجاج بالخبر وبوصول العساكر الا سورة بن ابجر فكتب
الحجاج الى سورة يتهدده ويأمره أن يتخذ من المدائن خمسمائة فارس ويسير الى شبيب
فسار وانتهى شبيب الى المدائن ثم الى الهندوان فترحم على أصحابه هنالك وبيتهم سورة
هنالك وهم حذرون فلم يصب منهم الغرة ورجع نحو المدائن وشبيب فى اتباعه وخرج
ابن أبى العصعى عامل المدائن فقاتلهم وهرب كثير من جنده الى الكوفة ومضى
شبيب الى تكريت ووصل سورة الى الكوفة بالفل فحبسه الحجاج ثم أطلقه وسرح
عثمان بن سعيد بن شرحبيل الكندى ويلقب الجزل فى أربعة آلاف ليس فيهم من
المنهزمين أحد وساروا لحرب شبيب وأصحابه وقدم بين يديه عياض بن أبى لينة
الكندى وجعلوا يتبعون شبيبا من رستاق الى رستاق وهو على غير تعبية والجزل على
التعبية ويخندق على نفسه متى نزل وطال ذلك على شبيب وكان فى مائة وستين فقسمه
على أربع فرق وثبت الجزل وما بيته فلم يصب منهم فرجع عنهم ثم صبحهم ثانية فلم يظفر
منهم بشئ وسار الجزل فى التعبية كما كان وشبيب يسير فى أرض الخوارج غيرها
يكسب الخراج وكتب الحجاج الى الجزل ينكر عليه البطء ويأمره بالمناهضة وبعث
سعيد بن المجالد على جيش الجزل فجاءهم بالنهروان ووبخهم وعجزهم وجاءهم الخبر
بان شبيبا قد دخل قطيطيا والدهقان يصلح لهم الغداء فنهض سعيد فى الناس وترك الجزل
مع العسكر وقد صف بهم خارج الخندق وجاء سعيد الى قطيطيا وعلم به شبيب فأكل
وتوضأ وصلى وخرج فحمل على سعيد وأصحابه مستعرضا فانهزموا وثبت سعيد فقتله
وسار فى اتباعهم الى الجزل فقاتلهم الجزل حتى وقع بين القتلى جريحا وكتب الى الحجاج

بالخبر وأقام بالمدائن وانتهى شبيب الى الكرخ وعبر دجلة اليه وأرسل الى سوق بغداد
فأتاهم فى يوم سوقهم واشترى منه حاجاته وسار الى الكوفة فلما قرب منها بعث الحجاج
سويد بن عبد الرحمن السعدى فى ألفى رجل فساروا الى شبيب وأمر عثمان بن قطن
فعسكر فى السبخة وخالفه شبيب الى أهل السبخة فقاتلوه وجاء سويد فى آثاره فمضى
نحو الحيرة وسويد فى اتباعه ثم رحل من الحيرة وجاء كتاب الحجاج الى سويد يأمره
باتباعه فمضى فى اتيانه وشبيب يغير فى طريقه وأخذ على القطقطانة ثم على قصر بنى
مقاتل ثم على الانبار ثم ارتفع على أدنى اذربيجان ولما أبعد سار الحجاج الى البصرة
واستعمل على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فجاءه كتاب دهقان بابل مهروذ يخبره
بقصد شبيب الكوفة فبعث بالكتاب الى الحجاج وأقبل شبيب حتى نزل عقرقوبا ونزل
وسار منها يسابق الحجاج الى الكوفة وطوى الحجاج المنازل فوصل الكوفة عند العصر
ووصل شبيب عند المغرب فأراح وطعموا ثم ركبوا ودخلوا الى السوق وضرب شبيب
القصر بعموده ثم اقتحموا المسجد الاعظم فقتلوا فيه من الصالحين ومروا بدار
صاحب الشرطة فدعوه الى الامير فنكرهم فقتلوا غلامه ومروا بمسجد بنى ذهل فقتلوا
ذهل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه ثم خرجوا من الكوفة واستقبلهم النضر بن
القعقاع بن شور الذهلى وكان ممن أقبل مع الحجاج من البصرة فتخلف عنه فلما رآه قال
السلام عليك أيها الامير فقال له شبيب قل أمير المؤمنين ويلك فقالها وأراد شبيب أن
يلقنه للقرابة بينهما وكان النضر ناحية بيت هانى بن قبيصة الشيبانى فقال له يا نضر
لا حكم الا لله ففطن بهم وقال انا لله وانا اليه راجعون وشد عليه أصحاب شبيب فقتلوه
ونادى منادى الحجاج بالكوفة يا خيل الله اركبى وهو بباب القصر وكان أول من أتاه
عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى القصة ثم جاء الناس من كل جانب فبعث الحجاج
خالد بن الاسدى وزائدة بن قدامة الثقفى وأبا الضريس مولى بنى تميم وعبد الاعلى
ابن عبد الله بن عامر وزياد بن عبد الله العتكى فى ألفين ألفين وقال ان كان حرب فأميركم
زائدة بن قدامة وبعث معهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله من سجستان وكان
عبد الملك قد ولاه عليها وأمر الحجاج أن يجهزه ويبعثه فى آلاف من الجنود الى عمله فجهزه
وحدث أمر شبيب فقال له الحجاج تجاهد ويظهر اسمك ثم تمضى الى عملك فساروا جميعا
ونزلوا أسفل الفرات وأخذ شبيب نحو القادسية وجرد الحجاج ألفا وثمانمائة من نقاوة
الجند مع زحر بن قيس وأمره بمواقعة شبيب أينما أدركه وان ذهب فاتركه فأدركه
بالسلحين وعطف عليه شبيب فقاتل زحر حتى صرع وفيه بضعة عشر جرحا وانهزم
أصحابه يظنون أنه قتل ثم أفاق من برد السحر فدخل قرية وسار الى الكوفة ثم قصد

شبيب

وهم على أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فقال ان هزمناهم
فليس دون الحجاج والكوفة مانع وانتهى اليهم وقد تعبوا للحرب وعلى الميمنة زياد بن
عمر العتكى وعلى الميسرة بشر بن غالب الاسدى وكل أمير بمكانه وعبى شبيب أصحابه
ثلاثة كتائب فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمر فانكشفوا وثبت زياد قليلا ثم حمل
الثانية فانهزموا وانهزم جريحا عند المساء ثم حملوا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر
فانهزم ولم يقاتل ولحق بزياد بن عمر وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى
ابن طلحة عند الغروب فقاتلوه وصبر لهم ثم حمل مضاد أخو شبيب على بشر بن غالب
فى الميسرة فصبر ونزل فى خمسين رجلا فقاتلوه حتى قتلوا وحملت الخوارج على أبى
الضريس مولى بنى تميم فهزموه حتى انتهى الى أعين ثم حملوا عليه وعلى أعين فهزموهما
الى زائدة بن قدامة فلما انتهوا اليه نادى نزال وقاتلهم الى السحر ثم حمل شبيب عليه
فقتله وقتل أصحابه ودخل أبو الضريس مع الفل الى الجوسق بازائهم ورفع الخوارج
عنهم السيف ودعوهم الى البيعة لشبيب عند الفجر فبايعوه وكان فيمن بايعه أبو بردة
وبقى محمد بن موسى لم ينهزم فلما طلع الفجر سمع شبيب أذانهم وعلم مكانهم فأذن وصلى
ثم حمل عليهم فانهزمت طائفة منهم وثبتت أخرى وقاتل محمد حتى قتل وأخذ الخوارج
ما فى العسكر وانهزم الذين بايعوا شبيبا فلم يبق منهم أحد وجاء شبيب الى الجوسق الذى
فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه فأقام يوما عليهم وسار عنهم وأراده أصحابه على
الكوفة وازاءهم خوخى فتركها وخرج على نفر وسمع الحجاج بذلك فظن أنه يريد المدائن
وهى باب الكوفة وأكثر السواد لها فهاله ذلك وبعث عثمان بن قطن أميرا على المدائن
وخوخى والانبار وعزل عنها عبد الله بن أبى عصفير وقيل فى مقتل محمد بن موسى غير
هذا وهو أنه كان شهد مع عمر بن عبيد الله بن معمر قتال أبى فديك فزوجه عمر ابنته
وكانت أخته تحت عبد الملك فولاه سجستان فمر بالكوفة وقيل للحجاج ان جاء الى
هذا أحد ممن تطلبه منعك منه فمره بقتال شبيب فى طريقه لعل الله يريحك منه ففعل
الحجاج وعدل محمد الى قتال شبيب وبعث اليه شبيب بدهاء الحجاج وخديعته اياه وأن
يعدل عنه فأبى الا شبيبا فبارزه وقتله شبيب ولما انهزم الامراء وقتل موسى بن محمد
ابن طلحة دعا الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث وأمره أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسير
فى طلب شبيب أين كان فسار لذلك ثم كتب اليه والى أصحابه يتهددهم ان انهزموا
ومر ابن الاشعث بالمدائن وعاد الجزل من جراحته فوصاه وحذره وحمله على فرسه
وكانت لا تجارى وسار شبيب على دقوقا وشهرزور وابن الاشعث فى اتباعه
الى أن وقف على أرض الموصل وأقام يقاتل أهلها فكتب اليه الحجاج أما بعد فاطلب

شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فاقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده فجعل ابن الاشعث يتبعه وشبيب يقصد به الارض الخشنة الغليظة واذا دنا منه رجع بيته فيجده على حذرة حتى أتعب الجيش وأحفى دوابهم ونزل بطن أرض الموصل ليس بينه وبين سواد الانهر حولايا فى دادان الاعلى من أرض خوخى ونزل عبد الرحمن فى عواقيل النهر وكانت أيام النحر وطلب شبيب الموادعة فيها فأجابه قصدا للمطاولة وكتب عثمان بن قطن بذلك الى الحجاج فنكر وبعث الى عثمان بن قطن بامارة العسكر وأمره بالمسير وعزل عبد الرحمن بن الاشعث وبعث على المدائن مطرف بن المغيرة مكان ابن قطن وقدم ابن قطن على عسكر الكوفة عشية يوم التروية وناداهم الى الحرب فاستمهلوه وأنزله عبد الرحمن بن الاشعث وأصبحوا الى القتال ثالث يومهم على تعبية وفى الميمنة خالد بن نهيك بن قيس وفى الميسرة عقيل ابن شداد السلولى وابن قطن فى الرجالة وعبر اليهم شبيب فى مائة وثلاثين رجلا فوقف فى الميمنة وأخوه مصاد فى القلب وسويد بن سليم فى الميسرة وحمل شبيب على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل وقتل معه مالك بن عبد الله الهمدانى وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وقاتل خالد بن نهيك فجاء شبيب من ورائه فقتله وتقدم عثمان الى مصاد فى القلب فاشتد القتال وحمل شبيب من وراء عثمان وعطف عليهم سويد بن سليم ومصاد من القلب حتى أحاطوا به فقتلوه وانهزمت العساكر ووقع عبد الرحمن بن الاشعث فأتاه ابن أبى شنبة الجعفى وهو على بغلة فأردفه ونادى فى الناس باللحاق بدير أبى مريم ورفع شبيب السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه ولحق ابن الاشعث بالكوفة فاختفى حتى أمنه الحجاج ومضى شبيب الى ماه نهراذان فأقام فيه فصل الصيف فلحق به من كان للحجاج عليه تبعة ثم أقبل الى المدائن فى ثمانمائة رجل وعليها مطرف بن المغيرة وبلغ الخبر الى الحجاج فقام فى الناس وتسخط وتوعد فقال زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستطيع القيام الا معتمدا أنت تبعث الناس متقطعين فيصيبون منهم فاستنفر الناس جميعا وابعث عليهم رجلا شجاعا مجربا يرى الفرار عارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج أنت ذلك الرجل فقال انما يصلح من يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس ولا أطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصرى ولكن أكون مع أمير وأشير عليه فقال له جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله أول أمرك وآخره ثم قال للناس سيروا فتجهزوا بأجمعكم فتجهزوا وكتب الحجاج الى عبد الملك بأن شبيبا شارف المدائن يريد الكوفة وهم عاجزون عن قتاله بما هزم جندهم وقتل أمراءهم ويستمده من جند الشام فبعث اليه عبد الملك سفيان بن الابرد

الكلبى

الكلبى فى أربعة آلاف وحبيب بن عبد الرحمن الحكمى فى ألفين وذلك سنة ست وسبعين وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحى يستقدمه من عند المهلب وقد وقع بينهما كلام فقدم عتاب وولاه على الجيش فشكر زهرة بن حوية له وقال رميتهم بحجرهم والله لا يرجع اليك حتى يظفر أو يقتل وبعث الحجاج الى جند الشام يحذرهم البيات ويوصيهم الاحتياط وأن يأتوا على عين التمر وعسكر عتاب بحمام أعين ثم قطع شبيب دجلة الى المدائن وبعث اليه مطرف أن يأتيه رجال من وجوههم ينظر فى دعوتهم فرجا منه وبعث اليه بقعنب بن سويد فى جماعة مكثوا عنده أربعا ولم يرجعوا من مطرف بشئ ونزل عتاب الصراة وخرج مطرف الى الجبال خوفا أن يصل خبره مع شبيب الى الحجاج فلا لهم الجو وجاء مصاد الى المدائن فعقد الجسر ونزل عتاب سوق حكم فى خمسين ألفا وسار شبيب بأصحابه فى ألف رجل فصلى الظهر بساباط وأشرف على عسكر عتاب عند المغرب وقد تخلف عنه أربعمائة من أصحابه فصلى المغرب وعبى أصحابه ستمائة سويد بن سليم فى مائتين فى الميسرة والمحلل بن وائل فى مائتين فى الميمنة وهو فى مائتين فى القلب وكان على ميمنة عتاب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد وعلى ميسرته نعيم بن عليم وعلى الرجالة حنظلة بن الحرث اليربوعى وهو ابن عمه وهم ثلاثة صفوف بين السيوف والرماح والرماة ثم حرض الناس طويلا وجلس فى القلب ومعه زهرة بن مرثد وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأبو بكر بن محمد بن أبى جهم العدوى وأقبل شبيب حين أضاء القمر بين العشاءين فحمل على الميسرة وفيها ربيعة فانفضوا وثبت قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم على رايتهم حتى قتلوا ثم حمل شبيب على عتاب بن ورقاء وحمل سويد بن سليم على محمد بن سليم فى الميمنة فى تميم وهمدان واشتد القتال وخالط شبيب القلب وانفضوا وتركوا عتابا وفر ابن الاشعث فى ناس كثيرين وقتل عتاب بن ورقاء وركب زهرة بن حوية فقاتل ساعة ثم طعنه عامر بن عمر التغلبى من الخوارج ووطأته الخيل فقتله الفضل بن عامر الشيبانى منهم ووقف عليه شبيب وتوجع له ونكر الخوارج ذلك وقالوا أتتوجع لرجل كافر فقال اعرف قديمه ثم رفع السيف عن الناس ودعا للبيعة فبايعوه وهربوا تحت ليلهم وحوى ما فى العسكر وأتاه أخوه من المدائن وأقام يومين ثم سار نحو الكوفة ولحق سفيان بن الابرد وعسكر الشام بالحجاج فاستغنى بهم عن أهل الكوفة واشتد بهم وخطب فوبخ أهل الكوفة وعجزهم وجاء شبيب فنزل حمام أعين فسرح الحجاج اليه الحرث بن معاوية الثقفى فى نحو ألف من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب فبادر اليه شبيب فقتله وانهزم أصحابه الى الكوفة وأخرج الحجاج مواليه فأخذوا بأفواه السكك وجاء شبيب فنزل السبخة ظاهر الكوفة وبنى

بها مسجدا وسرح الحجاج مولاه أبا الورد فى غلمان لقتاله فحمل عليه شبيب وقتله بظنه الحجاج ثم أخرج اليه مولاه طهمان كذلك فقتله فركب الحجاج فى أهل الشأم وجعل سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف على أفواه السكك وقعد على كرسيه ونادى فى أهل الشأم وحرضهم فغضوا الابصار وجثوا على الركب وشرعوا الرماح وأقبل شبيب فى ثلاثة كراديس معه ومع سويد بن سليم ومع المحلل بن وائل وحمل سويد وبنوا وطاعنوه حتى انصرف وقدم الحجاج كرسيه وحمل المحلل ثانية فكذلك وقدم الحجاج كرسيه فثبتوا له وألحقوه بأصحابه وسرب شبيب سويد بن سليم الى أهل السكك وكان عليها عروة بن المغيرة بن شعبة فلم يطق دفاعه ثم حمل شبيب فطاعنوه وردوه وانتهى الحجاج الى مسجده وصعده وملك العرصة وقال له خالد بن عتاب ائذن لى فى قتالهم فأبى مو تورا فأذن له فجاءهم من ورائهم وقتل أخا شبيب وغزالة امرأته وخرق عسكرهم وحمل الحجاج عليهم فانهزموا وتخلف شبيب ردأ لهم فأمر الحجاج أصحابه بموادعتهم ودخل الكوفة فخطب وبشر الناس ثم سرح حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فى ثلاثة آلاف فارس لاتباعه وحذره بيانه فانتهى فى اثره الى الانبار وقد افترق عن شبيب كثير من أصحابه للامان الذى نادى الحجاج به فجاءه شبيب عند الغروب وقد قسم حبيب جنده أرباعا وتواصوا بالاستماتة فقاتلهم شبيب طائفة بعد طائفة فما زالت قدم انسان عن موضعها الى آخر الليل ثم نزل شبيب وأصحابه واشتد القتال وكثر القتلى وسقطت الايدى وفقئت الاعين وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين ومن أهل الشأم نحو مائة وأدركهم الاعياء والفشل جميعا فانصرف شبيب بأصحابه وقطع دجلة ومر فى أرض خوخى ثم قطع دجلة أخرى عند واسط ومضى على الاهواز وفارس الى كرمان ليريح بها (وقد قيل) فى هذه الحرب غير هذا وهو ان الحجاج بعث اليه أمراء واحدا بعد واحد فقتلهم وكان منهم أعين صاحب حمام أعين وكانت غزالة امرأة شبيب نذرت أن تصلى فى مسجد الكوفة ركعتين بالبقرة وآل عمران فجاء شبيب ودخل الكوفة ليلا وأوفت بنذرها ثم قاتلهم الناس وخرجوا وقام الحجاج فى الناس يستشيرهم وبرز اليه قتيبة وعذله فى بعث الرعاع ينهزمون ويموت قائدهم والرأى أن تخرج بنفسك فقال له فخرج من الغد الى السبخة وبها شبيب واختفى مكانه عن القوم ونصب أبا الورد مولاه تحت اللواء فحمل عليه شبيب فقتله ثم حمل على خالد بن عتاب فى الميسرة ثم على مطرف بن ناجية فى الميمنة فكشفهما ونزل عند ذلك الحجاج وأصحابه وجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد وبينما هم على ذلك اذ اختلف الخوارج وقال مصقلة بن مهلهل الضبى لشبيب ما تقول فى صالح بن سرح قال برئت منه فبرئ مصقلة منه وفارقه وشعر الحجاج باختلافهم

فسرح خالد بن عتاب لقتالهم فقاتلهم فى عسكرهم وقتل غزالة وبعث برأسها الى الحجاج فأمر شبيب من اعترضه فقتل حامله وجاء به فغسله ودفنه وانصرف الخوارج وتبعهم خالد وقتل مضادا أخو شبيب ورجع خالد عنهم بعد أن أبلى وسار شبيب الى كرمان وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمده فبعث اليه سفيان بن الابرد الكلبى فى العساكر فانفق فيهم المال وسرحه بعد انصراف الخوارج بشهرين وكتب الى عامل البصرة وهو الحكم بن أيوب زوج ابنته أن يبعث بأربعة آلاف فارس من جند البصرة الى سفيان فبعثهم مع زياد بن عمر العتكى فلحقه   بياض بالأصل   انقضاء الحرب وكان شبيب بعد أن استجم بكرمان أقبل راجعا فلقى سفيان بالاهواز فعبر اليه جسر دجيل وزحف فى ثلاثة كراديس فقاتلهم أشد قتال وحملوا عليهم أكثر من ثلاثين حملة وسفيان وأهل الشأم مستميتين يزحفون زحفا حتى اضطر الخوارج الى الجسر فنزل شبيب فى مائة من أصحابه وقاتل الى المساء حتى اذا جاء الليل انصرف وجاء الى الجسر فقدم أصحابه وهو على اثرهم فلما مر بالجسر اضطرب حجر تحت حافر فرسه وهو على حرف السفينة فسقط فى الماء وغرق وهو يقول وكان أمر الله مفعولا ذلك تقدير العزيز العليم وجاء صاحب الجسر الى سفيان وهو يريد الانصراف بأصحابه فقال ان رجلا من الخوارج سقط فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ومروا وتركوا عسكرهم فكبر سفيان وأصحابه وركب الى الجسر وبعث الى عسكرهم فحوى ما فيه وكان كثير الخيرات ثم استخرجوا شبيبا من النهر ودفنوه

(خروج المطرف والمغيرة بن شعبة)

لما ولى الحجاج الكوفة وقدمها وجد بنى المغيرة صلحاء أشرافا فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة على همذان فكانوا أحسن العمال سيرة وأشدهم على المريب ولما جاء شبيب الى المدائن نزل نهرشير ومطرف بمدينة الابواب فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن يرسل اليه من يعرض عليه الدعوة فبعث اليه رجلا من أصحابه فقالوا نحن ندعو الى كتاب الله وسنة رسوله وانا نقمنا على قومنا الاستئثار بالفىء وتعطيل الحدود والتسلط بالجزية   بياض بالأصل   فقال مطرف دعوتم الى حق جورا ظاهرا وانا لكم متابع فبايعونى على قتال هؤلاء الظلمة باحداثهم وعلى الدعاء الى الكتاب والسنة على الشورى كما تركها عمر بن الخطاب حتى يولى المسلمون من يرضونه فان العرب اذا علمت أن المراد بالشورى الرضا من قريش رضوا فكثر مبايعكم فقالوا لا نجيبك الى هذا وأقاموا أربعة أيام يتناظرون فى ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده ثم دعا مطرف أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين أصحاب شبيب وأن رأيه خلع عبد الملك

والحجاج فوجوا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبى زياد مولى أبيه لن
والله يخفى على الحجاج شئ مما وقع ولو كنت فى السحاب لاستنزلك فالنجاء بنفسك ووافقه
أصحابه فسار عن المدائن الى الجبال ولما كان فى بعض الطريق دعا أصحابه الى الخلع
والدعاء الى الكتاب والسنة وأن يكون الامر شورى فرجع عنه بعض الى الحجاج منهم
سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وساره طرف ومر بحلوان وبها سويد بن عبد الرحمن
السعدى مع الاكراد فاعترضوه فأوقع مطرف بهم وأثخن فى الاكراد ومال عن همذان
ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمده بمال وسلاح فأمده سرا وسار الى قم وقاسان
فبعث عماله فى نواحيها وفزع اليه من كل جانب فجاءه سويد بن سرحان الثقفى وبكير
ابن هرون النخعى من الرى فى نحو مائة رجل وكان على الرى عدى بن زياد الايادى وعلى
أصبهان البراء بن قبيصة فكتب الى الحجاج بالخبر واستمده فأمده بالرجال وكتب الى عدى
بالرى أن يجتمع مع البراء على حرب مطرف فاجتمعوا فى ستة آلاف وعدى أميرهم وكتب
الحجاج الى قيس بن سعد البجلى وهو على شرطة حمزة بهمذان بأن يقبض على حمزة ويتولى
مكانه فجاءه فى جمع من عجل وربيعة واقرأه كتاب الحجاج فقال سمعا وطاعة وقبض قيس
عليه وأودعه السجن وسار عدى والبراء نحو مطرف فقاتلوه وانهزم أصحابه وقتل
يزيد مولى أبيه وكان صاحب الراية وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبد الله بن
عفيف الازدى وكان ناسكا صالحا وكان الذى تولى قتل مطرف عمر بن هبيرة الفزارى
وبعث عدى أهل البلاء الى الحجاج وأمن بكير بن هرون وسويد بن سرحان وكان الحجاج
يقول مطرف ليس بولد للمغيرة وانما هو ابن مصقلة الحرلان أكثر الخوارج كانوا من
ربيعة ولم يكن فيهم من قيس

(اختلاف الازارقة)

قد تقدم لنا مقام المهلب فى قتال الازارقة على سابور بعد مسير عتاب عنه الى الحجاج
وانه أقام فى قتالهم سنة وكانت كرمان لهم وفارس للمهلب فانقطع عنهم المدد وضاقت
حالهم فتأخروا الى كرمان وتبعهم المهلب ونزل خيرفت مدينة كرمان وقاتلهم حتى
أزالهم عنها وبعث الحجاج العمال على نواحيها وكتب اليه عبد الملك بتسويغ
للمهلب معونة له على الحرب وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة يستحثه لقتال
الخوارج فساروا وقاتلهم والبراء مشرف عليه من ربوة واشتد قتاله وجاء البراء من الليل
فتعجب لقتاله وانصرف الى الحجاج وأنهى عذر المهلب وقاتلهم ثمانية عشر شهرا لا يقدر
منهم على شئ ثم وقع الاختلاف بينهم فقيل فى سببه ان المقعطر الضبى وكان عاملا
لقطرى على بعض نواحى كرمان قتل بعض الخوارج فطلبوا القود منه فمنعه قطرى

وقال تأول فأخطأ وهو من ذوى السابقة فاختلفوا وقيل بل كان رجل فى عسكرهم
يصنع النصول مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فكتب المهلب كتابا مع رجل وامرأة
أن يلقيه فى عسكرهم وفيه وصلت نصالك وقد أنفذت اليك ألف درهم فلما وقف على
الكتاب سأل الصانع فأنكر فقتله فأنكر عليه عبد ربه الكبير واختلفوا (وقيل) بعث
المهلب نصرانيا وأمره بالسجود لقطرى فقتله بعض الخوارج وولوا عبد ربه الكبير
وخلعوا قطريا فبقى فى نحو الخمسين منهم وأقاموا يقتتلون شهرا ثم لحق قطرى بطبرستان
وأقام عبد ربه بكرمان وقاتلهم المهلب وحاصرهم بجيرفت ولما طال عليهم الحصار
خرجوا بأموالهم وحريمهم وهو يقاتلهم حتى أثخن فيهم ثم دخل خيرفت وسار
فى اتباعهم فلحقهم على أربعة فراسخ فقاتلهم هو وأصحابه حتى أعيوا وكف عنهم ثم
استمات الخوارج ورجعوا فقاتلوه حتى يئس من نفسه ثم نصره الله عليهم وهزمهم وقتل
منهم نحوا من أربعة آلاف كان منهم عبد ربه الكبير ولم ينج منهم الا القليل وبعث
المهلب المبشر الى الحجاج فأخبره وسأله عن بنى المهلب فأثنى عليهم واحدا واحدا
قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن وكتب
الى المهلب يشكره ويأمره أن يولى على كرمان من يراه وينزل حامية ويقدم عليه
فولى عليها ابنه يزيد وقدم على الحجاج فاحتفل لقدومه وأجلسه الى جانبه وقال
يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب وسرح سفيان بن الابرد الكلبى فى جيش عظيم
نحو طبرستان لطلب قطرى وعبيدة بن هلال ومن معهم من الخوارج والتقوا هنالك
باسحق بن محمد بن الاشعث فى أهل الكوفة واجتمعا على طلبهم فلقوهم فى شعب
من شعاب طبرستان وقاتلوهم فافترقوا عن قطرى ووقع عن دابته فتدهده الى أسفل
الشعب ومر به علج فاستقاه على أن يعطيه سلاحه فعمد الى أعلى الشعب وحدر عليه
حجرا من فوق الشعب فأصابه فى رأسه فأوهنه ونادى بالناس فجاء فى أوائلهم نفر من
أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن أبجر التميمى وجعفر بن عبد الرحمن
ابن مخنف والسياح بن محمد بن الاشعث وحمل رأسه أبو الجهم الى اسحق بن محمد فبعث به
الى الحجاج وبعثه الحجاج الى عبد الملك وركب سفيان فأحاط بالخوارج وحاصرهم
حتى أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه واستماتوا فقتلهم أجمعين وبعث برؤسهم الى الحجاج
ودخل دنباوند وطبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبيل دير الجماجم قال بعض
العلماء وانقرضت الازارقة بعد قطرى وعبيدة آخر رؤسائهم وأول رؤسائهم نافع
ابن الازرق واتصل أمرهم بضعا وعشرين سنة الى أن افترقوا كما ذكرناه سنة سبع
وسبعين فلم تظهر لهم جماعة الى رأس المائة

(خروج سودب)

خرج سودب هذا أيام عمر بن عبد العزيز على رأس المائة واسمه بسطام وهو من بنى يشكر فخرج فى مائتى رجل وسار فى خوخى وعامل الكوفة يومئذ عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فكتب اليه عمر ان لا يعرض لهم حتى يقتلوا أو يفسدوا فيوجه اليهم الجند مع صليب حازم فبعث عبد الحميد بن جرير بن عبد الله البجلى فى ألفين فأقام بازائه لا يحركه وكتب عمر الى سودب بلغنى أنك خرجت غضبا لله ولرسوله وكنت أولى بذلك منى   أنا ظرك فان كان الحق معنا دخلت مع الناس وان كان الحق معك نظرنا فى أمرك فبعث اليه عاصما الحبشى مولى بنى شيبان ورجلا من بنى يشكر فقدما عليه بخناصرة فسألهما ما أخرجكم وما الذى نقمتم فقال عاصم ما نقمنا سيرتك انك لتتحرى العدل والاحسان فأخبرنا عن قيامك بهذا الامر مشورة من الناس أم غلبت عليه قال عمر ما سألته ولا غلبت عليه وعهد الى رجل قبلى فقمت ولم ينكر أحد ومذهبكم الرضا لكل من عدل وان أنا خالفت الحق فلا طاعة لى عليكم قالا فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم فتبرأ منهم والعنهم فقال عمر أنتم تريدون الآخرة وقد أخطأتم طريقها وان الله لم يشرع اللعن وقد قال ابراهيم ومن عصانى فانك غفور رحيم وقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبقى تسمية أعمالهم مظالم ذما ولو كان لعن أهل الذنوب فريضة لوجب عليكم لعن فرعون أنتم لا تلعنونه وهو أخبث الخلق فكيف ألعن أنا أهل بيتى وهم مصلون صائمون ولم يكفروا بظلمهم لان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى الايمان والشريعة فمن عمل بها قبل منه ومن أحدث حدثا فرض عليه الحد فقالا فان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى التوحيد والاقرار بما نزل عليه فقال عمر وليس أحد ينكر ما نزل عليه ولا يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن القوم أسرفوا على أنفسهم قال عاصم فابرأ منهم ورد أحكامهم قال عمر أتعلمان أن أبا بكر سبى أهل الردة وان عمر ردها بالفدية ولم يبرأ من أبى بكر وأنتم لا تبرؤن من واحد منهما قال فأهل النهروان خرج أهل الكوفة منهم فلم يقتلوا ولا استعرضوا وخرج أهل البصرة فقتلوا عبد الله بن خباب وجارية حاملا ولم يتبرأ من لم يقتل ممن قتل واستعرض ولا أنتم تتبرؤن من واحد منهما وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم ولا يسعنى أنا البراءة من أهل بيتى والدين واحد فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود وتردوا المقبول وقد أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد شهادة الاسلام وعصم ماله ودمه وأنتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر الاديان وتحرمون دماءهم وأموالهم فقال اليشكرى من استأمن على قوم

وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده الى رجل غير مأمون أتراه أدى الحق الذى لزمه فكيف تسلم هذا الامر بعدك الى يزيد مع علمك أنه لا يعدل فيه فقال انما ولاه غيرى والمسلمون أولى بذلك بعدى قال فهو حق ممن فعله وولاه قال أنظرانى ثلاثا ثم جاءه عاصم فرجع عن رأى الخوارج وقال له اليشكرى اعرض عليهم ما قلت واسمع حجتهم وأقام عاصم عند عمر وأمر له بالعطاء وتوفى عمر لايام قلائل ومحمد بن جرير ينتظر عود الرسل ولما مات عمر كتب عبد الحميد الى محمد بن جرير بمناجزة سودب قبل أن يصل اليهم خبر عمر فقالت الخوارج ما خالف هؤلاء ميعادهم الا وقد مات الرجل الصالح واقتتلوا فانهزم محمد بن جرير واتبعه الخوارج الى الكوفة ورجعوا وقدم على سودب صاحباه وأخبراه بموت عمر وسرح يزيد تميم بن الحباب فى ألفين فهزمه أصحابه ثم بعث اليهم الشحاج بن وداع فى ألفين فقتلوه وهزموه بعد أن قتل منهم هدبة ابن عم سودب وبقى الخوارج بمكانهم وجاء مسلمة الى الكوفة فأرسل سعيد بن عمرو الحرشى فى عسكر آلاف فاستماتت الخوارج وكشفوا العساكر مرارا ثم حملوا عليهم فطحنوهم طحنا وقتل سودب وأصحابه ولم يبق منهم أحد   الخوارج الى ظهور أيام هشام سنة عشرين ومائة بهلول بن بشر بن شيبان ويلقب كثارة وكان لما عزم على الخروج ولقى بمكة من كان على رأيه فأبعدوا الى قرية من قرى الموصل واجتمعوا بها وهم أربعون وأمروا عليهم البهلول وأخفوا أنفسهم بأنهم قدموا من عند هشام ومروا بقرية كان بهلول ابتاع منها خلا فوجده خمرا وأبى البائع من رده واستعدى عليه عامل القرية فقال الخمر خير منك ومن قومك فقتلوه وأظهروا أمرهم وقصدوا خالدا القسرى بواسط وتعللوا عليه بأنه يهدم المساجد ويبنى الكنائس ويولى المجوس على المسلمين وجاء الخبر الى خالد فتوجه من واسط الى الحيرة وكان بها جند من بنى القين نحو ستمائة بعثوا مددا لعامل الهند فبعثهم خالد مع مقدمهم لقتال بهلول وأصحابه وضم اليهم مائتين من الشرط والتقوا على الفرات فقتل مقدمهم وانهزموا الى الكوفة وبعث خالد عابدا الشيبانى من بنى حوشب بن يزيد بن رويم فلقيه بين الموصل والكوفة فهزمهم الى الكوفة وارتحل يريد الموصل ثم بدا له وسار يريد هشاما بالشأم وبعث خالد جندا من العراق وعامل الجزيرة جندا وبعث هشام جندا فاجتمعوا بين الجزيرة والموصل بكحيل وهم فى عشرين ألفا وبهلول فى سبعين فقاتلوا واستماتوا وصرع بهلول وسأله أصحابه العهد فعهد الى دعامة الشيبانى ثم الى عمر اليشكرى من بعده ومات بهلول من ليلته وهرب دعامة وتركهم ثم خرج عمر اليشكرى فلم يلبث ان قتل (ثم خرج) على خالد بعد ذلك بسنتين الغفرى صاحب الاشهب وبهذا كان يعرف

فبعث اليه السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج ولقيهم عبيد أهل الكوفة وغوغاؤهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم ثم خرج وزير السختياني على خالد بالحيرة فقتل وأحرق القرى فوجه اليه خالد جندا فقتلوا أصحابه وأثخن بالجراح وأتى به خالد فوعظه فأعجبه وعظه فأعفاه من القتل وكان يسامره بالليل وسعى بخالد الى هشام وانه أخذ حروريا يستحق القتل فجعله سميرا فكتب اليه هشام بقتله فقتله ثم خرج بعد ذلك الصحاوي بن شبيب بالفريقية فضى وندم خالد فطلبه فلم يرجع وأتى جبل وبها نفر من اللات بن ثعلبة فأخبرهم وقال انما أردت التوصل اليه لاقتله بفلان من قعدة الصفرية كان خالد قتله صبرا ثم خرج معه ثلاثون منهم فوجه اليهم خالد جندا فلقوهم بناحية المناذر فاقتتلوا فقتل الصحاري وأصحابه أجمعون ورد   أمر الخوارج بعد ذلك مرة فلما وقعت الفتن أيام هشام بالعراق والشأم وشغل مروان بمن انتقض عليه فخرج بأرض كفرتوثا سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة وكان على رأى الحرورية وخرج بسطام البهسي في مثل عدتهم من ربيعة وكان مخالفا لرأيه فبعث اليه سعيد بن بهدل قائده الخيبري في مائة وخمسين فبيتهم وقتل بسطاما ومن معه ولم ينج منهم الا أربعة عشر رجلا ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق فمات هنالك واستخلف الضحاك بن قيس الشيباني فبايعه الشراة وأتى أرض الموصل وشهرزور واجتمع اليه من الصفرية أربعة آلاف أو يزيدون وولى مروان على العراق النضر بن سعيد الحريشي وعزل به عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فامتنع عبد الله بالحيرة وسار اليه النضر وتحاربا أشهرا وكانت الصفرية مع النضر عصبة لمروان لطلبه بدم الوليد وأمه قيسية وكانت اليمنية مع ابن عمر عصبية لدخولهم في قتل الوليد بما فعله مع خالد القسري فلما علم الضحاك والخوارج باختلافهم أقبل الى العراق سنة سبع وعشرين وزحف اليهم فتراسل ابن عمر والنضر وتعاقدا واجتمعا لقتاله بالكوفة وكل واحد منهما يصلي بأصحابه وابن عمر أمير على الناس وجاء الخوارج فقاتلوهم فهزموهم الى خندقهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني كذلك فسلك الناس الى واسط منهم النضر بن سعيد الحريشي ومنصور بن جمهور واسمعيل أخو خالد القسري وغيرهم من الوجوه فلحق ابن عمر بواسط واستولى الضحاك على الكوفة وعادت الحرب بين ابن عمر والنضر ثم زحف اليهما الضحاك فاتفقا وقاتلا حتى ضرستهما الحرب ولحق منصور بن جمهور بالضحاك والخوارج وبايعهم ثم صالحهم ابن عمر ليشغلوا مروان عنه وخرج اليهم وصلى خلف الضحاك وبايعه وكان معه سليمان بن هشام وصل اليه هاربا من حمص

لما انتقض بها وعليه   عليها مروان فلحق بابن عمر وبايع معه الضحاك وصار معه وحرضه على مروان   انما لحق بالضحاك وهو يحاصر نصيرا وتزوج أخت شيبان الحروري فرجع الضحاك الى الكوفة وسار منها الى الموصل بعد عشرين شهرا من حصار واسط بعد أن دخل أهل الموصل وعليهم القطران أم أ كه من بني شيبان عامل لمروان فأدخلهم أهل البلد وقاتلهم القطران فقتل ومن معه وبلغ الخبر الى مروان وهو يحاصر حمص فكتب الى ابنه عبد الله أن يسير الى   يمانع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار في ثمانية آلاف فارس والضحاك في مائة ألف وحاصره بنصيبين ثم سار مروان بن محمد اليه فالتقيا عند كفرتوثا من نواحي ماردين فقاتله عامة يومه الى الليل وترجل الضحاك في نحو ستة آلاف وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وعثر على الضحاك في القتلى فبعث مروان برأسه الى   الجزيرة وأصبح الخوارج فبايعوا الخيبري قائد الضحاك وعاودوا الحرب مع مروان فهزموه وانتهوا الى خيامه فقطعوا أطنابهم وجلس الخيبري على فرشه والجناحان ثابتان وعلى الميمنة عبد الله بن مروان وعلى الميسرة اسحق بن مسلم العقيلي فلما انكشف قلبه الخوارج أحاطوا بهم في مخيم مروان فقتلوهم جميعا والخيبري معهم ورجع مروان من نحو ستة أميال وانصرف الخوارج وبايعوا شيبان الحروري وهو شيبان بن عبد العزيز اليشكري ويكنى أبا الدلفاء وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ وأقام في قتالهم أياما وانصرف عن شيبان كثير منهم وارتحلوا الى الموصل باشارة سليمان بن هشام وعسكروا شرقي دجلة وعقدوا الجسور واتبعهم مروان وقاتلهم لتسعة أشهر وقتل من الطائفتين خلق كثير وأسر ابن براخ لسليمان بن هشام اسمه أمية ابن معاوية فقطعه ثم ضرب عنقه وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة وهو بقرقيسيا يأمره بالسير الى العراق وولاه عليها وعلى الكوفة يومئذ المثنى بن عمران العائذي من قريش خليفة للخوارج فلقي ابن هبيرة بعين التمر فاقتتلوا وانهزمت الخوارج ثم تجمعوا له بالنخيلة ظاهر الكوفة فهزمهم ثم تجمعوا بالبصرة فأرسل شيبان اليهم عبيدة بن سوار في خيل عظيمة فهزمهم ابن هبيرة وقتل عبيدة واستباح عسكرهم واستولى على العراق وكان منصور بن جمهور مع الخوارج فمضى الى الماهين وغلب عليها وعلى الجبل جميعا وسار ابن هبيرة الى واسط فحبس ابن عمر وكان سليمان بن حبيب عامل ابن عمر على الاهواز فبعث ابن هبيرة اليه نباتة بن حنظلة وبعث هو داود بن حاتم والتقيا على دجلة فانهزم داود وقتل وكتب مروان الى ابن هبيرة أن يبعث اليه عامر ابن ضبابة المزني فكتبه في ثمانية آلاف وبعث شيبان لاعتراضه الجون بن كلاب

الخارجي في جمع فانهزم عامر وتحصن بالسند وجعل مروان يمده بالجنود وكان
منصور بن جمهور بالجبل يمد شيبان بالاموال ثم كثرت جموع عامر فخرج الى الجون
والخوارج الذين يحاصرونه فهزمهم وقتل الجون وسار قاصدا الخوارج بالموصل
فارتحل شيبان عنها وقدم عامر على مروان فبعثه في اتباع شيبان ففر على الجبل وخرج
على بيضاء فارس وبها يومئذ عامر بن عبد الله بن حطويه بن جعفر في جموع كثيرة فسار
ابن معاوية الى كرمان وقاتله عامر فهزمه ولحق بهراة وسار عامر بمن معه فلقي شيبان
والخوارج بجيرفت فهزمهم واستباح عسكرهم ومضى شيبان الى سجستان فهلك
بها سنة ثلاثين ومائة وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل شهرا ثم انهزم
شيبان ولحق بفارس وعامر بن ضبارة في اتباعه ثم سار شيبان الى جزيرة ابن كاوان واقام
بها ولما ولي السفاح بعث حارثة بن خزيمة لحرب الخوارج هنالك لموجدة وجدها
عليه فأشير عليه ببعثه لذلك فسار في عسكر الى البصرة وركب السفن الى جزيرة
ابن كاوان وبعث فضالة بن نعيم النهشلي في خمسمائة فانهزم شيبان الى عمان وقاتل هنالك
وقتله جلندى بن مسعود بن جعفر بن جلندى ومن معه سنة أربع وثلاثين وركب
سليمان بن هشام السفن بأهله ومواليه الى الهند بعد مسير شيبان الى جزيرة ابن كاوان
حتى اذا بويع السفاح قدم عليه وأنشده سديف البيتين المعروفين وهما

لايغرنك ماترى من رجال * ان بين الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع الصوت حتى * لاترى فوق ظهرها أمويا

فقتله السفاح وانصرف مروان بعد مسير شيبان الى الموصل الى منزله بحران فلم يزل
بها حتى سار الى الزاب ومضى شيبان بعد سلمة الى خراسان والفتنة بها يومئذ بين نصر
ابن سيار والكرماني والحرث بن شريح وقد ظهر أبو مسلم بالدعوة العباسية فكان له
من الحوادث معهم ما ذكرناه واجتمع مع علي بن الكرماني على قتال نصر بن سيار
فلما صالح الكرماني أبا مسلم كما مر وفارق شيبان تنحى شيبان عن عمر لعلمه أنه لا يقاومه
ثم هرب نصر بن سيار الى سرخس واستقام أمر أبي مسلم بخراسان فأرسل الى شيبان
يدعوه الى البيعة ويأذنه بالحرب واستجاش بالكرماني فأبى فسار الى سرخس واجتمع
اليه الكثير من بكر بن وائل وأرسل اليه أبو مسلم في الموادعة فحبس الرسل فكتب
أبو مسلم الى بسام بن ابراهيم مولى بني ليث بالمسير الى شيبان فسار اليه فهزمه وقتل
في عدة من بكر بن وائل ويقال ان خزيمة بن حازم حضر مع بسام في ذلك

(خبر أبي حمزة وطالب الحق)

كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الازدي البصري وكان من الخوارج

الاباضية وكان يوافي مكة كل موسم يدعو الى خلاف مروان وجاء عبد الله بن يحيى
المعروف بطالب الحق سنة ثمان وعشرين وهو من حضرموت فقال له انطلق معي
فاني مطاع في قومي فانطلق معه الى حضرموت وبايعه على الخلافة وبعثه عبد الله سنة
تسع وعشرين مع بلج بن عقبة الازدي في سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف
وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فطلبهم في الموادعة حتى
ينقضي الموسم وأقام للناس حجهم ونزل بمنى وبعث الى أبي حمزة عبد الله بن حسن
ابن الحسن ومحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد وعبيد الله
ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر وربيعة بن أبي عبد الرحمن في أمثالهم فكشر في وجه
العلوي والعثماني وانبسط الى البكري والعمري وقال لهما ما أخرجنا الا بسيرة أبويكما
فقال له عبد الله بن حسن ما جئنا للتفضيل بين آبائنا وانما جئنا برسالة من الامير
وربيعة يخبرك بها ثم أحكموا معه الموادعة الى مدتها ونفر عبد الواحد في النفر الاول
فمضى الى المدينة وضرب على أهلها البعث وزادهم في العطاء عشرة وبعث عليهم
عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن عثمان فانتهوا الى قديد وجاءتهم رسل أبي حمزة
يسألونهم التجافي عن حربهم وأن يخلوا بينهم وبين عدوهم فلما نزلوا قديد وكانوا
مترفين ليسوا بأصحاب حرب فطلع عليهم أصحاب أبي حمزة من الغياض فأثخنوا فيهم وكان
قتلاهم نحو سبعمائة من قريش وبلغ الخبر الى عبد الواحد فلحق بالشام ودخل أبو حمزة
المدينة منتصف صفر سنة ثلاثين وخطب على المنبر وأعلن بدعوته ووعظ وذكر ورد
مقالات من عابهم وسفه رأيهم وأحسن السيرة في أهل المدينة واستمالهم حتى سمعوه
يقول من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر وأقام ثلاثة أشهر ثم ودعهم وسار نحو الشام
وكان مروان قد سرح اليهم عبد الملك بن محمد بن عطية بن هوازن في أربعة آلاف
ليقاتل الخوارج حتى يبلغ اليمن فلقي أبا حمزة في وادي القرى فانهزمت الخوارج وقتل
أبو حمزة ولحق فلهم بالمدينة وسار عطية في أثرهم الى المدينة فأقام بها شهرا ثم سار
الى اليمن واستخلف على المدينة الوليد ابن أخيه عروة وعلى مكة رجلا من أهل الشام
وبلغ عبد الله طالب الحق مسيره اليه وهو بصنعاء فخرج للقائه واقتتلوا وقتل طالب
الحق وسار ابن عطية الى صنعاء وملكها وجاء كتاب مروان باقامة الحج بالناس فسار
في اثني عشر رجلا ومعه أربعون ألف دينار وخلف ثقله بصنعاء ونزل الجرف فاعترضه
ابن حماية المرادي في جمع وقال له ولاصحابه أنتم لصوص فاستظهروا بعهد مروان
فكذبوه وقاتلهم فقتلوه وركد ريح الخوارج من يومئذ الى أن ظهرت الدولة العباسية
وبويع المنصور بعد السفاح (فخرج سنة سبع وثلاثين) بالجزيرة ملبد بن حرملة الشيباني

فسارت اليه روابط الجزيرة فى ألف فارس فهزمهم وقاد منهم ثم سار اليه يزيد بن حاتم المهلبى ومهال بن صفوان مولى المنصور ثم نزار من قواد خراسان ثم زياد بن مسكان ثم صالح بن صبيح فهزمهم كلهم واحدا بعد واحد وقتل منهم ثم سار اليه حميد بن قحطبة وهو عامل الجزيرة فهزمه وتحصن حميد منه فبعث المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار فى الجيوش ومعه زياد بن مسكان فأكمن له الملبد وقاتلهم ثم خرج الكمين فانهزم عبد العزيز وقتل عامة أصحابه فبعث المنصور حازم بن خزيمة فى ثمانية آلاف من أهل خراسان فسار الى الموصل وعبر اليه الملبد دجلة فقاتله فانهزم أهل الميمنة وأهل الميسرة من أصحاب حازم وترجل حازم وأصحابه وترجل ملبد كذلك وأمر حازم أصحابه فنضحوهم بالنبل واشتد القتال وتراجعت الميمنة والميسرة ورشقوهم فقتل ملبد فى ثمانمائة ممن ترجل معه وثلثمائة قبل أن يترجل وتبعهم فضالة صاحب الميمنة فقتل منهم زهاء مائة وخمسين ثم خرج سنة ثمان وأربعين أيام المنصور بنواحى الموصل حسان بن مخالد بن مالك بن الاجدع الهمدانى أخو مسروق وكان على الموصل الصقر بن نجدة وليها بعد حرب بن عبد الله فسار اليهم فهزموه الى الدجلة وسار حسان الى العمال ثم الى البحر وركب الى السند وقاتل وكاتب الخوارج بعمان يدعوهم ويستأذنهم فى اللحاق بهم فأبوا وعاد الى الموصل فخرج اليه الصقر بن الحسن ابن صالح بن جنادة الهمدانى وهلال فقتل هلالا واستبقى ابن الحسن فاتهمه بعض أصحابه بالعصبية وفارقوه وقد كان حسان أمه من الخوارج وخاله حفص بن أشيم من فقهائهم ولما بلغ المنصور خروجه قال خارجى من همذان فقيل له انه ابن أخت حفص بن أشيم قال من هنالك وانما أنكر المنصور ذلك لان عامة همذان شيعة وعزم المنصور على الفتك بأهل الموصل فانهم عاهدوه على أنهم ان خرجوا فقد حلت دماؤهم وأموالهم وأحضر أبا حنيفة وابن أبى ليلى بن شبرمة واستفتاهم فتلطفوا له فى العفو فأشار الى أبى حنيفة فقال أباحوا ما لا يملكون كما لو أباحت امرأة فرجها بغير عقد شرعى فكف عن أهل الموصل ثم خرج أيام المهدى بخراسان يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم واجتمع بشر كثير فبعث اليه المهدى يزيد بن مزيد الشيبانى ابن أخى معن فاقتتلوا قتالا شديدا وأسره يزيد وبعث به الى المهدى موثقا وحمل من النهروان على بعير وحول وجهه الى ذنبه كذلك فدخلوا الى الرصافة وقطعوا ثم صلبوا وكان حروبا متعودا فغلب على بوشنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان وكان على بوشنج مصعب بن رزيق جد طاهر بن الحسين فهرب منه وكان من أصحابه معاذ الفاريابى وقبض معه ثم خرج معه أيام المهدى بالجزيرة حمزة بن مالك الخزاعى سنة تسع وستين

وهزم منصور بن زياد وصاحب الخراج وقوى أمره ثم اغتاله بعض أصحابه فقتله ثم خرج آخر أيام المهدى بأرض الموصل خارجى من بنى تميم اسمه ياسين يميل الى مقالة صالح بن مسرح فهزم عسكر الموصل وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة فبعث اليه المهدى القائد أبا هريرة محمد بن مروخ وهزيمة بن أعين مولى بنى ضبة فحارباه حتى قتل فى عدة من أصحابه وانهزم الباقون ثم خرج بالجزيرة أيام الرشيد سنة ثمان وسبعين الوليد بن طريف من بنى تغلب وقتل ابراهيم بن خالد بن خزيمة بنصيبين ثم دخل أرمينية وحاصر خلاط عشرين يوما وافتدوا بثلاثين ألفا ثم سار الى أذربيجان ثم الى حلوان وأرض السواد وعبر الى غرب دجلة وعاث فى أرض الجزيرة فبعث اليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وهو ابن أخى معن فى العساكر فمكث يقاتله وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فاغروا به الرشيد وأنه أبقى على الوليد برحم وائل فكتب اليه الرشيد يتهدده فناجزه يزيد الحرب فى رمضان سنة تسع وسبعين وقاتلهم قتالا شديدا فقتل الوليد وجىء برأسه ثم أصبحت أخته مستلئمة للحرب فخرج اليها يزيد وضرب بها على رأسها بالرمح وقال لها اعدى فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهى تقول فى رثائه الابيات المشهورة التى منها

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف

وانقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشأم فلم يخرج بعد ذلك الا شذاذ متفرقون يستلحمهم الولاة بالنواحى الا ما كان من خوارج البربر بافريقية فان دعوة الخارجية فشت فيهم من لدن ميسرة الظفرى سنة ثلاث وعشرين ومائة ثم فشت دعوة الاباضية والصفرية منهم فى هوارة ولماية ونفزة ومغيلة وفى مغراوة وبنى يفرن من زناتة حسبما نذكر فى أخبار البربر لما كان لبنى رستم من الخوارج بالمغرب دولة فى تاهرت من المغرب الاوسط نذكرها فى أخبار البربر أيضا ثم سار بافريقية منهم على دولة العبيديين خلفاء القيروان أبو يزيد بن مخلد المغربى وكانت له معهم حروب وأخبار نذكرها فى موضعها ثم لم يزل أمرهم فى تناقص الى أن اضمحلت دياناتهم وافترقت جماعتهم وبقيت آثار نحلتهم فى أعقاب البربر الذين دانوا بها أول الامر ففى بلاد زناتة بالصحراء منها أثر باق لهذا العهد فى قصور ريغ وواديه وفى مغراوة من شعوب زناتة ويسمون الراهبية نسبة الى عبد الله بن وهب الراهبى أول من بويع منهم أيام على بن أبى طالب وهم فى قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن مقال أهل السنة والجماعة وكذلك فى جبال طرابلس وزناتة أثر باق من تلك النحلة يدين بها أولئك البربر فى المجاورة لهم مثل ذلك وتطيرا الينا هذا العهد

من تلك البلاد دواوين ومجلدات من كلامهم فى فقه الدين وتمهيد عقائده وفروعه مباينة لمناحى السنة وطرقها بالكلية الا أنها ضاربة بسهم فى اجادة التأليف والترتيب وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة وكان بنواحى البحرين وعمان الى بلاد حضرموت وشرقى اليمن ونواحى الموصل آثار تفشى وعروق فى كل دولة الى أن خرج على بن مهدى من خولان باليمن ودعا الى هذه النحلة وغلب يومئذ من كان من الملوك باليمن واستلحم بنى الصليحى القائمين بدعوة العبيديين من الشيعة وغلبوهم على ما كان بأيديهم من ممالك اليمن واستولوا أيضا على زبيد ونواحيها من يد موالى بنى نجاح موالى ابن زياد كما نذكر ذلك كله فى أخبارهم ان شاء الله سبحانه وتعالى فلتصفح فى أماكنها ويقال ان باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

(الدولة الاسلامية بعد افتراق الخلافة)

لم يزل أمر الاسلام جميعا دولة واحدة أيام الخلفاء الاربعة وبنى أمية من بعدهم لاجتماع عصبية العرب ثم ظهر من بعد ذلك أمر الشيعة وهم الدعاة لاهل البيت فغلبت دعاة بنى العباس على الامر واستقلوا بخلافة الملك ولحق الفل من بنى أمية بالاندلس فقام بأمرهم فيها من كان هنالك من مواليهم ومن هرب فلم يدخلوا فى دعوة بنى العباس وانقسمت لذلك دولة الاسلام بدولتين لافتراق عصبية العرب ثم ظهر دعاة أهل البيت بالمغرب والعراق من العلوية ونازعوا خلفاء بنى العباس واستولوا على القاصية من النواحى كالادارسة بالمغرب الاقصى والعبيديين بالقيروان ومصر والقرامطة بالبحرين والدواعى بطبرستان والديلم والاطروش فيها من بعده وانقسمت دولة الاسلام بذلك دولا متفرقة نذكرها واحدة بعد واحدة ونبدأ منها أولا بذكر الشيعة ومبادى دولهم وكيف انساقت الى العباسية ومن بعدهم الى آخر دولهم ثم نرجع الى دولة بنى أمية بالاندلس ثم نرجع الى دولة الدعاة للدولة العباسية فى النواحى من العرب والعجم كما ذكرناه فى برنامج الكتاب والله الموفق للصواب

(مبدأ دولة الشيعة)

(اعلم) أن مبدأ هذه الدولة ان أهل البيت لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالامر وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش وفى الصحيح أن العباس قال لعلى فى وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه اذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الامر ان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال له على ان منعناها لا يعطيناها الناس بعده وفى الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فاختلفوا عنده فى ذلك وتنازعوا ولم يتم الكتاب وكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم حتى لقد ذهب كثير من الشيعة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى فى مرضه ذلك لعلى ولم يصح ذلك من وجه يعول عليه وقد أنكرت هذه الوصية عائشة وكفى بانكارها وبقى ذلك معروفا من أهل البيت وأشياعهم وفيما نقله أهل الآثار أن عمر قال يوما لابن العباس ان قومكم يعنى قريشا ما أرادوا أن يجمعوا لكم يعنى بنى هاشم بين النبوه والخلافة فتحموا عليكم وأن ابن عباس نكر ذلك وطلب من عمر اذنه فى الكلام فتكلم بما عصب له وظهر من محاورتهما أنهم كانوا يعلمون أن فى نفوس أهل البيت شيئا من أمر الخلافة والعدول عنهم بها وفى قصة الشورى أن جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعلى ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به الى سواه تأففوا من ذلك وأسفوا له مثل الزبير ومعه عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وغيرهم الا أن القوم لرسوخ قدمهم فى الدين وحرصهم على الالفة لم يزيدوا فى ذلك على النجوى بالتأفف والاسف ثم لما فشا التنكير على عثمان والطعن فى الآفاق كان عبد الله بن سبا ويعرف بابن السوداء من أشد الناس خوضا فى التشنيع لعلى بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة فى العدول اليه عن على وانه ولى بغير حق فأخرجه عبد الله بن عامر من البصرة ولحق بمصر فاجتمع اليه جماعة من أمثاله جنحوا الى الغلو فى ذلك وانتحال المذاهب الفاسدة فيه مثل خالد بن ملجم وسوذان بن حمدان وكنانة بن بشر وغيرهم ثم كانت بيعة على وفتنة الجمل وصفين وانحراف الخوارج عنه بما أنكروا عليه من التحكيم فى الدين وتمحضت شيعته للاستماتة معه فى حرب معاوية مع على وبويع ابنه الحسن وخرج عن الامر لمعاوية فسخط ذلك شيعة على منه وأقاموا يتناجون فى السر باستحقاق أهل البيت والميل اليهم وسخطوا من الحسن ما كان منه وكتبوا الى الحسين بالدعاء له فامتنع وأوعدهم الى هلاك معاوية فساروا الى محمد بن الحنفية وبايعوه فى السر على طلب الخلافة متى أمكنه وولى على كل بلد رجلا وأقاموا على ذلك ومعاوية يكف بسياسة من غربهم ويقتلع الداء اذا تعين له منهم كما فعل بحجر بن عدى وأصحابه ويروض من شماس أهل البيت ويسامحهم فى دعوى تقدمهم واستحقاقهم ولا يهيج أحدا منهم بالتثريب عليه فى ذلك الى أن مات وولى يزيد وكان من خروج الحسين وقتله ما هو معروف فكانت من أشنع الوقائع فى الاسلام عظمت بها الشحناء وتوغل الشيعة فى شأنهم وعظم النكير والطعن على من تولى ذلك أو قعد عنه ثم تلاوموا على ما أضاعوه من أمر الحسين وانهم دعوه ثم لم ينصروه

فندموا ورأوا أن لا كفارة فى ذلك الا الاستماتة دون ثاره وسموا أنفسهم التوابين وخرجوا لذلك يقدمهم سليمان بن صرد الخزاعى ومعه جماعة من خيار أصحاب على وكان ابن زياد قد انتقض عليه العراق ولحق بالشأم وجمع وزحف قاصدا العراق فزحفوا اليه وقاتلوه حتى قتل سليمان وكثير من أصحابه كما ذكرنا فى خبره وذلك سنة خمس وستين ثم خرج المختار بن أبى عبيد ودعا لمحمد بن الحنفية كما قدمناه فى خبره وفشا التعصب لاهل البيت فى الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق واختلفت مذاهب الشيعة فيمن هو أحق بالامر من أهل البيت وبايعت كل طائفة لصاحبها سرا ورسخ الملك لبنى أمية وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم فيها وتستروا بها مع تعدد فرقهم وكثرة اختلافهم كما ذكرناه عند نقل مذاهبهم فى فصل الامامة من الكتاب الاول ونشأ زيد بن على بن الحسين وقرأ على واصل بن عطاء امام المعتزلة فى وقته وكان واصل مترددا فى اصابة على فى حرب صفين والجمل فنقل ذلك عنه وكان أخوه محمد الباقر يعذله فى الاخذ عمن يرى تخطئة جده وكان زيد أيضا مع قوله بافضلية على على أصحابه يرى ان بيعة الشيخين صحيحة وأن اقامة المفضول جائزة خلاف ما عليه الشيعة ويرى انهما لم يظلما عليا ثم دعته الحال الى الخروج بالكوفة سنة احدى وعشرين ومائة واجتمع له عامة الشيعة ورجع عنه بعضهم لما سمعوه يثنى على الشيخين وأنهما لم يظلما عليا وقالوا لم يظلمك هؤلاء ورفضوا دعوته فسموا الرافضة من أجل ذلك ثم قاتل يوسف بن عمر فقتله يوسف وبعث برأسه الى هشام وصلب شلوه بالكناسة ولحق ابنه يحيى بخراسان فأقام بها ثم دعته شيعة الى الخروج فخرج هنالك سنة خمس وعشرين وسرح اليه نصر بن سيار العساكر مع سالم بن أحوز المازنى فقتلوه وبعث برأسه الى الوليد وصلب شلوه بالجوزجان وانقرض شأن الزيدية وأقام الشيعة على شأنهم وانتظار أمرهم والدعاة لهم فى النواحى يدعون على الاجمال للرضا من آل محمد ولا يصرحون بمن يدعون له حذرا عليه من أهل الدولة وكان شيعة محمد بن الحنفية أكثر شيعة أهل البيت وكانوا يرون أن الامر بعد محمد بن الحنفية لابنه أبى هشام عبد الله وكان كثيرا ما يغدو على سليمان بن عبد الملك فمر فى بعض أسفاره بمحمد بن على بن عبد الله بن عباس بمنزله بالحميمة من أعمال البلقاء فنزل عليه وأدركه المرض عنده فمات وأوصى له بالامر وقد كان أعلم شيعته بالعراق وخراسان أن الامر صائر الى ولد محمد بن على هذا فلما مات قصدت الشيعة محمد بن على وبايعوه سرا وبعث الدعاة منهم الى الآفاق على رأس مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز وأجابه عامة أهل خراسان وبعث عليهم النقباء وتداول أمرهم هنالك وتوفى محمد سنة أربع وعشرين وعهد لابنه ابراهيم وأوصى

الدعاة بذلك وكانوا يسمونه الامام ثم بعث أبو مسلم الى أهل دعوته بخراسان ليقوم فيهم بأمره فهلك وكتب اليهم بولايته ثم قبض مروان بن محمد على ابراهيم الامام وحبسه بحران فهلك هنالك لسنة وملك أبو مسلم خراسان وزحف الى العراق فملكها كما ذكرنا ذلك كله من قبل وغلبوا بنى أمية على أمرهم وانقرضت دولتهم

الخبر عن بنى العباس من دول الاسلام فى هذه الطبقة الثالثة للعرب وأولية أمرهم وانشاء دولتهم والالمام بنكت أخبارهم وعيون أحاديثهم

هذه الدولة من دولة الشيعة كما ذكرناه وفرقها منهم يعرفون بالكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن على بن الحنفية بعد على ثم بعده الى ابنه أبى هشام عبد الله ثم بعده الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس بوصيته كما ذكرنا ثم بعده الى ابنه ابراهيم الامام ابن محمد ثم بعده الى أخيه أبى العباس السفاح وهو عبد الله ابن الحارثية هكذا ساقها عند هؤلاء الكيسانية ويسمون أيضا الحرماقية نسبة الى أبى مسلم لانه كان يلقب بحرماق ولبنى العباس أيضا شيعة يسمون الراوندية من أهل خراسان يزعمون أن أحق الناس بالامامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم هو العباس لانه وارثه وعاصبه لقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وان الناس منعوه من ذلك وظلموه الى أن رده الله الى ولده ويذهبون الى البراءة من الشيخين وعثمان ويجيزون بيعة على لان العباس قال له يا ابن أخى هلم أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول داود بن على على منبر الكوفة يوم بويع السفاح يا أهل الكوفة انه لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب وهذا القائم فيكم يعنى السفاح

(دولة السفاح)

قد تقدم لنا كيف كان أصل هذه الدعوة وظهورها بخراسان على يد أبى مسلم ثم استيلاء شيعتهم على خراسان والعراق ثم بيعة السفاح بالكوفة سنة ثلاث وثلاثين ومائة ثم قتل مروان بن محمد وانقراض الدولة الاموية ثم خرج بعض أشياعهم وقوادهم وانتقضوا على أبى العباس السفاح وكان أول من انتقض حبيب بن مرة المرى من قواد مروان وكان بحوران والبلقاء خاف على نفسه وقومه فخلع وبيض ومعناه لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العباسية فى ذلك وتابعته قيس ومن يليهم والسفاح يومئذ بالحيرة بلغه أن أبا الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحرث الكلابى انتقض بقنسرين وكان من قواد مروان ولما انهزم مروان وقدم عليه عبد الله بن على بايعه ودخل فى دعوة العباسية وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له

فعبث بهم وبنسائهم القائد الذى جاءهم من قبل عبد الله بن على وشكوا ذلك الى أبى
الورد فقتل القائد وخلع معه أهل قنسرين وكاتبوا أهل حمص فى الخلاف وقدموا
عليهم أبا محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية وقالوا هو السفيانى الذى يذكر ولما بلغ ذلك
عبد الله بن على وادع حبيب بن مرة وسار الى أبى الورد بقنسرين ومر بدمشق فخلف
بها أبا غانم عبد الحميد بن ربعى الطائى فى أربعة آلاف فارس مع حرمه وأثقاله وسار
الى حمص فبلغه أن أهل دمشق خلعوا وبيضوا وقام فيهم بذلك عثمان بن عبد الاعلى
ابن سراقة الازدى وانهم هزموا أبا غانم وعسكره وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانتهبوا
ما خلف عندهم فأعرض عن ذلك وسار للقاء السفيانى وأبى الورد وقدم أخاه عبد
الصمد فى عشرة آلاف فكشف ورجع الى أخيه عبد الله منهزما فزحف عبد الله
فى جماعة القواد ولقيهم بمرج الاخرم وهم فى أربعين ألفا فانهزموا وثبت أبو الورد
فى خمسمائة من قومه فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد الى تدمر وراجع أهل قنسرين طاعة
العباسية ورجع عبد الله بن على الى قتال أهل دمشق ومن معهم فهرب عثمان بن
سراقة ودخل أهل دمشق فى الدعوة وبايعوا لعبد الله بن على ولم يزل أبو محمد السفيانى
بأرض الحجاز متغيبا الى أيام المنصور فقتله زياد بن عبد الله الحارثى عامل الحجاز يومئذ
وبعث برأسه الى المنصور مع ابنين له أسيرين فأطلقهما المنصور ثم خلع أهل الجزيرة
وبيضوا وكان السفاح قد بعث اليهما ثلاثة آلاف من جنده مع موسى بن كعب
من قواده وأنزلهم بحران وكان اسحق بن مسلم العقيلى عامل مروان على ارمينية فلما
بلغته هزيمة مروان سار منها واجتمع اليه أهل الجزيرة وحاصروا موسى بن كعب
بحران شهرين فبعث السفاح أخاه أبا جعفر اليهم وكان محاصرا لابن هبيرة بواسط فسار
لقتال اسحق بن مسلم ومر بقرقيسيا والر   وقد خلعوا وبيضوا وسار نحو
حران فأجفل اسحق بن مسلم عنها ودخل الرها وبعث أخاه بكار بن مسلم الى قبائل ربيعة
بنواحى ماردين ورئيسهم يومئذ بريكة من الحرورية فصمد اليهم أبو جعفر فهزمهم
وقتل بريكة فى المعركة وانصرف بكار الى أخيه اسحق فخلفه بالرها وسار الى شمشاط
بمعظم عسكره وجاء عبد الله بن على فحاصره ثم جاء أبو جعفر فحاصروه سبعة أشهر
وهو يقول لا أخلع البيعة من عنقى حتى أتيقن موت صاحبها ثم تيقن موت مروان
فطلب الامان واستأذنوا السفاح فأمرهم بتأمينه وخرج اسحق الى أبى جعفر فكان
من آثر أصحابه واستقام أهل الجزيرة والشأم وولى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة
وأرمينية وأذربيجان فلم يزل عليها حتى استخلف

(حصار ابن هبيرة بواسط ومقتله)

ثم تقدم لما هزيمة يزيد بن هبيرة امام الحسن بن قحطبة وتحصنه بواسط وكان حوثرة
وبعض أصحابه أشاروا عليه بعد الهزيمة باللحاق بالكوفة فأبى وأشار عليه يحيى بن
حضين باللحاق بمروان وخوفه عاقبة الحصار فأبى خشية على نفسه من مروان واعتصم
بواسط وبعث أبو مسلمة الحسن بن قحطبة فى العسكر لحصاره وعلى ميمنته ابنه داود
فانهزم أهل الشأم واضطروا الى دجلة وغرق منهم كثير ثم تحاجزوا ودخل ابن هبيرة
المدينة وخرج لقتالهم ثانية بعد سبعة أيام فانهزم كذلك ومكثوا أياما لا يقتتلون الا
رميا وبلغ ابن هبيرة أن أبا أمية التغلبى قد سود فحبسه فغضبت لذلك ربيعة ومعن بن
زائدة وحبسوا ثلاثة نفر من فزارة رهنا فى أبى أمية واعتزل معن وعبد الله بن عبد
الرحمن بن بشير العجلى فيمن معهما فخلى ابن هبيرة سبيل أبى أمية وصالحهم وعادوا الى
اتفاقهم ثم قدم على الحسن بن قحطبة من ناحية سجستان أبو نصر مالك بن الهيثم
فأوفد غيلان بن عبد الله الخزاعى على السفاح يخبره بقدوم أبى نصر وكان غيلان
واجدا على الحسن فرغب من السفاح أن يبعث عليهم رجلا من أهل بيته فبعث أخاه
أبا جعفر وكتب الى الحسن العسكر لك والقواد قوادك ولكن أحببت أن يكون أخى
حاضرا فأحسن طاعته ومؤازرته وقدم ابو جعفر فأنزله الحسن فى خيمته وجعل على
حرسه عثمان بن نهيك ثم تقدم مالك بن الهيثم لقتال أهل الشأم وابن هبيرة فخرجوا لقتاله
وأكمنوا معن بن زائدة وأبا يحيى الجرانى ثم استطردوا لابن الهيثم وانهزموا للخنادق
فخرج عليهم معن وأبو يحيى فقاتلوهم الى الليل وتحاجزوا وأقاموا بعد ذلك أياما ثم
خرج أهل واسط مع معن ومحمد بن نباتة فهزمهم أصحاب الحسن الى دجلة فتساقطوا
فيها وجاء مالك بن الهيثم فوجد ابنه قتيلا فى المعركة فحمل على أهل واسط حتى أدخلهم
المدينة وكان مالك يملأ السفن حطبا ويضرمها نارا فتحرق ما تمر به فيأمر ابن هبيرة
بأن تجر بالكلاليب ومكثوا كذلك احد عشر شهرا وجاء اسمعيل بن عبد الله
القسرى الى ابن هبيرة بقتل مروان وفشلت اليمانية عن القتال معهم وتبعهم الفزارية
فلم يقاتل معه الا الصعاليك وبعث ابن هبيرة الى محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بأن
يبايع له فأبطأ عنه جوابه وكاتب السفاح اليمانية من أصحاب ابن هبيرة وأطمعهم
فخرج اليه زياد بن صالح وزياد بن عبيد الله الحرثيان ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له جهة
السفاح ولم يفعلا وترددت السفراء بين أبى جعفر وابن هبيرة فى الصلح وأن يكتب له كتاب
أمان على ما اختاره ابن هبيرة وشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى رضيه وأنفذه الى أبى
جعفر فأنفذه الى السفاح وأمر بامضائه وكان لا يقطع أمرا دون أبى مسلم فكتب اليه
يحيى بن هبيرة قد خرج بعد الامان الى أبى جعفر فى ألف وثلثمائة فلقيه الحاجب سلام

ابن سليم فأنزله وأجلسه على وسادة وأطاف بحجرة أبى جعفر عشرة آلاف من أهل خراسان ثم أذن لابن هبيرة فدخل على المنصور وحادثه وخرج عنه ومكث يأتيه يوما ويغبه يوما ثم أغرى أبا جعفر أصحابه بأنه يأتى فى خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فيهتز له العسكر فأمر أبو جعفر أن يأتى فى حاشيته فقط فكان يأتى فى ثلاثين ثم آخرا فى ثلاثة ثم ألح السفاح على أبى جعفر فى قتله وهو يراجعه للامان الذى كتب له حتى كتب اليه السفاح والله لتقتلنه أو لأبعثن من يخرجه من حجرتك فيقتله فبعث أبو جعفر الى وجوه القيسية والمضرية وقد أعد لهم ابن نهيك فى مائة من الخراسانية فى بعض حجره وجاء القوم فى اثنين وعشرين رجلا يقدمهم محمد بن نباتة وجويرة بن سهيل فدعاهم سلام الحاجب رجلين رجلين وعثمان بن نهيك يقيدهما الى أن استكملهم وبعث أبو جعفر لخازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة فى مائة الى ابن هبيرة فقالوا نريد حمل المال فدلهم حاجبه على الخزائن فأقاموا عندها الرجال وأقبلوا نحوه فقام حاجبه فى وجوههم فضربه الهيثم فصرعه وقاتل ابنه داود فقتل فى جماعة من مواليه ثم قتل ابن هبيرة آخرا وحملت رؤسهم الى أبى جعفر ونادى بالامان للناس الا الحكم بن عبد الملك أبى بشر وخالد بن مسلمة المخزومى وعمر بن در فهرب الحكم وأمن أبو جعفر خالدا فلم يجز السفاح أمانه وقتله واستأمن زياد بن عبيد الله لابن در فأمنه

(مقتل أبى مسلمة بن الخلال وسليمان بن كثير)

قد تقدم لنا ما كان من أبى مسلمة الخلال فى أمر أبى العباس السفاح واتهام الشيعة فى أمره وتغير السفاح عليه وهو بعسكره أعين ظاهر الكوفة ثم تحول الى مدينة الهاشمية ونزل قصرها وهو يتنكر لابى مسلمة وكتب الى أبى مسلم بغيبته وبرأيه فيه فكتب اليه أبو مسلم بقتله وقال له داود بن على لا تفعل فيحتج بها أبو مسلم عليك والذين معك أصحابه وهم له أطوع ولكن اكتب اليه يبعث من يقتله ففعل وبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبى فقتله فلما قدم نادى السفاح بالرضا عن أبى مسلمة ودعا به وخلع عليه ثم دخل عنده ليلة أخرى فسهر عامة ليله ثم انصرف الى منزله فاعترضه مرار بن أنس وأصحابه فقتلوه وقالوا قتله الخوارج وصلى عليه من الغد يحيى أخو السفاح وكان يسمى وزير آل محمد وأبو مسلم أمير آل محمد وبلغ الخبر الى أبى مسلم وسرح سليمان بن كثير بالنكير لذلك فقتله أبو مسلم وبعث على فارس محمد بن الاشعث وأمره أن يقتل ابن أبى مسلمة ففعل

(عمال السفاح)

ولما استقام الامر للسفاح ولى على الكوفة والسواد عمه داود بن على ثم عزله وولاه

على الحجاز واليمن واليمامة وولى مكانه على الكوفة عيسى ابن أخيه موسى بن محمد ثم توفى داود سنة ثلاث وثلاثين فولى مكانه على الحجاز واليمامة خالد بن زياد بن عبيد الله ابن عبيد وعلى اليمن محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد وولى السفاح على البصرة سفيان بن معاوية المهلبى ثم عزله وولى مكانه عمه سليمان بن على وأضاف اليه كور دجلة والبحرين وعمان وولى عمه اسمعيل بن على الاهواز وعمه عبد الله بن على على الشأم وأبا عون عبد الملك بن يزيد على مصر وأبا مسلم على خراسان وبرمك على ديوان الخراج وولى عمه عيسى بن على على فارس فسبقه اليها محمد ابن الاشعث من قبل أبى مسلم فلما قدم عليه عيسى هم محمد بقتله وقال أمرنى أبو مسلم أن أقتل من جاءنى بولاية من غيره ثم أقصر عن قتله واستحلفه بأيمان لا مخارج لها أن لا يعلو منبرا ما عاش ولا يتقلد سيفا الا فى جهاد فوفى عيسى بذلك بقية عمره واستعمل بعده على فارس عمه اسمعيل بن على واستعمل على الموصل محمد بن صول فطرده أهلها وقالوا بل علينا تولى خثعم وكانوا منحرفين عن بنى العباس فاستعمل السفاح عليهم أخاه يحيى وبعثه فى اثنى عشر ألفا فنزل قصر الامارة وقتل منهم اثنى عشر رجلا فثاروا به وحمل السلاح فنودى فيهم بالامان لمن دخل المسجد الجامع فتسايل الناس اليه وقد أقام الرجال على أبوابه فقتلوا كل من دخل يقال قتل احد عشر ألفا ممن لبس وما لا يحصى من غيرهم وسمع صياح النساء بالليل فأمر من الغد بقتل النساء والصبيان واستباحهم ثلاثة أيام وكان فى عسكره أربعة آلاف من الزنوج فعاثوا فى النساء وركب فى اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف فاعترضته امرأة وأخذت بعنان دابته وقالت له ألست من بنى هاشم ألست ابن عم الرسول أما تغار أن المؤمنات المسلمات ينكحهن الزنوج فأمسك عنها وجمع الزنج من الغد للعطاء وأمر بهم فقتلوا عن آخرهم وبلغ السفاح سوء أثره فى أهل الموصل فعزله وولى مكانه اسمعيل بن على وولى يحيى مكان اسمعيل بالاهواز وفارس وملك الروم ملطية وقاليقلا وفى سنة ثلاث وثلاثين أقبل قسطنطين ملك الروم فحصر ملطية والفتن يومئذ بالجزيرة وعاملها يومئذ موسى بن كعب بحران فلم يزل حاصرهم حتى نزلوا على الامان وانتقلوا الى بلاد الجزيرة وحملوا ما قدروا عليه وخرب الروم ملطية وسار عنها الى مرج الحصى وأرسل قسطنطين العساكر الى قاليقلا من نواحى ماردين مع قائده كوشان الارمنى فحصرها وداخل بعض الارمن من أهل المدينة فنقبوا السور فاقتحم البلد من ذلك النقب واستباحها

(الثوار بالنواحي) (١)

كان المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة قد ولاه أبو على اليمامة فلما قتل يزيد أبوه امتنع هو باليمامة فبعث اليه زياد بن عبد المدن بالعساكر من المدينة مع ابراهيم بن حيان السلمى فقتله وقتل أصحابه وذلك سنة ثلاث وثلاثين (وفيها) خرج شريك بن شيخ اسحارا على أبى مسلم ونقض أفعاله واجتمع اليه أكثر من ثلاثين ألفا فبعث اليه أبو مسلم زياد ابن صالح الخزاعى فقاتله وقتله (وفيها) توجه أبو داود خالد بن ابراهيم الى الختل فتحصن ملكهم ابن السبيل منهما ومنعه الدهاقين فحاصره أبو داود حتى جهده الحصار فخرج من حصنه مع الدهاقين ولحق بفرغانة ثم سار منها الى بلد الصين وأخذ أبو داود من ظفر به فى الحصن فبعث بهم الى أبى مسلم (وفيها) الفتنة بين اخشيد فرغانة وملك الشاش واستمد الاخشيد ملك الصين فأمده بمائة ألف مقاتل وحصروا ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين فلم يعرض له ولا لقومه بسوء وبعث أبو مسلم زياد بن صالح لاعتراضهم فلقيهم على نهر الطراز فظفر بهم وقتل منهم نحوا من خمسين ألفا وأسر نحوا من عشرين ألفا ولحق بهم بالصين وذلك فى ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ثم انتقض بسام بن ابراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان وسار من عسكر السفاح وجماعة على رأيه سرا الى المدائن فبعث السفاح فى اثرهم خازم بن خزيمة فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباحهم وبلغ ماه وانصرف فر بذات المطامير وبها أخوال السفاح من بنى عبد المدان فى نحو سبعين من قرابتهم ومواليهم وقيل له ان المغيرة من أصحاب بسام عندهم فسألهم عنه فقالوا مر بنا مجتازا فهددهم ان لم يأخذوه فأغلظوا له فى القول فقتلهم أجمعين ونهب أموالهم وهدم دورهم وغضبت اليمانية لذلك ودخل بهم زياد ابن عبيد الله الحرثى على السفاح وشكوا اليه مافعل بهم فهم بقتله وبلغ ذلك موسى ابن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلا على السفاح وذكراه سابقة الشيعة وطاعتهم وانهم آثروكم على الاقارب والاولاد وقتلوا من خالفكم فان كان لا بد من قتله فابعثه لوجه من الوجوه فان قتل فهو الذى تريد وان ظفر فلك بعثه الى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان من عمان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرى فبعث معه سبعمائة رجل فحملهم سليمان بن على من البصرة فى السفن وقد انضم اليه من أهله وعشيرته ومواليه وعدة من بنى تميم من البصرة فلما أرسوا بجزيرة ابن كاوان قدم خازم فضلة ابن نعيم المنشلى فى خمسمائة الى شيبان فانهزم هو وأصحابه وكانوا اصفرية وركبوا الى عمان فقاتلهم الجلندى فى الاباضية فقتل شيبان ومن معه كما مر وشيبان هذا غير شيبان بن سلمة الذى قتل بخراسان فى عمايشتبهان ثم ركب خازم البحر الى ساحل عمان

(١) المراد بالثوار الخارجون عن الطاعة المحاربون للخليفة من خط الشيخ العطار اه

فنزل

فنزل وقاتل الجلندى أياما أمر خازم أصحابه فى آخرها أن يجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ودوروها بالنفط ويشعلوها بالنيران ويرموها فى بيوت القوم وكانت من خشب فلما اضطرمت فيها النار شغلوا بأهليهم وأولادهم عن القتل فحمل عليهم خازم وأصحابه فاستلحموهم وقتل الجلندى وعشرة آلاف فبعث خازم برؤسهم الى البصرة فبعثها سليمان الى السفاح فقدم اه ثم غزا خالد بن ابراهيم أهل كش فقتل الاخريد ملكها وهو مطيع واستباحهم وأخذ من الاوانى الصينية المنقوشة المذهبة ومن الديباج والسروج ومتاع الصين وظرفه مالم ير مثله وحمله الى أبى مسلم بسمرقند وقتل عدة من دهاقين كش وملك طازان أخا الاخريد على كش ورجع أبو مسلم الى مرو بعد أن قتل فى الصغد وبخارى وأمر ببناء سور سمرقند واستخلف زياد ابن صالح على بخارى وسمرقند ورجع أبو داود الى بلخ ثم بلغ السفاح انتقاض منصور ابن جمهور بالسند فبعث صاحب شرطته موسى بن كعب واستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير وسار موسى لقتال ابن جمهور فلقيه بتخوم الهند وهو فى نحو اثنى عشر ألفا فانهزم ومات عطشا فى الرمال ورحل عامله على السند بعياله وثقله فدخل بهم بلاد الخزر ثم انتقض سنة خمس وثلاثين زياد بن صالح وراء النهر فسار أبو مسلم اليه من مرو وبعث أبو داود خالد بن ابراهيم نصر بن راشد الى ترمذ ليمنعها من زياد فلما وصل اليها خرج عليه ناس من الطالقان فقتلوه فبعث مكانه عيسى بن ماهان فتتبع قتلة نصر فقتلهم وسار أبو مسلم فانتهى الى آمد ومعه سباع بن النعمان الازدى وكان السفاح قد دس معه الى زياد بن صالح الازدى أن ينتهز فرصة فى أبى مسلم فيقتله ونمى الخبر الى أبى مسلم فحبس سباعا بآمد وسار عنها وأمر عامله بقتله ولقيه قواد زياد فى طريقه وقد خلعوا زيادا فدخل أبو مسلم بخارى ونجا زياد الى دهقان هناك فقتله وحمل رأسه الى أبى مسلم وكتب أبو مسلم الى أبى داود فقتله وكان قد شغل بأهل الطالقان فرجع الى كش وبعث عيسى بن ماهان الى بسام فلم يظفر منها بشئ وبعث الى بعض أصحاب أبى مسلم يعيب أبا داود وعيسى فضربه وحبسه ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه ورجع أبو مسلم الى مرو

(حج أبى جعفر وأبى مسلم)

وفى سنة ست وثلاثين استأذن أبو مسلم السفاح فى القدوم عليه للحج وكان منذ ولى خراسان لم يفارقها فأذن له فى القدوم مع خمسمائة من الجند فكتب اليه أبو مسلم انى قد عاديت الناس ولست آمن على نفسى فاذن له فى ألف وقال ان طريق مكة لا يحتمل العسكر فسار فى ثمانية آلاف فرقهم ما بين نيسابور والرى وخلف أمواله وخزائنه بالرى

وقدم فى ألف وخرج القواد بأمر السفاح لتلقيه فدخل على السفاح وأكرمه وأعظمه واستأذن فى الحج فأذن له وقال لولا أن أبا جعفر يريد الحج لاستعملتك على الموسم فأنزله بقربه وكان قد كتب الى أبى جعفر ان أبا مسلم استأذنى فى الحج وأذنت له وهو يريد ولاية الموسم فاسألنى أنت فى الحج فلا تطمع أن يتقدمك وأذن له فقدم الانبار وكان ما بين أبى جعفر وأبى مسلم متباعدا من حيث بعث السفاح أبا جعفر الى خراسان ليأخذ البيعة له ولابى جعفر من بعده ويولى أبا مسلم على خراسان فاستخف أبو مسلم بأبى جعفر فلما قدم ألان أبو جعفر السفاح بقتله وأذن له فيه ثم ندم وكفه عن ذلك وسار أبو جعفر الى الحج ومعه أبو مسلم واستعمل على حران مقاتل بن حكيم العكى

(موت السفاح وبيعة المنصور)

كان أبو العباس السفاح قد تحول من الحيرة الى الانبار فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين فأقام بها سنتين ثم توفى فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين لثلاث عشرة ليلة خلت منه ولاربع سنين وثمانية أشهر من لدن بويع وصلى عليه عمه عيسى ودفن بالانبار وكان وزيره أبو الجهم بن عطية وكان قبل موته قد عهد بالخلافة لاخيه أبى جعفر ومن بعده لعيسى ابن أخيهما موسى وجعل العهد فى ثوب وختمه بخواتيمه وخواتيم أهل بيته ودفعه الى عيسى ولما توفى السفاح وكان أبو جعفر بمكة فأخذ البيعة على الناس عيسى ابن موسى وكتب اليه بالخبر فجزع واستدعى أبا مسلم وكان متأخرا عنه فاقرأه الكتاب فبكى واسترجع وسكن أبا جعفر عن الجزع فقال أخاف شر عبد الله بن على فقال أنا أكفيكه وعامة جنده أهل خراسان وهم أطوع لى منه فسرى عنه وبايع له أبو مسلم والناس وأقبلا حتى قدما الكوفة ويقال ان أبا مسلم كان متقدما على أبى جعفر فأتى الخبر قد أتاه قبله فكتب أبو مسلم اليه يعزيه ويهنيه بالخلافة وبعد يومين كتب له بيعته وقدم أبو جعفر الكوفة سنة سبع وثلاثين وسار منها الى الانبار فسلم اليه عيسى بيوت الاموال والدواوين واستقام أمر أبى جعفر

(انتقاض عبد الله بن على وهزيمته)

كان عبد الله بن على قدم على السفاح قبل موته فبعثه الى الصائفة فى جنود أهل الشأم وخراسان فانتهى الى دلوك ولم يدر حتى جاءه كتاب عيسى بن موسى بوفاة السفاح وأخذ البيعة لابى جعفر وله من بعده كما عهد به السفاح فجمع عبد الله الناس وقرأ عليهم الكتاب وأعلمهم أن السفاح حين أراد أن يبعث الجنود الى حران تكاسل بنو أبيه عنها فقال لهم من انتدب منكم فهو ولى عهدى فلم ينتدب غيرى وشهد له أبو غانم الطائى

وخفاف المروزى وغيرهما من القواد وبايعوه وفيهم حميد بن حكيم بن قحطبة وغيره من خراسان والشأم والجزيرة ثم سار عبد الله حتى نزل حران وحاصر مقاتل بن حكيم العكى أربعين يوما وخشى من أهل خراسان فقتل منهم جماعة وولى حميد بن قحطبة على حلب وكتب معه الى عاملها زفر بن عاصم بقتله فقرأ الكتاب فى طريقه وسار الى العراق وجاء أبو جعفر من الحج فبعث أبا مسلم لقتال عبد الله ولحقه حميد بن قحطبة نازعا عن عبد الله فسار معه وجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعى ولما بلغ عبد الله خبر اقباله وهو على حران بذل الامان لمقاتل بن حكيم ومن معه وملك حران ثم بعث مقاتلا بكتابه الى عثمان بن عبد الاعلى فلما قرأ الكتاب قتله وحبس ابنيه حتى اذا هزم عبد الله قتلهما وأمر المنصور محمد بن صول وهو على أذربيجان أن يأتى عبد الله بن على ليمكر به فجاء وقال انى سمعت السفاح يقول الخليفة بعدى عمى عبد الله فشعر بمكيدته وقتله وهو جد ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب ثم أقبل عبد الله بن على حتى نزل نصيبين وخندق عليه وقدم أبو مسلم فيمن معه وكان المنصور قد كتب الى الحسن ابن قحطبة عامله على أرمينية بأن يوافى أبا مسلم فقدم عليه بالموصل وسار معه ونزل أبو مسلم ناحية نصيبين وكتب الى عبد الله انى قد وليت الشأم ولم أومر بقتالك فقال أهل الشأم لعبد الله سر بنا الى الشأم لنمنع نساءنا وأبناءنا فقال لهم عبد الله ما يريد الا قتالنا وانما قصد المكر بنا فأبوا الا الشأم فارتحل بهم الى الشأم ونزل أبو مسلم فى موضع معسكره وغور ما حوله من المياه فوقف أصحاب عبد الله بكار بن مسلم العقيلى وعلى ميسرته حبيب بن سويد الاسدى وعلى الخيل عبد الصمد بن على أخو عبد الله وعلى ميمنة أبى مسلم الحسن بن قحطبة وعلى ميسرته خازم بن خزيمة فاقتتلوا شهرا ثم حمل أصحاب عبد الله على عسكر أبى مسلم فأزالوهم عن مواضعهم وحمل عبد الصمد فقتل منهم ثمانية عشر رجلا ثم حمل عليهم ثانية فأزالوا صفهم ثم نادى منادى أبى مسلم فى أهل خراسان فتراجعوا وكان يجلس اذا لقى الناس على عريش ينظر منه الى الحومة فان رأى خللا أرسل بسده فلا تزال رسله تختلف بينه وبين الناس حتى ينصرفوا فلما كان يوم الاربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين اقتتلوا وأمر أبو مسلم الحسن بن قحطبة أن يضم الى الميسرة وينزل فى الميمنة حماة أصحابه فانضم أهل الشأم من الميسرة الى الميمنة كما أمرهم وأمر أبو مسلم أهل القلب فحطموهم وركبهم أصحاب أبى مسلم فانهزم أصحاب عبد الله فقال لابن سراقة ما ترى قال الصبر الى أن تموت فالفرار قبيح بمثلك قال بل آتى العراق فأنا معك فانهزموا وحوى أبو مسلم عسكرهم وكتب بذلك الى المنصور ومضى عبد الله وعبد الصمد فقدم عبد

العمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى وأمنه المنصور وقيل بل أقام بالرصافة
حتى قدمها جهور بن مران العجلى فى خيول أرسلها المنصور فبعث به موثقا مع أبى
الخطيب فاطلقه المنصور وأما عبد الله فقدم البصرة وأقام عند أخيه سليمان متواريا
حتى طلبه وأشخص اليه ثم ان أبا مسلم أمن الناس بعد الهزيمة وأمر بالكف عنهم

كان أبو مسلم لما حج مع المنصور يؤيدنفسه عليه ويتقدم بالاحسان للوفود واصلاح
الطريق والمياه وكان الذكر له وكان الاعراب يقولون هذا المكذوب عليه
ولما صدروا عن الموسم تقدم أبو مسلم ولقيه الخبر بوفاة السفاح فبعث الى أبى جعفر
يعزيه ولم يهنئه بالخلافة ولا رجع اليه ولا أقام ينتظره فغضب أبو جعفر وكتب اليه
وأغلظ فى العتاب فكتب يهنئه بالخلافة ويقدم الى فدعا عيسى بن
موسى الى أن يبايع له فأبى وقدم أبو جعفر وقد خلع عبد الله بن على فسرح أبا مسلم
لقتاله فهزمه كما مر وجمع الغنائم من عسكره فبعث المنصور مولاه أبا الخصيب لجمعها
فغضب أبو مسلم وقال أنا أمين على الدماء فكيف أخون الاموال وهم بقتل الخصيب
ثم خلى عنه وخشى المنصور أن يمضى الى خراسان فكتب اليه بولاية مصر والشأم
فازداد نفارا وخرج من الجزيرة يريد خراسان وسار المنصور الى المدائن وكتب
اليه يستقدمه فأجابه بالامتناع والمسك بالطاعة عن بعد والتهديد بالخلع ان طلب
منه سوى ذلك فكتب اليه المنصور ينكر عليه هذا الشرط وانه لا يحسن طاعة
وبعث اليه عيسى بن موسى برسالة يؤنسه ويسليه وقيل بل كتب اليه أبو مسلم يعرض له
بالخلع وانه قد تاب الى الله مما جناه من القيام بدعوتهم وأخذ أبو مسلم طريق حلوان
وأمر المنصور عمه عيسى ومشيخة بنى هاشم بالكتاب على أبى مسلم يحرضونه على التمسك
بالطاعة ويحذرونه عاقبة البغى ويأمرونه بالمراجعة وبعث الكتب مع مولاه
أبى حميد المروروذى وأمره بملاينته والخضوع له بالقول حتى ييأس منه فاذا يئس
يخبره بقسم أمير المؤمنين لا وكلت أمرك الى غيرى ولو خضت البحر لخضته وراءك
ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت فأوصل أبو حميد الكتب وتلطف له
فى القول ما شاء واحتج عليه بما كان منه فى التحريض على طاعتهم فاستشار أبو مسلم
مالك بن الهيثم فأبى له من الاصغاء الى هذا القول وقال والله لئن أتيته ليقتلنك ثم بعث
الى نيزك صاحب الرى يستشيره فأبى له من ذلك وأشار عليه بنزول الرى وخراسان
من ورائه فيكون أمكن لسلطانه فأجاب أبا حميد بالامتناع فلما يئس منه أبلغه مقالة
المنصور فوجم طويلا ورعب من ذلك القول وأكبره وكان المنصور قد كتب الى

عامل أبى مسلم بخراسان يرغبه فى الانحراف عنه بولاية خراسان فأجاب سرا وكتب
الى أبى مسلم يحذره الخلاف والمعصية فزاده ذلك رعبا وقال لابى حميد قبل انصرافه
قد كنت عزمت على المضى الى خراسان ثم رأيت ان أوجه أبا اسحق الى أمير المؤمنين
يأتينى برأيه فانى أثق به ولما قدم أبو اسحق تلقاه بنو هاشم وأهل الدولة بكل ما يحب
وداخله المنصور فى صرف أبى مسلم عن وجهة خراسان ووعده بولايتها فرجع اليه
وأشار عليه بلقاء المنصور فاعتزم على ذلك واستخلف مالك بن الهيثم على عسكره
بحلوان وسار فقدم المدائن فى ثلاثة آلاف وخشى أبو أيوب وزير المنصور أن يحدث
منه عند قدومه فتك فدعا بعض اخوانه وأشار عليه بأن يأتى أبا مسلم ويتوسل به
الى المنصور فى ولاية كسكر ليصيب فيها مالا عظيما وأن يشرك أخاه فى ذلك فان أمير
المؤمنين عازم أن يوليه ما وراء بابه ويريح نفسه واستأذن له المنصور فى لقاء أبى مسلم
فأذن له فأتى أبا مسلم وتوسل اليه وأخبره الخبر فطابت نفسه وذهب عنه الحزن ولما قرب
أمر الناس بتلقيه ثم دخل على المنصور فقبل يده وانصرف ليريح ليلته ودعا المنصور
من الغد حاجبه عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس منهم شبيب بن رواح وابن حنيفة
حرب بن قيس وأجلسهم خلف الرواق وأمرهم بقتل أبى مسلم اذا صفق بيديه
واستدعى أبا مسلم فلما دخل سأله عن سيفين أصابهما لعمه عبد الله بن على وكان
متقلدا بأحدهما فقال هذا أحدهما فقال أرنى فانتضاه أبو مسلم وناوله اياه فأخذ
بقلبه بيده ويهزه ثم وضعه تحت فراشه وأقبل يعاتبه فقال كتبت الى السفاح تنهاه
عن الموات كأنك تعلمه قال ظننت انه لا يحل ثم اقتديت بكتاب السفاح وعلمت انكم
معدن العلم قال فتوركك عنى بطريق مكة قال كرهت مزاحمتك على الماء قال
فامتناعك من الرجوع الى حين بلغك موت السفاح أو الاقامة حتى ألحقك قال
طلبت الرفق بالناس والمبادرة الى الكوفة قال فجارية عبد الله بن على أردت أن
تتخذها لنفسك قال لا انما وكلت بها من يحفظها قال فمراغمتك ومسيرك الى خراسان
قال خشيت منك فقلت آتى خراسانى وأكتب بعذرى فأذهب ما فى نفسك منى قال
فالمال الذى جمعته بحران قال أنفقته فى الجند تقوية لكم قال ألست الكاتب الى
تبدأ بنفسك وتخطب آسية بنت على وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس لقد
ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا ثم قال له وما الذى دعاك الى قتل سليمان بن كثير مع اثره
فى دعوتنا وهو أحد نقبائنا من قبل أن ندخلك فى هذا الامر قال أراد الخلافة فقتلته
ثم قال أبو مسلم كيف يقال هذا بعد بلائى وما كان منى قال يا ابن الخبيثة لو كانت أمة
مكانك لاغنت انما ذلك بدولتنا وريحنا وأكب أبو مسلم يقبل يده ويعتذر فازداد المنصور

غضبا ثم قال أبو مسلم دع هذا فقد أصبحت لا أخاف الا الله فشتمه المنصور وصفق بيديه فخرج الحرس وضربه عثمان بن نهيك فقطع حمائل سيفه فقال استبقنى لعدوك فقال لا أبقانى الله اذا وأى عدو أعدى منك وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وذلك لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين وخرج الوزير أبو الجهم فصرف الناس وقال الامير قائل عند أمير المؤمنين فانصرفوا وأمر لهم بالجوائز وأعطى اسحق مائة ألف ودخل عيسى بن موسى على المنصور فسأل عنه وأخذ فى الثناء على طاعته وبلائه وذكر رأى الامام ابراهيم فيه فقال المنصور والله ما أعلم على وجه الارض عدوا أعدى لكم منه هو ذا فى البساط فاسترجع عيسى فأنكر عليه المنصور وقال وهل كان لكم ملك معه ثم دعا جعفر بن حنظلة واستشاره فى أمر أبى مسلم فأشار بقتله فقال له المنصور وفقك الله ثم نظر اليه قتيلا فقال له يا أمير المؤمنين عد خلافتك من هذا اليوم ثم دعا أبا اسحق عن متابعة أبى مسلم وقال تكلم بما أردت وأخرجه قتيلا فسجد أبو اسحق ثم رفع رأسه يقول الحمد لله أمنت هو والله ما جئته قط الا تكفنت وتحنطت ورفع ثيابه وأراه كفنه وحنوطه فرحمه وقال له استقبل طاعتك واحمد الله الذى أراحك وكتب المنصور بعد قتل أبى مسلم الى أبى نصر بن الهيثم على لسان أبى مسلم يأمره بحمل أثقاله وقد كان أبو مسلم أوصاه ان جاءك كتاب بخاتمى تاما فاعلم انى لم أكتبه فلما رآه كذلك فطن وانحدر الى همذان يريد خراسان فكتب له المنصور بولاية شهرزور وكتب الى زهير بن التركى بهمذان بحبسه فمر أبو نصر بهمذان وخادعه زهير ودعاه الى طعامه وحبسه وجاء كتاب العهد بشهرزور لابى نصر فأطلقه زهير ثم جاءه بعد ذلك الكتاب بقتله فقال جاءنى كتاب عهده فخليت سبيله وقدم أبو نصر على المنصور فعذله فى اشارته على أبى مسلم بخراسان فقال نعم استنصحنى فنصحت له وان استنصحنى أمير المؤمنين نصحت وشكرت واستعمله على الموصل وخطب أبو جعفر الناس بعد قتل أبى مسلم وانسهم وافترق أصحابه وخرج منهم بخراسان رجل اسمه سنباد ويسمى فيروز اصبهبد وتبعه أكثر الجبال يطلبون بدم أبى مسلم وغلب على نيسابور والرى وأخذ خزائن أبى مسلم التى خلفها بالرى حين شخص الى السفاح وسبى الحرم ونهب الاموال ولم يعرض الى التجار وكان يظهر أنه قاصد الى الكعبة يهدمها فسرح اليه المنصور جهور بن مرار العجلى والتقوا على طرق المفازة بين همذان والرى فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحوا من ستين ألفا وسبى ذراريهم ونساءهم ولحق سنباد بطبرستان فقتله بعض عمال صاحبها وأخذ ما معه وكتب الى المنصور بذلك فكتب اليه المنصور فى الاموال فأنكرها فسرح اليه الجنود فهرب الى الديلم ثم ان جهور بن مرار لما حوى ما فى عسكر سنباد ولم يبعث به

خاف من المنصور فخلع واعتصم بالرى فسرح اليه محمد بن الاشعث فى الجيوش فخرج من الرى الى اصبهان فملكها وملك محمد الرى ثم اقتتلوا وانهزم جهور فلحق بأذربيجان وقتله بعض أصحابه وحملوا رأسه الى المنصور وذلك سنة ثمان وثلاثين

(حبس عبد الله بن على)

كان عبد الله بن على بعد هزيمته امام أبى مسلم لحق بالبصرة ونزل على أخيه سليمان ثم ان المنصور عزل سليمان سنة تسع وثلاثين فاختفى عبد الله وأصحابه فكتب المنصور الى سليمان وأخيه عيسى بأمان عبد الله وقواده ومواليه واشخاصهم الى المنصور منهما فشخصوا ولما قدما عليه فأذن لهما فأعلماه بحضور عبد الله واستأذناه له فشغلهما بالحديث وأمر بحبسه فى مكان قد هيئ له فى القصر فلما خرج سليمان وعيسى لم يجدا عبد الله فعلما انه قد حبس وان ذمتهما قد أخفرت فرجعا الى المنصور فحبسا عنه وتوزع أصحاب عبد الله بين الحبس والقتل وبعث ببعضهم الى أبى داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم بها ولم يزل عبد الله محبوسا حتى عهد المنصور الى المهدى سنة تسع وأربعين وأمر موسى بن عيسى فجعله بعد المهدى ودفع اليه عبد الله وأمره بقتله وخرج حاجا وسار عيسى كاتبه يونس بن فروة فى قتل عبد الله بن على فقال لا تفعل فانه يقتلك به وان طلبه منك فلا ترده اليه سرا فلما قفل المنصور من الحج دس على أعمامه من يحرضهم على الشفاعة فى أخيهم عبد الله فشفعهم وقال لعيسى جئنا به فقال قتلته كما أمرتنى فأنكر المنصور وقال خذوه بأخيكم فخرجوا به ليقتلوه حتى اجتمع الناس واشتهر الامر فجاء به وقال هو ذا حى سوى فجعله المنصور فى بيت أساسه ملح وأجرى عليه الماء فسقط ومات

(وقعة الراوندية)

كان هؤلاء القوم من أهل خراسان ومن أتباع أبى مسلم يقولون بالتناسخ والحلول وان روح آدم فى عثمان بن نهيك وان الله حل فى المنصور وجبريل فى الهيثم بن معاوية فحبس المنصور نحوا من مائتين منهم فغضب الباقون واجتمعوا وحملوا بينهم نعشا كأنهم فى جنازة وجاؤا الى السجن فرموا بالنعش وأخرجوا أصحابهم وحملوا على الناس فى ستمائة رجل وقصدوا قصر المنصور وخرج المنصور من القصر ماشيا وجاء معن بن زائدة الشيبانى وكان مستخفيا من المنصور لقتاله مع ابن هبيرة وقد اشتد طلب المنصور له فحضر عنده هذا اليوم متلثما وترجل وأبلى ثم جاء الى المنصور ولجام بغلته فى يد الربيع حاجبه وقال تنح فأنا أحق بهذا اللجام فى هذا الوقت وأعظم

فنازل وقاتل حتى ظفر بالراوندية ثم سأله فانتسب فامنه واصطنعه وجاء أبو نصر مالك
ابن الهيثم ووقف على باب المنصور وقال أنا اليوم بواب ثم قاتلهم أهل السوق وفتح
باب المدينة ودخل الناس وحمل عليهم خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة حتى قتلوهم
عن آخرهم وأصاب عثمان بن نهيك فى الحومة سهم فمات منه بعد أيام وجعل على الحرس
بعده أخاه عيسى ثم بعده أبا العباس الطوسى وذلك كله بالهاشمية ثم أحضر معنا ورفع
منزلته وأثنى عليه بما كان منه فى ذلك اليوم مع عمه عيسى فقال معن والله يا أمير
المؤمنين لقد جئت الى الحومة وجلا حتى رأيت شدتك فحملنى ذلك على ما رأيت منى
وقيل انه كان مختفيا عند أبى الخصيب حاجب المنصور وانه جاء يوم الراوندية فاستأذن
أبو الخصيب وشاوره المنصور فى أمرهم فأشار ببث المال فى الناس وأبى المنصور
الا الركوب اليهم بنفسه فخرج بين يديه وأبلى حتى قتلوا ثم تغيب فاستدناه وأمنه وولاه
على اليمن

(انتقاض خراسان ومسير المهدى اليها)

كان السفاح قد ولى على خراسان أبا داود خالد بن ابراهيم الذهلى بعد انتقاض بسام
ابن ابراهيم ومهلكه فلما كان سنة أربعين ثار به بعض الجند وهو بكشماهن وجاؤا
الى منزله فاشرف عليهم ليلا من السطح فزلت قدمه فسقط ومات ليومه وكان عصام
صاحب شرطته فقام بالامر بعده ثم ولى المنصور على خراسان عبد الجبار بن
عبد الرحمن فقدم عليها وحبس جماعة من القواد اتهمهم بالدعاء للعلوية منهم مجاشع
ابن حريث الانصارى عامل بخارى وأبو المغيرة خالد بن كثير مولى بنى تميم عامل قهستان
والحريش بن محمد الذهلى ابن عم أبى داود فى آخرين ثم قتل هؤلاء وألح على عمال
أبى داود فى استخراج المال وانتهت الشكوى الى المنصور بذلك فقال لابى أيوب
انما يريد بفناء شيعتنا الخلع فأشار عليه أبو أيوب أن تبعث من جنود خراسان لغزو الروم
فاذا فارقوه بعثت اليه من شئت واستمكن منه فكتب اليه بذلك فأجاب بأن الترك
قد جاشت وان فرقت الجنود خشيت على خراسان فقال له أبو أيوب اكتب اليه بأنك
تمده بالجيوش وابعث معها من شئت يستمكن منه فأجاب عبد الجبار بأن خراسان
مغلبة فى عامها ولا تحتمل زيادة العسكر فقال له أبو يوسف هذا خلع فعاجله فبعث
ابنه المهدى فسار ونزل الرى وقدم خازم بن خزيمة لحرب عبد الجبار فقاتلوه فانهزم
وجاء الى مقطنة وتوارى فيها فعبر اليه المجشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ وجاء به
الى خازم فحمله على بعير وعليه جبة صوف ووجهه الى عجز البعير وحمله الى المنصور
فى ولده وأصحابه فبسط اليهم العذاب حتى استخرج الاموال ثم قطع يديه ورجليه وقتله

وذلك سنة اثنتين وأربعين وبعث بولده الى دهلك فعزلهم بها وأقام المهدى بخراسان
حتى رجع الى العراق سنة تسع وأربعين

وفى سنة اثنتين وأربعين انتقض عيينة بن موسى بن كعب بالسند وكان عاملا عليها
من بعد أبيه وكان أبوه يستخلف المسيب بن زهير على الشرط فخشى المسيب ان حضر
عيينة عند المنصور أن يوليه على الشرط فحذره المنصور وحرضه على الخلاف فخلع
الطاعة وسار المنصور الى البصرة وسرح من هنالك عمر بن حفص بن أبى صفرة
العتكى لحرب عيينة وولاه على السند والهند فورد السند وغلب عليها وفى هذه السنة
انتقض الاصبهبذ بطبرستان وقتل من كان فى أرضه من المسلمين فبعث المنصور مولاه
أبا الخصيب وخازم بن خزيمة وروح بن حاتم فى العساكر فحاصروه فى حصنه مدة
ثم تحيلوا ففتح لهم الحصن من داخله وقتلوا المقاتلة وسبى الذرية وكان مع الاصبهبذ
سم فشربه فمات

(أمر بنى العباس)

بنو هاشم حين اضطرب أمر مروان بن محمد اجتمعوا اليه وتشاوروا فيمن يعقدون له
الخلافة فاتفقوا على محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن على وكان يقال ان المنصور
ممن بايعه تلك الليلة ولما حج أيام أخيه السفاح سنة ست وثلاثين تغيب عنه محمد وأخوه
ابراهيم ولم يحضرا عنده مع بنى هاشم وسأل عنهما فقال له زياد بن عبد الله الحرثى أنا
آتيك بهما وكان بمكة فرده المنصور الى المدينة ثم استخلف المنصور وطفق يسأل عن محمد
ويختص بنى هاشم بالسؤال سرا فكلهم يقول انك ظهرت على طلبه لهذا الامر
فخافك على نفسه ويحسن العذر عنه الا الحسن بن زيد بن الحسن بن على فانه قال له
والله ما آمن وثوبه عليك فانه لا ينام عنك فكان موسى بن عبد الله بن حسن يقول بعد
هذا اللهم اطلب الحسن بن زيد بدماء بنى هاشم ان المنصور حج سنة   وألح على
عبد الله بن حسن فى احضار ابنه محمد فاستشار عبد الله سليمان بن على فى احضاره
فقال له لو كان عافيا عفى عن عمه فاستمر عبد الله على الكتمان وبث المنصور
العيون بين الاعراب فى طلبه بسائر بوادى الحجاز ومياهها ثم كتب كتابا على لسان
الشيعة الى محمد بالطاعة والمسارعة وبعثه مع بعض عيونه الى عبد الله وبعث معه
بالمال والالطاف كأنه من عندهم وكان للمنصور كاتب على سره يتشيع فكتب
الى عبد الله بن حسن بالخبر وكان محمد بجهينة وألح عليه صاحب الكتاب أمر محمد
ليدفع اليه كتاب الشيعة فقال له اذهب الى على بن الحسن المدعو بالاغر يوصلك اليه

بياض بالاصل

فى جبل جهينة فذهب وأوصله اليه ثم جاءهم حقيقة خبره من كاتب المنصور وبعثوا
أبا هبار الى محمد وعلى ابنى حسن يحذرهما الرجل فجاء أبو هبار الى على بن حسن وأخبره
ثم سار الى محمد فوجد العين عنده جالسا مع أصحابه فخلا به وأخبره فقال وما الرأى
قال تقتله قال لا أقارف دم مسلم قال تقيده وتحمله معك قال لا آمن عليه لكثرة الخوف
والاعجال قال فتودعه عند بعض أهلك من جهينة قال هذه اذن ورجع فلم يجد الرجل
ولحق بالمدينة ثم قدم على المنصور وأخبره الخبر وسمى اسم أبى هبار وكنيته وقال معه
وبر فطلب أبو جعفر وبرا المرى فسأله عن أمر محمد فأنكره وحلف فضربه وحبسه
ثم دعا عقبة بن سالم الازدى وبعثه متنكرا بكتاب والطاف من بعض الشيعة بخراسان
الى عبد الله بن حسن ليظهر على أمره فجاءه بالكتاب فانتهره وقال لا أعرف هؤلاء
القوم فلم يزل يتردد اليه حتى قبله وأنس به وسأله عقبة الجواب فقال لا أكتب لاحد
ولكن أقرئهم منى سلاما واعلمهم ان ابنى خارجان لوقت كذا فرجع عقبة الى المنصور
فأنشأ الحج فلما لقيه بنو حسن رفع مجالسهم وعبد الله الى جنبه ثم دعا بالغداء فأصابوا
منه ثم قال لعبد الله بن حسن قد أعطيتنى العهود والمواثيق أن لا تبغينى بسوء
ولا تكيد لى سلطانا فقال وأنا على ذلك فلحظ المنصور عقبة بن سالم فوقف بين عبد الله
حتى ملأ عينه منه فبادر المنصور يسأله الاقالة فلم يفعل وأمر بحبسه وكان محمد يتردد
فى النواحى وجاء الى البصرة فنزل فى بنى راهب وقيل فى بنى مرة بن عبيد وبلغ الخبر
الى المنصور فجاء الى البصرة وقد خرج عنها محمد فلقى المنصور عمرو بن عبيد فقال له
يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا فقال لا فانصرف واشتد الخوف على محمد
وابراهيم وسارا الى عدن ثم الى السند ثم الى الكوفة ثم الى المدينة وكان المنصور حج سنة
أربعين وحج محمد وابراهيم وعزما على اغتيال المنصور وأبى محمد من ذلك ثم طلب
المنصور عبد الله باحضار ولديه وعنفه وهم به فضمنه زياد عامل المدينة وانصرف
المنصور وقدم محمد المدينة قدمة فتلطف له زياد وأعطاه الامان له ثم قال له الحق
بأى بلاد شئت وسمع المنصور فبعث أبا الازهر الى المدينة فى جمادى سنة احدى
وأربعين ليستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطلب ويقبض زيادا وأصحابه فسار بهم
فحبسهم المنصور وخلف زياد ببيت المال ثمانين ألف دينار ثم استعمل على المدينة محمد
ابن خالد بن عبد الله القسرى وأمره بطلب محمد وانفاق المال فى ذلك فكثرت نفقته
واستبطأه المنصور واستشار فى عزله فأشار عليه يزيد بن أسيد السلمى من أصحابه
باستعمال رياح بن عثمان بن حسان المزنى فبعثه أميرا على المدينة فى رمضان سنة
أربع وأربعين وأطلق يده فى محمد بن خالد القسرى فقدم المدينة وتهدد عبد الله

ابن حسن فى احضار ابنيه وقال له عبد الله يومئذ انك لتريق المذبوح فيها كما تذبح
الشاة فاستشعر ذلك ووجد فقال له حاجبه أبو البخترى ان هذا ما اطلع على الغيب فقال
ويلك والله ما قال الا ما سمع فكان كذلك ثم حبس رياح محمد بن خالد وضربه وجد
فى طلب محمد فأخبر أنه فى شعبان رضوى من أعمال ينبع وهو جبل جهينة فبعث
عامله فى طلبه فأفلت منه ثم ان رياح بن مرة حبس بنى حسن وقيدهم وهم عبد الله
ابن حسن بن الحسن واخوته حسن وابراهيم وجعفر وابنه موسى بن عبد الله وبنو
أخيه داود واسمعيل واسحق بنو ابراهيم بن الحسن ولم يحضر معهم أخوه على العائذ
ثم حضر من الغد عند رياح وقال جئتك لتحبسنى مع قومى فحبسه وكتب اليه المنصور
أن يحبس معهم محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان المعروف بالديباجة وكان أخا عبد الله
لامه أمهما فاطمة بنت الحسين وكان عامل مصر قد عثر على على بن محمد بن عبد الله
ابن حسن بعثه أبوه الى مصر يدعو له فأخذه وبعث به الى المنصور فلم يزل فى حبسه
وسمى من أصحاب أبيه عبد الرحمن بن أبى الموالى وأبا جبير فضربهما المنصور وحبسهما
وقيل عبد الله حبس أولا وحده وطال حبسه فأشار عليه أصحابه بحبس الباقين فحبسهم
ثم حج المنصور سنة أربع وأربعين فلما قدم مكة بعث اليهم وهم فى السجن محمد بن عمران
ابن ابراهيم بن طلحة ومالك بن أنس يسألهم أن يرفعوا اليه محمدا وابراهيم ابنى عبد الله
فطلب عبد الله الاذن فى لقائه فقال المنصور لا والله حتى يأتينى به وبابنيه وكان محسنا
مقبولا لا يكلم أحدا الا أجابه الى رأيه ثم ان المنصور قضى حجه وخرج الى الربذة وجاء
رياح ليودعه فأمر باشخاص بنى حسن ومن معهم الى العراق فأخرجهم فى القيود
والاغلال وأردفهم فى محامل بغير وطاء وجعفر الصادق يعاينهم من وراء ستر ويبكى
وجاء محمد وابراهيم مع أبيهما عبد الله يسايرانه مستترين بزى الاعراب ويستأذنانه
فى الخروج فيقول لا تعجلا حتى يمكنكما وان منعتما أن تعيشا كريمين فلا تمنعا أن تموتا
كريمين وانتهوا الى الزبذة وأحضر العثمانى الديباجة عند المنصور فضربه مائة وخمسين
سوطا بعد ملاحاة جرت بينهما أغضبت المنصور ويقال ان رياحا أغرى المنصور به
وقال له ان أهل الشام شيعته ولا يتخلف عنه منهم أحد ثم كتب أبو عون عامل
خراسان الى المنصور بأن أهل خراسان منتظرون أمر محمد بن عبد الله واحذرهم
فأمر المنصور بقتل العثمانى وبعث برأسه الى خراسان وبعث من يحلف أنه رأس محمد
ابن عبد الله وان أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم المنصور بهم
الكوفة وحبسهم بقصر ابن هبيرة يقال انه قتل محمد بن ابراهيم بن حسن منهم على
اسطوانة وهو حى فمات ثم بعده عبد الله بن حسن ثم على بن حسن ويقال ان المنصور

أمر بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا سليمان وعبد الله ابنا داود واسحق واسمعيل ابنا ابراهيم
ابن حسن وجعفر بن حسن والله أعلم

(ظهور محمد المهدى ومقتله)

ولما سار المنصور الى العراق وحمل معه بنى حسن رجع رباح الى المدينة وألح فى طلب
محمد وهو مختف يتنقل فى اختفائه من مكان الى مكان وقد أرهقه الطلب حتى تدلى فى بئر
فتدلى فغمس فى مائها وحتى سقط ابنه من جبل فتقطع ودل عليه رباح بالمذاد فركب
فى طلبه فاختفى عنه ولم يره ولما اشتد عليه الطلب أجمع الخروج وأغراه أصحابه بذلك
وجاء الخبر الى رباح بأنه الليلة خارج فأحضر العباس بن عبد الله بن الحرث بن العباس
ومحمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد قاضى المدينة وغيرهما وقال لهم أمير المؤمنين يطلب
محمدا شرق الارض وغربها وهو بين أظهركم والله لئن خرج ليقتلنكم أجمعين
وأمر القاضى باحضار عشيرة بنى زهرة فجاؤا فى جمع كثير وأجلسهم بالباب ثم أحضر
نفرا من العلويين فيهم جعفر بن محمد بن الحسين وحسين بن على بن حسين بن على ورجال
من قريش فيهم اسمعيل بن أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة وابنه خالد
وبينما هم عنده اذ سمعوا التكبير وقيل قد خرج محمد فقال له (بياض بالاصل) ابن مسلم
ابن عقبة أعطنى واضرب أعناق هؤلاء فأبى وأقبل من المذاد فى مائة وخمسين رجلا
وقصد السجن فأخرج محمد بن خالد بن عبد الله القسرى وابن أخيه النذير بن يزيد
ومن كان معهم وجعل على الرجالة خوات بن جبير وأتى دار الامارة وهو ينادى بالكف
عن القتل فدخلوا من باب المقصورة وقبضوا على رباح وأخيه عباس وابن مسلم
ابن عقبة فحبسهم ثم خرج الى المسجد وخطب الناس وذكر المنصور بما نقمه عليه
ووعد الناس واستنصر بهم واستعمل على المدينة عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير
وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومى وعلى بيت السلاح عبد العزيز
الدراوردى وعلى الشرط أبا الغلمش عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وأرسل الى
محمد بن عبد العزيز يلومه على القعود عنه فوعده بالبصرة وسار الى مكة ولم يتخلف
عن محمد من وجوه الناس الا نفر قليل منهم الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد
ابن حرام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد وأبو سلمة بن عبيد الله بن
عبد الله بن عمر وحبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير واستفتى أهل المدينة مالكا
فى الخروج مع محمد وقالوا فى أعناقنا بيعة المنصور فقال انما بايعتم مكرهين فتسارع
الناس الى محمد ولزم مالك بيته وأرسل محمد الى اسمعيل بن عبد الله بن جعفر يدعوه

الى

الى بيعته وكان شيخا كبيرا فقال أنت والله وابن أخى مقتول فكيف أبايعك فرجع
الناس عنه قليلا وأسرع بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر الى محمد فجاءت حمادة أختهم
الى عمها اسمعيل وقالت يا عم ان مقالتك ثبطت الناس عن محمد واخوتى معه فأخشى
أن يقتلوا فردها فقال انها عدت عليه فقتلته ثم حبس محمد بن خالد القسرى بعد أن
أطلقه واتهمه بالكتاب الى المنصور فلم يزل فى حبسه ولما استوى أمر محمد ركب رجل
من آل أويس بن أبى سرح اسمه الحسين بن صخر وجاء الى المنصور فى تسع فخبره الخبر
فقال أنت رأيته قال نعم وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تتابع الخبر
وأشفق المنصور من أمره واستشار أهل بيته ودولته وبعث الى عمه عبد الله وهو
محبوس يستشيره فأشار عليه بأن يقصد الكوفة فانهم شيعة لاهل البيت فيملك عليهم
أمرهم ويحفها بالمسالح حتى يعرف الداخل والخارج ويستدعى سالم بن قتيبة
من الرى فيتحشد معه كافة أهل الشأم ويبعثه وأن يبث العطاء فى الناس فخرج
المنصور الى الكوفة ومعه عبد الله بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان ولما قدم
الكوفة أرسل الى يزيد بن يحيى وكان السفاح يشاوره فأشار عليه بأن يشحن الاهواز
بالجنود وأشار عليه جعفر بن حنظلة الهرانى بأن يبعث الجند الى البصرة فلما ظهر
ابراهيم بتلك الناحية تبين وجه اشارتهما وقال المنصور لجعفر كيف خفت البصرة
قال لان أهل المدينة ليسوا أهل حرب حسبهم أنفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك
وأهل الشأم أعداء الطالبيين ولم يبق الا البصرة ثم ان المنصور كتب الى محمد المهدى
كتاب أمان فأجابه عنه بالرد والتعريض بأمور فى الانساب والاحوال فأجابه المنصور
عن كتابه بمثل ذلك واتصف كل واحد منهما لنفسه بما ينبغى الاعراض عنه مع أنهما
صحيحان مرويان نقلهما الطبرى فى كتاب الكامل فمن أراد الوقوف فليلتمسهما
فى أماكنها ثم ان محمدا المهدى استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله
ابن جعفر وعلى اليمن القاسم بن اسحق وعلى الشأم موسى بن عبد الله فسار محمد بن
الحسن الى مكة والقاسم معه ولقيهما السرى بن عبد الله عامل مكة ببطن أذاخر
فانهزم وملك محمد مكة حتى استنفره المهدى لقتال عيسى بن موسى فنفر هو والقاسم
ابن عبد الله وبلغهما قتل محمد بنواحى قديد فلحق محمد بابراهيم فكان معه بالبصرة
واختفى القاسم بالمدينة حتى أخذت له الامان امرأة عيسى وهى بنت عبد الله بن محمد
ابن على بن عبد الله بن جعفر وأما موسى بن عبد الله فسار الى الشأم فلم يقبلوا منه فرجع
الى المدينة ثم لحق بالبصرة مختفيا وعثر عليه محمد بن سليمان بن على وعلى ابنه عبد الله
وبعثهما الى المنصور فضربهما وحبسهما ثم بعث المنصور عيسى بن موسى الى

المدينة لقتال محمد فسار فى الجنود ومعه محمد بن أبى العباس بن السفاح وكثير
ابن حصين العبدى وحميد بن قحطبة وهوازمرد وغيرهم فقال له ان ظفرت فأغمد سيفك
وابذل الامان وان تغيب فخذ أهل المدينة فانهم يعرفون مذاهبه ومن لقيك من
آل أبى طالب فعرفنى به ومن لم يلقك فاقبض ماله وكان جعفر الصادق فيمن تغيب
فقبض ماله ويقال انه طلبه من المنصور لما قدم بالمدينة بعد ذلك فقال قبضه
مهديكم ولما وصل عيسى الى فيئه كتب الى نفر من أهل المدينة ليستدعيهم
منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومى وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحى وعبد الله
ابن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب فخرج اليه عبد الله هو وأخوه عمر وأبو عقيل
محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل واستشار المهدى أصحابه فى القيام بالمدينة
ثم فى الخندق عليها فأمر بذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحفر الخندق
الذى حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للاحزاب ونزل عيسى الاعرض وكان محمد
قد منع الناس من الخروج فخيرهم فخرج كثير منهم بأهلهم الى الجبال وبقى فى شرذمة
يسيرة ثم تدارك رأيه وأمر أبا الغلمش بردهم فأعجزوه ونزل عيسى على أربعة أميال
من المدينة وبعث عسكرا الى طريق مكة يعترضون محمدا ان انهزم الى مكة وأرسل
الى المهدى بالامان والدعاء الى الكتاب والسنة ويحذره عاقبة البغى فقال انما أنا رجل
فررت من القتل ثم نزل عيسى بالجرف لاثنتى عشرة من رمضان سنة خمس وأربعين
فقام يومين ثم وقف على مسلع ونادى بالامان لاهل المدينة وأن تخلوا بينه وبين صاحبه
فشتموه فانصرف وعاد من الغد وقد فرق القواد من سائر جهات المدينة وبرز محمد
فى أصحابه ورايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وشعارهم أحد أحد وطلب أبو
الغلمش من أصحابه البراز فبرز اليه أخو أسد فقتله ثم آخر فقتلوا وقال أنا ابن الفاروق
وأبلى محمد المهدى يومئذ بلاء عظيما وقتل بيده سبعين رجلا ثم أمر عيسى بن موسى
حميد بن قحطبة فتقدم فى مائة من الرجال الى حائط دون الخندق فهدمه وأجازوا
الخندق وقاتلوا من ورائه وصابرهم أصحاب محمد الى العصر ثم أمر عيسى أصحابه
فرموا الخندق بالحقائب ونصبوا عليها الابواب وجازت الخيل واقتتلوا وانصرف
محمد فاغتسل وتحنط ثم رجع فقال اترك أهل المدينة والله لا أفعل أو أقتل وأنت
منى فى سعة فمشى قليلا معه ثم رجع وافترق عنه جل أصحابه وبقى فى ثلثمائة أو
نحوها فقال له بعض أصحابه نحن اليوم فى عدة أهل بدر وطفق عيسى بن حصين من
أصحابه يناشده فى اللحاق بالبصرة أو غيرها فيقول والله لا تبتلون بى مرتين ثم جمع
بين الظهر والعصر ومضى فاحرق الديوان الذى فيه أسماء من بايعهم وجاء الى السجن

وقتل رياح بن عثمان وأخاه عباسا وابن مسلم بن عقبة وتوثق محمد ابن القسرى بالابواب
فلم يصلوا اليه ورجع ابن حصين الى محمد فقاتل معه وتقدم محمد الى بطن سلع ومعه
بنو شجاع من الخمس فعرقبوا دوابهم وكسروا جفون سيوفهم واستماتوا وهزموا
أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثة وصعد نفر من أصحاب عيسى الجبل وانحدروا منه الى
المدينة ورفع بعض نسوة الى العباس خمارا لها اسود على منارة المسجد فلما رآه أصحاب
محمد وهم يقاتلون هربوا وفتح بنو غفار طريقا لاصحاب عيسى فجاؤا من وراء أصحاب
محمد ونادى حميد بن قحطبة للبراز فأبى ونادى ابن حصين بالامان فلم يصغ اليه وكثرت
فيه الجراح ثم قتل وقاتل محمد على شلوه فهد الناس عنه هدا حتى ضرب فسقط لركبته
وطعنه ابن قحطبة فى صدره ثم أخذ رأسه وأتى به عيسى فبعثه الى المنصور مع محمد بن
الكرام عبد الله بن على بن عبد الله بن جعفر وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد
ابن الحسن وأرسل معه رؤس بنى شجاع وكان قتل محمد منتصف رمضان وأرسل
عيسى الالوية فنصبت بالمدينة للامان وصلب محمد وأصحابه ما بين ثنية الوداع والمدينة
واستأذنت زينب أخته فى دفنه بالبقيع وقطع المنصور الميرة فى البحر عن المدينة حتى
أذن فيها المهدى بعده وكان مع المهدى سيف على ذو الفقار فأعطاه يومئذ رجلا من
التجار فى دين كان له عليه فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة أخذه منه وأعطاه من
دينه ثم أخذه منه المهدى وكان الرشيد يتقلده وكان فيه ثمان عشرة فقرة وكان معه
من مشاهير بنى هاشم أخوه موسى وحمزة بن عبد الله بن محمد بن على بن الحسين وحسين
وعلى ابنا زيد بن على وكان المنصور يقول عجبا خرجا على ونحن أخذنا بثأر أبيهما وكان
معه على وزيد ابنا الحسن بن زيد بن الحسن وأبوهما الحسن مع المنصور والحسن
ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر والقاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر
والمرجى على بن جعفر بن اسحق بن على بن عبد الله بن جعفر وأبوه على مع المنصور
ومن غير بنى هاشم محمد بن عبد الله بن عمر بن سعيد بن العاص ومحمد بن عجلان وعبد الله
ابن عمر بن حفص بن عاصم وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة أخذ أسيرا فضرب
وحبس فى سجن المدينة فلم يزل محبوسا الى أن نازل السودان بالمدينة على عبد الله بن
الربيع الحارثى وفزعها الى بطن نخل وملكوا المدينة ونهبوا طعام المنصور فخرج ابن
أبى سبرة مقيدا وأتى المسجد وبعث الى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما
وبعثوا الى السودان وردوهم عما كانوا فيه فرجعوا ولم يصل الناس يومئذ جمعة ووقف
الاصبغ بن أبى سفيان بن عاصم بن عبد العزيز لصلاة العشاء ونادى أصلى بالناس على
طاعة أمير المؤمنين وصلى ثم أصبح ابن أبى سبرة ورد من العبيد ما نهبوه ورجع ابن

الربيع من بطن نخل وقطع رؤساء العبيد وكان مع محمد
ابن عبد الله أيضا عبد الواحد بن أبى عون مولى الازد وعبد الله بن جعفر بن عبد
الرحمن بن المسور بن مخرمة وعبد العزيز بن محمد الدراوردى وعبد الحميد بن جعفر
وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بنى سباع وبنوه تسعة وعيسى وعثمان ابنا خضير
وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير قتله المنصور من بعد ذلك لما أخذ بالبصرة وعبد العزيز
ابن ابراهيم بن عبد الله بن مطيع وعلى بن المطلب بن عبد الله بن حنطب وابراهيم بن
جعفر بن مصعب بن الزبير وهشام بن عميرة بن الوليد بن بن عبد الجبار وعبد الله
ابن يزيد بن هرمز وغيرهم

(شأن ابراهيم بن عبد الله وظهوره ومقتله)

كان ابراهيم بن عبد الله أخو المهدى محمد قد اشتد الطلب عليه وعلى أخيه منذ خمس
سنين وكان ابراهيم يتنقل فى النواحى بفارس وبكرمان والجبل والحجاز واليمن والشأم
وحضر مرة مائدة المنصور بالموصل وجاء أخرى الى بغداد حين خطها المنصور مع النظار
على قنطرة الفرات حين شدها وطلبه فغاص فى الناس فلم يوجد ووضع عليه الرصد بكل
مكان ودخل بيت سفيان بن حيان العمى وكان معروفا بصحبته فتحيل على خلاصه
بأن أتى المنصور وقال أنا آتيك بابراهيم فاحملنى وغلامى على البريد وابعث معى الجند
ففعل وجاء بالجند الى البيت وأركب معه ابراهيم فى زى غلامه وذهب بالجند الى
البصرة ولم يزل يفرقهم على البيوت ويدخلها موهما أنه يفتشه حتى بقى وحده فاختفى
وطلبه أمير البصرة سفيان بن معاوية فأعجزه وكان قدم قبل ذلك الاهواز فطلبه محمد بن
حصين واختفى منه عند الحسن بن حبيب ولقى من ذلك غياثم قدم ابراهيم البصرة
سنة خمس وأربعين بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة يحيى بن زياد بن حيان النبطى وأنزله
بداره فى بنى ليث فدعا الناس الى بيعة أخيه وكان أول من بايعه نميلة بن مرة العبسى
وعبد الله بن سفيان وعبد الواحد بن زياد وعمر بن سلمة الهجيمى وعبد الله بن حى بن
حصين الرقاشى وبثوا دعوته فى الناس واجتمع لهم كثير من الفقهاء وأهل العلم وأحصى
ديوانه أربعة آلاف واشتهر أمره ثم حولوه الى وسط البصرة ونزل دار أبى مروان مولى
بنى سليم فى مقبرة بنى يشكر ليتوب من الناس وولاه سفيان أمير البصرة
على أمره وكتب اليه أخوه محمد يأمره بالظهور وكان المنصور بنظاهر وأرسل من
القواد مددا لسفيان على ابراهيم ان ظهر ثم ان ابراهيم خرج أول رمضان من سنة
خمس وأربعين وصلى الصبح فى الجامع وجاء دار الامارة بابن سفيان وحبسه وحبس
القواد معه وجاء جعفر ومحمد ابنا سليمان بن على فى ستمائة رجل وأرسل ابراهيم اليهما

المعين بن القاسم الحدرورى فى خمسين رجلا فهزمهما الى باب زينب بنت سليمان بن
على واليها ينسب الزينبيون من بنى العباس فنادى بالامان وأخذ من بيت المال ألفى
ألف درهم وفرض لكل رجل من أصحابه خمسين ثم أرسل المغيرة على الاهواز فى مائة
رجل فغلب عليها محمد بن الحصين وهو فى أربعة آلاف وأرسل عمر بن شداد الى فارس
وبها اسمعيل وعبد الصمد ابنا على فتحصنا فى دارابجرد وملك عمر نواحيها فأرسل هرون
ابن شمس العجلى فى سبعة عشر ألفا الى واسط فغلب عليها هرون بن حميد الايادى
وملكها وأرسل المنصور لحربه عامر بن اسمعيل فى خمسة آلاف وقيل فى عشرين
فاقتتلوا أياما ثم تهادنوا حتى يروا ما آل الامر بين المنصور وابراهيم ثم جاء نعى محمد الى
أخيه ابراهيم قبل الفطر فصلى يوم العيد وأخبرهم فازدادوا حنقا على المنصور ونفر
فى حره وعسكر من الغد واستخلف على البصرة نميلة وابنه حسنا معه وأشار عليه
أصحابه من أهل البصرة بالمقام وارسال الجنود وأمدادهم واحدا بعد واحد وأشار
أهل الكوفة باللحوق اليها لان الناس فى انتظارك ولو رأوك لماتوا دونك فسار وكتب
المنصور الى عيسى بن موسى باسراع العود والى مسلم بن قتيبة بالرى والى سالم بقصد
ابراهيم وضم اليه غيرها من القواد وكتب الى المهدى بانفاذ خزيمة بن خازم الاهواز
وفارس والمدائن وواسط والسواد والى جانبه أهل الكوفة فى مائة ألف يتربصون به
ثم رمى كل ناحية بحجرها وأقام خمسين يوما على مصلاه ويجلس ولم ينزع عنه جبته ولا
قميصه وقد توسخا ويلبس السواد اذا ظهر للناس وينزعه اذا دخل بيته وأهديت له من
المدينة امرأتان فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأمة الكريم بنت عبد
الله من ولد خالد بن أسيد فلم يحفل بهما وقال ليست هذه أيام نساء حتى أنظر رأس ابراهيم
الى أو رأسى له وقدم عليه عيسى بن موسى فبعثه لحرب ابراهيم فى خمسة عشر ألفا
وعلى مقدمته حميد بن قحطبة فى ثلاثة آلاف وسار ابراهيم من البصرة ومائة ألف حتى
نزلا بازاء عيسى بن موسى على ستة عشر فرسخا من الكوفة وأرسل اليه مسلم بن قتيبة
بأن يخندق على نفسه أو يخالف عيسى الى المنصور فهو فى حف من الجنود ويكون
أسهل عليك فعرض ذلك ابراهيم على أصحابه فقالوا نحن هرون وأبو جعفر فى أيدينا
فأسمع ذلك رسول سالم فرجع ثم تصافوا للقتال وأشار عليه بعض أصحابه أن يجعلهم
كراديس ليكون أثبت والصف اذا انهزم بعضه تداعى سائره فأبى ابراهيم الا الصف
صف أهل الاسلام ووافقه بقية أصحابه ثم اقتتلوا وانهزم حميد بن قحطبة وانهزم معه
الناس وعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة فقال لهم حميد لا طاعة فى الهزيمة ولم
يبق مع عيسى الا فل قليل فثبت واستمات وبينما هو كذلك اذ قدم جعفر ومحمد بن سليمان

ابن علي وجاء من وراء ابراهيم وأصحابه فانعطفوا لقتالهم واتبعهم أصحاب عيسى ورجع المنهزمون من أصحابه بأجمعهم اعترضهم امامهم فلا يطيقون مخافة ولا وثوبة فانهزم أصحاب ابراهيم وثبت هو في ستمائة أو أربعمائة من أصحابه وحميد يقاتله ثم أصابه سهم بنحره فأنزلوه واجتمعوا عليه وقال حميد شدوا على تلك الجماعة فأحصروهم عن ابراهيم وقطعوا رأسه وجاؤا به الى عيسى فسجد وبعثه الى المنصور وذلك لخمس بقين من ذي القعدة الحرام سنة خمس وأربعين ولما وضع رأسه بين يدي المنصور بكى وقال والله اني كنت لهذا كارها ولكني ابتليت بك وابتليت بي ثم جلس للعامة فأذن للناس فدخلوا ومنهم من يثلب ابراهيم مرضاة للمنصور حتى دخل جعفر بن حنظلة النهراني فسلم ثم قال عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك فتهلل وجه المنصور وأقبل عليه وكناه بأبي خالد واستدناه

(بناء مدينة بغداد)

وابتدأ المنصور سنة ست وأربعين في بناء مدينة بغداد وسبب ذلك ثورة الراوندية عليه بالهاشمية ولانه كان يكره أهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم فتجافى عن جوارهم وسار الى مكان بغداد اليوم وجمع من كان هناك من البطارقة فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحر والبرد والمطر والوحل والهوام واستشارهم فأشاروا عليه بمكانها وقالوا تجيئك الميرة في السفن من الشأم والرقة ومصر والمغرب الى المصرات ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة ومن أرمينية وما اتصل بها في تامرا حتى يتصل بالزاب وأنت بين أنهار كالخنادق لا تعبر الا على القناطر والجسور واذا قطعتها لم يكن لعدو لك مطمع وأنت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل قريب من البر والبحر والجبل فشرع المنصور في عمارتها وكتب الى الشأم والجبل (١) والكوفة وواسط والبصرة في الصناع والفعلة واختار من ذوي الفضل والعدالة والعفة والامانة والمعرفة بالهندسة فأحضرهم لذلك منهم الحجاج بن ارطاة وأبو حنيفة الفقيه وأمر بخطها بالرماد فشكلت أبوابها وفصلانها وطاقاتها ونواحيها وجعل على الرماد حب القطن فاضرم نارا ثم نظر اليها وهي تشتعل فعرف رسمها وأمر أن تحفر الاسس على ذلك الرسم ووكل بها أربعة من القواد يتولى كل واحد منهم ناحية ووكل أبا حنيفة بعد الآجر واللبن وكان أراده على القضاء والمظالم فأبى فحلف أن لا يقلع عنه حتى يعمل له عملا فكان هذا وأمر المنصور أن يكون عرض أساس القصر من أسفله خمسين ذراعا ومن أعلاه عشرين وجعل في البناء القصب والخشب ووضع بيده أول لبنة وقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

(١) هي بلاد طبرستان فانها تسمى بلاد الجبل وبلاد الديلم اهـ من خط الشيخ العطار

ثم قال ابنوا على بركة الله فلما بلغ مقدار قامة جاء الخبر بظهور محمد المهدي فقطع البناء وسار الى الكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه ورجع من مدينة ابن هبيرة الى بغداد واستمر في بنائها واستشار خالد بن برمك في نقض المدائن والايوان فقال لا أرى ذلك لانه من آثار الاسلام وفتوح العرب وفيه مصلى علي بن أبي طالب فاتهمه بعصبة العجم وأمر بنقض القصر الابيض فاذا الذي ينفق في نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه فقال خالد لا أرى اقصارك عنه لئلا يقال عجزوا عن هدم ما بناه غيرهم فاعرض عنه ونقل الابواب الى بغداد من واسط ومن الشأم ومن الكوفة وجعل المدينة مدورة وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حد سواء وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وعمل لها سورين والداخل أعلى من الخارج ووضع الحجاج بن ارطاة قبلة المسجد وكان وزن اللبنة التي يبنى بها مائة رطل وسبعة عشر رطلا وطولها ذراع في ذراع وكانت بيوت جماعة من الكتاب والقواد تشرع أبوابها الى رحبة الجامع وكانت الاسواق داخل المدينة فأخرجهم الى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها وجعل الطرق أربعين ذراعا وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر والاسواق والفصلان والخنادق والابواب أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وثلاثة وثلاثين ألف درهم وكان الاستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط والروزكاري بحبتين وحاسب القواد عند الفراغ منها فألزم كلا بما بقي عنده وأخذه حتى أخذ من خالد بن الصلت منهم خمسة عشر درهما بعد أن حبسه عليها

قوله لانه من آثار الاسلام الخ هو في الحقيقة من بناء الاكاسرة وآثارهم بحسب الانشاء ومعنى كونه من آثار الاسلام أنه دل على أن الاسلام أباد هذه الدولة التي بنت هذا البناء وملكوا ملكهم وأذلوهم اهـ من خط الشيخ العطار

(العهد للمهدي وخلع عيسى بن موسى)

كان السفاح قد عهد الى عيسى بن موسى بن علي وولاه على الكوفة فلم يزل عليها فلما كبر المهدي أراد المنصور أبوه أن يقدمه في العهد على عيسى وكان يكرمه في جلوسه فيجلس عن يمينه والمهدي عن يساره فكلمه في التأخر عن المهدي في العهد فقال يا أمير المؤمنين كيف بالايمان التي علي وعلى المسلمين وأبى من ذلك فتغير له المنصور وباعده بعض الشيء وصار يأذن للمهدي قبله ولعمه عيسى بن علي وعبد الصمد ثم يدخل عيسى فيجلس تحت المهدي واستمر المنصور على التنكر له وعزله عن الكوفة لثلاث عشرة سنة من ولايته وولى مكانه محمد بن سليمان بن علي ثم راجع عيسى نفسه فبايع المنصور للمهدي بالعهد وجعل عيسى من بعده ويقال انه أعطاه احد عشر ألف ألف درهم ووضع الجند في الطرقات لاذاه وأشهد خالد بن برمك عليه جماعة من الشيعة بالخلع تركت جميعها لانها لا تليق بالمنصور وعدالته المقطوع بها فلا يصح من تلك الاخبار شيء

(خروج استادسيس)

كان رجل ادعى النبوة فى جهات خراسان فاجتمع اليه نحو ثلثمائة ألف مقاتل من أهل هراة وباذغيس وسجستان وسار اليه الاخثم عامل مرو الروذ فى العساكر فقاتل الاخثم وعامة أصحابه وتتابع القواد فى لقائه فهزمهم وبعث المنصور وهو بالبرداق خازم بن خزيمة الى المهدى فى اثنى عشر ألفا فولاه المهدى حربه فزحف اليه فى عشرين ألفا وجعل على ميمنته الهيثم بن شعبة بن ظهير وعلى ميسرته نهار بن حصين السعدى وفى مقدمته بكار بن مسلم العقيلى ودفع لواءه للزبرقان ثم راوعهم فى المزاحفة وجاء الى موضع فخندق عليه وجعل له أربعة أبواب وأتى أصحاب استادسيس بالفؤوس والمواعيل ليطموا الخندق فبدؤا بالباب الذى يلى بكار بن مسلم فقاتلهم بكار وأصحابه حتى ردوهم عن بابهم فأقبلوا على باب خازم وتقدم منهم الحريش من أهل سجستان فأمر خازم الهيثم بن شعبة أن يخرج من باب بكار ويأتى العدو من خلفهم وكانوا متوقعين قدوم أبى عون وعمر بن مسلم بن قتيبة وخرج خازم على الحريش واشتد قتاله معهم وبدت أعلام الهيثم من ورائهم فكبر أهل العسكر وحملوا عليهم فكشفوهم ولقيهم أصحاب الهيثم فاستمر فيهم القتل فقتل سبعون ألفا وأسر أربعة عشر وتحصن استادسيس على حكم أبى عون فحكم بأن يوثق هو وبنوه ويعتق الباقون وكتب الى المهدى بذلك فكتب المهدى الى المنصور ويقال ان استادسيس أبو مراجل أم المأمون وابنه غالب خال المأمون الذى قتل الفضل بن سهل

(ولاية هشام بن عمر الثعلبى على السند)

كان على السند أيام المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صفرة ويلقب هزارمرد أى ألف رجل ولما كان من أمر المهدى ما قدمناه بعث ابنه عبد الله الاشتر الى البصرة ليدعو له فسار من هنالك الى عمر بن حفص وكان يتشيع فأهدى له خيلا ليتمكن بها من لقائه ثم دعاه فأجاب وبايع له وأنزله عنده مختفيا ودعا القواد وأهل البلد فأجابوا فرق الاعلام وهيأ لبسة من البياض يخطب فيها وهو فى ذلك اذ فجأه الخبر بقتل المهدى فدخل على ابنه أشتر وعزاه فقال له الله الله فى دمى فأشار عليه باللحاق بملك من ملوك السند عظيم المملكة كان يعظم جهة النبى صلى الله عليه وسلم وكان معروفا بالوفاء فأرسل اليه بعد أن عاهده عليه واستقر عند ذلك الملك وتسلل اليه جماعة من الزيدية نحوا من أربعمائة وبلغ ذلك المنصور فغاظه وكتب الى عمر بن حفص بعزله وأقام يفكر فيمن يوليه السند وعرض له يوما هشام بن عمر الثعلبى وهو راكب ثم اتبعه الى بيته وعرض عليه أخته فقال للربيع لو كانت لى حاجة فى النكاح لقبلت فجزاك

الله

الله خيرا وقد وليتك السند فتجهز لها وأمره أن يحارب ملك السند ويسلم اليه الاشتر ففعل وأقام المنصور يستحثه ثم خرجت خارجة بالسند فبعث هشام أخاه سفيحا لحسم الداء عنها فر بنواحى ذلك الملك فوجد الاشتر يتنزه فى شاطئ مهران فى عشرة من الفرسان فجاء ليأخذه فقاتلهم حتى قتل وقتل أصحابه جميعا وكتب هشام بذلك الى المنصور فشكره وأمر بمحاربة ذلك الملك فظفر به وغلب على مملكته وبعث بسرارى عبد الله الاشتر ومعه ولد منها اسمه عبد الله بعث بهم المنصور الى المدينة وأسلمه الى أهله ولما ولى هشام بن عمر على السند وعزل عمر بن حفص عنها ثم حدثت فتق بافريقية بعثه الى سده كما سيأتى فى أخبارها

(بناء الرصافة للمهدى)

ولما رجع المهدى من خراسان قدم عليه أهل بيته من الشأم والكوفة والبصرة فأجازهم وكساهم وحملهم وكذلك المنصور ثم شغب عليهم الجند فأشار عليهم قثم بن العباس ابن عبيد الله بن العباس بان يفرق بينهم ويستكفيه فى ذلك وأمر بعض غلمانه أن يعترضه بدار الخلافة ويسأله بحق الله ورسله والعباس وأمير المؤمنين أى الحيين أشرف اليمن أم مضر فقال مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله وعندها بيت الله ومنها خليفة الله فغضب اليمن اذ لم يذكر لها فضلا ثم كبح بعضهم بغلة قثم فامتعضت مضر وقطعوا الذى كبحها فتشاجر الحيان وتعصبت لليمن ربيعة والخراسانية للدولة وأصبحوا أربع فرق وقال قثم للمنصور اضرب كل واحدة بالاخرى وسير لابنك المهدى فلل أنزله بجنده فيتناظرون أهل مدينتك فقبل رأيه وأمر صالحا صاحب المصلى ببناء الرصافة للمهدى

(مقتل معن بن زائدة)

كان المنصور قد ولى على سجستان معن بن زائدة الشيبانى وأرسل الى رتبيل فى الضريبة التى عليه فبعث بها عروضا زائدة الثمن فغضب معن وسار الى الرخج على مقدمته يزيد ابن أخيه يزيد ففتحها وسبى أهلها وقتلهم ومضى رتبيل الى عزمه وانصرف معن الى بست فشتى بها ونكر قوم من الخوارج سيرته فهجموا عليه وفتكوا به فى بيته وقام يزيد بأمر سجستان وقتل قاتليه واشتدت على أهل البلاد وطأته فتحيل بعضهم بأن كتب المنصور على لسانه كتابا يتضجر من كتب المهدى اليه ويسأله أن يعفى من معاملته فأغضب ذلك المنصور وأقرأ المهدى كتابه وعزله وحبسه ثم شفع فيه فشخص الى مدينة السلام فلم يزل مجفوا حتى بعث الى يوسف البرم بخراسان كما يذكر بعد

(العمال على النواحى أيام السفاح والمنصور)

كان السفاح قد ولى عند بيعته على الكوفة عمه داود بن علي وجعل على حجابته عبد
الله بن بسام وعلى شرطته موسى بن كعب وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وبعث
عمه عبد الله لقتال مروان مع أبي عون بن يزيد بن قحطبة تقدمة وبعث يحيى بن جعفر
ابن تمام بن العباس الى المدائن وكان أحمد بن قحطبة تقدمة وبعث أبا اليقظان عثمان بن
عروة بن عمار بن ياسر الى الاهواز مددا لبسام بن ابراهيم ودفع ولاية خراسان الى أبي مسلم
فولى أبو مسلم عليها أبا داود وخالد بن ابراهيم وبعث عمه عبد الله في مقدمته لحرب مروان
أخاه صالحا ومعه أبو عون بن يزيد فلما ظفروا انصرف ترك أبا عون يزيد بمصر واستقل عبد
الله بولاية الشأم وولى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وارمينية واذربيجان فولى
على ارمينية يزيد بن أسد وعلى اذربيجان محمد بن صول ونزل الجزيرة وكان أبو مسلم ولى
على فارس محمد بن الاشعث حين قتل أبا سلمة الخلال فبعث السفاح عليها عيسى فنعه
محمد بن الاشعث واستخلفه على الولاية فبعث عليها عمه اسمعيل وولى على الكوفة ابن
أخيه موسى وعلى البصرة سفيان بن معاوية المهلبي وعلى السند منصور بن جمهور
ونقل عمه داود الى ولاية الحجاز واليمن واليمامة ثم ولى على البصرة وأعمالها وكور دجلة
والبحرين وعمان وتوفي داود بن علي سنة ثلاث وثلاثين فولى مكانه على اليمن محمد بن
يزيد بن عبد الله بن عبد المدان وعلى مكة والمدينة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبد
الله بن عبد المدان الحارثي وهو عم محمد بن يزيد وفيها بعث محمد بن الاشعث الى افريقية
ففتحها وفي سنة أربع وثلاثين بعث صاحب الشرطة موسى بن كعب لقتال منصور بن
جمهور وولاه مكانه على السند فاستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير وتوفي
عامل اليمن محمد بن يزيد فولى مكانه على بن الربيع بن عبد الله الحارثي ولما استخلف
المنصور وانتقض عبد الله بن علي وأبو مسلم ولى على خراسان أبا داود وخالد بن ابراهيم
وعلى مصر صالح بن علي وعلى الشام   ثم هلك خالد
ابن ابراهيم سنة أربعين فولى مكانه عبد الجبار بن عبد الرحمن فانتقض لسنة من
ولايته فبعث المنصور ابنه المهدي على خراسان وفي مقدمته خازم بن خزيمة فظفر بعبد
الجبار وتوفي سليمان عامل البصرة سنة أربعين فولى مكانه سفيان بن معاوية ومات
موسى بن كعب بالسند وولى مكانه ابنه عيينة فانتقض فبعث المنصور مكانه عمر بن
حفص بن أبي صفرة وولى على مصر في هذه السنة حميد بن قحطبة وولى على الجزيرة
والثغور والعواصم أخاه العباس بن محمد وكان بها يزيد بن أسيد وعزل عمه اسمعيل عن
الموصل وولى مكانه مالك بن الهيثم الخزاعي وفي سنة ست وأربعين عزل الهيثم بن
معاوية وولى على مكة والطائف مكانه السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس نقله

اليها من اليمامة وولى مكانه من اليمن قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس وعزل حميد
ابن قحطبة عن مصر وولى مكانه نوفل بن الفرات ثم عزله وولى مكانه يزيد بن حاتم بن قبيصة
ابن المهلب بن أبي صفرة وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري ثم اتهمه في
أمر ابني الحسن فعزله وولى مكانه رباح بن عثمان المزني ولما قتله أصحاب محمد
المهدي ولى مكانه عبد الله بن الربيع الحارثي ولما قتل ابراهيم أخو المهدي سنة خمس
وأربعين ولى المنصور على البصرة سالم بن قتيبة الباهلي وولى على الموصل ابنه جعفرا
مكان مالك بن الهيثم وبعث معه حرب بن عبد الله من أكابر قواده ثم عزل سالم بن قتيبة
عن البصرة سنة ست وأربعين وولى مكانه محمد بن سليمان وعزل عبد الله بن الربيع
عن المدينة وولى مكانه جعفر بن سليمان وعزل السري بن عبد الله عن مكة وولى مكانه
عمه عبد الصمد بن علي وولى سنة سبع وأربعين على الكوفة محمد بن سليمان مكان
عيسى بن موسى لما سخطه بسبب العهد وولى مكان محمد بن سليمان على البصرة محمد
ابن السفاح فاستعفاه ورجع الى بغداد فمات واستخلف بها عقبة بن سالم فأقره وولى
على المدينة جعفر بن سليمان وولى سنة ثمان وأربعين على الموصل خالد بن برمك لافساد
الاكراد في نواحيها وعزل سنة تسع وأربعين عمه عبد الصمد عن مكة وولى مكانه
محمد بن ابراهيم وفي سنة خمسين عزل جعفر بن سليمان عن المدينة وولى مكانه الحسن
ابن زيد بن الحسن وفي سنة احدى وخمسين عزل عمر بن حفص عن السند وولى
مكانه هشام بن عمرو الثعلبي وولى عمر بن حفص على افريقية ثم بعث يزيد بن حاتم
من مصر مددا له وولى مكانه بمصر محمد بن سعيد وفي هذه السنة قتل معن بن زائدة
بسجستان كما تقدم فقام بأمره يزيد ابن أخيه يزيد فأقره المنصور ثم عزله وفي هذه السنة
سار عقبة بن سالم من البصرة واستخلف نافع بن عقبة فغزا البحرين وقتل ابن حكيم
العدوي واستقصره المنصور باطلاق أسراهم فعزله وولى جابر بن مودة الكلابي ثم عزله
وولى مكانه عبد الملك بن ظبيان النهيري ثم عزله وولى الهيثم بن معاوية العكي وفيها ولى
على مكة والطائف محمد بن ابراهيم الامام ثم عزله وولى مكانه ابراهيم ابن أخيه يحيى
ابن محمد وولى على الموصل اسمعيل بن خالد بن عبد الله القسري ومات أسيد بن عبد الله
أمير خراسان فولى مكانه حميد بن قحطبة وفي سنة ثلاث وخمسين توفي عبد الله ابن بنت
أبي ليلى قاضي الكوفة فاستقضى شريك بن عبد الله النخعي وكان على اليمن يزيد بن
منصور وفي سنة خمس وأربعين بل أربع وخمسين عزل عن الجزيرة أخاه العباس
وأغرمه مالا وولى مكانه موسى بن كعب الخثعمي وكان سبب عزله شكاية يزيد بن أسيد
منه ولم يزل ساخطا على العباس حتى غضب على عمه اسمعيل فشفع فيه اخوته عمومة

المنصور فقال عيسى بن موسى يا أمير المؤمنين شفعوا فى أخيهم وأنت ساخط على أخيك العباس منذ كذا ولم يكلمك فيه أحد منهم فرضى عنه وفى سنة خمس وخمسين عزل محمد ابن سليمان عن الكوفة وولى مكانه عمر بن زهير الضبى أخا المسيب صاحب الشرطة وكان من أسباب عزله انه حبس عبد الكريم بن أبى العوجاء خال معن بن زائدة على الزندقة وكتب اليه أن يتبين أمره فقتله قبل وصول الكتاب فغضب عليه المنصور وقال لقد هممت أن أقيده به وعزل عمه عيسى فى أمره لانه الذى كان أشار بولايته وفيها عزل الحسن بن زيد عن المدينة وولى مكانه عمه عبد الصمد بن على وكان على الاهواز وفارس عمارة بن حمزة وفى سنة سبع وخمسين ولى على البحرين سعيد بن دعلج صاحب الشرطة بالبصرة فأنفذ اليها ابنه تميما ومات سوار بن عبد الله قاضى البصرة فولى مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرى وعزل محمد بن الكاتب عن مصر وولى مكانه مولاه مطرا وعزل هشام بن عمر عن السند وولى مكانه معبد بن الخليل وفى سنة ثمان وخمسين عزل موسى بن كعب عن الموصل لشئ بلغه عنه فأمر ابنه المهدى أن يسير الى الرقة موريا بزيارة القدس ويكفل طريقه على الموصل فقبض عليه وكان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجله فى احضارها ثلاثا والا قتله فبعث ابنه يحيى الى عمارة بن حمزة ومبارك التركى وصالح صاحب المصلى وغيرهم من القواد ليستقرض منهم قال يحيى فكلهم بعث الا أن منهم من منعنى الدخول ومنهم من يجيئنى بالرد الا عمارة بن حمزة فانه أذن لى ووجهه الى الحائط ولم يقبل على وسلمت فرد خفيفا وسأل كيف خالد فعرفته واستقرضته فقال ان أمكننى شئ يأتيك فانصرفت عنه ثم أنفذ المال فجمعناه فى يومين وتعذرت ثلثمائة ألف وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الاكراد بها وسخط موسى بن كعب فأشار عليه المسيب بن زهير بخالد ابن برمك فقال كيف يصلح بعد ما فعلنا فقال أنا ضامنه فصفح له عما بقى عليه وعقد له على الموصل ولابنه يحيى على أذربيجان وسارا مع المهدى فعزل موسى بن كعب وولاهما قال يحيى وبعثنى خالد الى عمارة بقرضه وكان مائة ألف فقال لى أكنت لابيك صديقا قم عنى لاقت ولم يزل خالد على الموصل الى وفاة المنصور وفى هذه السنة عزل المنصور المسيب بن زهير عن شرطته وحبسه مقيدا لانه ضرب أبان بن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله وكان مع أخيه عمر بن زهير بالكوفة وولى المنصور على فارس نصر بن حرب بن عبد الله ثم على الشرطة ببغداد عمر بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار وعلى قضائها عبد الله بن محمد بن صفوان ثم شفع المهدى فى المسيب وأعاده الى شرطته

(الصوائف)

كان

كان أمر الصوائف قد انقطع منذ سنة ثلاثين بما وقع من الفتن فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين أقبل قسطنطين ملك الروم الى ملطية ونواحيها فنازل حصن بلخ واستنجدوا أهل ملطية فأمدوهم بثمانمائة مقاتل فهزمهم الروم وحاصروا ملطية والجزيرة مفتوحة وعاملها موسى بن كعب بخراسان فسلموا البلد على الامان لقسطنطين ودخلوا الى الجزيرة وخرب الروم ملطية ثم ساروا الى قاليقلا ففتحوها وفى هذه السنة سار أبو داود وخالد بن ابراهيم الى الختل فدخلها فلم يمتنع عليه وتحصن منه السبيل ملكهم وحاصره مدة ثم فرض الحصن ولحق بفرغانة ثم دخلوا بلاد الترك وانتهوا الى بلد الصين وفيها بعث صالح بن على بن فلسطين سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب وفى سنة خمس وثلاثين غزا عبد الرحمن بن حبيب عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم وسبى وظفر بما لم يظفر به أحد قبله ثم شغل ولاة افريقية بفتن البربر فأمن أهل صقلية وعمر الحصون والمعاقل وجعلوا الاساطيل تطوف بصقلية للحراسة وربما صادفوا تجار المسلمين فى البحر فأخذوهم وفى سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم فأخذ ملطية عنوة وهدم سورها وعفا عن أهلها فغزا العباس بن محمد الصائفة ومعه عماه صالح وعيسى وبنى ما خرب الروم من سور ملطية من سورة الروم ورد اليها أهلها وأنزل بها الجند ودخل دار الحرب من درب الحرث وتوغل فى أرضهم ودخل جعفر بن حنظلة البهرانى من درب ملطية وفى سنة تسع وثلاثين كان الفداء بين المسلمين والروم فى اسرى قاليقلا وغيرهم ثم غزا بالصائفة سنة أربعين عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ومعه الحسن بن قحطبة وسار اليهم قسطنطين ملك الروم فى مائة ألف فبلغ جيحان وسمع كثرة المسلمين فأحجم عنهم ورجع ولم تكن بعدها صائفة الى سنة ست وأربعين لاشتغال المنصور بفتنة بنى حسن وفى سنة ست وأربعين خرج الترك والخزر بباب الابواب وانتهوا الى ارمينية وقتلوا من أهلها جماعة ورجعوا وفى سنة سبع وأربعين أغار استرخان الخوارزمى فى جمع من الترك على أرمينية فغنم وسبى ودخل تفليس فعاث فيها وكان حرب بن عبد الله مقيما بالموصل فى ألفين من الجند لمكان الخوارزمى بالجزيرة فأمره المنصور بالمسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى فانهزموا وقتل حرب فى كثير من المسلمين وفيها غزا بالصائفة مالك بن عبد الله الخثعمى من أهل فلسطين ويقال له ملك الصوائف فغنم غنائم كثيرة وقسمها بدرب الحرث وفى سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الاشعث فدخلوا أرض الروم وعاثوا ورجعوا ومات محمد بن الاشعث فى طريقه فى سنة احدى وخمسين وقتل أخوه محمد ولم يدر ثم غزا بالصائفة سنة أربع وخمسين زفر بن عاصم الهلالى وفى سنة خمس

بعدها طلب ملك الروم الصلح على أن يؤدى الجزية وغزا بالصائفة يزيد بن أسيد السلمى
وغزا بها سنة ست وخمسين وغزا بالصائفة معيوب بن يحيى من درب الحرث ولقى العدو
فاقتتلوا ثم تحاجزوا

(وفاة المنصور وبيعة المهدى)

وفى سنة ثمان وخمسين توفى المنصور منصرفا من الحج ببئر ميمون لست خلت من ذى الحجة
وكان قد أوصى المهدى عند وداعه فقال لم أدع شيأ الا تقدمت اليك فيه وسأوصيك
بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها وله سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره
فقال للمهدى انظر الى هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى
يوم القيامة فان أحزنك أمر فانظر فى الدفتر الكبير فان أصبت فيه ما تريد والا ففى الثانى
والثالث حتى تبلغ سبعة فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فانك واجد ما تريد فيها
وما أظنك تفعل فانظر هذه المدينة واياك أن تستبدل بها غيرها وقد جمعت فيها من
الاموال ما أنكر عليك الخراج عشر سنين كفاك لارزاق الجند والنفقات والذرية
ومصلحة البيوت فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا وما أظنك
تفعل وأوصيك بأهل بيتك وأن تظهر كرامتهم وتحسن اليهم وتقدمهم وتوطئ الناس
أعقابهم وتوليهم المنابر فان عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل
خراسان خيرا فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم فى دولتك
وأن لا تخرج محبتك من قلوبهم وأن تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم
عما كان منهم وتخلف من مات منهم فى أهله وولده وما أظنك تفعل واياك أن تبنى مدينة
الشرقية فانك لا تتم بناءها وأظنك ستفعل واياك أن تستعين برجل من بنى سليم
وأظنك ستفعل واياك أن تدخل النساء فى أمرك وأظنك ستفعل وقيل قال له انى
ولدت فى ذى الحجة ووليت فى ذى الحجة وقد يحس فى نفسى أن أموت فى ذى الحجة فى هذه
السنة وانما حدانى الحج على ذلك فاتق الله فيما أعهد اليك من أمور المسلمين بعدى
يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجا ومخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث
لا تحتسب يا بنى احفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى أمته يحفظك الله ويحفظ عليك
أمورك واياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار فى الدنيا لازم مقيم والزم
الحدود فان فيها صلاحك فى الآجل وصلاحك فى العاجل ولا تعتد فيها فتبور فان الله
تعالى لو علم ان شيأ أصلح منها لدينه وأزجر عن معاصيه لامر به فى كتابه واعلم ان من
شدة غضب الله لسلطانه أمر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى
فى الارض فسادا مع ما ادخر له من العذاب الاليم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله

ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآية فالسلطان يا بنى حبل الله المتين وعروته
الوثقى ودينه المقيم فاحفظه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين واقمع المارقين منه
وقابل الخارجين عنه بالعقاب ولا تجاوز ما أمر الله به فى محكم القرآن واحكم بالعدل
ولا تشطط فان ذلك أقطع للشعث وأحسم للعدو وأنجع فى الدواء واعف عن الفئ فليس
بك اليه حاجة مع ما أخلفه لك وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة واياك والاثرة والتبديد
لاموال الرعية واشحن الثغور واضبط الاطراف وأمن السبيل وسكن العامة وأدخل
المرافق عليهم وارفع المكاره عنهم وأعد الاموال واخزنها واياك والتبديد فان النوائب
غير مأمونة وهى من شيم الزمان وأعد الاكراع والرجال والجند ما استطعت واياك
وتأخير عمل اليوم لغد فتتدارك الامور وتضيع وخذ فى احكام الامور والنازلات
فى أوقاتها أولا أولا واجتهد وشمر فيها وأعد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا
بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن
الظن وأسئ الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابك وسهل
اذنك للناس وانظر فى أمر النزاع اليك وكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير ساهية ولا تنم
فان أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى
اليك والله خليفتى عليك ثم ودعه وسار الى الكوفة فأحرم منها قارنا وساق الهدى
وأشعره وقلده لايام خلت من ذى القعدة ولما سار منازل عرض له وجعه الذى مات به
ثم اشتد فجعل يقول للربيع وكان عديله بادر بى الى حرم ربى هاربا من ذنوبى فلما وصل
بئر ميمون مات سحر السادس من ذى الحجة لم يحضر الا خدمه والربيع مولاه فكتموا
الامر ثم غدا أهل بيته على عادتهم فدعا عيسى بن على العم ثم عيسى بن موسى بن محمد
ولى العهد ثم الاكابر وذوى الانساب ثم عامتهم فبايعهم الربيع للمهدى ثم بايع القواد
وعامة الناس وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان الى مكة فبايعا الناس للمهدى
بين الركن والمقام وجهزوه الى قبره وصلى عليه عيسى بن موسى وقيل ابراهيم بن يحيى
ودفن فى مقبرة المعلاة وذلك لاثنتين وعشرين سنة من خلافته وذكر على بن محمد النوفلى
عن أبيه وهو من أهل البصرة وكان يختلف الى المنصور تلك الايام قال جئت من مكة
صبيحة موته الى العسكر فاذا موسى بن المهدى عند عمود السرادق والقاسم بن
المنصور فى ناحية فعلمت انه قد مات ثم أقبل الحسن بن زيد العلوى والناس حتى ملؤا
السرادق وسمعنا همس البكاء ثم خرج أبو العنبر الخادم مشقوق الاقبية وعلى رأسه
التراب وهو يستغيث وقام القاسم فشق ثيابه ثم خرج الربيع وفى يده قرطاس فقرأه
على الناس وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور أمير المؤمنين الى من خلف

من بنى هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين ثم بكى وبكى الناس ثم قال البكاء
امامكم فانصتوا رحمكم الله ثم قرأ أمّا بعد فانى كتبت كتابى هذا وأنا حىّ فى آخر يوم
من أيام الدنيا اقرأ عليكم السلام وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدى ولا يلبسكم شيعا
ولا يذيق بعضكم بأس بعض ثم أخذ فى وصيتهم للمهدى وحثهم على الوفاء بعهده
ثم تناول الحسن بن زيد وقال قم فبايع فبايع موسى بن المهدى لابيه ثم بايع الناس
الاول فالاول ثم دخل بنو هاشم وهو فى أكفانه مكشوف الرأس لمكان الاحرام
فحملوه على ثلاثة أميال من مكة فدفنوه وكان عيسى بن موسى لما بايع الناس أبى من
البيعة فقال له على بن عيسى بن ماهان والله لتبايعن والا ضربت عنقك ثم بعث موسى
ابن المهدى والربيع بالخبر والبردة والقضيب وخاتم الخلافة الى المهدى وخرجوا
من مكة ولما وصل الخبر الى المهدى منتصف ذى الحجة اجتمع اليه أهل بغداد وبايعوه
وكان أول ما فعله المهدى حين بويع انه أطلق من كان فى حبس المنصور الا من كان فى دم
أو مال أو ممن يسعى بالفساد وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود وكان محبوسا مع الحسن
ابن ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن فلما أطلق ساء ظن ابراهيم وبعث الى
من يثق به بحفر سرب يفضى الى محبسه وبلغ ذلك يعقوب بن داود فجاء الى ابن علاثة
القاضى وأوصله الى أبى عبد الله الوزير ليوصله الى المهدى فأوصله واستخلاه فلم يحدثه
حتى قام الوزير والقاضى وأخبره بتحقيق الحال فأمره بتحويل الحسن ثم هرب بعد ذلك
ولم يظفر به وشاور يعقوب بن داود فى أمره فقال أعطه الامان وأنا أحضره وأحضره
ثم طلب من المهدى أن يجعل له السبيل فى رفع أمور الناس وراء بابه اليه فأذن له وكان
يدخل كلما أراد ويرفع اليه النصائح فى أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة
وتزويج العزاب وفكاك الاسرى والمحبوسين والقضاء عن الغارمين والصدقة على
المتعففين فحظى بذلك وتقدمت منزلته وسقطت منزلة أبى عبد الله ووصله المهدى
بمائة ألف وكتب له التوقيع بالاخاء فى الله

(ظهور المقنع ومهلكه)

كان هذا المقنع من أهل مرو ويسمى حكيما وهاشما وكان يقول بالتناسخ وأن الله
خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح ثم الى أبى مسلم ثم الى هاشم وهو المقنع
فظهر بخراسان وادعى الالهية واتخذ وجها من ذهب فجعله على وجهه فسمى المقنع
وأنكر قتل يحيى بن زيد وزعم أنه يأخذ بثاره وتبعه خلق عظيم من الناس وكانوا
يسجدون له وتحصن بقلعة بسام من رساتيق كش وكان قد ظهر ببخارى والصغد جماعة
من المبيضة فاجتمعوا معه على الخلاف وأعانهم كفار الاتراك وأغاروا على المسلمين

من ناحيتهم وحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر بن سيار فقتلوا أخاه محمد
ابن نصر وحسان ابن أخيه تميم وأنفذ المهدى اليهم جبريل بن يحيى وأخاه يزيد لقتال
المبيضة فقاتلوهم أربعة أشهر فى بعض حصون بخارى وملكوه عنوة فقتل منهم
سبعمائة ولحق فلهم بالمقنع وجبريل فى اتباعهم ثم بعث المهدى أبا عون لمحاربة المقنع
فلم يبالغ فى قتاله فبعث معاذ بن مسلم فى جماعة القواد والعساكر وعلى مقدمته سعيد
الحريشى وأتاه عقبة بن مسلم من ذم فاجتمعوا بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع
فهزموهم ولحق فلهم بالمقنع فى بسام فتحصنوا بها وجاء معاذ فنازلهم وفسد ما بينه
وبين الحريشى فكتب الحريشى الى المهدى بالسعاية فى معاذ ويضمن الكفاية
ان أفرد بالحرب فأجابه المهدى الى ذلك وانفرد بحرب المقنع وأمده معاذ بابنه وجاؤا
بآلات الحرب حتى طلب أصحاب المقنع الامان سرا فامنهم وخرج اليه ثلاثون ألفا
وبقى معه زهاء ألفين وضايقوه بالحصار فأيقن بالهلاك وجمع نساءه وأهله فيقال
سقاهم السم ويقال بل أحرقهم وأحرق نفسه بالنار ودخلوا القلعة وبعث الحريشى
برأس المقنع الى المهدى فوصل اليه بحلب سنة ثلاث وتسعين

(الولاة أيام المهدى)

وعزل المهدى سنة تسع وخمسين عمه اسمعيل عن الكوفة وولى عليها اسحق بن الصباح
الكندى ثم الاشعثى وقتل عيسى بن لقمان بن محمد بن صاحب الجمحى وعزل سعيد بن دعلج
عن احداث البصرة وعبيد الله بن الحسن عن الصلاة وولى مكانهما عبد الملك بن أيوب
ابن ظبيان النميرى ثم جعل الاحداث الى عمارة بن حمزة فولاها المسور بن عبد الله
الباهلى وعزل قثم بن العباس عن اليمامة وولى مكانه الفضل بن صالح وعزل مطرا مولى
المنصور عن مصر وولى مكانه أبا ضمرة محمد بن سليمان وعزل عبد الصمد بن على
عن المدينة وولى مكانه محمد بن عبد الله الكثيرى ثم عزله وولى عبد الله بن محمد بن
عبد الرحمن بن صفوان ثم عزله وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالى وتوفى معبد بن الخليل
عامل السند فولى مكانه روح بن حاتم باشارة وزيره أبى عبد الله وتوفى حميد بن قحطبة
بخراسان فولى عليها مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد ثم سخطه سنة ستين فعزله وولى
معاذ بن مسلم وولى على سجستان حمزة بن يحيى وعلى سمرقند جبريل بن يحيى فبنى
سورها وحصنها وكان على اليمن رجاء بن روح وولى على قضاء الكوفة شريك
وولى على فارس والاهواز ودجلة قاضى البصرة عبيد الله بن الحسن
ثم عزله وولى مكانه محمد بن سليمان وولى على السند بسطام بن عمرو وولى على اليمامة بشر
ابن المنذر وفى سنة احدى وتسعين ولى على السند محمد بن الاشعث واستقضى عافية

القاضي مع ابن علاثة بالرصافة وعزل الفضل بن صالح عن الجزيرة وولى مكانه عبد الصمد بن علي وولى عيسى بن لقمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسان السروى على الموصل وبسطام بن عمرو الثعلبي على أذربيجان وعزله عن السند وتوفى نصر بن مالك بن صالح صاحب الشرطة فولى مكانه حمزة بن مالك وكان الابان بن صدقة كاتبا للرشيد فصرفه وجعله مع الهادى وجعل هو مع هرون يحيى ابن خالد وعزل محمد بن سليمان أبا ضمرة عن مصر وولى مكانه سليمان بن رجاء وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى احداثها اسحق بن منصور وفي سنة ست وستين عزل على بن سليمان عن اليمن وولى مكانه عبد الله بن سليمان وعزل مسلمة بن رجاء عن مصر وولى مكانه عيسى بن لقمان ثم عزله لاشهر وولى مكانه مولاه واضحا ثم عزله وولى مكانه يحيى الحريشي وكان على طبرستان عمر بن العلاء وسعيد بن دعلج وعلى جرجان مهلهل بن صفوان ووضع ديوان الازمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه

(العهد للهادى وخلع عيسى)

كان جماعة من بنى هاشم وشيعة المهدى خاضوا في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادى بن المهدى ونمى ذلك الى المهدى فسرّ به واستقدم عيسى ابن موسى من منزله بالرحبة من أعمال الكوفة فامتنع من القدوم فاستعمل المهدى على الكوفة روح بن حاتم وأوصاه بالاضرار فلم يجد سبيلا الى ذلك وكان عيسى لا يدخل الكوفة الا يوم جمعة أو عيد وبعث اليه المهدى يتهدده فلم يجب ثم بعث عمه العباس يستقدمه فلم يحضر فبعث قائدين من الشيعة فاستحضراه اليه وقدم على عسكر المهدى وأقام أياما يختلف اليه ولا يكلم بشئ حضر الدار يوما وقد اجتمع رؤساء الشيعة لخلعه فثاروا به وأغلق الباب الذى كان خلفه فكسروه وأظهر المهدى النكير عليهم فلم يرجعوا الى أن كاشفه أكابر أهل بيته وأشدهم محمد بن سليمان واعتذر بالايمان التى عليه فأحضر المهدى القضاة والفقهاء وفيهم محمد بن علاثة ومسلم بن خالد الزنجى فأفتوه بمخارج الايمان وخلع نفسه وأعطاه المهدى عشرة آلاف درهم وضياعا بالزاب وكسكر وبايع لابنه موسى الهادى بالعهد ثم جلس المهدى من الغد وأحضر أهل بيته وأخذ بيعتهم وخرج الى الجامع وعيسى معه فخطب وأعلم الناس ببيعة الهادى ودعاهم اليها فبادروا وأشهد عيسى بالخلع

(فتح باربد من السند)

وبعث المهدى سنة تسع وخمسين عبد الملك بن شهاب المسمعى في جمع كثير من الجند

والمقطوعة الى بلاد الهند فركبوا البحر من فارس ونزلوا بأرض الهند وفتحوا باربد فافتتحوها عنوة ولجأ أهلها الى البد فأحرقوه عليهم فاحترق بعض وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون وأقاموا بعض أيام الى أن يطيب الريح فوقع فيهم موتان فهلك ألف فيهم ابراهيم بن صبيح ثم ركبوا البحر الى فارس فلما انتهوا الى ساحل حران عصفت بهم الريح فانكسرت عامة مراكبهم وغرق الكثير منهم

(حج المهدى)

وفي سنة ستين حج المهدى واستخلف على بغداد ابنه الهادى وخاله يزيد بن منصور واستصحب ابنه هرون وجماعة من أهل بيته وكان معه الوزير يعقوب بن داود فجاء في مكة بالحسن بن ابراهيم الذى ضمنه على الامان فوصله المهدى وأقطعه ولما وصل الى مكة اهتم بكسوة الكعبة فكساها بأفخر الكسوة بعد أن نزع ما كان عليها وكانت فيها كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين وقسم مالا عظيما هنالك في مصارف الخير فكان منه مما جاء به من العراق ثلاثون ألف درهم ووصل اليه من مصر ثلثمائة ألف دينار ومن اليمن مائة ألف دينار ففرّق ذلك كله وفرّق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ووسع المسجد ونقل خمسمائة من الانصار الى العراق جعلهم في حرسه وأقطع لهم وأجرى الارزاق ولما رجع أمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من قصور المنصور من القادسية الى زبالة وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل منها وبتجديد الاميال وحفر الآبار وولى على ذلك يقطين بن موسى وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتصغير المنابر الى مقدار منبر النبى صلى الله عليه وسلم وأمر في سنة سبع وستين بالزيادة في الحرمين على يد يقطين فدخلت فيه دور كثيرة ولم يزل البناء فيهما الى وفاة المهدى

(نكبة الوزير أبى عبد الله)

كان أبو عبد الله الاشعرى قد اتصل بالمهدى أيام أبيه المنصور فلطفت عنده منزلته واستوزره وسار معه الى خراسان وعظمت به بطانة المهدى فأكثروا فيه السعاية وكان الربيع يدرأ عنه ويعرض كتبه على المنصور ويحسن القول فيه فكتب المنصور الى المهدى بالوصاة به وأن لا يقبل فيه السعاية ولما مات المنصور وقام الربيع ببيعة المهدى وقدموا الى بغداد جاء الربيع الى باب أبى عبد الله قبل المهدى وقبل أهله فعذله ابنه الفضل على ذلك فقال هو صاحب الرجل وينبغى أن نعامله بغير ما كنا نعامله واياك أن تذكر ما كنا نصنع في حقه أو تمن بذلك في نفسك فلما وقف ببابه أمهله

طويلا من المغرب الى العشاء ثم أذن له فدخل عليه وهو متكئ فلم يجلس ولا أقبل عليه وشرع الربيع يذكر أمر البيعة فكفه وقال قد بلغنا أمركم فلما خرج استطال عليه ابنه الفضل بالعذل فيما فعل بان لم يكن الصواب فقال له ليس الصواب الا ما عملته ولكن والله لانفقن مالى وجاهى فى مكروهه وجد فى السعاية فيه فلم يجد طريقا اليها لاحتياطه فى أمر دينه وأعماله فأتاه من قبل ابنه محمد ودس الى المهدى يعرضه لحرمه وانه زنديق حتى اذا استحكمت التهمة فيه أحضره المهدى فى غيبة من أبيه ثم قال له اقرأ فلم يحسن فقال لابيه ألم تقل ان ابنك يقرأ القرآن فقال فارقنى منذ سنين وقد نسى فأمر به المهدى فقتل واستوحش من أبى عبد الله وساءت منزلته الى أن كان من أمره ما نذكره وعزله عن ديوان الرسائل ورده الى الربيع وارتفعت منزلة يعقوب بن داود عند المهدى وعظم شأنه وأنفذ عهده الى جميع الآفاق بوضع الامناء ليعقوب وكان لا ينفذ كتاب المهدى حتى يكتب يعقوب الى عينه بانفاذ ذلك

(ظهور دعوة العباسية بالاندلس وانقطاعها)

وفى سنة احدى وستين أجاز عبد الرحمن بن حبيب الفهرى من افريقية الى الاندلس داعية لبنى العباس ونزل بساحل مرسية وكاتب سليمان بن يقظان عامل سرقسطة فى طاعة المهدى فلم يجبه وقصد بلاده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان وعاد الى تدبير وسار اليه عبد الرحمن صاحب الاندلس وأحرق السفن فى البحر تضييقا على ابن حبيب فى النجاة فاعتصم بجبل منيع بنواحى بلنسية فبذل عبد الرحمن فيه المال فاغتاله بعض البربر وحمل رأسه اليه فأعطاه ألف دينار وذلك سنة اثنتين وستين وهم عبد الرحمن صاحب الاندلس أمر ذلك لغزو الشام من الاندلس على العدوة الشمالية لاخذ ثاره فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الانصارى فى سرقسطة فشغلوه عما اعتزم عليه من ذلك

(غزو المهدى)

تجهز المهدى سنة ثلاث وستين لغزو الروم وجمع الاجناد من خراسان ومن الآفاق وتوفى عمه عيسى بن على آخر جمادى الاخيرة بعسكره وسار من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادى واستصحب هرون ومر فى طريقه بالجزيرة والموصل فعزل عبد الصمد بن على وحبسه ثم أطلقه سنة ست وستين ولما حاذى بنى مسلمة بن عبد الملك ذكره عمه العباس بما فعل لمسلمة مع جدهم محمد بن على وكان أعطاه مرة فى اجتيازه عليه ألف دينار فأحضر المهدى ولد مسلمة ومواليه وأعطاهم عشرين

ألف دينار وأجرى عليهم الارزاق وعبر الفرات الى ... فأقام بها وبعث ابنه هرون للغزو وأجازه معه الدروب الى جيحان مشيعا وبعث معه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والحسن بن قحطبة والربيع بن يونس ويحيى بن خالد بن برمك وكان اليه أمر العسكر والنفقات وحاصروا حصن سمالوا أربعين يوما ثم فتحوه بالامان وفتحوا بعده فتوحات كثيرة وعادوا الى المهدى وقد أثخن فى الزنادقة وقتل من كان فى تلك الناحية منهم ثم قفل الى بغداد ومر ببيت المقدس وصلى فى مسجده ورجع الى بغداد

(العهد لهرون)

وفى سنة ست وستين أخذ المهدى البيعة لابنه هرون بعد أخيه الهادى ولقبه الرشيد

(نكبة الوزير يعقوب بن داود)

كان أبو داود بن طهمان كاتبا لنصر بن سيار هو واخوته وكان شيعيا وعلى رأى الزيدية ولما خرج يحيى بن زيد بخراسان كان يكاتبه بأخبار نصر فأقصاه نصر فلما طلب أبو مسلم بدم يحيى جاءه داود فأمنه فى نفسه وأخذ ما اكتسبه من المال أيام نصر وأقام بعد ذلك عاطلا ونشأ له ولد أهل أدب وعلم وصحبوا أولاد الحسن وكان داود يصحب ابراهيم بن عبد الله فورثوا ذلك عنه ولما قتل ابراهيم طلبهم المنصور وحبس يعقوب وعليا مع الحسن بن ابراهيم حتى توفى وأطلقهما المهدى بعده مع من أطلق وداخله المهدى فى أمر الحسن لما فر من الحبس فكان ذلك سببا لوصلته بالمهدى حتى استوزره فجمع الزيدية وولاهم شرقا وغربا وكثرت السعاية فيه من البطانة بذلك وبغيره وكان المهدى يقبل سعايتهم حتى يروا أنها قد تمكنت فاذا غدا عليه تبسم وسأله وكان المهدى مشتهرا بالنساء فيخوض معه فى ذلك وفيما يناسبه ويتغلب برضاه وسامره فى بعض الليالى وجاء ليركب دابته وقد نام الغلام فلما ركب نفرت الدابة من قعقعة ردائه فسقط ورمحته فانكسر فانقطع عن المهدى وتمكن أعداؤه من السعاية حتى سخطه وأمر به فحبس وحبس عماله وأصحابه ويقال بل دفع اليه علويا ليقتله فأطلقه ونمى ذلك الى المهدى فأرسل من أحضره وقال ليعقوب أين العلوى فقال قتلته فأخرجه اليه حتى رآه ثم حبس فى المطبق ودلى فى بئر فيه وبقى أيام المهدى والهادى ثم أخرج وقد عمى وسأل من الرشيد المقام بمكة فأذن له وقيل فى سبب تغيره انه كان ينهى المهدى عن شرب أصحابه النبيذ عنده ويكثر عليه فى ذلك ويقول أبعد الصلوات الخمس فى المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ لا والله لا على هذا استوزرتنى ولا عليه صحبتك

(مسير الهادى الى جرجان)

وفى سنة سبع وستين عصى وتداهر من شروين ملك طبرستان من الديلم فبعث المهدى ولى عهده موسى الهادى وجعل على جنده محمد بن جميد وعلى حجابته نفيعا مولى المنصور وعلى حرسه عيسى بن ماهان وعلى رسائله ابان بن صدقة وتوفى ابان بن صدقة فبعث المهدى مكانه أبا خالد الاجرد فسار المهدى وبعث الجنود فى مقدمته وأمّر عليهم يزيد فحاصرهما حتى استقاما وعزل المهدى يحيى الحريشى عن طبرستان وما كان اليه وولى مكانه عمر بن العلاء وولى على جرجان فراشة مولاه ثم بعث سنة ثمان وستين يحيى الحريشى فى أربعين ألفا الى طبرستان

(العمال بالنواحى)

وفى سنة ثلاث وستين ولى المهدى ابنه هرون على المغرب كله وأذربيجان وارمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى الرسائل يحيى بن خالد بن برمك وعزل زفر ابن عاصم عن الجزيرة وولى مكانه عبد الله بن صالح وعزل معاذ بن مسلم عن خراسان وولى مكانه المسيب بن زهير الضبى وعزل يحيى الحريشى عن اصبهان وولى مكانه الحكم بن سعيد وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان وولى مكانه عمر بن العلاء ومهلهل ابن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد وكان على الحجاز واليمامة جعفر ابن سليمان وعلى الكوفة اسحق بن الصباح وعلى البحرين والبصرة وفارس والاهواز محمد بن سليمان فعزله سنة أربع وستين وولى مكانه صالح بن داود وكان على السند محمد بن الاشعث وفى سنة خمس وستين عزل خلف بن عبد الله عن الرى وولاها عيسى مولى جعفر وولى على البصرة روح بن حاتم وعلى البحرين وعمان والاهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدى وعزل محمد بن الفضل عن الموصل وولى مكانه أحمد بن اسمعيل وفى سنة ست وستين عزل عبيد الله بن الحسن العنبرى عن قضاء البصرة واستقضى مكانه خالد بن طليق بن عمران بن حصين فاستعفى أهل البصرة منه وولى المهدى على قضائه أبا يوسف حين سار الى جرجان واضطربت فى هذه السنة خراسان على المسيب بن زهير فولاها أبا العباس الفضل بن سليمان الطوسى وأضاف اليه سجستان فولى هو على سجستان سعيد بن دعلج وولى على المدينة ابراهيم ابن عمه وعزل منصور بن يزيد عن اليمن وولى مكانه عبد الله بن سليمان الربعى وكان على مصر ابراهيم بن صالح وتوفى فى هذه السنة عيسى بن موسى بالكوفة وهى سنة سبع وستين وعزل المهدى يحيى الحريشى عن طبرستان والرويان وما كان اليه وولاه عمر بن العلاء

وولى على جرجان فراشة مولاه وحج بالناس ابراهيم ابن عمه يحيى وهو على المدينة ومات بعد قضاء الحج فولى مكانه اسحق بن موسى بن على وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثى وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيرى وعلى البصرة محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر ابن عثمان التيمى وعلى الموصل أحمد بن اسمعيل الهاشمى وقتل موسى بن كعب ووقع الفساد فى بادية البصرة من الاعراب بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطرق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة

(الصوائف)

وفى سنة تسع وخمسين أغزى المهدى عمه العباس بالصائفة وعلى مقدمته الحسن الوصيف فبلغوا أنقرة وفتحوا مدينة أوهرة ورجعوا سالمين ولم يصب من المسلمين أحد وفى سنة احدى وستين غزا بالصائفة ثمامة بن الوليد فنزل دابق وجاشت الروم مع ميخائيل فى ثمانين ألفا ونزل عمق مرعش فقتل وسبى وغنم وحاصر مرعش وقتل من المسلمين عددا وانصرف الى جيحان فكان عيسى بن على مرابطا بحصن مرعش فعظم ذلك على المهدى وتجهز لغزو الروم وخرجت الروم سنة اثنتين وستين الى الحرث فهدموا أسوارها وغزا بالصائفة الحسن بن قحطبة فى ثمانين ألفا من المرتزقة فبلغ جهة أدرركبه وأكثر التحريق والتخريب ولم يفتح حصنا ولا لقى جمعا ورجع بالناس سالما وغزا يزيد بن أسيد السلمى من ناحية قاليقلا فغنم وسبى وفتح ثلاثة حصون ثم غزا المهدى بنفسه سنة ثلاث وستين كما مر ثم غزا سنة أربع وستين عبد الكبير بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحرث فخرج اليه ميخائيل وطارد الارمنى البطريقان فى تسعين ألفا فخام عن لقائهم ورجع بالناس فغضب عليه المهدى وهمّ بقتله فشفع فيه وحبسه وفى سنة خمس وستين بعث المهدى ابنه هرون بالصائفة وبعث معه الربيع فتوغل فى بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطا من القوامس فبارزه يزيد ابن مزيد فهزمهم وغلب على عسكرهم ولحقوا بالدمستق صاحب المسالح فحمل لهم مائتى ألف دينار واثنين وعشرين ألف درهم وسار الرشيد بعساكره وكانت نحوا من مائة ألف فبلغ خليج قسطنطينية وعلى الروم يومئذ غسطة امرأة اليون كافلة لابنها منه صغيرا فجرى الصلح على الفدية وأن تقيم له الادلاء والاسواق فى الطريق لان مدخله كان ضيقا مخوفا فأجابت لذلك وكان مقدار الفدية سبعين ألف دينار كل سنة ومدة الصلح ثلاث سنين وكان ما سباه المسلمون قبل الصلح خمسة آلاف رأس وستمائة رأس وقتل من الروم فى وقائع هذه الغزوات أربعة وخمسون ألفا ومن الاسرى ألفان ثم نقض الروم هذا الصلح سنة ثمان وستين ولم يستكملوا مدته بقى منها

أربعة أشهر وكان على الجزيرة وقنسرين على بن سليمان فبعث يزيد بن البدر بن البطال فى عسكر فغنموا وسبوا وظفروا ورجعوا

(وفاة المهدى وبيعة الهادى)

وفى سنة تسع وستين اعتزم المهدى على خلع ابنه موسى الهادى من العهد والبيعة للرشيد به وتقديمه على الهادى وكان بجرجان فبعث اليه بذلك فاستقدمه فضرب الرسول وامتنع فسار اليه المهدى فلما بلغ ماسبذان توفى هنالك يقال مسموما من بعض جواريه ويقال سمت احداهما الاخرى فى كمثرى فغلط وأكلها ويقال حاز صيدا فدخل وراءه الى خربة فدق الباب ظهره وكان موته فى المحرم وصلى عليه ابنه الرشيد وبويع ابنه موسى الهادى لما بلغه موت أبيه وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان وكان الرشيد لما توفى المهدى والعسكر بماسبذان نادى فى الناس بالعطاء تسكينا وقسم فيهم مائتين مائتين فلما استوفوها تنادوا بالرجوع الى بغداد وتشايعوا اليها واستيقنوا موت المهدى فأتوا باب الربيع وأحرقوه وطالبوا بالارزاق ونقبوا السجون وقدم الرشيد بغداد فى اثرهم فبعثت الخيزران الى الربيع فامتنع يحيى خوفا من غيرة الهادى وأمرت الربيع بتسكين الجند فسكنوا وكتب الهادى الى الربيع يتهدده فاستشار يحيى فى أمره وكان يثق بوده فأشار عليه بأن يبعث ابنه الفضل يعتذر عنه وتصحبه الهدايا والتحف ففعل ورضى الهادى عنه وأخذت البيعة ببغداد للهادى وكتب الرشيد بذلك الى الآفاق وبعث الى الهادى بجرجان فركب البريد الى بغداد فقدمها فى عشرين يوما فاستوزر الربيع وهلك لمدة قليلة من وزارته واشتد الهادى فى طلب الزنادقة وقتلهم وكان منهم على بن يعطى ويعقوب بن الفضل من ولد ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب كان قد أقر بالزندقة عند المهدى الا أنه كان مقسما أن لا يقتل هاشميا فحبسه وأوصى الهادى بقتله وبقتل ولد عمهم داود بن على فقتلهما *(وأما عماله) فكان على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب وعلى مكة والطائف عبد الله بن قثم وعلى اليمن ابراهيم بن مسلم بن قتيبة وعلى اليمامة والبحرين سويد القائد الخراسانى وعلى عمان الحسن بن سليم الحوارى وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى وعلى البصرة ابن سليمان وعلى جرجان الحجاج مولى الهادى وعلى قومس زياد بن حسان وعلى طبرستان والرويان صالح بن عميرة مولى وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد وعزله الهادى لسوء سيرته وولى مكانه عبد الملك وصالح بن على (وأما الصائفة) فغزا بها فى هذه السنة وهى سنة تسع وستين معيوب ابن يحيى وقد كان الروم خرجوا مع بطريق لهم الى الحرث فهرب الوالى ودخلها الروم

وعاثوا فيها فدخل معيوب وراءهم من درب الراهب وبلغ مدينة اشنة وغنم وسبى وعاد

(ظهور الحسين المقتول بفخ)

وهو الحسين بن على بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط كان الهادى قد استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز كما مر فأخذ يوما الحسن بن المهدى بن محمد ابن عبد الله بن الحسين الملقب أبا الزفت ومسلم بن جندب الهذلى الشاعر وعمر بن سلام مولى العمريين على شراب لهم فضربهم وطيف بهم بالمدينة بالحبال فى أعناقهم وجاء الحسين اليه فشفع فيهم وقال ليس عليهم حد فان أهل العراق لا يرون به بأسا وليس من الحد أن نطيفهم فحبسهم ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يحيى بن عبد الله بن الحسن صاحب الديلم بعد ذلك فكفلاه وأطلقه من الحبس ومازال آل أبى طالب يكفل بعضهم بعضا ويعرضون فغاب الحسن عن العرض يومين فطلب به الحسين بن على ويحيى بن عبد الله كافليه وأغلظ لهما فحلف يحيى انه يأتى به من ليلته أو يدق عليه الباب يؤذنه به وكان بين الطالبيين ميعاد للخروج فى الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم وضرب يحيى على العمرى فى باب داره بالسيف واقتحموا المسجد فصلوا الصبح وبايع الناس الحسين المرتضى من آل محمد على كتاب الله وسنة رسوله وجاء خالد البزبدى فى مائتين من الجند والعمرى وابن اسحق الازرق ومحمد بن واقد فى ناس كثيرين فقاتلوهم وهزموهم من المسجد واجتمع يحيى وادريس بن عبد الله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقون وافترق الناس وأغلق أهل المدينة أبوابهم وانتهب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعين ألفا واجتمعت شيعة بنى العباس من الغد وقاتلوهم الى الظهر وفشت الجراحات وافترقوا ثم قدم مبارك التركى من الغد حاجا فقاتل مع العباسية الى منتصف النهار وافترقوا وواعدهم مبارك الرواح الى القتال واستغفلهم وركب رواحله راجعا واقتتل الناس المغرب ثم افترقوا ويقال ان مباركا دس الى الحسين بذلك تجافيا عن أذية أهل البيت وطلب أن يأخذه عذرا فى ذلك بالبيات فبيته الحسين واستطرد له راجعا وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة احدا وعشرين يوما آخر ذى القعدة ولما بلغها نادى فى الناس بعتق من أتى من العبيد فاجتمع اليه جماعة وكان قد حج تلك السنة رجال من بنى العباس منهم سليمان ابن المنصور ومحمد بن سليمان بن على والعباس بن محمد بن على وموسى واسمعيل أبناء عيسى بن موسى ولما بلغ خبر الحسين الى الهادى كتب الى محمد بن سليمان وولاه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذبهم عن البصرة خوف الطريق فاجتمعوا بذى طوى وقدموا مكة فحلوا من العمرة التى كانوا أحرموا بها وانضم اليهم من حج

من شيعتهم ومواليهم وقوادهم واقتتلوا يوم التروية فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كثير منهم وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه الى مكة ولحقهم بذى طوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادى من خلفهم بالبشارة حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروبا على قفاه وجبهته وجمعت رؤس القتلى فكانت مائة ونيفا وفيها رأس سليمان أخى المهدى ابن عبد الله واختلط المنهزمون بالحاج وجاء الحسن بن المهدى أبو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى بن عيسى وقتله وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهادى لغضبه وقبض أمواله وغضب على مبارك التركى وجعله سائس الدواب فبقى كذلك حتى مات الهادى وأفلت من المنهزمين ادريس بن عبد الله أخو المهدى فأتى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع لآل على فحمله على البريد الى المغرب ووقع بمدينة وايلة من أعمال طنجة واجتمع البربر على دعوته وقتل الهادى واضحا بذلك وصلبه وكان لادريس وابنه ادريس وأعقابهم حروب نذكرها بعده

(حديث الهادى فى خلع الرشيد)

كان الهادى يبغض الرشيد بما كان المهدى أبوهما يؤثره وكان رأى فى منامه انه دفع اليهما قضيبين فأورق قضيب الهادى من أعلاه وأورق قضيب الرشيد كله وتأول ذلك بقصر مدة الهادى وطول مدة الرشيد وحسنها فلما ولى الهادى أجمع خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه وفاوض فى ذلك قواده فأجابه يزيد بن مزيد وعلى بن عيسى وعبد الله بن مالك وحرضوا الشيعة على الرشيد لينتقصوه ويقولوا لا نرضى به ونهى الهادى أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس وكان يحيى بن خالد يتولى أموره فاتهمه الهادى بمداخلته وبعث اليه وتهدده فحضر عنده مستميتا وقال يا أمير المؤمنين أنت أمرتنى بخدمته من بعد المهدى فسكن غضبه وقال له فى أمر الخلع فقال يا أمير المؤمنين أنت ان حملت الناس على نكث الايمان فيه هانت عليهم فيمن توليه وان بايعت بعده كان ذلك أوثق للبيعة فصدقه وسكت عنه وعاد أولئك الذين جعلوه من القواد والشيعة فأغروه بيحيى وانه الذى منع الرشيد من خلع نفسه فحبسه الهادى فطلب الحضور للنصيحة وقال له يا أمير المؤمنين أتظن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو صبى ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم وتأمن أن يسموا اليها عند ذلك أكابر أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك والله لو لم يعقده المهدى لكان ينبغى أن تعقده أنت له حذرا من ذلك وانى أرى أن تعقده لاخيك فاذا بلغ ابنك أتيتك بأخيك فخلع نفسه وبايع له فقبل الهادى قوله وأطلقه ولم يقنع القواد ذلك لانهم كانوا حذرين

من الرشيد فى ذلك وضيق عليه واستأذنه فى الصيد فمضى الى قصر مقاتل ونكره الهادى وأظهر خفاءه وبسط الموالى والقواد فيه ألسنتهم

(وفاة الهادى وبيعة الرشيد)

ثم خرج الهادى الى حديثة الموصل فمرض واشتد مرضه هنالك واستقدم العمال شرقا وغربا ولما ثقل تآمر القواد الذين بايعوا جعفرا فى قتل يحيى بن خالد ثم أمسكوا خوفا من الهادى ثم توفى الهادى فى شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة وقيل توفى بعد أن عاد من حديثة الموصل ويقال ان أمه الخيزران وصت بعض الجوارى عليه فقتلته لانها كانت أول خلافته تستبد عليه بالامور فكف الناس واختلفت المواكب ووجد الهادى لذلك فكلمته يوما فى حاجة فلم يجبها فقالت قد ضمنتها لعبد الله بن مالك فغضب الهادى وشتمه وحلف لاقضيتها فقامت مغضبة فقال مكانك والا انتفيت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى أن أحدا من قوادى وخاصتى وقف ببابك لأضربن عنقه ولأقبضن ماله ما للمواكب تغدو وتروح عليك أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك اياك لا تفتحى بابك لمسلم ولا ذمى فانصرفت وهى لا تعقل ثم قال لاصحابه أيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه ويقال فعلت أم فلان وصنعت فقالوا لا نحب ذلك قال فما بالكم تأتون أمى فتتحدثون معها فيقال انه لما جد فى خلع الرشيد خافت عليه منه فلما ثقل مرضه وصت بعض الجوارى فجلست على وجهه فمات وصلى عليه الرشيد وجاء هرثمة بن أعين الى الرشيد فأخرجه وأجلسه للخلافة وأحضر يحيى فاستوزره وكتب الى الاطراف بالبيعة وقيل ان يحيى هو الذى جاء وأخرجه فصلى على الهادى ودفنه   الى يحيى وأعطاه خاتمه وكان يحيى يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد وعزل لاول خلافته عمر بن عبد العزيز العمرى عن المدينة وولى مكانه اسحق بن سليمان وتوفى يزيد بن حاتم عامل افريقية فولى مكانه روح بن حاتم ثم توفى فولى مكانه ابنه الفضل ثم قتل فولى هرثمة بن أعين كما نذكر فى أخبار افريقية وأفرد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها عمالة واحدة وسماها العواصم وأمر بعمارة طرسوس ونزلها الناس وحج لاول خلافته وقسم فى الحرمين مالا كثيرا وأغزى بالصائفة سليمان بن عبد الله البكائى وكان على مكة والطائف عبد الله ابن قثم وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البحرين والبصرة واليمامة وعمان والاهواز وفارس محمد بن سليمان بن على وعلى خراسان أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسى ثم عزله وولى مكانه جعفر بن محمد بن الاشعث فسار الى خراسان وبعث ابنه العباس الى كابل فافتتحها وافتتح سابهار وغنم ما كان فيها ثم استقدمه الرشيد فعزله وولى مكانه

بياض بالاصل

ابنه العباس وكان على الموصل عبد الملك بن صالح فعزله وولى مكانه اسحق بن محمد بن فروح فبعث اليه الرشيد أباحنيفة حرب بن قيس فأحضره الى بغداد وقتله وولى مكانه   وكان على ارمينية يزيد بن مزيد بن زائدة ابن أخى معن فعزله وولى مكانه أخاه عبد الله بن المهدى وولى سنة احدى وسبعين على صدقات بنى تغلب روح بن صالح الهمدانى فوقع بينه وبين تغلب خلاف وجمع لهم الجموع فبيتوه وقتلوه فى جماعة من أصحابه وتوفى سنة ثلاث وسبعين محمد بن سليمان والى البصرة وكان أخوه جعفر كثير السعاية فيه عند الرشيد وانه يحدث نفسه بالخلافة وان أمواله كلها فىء من أموال المسلمين فاستصفاها الرشيد وبعث من قبضها وكان لا يعبر عنها من المال والمتاع والدواب وأحضروا من العين فيها ستين ألف ألف دينار ولم يكن الا أخوه جعفر فاحتج عليه الرشيد باقراره انها فىء وتوفى سنة أربع وسبعين والى الرشيد اسحق بن سليمان على السند ومكران واستقضى يوسف بن أبى يوسف فى حياة أبيه وفى سنة خمس وسبعين عقد لابنه محمد بن زبيدة ولاية العهد ولقبه الامين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين بسعاية خاله عيسى بن جعفر بن المنصور ووساطة الفضل بن يحيى وفيها عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان وولاها خاله الغطريف بن عطاء الكندى

(خبر يحيى بن عبد الله فى الديلم)

وفى سنة خمس وسبعين خرج يحيى بن عبد الله بن حسن أخو المهدى بالديلم واشتدت شوكته وكثر جمعه وأتاه الناس من الامصار فندب اليه الرشيد الفضل بن يحيى فى خمسين ألفا وولاه جرجان وطبرستان والرى وما اليها ووصل معه الاموال فسار ونزل بالطالقان وكاتب يحيى وحذره وبسط أمله وكتب الى صاحب الديلم فى تسهيل أمر يحيى على أن يعطيه ألف ألف درهم فأجاب يحيى على الامان بخط الرشيد وشهادة الفقهاء والقضاة وأجلة بنى هاشم ومشايخهم عن عبد الصمد منهم فكتب له الرشيد بذلك وبعثه مع الهدايا والتحف وقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأفاض عليه العطاء وعظمت منزلة الفضل عنده ثم ان الرشيد حبس يحيى الى أن هلك فى حبسه

(ولاية جعفر بن يحيى مصر)

كان موسى بن موسى قد ولاه الرشيد مصر فبلغه أنه عازم على الخلع فرد أمرها الى جعفر ابن يحيى وأمره باحضار عمر بن مهران وأن يوليه عليها وكان   مشوه الخلق خامل البزة يردف غلامه خلفه فلما ذكرت له الولاية قال على شريطة أن يكون أمرى بيدى اذا أصلحت البلاد انصرفت فأجابه الى ذلك وسار الى مصر وأتى مجلس موسى فجلس فى أخريات الناس حتى اذا افترقوا رفع الكتاب الى موسى فقرأه وقال

متى يقدم أبو حفص فقال انا أبو حفص فقال موسى لعن الله فرعون حيث قال أليس لى ملك مصر ثم سلم له العمل فتقدم عمر الى كاتبه أن لا يقبل من الهدية الا ما يدخل فى الكيس فبعث الناس بهداياهم وكانوا يمطلون بالخراج فلما حضر النجم الاول والثانى وشكوا الضيق فى الثالث احضر الهدايا وحسبها لاربابها واستوفى خراج مصر ورجع الى بغداد

(الفتنة بدمشق)

وفى هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية ورأس المضرية أبو الهيدام عامر بن عمارة من ولد خارجة بن سنان بن أبى حارثة المرى وكان أصل الفتنة بين القيس وبين اليمانية أن اليمانية قتلوا منهم رجلا فاجتمعوا للثأر وكان على دمشق عبد الصمد بن على فجمع كبار العشائر ليصلحوا بينهم فأمهلتهم اليمانية وبيتوا المضرية فقتلوا منهم ثلثمائة أو ضعفها فاستجاشوا بقبائل قضاعة وسليم فلم ينجدوهم وأنجدتهم قيس وساروا معهم الى البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وطال الحرب بينهم وعزل عبد الصمد عن دمشق وولى مكانه ابراهيم بن صالح بن على ثم اصطلحوا بعد سنين ووفد ابراهيم على الرشيد وكان هواه مع اليمانية فوقع فى قيس عند الرشيد واعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر واستخلف ابراهيم على دمشق ابنه اسحق فحبس جماعة من قيس وضربهم ثم وثبت غسان برجل من ولد قيس بن العبسى فقتلوه واستنجد أخوه بالدواقيل من حوران فأنجدوه وقتلوا من اليمانية نفرا ثم وثبت اليمانية بكليب بن عمر بن الجنيد بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوهم فجاءت أم الغلام سابة الى أبى الهيدام فقال انظرينى حتى ترفع دماؤنا الى الامير فان نظر فيها والا فأمير المؤمنين ينظر فيها وبلغ ذلك اسحق وحضر عنده أبو الهيدام فلم يأذن له ثم قتل بعض الدواقيل رجلا من اليمانية وقتلت اليمانية رجلا من سليم ونهبوا جيران محارب وركب أبو الهيدام معهم الى اسحق فوعده بالنظر لهم وبعث الى اليمانية يغريهم به فاجتمعوا وأتوا الى باب الجابية فخرج اليهم أبو الهيدام وهزمهم واستولى على دمشق وفتق السجون ثم اجتمعت اليمانية واستنجدوا كلبا وغيرهم فاستمدوهم واستجاش أبو الهيدام المضرية فجاؤه وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فهزمهم أربع مرات ثم أمره اسحق بالكف وبعث الى اليمانية يخبرهم بغرته وجاء الخبر وركب وقاتلهم فهزمهم ثم هزمهم أخرى على باب توما ثم جمعت اليمانية أهل الاردن والجولان من كلب وغيرهم فأرسل من يأتيه بالخبر فأبطؤا ودخل المدينة فأرسل اسحق من دلهم على مكمنه وأمرهم بالعبور الى المدينة فبعث من أصحابه من يأتيهم من ورائهم فانهزموا   ولما كان مستهل صفر جمع اسحق الجنود عند قصر الحجاج وجاء

أصحاب الهيدام من أراد نهب القرى التي لهم بنواحي دمشق ثم سألوا الامان من أبي الهيدام فأمنهم وسكن الناس وفرّق أبو الهيدام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق فطمع فيه اسحق وسلط عليه العذافر السكسكي مع الجنود فقاتلهم فانهزم العذافر وبقي الجند يحاربونه ثلاثا ثم ان اسحق قاتله في الثالثة والجند في اثني عشر ألفا ومعهم اليمانية فخرج أبو الهيدام من المدينة وقاتلهم على باب الجابية حتى أزالهم عنه ثم أغار جمع من أهل حمص على قرية لابي الهيدام فقاتلهم أصحابه وهزموهم وقتلوا منهم خلقا وأحرقوا قرى ودبارا لليمانية في الغوطة ثم توادعوا سبعين يوما أو نحوها وقدم السندي في الجنود من قبل الرشيد وأغرته اليمانية بأبي الهيدام فبعث هو اليه بالطاعة فأقبل السندي الى دمشق واسحق بدار الحجاج وبعث قائده في ثلاثة آلاف وأخرج اليهم أبو الهيدام ألفا وأحجم القائد عنهم ورجع الى السندي فصالح أبا الهيدام وأمن أهل دمشق وسار أبو الهيدام الى حوران وأقام السندي بدمشق ثلاثا وقدم موسى بن عيسى واليا عليها فبعث الجند يأتونه بأبي الهيدام فكبسوا داره وقاتلهم هو وابنه وعبده فانهزموا وجاء أصحابه من كل جهة وقصد بصرى ثم بعث اليه موسى فسار اليه في رمضان سنة سبع وسبعين وقيل ان سبب الفتنة بدمشق أن عامل الرشيد بسجستان قتل أخا الهيدام فخرج هو بالشأم وجمع الجموع ثم بعث الرشيد أخاله ليأتيه به فتحيل حتى قبض عليه وشده وثاقا وأتى به الى الرشيد فمنّ عليه وأطلقه وبعث جعفر بن يحيي سنة ثمانين الى الشأم من أجل هذه الفتن والعصبية فسكن الثائرة وأمن البلاد وعاد

(فتنة الموصل ومصر)

وفي سنة سبع وثمانين تغلب العطاف بن سفيان الازدي على خراسان وأهل الموصل على العامل بها محمد بن العباس الهاشمي وقيل عبد الملك بن صالح فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج وبقي العامل معه مغلبا الى أن سار الرشيد الى الموصل وهدم سورها ولحق العطاف بأرمينية ثم بالرقم فاتخذها وطنا وفي سنة ثمان وسبعين ثارت الحوفية بمصر وهم من قيس وقضاعة على عاملها اسحق بن سليمان وقاتلوه وكتب الرشيد الى هرثمة بن أعين وكان بفلسطين فسار اليهم وأذعنوا بالطاعة وولي على مصر ثم عزله لشهر وولى عبد الملك بن صالح كان على خراسان أيام المهدي والهادي أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسي فعزله الرشيد وولي على خراسان جعفر بن محمد بن الاشعث الخزاعي فأبوه من النقباء من أهل مرو مقدم ابنه العباس سنة ثلاث وسبعين ثم قدم فغزا طخارستان وبعث ابنه العباس الى كابل في الجنود وافتتح سابهار ورجع الى مرو ثم سار الى العراق سنة ثلاث في رمضان وكان الامين في حجره قبل أن يجعله في حجر

الفضل

الفضل بن يحيي ثم ولي الرشيد ابنه العباس بن جعفر ثم عزله عنها فولي خالدا الغطريف بن عطاء الكندي سنة خمس وسبعين على خراسان وسجستان وجرجان فقدم خليفة داود ابن يزيد وبعث عامل سجستان وخرج في أيامه حصين الخارجي من موالي قيس بن ثعلبة من أهل أوق وبعث عامل سجستان عثمان بن عمارة الجيوش اليه فهزمهم حصين وقتل منهم وسار الى باذغيس وبوشنج وهراة فبعث اليه الغطريف اثني عشر ألفا من الجند فهزمهم حصين وقتل منهم خلقا ولم يزل في نواحي خراسان الى أن قتل سنة سبع وسبعين وسار الفضل الى خراسان سنة ثمان وسبعين وغزا ما وراء النهر سنة ثمانين ثم ولي الرشيد على خراسان علي بن عيسى بن ماهان وقدم اليه يحيي فأقام بها عشرين سنة وخرج عليه في ولايته حمزة بن أترك وقصد بوشنج وكان على هراة عمرويه ابن يزيد الازدي فنهض اليه في ستة آلاف فارس فهزمهم حمزة وقتل جماعة منهم ومات عمرويه في الزحام فبعث علي بن عيسى ابنه الحسن في عشرة آلاف ففض حربه فعزله وبعث ابنه الآخر عيسى فهزمه حمزة فأمده بالعساكر ورده فهزم حمزة وقتل أصحابه ونجا الى قهستان في أربعين وأثخن عيسى في الخوارج بارق وجوين وفيمن كان يعينهم من أهل القرى حتى قتل ثلاثين ألفا وخلف عبد الله بن العباس النسفي بزرنج فجبى الاموال وسار بها ومعه الصفة ولقيه حمزة فهزموه وقتلوا عامة أصحابه وسار حمزة في القرى فقتل وسبى وكان علي قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج فخرج الى حمزة وقصد قرية فقرّ الخوارج وهم الذين يرون التحكم ولا يقاتلون والمحكمة هم الذين يقاتلون وشعارهم لا حكم الا لله فكتب العقد الى حمزة بالكف وواعدهم ثم انتقض وعاث في البلاد وكانت بينه وبين أصحاب علي حروب كثيرة ثم ولي الرشيد سنة اثنتين وثمانين ابنه عبد الله العهد بعد الامين ولقبه المأمون وولاه على خراسان وما يتصل بها الى همذان واستقدم عيسى بن علي من خراسان وردها اليه من قبل المأمون وخرج عليه بنسا أبو الخصيب وهب بن عبد الله النسائي وعاث في نواحي خراسان ثم طلب الامان فأمنه ثم بلغه أن حمزة الخارجي عاث بنواحي باذغيس فقصده وقتل من أصحابه نحوا من عشرة آلاف وبلغ كل من وراء غزنة ثم غدر أبو الخصيب ثانية وغلب أبيورد ونسا وطوس ونيسابور وحاصر مرو وانهزم عنها وعاد الى سرخس ثم نهض اليه ابن ماهان سنة ست وثمانين فقتله في نسا وسبى أهله ثم نمي الى الرشيد سنة تسع وثمانين أن علي بن عيسى مجمع على الخلاف وانه قد أساء السيرة في خراسان وعنفهم وكتب اليه كبراء أهلها يشكون بذلك فسار الرشيد الى الري فأهدى له الهدايا الكثيرة والاموال ولجميع من معه من أهل بيته وولده وكتابه وقواده وتبين للرشيد من مناصحته خلاف

ما أنهى اليه فرده الى خراسان وولى على الرى وطبرستان ودنباوند وقومس وهمذان وبعث على ابنه عيسى لحرب خاقان سنة ثمان وثمانين فهزمه وأسر اخوته وانتقض على ابن عيسى رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند وطالت حروبه معه وهلك فى بعضها ابنه عيسى ثم ان الرشيد نقم على على بن عيسى أمورا منها استخفافه بالناس واهانته أعيانهم ودخل عليه يوما الحسين بن مصعب والد طاهر فأغلظ له فى القول وأفحش فى السب والتهديد وفعل مثل ذلك بهشام بن فأما الحسين فلحق بالرشيد شاكيا ومستجيرا وأما هشام فلزم بيته وادعى أنه بعلة الفالج حتى عزل على وكان مما نقم عليه أيضا أنه لما قتل ابنه عيسى فى حرب رافع بن الليث أخبر بعض جواريه انه دفن فى بستانه ببلخ ثلاثين ألف دينار وتحدث الجوارى بذلك فشاع فى الناس ودخلوا البستان ونهبوا المال وكان يشكو الى الرشيد بقلة المال ويزعم أنه باع حلى نسائه فلما سمع الرشيد هذا المال استدعى هرثمة بن أعين وقال له وليتك خراسان وكتب له بخطه وقال له اكتم أمرك وامض كأنك مدد وبعث معه رجاء الخادم فسار الى نيسابور وولى أصحابه فيها ثم سار الى مرو ولقيه على بن عيسى فقبض عليه وعلى أهله وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف وبعث الى الرشيد من المتاع وقر خمسمائة بعير وبعث اليه بعلى بن عيسى على بعير من غير غطاء ولا وطاء وخرج هرثمة الى ماوراء النهر وحاصر رافع بن الليث بسمرقند الى أن استأمن فأمنه وأقام هرثمة بسمرقند وكان قدم مرو سنة ثلاث وتسعين

(ايداع كتاب العهد)

وفى سنة ست وثمانين حج الرشيد وسار من الانبار ومعه أولاده الثلاثة محمد الامين وعبد الله المأمون والقاسم وكان قد ولى الامين العهد وولاه العراق والشأم الى آخر الغرب وولى المأمون العهد بعده وضم اليه من همذان الى آخر المشرق وبايع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه المؤتمن وجعل خلعه واثباته للمأمون وجعل فى حجر عبد الملك صالح وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم ومر بالمدينة فأعطاه فيها ثلاثة أعطية عطاء منه ومن الامين ومن المأمون فبلغ ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار ثم سار الى مكة فأعطى مثلها وأحضر الفقهاء والقضاة والقواد وكتب كتابا أشهد فيه على الامين بالوفاء للمأمون وآخر على المأمون بالوفاء للامين وعلق الكتابين فى الكعبة وجدد عليها العهود هنالك ولما شخص الى طبرستان سنة تسع وثمانين وأقام بها أشهد من حضره أن جميع ما فى عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع للمأمون وجدد له البيعة عليهم وأرسل الى بغداد فجدد له البيعة على الامين

(أخبار البرامكة ونكبتهم)

قد تقدم لنا أن خالد بن برمك كان من كبار الشيعة وكان له قدم راسخ فى الدولة وكان يلى الولايات العظام وولاه المنصور على الموصل وعلى أذربيجان وولى ابنه يحيى على أرمينية ووكله المهدى بكفالة الرشيد فأحسن تربيته ودفع عنه أخاه الهادى أراده على الخلع وتولية العهد ابنه وحبسه الهادى لذلك فلما ولى الرشيد استوزر يحيى وفوض اليه أمور ملكه وكان أولا يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد ثم استبد بالدولة ولما مات وكان بيتهم مشهورا بالرجال من العمومة والقرابة وكان بنوه جعفر والفضل ومحمد قد شابهوا آباءهم فى عمل الدولة واستولوا على حظ من تقريب السلطان واستخلاصه وكان الفضل أخاه من الرضاع أرضعت أمه الرشيد وأرضعته الخيزران وكان يخاطب يحيى يا أبت واستوزر الفضل وجعفرا وولى جعفرا على مصر وعلى خراسان وبعثه الى الشام عندما وقعت الفتنة بين المضرية واليمانية فسكن الامور ورجع وولى الفضل أيضا على مصر وعلى خراسان وبعثه لاستنزال يحيى بن عبد الله العلوى من الديلم ودفع المأمون لما ولاه العهد الى كفالة جعفر بن يحيى فحسنت آثارهم فى ذلك كله ثم عظم سلطانهم واستيلاؤهم على الدولة وكثرت السعاية فيهم وعظم حقد الرشيد على جعفر منهم يقال بسبب انه دفع اليه يحيى بن عبد الله لما استنزله أخوه الفضل من الديلم وجعل حبسه عنده فأطلقه استبدادا على السلطان ودالة وأنهى الفضل بن الربيع ذلك الى الرشيد فسأله فصدقه الخبر فأظهر له التصويب وحقدها عليه وكثرت السعاية فيهم فتنكر لهم الرشيد ودخل عليه يوما يحيى بن خالد بغير اذن فنكر ذلك منه وخاطب به طبيبه جبريل بن بختيشوع منصرفا به من مواجهته وكان حاضرا فقال يحيى هو عادتى يا أمير المؤمنين واذ قد نكرت منى فسأكون فى الطبقة التى تجعلنى فيها فاستحيى هرون وقال ما أردت ما يكره وكان الغلمان يقومون بباب الرشيد ليحيى اذا دخل فتقدم لهم مسرور الخادم بالنهى عن ذلك فصاروا يعرضون عنه اذا أقبل وأقاموا على ذلك زمانا فلما حج الرشيد سنة سبعة وثمانين ورجع من حجه ونزل الانبار أرسل مسرورا الخادم فى جماعة من الجند ليلا فأحضر جعفرا بباب الفسطاط وأعلم الرشيد فقال ائتنى برأسه فطفق جعفر يتذلل ويسأله المراجعة فى أمره حتى قذفه الرشيد بعصى كانت فى يده وتهدده فخرج وأتاه برأسه وحبس الفضل من ليلته وبعث من احتاط على منازل يحيى وولده وجميع موجودهم وحبسه فى منزله وكتب من ليلته الى سائر النواحى بقبض أموالهم ورقيقهم وبعث من الغد بشلو جعفر وأمر أن يقسم قطعتين وينصبان على الجسر وأعفى محمد بن خالد من النكبة ولم يضيق على يحيى ولا بنيه الفضل

ومحمد وموسى ثم تجردت عنه التهمة بعبد الملك بن صالح بن علي وكانوا أصدقاءه فسعى فيه ابنه عبد الرحمن بأنه يطلب الخلافة فحبسه عند الفضل بن الربيع ثم أحضره من الغداة وقرعه ووبخه فأنكر وحلف واعترف لحقوق الرشيد وسلفه عليه فأحضر كاتبه شاهدا عليه فكذبه عبد الملك فأحضر ابنه عبد الرحمن فقال هو مأمور معذور او عاق فاجر فنهض الرشيد من مجلسه وهو يقول سأصبر حتى أعلم ما يرضى الله فيك فانه الحكم بيني وبينك فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبأمير المؤمنين حاكما فانه لا يؤثر هواه على رضا ربه ثم أحضره الرشيد يوما آخر فأرعد له وأبرق وجعل عبد الملك يعدد وسائله ومقاماته في طاعته ومناصحته فقال له الرشيد لولا ابقائي على بني هاشم لقتلتك ورده الى محبسه وكلمه عبد الله بن مالك فيه وشهد له بنصحه فقال أطلقه اذا قال أما في هذا القرب فلا ولكن سهل حبسه ففعل وأجرى عليه مؤنه حتى مات الرشيد وأطلقه الامين وعظم حقده على البرامكة بسبب ذلك فضيق عليهم وبعث الى يحيى يلومه فيما استتر عنه من أمر عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين كيف يطلعني عبد الملك على ذلك وأنا كنت صاحب الدولة وهل اذا فعلت ذلك يجازيني بأكثر من فعلك أعيذك بالله ان تظن هذا الظن الا أنه كان رجلا متجملا يسرني أن يكون في بيتك مثله فوليته ولا خصصته فعاد اليه الرسول يقول ان لم تقر قتلت الفضل ابنك فقال أنت مسلط علينا فافعل ما أردت وجذب الرسول الفضل وأخرجه فودع أباه وسأله في الرضا عنه فقال رضي الله عنك وفرق بينهما ثلاثة أيام ولم يجد عندهما شيأ فجمعهما واحتفظ ابراهيم بن عثمان بن نهيك لقتل جعفر فكان يبكيه ويبكي قومه حزنا عليهم ثم انتهى به الى طلب الثار بهم فكان يشرب النبيذ مع جواريه ويأخذ سيفه وينادي واجعفراه واسيداه والله لأثأرن بك ولأقتلن قاتلك فجاء ابنه وحفص كان مولاه الى الرشيد فأطلعاه على أمره فأحضر ابراهيم وأظهر له الندم على قتله جعفرا والاسف عليه فبكى ابراهيم وقال والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله فانتهره الرشيد وأقامه ثم دخل عليه ابنه بعد ليال قلائل فقتله بقال بأمر الرشيد وكان يحيى بن خالد محبوسا بالكوفة ولم يزل بها كذلك الى أن مات سنة تسعين ومائة ومات بعده ابنه الفضل سنة ثلاث وتسعين وكانت البرامكة من محاسن العالم ودولتهم من أعظم الدول وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتها

(الصوائف وفتوحاتها)

كان الرشيد على مانقله الطبري وغيره يغزو عاما ويحج عاما ويصلي كل يوم مائة ركعة ويتصدق بألف درهم واذا حج حمل معه مائة من الفقهاء ينفق عليهم واذا لم يحج أنفق على ثلثمائة حاج نفقة شائعة وكان يتحدى بآثار المنصور الا في بذل المال فلم ير خليفة

قبله أبذل منه للمال وكان اذا لم يغز غزا بالصائفة كبار أهل بيته وقواده فغزا بالصائفة سنة سبعين سليمان بن عبد الله البكائي وقيل غزا بنفسه وغزا بالصائفة سنة اثنتين وسبعين اسحق بن سليمان بن علي فأثخن في بلاد الروم وغنم وسبى وغزا في سنة أربع وسبعين بالصائفة عبد الملك بن صالح وقيل أبوه عبد الملك فبلغ في نكاية الروم ماشاء وأصابهم برد شديد سقطت منه أيدي الجند ثم غزا بالصائفة سنة سبع وسبعين عبد الرزاق بن عبد الحميد الثعلبي وفي سنة ثمان وسبعين زفر بن عاصم وغزا سنة احدى وثمانين بنفسه فافتتح حصن الصفصاف وأغزى عبد الملك بن صالح فبلغ أنقرة وافتتح مطمورة وكان الفداء بين المسلمين والروم وهو أول فداء في دولة بني العباس وتولاه القاسم بن الرشيد وأخرج له من طرسوس الخادم الوالي عليها وهو أبو سليمان فرج فنزل المدامس على اثني عشر فرسخا وحضر العلماء والاعيان وخلق من أهل الثغور وثلاثون ألفا من الجند المرتزقة فحضروا هنالك وجاء الروم بالاسرى ففودي بهم من كان لهم من الاسرى وكان أسرى المسلمين ثلاثة آلاف وسبعمائة وغزا بالصائفة سنة ثنتين وثمانين عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح دفسوس مدينة أصحاب الكهف وبلغهم أن الروم سملوا ملكهم قسطنطين بن اليون وملكوا أمه ريني وتلقب عطشة فأثخنوا في البلاد ورجعوا وفي سنة ثلاث وثمانين حملت ابنة خاقان ملك الخزر الى الفضل ابن يحيى فماتت ببردعة ورجع من كان معها فأخبروا أباها انها قتلت غيلة فتجهز الى بلاد الاسلام وخرج من باب الابواب وسبى أكثر من مائة ألف فارس وفعلوا مالم يسمع بمثله فولى الرشيد يزيد بن مزيد أمر أرمينية مضافة الى أذربيجان وأمره بالنهوض اليهم وأنزل خزيمة بن خازم بنصيبين ردأ لهم وقيل ان سبب خروجهم ان سعيد بن مسلم قتل الهيجم السلمي فدخل ابنه الى الخزر مستجيشا بهم على سعيد ودخلوا أرمينية وهرب سعيد والخزر ورجعوا وفي سنة سبع وثمانين غزا بالصائفة القاسم بن الرشيد وجعله قربانا لله وولاه العواصم فأناخ على قرة وضيق عليها وبعث عليها ابن جعفر بن الاشعث فحاصر حصن سنان حتى جهد أهله وفادى الروم بثلثمائة وعشرين أسيرا من المسلمين على أن يرحل عنهم فأجابهم وتم بينهم الصلح ورحل عنهم وكان ملك الروم يومئذ ابن زيني وقد تقدم ذكره فخلعه الروم وملكوا نقفور وكان على ديوان خراجهم ومات زيني بعد خمسة أشهر ولما ملك نقفور كتب الى الرشيد بما استفزه فسار الى بلاد الروم غازيا ونزل هرقل وأثخن في بلادهم حتى سأل نقفور الصلح ثم نقض العهد وكان البرد شديد الكلب وظن نقفور ان ذلك يمنعه من الرجوع فلم يمنعه ورجع حتى أثخن في بلاده ثم خرج من أرضهم وغزا بالصائفة سنة ثمان

وثمانين ابراهيم بن جبريل ودخل من درب الصفصاف فخرج اليه يقفور ملك الروم وانهزم وقتل من عسكره نحوا من أربعين ألفا وفى هذه السنة رابط القاسم بن الرشيد ابق وفى سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالرى كتب الامان لشروين أبي قارن ونداهرمز جد مازيار مرزبان خستان صاحب الديلم وبعث بالكتب مع حسين الخادم الى طبرستان فقدم خستان وونداهرمز فأكرمهما الرشيد وأحسن اليهما وضمن ونداهرمز وشروين صاحبي طبرستان وذكرا كيف توجه الهادى لهما وحاصرهما وفى سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم الافودى وفى سنة تسعين سار الرشيد الى بلاد الروم بسبب ما قدمناه من غدر يقفور فى مائة وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة ومن ليس له ذكر فى الديوان واستخلف المأمون بالرقة وفوض اليه الامور وكتب الى الآفاق بذلك فنزل على هرقل فحاصرها ثلاثين يوما وافتتحها وسبى أهلها وغنم ما فيها وبعث داود بن عيسى بن موسى فى سبعين ألفا غازيا فى أرضهم ففتح الله عليه وخرب ونهب ما شاء وفتح شراحيل بن معن ابن زائدة حصن الصقالبة وديسة وافتتح يزيد بن مخلد حصن الصفصاف وقونية وأناخ عبد الله بن مالك على حصن ذى الكلاع واستعمل الرشيد حميد بن معيوب على الاساطيل ممن بسواحل الشأم ومصر الى قبرس فهزم وخرق وسبى من أهلها نحوا من سبعة عشر ألفا وجاء بهم الى الواقعة فبايعوا بها وبلغ فداء أسقف قبرس ألفى دينار ثم سار الرشيد الى حلوانة فنزل بها وحاصرها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وبعث يقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير وعن ابنه دينارين وعن بطارقته كذلك وبعث يقفور فى جارية من بنى هرقلة وكان خطبها ابنه فبعث بها اليه ونقض فى هذه السنة قبرس فغزاهم معيوب بن يحيى فأثخن فيهم وسباهم ولما رجع الرشيد من غزاته خرجت الروم الى عين زربة والكنيسة السوداء وأغاروا ورجعوا فاستنقذ أهل المصيصة ما حملوه من الغنائم وفيها اغزا يزيد بن مخلد الهبيرى أرض الروم فى عشرة آلاف فأخذت الروم عليه المضايق فانهزم وقتل فى خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس واستعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين قبل أن يوليه خراسان وضم اليه ثلاثين ألفا من أهل خراسان وأخرجه الى الصائفة وسار بالعساكر الاسلامية فى اثره ورتب بدرب الحرث عبد الله بن مالك وبمرعش سعيد ابن مسلم بن قتيبة وأغارت الروم عليه فأصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك من مكانه وبعث الرشيد محمد بن زيد بن مزيد الى طرسوس وأقام هو بدرب الحرث وأمر قواده بهدم الكنائس فى جميع الثغور وأخذ أهل الذمة بمخالفة زى المسلمين فى ملبوسهم

وامر

وأمر هرثمة ببناء طرسوس وتولى ذلك فرج الخادم بأمر الرشيد وبعث اليها جندا من خراسان ثلاثة أيام وأشخص اليهم ألفا من أهل المصيصة وألفا من انطاكية فتم بناؤها سنة ثنتين وتسعين وفى هذه السنة تحركت الخرمية بناحية أذربيجان فبعث اليهم عبد الله بن مالك فى عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر بقرماسين فأمره بقتل الاسرى وبيع السبى وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن مالك الخزاعى فافتتح مطمورة وكان الفداء على يديه بالبرذون ثم كان الفداء الثانى وكان عدة أسرى المسلمين فيه ألفين وخمسمائة

(الولاية على النواحى)

كان على افريقية مزيد بن حاتم كما قدمناه ومات سنة احدى وسبعين بعد أن استخلف ابنه داود فبعث الرشيد على افريقية أخاه روح بن حاتم فاستقدمه من فلسطين وبعثه الى افريقية وعزل أباهريرة محمد بن فروج عن الجزيرة وقتله وولى مكانه وفى سنة ست وسبعين ولى الرشيد على الموصل الحكم بن سليمان وقد كان خرج الفضل الخارجى بنواحى نصيبين وغنم وسار الى دارياو آمد وارزن وخلاط فقفل لذلك ورجع الى نصيبين فأتى الموصل وخرج اليه الفضل فى عساكرها فهزمهم على الزاب ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه وفى سنة ست وسبعين مات روح بن حاتم بافريقية واستخلف حبيب بن نصر المهلبى فسار الفضل الى الرشيد فولاه على افريقية وعاد اليها فاضطرب عليه الخراسانية من جند افريقية ولم يرضوه فولى مكانه هرثمة بن أعين وبعث فى العساكر فسكن الاضطراب ورأى ما بافريقية من الاختلاف فاستعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه وقدم الى العراق بعد سنتين ونصف من مغيبه وفى هذه ولى الفضل بن يحيى على مصر مكان أخيه جعفر مضافا الى ما بيده من الرى وسجستان وغيرهما ثم عزله عن مصر وولى عليها اسحق بن سليمان فثارت به الحوفية من مصر وهم جموع من قيس وقضاعة فأمده بهرثمة بن أعين فأذعنوا وولاه عليهم شهرا ثم عزله وولى عبد الملك بن صالح مكانه وفيها فوض أمر دولته الى يحيى بن خالد وفى سنة ثمانين بعث جعفر بن يحيى الى الشأم فى القواد والعساكر ومعه السلاح والاموال والعصبية التى كانت بها فسكنت الفتنة ورجع فولاه خراسان وسجستان فاستعمل عليها عيسى بن جعفر وولى جعفر بن يحيى الحرس وقدم هرثمة بن أعين من افريقية فاستخلفه جعفر على الحرس وعزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان وولاها عبد الله بن حازم وولى على الجزيرة سعيد بن مسلم وولى على الموصل يحيى بن سعد الحريشى فأساء السيرة وطالبهم بخراج سنين ماضية فانجلا أكثر أهل البلد وعزله الرشيد وولى عليها وفى سنة

احدى وثمانين ولى على افريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكى وكان أبوه من قواد الشيعة ومحمد رضيع الرشيد وتلاده فلما استعفى هرثمة ولاه مكانه واضطربت عليه افريقية وكان ابراهيم بن الاغلب بها واليا على الزاب وكان جند افريقية يرجعون اليه فأعانه وحمل الناس على طاعته بعد أن أخرجوه فكرهوا ولاية محمد بن مقاتل وحملوا ابراهيم بن الاغلب على أن كتب الى الرشيد يطلب ولاية افريقية على أن يترك المائة ألف دينار التى كانت تحمل من مصر معونة الى والى افريقية ويحمل هو كل سنة أربعين ألف دينار فاستشار الرشيد بطانته فأشار هرثمة بابراهيم بن الاغلب وولاه الرشيد فى محرم سنة أربعة وثمانين فضبط الامور وقبض على المؤمنين وبعث بهم الى الرشيد فسكنت البلاد وابتنى مدينة بقرب القيروان سماها العباسية وانتقل اليها بأهله وخاصته وحشمه وصار ملك افريقية فى عقبه كما نذكر فى أخبارها الى أن غلبهم عليها الشيعة العبيديون وكان يزيد بن مزيد على أذربيجان فولاه الرشيد سنة ثمان وثمانين على أرمينية مضافة اليها وولى خزيمة بن خازم على نصيبين وولى الرشيد سنة أربع وثمانين على اليمن ومكة حمادا البربرى وعلى السند داود بن يزيد بن حاتم وعلى الجبل يحيى الحريشى وعلى طبرستان مهرويه الرازى وقتله أهل طبرستان سنة خمس وثمانين فولى مكانه عبد الله بن سعيد الحريشى وفيها توفى يزيد بن زائدة الشيبانى ببردعة وكان على أذربيجان وأرمينية فولى مكانه ابنه أسد بن يزيد بن حاتم وفى سنة تسع وثمانين سار الرشيد الى الرى وولى على طبرستان والرى ودنباوند وقومس وهمذان عبد الملك بن مالك وفى سنة تسعين ولى على الموصل خالد بن يزيد بن حاتم وقد تقدم لنا ولاية هرثمة على سليمان ونكبة على بن عيسى فى سنة احدى وتسعين ظفر حماد البربرى بهيصم اليمانى وجاء به الى الرشيد فقتله وولى فى هذه السنة على الموصل محمد بن الفضل ابن سليمان وكان على مكة الفضل بن العباس أخى المنصور والسفاح

(خلع رافع بن الليث بما وراء النهر)

كان رافع بن نصر بن سيار من عظماء الجند فيما وراء النهر وكان يحيى بن الاشعث قد تزوج ببعض النساء المشهورات بالجمال وتسرى عليها وأكثر ضرارها وتشوقت الى التخلص منه فدس اليها رافع بن الليث بأن تحاول من يشهد عليها بالكفر لتخلص منه وتحل للازواج ثم ترجع وتتوب فكان وتزوجها وشكا يحيى بن الاشعث الى الرشيد وأطلعه على جلّ الامر فكتب الى على بن عيسى أن يفرق بينهما ويقيم الحد على رافع ويطوف به فى سمرقند مقيدا على حمار ليكون عظة لغيره ففعل ذلك ولم يحده رافع وحبس بسمرقند فهرب من الحبس ولحق بعلى بن عيسى فى بلخ فهمّ بضرب عنقه فشفع

فيه ابنه عيسى فأمره بالانصراف الى سمرقند فرجع اليها ووثب بعاملها فقتله وملكها وذلك سنة تسعين فبعث على لحربه ابنه عيسى فلقيه رافع وهزمه وقتله فخرج على بن عيسى لقتاله وسار من بلخ الى مرو ومخافة عليها من رافع بن الليث ثم كانت نكبة على بن عيسى وولاية هرثمة بن أعين على خراسان وكان مع رافع بن الليث جماعة من القواد ففارقوه الى هرثمة منهم عجيف بن عنبسة وغيره وحاصر هرثمة رافع بن الليث فى سمرقند وضايقه واستقدم طاهر بن الحسين من خراسان فحضر عنده وعاث حمزة الخارجى فى نواحى خراسان لخلائها من الجند وحمل اليه عمال هراة وسجستان الاموال ثم خرج عبد الرحمن الى نيسابور سنة أربع وتسعين وجمع نحوا من عشرين ألفا وسار الى حمزة فهزمه وقتل من أصحابه خلقا وأتبعه الى هراة حتى كتب المأمون اليه ورده عن ذلك وكانت سنة ثلاث وتسعين بين هرثمة وبين أصحاب رافع وقعة كان الظفر فيها لهرثمة وأسر بشرا أخا رافع وبعث به الى الرشيد وافتتح بخارى وكان الرشيد قد سار من الرقة بعد مرجعه من الصائفة التى بنى فيها طرسوس على اعتزام خراسان لشأن رافع وكان قد أصابه المرض فاستخلف على الرقة ابنه القاسم وضمّ اليه خزيمة ابن خازم وجاء الى بغداد ثم سار منها الى خراسان فى شعبان سنة ثنتين وتسعين واستخلف عليها ابنه الامين وأمر المأمون بالمقام معه فأشار عليه الفضل بن سهل بأن يطلب المسير مع الرشيد وحذره البقاء مع الامين فأسعفه الرشيد بذلك وسار معه

(وفاة الرشيد وبيعة الامين)

ولما سار الرشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان فى صفر سنة ثلاث وتسعين وقد اشتدت علته فبعث ابنه المأمون الى مرو ومعه جماعة من القواد عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن خزيمة والعباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث والسندى والحريشى ونعيم بن خازم ثم سار الرشيد الى طوس واشتد به الوجع وضعف عن الحركة وثقل فأرجف الناس بموته وبلغه ذلك فأراد الركوب ليراه الناس فلم يطق النهوض فقال ردونى ووصل اليه وهو بطوس بشير أخو رافع أسيرا بعث به هرثمة بن أعين فأحضره وقال لو لم يبق من أجلى الا حركة شفتى بكلمة لقلت اقتلوه ثم أمر قصابا ففصل أعضاءه ثم أغمى عليه وافترق الناس ولما يئس من نفسه أمر بقبره فحفر فى الدار التى كان فيها وأنزل فيه قوما قرؤا فيه القرآن حتى ختموه وهو فى محفة على شفيره ينظر اليه وينادى واسوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مات وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع واسمعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة أو تزيد وترك فى بيت المال تسعمائة ألف ألف دينار

ولما مات الرشيد بويع الامين فى العسكر صبيحة يومه والمأمون يومئذ بمرو وكتب
حمويه مولى المهدى صاحب البريد الى نائبه ببغداد وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد
وهنأه بالخلافة فكان أول من فعل ذلك وكتب صالح الى أخيه الامين مع رجاء الخادم
بوفاة الرشيد وبعث معه بالخاتم والبردة والقضيب فانتقل الامين من قصره بالخلد الى
قصر الخلافة وصلى بالناس الجمعة وخطب ثم نعى الرشيد وعزى نفسه والناس وبايعته
جلة أهله ووكل سليمان بن المنصور وهو عم أبيه وأمه بأخذ البيعة على القواد وغيرهم
ووكل السندى بأخذ البيعة على الناس سواهم وفرق فى الجند ببغداد رزق سنتين
وقدمت أمه زبيدة من الرقة فلقيها الامين بالانبار فى جمع من بغداد من الوجوه وكان
معها خزائن الرشيد وكان قد كتب الى معسكر الرشيد وهو حى مع بكر بن المعتمر لما
اشتدت علة الرشيد والى المأمون بأخذ البيعة لهما وللمؤتمن أخيهما والى أخيه صالح
بالقدوم بالعسكر والخزائن والاموال برأى الفضل والى الفضل بالاحتفاظ على ما معه
من الحرم والاموال وأقر كل واحد على عمله كصاحب الشرطة والحرس والحجابة
وكان الرشيد قد سمع بوصول بكر بالكتاب فدعاه ليستخرجها منه فجحدها فضربه
وحبسه ثم مات الرشيد وأحضره الفضل فدفعها اليه ولما قرؤا الكتاب تشاوروا
فى اللحاق بالامين وارتحل الفضل بالناس لهواهم فى وطنهم وتركوا عهود المأمون
فجمع المأمون من كان عنده من قواد أبيه وهم عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب
ابن حميد بن قحطبة والعلاء مولى الرشيد وكان على حجابته والعباس بن المسيب بن زهير
وكان على شرطته وأيوب بن أبى سمير وهو على كتابته وعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح
وذو الرياستين الفضل بن سهل وهو أخصهم به وأحظاهم عنده فأشار بعضهم أن يركب
فى اثرهم ويردهم ومنعه الفضل من ذلك وقال أخشى عليك منهم ولكن تكتب وترسل
رسولك اليهم تذكرهم البيعة والوفاء وتحذرهم الحنث فبعث سهل بن صاعد ونوفلا
الخادم بكتابه اليهم بنيسابور فقرأ الفضل كتابه وقال أنا واحد من الجند وشد
عبد الرحمن برجليه على سهل ليطعنه بالرمح وقال لو كان صاحبك حاضرا لوضعته
فيه وسب المأمون وانصرفوا ورجع سهل ونوفل بالخبر الى المأمون فقال له الفضل
ابن سهل هؤلاء أعداء استرحت منهم وأنت بخراسان وقد خرج بها المقنع وبعده يوسف
البرم فتضعضعت لهما الدولة ببغداد وأنت رأيت عند خروج رافع بن الليث كيف
كان الحال وأنت اليوم نازل فى أخوالك وبيعتك فى أعناقهم فاصبر وأنا أضمن
لك الخلافة فقال المأمون قد فعلت وجعلت الامر اليك فقال ان عبد الله بن مالك
والقواد انفع لك منى لشهرتهم وقوتهم وأنا خادم لمن يقوم بأمرك منهم حتى ترى رأيك

وجاءهم

وجاءهم الفضل فى منازلهم وعرض عليهم البيعة للمأمون فمنهم من امتنع ومنهم من
طرده فرجع الى المأمون وأخبره فقال قم أنت بالامر وأشار عليه الفضل أن يبعث
على الفقهاء ويدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السنة ورد المظالم ويقعد على
الصفوف ففعل جميع ذلك وأكرم القواد وكان يقول للتميمى نقيمك مقام موسى
ابن كعب وللربعى مكان أبى داود وخالد بن ابراهيم ولليمانى مكان قحطبة ومالك بن
الهيثم وكل هؤلاء نقباء الدولة ووضع عن خراسان ربع الخراج فاغتبط به أهلها
وقالوا ابن أختنا وابن عم نبينا وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والرى
وأهدى الى الامين وكتب اليه وعظمه ثم ان الامين عزل لاول ولايته أخاه القاسم
المؤتمن عن الجزيرة واستعمل عليها خزيمة بن خازم وأقر المؤتمن على قنسرين والعواصم
وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد وعلى حمص اسحق بن سليمان فخالف
عليه أهل حمص وانتقل عنهم الى سلمية فعزله الامين وولى مكانه عبد الله بن سعيد
الحريشى فقتل عدة منهم وحبس عدة واضرم النار فى نواحيها وسألوا الامان فأجابهم
ثم انتقضوا فقتل عدة منهم ثم ولى عليهم ابراهيم بن العباس

(أخبار رافع وملوك الروم)

وفى سنة ثلاث وتسعين دخل هرثمة بن أعين سمرقند وملكها وقام بها ومعه طاهر
ابن الحسين فاستجاش رافع بالترك فأتوه وقوى بهم ثم انصرفوا وضعف أمره وبلغه
حسن سيرة المأمون فطلب الامان وحضر عند المأمون فأكرمه ثم قدم هرثمة على
المأمون فولاه الحرس وأنكر الامين ذلك كله وفى هذه السنة قتل نقفور ملك الروم
فى حرب برجان لسبع سنين من ملكه وملك بعده ابنه استبراق وكان جريحا فمات
لشهرين وملك بعده صهره على أخته ميخاييل بن جرجيس ووثب عليه الروم سنة
أربع وتسعين بعد سنتين من ملكه فهرب وترهب وولوا بعده اليون القائد

(الفتنة بين الامين والمأمون)

ولما قدم الفضل بن الربيع على الامين ونكث عهد المأمون خشى غائلته فأجمع قطع
علائقه من الامور وأغرى الامين بخلعه والبيعة للعهد لابنه موسى ووافقه فى ذلك
على بن عيسى بن ماهان والسندى وغيرهما ممن يخشى المأمون وخالفهم خزيمة بن خازم
وأخوه عبد الله وناشدوا الامين فى الكف عن ذلك وأن لا يحمل الناس على نكث
العهود فيطرقهم لنكث عهده ولج الامين فى ذلك وبلغه ان المأمون عزل العباس
ابن عبد الله بن مالك عن الرى وانه ولى هرثمة بن أعين على الحرس وان رافع بن الليث

استأمن له فآمنه وسار فى جملته فكتب الى العمال بالدعاء لموسى ابنه بعد الدعاء للمأمون والمؤتمن فبلغ ذلك المأمون فأسقط اسم الامين من الطرد وقطع البريد عنه وأرسل الامين اليه العباس بن موسى بن عيسى وخاله عيسى بن جعفر بن المنصور وصالحا صاحب الموصل ومحمد بن عيسى بن نهيك يطلب منه تقديم ابنه موسى عليه فى العهد ويستقدمه فلما قدموا على المأمون استشار كبراء خراسان فقالوا انما بيعتنا لك على أن لا تخرج من خراسان فأحضر الوفد وأعلمهم بامتناعه مما جاؤا فيه واستعمل الفضل بن سهل العباس بن موسى ليكون عينا لهم عند الامين ففعل وكانت كتبه تأتيهم بالاخبار ولما رجع الوفد عاودوه بطلب بعض كور خراسان وأن يكون له بخراسان صاحب بريد يكاتبه فامتنع المأمون من ذلك وأوعد الى قعوده بالرى ونواحيها بضبط الطرق وتفقدها من غوائل الكتب والعيون وهو مع ذلك يتخوف عاقبة الخلاف وكان خاقان ملك التبت قد التوى عليه وجبغونة فارق الطاعة وملوك الترك منعوا الضريبة فخشى المأمون ذلك وحفظ عليه الامر بأن يولى خاقان وجبغونة بلادهما ويوادع ملك كابل ويترك الضريبة لملوك الترك الآخرين وقال له بعد ذلك ثم أضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال فان ظفرت والا لحقت بخاقان مستجيرا فقبل اشارته وفعلها وكتب الى الامين يخادعه بأنه عامله على هذا الثغر الذى أمره الرشيد بلزومه وان مقامه به أشد غناء ويطلب اعفاءه من الشخوص اليه فعلم الامين أنه لا يتابعه على مراده فخلعه وبايع لولده فى أوائل سنة خمس وتسعين وسماه الناطق بالحق وقطع ذكر المأمون والمؤتمن من المنابر وجعل ولده موسى فى حجر على بن عيسى وعلى شرطته محمد بن عيسى بن نهيك وعلى حرسه أخوه عيسى وعلى رسائله صاحب القتلى وكان يدعى له على المنابر ولابنه الآخر عبد الله ولقبه القائم بالحق وأرسل الى الكعبة من جاء بكتابى العهد للامين والمأمون اللذين وضعهما الرشيد هنالك وسارت الكتب من ذلك الى المأمون ببغداد من عيونه بها فقال المأمون هذه أمور أخبر الرأى عنها وكفانى أنا أن أكون مع الحق وبعث الفضل بن سهل الى جند الرى بالاقوات والاحسان وجمع اليهم من كان بأطرافهم ثم بعث على الرى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق أسعد الخزاعى أبا العباس أميرا وضم اليه القواد والاجناد فنزلها ووضع المسالح والمراصد وبعث الامين عصمة بن حماد بن سالم الى همذان فى ألف رجل وأمره أن يقيم بهمذان ويبعث مقدمته الى ساوة

(خروج ابن ماهان لحرب طاهر ومقتله)

ثم جهز الامين على بن عيسى بن ماهان الى خراسان لحرب المأمون يقال دس بذلك

الفضل بن سهل العين له عند الفضل بن الربيع فأشار به عليهم لما فى نفوس أهل خراسان من النفرة عن ابن ماهان فجدوا فى حربه ويقال حرض أهل خراسان على الكتب الى ابن ماهان ومخادعته ان جاء فأمره الامين بالمسير وأقطعه نهاوند وهمذان وقم واصبهان وسائر كور الجبل حربا وخراجا وحكمه فى الخزائن وأعطاه الاموال وجهز معه خمسين ألف فارس وكتب الى أبى دلف القاسم بن عيسى بن ادريس العجلى وهلال ابن عبد الله الحضرمى فى الانضمام وركب الى باب زبيدة ليودعها فأوصته بالمأمون بغاية ما يكون أن يوصى به وانه بمنزلة ابنها فى الشفقة والموصلة وناولته قيدا من فضة وقالت له ان سار اليك فقيده به مع المبالغة فى البر والادب معه ثم سار على بن عيسى من بغداد فى شعبان وركب الامين يشيعه فى القواد والجنود ولم ير عسكر مثل عسكره ولقى السفر بالسابلة فأخبروه ان طاهرا بالرى يعرض أصحابه وهو مستعد للقتال وكتب الى ملوك الديلم وطبرستان يعدهم ويمنيهم وأهدى لهم والاسورة على أن يقطعوا الطرق عن خراسان فأجابوا ونزل أول بلاد الرى فأشار عليه أصحابه باذكاء العيون والطلائع والتحصن بالخندق فقال مثل طاهر لا يستعد له وهو اما أن يتحصن بالرى فتثبت اليه أهلها واما أن يفر اذا قربت منه خيلنا ولما كان من الرى على عشرة فراسخ استشار أصحاب طاهر فى لقائه فالوا الى التحصن بالرى فقال أخاف أن يثبت بنا أهلها وخرج فعسكر على خمسة فراسخ منها فى أقل من أربعة آلاف فارس وأشار عليه أحمد بن هشام كبير جند خراسان أن ينادى بخلع الامين وبيعة المأمون لئلا يخادعه على بن عيسى بطاعة الامين وانه عامله ففعل وقال على لاصحابه بادروهم فانهم قليل ولا يصبرون على حد السيوف وطعن الرماح وأحكم تعبية جنده وقدم بين يديه عشر رايات مع كل راية ألف رجل وبين كل رايتين غلوة سهم ليقاتلوا نوبا وعبى طاهر أصحابه كراديس وحرضهم وأوصاهم وهرب من أصحاب طاهر جماعة فجلدهم على وأهانهم فأقصر الباقون وجدوا فى قتاله وأشار أحمد بن هشام على طاهر بأن يرفع كتاب البيعة على رمح ويذكر على بن عيسى بها فنكثه ثم اشتد القتال وحملت ميمنة على فانهزمت ميسرة طاهر وكذلك ميسرته على ميمنة طاهر فأزالوها واعتمد طاهر القلب فهزموهم ورجعت المجنبتان منهزمة وانتهت الهزيمة الى على وهو ينادى بأصحابه فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله وجاء برأسه الى طاهر وحمل شلوه على خشبة وألقى فى بئر بأمر طاهر واعتق طاهر جميع غلمانه شكر الله وتمت الهزيمة واتبعهم أصحاب طاهر فرسخين واقفوهم فيها اثنتى عشرة مرة يقتلونهم فى كلها ويأسرونهم حتى جن الليل بينهم ورجع طاهر الى الرى وكتب الى الفضل كتابى الى أمير

المؤمنين ورأس على بين يدى وخاتمه فى اصبعى وجنده متصرفون تحت أمرى والسلام وورد الكتاب على البريد فى ثلاثة أيام فدخل الفضل على المأمون وهنأه بالفتح ودخل الناس فسلموا عليه بالخلافة ووصل رأس على بعدها بيومين وطيف به فى خراسان ووصل الخبر الى الامين بقتل على وهزيمة العسكر فأحضر الفضل ابن الربيع وكيل المأمون ببغداد وهو نوفل الخادم فقبض ما بيده من ضياعه وغلاته وخمسين ألف ألف درهم كان الرشيد وصاه بها وندم الامين على فعله وسعت الجند والقواد فى طلب الارزاق فهم عبد الله بن حاتم بقتالهم فمنعه الامين وفرق فيهم أموالا

(مسير ابن جبلة الى طاهر ومقتله)

ولما قتل على بن عيسى بعث الامين عبد الرحمن بن الانبارى فى عشرين ألف فارس الى همذان وولاه عليها وعلى كل ما يفتحه من بلاد خراسان وأمده بالمال فسار الى همذان وحصنها وجاءه طاهر فبرز اليه ولقيه فهزمه طاهر الى البلد ثم خرج عبد الرحمن ثانية فانهزم الى المدينة وحاصره طاهر حتى ضجر منه أهل المدينة وطلب الامان من طاهر وخرج من همذان وكان طاهر عند نزوله عليها قد خشى من صاحب قزوين أن يأتيه من ورائه فجهز العسكر على همذان وسار الى قزوين فى ألف فارس ففر عاملها وملكها ثم ملك همذان وسائر أعمال الجبل وأقام عبد الرحمن بن جبلة فى أمانه ثم أصاب منه بعض الايام غرة فركب وهجم عليه فى عسكر فقاتله طاهر أشد القتال حتى انهزم أصحابه وقتل ولحق فلهم بعبد الله وأحمد ابنى الحريشى فى عسكر عظيم بعثهما الامين مددا لعبد الرحمن فانهزموا جميعا الى بغداد وأقبل طاهر نحو البلاد وحده وأخذه الى حلوان فخندق بها وجمع أصحابه

(بيعة المأمون)

وأمر المأمون عندها بأن يخطب له على المنابر ويخاطب بأمير المؤمنين وعقد للفضل ابن سهل على المشرق كله من جبل همذان الى البيت طولا ومن بحر فارس الى بحر الديلم وجرجان عرضا وحمل له عماله ثلاثة آلاف ألف درهم وعقد له لواء ذا شعبتين ولقبه ذا الرياستين يعنى الحرب والعلم وحمل اللواء على بن هشام وحمل العلم نعيم بن حازم وولى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج

(ظهور السفيانى)

هو على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقب أبا العميطر لانه زعم أنها كنية الحردون فلقبوه بها وكانت أمه نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن على بن أبى طالب

وكان يقول أنا ابن شيخى صفين يعنى عليا ومعاوية وكان من بقايا بنى أمية بالشأم وكان من أهل العلم والرواية فادعى لنفسه بالخلافة آخر سنة خمس وتسعين وأعانه الخطاب بن وجه العلس مولى بنى أمية كان متغلبا على صيدا فملك دمشق من يد سليمان ابن المنصور وكان أكثر أصحابه من كلب وكتب الى محمد بن صالح بن بيهس يدعوه ويتهدده فأعرض عنه وقصد السفيانى القيسية فاستجاشوا بمحمد بن صالح فجاءهم فى ثلثمائة فارس من الصبات ومواليه وبعث السفيانى يزيد بن هشام للقائهم فى اثنى عشر ألفا فانهزم يزيد وقتل من أصحابه ألفان وأسر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن بيهس وحلقهم ثم جمع جمعا مع ابنه القاسم وخرجوا الى ابن بيهس فانهزموا وقتل القاسم وبعث برأسه الى الامين ثم جمع جمعا آخر وخرجوا مع مولاه المعتمر فانهزموا وقتل المعتمر فوهن أمر السفيانى وطمعت فيه قيس ثم ان ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بنى نمير وأوصاهم ببيعة مسلمة بن يعقوب بن على بن محمد بن سعد بن مسلمة بن عبد الملك بالخلافة وقال لهم تولوه وكيدوا به السفيانى فانكم لا تتقون بأهل بيته وعاد ابن بيهس الى حوران واجتمعت نمير على مسلمة فبايعوه فقتل منهم وجمع مواليه ودخل على السفيانى فقيده وحبس رؤساء بنى أمية وأدنى القيسية وجعلهم بطانة وأفاق ابن بيهس من مرضه فجاء الى دمشق وحاصرها وسلمها له القيسية فى محرم سنة ثمان وتسعين وهرب مسلمة والسفيانى الى المزة وملك ابن بيهس دمشق الى أن قدم عبد الله بن طاهر دمشق وسار الى مصر ثم عاد اليها فاحتمل ابن بيهس معه الى العراق ومات بها

(مسير الجيوش الى طاهر ورجوعهم بلا قتال)

ولما قتل عبد الرحمن بن جبلة أرسل الفضل بن الربيع عن أسد بن يزيد بن مزيد ودعاه لحرب طاهر بعد أن ولى الامين الخلافة وشكر لاسد فضل الطاعة والنصيحة وشدة البأس ويمن النقيبة وطلب منه أرزاق الجند من المال لسنة وألف فرس تحمل من معه بعد ازاحة عللهم بالاموال وأن لا يطلب بحسبان ما يفتتح فقال قد أشططت ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركب ودخل على الامين فأمر بحبسه وقيل انه طلب ولدى المأمون كانا عند أمهما ابنة الهادى ببغداد يحملهما معه فان أطاعه المأمون والا قتلهما فغضب الامين لذلك وحبسه واستدعى عبد الله بن حميد بن قحطبة فاشتط كذلك فاستدعى أحمد مزيد واعتذر له عن حبس أسد وبعثه لحرب طاهر وأمر الفضل بأن يجهز له عشرين ألف فارس وشفع فى أسد ابن أخيه فأطلقه ثم سار وسار معه عبد الله بن حميد بن قحطبة فى عشرين ألفا أخرى وانتهوا الى حلوان وأقاموا وطاهر بموضعه ودس الجرجفين فى عسكرهم بأن العطاء والمنع ببغداد

والجند يقبضون أرزاقهم حتى مشى الجند بعضهم الى بعض واختلفوا واقتتلوا ورجعوا من غير اقتداء وتقدم طاهر فنزل حلوان وجاءه هرثمة فى جيش من عند المأمون ومعه كتاب بأن يسلم الى هرثمة ما ملكه من المدن ويتقدم الى الاهواز ففعل ذلك

(أمر عبد الملك بن صالح وموته)

قد تقدم لنا حبس عبد الملك بن صالح الى أن مات الرشيد وأخرجه الامين ولما كان أمر طاهر جاء عبد الملك الى الامين وأشار عليه بأن يقدم أهل الشأم لحربه فهم أجرأ من أهل العراق وأعظم نكاية فى العدو وضمن طاعتهم بذلك فولاه الامين أهل الشأم والجزيرة وقوّاه بالمال والرجال واستحثه فسار الى الرقة وكاتب أهل الشأم فتسالموا اليه فأكرمهم وخلع عليهم وكثرت جموعه ثم مرض واشتد مرضه ووقعت فتنة فى عسكره بين الخراسانيين وأهل الشأم بسبب دابة أخذت لبعضهم فى وقعة سليمان ابن أبى جعفر وعرفها عند بعض أهل الشأم فاقتتلوا وأرسل اليهم عبد الملك بالقتل فلم يقتلوا وكثر القتل وأظهر عبد الملك النصرة للشاميين وانتقض الحسين بن على للخراسانيين وتنادى الناس بالرجوع الى بلادهم فمضى أهل حمص وقبائل كلب فانهزم أهل الشأم وأقام عبد الملك بن صالح بالرقة توفى بها

(خلع الامين واعادته)

ولما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن على فى الجند بالرحيل الى بغداد وقدمها فلقيه القوّاد ووجوه الناس ودخل منزله واستدعاه الامين من جوف الليل فامتنع وأصبح فوافى باب الجسر وأغراهم بخلع الامين وحذرهم من نكثه ثم أمرهم بعبور الجسر فعبروا ولقيه أصحاب الامين فانهزموا وذلك منتصف رجب سنة ست وأخذ البيعة للمأمون من الغد ووثب العباس بن عيسى بن موسى بالامين فأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور ومعه أمه زبيدة فلما كان من الغد طلب الناس أرزاقهم من الحسين وماج بعضهم فى بعض وقام محمد بن أبى خالد فنكر استبداد الحسين بخلع الامين وليس بذى منزلة ولا حسب ولا نسب ولا غنائم وقال أسد الحربى قد ذهب أقوام بخلع الامين فاذهبوا أنتم بفكه يا معشر الحربية فرجع الناس على أنفسهم باللائمة وقالوا ما قتل قوم خليفتهم الا سلط الله عليهم السيف ثم نهضوا الى الحسين وتبعهم أهل الارض فقاتلوه قتالا شديدا وأسروه ودخل أسد الحربى الى الامين وكسر قيوده وأجلسه على أريكته وأمرهم الامين بلبس السلاح فانتهبه الغوغاء وجىء بالحسين اليه أسيرا فاعتذر اليه وأطلقهم وأمره بجمع الجند والمسير الى طاهر وخلع عليه ما وراء

بابه ووقف الناس يهنؤنه بباب الجسر حتى اذا خف عنه الناس قطع الجسر وهرب وركب الجند فى طلبه وأدركوه على فرسخ من بغداد وقتلوه وجاؤا برأسه الى الامين واختفى الفضل بن الربيع عند ذلك فلم يوقف له على خبر

(استيلاء طاهر على البلاد)

ولما جاء كتاب المأمون بالمسير الى الاهواز قدم اليها الحسين بن عمر الرستمى وسار فى أثره وأتته عيونه بأن محمد بن يزيد بن حاتم قد توجه من قبل الامين فى جند ليحمى الاهواز من أصحاب طاهر فبعث من أصحابه محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخارا أخذاه مددا للرستمى ثم أمدهم بقريش بن شبل ثم سار بنفسه حتى كان قريبا منهم وأشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم وقد أشار اليه أصحابه بالرجوع الى الاهواز والتحصن بها حتى تأتيه قومه الازد من البصرة فرجع وأمر طاهر قريش بن شبل باتباعه قبل أن يتحصن بالاهواز فخرج لذلك وفاته محمد بن يزيد الى الاهواز وجاء على أثره فاقتتلوا قتالا شديدا وفر أصحاب محمد واستمات هو ومواليه حتى قتلوا وملك طاهر الاهواز وولى على اليمامة والبحرين وعمان ثم سار الى واسط وبها السندى بن يحيى الحريشى والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن حازم فهربا عنها وملكها طاهر وبعث قائدا من قواده الى الكوفة وبها العباس بن الهادى فخلع الامين وبايع للمأمون وكتب بذلك الى طاهر وكذلك فعل المنصور بن المهدى بالبصرة والمطلب بن عبد الله ابن مالك بالموصل وأقرهم طاهر على أعمالهم وبعث الحرث بن هشام وداود بن موسى الى قصر ابن هبيرة وأقام بجرجايا ولما بلغ الخبر بذلك الى الامين بعث محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربرى الى قصر ابن هبيرة فقاتلهم الحرث وداود قتالا شديدا وهزموهم الى بغداد وبعث الامين أيضا الفضل بن موسى على الكوفة فبعث اليه طاهر بن العلاء فى جيش فلقيه فى طريقه فأراد مسالمته بطاعة المأمون كيادا ثم قاتله فانهزم الى بغداد ثم سار طاهر الى المدائن وعليها البرمكى والمدد متصل له كل يوم فقدم قريش بن شبل فلما أشرف عليهم وأخذ البرمكى فى التعبية فكانت لا تتم له فأطلق سبيل الناس وركب بعضهم بعضا نحو بغداد وملك طاهر المدائن ونواحيها ثم نزل صرصر وعقد بها جسرا

(بيعة الحجاز للمأمون)

ولما أخذ الامين كتب العهد من مكة وأمر داود بن عيسى وكان على مكة والمدينة بخلع المأمون قام فى الناس وذكر نقض العهد وذكرهم ما أخذ الرشيد عليهم من

الميثاق لابنيه فى المسجد الحرام أن يكونوا على الظالم وأن محمدا بدأ بالظلم والنكث وخلع اخويه وبايع لطفل صغير رضيع وأخذ الكتابين من الكعبة فحرقهما ظلما ثم دعا الى خلعه والبيعة للمأمون فأجابوه ونادى بذلك فى شعاب مكة وخطبهم وكتب الى ابنه سليمان بالمدينة بمثل ذلك ففعله وذلك فى رجب سنة ست وتسعين وسار من مكة على البصرة وفارس وكرمان الى المأمون وأخبره فسر بذلك وولاه مكانه وأضاف اليه ولاية عك وأعطاه خمسمائة ألف درهم وسير معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى ابن موسى على الموسم ويزيد بن جرير بن مزيد بن خالد القسرى فى جند كثيف عاملا على اليمن ومروا بطاهر وهو محاصر بغداد فأكرمهم وأقام يزيد اليمن فبايعوه للمأمون وأطاعوه

(حصار بغداد واستيلاء طاهر عليها ومقتل الامين)

ولما اتصلت بالامين هذه الاحوال وقتل الحسين بن على بن عيسى شمر لحرب طاهر واستعد له وعقد فى شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة شتى وأمر عليهم على بن محمد بن عيسى بن نهيك وأمرهم بالمسير الى هرثمة فساروا اليه والتقوا بنواحى النهروان فى رمضان فانهزموا وأسر قائدهم على بن محمد فبعث به هرثمة الى المأمون ونزل النهروان وأقام طاهر بصرصر والجيوش تتعاقب من قبل الامين فيهزمها ثم بذل الامين الاموال ليستفسد بها عساكرهم فسار اليه من عسكر طاهر نحو من خمسة آلاف ففرق فيهم الاموال وقود جماعة من الحربية ودس الى رؤساء الجند فى عسكر طاهر ورغبهم فشغبوا على طاهر وسار كثير منهم الى الامين وانضموا الى قواد الحربية وقواد بغداد وساروا الى صرصر فعبى أصحابه كراديس وحرضهم ووعدهم ثم تقدم فقاتلهم مليا من النهار وانهزم أصحاب الامين وغنم أصحاب طاهر عسكرهم ولما وصلوا الى الامين فرق فيهم الاموال وقود منهم جماعة ولم يعط المنهزمين شيأ ودس اليهم طاهر واستمالهم فشغبوا على الامين فأمر هؤلاء المحدثين بقتالهم وطاهر يراسلهم وقد أخذ رهائنهم على الطاعة وأعطاهم الاموال فسار فنزل باب الانبار بقواده وأصحابه واستأمن اليه كثير من جند الامين وثارت العامة وفتقت السجون ووثب الشطار على الاخيار ونزل زهير بن مسيب الضبى من ناحية ونصب المجانيق والعرادات وحفر الخنادق ونزل هرثمة بناحية أخرى وفعل مثل ذلك ونزل عبيد الله بن الوضاح بالشماسية ونزل طاهر بباب الانبار فضيق على الامين بمنزله ونفد ما كان بيد الامين من الاموال وأمر ببيع ما فى الخزائن من الامتعة وضرب آنية الذهب والفضة ليفرقها فى الجند وأحرق الحديثة فمات بها خلق واستأمن سعيد بن مالك بن قادم الى

طاهر فولاه الاسواق وشاطئ دجلة وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان وكل ما غلب عليه من الدروب وأمده بالرجال والاموال ووكل الامين بقصر صالح وقصر سليمان ابن المنصور الى دجلة بعض قواده فألح فى احراق الدور والرمى بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك وكثر الخراب ببغداد وصار طاهر يخندق على ما يملكه من النواحى ويقاتل من لم يجبه وقبض ضياع من لم يخرج اليه من بنى هاشم والقواد وعجز الاجناد عن القتال وقام به الباعة والعيارون وكانوا ينهبون أموال الناس واستأمن اليه القائد الموكل بقصر صالح فأمنه وسلم اليه ما كان بيده من تلك الناحية فى جمادى الاخيرة من سنة سبع واستأمن اليه محمد بن عيسى صاحب الشرطة فوهن الامين واجتمع العيارون والباعة والاجناد وقاتلوا أصحاب طاهر فى قصر صالح وقتلوا منهم خلقا وكاتب طاهر القواد بالامان وبيعة المأمون فأجابه بنو قحطبة كلهم ويحيى بن على ابن ماهان ومحمد بن أبى العباس الطائى وغيرهم وفشل الامين وفوض الامر الى محمد ابن عيسى بن نهيك والى الحسن الهرش ومعهم الغوغاء يتولون أمر تلك الفتنة وأجفل الناس من بغداد وافترقوا فى البلاد ولما وقع بطاهر فى قصر صالح ما وقع بأصحابه شرع فى هدم المبانى وتخريبها ثم قطع الميرة عنهم وصرف السفن التى تحمل فيها الى الفرات فغلت الاسعار وضاق الحصار واشتد كلب العيارين فهزموا عبيد الله ابن الوضاح وغلبوه على الشماسية وجاء هرثمة ليعينه فهزموه أيضا وأسروه ثم خلصه أصحابه وعقد طاهر جسرا فوق الشماسية وعبر اليهم وقاتلهم أشد قتال فردهم على أعقابهم وقاتل منهم بشرا كثيرا وعاد ابن الوضاح الى مركزه وأحرق منازل الامين بالخيزرانية وكانت النفقة فيها بلغت عشرين ألف درهم وأيقن الامين بالهلاك وفر منه عبد الله بن حازم بن خزيمة الى المدائن لانه اتهمه وحمل عليه السفلة والغوغاء ويقال بل كاتبه طاهر وقبض ضياعه فخرج عن الامين وقصد الهرش ومن معه جزيرة العباس من نواحى بغداد فقاتلهم بعض أصحاب طاهر وهزموهم وغرق منهم خلق كثير وضجر الامين وضعف أمره وسار المؤتمن بن الرشيد الى المأمون فولاه جرجان وكاتب طاهر خزيمة بن حازم ومحمد بن على بن موسى بن ماهان وأدخلهما فى خلع الامين فأجاباه ووثبا آخر محرم من سنة ثمان وتسعين فقطعا جسر دجلة وخلع الامين وبعث الى هرثمة وكان بازائهما فسار اليهما من ناحيته ودخل عسكر المهدى وملكه وقدم طاهر من الغد الى المدينة والكرخ فقاتلهم وهزمهم وملكها عنوة ونادى بالامان ووضع الجند بسوق الكرخ وقصر الوضاح وأحاط بمدينة المنصور وقصر زبيدة وقصر الخلد من باب الجسر الى باب البصرة وشاطئ الصراة الى مصبها فى دجلة

ونصب عليها المجانيق واعتصم الامين فى أمه وولده بمدينة المنصور واشتد عليه الحصار
وثبت معه حاتم بن الصقر والحريشى والافارقة وافترق عامة الجنود والخصيان
والجوارى فى الطرق وجاء محمد بن حاتم بن الصقر ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب الافريقى
الى الامين وقالا له بقى من خيلك سبعة آلاف فرس نختار سبعة آلاف فنجعلهم عليها
ونخرج على بعض الابواب ولا يشعر بنا أحد ونلحق بالجزيرة والشأم فيكون ملك جديد
وربما مال اليك الناس ويحدث الله أمرا فاعتزم على ذلك وبلغ الخبر الى طاهر فكتب
الى سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندى بن شاهك يتهددهم
ان لم يصرفوه عن ذلك الرأى فدخلوا على الامين وحذروه من ابن الصقر وابن الاغلب
أن يجعل نفسه فى أيديهم فيتقربوا به الى طاهر وأشاروا عليه بطلب الامان على يد
هرثمة بن أعين والخروج اليه وخالفهم اليه ابن الصقر وابن الاغلب وقالوا له اذا ملت
الى الخوارج فطاهر خير لك من هرثمة فأبى وتطير من طاهر وأرسل الى هرثمة يستأمنه
فأجابه أنه يقاتل فى أمانة المأمون فن دونه وبلغ ذلك طاهرا فعظم عليه أن يكون
الفتح لهرثمة واجتمع هو وقواده لهرثمة وقواده فى منزل خزيمة بن حازم وحضر سليمان
والسندى وابن نهيك وأخبروا طاهرا انه لا يخرج اليه أبدا وانه يخرج الى هرثمة
ويدفع اليك الخاتم والقضيب والبردة وهو الخلافة فرضى ثم جاءه الهرش وأسر اليه
انهم يخادعونه وانهم يحملونها مع الامين الى هرثمة فغضب وأعد رجالا حول قصور
الامين وبعث اليه هرثمة لخمس بقين من محرم سنة ثمان وتسعين بأن يتربص ليلة لانه
رأى أولئك الرجال بالشط فقال قد افترق عنى الناس ولا يمكننى المقام لئلا يدخل على
طاهر فيقتلنى ثم ودع ابنيه وبكى وخرج الى الشط وركب حراقة هرثمة وجعل هرثمة
يقبل يديه ورجليه وأمر بالحراقة أن تدفع واذا بأصحاب طاهر فى الزواريق فشدوا
عليها ونقبوها ورموهم بالآجر والنشاب فلم يرجعوا ودخل الماء الى الحراقة فغرقت
قال أحمد بن سالم صاحب المظالم فسقط الامين وهرثمة وسقطنا فتعلق الملاح بشعر
هرثمة وأخرجه وشق الامين ثيابه قال وخرجت الى الشط فحملت الى طاهر فسألنى عن
نفسى فانتسبت وعن الامين فقلت غرق فحملت الى بيت وحبست فيه حتى أعطيتهم
مالا فاديتهم به على نفسى فبعد ساعة من الليل فتحوا على الباب وأدخلوا على الامين
عريان فى سراويل وعمامة وعلى كتفه خرقة فاسترجعت وبكيت ثم عرفنى فقال ضمنى
اليك فانى أجد وحشة شديدة فضممته وقلبه يخفق فقال يا أحمد ما فعل أخى فقلت حى
قال قبح الله بريدهم كان يقول قد مات يريد بذلك العذر عن محاربته فقلت بل قبح الله
وزراءك فقال تراهم يفون لى بالامان قلت نعم ان شاء الله ثم دخل محمد بن حميد

الطاهرى فاستثبتنا حتى عرفه وانصرف ثم دخل علينا منتصف الليل قوم من العجم
منتضين سيوفهم فدافع عن نفسه قليلا ثم ذبحوه ومضوا برأسه الى طاهر ثم جاؤا من
السحر فأخذوا جثته ونصب طاهر الرأس حتى رآه الناس ثم بعث به الى المأمون مع
ابن عمه محمد بن الحسن بن مصعب ومعه الخاتم والبردة والقضيب وكتب معه بالفتح
فلما رآه المأمون سجد ولما قتل الامين نادى طاهر بالامان ودخل المدينة يوم الجمعة
فصلى بالناس وخطب للمأمون وذم الامين ووكل بحفظ القصور الخلافية وأخرج
زبيدة أم الامين وابنيه موسى وعبد الله الى بلاد الزاب الاعلى ثم أمر بحمل الولدين
الى المأمون وندم الجند على قتله وطالبوا طاهرا بالاموال فارتاب بجند بغداد وبجنده
أنهم تواطؤا عليه وثاروا به لخمس من قتل الامين فهرب الى عقرقوبا ومعه جماعة
من القواد ثم تعبى لقتالهم فجاؤا واعتذروا وأحالوا على السفهاء والاحداث فصفح
عنهم وتوعدهم ان يعودوا لمثلها وأعطاهم أربعة أشهر واعتذر اليه مشيخة بغداد
وحلفوا أنهم لم يدخلوا الجند فى شىء من ذلك فقبل منهم ووضعت أهل الحرب أوزارها
واستوسق الامر للمأمون فى سائر الاعمال والممالك ثم خرج الحسن الهرش فى جماعة
من السفلة واتبعه كثير من بوادى الاعراب ودعا الى الرضا من آل محمد وأتى النيل
فجبى الاموال ونهب القرى وولى المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على ما افتتحه
طاهر من كور الجبل والعراق وفارس والاهواز والحجاز واليمن فقدم سنة تسعة
وتسعين وفرق العمال وولى طاهرا على الجزيرة والموصل والشأم والمغرب وأمره
أن يسير الى قتال نصر بن شبيب وأمر هرثمة بالمسير الى خراسان وكان نصر بن شبيب
من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر فى كيسوم شمالى حلب وكان له ميل الى
الامين فلما قتل أظهر الوفاء له بالبيعة وغلب على ما جاوره من البلاد وملك سميساط
واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب وعبر الى شرقى العراق وحصر حران وسأل منه
شيعة الطالبيين أن يبايعوا لبعض آل على لما رأوه من بنى العباس ورجالهم وأهل
دولتهم وقال والله لا أبايع أولاد السوداوات فيقول انه خلقنى ورزقنى قالوا فبعض بنى
أمية قال قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل ولو سلم على رجل مدبر لاعدانى بادباره وانما
هواى فى بنى العباس وانما حاربتهم لتقديمهم العجم على العرب ولما سار اليه طاهر نزل
الرقة وأقام بها وكتب اليه يدعوه الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه وجاء الخبر الى طاهر
فى الرقة بوفاة أبيه الحسين بن زريق بن مصعب بخراسان وأن المأمون حضر جنازته
ونزل الفضل قبره وجاءه كتاب المأمون يعزيه فيه وبعد قتل الامين كانت الوقعة بالموصل
بين اليمانية والتزارية وكان على بن الحسن الهمدانى متغلبا على الموصل فعسف

بالترارية وسار عثمان بن نعيم البرجمي الى ديار مصر وشكا الى أحيائهم واستنفرهم فسار معه من مصر عشرون ألفا وأرسل اليهم علي بن الحسن بالرجوع الى ما يريدون فأبى عثمان فخرج علي في أربعة آلاف فهزمهم وأثخن فيهم وعاد الى البلد

(ظهور ابن طباطبا العلوي)

لما بعث المأمون الحسن بن سهل الى العراق وولاه على ما كان افتتحه طاهر من البلاد والاعمال تحدث الناس أن الفضل بن سهل غلب على المأمون واستبد عليه وحجبه عن أهل بيته وقواده فغضب بنو هاشم ووجوه الناس واجترؤا على الحسن بن سهل وهاجت الفتنة وكان أبو السرايا السري بن منصور ويذكر أنه من بني شيبان من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود وقيل من بني تميم بالجزيرة وطلب فعبر الى شرقي الفرات وأقام هنالك يخيف السابلة ثم لحق بيزيد بن مزيد بارمينية في ثلاثين فارسا فقوده وقاتل معه الخرمية وأسر منهم وأخذ منهم علامه أبا الشوك ومات يزيد بن مزيد فكان مع ابنه اسد وعزل أسد فسار الى أحمد بن مزيد ولما بعث الامين احمد بن مزيد لحرب هرثمة بعثه طليعة الى عسكره فاستماله هرثمة فمال اليه ولحق به وقصد بني شيبان مع الجزيرة واستخرج لهم الارزاق من هرثمة واجتمع اليه أزيد من ألفي فارس فلما قتل الامين نقص هرثمة عن أرزاقهم فغضب واستأذن في الحج فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ففرقها في أصحابه ومضى وأوصاهم باتباعه فاجتمع له منهم نحو مائتين وسار الى عين التمر فأخذوا عاملها وقسموا ماله ولقوا عاملا آخر بمال موقور على ثلاثة أنفار فاقتسموه وأرسل هرثمة عسكرا خلفه فهزمهم ودخل البرية ولحق به من تخلف من أصحابه فكثر جمعه وسار نحو دقوقا وعليها أبو نمر غامة في سبعمائة فارس فخرج وقاتله فهزمه ورجع الى القصر فحاصره أبو السرايا حتى نزل على الامان وأخذ أمواله وسار الى الانبار وعليها ابراهيم الشروي مولى المنصور فقتله وأخذ ما فيها وعاد اليها عند ادراك الغلال فافتتحها ثم قصد الرقة ومر بطوق بن مالك الثعلبي فاستجاشه على قيس فأقام عنده أربعة أشهر يقاتل قيسا بعصبية ربيعة حتى انقادت قيس الى طوق وسار أبو السرايا الى الرقة فلقي محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي وتلقب أبوه ابراهيم طباطبا فدعاه الى الخروج وأنفذ الى الكوفة فدخلاها وبايعهم أهلها على بيعة الرضا من آل محمد ونهب أبو السرايا قصر العباس بن موسى بن عيسى وأخذ مما فيه من الاموال والجواهر ما لا يحصى وذلك منتصف جمادى الاخيرة سنة تسعة وتسعين وقيل ان أبا السرايا مطله هرثمة بارزاق أصحابه فغضب ومضى الى الكوفة فبايع ابن طباطبا ولما ملك الكوفة هرع اليه

الناس والاعراب من النواحي فبايعوه وكان عليها سليمان بن المنصور من قبل الحسن ابن سهل فبعث اليه زهير بن المسيب الضبي في عشرة آلاف وخرج اليه ابن طباطبا وأبو السرايا فهزموه واستباحوا عسكره وأصبح محمد بن طباطبا من الغد ميتا فنصب أبو السرايا مكانه غلاما من العلوية وهو محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين واستبد عليه ورجع زهير الى قصر ابن هبيرة فأقام به وبعث الحسن بن سهل عبدوس ابن محمد بن خالد المروزوذي في أربعة آلاف فلقيه أبو السرايا منتصف رجب وقتله ولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وبعث جيوشا الى البصرة وواسط وولى على البصرة العباس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفري وعلى مكة الحسين الافطس بن الحسين بن علي زين العابدين وجعل اليه الموسم وعلى اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق وعلى فارس اسمعيل بن موسى بن جعفر الصادق وعلى الاهواز زيد بن موسى الصادق فسار الى البصرة وأخرج عنها العباس بن محمد بن داود بن الحسن المثنى الى المدائن وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي ففعل وكان بواسط عبد الله بن سعد الحرشي من قبل الحسن بن سهل ففر امامهم وبعث الحسن بن سهل الى هرثمة يستدعيه لحرب ابي السرايا وكان قد سار الى خراسان مغاضبا له فرجع بعد امتناع وسار الى الكوفة في شعبان وبعث الحسن الى المدائن وواسط علي بن أبي سعيد وأبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة فوجه جيشا الى المدائن فملكوها في رمضان وتقدم فنزل نهر صرصر وعسكر هرثمة بازائه غدوة وسار علي بن أبي سعيد في شوال المدائن فحاصر بها أصحاب أبي السرايا ورجع هو من نهر صرصر الى قصر ابن هبيرة وهرثمة وأتباعه ثم حصره وقتل جماعة من أصحابه فانحاز الى الكوفة ووثب الطالبيون على دور بني العباس وشيعتهم فنهبوها وخربوها وأخرجوهم واستخرجوا ودائعهم عند الناس وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي فلما بلغه قدوم حسين الافطس جمع شيعة بني العباس وكان مسرور الكبير قد حج في مائة فارس فتعبى للحرب ودعا داود الى حربهم فقال لا أستحل ذلك في الحرم وخرج الى العراق وتبعه مسرور وكان حسين الافطس بسرف يخاف دخول مكة فبلغه الخبر [بياض بالاصل] بني العباس عنها فدخل في عشرة أنفس وطاف وسعى ووقف بعرفة ليلا وأتم الحج وأقام هرثمة بنواحي الكوفة يحاصرها واستدعى منصور بن المهدي وكاتب رؤساء الكوفة وسار علي بن سعيد من المدائن الى واسط فملكها ثم توجه الى البصرة واشتد الحصار على أبي السرايا بالكوفة فهرب عنها في ثمانمائة فارس ومعه صاحبه الذي نصبه وهو محمد بن جعفر بن محمد ودخلها هرثمة

منتصف محرم فأقام بها يوما وولى عليها غسان صاحب الحرس بخراسان وعاد وقصد أبو السرايا القادسية وسار منها الى السوس ولقى بخراسان مالا حمل من الاهواز فقسمه فى أصحابه وكان على الاهواز الحسن بن على المأمونى فخرج اليه فقاتله فهزمه وافترق أصحابه وجاء الى منزله برأس عين من جلولاء ومعه صاحبه محمد وغلامه أبو الشوك فظفر بهم حماد الكندغوش وجاء بهم الى الحسن بن سهل فى النهروان فقتل أبا السرايا وبعث برأسه الى المأمون وبصاحبه محمد معه ونصب شلوه على جسر بغداد وسار على بن أبى سعيد الى البصرة فملكها من يد زيد بن موسى بن جعفر الصادق وكان يسمى زيد النار لكثرة ما أحرق من دور العباسيين وشيعتهم فاستأمن اليه زيد فأمنه وأخذه وبعث الجيوش الى مكة والمدينة واليمن لقتال من بها من العلويين وكان ابراهيم بن موسى بن جعفر بمكة فلما بلغه خبر أبى السرايا ومقتله ولى وسار الى اليمن وبها اسحق بن موسى بن عيسى فهرب الى مكة واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة قتله وفتكه ثم بعث رجلا من ولد عقيل بن أبى طالب الى مكة ليحج بالناس وقد جاء لذلك أبو الحسن المعتصم فى جماعة من القواد فيهم حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان والياء على اليمن من قبل الحسن بن سهل فخام العقيلى عن لقائهم واعترض قافلة الكسوة فأخذها ونهب أموال التجار ودخل الحاج الى مكة عراة فبعث الجلودى من القواد فصبحهم وهزمهم وأسر منهم وتنقذ أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها وضرب الاسراء عشرة أسواط لكل واحد وأطلقهم وحج المعتصم بالناس

(بيعة محمد بن جعفر بمكة)

هو محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ويلقب الديباجة وكان عالما زاهدا ويروى عن أبيه وكان الناس يكتبون عنه ولما ملك الحسين الافطس مكة كما ذكرناه عاث فيها ونزع كسوة الكعبة وكساها بأخرى من الغد أنفذها أبو السرايا من الكوفة وتتبع ودائع بنى العباس وجعلها ذريعة لاخذ أموال الناس فخرجوا من مكة وقلع أصحابه شبابيك الحرم وقلع ما على الاساطين من الذهب واستخرج ما كان فى الكعبة من المال فقسمه فى أصحابه وساء أثره فى الناس فلما قتل أبو السرايا تنكروا له فخشى على نفسه فجاء الى محمد بن جعفر ليبايع له بالخلافة فلم يزل به هو وابنه حسن واستعانا عليه بابنه على حتى بايعوه ودعوه بأمير المؤمنين واستبد عليه ابنه على وابن الافطس بأسوأ مما كان قبل وأفحشوا فى الزنا واللواط واغتصاب النساء والصبيان فاجتمع الناس على خلع محمد بن جعفر أو يرد اليهم ابن القاضى كان مغتصبا بيت ابنه على فاستأمنهم حتى ركب الى بيت ابنه وسلم اليهم الغلام وجاء اسحق بن موسى بن عيسى

من

من اليمن فاجتمع الناس وخندقوا مكة وقاتلهم اسحق وامتنعوا عليه فسار نحو العراق ولقى الجند الذين بعثهم هرثمة الى مكة مع الجلودى ورجاء بن جميل وهو ابن عم الحسين بن سهل فرجع بهم وقاتل الطالبيين فهزمهم وافترقوا واستأمن اليه محمد بن جعفر فأمنه وملك مكة وسار محمد بن جعفر الى الجحفة ثم الى بلاد جهينة فجمع وقاتل هرون بن المسيب والى المدينة فانهزم محمد وفقئت عينه وقتل خلق من أصحابه ورجع الى موضعه ولما انقضى الموسم استأمن الجلودى ورجاء بن جميل فأمناه ودخل مكة وخطب واعتذر عما فعله بأنه بلغه موت المأمون ثم صح انه حى وخلع نفسه وسار الى الحسن والى المأمون بمرو فلم يزل عنده الى أن سار المأمون الى العراق فمات بجرجان فى طريقه

(مقتل هرثمة)

لما فرغ هرثمة من أبى السرايا رجع وكان الحسن بن سهل بالمدائن فلم يعرج عليه وسار على عقرقوبا الى النهروان قاصدا خراسان ولقيته كتب المأمون متلاحقة أن يرجع الى الشأم والحجاز فأبى الا لقاءه دالة عليه بما سبق له من نصحه له ولآبائه وكان قصد أن يطلع المأمون على حال الفضل بن سهل فى طيه الاخبار عنه وما عند الناس من القلق بذلك وباستبداده عليه ومقامه بخراسان وعلم الفضل بذلك فأغرى به المأمون وألقى اليه أنه سلط أبا السرايا وهو من جنده وقد خالف كتبك وجاء معاندا سيئ القالة وان سومح فى ذلك اجترأ غيره فسخطه المأمون وبقى فى انتظاره ولما بلغ مرو قرع طبوله يسمعها لئلا يطوى خبره عن المأمون وسأل المأمون عنها فقيل هرثمة أقبل يرعد ويبرق فاستدعاه وقال هرثمة مالأت العلويين وأبا السرايا ولو شئت اهلاكهم جميعا لفعلت فذهب يعتذر فلم يمهله وأمر فديس بطنه وشدخ أنفه وسحب الى السجن ثم دس اليه من قتله

(انتقاض بغداد على الحسن بن سهل)

ولما بلغ خبر هرثمة الى العراق كتب الحسن بن سهل الى على بن هشام والى بغداد من قبله أن يتعلل على الجند الحربية والبغداديين فى أرزاقهم لانه كان بلغه عنهم قبل مسير هرثمة انهم عازمون على خلعه وطرد عماله وولوا عليهم اسحق بن الهادى خليفة المأمون فلم يزل الحسين يتلطف اليهم ويكاتبهم حتى اختلفوا فأنزل على بن هشام ومحمد ابن أبى خالد فى أحد جانبيها وزهير بن المسيب فى الجانب الآخر وقاتلوا الحربية ثلاثة أيام ثم صالحهم على العطاء وشرع فيه وكان زيد بن موسى بن جعفر قد أخذه على بن أبى سعيد من البصرة وحبسه كما ذكرناه قبل فهرب من محبسه وخرج بناحية الانبار ومعه أخ لابى السرايا ثم تلاشى أمره وأخذو الى على بن هشام ثم جاء خبر هرثمة وقد

انتقض محمد بن أبي خالد على علي بن هشام بما كان يستحق به وغضب يوما مع زهير بن المسيب فقنعه بالسوط فسار الى الحربية ونصب لهم الحرب وانهزم علي بن هشام الى صرصر وقيل ان ابن هشام أقام الحد على عبد الله بن علي بن عيسى فغضب الحربية وأخرجوه واتصل ذلك بالحسن بن سهل وهو بالمدائن كما قلناه فانهزم الى واسط أول سنة احدى ومائتين والفضل بن الربيع وقد ظهر من اختفائه من لدن الامين وجاء عيسى ابن محمد بن أبي خالد من الرقة من عند طاهر فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن وهزموا كل من تعرض لقتالهم من أصحابه وكان زهير بن المسيب عاملا للحسن على جوخى من السواد وكان يكاتب بغداد فركب اليه محمد بن أبي خالد وأخذه أسيرا وانتهب ماله وحبسه ببغداد عند ابنه جعفر ثم تقدم الى واسط وبعث ابنه هرون الى النيل فهزم نائب الحسن بها الى الكوفة فلحق بواسط ورجع هرون الى أبيه وتقدم نحو واسط فسار الحسن عنها وأقام الفضل بن الربيع مختفيا بها واستأمن لمحمد وبعثه الى بغداد وسار الى الحسن على البقية ولقيتهم عساكر الحسن وقواده وانهزم محمد وأصحابه وتبعهم الحسن الى تمام الصلح ثم لحقوا بجرجايا ووجه محمدا بن ابنه هرون الى فأقام بها وسار محمدا بن ابنه أبو زنبيل وهو جريح الى بغداد فمات بها ودفن في داره سرا ومحمد أبو زنبيل الى زهير بن المسيب فقتله من ليلته وقام خزيمة بن خازم بأمر بغداد وبعث الى عيسى بن محمد بأن يتولى حرب الحسن مكان أبيه وبلغ الحسن موت محمد فبعث عسكره الى هرون بالنيل فغلبوا وانتهبوها ولحق هرون بالمدائن ثم اجتمع أهل بغداد وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق انحرافا عن الحسن بن سهل وقيل ان الحسن لما ساعد أهل بغداد عيسى بن محمد بن أبي خالد على حربه خام عنه فلاطفه ووعده بالمصاهرة ومائة ألف دينار والامان له ولاهل بيته ولاهل بغداد وولاية النواحي فقبل وطلب خط المأمون بذلك وكتب الى أهل بغداد اني شغلت بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلا من بني هاشم فولوا المنصور ابن المهدي وأحصى عيسى أهل عسكره فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا وبعث منصور غسان بن الفرج الى ناحية الكوفة فغزاه حميد الطوسي من قواد الحسن بن سهل وأخذ أسيرا ونزل النيل فبعث منصور بن محمد بن يقطين في العساكر الى حميد فلقيه حميد بكوثا فهزمه وقتل من أصحابه ونهب ما حول كوثا ورجع الى النيل وأقام ابن يقطين بصرصر

(أمر المطوعة)

ولما كثر الهرج ببغداد وامتدت أيدي الدعاوي باذاية الناس في أموالهم وأفشى

المناكير فيهم وتعذر ذلك فخرجوا الى القرى فانتهبوها واستعدى الناس أهل الامر فلم يعدوا عليهم فمشى الصلحاء من عمل ربط وكل بينهم ورأوا أنهم في كل درب قليلون بالنسبة الى خيارهم فاعتزموا على مدافعتهم واشتد خالد المدريوش من أهل بغداد فدعا جيرانه وأهل محلته الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن يغيروا على السلطان فشد على من كان عندهم من ادعار وحبسهم ورفعهم الى السلطان وتعدى ذلك الى غير محلته ثم قام بعده سهل بن سلامة الانصاري من الحربية من أهل خراسان ويكنى أبا حاتم فدعا الى مثل ذلك والى العمل بالكتاب والسنة وعلق في عنقه مصحفا وعبر على العامة وعلى أهل الدولة فبايعوه على ذلك وعلى قتال من خالف وبلغ خبرهما الى منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن أبي خالد فنكروا ذلك لان أكثر الدعار كانوا يشايعونهم على أمرهم فدخلوا بغداد بعد أن عقد عليه الصلح مع الحسن بن سهل على الامان له ولاهل بغداد وانتظروا كتاب المأمون ورضي أهل البلد بذلك فسهل عليهم أمر المدريوش وسهل

(العهد لعلي الرضا والبيعة لابراهيم بن مهدي)

ولما بلغ اهل بغداد أن المأمون قد بايع بالعهد لعلي بن موسى الكاظم ولقبه الرضا من آل محمد وأمر الجند بطرح السواد ولبس الخضرة وكتب بذلك الى الآفاق وكتب الحسن ابن سهل الى عيسى بن محمد بن أبي خالد ببغداد يعلمه بذلك في رمضان من سنة احدى ومائتين وأمره أن يأخذ من عنده من الجند وبني هاشم بذلك فأجاب بعض وامتنع بعض وكبر عليهم اخراج الخلافة من بني العباس وتولى كبر ذلك منصور وابراهيم ابنا المهدي وشايعهم عليه المطلب بن عبد الله بن مالك والسدي ونصر الوصيف وصالح صاحب المصلى ومنعوا يوم الجمعة من نادى في الناس بخلع المأمون والبيعة لابراهيم بن المهدي ومن بعده لاسحق بن الهادي ثم بايعوه في المحرم سنة اثنتين ومائتين ولقبوه المبارك ووعد الجند بارزاق ستة أشهر واستولى على الكوفة والسواد وخرج فعسكر بالمدائن وولى بها على الجانب الغربي العباس بن الهادي وعلى الجانب الشرقي اسحق ابن الهادي وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عبد الحميد عاملا للحسن بن سهل ومعه القواد سعيد بن الساجور وأبو البط وغسان بن الفرج ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب كانوا منحرفين عن حميد فداخلوا ابراهيم بن الهادي في أن يملكوه في قصر ابن هبيرة وشعر بذلك الحسن بن سهل فاستقدم حميدا وخلا لهم الجو منه فبعث ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد وملك قصر ابن هبيرة وانتهب عسكر حميد ولحق به ابنه بجواريه ثم عاد الى الكوفة فاستعمل عليها العباس بن موسى الكاظم وأمره أن

يدعو لاخيه فامتنع غلاة الشيعة من اجابته وقالوا لا حاجة لنا بذكر المأمون وقعدوا
عنه وبعث ابراهيم بن المهدى من القواد سعيدا وأبا البط لقتاله فسرح اليهم العباس بن
عمه وهو على بن محمد الدياجة فانهزم ونزل سعيد وأبو البط الحيرة ثم تقدموا القتال
أهل الكوفة وقاتلهم شيعة بنى العباس ومواليهم ثم سألوا الامان للعباس وخرجوا من
داره ثم قاتل أصحابه أصحاب سعيد فهزموهم وأحرقوا دور عيسى بن موسى وبلغ الخبر
الى سعيد بالحيرة بان العباس قد نقض ورجع عن الامان فركب وجاء الى الكوفة وقتل
من ظفر به ولقيه أهله فاعتذروا اليه بان هذا فعل الغوغاء وان العباس باق على عهده
ودخل سعيد وأبو البط ونادوا بالامان وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح
الكندى ثم عزلوه وولوا مكانه غسان بن الفرج فقتل أخا السرايا ثم عزلوه وولوا الهول
ابن أخى سعيد القائد وقدم حميد بن عبد الحميد لحربهم بالكوفة فهرب الهول وبعث
ابراهيم بن المهدى بن عيسى بن محمد بن أبى خالد لحصار الحسن بواسط على طريق النيل
وكان الحسن متحصنا بالمدينة فسرح أصحابه لقتالهم فانهزموا وغنم عسكرهم ورجع
عيسى الى بغداد فقاتل سهل بن سلامة المطوع حتى غلبه على منزله فاختفى فى عمار
النظار وأخذوه بعد ليال وأتوا به اسحق فقال كل ما كنت أدعو اليه باطل فقالوا
اخرج فأعلم الناس بذلك فخرج وقال قد كنت أدعوكم الى الكتاب والسنة ولم أزل
على ذلك فضربوه وقيدوه وبعثوا به الى ابراهيم المهدى فضربه وحبسه وظهر أنه قتل
فى محبسه خفية لسنة من قيامه ثم أطلقه فاختفى الى أن انقرض أمر ابراهيم وزحف
حميد بن عبد الحميد سنة ثلاث ومائتين الى قتال ابراهيم بن المهدى وأصحابه وكان عيسى
ابن محمد بن أبى خالد هو المتولى لقتالهم بأمر ابراهيم فداخلهم فى الغدر بابراهيم وصار
يتعلل عليه فى المدافعة عنه ونمى ذلك الى ابراهيم بن هرون أخى عيسى فتنكر له ونادى
عيسى فى الناس بمسالمة حميد فاستدعاه ابراهيم وعاتبه بذلك فأنكر واعتذر فأمر به
فضرب وحبس عدة من قواده وأفلت العباس خليفته فمشى بعض الناس الى بعض
ووافقوا العباس على خلع ابراهيم وطرد واعامله من الجسر والكرخ وثار الرعاع
والغوغاء وكتب العباس الى حميد يستقدمه ليسلم اليه بغداد ونزل صرصر وخرج اليه
العباس والقواد وتواعدوا الخلع ابراهيم على أن يدفع لهم العطاء وبلغ الخبر الى ابراهيم
فأخرج عيسى واخوته وسأله قتال حميد فامتنع ودخل حميد فصلى الجمعة وخطب
للمأمون وشرع فى العطاء ثم قطعه عنهم فغضب الجند وعاود ابراهيم سؤال عيسى
فى قتال حميد ومدافعته فقاتل قليلا ثم استأسر لهم وانفض العسكر راجعين الى ابراهيم
وارتحل حميد فنزل فى وسط المدينة وتسلل أصحاب ابراهيم الى المدائن فملكوها وقاتل

بقيتهم

بقيتهم حميد وكان الفضل بن الربيع مع ابراهيم فتحول الى حميد وكاتب المطلب بن
عبد الله بن مالك بأن يسلموه اليه وكان سعيد بن الساحور وابو البط وغيرهم من القواد
يكاتبون على بن هشام بمثل ذلك ولما علم ابراهيم بما اجتمعوا عليه أقبل على مداراتهم
الى أن جن الليل ثم تسرب فى البلد واختفى منتصف ذى الحجة من سنة ثلاث وبلغ الخبر
الى حميد وعلى بن هشام فأقبلوا الى دار ابراهيم فلم يجدوه وذلك لسنتين من بيعته وأقام
على بن هشام على شرقى بغداد وحميد على غربيها وأظهر سهل بن سلامة ما كان يدعو
اليه فقربه حميد ووصله

(قدوم المأمون الى العراق)

لما وقعت هذه الفتن بالعراق بسبب الحسن بن سهل ونفور الناس من استبداده وأخيه
على المأمون ثم من العهد لعلى الرضا بن موسى الكاظم واخراج الخلافة من
بنى العباس وكان الفضل بن سهل يطوى ذلك عن المأمون ويبالغ فى اخفائه حذرا من
أن يتغير رأى المأمون فيه وفى أخيه ولما جاء هرثمة للمأمون وعلم أنه يخبره بذلك
وان المأمون يثق بقوله احكم السعاية فيه عند المأمون حتى تغير له فقتله ولم يصغ الى
كلامه فازدادت نفرة الشيعة وأهل بغداد وكثرت الفتن وتحدث القواد فى عسكر
المأمون بذلك ولم يقدروا على ابلاغه فجاؤا الى على الرضا وسألوه انهاء ذلك الى
المأمون فأخبره بما فى العراق من الفتنة والقتال وانهم بايعوا ابراهيم بن المهدى
فقال المأمون انما جعلوه أميرا يقوم بأمرهم فقال ليس كذلك وان الحرب الآن
قائمة بين ابن سهل وبينه وان الناس ينقمون عليك مكان الفضل والحسن ومكانى
وعهدك لى فقال له المأمون ومن يعلم هذا غيرك فقال يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران
وغيرهما من وجوه قوادك فاستدعاهم فكتموا حتى استأمنوا اليه ثم أخبروه بما أخبره به
الرضا وان الناس بالعراق يتهمونه بالرفض لعهده لعلى الرضا وان طاهر بن الحسين
مع علم أمير المؤمنين ببلائه قد دفع الى الرقة وضعف أمره والبلاد تفتقت من كل
جانب وان لم يتدارك الامر ذهبت الخلافة منهم فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل
واستخلف على خراسان غسان بن عباد وهو ابن عم الفضل بن سهل وعلم الفضل بن سهل
بذلك فشرع فى عقاب أولئك القواد فلم يغنه ولما نزل المأمون شرخبيل وثب بالفضل
أربعة نفر فقتلوه فى الحمام وهربوا وجعل المأمون جعلا لمن جاءبهم فجاءبهم العباس
ابن الهيثم الدينورى فلما حضروا عند المأمون قالوا له أنت أمرتنا بقتله وقيل
بل اختلفوا فى القول فقال بعضهم أمرنا بقتله ابن أخيه وقال آخرون بل عبد العزيز
ابن عمران من القواد وعلى وموسى وغيرهم وأنكر آخرون فأمر المأمون بقتلهم

وقتل من أقروا عليه من القواد وبعث الى الحسن بن سهل وسار الى العراق وجاءه الخبر بأن الحسن بن سهل أصابته الماليخوليا واختلط فبعث دينارا مولاه ووكله بأمور العسكر وكان ابراهيم بن المهدى وعيسى بالمدائن وأبو البط وسعيد بالنيل والحرب متصلة بينهم والمطلب بن عبد الله بن مالك قد اعتل بالمدائن فرجع الى بغداد وجعل يدعو الى المأمون سرا والى خلع ابراهيم وأن يكون منصور بن المهدى خليفة للمأمون وداخله فى ذلك خزيمة بن خازم وغيره من القواد وكتب الى على بن هشام وحميد أن يتقدما فنزل حميد نهر صرصر وعلى النهروان وعاد ابراهيم بن المهدى من المدائن الى بغداد منتصف صفر وقبض على منصور وخزيمة ومنع المطلب مواليه فأمر ابراهيم بنهب داره ولم يظفر ونزل حميد وعلى بن هشام المدائن وأقاما بها وزوج المأمون فى طريقه ابنته من على الرضا وبعث أخاه ابراهيم بن موسى الكاظم على الموسم وولاه اليمن وكان به حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان قد غلب عليه ولما نزل المأمون مدينة طوس مات على الرضا فجأة آخر صفر من سنة ثلاث من عنب أكله وبعث المأمون الى الحسن بن سهل بذلك والى أهل بغداد وشيعته يعتذر من عهده اليه وانه قد مات ويدعوهم الى الرجوع لطاعته ثم سار الى جرجان وأقام بها أشهرا وعقد على جرجان لرجاء بن أبى الضحاك قاعدا وراء النهر ثم عزله سنة أربع وعقد لغسان ابن عباد من قرابة الفضل بن سهل على خراسان وجرجان وطبرستان وسجستان وكرمان ورويان ودهاوند ثم عزله بطاهر كما نذكره ثم سار الى النهروان فلقيه أهل بيته وشيعته والقواد ووجوه الناس وكان قد كتب الى طاهر أن يوافيه بها فجاء من الرقة ولقيه هنالك وسار المأمون فدخل بغداد منتصف صفر من سنة أربعة فنزل الرصافة ثم نزل قصره بشاطئ دجلة وبقى القواد فى العسكر وانقطعت الفتن وبقى الشيعة يتكلمون فى لبس الخضرة وكان المأمون قد أمر طاهر بن الحسين أن يسأل حوائجه فأول شئ سأل لبس السواد فأجابه وقعد للناس وخلع عليه وعليهم الثياب السود واستقامت الامور

(فتنة الموصل)

كانت الفتنة قد وقعت بالموصل بين بنى شامة وبنى ثعلبة وكان على ابن الحسن الهمدانى متغلبا عليها فى قومه فاستجارت ثعلبة بأخيه محمد فأمرهم بالخروج الى البرية ففعلوا وتبعهم بنو شامة فى ألف رجل وحاصروهم بالقوجاء ومعهم بنو ثعلب وبعث على ومحمد اليهم بالمدد فقتلوا جماعة من بنى شامة وأسروا منهم ومن بنى ثعلب فجاء أحمد بن عمر بن الخطاب الثعلبى الى على فوادعه وسكنت الفتنة ثم ان على بن الحسين سطا بمن كان فى الموصل من الازد عسفا فى الحكم عليهم وقال لهم يوما ألحقوا بعمان فاجتمعت الازد الى السيد بن أنس كبيرهم وقاتلوه

وكان فى تلك النواحى مهدى بن علوان من الخوارج فأدخله على بن الحسين وبايعه وصلى بالناس واشتدت الحرب ثم كانت اصرا على على وأصحابه وأخرجهم الازد عن البلد الى الحديثة ثم اتبعوهم فقتلوا عليا وأخاه أحمد فى جماعة ولجأ محمد الى بغداد وملك السيد بن أنس والازد الموصل وخطب للمأمون ولما قدم المأمون بغداد وفد عليه السيد بن أنس فشكاه محمد بن الحسين بن صالح واستعداه عليه بقتل اخويه وقومه فقال نعم يا أمير المؤمنين ادخلوا الخارجى بلدك وأقاموه على منبرك وأبطلوا دعوتك فأهدر المأمون دماهم

(ولاية طاهر على خراسان ووفاته)

كان المأمون بعد وصوله الى العراق قد ولى طاهر بن الحسين الجزيرة والشرطة بجانبى بغداد والسواد ودخل عليه يوما فى خلوته فأذن له بالجلوس وبكى ففداه فقال المأمون أبكى لامر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو أحد من شجن وقضى طاهر حديثه وانصرف وكان حسين الخادم حاضرا فدس اليه على يد كاتبه محمد بن هرون أن يسأل المأمون عن مكاتبته على مائة ألف درهم ومثلها للكاتب وخلا حسين بالمأمون وسأله ففطن وقال له ان الثناء منى ليس برخيص والمعروف عندى ليس بضائع فغيبى عن غير المأمون فاجابه وركب الى المأمون وفاوضه فى أمر خراسان وانها يخشى عليها من الترك وان غسان بن عباد ليس بكفء لها فقال لقد فكرت فى ذلك فمن ترى يصلح لها قال طاهر بن الحسين قال هو خالع قال أنا ضامنه فاستدعاه وعقد له من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق من حلوان الى خراسان وعسكر من يومه خارج بغداد وأقام شهرا تحمل اليه كل يوم عشرة آلاف ألف درهم عادة صاحب خراسان وولى المأمون مكانه بالجزيرة ابنه عبد الله وكان ينوب عن أبيه بالشرطة فحملها الى ابن عمه اسحق بن ابراهيم ابن مصعب وخرج الى عمله ونزل الرقة لقتال نصر بن شبث ثم سار طاهر الى خراسان آخر ذى القعدة سنة خمس ومائتين وقيل فى سبب ولاية طاهر خراسان أن عبد الرحمن المطوع جمع جموعا كثيرة بنيسابور لقتال الحرورية ولم يستأذن غسان بن عباد وهو الوالى على خراسان فخشى أن يكون ذلك من المأمون فاضطرب وتعصب له الحسن بن سهل وخشى المأمون على خراسان فولى طاهرا وسار الى خراسان فأقام بها الى سنة سبع ثم اعتزم على الخلاف وخطب يوما فأمسك عن الدعاء للمأمون ودعا بصلاح الامة وكتب صاحب البريد بذلك الى المأمون بخلعه فدعا بأحمد بن أبى خالد فقال أنت ضمنته فسر وائتنى به ثم جاء من الغد الخبر بموته فقال المأمون للبريد ونعم الحمد لله الذى قدمه وأخرنا وولى طلحة من قبله وبعث اليه المأمون أحمد بن أبى خالد ليقوم بأمره فعبر أحمد

الى ماوراء النهر وافتتح اسروسنه واسر كاووس بن خالد حذ دوا بنه الفضل و بعث بهما الى المأمون ووهب طلحة لاحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضا بألف ألف ولمكاتبته خمسمائة ألف درهم ثم خالف الحسين بن الحسين بن مصعب بكرمان فسار اليه أحمد بن أبي خالد وأتى به الى المأمون فعفا عنه

(ولاية عبد الله بن طاهر الرقة ومصر ومحاربته نصر بن شبث)

وفى سنة ست ومائتين بلغ الخبر بوفاة يحيى بن معاذ عامل الجزيرة وانه استخلف ابنه أحمد فولى المأمون عبد الله بن طاهر مكانه وجعل له ما بين الرقة ومصر فأمره بحرب نصر ابن شبث وقيل ولاه سنة خمس وقيل سنة سبع واستخلف على الشرطة ببغداد اسحق ابن ابراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه وكتب اليه أبو طاهر كتابا بالوصية جمع فيه محاسن الآداب والسياسة ومكارم الاخلاق وقد ذكرناه فى مقدمة كتابنا فسار عبد الله بن طاهر لذلك وبعث الجيوش لحصار نصر بن شبث بكيسوم فى نواحى جانب ثم سار اليه بنفسه سنة تسع ومائتين وأخذ بمخنقه وبعث اليه المأمون محمد بن جعفر العامرى يدعوه الى الطاعة فأجاب على شرط أن لا يحضر عنده فتوقف المأمون وقال ما باله ينفر منى فقال أبو جعفر لما تقدم من ذنبه فقال افتراه أعظم ذنبا من الفضل ابن الربيع وقد أخذ جميع ما أوصى له به الرشيد من الاموال والسلاح وذهب مع القواد الى أخى واسلمنى وأفسد على حتى كان ما كان ومن عيسى بن أبى خالد وقد خالف على ببلدى وأخرب دارى وبايع لابراهيم دونى فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين هؤلاء لهم سوابق ودالة يمتون بها ونصر ليست له فى دولتكم سابقة وانما كان من جند بنى أمية وأنا لا أجيب الى هذا الشرط ولج نصر فى الخلاف حتى جهده الحصار واستأمن فأمنه عبد الله بن طاهر وخرج اليه سنة عشرة وبعث به الى المأمون وأخرب حصن كيسوم لخمس سنين من حصاره ورجع عبد الله بن طاهر الى الرقة ثم قدم بغداد سنة احدى عشرة فتلقاه العباس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس

(الظفر بابن عائشة وبابراهيم بن المهدى)

كان ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام و يعرف بابن عائشة ممن تولى كبر البيعة لابراهيم بن المهدى ومعه ابراهيم بن الاغلب ومالك بن شاهين وكانوا قد اختفوا عند قدوم المأمون فى نواحى بغداد ولما وصل نصر بن شبث وخرجت النظارة أنفذوا للخروج فى ذلك اليوم ثم غلبهم بعض الناس فأخذوا فى صفر من سنة عشرة ثم ضربوا حتى أقروا على من كان معهم فى الامر فلم يعرض لهم المأمون وحبسهم

فضاق عليهم المحبس وأرادوا أن ينقبوه فركب المأمون بنفسه وقتلهم وصلب ابن عائشة ثم صلى عليه ودفنه ثم أخذ فى هذه السنة ابراهيم بن المهدى وهو متنقب فى زى امرأة يمشى بين امرأتين واستراب به بعض العسس وقال أين تردن فى هذا الوقت فأعطاه ابراهيم خاتم ياقوت فى يده فازداد ريبة ورفعهن الى صاحب المسلحة وجاء بهن الى صاحب الجسر فذهب به الى المأمون وأحضره والغل فى عنقه والمحبسة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ثم حبسه عند أحمد بن أبى خالد ثم أخرجه معه عندما سار الحسن بن سهل ليغنم الصلح فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران وقيل ان ابراهيم لما أخذ حمل الى دار المعتصم وكان عند المأمون فأدخله عليه وانبه فيما كان منه واعتذر بمنظوم من الكلام ومنثور أتى فيه من وراء الغاية وهو منقول فى كتب التاريخ فلا نطيل بنقله

(انتقاض مصر والاسكندرية)

كان السرى بن محمد بن الحكم واليا على مصر وتوفى سنة خمس ومائتين وبقى ابنه عبد الله فانتقض وخلع الطاعة وأنزل بالاسكندرية جالية من الاندلس أخرجهم الحكم بن هشام من ربض قرطبة وغربهم الى المشرق ولما نزلوا بالاسكندرية ثاروا وملكوها وولوا عليهم أبا حفص عمر البلوطى وشغل عبد الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شبث فلما فرغ منه سار من الشأم اليهم وقدم قائدا من قواده واقيمه ابن السرى وقاتله وأغذ ابن طاهر المسير فلحقهم وهم فى القتال وانهزم ابن السرى الى مصر وحاصره عبد الله بن طاهر حتى نزل على الامان وذلك سنة عشرة ثم بعث الى الجالية الذين ملكوا الاسكندرية بالحرب فسألوا الامان على أن يرتحلوا الى بعض الجزائر فى بحر الروم مما يلى الاسكندرية ففعل ونزلوا جزيرة اقريطش واستوطنوها وأقامت فى مملكة المسلمين من أعقابهم دهرا الى أن غلب عليها الافرنجة

(العمال بالنواحى)

لما استقر المأمون ببغداد وسكن الهيج وذلك سنة أربع ولى على الكوفة أخاه أبا عيسى وعلى البصرة أخاه صالحا وعلى الحرمين عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن على بن أبى طالب وعلى الموصل السيد بن أنس الازدى وولى على الشرطة ببغداد ومعاون السواد طاهر بن الحسين استقدمه من الرقة وكان الحسن بن سهل ولاه عليها فقدم واستخلف ابنه عبد الله عليها ثم ولاه المأمون سنة خمس خراسان وأعمال المشرق كلها واستقدم ابنه عبد الله فجعله على الشرطة ببغداد مكان أبيه وولى يحيى

ابن معاذ على الجزيرة وعيسى بن محمد بن أبى خالد على ارمينية وأذربيجان ومحاربة بابك
ومات عامل مصر السرى بن محمد بن الحكم فولى ابنه عبد الله مكانه ومات
داود بن يزيد عامل السند فولى بشر بن داود مكانه على أن يحمل ألف ألف درهم كل
سنة ثم مات يحيى بن معاذ سنة ست واستخلف ابنه أحمد فعزله المأمون وولى مكانه عبد
الله بن طاهر وضاف اليه مصر وسيره بمحاربة نصر بن شبث وولى عيسى بن يزيد الجلودى
محاربة الزط سنة خمس ثم عزله سنة ست وولى داود بن منحور مع أعمال البصرة وكور
دجلة واليمامة والبحرين وولى فى سنة سبع محمد بن حفص على طبرستان والرويان
ودنباوند وفيها أوقع السيد بن أنس بجماعة من عرب بنى شيبان وودبعة بما فشا من
افسادهم فى البلاد فكبسهم بالدسكرة واستباحوهم بالقتل والنهب وفى سنة تسع ولى
صدقة بن على ويعرف بزريق على ارمينية وأذربيجان وأمره بمحاربة بابك وقام
بأمره أحمد بن الجنيد الاسكافى فأسره بابك فولى ابراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان
وكان على جبال طبرستان شهريار بن شروين فمات سنة عشر وقام مكانه ابنه سابور
فقتله مازيار بن قارن فى حرب أسره فيها وملك جبال طبرستان وفى سنة احدى عشرة
قتل زريق بن على بن صدقة الازدى السيد بن أنس صاحب الموصل وقد كان زريق
تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان وولاه المأمون عليها فجمع وقصد الموصل
لحرب السيد فخرج اليه أربعة آلاف فاشتد القتال بينهم وقتل السيد فى المعركة
فغضب المأمون لقتله وولى محمد بن حميد الطوسى على الموصل وأمره بحرب زريق
وبابك الخرمى فسار الى الموصل واستولى عليها سنة ثنتى عشرة ومات موسى بن حفص
عامل طبرستان فولى المأمون مكانه ابنه وولى حاجب بن صالح على الهند فوقعت بينه
وبين بشر بن داود صاحب السند حرب وانهزم بشر الى كرمان ثم قتل محمد بن حميد
الطوسى سنة أربع عشرة قتله بابك الخرمى وذلك انه لما فرغ من أمر المتغلبين بالموصل
سار الى بابك فى العساكر الكاملة الحشد وتجاوز اليه المضايق ووكل بحفظها
حتى انتهى الى الجبل فصعد وقد أكمن بابك الرجال فى الشعراء فلما جاز ثلاثة فراسخ
خرجت عليهم الكمائن فانهزموا وثبت محمد بن حميد حتى اذا لم يبق معه الا رجل واحد
فتسلل يطلب النجاة فعثر فى جماعة من الحربية يقاتلون طائفة من أصحابه فقصدوه
وقتلوه وعظم ذلك على المأمون واستعمل عبد الله بن طاهر على خراسان لانه كان بلغه
ان أخاه طلحة بن طاهر مات وقام على أخوه مكانه خليفة لعبد الله وعبد الله بالدينور
يجهز العساكر الى بابك فولى على نيسابور محمد بن حميد فكثر عيث الخوارج بخراسان
فأمره المأمون بالمسير اليها فسار ونزل نيسابور وسأل عن سيرة محمد بن حميد فسكتوا فعزله

لسكوتهم

لسكوتهم وفى سنة اثنتى عشرة خلع أحمد بن محمد العمرى يعرف بالاحمر العين باليمن فولى
المأمون ابنه العباس على الجزيرة والثغور والعواصم وأخاه أبا اسحق المعتصم على
الشأم ومصر وسير عبد الله بن طاهر الى خراسان وأعطى لكل واحد منهم خمسمائة ألف
درهم وبعث المعتصم أبا عميرة الباذغيسى عاملا على مصر فوثب به جماعة من القيسية
واليمانية فقتلوه سنة أربع عشرة فسار المعتصم الى مصر فقاتلهم وافتتح مصر وولى
عليها واستقامت الامور وفى سنة ثلاث عشرة ولى المأمون غسان بن عباس على السند
لما بلغه خلاف بشر بن داود وفى سنة أربع عشرة استقدم المأمون أبا دلف وكان
بالكرخ من نواحى همذان منذ سار مع عيسى بن ماهان لحرب طاهر وقتل عيسى فعاد
الى همذان وراسله طاهر يدعوه الى البيعة فامتنع وقال له ولا أكون مع أحد وأقام
بالكرخ فلما خرج المأمون الى الرى أرسل اليه يدعوه فسار نحوه وجلا بعد أن
أغرى عليه أصحابه الامتناع وفى سنة أربع عشرة قتل باليمن وفيها ولى المأمون على بن
هشام الجبل وقم واصبهان وأذربيجان وخلع أهل قم وكانوا سألوا الحطيطة
من خراجهم وهو ألف ألف درهم لان المأمون لما جاء من العراق أقام بالرى أياما
وخفف عنهم من الخراج فطمع أهل قم فى مثلها فأبى فامتنعوا من الاداء فسرح اليهم
على بن هشام وعجيف بن عنبسة وظفروا بهم وقتلوا يحيى بن عمران وهدموا سورها
وجبوها على سبعة آلاف ألف وفى سنة ست عشرة ظهر عبدوس الفهرى بمصر وقتل
بعض عمال المعتصم فسار المأمون الى مصر وأصلحها وأتى بعبدوس فقتله وقدم
من برقة وأقام بمصر وفيها غضب المأمون على على بن هشام ووجه عجيفا وأحمد بن هشام
لقبض أمواله وسلاحه لما بلغه من عسفه وظلمه وأراد قتل عجيف واللحاق ببابك
فلم يقدر وظفر به عجيف وجاء به الى المأمون فأمر بقتله وطيف برأسه فى الشأم والعراق
وخراسان ومصر ثم ألقى فى البحر وقدم غسان بن عباد من السند ومعه بشر بن داود
مستأمنا فولى على السند عمران بن موسى العكى وهرب جعفر بن داود القمى الى قم
فخلع وكان محبوسا بمصر منذ عزله المأمون عن قم فهرب الآن وخلع فغلبه على بن عيسى
القمى وبعث به الى المأمون فقتل

(الصوائف)

وفى سنة مائتين قتل الروم ملكهم اليون لسبع سنين ونصف من ملكه وأعادوا ميخائيل
ابن جرجس المخلوع وبقى عليهم تسع سنين ثم مات سنة خمس عشرة وملك ابنه نوفل
وفتح عبد الله بن حردادبه والى طبرستان البلاد والسيرز من بلاد الديلم وافتتح جبال
طبرستان وأنزل شهريار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارن الى المأمون وأسر

ابا البـل ملك الديلم وذلك سـنة احدى ومائتين وفيها ظهر بابك الخرمى فى الجاونداية أصحاب جاوندان سهل وتفسيره الدائم الباقى وتفسير خرم فرح وكانوا يعتقدون مذاهب المجوس وفى سنة أربع عشرة خرج أبو بلال الصابى الشارى فسرح اليه المأمون ابنه العباس فى جماعة من القواد وقتلوه وفى سـنة خمس عشرة دخل المأمون بلاد الروم بالصائفة وسار عن بغـداد فى المحرم واستخلف عليها اسحق بن ابراهيم بن مصعب وهو ابن عم طاهر وولاه السواد وحلوان وكور دجلة ولما وصل تكريت لقيه محمد بن على الرضا فأجازه وزف اليه ابنته أم الفضل وسار الى المدينة فأقام بها وسار المأمون على الموصل الى منبج ثم رابق ثم انطاكية ثم المصيصة وطرطوس ودخل من هنالك فافتتح حصن قرة عنوة وهدمه وقيـل بل فتحه على الامان وفتح قبله حصن ماجـد كذلك وبعث اشناس الى حصن سدس ودخـل ابنه العباس ملطية ووجه المأمون عجيفا وجعـفر الخياط الى حصن سـنان فأطاع وعاد المعتصم من مصر فلقى المأمون قبل الموصل ولقيه العباس ابنه برأس عين وجاء المأمون منصرفه من العراق الى دمشق ثم بلغه أن الروم أغاروا على طرطوس والمصيصة وأثخنوا فيهم بالقتل وكتب اليه ملك الروم فيه بنفسه فرجع اليهم وافتتح كثـيرا من معاقلهـم وأناخ على هرقلة حتى استأمنوا وصالحوه وبعث المعتصم فافتتح ثلاثين حصـنا منها مطمورة وبعث يحيى بن أكثم فأثخن فى البلاد وقتـل وحرق وسبى ثم رجع المأمون الى كيسوم فأقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق وفى سنة سبع عشرة رجع المأمون الى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة فحاصرها مائة يوم ثم رحل عنها وخلف عجيفا على حصارها وجاء نوفل ملك الروم فأحاط به فبعث اليه المأمون بالمدد فارتحل نوفل واستأمن أهل لؤلؤة الى عجيف وبعث نوفل فى المهادنة والمأمون على سلوين فلم يجبه ثم رجع المأمون سـنة ثمان عشرة وبعث ابنه العباس الى بناء طوانة فبنى بها ميلا فى ميل ودورها أربعة فراسخ وجعـل لها أربعة أبواب ونقل اليها الناس من البلدان

(وفاة المأمون وبيعة المعتصم)

ثم مرض المأمون على نهر البربرون واشتد مرضه ودخل العراق وهو مريض فمات بطرطوس وصلى عليه المعتصم وذلك لعشرين سنة من خـلافته وعهد لابنه المعتصم وهو ابو اسحق محمـد فبويع له بعـد موته وذلك منتصف رجب من سـنة ثمان عشرة ومائتين وشغب الجنـد وهتفوا باسم العباس بن المأمون فأحضره وبايع فسكتوا وخرب لوقتـه ما كان بناه من مدينة طوانة وأعاد الناس الى بلادهـم وحمل ما أطاق حمله من الآلة وأحرق الباقى

(ظهور صاحب الطالقان)

وهو محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على زين العابدين بن الحسين كان ملازما للمسجد بالمدينة فلزمه شيطان من أهل خراسان وزين له انه أحق بالامامة وصار يأتيه بحجاج خراسان يبايعونه ثم خرج به الى الجوزجان وأخفاه وأقبـل على الدعاء له ثم حمله على اظهار الدعوة للرضا من آل محمد على عادة الشيعة فى هذا الابهام كما قدمناه وواقعه قواد عبد الله بن طاهر بخراسان المرة بعد المرة فهزموه وأصحابه وأخرج ناجيا بنفسه ومر بنسا فوشى به الى العامل فقبض عليـه وبعثه الى عبـد الله بن طاهر فبعثه الى المعتصم منتصف ربيع أول سنة تسع عشرة فحبسه عند الخادم مسرور الكبير ووكل بحفظه فهرب من محبسه ليلة الفطر من سنته ولم يوقف له على خبر

(حرب الزط)

وهم قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البـلاد وولوا عليهم رجلا منهـم اسمه محمد بن عثمان وقام بأمره آخر منهـم اسمه سماق وبعث المعتصم لحربهـم فى هـذه السـنة عجيف بن عنبسة فى جمادى الآخرة فسار الى واسط وحاربهم فقتل منهـم فى معركة ثلثمائة وأسر خمسمائة ثم قتلهـم وبعث برؤسهم الى باب المعتصم وأقام قبالتهم سبعة أشهر ثم استأمنوا اليه فى ذى الحجة آخر السـنة وجاؤا بأجمعهم فى سبعة وعشرين ألفا المقاتلة منهـم اثنا عشر ألفا فعباهـم عجيف فى السفن على هيئتهم فى الحرب ودخل بهـم بغداد فى عاشوراء سـنة عشرين وركب المعتصم الى الشماسة فى سفينة حتى رآهم ثم غرّبهم الى عين زربة فأغارت عليهم الروم فلم يفلت منهم أحد

(بناء سامرا)

كان المعتصم قد اصطنع قوما من أهل الحرف بمصر وسماهم المطاربة وقوما من سمرقند واسروسـنة وفرغانة وسماهم الفرغانة وأكثر من صبيانهم وكانوا يركضون الدواب فى الطرق ويختلفون بها ركضا فيصـدمون النساء والصبيان فتتأذى العامة بهـم وربما انفرد بعضهـم فقتلوه وتأذى الناس من ذلك ونكروه وربما أسمعوا النكير للمعتصم فعـمد الى بناء القاطون وكانت مدينـة بناها الرشـيد ولم يتمها وخربت فجددها المعتصم وبناها سنة عشرين وسماها سر من رأى فرخمها الناس سامرا وسارت دار الملك لهم من لدن المعتصم ومن بعده واستخلف ببغداد حتى انتقل اليها ابنه الواثق

(نكبة الفضل بن مروان)

كان للمعتصم فى ولايه أخيه كاتب يعرف بيحيى الجرمقانى واتصل به الفضل بن مروان وهو من البردان وكان حسن الخط فلما هلك الجرمقانى استكتبه المعتصم وسار معه الى الشام فأثرى ولما استخلف المعتصم استولى على هواه واستتبع الدواوين واحتجر الاموال ثم صار يرد أوامر المعتصم فى العطايا ولا ينفذها واختلفت فيه السعايات عند المعتصم ودسوا عليه عنده من ملا مجلسه ومساخره من يعير المعتصم باستبداده عليه ورد أوامره فحقد له ذلك ثم نكبه سنة عشرين وصادره وجميع أهل بيته وجعل مكانه محمد بن عبد الملك بن الزيات وغرب الفضل الى بعض قرى الموصل

بياض بالاصل

قد تقدم لنا حديث بابك الخرمى وظهوره سنة اثنتين ومائتين بدعوة جاوندان ابن سهل واتخذ مدينة البذ لامتناعه وولى المأمون حروبه فهزم عساكره وقتل جماعة من قواده وخرب الحصون فيما بين أردبيل وزنجان فلما ولى المعتصم بعث أبا سعيد محمد بن يوسف فبنى الحصون التى خربها وشحنها بالرجال والاقوات وحفظ السابلة لجلب الميرة وبينما هو فى ذلك اغارت بعض سرايا بابك بتلك النواحى فخرج فى طلبهم واستنقذ ما أخذوه وقتل كثيرا وأسر أكثر وبعث بالرؤس والاسرى الى المعتصم وكان ابن البعيث أيضا فى قلعة له حصينة من كور أذربيجان ملكها من يد ابن الرواد وكان يصانع بابك ويضيف سراياه اذا مروا به ومر به فى هذه الايام قائده عصمة وأضافه على العادة ثم قبض عليه وقتل أصحابه وبعث به الى المعتصم فسأله عن عورات بلاد بابك فدله عليها ثم حبسه وعقد لقائده الافشين حيدر بن كاوس على الجبال ووجهه لحرب بابك فسار اليها ونزل بساحتها وضبط الطرقات ما بينه وبين أردبيل وأنزل قواده فى العساكر ما بينه وبين أردبيل يتلقون الميرة من أردبيل من واحد الى الآخر حتى تصل عسكر الافشين وكان اذا وقع بيده أحد من جواسيس بابك يسأله عن احسان بابك اليه فيضاعفه ويطلقه ثم ان المعتصم بعث بغا الكبير بمدد الافشين بالنفقات وسمع بابك فاعتزم على اعتراضه وأخبر الافشين بذلك بعض جواسيسهم فكتب الى بغا أن يرتحل من حصن النهر قليلا ثم يرجع الى أردبيل ففعل ذلك وجاءت الاخبار الى بابك وركب الافشين فى يوم مواعدته لبغا واغذ المسير وخرجت سرية بابك فلقيت قافلة النهر ولم يصادفوا بغا فيها فقتلوا من وجدوا فيها من الجند وفاتهم المال ولقوا فى طريقهم الهيثم من قواد الافشين فهزموه وامتنع بحصنه ونزل بابك عليه يحاصره واذا بالافشين قد وصل فأوقع بهم وقتل الكثير من جنده ونجا بابك الى موقان وأرسل الى عسكره فى البذ فلحقت به وخرج معهم من موقان الى البذ ولما رجع الافشين

الى عسكره استمر على حصار بابك وانقطعت عنه الميرة من سائر النواحى ووجه صاحب مراغة اليه ميرة فلقيتها سرية من سرايا بابك فأخذوها ثم خلص اليه بغا بما معه من المال ففرقه فى العساكر وأمر الافشين قواده فتقدموا وضيقوا الحصار على بابك فى حصن البذ ونزل على ستة أميال منه وسار بغا الكبير حتى أحاط بقرية البذ وقاتلهم وقتلوا منهم جماعة فتأخر الى خندق محمد بن حميد من القواد وبعث الى الافشين فى المدد فبعث اليه أخاه الفضل وأحمد بن الخليل بن هشام وأبا خوس وصاحب شرطة الحسن بن سهل وأمره بمناجزتهم الى الحرب فى يوم عينه له فركبوا فى ذلك اليوم وقصدوا البذ وأصابهم برد شديد ومطر وقاتل الافشين فغلب من بازائه من أصحاب بابك واشتد عليهم المطر فنزلوا واتخذ بغا دليلا أشرف به على جبل يطل منه على الافشين ونزل عليهم الثلج والضباب فنزلوا منازلهم وعمد بابك الى الافشين فقض معسكره وضجر أصحاب بغا من مقامهم فى رأس الجبل فارتحل بهم ولا يعلم ما تم على الافشين وقصد حصن البذ فتعرف خبر الافشين ورجع على غير الطريق الذى دخلوا منه لكثرة مضايقه وعقابه وتبعته طلائع بابك فلم يلتفت اليهم مسابقة للمضايق امامه وأجنهم الليل وخافوا على أثقالهم وأموالهم فعسكر بهم بغا من رأس جبل وقد تعبوا وفنيت أزوادهم وبيتهم بابك ففضهم ونهبوا ما كان معهم من المال والسلاح ونجوا الى خندقهم الاول فى أسفل الجبل وأقام بغا هنالك وكان طرخان كبير قواد بابك قد استأذنه أن يشتو بقرية فى ناحية مراغة فارسل الافشين الى بعض قواده بمراغة فأسرى اليه وقتله وبعث برأسه ودخلت سنة اثنتين وعشرين فبعث المعتصم جعفر الخياط بالعساكر مددا للافشين وبعث ايتاخ بثلاثين ألف ألف درهم لنفقات الجند فأرسلها وعاد ورحل الافشين لاول فصل الربيع ودنا من الحصن وخندق على نفسه وجاءه الخبر بأن قائد بابك واسمه أذين قد عسكر بازائه وبعث عياله الى بعض حصون الجبل فبعث الافشين بعض قواده لاعتراضهم فسلكوا مضايق وسلقوا وأغاروا الى أن لقوا العيال فأخذوهم وانصرفوا وبلغ الخبر أذين فركب لاعتراضهم وحاربهم واستنقذ بعض النساء وعلم بشأنهم الافشين من علامات كان أمرهم بها ان رأى بهم ريبا فركب اليهم فلما أحسوا به فرجوا عن المضيق ونجا القوم وتقدم الافشين قليلا قليلا الى حصن البذ وكان يأمر الناس بالركوب ليلا للحراسة خوف البيات فضجر الناس من التعب وارتاد فى رؤس تلك الجبال أماكن يتحصن فيها الرجالة فوجد ثلاثة فأنزل فيها الرجالة بأزوادهم وسد الطرق اليها بالحجارة وأقام يحاصرهم وكان يصلى الصبح بغلس ثم يسير زحفا ويضرب الطبول ليزحف الناس

لزحفه فى الجبال والاودية على مصافهم واذا امسك وقفوا وكان اذا أراد أن يتقدم
المضيق الذى أتى منه عام أول خلف به عسكرا على رأس العقبة يحفظونه لئلا يأخذه
الخرمية منه عليهم وكان بابك متى زحفوا اليه كمن عسكرا تحت تلك العقبة واجتهد
الافشين أن يعرف مكان الكمين فلم يطق وكان يأمر أبا سعيد وجعفرا الخياط وأحمد
ابن الخليل بن هشام فيتقدمون الى الوادى فى ثلاثة كراديس ويجلس على تلك ينظر
اليهم والى قصر بابك ويقف بابك قبالته فى عسكر قليل وقد أكمن بقية العسكر فيشربون
الخمر ويلعبون بالسريانى فاذا صلى الافشين الظهر رجع الى خندقه بروذ الروذ مصافا
بعد مصاف الاقرب الى العدو ثم الذى يليه وآخرين ترجع العسكر الذى عقبه
المضيق حتى ضجرت الخرمية من المطاولة وانصرف بعض الايام وتأخر جعفر فخرج
الخرمية من البذ على أصحابه فردهم جعفر على أعقابهم وارتفع الصياح ورجع الافشين
وقد نشبت الحرب وكان مع أبى دلف من أصحاب جعفر قوم من المطوعة فضيقوا
على أصحاب بابك وكانوا يصدعون البذ وبعث جعفر الى الافشين يستمده خمسمائة
راجل من الناشبة فأبى له وأمره بالتحيل فى الانصراف وتعلق أولئك المطوعة بالبذ
وارتفع الصياح وخرج الكمناء من تحت العقبة وتبين الافشين أماكنهم واطلع
على خدعتهم وانصرف جعفر الى الافشين وعاتبه فاعتذر اليه بيستأمن الكمين
وأراه مكانه فانصرف عن عتابه وعلم أن الرأى معه وشكا المطوعة ضيق العلوفة
والزاد فأذن لهم فى الانصراف وتناولوه بألسنتهم ثم طلبوه فى المناهضة فأذن لهم
وواعدهم ليوم معلوم وجهز وحمل المال والزاد والماء والمحامل للجرحى وتقدم الى
مكانه بالامس وجهز العسكر على العقبة على عادته وأمر جعفرا بالتقدم بالمطوعة
وأن يأتوا من أسهل الوجوه وأطلق يده بمن يريده من الناشبة والنفاطين وتقدم جعفر
الى مكانه بالامس والمتطوعة معه فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ حتى ضرب جمعهم مائه
وجاء الفعلة بالفؤس وطيف عليهم بالمياه والازودة ثم جاء الخرمية من الباب وكسروا
على المطوعة وطرحوهم على السور ورموهم بالحجارة فنالت منهم وضعفوا عن الحرب
ثم تحاجزوا آخر يومهم وأمرهم الافشين بالانصراف ودا كلهم اليأس من الفتح
تلك السنة وانصرف أكثر المطوعة ثم عاود الافشين الحرب بعد أسبوعين وبعث
من جوف الليل ألفا من الناشبة الى الجبل الذى وراء البذ حتى يعاينوا الافشين
من هذه الناحية فيرمون على الخرمية وبعث عسكرا آخر كمينا تحت ذلك الجبل الذى
وراء البذ وركب هو من الغداة الى المكان الذى يقف فيه على عادته وتقدم جعفر
الخياط والقواد حتى صاروا جميعا حول ذلك الجبل فوثب كمين بابك من أسفل الجبل

بالعسكر الذى جاء اليه لما فضحهم الصبح وانحدر الناشبة من الجبل وقد ركبوا
الاعلام على رماحهم وقصدوا جميعا أدين قائد بابك فى جفلة فانحدر الى الوادى فحمل
عليه جماعة من أصحاب القواد فرمى عليهم الصخور من الجبل وتحدرت اليهم ولما رأى
ذلك بابك استأمن للافشين على أن يحمل عياله من البذ وبينما هم فى ذلك اذ جاء الخبر
الى الافشين بدخول البذ وان الناس صعدوا بالاعلام فوق قصور بابك حتى دخل
واديا هنالك وأحرق الافشين قصور بابك وقتل الخرمية عن آخرهم وأخذ أمواله وعياله
ورجع الى معسكره عند المساء وخالفه بابك الى الحصن فحمل ما أمكنه من المال
والطعام وجاء الافشين من الغد فهدم القصور وأحرقها وكتب الى ملوك أرمينية
وبطارقتهم باذكاء العيون عليه فى نواحيهم حتى يأتوه به ثم عثر على بابك بعض العيون
فى واد كثير الغياض يمر من أذربيجان الى أرمينية فبعث من يأتى به فلم يعثروا عليه
لكثرة الغياض والشجر وجاء كتاب المعتصم بأمانه فبعث به الافشين بعض المستأمنة
من أصحاب بابك فامتنع من قبوله وقتل بعضهم ثم خرج من ذلك الوادى هو وأخوه
عبد الله ومعاوية وأمه يريدون أرمينية ورآهم الحرس الذين جاؤا الاخذه وكان
أبو السفاح هو المقدم عليهم فتروا فى اتباعهم وأدركوهم على بعض المياه فركب ونجا
وأخذ أبو السفاح معاوية وأم بابك وبعث بهم الى الافشين وسار بابك فى جبال أرمينية
مختفيا وقد أذكوا عليه العيون حتى اذا مسه الجوع بعث بعض أصحابه بدنانير
لشراء قوتهم فعثر به بعض المسلحة وبعث الى سهل بن سباط فجاء واجتمع بصاحب بابك
الذى كانت حراسة الطريق عليه ودله على بابك فأتاه وخادعه حتى سار الى حصنه
وبعث بالخبر الى الافشين فبعث اليه بقائدين من قبله وأمرهما بطاعة ابن سباط
فأكمنهما فى بعض نواحى الحصن وأغرى بابك بالصيد وخرج معه فخرج القائدان
من الكمين فأخذاه وجاآبه الى الافشين ومعهما معاوية بن سهل بن سباط فحبسه
ووكل بحفظه وأعطى معاوية ألف درهم وآتى سهلا ألف ألف درهم ومنطقة مفرقة
بالجوهر وبعث الى عيسى بن يوسف بن أسطفانوس ملك البيلقان يطلب منه عبد الله
أخا بابك وقد كان لجأ الى حصنه عندما أحاط به ابن سباط فأنفذه اليه وحبسه الافشين
مع أخيه وكتب الى المعتصم فأمره بالقدوم بهما وذلك فى شوال من سنة ثنتين
وعشرين وسار الافشين بهما الى سامرا فكان يلقاه فى كل رحلة رسول من المعتصم
بخلعة وفرس ولما قرب من سامرا تلقاه الواثق وكبر لقدومه وأنزل الافشين وبابك
عنده بالمطيرة وتوج الافشين وألبسه وشاحين ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة
آلاف ألف درهم يفرقها فى عسكره وذلك فى صفر سنة ثلاث وعشرين وجاء أحمد

ابن أبي داود الى بابك متنكرا وكلمه ثم جاء المعتصم أيضا متنكرا فرآه ثم عقد من الغد
واصطف الناظرة سماطين وجيء بابك راكبا على الفيل فلما وصل أمر المعتصم بقطع
أطرافه ثم بذبحه وأنفذ رأسه الى خراسان وصلب شلوه بسامرا وبعث بأخيه عبد الله
الى اسحق بن ابراهيم ببغداد ليفعل به مثل ذلك ففعل وكان الذى أنفق الافشين فى مدة
حصاره لبابك سوى الارزاق والانزال والمعاون عشرة آلاف ألف درهم يوم ركوبه
لمحاربته وخمسة آلاف يوم قعوده وجميع من قتل بابك فى عشرين سنة أيام فتنته مائة
ألف وخمسة وخمسين ألفا وهزم من القواد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبى خالد
وأحمد بن الجنيد وزريق بن على بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسى وابراهيم بن الليث
وكان الذين أسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة والذى استنقذ من يديه من المسلمات
وأولادهن سبعة آلاف وستمائة انسان جعلوا فى حظيرة فمن أتى من أوليائهم وأقام
بينة على أحد منهم أخذه والذى صار فى يد الافشين من بنى بابك وعياله سبعة عشر
رجلا وثلاثا وعشرين امرأة

(فتح عمورية)

وفى سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد المسلمين فأوقع
بأهل زبطرة لأن بابك لما أشرف على الهلاك كتب اليه أن المعتصم قد وجه عساكره
حتى خياطه يعنى جعفر بن دينار وطباخه يعنى ايتاخ ولم يبق عنده أحد فانتهز الفرصة
ثلاثا ودونها وظن بابك أن ذلك يدعو المعتصم الى انفاذ العساكر لحرب الروم فيخف
عنه ما هو فيه فخرج نوفل فى مائة ألف وفيهم من المحمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال
وهزمهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب فلحق بالروم وبلغ نوفل زبطرة فاستباحها قتلا وسبيا
وأغار على ملطية وغيرها ومثل بالاسرى وبلغ الخبر الى المعتصم فاستعظمه وبلغه
ان هاشمية صاحت وهى فى أيدى الروم وامعتصماه فأجاب وهو على سريره لبيك لبيك
ونادى بالنفير ونهض من ساعته فركب دابته واحتقب شكالا ارسله من حديد فيها رداؤه
وجمع العساكر وأحضر قاضى بغداد عبد الرحمن بن اسحق ومعه ابن سهل فى ثلثمائة
وثلاثين من العدول فأشهدهم بما وقف من الضياع ثلثا لولده وثلثا لمواليه وثلثا لوجه
الله وسار فعسكر بغربى دجلة لليلتين من جمادى الاولى وبعث عجيف بن عنبسة
وعمر الفرغانى وجماعة من القواد مددا لاهل زبطرة فوجدوا الروم قد ارتحلوا عنها
فأقاموا حتى تراجع الناس واطمأنوا ولما ظفر ببابك سأل أى بلاد الروم أعظم عندهم
فقيل له عمورية فتجهز اليها بما لا يعاينه أحد قبله من السلاح والآلة والعدد وحياض
الادم والقرب والروايا وجعل مقدمته أشناس وبعده محمد بن ابراهيم بن مصعب

وعلى الميمنة ايتاخ وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط وعلى القلب عجيف بن عنبسة
وجاء الى بلاد الروم فأقام بسلوقية على نهر السن قريبا من البحر وعلى مسيرة يوم من
طرطوس وبعث الافشين الى سروج وأمره بالدخول من درب الحرث وبعث اشناس
من درب طرطوس وأمره بانتظاره بالصفصاف وقدم وصيفا فى أثر اشناس وواعدهم
يوم اللقاء ورحل المعتصم لست بقين من رجب وبلغه الخبر ان ملك الروم عازم على كبس
مقدمته فبعث الى اشناس بذلك وأن يقيم ثلاثة أيام ليلحق به ثم كتب اليه أن يبعث
اليه من قواده من يأتيه بخبر الروم وملكهم فبعث عمر الفرغانى فى مائتى فارس فطاف
فى البلاد وأحضر جماعة عند اشناس أخبروه بأن ملك الروم بينما هو ينتظر المقدمة
ليواقعها اذ جاءه الخبر بأن العساكر دخلت من جهة أرمينية يعنى عسكر الافشين
فاستخلف ابن خاله على عسكره وسار الى تلك الناحية فوجه اشناس بهم الى المعتصم
وكتب المعتصم الى الافشين بالمقام حذرا عليه وجعل لمن يوصل الكتاب عشرة آلاف
درهم وأوغل فى بلاد الروم فلم يدركه الكتاب وكتب المعتصم الى اشناس بان يتقدم
والمعتصم فى أثره حتى اذا كانوا على ثلاث مراحل من أنقرة أسر اشناس فى طريقه جماعة
من الروم فقتلهم وقال لهم شيخ منهم أنا أدلك على قوم هربوا من أنقرة معهم الطعام
والشعير فبعث معه مالك بن كرد فى خمسمائة فارس فدلهم الى مكان أهل أنقرة فغنموا
منهم ووجدوا فيهم جرحى قد حضروا وقعة ملك الروم مع الافشين وقالوا لما استخلف
على عسكره سار الى ناحية أرمينية فلقينا المسلمين صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالهم
وافترقت عساكرنا فى طلبهم ثم رجعوا بعد الظهر فقاتلونا وحرقوا عسكرنا وفقدنا الملك
وانهزمنا ورجعنا الى العسكر فوجدناه قد انتقض وجاء الملك من الغد فقتل نائبه
الذى استخلفه وكتب الى بلاده بعقاب المنهزمين ومواعدتهم بمكان كذا ليلقى المسلمين
بها ووجه خصيا له الى أنقرة ليحفظها فوجد أهلها قد أجلوا فأمره الملك بالمسير الى
عمورية فوعى مالك بن كرد خبرهم ورجع بالغنيمة والاسرى الى اشناس وأطلق
الاسير الذى دله وكتب اشناس بذلك الى المعتصم ثم جاء البشير من ناحية الافشين
بالسلامة وان الوقعة كانت لخمس بقين من شعبان وقدم الافشين على المعتصم بأنقرة
ورحل بعد ثلاث والافشين فى ميمنته واشناس فى ميسرته وهو فى القلب وبين كل عسكر
وعسكر فرسخان وأمرهم بالتخريب والتحريق ما بين أنقرة وعمورية ثم وافى
عمورية وقسمها على قواده وخرج اليه رجل من المتنصرة فدله على عورة من السور
بنى ظاهره واخل باطنه فضرب المعتصم خيمته قبالته ونصبت عليه المجانيق فتصدع
السور وكتب بطريقها باطيس والخصى الى الملك يعلمانه بشأنهما فى السور وغيره

فوقع فى يد المسلمين مع رجلين وفى الكتاب ان باطيس عازم على أن يخرج ليلا ويعبر بعسكر المسلمين ويلحق بالملك فنادى المعتصم حرسه ثم انثلمت فوهة من السور بين برجين وقد كان الخندق طم بأوعية الجلود المملوأة ترابا ثم ضرب بالذبالات عليها فدحرجها الرجال الى السور فنشبت فى تلك الاوعية وخلص من فيها بعد الجهد ولما جاء من الغد بالسلالم والمنجنيقات فقاتلوهم على تلك الثلمة وحارب وبدر بالحرب اشناس وجمعت المنجنيقات على تلك الثلمة وحارب فى اليوم الثانى الافشين والمعتصم راكب ازاء الثلمة واشناس وافشين وخواص المخدام معه ثم كانت الحرب فى اليوم الثالث على المعتصم وتقدم ايتاخ بالمغاربة والاتراك واشتد القتال على الروم الى الليل وفشت فيهم الجراحات ومشى بطريق تلك الناحية الى رؤساء الروم وشكا اليهم واستمدهم فأبوا فبعث الى المعتصم يستأمن فامنه وخرج من الغد الى المعتصم وكان اسمه وبدوا فبينما هو والمعتصم يحادثه أومأ عبد الوهاب بن على من بين يديه الى المسلمين بالدخول فاقتحموا من الثلمة وراءهم وبدوا نخاف فقال له المعتصم كل شئ تريده هولك ودخل المسلمون المدينة وامتنع الروم بكنيستهم وسطها فأحرقها المسلمون عليهم وامتنع باطيس البطريق فى بعض أبراجها حتى استنزله المعتصم بالامان وجاء الناس بالاسرى والسبى من كل جانب واصطفى الاشراف وقتل من سواهم وبيعت مغانمهم فى خمسة أيام وأحرق الباقى ووثب الناس على المغانم فى بعض الايام ينهبونها فركب المعتصم وسار نحوهم فكفوا بعمورية فهدمت وأحرقت وحاصرها خمسة وخمسين يوما من سادس رمضان الى آخر شوال وفرق الاسرى على القواد ورجع نحو طرطوس ولم يزل نوفل مملكا على الروم الى أن هلك سنة تسع وعشرين ومائتين فى ولاية الواثق ونصبوا ابنه ميخاييل فى كفالة أمه تدورة فأقامت عليهم ست سنين ثم اتهمها ابنها ميخاييل بقمط من اقاطها عليها وألزمها بيتها سنة ثلاث وثلاثين

(حبس العباس بن المأمون ومهلكه)

كان المعتصم يقدم الافشين على عجيف بن عنبسة ولما بعثه الى زبطرة لم يطلق يده فى النفقات كما أطلق للافشين وكان يستقصر شأن عجيف وأفعاله فطوى عجيف على النكث وأتى العباس بن المأمون فعذله على قعوده عند وفاة المأمون عن الامر حتى بويع المعتصم وأغراه قبلا فى ذلك فقبل العباس منه ودس رجلا من بطانته يقال له السمرقندى قرابة عبد الله بن الوضاح وكان له أدب ومداراة فاستأمن له جماعة من القواد ومن خواص المعتصم فبايعوه وواعد كل واحد منهم أن يثب بالقائد الذى معه فيقتله من أصحاب المعتصم والافشين واشناس

بالرجوع الى بغداد فأبى من ذلك وقال لا أفسد العراق فلما فتحت عمورية وصعب التسد بير بعض الشئ أشار عجيف بأن يضع من ينهب الغنائم فاذا ركب المعتصم وثبوا به ففعلوا مثل ما ذكرنا وركب فلم يتجاسروا عليه وكان للفرغانى قرابة غلام أمرد فى جملة المعتصم فجلس مع ندمان الفرغانى تلك الليلة وقص عليهم ركوب المعتصم فأشفق الفرغانى وقال يا بنى اقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك وان سمعت ضجة فلا تخرج فأنت غلام غر ثم ارتحل المعتصم الى الثغور وتغير اشناس على عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل وأساء عليهما فطلبا من المعتصم أن يضمهما الى من شاء وشكيا من اشناس فقال له المعتصم أحسن أدبهما فحبسهما وحملهما على بغل فلما صار بالصفصاف حدث الغلام ما سمع من قريبه عمر الفرغانى فأمر بغا أن يأخذه من عند اشناس ويسأله عن تأويل مقالته فأنكر وقال انه كان سكران فدفعه الى ايتاخ ثم دفع أحمد بن الخليل الى اشناس عنده نصيحة للمعتصم وأخبره خبر العباس بن المأمون والقواد والحرث السمرقندى فأنفذ اشناس الى الحرث وقيده وبعث به الى المعتصم وكان فى المقدمة فأخبر الحرث المعتصم بجلية الاثر فأطلقه وخلع عليه ولم يصدقه على القواد لكثرتهم ثم حضر العباس بن المأمون واستحلفه أن لا يكتم عنه شيأ فشرح له القصة فحبسه عند الافشين وتتبع القواد بالحبس والتنكيل وقتل منهم الشاه بن سهيل ثم دفع العباس للافشين فلما نزل منبج طلب الطعام فأطعم ومنع الماء ثم أدرج فى مسح فمات ولما وصل المعتصم الى نصيبين احتفر لعمر الفرغانى بئرا وطمت عليه ولما دخلوا بلاد الموصل قتل عجيف بمثل ما قتل به العباس واستلحم جميع القواد فى تلك الايام وسموا العباس اللعين ولما وصل الى سامرا جلس أولاد المأمون فى داره حتى ماتوا

بياض بالأصل

(انتقاض مازيار وقتله)

كان مازيار بن قارن بن ونداهرمز صاحب طبرستان وكان منافرا لعبد الله بن طاهر فلا يحمل اليه الخراج وقال لا أحمله الا للمعتصم فيبعث المعتصم من يقبضه من أصحابه ويدفعه الى وكيل عبد الله بن طاهر يرده الى خراسان وعظمت الفتنة بين مازيار وعبد الله وعظمت سعاية عبد الله فى مازيار عند المعتصم حتى استوحش منه ولما ظفر الافشين ببابك وعظم محله عند المعتصم وطمع فى ولاية خراسان ظن ان انتقاض مازيار وسيلة لذلك فجعل يستميل مازيار ويحرضه على عداوة ابن طاهر وان أدت الى الخلاف ليبعثه المعتصم لحربه فيكون ذلك وسيلة له الى استيلائه على خراسان ظنا بأن ابن طاهر لا ينهض لمحاربته فانتقض مازيار وحمل الناس على بيعته كرها وأخذ رهائنهم وعجل جباية الخراج فاستكثر منه وخرب سور آمد وسور سارية وقتل أهلها الى جبل يعرف

بهرمازاباذونى سرخاشان سورطمس منها الى البحر على ثلاثة أميال وهى على حد جرجان وكانت تبنيه سدا بين الترك وطبرستان وجعل عليه خندقا ومن أهل جرجان الى نيسابور وأنفذ عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين فى جيش كثيف لحفظ جرجان فعسكر على الخندق ثم بعث مولاه حيان بن جبلة الى قومس فعسكر على جبال شروين وبعث المعتصم من بغداد محمد بن ابراهيم بن مصعب وبعث منصور بن الحسن صاحب دنباوند الى الرى وبعث أبا الساج الى دنباوند وأحاطت العساكر بجباله من كل ناحية وداخل أصحاب الحسن بن الحسين أصحاب سرخاشان فى تسليم سورهم وليس بينهما الا عرض الخندق فكلموه وسار الآخرون اليه على حين غفلة من القائدين وركب الحسن بن الحسين وقد ملك أصحابه السور ودخلوا منه فهرب سرخاشان وقبضوا على أخيه شهريار فقتل ثم قبض على سرخاشان على خمسة فراسخ من معسكره وجىء به الى الحسن بن الحسين فقتله أيضا ثم وقعت بين حيان بن جبلة وبين فارق بن شهريار وهو ابن أخى مازيار من قواده مداخلة استمالت حيان فأجاب أن يسلم مدينة سارية الى حد جرجان على أن يملكوه جبال آبائه وبعث حيان الى ابن طاهر فسجل لقارن بما سأل وكان قارن فى جملة عبد الله بن قارن أخى مازيار ومن قواده فأحضر جميعهم لطعامه وقبض عليهم وبعث بهم الى حيان فدخل جبال قارن فى جموعه واعتصم لذلك مازيار وأشار عليه أخوه القوهيار أن يخلى سبيل من عنده من أصحابه ينزلون من الجبل الى مواطنهم لئلا يؤتى من قبلهم فصرف صاحب شرطته وخراجه وكاتبه جميدة فلحقوا بالسهل ووثب أهل سارية بعاملهم عليهم مهرستان ابن شهرين فهرب ودخل حيان سارية ثم بعث قوهيار أخو مازيار محمد بن موسى بن حفص عامل طبرستان وكانوا قد حبسوه عند انتقاضهم فبعثه الى حيان ليأخذ له الامان وولاية جبال آبائه على أن يسلم اليه مازيار وعذل قوهيار بعض أصحابه فى عدوله بالاستئمان عن الحسن الى حيان فرجع اليهم وكتبوا الى الحسن يستدعونه قوهيار من أخيه مازيار فركب من معسكره بطمس وجاء لموعدهم ولقى حيان على فرسخ فرده الى جبال شروين التى افتتحها ووبخه على غيبته عنها فرجع سارية وتوفى وبعث عبد الله مكانه محمد بن الحسين بن مصعب وعهد اليه أن لا يمنع قارن ما يريده ولما وصل الحسن الى خرماباذ وسط جبال مازيار لقيه قوهيار هنالك واستوثق كل منهما من صاحبه وكاتب محمد بن ابراهيم بن مصعب من قواد المعتصم قوهيار بمثل ذلك فركب قاصدا اليه وبلغ الحسن خبره فركب فى العسكر وحازم يسابق محمد بن ابراهيم الى قوهيار فسبقه ولقى قوهيار وقد جاء بأخيه مازيار فقبض عليه وبعثه مع اثنين من قواده الى

خرماباذ ومنها الى مدينة سارية ثم ركب واستقبل محمد بن ابراهيم بن مصعب وقال أين تريد فقال الى المازيار فقال هو بسارية ثم حبس الحسن أخوى المازيار ورجع الى مدينة سارية فقيد المازيار بالقيد الذى قيد به محمد بن محمد بن موسى بن حفص وجاء كتاب عبد الله بن طاهر بأن يدفع المازيار وأخويه وأهل بيته الى محمد بن ابراهيم يحملهم الى المعتصم وسأل الحسن المازيار عن أمواله فذكر أنها عند قوم من وجوه سارية سماهم وأمر الحسن القوهيار بحمل هذه الاموال وسار الى الجبل ليحملها فوثب به مماليك المازيار من الديلم وكانوا ألفا ومائتين فقتلوه بثأر أخيه وهربوا الى الديلم فاعترضتهم جيوش محمد بن ابراهيم وأخذوهم فبعث بهم الى مدينة سارية وقيل ان الذى غدر بالمازيار ابن عم له كان يتوارث جبال طبرستان والمازيار يتوارث سهلها وكانت جبال طبرستان ثلاثة أجبل فلما انتقض واحتاج الى الرجال دعا ابن عمه من السهل وولاه على أصعبها وظن أنه قد توثق به فكاتب هو الحسن وأطلعه على مكاتبة الافشين المازيار وداخله فى الفتك على أن يوليه ما كان لآبائه وأن المازيار لما ولاه الحسن بن سهل طبرستان انتزع الجبل من يده فأفضى له الحسن كتاب ابن طاهر وتوثق له فيه وأوعده ليوم معلوم ركب فيه الحسن الى الجبل فأدخله ابن عم مازيار وحاصروه حتى نزل على حكمه ويقال أخذه أسيرا فى الصيد ومضى الحسن به ولم يشعر صاحب الجبل الآخر وأقام فى قتاله لمن كان بازائه فلم يشعر الا والعساكر من ورائه فانهزم ومضى الى بلاد الديلم فأتبعوه وقتلوه ولما صار المازيار فى يده طلبت منه كتب الافشين فأحضرها وأمر ابن طاهر أن يبعث بها معه الى المعتصم فلما وصل الى المعتصم ضربه حتى مات وصلبه الى جانب بابك وذلك سنة أربع وعشرين

(ولاية ابن السيد على الموصل)

وفى سنة أربع وعشرين ولى المعتصم على الموصل عبد الله بن السيد بن أنس الازدى وكان سبب ولايته أن رجلا من مقدمى الاكراد يعرف بجعفر بن فهرجس كان قد عصى باعمال الموصل وتبعه خلق كثير من الاكراد وغيرهم وأفسدوا البلاد فبعث المعتصم لحربه عبد الله بن السيد بن أنس فقاتله وغلبه وأخرجه منها بعد أن كان استولى عليها ولحق بجبل داسن وامتنع بأعاليه وقاتله عبد الله وتوغل فى مضايق ذلك الجبل فهزمه الاكراد وأثخنوا فى أصحابه بالقتل وقتل اسحق بن أنس عم عبد الله فبعث المعتصم مولاه ايتاخ فى العساكر الى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داسن فقاتل جعفرا وقتله وافترق أصحابه وأوقع بالاكراد واستباحهم وفروا أمامه الى تكريت

بياض بالاصل

(نكبة الافشين ومقتله)

كان الافشين من أهل اشروسنة تبوأها ونشأ ببغداد عند المعتصم وعظم محله عنده ولما حاصر بابك كان يبعث الى اشروسنة بجميع أمواله فكتب ابن طاهر بذلك الى المعتصم فأمره المعتصم بأن يجعل عيونه عليه فى ذلك وعثر مرة ابن طاهر على تلك الاموال فأخذها وصرفها فى العطاء وقال له حاملوها هذا مال الافشين فقال كذبتم لو كان ذلك لاعلمنى أخى افشين به وانما أنتم اصوص وكتب الى الافشين بذلك بأنه دفع المال الى الجند ليوجههم الى الترك فكتب اليه افشين مالى ومال أمير المؤمنين واحد وسأله فى اطلاق القوم فأطلقهم واستحكمت الوحشة بينهما وتتابعت السعاية فيه من طاهر وربما فهم الافشين أن المعتصم يعزله عن خراسان فطمع فى ولايتها وكان مازيار يحسن له الخلافة ليدعو المعتصم ذلك الى عزله وولاية الافشين لحرب مازيار فكان من أمر مازيار ماذكرناه وسيق الى بغداد مقيدا وولى المعتصم الافشين على أذربيجان فولى عليها من قبله منكجور من بعض قرابته فاستولى على مال عظيم لبابك وكتب به صاحب البريد الى المعتصم فكذبه منكجور وهم بقتله فمنعه أهل اردبيل فقاتلهم وسمع ذلك المعتصم فأمر الافشين بعزل منكجور وبعث قائدا فى عسكره مكانه فخلع منكجور وخرج من اردبيل فهزمه القائد ولحق ببعض حصون اذربيجان كان بابك خربه فأصلحه وتحصن فيه شهرا ثم وثب فيه أصحابه وأسلموه الى القائد فقدم به الى سامرا فحبسه المعتصم واتهم الافشين فى أمره وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين بأن القائد كان بغا الكبير وأنه خرج اليه بالامان اه * ولما أحس الافشين بتغير المعتصم أجمع أمره على الفرار واللحاق بارمينية وكانت فى ولايته ويخرج منها الى بلاد الخزر ويرجع الى بلاد اشروسنة وصعب عليه ذلك بمباشرة المعتصم أمره فأراد أن يتخذ لهم صنيعا يشغلهم فيه نهارهم ثم يسير من أول الليل وعرض له فى أثناء ذلك غضب على بعض مواليه وكان سيئ الملكة فأيقن مولاه بالهلكة وجاء الى ايتاخ فأحضره الى المعتصم وخبره الخبر فأمر باحضاره وحبسه بالجوسق وكان ابنه الحسن عاملا على بعض ماوراء النهر فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر فى الاحتيال عليه وكان يشكو من نوح بن أسد صاحب بخارى فكتب ابن طاهر الى الحسن بولاية بخارى وكتب الى نوح بذلك وأن يستوثق منه اذا وصل اليه ويبعث به ثم يبعث به الى ابن طاهر ثم الى المعتصم ثم أمر المعتصم باحضار الافشين ومناظرته فيما قيل عنه فأحضر عند الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات وعنده القاضى أحمد بن ابى دواد واسحق ابن ابراهيم وجماعة القواد والاعيان وأحضر المازيار من محبسه والمؤيد والمرزبان بن

تركش

تركش أحد ملوك الصغد ورجلان من أهل الصغد يدعيان أن الافشين ضربهما وهما امام ومؤذن بمسجد فكشفا عن ظهورهما وهما عاريان من اللحم فقال ابن الزيات للافشين مابالى هذين قال عهد الى معاهدين فوثبا على بيت أصنامهم فكسراها واتخذا البيت مسجدا فعاقبتهما على ذلك وقال ابن الزيات مابال الكتاب المحلى بالذهب والجوهر عندك وفيه الكفر قال كتاب ورثته من آبائى وأوصونى بما فيه من آدابهم فكنت آخذها منه واترك كفرهم ولم أحتج الى نزع حليته وماظننت ان مثل هذا يخرج عن الاسلام ثم قال المؤيد انه يأكل لحم المخنقة ويحملنى على أكلها ويقول هو أرطب من لحم المذبوحة ولقد قال لى يوما جلت على كل مكروه لى حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل الى هذه الغاية لم أختتن ولم تسقط عنى شعرة العانة فقال الافشين أثقة هذا عندكم فى دينه وكان مجوسيا قالوا لا قال فكيف تقبلونه على ثم قال للمؤيد أنت ذكرت انى أسررت اليك ذلك فلست بثقة فى دينك ولا بكريم فى عهدك ثم قال له المرزبان كيف يكاتبك أهل اشروسنة قال ما أدرى قال أليس يكاتبونك بما تفسره بالعربى الى اله الآلهة من عبده فلان قال بلى فقال ابن الزيات فما أبقيت لفرعون قال هذه عادة منهم لابى وجدى ولى قبل الاسلام ولو منعتهم لفسدت على طاعتهم ثم قال له أنت كاتبت هذا وأشار الى المازيار كتب أخوه الى أخى قوهيار انه لن ينصر هذا الدين غيرى وغيرك وغير بابك فأما بابك فقد قتل نفسه بحمقه ولقد عهدت أن أمنعه فأبى الا حمقه وأنت ان خالفت لم يرمك القوم بغيرى ومعى أهل النجدة وان توجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا العرب والمغاربة والترك والعربى كلب تناوله لقمة وتضرب رأسه والمغاربة أكلة رأس والاتراك لهم صدمة ثم تجول الخيل جولة فتأتى عليهم ويعود هذا الدين الى ما كان عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعى ان أخى كتب الى أخيه فما يجب على ولو كتب فأنا أستميله مكرا به لاحظى عند الخليفة كما حظى به ابن طاهر فزجره ابن أبى دواد فقال له الافشين ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال أمتطهر أنت قال لا قال فما يمنعك وهو شعار الاسلام قال خشيت على نفسى من قطعه قال فكيف وأنت تلقى الرماح والسيوف قال تلك ضرورة أصبر عليها وهذا أستجلبه فقال ابن أبى دواد لبغا الكبير قد بان لكم أمره يابغا عليك به فدفعه بيده ورده الى محبسه وضرب مازيار أربعمائة سوط فمات منها وطلب افشين من المعتصم أن ينفذ اليه من يثق به فبعث حمدون بن اسمعيل فاعتذر له عن جميع ماقيل فيه وحمل الى دار ايتاخ فقتل بها وصلب على باب العامة ثم أحرق وذلك فى شعبان من سنة ست وعشرين وقيل قطع عنه الطعام والشراب حتى مات

(ظهور المبرقع)

كان هذا المبرقع يعرف بأبى حرب اليمانى وكان بفلسطين وأراد بعض الجند النزول فى داره فمنعه بعض النساء فضربها الجندى وجاء فشكت اليه بفعل الجندى فسار اليه وقتله ثم هرب الى جبال الاردن فأقام به واختفى ببرقع على وجهه وصار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعيب الخليفة ويزعم أنه أموى واجتمع له قوم من تلك الناحية وقالوا هو السفيانى ثم أجابه جماعة من رؤساء اليمانية منهم ابن بيهس وكان مطاعا فى قومه وغيره فاجتمع له مائة ألف وسرح المعتصم رجاء بن أيوب فى ألف من الجند فخام عن لقائه لكثرة من معه وعسكر قبالته ينتظر أوان الزراعة وانصراف الناس عنه لاعمالهم وبيناهم فى الانصراف توفى المعتصم وثارت الفتنة بدمشق فأمره الواثق بقتل من أثار الفتنة والعود الى المبرقع ففعل وقاتله فأخذه أسيرا وابن بيهس معه وقتل من أصحابه عشرين ألفا وحمله وذلك سنة سبع وعشرين ومائتين

(وفاة المعتصم وبيعة الواثق)

وتوفى المعتصم أبو اسحق محمد بن المأمون بن الرشيد منتصف ربيع الاول سنة سبع وعشرين لثمان سنين وثمانية أشهر من خلافته وبويع ابنه هرون الواثق صبيحته وتكنى أبا جعفر فثار أهل دمشق بأميرهم وحاصروه وعسكروا بمرج واسط وكان رجاء بن أيوب بالرملة فى قتال المبرقع فرجع اليهم بأمر الواثق فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة ومن أصحابه نحو ثلثمائة وصلح أمر دمشق ورجع رجاء الى قتال المبرقع حتى جاء به أسيرا بيعة الواثق توجه اشناس ونحوه

وكان للواثق سمر يجلسون عنده ويفيضون فى الاخبار حتى أخبروه عن شأن البرامكة واستبدادهم على الرشيد واحتجابهم الاموال فأغراه ذلك بمصادرة الكتاب فحبسهم وألزمهم الاموال فأخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه ومن سليمان بن وهب كاتب ايتاخ أربعمائة ألف ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألفا ومن ابراهيم بن رباح وكاتبه مائة ألف ومن أبى الوزير مائة وأربعين ألفا وكان على اليمن ايتاخ وولاه عليها المعتصم بعدما عزل جعفر بن دينار وسخطه وحبسه ثم رضى عنه وأطلقه فلما ولى الواثق ولى ايتاخ على اليمن من قبله سار باميان فسار اليها وكان الحرس اسحق بن يحيى بن معاذ ولاه المعتصم بعد عزل الافشين وولى الواثق على المدينة سنة احدى وعشرين محمد بن صالح بن العباس وبقى محمد بن داود على مكة وتوفى عبد الله ابن طاهر سنة ثلاثين وكان على خراسان وكرمان وطبرستان والرى وكان له الحرب والشرطة والسواد فولى الواثق على أعماله كلها ابنه طاهرا

في الاصل

*(وقعة

(وقعة بغا فى الاعراب)

كان بنو سليم يفسدون بنواحى المدينة ويتسلطون على الناس فى أموالهم وأوقعوا بناس من كنانة وباهلة وبعث محمد بن صالح اليهم مسلحة المدينة ومعهم متطوعة من قريش والانصار فهزمهم بنو سليم وقتلوا عامتهم وأحرقوا البانهم وسلاحهم وكراعهم ونهبوا القرى ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق فبعث الواثق بغا الكبير وقدم المدينة فى شعبان فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم خمسين رجلا وأسر مثلها واستأمنوا اليه على حكم الواثق فقبض على ألف منهم ممن يعرف بالفساد فحبسهم بالمدينة وذلك سنة ثلاثين ثم حج وسار الى ذات عرق وعرض على بنى هلال مثل بنى سليم فأخذ من المفسدين منهم نحو ثلثمائة رجل وحبسهم بالمدينة وأطلق الباقين ثم خرج بغا الى بنى مرة فنقب أولئك الاسرى الحبس وقتلوا الموكلين فاجتمع عليهم أهل المدينة ليلا ومنعوهم من الخروج فقاتلوهم الى الصبح ثم قتلوهم وشق ذلك على بغا وكان سبب غيبته ان فزارة وبنى مرة تغلبوا على فدك فخرج اليهم وقدم رجلا من قواده يعرض عليهم الامان فهربوا من سطوته الى الشأم واتبعهم الى تخوم الحجاز من الشام وأقام أربعين ليلة ثم رجع الى المدينة بمن ظفر منهم وجاءه قوم من بطون غفار وفزارة وأشجع وثعلبة فاستحلفهم على الطاعة ثم سار الى بنى كلاب فأتوه فى ثلاثة آلاف رجل فحبس أهل الفساد منهم ألفا بالمدينة وأطلق الباقين وأمره الواثق سنة اثنين وثلاثين بالمسير الى بنى نمير باليمامة وما قرب منها لقطع فسادهم فسار اليهم ولقى جماعة الشريف منهم فحاربهم وقتل منهم خمسين وأسر أربعين ثم سار الى مرة وبعث اليهم فى الطاعة فامتنعوا وساروا الى جبال السند وطف اليمامة وبعث سراياهم فأوقع بهم فى كل ناحية ثم سار اليهم فى ألف رجل فلقيهم قريبا من اضاخ فكشفوا مقدمته وميسرته وأثخنوا فى عسكره بالقتل والنهب ثم ساروا تحت الليل وهو فى اتباعهم يدعوهم الى الطاعة وبعث طائفة من جنده يدعون بعضهم وأصبح وهو فى قلة فحملوا عليه وهزموه الى معسكره وإذا بالطائفة الذين بعثهم قد جاؤا من وجهتهم فلما رآهم بنو نمير من خلفهم ولوا منهزمين وأسلموا رجالهم وأموالهم ونجوا على خيلهم ولم يفلت من رجالتهم أحد وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة وأقام بمكان الوقعة واستأمن له أمراؤهم فقيدهم وحبسهم بالبصرة وقدم عليه واجن الاشروسنى فى سبعمائة مقاتل مددا فبعثه الى اتباعهم الى أن بلغ تبالة من اعمال اليمن ورجع وسار بغا الى بغداد بمن معه منهم وكانوا نحو ألفى رجل ومائتى رجل وكتب الى صالح أمير المدينة أن يوافيه ببغداد من عنده منهم فجاء بهم وسلموا جميعا

(مقتل أحمد بن نصر)

وهو أحمد بن مالك وهو أحد النقباء كما تقدم وكان أحمد هذا نسيبة لاهل الحديث ويغشاه جماعة منهم مثل ابن حصين وابن الدورقى وأبى زهير واقين منهم النكير على الواثق بقوله بخلق القرآن ثم تعدى ذلك الى الشتم وكان ينعته بالخنزير الكافر وفشا ذلك عنه وانتدب رجلان ممن كان يغشاه هما أبو هرون السراج وطالب وغيرهما فدعوا الناس له وبايعه خلق على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفرقوا الاموال فى الناس دينار الكل رجل وأنفذوا الثلاث تمضى من شعبان من سنة احدى وثلاثين يظهرون فيه ادعوتهم واتفق أن رجالا ممن بايعهم من بنى الاشرس جاؤا قبل الموعد بليلة وقد نال منهم السكر فضربوا الطبل وصاحب الشرطة اسحق بن ابراهيم غائب فارتاع خليفته محمد أخوه فأرسل من يسأل عن ذلك فلم يوجد أحد وأتوه برجل أعور اسمه عيسى وجدوه فى الحمام فدلهم على بنى الاشرس وعلى أحمد بن نصر وعلى أبى هرون وطالب ثم سيق خادم أحمد بن نصر فذكر القصة فقبض عليه وبعث بهم جميعا الى الواثق بسامرا مقيدين وجلس لهم مجلسا عاما وحضر فيه أحمد بن ابى دواد ولم يسأله الواثق عن خروجه وانما سأله عن خلق القرآن فقال هو كلام الله ثم سأله عن الرؤية فقال جاءت بها الاخبار الصحيحة ونصيحتى أن لا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل الواثق العلماء حوله عن أمره فقال عبد الرحمن بن اسحق قاضى الجانب الغربى هو حلال الدم وقال ابن أبى دواد هو كافر يستتاب فدعا الواثق بالصمصامة فانتضاها ومشى اليه فضربه على حبل عاتقه ثم على رأسه ثم وخزه فى بطنه ثم أجهز سيما الدمشقى عليه وحزوا رأسه ونصب ببغداد وصلب شلوه عندبابها

(الفداء والصائفة)

وفى سنة احدى وثلاثين عقد الواثق لاحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة على الثغور والعواصم وأمره بحضور الفداء هو وخاقان الخادم وأمرهما أن تمتحن الاسرى باعتقاد القرآن والرؤية وجاء الروم بأسراهم والمسلمون كذلك والتقوا على نهر اللامس على مرحلة من طرطوس وكان عدة أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعة وستين والنساء والصبيان ثمانمائة وأهل الذمة مائة فلما فرغوا من الفداء غزا أحمد بن سعيد بن مسلم شاتيا وأصاب الناس ثلج ومطر وهلك منهم مائة نفس وأسر منهم نحوها وخرق بالنيل قرون خلق ولقيه بطريق من الروم فخام على لقائه ثم غنم ورجع فعزله الواثق وولى مكانه نصر بن حمزة الخزاعى

(وفاة الواثق وبيعة المتوكل)

وتوفى الواثق أبو جعفر هرون بن المعتصم محمد لست بقين من سنة ثنتين وثلاثين وكانت علته الاستسقاء وأدخل فى تنور مسجر فلقى خفة ثم عاوده فى اليوم الثانى أكثر من الاول فأخرج فى محفة فمات فيها ولم يشعروا به وقيل ان ابن أبى دواد غمضه ومات لخمس سنين وتسعة أشهر من خلافته وحضر فى الدار أحمد بن أبى دواد واتياخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأراد البيعة لمحمد بن واثق وهو غلام أمرد فألبسوه فاذا هو قصير فقال وصيف أما تتقون الله تولون الخلافة مثل هذا ثم تناظروا فيمن يولونه وأحضروا المتوكل فألبسه ابن أبى دواد الطويلة وعممه وسلم عليه بامارة المؤمنين ولقبه المتوكل وصلى على الواثق ودفنه ثم وضع العطاء للجند لثمانية أشهر وولى على بلاد فارس ابراهيم ابن محمد بن مصعب وكان على الموصل غانم بن محمد الطوسى فأقره وعزل ابن العباس محمد بن صول عن ديوان النفقات وعقد لابنه المنتصر على الحرمين واليمن والطائف

(نكبة الوزير ابن الزيات ثم مهلكه)

كان محمد بن عبد الملك بن الزيات قد استوزره الواثق فاستمكن من دولته وغلب على هؤلاء وكان لا يحفل بالمتوكل ولا يوجب حقه وغضب الواثق عليه مرة فجاء الى ابن الزيات ليستنزله فأساء معاملته فى التحية والملاقاة فقال اذهب فانك اذا صلحت رضى عنك وقام عنه حزينا فجاء الى القاضى أحمد بن دواد فلم يدع شيأ من البر الا فعله وحياه وفداه وخطب حاجته فقال أحب أن ترضى عنى أمير المؤمنين فقال أفعل ونعمة عين ولم يزل بالواثق حتى رضى عنه وكان ابن الزيات كتب الى الواثق عند ما خرج عنه المتوكل ان جعفرا أتانى فسأل الرضا عنه وله وفرة شبه زى المخنثين فأمره الواثق أن يحضره من شعر قفاه فاستحضره فجاء يظن الرضا عنه وأمر حجاما أخذ من شعره وضرب به وجهه فحقدله ذلك واساءله ولما ولى الخلافة بقى شهرا ثم أمر ايتاخ أن يقبض عليه ويقيده بداره ويصادره وذلك فى صفر سنة ثلاث وثلاثين فصادره واستصفى أمواله وأملاكه وسلط عليه أنواع العذاب ثم جعله فى تنور خشب فى داخله مسامير تمنع من الحركة وتزعج من فيه لضيقه ثم مات منتصف ربيع الاول وقيل انه مات من الضرب وكان لا يزيد على التشهد وذكر الله وكان عمر بن الفرج الرخجى يعامل المتوكل بمثل ذلك فحقد له ولما استخلف قبض عليه فى رمضان واستصفى أمواله ثم صودر على أحد عشر ألف ألف

(نكبة ايتاخ ومقتله)

كان ايتاخ مولى لسلام الابرص وكان عنده ناخوريا طباخا وكان شجاعا فاشتراه المعتصم منه سنة تسع وتسعين وارتفع فى دولته ودولة الواثق ابنه وكان له المؤنة

بسامرا مع اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكانت نكبة العظماء فى الدولة على يديه وحبسهم بداره مثل أولاد المأمون وابن الزيات وصالح وعجيف وعمر بن الفرج وابن الجنيد وأمثالهم وكان له البريد والحجابة والجيش والمغاربة والاتراك وشرب ذات ليلة مع المتوكل فعربد على ايتاخ وهم ايتاخ بقتله ثم غدا عليه فاعتذر له ودس عليه من زين له الحج فاستأذن المتوكل فأذن له وخلع عليه وجعله أمير كل بلد يمر به وسار لذلك فى ذى القعدة سنة أربع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين وسار العسكر بين يديه وجعلت الحجابة الى وصيف الخادم ولما عاد ايتاخ من الحج بعث اليه المتوكل بالهدايا والالطاف وكتب الى اسحق بن ابراهيم بن مصعب بأمره بحبسه فلما قارب بغداد كتب اليه اسحق بأن المتوكل أمر أن يدخل بغداد وأن تلقاه بنو هاشم ووجوه الناس وأن يقعد بدار خزيمة بن خازم فيأمر للناس بالجوائز على قدر طبقاتهم ففعل ذلك ووقف اسحق على باب الدار فمنع أصحابه من الدخول اليه ووكل بالابواب ثم قبض على ولديه منصور ومظفر وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد وبعث ايتاخ اليه يسأله الرفق بالولدين ففعل ولم يزل ايتاخ مقيدا بالسجن الى أن مات فقيل انهم منعوه الماء وبقى ابناه محبوسين الى أن أطلقهما المنتصر بعد المتوكل

(شأن ابن البغيث)

كان محمد بن البغيث بن الحليس ممتنعا فى حصونه باذربيجان وأعظمها مرند واستنزل من حصنه أيام المتوكل وحبس بسامرا فهرب من حبسه ولحق بمرند وقيل انه فى حبس اسحق بن ابراهيم بن مصعب وشفع فيه بغا الشرابى فأطلقه اسحق فى كفالة محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وكان يتردد الى سامرا حتى مرض المتوكل ففر ولحق بمرند وشحنها بالاقوات وجاءه أهل الفتنة من ربيعة وغيرهم فاجتمع له نحو ألفين ومائتى رجل والوالى بأذربيجان يومئذ محمد بن حاتم بن هرثمة فلم يقاومه فعزله المتوكل وولى حمدويه بن على بن الفضل السعدى فسار اليه وحاصره بمرند مدة وبعث اليه المتوكل بالمدد وطال الحصار فلم يغن فيه فبعث بغا الشرابى فى ألفى فارس فجاء لحصاره وبعث اليه عيسى بن الشيخ بن السليل بالامان له ولوجوه أصحابه أن ينزلوا على حكم المتوكل فنزل الكثير منهم وانفض جمعه ولحق بغا وخرج هو هاربا ونهبت منازله وأسرت نساؤه وبناته ثم أدرك بطريقه وأتى به أسيرا وباخويه صقر وخالد وأبنائه حليس وصقر والبغيث وجاء بهم بغا الى بغداد وحملهم على الجمال يوم قدومه حتى رآهم الناس وحبسوا ومات البغيث لشهر من وصوله سنة خمس وثلاثين وجعل بنوه فى الشاكرية مع عبد الله بن يحيى خاقان

(بيعة العهد)

وفى سنة خمس وثلاثين ومائتين عقد المتوكل البيعة والعهد وكانوا ثلاثة محمدا وطلحة وابراهيم ويقال فى طلحة ابن الزبير وجعل محمدا أولهم ولقبه المنتصر وأقطعه افريقية والمغرب وقنسرين والثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة وهيت والموصل وعانة والخابور وكور دجلة والسواد والحرمين وحضرموت والحرمين والسند ومكران وقندابيل وكور الاهواز والمستغلات بسامرا وماء الكوفة وماء البصرة وجعل طلحة ثانيهم ولقبه المعتز وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والرى وأرمينية وأذربيجان وأعمال فارس ثم أضاف اليه سنة أربعين خزن الاموال ودور الضرب فى جميع الآفاق وأمر أن يرسم اسمه فى السكة وجعل الثالث ابراهيم وأقطعه حمص ودمشق وفلسطين وسائر الاعمال الشامية وفى هذه السنة أمر الجند بتغيير الزى فلبسوا الطيالسة العسلية وشدوا الزنانير فى أوساطهم وجعلوا الطراز فى لباس المماليك ومنع من لباس المناطق وأمر بهدم البيع المحدثة لاهل الذمة ونهى أن يستعان بهم فى الاعمال وأن يظهروا فى شعانينهم الصلبان وأمر أن يجعل على أبوابهم صور شياطين من الخشب

(مهلك محمد بن ابراهيم)

كان محمد بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب على بلاد فارس وهو ابن أخى طاهر وكان أخوه اسحق بن ابراهيم صاحب الشرطة ببغداد منذ أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكان ابنه محمد بباب الخليفة بسامرا نائبا عنه فلما مات اسحق سنة خمس وثلاثين ولاه المتوكل وضم اليه أعمال أبيه واستخلفه المعتز على اليمامة والبحرين ومكة وحمل الى المتوكل وبنيه من الجواهر والذخائر كثيرا وبلغ ذلك محمد بن ابراهيم فتنكر للخليفة ولمحمد بن أخيه وشكا ذلك محمد الى المتوكل فسرحه الى فارس وولاه مكان عمه محمد فسار وعزل عمه محمدا وولى مكانه ابن عمه الحسين بن اسمعيل بن مصعب وأمره بقتل عمه محمد فأطعمه ومنعه الشراب فمات

(انتقاض أهل أرمينية)

كان على أرمينية يوسف بن محمد فجاءه البطريق بقراط بن أسواط وهو بطريق البطارقة يستأمن فقبض عليه وعلى ابنه وبعث بهما الى المتوكل فاجتمع بطارقة أرمينية مع ابن أخيه وصهره موسى بن زرارة وتحالفوا على قتله وحاصروه بمدينة طرون فى رمضان سنة سبع وثلاثين وخرج لقتالهم فقتلوه ومن كان معه فسرح

المتوكل بغا الكبير فسار على الموصل والجزيرة وأناخ على أردن حتى أخذها وحمل موسى واخوته الى المتوكل وقتل منهم ثلاثين ألفا وسبى خلقا وسار الى مدينة دبيل فأقام بها شهرا ثم سار الى تفليس فحاصرها وبعث فى مقدمته زيرك التركى وكان بتفليس اسحق بن اسمعيل بن اسحق مولى بنى أمية فخرج وقاتلهم وكانت المدينة كلها مشيدة من خشب الصنوبر فأمر بغا أن يرمى عليها بالنفط فاضطرمت النار فى الخشب واحترقت قصور اسحق وجواريه وخمسون ألف انسان وأسر الباقون وأحاطت الاتراك والمغاربة باسحق فأسروه وقتله بغا لوقته ونجا أهل اسحق بأمواله الى صعدبيل مدينة حذاء تفليس على نهر الكر من شرقيه بناها أنوشروان وحصنها اسحق وجعل أمواله فيها فاستباحها بغا ثم بعث الجند الى قلعة أخرى بين بردعة وتفليس ففتحوها وأسروا بطريقها ثم سار الى عيسى بن يوسف فى قلعة كيس من كور البيلقان ففتحها وأسره وحمل معه جماعة من البطارقة وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائتين

(عزل ابن أبى دواد وولاية ابن أكثم)

وفى سنة سبع وثلاثين غضب المتوكل على أحمد بن أبى دواد وقبض ضياعه وحبس أولاده فحمل أبو الوليد منهم مائة وعشرين ألف دينار وجواهر تساوى عشرين ألفا ثم صولح عن ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم ببيع أملاكهم وفلج أحمد فأحضر المتوكل يحيى بن أكثم وولاه قضاء القضاة وولى أبا الوليد بن أبى دواد المظالم ثم عزله وولى أبا الربيع محمد بن يعقوب ثم عزله وولى يحيى بن أكثم على المظالم ثم عزله سنة أربعين وصادره على خمسة وسبعين ألف دينار وأربعة آلاف جريب وولى مكانه جعفر ابن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن على وتوفى فى هذه السنة أحمد بن أبى دواد بعد ابنه أبى الوليد بعشرين يوما وكان معتزليا أخذ مذهبهم عن بشر المريسى وأخذه بشر عن جهم بن صفوان وأخذه جهم عن الجعد بن دهم معلم مروان

(انتقاض أهل حمص)

وفى سنة سبع وثلاثين وثب أهل حمص بعاملهم أبى المغيث موسى بن ابراهيم الرافقى بسبب أنه قتل بعض رؤسائهم فأخرجوه وقتلوا من أصحابه فولى مكانه محمد بن عبدويه الانبارى فأساء اليهم وعسف فيهم فوثبوا به وأمده المتوكل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة وأخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وأدخل منها بيعة فى الجامع كانت تجاوره

(اغارة البجاة على مصر)

كانت الهدنة بين أهل مصر والبجاة من لدن الفتح وكان فى بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس الى أهل مصر فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن وكتب صاحب البريد بذلك الى المتوكل فشاور الناس فى غزوهم فأخبروه انهم أهل ابل وشاء وان بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولا بد فيها من الزاد وان فنيت الازواد هلك العسكر فأمسك عنهم وخاف أهل الصعيد من شرهم فولى المتوكل محمد ابن عبد الله القمى على أسوان وقفط والاقصر واسنا وأرمنت وأمره بحرب البجاة وكتب الى عنبسة بن اسحق الضبى عامل مصر بتجهيز العساكر معه وأزاحه عليهم فسار فى عشرين ألفا من الجند والمتطوعة وحملت المراكب من القلزم بالدقيق والتمر والادم الى سواحل بلاد البجاة وانتهى الى حصونهم وقلاعهم وزحف اليه ملكهم واسمه على بابا فى أضعاف عساكرهم على المهارى وطاولهم على بابا رجاء أن تفنى أزوادهم فجاءت المراكب وفرقها القمى فى أصحابه فناجزهم البجاة الحرب وكانت ابلهم نفورة فأمر القمى جنده باتخاذ الاجراس بخيلهم ثم حملوا عليهم فانهزموا وأثخن فيهم قتلا وأسرا حتى استأمنوا على أداء الخراج لما سلف ولما يأتى وأن يرد الى مملكته وسار مع القمى الى المتوكل واستخلف ابنه فخلع القمى عليه وعلى أصحابه وكسا أرجلهم الجلال المدبجة وولاهم طريق ما بين مصر ومكة وولى عليهم سعدا الايتاخى الخادم فولى سعد محمدا القمى فرجع معهم واستقامت ناحيتهم

(الصوائف)

وفى سنة ثمان وثلاثين ورد على دمياط اسطول الروم فى مائة مركب فكبسوها وكانت المسلحة الذين بها قد ذهبوا الى مصر باستدعاء صاحب المعونة عنبسة بن اسحق الضبى فانتهزوا الفرصة فى مغيبهم وانتهبوا دمياط وأحرقوا الجامع بها وأوقروا سفنهم سبيا ومتاعا وذهبوا الى تنيس ففعلوا فيها مثل ذلك وأقلعوا وغزا بالصائفة فى هذه السنة على بن يحيى الارمنى صاحب الصوائف وفى سنة احدى وأربعين كان الفداء بين الروم وبين المسلمين وكانت تدورة ملكة الروم قد حملت أسرى المسلمين على التنصر فتنصر الكثير منهم ثم طلبت المفاداة فيمن بقى فبعث المتوكل سيفا الخادم بالفداء ومعه قاضى بغداد جعفر بن عبد الواحد واستخلف على القضاء ابن أبى الشوارب وكان الفداء على نهر اللامس ثم أغارت الروم بعد ذلك على روبة فأسروا من كان هنالك من الزط وسبوا نساءهم وأولادهم ولما رجع على بن يحيى الارمنى من الصائفة

خرجت الروم فى ناحية سميساط فانتهوا الى آمد واكتسحوا نواحى الثغور والجزرية نهبا وأسروا نحوا من عشرة آلاف ورجعوا واتبعهم قرشاس وعمر بن عبد الاقطع وقوم من المتطوعة فلم يدركوهم وأمر المتوكل على بن يحيى أن يدخل بالشاتية فى تلك السنة ففعل وفى سنة أربع وأربعين جاء المتوكل من بغداد الى دمشق وقد اجتمع نزولها ونقل الكرسى اليها فأقام بها شهرين ثم استوبأها ورجع بعد أن بعث بغا الكبير فى العساكر للصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحى ورجع وفى سنة خمس وأربعين أغارت الروم على سميساط فغنموا وغزا على بن يحيى الارمنى بالصائفة كركرة وانتقض أهلها على بطريقهم فقبضوا عليه وسلموه الى بعض موالى المتوكل فأطلق ملك الروم فى فداء البطريق ألف أسير من المسلمين وفى سنة ست وأربعين غزا عمر بن عبد الله الاقطع بالصائفة فجاؤا بأربعة آلاف رأس وغزا قرشاس فجاء بخمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قارن فى الاسطول بعشرين مركبا فافتتح حصن انطاكية وغزا ملكها دورهم وسبا وغزا على بن يحيى فجاء بخمسة آلاف رأس ومن الظهر بعشرة آلاف وكان على يده فى تلك السنة الفداء فى ألفين وثلثمائة من الاسرى

(الولاية فى النواحى)

ولى المتوكل سنة ثنتين على بلاد فارس محمد بن ابراهيم بن مصعب وكان على الموصل غانم بن حميد الطوسى واستوزر لاول خلافته محمد بن عبد الله بن الزيات وولى على ديوان الخراج يحيى بن خاقان الخراسانى مولى الازد وعزل الفضل بن مروان وولى على ديوان النفقات ابراهيم بن محمد بن حتول وولى سنة ثلاث وثلاثين على الحرمين واليمن والطائف ابنه المنتصر وعزل محمد بن عيسى وولى على حجابة بابه وصيفا الخادم عندما سار ايتاخ للحج وفى سنة خمس وثلاثين عهد لاولاده كما مر وولى على الشرطة ببغداد اسحق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب مكان ابنه ابراهيم عندما توفى وكانت وفاته ووفاة الحسن بن سهل فى سنة واحدة وفى سنة ست وثلاثين استكتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزره بعد ذلك وولى على ارمينية وأذربيجان حربا وخراجا يوسف بن أبى سعيد محمد بن يوسف المروذى عندما توفى أبوه فجاءه فسار اليها وضبطها وأساء الى البطارقة بالناحية فوثبوا به كما مر وقتلوه وبعث المتوكل بغا الكبير فى العساكر فأخذ ثاره منهم وولى معادن السواد عبد الله بن اسحق بن ابراهيم وفى سنة تسع وثلاثين عزل ابن أبى دواد عن القضاء وصادره وولى مكانه يحيى بن أكثم وقدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان فولاه

الشرطة والجزية وأعمال السواد وكان على مكة على بن عيسى بن جعفر بن المنصور فحج بالناس ثم ولى مكانه فى السنة القابلة عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى وولى على الاحداث بطريق مكة والمواسم جعفر بن دينار وكان على حمص أبو المغيث موسى بن ابراهيم الرافقى ووثبوا به سنة تسع وثلاثين فولى مكانه محمد بن عبدويه وفى سنة تسع وثلاثين عزل يحيى بن أكثم عن القضاء وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد ابن جعفر بن سليمان وفى سنة ثنتين وأربعين ولى على مكة عبد الصمد بن موسى بن محمد ابن ابراهيم الامام وولى على ديوان النفقات الحسن بن مخلد بن الجراح عندما توفى ابراهيم بن العباس الصولى وكان خليفته فيها من قبل وفى سنة خمس وأربعين اختط المتوكل مدينته وأنزلها القواد والاولياء وأنفق عليها ألف ألف دينار وبنى فيها قصر اللؤلؤة لم ير مثله فى علوه وأجرى له الماء فى نهر احتفره وسماها المتوكلية وتسمى الجعفرى والماخورة وفيها ولى على طريق مكة أبا الساج مكان جعفر بن دينار لوفاته تلك السنة وولى على ديوان الضياع والتوقيع نجاح بن سلمة وكانت له صولة على العمال فكان ينام المتوكل فسعى عنده فى الحسن بن مخلد وكان معه على ديوان الضياع وفى موسى ابن عتبة عبد الملك وكان على ديوان الخراج وضمن للمتوكل فى مصادرتهما أربعين ألفا وأذن المتوكل وكانا منقطعين الى عبيد الله بن خاقان فتلطف عند نجاح وخادعه حتى كتب على الرقعتين وأشار اليه بأخذ ما فيهما معا وبدأ بنجاح فكتبه وقبض منه مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلات والفرش والضياع ثم ضرب فمات وصودر أولاده فى جميع البلاد على أموال جمة

(مقتل المتوكل وبيعة المنتصر ابنه)

كان المتوكل قد عهد الى ابنه المنتصر ثم ندم وأبغضه لما كان يتوهم فيه من استعجاله الامر لنفسه وكان يسميه المنتصر والمستعجل لذلك وكان المنتصر تنكر عليه انحرافه عن سنن سلفه فيما ذهبوا اليه من مذهب الاعتزال والتشيع لعلى وربما كان الندمان فى مجلس المتوكل يفيضون فى ثلب على فينكر المنتصر ذلك ويتهددهم ويقول للمتوكل ان عليا هو كبير بيتنا وشيخ بنى هاشم فان كنت لا بد ثالبه فتول ذلك بنفسك ولا تجعل لهؤلاء الصفاعين سبيلا الى ذلك فيستخف به ويشتمه ويأمر وزيره عبيد الله بصفعه ويتهدده بالقتل ويصرح بخلعه وربما استخلف ابنه المعتز فى الصلاة والخطبة مرارا وتركه فطوى من ذلك على النكث وكان المتوكل قد استفسد الى بغا ووصيف الكبير ووصيف الصغير ودواجن فأفسدوا عليه الموالى وكان المتوكل قد أخرج بغا الكبير من الدار وأمره بالمقام بسميساط لتعهد الصوائف فسار لذلك واستخلف مكانه

ابنه موسى فى الدار وكان ابن خالة المتوكل واستخلف على الستر بغا الشرابى الصغير
ثم تغير المتوكل لوصيف وقبض ضياعه باصبهان والجبل وأقطعها الفتح بن خاقان
فتغير وصيف لذلك وداخل المنتصر فى قتل المتوكل وأعد لذلك جماعة من الموالى
بعثهم مع ولده صالح وأحمد وعبد الله ونصر وجاؤا فى الليلة التى انعدوا فيها وحضر المنتصر
ثم انصرف على عادته وأخذ زرافة الخادم معه وأمر بغا الشرابى الندمان
بالانصراف حتى لم يبق الا الفتح وأربعة من الخاصة وأغلق الابواب الا باب دجلة
فأدخل منه الرجال وأحس المتوكل وأصحابه بهم فخافوا على أنفسهم واستماتوا
وابتدروا اليه فقتلوه والقى الفتح نفسه عليهم لنقيه فقتلوه وبعث الى المنتصر وهو
بيت زرافة فأخبره وأوصى بقتل زرافة فمنعه المنتصر وبايع له زرافة وركب
الى الدار فبايعه من حضر وبعث الى وصيف ان الفتح قتل أبى فقتلته فحضر وبايع
وبعث عن اخويه المعتز والمؤيد فحضرا وبايعاله وانتهى الخبر الى عبيد الله بن يحيى
فركب من ليله وقصد منزل المعتز فلم يجده واجتمع عليه عشرة آلاف من الازد والارمن
والزواقيل وأغروه بالحملة على المنتصر وأصحابه فأبى وخام عن ذلك وأصبح المنتصر
فأمر بدفن المتوكل والفتح وذلك لاربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين
وشاع الخبر بقتل المتوكل فثار الجند وتبعهم   ... وركب بعضهم بعضا
وقصدوا باب السلطان فخرج اليهم بعض الاولياء فاسمعوه ورجع فخرج المنتصر بنفسه
وبين يديه المغاربة فشردوهم عن الابواب فتفرقوا بعد أن قتل منهم ستة أنفس

بياض بالاصل

{ الخبر عن الخلفاء من بنى العباس أيام الفتنة وتغلب الاولياء وتضايق }
{ نطاق الدولة باستبداد الولاة فى النواحى من لدن المنتصر الى أيام المستكفى }

كان بنو العباس حين ولوا الخلافة قد امتدت ايالتهم على جميع ممالك الاسلام كما كان
بنو أمية من قبلهم ثم لحق بالاندلس من فل بنى أمية من ولد هاشم بن عبد الملك حافده
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ونجا من تلك الهلكة فأجاز البحر ودخل الاندلس
فملكها من يد عبد الرحمن بن يوسف الفهرى وخطب للسفاح فيها حولا ثم لحق به أهل
بيته من المشرق فعزلوه فى ذلك فقطع الدعوة عنهم وبقيت بلاد الاندلس مقتطعة
من الدولة الاسلامية عن بنى العباس ثم لما كانت وقعة فخ أيام الهادى على
ابن الحسن بن على سنة تسع وتسعين ومائة وقتل داعيتهم يومئذ حسين بن على بن حسن
المثنى وجماعة من أهل بيته ونجا آخرون وخلص منهم ادريس بن عبد الله بن حسن الى
المغرب الاقصى وقام بدعوته البرابرة هنالك فاقتطع المغرب عن بنى العباس فاستحدثوا
هنالك دولة لانفسهم ثم ضعفت الدولة العباسية بعد الاستفحال وتغلب على الخليفة

فيها الاولياء والقرابة والمصطنعون وصار تحت حجرهم من حين قتل المتوكل وحدثت
الفتن ببغداد وصار العلوية الى النواحى مظهرين لدعوتهم فدعا أبو عبد الله الشيعى
سنة ست وثمانين ومائتين بافريقية فى كتامة لعبيد الله المهدى بن محمد بن جعفر بن محمد
ابن اسمعيل بن جعفر الصادق وبايع له وانتزع افريقية من يد بنى الاغلب استولى
عليها وعلى المغرب الاقصى ومصر والشأم واقتطعوا سائر هذه الاعمال عن بنى العباس
واستحدثوا له دولة أقامت مائتين وسبعين سنة كما نذكر فى أخبارهم ثم ظهر بطبرستان
من العلوية الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط
ويعرف بالداعى خرج سنة خمسين ومائتين أيام المستعين ولحق بالديلم فأسلموا على يديه
وملك طبرستان ونواحيها وصار هنالك دولة أخذها من يد أخيه سنة احدى وثلثمائة
الاطروش من بنى الحسين ثم من بنى على عمر داعى الطالقان أيام المعتصم وقد مر خبره
واسم هذا الاطروش الحسن بن على بن الحسين بن على بن عمر وكانت لهم دولة
وانقرضت أيام الحسين والثلثمائة واستولى عليها الديلم وصارت لهم دولة أخرى وظهر
باليمن الرئيس وهو ابن ابراهيم طباطبا ابن اسمعيل بن ابراهيم بن حسن المثنى فأظهر
هنالك دعوة الزيدية وملك صعدة وصنعاء وبلاد اليمن وكانت لهم هنالك دولة ولم تزل
حتى الآن وأول من ظهر منهم يحيى بن الحسين بن القاسم سنة تسعين ومائتين ثم ظهر
أيام الفتنة من دعاة العلوية صاحب الزنج ادعى انه أحمد بن عيسى بن زيد الشهيد
وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدى وطعن الناس فى نسبه فادعى أنه من ولد
يحيى بن زيد قتيل الجوزجان وقيل انه انتسب الى طاهر بن الحسين بن على والذى ثبت
عند المحققين أنه على بن عبد الرحيم بن عبد القيس فكانت له ولبنيه دولة بنواحى
البصرة أيام الفتنة قام بها الزنج الى أن انقرضت على يد المعتضد أيام السبعين
ومائتين ثم ظهر القرامطة بنواحى البحرين وعمان فسار اليها من الكوفة سنة تسع
وسبعين أيام المعتضد وانتسب الى بنى اسمعيل الامام بن جعفر الصادق دعوى كاذبة
وكان من أصحابه الحسن الجمالى وزكرونة القاشانى فقاموا من بعده بالدعوة ودعوا
لعبيد الله المهدى وغلبوا على البصرة والكوفة ثم انقطعوا عنها الى البحرين وعمان
وكانت لهم هنالك دولة انقرضت آخر المائة الرابعة وتغلب عليهم العرب من بنى سليم
وبنى عقيل وفى خلال ذلك استبد بنو سامان بما وراء النهر آخر الستين ومائتين وأقاموا
على الدعوة الا أنهم لا ينفذون أوامر الخلفاء وأقامت دولتهم الى آخر المائة الرابعة
ثم اتصلت دولة أخرى فى مواليهم بغزنة الى منتصف المائة السادسة وكانت للاغالبة
بالقيروان وافريقية دولة أخرى بمصر والشأم بالاستبداد من لدن الخمسين والمائتين

قوله أحمد فى المروج انه على بن أحمد اه مصححه

أيام الفتنة الى آخر المائة الثالثة ثم أعقبتها دولة أخرى لمواليهم بنى طغج الى الستين والثلثمائة وفى خلال هذا كله تضايق نطاق الدولة العباسية الى نواحى السواد والجزيرة فقط الا أنهم قائمون ببغداد على أمرهم ثم كانت للديلم دولة أخرى استولوا فيها على النواحى وملكوا الاعمال ثم ساروا الى بغداد وملكوها وصيروا الخليفة فى ملكتهم من لدن المستكفى أعوام الثلاثين والثلثمائة وكانت من أعظم الدول ثم أخذها من أيديهم السلجوقية من الغز احدى شعوب الترك فلم تزل دولتهم من لدن القائم سنة أربعين وأربعمائة الى آخر المائة السادسة وكانت دولتهم من أعظم الدول فى العالم وتشعبت عنها دول هى متصلة الى عهدنا حسبما نذكر ذلك كله فى مكانه ثم استبد الخلفاء من بنى العباس آخرا فى هذا النطاق الضيق ما بين دجلة والفرات وأعمال السواد وبعض أعمال فارس الى أن خرج التتار من مفازة الصين وزحفوا الى الدولة السلجوقية وهم على دين المجوسية وزحفوا الى بغداد فقتلوا الخليفة المعتصم وانقرض أمر الخلافة وذلك سنة ست وخمسين وستمائة ثم أسلموا بعد ذلك وكانت لهم دولة عظيمة وتشعبت عنها دول لهم ولاشياعهم فى النواحى وهى باقية لهذا العهد آخذة فى التلاشى كما نذكر ذلك كله فى أماكنه

(دولة المنتصر)

ولما بويع المنتصر كما ذكرناه ولى على المظالم أبا عمرو أحمد بن سعيد وعلى دمشق عيسى ابن محمد النوشرى وكان على وزارته أحمد بن الخصيب واستقامت أموره وتفاوض وصيف وبغا وأحمد بن الخصيب فى شأن المعتز والمؤيد لما توقعوا من سطوتهما بسبب قتل المتوكل فحملوا المنتصر على خلعهما لاربعين يوما من خلافته وبعث اليهما بذلك فأجاب المؤيد وامتنع المعتز فأغلظوا عليه وأوهموه القتل فخلا به المؤيد وتلطف به حتى أجاب وخلع نفسه وكتبا ذلك بخطهما ثم دخلا على المنتصر فأجلسهما واعتذر لهما بسمع من الامراء بأنهم الذين حملوه على خلعهما فأجبتهم الى ذلك خشية عليكما منهم فقبلا يده وشكرا له وشهد عليهما القضاة وبنو هاشم والقواد ووجوه الناس وكتب بذلك المنتصر الى الآفاق والى محمد بن طاهر ببغداد ثم ان أحمد بن الخصيب أغرى المنتصر باخراج وصيف للصائفة وابعاده عن الدولة لما بينهما من الشحناء فأحضره المنتصر وقال له قد أتانا من طاغية الروم أنه أفسد الثغر فلا بد من مسيرك أو مسيرى فقال بل أنا أشخص يا أمير المؤمنين فأمر أحمد بن الخصيب أن يجهزه ويزيح علل العسكر معه وأمره أن يوافى ثغر ملطية فساروا على مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح وعلى نفقات العساكر والمغانم والمقاسم أبو الوليد القروى الى أن يأتيه رأيه

*(وفاة

(وفاة المنتصر وبيعة المستعين)

ثم أصابت المنتصر علة الذبحة فهلك لخمس بقين من ربيع الاول من سنة ثمان وأربعين ومائتين لستة أشهر من ولايته وقيل بل أكثر من ذلك فجعل السم فى مشرطة الطبيب فاجتمع الموالى فى القصر وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير وأتامش وغيرهم فاستحلفوا قواد الاتراك والمغاربة والاشروسنية على الرضا بمن يرضونه لهم ثم خلصوا للمشورة ومعهم أحمد بن الخصيب فعدلوا عن ولد المتوكل خوفا منهم ونظروا فى ولد المعتصم فبايعوه واستكتب أحمد بن الخصيب واستوزر أتامش وغدا على دار العامة فى زى الخلافة وابراهيم بن اسحق يحمل بين يديه الحربة وصفت المماليك والاشروسنية صفين بترتيب دواجن وحضر أصحاب المراتب من العباسيين والطالبيين وثار جماعة من الجند وقصدوا الدار يذكرون أنهم من أصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر والغوغاء فشهروا السلاح وهتفوا باسم المعتز وشدوا على أصحاب دواجن فتضعضعوا ثم جاءت المبيضة والشاكرية وحمل عليهم المغاربة والاشروسنية فنشبت الحرب وانتهبت الدروع والسلاح من الخزائن بدار العامة وجاء بغا الصغير فدفعهم عنها وقتل منهم عدة وفتقت السجون وتمت بيعة الاتراك للمستعين ووضع العطاء على البيعة وبعث الى محمد ابن عبد الله بن طاهر فبايع له هو والناس ببغداد ثم جاء الخبر بوفاة طاهر بن عبد الله ابن طاهر بخراسان وهلك عمه الحسين بن طاهر بمرو فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر مكانه وعقد لمحمد بن عبد الله بن طاهر على خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين وولى عمه طلحة على نيسابور وابنه منصور بن طلحة على مرو وسرخس وخوارزم وعمه الحسين بن عبد الله على هراة وأعمالها وعمه سليمان بن عبد الله على طبرستان والعباس ابن عمه على الجوزجان والطالقان ومات بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله كلها وبعث أناجور من قواد الترك الى العمرط الثعلبى فقتله واستأذنه عبد الله بن يحيى ابن خان فى الحج فأذن له ثم بعث خلفه من نفاه الى برقة وحبس المعتز والمؤيد فى حجره بالجوسق بعد أن أراد قواد الاتراك قتلهما فمنعهم أحمد بن الخصيب من ذلك ثم قبض على أحمد بن الخصيب فاستصفى ماله ومال ولده ونفاه الى قرطيش واستوزر أتامش وعقد له على مصر والمغرب وعقد لبغا الصغير على حلوان وماسبذان ومهرجانقذف وجعل شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمه وخاصة أموره وخادمه واشناس على جميع الناس وعزل على بن يحيى الارمنى عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان وكان على حمص كندر فوثب به أهلها فأخرجوه فبعث المستعين الفضل ابن قارن وهو أخو مازيار فاستباحهم وحمل أعيانهم الى سامرا وبعث المستعين

الى وصيف وهو بالثغر الشامى بأن يغزو بالصائفة فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قروريه ثم غزا بالصائفة سنة تسع وأربعين جعفر بن دينار وافتتح مطامير واستأذنه عمر بن عبد الله الاقطع فى تدويخ بلاد الروم فأذن له فدخل فى جماعة من أهل ملطية ولقى ملك الروم فخرج الاسقف فى خمسين ألفا فاحاطوا به وقتل عمر فى ألفين من المسلمين وكان على الثغور الجزرية فأغار عليها الروم وبلغ ذلك على بن يحيى وهو قافل من أرمينية الى ميافارقين ومعه جماعة من أهلها فنفر اليهم وهو فى نحو أربعمائة فقتلوا وقتل

(فتنة بغداد وسامرا)

ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبد الله وعلى بن يحيى شق ذلك على الناس لما كانوا عليه من عظيم الغناء فى الجهاد واشتد نكيرهم على الترك فى غفلتهم عن المصالح وتذكروا قتل المتوكل واستيلاءهم على الامور فاجتمعت العامة وتنادوا بالنفير الى الجهاد وانضم اليهم الشاكرية يطلبون أرزاقهم ثم فتقوا السجون وقطعوا الجسور وانتهبوا دور كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر ثم أخرج أهل اليسار من بغداد الاموال ففرقوها فى المجاهدين وجاءت العامة من الجبال وفارس والاهواز فنفروا للغزو ولم يظهر للمستعين ولا لاهل الدولة فى ذلك أثر ثم وثب العامة بسامرا وفتقوا السجون وخرج من كان فيها وجاء جماعة من الموالى فى طلبهم فوثب العامة بهم وهزموهم وركب بغا ووصيف وأتامش فى الترك فقتلوا من العامة خلقا وانتهبوا منازلهم وسكنت الفتنة

(مقتل أتامش)

كان المستعين لما ولى أطلق يد امه وأتامش وشاهك الخادم فى الاموال وما فضل عنهم فلنفقات العباس بن المستعين وكان فى حجر أتامش فبعث ذلك عليه بغا ووصيف وضاق حال الاتراك والفراعنة ودسهم عليهم بغا ووصيف فخرج منهم أهل الكرخ والدور وقصدوه فى الجوسق مع المستعين وأراد الهرب فلم يطق واستجار بالمستعين فلم يجره وحاصروه يومين ثم اقتحموا عليه الجوسق وقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع ابن القاسم ونهبت أموالهم واستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبد الله بن محمد بن على على الاهواز ولبغا الصغير على فلسطين ثم غضب بغا الصغير على أبى صالح فهرب الى بغداد واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجانى وولى على ديوان الرسائل سعيد بن حميد

(ظهور يحيى بن عمر ومقتله)

كان على الطالبيين بالكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد الشهيد ويكنى أبا الحسين وأمه من ولد عبد الله بن جعفر وكان من سراتهم ووجوههم وكان عمر بن فرج يتولى أمر الطالبيين أيام المتوكل فعرض له أبو الحسين عند مقدمه من خراسان يسأله صلة لدين لزمه فأغاظ له عمر القول وحبسه حتى أخذ عليه الكفلاء وانطلق الى بغداد ثم جاء الى سامرا وقد أملق فتعرض لوصيف فى رزق يجرى له فأساء عليه واليها فرجع الى الكوفة وعاملها يومئذ أيوب بن الحسين بن موسى بن جعفر بن سليمان بن على من قبل محمد بن عبد الله بن طاهر فاعتزم على الخروج والتف عليه جمع من الاعراب وأهل الكوفة ودعا للرضى من آل محمد ففتق السجون ونهبه وطرد العمال وأخذ من بيت المال ألفى دينار وسبعين ألف درهم وكان صاحب البريد قد طير بخبره الى محمد بن عبد الله بن طاهر فكتب الى عامله بالسواد عبد الله بن محمود السرخسى أن يصير مددا الى الكوفة فلقيه وقاتله فهزمهم يحيى وانتهب ما معهم وخرج الى سواد الكوفة واتبعه خلق من الزيدية وانتهى الى ناحية واسط وكثرت جموعه وسرح محمد ابن عبد الله بن طاهر الى محاربة الحسين بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب فى العساكر فسار اليه وقد كان يحيى قصد الكوفة فلقيه عبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلس فهزمه يحيى الى ناحية ساهى ودخل الكوفة واجتمعت عليه الزيدية واشتمل عليه عامة أهل الكوفة وأمداد الزيدية من بغداد وجاء الحسين بن اسمعيل وانضم اليه عبد الرحمن بن الخطاب وخرج يحيى من الكوفة ليعاجلهم الحرب فأسرى ليلته وصبح العساكر فساروا اليه فهزموه ووضعوا السيف فى أصحابه واسروا الكثير من اتباعه كان منهم الهيصم العجلى وغيره وانجلت الحرب عن يحيى ابن عمر قتيلا فبعثوا برأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فبعث به الى المستعين وجعل فى صندوق فى بيت السلاح وجىء بالاسرى فحبسوا وكان ذلك منتصف رجب سنة خمس ومائتين

(ابتداء الدولة العلوية بطبرستان)

لما ظهر محمد بن عبد الله بن طاهر بيحيى بن عمر وكان له من الغناء فى حربه ما قدمناه أقطعه المستعين قطائع من صوافى السلطان بطبرستان كانت منها قطعة بقرب ثغر الديلم تسمى روسالوس وفيها أرض موات ذات غياض وأشجار وكلا مباحة لمصالح الناس من الاحتطاب والرعى وكان عامل طبرستان يومئذ من قبل محمد بن طاهر صاحب خراسان عمه سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو أخو محمد صاحب القطائع وكان سليمان مكفولا لامه وقد حظى عندها وتقدم وفرق أولاده فى أعمال طبرستان

وأساؤا السيرة فى الرعايا ودخل محمد بن أوس بلاد الديلم وهم مسالمون فسبى منهم وانحرفوا لذلك وجاء نائب محمد بن عبد الله لقبض القطائع فحاز فيها تلك الارض الموات المرصدة لمرافق الناس فنكر ذلك الناظر على تلك الارض وهما محمد وجعفر ابنا رستم واستنهضا من أطاعهما من أهل تلك الناحية لمنعه من ذلك فخافهما النائب ولحق بسليمان صاحب طبرستان وبعث ابنا رستم الى الديلم يستنجدانهم على حرب سليمان وبعثا الى محمد بن ابراهيم من العلويين بطبرستان يدعوانه الى القيام بأمره فامتنع ودلهما على كبير العلوية بالرى الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد ابن الحسن السبط فشخص اليهما وقد اجتمع أهل كلار وسالوس ومقدمهم ابنا رستم وأهل الريان ومعهم الديلم بأسرهم فبايعوه جميعا وطردوا عمال سليمان وابن أوس ثم انضم اليهم جبال طبرستان وزحف الحسن بمن معه الى مدينة آمد وخرج ابن أوس من سارية لمدافعته فانهزم ولحق بسليمان فى سارية فخرج سليمان لحرب الحسن ولما التقى الجمعان بعث الحسن بعض قواده خالف سليمان الى سارية وسمع بذلك سليمان فانهزم وملك الحسن سارية وبعث بعيال سليمان وأولاده فى البحر الى جرجان وقيل ان سليمان انهزم اختيارا لما كان بنو طاهر يتهمون به من التشيع ثم بعث الحسن الى الرى ابن عمه وهو القاسم بن على بن اسمعيل ويقال محمد بن جعفر بن عبد الله العقيقى بن الحسين بن على بن زين العابدين فملكها وبعث المستعين جندا الى همذان ليمنعها ولما ملك محمد بن جعفر قائد الحسن بن زيد الرى أساء السيرة وبعث محمد ابن طاهر قائد محمد بن ميكال أخو الشاه فغلبه على الرى وانتزعها منه وأسره فبعث اليه الحسن بن زيد قائده دواجن فهزم ابن ميكال وقتله واسترجع الرى ثم رجع سليمان بن طاهر من جرجان الى طبرستان فملكها ولحق الحسين بالديلم وسار سليمان الى سارية وآمد ومعهم أبناء قارن بن شهرزاد فصفح عنهم ونهى أصحابه عن الفتك والاذى ثم جاء موسى بن بغا بالعساكر فملك الرى من يدى أبى دلف وبعث مفلحا الى طبرستان فحارب الحسن بن زيد وهزمه واستولى على طبرستان ولحق الحسن بالديلم ودخل مفلح آمد وخرب منازل الحسن ورجع الى موسى بالرى

(مقتل باغر)

وكان باغر هذا من قواد الترك ومن جملة بغا الصغير ولما قتل المتوكل زيد فى أرزاقه وأقطعوه قرى بسواد الكوفة وضمنها له بعض أهل باروسما بألفى دينار فطلبه ابن مارمة وكيل باغر وحبسه ثم تخلص وسار الى سامرا وكانت له ذمة من نصرانى عند بغا

الصغير فأجاره النصرانى من كيد بغا وأغراه عليه فغضب لذلك باغر وشكى الى بغا فأغلظ له القول وقال انى مستبدل من النصرانى وافعل فيه بعد ذلك ما تريد ودس الى النصرانى بالحذر من باغر وأظهر عزله وبقى باغر يتهدده وقد انقطع المستعين وقد بغا فى يوم نوبته عن الحضور بدار السلطان فسأل المستعين وصيفا عن أعمال ايتاخ وقلدها لباغر فعذل وصيفا فى الشأن فحلف له انه ما علم قصد الخليفة وتنكر بغا لباغر فجمع أصحابه الذين بايعوه على المتوكل وجدد عليهم العهد فى قتل المستعين وبغا ووصيف وأن ينصبوا ابن المعتصم أو ابن الواثق ويكون الامر لهم ونما الخبر على الترك الى المستعين فأحضر بغا ووصيفا وأعلمهما بالخبر فحلفا له على العلم وأمر بحبس باغر ورجلين معه من الاتراك فسخطوا لذلك وثاروا فانتهبوا الاصطبل وحضروا الجوسق وأمر بغا ووصيف وشاهك الخادم وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاده ونزل على محمد ابن طاهر فى بيته فى المحرم سنة احدى وخمسين ولحق به القواد والكتاب والعمال وبنو هاشم وتخلف جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ فندم الاتراك وركب جماعة من قوادهم الى المستعين وأصحابه ليردوهم فأبوا ورجعوا آيسين منه وتفاوضوا فى بيعة المعتز

(بيعة المعتز وحصار المستعين)

كان قواد الاتراك لما جاؤا الى المستعين ببغداد يعتذرون من فعلهم ويتطارحون فى الرضا عنهم والرجوع الى دار ملكه وهو يوبخهم ويعدد عليهم احسانه واساءتهم ولم يزالوا به حتى صرح لهم بالرضا فقال بعضهم فان كنت رضيت فقم واركب معنا الى سامرا فكلمه ابن طاهر لسوء خطابهم وضحك المستعين لعجمتهم وجهلهم بآداب الخطاب وأمر باستمرار أرزاقهم ووعدهم بالرجوع فانصرفوا حاقدين ما كان من ابن طاهر وأخرجوا المعتز من محبسه وبايعوا له بالخلافة وأعطى للناس شهرين وحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد فامتنع منها وقال قد خلعت نفسك فقال أكرهت فقال ما علمنا ذلك ولا مخلص لنا فى ايماننا فتركه وولوا على الشرطة ابراهيم البربرخ وأضيفت له الكتابة والدواوين وبيت المال وهرب عتاب بن عتاب من القواد الى بغداد وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بالاحتشاد واستقدم مالك بن طوق فى أهل بيته وجنده وأمر حوبة بن قيس وهو على الانبار بالاحتشاد وكتب الى سليمان بن عمران صاحب الموصل بمنع الميرة عن سامرا وشرع فى تحصين بغداد وأدار عليها الاسوار والخنادق من الجانبين وجعل على كل باب قائدا ونصب على الابواب المجانيق والعرادات وشحن الاسوار بالرماة والمقاتلة وبلغت النفقة فى ذلك ثلثمائة وثلاثين

ألف دينار وفوض للعبارين الرزق وعرف عليهم وأنفذ كتب المستعين الى العمال
بالنواحى تحمل الخراج الى بغداد وكتب المستعين الى الاتراك يأمرهم بالرجوع
عما فعلوا وكتب المعتز الى محمد يدعوه الى بيعته وطالت المراجعات فى ذلك وكان موسى بن
بغا قد خرج لقتال أهل حمص فاختلف اليه وهو بالشأم كتب المستعين والمعتز يدعوه
كل واحد منهما الى نفسه فاختار المعتز ورجع اليه وهرب اليه عبد الله بن بغا الصغير من
بغداد بعد أن هرب عنه فقتله وهرب الحسن بن الافشين الى بغداد فخلع عليه المستعين
وضم اليه الاشروسنية ثم عقد المعتز لاخيه الى أحمد الواثق عن حرب بغداد وضم اليه
الجنود باكيال من قوادهم فسار فى خمسين ألفا من الاتراك والفراغنة والمغاربة
وانتهبوا ما بين عكبرا وبغداد من القرى والضياع وخربوها وهرب اليهم جماعة من
أصحاب بغا الصغير ووصلوا الى باب الشماسية وولى المستعين على باب الشماسية الحسين
ابن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب وجعل القواد هنالك تحت يده ووافقت
طلائع الاتراك بالقرب منه وأمده ابن طاهر بالشاه بن ميكال
وبنداء الطبرى ثم ركب محمد بن عبد الله بن طاهر من الغد ومعه بغا ووصيف والفقهاء
والقضاة وذلك عاشر صفر وبعث اليهم يدعوهم الى مراجعة الطاعة على المعتز ولى عهده
فلم يجيبوا فانصرفوا وبعث اليه القواد من الغد بأنهم زحفوا الى باب الشماسية
فنهاهم عن مناداتهم بالقتال وقدم ذلك اليوم عبد الله بن سليمان خليفة بغا من مكة
فى ثلثمائة رجل ثم جاء الاتراك من الغد فاقتتلوا مع القواد وانهزم القواد وبلغ ابن طاهر
أن جماعة من الاتراك ساروا نحو النهروان فبعث قائدا من أصحابه اليهم فرجع
منهزما واستولى الاتراك على طريق خراسان وقطعوها عن بغداد ثم بعث المعتز عسكرا
آخر نحو اربعة آلاف فنزلوا فى الجانب الغربى وبعث ابن طاهر اليهم الشاه
ابن ميكال فهزمهم وأثخن فيهم ورجع الى بغداد فخلع عليه وعلى سائر القواد أربع
خلع وطوقا وسوارا من ذهب لكل واحد ثم أمر ابن طاهر بهدم الدور والحوانيت
الى باب الشماسية ليتسع المجال للحرب وقدمت عليه أموال فارس والاهواز
مع مكحول الاشروسى وخرج الاتراك لاعتراضه وبعث ابن طاهر لحفظه فقدموا به
بغداد ولم يظفر به الاتراك ومضوا نحو النهروان فأحرقوا سفن الجسر وكان المستعين
قد بعث محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد واليا على الثغور الجزرية وأقام ينتظر الجند
والمال فلما بلغه خبر هذه الفتنة جاء على طريق الرقة الى بغداد فخلع عليه ابن طاهر
وبعثه فى جيش كثيف لمحاربتهم وصار الى ضيعة بالسواد فأقام بها فقال ابن طاهر
لن يفلح أحد من العرب الا أن يكون معه نبى ينصره الله به ثم ذهب الاتراك وقاتلوا

واتصل الحصار واشتدت الحرب وانتهبت الاسواق وورد الخبر من الثغور بأن
بلكاجور حمل الناس على بيعة المعتز فقال ابن طاهر لعله ظن موت المستعين فكان
كذلك ووصل كتابه بأنه جدد البيعة وكان موسى بن بغا مع الاتراك كما قدمنا
فأراد الرجوع على المستعين فامتنع أصحابه وقاتلوه فلم يتم له أمره وفر القعاطون من
البصرة ورموا على الاتراك فأحرقوهم فبعث ابن طاهر الى المدائن ليحفظها وأمده
بثلاثة آلاف فارس وبعث الى الانبار حوبة بن قيس فشق الماء الى خندقها من الفرات
وجاء الى الاسحاقى من قبل المعتز فسبق المدد الذى جاء من قبل ابن طاهر وملك
الانبار ورجع حوبة الى بغداد فأنفذ ابن طاهر الحسين بن اسمعيل فى جماعة من
القواد والجند فاعترضه الاتراك وحاربوه وعاد الانبار وتقدم هو لينزل عليهما وبينما
هو يحط الانقال اذا بالاتراك فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم وكانوا قد كمنوا له فخرج
الكمين وانهزم الحسين وغرق كثير من أصحابه فى الفرات وأخذ الاتراك عسكره
ووصل الى الياسرية آخر جمادى الآخرة ومنع ابن طاهر المنهزمين من دخول بغداد
وتوعدهم على الرجوع اليه وأمده بجند آخر فدخل من الياسرية وبعث على
المخاض الحسين بن على بن يحيى الارمنى فى مائتى مقاتل ليمنع الاتراك من العبور اليه
من عدوة الفرات فوافوه وقاتلوه عليها فهزموه وركب الحسين فى زورق منحدرا وترك
عسكره وأثقاله فاستولى عليها الاتراك ووصل المنهزمون الى بغداد من ليلتهم ولحق
من عسكره جماعة من القواد والكتاب بالمعتز وفيهم على ومحمد ابنا الواثق وذلك أول
رجب ثم كانت بينهم عدة وقعات وقتل من الفريقين خلق ودخل الاتراك فى كثير
من الايام بغداد وأخرجوا عنها ثم ساروا الى المدائن وغلبوا عليها ابن أبى السفاح
وملكوها وجاء الاتراك الذين بالانبار الى الجانب الغربى وانتهوا الى صرصر وقصر
ابن هبيرة واتصل الحصار الى شهر ذى القعدة وخرج ابن طاهر فى بعض أيامه فى جميع
القواد والعساكر فقاتلهم وانهزموا وقتل منهم خلق وارتقم الذين كانوا مع بغا
ووصيف لذلك فلحقوا بالاتراك ثم تراجع الاتراك وانهزم أهل بغداد ثم خرج فى ذى
الحجة رشيد بن كاووس أخو الافشين ساعيا فى الصلح بين الفريقين واتهم الناس
ابن طاهر بالسعى فى خلع المستعين فلما جاء رشيد وأبلغهم سلام المعتز وأخيه الى أحمد
شتموه وشتموا ابن طاهر وعمدوا الى دار رشيد ليهدموها وسأل ابن طاهر من المستعين
أن يسكنهم فخرج اليهم ونهاهم وبرأ ابن طاهر مما اتهموه به فانصرفوا وترددت الرسل
بين ابن طاهر وبين أبى أحمد فتجدد للعامة والجند سوء الظن وطلب الجند أرزاقهم
فوعدهم بشهرين وأمرهم بالنزول فأبوا الا أن يعلمهم الصحيح من رأيه فى المستعين وخاف

أن يدخلوا الاتراك كما عمل أهل المدائن والانبار فاصعد المستعين على سطح دار العامة حتى رآه الناس وبيده البردة والقضيب وأقسم عليهم فانصرفوا واعتزم ابن طاهر على التحول الى المدائن فجاءه وجوه الناس واعتذروا له بالغوغاء فأقصروا ونقل المستعين عن دار ابن طاهر الى دار رزق الخادم بالرصافة وأمر القواد وبنى هاشم بالكون مع ابن طاهر فركب فى تعبية وحلف لهم على المستعين وعلى قصد الاصلاح فدعوا له وسار الى المستعين وأغراه وأمر بغا ووصيفا بقتله فلم يفعلا وجاءه أحمد ابن اسرائيل والحسين ابن مجلد بمثل ذلك فى المستعين فتغير له ابن طاهر فلما كان يوم الاضحى وقد حضر الفقهاء والقضاة طالبه ابن طاهر بامضاء الصلح فأجاب وخرج الى باب الشماسة فجلس هنالك ابن طاهر الى المستعين وأخبره بأنه عقد الامر الى أن يخلع نفسه ويبذلوا له خمسين ألف دينار ويعطوه غلة ثلاثين ألف دينار ويقيم بالحجاز مترددا بين الحرمين ويكون بغا واليا على الحجاز ووصيف على الجبل ويكون ثلث الجباية لابن طاهر وجند بغداد والثلثان للموالى والاتراك فامتنع المستعين أولا من الخلع ظنا منه أن وصيفا وبغا معه ثم تبين موافقتهما عليه فأجاب وكتب بما أراد من الشروط وأدخل الفقهاء والقضاة وأشهدهم بأنه قد صير أمره الى ابن طاهر ثم أحضر القواد وأخبرهم بأنه ما قصد بهذا الاصلاح الا حقن الدماء وأخرجهم الى المعتز ليوافقهم بخطه على كتاب الشرط ويشهدوا على اقراره فجاؤا بذلك لست خلون من المحرم سنة ثنتين وخمسين ومائتين

(خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك)

ولما تم ما عقده ابن طاهر ووافى القواد بخط المعتز على كتاب الشروط أخذ البيعة للمعتز على أهل بغداد وخطب له بها وبايع له المستعين وأشهد على نفسه بذلك فنقله من الرصافة الى قصر الحسن بن سهل ومعه عياله وأهله وأخذ البردة والقضيب والخاتم ومنع من الخروج الى مكة فطلب البصرة فمنع منها وبعث الى واسط فاستوزر المعتز أحمد بن أبى اسرائيل ورجع أخوه أبو أحمد الى سامرا وفى آخر المحرم انصرف أبو الساج ديواذ بن دزموسب الى بغداد فقلده ابن طاهر معاون السواد فبعث معه مؤنة اليها لطرد الاتراك والمغاربة عنها وسار هو الى الكوفة ثم كتب المعتز الى ابن طاهر باسقاط بغا ووصيف ومن معهما من الدواوين وكان محمد أبو عون من قواد ابن طاهر قد تكفل لابى اسحق بقتلهما وعقد له المعتز على اليمامة والبحرين والبصرة ونمى الخبر اليهما بذلك فركبا الى ابن طاهر وأخبراه الخبر وأن القوم قد نقضوا العهد ثم بعث وصيف أخته سعاد الى المؤيد وكان فى حجرها فاستوهبت له الرضا من المعتز وكذا فعل أبو أحمد

مع بغا وكتب لهما المعتز جميعا بالرضا ثم رغب الاتراك فى احضارهما بسامرا فكتب بذلك ودس الى ابن طاهر بمنعهما فخرجا فيمن معهما ولم يقدر ابن طاهر على منعهما وحضرا بسامرا فعقد اليهما المعتز على أعمالهما ورد البريد الى موسى بن بغا الكبير ثم كانت فتنة بين جند بغداد وابن طاهر فى شهر رمضان جاؤا اليه يطلبون أرزاقهم قال كتبت الى أمير المؤمنين فى ذلك فكتب الى ان كنت تريد الجند لنفسك فأعطهم وان كان لنا فلا حاجة لنا فيهم فشغبوا افترق فيهم ألفى دينار فسكنوا ثم اجتمعوا ثانية ومعهم الاعلام والطبول وضربوا الخيام بباب الشماسية وبنوا البيوت من الاعواد والقصب وجمع محمد بن ابراهيم أصحابه وشحن داره بالرجال وأرادوا يوم الجمعة أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز فقعد واعتذر بالمرض فخرجوا الى الجسر ليقطعوه فقاتلهم أصحاب ابن طاهر ودفعوهم عنه ثم دفعوا أصحاب ابن طاهر باعانة أهل الجانب الشرقى وجاء العامة فجلس الشرطة فأمر ابن طاهر باحراق الحوانيت الى باب الجسر ومات أصحاب تعبية الحرب وجاء من دله على عورة الجند فسرح الشاه ابن ميكال وعرض القواد فسار الى ناحيتهم وافترقوا وقتل بينهم ابن الخليل وحمل رئيسهم الآخر ابن القاسم عبدون بن الموفق الى ابن طاهر ومات فى خلال ذلك وأخرج المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد وذلك أن العلاء بن أحمد عامل ارمينية بعث الى المؤيد بخمسة آلاف دينار فأخذها عيسى بن فرخانشاه فأغرى المؤيد بعيسى الاتراك والمغاربة فبعث المعتز الى المؤيد والى أحمد فحبسهما وقتل المؤيد فأخذ خطه مبلغ نفسه ثم نمى اليه أن الاتراك يرومون اخراجه من الحبس فسأل عن ذلك موسى بن بغا فأنكر علم ذلك وأخرج المؤيد من الغد ميتا ودفنته أمه فيقال غطى على أنفه فمات وقيل اقعد فى الثلج ووضع على رأسه ثم نقل أخوه ابن أحمد الى مجلسه ثم اعتزم المعتز على قتل المستعين فكتب الى محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسلمه الى سيما الخادم وكتب محمد فى ذلك الى الموكلين به بواسط يقال بل أرسل بذلك أحمد بن طولون فسار به فى القاطون وسلمه الى سعيد بن صالح فضربه سعيد حتى مات وقيل ألقاه فى دجلة بحجر فى رجله وكانت معه دايته فقتلت معه وحمل رأسه الى المعتز فأمر بدفنه وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم وولاه معونة البصرة ثم وقعت فتنة بين الاتراك والمغاربة مستهل رجب بسبب ان الاتراك وثبوا بعيسى بن فرخانشاه فضربوه وأخذوا دابته لما أمرهم المؤيد فامتعضت المغاربة له ونكروا على الاتراك وغلبوهم على الجوسق وأخذوا دوابهم وركبوها وملكوا بيت المال واستجاش الاتراك بمن كان منهم فى الكرخ والدور وانضم الغوغاء والشاكرية الى المغاربة فضعفت الاتراك عن لقائهم وسعى بينهم جعفر بن عبد الواحد فى الصلح فتوادعوا أياما

ثم اجتمع الاتراك على حين افتراق المغاربة فقصد محمد بن راشد ونصر بن سعد منزل
محمد بن عون يختفيان عنده حتى تسكن الهيعة فدس للاتراك بخبرهما وجاؤا فقتلوهما
فى منزله وبلغ ذلك المعتز فهم بقتل بن عون ثم نفاه

(أخبار مساور الخارجى)

كان الوالى على الموصل عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الاشعث بن هانى الخزاعى
وكان صاحب الشرطة بالحديثة من أعمالها حسين بن بكير وكان مساور بن عبد الله
ابن مساور البجلى من الخوارج يسكن بالبوازيج وحبس صاحب الشرطة حسين بن
بكير بالحديثة ابنا للمساور هذا يسمى جوثرة وكان جميلا فكتب الى أبيه مساور بأن
حسين بن بكير نال منه الفاحشة فغضب لذلك وخرج فقصد الحديثة فاختفى حسين
وأخرج ابنه من الحبس ثم كثر جمعه من الاكراد والاعراب وقصد الموصل فقاتلها أياما
ثم رجع فكان تحت طريق خراسان وكانت لنظر بندار ومظفر بن مشبك فسار اليه
بندار فى ثلثمائة مقاتل والخوارج مع مساور فى سبعمائة فهزموه وقتلوه ولم ينج منهم
الانحو خمسين رجلا وفر مظفر الى بغداد وجاء الخوارج الى جلولاء وكانت فيهم حرب
هلك فيها من الجانبين خلق ثم سار خطرمش فى العساكر فلقيهم بجلولاء وهزمه مساور ثم
استولى مساور على أكثر أعمال الموصل ثم ولى الموصل أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب
التغلبى سنة أربع وخمسين فاستخلف عليها ابنه الحسن فجمع عسكرا كان فيهم حمدون
ابن الحرث بن لقمان جد الامراء من بنى حمدان ومحمد بن عبد الله بن السيد بن أنس
وسار الى مساور وعبر اليه نهر الزاب فتأخر عن موضعه وسار الحسن فى طلبه فالتقوا
واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل وقتل محمد بن السيد الازدى ونجا الحسن بن أيوب الى
أعمال اربل ثم كانت الفتنة سنة خمس وخمسين خلع المعتز وبويع للمهتدى وولى على
الموصل عبد الله بن سليمان فزحف اليه مساور وخام عبد الله عن لقائه فملك مساور
البلد وأقام بها جمعة وصلى وخطب ثم خرج منها الى الحديثة وكانت دار هجرته ثم
انتقض عليه سنة ست وخمسين رجل من الخوارج اسمه عبيدة بن زهير العمرى بسبب
الخلاف فى توبة الخاطئ وقال عبيدة لا تقبل واجتمع معه جماعة وخرج اليهم مساور من
الحديثة واقتتلوا قتالا شديدا ثم قتل عبيدة وانهزم أصحابه وخرج اليه آخر من بنى زهر
اسمه طوق فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد العدوى جمعا كثيرا وحاربه فقاتله سنة
خمس أو سبع واستولى مساور على أكثر العراق ومنع الاموال فسار اليه موسى بن
بغا وبابكيال فى العساكر فانتهوا الى   وبلغهم خبر الاتراك مع المهتدى فأقاموا
ثم زحفوا بخلع المهتدى فلما ولى المعتمد سير مفلحا الى قتال مساور فى عسكر كبير وخرج

مساور عن الحديثة الى جبلين حذاءها وقاتله مفلح فى اتباعه ولحق الجبل فاعتصم به
وأقام مفلح فى حصاره فكانت بينهما وقعات وكثرت الجراحة فى أصحاب مساور من لدن
حربه مع عبيدة الى هذه الحروب فسار عن الجبل وتركه وأصبح مفلح وقد فقدهم فسار
الى الموصل ثم الى ديار ربيعة وسنجار ونصيبين والخابور فأصلح أمورها ثم خرج من
الموصل الى الحديثة ففارقها عنه فرجع مساور فى اتباعهم يتخطف من أعقابهم
ويقاتلهم حتى وصل الحديثة فأقام بها أياما ثم سار الى بغداد فى رمضان سنة ست
وخمسين فرجع مساور الحديثة واستولى على البلاد واشتدت شوكته ثم أوقع به
مسرور البلخى سنة ثمان وخمسين وجهز العسكر بالحديثة مع جعلان من قواد الترك
ثم قتل سنة احدى وستين يحيى بن جعفر من ولاة خراسان وسار مسرور فى طلبه وتبعه
الموفق فلم يدركاه

(مقتل وصيف ثم بغا)

وفى سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز اجتمع الجند من الاتراك والفراغنة والاشروسنة
فطلبوا أرزاقهم منهم لاربعة أشهر وشغبوا فخرج اليهم بغا ووصيف وسيما الطويل
وكلمهم وصيف واعتذر بعدم المال وقال خذوا الزاب فى أرزاقكم ونزلوا بدار اشناس
يتناظرون فى ذلك ومضى بغا وسيما الى المعتز يسألانه فى أمرهم وبقى وصيف فى أيديهم
فوثب عليه بعضهم فقتله وقطعوا رأسه ونصبوه ثم انقادوا وأهدر لهم ذلك وجعل
المعتز لبغا الشرابى ما كان لوصيف وألبسه التاج والوشاحين ثم تغير له المعتز لما علمه من
الاستبداد على الدولة وخشى غائلته ومال باطنا الى بابكيال وداخله فى أمره واعتمده
لذلك ثم زوج بغا بنته آمنة من صالح بن وصيف وشغل بجهازها فركب المعتز فى تلك
الغفلة ومعه حمدان بن اسرائيل الى بابكيال فى كرخ سامرا وكانت بينه وبين بغا وحشة
شديدة وبلغ ذلك بغا فركب فى خمسمائة من غلمانه وولده وقواده وكان أكثرهم منحرفين
عنه ولحق بالسن وأقام المعتز على وجل لا ينام الا بسلاحه ثم تعلل أصحاب بغا عليه
فأعرض عنهم وركب الحرراجعا الى بغداد وجاء الجسر ليلا لئلا يفطن به الموكلون
هنالك وبعثوا الى المعتز بخبره فأمر بقتله وحمل اليه رأسه ونصب بسامرا وأحرقت
المغاربة شلوه وكان قصد دار صالح بن وصيف ليثبوا على المعتز

(ابتداء دولة الصفار)

كان يعقوب بن الليث   عمر   الصفر بسجستان وكان صالح بن النضر
الكنانى من أهل البيت قد ظهر بتلك الناحية وقام يقاتل الخوارج وسمى أصحابه

المتطوعة حتى قيل له صالح المطوعى وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن
الليث هذا وغلبوا على سجستان ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبد الله أمير خراسان وهلك
صالح اثر ذلك وقام بأمر المتطوعة درهم بن الحسن فكثر اتباعه وكان يعقوب بن الليث
شهما وكان درهم مضعفا واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس ببغداد
فاجتمعت المتطوعة على يعقوب بن الليث وقام بقتال الشراة وأتيح له الظفر عليهم وأثخن
فيهم وخرب قراهم وكانت له شرية فى أصحابه لم تكن لاحد قبله فحسنت طاعتهم له وعظم
أمره وملك سجستان مظهرا طاعة الخليفة وكاتبه وقلده حرب الشراة فأحسن الغناء
فيه وتجاوزه الى سائر أبواب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم سار من سجستان الى
نواحى خراسان وعليها يومئذ محمد بن عبد الله بن طاهر وعلى هراة من قبله محمد بن أوس
الانبارى فجمع لمحاربة يعقوب وسار اليهم فى التعبية فاقتتلوا وانهزم ابن أوس وملك
يعقوب هراة وبوشنج وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الاطراف وكان
المعتز قد كتب بولاية سجستان فكتب له الآن بولاية كرمان وكان على فارس على بن
الحسين بن وأبطأ عامل الخراج واعتذر فكتب له المعتز بولاية كرمان يريد
اعداء كل منهما بصاحبه لان طاعتهما مهوضة فأرسل على بن الحسين بفارس طوق بن
الغلس خليفة على كرمان وسار يعقوب الصفار من سجستان فسبقه طوق واستولى
عليها وأقام يعقوب بمكانه قريبا منها يترقب خروج طوق اليه وبعد شهرين ارتحل الى
سجستان فوضع طوق أوزار الحرب وأقبل على اللهو واتصل ذلك بيعقوب فى طريقه
فكر راجعا واغذ السير فصادفه بعد يومين وركب أصحابه وقد أحيط بهم ففروا ناجين
بأنفسهم وملك يعقوب كرمان وحبس طوقا وبلغ الخبر الى على بن الحسين وهو على
شيراز فجمع جيشه ونزل على مضيق شيراز وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قبالته والمضيق
متوعر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما فاقتحم يعقوب النهر بينهما وأجاز الى على بن
الحسين وأصحابه فانهزموا وأخذ على أسيرا واستولى على جميع عسكره ودخل شيراز
وملكها وجبى الخوارج ورجع الى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين ويقال بل وقع
بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم آخرها على وكان عسكره نحوا من خمسة عشر
ألفا من الموالى والاكراد ورجعوا منهزمين الى شيراز آخر يومهم وازدحموا فى الابواب
وافترقوا فى نواحى فارس وانتهوا الى الاهواز وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف ولما دخل
يعقوب وملك فارس امتحن عليا وأخذ منه ألف بردة ومن الفرش والسلاح والآلة
مالا يحد وكتب الى الخليفة بطاعته وأهدى هدية جليلة يقال منها عشر بازات بيض
وبازا أبلق صينى ومائة نافجة من المسك وغير ذلك من الطرف ورجع الى سجستان ثم

استعاد الخليفة بعد ذلك فارس وبعث عماله اليها

(ابتداء دولة ابن طولون بمصر)

كان بابكيال من أكابر قواد الاتراك مع بغا ووصيف وسيما الطويل ولما حدثت هذه
الفتن وتغلبوا على الخلفاء أخذوا الاعمال والنواحى فى اقطاعهم فاقطع المعتز بابكيال
هذا أعمال مصر وبها يومئذ ابن مدبر وكان بابكيال مقيما بالحضرة فنظر فيمن يستخلفه
عليها وكان أحمد بن طولون من أبناء الاتراك وأبوه من سبى فرغانة وربى فى دار الخلفاء
ونشأ ابنه أحمد بها على طريقة مستقيمة لبابكيال خاله وأشير عليه بتوليته فبعثه على
مصر فاستولى عليها أولا دون أعمالها والاسكندرية ثم قتل المعتز بابكيال وصارت مصر
فى اقطاع يارجوخ التركى وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة فكتب اليه
واستخلفه على مصر جميعها ورسخت قدمه فيها وأصارها تراثا لبنيه فكانت لهم فيها
الدولة المعروفة

(استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد)

قد تقدم لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين كان على العراق والسواد وكانت
لهم الشرطة وغيرها وكان مقيما ببغداد وكان فى المدافعة عن المستعين لما لجأ اليه ثم صلح
ما بينه وبين المعتز واستقل المعتز بالخلافة والآثار المذكورة ثم هلك آخر سنة ثلاث
وثمانين أيام المعتز وفوض ما كان بيده من الولاية الى أخيه عبيد الله نازعه ابنه طاهر
فى الصلاة عليه ومالت العامة مع أصحاب طاهر والقواد مع عبيد الله لوصية أخيه
ثم أمضى المعتز عهد أخيه وخلع عليه وبذل لصاحب الخلع خمسين ألف درهم ثم
بعث المعتز عن سليمان بن عبد الله بن طاهر من خراسان وولاه على العراق والشرطة
وغيرها مكان أخيه محمد وعزل أخاهما عبيد الله فلما علم عبيد الله تقدم سليمان أخذ
ما فى بيت المال وانتقل الى غربى دجلة وجاء سليمان وقائده محمد بن أوس ومعه جند من
خراسان فأساؤا السيرة فى أهل بغداد فحنق الناس عليهم وأعطى أرزاقهم مما بقى فى بيت
المال وقدمهم على جند بغداد وشاكريها فاتفق الجند على الثورة وفتقوا السجون
وعبر ابن أوس الى الجزيرة واتبعه الجند والعامة فحاربهم وانهزم وأخرجوه من باب
الشماسية ونهب من منزله قيمة ألفى الف درهم ومن الامتعة مالا يحصر ونهب منازل
جنده ورأى سليمان أن يسكن الثائرة فأمره بالخروج الى خراسان ثم كانت الفتنة
فى خلع المعتز وولاية المهدى كما يذكر وبعث المهتدى سلخ رجب من سنة خمس وخمسين
الى سليمان ليأخذ البيعة له ببغداد وكان أبو أحمد بن المتوكل ببغداد قد بعثه اليها المعتز
فنقله سليمان الى داره ووثب الجند والعامة لذلك واجتمعوا بباب سليمان وقاتلهم

أصحابه مليا ثم انصرفوا وخطب من الغد للمعتز فسكنوا ثم ساروا ودعوا الى بيعة أبى أحمد وطلبوا رؤيته فأظهره لهم ووعدهم بما طلبوا فافترقوا ووكل بحفظ أبى أحمد ثم بايع للمهتدى فى شعبان من تلك السنة

(خبر كرخ اصبهان وآل أبى دلف)

قد تقدم لنا شأن أبى دلف أيام المأمون وانه كان مقيما بكرخة وان المأمون عفا له عما وقع منه فى القعود عن نصره وأقام بتلك الناحية وهلك فقام ابنه عبد العزيز مكانه ولما كانت أيام الفتنة تمسك بطاعة المستعين وولى وصيف على الجبل واصبهان فكتب الى عبد العزيز باستخلافه عليها وبعث عليه بالخلع وعقد المعتز لموسى بن بغا الكبير فى شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين على الجبل واصبهان فسار لذلك وفى مقدمته مفلح فلقيه عبد العزيز بن أبى دلف فى عشرين ألفا خارج همذان فتحاربا وانهزم عبد العزيز وقتل أصحابه وسار مفلح الى الكرخ فخرج اليه عبد العزيز وقاتله ثانية فانهزم واستولى مفلح على الكرخ ومضى عبد العزيز الى قلعة نهاوند فتحصن بها وأخذ مفلح أهله وأمه ثم عقد له وصيف سنة اثنين وخمسين على اعمال الجبل ثم عقد لموسى بن بغا فسار وفى مقدمته مفلح فقاتله عبد العزيز فانهزم وملك مفلح الكرخ وأخذ ماله وعياله ثم ملك عبد العزيز وقام مكانه ابنه دلف وقاتله القاسم بن صبهاه من أهالى اصبهان ثم قتل القاسم أصحاب ابى دلف وولوا أخاه أحمد بن عبد العزيز سنة خمس وستين وولاه عمرو الصفار من قبله على اصبهان عندما ولاه عليها المعتمد سنة ست وستين وحاربه كعليغ التركى سنة تسع وستين فغلبه أحمد وأخرجه الى الصيمرة وبعث اليه عمرو سنة ثمان وستين فى المال فبعث اليه ثم سار الموفق سنة ست وسبعين يريد أحمد باصبهان فشاغله أحمد عن البلد وترك داره بفرشها لنزول الموفق ثم مات أحمد سنة ثمانين وولى أخوه عمرو وأخوه بكير يرادفه وقاتلا رافع بن الليث بأمر المعتضد فهزمهما كما يأتى ذكره ثم قلده المعتضد اصبهان ونهاوند والكرخ عمر بن عبد العزيز سنة احدى وثمانين ثم راجعا الطاعة

(خلع المعتز وموته وبيعة المهتدى)

كان صالح بن وصيف بن بغا متغلبا على المعتز وكان كاتبه أحمد بن اسرائيل وكانت أمه قبيحة ووزيرها الحسن بن مخلد وكان أبو نوح عيسى بن ابراهيم من كبار الكتاب وجباة الأموال وطلب الاتراك أرزاقهم وشغبوا فقال صالح للمعتز هذه الاموال قد ذهب بها الكتاب والوزراء وليس فى بيت المال شئ فرد عليه أحمد بن اسرائيل وأفحش فى رده وتفاوضا فى الكلام فسقط صالح مغشيا عليه وتبادر أصحابه بالباب فدخلوا منتضين سيوفهم فدخل الى قصره فأمر صالح بالوزراء الثلاثة فقيدوا وشفع

المعتز فى أمر وزيره فلم يقبل شفاعته وصادرهم على مال جليل حملوه فلم يستد شيأ فلما فعلوا بالكتاب مافعلوا من المصادرة اتهم الجند انهم حملوا لى مال ولم يكن ذلك فشغبوا فى طلب أرزاقهم وضمنوا للمعتز قتل صالح بن وصيف على خمسين ألفا يبذلها لهم وسألها من أمه فاعتذرت فاتفقت كلمتهم على خلعه ودخل اليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا المعروف بأبى نصر وبايكيال وطلبوه فى الخروج اليهم فاعتذر لهم وأذن لبعضهم فى الدخول فدخلوا وجروه الى الباب وضربوه وأقاموه فى الشمس فى صحن الدار وكلما مر به أحد منهم لطمه ثم أحضروا القاضى ابن أبى الشوارب فى جماعة فأشهدهم على خلعه وعلى صالح بن وصيف بأمانه وأمان أمه وأخته وولده وفرت أمه قبيحة من سرب كانت اتخذته بالدار ثم عذبوا المعتز ثم جعلوه فى سرب وطموا عليه وأشهدوا على موته بنى هاشم والقواد وذلك آخر رجب من سنة خمس وخمسين وبايعوا لمحمد ابن عمه الواثق ولقبوه المهتدى بالله عندما خلع المعتز نفسه وأقر بالعجز والرغبة فى تسليمها الى المهتدى بايعه الخاصة والعامة وكانت قبيحة أم المعتز لما فعل صالح بالكتاب مافعل قد   نفرا منهم على الفتك بصالح ونمى ذلك اليه فجمع الاتراك على الثوران وأيقنت قبيحة بالهلاك فأودعت مافى الخزائن من الاموال والجواهر وحفرت سربا فى حجرتها هربت منه لما أحيط بالمعتز ولما قتل خشيت على نفسها فبعثت الى صالح تستأمنه فأحضرها فى رمضان وطالبها بخمسمائة ألف دينار وعذبها على خزائن تحت الارض فيها ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار ومقدار مكوك من الزبرجد لم ير مثله ومقدار مكوك آخر من اللؤلؤ العظيم وجراب من الياقوت الاحمر القليل النظير وذمها الناس بأنها عرضت ابنها للقتل فى خمسين ألف دينار ومعها هذا المال ثم سارت الى مكة فأقامت هنالك وقبض صالح على أحمد بن اسرائيل وزير المعتز وعذبه وصادره ثم قبض على أبى نوح وفعل به مثله وقبض على الحسن بن مخلد كذلك ولم يمت وبلغ المهتدى ذلك فنكره وقال كان الحبس كافيا فى العقوبة ولاول ولاية المهتدى أخرج القيان والمغنين من سامرا ونفاهم عنها وأمر بقتل السباع التى كانت فى دار السلطان وطرد الكلاب ورد المظالم وجلس للعامة وكانت الفتن قائمة والدولة مضطربة فشمر لاصلاحها لو امهل واستوزر سليمان بن وهب وغلب على أمره صالح بن وصيف وقام بالدولة

بياض بالأصل

(مسير موسى بن بغا الى سامرا ومقتل صالح بن وصيف)

كان موسى بن بغا غائبا بنواحى الرى واصبهان منذ ولاية المعتز عليها سنة ثلاث وخمسين ومعه مفلح غلام أبى الساج وكانت قبيحة أم المعتز لما رأت اضطراب أموره

كتبت الى موسى قبل أن يفوت فى المعتز أمره فجاءه كتابها وقد بعث مفلحا لحرب الحسن بن زيد العلوى فحربه بطبرستان فغلبه وأحرق قصوره بآمد وخرج فى اتباعه الى الديلم فكتب الى موسى بالرجوع لمداهمة من شاء وبينما هو فى استقدامه وانتظاره قتل المعتز وبويع المهتدى وبلغ أصحابه ما حواه صالح من أموال المعتز وكتابه وأمه فشرهوا الى مثل ذلك وأغروا موسى بالمسير الى سامرا ورجع مفلح من بلاد الديلم اليه وهو بالرى فسار نحو سامرا وسمع المهتدى بذلك فكتب اليه بالمقام ويحذره على ماوراءه من العلويين فلم يصغ لذلك وأفحش أصحابه فى اساءة الرسل الواصلين بالكتب فكتب بالاعتذار واحتج بما عاينه الرسل وأنه يخشى أن يقتله أصحابه ان عادوا الى الرى وصالح بن وصيف فى خلال ذلك يغرى به المهتدى وينسبه الى المعصية والخلاف الى أن قدم فى المحرم سنة ست وخمسين ودخل فى التعبئة فاختفى صالح بن وصيف ومضى موسى الى الجوسق والمهتدى جالس للمظلوم فأعرض له عن الاذن ساعة ارتاب فيها هو وأصحابه وظنوا أنه ينتظر قدوم صالح بالعساكر ثم أذن لهم فدخلوا وقبضوا على المهتدى وأودعوه دار باجورة وانتهبوا ما كان فى الجوسق واستغاث المهتدى بموسى فعطف عليه ثم أخذ عليه العهود والايمان أن لا يوالى صالحا وأن باطنه وظاهره فى موالاتهم سواء فجددوا له البيعة واستبد موسى بالامر وبعث الى صالح للمطالبة بما احتجبه من الاموال فلم يوقف له على أثر وأخذوا فى البحث عنه وفى آخر المحرم أحضر المهتدى كتابا رفعه اليه سيما الشرابى زعم أن امرأة دفعته اليه وغابت فلم يرها وحضر القواد وقرأه سليمان بن وهب عليهم وهو بخط صالح يذكر ماصار اليه من الاموال وأنه انما استتر خشية على نفسه وحسما للفتنة وابقاء على الموالى ولما قرأ الكتاب حثهم المهتدى على الصلح والاتفاق فاتهمه الاتراك بالميل الى صالح وأنه مطلع على مكانه [بياض بالاصل] بذلك

ثم اجتمعوا من الغد بدار موسى بن بغا داخل الجوسق واتفقوا على خلع المهتدى الا أخا بابكيال فانه أبى من ذلك وتهددهم بأنه مفارقهم الى خراسان واتصل الخبر بالمهتدى فاستدعاه اليه وقد نظف ثيابه وتطيب وتقلد سيفه فأرعد وأبرق وتهددهم بالاستماتة ثم حلف لا يعلم مكان صالح وقال لمحمد بن بغا وبابكيال قد حضرتما مع صالح فى أمر المعتز وأموال الكتاب وأنتم شركاؤه فى ذلك كله وانتشر الخبر فى العامة بأنهم أرهقوه وأرادوا خلعه فطفقوا يحاذرون على الدعاء فى المساجد والطرقات ويبغون على القواد بغيهم على الخليفة ويرمون الرقاع بذلك فى الطرقات ثم ان الموالى بالكرخ والدور دسوا الى المهتدى أن يبعثوا اليه أخاه أبا القاسم عبد الله بعد أن ركبوا

وتحركوا فقالوا لابى القاسم بلغنا ما عليه موسى وبابكيال وأصحابهما ونحن شيعة للخليفة فيما بيده وشكوا مع ذلك تأخر أرزاقهم وما صار وامن الاقطاع والزيادات الى قوادهم وما أخذه النساء والدخلاء حتى أصحب ذلك كله بالخراج والضياع وكتبوا بذلك الى المهتدى فأجابهم بالثناء على التشيع له والطاعة والوعد الجميل فى الرزق والنظر الجميل فى شأن الاقطاعات للقواد والنساء فأفاضوا فى الدعاء وأجمعوا على منع الخليفة من الحجر والاستبداد عليه وأن ترجع الرسوم الى عادتها أيام المستعين على كل عشرة عريف وعلى كل خمسين خليفة وعلى كل مائة قائد وأن تسقط النساء والزيادة فى الاقطاع ويوضع العطاء فى كل شهرين وكتبوا بذلك الى المهتدى وانهم صائرون الى بابه ليقضى حوائجهم وان أحدا اعترض عليه أخذوا رأسه وان تعرض له أحد قتلوا موسى بن بغا وبابكيال وماجور فجاء أبو القاسم بالكتاب وقد قعد المهتدى للمظالم وعنده الفقهاء والقضاة والقواد قائمون فى مراتبهم فقرأ كتابهم على القواد فاضطربوا وكتب جوابهم بما سألوا وطلب أبو القاسم من القواد أن يبعثوا معه رسولا بالعذر عنهم ففعلوا ومضى أبو القاسم اليهم بكتاب الكتاب وبرسل القواد واعذارهم فكتبوا الى المهتدى يطلبون التوقيعات بحط الزيادات ورد الاقطاعات واخراج الموالى البرانيين من الخاصة ورد الرسوم الى عاداتها أيام المستعين ومحاسبة موسى ابن بغا وصالح بن وصيف على ما عندهم من الاموال ووضع العطاء على كل شهرين وصرف النظر فى الجيش الى بعض اخوته أو قرابته واخراجه من الموالى وكتبوا بذلك الى المهتدى والقواد فأجابهم الى جميع ما سألوه وكتب اليهم موسى بن بغا بالاجابة فى شأن صالح والاذن فى ظهوره فقرؤا الكتابين ووعدوا بالجواب فركب اليهم أبو القاسم واتبعه موسى فى ألف وخمسمائة فوقف فى طريقهم وجاءهم أبو القاسم فاضطربوا فى الجواب ولم يتفقوا فرجع ورد موسى بن بغا فأمرهم المهتدى بالرجوع وأن يتقدم اليهم محمد بن بغا مع أبى القاسم ويدفعوا اليهم كتاب الامان لصالح بن وصيف وقد كان من طلبتهم أن يكون موسى فى مرتبة أبيه وصالح كذلك والجيش فى يده وأن يظهر على الامان فأجيبوا الى ذلك وافترق الناس الى الكرخ والدور وسامرا فلما كان من الغد ركب بنو وصيف فى جماعة ولبسوا السلاح فنهبوا دواب العامة وعسكروا بسامرا وتعلقوا بأبى القاسم يطلبون صالحا فأنكر المهتدى أن يكون علم بمكانه وقال ان كان عندهم فليظهروه ثم ركب ابن بغا فى القواد ومعه أربعة آلاف فارس وعسكروا افترق الاتراك ولم يظهر للكرخيين ولا لاهل الدور وسامرا فى هذا اليوم حركة وجد موسى فى طلب صالح ونادى عليه وعثر عليه بعض الغوغاء فجاء به الى الجوسق

والعامة فى اتباعه فضربه بعض أصحاب مفلح فقتله وطيف برأسه على قناة وخرج موسى بن بغا لقتال السراة بناحية السن

(الصوائف منذ ولاية المنتصر الى آخر أيام المهتدى)

فى سنة ثمان وأربعين أيام المستعين خرج بناحية الموصل محمد بن عمر الشارى وحكم فسرح المنتصر اسحق بن ثابت الفرغانى فأسره فى عدة من أصحابه وقتلوا وصلبوا وفى هذه السنة غزا بالصائفة وصيف وأمره المنتصر بالمقام بملطية أربع سنين يغزو فى أوقات الغزو الى أن يأتيه رأيه وكان مقيما بالثغر الشامى فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قدورية وفى سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة جعفر بن دينار فافتتح مطامير واستأذنه عمر بن عبد الله الاقطع فى الدخول الى بلاد الروم فأذن له فدخل فى جموع من أهل ملطية ولقى ملك الروم بمرج الاسقف فى خمسين ألفا فأحاطوا به وقتل فى ألفين من المسلمين وخرج الروم الى الثغور الجزرية فاستباحوها وبلغ ذلك على ابن يحيى الارمنى وقد كان صرف على الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان فلما سمع بخبرهم نفر اليهم وقاتلهم فانهزم وقتل فى أربعمائة من المسلمين وفى سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر

(الولاة)

لما ولى المنتصر استوزر أحمد بن الخصيب وولى على المظالم أبا عمرو أحمد بن سعيد مولى بنى هاشم ثم ولى المستعين ومات طاهر بن عبد الله بخراسان فولى المستعين مكانه ابنه محمدا وولى محمد بن عبد الله على العراق وجعل اليه الحرمين والشرطة ومعادن السواد واستخلف أخاه سليمان بن عبد الله على طبرستان وتوفى بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله وضاف اليه ديوان البريد وشغب أهل حمص على عاملهم وأخرجوه فبعث عليهم المستعين الفضل بن قارن أخا مازيار فقتل منهم خلقا وحمل مائة من أعيانهم الى سامرا واستوزر المستعين أتامش بعد أن عزل أحمد بن الخصيب واستصفى ونفى الى اقريطش وعقد لاتامش على مصر والمغرب ولبغا الشرابى على حلوان وماسبذان ومهرجابعده ثم قتل أتامش فاستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبد الله بن محمد بن داود وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه عيسى بن فرخانشاه وولى وصيفا على الاهواز وبغا الصغير على فلسطين ثم غضب بغا على أبى صالح ففر الى بغداد واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجانى وولى ديوان الرسائل سعيد بن حميد وعزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ونفاه الى البصرة وولى جعفر بن محمد بن عمار البرجمى وفى خمسين عقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف بشاشان على مكة ووثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه فسرح اليهم المستعين موسى

ابن بغا وحاربوه فهزمهم وافتتح حمص وأثخن فيهم وأحرقها وفيها وثب الشاكرية والجند بفارس بعبد الله بن اسحق فانتهبوا منزله وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن وهرب عبد الله بن اسحق وفيها كان ظهور العلوية بنواحى طبرستان وفى سنة احدى وخمسين عقد المعتز لبغا ووصيف على أعمالها ورد البريد الى موسى بن بغا الكبير وعقد محمد بن طاهر لابى الساج وقدم بين يديه عبد الرحمن كما قلنا وأظهر أنه انما جاء لحرب الاعراب وتلطف لابى أحمد حتى خالطه وقيده وبعث به الى بغداد فى سنة ثنتين وخمسين وولى المعتز الحسين بن أبى الشوارب على القضاء وبعث محمد بن عبد الله بن طاهر أبا الساج على طريق مكة وعقد المعتز لعيسى الشيخ بن السليل الشيبانى من ولد جساس بن مرة على الرملة فاستولى على فلسطين وعلى دمشق وأعمالها وقطع ما كان يحمل من الشأم وكان ابراهيم بن المدبر على مصر فبعث الى بغداد من المال بسبعمائة ألف دينار فاعترضها عيسى وأخذها وطولب بالمال فقال الفتنة على الجند فولاه المعتمد على أرمينية يقيم بها دعواه وبعث المعتمد الى الشأم ماجور على دمشق وأعمالها وبلغ الخبر الى عيسى فبعث ابنه منصورا فى عشرين ألف مقاتل فانهزم وقتل وسار عيسى الى أرمينية على طريق الساحل وفيها عقد وصيف لعبد العزيز بن أبى دلف العجلى على أعمال الجبل وفى سنة ثلاث وخمسين عقد لموسى بن بغا على الجبل فسار وفى مقدمته مفلح مولى بنى الساج وقاتله عبد العزيز بن أبى دلف فانهزم ولجأ الى قلعة لهاد روملك مفلح الكرخ وأخذ أهله وعياله وفيها مات ابن عبد الله بن طاهر ببغداد وولى أخوه عبيد الله بعهده ثم بعث المعتز عن أخيه سليمان بطبرستان فولاه مكانه وكان على الموصل سليمان بن عمران الازدى وكانت بينه وبين الازد حروب بنواحى الموصل وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر وفيها ملك يعقوب الصفار سجستان وفارس وهراة وكان ابتداء دولته وولى بابكيال أحمد بن طولون على بر مصر من قبله فكان ابتداء دولته ثم أقطعها المعتمد سنة سبع وخمسين لبارجوج فولى عليها أحمد بن طولون من قبله وفى سنة خمس وخمسين أيام المهتدى استولى مساور الخارجى على الموصل وفيها ظهر صاحب الزنج وكان ابتداء فتنته

(أخبار صاحب الزنج وابتداء فتنته)

كان أكثر دعاة العلوية الخارجين بالعراق أيام المعتصم وما بعده أكثرهم من الزيدية وكان من أئمتهم على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلا بالبصرة ولما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمه على بن محمد بن الحسين فقتل بقصد لئولا يام من قبله خرج رجل بالرى يدعى انه على بن محمد بن أحمد بن عيسى المطلوب وذلك سنة

خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدى ولما ملك البصرة لقى عليا هذا حما معروف النسب فرجع عن ذلك وانتسب الى يحيى قتيل الجوزجان أخى عيسى المذكور ونسبه المسعودى الى طاهر بن الحسين وأظنه الحسين بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على لان ابن حزم قال فى الحسين السبط انه لاعقب له الا من على بن الحسين وقال فيه على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر وقال الطبرى وابن حزم وغيرهم من المحققين انه من عبد القيس واسمه على بن عبد الرحيم من قرية من قرى الرى ورأى كثرة خروج الزيدية فحدثته نفسه بالتوثب فانتحل هذا النسب ويشهد لذلك أنه كان على رأى الازارقة من الخوارج ولا يكون ذلك من أهل البيت وسياقة خبره انه كان اتصل بجماعة من حاشية المنتصر ومدحهم ثم شخص من سامرا الى البحرين سنة تسع وأربعين ادعى أنه من ولد العباس بن أبى طالب ثم من ولد الحسن بن عبد الله بن العباس ودعا الناس الى طاعته فاتبعه كثير من أهل حجر وغيرها وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه وعظمت فتنته فتحول عنهم الى الاحساء ونزل على بنى الشماس من سعد بن تميم وصحبه جماعة من البحرين منهم يحيى ابن محمد الازرق وسليمان بن جامع فكانا قائدين له وقاتل أهل البحرين فانهزم وافترقت العرب عنه واتبعه على بن أبان وسار الى البصرة ونزل فى بنى ضبيعة وعاملها يومئذ محمد بن رجاء والفتنة فيها بين البلالية والسعدية وطلبه ابن رجاء فهرب وحبس ابنه وزوجته وجماعة من أصحابه فسار الى بغداد وأقام بها حولا وانتسب الى محمد ابن أبى أحمد بن عيسى كما قلناه واستمال بها جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحانى من ولد زيد بن صوحان ومسروق ورفيق غلامان ليحيى بن عبد الرحمن وسمى مسروقا حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رفيقا جعفرا وكناه أبا الفضل ثم وثب رؤساء البلالية والسعدية بالبصرة وأخرجوا العامل محمد بن رجاء فبلغه ذلك وهو ببغداد وان أهله خلعوه فرجع الى البصرة فى رمضان سنة خمس وخمسين ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع ومسروق ورفيق فنزل بقصر القرش ودعا الغلمان من الزنوج ووعدهم بالعتق فاجتمع له منهم خلق وخطبهم ووعدهم بالملك ورغبهم فى الاحسان وحلف لهم وكتب لهم فى خرقة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية واتخذها راية وجاءه موالى الزنوج فى عبيدهم فأمر كل عبد أن يضرب مولاه وحبسهم ثم أطلقهم ولم يزل هذا رأيه والزنوج فى متابعته والدخول فى أمره وهو يخطبهم فى كل وقت ويرغبهم ثم عبر دجيلا الى نهر ميمون فاخرج عند الحيرى وملكه وسار الى الايلة وبها ابن أبى عون فخرج اليه فى أربعة آلاف فهزمهم ونال منهم ثم سار الى القادسية فنهبها وكثر

سلاحهم وخرج جماعة من أهل البصرة لقتاله فبعث اليهم يحيى بن محمد فى خمسمائة رجل فهزمهم وأخذ سلاحهم ثم طائفة أخرى كذلك وأخرى وخرج قائدان من البصرة فهزمهما وقتل منهما وكانت معهما سفن ألقتها الريح الى الشط فغنموا مافيها وقتلوا وكثر عيثه وفساده وجاء أبو هلال من قواد الاتراك فى أربعة آلاف مقاتل فلقيه على نهر الريان فهزمه الزنج واستلحموا أكثر أصحابه ثم خرج أبو منصور أحد موالى الهاشميين فى عسكر عظيم من المطوعة والبلالية والسعدية فسرح للقائهم على بن أبان فلقى طائفة منهم فهزمهم ثم أرسل طائفة أخرى الى مرفا السفن وفيه نحو من ألفى سفينة فهرب عنها أهلها ونهبوها ثم جاءت عساكر أبى منصور وقعد الزنوج لهم بين النخل وعليهم على بن أبان ومحمد بن مسلم فهزموا العسكر وقتلوا منهم وأخذوا سلاحهم ثم سار فنهب القرى حتى امتلأت أيديهم بالنهب ثم سار يريد البصرة ولقيته عساكرها فهزمهم الزنج وأثخنوا فيهم ثم سار من الغد نحو البصرة وخرج اليه أهلها واحتشدوا وزحفوا اليه برا وبحرا فلقيهم بالسد وانهزموا هزيمة شنعاء كثر فيها القتل ووهن أهل البصرة وكتبوا الى الخليفة فبعث اليهم جعلان التركى مددا وولى على الابلة أبا الاحوص الباهلى وأمده بجند من الاتراك وقد بث صاحب الزنج أصحابه يمينا وشمالا للغارة والنهب ولما وصل جعلان الى البصرة نزل على فرسخ منهم وخندق عليه وأقام ستة أشهر يسرح لحربهم الزينبى مع بنى هاشم وهرجف ثم بيته الزنج فقتلوا جماعة من أصحابه وتحول عن مكانه ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعده من المراكب غنم فيها أموالا عظيمة وقتل أهلها وألح بالغارات على الابلة الى أن دخلها عنوة آخر رجب سنة ست وخمسين وقتل عاملها أبا الاحوص عبيد الله بن حميد الطوسى وخلقا من أهلها واستباحها وأحرقها وبلغ ذلك أهل عبادان فاستأمنوا اليه وملكها واستولى على مافيها من الاموال والعبيد والسلاح الى الاهواز وبها ابراهيم ابن المدبر على الخراج فهرب أهلها ودخلها الزنج ونهبوا وأسروا ابن المدبر فخاف أهل البصرة وافترق كثير منهم فى البلدان وبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين فهزمهم وأخذ مامعهم وأثخن فيهم وكان ابن المدبر أسيرا عندهم فى بيت يحيى بن محمد البحرانى وقد ضمن لهم مالا كثيرا ووكل به رجلين فداخلهم حتى حفر سربا من البيت وخرج منه ولحق بأهله

(خلع المهتدى وقتله وبيعة المعتمد)

وفى أول رجب من سنة ست وخمسين شغب الاتراك من الترك والدور بطلب أرزاقهم وبعث المهتدى أخاه أبا القاسم ومعه كيغلغ وغيره فسكنوهم وعادوا وبلغ محمد

ابن بغا أن المهتدى قال للاتراك ان الاموال عند محمد وموسى ابنى بغا فهرب الى أخيه بالسند وهو فى مقاتلة موسى الشارى فأمنه المهتدى ورجع ومعه أخوه حنون وكيغلغ فكتب له المهتدى بالامان ورجع الى أصحابه وحبسه وصادره على خمسة عشر ألف دينار ثم قتله وبعث بابكيال بكتابه الى موسى بن بغا بأن يتسلم العسكر وأوصاه بمحاربة الشارى وقتل موسى بن بغا ومفلح فقرأ الكتاب على موسى وتواطؤا على أن يرجع بابكيال فيتدبر على قتل المهتدى فرجع ومعه يارجوج واساتكين وسيما الطويل ودخلوا دار الخلافة منتصف رجب فحبس بابكيال من بينهم واجتمع أصحابه ومعهم الاتراك وشغبوا وكان عند المهتدى صالح بن على بن يعقوب بن المنصور فأشار بقتله ومناجزتهم فركب فى المغاربة والاتراك والفراغنة على التعبية ومشى والبلخى فى الميمنة ويارجوج فى الميسرة ووقف هو فى القلب ومعه أساتكين وغيره من القواد وبعث برأس بابكيال اليهم مع عتاب بن عتاب ولحق الاتراك من صفه باخوانهم الاتراك وانفض الباقون على المهتدى وولى منهزما ينادى بالناس ولا يجيبه أحد وسار الى السجن فأطلق المحبوسين ودخل دار أحمد بن جميل صاحب الشرطة واقتحموا عليه وحملوه على بغل الى الجوسق وحبس عند أحمد بن خاقان وأرادوه على الخلع فابى واستمات فأخرجوا رقعة بخطه لموسى بن بغا وبابكيال وجماعة القواد انه لا يغدر بهم ولا يقاتلهم ولا يهم بذلك ومتى فعل شيأ من ذلك فقد جعل أمر الخلافة بأيديهم يولون من شاؤا فاستحلوا بذلك أمره وقتلوا وقيل فى سبب خلعه غير هذا وهو أن أهل الكرخ والدور من الاتراك طلبوا الدخول على المهتدى ليكلموه فأذن لهم وخرج محمد بن بغا الى المحمدية ودخلوا فى أربعة آلاف فطلبوا أن يعزل عنهم قواده ويصادرهم وكتابهم على الاهواز ويصير الامر الى اخونه فوعدهم بالاجابة وأصبحوا من الغد يطلبون الوفاء بما وعدهم به فاعتذر لهم بالعجز عن ذلك الا بسياسة ورفق فأبوا الا المعاجلة فاستحلفهم على القيام معه فى ذلك بايمان البيعة فحلفوا ثم كتبوا الى محمد بن بغا عن المهتدى وعنهم يعذلونه فى غيبته عن مجلسهم مع المهتدى وانهم انما جاؤا يشكوى حالهم ووجدوا الدار خالية فأقاموا ورجع محمد بن بغا فحبسوه فى الاموال وكتبوا الى موسى بن بغا ومفلح بالقدوم وتسليم العسكر الى من ذكروه لهم وبعثوا من يقيدهما ان لم يأتمرا لذلك ولما قرئت الكتب على موسى وأصحابه امتنعوا لذلك وساروا نحو سامرا وخرج المهتدى لقتالهم على التعبية وترددت الرسل بينهم بطلب موسى أن يولى على ناحية ينصرف اليها ويطلب أصحاب المهتدى أن يحضر عندهم فيناظرهم على الاموال الى أن انفض عنهم أصحابه وسار هو ومفلح على طريق خراسان

ورجع بابكيال وجماعة من القواد الى المهتدى فقتل بابكيال ثم أنف الاتراك من مساواة الفراغنة والمغاربة لهم وأرادوا طردهم فأبى المهتدى ذلك فخرج الاتراك عن الدار بأجمعهم طالبين ثار بابكيال فركب المهتدى على التعبية فى ستة آلاف من الفراغنة والمغاربة ونحو ألف من الاتراك أصحاب صالح بن وصيف واجتمع الاتراك للحرب فى عشرة آلاف فانهزم المهتدى وكان ما ذكرناه من شأنه ثم أحضر أبو العباس أحمد بن المتوكل وكان محبوسا بالجوسق فبايعه الناس وكتب الاتراك الى موسى بن بغا وهما غائبان فحضر وكملت البيعة لاحمد بن المتوكل ولقب المعتمد على الله واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان فأصبح المهتدى ثانى يوم البيعة ميتا منتصف رجب من سنة ست وخمسين على رأس سنة من ولايته ولم يزل ابن خاقان فى وزارته الى أن هلك سنة ثلاث وستين من سقطة بالميدان سال فيها دماغه من منخريه فاستوزر محمد بن مخلد ثم سخط عليه موسى بن بغا واختلفا فاستوزر مكانه سليمان بن وهب ثم عزله وحبسه وولى الحسن ابن مخلد وغضب الموفق لحبسه ابن وهب وعسكر بالجانب الغربى وترددت الرسل بينهما فاتفقا وأطلقه وذلك سنة أربع وستين

(ظهور العلوية بمصر والكوفة)

وفى سنة ست وخمسين ظهر بمصر ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن الحنفية يعرف بالصوفى يدعو الى الرضا من آل محمد وملك أشياء من بلاد الصعيد وجاءه عسكر أحمد بن طولون من مصر فهزمهم وقتل قائدهم فجاء جيش آخر فانهزم أمامهم الى أبو خات وجمع هنالك جموعا وسار الى الاشمونين فلقيه هنالك أبو عبد الرحمن العمرى وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر كان قد أخذ نفسه بحرب البجاة وغزوا بلادهم لما كان منهم فى غزو بلاد المسلمين فاشتد أمره فى تلك الناحية وكثر اتباعه وبعث اليه ابن طولون عسكرا فقال لقائده أنا ألبث هنالك لدفع الاذى عن بلاد المسلمين فشاور أحمد بن طولون فأبى القائد الا من أجوبته فهزمه العمرى ولما سمع ابن طولون خبره أنكر عليهم أن لا يكونوا بذكره فبقى على حاله من الغارة على البجاة حتى أدوا الجزية فلما جاء الصوفى من الاشمونين لقيه العمرى فهزمه وعاد العمرى الى أسوان واشتد عبثه فبعث اليه ابن طولون العساكر فهرب الى عيذاب وأجاز البحر الى مكة وافترق أصحابه وقبض عليه والى مكة وبعث به الى ابن طولون فحبسه مدة ثم أطلقه فرجع الى المدينة ومات بها

وفى هذه السنة على بن زيد وجاءه الشاه بن ميكال من قبل المعتمد فى جيش كثيف فهزمه وأثخن فى أصحابه فسرح المعتمد الى حربه كيجور التركى فخرج على عن الكوفة

بياض بالاصل

الى القادسية وملك ليجوز الكوفة أول شوال وأقام على بن زيد ببلاد بنى أسد ثم غزا ليجوز آخر ذى الحجة فأوقع به وقتل وأسر من أصحابه ورجع الى الكوفة ثم الى سر من رأى وبقى على هنالك الى أن بعث المعتمد سنة تسع
عسكرا فقتلوه بعكبر وانقطع أمره وقيل سار الى صاحب الزنج فقتله سنة ستين وفى هذه السنة غلب الحسين بن زيد الطالبى على الرى وسار موسى بن بغا اليه

(بقية أخبار الزنج)

قد تقدم لنا أن المعتمد بعث سعيد بن صالح الحاجب لحربهم فأوقع ثم عاودوه فأوقعوا به وقتلوا من أصحابه وأحرقوا عسكره ورجع الى سامرا فعقد المعتمد على حربهم لجعفر بن منصور الخياط فقطع عنهم ميرة السفن ثم سار اليهم فى البحر فهزموه الى البحرين ثم بعث الخبيث على بن أبان من قواده الى اربل لقطع قنطرتها فلقى ابراهيم بن سيما منصرفا من فارس فأوقع بهم ابراهيم وخرج على بن أبان وسار ابراهيم الى نهر جى وأمر كاتبه شاهين بن بسطام باتباعه وجاء الخبر الى على بن ابان باقبال شاهين فسار ولقيه وهزمه أشد من الاول وانصرف الى جى وكان منصور بن جعفر الخياط منذ انهزم فى البحر لم يعد لقتال الزنج واقتصر على حفر الخنادق واصلاح السفن فزحف على بن أبان لحصاره بالبصرة وضيق على أهل البلد وأشرف على دخولها وبعث لاحتشاد العرب فوافاه منهم خلق فدفعهم لقتال أهل البصرة وفرقهم على نواحيها فقاتلهم كذلك يومين ثم اقتحمها على بن أبان منتصف شوال وأفحش فى القتل والتخريب ورجع ثم عاودهم ثانية وثالثة حتى طلبوا الامان فأمنهم وأحضرهم فى بعض دور الامارة فقتلهم أجمعين وحرق على بن أبان الجامع ومواضع من البصرة واتسع الحريق من الجبل الى الجبل وعم النهب وأقام كذلك أياما ثم نادى بالامان فلم يظهر أحد وانتهى الخبر الى الخبيث فصرف على بن أبان وولى عليها يحيى بن محمد البحرانى

(مسير المولد لحربهم)

لما دخل الزنج البصرة وخربوها أمر المعتمد محمدا المعروف بالمولد بالمسير الى البصرة وسار الى الابلة ثم نزل البصرة واجتمع اليه أهلها وأخرج الزنج عنها الى نهر معقل ثم بعث الخبيث قائده يحيى بن محمد لحرب المولد فقاتله عشرة أيام ووطن المولد نفسه على المقام وبعث الخبيث الى يحيى بن محمد أبا الليث الاصبهانى مددا وأمرهم بتبييت المولد فبيتوه وقاتلوه تلك الليلة والغد الى المساء ثم هزموه وغنم الزنج عسكره واتبعه البحرانى الى الجامدة وأوقع بأهلها ونهب تلك القرى أجمع وعاث فيها ورجع الى نهر معقل

(مقتل منصور الخياط)

كان الزنج لما فرغوا من البصرة سار على بن أبان الى جى وعلى الاهواز يومئذ منصور ابن جعفر الخياط قد ولاه عليها المعتمد بعد مواقعته الزنج بالبحرين فسار الى الاهواز ونزل جى وسار على بن أبان قائد الزنج لحربه وجاء أبو الليث الاصبهانى فى البحر مددا له وتقدم الى منصور من غير امر على فظفر منصور وقتل الكثير ممن معه وافلت منهزما الى الخبيث ثم تواقع على بن أبان مع منصور فهزمه واتبعه الزنج فحمل عليهم وألقى نفسه فى النهر ليعبر اليهم فغرق وقيل تقدم اليه بعض الزنج لما رآه فقتله فى الماء ثم قتل أخوه خلف وغيره من العسكر وولى يارجوج على عمل منصور اصطيخور من قواد الاتراك

(مسير الموفق لحرب الزنج)

كان أبو أحمد الموفق وهو أخو المعتمد بمكة وكان المعتمد قد استقدمه عندما اشتد أمر الزنج وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح ولما انهزم سعيد بن سعيد ابن صالح عقد ليارجوج لمنصور بن جعفر مكانه على البصرة وكور دجلة والاهواز ثم قتله كما قلناه فعقد المعتمد لاخيه أبى أحمد الموفق على مصر وقنسرين والعواصم وخلع على مفلح وذلك فى ربيع سنة ثمان وخمسين وسيرهما لحرب الزنج فساروا فى عدة كاملة وخرج المعتمد يشيع أخاه وكان على بن أبان بجى ويحيى بن محمد البحرانى بنهر العباس والخبيث فى قلة من الناس وأصحابه مترددون الى البصرة لنقل ما نهبوه فلما نزل الموفق نهر معقل أجفل الزنج الى صاحبهم مرتاعين فأمر على بن أبان بالمسير اليهم ولقى مفلحا فى مقدمة الموفق فاقتتلوا وبينماهم يقتتلون اذ أصاب مفلحا سهم غرب فقتل وانهزم أصحابه وأسر الكثير منهم ثم رحل الموفق نحو الابلة ليجمع العساكر ونزل نهر أبى الاسد ووقع الموتان فى عسكره فرجع الى بادرود وأقام لتجهيز الآلة وازاحة العلل واصلاح السفن ثم عاد الى عسكر الخبيث فالتقوا واشتد الحرب بينهم الى نهر أبى الخصيب وقتل جماعة من الزنج واستنقذ كثيرا من النساء المسبيات ورجع الى عسكره ببادرود فوقع الحريق فى عسكره ورحل الى واسط وافترق أصحابه فرجع الى سامرا واستخلف على واسط

(مقتل البحرانى قائد الزنج)

كان اصطيخور لما ولى الاهواز بعد منصور الخياط بلغه مسير يحيى بن محمد قائد الزنج الى نهر العباس عند مسير الموفق اليهم فخرج اليه اصطيخور فقاتله وعبر يحيى النهر وغنم

سفن الميرة التى كانت عند اصطيخور وبعث طلائعه الى دجلة فلقوا جيش الموفق فرجعوا هاربين وطلائع الموفق فى اتباعهم وعبروا النهر منهزمين وبقى يحيى فقاتل وانهزم ودخل فى بعض السفن جريحا وغنم طلائع الموفق غنائمهم والسفن وأحرقوا بعضها وعبروا الماخوره على يحيى فأنزلوه من سفنهم خشية على أنفسهم فسعى به طبيب كان يداوى جراحه وقبض عليه وحمل الى سامرا وقطع ثم قتل ثم أنفذ الخبيث على بن أبان وسليمان بن موسى الشعرانى من قواده الى الاهواز وضم اليهما الجيش الذى كان مع يحيى ومحمد البحرانى وذلك سنة تسع وخمسين فلقيهما اصطيخور بدستميسان وانهزم امامهما وغرق وهلك من أصحابه خلق وأسر الحسن بن هزيمة والحسن بن جعفر وغيرهما وحبسوا ودخل الزنج الاهواز فأقاموا يفسدون فى نواحيها ويغنمون الى أن قدم موسى بن بغا

(مسير ابن بغا لحرب الزنج)

ولما ملك الزنج الاهواز سنة تسع وخمسين سرح المعتمد لحربهم موسى بن بغا وعقد له على الاعمال فبعث الى الاهواز عبد الرحمن بن مفلح والى البصرة اسحق بن كنداجق والى بادرود ابراهيم بن سيما وأمرهم بمحاربة الزنج فسار عبد الرحمن الى على بن أبان فهزمه أولا ثم كانت لعبد الرحمن الكرة ثانيا أثخن فيهم ورجعوا الى الخبيث وجاء عبد الرحمن الى حصن مهدى فعسكر به وزحف اليه على بن أبان فامتنع عليه فسار الى ابراهيم بن سيما ببادرود فواقعه فانهزم أولا ابراهيم ثم كانت له الكرة ثانيا وسار ابن أبان فى الغياض فاضرموها عليهم نارا ففروا هاربين وأسر منهم جماعة وسار عبد الرحمن الى على بن ابان وجاءه المدد من الخبيث فى البحر فبينا عبد الرحمن فى حربه اذ بعث على جماعة من خلفه وشعر بهم فرجع القهقرى ولم يصب منهم شئ الا بعض السفن البحرية ثم راجع حرب على بن أبان وفى مقدمته فاشتموه فأوقعوا بعلى بن أبان ولحق بالخبيث صاحب الزنج وأقام عبد الرحمن بن مفلح وابراهيم يتناوبان حرب الخبيث ويوقعان به واسحق بن كنداجق بالبصرة يقطع عنه المدد وهو يبعث لكل منهما طائفة يقاتلونهم وأقاموا على ذلك سبعة عشر شهرا الى أن صرف موسى بن بغا عن حربهم ووليها مسرور البلخى كما نذكر

(استيلاء الصفار على فارس وطبرستان)

قد تقدم استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على فارس أيام المعتز من يد على بن الحسين ابن منيل ثم عادت فارس الى الخلفاء ووليها الحرث بن سيما وكان بها من رجال العراق محمد بن واصل بن ابراهيم التميمى فاتفق مع أحمد بن الليث من الاكراد الذين بنواحيها

ووثبوا بالحرث بن سيما فقتلوه واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين وقام بدعوة المعتمد وبعث عليها المعتمد الحسن بن الفياض فسار اليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين وبلغ ذلك المعتمد فكتب اليه بالنكير وبعث اليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان فملكهما وقبض على رتبيل وبعث الى المعتمد برسله وهداياه ثم رجع الى بست واعتزم على العود الى سجستان فعجل بعض قواده الرحيل قبله فغضب وأقام سنة ثم رجع الى سجستان

استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بنى طاهر منها ثم استيلاؤه على طبرستان

ثم جاء الى هراة وحاصر مدينة [بياض بالأصل] حتى ملكها ثم سار الى بوشنج وقبض على الحسين بن على بن طاهر بن الحسين وبعث اليه محمد بن طاهر بن عبد الله شافعا فيه فأبى من اطلاقه ثم ولى على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع الى سجستان وكان بها عبد الله السجزى ينازعه فلما قوى عليه يعقوب فر منه الى خراسان وحاصر محمد بن طاهر فى نيسابور ورجع اليه الفقهاء فأصلحوا بينه وبين محمد وولاه الطبسين وقهستان وأرسل يعقوب فى طلبه فأجاره محمد فسار يعقوب اليه بنيسابور فلم يطق لقاءه ونزل يعقوب بظاهرها فبعث محمد بعمومته وأهل بيته فتلقوه ثم خرج اليه فوبخه على التفريط فى عمله وقبض عليه وعلى أهل بيته ودخل نيسابور واستعمل عليها وأرسل الى الخليفة بأن أهل خراسان استدعوه لتفريط ابن طاهر فى أمره وغلبة العلوى على طبرستان فبعث اليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده والاسلك به سبيل المخالفين وذلك سنة تسع وخمسين وقيل فى ملكه نيسابور غير ذلك وهو ان محمد بن طاهر أصاب دولته العجز والادبار فكاتب بعض قرابته يعقوب بن الصفار واستدعوه فكتب يعقوب الى محمد بن طاهر بمجيئه الى ناحيته مورّيا بقصد الحسن بن زيد فى طبرستان وان المعتمد أمره بذلك وانه لا يعرض شيأ من أعمال خراسان وبعث بعض قواده عينا عليه يمنعه من البراح عن نيسابور وجاء بعده وقدم أخاه عمرا الى محمد بن طاهر فقبض عليه وعنفه على الاعمال والعجز وقبض على جميع أهل بيته نحو من مائة وستين رجلا وحملهم جميعا الى سجستان واستولى على خراسان ورتب نوابه فى سائر أعمالها وذلك لاحدى عشرة سنة وشهرين من ولاية محمد ولما قبض يعقوب على ابن طاهر واستولى على خراسان هرب منازعه عبد الله السجزى الى الحسن بن زيد صاحب طبرستان فبعث ليه فيه فأجاره وسار الى يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسن الى أرض الديلم وملك يعقوب سارية وآمل ومضى فى اثر الحسن من عسكره نحو من أربعين أناسا

الرجل والظهر ونجا بعد مشقة شديدة وكتب الى المعتمد بذلك وكان عبد الله السجزى قد هرب بعد هزيمة الحسن العلوى الى الرى فسار يعقوب فى طلبه وكتب الى عامل الرى يؤذنه بالحرب ان لم يدفعه اليه فبعث به اليه وقتله ورجع الى سجستان

(استيلاء الحسن بن زيد على جرجان)

ولما هرب الحسن بن زيد امام مفلح من طبرستان ورجع مفلح اعتزم الحسن على الرجوع الى جرجان فبعث محمد بن طاهر اليها العساكر لحفظها فلم يغنوا عنها وجاء الحسن فملكها وضعف أمر ابن طاهر فى خراسان وانتقض عليه كثير من أعمالها وظهر المتغلبون فى نواحيها وعاث السراة من الخوارج فى أعمالها ولم يقدر على دفعهم وآل ذلك الى تغلب الصفار على ابن طاهر وانتزاع خراسان من يده كما ذكرنا

بياض بالاصل بقدر صفحة

(فتنة الموصل)

كان المعتمد قد ولى على الموصل اساتكين من قواد الاتراك فبعث عليها ابنه اذكرتكين وسار اليها فى جمادى سنة تسع وخمسين فأساء السيرة وأظهر المنكر وعسف بالناس فى طلب الخوارج وتعرض بعض الايام رجل من حاشيته الى امرأة فى الطريق وتخلصها من يده بعض الصالحين فأحضره اذكرتكين وضربه ضربا شديدا فاجتمع وجوه البلد وتوامروا فى رفع أمرهم الى المعتمد فركب اليهم ليوقع بهم فقاتلوه وأخرجوه واجتمعوا على يحيى بن سليمان وولوه أمرهم ولما كانت سنة احدى وستين ولى اساتكين عليها الهيثم بن عبد الله بن العمد الثعلبى العدوى وأمره أن يزحف لحربهم ففعل وقاتلوه أياما وكثرت القتلى بينهم ورجع عنهم الهيثم وولى اساتكين مكانه اسحق ابن أيوب الثعلبى جد بنى حمدان وغيره وحاصرها مدة ومرض يحيى بن سليمان الامير فى اثنائها فطمع اسحق فى البلد وجد فى الحصار واقتحمها من بعض الجهات فأخرجوه وحملوا يحيى بن سليمان فى قبة وألقوه امام الصف واشتد القتال ولم يزل اسحق يراسلهم ويعدهم حسن السيرة الى أن أجابوه على أن يقيم بالربض فأقام اسبوعا ثم حدث ممن بايعه بعض الفعلات فوثبوا به وأخرجوه واستقر يحيى بن سليمان بالموصل

(حروب ابن واصل بفارس)

قد تقدم لنا وثوب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمى بالحرث بن سيما عامل فارس وتغلبه عليها سنة ست وخمسين فلما بلغ ذلك الى المعتمد أضاف فارس الى عبد الرحمن بن مفلح

وبعثه

وبعثه الى الاهواز وأمده بطاشتمر وزحفوا من الاهواز الى ابن واصل سنة احدى وستين فسار معهم من فارس ومعه أبو داود الصعلوك ولقيهم برام هرمز فهزمهم وقتل طاشتمر وأسر ابن مفلح وغنم عسكرهم وبعث اليه المعتمد فى اطلاق ابن مفلح فقتله خفية وسار لحرب موسى بن بغا بواسط وانتهى الى الاهواز وبها ابراهيم بن سيما فى جموع كثيرة ولما رأى موسى بن بغا اضطراب هذه الناحية استعفى المعتمد من ولايتها فأعفاه وكان عند انصراف ابن مفلح عن الاهواز الى فارس قد ولى مكانه بالساج وأمره بمحاربة الزنج فبعث صهره عبد الرحمن لذلك فلقيه على بن أبان قائد الزنج فهزمه على وقتله وانحاز أبو الساج الى عسكر مكرم وملك الزنج الاهواز فعاثوا فيها ثم عزل أبو الساج عن ذلك وولى مكانه ابراهيم بن سيما فلم يزل بها حتى انصرف موسى بن بغا عن الاعمال كلها ولما هزم ابراهيم بن سيما ابن واصل عبد الرحمن بن مفلح وقتله طمع يعقوب الصفار فى ملك فارس فسار من سجستان مجدا ورجع ابن واصل من الاهواز وترك محاربة ابن سيما وأرسل خاله أبا بلال مرداس الى الصفار وراجعه بالكتب والرسل بحبس ابن واصل رسله ورحل بعد السير ليفجأه على بغتة وشعر به الصفار فقال لخاله مرداس ان صاحبك قد غدر بنا وسار اليهم وقد أعيوا وتعبوا من شدة السير ومات أكثرهم عطشا لما تراءى الجمعان انهزم ابن واصل دون قتال وغنم الصفار ما فى عسكره وما كان لابن مفلح واستولى على بلاد فارس ورتب بها العمال وأوقع بأهل زم لاعانتهم ابن واصل وطمع فى الاستيلاء على الاهواز وغيرها

(مبدأ دولة بنى سامان وراء النهر)

كان جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها وينتسبون فى الفرس تارة والى سامة بن لؤى بن غالب أخرى وكان لاسد أربعة من الولد نوح وأحمد ويحيى والياس وتقدموا عند المأمون أيام ولايته خراسان واستعملهم ولما انصرف المأمون الى العراق ولى على خراسان غسان بن عباد من قرابة الفضل بن سهل فولى نوحا منهم على سمرقند وأحمد على فرغانة ويحيى على الشاش واشروسنة والياس على هراة فلما ولى طاهر بن الحسين بعده أقرهم على أعمالهم ثم مات نوح بن أسد فأقر اخوته يحيى وأحمد على عمله وكان حسن السيرة ومات الياس بهراة فولى عبد الله بن طاهر مكانه ابنه اسحق محمد بن الياس وكان لاحمد بن أسد من البنين سبعة نصر ويعقوب ويحيى واسمعيل واسحق وأسد وكنيته أبو الاشعث وحميد وكنيته أبو غانم فلما توفى أحمد استخلف ابنه نصرا على أعماله بسمرقند وما اليها وأقام الى انقراض أيام بنى طاهر وبعدهم وكان يلى أعماله من قبل ولاة خراسان الى حين انقراض أيام بنى طاهر واستولى الصفار على

خراسان فعقد المعتمد لنصر هذا على أعمالهم قبله سنة احدى وستين ولما ملك يعقوب الصفار خراسان كما قلنا بعث نصر جيوشه الى شط جيحون مسلحة من الصفار فقتلوا مقدمهم ورجعوا الى بخارى وخشيهم واليها على نفسه ففر عنها فولوا عليهم ثم عزلوا ثم ولوا ثم عزلوا فبعث نصر أخاه اسمعيل لضبط بخارى ثم ولى خراسان بعد ذلك رافع بن هرثمة بدعوة بنى طاهر وغلب الصفار عليها وحصلت بينه وبين اسمعيل صاحب بخارى موالاة اتفقا فيها على التعاون والتعاضد وطلب منه اسمعيل اعمال خوارزم فولاه اياها وفسد ما بين اسمعيل وأخيه نصر وزحف نصر اليه سنة ثنتين وسبعين واستجاش اسمعيل برافع بن هرثمة فسار اليه بنفسه مددا ووصل الى بخارى ثم أوقع الصلح بينه وبين أخيه خوفا على نفسه وانصرف رافع ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين وظفر اسمعيل بنصر ولما حضر عنده ترجل له اسمعيل وقبل يده ورده الى كرسى امارته بسمرقند وأقام نائبا عنه ببخارى وكان اسمعيل خيرا مكرما لاهل العلم والدين

*(مسير الموفق الى البصرة لحرب الزنج وولاية العهد)

ولما استعفى موسى بن بغا من ولاية الناحية الشرقية عزم المعتمد على تجهيز أخيه ابى أحمد الموفق فجلس فى دار العامة وأحضر الناس على طبقاتهم وذلك فى شوال من سنة احدى وستين وعقد لابنه جعفر العهد من بعده ولقبه المفوض الى الله وضم اليه موسى بن بغا وولاه افريقية ومصر والشأم والجزيرة والموصل وارمينية وطريق خراسان ونهر تصدق وعقد لاخيه أبى أحمد العهد بعده ولقبه الناصر لدين الله الموفق وولاه المشرق وبغداد وسواد الكوفة وطريق مكة واليمن وكسكر وكور دجلة والاهواز وفارس واصبهان والكرخ والدينور والرى وزنجان والسند وعقد لكل واحد منهما لواءين أبيض وأسود وشرط أنه ان مات وجعفر لم يبلغ يتقدم الموفق عليه ويكون هو بعده وأخذت البيعة بذلك على الناس وعقد جعفر لموسى بن بغا على أعمال الغرب واستوزر صاعد بن مخلد ثم نكبه سنة ثنتين وسبعين واستصفاه واستكتب مكانه الصقر اسمعيل بن بابل وأمر المعتمد أخاه الموفق بالمسير لحرب الزنج فبعثه فى مقدمته واعتزم على المسير بعده

(وقعة الصفار والموفق)

لما كان يعقوب الصفار ملك فارس من يد واصل وخراسان من يد ابن طاهر وقبض عليه صرح المعتمد بانه لم يوله ولا فعل ما فعل باذنه وبعث ذلك مع حاج خراسان وطبرستان ثم سار الى الاهواز يريد لقاء المعتمد وذلك سنة ثنتين وسبعين فأرسل اليه المعتمد اسمعيل بن اسحق وفهواج من قواد الاتراك ليردوه على ذلك وبعث معهما من كان فى حبسه

من

من اصحابه الذين حبسوا عندما قبض على محمد بن طاهر وعاد اسمعيل من عند الصفار بعزمه على الموصل فتأخر الموفق لذلك عن المسير لحرب الزنج ووصل مع اسمعيل من عند الصفار حاجبه درهم يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والرى وفارس والشرطة ببغداد فولاه المعتمد ذلك كله مضافا الى ما بيده من سجستان وكرمان وأعاد حاجبه اليه بذلك ومعه عمر بن سيما فكتب يقول لا بد من الحضور بباب المعتمد وارتحل من عسكر مكرم حاما وسار اليه أبو الساج من الاهواز لدخوله تحت ولايته فأكرمه ووصله وسار الى بغداد ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعفرانية وأخاه مسرور البلخى فقاتله منتصف رجب وانهزمت ميسرة الموفق وقتل فيها ابراهيم بن سيما وغيره من القواد ثم تراجعوا واشتدت الحرب وجاء الى الموفق محمد بن اوس والدارانى مددا من المعتمد وفشل أصحاب الصفار لما رأوا امداد الخليفة فانهزموا وخرج الصفار وأتبعهم أصحاب الموفق وغنموا من عسكره نحوا من عشرة آلاف من الظهر ومن الاموال ما يؤد حمله وكان محمد بن طاهر معتقلا معه فى العسكر منذ قبض عليه بخراسان فتخلص ذلك اليوم وجاء الى الموفق وخلع عليه وولاه الشرطة ببغداد وسار الصفار الى خوزستان فنزل جند سابور وأرسله صاحب الزنج يحثه على الرجوع ويعده المساعدة فكتب اليه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة وكان ابن واصل قد خالف الصفار الى فارس وملكها فكتب اليه المعتمد بولايتها وبعث الصفار اليه جيشا مع عمر ابن السرى من قواده فأخرجه عنها وولى على الاهواز محمد بن عبد الله بن ثم رجع المعتمد الى سامرا والموفق الى واسط واعتزم الموفق على اتباع الصفار فقعد به المرض عن ذلك وعاد الى بغداد ومعه مسرور البلخى سار بعد موسى وأقطعه مال ابى الساج من الضياع والمنازل وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد

(سياقة أخبار الزنج)

قد ذكرنا ان مسرورا البلخى سار بعد موسى بن بغا لحرب الزنج ثم سار مسرور للقاء المعتمد وحضر الموفق حرب الصفار وبلغ صاحب الزنج خلو تلك النواحى من العساكر فبعث سراياه فيها للنهب والحرق والتخريب فى بعث سليمان بن جامع الى البطيحة وسليمان بن موسى الى القادسية وجاء أبو التركى فى السفن يريد عسكر الزنج فأخذ عليه سليمان بن موسى وقاتله شهرا حتى تخلص وانحاز الى سليمان بن جامع وبعث اليهما الخبيث بالمدد وكان مسرور قد بعث قبل مسيره من واسط جندا فى البحر الى سليمان فهزمهم وأوقع بهم وقتل أسراهم ونزل بقرة مروان قريبا من يعقوب متحصنا بالغياض والاغوار وزحف اليه قائدان من بغداد وهما اغرتمش وحشيش فى العساكر برا وبحرا وأمر

سليمان أصحابه بالاختفاء فى تلك الغياض حتى يسمعوا أصوات الطبول وأقبل اغرتمش ونهض شرذمة من الزنج فواقعوا أصحابه وشاغلوهم وسار سليمان من خلفهم وضرب طبوله وعبروا اليهم فى الماء فانهزم أصحاب اغرتمش وظهر ما كان مختفيا وقتل حشيش واتبعوهم الى العسكر وغنموا منه وأخذوا من القطع البحرية ثم استردها اغرتمش من أيديهم وعاد سليمان ظافرا وبعث برأس حشيش الى الخبيث صاحبه فبعث به الى على بن أبان فى نواحى الاهواز وكان مسرور البلخى قد بعث الى كور الاهواز أحمد ابن كيتونة فنزل السوس وكان صاحب الاهواز من قبل الصفار يكاتب صاحب الزنج ويداريه ويطلب له الولاية عنه فشرط عليه أن يكون خليفة لابن أبان واجتمعا بتستر ولما رأى أحمد تظافرهما رجع الى السوس وكان على بن أبان يروم خطبة محمد له بعمله فلما اجتمعا بتستر خطب للمعتضد والصفار ولم يذكر الخبيث فغضب على وسار الى الاهواز وجاء أحمد بن كيتونة الى تستر فأوقع بمحمد بن عبد الله وتحصن منه بتستر وأقبل على بن أبان اليه فاقتتلا واشتد القتال بينهما وانهزم على بن أبان وقتل جماعة من أصحابه ونجا بنفسه جريحا فى الساريات بالنهر وعاد الى الاهواز وسار منها الى عسكر الخبيث واستخلف على عسكره بالاهواز حتى داوى جراحه ورجع ثم بعث أخاه الخليل الى أحمد بن كيتونة بعسكر مكرم فقاتله وقد أكمن لهم فانهزموا وقتل من الزنج خلق ورجع المنهزمون الى على بن أبان وبعث مسلحة الى السرقان فاعترضهم جيش من أعيان فارس أصحاب أحمد بن كيتونة وقتلهم الزنج جميعا فحظى عنده بذلك وبعث فى اثر ابراهيم من قتله فى سرخس ولما أراد الصفار العود الى سجستان ولى على نيسابور عزيز بن السرى وعلى هراة أخاه عمرو بن الليث فاستخلف عمرو عليها طاهر بن حفص الباذغيسى وسار الى سجستان سنة احدى وستين فجاء الخبيث الى أخيه على وزين له أن يقيم نائبا عنه فى أموره بخراسان وطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له ولما ارتحلوا جمع جمعا وحارب عليا فأخرجه من بلده ثم غلب عزيز بن السرى على نيسابور وملكها أول ثنتين وستين وقام بدعوة بنى طاهر واستقدم رافع بن هرثمة من رجالاتهم فجعله صاحب جيشه وكتب الى يعمر بن سركب وهو يحاصر بلخ يستقدمه فلم يثق اليه وسار الى هراة فملكها من يد طاهر بن حفص وقتله وزحف اليه أحمد وكانت بينهما مواساة ثم داخل بعض قواد أحمد الخجستانى فى الغدر بيعمر على أن يمكنه من أخيه أبى طلحة فكلف ذلك القائد به فتم ذلك وكبسهم أحمد وقبض على يعمر وبعثه الى نائبه بنيسابور فقتله وقتل أبا طلحة القائد الذى غدر بأخيه وسار الى نيسابور فى جماعة فلقى بها الحسين بن طاهر مردودا من اصبهان طمعا أن يدعو له أحمد الخجستانى كما كان

بزعم حين أورد فلم يخطب فخطب له أبو طلحة وأقام معه بنيسابور فسارا اليهما الخجستانى من هراة فى اثنى عشر ألفا وقدم أخاه العباس فخرج اليه أبو طلحة وهزمه فرجع أحمد الى هراة ولم يقف على خبر أخيه واندب رافع وهرثمة الى استعلام خبره واستأمن الى أبى طلحة فأمنه ووثق اليه وبعث رافع الى أحمد بخبر أخيه العباس ثم أنفذه طاهر الى بيهق لجباية مالها وضم معه قائدين لذلك فجبى المال وقبض على القائدين وانتقض وسار الى الخجستانى ونزل فى طريقه بقرية وبها على بن يحيى الخارجى فنزل ناحية عنه وركب ابن طاهر فى اتباعه فأدركه بتلك القرية فأوقع بالخارجى يظنه رافعا ونجا رافع الى الخجستانى وبعث ابن طاهر اسحق الشارى الى جرجان لمحاربة الحسن بن زيد والديلم منتصف ثلاث وستين فأثخن فى الديلم ثم انتقض على ابن طاهر فسار اليه وكبسه اسحق فى طريقه فانهزم الى نيسابور واستضعفه أهلها فأخرجوه فأقام على فرسخ منها وجمع جمعا وحاربهم ثم كتب على أهل نيسابور الى اسحق باستدعائه ومساعدته على ابن طاهر وأبى طلحة وكتب الى أهل نيسابور عن اسحق بالمواعدة وسار اسحق أبو محمد فى قلة من الجند فاعترضه أبو طلحة وقتله وحاصر نيسابور فاستقدموا الخجستانى من هراة وأدخلوه وسار أبو طلحة الى الحسن ابن زيد مستنجدا فأنجده ولم يظفر وعاد الى بلخ وحاصرها سنة خمس وستين وخرج للخجستانى من نيسابور به وحاربه الحسن بن زيد لما اعدته أبا طلحة وجاء أهل جرجان مددا للحسن فهزمهم الخجستانى وأغرمهم أربعة آلاف ألف درهم ثم جاء عمرو ابن الليث الى هراة بعد وفاة أخيه يعقوب الصفار وعاد الخجستانى من جرجان الى نيسابور وسار اليه عمرو من هراة فاقتتلا وانهزم عمرو ورجع الى هراة وأقام أحمد بنيسابور وكانت الفقهاء بنيسابور يميلون الى عمرو لتولية السلطان اياه فأوقع الخجستانى بينهم الفتنة ليشغلهم بها ثم سار الى هراة سنة سبع وستين وحاصر عمرو ابن الليث فلم يظفر منه بشئ فسار نحو سجستان وترك نائبه بنيسابور فأساء السيرة وقوى أهل الفساد فوثب به أهل نيسابور واستعانوا بعمرو بن الليث وبعث اليهم جندا يقبض على نائب الخجستانى وأقاموا بها ورجع من سجستان فأخرجهم وملكها وأقام الى تمام سبع وستين وكاتب عمرو أبا طلحة وهو يحاصر بلخ فقدم عليه وأعطاه أموالا واستخلفه بخراسان وسار الى سجستان وسار أحمد الى سرخس ولقيه أبو طلحة فهزمه أحمد ولحق بسجستان وأقام أحمد بطخارستان ثم جاء أبو طلحة الى نيسابور فقبض على أهل الخجستانى وعياله وجاء أحمد من طخارستان الى نيسابور وأقام بها ثم تبين لابن طاهر ان الخجستانى انما يروم لنفسه وليس على ما يدعيه من القيام

بأمرهم وكان على خوارزم أحمد بن محمد بن طاهر فبعث قائده أبا العباس النوفلى الى
نيسابور فى خمسة آلاف مقاتل وخرج أحمد امامهم وأقام قريبا منهم وأفحش النوفلى
فى القتل والضرب والتشويه وبعث اليه الخجستانى فنهاه عن مثل ذلك فضرب
الرسل فلحق أهل نيسابور بالخجستانى واستدعوه وجاؤا به وقبض على النوفلى وقتله
ثم بلغه ان ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله بن طاهر بمرو فسار اليه من أسورد فى يوم
وليلة وقبض عليه وولى عليها موسى البلخى ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم
السيرة ووصل اليه نحو عشرين ألف درهم وكان الخجستانى لما بلغه أخذ والدته
من نيسابور وهو بطخارستان سار مجدا فلما بلغ هراة أتاه غلام لابى طلحة مستأمنا
فأمنه وقربه فغص به وغلامه الخالصة عنده والجنود وطلب الفرصة فى قتل
الخجستانى وكان قد غور ساقية قطاغ فاتفقا على قتله فقتلاه فى شوال سنة ثمان وستين
وأنفذ ادمجور خاتمه الى الاسطبل مع جماعة فركبوا الدواب وساروا بالخبر الى أبى طلحة
ليستقدموه وأبطأ ظهوره على القواد فدخلوا فوجدوه قتيلا وأخبرهم صاحب
الاسطبل بخبر الخاتم والدواب وطلبوا ادمجور فلم يجدوه ثم عثروا عليه بعد أيام فقتلوه
واجتمعوا على رافع بن هرثمة وكان من خبره ما نذكره

(استيلاء الصفار على الاهواز)

ثم سار يعقوب الصفار من فارس الى الاهواز وأحمد بن كيتونة قائد مسرور البلخى
على الاهواز مقيم على تستر فرحل عنها ونزل يعقوب جندسابور ففر كل من كان فى تلك
النواحى من عساكر السلطان وبعث الى الاهواز من أصحابه الخضر بن العنبر فافرج
عنها على بن ابان والزنج ونزلوا السدرة ودخل خضر الاهواز وأقام أصحاب الخضر
وابن ابان يغير بعضهم على بعض ثم فر ابن ابان وسار الى الاهواز فأوقع بالخضر وقتل
فى أصحابه وغنم ولحق الخضر بعسكر مكرم واستخرج ابن ابان ما كان بالأهواز ورجع
الى نهر السدرة وبعث يعقوب الى الخضر مددا وأمره بالكف عن قتال الزنج والمقام
بالاهواز فأبى ابن أبان من ذلك الا أن ينقل طعاما ما كان هنالك فنقله وتوادعوا

(استيلاء الزنج على واسط)

قد تقدم لنا واقعة اغرتمش مع سليمان بن جامع وظفر سليمان به فلما انقضى أمره سار
سليمان الى صاحب الخبيث ومر فى طريقه بعسكر تكين البخارى وهو ببردود فلما حاذاه
قريبا أشار عليه الجنانى أن يغير على العسكر فى البحر ويستطرد لهم لينتهزوا منهم
الفرصة ففعل وجاء مستطردا وقد أكمنوا لهم الكمناء حتى أجازوا موضع الكمائن

وركب سليمان اليهم وعطف الجنانى على من فى النهر وخرجت الكمائن من خلفهم
فأثخنوا فيهم الى معسكرهم ثم بيتوهم ليلا فنالوا منهم وانكشف سليمان قليلا ثم عبر
أصحابه وأتاهم من وجوه عديدة برا وبحرا فانهزم تكين وغنم الزنج عسكره
ثم استخلف سليمان على عسكره الجنانى وسار الى صاحب الخبيث سنة ثلاث وستين
ومضى الجنانى بالعسكر لطلب الميرة فاعترضه جعلان من قواد السلطان وهزمه وأخذ
سيفه ثم زحف منجور ومحمد بن على بن حبيب من القواد وبلغ الحاجبية فرجع سليمان
مسرعا الى طهثا يريد جعلان وفى مقدمته الجنانى ثم كر الى ابن خبيث فهزمه
وقتل أخاه وغنم ما معه ثم سار فى شعبان الى قرية حسان فأوقع بالقائد هنالك جيش
ابن خمار تكين وهزمه ونهب القرية وأحرقها ثم بعث العساكر فى الجهات للنهب برا
وبحرا واعترض جعلان بعضهم فأوقع بهم ثم سار سليمان الى الرصافة فأوقع بالقائد بها
واستباحها وغنم ما فيها ورجع الى منزله بمدينة الخبيث وجاء مطر الى الحاجبية فعاث فيها
وأسر جماعة منها كان منهم القاضى سليمان فحمله الى واسط ثم سار الى طهثا وكتب
الجنانى بذلك الى سليمان فوافاه لثنتين من ذى الحجة وجاء أحمد بن كيتونة بعد أن كان
سار الى الكوفة وجبيل فعاد الى البريدية وصرف جعلان وضبط تلك الاعمال وأوقع
تكين بسليمان وقتل جماعة من قواده ثم ولى الموفق على مدينة واسط محمد بن الوليد
وجاء فى العساكر واستمد سليمان صاحبه بالخليل بن أبان فى ألف وخمسمائة مقاتل
فزحف الى ابن المولد وهزمه واقتحم واسط بها منكجور البخارى فقاتله عامة يومه ثم قتل
ونهب البلد وأحرقها وانصرف سليمان الى جبيل واستدعوه فى نواحيها تسعين ليلة

(استيلاء ابن طولون على الشأم)

كان على دمشق أيام المعتمد ماجور من قواد الاتراك فتوفى سنة أربع وستين وقام
ابنه على مكانه وتجهز أحمد بن طولون من مصر الى دمشق وكتب الى ابن ماجور
بأن المعتمد أقطعه الشأم والثغور فأجاب بالطاعة وسار أحمد واستخلف على مصر ابنه
العباس ولقيه ابن ماجور بالرملة فولاه عليها وسار الى دمشق فملكها وأقر القواد
على اقطاعهم ثم سار الى حمص فملكها ثم حماة ثم حلب وكان على انطاكية وطرسوس
سيما الطويل من قواد الاتراك فبعث اليه ابن طولون بالطاعة وأن يقره على ولايته
فامتنع فسار اليه ودلوه على عورة فى سور البلد نصب عليها المجانيق وقاتله فملكها عنوة
وقتل سيما فى الحرب فسار ثم قصد طرسوس فدخلها واعتزم على المقام بها ويريد الغزو
وشكا أهلها غلاء السعر وسألوه الرحيل فرحل عنهم الى الشأم ومضى الى حران وبها
محمد بن اتامش فحاربه وهزمه واستولى عليها ثم جاءه الخبر بانتقاض ابنه العباس بمصر

وانه أخذ الاموال وسار الى برقة فلم يكترث لذلك وأصلح أحوال الشأم وأنزل بحران عسكرا وولى مولاه لؤلؤا على الرقة وأنزل معه عسكرا وبلغ موسى بن اتامش خبر أخيه محمد فجمع العساكر وسار نحو جرجان وبها أحمد بن جيفونة من قواد ابن طولون فأهمل مسيره وقال له بعض الاعراب واسمه أبو الاعز لا يهمك أمره فانه طياش قلق وأنا آتيك به فقال افعل وزاده عشرين رجلا وسار الى عسكر موسى ابن أتامش فأكمن بعض أصحابه ودخل العسكر بالباقى على زى الاعراب وقصد الخيل المرتبطة عند خيام ابن موسى فأطلقها وصاحوا فيها فنفرت واهتاج العسكر وركبوا واستطردلهم أبو الاعز حتى جاوز الكمين وموسى فى أوائلهم فخرج الكمين وانهزم أصحاب موسى من ورائه وعطف عليه أبو الاعز فأخذه أسيرا وجاء به الى ابن جيفونة وبعث به الى ابن طولون فاعتقله وعاد الى مصر وذلك سنة ست وستين

(ومن أخبار الزنج) ان سليمان احتفر نهرا يمتد الى سواد الكوفة ليتهيأ له الغارة على تلك النواحى وكان أحمد بن كيتونة   فكبسهم وهم يعملون وقد جروا عساكرهم لذلك فأوقع بهم وقتل منهم نحوا من أربعين قائدا وأحرق سفنهم ورجع سليمان مهزوما الى طهتا ثم عدت عساكر الزنج النعمانية واستباحوها وصار أهلها الى جرجرايا وأجفل أهل السواد الى بغداد وزحف على بن أبان بعسكر الزنج الى تستر فحاصرها وأشرف على أخذها وكان الموفق استعمل على كور الاهواز مسرورا البلخى فولى عليها تكين البخارى فسار اليها ووافاها أهل تستر فى تلك الحال فأغزى على ابن أبان وهزمه وقتل من الزنج خلقا ونزل تستر وبعث ابن أبان جماعة من قواد الزنج ليقيموا بقنطرة فارس وجاء عين يخبرهم الى تكين فكبسهم وهزمهم وقتل منهم جماعة وسار ابن أبان فانهزم أمامه وكتب ابن ابان الى تكين يسأله الموادعة فوادعه بعض الشئ واتهمه مسرور وفسار وقبض عليه وحبسه عند عجلان بن أبان وفر منه أصحابه وطائفة الى الزنج وطائفة الى محمد بن عبد الله الكرخى ثم أمن الباقين فرجعوا اليه

بياض بالاصل

(موت يعقوب الصفار وولاية عمرو أخيه)

وفى سنة خمس وستين أخريات شوال منها مات يعقوب الصفار وقد كان افتتح الرخج وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده وكانت مملكة واسعة الحدود وافتتح زابلستان وهى غزنة وكان المعتمد قد استماله وقلده أعمال فارس ولما مات قام أخوه عمرو بن الليث وكتب الى المعتمد بطاعته فولاه الموفق من قبله ما كان له من الاعمال خراسان واصبهان والسند وسجستان والشرطة ببغداد وسر من رأى وقبله عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وخلع الموفق عمرو بن الليث وولى على اصبهان من قبله أحمد بن عبد العزيز

ابن

ابن أبى دلف محمد بن أبى الساج

(أخبار الزنج مع اغرتمش)

قد كان تقدم لنا ايقاع سليمان بن جامع باغرتمش وحربه بعد ذلك مع تكين وجعلان ومطر بن جامع وأحمد بن كيتونة واستيلاؤه على مدينة واسط ثم ولى اغرتمش مكان تكين البخارى يتولاه من أعمال الاهواز فدخل تستر فى رمضان ومعه مطر بن جامع وقتل جماعة من أصحاب أبان كانوا مأسورين بها ثم سار الى عسكر مكرم ووافاه هنالك على بن ابان والزنج فاقتتلوا ثم تحاجزوا لكثرة الزنج ورجع على الى الاهواز وسار اغرتمش الى الخليل بن ابان ليعبروا اليه من قنطرة اربل وجاء أخوه على محمدا وخاف أصحابه المخلفون بالاهواز فارتحلوا الى نهر السروة وتحارب على واغرتمش يوما ثم رجع على الى الاهواز ولم يجد أصحابه فبعث من يردهم اليه فلم يرجعوا وجاء اغرتمش وقتل مطر ابن جامع فى عدة من القواد وجاء المدد لابن أبان من صاحبه الخبيث فوادعه اغرتمش وتركه ثم بعث محمد بن عبيد الله الى ابكلاى ابن الخبيث فى أن يرفع عنه يد ابن ابان فزاد ذلك فى غيظه وبعث يطالبه محمد بالخراج ودافعه فسار اليه وهرب محمد من رامهرمز الى أقصى معاقله ودخل على والزنج رامهرمز وغنموا ما فيها ثم صالحه محمد على مائتى ألف درهم وترك أعماله ثم استنجده محمد بن عبيد الله على الاكراد على أن لعلى غنائمهم فاستخلف على على ذلك مجلزو طلب منه الرهن فمطل وبعث اليه الجيش فزحف بهم الى الاكراد فلما نشب القتال انهزم أصحاب محمد فانهزم الزنج وأثخن الاكراد فيهم وبعث على من يعترضهم فاستلقوهم وكتب على الى محمد يتهدده فاعتذر ورد عليهم كثيرا من أسلابهم وخشى من الخبيث وبعث الى أصحابه مالا ليسألوه فى الرضا عنه فأجابهم الى ذلك على أن يقيم دعوته فى أعماله ففعل كذلك ثم سار ابن ابان لحصار موتة واستكثر من آلات الحصار وعلم بذلك مسرور البلخى وهو بكور الاهواز فسار اليه ووافاه عليها فانهزم ابن أبان وترك ما كان حمله هنالك وقتل من الزنج خلق وجاء الخبر بمسير الموفق اليهم

(استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة)

لما دخل الزنج واسط وعاثوا فيها كما ذكرناه بعث الموفق ابنه أبا العباس وهو الذى ولى الخلافة بعد المعتمد ولقب المعتضد فبعثه أبوه بين يديه فى ربيع سنة ست وستين فى عشرة آلاف من الخيل والرجال وركب لتشييعه وبعث معه السفن فى النهر عليها أبو حمزة نصر فسار حتى وافى الخيل والرجل والسفن النهرية وعلى مقدمته الجنانى وانهم نزلوا الجزيرة قريبا من بردروبا وجاءهم سليمان بن موسى الشعرانى مددا يحتمل ذلك

وان الزنج اختلفوا فى الاحتشاد ونزلوا من الصلح الى أسفل واسط ينتهزون الفرصة
فى ابن الموفق لما يظنون من قلة درايته بالحرب فركب أبو العباس لاستعلام أمرهم
ووافى نصيرا فلقيهم جماعة من الزنج فاستطرد لهم أولا ثم كر فى وجوههم وصاح بنصير
فرجع وركب أبو العباس السفن النهرية فهزم الزنج وأثخن فيهم واتبعهم ستة فراسخ
وغنم من سفنهم وكان ذلك أول الفتح ورجع سليمان بن جامع الى نهر الامين وسليمان
ابن موسى الشعرانى الى سوق الخميس وأبو العباس على فرسخ من واسط يغاديهم
القتال ويراوحهم ثم احتشد سليمان وجاء من ثلاثة وجوه وركب فى السفن النهرية
وبرز اليه نصير فى سفنه وركب معه أبو العباس فى خاصته وأمر الجند بمحاذاته
من الشط ونشب الحرب فوقعت الهزيمة على الزنج وغنمت سفنهم وأفلت سليمان
والجنانى من الهلكة وبلغوا طهثا ورجع ابو العباس الى معسكره وأمر باصلاح
السفن المغنومة وحفر الزنج فى طريق الجبل الآبار وغطوها فوقع بعض الفرسان
فيها فعدل جند السلطان عن ذلك الطريق وأمر الخبيث أصحابه بالسفن فى النهر
وأغاروا على سفن أبى العباس وغنموا بعضها وركب فى اتباعهم واستنقذ سفنهم وغنم
من سفنهم نحوا من ثلاثين وجد فى قتالهم وتحصن ابن جامع بطهثا وسمى مدينته
المنصورة والشعرانى بسوق الخميس وسمى مدينته المنيعة وكان أبو العباس يغير على
الميرة التى تأتيهم من سائر النواحى وركب فى بعض الايام الى مدينة الشعرانى التى سماها
المنيعة وركب نصير فى النهر وافترقوا فى مسيرهم واعترضت أبا العباس جماعة من
الزنج فمنعوه من طريق المدينة وقاتلوه مقدار نهاره وأشاعوا قتل نصير وخالفهم نصير
الى المدينة فأثخن فيها وأضرموا النار فى بيوتها وجاء الخبر بذلك الى أبى العباس بسيره
ثم جاء نصير ومعه أسرى كثيرون فقاتلوا الزنج وهزموهم ورجع أبو العباس الى
عسكره وبعث الخبيث الى ابن ابان وابن جامع فأمرهما بالاجتماع على حرب أبى العباس

(وصول الموفق لحرب الزنج وفتح المنيعة والمنصورة)

كان الموفق لما بعث ابنه أبا العباس لحرب الزنج تاخر لامداده بالحشود والعدد
وازحة علله ومسارقة أحواله فلما بلغه اجتماع ابن أبان وابن جامع لحربه سار من بغداد
اليه فوصل الى واسط فى ربيع الاول من سنة سبع وستين ولقيه ابنه وأخبره بالاحوال
ورجع الى عسكره ونزل الموفق على نهر شداد ونزل ابنه شرقى دجلة على موهة بن مساور
فأقام يومين ثم رحل الى المنيعة بسوق الخميس سار اليها فى النهر ونادى بالمقامة ولقيه
الزنج فحاربوه ثم جاء الموفق فانهزموا واتبعهم أصحاب أبى العباس فاقتحموا عليهم

المنيعة وقتلوا خلقا وأسروا آخرين وهرب الشعرانى واختفى فى الآجام آخرون ورجع
الموفق الى عسكره وقد استنقذ من المسلمات نحو خمس عشرة امرأة ثم غدا على
المنيعة فأمر بنهبها وهدم سورها وطم خندقها واحراق ما بقى من السفن فيها وبعث
الاقوات التى أخذت فكانت لا حد لها فصرفت فى الجند وكتب الخبيث الى ابن جامع
يحذره مثل ما نزل بالشعرانى وجاءت العيون الى الموفق ان ابن جامع بالحوانيت فسار
الى الضيعة وأمر ابنه بالسير فى النهر الى الحوانيت فلم يلق ابن جامع بها ووجد قائدين
من الزنج استخلفهم عليها بحفظ الغلات ولحق بمدينته المنصورة بطهثا فقاتل ذلك
الجند ورجع الى أبيه بالخبر فأمره بالمسير اليه وسار على أثره برا وبحرا حتى نزلوا على
ميلين من طهثا وركب ليسوى مقاعد القتال على المنصورة فلقيه الزنج وقاتلوه وأسروا
جماعة من غلمانه ورمى أبو العباس بن الموفق أحمد بن مهدى الجنانى فمات وأوهن
موته ثم ركب يوم السبت آخر ربيع من سنة سبع وعبى عسكره وبعث السفن
فى البحر الذى يصل الى المنصورة ثم صلى وابتهل بالدعاء وقدم ابنه أبا العباس الى السور
واعترضه الجند فقاتلهم عليه واقتحموا وولوا منهزمين الى الخنادق وراءه فقاتلوه
عندها واقتحموها عليهم كلها ودخلت السفن المدينة من النهر فقتلوا وأسروا وأجلوهم
عن المدينة وما اتصل بها وهو مقدار فرسخ وملكه الموفق وأفلت ابن جامع فى نفر من
أصحابه وبلغ الطلاب فى أثره الى دجلة وكثر القتل فى الزنج والاسر واستنقذ العباس
من نساء الكوفة وواسط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف وأعطى ما وجد فى المنصورة
من الذخائر والاموال للاجناد وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة ولما جاء جماعة من
الزنج الى الآجام اختفوا فأمر بطلبهم وهدم سور المدينة وطم خنادقها وأقام سبعة
عشر يوما فى ذلك ثم رجع الى واسط

(حصار مدينة الخبيث المختارة وفتحها)

ثم ان الموفق عرض عساكره وأزاح عللهم وسار ومعه ابنه أبو العباس الى مدينة
الخبيث فأشرف عليها ورأى من حصانتها بالاسوار والخنادق ووعر الطرق وما أعد
من الآلات للحصار ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه ولما عاين الزنج عساكر الموفق
دهشوا وقدم ابنه أبا العباس فى السفن حتى ألصقها بالاسوار فرموه بالحجارة فى المجانيق
والمقاليع والايدى ورأوا من صبره وأصحابه ما لم يحتسبوه ثم رجعوا وتبعهم مستأمنة
من المقاتلة والملاحين نزعوا الى الموفق فقبلهم وأحسن اليهم فتتابع المستأمنون فى النهر
فوكل الخبيث بفوهة النهر من معهم وتعبى أهل السفن للحرب مع بهبود قائد الخبيث
فزحف اليه أبو العباس فى السفن وهزمه وقتل الكثير من أصحابه ورجع فاستأمن

اليـه بعض تلك السـفن النهرية وكثير من المقاتلة فآمنهـم وأقام شهرا لم يقاتلهم ثم عبى عساكره منتصف شعبان فى البر والبحر وكانوا نحوا من خمسـين ألفا وكان الزنج فى نحو ثلثمائة ألف مقاتل فأشرف عليهـم ونادى بالامان الا للخبيث ورمى بالرقاع فى السهام بالامان فجاء كثير منهـم ولم يكن حرب ثم رحـل من مكانه ونزل قريبا من المختارة ورتب المنازل من انشاء السفن وشرع فى اختطاط مدينـة لنزله سماها الموفقيـة فأكمل بناءها وشيد جامعها وكتب بحمل الاموال والميرة اليها وأغب الحرب شهرا فتتابعت الميرة الى المدينة ورحـل اليها التجار بصنوف البضائع واستبحر فيها العمـران ونفقت الاسواق وجلبت صـنوف الاشياء ثم أمر الموفق ابنه أبا العباس بقتال من كان من الزنج خارج المختارة فقاتلهم وأثخن فيهم فاستأمن اليه كثير منهـم فآمنهـم ووصلهم وأقام الموفق أياما يحاصر المحاربين ويصل المستأمنين واعترض الزنج بعض الوفاد الجائيـة بالميرة فأمر بترتيب السفن على مخارج الانهار ووكل ابنه أبا العباس بحفظها وجاءت طائفة من الزنج بعض الايام الى عسكر نصير يريدون الايقاع به فأوقع بهم وظفر ببعض القواد منهم فقتل رشقا بالسهام وتتابع المسـتأمنة فبلغوا الى آخر رمضان خمسـين ألفا ثم بعث الخبيث عسكرا من الزنج مع على بن أبان ليأتوا من وراء الموفق اذا ناشبهم الحرب ونمى اليه الخبر بذلك فبعث ابنه أبا العباس فأوقع بهـم وحملت الاسرى والرؤس فى السفن النهرية ليراها الخبيث وأصحابه وظنوا ان ذلك تمويه فرميت الروس فى المجانيق حتى عرفوها فظهر منهـم الجزع وتكررت الحرب فى السفن بين أبى العباس وبين الزنج وهو يظهر عليهـم فى جميعها حتى انقطعت الميرة عنهم فاشتد الحصار عليهم وخرج كثير من وجوه أصحابه مستأمنين مثل محمد بن الحرث القمى وأحـمد البربوعى وكان من أشجع رجاله القمى منهم موكلا بحفظ السور فآمنهـم الموفق ووصلهم وبعث الخبيث قائدين من أصحابه فى عشرة آلاف ليأتوا البطيحة من ثلاثة وجوه فيعبروا من تلك النواحى ويقطعوا الميرة عن الموفق وبلغ الموفق خبرهـم فبعث اليهم عسكرا مع مولاه ونزل فأوقع بهم وقتل وأسر وأخـذ منهم أربعمائة سفينة ولما تتابع خروج المستأمنة ووكل الخبيث من يحفظها وجهدهـم الحصار فبعث جماعة من قواده الى الموفق يستأمنون وان يناشبهم الحرب ليجدوا السبيل اليه فأرسل ابنه أبا العباس الى نهر الغربى وبه على بن أبان فاشتد الحرب وظهر أبو العباس على ابن أبان وأمده الخبيث بابن جامع ودامت الحرب عامة يومهـم وكان الظفر لابى العباس وسار اليه المستأمنة الذين واعدوه وانصرف أبو العباس الى مدينـة الخبيث وقاتل بعض الزنج طمعا فيهم لقتلهـم فتكاثروا عليه ثم جاءه المدد من قبل أبيه فظهر عليهـم

وكان ابن جامع قد صعد فى النهر وأتى أبا العباس من ورائه وخفقت طبوله فانكشف أصحاب أبى العباس ورجع منهزمة الزنج فأجبت جماعة من غلمان الموفق وعـدة من أعلامهم وحامى أبو العباس عن أصحابه حتى خلصوا وقوى الزنج بهـذه الواقعة فأجمع الموفق العبور الى مدينتهم بعسكره فعبى الناس لذلك من الغداة آخر ذى الحجة واستكثر من المعابر والسفن وقصدوا حصنا وكان بالمدينة وفيها انكلاى بن الخبيث وابن جامع وابن أبان وعليـه المجانيق والآلات فأمر غلمانه بالدنو منـه فحاموا الاعتراض نهر لا تراك بينهـم وبينه فصاح بهم فقطعوا النهر سبحا وتناولوا الركن بالسلاح يهدمونه ثم صعدوا عليه وملكوه ونصبوا به علم الموفق وأحرقوا ما كان عليه من الآلات وقتلوا من الزنج خلقا عظيما وكان أبو العباس يقاتلهم من الناحية الاخرى وابن أبان قبالته فهزمه ووصـل أصحاب ابى العباس الى السور فثلموه ودخلوا ولقيهـم ابن جامع فقاتلهم حتى ردهم الى مواقفهم ثم توافى الفعلة فثلموا السور فى مواضع ونصبوا على الخندق جسرا عبر عليه المقاتلة فانهزم الزنج عن السور واتبعهم أصحاب الموفق يقتلونهم الى دير ابن سمعان فملكه أصحاب الموفق وأحرقوه وقاتلهـم الزنج هنالك ثم انهزموا فبلغوا ميـدان الخبيث فركب من هنالك وانهزم عنه أصحابه وأظلم الليل ورجع الموفق بالناس وتأخر أبو العباس لحمل بعض المستأمنين فى السفن واتبعه بعض الزنج ونالوا من آخر السفن وكان بهبود بازاء مسرور البلخى فنال من أصحابه واستأمن بعض المنهزمين من الزنج والاعراب بعثوا بذلك من عبادان والبصرة وكان منهم قائده ريحان أبو صالح المغربى فآمنهم الموفق وأحسن اليهم وضم ريحان الى أبى العباس وخرج فى المحرم الى الموفق من قواد الخبيث وثقاته جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان فأحسن اليه الموفق وحمله فى بعض السفن الى قصر الخبيث فوقف وكلم الزنج فى ذلك وأقام الموفق أياما استجم فيها أصحابه فلما كان منتصف ربيع الثانى قصد مدينة الخبيث وفرق القواد على جهاتها ومعهم النقابون للسور ومن ورائهم الرماة يحمونهم وتقدم اليهم أن لا يدخلوا بعد الهزم الا باذنه فوصلوا الى السور وثلموه وحاربوا الزنج من ورائه وهزموهم وبلغوا ابعد مما وصلوا اليه بالامس ثم تراجع الزنج وحاربوا من المكامن فرجع أصحاب الموفق نحو دجلة بعد ان نال منهم الزنج ورجع الموفق الى مدينتـه ولام أصحابه على تقدمهم بغير اذنه ثم بلغ الموفق ان بعض الاعراب من بنى تميم يجلبون الميرة الى الزنج فبعث اليهم عسكرا أثخنوا فيهم قتلا وأسرا وجىء بالاسرى فقتلهـم وأوعز الى البصرة بقطع الميرة فانقطعت عن الزنج بالكلية وجهدهـم الحصار وكثر المستأمنة وافترق كثير من الزنج فى القرى والامصار البعيدة وبث الموفق دعاته فيهـم ومن أبى قتلوه وعرض

المستأمنين وأحسن اليهم ليستميل وتابع الموفق وابنه قتال الزنج وقتل بهبود بن عبد
الواحد من قواد الخبيث فى تلك الحروب فكان قتله من أعظم الفتوح وكان قتله
فى السفن البحرية ينصب فيها اعلاما كاعلام الموفق ويخايل أطراف العسكر فيصيب
منهم وأفلت فى بعض الايام من يد أبى العباس بعد ان كان حصل فى قبضته ثم خيل
أخرى لبعض السفن طامعا فيها فحاربوه وطعنه بعض الغلمان منها فسقط فى الماء وأخذه
أصحابه فمات بين أيديهم وخلع الموفق على الغلام الذى طعنه وعلى أهل السفينة
ولما هلك بهبود قبض الخبيث على بعض أصحابه وضربهم على ماله فاستفسد قلوبهم
وهرب كثير منهم الى الموفق فوصلهم ونادى بالامان لبقيتهم ثم اعتزم على العبور الى
لزنج من الجانب الغربى وكانت طرقه ملتفة بالنخيل فامر بقطعها وأدار الخنادق على
معسكره حذرا من البيات ثم صعب على الموفق القتال من الجانب الغربى لكثرة
أوعاره وصعوبة مسالكه وما يتوجه فيها على أصحابه من خيل الزنج لقلة خبرتهم
بها فصرف قصده الى هدم أسوارهم وتوسعت الطرق فهدم طائفة من السور من
ناحية نهر سلمى وباشر الحرب بنفسه واشتد القتال وكثرت القتلى فى الجانبين وفشت
الجراح وكانت فى النهر قنطرتان يعبر منهما الزنج عند القتال ويأتون أصحاب الموفق من
ورائهم فامر بهدمهما فهدمتا ثم هدم طائفة من السور ودخلوا المدينة وانتهوا الى
دار ابن سمعان من خزائن الخبيث ودواوينه ثم تقدموا الى الجامع فخربوه وجاؤا بمنبره
الى الموفق بعد ان استمات الزنج دونه فلم يغنوا به ثم أكثروا من هدم السور وظهرت
علامات الفتح ثم أصاب الموفق فى ذلك اليوم سهم فى صدره وذلك لخمس بقين من جمادى
سنة تسع وستين فعاد الى عسكره ثم صابح الحرب تقوية لقلوب الناس ثم لزم الفراش
واضطرب العسكر وأشير عليه بالذهاب الى بغداد فابى فاحتجب عن الناس ثلاثة أشهر
حتى اندمل جرحه ثم ركب الى الحرب فوجد الزنج قد سدوا ما تثلم من الاسوار فامر
بهدمها كلها واتصل القتال مما يلى نهر سلى كما كان والزنج يظنون انهم لا يأتون الا منها
فركب يوما لقتالهم وبعث السفن أسفل نهر أبى الخصيب فانتهوا الى قصر من قصور
الزنج فاحرقوه وانتهبوا ما فيه واستنقذوا كثيرا من الساكنين فيه ورجع الموفق
آخر يومه ظافرا ثم بكر لحربهم فوصلت المقدمات دار أنكلاى بن الخبيث وهى متصلة
بدار ابيه وأشار ابن أبان باجراء المياه على الساج وحفر الخنادق بين يدى العساكر
وأمر الموفق بطم الخنادق والانهار ورام احراق قصره وقصده من دجلة فمنع من ذلك
كثرة الحماة عنه فامر ان تسقف السفن بالاخشاب وتطلى بالادوية المانعة من الاحراق
ورتب فيها انجاد أصحابه وباتوا على أهبة الزحف من الغد وجاء كاتب الخبيث وهو محمد

ابن سمعان عشاء ذلك اليوم مستأمنا وبكروا الى الحرب وأمر الموفق ابنه أبا العباس
باحراق منازل القواد المتصلة بقصر الخبيث ليشغلهم عن حمايته وقصدت السفن
المطلة قصر الخبيث فاحرقوا الرواشن والابنية الخارجة وعلت النار فيه ورموا بالنار
على السفن فلم تؤثر فيها ثم حصر الماء من النهر فزحفت السفن فلما جاء الدعاة الى القصر
أحرقوا بيوتا كانت تشرع على دجلة واشتعلت النار فيها وقويت وهرب الخبيث
وأصحابه وتركوها وما فيها واستولى أصحاب الموفق على ذلك كله واستنقذوا جماعة
من النساء وأحرق قصر انكلاى ابنه وجرحا وعاد الموفق عشاء يومه ظفرا ثم بكر من
الغد للقتال وأمر نصيرا قائد السفن بقصد القنطرة التى كان الخبيث عملها فى نهر أبى
الخصيب دون القنطرة التى كان اتخذها وفرق العسكر فى الجهات فدخل نصير فى أول
المد ولصق بالقنطرة واتصل الشد من ورائه فلم يقدر على الرجوع حتى حصر الماء عنها
وفطن لها الزنج فقصدوها فالقى الملاحون أنفسهم فى الماء وألقى نصير نفسه وقاتل ابن
جامع ذلك اليوم أشد قتال ثم انهزم وسقط فى الحريق فاحترق ثم خلص بعد الجهد
وانصرف المرفق سالما وأصابه مرض المفاصل واتصل به الى شعبان من سنته فامسك
فى هذه المدة عن الحرب حتى أبل فاعاد الخبيث القنطرة التى غرق عندها نصير وزاد فيها
وأحكمها وجعل امامها سكرا من الحجارة ليضيق المدخل على السفن فبعث الموفق
طائفة من شرقى نهر أبى الخصيب وطائفة من غربيه ومعهم الفعلة لقطع القنطرة وجعل
امامها سفنا مملوأة من القصب لتصيبها النار بالنفط فيحترق الجسر وفرق جنده على
القتال وساروا لما أمرهم عاشر شوال وتقدموا الى الجسر ولقيهم انكلاى بن الخبيث
وابن أبان وابن جامع وحاموا عن القنطرة لعلمهم بما فى قطعها من المضرة عليهم ودامت
الحرب عليها الى العشى ثم غلبهم أصحاب الموفق عليها ونقضها النجارون ونقضوا الاثقال
التى دونها وأدخلوا السفن بالقصب وأضرموها نارا ووافت القنطرة فاحرقتها
ووصل النجارون بذلك الى ما أرادوا وسهل سبيل السفن فى النهر وقتل من الزنج خلق
واستأمن آخرون وانتقل الخبيث بعد حرق قصوره ومساكن أصحابه الى الجانب الشرقى
من نهر أبى الخصيب ونقل أسواقه اليه وتبين ضعفه فانقطعت عنه الميرة وفقدت
الاقوات وغلت حتى أكل بعضهم بعضا وأجمع الموفق أن يحرق الجانب الشرقى كما
أحرق الغربى فقصد دار الهمذانى وكان حصينا وعليه الآلات فلما انتهى اليها تعذر
الصعود لعلو السور فرموا بالكلاليب ونشبت فى أعلام الخبيث وجذبوها فتساقطت
فانهزم المقاتلة وصعد النفاطون فاحرقوا ما كان عليها من الآلة ونهبوا الاثاث
والمتاع واتصل الحريق بما حولها من الدور واستأمن للموفق جماعة من خاصة الخبيث

فامنهم ودلوه على سوق عظيمة متصلة بالجسر الاول تسمى المباركة وبها التجار الذين بهم
قوامهم فقصدها الاحراقها وحاربه الزنج عندها وأضرم أصحابه النار فيها فاتصلت وبقى
التحريق عامة اليوم ثم رجع الموفق ثم انتقل التجار بامتعتهم وأموالهم الى أعلى المدينة
ثم فعل الخبيث فى الجانب الشرقى بعد هذه من حفر الخنادق وتغوير الطرق مثل ما كان
فعل فى الجانب الغربى واحتفر خندقا عريضا حصن به منازل أصحابه على النهر الغربى
ثم خرق الموفق باقى السور الى النهر الغربى بعد حرب شديدة كانت عليه وكان للخبيث
جمع من الزنج وهم أشجع أصحابه قد تحصنوا بحصن منيع يخرجون على أصحاب الموفق
عند الحرب فيعوقونهم فاجمع على تخريبه وجمع المقاتلة عليه برا وبحرا وفرقهم على
سائر جهاته وجهات الخبيث وأمد الخبيث الحصن بالمهلبى وابن جامع فلم يغنوا عنه
وانهزموا وتركوا الحصن فى يدى أصحاب الموفق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقا
وخلصوا من الحصن كثيرا من النساء والصبيان ورجع الموفق الى عسكره ظافرا

(استيلاء الموفق على الجهة الغربية)

ولما هدم الموفق سور دار الخبيث أمر بتوسعة الطرق للحرب وأحرق الجسر الاول
الذى على نهر أبى الخصيب ليمنع من مدد بعضهم بعضا فكان فى احراقه حرب عظيمة
وأعدت لذلك سفينة ملئت قصبا وجعل فيها النفط وأرسلت فى قوة المد فتبادر الزنج
اليها وغرقوها فركب الموفق الى فوهة نهر أبى الخصيب وقصدهم من غربى النهر وشرقيه
الى ان انتهوا الى الجسر من غربيه وعليه انكلاى بن الخبيث وابن جامع فاحرقوه وفعل
مثل ذلك من الجانب الشرقى فاحترق الجسر والحظيرة التى كانت لانشاء السفن وسجن
كان هنالك للخبيث وانحاز هو وأصحابه من الجانب الغربى واستأمن كثير من قواده
فامنهم وأخرجوا ارسالا وخرج قاضيه هاربا ووكل بالجسر الثانى من يحفظه وأمر
الموفق ابنه أبا العباس بأن يتجهز لاحراقه فزحف فى انجاد غلمانه ومعه الفعلة والآلات
وكان فى الجانب الغربى قبالة أبى العباس انكلاى وابن جامع وفى الجانب الغربى
قبالة أسد مولى الموفق الخبيث نفسه والمهلبى وجاءت السفن فى النهر وقاتلوا حامية
الجسر فانهزم ابن جامع وانكلاى وأضرمت النار فى الجسر ولما وافياه وهو مضطرم نارا
ألقيا أنفسهما فى النهر فخلصا بعد ان غرق من أصحابهما خلق واحترق الجسر واتصل
الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم وافترق الجيش فى الجانبين ونهبت دار الخبيث
واستنقذ من كان فى حبسه من النسوة والرجال وأخرج ما كان فى نهر أبى الخصيب من
أصناف السفن الى دجلة ونهبها أصحاب الموفق واستأمن انكلاى بن الخبيث وعلم
أبوه فثناه عن ذلك واستأمن سليمان بن موسى الشعرانى من رؤساء قواده فاجيب بعد

توقف ولما خرج تبعه أصحاب الخبيث فقاتلهم ووصل الى الموفق فاحسن اليه واقتفى
أثره فى ذلك شبل بن سالم من قواده وعظم على الخبيث وأوليائه استئمان هؤلاء وصار شبل
ابن سالم يخرج فى السرايا الى عسكر الخبيث ويكثر النكاية فيهم

(استيلا الموفق على الجهة الشرقية)

وفى خلال هذه الحروب واتصالها مرن أصحاب الموفق على تخلل تلك المسالك والشعاب
مع تضايقها ووعرها وأجمع الموفق على قصد الجانب الشرقى فى نهر أبى الخصيب وندب
لذلك قواد المستأمنة لخبرتهم بذلك دون غيرهم ووعدهم بالاحسان والزيادة فأبوا
وسألوه الاقالة فأبى لتمتزج مناصحتهم وجمع سفن دجلة من كل جانب وكان فيها عشرة الاف
سلاح من المرتزقة وأمر ابنه أبا العباس بقصد مدينة الخبيث الشرقية من جهاتها فسار
الى دار المهلبى وهو فى مائة وخمسين قطعة من السفن قد شحنها بأنجاد غلمانه وانتخب
عشرة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير رحفا فى النهر يشاهد أحوالهم وبكر الموفق لثمان
خلون من ذى القعدة زاحفا للحرب فاقتتلوا مليا وصبروا ثم انهزم الزنج وقتل منهم خلق
وأسر آخرون فقتلوا وقصد الموفق بجمعه دار الخبيث وقد جمع الخبيث أصحابه للمدافعة فلم
يغنوا عنه وانهزموا وأسلموها فنهبها أصحاب الموفق وسبوا حريمه وبنيه وكانوا عشرين
ونجا الى دار المهلبى ونهبها واشتغل أصحابهم جميعا بنقل الغنائم الى السفن فاطمع
ذلك الزنج فيهم وتراجعوا وردوا الناس الى مواقفهم ثم صدق الموفق الحملة عشى
النهار فهزم الزنج الى دار الخبيث ورجع الناس الى عسكره ووصله كتاب لؤلؤ غلام ابن
طولون يستأذنه فى القدوم عليه فأخر القتال الى حضوره

(مقتل صاحب الزنج)

ولما وصل غلام ابن طولون فى ثالث المحرم من سنة سبعين جاء فى جيش عظيم فاحسن
اليهم الموفق وأجرى لهم الارزاق على مراتبهم وأمره بالتأهب لقتال الخبيث وقد كان
لما غلب على نهر أبى الخصيب وقطعت القناطر والجسور التى عليه أحدث فيه سكرا
وضيق جرية الماء ليمنع السفن من دخوله اذا حضر ويتعذر خروجها أمامه وبقى جريه
لا يتهيأ الا بازالة ذلك السكر فحاول ذلك مدة والزنج يدافعون عنه ودفع الموفق لذلك
لؤلؤا فى أصحابه ليتمرنوا على حرب الزنج فى تلك المسالك والطرق فأحسنوا البلاء فيها
ووصلهم وألح على العسكر وهو كل يوم يقتل مقاتلتهم ويحرق مساكنهم ويقتل
المستأمنة منهم وقد كان بقى بالجهة الغربية بقية من أبنية ومزارع وبها جماعة
يحفظونها فسار اليهم أبو العباس وأوقع بهم ولم يسلم منهم الا الشريد ثم غلبهم على السكر
وأحرقه واعتزم على لقاء الخبيث وقدم ابنه أبا العباس الى دار المهلب وأضاف

المستأمنة الى شبل بن سالم وأمرهم أن ينتظروا بالقتال نفخ البوق ونصب علمه الاسود على دار الكرماني ثم صعد اليهم وزحف الناس في البر والنهر ونفخت الابواق وذلك لثلاث بقين من المحرم سنة سبعين واشتد القتال وانهزم الزنج ومات منهم قتلا وغرقا ما لا يحصى واستولى الموفق على المدينة واستنقذوا الاسرى وأسروا الخليل وابن أبان وأولادهما وعيال أخيهما ومضى الخبيث ومعه ابنه انكلاى وابن جامع وقواد من الزنج الى موضع بنهر السفياني كانوا أعدوه ملجأ اذا غلب على المدينة واتبعه الموفق في السفن ولؤلؤ في البر ثم اقتحم النهر بفرسه واتبعه أصحابه فأوقعوا بالخبيث ومن معه حتى عبروا نهر السامان واعتصموا بجبل وراءه ورجع لؤلؤ عنهم وشكر له الموفق ورفع منزلته واستبشر الناس بالفتح وجمع الموفق أصحابه فوبخهم على انقطاعهم عنه فاستعذروا بأنهم ظنوا انصرافه ثم تحالفوا على الاقدام والثبات حتى يظفروا وسألوه أن ترد المعابر التي يعبرون فيها ليستميت الناس في حرب عدوهم فوعدهم بذلك وأصبح ثالث صفر فعبى المراكب وبعثهم الى المراكز وردّ المعابر التي عبروا فيها وتقدم سرعان العسكر فأوقعوا بالخبيث وأصحابه ففضوا جماعة وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا وافترقوا كل ناحية وثبت مع الخبيث لمة من أصحابه فيهم المهلبي وذهب ابنه انكلاى وابن جامع واتبع كلا منهم طائفة من العسكر بأمر أبي العباس بن الموفق ثم أسر ابراهيم بن جعفر الهمذاني فاستوثقوا منه ثم كر الخبيث والمنهزمون معه على من اتبعهم من أهل العسكر فأزالوهم عن مواقفهم ثم رجعوا ومضى الموفق في اتباع الخبيث الى آخر نهر أبي الخصيب فلقيه غلام من أصحاب لؤلؤ برأس الخبيث وسار انكلاى نحو الديناري ومعه المهلبي وبعث الموفق أصحابه في طلبهم فظفروا بهم وبمن معهم وكانوا زهاء خمسة آلاف فاستوثق منهم ثم استأمن اليه درمونة وكان عند البطيحة قد اعتصم بمغايض وآجام هنالك يخيف السابلة ويغير على تلك النواحي وعلى الواردين الى مدينة الموفق فلما علم بموت الخبيث سقط في يده وبعث يستأمن فأمنه الموفق فحسنت توبته ورد الغصوبات الى أهلها ظاهرا وأمر الموفق بالنداء برجوع الزنج الى مواطنهم فرجعوا وأقام الموفق بمدينة الموفقية ليأمن الناس بمقامه وولى على البصرة والابلة وكور دجلة محمد بن حماد وقدم ابنه أبا العباس الى بغداد فدخلها منتصف جمادى من سنة سبعين وكان خروج صاحب الزنج آخر رمضان سنة خمس وخمسين وقتله أول صفر سنة سبعين لاربع عشرة سنة وأربعة أشهر من دولته

(ولاية ابن كنداج على الموصل)

لما سار أحمد بن موسى بن بغا الى الجزيرة وولى موسى بن أتامش على ديار ربيعة فنفر لذلك

لذلك اسحق بن كنداج وفارق عسكره وأوقع بالاكراد اليعقوبية وانتهب أموالهم ثم لقي ابن مساور الخارجي فقتله وسار الى الموصل فقاطع أهلها على مال وكان عليهم علي بن داود قائدا فدفعه وسار ابن كنداج اليه فخرج علي بن داود واجتمع حمدان بن حمدون الثعلبي واسحق بن عمر بن أيوب بن الخطاب الثعلبي العدوي فكانوا خمسة عشر وجاءهم علي بن داود فلقيهم اسحق في ثلاثة آلاف فهزمهم بدسيسة من أهل مسيرتهم وسار حمدان وعلي بن داود الى نيسابور وابن أيوب الى نصيبين وابن كنداج في اتباعه فسار عنها واستجار بعيسى ابن الشيخ الشيباني وهو بآمد وأبي العز موسى ابن زرارة وهو عامل أردن فأنجداه وبعث المعتمد الى اسحق بن كنداج بولاية الموصل فدخلها وأرسل اليه ابن الشيخ وابن زرارة مائة ألف دينار على أن يقرهم على أعمالهم فأبى فاجتمعوا على حربه فرجع الى اجابتهم ثم حاربوه سنة سبع وستين واجتمع لحربه اسحق بن أيوب وعيسى ابن الشيخ وأبو العز بن حمدان بن حمدون في ربيعة وتغلب وبكر واليمن فهزمهم ابن كنداج الى نصيبين ثم الى آمد وحمر عسكر الحصار ابن الشيخ بآمد وكانت بينهم حروب

(حروب الخوارج بالموصل)

كان مساور الخارجي قد هلك في حروبه مع العساكر سنة ثلاث وستين بالبوازيج وأراد أصحابه ولاية محمد بن خرداد بشهرزور فامتنع وبايعوا أيوب بن حيان المعروف بالغلام فقتل فبايعوا هرون بن عبد الله البجلي وكثر أتباعه واستولى على بلد الموصل وخرج عليه من أصحابه محمد بن خرداد وكان كثير العبادة والزهد يجلس على الارض ويلبس الصوف الغليظ ويركب البقر لئلا يفر في الحرب فنزل واسط وجاء وجوه أهل الموصل فسار اليهم وهرون غائب في الاحشاد فبادر اليه واقتتلا وانهزم هرون وقتل من أصحابه نحو مائتين وقصد بني ثعلب مستنجدا بهم فأنجدوه وسار معه حمدان ابن حمدون ودخل معه الموصل ودخل ابن خرداد واستمال هرون أصحابه ورجع الى الحديثة ولم يبق مع ابن خرداد الا قليل من الاكراد فمالوا الى هرون بالموصل فخرج وأوقع بابن خرداد فقتله وأوقع بالاكراد الجلالية وكثر أتباعه وغلب على القرى والرساتيق وجعل على دجلة من يأخذ الزكاة من الاموال المصعدة والمنحدرة ووضع في الرساتيق من يقبض اعشار الغلات واستقام أمره ثم جاء بنو شيبان لقتاله سنة ست وسبعين واستنجد بحمدان بن حمدون فجاء بنفسه وسار الى نهر الخازن وانهزمت طليعتهم وانهزموا بانهزامها وجاء بنو شيبان الى قسوى فانجفل أهلها وأقام هرون وأصحابه بالحديثة

(أخبار رافع بن هرثمة من بعد الخجستانى)

لما قتل أحمد الخجستانى سنة ثمان وستين كما قدمناه اجتمع أصحابه على رافع بن هرثمة من قواد محمد بن طاهر وكان رافع هذا لما استولى يعقوب الصفار على نيسابور وزال بنو طاهر صار رافع فى جملته وصحبه الى سجستان ثم أقصاه عن خدمته وعاد الى منزله بنواحى جى حتى استخدمه الخجستانى وجعله صاحب جيشه فلما قتل الخجستانى اجتمع الجيش عليه بهراة وأمّروه وسار الى نيسابور فحاصر بها أبا طلحة بن شركب وقد كان وصل اليها من جرجان فضيق عليه الخنق ففارقها أبو طلحة الى مرو وولى على هراة ابن المهدى وخطب لمحمد بن طاهر بمرو وهراة وزحف اليه عمرو بن الليث فهزمه وغلبه على ما بيده واستخلف على مرو محمد بن سهل بن هاشم وخرج أبو طلحة الى محمد واستعان باسمعيل بن أحمد السامانى فأمده بعسكر وأخرج محمد بن سهل وخطب بها لعمرو بن الليث سنة احدى وسبعين ثم قلد الموفق تلك السنة أعمال خراسان لمحمد ابن طاهر وهو ببغداد فاستخلف عليها رافع بن الليث وأقر على ما وراء النهر نصر بن أحمد ووردت كتب الموفق بعزل عمرو بن الليث ولعنه فسار رافع الى هراة وقد كان بها محمد ابن المهدى خليفة أبى طلحة فثار عليه يوسف بن معبد فلما جاء رافع استأمن اليه فأمنه واستعمل على هراة مهدى بن محسن ثم سار رافع الى أبى طلحة بمرو بعد أن استمد اسمعيل ابن أحمد وأمده بنفسه فى أربعة آلاف فارس واستقدم على بن محسن المروروزى فقدم عليه فى عسكره وساروا جميعا الى أبى طلحة بمرو سنة ثنتين وسبعين فهزموه وعاد اسمعيل الى بخارا ولحق بأبى طلحة وبها مهدى فاجتمع معه على مخالفة رافع فهزمهما رافع ولحق أبو طلحة بعمرو بن الليث وقبض على مهدى سنة ثنتين وسبعين ثم خلى سبيله وسار رافع الى خوارزم فجبى أموالها ورجع الى نيسابور

(مغاضبة المعتمد للموفق ومسيرة ابن طولون وما نشأ من الفتنة لاجل ذلك)

كان الموفق حدثت بينه وبين ابن طولون وحشة وأراد عزله وبعث موسى بن بغا فى العساكر اليه سنة ثنتين وستين فأقام بالرقة عشرة أشهر واختلف عليه العسكر فرجع وكان الموفق مستبدا على أخيه المعتمد منذ قيامه بأمر دولته مع ما كان من الكفاية والغناء الا أنه كان المعتمد يتأفف من الحجر وكتب الى أحمد بن طولون فى السر يشكو ذلك وأشار عليه باللحاق اليه بمصر لينصره وبعث عسكرا الى الرقة فى انتظاره وكان الموفق مشغولا بحرب الزنج فسار المعتمد منتصف سنة تسع وستين فى القواد مظهرا انه يتصيد ثم سار الى أعمال الموصل وعليها يومئذ وعلى سائر الجزيرة أصحاب كنداج

وكتب صاعد بن مخلد وزير الموفق عن الموفق الى اسحق برده عن طريقه والقبض على من معه من القواد فلما وصل المعتمد الى عمله أظهر اسحق طاعته فارتحل فى خدمته الى أول عمل ابن طولون ثم اجتمع بالمعتمد والقواد وفيهم نيزك وأحمد بن خاقان وغيرهم فعذلهم فى المسير الى ابن طولون والمقام تحت يده وطال الكلام بينهم مليا ثم دعاهم الى خيمته للمناظرة فى ذلك أدبا مع المعتمد وقيدهم وجاء الى المعتمد فعذله فى المسير عن دار خلافته ومغاضبة أخيه وهو فى دفاع عدوه ومن يريد خراب ملكه وحمل الجميع الى سامرا وقطع ابن طولون الدعاء للموفق على منابره وأسقط اسمه من الطرز وغضب الموفق بسبب ذلك على أحمد بن طولون وحمل المعتمد على أن يشار بلعنه على المنابر وولى اسحق بن كنداج على أعماله وفوض اليه من باب الشماسية الى افريقية وكان لؤلؤ مولى ابن طولون عاملا له على حمص وحلب وقنسرين وديار مصر من الجزيرة وكان منزله بالرقة فانتقض عليه فى هذه السنة وسار الى بالس فنهبها وكتب الى الموفق فى بقرقيسيا وبها ابن صفوان العقيلى فحاربه وغلبه عليها وسلمها الى أحمد بن مالك ابن طوق ووصل الى الموفق فى عسكر عظيم وهو يقاتل صاحب الزنج فأكرمه الموفق وأحسن هو الغناء فى تلك الحرب ثم بعث ابن طولون فى تلك السنة جيشه الى مكة لاقامة الموسم وعامل مكة هرون بن محمد ففارقها خوفا منهم وبعث الموفق جعفرا فى عسكر فقوى بهم هرون ولقوا أصحاب ابن طولون فهزموهم وصادروا القائد على ألف دينار وقرئ الكتاب فى المسجد بلعن ابن طولون وانقلب أهل مصر الى بلدهم آمنين ولم يزل لؤلؤ فى خدمة الموفق الى أن قبض عليه سنة ثلاث وسبعين وصادره على أربعمائة ألف وأدبر أمره ثم عاد الى مصر آخر أيام هرون بن خمارويه

(وفاة ابن طولون ومسير ابن كنداج الى الشأم)

وفى سنة سبعين انتقض يازمان الخادم بطرسوس وقبض على نائبه وسار اليه أحمد ابن طولون فى العساكر وحاصره فامتنع عليه فرجع الى انطاكية فمرض هنالك ومات لست وعشرين سنة من ولايته على مصر وولى بعده ابنه خمارويه وانتقضت عليه دمشق فبعث اليها العساكر وعادت الى طاعته وكان يومئذ بالموصل والجزيرة اسحق بن كنداج وعلى الانبار والرحبة وطريق الفرات محمد بن أبى الساج فكاتبا الموفق فى المسير الى الشأم واستمداه فأذن لهما ووعدهما بالمدد فسارا وملكا ما يجاورهما من بلاده واستولى اسحق على انطاكية وحلب وحمص وكاتبه نائب دمشق واجتمع الخلاف على خمارويه فسار اليه فهرب الى شيزر وهى فى طاعة خمارويه ودمشق وجاء أبو العباس بن الموفق وهو المعتضد من بغداد بالعساكر فكبس شيزر وقتل

من جند ابن طولون مقتلة عظيمة ولحق فلهم بدمشق وأبو العباس فى اتباعهم فخلوا عنها وملكها فى شعبان سنة احدى وسبعين ورجعت عساكر خمارويه الى الرملة فأقاموا بها وزحف اسحق بن كنداج الى الرقة وعليها زعلى الثغور والعواصم ابن دعاص من قبل خمارويه فقاتله وكان الظهور لاسحق ثم زحف أبو العباس المعتضد من دمشق الى الرملة وسار خمارويه من مصر واجتمع بعساكره فى الرملة على ماء الطواحين وكان المعتضد قد استفسد لابن كنداج وابن أبى الساج ونسبهما الى الجبن فى انتظارهما اياه فى محاربة خمارويه وعبى المعتضد عساكره ولقى خمارويه وقد أكمن له فانهزم خمارويه أولا وملك المعتضد خيامه وشغل أصحابه بالنهب فخرج عليهم الكمين فانهزم المعتضد الى دمشق فلم يفتح له أهلها فراح الى طرسوس وأقام العسكران يقتتلان دون أمير وأقام أصحاب خمارويه عليهم أخاه سعدا مكانه وذهبوا الى الشأم فملكوه أجمع وأذهبوا منه دعوة الموفق وابنه وبلغ الخبر الى خمارويه فسر وأطلق الاسرى الذين كانوا معه ثم ثار أهل طرسوس بأبى العباس فأخرجوه وسار الى بغداد وولوا عليهم مازيار فاستبد بها ثم دعا لخمارويه بعد أن وصله بمال جليل يقال أنفذ اليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحا كثيرا فدعا له ثم بعث اليه بخمسين ألف دينار

(وفاة صاحب طبرستان وولاية أخيه)

ثم توفى الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان فى رجب سنة سبعين لعشرين سنة من ولايته وولى مكانه أخوه وكان على قزوين أتكوتكين فسار الى الرى فى أربعة آلاف فارس وسار اليه محمد بن زيد فى عالم كثير من الديلم والخراسانية والتقوا فانهزم محمد بن زيد وقتل من عسكره نحو من ستة آلاف وأسر ألفان وغنم أتكوتكين عسكره وملك الرى وأغرم أهلها مائة ألف دينار وفرق عماله عليها وسار محمد بن زيد الى جرجان ثم عزل عمرو بن الليث عن خراسان وولى عليها محمد بن طاهر واستخلف محمد ابن رافع بن هرثمة وسار سنة خمس وسبعين الى جرجان وهرب عنها انيلا الى استراباذ فحاصره رافع فيها سنتين حتى أجهده الحصار ففر عنها انيلا الى سارية فاتبعه فهرب عن طبرستان سنة سبع وسبعين واستأمن رستم بن قارن الى رافع بطبرستان فأمنه وبعث الى سالوس محمد بن هرون نائبا عنه وأتاه بها على بن كافى مستأمنا ثم جاء محمد وحاصرهما بسالوس وانقطعت أخبارهما عن نافع ثم جاء الخبر بحصارهما فسار اليهما فارتحل محمد بن زيد الى أرض الديلم فدخل رافع خلفه وأثخن فيها نهبا وتخريبا الى حدود قزوين وعاد الى الرى الى أن توفى المعتمد سنة تسع وتسعين

*(فتنة

(فتنة ابن كنداج وابن أبى الساج وابن طولون)

كان ابن أبى الساج فى أعماله بقنسرين والفرات والرحبة ينافس اسحق وهو على الجزيرة ويريد التقدم عليه فحدث لذلك منهما فتنة فخطب ابن أبى الساج لخمارويه ابن طولون وبعث ابنه ديوداد رهينة اليه فبعث اليه خمارويه أموالا جمة وسار الى الشام واجتمع بابن أبى الساج ببالس ثم عبر ابن أبى الساج الفرات الى الرقة وهزم اسحق بن كنداج واستولى على أعماله وعبر خمارويه ونزل الرقة ومضى اسحق الى قلعة ماردين وحاصره ابن أبى الساج بها ثم أفرج عنها وسار الى سنجار لقتال بعض الاعراب فسار ابن كنداج من ماردين الى الموصل فاعترضه ابن أبى الساج وهزمه فعاد الى ماردين واستولى ابن أبى الساج على الجزيرة والموصل وخطب فيهما لخمارويه ثم لنفسه بعده وبعث غلامه فتحا الى أعمال الموصل لجباية الخراج وكان اليعقوبية من الشراة قريبا منه فهادنهم ثم غدر بهم فكبسهم وجاءهم أصحابهم من غير شعور بالواقعة فحملوا على أصحاب فتح فاستلحموهم ثم انتقض ابن أبى الساج واستبيح عسكره وكان له بحمص مخلف من أثقاله فقدم خمارويه طائفة من العسكر اليها فاستولوا على ما فيها ومنعوا ابن أبى الساج من دخولها فسار الى حلب ثم الى الرقة وخمارويه فى اتباعه فعبر الفرات الى الموصل وجاء خمارويه الى بلد وأقام بها وسار ابن أبى الساج الى الحديثة وكان اسحق بن كنداج قد لحق بخمارويه من ماردين فبعث معه جيشا وجماعة من القواد وسار فى طلب ابن أبى الساج وقد عبر دجلة فجمع ابن كنداج السفن ليوطئ جسر العبور وبينما هو فى ذلك أسرى ابن أبى الساج من تكريت الى الموصل فوصلها الرابعة وسار ابن كنداج فى اتباعه فاقتتلوا بظاهر الموصل وابن أبى الساج فى ألفين فصبروا واشتد القتال وانهزم ابن كنداج وهو فى عشرين ألفا فخلص الى الرقة ومحمد بن أبى الساج فى اتباعه وكتب الى الموفق يستأذنه فى عبور الفرات الى بلاد خمارويه بالشأم فأمره بالتوقف الى وصول المدد من عنده ومضى ابن كنداج الى خمارويه فجاء بجيوشه الى الفرات وتوافق مع ابن أبى الساج والفرات بينهما ثم عبرت طائفة من عسكر ابن كنداج فأوقعوا بطائفة من عسكر ابن أبى الساج فانهزموا الى الرقة فسار ابن أبى الساج عن الرقة الى بغداد سنة ست وسبعين فى ربيع منها فأكرمه الموفق ووصله واستولى ابن كنداج على ديار ربيعة من أعمال الجزيرة وأقام بها وولى الموفق محمد بن أبى الساج على أذربيجان فسار اليها فخرج اليه عبد الله بن الحسين الهمذانى عامل مراغة ليصده فهزمه ابن أبى الساج فحاصره وأخذ منه مراغة سنة ثمان وسبعين وقتله واستقر ابن أبى الساج فى عمله بأذربيجان

(أخبار عمرو بن الليث)

كان عمرو بن الليث بعد مهلك أخيه يعقوب قد ولاه الموفق خراسان واصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد كما كان أخوه وقد ذكرنا ذلك قبل وكان عامله على فارس ابن الليث فانتقض عليه سنة ثمان وستين فسار عمرو لحربه فهزمه واستباح عسكره ونهب اصطخر ثم ظفرت جيوشه بمحمد وأسره وحبسه بكرمان فأقام بها ثم بعث الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وهو بأصبهان يطلبه بالمال فبعث اليه بالاموال وبعث عمرو الى الموفق بثلثمائة ألف دينار وبخمسين منا من المسك ومثلها من العنبر ومائتين من العود وثلثمائة ثوب من الوشي ومن آنية الذهب والفضة والدواب والغلمان قيمة مائة ألف دينار واستأذنه في غزو محمد بن عبيد الكردي برامهرمز فأذن له فبعث قائدا من جيشه اليه فأسره وجاء به الى عمرو ثم عزل المعتمد سنة احدى وسبعين عمرو بن الليث عما كان قلده من الاعمال وأدخل اليه الحاج من أهلها عند منصرفهم من مكة فأعلمهم بعزله وأنه قد ولى على خراسان محمد بن طاهر وأمر بلعن عمرو على المنابر وجهز مخلد بن صاعد الى فارس لحرب عمرو واستخلف محمد بن طاهر على خراسان رافع بن هرثمة وكتب المعتمد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بقتاله وبعث اليه الجيوش فاقتتلوا مع عمرو وكان في خمسة عشر ألف مقاتل فانهزم عمرو وخرج قائده الديلمي وقتل مائة من أعيانهم وأسر ثلاثة آلاف فاستأمن منهم وغنموا من عسكره ما لا يحصى ثم زحف الموفق سنة أربع وسبعين الى فارس لحرب عمرو فأنفذ عمرو ابنه محمدا الى أرجان في العساكر وعلى مقدمته أبو طلحة بن شركب وعباس بن اسحق الى سيراف واستأمن أبو طلحة الى الموفق ففت ذلك في عضد عمرو وعاد الى كرمان واستراب الموفق بأبي طلحة فقبض عليه قريبا من شيراز وجعل ماله لابنه أبي العباس المعتضد وسار في طلب عمرو فخرج من كرمان الى سجستان ومات ابنه محمد بالمفازة ورجع عنه الموفق وسار رافع بن الليث من خراسان وغلب محمد بن زيد على طبرستان كما قدمناه وقدم عليه هنالك على بن الليث هو وابناه المعدل والليث بن حسن أخيه على بكرمان ثم قتله رافع سنة ثمان وستين

(مسير الموفق الى اصبهان والجبل)

كان كاتب أبو تكين أنهى الى المعتضد ان له مالا عظيما ببلاد الجبل فتوجه لذلك فلم يجد شيئا ثم سار الى الكرخ ثم الى اصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فتنحى أحمد عن البلد بعسكره وترك داره بفرشها لنزل الموفق عند قدومه ثم رجع الموفق الى بغداد

{قبض الموفق على ابنه أبي العباس المعتضد ثم وفاته وقيام ابنه أبي العباس بالامر بعده}

كان الموفق بعد رجوعه من أصبهان نزل واسط ثم عاد الى بغداد وترك المعتمد بالمدائن وأمر ابنه أبا العباس وهو المعتضد بالمسير الى بعض الوجوه فأبى فأمر بحبسه ووكل به وركب القواد من أصحابه واضطربت بغداد فركب الموفق الى الميدان وسكن الناس وقال اني احتجت الى تقويم ابني فقومته فانصرف الناس وذلك سنة ست وسبعين وكان عند منصرفه من الجبل قد اشتد به وجع النقرس ولم يقدر على الركوب فكان يحمل في المحفة ووصل الى داره في صفر من سنة سبع وطال مرضه وبعث كاتبه أبا الصقر ابن بلبل الى المدائن فجاء بالمعتمد وأولاده وأنزله بداره ولم يأت دار الموفق فارتاب الاولياء لذلك وعمد غلمان أبي العباس فكسروا الاقفال المغلقة عليه وأخرجوه وأقعدوه عند رأس أبيه وهو يجود بنفسه فلما فتح عينه قربه وأدناه وجمع أبو الصقر عنده القواد والجند ثم تسامع الناس ان الموفق حي فتسللوا عن أبي الصقر وأولهم محمد بن أبي الساج فلم يسع أبا الصقر الا الحضور بدار الموفق فحضر هو وابنه وأشاع أعداء أبي الصقر انه هرب بمال الموفق الى المعتمد فنهبوا داره وأخرجت نساؤه حفاة عراة ونهب ما يجاوره من الدور وفتقت السجون ثم خلع الموفق على ابنه أبي العباس وأبي الصقر وركب الى منزلهما وولي أبو العباس غلامه بدار الشرطة ثم مات لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ودفن بالرصافة واجتمع القواد فبايعوا ابنه أبا العباس المعتضد بالله واجتمع عليه أصحاب أبيه ثم قبض المعتضد على أبي الصقر ابن بلبل وأصحابه وانتهبت منازلهم وولي عبد الله بن سليمان ابن وهب الوزارة وبعث محمد بن أبي الساج الى واسط ليرد غلامه وصيفا الى بغداد فأبى وصيف وسار الى السوس فأقام بها

(ابتداء أمر القرامطة)

كان ابتداء أمرهم فيما زعموا أن رجلا ظهر بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين يتسم بالزهد وكان يدعى قرمط يقال لركوبه على ثور كان صاحبه يدعى كرميطة فعرب وقيل بل اسمه حمدان ولقبه قرمط يقال وزعم أنه داعية لاهل البيت للمنتظر منهم واتبعه العباس فقبض عليه الهيصم عامل الكوفة وحبسه ففر من حبسه وزعم ان الاغلاق لا تمنعه ثم زعم أنه الذي بشر به أحمد بن محمد بن الحنفية وجاء بكتاب تناقله القرامطة فيه بعد البسملة يقول الفرج بن عثمان من قرية نصرانة انه داعية المسيح

وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وان المسيح تصور له فى جسم انسان فقال له انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا وانك روح القدس وعرفه ان الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها وان الاذان بالتكبير فى افتتاحه وشهادة التوحيد مرتين ثم شهادة بالرسالة لآدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم عيسى ثم محمد صلوات الله عليهم ثم لاحمد بن محمد بن الحنفية ويقرأ الاستفتاح فى كل ركعة وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية والقبلة بيت المقدس والجمعة يوم الاثنين ولا يعمل فيه شئ والسورة التى تقرأ فيها الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المنجد لاوليائه بأوليائه قل ان الاهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام وباطنها أوليائى الذين عرفوا عبادى سبيلى اتقونى يا أولى الالباب وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم وأنا الذى أبلو عبادى وأمتحن خلقى فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى ألقيته فى جنتى وفى نعمتى ومن زال عن امرى وكذب رسلى اخلدته مهانا فى عذابى وأتممت أجلى وأظهرت على ألسنة رسلى فأنا الذى لم يعل جبار الا وضعته وأذللته فبئس الذى اصر على أمره ودام على جهالته وقال لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون ثم يركع ويقول فى ركوعه مرتين سبحان ربى ورب العزة وتعالى عما يصف الظالمون وفى سجوده الله أعلى مرتين الله أعظم مرة والصوم مشروع يوم المهرجان والنيروز والنبيذ حرام والخمر حلال والغسل من الجنابة كالوضوء ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخالب ومن خالفهم وحارب وجب قتله وان لم يحارب أخذت منه الجزية انتهى الى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم بعضها بعضا وتشهد عليهم بالكذب وهذا الفرج بن يحيى الذى ذكر هذا أول الكتاب انه داعية القرامطة يلقب عندهم ذكرويه بن مهرويه ويقال ان ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج وانه سار اليه على الامان وقال له ان ورائى مائة سيف فتعال نتناظر فلعلنا نتفق ونتعاون ثم تناظرا فاختلفا وانصرف قرمط عنه وكان يسمى نفسه القائم بالحق وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج

(فتنة طرسوس)

قد تقدم لنا انتقاض بازمان بطرسوس على مولاه أحمد بن طولون وانه حاصره فامتنع عليه وانه راجع بعد طاعة ابنه خمارويه مما حمل اليه من الاموال والامتعة والسلاح فاستقام أمره بطرسوس مدة وغزا سنة ثمان وسبعين بالصائفة مع أحمد الجعفى وحاصروا اسكندا فأصيب بحجر منجنيق فرجع وهلك فى طريقه ودفن

بطرسوس

بطرسوس وكان استخلف ابن عجيف فأقره خمارويه وأمده بالخيل والسلاح والمال ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه ابن محمد بن موسى بن طولون ولما توفى الموفق نزع خادم من خواصه اسمه راغب الى الثغر وطلب المقام بالثغر للجهاد فأذن له المعتضد فسار الى طرسوس وحط أثقاله بها وسار الى لقاء خمارويه بدمشق فأكرمه واستجلب أنسه فطال مقامه وألهم أصحابه بطرسوس انه قبض عليه فأوصلوا أهل البلد فى ذلك فوثبوا بأميرهم محمد بن موسى حتى يطلق لهم راغب وبلغ الخبر الى خمارويه فأطلقه فجاء اليهم ووبخهم على فعلهم فأطلقوا محمد بن موسى وسار عنهم الى بيت المقدس فأعادوا ابن عجيف الى ولايته

(فتنة أهل الموصل مع الخوارج)

قد تقدم لنا أن هرون بن سليمان كان على الشراة من الخوارج وكان بنو شيبان يقاتلونهم ويغيرون على الموصل فلما كانت سنة تسع وسبعين جاء بنو شيبان لذلك وأغاروا على سوى وغيرها من الاعمال فاجتمع هرون الشارى فى الخوارج وحمدان بن حمدون الثعلبى على مدافعتهم وكان مع بنى شيبان هرون بن سيما مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيبانى بعثه محمد بن اسحق بن كنداجق واليا على الموصل عندما مات أبوه اسحق وولى مكانه على أعماله بالموصل وديار ربيعة فلم يرضه أهل الموصل وطردوه فسار الى بنى شيبان مستنجدا بهم فلما التقى الجمعان انهزم بنو شيبان أولا واشتغل أصحاب حمدان والخوارج بالنهب فكر عليهم بنو شيبان وظفروا بهم وكتب هرون بن سيما الى محمد ابن اسحق بن كنداجق يستمده فسار بنفسه وخشيه أهل الموصل فسار بعضهم الى بغداد يطلبون عاملا يكفيهم أمر ابن كنداجق ومروا فى طريقهم بمحمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق فألفوه وقد وصل اليه بولاية العهد الموصل فبادروه لكنها وتوانى ابن كنداجق فى مكانه وبعث الى خمارويه بالهدية ويسأل امارة الموصل كما كان من قبل فلم يجبه الى ذلك ثم عزل المجروح وولى بعده على بن داود الكردى

(الصوائف أيام المعتمد)

وصل الخبر فى سنة سبع وخمسين بأن ملك الروم بالقسطنطينية ميخائيل بن روفيل وثب عليه قريبه مسك ويعرف بالصقلى فقتله لاربع وعشرين سنة من ملكه وملك مكانه وفى سنة تسع وخمسين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط ثم نازلوا ملطية وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل بطريق من بطارقتهم وفى سنة ثلاث وستين استولى الروم على قلعة الصقالبة وكانت ثغر الطرسوس وتسمى قلعة كركرة فرد المعتمد ولاية ثغر طرسوس

لابن طولون وكان أحمد بن طولون قد خطب ولايتها من الموفق يريد أن يجعلها ركابا لجهاده لخبرته بأحوالها وكان يردد الغزو من طرسوس الى بلاد الروم قبل ولاية مصر فلم يجبه الموفق وولى عليها الموفق محمد بن هرون التغلبي واعترضه الشراة أصحاب مساور وهو مسافر فى دجلة فقتلوه فولى مكانه أماجور بن أولغ بن طرخان من الترك فسار اليها وكان غرا جاهلا فأساء السيرة ومنع أقران أهل كركرة ميرتهم وكتبوا الى أهل طرسوس يشكون فجمعوا لهم خمسة عشر ألف دينار فأخذها أماجور لنفسه وأبطأ على أهل القلعة شأنهم فنزلوا عنها وأعطوها الروم وكثر أسف أهل طرسوس لذلك بما كانت ثغرهم وعينا لهم على العدو وبلغ ذلك المعتمد فكتب لاحمد بن طولون بولايتها وفوض اليه أمر الثغور فوليها واستعمل فيها من يحفظ الثغر ويقيم الجهاد وقارن ذلك وفاة أماجور عامل دمشق وملك ابن طولون الشأم جميعها كما ذكرناه قبل وفى سنة أربع وستين غزا بالصائفة عبد الله بن رشيد بن كاوس فى أربعين ألفا من أهل الثغور الشامية فأثخن فيهم وغنم ورجع فلما رحل عن البدندون خرج عليه بطريق سلوقية وقره كوكب وحرسنة وأحاطوا بالمسلمين فاستمات المسلمون واستلحمهم الروم بالقتل ونجا فلهم الى الثغر وأسر عبد الله بن كاوس وحمل الى القسطنطينية وفى سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم الى أذنة فقتلوا وأسروا والى الثغور أرخوز فعزل عنها وأقام مرابطا وبعث ملك الروم بعبد الله بن كاوس ومن معه من الاسرى الى أحمد بن طولون وأهدى اليه عدة مصاحف وفى سنة ست وستين لقى اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بهم ولحق من سلم منهم بصقلية وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة واستنفر الناس فنفروا ولم يطيقوا دخول الدرب لشدة البرد فيها وغزا عامل ابن طولون على الثغور الشامية فى ثلثمائة من أهل طرسوس واعترضهم أربعة آلاف من الروم من بلادهم قل فنال المسلمون منهم أعظم النيل وفى سنة ثمان وستين خرج ملك الروم وفيها غزا بالصائفة خلف الفرغانى عامل ابن طولون على الثغور الشامية فأثخن ورجع وفى سنة سبعين زحف الروم فى مائة ألف ونزلوا اقليمة على ستة أميال من طرسوس فخرج اليهم بازيار فهزمهم وقتل منهم سبعين ألفا وجماعة من البطارقة وقتل مقدمهم بطريق البطارقة وغنم منهم سبع صلبان ذهبا وفضة وكان أعظمها مكللا بالجواهر وغنم خمسة عشر ألف دابة ومن السروج والسيوف مثل ذلك وأربع كراسى من ذهب ومائتين من فضة وعشرين علما من الديباج وآنية كثيرة وفى سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازيار وتوغل فى أرض الروم وقتل وغنم وأسر وسبى وعاد الى طرسوس وفى سنة ثمان وسبعين دخل أحمد الجعفى طرسوس وغزا

مع بازيار بالصائفة ونازلوا اسكندا فأصيب بازيار عليها بحجر منجنيق فرجع ومات فى طريقه ودفن بطرسوس

(الولايات بالنواحى أيام المعتز)

كانت الفتنة قد ملأت نواحى الدولة من أطرافها وأوساطها واستولى بنو سامان على ماوراء النهر والصفار على سجستان وكرمان وملك فارس من يد عمال الخليفة وانتزع خراسان من بنى طاهر وكلهم مع ذلك يقيمون دعوة الخليفة وغلب الحسن بن زيد على طبرستان وجرجان منازعا بالدعوة ومحاربا بالديلم لابن سامان والصفار وعساكر الخليفة باصبهان واستولى صاحب الزنج على البصرة والابلة الى واسط وكور دجلة منازعا للدعوة ومشاققا وأضرم تلك النواحى فتنة ولم يزل الموفق فى محاربته حتى حسم علته وقطع أثره واضطربت بلاد الموصل والجزيرة فتنة بخوارج الشراة وبالعرب من بنى شيبان وتغلب بالاكراد واستولى ابن طولون على مصر والشأم مقيما الدعوة الخلافة العباسية وابن الاغلب بافريقية كذلك وأما المغرب الاقصى والاندلس فانقطعا عن المملكة العباسية منذ أزمان كما قلنا ولم يكن للمعتمد مدة خلافته كلها حكم ولا أمر ونهى انما كان متغلبا لاخيه الموفق وتحت استبداده ولم يكن لهما جميعا كبير ولاية فى النواحى باستيلاء من استولى عليها ممن ذكرناه الا بعض الاجناس فلنذكر ماوصل الينا من هذه الولايات أيام المعتمد فلاول ولايته استوزر عبيد الله بن يحيى ابن خاقان وبعث جعلان لحرب الزنج بالبصرة فكان أمره معهم كما مر ثم ولى عيسى ابن الشيخ من بنى شيبان على دمشق فاستأثر بها ومنع الخراج وجاءه حسين الخادم من بغداد يطلب المال فاعتذر بأنه أنفقه على الجند فكتب له المعتمد عهده فى ارمينية ليقيم بها دعوته وقلد أماجور دمشق وأعمالها فسار اليها وأنفذ عيسى بن الشيخ ابنه منصورا لقتال أماجور فى عشرين ألفا فانهزموا وقتل منصور وسار عيسى الى ارمينية على طريق الساحل ودخل أماجور دمشق وفى سنة ست وخمسين سار موسى بن بغا لحرب مساور الخارجى فلقيه ساحة جازعين فنال الخوارج منهم وفيها كان وثوب محمد ابن واصل بن ابراهيم التميمى على الحرث بن سيما عامل فارس فقتله وغلب عليها كما مر وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبى على الرى فسار اليها موسى بن بغا وغلب على عساكر الحسن وظهر على ابن زيد بالكوفة وملكها وبعث المعتمد لمحاربته كيجور التركى فخرج عنها على القادسية ثم الى خفان ثم الى بلاد بنى أسد وغزاه كيجور من الكوفة فأوقع به وعاد الى الكوفة ثم الى سر من رأى وفى سنة سبع وخمسين عقد المعتمد لاخيه الموفق على الكوفة والحرمين واليمن ثم على بغداد والسواد الى البصرة

والاهواز وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد الحاجب وعقد يارجوج على ذلك لمنصور بن جعفر الخياط ونزل الاهواز ثم عقد المعتمد حرب الزنج بالبصرة لاحمد بن المولد فسار اليها وقاتل الزنج وكان بالبطائح سعيد بن أحمد الباهلي متغلبا عليها فأخذه ابن المولد وبعث الى سامرا وفيها تغلب يعقوب الصفار على فارس وبعض أعمال خراسان وولاه المعتمد ما غلب عليها وفيها غلب الحسن بن زيد على خراسان وانتقضت على ابن طاهر أعمال خراسان وفيها اقتطع المعتمد مصر وأعمالها ليارجوج التركي فولى عليها أحمد ابن طولون ومات يارجوج لسنة بعدها فاستبد ابن طولون بها وكان عبد العزيز بن أبي دلف على الري فخرج عليها خوفا من جيوش ابن زيد صاحب طبرستان فبعث الحسن من قرابته القاسم بن علي بن القاسم فأساء فيها السيرة وفي سنة ثمان وخمسين قتل منصور ابن جعفر الخياط في حرب الزنج وولى يارجوج على أعمال منصور فولى عليها اصطيخور وهلك في حرب الزنج وعقد المعتمد للموفق على ديار مصر وقنسرين والعواصم وبعثه لحرب الزنج ومعه مفلح فهلك في تلك الحرب وعقد المعتمد على الموصل والجزيرة لمسرور البلخي فكانت بينه وبين مساور الشيباني حروب وكذلك بين الاكراد واليعقوبية وأوقع بهم كما مر وفيها رجع أحمد بن واصل الى طاعة السلطان وسلم فارس للحسن بن الفياض وفي سنة تسع وخمسين كان مهلك اصطيخور بالاهواز فأمر المعتمد موسى بن بغا بالمسير لحرب الزنج كما مر وفيها ملك يعقوب الصفار خراسان وقبض على محمد بن طاهر وكان انحدر على الكوفة فسار عنها الى سامرا بغير اذن وأمر بالرجوع فأبى فبعث المعتمد عدة من القواد فلقوه بعكبر فقتلوه وحملوا رأسه وفيها غلب الحسن بن زيد على قومس وملكها وكانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان وبين دهشودان ابن حسان الديلمي فهزمه محمد وفيها غلب شركب الجمال على مرو ونواحيها وفي سنة ستين أقام يعقوب بن الصفار الحسن بن زيد فهزمه وملك طبرستان كما مر وأخرج أهل الموصل عاملهم أتكوتكين بن أساتكين فبعث عليهم أساتكين اسحق بن أيوب في عشرين ألفا ومعه حمدان بن حمدون الثعلبي فامتنع أهل الموصل منهم وولوا عليهم يحيى بن سليمان فاستولى عليها وفيها اقتتل الاعراب منجور والى حمص فولى بكتمر وولى على أذربيجان الرذيني عمر بن علي لما بلغه أن عاملها العلاء بن أحمد الازدي فلج فلما أتى الرذيني حاربه العلاء فانهزم وقتل واستولى الرذيني على مخلفه قريبا من ألفي ألف وسبعمائة ألف درهم وفيها سار علي بن زيد القائد بالكوفة الى صاحب الزنج فقتله وفي سنة احدى وستين عقد المعتمد لموسى بن بغا على الاهواز والبصرة والبحرين

واليمامة مضافا لما بيده فولاها موسى عبد الرحمن بن مفلح وبعثه لحرب بن واصل فهزمه ابن واصل وأسره كما مر ورأى موسى بن بغا اضطراب تلك الناحية فاستعفى منها ووليها أبو الساج وملك الزنج الاهواز من يده فصرف عن ولايتها ووليها ابراهيم بن سيما وولى محمد بن أوس البلخي طريق خراسان ثم جاء الصفار الى فارس فغلب عليها ابن واصل كما مر فجهز المعتمد أخاه الموفق الى البصرة بعد أن ولاه المعتمد عهده بعد ابنه جعفر كما ذكرناه وبعث الموفق ابنه أبا العباس لحرب الزنج فتقدما بين يديه وفيها فارق محمد بن زيد ولاية يعقوب الصفار وسار ابن أبي الساج الى الاهواز وطلب أن يوجه الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الى خراسان وفيها استبد نصر بن أحمد بن سامان بسمرقند وما وراء النهر وولى أخاه اسمعيل بخارا وفيها ولى المعتمد على الموصل الخضر ابن أحمد بن عمر بن الخطاب وفيها رجع الحسين بن زيد الى طبرستان وأخرج منها أصحاب الصفار وأحرق سالوس لممالأة أهلها الصفار وأقطع ضياعهم للديلم وفيها نادى المعتمد في حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان بالنكير على ما فعله الصفار في خراسان وابن طاهر وانه لم يكن عن أمره ولا ولاه وفيها اقتتل مساور الشاري يحيى ابن جعفر من ولاة خراسان فسار مسرور البلخي في طلبه والموفق من ورائه وفي سنة اثنتين وستين كانت الحرب بين الموفق والصفار واستولى الزنج على البطيحة ودستميسان وولى على الاهواز كما ذكرنا وبعث مسرور البلخي أحمد بن ايتونة لحربهم كما مر وفيها ثار أحمد بن عبد الله الخجستاني في خراسان بدعوة بني طاهر وغلب عليها الصفار الى أن قتل كما مر ذكره وفيها وقعت مغاضبة بين الموفق وابن طولون فبعث اليه الموفق موسى بن بغا فأقام بالرقة حولا وعجز عن المسير لقلة الاموال فرجع الى العراق وفيها انصرف عامل الموصل وهو القطان صاحب مفلح فقتله الاعراب بالبرية وفي سنة ثلاث وستين استولى الصفار على الاهواز ومات مساور الشاري وهو قاصد لقاء العساكر السلطانية بالتواريخ فولى الخوارج مكانه هرون بن عبد الله البلخي فاستولى على الموصل وفيها ظفر أصحاب الصفار بابن واصل وفيها هزم ابن أوس من طريق خراسان وعاد الى الموصل وفيها ظفر أصحاب الصفار بابن واصل وأسروه ومات عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد فاستوزر مكانه الحسن بن مخلد وكان موسى ابن بغا غائبا في غزو العرب فلما قدم خافه الحسين وتغيب فاستوزر مكانه سليمان ابن وهب وفيها غلب أخو شركب الجمال على نيسابور وخرج عنها الحسين بن طاهر الى مرو وبها خوارزم شاه يدعو لاخيه محمد وفيها ملك الزنج مدينة واسط وقاتله دونها محمد بن المولد فهزمه ودخلها واستباحها وفيها قبض المعتمد على وزيره سليمان

ابن وهب وولى مكانه الحسن بن مخلد وجاء الموفق مع عبد الله بن سليمان شفيعا
فلم يشفعه فتحول الى الجانب الغربى مغاضبا واختلفت الرسل بينه وبين المعتمد وكان
مع الموفق مسرور كيقلغ وأحمد بن موسى بن بغا ثم أطلق سليمان ودعا الى الجوسق
وهرب محمد بن صالح بن شيرزاده والقواد الذين كانوا بسامرا مع المعتمد خوفا من
الموفق فوصلوا الى الموصل وكتب الموفق لاحمد بن أبى الاصبغ فى قبض أموالهم
وفيها مات أماجور عامل دمشق وملك ابن طولون الشأم وطرسوس وقتل عاملها
سيما وفى سنة خمس وستين ولى مسرور البلخى على الاهواز وهزم الزنج وفيها مات
يعقوب الصفار وقام بأمره أخوه عمرو ولاه الموفق مكان أخيه بخراسان واصبهان
وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وفيها وثب القاسم بن مهان بدلف
ابن عبد العزيز بن أبى دلف باصبهان فقتله فوثب جماعة من أصحاب دلف بالقاسم
فقتلوه فولى اصبهان أحمد بن عبد العزيز أخو دلف وفيها لحق محمد بن المولد بيعقوب
الصفار وقبضت أمواله وعقاره ببغداد وفيها حبس الموفق سليمان بن وهب وابنه
عبد الله وصادرهما على تسعمائة ألف دينار وفيها ذهب موسى بن أتامش واسحق
ابن كنداجق والفضل بن موسى بن بغا مغاضبين وبعث الموفق فى اثرهم صاعد
ابن مخلد فردهم من صرصر وفيها استوزر الموفق أبا الصقر اسمعيل بن بلبل وفى سنة ست
وستين ملك الزنج رامهرمز وغلب أساتكين على الرى وأخرج عنها عاملها فطلقت
ثم مضى الى قزوين وبها أخوه كيقلغ فصالحه وملكها وفيها ولى على بن الليث على
الشرطة ببغداد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وعلى اصبهان أحمد بن عبد العزيز بن أبى
دلف وعلى الحرمين وطريق مكة محمد بن أبى الساج وولى الموفق على الجزيرة أحمد
ابن موسى بن بغا فولى من قبله على ديار ربيعة موسى بن أتامش فغضب لذلك اسحق
ابن كنداجق وفارق عسكر موسى وسار الى بلد وأوقع بالاكراد اليعقوبية ثم لقى
ابن مساور الخارجى فقاتله وسار الى الموصل وطلب من أهلها المال وخرج على
ابن داود اقتاله مع اسحق بن أيوب وحمدان بن حمدون وكانت بينهم حروب آخرها المعتمد
لاسحق بن كنداجق على الموصل وقد مر ذلك من قبل وفيها اقتل أهل حمص عاملها
عيسى الكرخى وفيها كانت بين لؤلؤ غلام ابن طولون وبين موسى بن أتامش وقعة
برأس عين وأسره لؤلؤ وبعث به الى الرقة ثم لقيه أحمد بن موسى فاقتتلوا وغلب أحمد
أولا ثم كر لؤلؤ فغلبهم وانتهوا الى قرقيسيا ثم ساروا الى بغداد وسامرا وفيها أوقع
أحمد بن عبد العزيز بيكتمر فانهزم ولحق ببغداد وأوقع الخجستانى بالحسن بن زيد بجرجان
فلحق بآمد وملك الخجستانى جرجان وأقطعه من طبرستان واستخلف على سارية الحسن

ابن محمد بن جعفر بن عبد الله العقيقى بن حسين الاصغر بن زين العابدين فلما انهزم
الحسن بن زيد أظهر الحسن بن محمد أنه قتل ودعا لنفسه وحاربه الحسن بن زيد فظفر به
وقتله وفيها ملك الخجستانى نيسابور من يد عامل ابن عمرو بن الليث وفيها فى صفر زحف
الموفق لقتال صاحب الزنج فلم يزل يحاصره حتى اقتحم عليه مدينته وقتله منتصف
سنة سبعين وفيها كانت الحرب بالمدينة من بنى حسن وبنى جعفر وفى سنة سبع وستين
كانت الفتنة بالموصل بين الخوارج وفيها حبس السلطان محمد بن عبد الله بن طاهر
وجماعة من بيته اتهمه عمرو بن الليث بممالأة الخجستانى والحسين بن طاهر أخيه
فكتب الى المعتمد وحبسه وفيها كانت بين كيقلغ التركى وأحمد بن عبد العزيز بن أبى
دلف وانهزم أحمد وملك كيقلغ همذان فزحف اليه أحمد بن عبد العزيز فهزمه وملك
همذان وسار كيقلغ الى الصيمرة وفيها أزال الخجستانى ذكر محمد بن طاهر من المنابر ودعا
لنفسه بعد المعتمد وضرب السكة باسمه وجاء يريد العراق فانتهى الى الرى ثم رجع
وفيها أوقع أصحاب أبى الساج بالهيثم العجلى صاحب الكوفة وغنموا عسكره وفيها
أوقع أبو العباس بن الموفق بالاعراب الذين كانوا يجلبون الميرة بالزنج من بنى تميم وغيرهم
وفى سنة ثمان وستين كان مقتل الخجستانى و   أصحابه بعده على رافع بن هرثمة
من قواد بنى طاهر وملك بلاد خراسان وخوارزم وفيها انتقض محمد بن الليث بفارس
على أخيه عمرو فسار اليه وهزمه واستباح عسكره وملك اصطخر وشيراز وظفر به
فحبسه كما مر وفيها كانت وقعة بين اتكوتكين بن اساتكين وبين أحمد بن عبد العزيز
ابن أبى دلف فهزمه اتكوتكين وغلبه على قم وفيها بعث عمرو بن الليث عسكرا الى محمد
ابن عبد الله الكردى وفيها انتقض لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون وسار الى الموفق
وقاتل معه الزنج وفيها سار المعتمد الى ابن طولون بمصر مغاضبا لاخيه الموفق وكتب
الموفق الى اسحق بن كنداجق بالموصل برده فسار معه الى آخر عمله ثم قبض على القواد
الذين معه ورده الى سامرا وفيها وثب العامة ببغداد بأميرهم الخلنجى وكان كاتب
عبيد الله بن طاهر وقتل غلام له امرأة بسهم فلم يعدهم عليه فوثبوا به وقتلوا من أصحابه
ونهبوا منزله وخرج هاربا فركب محمد بن عبد الله واسترد من العامة ما نهبوه وفيها
وثب بطرسوس خلق من أصحاب ابن طولون وعامله على الثغور الشامية فاستنقذه
أهل طرسوس من يده وزحف اليهم ابن طولون فامتنعوا عليه ورجع الى حمص ثم الى
دمشق وفيها كانت وقعة بين العلويين والجعفريين بالحجاز فقتل ثمانية من الجعفريين
وخلصوا عامل المدينة من أيديهم وفيها عقد هرون بن الموفق لابى الساج على الانبار
والرحبة وطريق الفرات وولى محمد بن أحمد على الكوفة وسوادها ودافعه عنها محمد

بياض بالاصل

ابن الهيثم فهزمه محمد ودخلها وفيها مات عيسى بن الشيخ الشيباني عامل ارمينية
وديار بكر وفيها عظمت الفتنة بين الموفق وابن طولون فحمل المعتمد على لعنه وعزله
وولى اسحق بن كنداجق على اعماله الى افريقية وعلى شرطة الخاصة وقطع ابن طولون
الخطبة للموفق واسمه من الطرر وفيها ملك ابن طولون الرحبة بعد مقاتلة أهلها وهرب
أحمد بن مالك بن طوق الى الشأم ثم سار الى ابن الشماخ بقرقيسيا وفي سنة سبعين كان
مقتل صاحب الزنج وانقراض دعوته ووفاة الحسن بن زيد العلوى صاحب
طبرستان وقيام أخيه محمد بأمره ووفاة أحمد بن طولون صاحب مصر وولاية ابنه
خمارويه ومسير اسحق بن كنداجق بابن دعامس عامل الرقة والثغور والعواصم لابن
طولون وفي سنة احدى وسبعين ثار بالمدينة محمد وعلى ابنا الحسن بن جعفر بن موسى
الكاظم وقتلا جماعة من أهلها ونهبا أموال الناس ومنعا الجمعة بمسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهرا وفيها عزل المعتمد عمرو بن الليث من خراسان فقاتله أحمد بن
عبد الله بن أبى دلف باصبهان وهزمه وفيها استعاد خمارويه الشأم من يد أبى العباس
ابن الموفق وفر الى طرسوس كما تقدم وفيها عقد المعتمد لاحمد بن محمد الطائى على المدينة
وطريق مكة وكان يوسف بن أبى الساج والى مكة وجاء بدر غلام الطائى أميرا على الحاج
فحاربه يوسف على باب المسجد الحرام وأسره فسار الجند والحاج بيوسف وأطلقوا بدرا
من يده وحملوا يوسف أسيرا الى بغداد وفي منتصف سنة اثنتين وسبعين غلب أتكوتكين
على الرى من يد محمد بن زيد العلوى سار هو من قزوين فى أربعة آلاف ومحمد بن
زيد من طبرستان فى الديلم وأهل خراسان فانهزموا وقتل منهم ستة آلاف وفيها ثار
أهل طرسوس بأبى العباس بن الموفق وأخرجوه الى بغداد وولوا عليهم بازيار وفيها
توفى سليمان بن وهب فى حبس الموفق وفيها دخل حمدان بن حمدون وهرون مدينة
الموصل وفيها قدم صاعد بن مخلد الوزير من فارس وقد كان بعثه الموفق اليها
لحرب   فرجع الى واسط وركب القواد لاستقباله فترجلوا اليه وقبلوا
يده ولم يكلمهم ثم قبض الموفق على جميع أصحابه وأهله ونهب منازلهم وكتب الى
بغداد بقبض ابنه أبى عيسى وصالح وأخيه عبدون واستكتب مكانه أبا الصقر
اسمعيل ابن بلبل واقتصر به على الكتابة وفيها جاء بنو شيبان الى الموصل فعاثوا
فى نواحيها وأجمع هرون الشارى وأصحابه على قصدهم وكتب الى أحمد بن حمدون
الثعلبى فجاءه وساروا الى الموصل وعبروا الجانب الشرقى من دجلة ثم ساروا الى نهر
الحادر فلما تراءى الجمعان انهزم هرون وأصحابه وانجلى سوى عنها وفي سنة ثلاث
وسبعين وقعت الفتنة بين ابن كنداجق وبين ابن ابى الساج وسار ابن أبى الساج الى

ابن

ابن طولون واستولى على الجزيرة والموصل وخطب له فيها وقاتل الشراة كما ذكرنا
وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون وصادره على أربعمائة ألف دينار
وبقى فى ادبار الى أن عاد الى مصر أيام هرون بن خمارويه وفي سنة أربع وسبعين سار
الموفق الى فارس فاستولى عليها من يد عمرو بن الليث ورجع عمرو الى كرمان وسجستان
وعاد الموفق الى بغداد وفي سنة خمس وسبعين نقض ابن أبى الساج طاعة خمارويه
وقاتله خمارويه فهزمه وملك الشأم من يده وسار الى الموصل وخمارويه فى اتباعه
الى بغداد ولحق ابن أبى الساج بالحديثة فأقام بها الى أن رجع خمارويه وكان اسحق
ابن كنداج قد جاء الى خمارويه فبعث معه جيشا وقوادا فى طلب ابن أبى الساج
واشتغل بعمل السفن للعبور اليه فسار ابن أبى الساج عنها الى الموصل وأتبعه ابن
كنداج وسار الى الرقة فاتبعه ابن أبى الساج وكتب الى الموفق يستأذنه فى اتباعه الى
الشأم وجاء ابن كنداج بالعساكر من عند خمارويه وأقام على حدود الشأم ثم هزم
ابن أبى الساج فسار الى الموفق وملك ابن كنداج ديار ربيعة وديار مضر وقد تقدم ذكر
ذلك وفيها خرج أحمد بن محمد الطائى من الكوفة لحرب فارس العبدى كان يخيف
السابلة فهزمه العبدى وكان الطائى على الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامرا
وشرطة بغداد وخراج بادرديا وقطربل وفيها قبض الموفق على ابنه أبى العباس وحبسه
وفيها ملك رافع بن هرثمة جرجان من يد محمد بن زيد وحاصره فى استراباذ نحوا من سنتين
ثم فارقها الجيش لحربه فسار عن سارية وعن طبرستان سنة سبع وسبعين واستأمن
رستم بن قارن الى رافع وقدم عليه على بن الليث من حبس أخيه بكرمان هو وابناه
العدل والليث وبعث رافع على سالوس محمد بن هرون وجاء اليه على بن كانى مستأمنا
فحصرهما محمد بن زيد وسار اليه رافع ففر الى أرض الديلم ورافع فى اتباعه الى حدود
قزوين فسار فيها وأحرقها وعاد الى الرى وفي سنة ست وسبعين رضى المعتمد عن عمرو
ابن الليث وولاه وكتب اسمه على الاعلام وولى على الشرطة ببغداد من قبله عبيد الله
ابن عبد الله بن طاهر ثم انتقض فأزيل وفيها كان مسير الموفق الى الجبل لاذكوتكين
ومحاربة أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف وقد تقدم ذلك وفيها ولى الموفق ابن أبى الساج
على أذربيجان فسار اليها ودافعه عبد الله بن حسن الهمذانى صاحب مراغة فهزمه
ابن أبى الساج واستقر فى عمله وفيها زحف هرون الشارى من الحديثة الى الموصل يريد
حربها ثم صانعه أهل الموصل ورحل عنهم وفي سنة سبع وسبعين دعا مازيار
بطرسوس لخمارويه بن أحمد بن طولون وكان أنفذ اليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة
ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحا كثيرا وبعث اليه بعد الدعاء بخمسين ألف دينار

وفى سنة ثمان وسبعين كانت وفاة الموفق وبيعة المعتضد بالعهد كما مرّ وفيها كان ابتداء أمر القرامطة وقد تقدم وفى سنة تسع وسبعين خلع جعفر بن المعتمد وقدم عليه المعتضد وكانت الحرب بين الخوارج وأهل الموصل وبين بنى شيبان وعلى بنى شيبان هرون بن سيما من قبل محمد بن اسحق بن كنداج ولاه عليها فطرده أهلها فزحف اليهم مع بنى شيبان وهافع عن أهل الموصل هرون الشارى وحمدان بن حمدون فهزمهم بنو شيبان وخاف أهل الموصل من ابن سيما وبعثوا الى بغداد يطلبون والياً فولى المعتمد عليهم محمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق وكان ينزل الحديثة فأقام بها أياما ثم استبدل منه بعلى بن داود الكردى

(وفاة المعتمد وبيعة المعتضد)

توفى المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل لعشر بقين من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين لثلاث وعشرين سنة من ولايته ودفن بسامرا وهو أول من انتقل الى بغداد وكان فى خلافته مغلبا عاجزا وكان أخوه الموفق مستبدا عليه ولم يكن له معه حكم فى شئ ولما مات الموفق سنة ثمان وسبعين كما قدمناه أقام مكانه ابنه أبا العباس أحمد المعتضد وحجر المعتمد كما كان أبوه يحجره وولاه عهده كما كان أبوه ثم قدمه فى العهد على ابنه جعفر ثم هلك فبايع الناس للمعتضد بالخلافة صبيحة موته فولى غلامه بدرا الشرطة وعبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد بن الشارى بن ملك الحرس ووفد عليه لاول خلافته رسول عمرو بن الليث بالهدايا وسأل ولاية خراسان فعقدله عليها وبعث اليه بالخلع واللواء ولاول خلافته مات نصر بن أحمد السامانى ملك ماوراء النهر وقام مكانه أخوه اسمعيل

(مقتل رافع بن الليث)

كان رافع بن الليث قد وضع يده على قرى السلطان بالرى وكتب اليه المعتضد برفع يده عنها فكتب الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف باخراجه عن الرى فقاتله وأخرجه وسار الى جرجان ودخل نيسابور سنة ثلاث وثمانين فوقعت بينه وبين عمرو حرب وانهزم رافع الى ابيورد وخلص عمرو ابنى أخيه من حبسه وهما العدل والليث ابنا على بن الليث وقد تقدم خبرهما ثم سار رافع الى هراة ورصده عمرو بسرخس فشعر به ورجع الى نيسابور فى مسالك صعبة وطرق ضيقة واتبعه عمرو فحاصره فى نيسابور ثم تلاقيا وهرب عن رافع بعض قواده الى عمرو فانهزم رافع وبعث أخاه محمد بن هرثمة الى محمد ابن زيد يستمده كما شرط له فلم يفعل وافترق عن رافع أصحابه وغلمانه وفارقه محمد بن هرون

الى أحمد بن اسمعيل فى بخارى ولحق رافع بخوارزم فى فل من العسكر ومعه بقية أمواله وآلته ومرّ فى طريقه بأبى سعيد الدرغانى ببلد فاستغفله وغدر به وحمل رأسه الى عمرو بن الليث بنيسابور وذلك فى شوّال سنة ثلاث وثمانين

(خبر الخوارج بالموصل)

قد تقدم لنا أنّ خوارج الموصل من الشراة استقدر عليهم بعد مساور هرون الشارى وذكرنا شيأ من اخبارهم ثم خرج عليه سنة ثمانين محمد بن عبادة ويعرف بأبى جوزة من بنى زهير من البقعاء وكان فقيرا ومعاشه ومعاش بنيه فى التقاط الكمأة وغيرها وأمثال ذلك وكان يتدين ويظهر الزهد ثم جمع الجموع وحكم واستجمع اليه الاعراب من تلك النواحى وقبض الزكوات والاعشار من تلك الاعمال وبنى عند سنجار حصنا ووضع فيه أمتعته وماعونه وأنزل به ابنه أبا هلال فى مائة وخمسين فجمع هرون الشارى أصحابه وبدأ بحصار الحصن فأحاط به ومحمد بن عبادة فى قرابا وجد فى حصاره حتى أشرف على فتحه وقيد أبا هلال ابنه ونفرا معه وبعث بنو ثعلب وهم مع هرون الى من كان بالحصن من بنى زهير فأمّنوهم وملك هرون الحصن ثم ساروا الى محمد فلقيهم وهزمهم أوّلا ثم كرّوا عليه مستميتين فهزموه وقتلوا من أصحابه ألفا وأربعمائة وقسم هرون ماله ولحق محمد بآمد فخار به صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ فظفر به وبعثه الى المعتضد فسلخه حيا

(ايقاع المعتضد ببنى شيبان واستيلاؤه على ماردين)

وفى سنة ثمانين سار المعتضد الى بنى شيبان بأرض الجزيرة ففرّوا أمامه وأغار على طوائف من العرب عند السند فاستباحهم وسار الى الموصل فجاءه بنو شيبان وأعطوه رهنهم على الطاعة فقبلهم وعاد الى بغداد وبعث الى أحمد بن عيسى بن الشيخ فى أموال ابن كنداج التى أخذها بآمد فبعث بها وبهدايا كثيرة معها ثم بلغه أنّ أحمد بن حمدون ممالئ لهرون الشارى وداخل فى دعوته فسار المعتضد اليه سنة احدى وثمانين واجتمع الاعراب من بنى ثعلب وغيرهم للقائه وقتل منهم وغرق فى الزاب كثيرا وسار الى الموصل ثم بلغه انّ أحمد هرب عن ماردين وخلف بها ابنه فسار المعتضد اليه ونازله وقاتله يوما ثم صعد من الغد الى باب القلعة وصاح بابن حمدان واستفتح الباب ففتح له دهشا وأمر بنقل ما فى القلعة وهدمها وبعث فى طلب حمدان وأخذ أمواله

(الولاية على الجبل واصبهان)

عقد المعتضد سنة احدى وثمانين لابنه على وهو المكتفى على الرى وقزوين وزنجان

وابهر وقم وهمذان والدينور فاستأمن اليه عامل الرى لرافع بن الليث وهو الحسن ابن على كوره فلقته وبعث به الى أبيه

(عود حمدان الى الطاعة)

وفى سنة ثنتين وثمانين سار المعتضد الى الموصل واستقدم اسحق بن أيوب وحمدان ابن حمدون فبادر اسحق بقلاعه وأودع حرمه وأمواله فبعث اليه المعتضد العساكر مع وصيف ونصر القسورى فنزلوا بدير الزعفران من أرض الموصل وبه الحسن ابن على كوره ومعه الحسين بن حمدان فاستأمن الحسين وبعثوا اليه الى المعتضد فأمر بهدم القلعة وسار وصيف فى اتباع حمدان فواقعه وهزمه وعبر الى الجانب الغربى من دجلة وسار فى ديار ربيعة وعبرت اليه العساكر وحبسوه فأخذوا ماله وهرب وضاقت عليه الارض فقصد خيمة اسحق بن أيوب فى عسكر المعتضد مستجيرا به فأحضره عند المعتضد فوكل به وحبسه

(هزيمة هرون الشارى ومهلكه)

كان المعتضد قد ترك بالموصل نصرا القسروى لاعادته العمال على الجباية وخرج بعض العمال لذلك فأغارت عليهم طائفة من أصحاب هرون الشارى وقتل بعضهم فكثر عيث الخوارج وكتب نصر القسروى الى هرون يهدده فأجابه وأساء فى الرد وعرض بذكر الخليفة فبعث نصر بالكتاب الى المعتضد فأمره بالجد فى طلب هرون وكان على الموصل يكتم طائفة من مواليهم فقبض عليه وقيده وولى على الموصل الحسن كوره وأمر ولاة الاعمال بطاعته فجمعهم وعسكر بالموصل وخندق على عسكره الى أن أوقع بالناس غلاتهم ثم سار الى الخوارج وعبر الزاب اليهم فقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم وقتل منهم وافترقوا وسار الكثير منهم الى أذربيجان ودخل هرون البرية واستأمن وجوه أصحابه الى المعتضد فأمنهم ثم سار المعتضد سنة ثلاث وثمانين فى طلب هرون فانتهى الى تكريت وبعث الحسين بن حمدون فى عسكر نحو من ثلثمائة فارس واشترط ان جاء به اطلاق ابيه حمدان وسار معه وصيف وانتهى الى بعض مخايض دجلة فأرصد بها وصيفا وقال لا تفارقوها حتى ترونى ومضى فى طلبه فواقعه وهزمه وقتل من أصحابه وأقام وصيف ثلاثة أيام فأبطأ عليه الامر فسار فى اتباع ابن حمدان وجاء هرون منهزما الى تلك المخاضة فعبروا ابن حمدان فى أثره الى حى من أحياء العرب قد اجتاز بهم هرون فدلوا ابن حمدان عليه فلحقه وأسره وجاء به الى المعتضد فرجع المعتضد آخر ربيع الاول وخلع على الحسين واخوته وطوقه وأدخل هرون على الفيل وهو ينادى لا حكم الا لله

ولو كره المشركون وكان صفديا ثم أمر المعتضد بحل القيود عن حمدان بن حمدون والاحسان اليه وباطلاقه وفى سنة ثنتين وثمانين سار المعتضد من الموصل الى الجبل فبلغ الكرخ فهرب عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف بين يديه فأخذ أمواله وبعث اليه فى طلب جند كان عنده فوجهه اليه ثم بعث المعتضد وزيره عبيد الله بن سليمان الى ابنه بالرى ليسير من هنالك الى عمر بن عبد العزيز بالامان فسار وأمنه ورجع الى الطاعة فخلع عليه وعلى أهل بيته وكان أخوه بكر بن عبد العزيز قد استأمن قبل ذلك الى عبيد الله بن سليمان وبدر فولاه عمله على أن يسير الى حربه فلما وصل عمر فى الامان قال لبكر انما وليناك وأخوك عاص فامضيا الى أمير المؤمنين المعتضد وولى عيسى النوشرى على اصبهان من قبل عمر وهرب بكر الى الاهواز وسار عبيد الله ابن سليمان الوزير الى على بن المعتضد بالرى ولما بلغ الخبر الى المعتضد بعث وصيفا موسكين الى بكر بن عبد العزيز بالاهواز فلحقه بحدود فارس فمضى بكر الى اصبهان ليلا ورجع وصيف الى بغداد وكتب المعتضد الى بدر مولاه بطلب بكر بن عبد العزيز وحربه فأمر بذلك عيسى النوشرى فقام به ولقى بكرا بنواحى اصبهان فهزمه بكر ثم عاد النوشرى لقتاله سنة أربع وثمانين فهزمه بنواحى اصبهان واستباح عسكره ولجأ بكر الى محمد بن زيد العلوى بطبرستان وهلك بها سنة خمس وثمانين وكان عمر لما مات أبوه قبض على أخيه الحرث ويكنى أباليلى وحبسه فى قلعة زر ووكل به شفيعا الخادم فلما جاء المعتضد واستأمن عمر وهرب بكر وبقيت القلعة بيد شفيع بأموالها رغب اليه الحرث فى اطلاقه فلم يفعل وكان شفيع يسامره كل ليلة وينصرف فحادثه ليلة ونادمه وقام شفيع لبعض حاجته فجعل الحرث فى فراشه تمثالا وغطاه وقال لجاريته قولى لشفيع اذا عاد هو نائم ومضى فاختفى فى الدار وفك القيد عن رجله بمبرد ادخل اليه وبرد به مسماره ولما أخبر شفيع بنومه مضى الى مرقده وقصده أبو ليلى على فراشه فقتله وأمر أهل الدار واجتمع عليه الناس فاستحلفهم ووعدهم وجمع الاكراد وغيرهم وخرج من القلعة ناقضا للطاعة فسار الى عيسى النوشرى وحاربه فأصاب أباليلى سهم فمات وحمل رأسه الى اصبهان ثم الى بغداد

(خبر ابن الشيخ بآمد)

وفى سنة خمس وثمانين توفى أحمد بن عيسى بن الشيخ وقام بأمره فى آمد وأعمالها ابنه محمد فسار المعتضد اليه فى العساكر ومعه ابنه أبو محمد على المكتفى ومر بالموصل وحاصر المعتمد الى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين ونصب عليها المجانيق حتى استأمن لنفسه ولاهل آمد وخرج الى المعتمد فخلع عليه وهدم سورها ثم بلغه أنه يروم الهرب فقبض

عليه وعلى أهله

(خبر ابن أبى الساج)

قد تقدم لنا ولاية محمد بن أبى الساج على أذربيجان ومدافعة الحسين اياه عن مراغة ثم فتحها واستيلاؤه على أعمال أذربيجان وبعث المعتضد سنة ثنتين وثمانين أخاه يوسف بن أبى الساج الى الصيمرة مددا الفتح القلانسى غلام الموفق فخرج يوسف فيمن أطاعه فولاه المعتضد على أعماله وبعث اليه بالخلع وأعطاه الرهن بما ضمن من الطاعة والمناصحة وبعث بالهدايا

(ابتداء أمر القرامطة بالبحرين والشأم)

كان فى سنة احدى وثمانين قد جاء الى القطيف بالبحرين رجل تسمى بيحيى بن المهدى وزعم أنه رسول من المهدى وانه قد قرب خروجه وقصد من أهل القطيف على بن المعلى بن حمدان الربادى وكان متغاليا فى التشيع فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدى ليشيع الخبر فى سائر قرى البحرين فأجابوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابى وكان من عظمائهم ثم غاب عنهم يحيى بن المهدى مدة ورجع بكتاب المهدى يشكرهم على اجابتهم وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلثين عن كل رجل منهم ففعلوا ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا اليه خمس أموالهم فدفعوا وأقام يتردد فى قبائل قيس ثم أظهر أبو سعيد الجنابى الدعوة بالبحرين سنة ست وثمانين واجتمع اليه القرامطة والاعراب وقتل واستباح وسار الى القطيف طالبا البصرة وبلغت النفقة فيه أربعة عشر ألف دينار ثم قرب أبو سعيد من نواحى البصرة وبعث المعتضد اليهم المدد مع عباس بن عمر الغنوى وعزله عن فارس وأقطعه اليمامة والبحرين وضم اليه ألفين من المقاتلة وسار الى البصرة وأكثر من الحشد جندا ومتطوعة فسار ولقى أبا سعيد الجنابى ورجع من كان معه من بنى ضبة الى البصرة ثم كان اللقاء فهزمه الجنابى وأسره واحتوى على معسكره وحرق الاسرى بالنار وذلك فى شعبان من هذه السنة وسار الى هجر فملكها وامن أهلها ورجع الى أهل البصرة وبعثوا اليهم بالرواحل عليها الطعام والماء فاعترضهم بنو اسد واخذوا الرواحل وقتلوا الفل واضطربت البصرة وتشوف أهلها الى الانتقال فمنعهم الواثقى ثم أطلق الجنابى العباس الغنوى فركب الى الابلة وسار منها الى بغداد فخلع عليه المعتضد وأما ظهورهم بالشأم فان داعيتهم ذكرويه بن مهرويه الذى جاء بكتاب المهدى الى العراق لما رأى الجيوش متتابعة الى القرامطة بالسواد وأبادهم القتل لحق باعراب أسد وطئ فلم يجبه فبعث أولاده فى كلب بن وبرة فلم يجبه منهم الا بنو

القلمطى بن ضمضم بن عدى بن جناب فبايعوا ذكرويه ويسمى بيحيى ويكنى بأبى القاسم ولقبوه الشيخ وانه من ولد اسمعيل الامام بن جعفر الصادق وأنه يحيى بن عبد الله ابن يحيى بن اسمعيل وزعم أن له مائة ألف تابع وان ناقته التى يركبها مأمورة فمن تبعها كان منصورا فقصدهم شبل مولى المعتضد فى العساكر من ناحية الرصافة فقتلوه فسار اليهم شبل مولى أحمد بن محمد الطائى فأوقع بهم وجاء ببعض رؤسائهم أسيرا فأحضره المعتضد وقال له هل تزعمون أن روح الله وأنبيائه تحل فى أجسادهم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل فقال له يا هذا أرأيت ان حلت روح ابليس فما ينفعك فاترك مالا يعنيك الى ما يعنيك قال له فقل فيما يعنينى فقال له قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو كم العباس حى فلم يطالب الامر ولا بايعه ثم مات أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى العباس أو لم يعهد اليه عمر ولا جعله من أهل الشورى وكانوا ستة وفيهم الاقرب والابعد وهذا اجماع منهم على دفع جدك عنها فبماذا تستحقون أنتم الخلافة فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطع مرتين ثم قتل ولما أوقع شبل بالقرامطة بسواد الكوفة ساروا الى الشأم فانتهوا الى دمشق وعليها طغج بن جف مولى أحمد بن طولون من قبل ابنه هرون فخرج اليهم فقاتلهم مرارا هزموه فى كلها هذه أخبار بدايتهم ونقبض العنان عنها الى أن نذكر سياقتها عند ما نعدد أخبارهم على شريطتنا فى هذا الكتاب كما تقدم

(استيلاء ابن ماسان على خراسان من يد عمرو بن الليث وأسره ثم مقتله)

لما تغلب عمرو بن الليث الصفار على خراسان من يد رافع بن الليث وقتله وبعث برأسه الى المعتضد وطلب منه أن يوليه ما وراء النهر مضافا الى ولاية خراسان كتب له بذلك فجهز الجيوش لمحاربة اسمعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر وجعل عليهم محمد بن بشير من أخص أصحابه وبعث معه القواد فانتهوا الى آمد من شط جيحون وعبر اليهم اسمعيل فهزمهم وقتل محمد بن بشير فى ستة آلاف ولحق الفل بعمرو فى نيسابور فتجهز وسار الى بلخ وكتب اليه اسمعيل يستعطفه ويقول أنا فى ثغر وأنت فى دنيا عريضة فاتركنى واستفد ألفتى فأبى وصعب على أصحابه عبور النهر لشدته فعبر اسمعيل وأخذ الطرق على بلخ وصار عمرو محصورا ثم اقتتلوا فانهزم عمرو وتسرب من بعض المسالك عن أصحابه فوجد فى أجمة وأخذ أسيرا وبعث به اسمعيل الى سمرقند ومن هنالك الى المعتضد سنة ثمان وثمانين فحبسه الى أن مات المعتضد سنة تسع بعدها فقتله ابنه المكتفى وعقد لاسمعيل على خراسان كما كانت لعمرو وكان عمرو عظيم السياسة وكان يستكثر من المماليك ويجرى عليهم الارزاق ويفرقهم على قواده ليطالعوه بأخبارهم وكان

شديد الهيبة ولم يكن أحد يتجاسر أن يعاقب غلاما ولا خادما الا أن يرفعه الى حجابه

(استيلاء ابن سامان على طبرستان من يد العلوى ومقتله)

ولما بلغ محمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان والديلم ما وقع بعمرو بن الليث وانه أسر طمع هو فى خراسان وظن أن ابن اسمعيل لا يتجاوز عمله فسار الى جرجان وبعث اليه اسمعيل بالكف فأبى فجهز لحربه محمد بن هرون وكان من قواد رافع بن الليث واستأمن الى عمرو ثم الى اسمعيل فنظمه فى قواده وندبه الآن لحرب محمد بن زيد فسار لذلك ولقيه على باب خراسان فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم محمد بن هرون أولا وافترقت عساكر محمد ابن زيد على النهب ثم رجع هو وأصحابه وانهزم محمد بن زيد وجرح جراحات فاحشة هلك منها لايام وأسر ابنه زيد وبعث به اسمعيل الى بخارا واجترأ عليه وغنم ابن هرون معسكرهم ثم سار الى طبرستان فملكها وصار خراسان وطبرستان لبنى سامان واتصلت لهم دولة نذكر سياقة أخبارها عند افراد دولتهم بالذكر كما شرطناه فى تأليفنا

(ولاية على بن المعتضد على الجزيرة والثغور)

ولما ملك المعتضد آمد من يد ابن الشيخ كما قدمناه سار الى الرقة وتسلم قنسرين والعواصم من يد عمال هرون بن خمارويه لانه كان كتب اليه أن يقاطعه على الشأم ومصر ويسلم اليه أعمال قنسرين ويحمل اليه أربعمائة ألف دينار وخمسين ألفا فأجابوه وسار من آمد الى الرقة وأنزل ابنه عليا الذى لقبه بعد ذلك بالمكتفى وعقد له على الجزيرة وقنسرين والعواصم سنة ست وثمانين واستكتب له الحسن بن عمر النصرانى واستقدم وهو بالرقة راغبا مولى الموفق من طرسوس فقدم عليه وحبسه وحبس مكنون غلامه واستصفى أموالهما ومات راغب لايام من حبسه وقد كان راغب استبد بطرسوس وترك الدعاء لهرون بن خمارويه ودعا لبدر مولى المعتضد ولما جاء أحمد بن طغان للفترسنة ثلاث وثمانين تنازع معه راغب فركب أحمد البحر فى رجوعه ولم يعرج على طرسوس وترك بها دميانة غلام بازيار وأمده فقوى وأنكر على راغب أفعاله فحمل دميانة الى بغداد واستبد راغب الى استدعاء المعتضد ونكبه كما قلناه وولى ابن الاخشاء على طرسوس فمات لسنة واستخلف أبا ثابت وخرج سنة سبع وثمانين غازيا فأسر وولى الناس عليهم مكانه على بن الاعرابى ولحق بملطية فى هذه السنة وصيف مولى محمد بن أبى الساج صاحب بردعة وكتب الى المعتضد يسأله ولاية الثغور وقد وطأ صاحبه أن يسير اليه اذا وليها فيقصدان ابن طولون ويملكان مصر من يده وظهر المعتضد على ذلك فسار لاعتراضه وقدم العساكر بين يديه فأخذوه بعين زربة وجاؤا به

الى المعتضد فحبسه وآمن عسكره ورحل الى قرب طرسوس واستدعى رؤساءها وقبض عليهم بمكاتبتهم وصيفا وأمر باحراق مراكب طرسوس باشارة دميانة واستعمل على أهل الثغور الحسن بن على كوره فسار الى انطاكية وحلب ورجع منها الى بغداد وقتل وصيفا وصلبه واستقدم المكتفى بعد وفاة المعتضد الحسن بن على وولى على الثغور مظفر بن حاج ثم شكا أهل الثغر منه فعزله وولى أبا العشائر بن أحمد بن نصر سنة تسعين

(حرب الاعراب)

وفى سنة ست وثمانين اعترضت طيئ ركب الحاج بالاجفر وقاتلوه ونهبوا أموال التجار ما قيمته ألف ألف دينار ثم اعترضوا الحاج كذلك سنة تسع وثمانين بالقرن فهزمهم الحاج وسلموا

(تغلب ابن الليث على فارس واخراج بدر اياه)

وفى فاتح ثمان وثمانين جاء طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فى العساكر الى بلاد فارس وأخرج منها عامل المعتضد وهو عيسى النوشرى كان على أصبهان فولاه المعتضد فارس فسار اليها فجاءه طاهر وملكها وكتب اليه اسمعيل صاحب ماوراء النهر بأن المعتضد ولاه سجستان لذلك وعقد المعتضد لبدر مولاه على فارس وهرب عمال طاهر عنها وملكها بدر وجبى خراجها ثم مات المعتضد وسار مغربا عن فارس فقتل بواسط وقاطع طاهر بلاد فارس على مال يحمله فقلده المكتفى ولايتها سنة تسعين

(الولايات فى النواحى)

كان أكثر النواحى فى دولة المعتضد متغلبا عليها كخراسان وماوراء النهر لابن سامان والبحرين للقرامطة ومصر لابن طولون وافريقية لابن الاغلب وقد ذكرنا من ولى الموصل وفى سنة خمس وثمانين ولى المعتضد عليها وعلى الجزيرة والثغور الشامية مولاه ثم ملك آمد من يد ابن الشيخ وجعلها لابنه على المكتفى وأنزله الرقة كما ذكرناه وعقد له على الثغور ثم عقد بعده للحسن بن على كوره وولى على فارس بدرا مولاه ومات اسحق بن أيوب بن عمر بن الخطاب الثعلبى العدوى أمير ديار ربيعة فولى المعتضد مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعمر وفى سنة ثمان وثمانين ظهر باليمن بعض العلويين وتغلب على صنعاء فجمع له بنو يعفر وقاتلوه فهزموه وأسروا ابنه وتجافى نحو خمسين فارسا وملك بنو يعفر صنعاء وخطبوا فيها للمعتضد وهلك ابن أبى الساج فى هذه السنة فولى أصحابه ابنه ديوداد ونازعه عمه يوسف بن رافع بابن أخيه وهزمه ومضى

بياض بالاصل

الى بغداد على طريق الموصل واستقل يوسف بملك اذربيجان وعرض على ابن اخيه المقام عنده فأبى وقلد المعتضد لاول خلافته ديوان المشرق لمحمد بن داود بن الجراح عوضا عن أحمد بن محمد بن الفرات وديوان المغرب علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومات وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب فولى ابنه أبا القاسم مكانه

(الصوائف)

وفي سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموفق من طرسوس في البحر فغنم مراكب الروم قتل فيها نحوا من ثلاثة آلاف وأحرقها وخرج الروم سنة سبع وثمانين ونازلوا طرسوس فقاتلهم أميرها واتبعهم الى نهر الرحال فاسروه وفي سنة ثمان وثمانين بعث الحسن بن علي كوره صاحب الثغور بالصائفة فغزا وفتح حصونا كثيرة وعاد بالاسرى فخرج الروم في أثره برا وبحرا الى كيسوم من نواحي حلب فأسروا نحوا من خمسة عشر ألفا ورجعوا

(وفاة المعتضد وبيعة ابنه)

كان بدر مولى المعتضد عظيم دولته وكان القاسم بن عبيد الله الوزير يروم نقل الخلافة في غير بني المعتضد وفاوض في ذلك بدرا أيام المعتضد فأبى ولم يمكن القاسم مخالفته فلما مات المعتضد كان بدر بفارس بعثه اليها المعتضد لما بلغه أن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غلب عليها فبعث بدرا وولاه فلما مات عقد الوزير البيعة لابنه المكتفي وخشي من بدر فيما اطلع عليه منه فاعمل الحيلة في أمره وكان المكتفي أيضا يحقد لبدر كثيرا من منازعة معه أيام أبيه فدس الوزير الى القواد الذين مع بدر بمفارقته ففارقه العباس ابن عمر الغنوي ومحمد بن اسحق بن كنداج وخاقان العلجي وغيرهم فأحسن المكتفي اليهم وسار بدر الى واسط فوكل المكتفي بداره وقبض على أصحابه وأمر بمحو اسمه من الفراش والاعلام وبعث الحسن بن علي كوره في جيش الى واسط وعرض على بدر ما شاء من النواحي فقال لا بد لي ان أشافه مولاي بالقول فخوف الوزير المكتفي غائلته ومنعه من ذلك وشعر أن بدرا بعث عن ابنه هلال فوكل به ثم بعث الوزير عن القاضي أبي عمر المالكي وحمله الامان الى بدر فجاء بأمانه وبعث الوزير من اعترضه بالطريق فقتله لست خلون من رمضان وحمل أهله شلوه الى مكة فدفن بها لوصيته بذلك وحزن القاضي أبو عمر لاخفار ذمته

(استيلاء محمد بن هرون على الري ثم أسره وقتله)

قد تقدم لنا ذكر محمد بن هرون وأنه كان من قواد رافع بن هرثمة ونظمه اسمعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر في قواده وبعثه لحرب محمد بن زيد فهزمه واستولى على طبرستان

وولاه اسمعيل عليها ثم انتقض ودعا بدعوة العلوية بيض وساعده ابن حسان الديلمي وبعث اسمعيل العساكر لقتال ابن حسان فهزموه وكان على الري من قبل المكتفي اغرتمش التركي فأساء السيرة فبعث أهل الري الى محمد بن هرون أن يسير اليهم ويولوه فسار وحارب اغرتمش فهزمه وقتله وقتل ابنيه وأخاه كيغلغ من القواد واستولى على الري وبعث المكتفي مولاه خاقان المفلحي لولاية الري في جيش كثيف فلم يصلها وبعث المكتفي الى اسمعيل بولايته ومحاربة محمد بن هرون فسار اسمعيل اليه وهزمه فخرج عن الري الى قزوين وزنجان ثم لحق بطبرستان واستقر مع ابن جستان مستجيرا ولما ملك اسمعيل الري ولى على جرجان مولاه نارس الكبير والزمه احضار محمد بن هرون فكاتبه نارس وضمن له صلاح الحال فقبل وانصرف عن الديلم الى بخارى فبعث اسمعيل من اعترضه وحمل الى بخارى مقيدا فمات في الحبس بعد شهر وذلك في شعبان سنة تسعين

(استيلاء المكتفي على مصر وانقراض دولة ابن طولون)

كان محمد بن سليمان من قواد بني طولون وكاتب جيشهم واستوحش منهم فلحق بالمعتضد وصرفوه في الخدم وكانت القرامطة عاثوا في بلاد الشام وحاصروا عامل بني طولون بدمشق وهو طغج بن جف وقتلوا قوادهم وسار المكتفي اليهم فنزل الرقة وبعث محمد بن سليمان لحربهم ومعه الحسن بن حمدان والعساكر وبنو شيبان فلقيهم قرب حماة فهزمهم واتبعهم الى الكوفة وقبض في طريقه على أميرهم صاحب الشامة فبعث به الى المكتفي فرجع الى بغداد وخلف محمد بن سليمان في العساكر فتبعهم وأسر جماعة منهم وبينما هو يروم العود الى بغداد جاءه كتاب بدر الحمامي مولى هرون بن خمارويه ومحمد فائق صاحب دمشق يستقدمانه الى البلاد لعجز هرون عنها فأنهى ذلك محمد بن سليمان عند عوده الى المكتفي فأعاده وأمده بالجنود والاموال وبعث دميانة غلام بازيار في الاسطول ليدخل من فوهة النيل ويحاصر مصر ولما وصل ودنا من مصر كاتب القواد وخرج اليه رئيسهم بدر الحمامي وتتابع منهم جماعة وبرز هرون لقتاله فحاربه أياما ثم وقعت بعض الايام في عسكره هيعة ركب لها ليسكنها فاصابته حربة مات منها واجتمع أصحابه على عمه شيبان وبذل الاموال فقاتلوا معه ثم جاءهم كتاب محمد بن سليمان بالامان فأجابوه وخالف شيبان الى مصر فاستولى عليها واستأمن اليه شيبان سرا فأمنه ولحق به ثم قبض على بني طولون وحبسهم واستصفى أموالهم وذلك في صفر سنة ثنتين وتسعين وأمره المكتفي بازالة آل طولون وأشياعهم من مصر والشام ففعل وسار بهم الى بغداد وولى المكتفي على مصر عيسى النوشري وخرج عليه ابراهيم الخليجي من قواد بني طولون يخلف عن محمد بن سليمان فخلفه وكثر جمعه وسار النوشري

الى الاسكندرية عجزا عن مدافعته واستولى الخليجي على مصر وبعث المكتفي بالجنود مع فاتك مولى المعتضد واحمد بن كيغلغ وبدر الحمامي من قواد بني طولون فوصلوا سنة ثلاث وتسعين وتقدم أحمد بن كيغلغ وجماعة من القواد فلقيهم قرب العريش فهزمهم وقوى الامر وبلغ الخبر الى المكتفي فعسكر ظاهر بغداد وانتهى مده الى تكريت فلقيه كتاب فاتك في شعبان يذكر أنهم هزموا الخليجي بعد حروب متصلة وغنموا عسكره ثم هرب واختفى بفسطاط مصر وجاء من دل عليه فأمر المكتفي بحمله ومن معه الى بغداد فبعثوا بهم وحبسوا

(ابتداء دولة بني حمدان)

وفي سنة ثنتين وتسعين عقد المكتفي على الموصل وأعمالها لابي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون العدوي التغلبي فقدمها أول المحرم وجاء الصريخ من نينوى بان الاكراد الهذبانية ومقدمهم محمد بن سلال قد اغاروا على البلاد وعاثوا فخرج في العساكر وعبر الجسر الى الجانب الشرقي ولقيهم على الخازر فقاتلهم وقتل من قواد سليمان الحمداني ورجع عنهم وبعث الى الخليفة يستمده فابطأ عليه المدد الى ربيع من سنة أربع فلما جاءه المدد سار الى الهذبانية وهم مجتمعون في خمسة آلاف بيت فارتحلوا امامه واعتصموا بجبل السلق المشرف على الزاب فحاصرهم وعرفوا حقه فخذله أميرهم محمد بن سلال بالمراسلة في الطاعة والرهن وحث أصحابه خلال ذلك في المسير الى اذربيجان واتبعهم أبو الهيجاء فلحقهم صاعدا الى جبل القنديل فنال منهم وامتنعوا بذروته ورجع أبو الهيجاء عنهم فلحقوا باذربيجان ووفد أبو الهيجاء على المكتفي فانجده بالعسكر وعاد الى الموصل ثم سار الى الاكراد بجبل السلق فدخله وحاصرهم بقنته وطال حصارهم واشتد البرد وعدمت الاقوات وطلب محمد بن سلال النجاة بأهله وولده فنجا واستولى ابن حمدان على أموالهم وأهاليهم وأمنهم ثم استأمن محمد بن سلال فأمنه وحضر عنده وأقام بالموصل وتتابع الاكراد الحميدية مستأمنين واستقام أمر أبي الهيجاء بالموصل ثم انتقض سنة احدى وثلثمائة فبعث اليه المقتدر مونسا الخادم فجاء بنفسه مستأمنا ورجع به الى بغداد فقبله المقتدر وأكرمه وبقي ببغداد الى أن انتقض أخوه الحسين بديار ربيعة سنة ثلاث وثلثمائة وسارت العساكر فجاؤا به أسيرا فحبس المقتدر عند ذلك أبا الهيجاء وأولاده وجمع اخوته بداره ثم أطلقهم سنة خمس وثلثمائة

(أخبار ابن الليث بفارس)

قد تقدم لنا استقلال طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ببلاد فارس وان المكتفي عقد له

عليها سنة تسعين ثم انه تشاغل باللهو والصيد وأعرض عن أمور ملكه ومضى في بعض الايام الى سجستان فوثب على فارس الليث بن علي بن الليث وسبكرى مولى عمرو بن الليث فاستوحش منها بعض قوادهما يعرف بأبي قابوس وفارقهما الى بغداد وأحسن المكتفي اليه ثم كتب اليه طاهر في رد أبي قابوس اليه ويحتسب له ما معه من أموال الجباية فأعرض الخليفة عن ذلك

(الصوائف)

وفي سنة احدى وتسعين خرج الروم الى الثغور في مائة ألف وقصد جماعة منهم الحدث ثم غزا بالصائفة من طرسوس القائد المعروف غلام زرافة ففتح مدينة انطاكية وفتحها عنوة فقتل خمسة آلاف من مقاتلتهم وأسر مثلها واستنقذ من اسرى المسلمين مثلها وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع والرقيق فقسمها مع غنائم انطاكية فكان السهم ألف دينار وفي سنة ثنتين وتسعين أغار الروم على مرعش ونواحيها فخرج أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصيب منهم جماعة فعزل المكتفي أبا العشائر عن الثغور وولى رستم بن بردو فكان على يديه الفداء وفودي ألف من المسلمين ثم أغارت الروم سنة ثلاث وتسعين على موارس من أعمال حلب وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل منهم خلق ودخلها الروم فأحرقوا جامعها وأخذوا من بقي فيها وفي سنة أربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف سبيا واستأمن بطريق من الروم فأسلم ثم عاود ابن كيغلغ الغزو وبلغ سكند وافتتحها وسار الى اللاس فبلغ خمسين ألف رأس وقتل من الروم خلقا ثم استأمن البطريق المتولي الثغور من جهة الروم الى المكتفي وخرج بمائتي أسير من المسلمين وكان ملك الروم قد شعر بأمره وبعث من يقبض عليه فقتل الاسرى المسلمون من جاء للقبض عليه وغنموا عسكرهم واجتمع الروم على محاربة البطريق اندوقس وزحف المسلمون لخلاصه وخلاص من معه من الاسرى فبلغوا قونية وخربوها وانصرف الروم وأمر المسلمون في طريقهم بحصن اندوس فخرج معهم بأهله وسار الى بغداد وفي سنة احدى وتسعين خرج الترك الى ما وراء النهر في خلق لا يحصون فبعث اليهم اسمعيل عسكرا عظيما من الجند والمطوعة فكبسوهم واستباحوهم وفي سنة ثلاث وتسعين فتح اسمعيل مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم

(الولايات بالنواحي)

قد ذكرنا ولايات خاقان المفلحي على الري ثم اسمعيل بن أحمد بن سامان بعده وولاية عيسى النوشري على مصر بعد انتزاعها من بني طولون وولاية أبي العشائر أحمد بن نصر

على طرسوس وعزل مظفر بن حاج عنها سنة تسعين ثم عزل أبى العشائر وولاية رستم ابن بردو سنة ثنتين وتسعين وانتزاع الليث بن على بن الليث بلاد فارس من يد طاهر بن محمد سنة ثلاث وتسعين بعد ان كان المكتفى عقد له عليها سنة تسعين وولاية أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل سنة ثلاث وتسعين وفى هذه السنة ثار داعية القرامطة باليمن الى صنعاء فملكها واستباحها وتغلب على كثير من مدن اليمن وبعث المكتفى المظفر بن الحاج فى شوّال من هذه السنة الى عمله باليمن فأقام به وفى سنة احدى وتسعين توفى الوزير أبو القاسم بن عبيد الله واستوزر مكانه العباس بن الحسن

(وفاة المكتفى وبيعة المقتدر)

ثم توفى المكتفى بالله أبو محمد على بن المعتضد فى شهر جمادى سنة خمس وتسعين لست سنين ونصف من ولايته ودفن بدار محمد بن طاهر من بغداد بعد ان عهد بالامر الى أخيه جعفر وكان الوزير العباس بن الحسن قد استشار أصحابه فيمن يوليه فأشار محمد بن داود ابن الجراح بعبد الله بن المعتز ووصفه بالعقل والرأى والادب وأشار أبو الحسين بن محمد ابن الفرات بجعفر بن المعتضد بعد أن أطال فى مفاوضته وقال له اتق الله ولا تول الامن خبرته ولا تول البخيل فيضيق على الناس فى الارزاق ولا الطماع فيشره الى أموال الناس ولا المتهاون بالدين فلا يجتنب المآثم ولا يطلب الثواب ولا تول من خبر الناس وعاملهم واطلع على أحوالهم فيستكثر على الناس نعمهم وأصلح الموجودين مع ذلك جعفر بن المعتضد قال ويحك وهو صبى فقال وما حاجتنا بمن لا يحتاج الينا ويستبد علينا ثم استشار على بن عيسى فقال اتق الله وانظر من يصلح فمالت نفس الوزير الى جعفر كما أشار ابن الفرات وكما أوصى أخوه فبعث صافيا الحرمى فأتى به من داره بالجانب الغربى ثم خشى عليه غائلة الوزير فتركه فى الحراقة وجاء الى دار الخلافة فأخذ له البيعة على الحاشية ثم جاء به من الحراقة وأقعده على الاريكة وجاء الوزير والقواد فبايعوه ولقب المقتدر بالله وأطلق يد الوزير فى المال وكان خمسة عشر ألف ألف دينار فأخرج منه حق البيعة واستقام الامر

(خلع المقتدر بابن المعتز واعادته)

ولما بويع المقتدر وكان عمره ثلاث عشرة سنة استصغره الناس وأجمع الوزير خلعه والبيعة لابى عبد الله محمد بن المعتز وراسله فى ذلك فأجاب وانتظر قدوم بارس حاجب اسمعيل بن سامان كان قد انتقض الى مولاه وسار عنه فاستأذن فى القدوم الى بغداد وأذن له وقصد الاستعانة به على موالى المعتضد وأبطأ بارس عليه وهلك أبو عبد الله ابن المقتدر خلال ذلك فصرف الوزير وجهه لابى الحسين بن المتوكل فمات فاقر

المقتدر ثم بدا له وأجمع عزله واجتمع لذلك مع القواد والقضاة والكتاب وراسلوا عبد الله ابن المعتز فأجابهم على ان لا يكون قتال فأخبروه باتفاقهم وان لا منازع لهم وكان المتولون لذلك الوزير العباس بن الحسين ومحمد بن داود بن الجراح وأبا المثنى أحمد بن يعقوب القاضى ومن القواد الحسين بن حمدان وبدر الاعجمى ووصيف بن صوارتكين ثم رأى الوزير أمره صالحا مع المقتدر فبدا له فى ذلك فأجمع الآخرون أمرهم واعترضه الحسين بن حمدان وبدر الاعجمى ووصيف فى طريق لبستانه فقتلوه لعشر بقين من ربيع الاوّل سنة ست وتسعين وخلعوا المقتدر من الغد وبايعوا لابن المعتز وكان المقتدر فى الحلبة يلعب الاكرة فلما بلغه قتل الوزير دخل الدار وأغلق الابواب وجاء الحسين بن حمدان الى الحلبة ليفتك به فلم يجده فقدموا وأحضروا ابن المعتز فبايعوه وحضر الناس والقواد وأرباب الدواوين سوى أبى الحسن بن الفرات وخواص المقتدر فلم يحضروا ولقب ابن المعتز المرتضى بالله واستوزر محمد بن داود بن الجراح وقلد على بن موسى الدواوين وبعث الى المقتدر بالخروج من دار الخلافة فطلب الامهال الى الليل وقال مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وعريب الحال وسائر الحاشية لابد ان يبدى عذرا فيما أصابنا وباكر الحسين بن حمدان من الغد دار الخلافة فقاتله الغلمان والخدم من وراء السور وانصرف فلما جاء الليل سار الى الموصل بأهله وأجمع رأى أصحاب المقتدر على قصد ابن المعتز فى داره فتسلحوا وركبوا فى دجلة فلما رآهم أصحاب ابن المعتز اضطربوا وهربوا واتهموا الحسين بن حمدان انه قد واطأ المقتدر عليهم وركب ابن المعتز ووزيره محمد بن داود بن الجراح وخرجوا الى الصحراء ظنا منهم أن الجند الذين بايعوهم يخرجون معهم وانهم يلحقون بسامرا فيمتنعون فلما تفردوا بالصحراء رجعوا الى البلد وتسربوا فى الدور واختفى ابن الجراح فى داره ودخل ابن المعتز ومولاه دار أبى عبد الله ابن الجصاص مستجيرا به وثار العيارون والسفل ينتهبون وفشا القتل وركب ابن عمرويه صاحب الشرطة وكان ممن بايع ابن المعتز فنادى بثار المقتدر مغالطا فقاتله فهرب واستتر وأمر المقتدر مؤنسا الخازن فزحف فى العسكر وقبض على وصيف بن صوارتكين فقتله وقبض على القاضى أبى عمر على بن عيسى والقاضى محمد بن خلف ثم أطلقهم وقبض على القاضى أبى المثنى أحمد بن يعقوب قال له بايع المقتدر قال هو صبى فقتله وبعث المقتدر الى أبى الحسن بن الفرات كان مختفيا فأحضره واستوزره وجاء سوسن خادم ابن الجصاص فأخبر صافيا الحرمى مولى المقتدر بمكانه عندهم فكبست الدار وأخذ ابن المعتز وحبس الى الليل ثم خصيت خصيتاه فمات وسلم الى أهله وأخذ ابن الجصاص وصودر على مال كثير وأخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز وكان مستترا فقتل ونفى على بن عيسى بن على الى واسط واستأذن من ابن الفرات فى المسير الى مكة فسار

اليها على طريق البصرة واقام بها وصودر القاضى أبو عمر على مائة ألف دينار وسارت العساكر فى طلب الحسين بن حمدان الى الموصل فلم يظفروا به وشفع الوزير ابن الفرات فى ابن عمرويه صاحب الشرطة وابراهيم بن كيغلغ وغيرهم وبسط ابن الفرات الاحسان وادرّ الارزاق للعباسيين والطالبين وأرضى القواد بالاموال ففرق معظم ما كان فى بيت المال وبعث المقتدر القاسم بن سيما وجماعة من القواد فى طلب الحسين بن حمدان فبلغوا قرقيسياء الرحبة ولم يظفروا به وكتب المقتدر الى أخيه أبى الهيجاء وهو عامل الموصل بطلبه فسار مع القاسم بن سيما والقواد ولقوه عند تكريت فهزموه وبعث مع اخيه ابراهيم يستأمن فأمنوه وجاؤا به الى بغداد فخلع عليه المقتدر وقلده على قم وقاشان وعزل عنها العباس بن عمر الغنوى فسار اليها الحسين ووصل نارس مولى اسمعيل بن سامان فقلده المقتدر ديار ربيعة

(ابتداء دولة العبيديين من الشيعة بافريقية)

نسبة هؤلاء العبيديين الى أول خلفائهم وهو عبيد الله المهدى بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق ابن محمد المكتوم ابن اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق ولا يلتفت لانكار هذا النسب فكتاب المعتضد الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسلجماسة يغريهم بالقبض عليه لما سار الى المغرب شاهد بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضى فى قوله

ألبس الذل فى بلاد الاعادى * وبمصر الخليفة العلوىّ

من أبوه أبى ومولاه مولا * ى اذا ضامنى البعيد القصىّ

لف عرقى بعرقه سيد النا * س جميعا محمد وعلىّ

وأما المحضر الذى ثبت ببغداد أيام القادر بالقدح فى نسبهم وشهد فيه اعلام الائمة مثل القدورى والصيمرى وأبى العباس الابيوردى وأبى حامد الاسفراينى وأبى الفضل النسوى وأبى جعفر النسفى ومن العلوية المرتضى وابن البطحاوى وابن الازرق وزعيم الشيعة أبو عبد الله بن النعمان فهى شهادة على السماع وكان ذلك متصلا فى دولة العباسية منذ مائتين من السنين فاشيا فى أمصارهم وأعصارهم والشهادة على السماع فى مثله جائزة على أنها شهادة نفى ولا تعارض ما ثبت فى كتاب المعتضد مع أن طبيعة الوجود فى الانقياد لهم وظهور كلمتهم أدل شئ على صدق نسبهم وأما من جعل نسبهم فى اليهودية أو النصرانية لميمون القداح أو غيره فكفاه اثما تعرضه لذلك وأما دعوتهم التى كانوا يدعون لها فقد تقدّم ذكرها فى مذاهب الشيعة من مقدمة الكتاب وانقسمت مذاهب الشيعة مع اتفاقهم على تفضيل علىّ على جميع الصحابة الى الزيدية القائلين بصحة امامة الشيخين مع فضل على ويجوّزون امامة المفضول وهو

مذهب زيد الشهيد وأتباعه والرافضة ويدعون بالامامية المتبرئين من الشيخين باهمالهما وصية النبىّ صلى الله عليه وسلم بخلافة علىّ مع أنّ هذه الوصية لم تنقل من طريق صحيح قال بها أحد من السلف الذين يقتدى بهم وانما هى من أوضاع الرافضة وانقسم الرافضة بعد ذلك الى اثنى عشرية نقلوا الخلافة من جعفر بعد الحسن والحسين وعلى زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم وولده على سلسلة واحدة الى تمام الاثنى عشر وهو محمد المهدى وزعموا أنه دخل سردابا وهم فى انتظاره الى الآن والى الاسماعيلية نقلوا الخلافة من جعفر الصادق الى ابنه اسمعيل ثم ساقوها فى عقبه فنهم من انتهى بها الى عبيد الله هذا المهدى وهم العبيديون ومنهم من ساقها الى يحيى بن عبيد الله بن محمد المكتوم وهؤلاء طائفة من القرامطة وهى من كذباتهم ولا يعرف لمحمد بن اسمعيل ولد اسمه عبيد الله وكان شيعة هؤلاء العبيديين بالمشرق واليمن وافريقية وسار بها الى افريقية رجلان يعرف أحدهما بالحلوانى والآخر بالسفيانى أنفذهما الشيعة الى هنالك وقالوا لهما انّ العرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجىء صاحب البذر وسارا لذلك ونزلا أرض كتامة أحدهما ببلد يسمى سوق حمار وفشت هذه الدعوة منهما فى أهل تلك النواحى من البربر وخصوصا فى كتامة وكانوا يزعمون أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم أوصى الى علىّ بالخلافة بالنصوص الجلية وعدل عنها الصحابة الى غيره فوجب البراءة ممن عدل عنها ثم أوصى علىّ الى ابنه الحسن ثم الحسن الى أخيه الحسين ثم الحسين الى ابنه على زين العابدين ثم زين العابدين الى ابنه محمد الباقر ثم محمد الباقر الى ابنه جعفر الصادق ثم جعفر الصادق الى ابنه اسمعيل الامام الى ابنه محمد ويسمونه المكتوم لانهم كانوا يكتمون اسمه حذرا عليه ثم أوصى محمد المكتوم الى ابنه جعفر المصدق وجعفر المصدق الى ابنه محمد الحبيب ومحمد الحبيب الى ابنه عبيد الله المهدى الذى دعا له أبو عبد الله الشيعى وكانت شيعهم منتشرين فى الارض من اليمن الى الحجاز والبحرين والطرق وخراسان والكوفة والبصرة والطالقان وكان محمد الحبيب ينزل سلمية من أرض حمص وكان عادتهم فى كل ناحية يدعون للرضا من آل محمد ويرومون اظهار الدعوة بحسب ما عليهم وكان الشيعة من النواحى يعملون مكيهم فى أكثر الاوقات لزيارة قبر الحسين ثم يعرجون على سلمية لزيارة الأئمة من ولد اسمعيل وكان باليمن من شيعتهم ثم بعده لأئمة قوم يعرفون ببنى موسى ورجل آخر يعرف بمحمد بن الفضل أصله من جند وجاء محمد الى زيارة الامام محمد الحبيب فبعث معه أصحابه رستم بن الحسين بن حوشب بن داود النجار وهو كوفىّ الاصل وأمره باقامة الدعوة وأنّ المهدىّ خارج فى هذا الوقت فسار الى اليمن ونزل

على بنى موسى وأظهر الدعوة هنالك للمهدى من آل محمد الذى ينعتونه بالنعوت المعروفة عندهم فاتبعه واستولى على كثير من نواحى اليمن وكان أبو عبد الله الحسن ابن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالمحتسب وكان محتسبا بالبصرة وقيل انما المحتسب أخوه أبو العباس المخطوم وأبو عبد الله يعرف بالعلم لانه كان يعرف مذهب الامامية الباطنية قد اتصل بالامام محمد الحبيب وخبر أهليته فأرسله الى أبى حوشب ولزم مجالسته وأفاد علمه ثم بعثه مع الحاج اليمنى الى مكة وبعث معه عبد الله بن أبى ملا فأتى الموسم ولقى به رجالات كتامة مثل حريث الجيلى وموسى بن مكاد فاختلط بهم وعكفوا عليه لما رأوا عنده من العبادة والزهد ووجه اليهم بدرا من ذلك المذهب فاغتبط واغتبطوا وارتحل معهم الى بلدهم ونزل بها منتصف ربيع سنة ثمان وثلاثين وعين لهم مكان منزله بفتح الاحار وأن النص عنده من المهدى بذلك ولجهره المهدى وان أنصاره الاخيار من أهل زمانه وان اسم أنصاره مشتق من الكتمان ولم يعينه واجتمع لمناظرته كثير من أهل كتامة فأبى ثم أطاعوه بعد فتن وحروب واجتمعوا على دعوته وكانوا يسمونه أبا عبد الله المشرقى والشيعى ولما اختلف كتامة عليه واجتمع كثير منهم على قتله قام بنصرته الحسن بن هرون وسار به الى جبل ايكجان وأنزله مدينة تاصروت من بلد زرارة وقاتل من لم يتبعه بمن تبعه حتى استقاموا جميعا على طاعته وبلغ خبره ابراهيم بن أحمد ابن الاغلب عامل افريقية بالقيروان فأرسل الى عامل ميلة يسأله عن أمره فحقره وذكر انه رجل يلبس الخشن ويأمر بالعبادة والخير فأعرض عنه حتى اذا اجتمع لابى عبد الله أمره زحف فى قبائل كتامة الى بلد ميلة فملكها على الامان بعد الحصار فبعث ابراهيم ابن أحمد بن الاغلب ابنه الاحول فى عسكرهم يجاوز عشرين ألفا فهزم كتامة وامتنع أبو عبد الله بجبل ايكجان وأحرق الاحول مدينة تاصروت ومدينة ميلة وعاد الى افريقية وبنى أبو عبد الله بجبل ايكجان مدينة سماها دار الهجرة ثم توفى ابراهيم ابن الاغلب صاحب افريقية وولى ابنه أبو العباس وقتل واستقر الامر لزيادة الله وكان الاحول حمل العساكر لحضوره فاستقدمه زيادة الله وقتله

(وفاة الحبيب وايصاؤه لابنه عبيد الله)

ولما توفى محمد الحبيب وأوصى لابنه عبيد الله وقال له أنت المهدى وتهاجر بعدى هجرة بعيدة وترى محنا شديدة فقام عبيد الله بالامر وانتشرت دعوته وأرسل اليه أبو عبد الله الشيعى رجالا من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم وانهم فى انتظاره وشاع خبره وطلبه المكتفى فهرب هو وولده نزار الذى ولى بعده وتلقب بالقائم وخرج معه خاصته ومواليه

يريد المغرب وانتهى الى مصر وعليها يومئذ عيسى النوشرى فلبس عبيد الله زى التجار يتستر به وجاء كتاب المكتفى للنوشرى بالقبض عليه وفيه صفته وحليته فبعث العيون فى طلبه ونمى الخبر بذلك الى عبيد الله من بعض خواص النوشرى فخرج فى رفقة ورآه النوشرى وأحضره ودعاه للمؤاكلة فاعتذر بالصوم ثم امتحنه فلم تشهد له أحواله بشئ مما ذكر له عنه وقارن ذلك رجوع ابنه أبى القاسم يسأل عن كلب للصيد ضاع له فلما رآه النوشرى وأخبر أنه ولد عبيد الله علم أن هذه الدالة فى طلب الضائع منافية للرقبة والخوف فخلى سبيله وجد المهدى فى السير وكان له كتب من الملاحم ورثها منقولة عن أبيه سرقت من رحله فى تلك الطريق ويقال ان ابنه أبا القاسم لما زحف الى مصر أخذها من بلاد برقة ولما انتهى المهدى وابنه الى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفقة قدم أبا العباس أخا أبى عبد الله الشيعى الى أخيه بكتامة ومر بالقيروان وقد سبق خبرهم الى زيادة الله وهو يسأل عنهم فقبض على أبى العباس وسأله فأنكر فحبسه وكتب الى عامل طرابلس بالقبض على المهدى ففاته وسار الى قسطنطينية فعدل عنها خشية على أبى العباس أخى الشيعى المعتقل بالقيروان وذهب الى سجلماسة وبها الشيع ابن مدرار فأكرمه ثم جاءه كتاب زيادة الله ويقال كتاب المكتفى بأنه المهدى الذى داعيه فى كتامة فحبسه وبعث زيادة الله العساكر الى كتامة مع قريبه ابراهيم بن حبيش وكانوا أربعين ألفا فانتهى الى قسطنطينية فأقام بها وهم متحصنون بجبلهم ستة أشهر ثم زحف اليهم ودافعهم عند مدينة بلزمة فانهزم الى القيروان وكتب أبو عبد الله بالفتح الى المهدى وهو فى محبسه ثم زحف الى مدينة طبنة فحاصرها وملكها بالامان ثم الى مدينة بلزمة فملكها عنوة فبعث زيادة الله العساكر مع هرون الطبنى فانتهوا الى مدينة دار ملول وكانوا قد أطاعوا الشيعى فهدمها هرون وقتل أهلها وسار الى الشيعى فانهزم من غير قتال وقتل وفتح الشيعى مدينة تيجس فزحف زيادة الله فى العساكر سنة خمس وتسعين ونزل الاربس ثم أشار عليه أصحابه بالرجوع الى القيروان ليكون ردأ للعساكر فبعث الجيوش مع ابراهيم بن أبى الاغلب من قرابته ورجع وزحف أبو عبد الله الى باغاية فهرب عاملها وملكها ثم الى مدينة مرماجنة فافتتحها عنوة وقتل عاملها ثم الى مدينة تيفاش فملكها على الامان واستأمن اليه القبائل من كل جهة فأمنهم وسار بنفسه الى مسلباية ثم الى تبسة ثم الى مجانة ففتحها على الامان ثم سار الى القصرين من قودة وأمن أهلها وسار يريد رقادة وبلغ الخبر الى ابراهيم بن أبى الاغلب وهو بالاربس أميرا على الجيش فخشى على زيادة الله برقادة لقلة عسكره وارتحل ذاهبا اليه وسار أبو عبد الله الى قسطنطينية فحاصرها وافتتحها

على الامان ورجع الى باغاية فأنزل بها عسكرا وعاد الى ايكجان فسار ابراهيم بن أبى الاغلب الى باغاية وحاصر أصحاب أبى عبد الله بها فبعث أبو عبد الله عساكره الى مجع العرعار فألفوا ابراهيم قد عاد عنها الى الاربس ثم زحف أبو عبد الله الى ابراهيم سنة ست وتسعين فى مائة ألف مقاتل وبعث من عسكره من يأتى ابراهيم من خلفه وسار اليه فانهزم وأثخن فيهم أبو عبد الله بالقتل والاسر وغنم أموالهم وخيلهم وظهرهم ودخل الاربس فاستباحها ثم سار فنزل قودة وبلغ الخبر الى زيادة الله فهرب الى مصر وافترق أهل مدينة رقادة الى القيروان وسوسة ونهب قصور بنى الاغلب ووصل ابراهيم بن أبى الاغلب الى القيروان فنزل قصر الامارة وجمع الناس ووعدهم الحماية وطلب المساعدة بطاعتهم وأموالهم فاعتذروا وخرجوا الى الناس فأخبروهم فثاروا به وأخرجوه وبلغ أبا عبد الله الشيعى هرب زيادة الله وهو بسبيبة فدخل الى رقادة وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبى خنزير فساروا وأمنوا الناس وخرج أهل القيروان للقاء أبى عبد الله فأكرمهم وأمنهم ودخل رقادة فى رجب سنة ست وتسعين ونزل قصورها وفرق دورها على كتامة ونادى بالامان وتراجع الناس فأخرج العمال وطلب أهل الشر فهربوا وجمع أموال زيادة الله وسلاحه وأمر بحفظها وبحفظ جواريه واستأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين لهم أحدا ونقش على السكة من احد الوجهين بلغت حجة الله ومن الآخر تفرق أعداء الله وعلى السلاح عدة فى سبيل الله ورسم أفخاذ الخيل بالملك لله

(بيعة المهدى بسجلماسة)

ولما ملك أبو عبد الله افريقية لقيه أخوه أبو العباس منطلقا من اعتقاله فاستخلفه عليها وترك معه أبا زاكى تمام بن معارك من قواد كتامة وسار الى المغرب ففرق القبائل من طريقه وخافته زناتة فدخلوا فى طاعته ولما قرب من سجلماسة الى المهدى بحبسه يسأله عن حاله فأنكر ثم سأل ولده كذلك فأنكر وضرب رجاله فأنكروا ونمى الخبر الى أبى عبد الله فخشى عليهم وأرسل الى اليسع يتلطفه فقتل الرسل فأغذ أبو عبد الله السير وحاصره يوما وهرب اليسع من الليل هو وأصحابه وبنو عمه وخرج أهل البلد الى أبى عبد الله فجاء الى مجلس المهدى فأخرجه هو وابنه أبا القاسم وأركبهما ومشى مع رؤساء القبائل بين يديهما وهو يقول هذا مولاكم ويبكى من شدة الفرح ثم أنزله بالمخيم وبعث فى أثر اليسع فجىء به فجلد ثم قتل وأقام بسجلماسة أربعين يوما ورجع الى افريقية ووصل الى رقادة فى ربيع من سنة ست وتسعين وجدد البيعة للمهدى واستولى على ملك بنى الاغلب بافريقية وملك مدرار بسجلماسة ونزل برقادة وتلقب بالمهدى أمير

المؤمنين وبعث دعاته فى الناس فحملوهم على مذهبهم فأجابوا الا قليلا عرض عليهم السيف وقسم الاموال والجوارى فى رجال كتامة وأقطعهم الاموال والاعمال ودوّن الدواوين وجبى الاموال وبعث العمال على البلاد فبعث على صقلية الحسن بن أحمد ابن أبى خنزير فوصل الى مازر فى عيد الاضحى من سنة تسع وتسعين فاستقضى بها اسحق بن المنهال وأجاز البحر سنة ثمان وتسعين الى بسط قلورية فأثخن فيها وعاد وثار به أهل صقلية سنة تسع وتسعين فحبسوه واعتذروا الى المهدى اسوء سيرته فعذرهم وولى عليهم على بن عمر البلوى فوصل اليهم خاتمة السنة المذكورة

(أخبار ابن الليث بفارس)

قد ذكرنا من قبل استيلاء الليث بن على بن الليث وسبكرى مولى عمرو بن الليث على فارس من يد طاهر بن محمد ثم أخرج سبكرى بعد ذلك الليث وانفرد بها وسار اليه طاهر بن محمد بن عمرو فواقعه وانهزم طاهر وأسر سبكرى وأسر أخاه يعقوب وبعث بهما الى المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى وقد آمره على ما يحمله وذلك سنة ست وتسعين ثم سار اليه الليث بن على من سجستان سنة سبع وتسعين فغلبه على فارس وهرب سبكرى الى أرجان وأمده المقتدر بمؤنس الخادم فى العساكر فجاء الى أرجان وجاء الحسين بن حمدان من قم الى البيضاء فى اعانته فسار الليث لاقاته وأضل الطريق الى مسالك صعبة أشرف على عسكر مؤنس وكان سبكرى قد بعث أخاه الى شيراز ليحفظها فلما أشرف على العسكر ظنه عسكر أخيه فثاروا اليه واقتتلوا وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيرا وأشار عليه أصحابه أن يقبض على سبكرى ويطلب من المقتدر ولاية فارس مكانه فوافقهم طاهر ودس اليه فلحق بشيراز وعاد مؤنس الى بغداد بالليث أسيرا والحسين بن حمدان الى عمله بقم ثم ان عبد الرحمن بن جعفر كاتب سبكرى استولى على أمره وحسده أصحابه وأكثروا السعاية فيه عند سبكرى فحبسه واستكتب مكانه اسمعيل بن ابراهيم اليمنى فحمله على العصيان ومنع الحمل ودس عبد الرحمن بن جعفر من محبسه الى الوزير ابن الفرات بذلك فكتب الى مؤنس وهو بواسط يأمره بالعود الى فارس فسار وأرسله سبكرى وأنسه وسأل منه الوساطة فى أمره وشعر ابن الفرات بميل مؤنس الى بغداد وسار محمد بن جعفر فهزم سبكرى على شيراز فخاص الى قم وتحصن بها وحاصره محمد بن جعفر ثم خرج اليه فهزمه ثانية ودخل مغارة خراسان فلقيته عساكر اسمعيل الى بغداد فحبس هنالك واستولى محمد ابن جعفر من القواد على فارس وولى عليها فتيحا خادم الافشين ثم صارت ولايتها البدر ابن عبد الله الحمامى

سنة تسع وتسعين ومائتين قبض حرمه وقامت الهيعة ببغداد ثلاثة أيام ثم سكنت
وذلك لثلاث سنين وثلاثة أشهر من وزارته فاستوزر مكانه أبا على محمد بن يحيى بن عبيد
الله بن يحيى فرتب الامور وولى على الدواوين ثم زاد قرفه لضيق صدره وطيشه
وعدوله عن مذاهب الرياسة الى الوضاعة ومراجعة أصحاب الحاجات والحقوق
الى ما يريدقضاءه منها وكثرة التولية والعزل وتبجح أصحابه عليه فى اطلاق الاموال
وانبساط الجاه بافساد الاحوال واعتزم المقتدر على عزله بأبى الحسين بن أبى
الفضل فاستدعاه من اصبهان ثم قبض عليه وعلى أبى الحسن ببغداد وأهمل رأى
الوزراء وصار يرجع الى قول النساء والخدم فطمع العمال فى الاطراف ثم أخرج ابن
الفرات من محبسه وجعله فى بعض الحجر وأحسن اليه وصار يعرض عليه مطالعات
العمال وأراد أن يستوزره ثم بداله واستدعى على بن عيسى من مكة فاستوزره لاول
سنة احدى وثلثمائة وقبض على الخاقانى وحبسه وعين حرسيا عليه وقام على بن
عيسى بالوزارة وأصلح ما أفسده الخاقانى واستقامت الامور

(قيام أهل صقلية بدعوة المقتدر ثم رجوعهم الى طاعة المهدى)

قد ذكرنا ولاية على بن عمر على صقلية من عبد الله المهدى سنة تسع وتسعين ثم ان أهل
صقلية انتقضوا عليه وولوا عليهم أحمد بن موهب ثم انتقضوا عليه وأرادوا قتله فدعا
الى طاعة المقتدر وخطب له بصقلية وقطع خطبة المهدى وبعث اسطولا الى ناحية
ساحل افريقية فلقوا اسطول المهدى وعليه الحسن بن أبى خنزير فأحرقوه وقتلوا
الحسن ووصلت خلع السواد والولاية لابن موهب من بغداد ثم جاءت أساطيل المهدى
فى البحر وفسد أمر ابن موهب ثم ثارت أهل صقلية به سنة ثلثمائة وأسروه وبعثوا به
الى المهدى مع جماعة من أصحابه فأمرهم بقتلهم على قبر ابن أبى خنزير

(ولاية العهد)

وفى سنة احدى وثلثمائة ولى المقتدر ابنه أبا العباس العهد وهو الذى ولى الخلافة
بعد القاهر وسمى بالراضى فولاه أبوه المقتدر العهد وهو ابن سنين وقلده مصر
والمغرب واستخلف له عليها مؤنسا الخادم وولى ابنه الآخر عليا على الرى ودنباوند
وقزوين وأذربيجان وأبهر

(ظهور الاطروش وملكه خراسان)

كان هذا الاطروش من ولد عمر بن على زين العابدين وهو الحسن بن على بن الحسين

ابن

ابن على بن عمر وكان قد دخل الى الديلم بعد قتل محمد بن زيد ولبث فيهم ثلاث عشرة سنة
يدعوهم الى الاسلام ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ملكهم ابن حسان فأسلم على يديه
منهم خلق كثير وبنى لهم المساجد وزحف بهم الى ثغور المسلمين أراهم مثل قزوين
وسالوس فأطاعوه وهدم حصن سالوس ثم دعاهم الى غزو طبرستان وهى فى طاعة
ابن سامان وكان اسمعيل بن أحمد لما انتقض بها محمد بن هرون وقبض عليه اسمعيل
ولى عليها أبا العباس عبد الله بن محمد بن نوح فأحسن السيرة وأظهر العدل وبالغ
فى الاحسان الى العلوية الذين بها واستمال الديلم بالمهاداة والاحسان فاشتمل
الناس عليه فلما دعاهم الحسن الى غزو طبرستان لم يجيبوه من أجل ابن نوح ثم ان أحمد
ابن اسمعيل عزل ابن نوح عنها وولى عليها سلاما فأساء السيرة ولم يحسن سياسة الديلم
فهاجوا عليه فقاتلهم وهزمهم واستعفى من ولايتها فعاد اليها ابن نوح وصلحت الحال
كما كانت الى أن مات فولى عليها محمد بن ابراهيم بن صعلوك فأساء السيرة وتنكر للديلم
فصادف الحسن منها الغرة ودعاهم الى غزو طبرستان فأجابوه وسار اليه ابن صعلوك
على مرحلة من سالوس بشاطئ البحر فانهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف ولجأ
الباقون الى سالوس فحاصرهم الاطروش حتى استأمنوا ورجع عنهم الى آمد ثم جاء
الحسن بن القاسم العلوى الداعى صهر الاطروش الى أولئك المستأمنين فقتلهم
واستولى الاطروش على طبرستان ولحق ابن صعلوك بالرى سنة احدى وثلثمائة وسار
منها الى بغداد وكان الاطروش زيدى المذهب وجميع الذين أسلموا على يده فيما وراء
اسعيد ولى الى آمد كلهم على مذهب الشيعة ثم ان الاطروش العلوى تنحى عن آمد
الى سالوس بعد أن غلب عليها فبعث اليه صعلوك الرى من قبل ابن سامان جيشا
فهزمهم وعاد الى آمد ثم زحفت اليه عساكر السعيد صاحب خراسان
سنة أربع وثلثمائة فقتلوه وكان هذا الاطروش عادلا حسن السيرة لم ير مثله فى ايامه
وأصابه الصمم من ضربة فى رأسه بالسيف فى الحرب وقال ابن مسكويه فى كتاب
تجارب الامم ويقال فيه الحسن بن على الداعى وليس به وانما الداعى الحسن بن القاسم
صهره وسنذكره فيما بعد وكان له من الولد أبو الحسن وكان قواده من الديلم جماعة
منهم ابن النعمان وكانت له ولاية جرجان وما كان بن كالى وكان على
استراباذ ومعرانم كان من قواد ولده من الديلم جماعة آخرون منهم اسفار بن شيرويه من
أصحاب ما كان بن كالى ومرداويج بن زياد من أصحاب اسفار واسكرى من أصحابه
أيضا وبنو بويه من أصحاب مرداويج وسيأتى الخبر عن جميعهم ان شاء الله تعالى

(غلب المهدى على الاسكندرية ومسير مؤنس الى مصر)

وفى سنة ثنتين وثلثمائة بعث عبيد الله المهدى عساكره من افريقية الى الاسكندرية مع قائده خفاشة الكتابى فغلب عليها وسار الى مصر وبلغ المقتدر فبعث مؤنسا الخادم فى العساكر لمحاربته وأمده بالاموال والسلاح وسار اليهم وقاتلهم فهزمهم بعد وقائع متعددة قتل فيها من الفريقين وبلغ القتل والاسر من المغاربة سبعة آلاف ورجعوا الى المغرب

(انتقاض الحسين على ابن حمدان بديار ربيعة وأسره)

كان الحسين بن حمدان واليا على ديار ربيعة وطالبه الوزير على بن عيسى بالمال فدافعه وأمره بتسليم البلاد الى عمال السلطان فامتنع وكان مؤنس الخادم بمصر فى محاربة عساكر المهدى صاحب افريقية فجهز الوزير الى ابن حمدان رائقا الكبير فى عسكر سنة ثلاث وثلثمائة وكتب الى مؤنس أن يسير الى الجزيرة لقتاله بعد فراغه من أصحاب العلوى بمصر فسار رائق أولا وهزمه الحسين ولحق بمؤنس فأمره بالمقام بالموصل وسار نحو الحسين وتبعه أحمد بن كيغلغ وانتهى الى جزيرة ابن عمر والحسين بأرمينية ورجع الكثير من عسكره الى مؤنس ثم بعث مؤنس عسكرا فى أثره عليهم بليق ومعه سيما الجزرى وجاء الصفوانى واتبعوه فادركوه وقاتلوه فهزموه وجاؤا به أسيرا ومعه ابنه عبد الوهاب وأهله وكثير من أصحابه وعاد مؤنس الى بغداد على الموصل فحبسه المقتدر وأغار على أبى الهيجاء بن حمدان وجميع اخوته وحبسهم ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس وقتل الحسين سنة ست تقريبا كما نذكر ان شاء الله تعالى

(وزارة ابن الفرات الثانية)

كان الوزير أبو الحسن بن الفرات محبوسا كما ذكرنا وكان المقتدر يشاوره ويرجع الى رأيه ويجى بعض أصحاب المقتدر اعادته وبلغ ذلك الوزير على بن عيسى فاستعفى ومنعه المقتدر ثم جاءت فى بعض الايام قهرمانة القصر تناظره فى نفقات الحرم والحاشية وكسوتهم فألفته نائما فلم يوقظه لها أحد فرجعت وشكت الى المقتدر وأمه فقبض عليه فى ذى القعدة من سنة أربع وثلثمائة وأعاد ابن الفرات على أن يحمل الى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار فى كل يوم وقبض على الوزير من قبله على بن عيسى والخاقانى وأصحابهما وصادرهم أبو على بن مقلة وكان مختفيا منذ قبض على ابن الفرات فقدمه الآن واستخلصه

(خبر ابن أبى الساج بأذربيجان)

قد ذكرنا استقرار يوسف بن أبى الساج على ارمينية وأذربيجان منذ مهلك أخيه محمد سنة ثمان وثمانين ومائتين وكان على الحرب والصلاة والاحكام وكان عليه مال يؤديه فلما ولى الخاقانى وعلى بن عيسى الوزارة والتأمت أمور يوسف فى الاستبداد وأخر بعض المال واجتمع له ما يريده فلذلك وبلغته نكبة الوزير على بن عيسى فأظهر ان العهد وصل اليه بولاية الرى على يد على بن عيسى وكان حميد بن صعلوك من قواد ابن سامان قد بعث على الرى وما يليها وقاطع عليها بمال يحمله فسار اليه يوسف سنة أربع وثلثمائة فهرب الى خراسان واستولى يوسف على الرى وقزوين وزنجان وكتب الى الوزير ابن الفرات بالفتح ويعتذر بأنه طرد المتغلبين ويذكر كثرة ما أنفق من ذلك وانه كان بامر الوزير على بن عيسى وعهده اليه بذلك فاستعظم المقتدر ذلك وسئل على ابن عيسى فأنكر وقال سلوا الكتاب والحاشية والعهد واللواء اللذين كان يسيرهما مع بعض القواد والخدام فكتب ابن الفرات بانكير على يوسف وجهز العساكر لحربه مع خاقان المفلحى ومعه أحمد بن مسرور البلخى وسيما الخزرى ونحرير الصغير وساروا سنة خمس وثلثمائة فهزمهم يوسف وأسر منهم جماعة فبعث المقتدر مؤنسا الخادم فى جيش كثيف لمحاربته وعزل خاقان المفلحى عن أعمال الجبل وولاها نحريرا الصغير وسار مؤنس واستأمن له أحمد بن على أخو صعلوك فأمنه وأكرمه وبعث ابن أبى الساج فى المقاطعة على أعمال الرى بسبعمائة ألف دينار سوى أرزاق الجند والخدم فأبى له المقتدر من ذلك عقوبة على ما أقدم عليه وولى على ذلك العمل وصيفا البكتمرى وطلب ابن أبى الساج أن يقاطعه على ما كان بيده قبل الرى من أذربيجان وارمينية فأبى المقتدر الا أن يحضر فى خدمته فلما يئس ابن أبى الساج زحف الى مؤنس وقاتله فانهزم مؤنس الى زنجان وقتل من قواده جماعة وأسر هلال بن بدر وغيره فحبسهم يوسف فى اردبيل وأقام مؤنس بزنجان بجميع العساكر ويستمد من المقتدر وابن أبى الساج يراسله فى الصلح والمقتدر لا يجيب الى ذلك ثم قاتله مؤنس فى فاتح سنة سبع وثلثمائة عند اردبيل فهزمه وأسره وعاد به الى بغداد أسيرا فحبسه المقتدر وولى مؤنس على الرى ودنباوند وقزوين وابهر وزنجان على بن وهشودان وجعل أموالها لرجاله وولى مؤنس على اصبهان وقم وقاشان أحمد بن على بن صعلوك وسار عن أذربيجان فوثب سبك مولى يوسف بن أبى الساج فملكها واجتمع عليه عسكر فولى مؤنس بن محمد بن عبيد الفارقى وسار بمحاربة سبك فانهزم وعاد الى بغداد وتمكن سبك فى أذربيجان وسأل المقاطعة على مائتى ألف وعشرين ألف دينار فى كل سنة فأجيب وعقد له عليها وكان مقيما بقزوين فقتله على مراسة ولحق بلاده فولى المقتدر

وصيفا البكتمري مكانه على أعمال الري وولى محمد بن سليمان صاحب الجيش على الخوارج بها ثم وثب أحمد بن على بن صعلوك صاحب اصبهان وقم على الري فملكها وكتب اليه المقتدر بالتنكير وأن يعود الى قم فعاد ثم أظهر الخلاف وأجمع المسير الى الري وسار وصيف البكتمري لحربه وأمر نحريرا الصغير أن يسير مددا للبكتمري فسبقهم أحمد بن صعلوك الى الري وملكها وقتل محمد بن سليمان صاحب الخوارج وبعث الى نصر الحاجب ليصلح أمره بالمقاطعة على أعمال الري بمائة وستين ألف دينار وينزل عن قم فكتب له بذلك وولى غيره على قم

(خبر سجستان وكرمان)

كانت سجستان قد صارت لابن سامان منذ سنة ثمان وتسعين ومائتين ثم تغلب عليها كثير بن أحمد بن شهفور من يده فكتب المقتدر الى عامل فارس وهو بدر بن عبد الله الحمامي أن يرسل العساكر لمحاربته ويؤمر عليهم دركا ويجعل على الخراج بها زيد ابن ابراهيم فسارت العساكر وحاربوا أهل سجستان فهزموهم وأسروا زيد بن ابراهيم وكتب كثير الى المقتدر بالبراءة من ذلك وطويته أهل سجستان وأرسل المقتدر أن يسير لقتاله بنفسه فخاف كثير وطلب المقاطعة على خمسمائة ألف دينار في كل سنة فأجيب وقررت البلاد عليه وذلك سنة أربع وثلثمائة وانتقض في هذه السنة بكرمان صاحب الخوارج بها أبو زيد خالد بن محمد الماردانى وسار منها الى شيراز يروم التغلب على فارس فسار اليه بدر الحمامي العامل وحاربه فقتله وحمل رأسه الى بغداد

(وزارة حامد بن العباس)

وفى سنة ست وثلثمائة قبض المقتدر على وزيره أبي الحسن بن الفرات بسبب شكوى الجند عطله أرزاقهم واعتذر بضيق الاموال للنفقة في حروب ابن أبي الساج ونقص الارتفاع بخروج الري عن ملكه فشغب الجند وركبوا وطلب ابن الفرات من الخليفة اطلاق مائتي ألف دينار من خاصته يستعين بها فنكر ذلك عليه لانه كان ضمن القيام بارزاق الاحشاد وجميع النفقات المرتبة فاحتج بنقص الارتفاع وبالنفقة في الحرب كما تقدم فلم يقبل ويقال سعى فيه عند المقتدر بأنه يروم ارسال الحسين بن حمدان الى أبي الساج فيحاربه واذا سار عنده اتفقا على المقتدر فقتل المقتدر ابن حمدان وقبض على ابن الفرات في جمادى الآخرة وكان حامد بن العباس على الاعمال بواسط وكان منافرا لابن الفرات وسعى به عنده بزيادة ارتفاعه على ضمانه فخشيه حامد على نفسه وكتب الى نصر الحاجب والى والدة المقتدر سعة نفسه وكثرة أتباعه وذلك

عند استيحاشه من ابن الفرات فاستقدمه من واسط وقبض على ابن الفرات وابنه المحسن وأتباعهما واستوزر حامدا فلم يوف حقوق الوزارة ولا سياستها وتحاشى عليه الدواوين فأطلق المقتدر على بن عيسى وأقامه على الدواوين كالنائب عن حامد فكان يزاحمه واستبد بالامور دونه ولم يبق لحامد أمر عليه فأجابه ابن الفرات بأسفه منه وقال لشفيع اللؤلؤى قل لامير المؤمنين حامد انما حمله على طلب الوزارة أنى طالبته بأكثر من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه فاستشاط حامد وزاد في السفه فأنفذ المقتدر من رد ابن الفرات الى محبسه ثم صودر وضرب ابنه المحسن وأصحابه وأخذت منهم الاموال ثم ان حامدا لما رأى استطالة على بن عيسى عليه وكثرة تحكمه في الوزارة دونه ضمن للمقتدر أعمال الخوارج والضياع الخاصة والمستحدثة والقرارية بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والاهواز واصبهان واستأذنه في الانحدار الى واسط لاستخراج ذلك فانحدر واسم الوزارة له وأقام على بن عيسى يدبر الامور وأظهر حامد في الاموال وبسط المقتدر يده حتى خافه على بن عيسى ثم تحرك السعر ببغداد فشغبت العامة ونهبوا الغلال لان حامدا وغيره من القواد كانوا يخزنون الغلال وأحضر حامد لمنعهم فحضر فقاتلوه وفتقوا السجون ونهبوا دار الشرطة وأنفذ المقتدر غريب الخال في العسكر فسكن الفتنة وعاقب المتصدين للشر وأمر بفتح المخازن التى للحنطة وبيعها فرخص السعر وسكن الى منع الناس من بيع الغلال في البيادر وخزنها فرفع الضمان عن حامد وصرف عماله عن السواد ورد ذلك لعلى بن عيسى وسكن الناس

(وصول ابن المهدى وهو أبو القاسم الى ابنه)

وفى سنة سبع وثلثمائة بعث المهدى صاحب افريقية أبا القاسم في العساكر الى مصر فوصل الى الاسكندرية في ربيع الآخر وملكها ثم سار الى مصر ونزل بالجيزة واستولى على الصعيد وكتب الى أهل مكة في طاعته فلم يجيبوا وبعث المقتدر مؤنسا الخادم الى مصر لمدافعته فكانت بينهم حروب كثر فيها القتلى من الجانبين وكان الظهور لمؤنس ولقب يومئذ بالمظفر ووصل من افريقية اسطول من ثمانين مركبا مددا للقائم وعليهم سليمان الخادم ويعقوب الكتامى وأمر المقتدر بأن يسير اليهم اسطول طرسوس فسار في خمسة وعشرين مركبا وعليهم أبو اليمن ومعهم العدد والانفاط فغلبوا اسطول افريقية وأحرقوا أكثر مراكبه وأسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامى في جماعة قتل أكثرهم وحبس سليمان بمصر وحمل يعقوب الى بغداد ثم هرب وعاد الى افريقية وانقطع المدد عن عسكر المغاربة فوقع الغلاء عندهم وكثر الموتان في الناس والخيل

فارتحلوا راجعين الى بلادهم وسار عساكر مصر فى أثرهم حتى أبعدوا

(بقية خبر ابن أبى الساج)

قد تقدم لنا أن مؤنسا حارب يوسف بن أبى الساج عامل أذربيجان فأسره وحمله الى بغداد فحبس بها واستقر بعده فى عمله سبك مولاه ثم ان مؤنسا شفع فيه سنة عشر فأطلقه المقتدر وخلع عليه ثم عقد له على أذربيجان وعلى الرى وقزوين وأبهر وزنجان على خمسمائة ألف دينار فى كل سنة سوى أرزاق العساكر وسار يوسف الى أذربيجان ومعه وصيف البكترى فى العساكر ومر بالموصل فنظر فى أعمالها وأعمال ديار ربيعة وقد كان المقتدر تقدم اليه بذلك ثم سار الى أذربيجان وقد مات مولاه سبك فاستولى عليها وسار سنة احدى عشرة الى الرى وكان عليها أحمد بن على أخو صعلوك وقد اقتطعها كما قدمنا ثم انتقض على المقتدر وهادن ما كان بن كالى من قواد الديلم القائم بدعوة اولاد الاطروش فى طبرستان وجرجان فلما جاء يوسف الى الرى حاربه أحمد فقتله يوسف وأنفذ رأسه الى بغداد واستولى على الرى فى ذى الحجة وأقام بها مدة ثم سار عنها الى همذان فاتح ثلاث عشرة واستخلف بها مولاه مفلحا وأخرجه أهل الرى عنهم فعاد يوسف اليهم فى جمادى من سنته واستولى عليها ثانية ثم قلده المقتدر سنة أربع عشرة نواحى المشرق وأذن له فى صرف أموالها فى قواده وأجناده وأمره بالمسير الى واسط ثم منها الى هجر لمحاربة أبى طاهر القرمطى فسار يوسف الى طاهر وكان بها مؤنس المظفر فرجع الى بغداد وجعل له أموال الخراج بنواحى همذان وساوة وقم وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وماسبذان لينفقها فى عسكره ويستعين بها على حرب القرامطة ولما سار من الرى كتب المقتدر الى السعيد نصر بن سامان بولاية الرى وأمره بالمسير اليها وأخذها من فاتك مولى يوسف فسار اليها فاتح أربع عشرة فلما انتهى الى جبل قارن منعه أبو نصر الطبرى من العبور وبذل له ثلاثين ألف دينار فترك سبيله وسار الى الرى فملكها من يد فاتك وأقام بها شهرين وولى عليها سيمجور الدوانى وعاد الى بخارى ثم استعمل على الرى محمد بن أبى صعلوك فأقام بها الى شعبان سنة ست عشرة وأصابه مرض وكان الحسن بن القاسم الداعى وما كان بن كالى أميرى الديلم فى تسليم الرى اليهما فقدما وسار عنها ومات فى طريقه واستولى الداعى والديلم عليها

(بقية الخبر عن وزراء المقتدر)

قد تقدم الكلام فى وزارة حامد بن العباس وان على بن عيسى كان مستبدا عليه

فى وزارته وكان كثيرا ما يطرح جانبه ويسىء فى توقعاته على عماله واذا اشتكى اليه أحد من نوابه يوقع على القصة انما عقد الضمان على الحقوق الواجبة فليكف الظلم عن الرعية فأنف حامد من ذلك واستأذن فى المسير الى واسط للنظر فى ضمانه فأذن له ثم كثرت استغاثة الخدم والحاشية من تأخر أرزاقهم وفسادها فان على بن عيسى كان يؤخرها واذا اجتمعت عدة شهور أسقطوا بعضها وكثرت السعاية واستغاث العمال وجميع أصحاب الارزاق بأنه حط من أرزاقهم شهرين من كل سنة فكثرت القنة على حامد وكان المحسن ابن الوزير ابن الفرات متعلقا بمفلح الاسود خالصة الخليفة المقتدر وكان [بياض بالأصل] لابيه وجرى بينه وبين حامد يوما كلام فأساء عليه حامد وحقد له وكتب ابن الفرات الى المقتدر وضمن له أموالا فأطلقه واستوزره وقبض على على بن عيسى وحبسه فى مكانه وذلك سنة احدى عشرة وجاء حامد من واسط فبعث ابن الفرات من يقبض عليه فهرب من طريقه واختفى ببغداد ثم مضى الى نصر ابن الحاجب سرا وسأل ايصاله الى المقتدر وأن يحبسه بدار الخلافة ولا يمكن ابن الفرات منه فاستدعى نصر الحاجب مفلحا الخادم حتى وقفه على أمره وشفع له فى رفع المؤاخذة عما كان منه فضى الى المقتدر وفاوضه بما أحب وأمر المقتدر باسلامه لابن الفرات فحبسه مدة ثم أحضره وأحضر له القضاة والعمال وناظره فيما وصل اليه من الجهات فأقر بنحو ألف ألف دينار وضمنه المحسن بن الفرات بخمسمائة ألف دينار فسلم اليه وعذبه أنواعا من العذاب وبعثه الى واسط ليبيع أمواله هنالك فهلك فى طريقه باسهال أصابه ثم صودر على بن عيسى على ثلثمائة ألف دينار وعذبه المحسن بعد ذلك عليها فلم يستخرج منه شيأ وسيره ابن الفرات أيام عطلته وحبسه بعد أن كان رباه وأحسن اليه فقبض عليه مدة ثم أطلقه وقبض على ابن الجوزى وسلمه الى ابنه المحسن فعذبه ثم بعثه الى الاهواز لاستخراج الاموال فضربه الموكل به حتى مات وقبض أيضا على الحسين ابن أحمد وكان تولى مصر والشأم وعلى محمد بن على الماردانى وصادرهما على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وصادر جماعة من الكتاب سواهم ونكبهم وجاء مؤنس من غزاته فانهى اليه أفعال ابن الفرات وما هو يعتمده من المصادرات والنكايات وتعذيب ابنه للناس فخافه ابن الفرات وخوف المقتدر منه وأشار بسيره الى الشأم ليقيم هنالك بالثغر فبعثه المقتدر وأبعده ثم سعى ابن الفرات بنصر الحاجب وأغرا به وأطمعه فى ماله وكان مكثرا واستجار نصر بأم المقتدر ثم كثر الارجاف بابن الفرات فخاف وأنهى الى المقتدر بأن الناس عادوه لنصحه للسلطان واستيفاء حقوقه وركب هو وابنه المحسن الى المقتدر فأوصلهما اليه وأسهمهما وخرجا من عنده فمنعهما نصر الحاجب ودخل

مفلح على المقتدر وأشار اليه بعزله فأسرّ اليه وفاقه على ذلك وأمر بتخلية سبيلهما
واختفى المحسن من يومه وجاء نازوك وبليق من الغد في جماعة من الجند الى دار ابن
الفرات فاخرجوه حافيا حاسرا وحمل الى مؤنس المظفر ومعه هلال بن بدر ثم سلم الى
شفيع اللؤلؤى فحبس عنده وصودر على ألف ألف دينار وذلك سنة ثنتى عشرة وكان
عبد الله أبو القاسم بن على بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما تغير حال ابن الفرات
سعى فى الوزارة وضمن فى ابن الفرات وأصحابه ألفى ألف دينار على يد مؤنس الخادم
وهرون بن غريب الخال ونصر الحاجب فاستوزره المقتدر على كراهية فيه ومات أبوه
على على وزارته وشفع اليه مؤنس الخادم فى اعادة على بن عيسى من صنعاء فكتب له
فى العود وبمشارفة أعمال مصر والشأم وأقام المحسن بن الفرات مختفيا مدة ثم جاءت
امرأة الى دار المقتدر تنادى بالنصيحة فأحضرها نصر الحاجب فدلت على المحسن
فأحضره نازوك صاحب الشرطة فسلم للوزير وعذب بأنواع العذاب فلم يستخرج منه
شئ فأمر المقتدر بحمله الى أبيه بدار الخلافة وجاء الوزير أبو القاسم الخاقانى الى
مؤنس وهرون ونصر فحذرهم شأن ابن الفرات وغائلته بدار الخلافة وأغراهم به
فوضعوا القواد والجند وقالوا لابد من قتل ابن الفرات وولده ووافق هؤلاء على ذلك
فأمر نازوك بقتلهما فذبحهما وجاء هرون الى الوزير الخاقانى يهنئه بذلك فأغمى عليه
ثم أفاق وأخذ منه ألفى دينار وشفع مؤنس المظفر فى ابنيه عبد الله وأبى نصر فأطلقهما
ووصلهما بعشرين ألف دينار ثم عزل الخاقانى سنة ثلاث عشرة لانه أصابه
المرض وطال به وشغب الجند فى طلب أرزاقهم فوقفت به الاحوال وعزله المقتدر
وولى مكانه أبا العباس الخصيبى وكان كاتبا لامه فقام بالامر وأقر على بن عيسى
على أعمال مصر والشأم فكان يتردد اليهما من مكة ثم ان الخصيبى اضطربت أموره
وضاقت الجباية وكان مدمنا للسكر مهملا للامور ووكل من يقوم عنه فآثروا
مصالحهم وأضاعوا مصلحته وأشار مؤنس المظفر بعزله وولاية ابن عيسى فعزل لسنة
وشهرين واستقدم على بن عيسى من دمشق وأبو القاسم عبد الله بن محمد الكلواذى
بالنيابة عنه الى أن يحضر فحضر أول سنة خمس عشرة واستقل بأمر الوزارة وطلب
كفالات المصادرين والعمال وما ضمن من الاموال بالسواد والاهواز وفارس
والمغرب فاستحضرها شيأ بعد شئ وأدرّ الارزاق وبسط العطاء وأسقط أرزاق المغنين
والمساخرة والندمان والصفاعنة وأسقط من الجند أصاغر الاولاد ومن ليس له سلاح
والهرمى والزمنى وباشر الامور بنفسه واستعمل الكفاة وطلب أبا العباس الخصيبى
فى المناظرة وأحضر له الفقهاء والقضاة والكتاب وسأله عن أموال الخوارج

والنواحى والمصادرات وكفالاتها وما حصل من ذلك وما الواصل والبواقى فقال
لا أعلم فسأله عن المال الذى سلمه لابن أبى الساج كيف سلمه بلا مصرف ولا منفق وكيف
سلم اليه أعمال المشرق وكيف بعثه لبلاد الصحراء بهجر هو وأصحابه من أهل الغلول
والخصب فقال ظننت منهم القدرة على ذلك وامتنع ابن أبى الساج من المنفق فقال
وكيف استجزت ضرب حرم المصادرين فسكت ثم سئل عن الخراج فخلط فقال أنت
غررت أمير المؤمنين من نفسك فهلا استعذرت بعدم المعرفة ثم أعيد الى محبسه واستمر
على بن عيسى فى ولايته ثم اضطربت عليه الاحوال واختلفت الاعمال ونقص
الارتفاع نقصا فاحشا وزادت النفقات وزاد المقتدر تلك الايام فى نفقات الخدم
والحرم ما لا يحصى وعاد الجند من الانبار فزادهم فى أرزاقهم مائتين وأربعين ألف
دينار فلما رأى ذلك على بن عيسى ويئس من انقطاعه أو توقفه وخشى من نصر
الحاجب فقد كان انحرف عنه لميل مؤنس اليه وما بينهما من المنافرة فى الدولة فاستعفى
من الوزارة وألح فى ذلك وسكنه مؤنس فقال له أنت سائر الى الرقة وأخشى على نفسى
بعدك ثم فاوض المقتدر نصرا الحاجب بعد مسير مؤنس فأشار بوزارة أبى على بن مقلة
فاستوزره المقتدر سنة ست عشرة وقبض على على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأقام
ابن مقلة بالوزارة وأعانه فيها أبو عبد الله البريدى لمودة كانت بينهما واستمرت حاله
على ذلك ثم عزله المقتدر ونكبه بعد سنتين وأربعة أشهر حين استوحش من مؤنس
كما نذكره وكان ابن مقلة متهما بالميل اليه فاتفق مغيبه فى بعض الوجوه فقبض عليه
المقتدر فلما جاء مؤنس سأل فى اعادته فلم يجبه المقتدر وأراد قتله فمنعه واستوزر المقتدر
سليمان بن الحسن وأمر على بن عيسى بمشاركته فى الاطلاع على الدواوين وصودر
ابن مقلة على مائتى ألف دينار وأقام سليمان فى وزارته سنة وشهرين وعلى ابن عيسى
يشاركه فى الدواوين وضاقت عليه الاحوال اضاقة شديدة وكثرت المطالبات
ووقفت وظائف السلطان ثم أفرد السواد بالولاية فانقطعت مواد الوزير لانه كان
يقيم من قبله من يشترى توقيعات الارزاق ممن لا يقدر على السعى فى تحصيلها من
العمال والفقهاء وأرباب البيوت فيشتريها بنصف المبلغ فتعرض بعض من كان ينتمى
لمفلح الخادم لتحصيل ذلك للخليفة وتوسط له مفلح فدافع لذلك وجاهر فى تحصيله من
العمال فاختلت الاحوال بذلك وفضح الديوان ودفعت الاحوال لقطع منافع الوزراء
والعمال التى كانوا يرتفقون بها واهمالهم أمور الناس بسبب ذلك وعاد الخلل
على الدولة وتحرك المرشحون للوزارة فى السعاية وضمان القيام بالوظائف وأرزاق
الجند وأشار مؤنس بوزارة أبى القاسم الكلواذى فاستوزره المقتدر فى رجب

من سنة تسع عشرة وأقام فى وزارته شهرين وكان ببغداد رجل من المخرقين يسمى الدانيالى وكان وراقا ذكيا محتالا يكتب الخطوط فى الورق ويداويها حتى تتم بالبلى وقد أودعها ذكر من يراه من أهل الدولة برموز واشارات ويقسم له فيها من حظوظ الملك والجاه والتمكين قسمة من عالم الغيب يوهم أنها من الحدثان القديم المأثور عن دانيال وغيره وأنها من الملاحم المتوارثة عن آبائه ففعل مثل ذلك بمفلح وكتب له فى الاوراق م م م بأن يكون له كذا وكذا وسأله مفلح عن الميم فقال هو كناية عنك لانك مفلح مولى المقتدر وناسب بينه وبين علامات مذكورة فى تلك الاوراق حتى طبقها عليه فشغف به مؤنس وأغناه وكان يداخل الحسين بن القاسم بن عبد الله ابن وهب فرمز اسمه فى كتاب وذكر بعض علاماته المنطبقة عليه وذكر انه يستوزره الخليفة الثامن عشر من بنى العباس وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعادى وتعمر الدنيا فى أيامه وخلط ذلك فى الكتاب بحدثان كثير وقع بعضه ولم يقع الآخر وقرأ الكتاب على مفلح فأعجبه وجاء بالكتاب الى المقتدر فأعجب به الآخر وقال لمفلح من تعلم بهذه القصة فقال لا أراه الا الحسين بن القاسم قال صدقت وانى لاميل اليه وقد كان المقتدر أراد ولايته قبل ابن مقلة وقبل الكلواذى فامتنع مؤنس ثم قال المقتدر لمفلح ان جاءتك رقعة منه بالسعى فى الوزارة فاعرضها على ثم سأل مفلح الدانيالى من أين لك الكتاب قال ورثته من آبائى وهو من ملاحم دانيال فأنهى ذلك الى المقتدر واغتبطوا بالحسين وبلغ الخبر اليه فكتب الى مفلح بالسعى فى الوزارة فعرض كتابه على المقتدر فأمره باصلاح مؤنس واتفق أن الكلواذى عمل حسابا بما يحتاج اليه من النفقات الزائدة على الحاصل فكانت سبعمائة ألف دينار وكتب عليه أهل الديوان خطوطهم وقال ليس لهذه جهة الا ما يطلقه أمير المؤمنين فعظم ذلك على المقتدر وأمر الحسين بن القاسم أن يضمن جميع النفقات وزيادة ألف ألف دينار لبيت المال وعرض كتابه على الكلواذى فاستقال وأذن للكلواذى لشهرين من وزارته وولى الحسين بن القاسم واشترط أن لا يشاركه على بن عيسى فى شئ من أموره واخراجه الصافية واختص به الحسين بن اليزيدى وابن الفرات وماولى واطلع على نقصان الارتفاع وكثرة الانفاق وضاق عليه الامر فتعجل الجباية المستقبلة وصرفها فى الماضية وبلغ ذلك هرون بن غريب الحال فأنهاه الى المقتدر فرتب معه الخصى واطلع على حسابه فألقى له حسبة ليس فيها رمزه فأظهر ذلك للمقتدر وجميع الكتاب واطلعوا عليها وقابلوا الوزير بتصديق الخصى فيما قاله وقبض على الحسين بن القاسم فى شهر ربيع من سنة عشرين لسبعة أشهر من ولايته واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلم اليه

الحسين فلم يؤاخذه باساءته ولم يزل على وزارته

(أخبار القرامطة فى البصرة والكوفة)

كان القرامطة قد استبدت طائفة منهم بالبحرين وعليهم أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى ورث ذلك عن أبيه واقتطعوا ذلك العمل باسره عن الدولة كما يذكر فى أخبار دولتهم عند افرادها بالذكر فقصد أبو طاهر البصرة سنة احدى عشرة وثلثمائة وبها سبط مفلح فكبسها ليلا فى ألفين وسبعمائة وتسنموا الاسوار بالحبال وركب سبك فقتلوه ووضعوا السيف فى الناس فأفحشوا فى القتل وغرق كثير فى الماء وأقام أبو طاهر بها سبعة عشر يوما وحمل ما قدر عليه من الاموال والامتعة والنساء والصبيان وعاد الى هجر وولى المقتدر على البصرة محمد بن عبد الله الفارقى فانحدر اليها بعد انصرافهم عنها ثم سار أبو طاهر القرمطى سنة ثنتى عشرة معترضا للحاج فى رجوعهم من مكة فاعترض أوائلهم ونهبهم وجاء الخبر الى الحاج وهم بعيد وقد فنيت أزوادهم وكان معهم أبو الهيجاء بن حمدان صاحب طريق الكوفة ثم أغار عليهم أبو طاهر فأوقع بهم وأسر أبا الهيجاء أحمد بن بدر من اخوال المقتدر ونهب الامتعة وسبى النساء والصبيان ورجع الى هجر وبقى الحجاج ضاحين فى القفر الى أن هلكوا ورجع كثير من الحرم الى بغداد وأشغبوا واجتمع معهم حرم المنكوبين أيام ابن الفرات فكان ذلك من أسباب نكبته ثم أطلق أبو طاهر الاسرى الذين عنده ابن حمدان وأصحابه وأرسل الى المقتدر يطلب البصرة والاهواز فلم يجبه وسار من هجر لاعتراض الحاج وقد سار بين أيديهم جعفر بن ورقاء الشيبانى فى ألف رجل من قومه وكان صاحب أعمال الكوفة وعلى الحاج ثمل صاحب البحر وجنا الصفوانى وطريف اليشكرى وغيرهم فى ستة آلاف رجل فقاتل جعفر الشيبانى أولا وهزمه ثم اتبع الحاج الى الكوفة فهزم عسكرهم وفتك فيهم وأسر جنا الصفوانى وهرب الباقون وملك الكوفة وأقام بظاهرها ستة أيام يقيم فى المسجد الى الليل ويبيت فى عسكره وحمل ما قدر عليه من الاموال والمتاع ورجع الى هجر ووصل المنهزمون الى بغداد فتقدم المقتدر الى مؤنس بالخروج الى الكوفة فسار اليها بعد خروجهم عنها واستخلف عليها ياقوتا ومضى الى واسط ليمانع أبا طاهر دونها ولم يحج أحد هذه السنة وبعث المقتدر سنة أربع عشرة عن يوسف بن أبى الساج من أذربيجان وسيره الى واسط لحرب أبى طاهر ورجع مؤنس الى بغداد وخرج أبو طاهر سنة خمس عشرة وقصد الكوفة وجاء الخبر الى ابن أبى الساج فخرج من واسط آخر رمضان يسابق أبا طاهر اليها فسبقه أبو طاهر وهرب العمال عنها واستولى على الاتراك والعلوفات التى أعدت بها ووصل

ابن أبى الساج ثامن شوال بعد وصول أبى طاهر بيوم وبعث يدعوه الى الطاعة للمقتدر فقال لا طاعة الا لله فآذنه بالحرب وتزاحفوا يوما الى الليل ثم انهزم أصحاب ابن أبى الساج وأسروا ووكل أبو طاهر طبيبا يعالج جراحته ووصل المنهزمون بغداد فأرجفوا بالهرب وبرز مؤنس المظفر لقصد الكوفة وقد سار القرامطة الى عين التمر فبعث مؤنس من بغداد خمسمائة سرية لتمنعهم من عبور الفرات ثم قصد القرامطة الانبار ونزلوا غربى الفرات وجاؤا بالسفن من الحديثة فأجاز فيها ثلثمائة منهم وقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم واستولوا على مدينة الانبار وجاء الخبر الى بغداد فخرج الحاجب فى العساكر ولحق بمؤنس المظفر واجتمعوا فى نيف وأربعين ألف مقاتل الى عسكر القرامطة ليخلصوا ابن أبى الساج فقاتلهم القرامطة وهزموهم وكان أبو طاهر قد نظر الى ابن أبى الساج وهو يستشرف الى الخلاص وأصحابه يشيرونه فأحضره وقتله وقتل جميع الاسرى من أصحابه وكثر الهرج ببغداد واتخذوا السفن بالانحدار الى واسط ومنهم من نقل متاعه الى حلوان وكان نازوك صاحب الشرطة فأكثر التطواف بالليل والنهار وقتل بعض الدعار فأقصروا عن   ثم سار القرامطة عن الانبار فاتحة سنة ست عشرة ورجع مؤنس الى بغداد وسار أبو طاهر الى الرحبة فملكها واستباحها واستأمن اليه أهل قرقيسيا فأمنهم وبعث السرايا الى الاعراب بالجزيرة فنهبوهم وهربوا بين يديه وقدر اليهم الاتاوة فى كل سنة يحملونها الى هجر ثم سار أبو طاهر الى الرقة وقاتلها ثلاثا وبعث السرايا الى رأس عين وكفرتوثا وسنجار فاستأمنوا اليهم وخرج مؤنس المظفر من بغداد فى العسكر وقصد الرقة فسار أبو طاهر عنها الى الرحبة ووصلها مؤنس وسار القرامطة الى هيت فامتنعت عليهم فساروا الى الكوفة وخرج من بغداد نصر الحاجب وهرون بن غريب وبنى بن قيس فى العساكر اليها ووصلت جند القرامطة الى قصر ابن هبيرة ثم مرض نصر الحاجب واستخلف على عسكره أحمد بن كيغلغ وعاد فمات فى طريقه وولى مكانه على عسكره هرون بن غريب وولى مكانه فى الحجابة ابنه أحمد ثم انصرف القرامطة الى بلادهم ورجع هرون الى بغداد فى شوال من السنة ثم اجتمع بالسواد جماعات من أهل هذا المذهب بواسط وعين التمر وولى كل جماعة عليهم رجلا منهم فولى جماعة واسط حريث بن مسعود وجماعة عين التمر عيسى بن موسى وسار الى   وصرف العمال عن السواد وجبى الخراج وسار حريث الى أعمال الموفق وبنى بها دارا سماها دار الهجرة واستولى على تلك الناحية وكان صاحب الحرب بواسط بنى بن قيس فهزموه فبعث اليه المقتدر هرون ابن غريب فى العساكر والى قرامطة الكوفة صافيا البصرى فهزموهم من كل جانب

بياض بالاصل

وجاؤا

وجاؤا بأعلامهم بيضاء عليها مكتوب ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض الآية وأدخلت الى بغداد منكوسة واضمحل أمر القرامطة بالسواد

(استيلاء القرامطة على مكة وقلعهم الحجر الاسود)

ثم سار أبو طاهر القرمطى سنة تسع عشرة الى مكة وحج بالناس منصور الديلمى فلما كان يوم التروية نهب أبو طاهر أموال الحجاج وفتك فيهم بالقتل حتى فى المسجد والكعبة واقتلع الحجر الاسود وحمله الى هجر وخرج اليه أبو مخلب أمير مكة فى جماعة من الاشراف وسألوه فلم يسعفهم وقاتلوه فقتلهم وقلع باب البيت وأصعد رجلا يقتلع الميزاب فسقط فمات وطرح القتلى فى زمزم ودفن الباقين فى المسجد حيث قتلوا ولم يغسلوا ولا صلى عليهم ولا كفنوا وقسم كسوة البيت على أصحابه ونهب بيوت أهل مكة وبلغ الخبر الى المهدى عبيد الله بافريقية وكانوا يظهرون الدعاء له فكتب اليه بالنكير واللعن ويتهدده على الحجر الاسود فرده وما أمكنه من أموال الناس واعتذر عن بقية ما أخذوه بافتراقه فى الناس

(خلع المقتدر وعوده)

كان من أول الاسباب الداعية لذلك ان فتنة وقعت بين ماجوريه هرون الخال ونازوك صاحب الشرطة فى بعض مذاهب الفواحش فحبس نازوك ماجوريه هرون وجاء أصحابه الى مجلس الشرطة ووثبوا بنائبه واخذوا أصحابهم من الحبس ورفع نازوك الامر الى المقتدر فلم يعد أحدا منهما المكانهما منه فعاد الامر بينهما الى المقاتلة وبعث المقتدر اليهما بالنكير فأقصروا واستوحش هرون وخرج بأصحابه ونزل البستان النجمى وبعث اليه المقتدر يسترضيه فأرجف الناس أن المقتدر جعله أمير الامراء فشق ذلك على أصحاب مؤنس وكان بالرقة فكتبوا اليه فأسرع العود الى بغداد ونزل بالشماسية مستوحشا من المقتدر ولم يلقه وبعث ابنه أبا العباس ووزيره ابن مقلة لتلقيه وايناسه فلم يقبل وتمكنت الوحشة وأسكن المقتدر ابن خاله هرون معه فى داره فازداد نفور مؤنس وجاء أبو العباس بن حمدان من بلاده فى عسكر كبير فنزل عند مؤنس وتردد الامراء بين المقتدر ومؤنس وسار اليه نازوك صاحب الشرطة وجاءه بنى بن قيس وكان المقتدر قد أخذ منه الدينور وأعادها اليه مؤنس واشتمل عليه وجمع المقتدر فى داره هرون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والغلمان الحجرية والرجال المصافية ثم انتقض أصحاب المقتدر وجاؤا الى مؤنس وذلك فى فتح سنة سبع عشرة فكتب مؤنس الى المقتدر بأن الناس ينكرون سرفه فيما أقطع الحرم والخدم

من الاموال والضياع ورجوعه اليهم فى تدبير مملكته يطالبه باخراجهم من الدار واخراج هرون بن غريب معهم وانتزاع مافى أيديهم من الاموال والاملاك فأجاب المقتدر الى ذلك وكتب يستعطفه ويذكره البيعة ويخوفه عاقبة النكث وأخرج هرون الى الثغور الشامية والجزرية فسكن مؤنس ودخل الى بغداد ومعه ابن حمدان ونازوك والناس يرجفون بأنه خلع المقتدر فلما كان عشر محرم من هذه السنة ركب مؤنس الى باب الشماسة وتشاور مع أصحابه قليلا ثم رجعوا الى دار الخليفة بأسرهم وكان المقتدر قد صرف أحمد بن نصر القشورى عن الحجابة وقلدها ياقوتا وكان على حرب فارس فاستخلف مكانه ابنه أبا الفتح المظفر فلما جاء مؤنس الى الدار هرب ابن ياقوت وسائر الحجبة والخدم والوزير وكل من بالدار ودخل مؤنس فأخرج المقتدر وأمه وولده وخواص جواريه فنقلهم الى داره واعتقلهم بها وبلغ الخبر هرون ابن غريب بقطربل فدخل الى بغداد واستتر ومضى ابن حمدان الى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن المعتضد وبايعوه ولقبوه القاهر بالله وأحضروا القاضى أبا عمر المالكى عند المقتدر للشهادة عليه بالخلع وقام ابن حمدان يتأسف له ويبكى ويقول كنت أخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل وآثرت قول الخدم والنساء على قولى ومع هذا فنحن عبيدك وخدمك وأودع كتاب الخلع عند القاضى أبى عمر ولم يظهر عليه أحدا حتى سلمه الى المقتدر بعد عوده فحسن موقع ذلك منه وولاه القضاء ولما تم الخلع عمد مؤنس الى دار الخليفة فنهبها ومضى ابن نفيس الى تربة أم المقتدر فاستخرج من بعض قبورها ستمائة ألف دينار وحملها الى القاهر وأخرج مؤنس على بن عيسى الوزير من الحبس وولى على بن مقلة الوزارة وأضاف الى نازوك الحجابة مع الشرطة وأقطع ابن حمدان حلوان والدينور وهمذان وكرمان والصيمرة ونهاوند وشيراز وماسبذان مضافا الى ما بيده من أعمال طريق خراسان وكان ذلك منتصف المحرم ولما تقلد نازوك الحجابة أمر الرجالة بتقويض خيامهم من الدار وأدالهم ابن جالة من أصحابه فأسفهم بذلك وتقدموا الى خلفاء الحجاب بأن يمنعوا الناس من الدخول الا أصحاب المراتب فاضطربت الحجرية لذلك فلما كان سابع عشر المحرم وهو يوم الاثنين بكر الناس الى الخليفة لحضور الموكب وامتلأت الرحاب وشاطئ دجلة بالناس وجاء الرجالة المصافية شاكى السلاح يطالبون بحق البيعة ورزق سنة وقد بلغ منهم الحنق على نازوك مبالغه وقعد مؤنس عن الحضور ذلك اليوم وزعق الرجالة المصافية فنهى نازوك أصحابه أن يعرضوا لهم فزاد شغبهم وهجموا على الصحن المنيعى ودخل معهم من كان على الشط من العامة بالسلاح والقاهر جالس وعنده على بن مقلة الوزير ونازوك فقال انا نازوك

اخرج اليهم فسكنهم فخرج وهو متحامل من الخمار فتقدم الى الرجالة للشكوى بحالهم ورأى السيوف فى أيديهم فهرب فحدث لهم الطمع فيه وفى الدولة واتبعوه فقتلوه وخادمه عجيفا ونادوا بشعار المقتدر وهرب كل من فى الدار من سائر الطبقات وصلبوا نازوك وعجيفا على شاطئ دجلة ثم ساروا الى دار مؤنس يطلبون المقتدر وأغلق الخادم أبواب دار الخليفة وكانوا كلهم صنائع المقتدر وقصد أبو الهيجاء حمدان الفرات فتعلق به القاهر واستقدم به فقال له اخرج معى الى عشيرتى أقتل دونك فوجد الابواب مغلقة فقال له ابن حمدان قف حتى أعود اليك ونزع ثيابه ولبس بعض الخلقان وجاء الى الباب فوجده مغلقا والناس من ورائه فرجع الى القاهر وتمالأ بعض الخدام على قتله فقاتلهم حتى كشفهم ودخل فى بعض مسارب البستان فجاؤه فخرج اليهم فقتلوه وحملوا رأسه وانتهى الرجالة الى دار مؤنس يطلبون المقتدر فسلمه اليهم وحملوه على رقابهم الى دار الخلافة فلما توسط الصحن المنيعى اطمأن وسأل عن أخيه القاهر وابن حمدان وكتب لهما الامان بخطه وبعث فيهما فقيل له ان ابن حمدان قد قتل فعظم عليه وقال والله ما كان أحد بسيف فى هذه الايام غيره وأحضر القاهر فاستدناه وقبل رأسه وقال له لاذنب لك ولولا قبولك المقهور لكان أولى من القاهر وهو يبكى ويتطارح عليه حتى حلف له على الامان فانبسط وسكن وطيف برأس نازوك وابن حمدان وخرج أبو نفيس هاربا من مكان استتاره الى الموصل ثم الى أرمينية ولحق بالقسطنطينية فتنصر وهرب أبو السرايا أخو أبى الهيجاء الى الموصل وأعاد المقتدر أبا على بن مقلة الى الوزارة وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم وبيع مافى الخزائن بأرخص الاثمان وأذن فى بيع الاملاك لتتمة الاعطيات وأعاد مؤنسا الى محله من تدبير الدولة والتعويل عليه فى أموره ويقال انه كان مقاطعا للمقتدر وانه الذى دس الى المصافية والحجرية بما فعلوه ولذلك قعد عن الحضور الى القاهر ثم ان المقتدر حبس أخاه القاهر عند أمه فبالغت فى الاحسان اليه والتوسعة عليه فى النفقة والسرارى

(أخبار قواد الديلم وتغلبهم على أعمال الخليفة)

قد تقدم لنا الخبر عن الديلم فى غير موضع من الكتاب وخبر افتتاح بلادهم بالجبال والامصار التى تليها مثل طبرستان وجرجان وسارية وآمد واستراباذ وخبر اسلامهم على يد الاطروش وأنه جمعهم وملك بهم بلاد طبرستان سنة احدى وثلثمائة وملك من بعده أولاده والحسن بن القاسم الداعى صهره واستعمل منهم القواد على ثغورها فكان منهم ليلى بن النعمان كانت اليه ولاية جرجان عن الحسن بن القاسم الداعى سنة ثمان وثلاثين وكانت بين بنى سامان وبين بنى الاطروش والحسن بن القاسم الداعى وقواد

الديلم حروب هلك فيها ليلى بن النعمان سنة تسع وثلثمائة لان أمر الخلفاء كان قد انقطع
عن خراسان وولوها لبنى سامان فكانت بسبب ذلك بينهم وبين أهل طبرستان من
الحروب ما أشرنا اليه ثم كانت بعد ذلك حرب مع بنى سامان فولاها من قواد
الديلم شرخاب بن بهبودان وهو ابن عم ما كان بن كالى وصاحب جيش أبى الحسن
الاطروش وقاتله سيمجور صاحب جيش بنى سامان فهزمه وهلك شرخاب وولى ابن
الاطروش ما كان بن كالى على استراباذ فاجتمع اليه الديلم وقدموه على أنفسهم واستولى
على جرجان كما يذكر ذلك كله فى أخبار العلوية وكان من أصحاب ما كان هذا أسفار
ابن شيرويه من قواد الديلم عن ما كان الى قواد بنى سامان فاتصل ببكر بن محمد بن اليسع
بنيسابور وبعثه فى الجنود لافتتاح جرجان وبها أبو الحسن بن كالى نائبا عن أخيه
ما كان وهو بطبرستان فقتل أبو الحسن وقام بأمر جرجان على بن خرشيد ودعا اسفار
ابن شيرويه الى حمايتها من ما كان فزحف اليهم من طبرستان فهزموه وغلبوه عليها
ونصبوا أبا الحسن وعلى بن خرشيد فزحف ما كان الى اسفار وهزمه وغلبه على
طبرستان ورجع الى بكر بن محمد بن اليسع بجرجان ثم توفى بكر سنة خمس عشرة فولى
نصر بن أحمد بن سامان اسفار بن شيرويه مكانه على جرجان وبعث اسفار عن
مرداويج بن زيار الجيلى وقدمه على جيشه وقصدوا طبرستان فملكوها وكان الحسن
ابن القاسم الداعى قد استولى على الرى وأعمالها من يد نصر بن سامان ومعه قائده
ما كان بن كالى فلما غلب اسفار على طبرستان زحف اليه الداعى وقائده ما كان
فانهزما وقتل الداعى ورجع ما كان الى الرى واستولى اسفار بن شيرويه على طبرستان
وجرجان ودعا لنصر بن أحمد بن سامان ونزل سارية واستعمل على آمد هرون بن بهرام
ثم سار اسفار الى الرى فأخذها من يد ما كان بن كالى وسار ما كان الى طبرستان
واستولى اسفار على سائر أعمال الرى وقزوين وزنجان وابهر وقم والكرخ وعظمت
جيوشه وحدثته نفسه بالملك فانتقض على نصر بن سامان صاحب خراسان واعتزم
على حربه وحرب الخليفة وبعث المقتدر هرون بن غريب الخال فى عسكر الى قزوين
فحاربه اسفار وهزمه وقتل كثيرا من أصحابه ثم زحف اليه نصر بن سامان من بخارا
فراسله فى الصلح وضمان أموال الجباية فأجابه وولاه ورجع الى بخارا فعظم أمر
اسفار وكثر عيثه وعسف جنده وكان قائده مرداويج من أكبر قواده قد بعثه اسفار
الى سلار صاحب سميرم والطرم يدعوه الى طاعته فاتفق مع سلار على الوثوب باسفار
وقد باطن فى ذلك جماعة من قواد اسفار ووزيره محمد بن مطرف الجرجانى ونمى الخبر
الى اسفار وثار به الجند فهرب الى بيهق وجاء مرداويج من قزوين الى الرى وكتب

الى ما كان بن كالى يستدعيه من طبرستان ليظاهره على اسفار فقصد ما كان اسفار
فهرب اسفار الى الرى ليتصل بأهله وماله وقد كان أنزلهم بقلعة المرت وركب المفازة
اليها ونمى الخبر الى مرداويج فسار لاعتراضه وقدم بعض قواده أمامه فلحقه القائد
وجاء به الى مرداويج فقتله ورجع الى الرى ثم الى قزوين وتمكن فى الملك وافتتح
البلاد وأخذ همذان والدينور وقم وقاشان واصبهان وأساء السيرة فى أهل اصبهان
وصنع سريرا من ذهب لجلوسه فلما قوى أمره نازع ما كان فى طبرستان فغلبه عليها
ثم سار الى جرجان فملكها وعاد الى اصبهان ظافرا وسار ما كان على الديلم
مستنجدا بأبى الفضل الثائر بها وسار معه الى طبرستان فقاتلهم عاملها من قبل
مرداويج بالقسم بن بانجين وهزمهم ورجع الثائر الى الديلم وسار ما كان الى نيسابور
ثم سار الى الدامغان فصده عنها القسم فعاد الى خراسان وعظم أمر مرداويج
واستولى على بلد الرى والجبل واجتمع اليه الديلم وكثرت جموعه وعظم خرجه فلم
يكف ما فى يده من الاعمال فسما الى التغلب على النواحى فبعث الى همذان الجيوش
مع ابن أخته وكانت بها عساكر الخليفة مع محمد بن خلف فحاربهم وهزمهم وقتل
ابن أخت مرداويج فسار من الرى الى همذان وهرب عسكر الخليفة عنها وملكها
مرداويج عنوة واستباحها ثم أمن بقيتهم وأنفذ المقتدر هرون بن غريب الخال
فى العساكر فلقيه مرداويج وهزمهم واستولى على بلاد الجبل وما وراء همذان وبعث
قائده الى الدينور ففتحها عنوة وانتهت عساكره الى حلوان فقتل وسبى وسار هرون الى
قرقيسيا فأقام بها واستمد المقتدر وكان معه اليشكرى من قواد اسفار وكان قد استأمن
بعد اسفار الى الخليفة وسار فى جملته وجاء مع هرون فى هذه الغزاة الى نهاوند لحمل
المال اليه منها فلما دخلها استمدت عينه الى ثروة أهلها فصادرهم على ثلاثة آلاف ألف
دينار واستخرجها فى مدة اسبوع وجند بها جندا ومضى الى اصبهان وبها يومئذ
ابن كيغلغ قبل استيلاء مرداويج عليها فقاتله أحمد وانهزم وملك اليشكرى
اصبهان ودخل اليها أصحابه وقام بظاهرها وسار أحمد بن كيغلغ فى ثلاثين فارسا الى
بعض قرى اصبهان وركب اليشكرى ليطوف على السور فنظر اليهم فسار نحوهم
فقاتلوه وضربه أحمد بن كيغلغ على رأسه بالسيف فقد المغفر وتجاوزه الى دماغه
فسقط ميتا وقصد أحمد المدينة ففر أصحاب اليشكرى ودخل أحمد الى اصبهان وذلك
قبل استيلاء عسكر مرداويج عليها فاستولى عليها وجدد واله فيها مساكن أحمد
ابن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى وبساتينه وجاء مرداويج فى أربعين أو خمسين ألفا
فنزلها وبعث جمعا الى الاهواز فاستولوا عليها والى خوزستان كذلك وجبى أموالها

رقسم الكثير منها فى أصحابه وادخر الباقى وبعث الى المقتدر يطلب ولاية هذه الاعمال واضافة همذان وماه الكوفة اليها على مائتى ألف دينار فى كل سنة فأجابه وقاطعه وولاه وذلك سنة تسع عشرة ثم دعا مرداويج سنة عشرين أخاه وشكمير من بلاد كيلان فجاء اليه بدويا حافيا عما كان يعانى من أحوال البداوة والتبذل فى المعاش ينكر كل ما يراه من أحوال الترف ورقة العيش ثم صار الى ترف الملك وأحوال الرياسة فرقت حاشيته وعظم ترفهه وأصبح من عظماء الملوك وأعرفهم بالتدبير والسياسة

(ابتداء حال أبى عبد الله البريدى)

كان بداية أمره عاملا على الاهواز وضبط ابن ماكولا هذا الاسم بالموحدة والراء المهملة نسبة الى البريد وضبطه ابن مسكويه بالياء المثناة التحتانية والزاى نسبة الى يزيد بن عبد الله بن المنصور الحميرى كان جده يخدمه ولما ولى على بن عيسى الوزارة واستعمل العمال وكان أبو عبد الله قد ضمن الخاصة بالاهواز وأخوه أبو يوسف على سوق فائق من الاقتصار به وأخوه على هذا فلما وزر أبو على بن مقلة بذل له عشرين ألف دينار على أن يقلده أعمال الافائقة فقلده الاهواز جميعها غير السوس وجنداسابور وقلد أخاه أبا الحسن القرانية وأخاهما أبا يوسف الخاصة والاسافل وضمن المال أبا يوسف السمسار وجعل الحسين بن محمد الماردانى مشرفا على أبى عبد الله فلم يلتفت اليه وكتب اليه الوزير بن مقلة بالقبض على بعض العمال ومصادرته فأخذ منه عشرة آلاف دينار واستأثر بها على الوزير فلما نكب ابن مقلة كتب المقتدر بخطه الى الحاجب أحمد بن نصر القسورى بالقبض على أولاد البريدى وأن لا يطلقهم الا بكتابه فقبض عليهم وجاء أبو عبد الله بكتاب المقتدر بخطه باطلاقهم وظهر تزويره فأحضرهم الى بغداد وصودروا على أربعمائة ألف دينار فأعطوها

(الصوائف أيام المقتدر)

سار مؤنس المظفر سنة ست وتسعين فى العساكر من بغداد الى الفرات ودخل من ناحية ملطية ومعه أبو الاغر السلمى فظفر وغنم وأسر جماعة وفى سنة سبع وتسعين بعث المقتدر أبا القاسم بن سيما للغزو الصائفة سنة ثمان وتسعين وفى سنة تسع وتسعين غزا بالصائفة رستم أمير الثغور ودخل من ناحية طرسوس ومعه دميانة وحاصر حصن مليح الارمنى ففتحه وأحرقه وفى سنة ثلثمائة مات اسكندروس بن لاون ملك الروم وملك بعده ابنه قسطنطين ابن اثنتى عشرة سنة وفى سنة ثنتين وثلثمائة سار على بن عيسى

الوزير

الوزير فى ألف فارس لغزو الصائفة مددا لبشر الخادم عامل طرسوس ولم يتيسر لهم الدخول فى المصيف فدخلوا شاتية فى كلب البرد وشدته وغنموا وسبوا وفى سنة ثنتين وثلثمائة غزا بشر الخادم والى طرسوس بلاد الروم ففتح وغنم وسبى وأسر مائة وخمسين وكان السبى نحوا من ألفى رأس وفى سنة ثلاث وثلثمائة أغارت الروم على ثغور الجزيرة ونهبوا حصن منصور وسبوا أهله بتشاغل عسكر الجزيرة بطلب الحسين ابن حمدان مع مؤنس حتى قبض عليه كما مر وفى هذه السنة خرج الروم الى ناحية طرسوس والفرات فقاتلوا وقتلوا نحوا من ستمائة فارس وجاء مليح الارمنى الى مرعش فعاث فى نواحيها ولم يكن للمسلمين فى هذه السنة صائفة وفى سنة أربع بعدها سار مؤنس المظفر بالصائفة ومر بالموصل فقلد سبكا المفلحى باريدى وقردى من أعمال الفرات وقلد عثمان العبودى مدينة بلد وسنجار ووصيفا البكتمرى باقى بلاد ربيعة وسار الى ملطية فدخل منها وكتب الى أبى القاسم على بن أحمد بن بسطام أن يدخل من طرسوس فى أهلها ففتح مؤنس حصونا كثيرة وغنم وسبى ورجع الى بغداد فأكرمه المعتضد وخلع عليه وفى سنة خمس وثلثمائة وصل رسولان من ملك الروم الى المقتدر فى المهادنة والفداء فتلقيا بالاكرام وجلس لهما الوزير فى الابهة وصف الاجناد بالسلاح العظيم الشان والزينة الكاملة فأديا اليه الرسالة وأدخلهما من الغد على المقتدر وقد احتفل فى الابهة ما شاء فأجابهما الى ما طلب ملكهم وبعث مؤنسا الخادم للفداء وجعله أميرا على كل بلد يدخله الى أن ينصرف وأطلق الارزاق الواسعة لمن سار معه من الجنود وأنفذ معه مائة وعشرين ألف دينار للفدية وفيها غزا الصائفة جنا الصفوانى فغنم وغزا وسير ثمالى الخادم فى الاسطول فغنم وفى السنة بعدها غزا ثمالى فى البحر كذلك وجنا الصفوانى فظفر وفتح وعاد وغزا بشر الافشين بلاد الروم ففتح عدة حصون وغنم وسبى وفى سنة سبع غزا ثمالى فى البحر فلقى مراكب المهدى صاحب افريقية فغلبهم وقتل جماعة منهم وأسر خادما للمهدى وفى سنة عشرة وثلثمائة غزا محمد بن نصر الحاجب من الموصل على قاليقلا فأصاب من الروم وسار أهل طرسوس من ملطية فظفروا واستباحوا وعادوا وفى سنة احدى عشرة غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا ثمالى فى البحر فغنم ألف رأس من السبى وثمانية آلاف من الظهر ومائة ألف من الغنم وشيأ كثيرا من الذهب والفضة وفى سنة ثنتى عشرة جاء رسول ملك الروم بالهدايا ومعه أبو عمر بن عبد الباقى يطلبان الهدنة وتقرير الفداء فأجيبا الى ذلك ثم غدر وا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فأثخنوا ورجعوا وفى سنة أربع عشرة خرجت الروم الى ملطية ونواحيها مع الدمستق ومليح الارمنى صاحب

الدروب وحاصروا ملطية وهربوا الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا وغزا أهل طرسوس
بالصائفة فغنموا ورجعوا وفى سنة خمس عشرة دخلت سرية من طرسوس الى بلاد الروم
فأوقع بهم الروم فقتلوا أربعمائة رجل صبرا وجاء الدمستق فى عساكر من الروم الى
مدينة دبيل وبها نصر السبكى فحاصرها وضيق مخنقها واشتد فى قتالها حتى نقب
سورها ودخل الروم اليها ودفعهم المسلمون فأخرجوهم وقتلوا منهم بعد أن غنموا
مالا يحصى وعاثوا فى أنعامهم فغنموا من الغنم ثلثمائة ألف رأس فأكلوها وكان رجل من
رؤساء الاكراد يعرف بالضحاك فى حصن له يعرف بالجعبرى فتنصر وخدم ملك الروم
فلقيه المسلمون فى سنة الغزاة فأسروه وقتلوا من معه وفى سنة ست عشرة وثلثمائة خرج
الدمستق فى عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب فى جامعها
ورحل الى تدنيس ففعل بها كذلك وهرب أهل أردن الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا
وفيها ظهر أهل ملطية على سبعمائة رجل من الروم والارمن دخلوا بلدهم خفية وقدمهم
مليح الارمنى ليكونوا لهم عونا اذا حاصروها فقتلهم أهل ملطية عن آخرهم وفى سنة
سبع عشرة بعث أهل الثغور الجزرية مثل ملطية وفارقين وآمد وارزا يستمدون
المقتدر فى العساكر والا فيعطوا الاتاوة للروم فلم يمدهم فصالحوا الروم وملكوا
البلاد وفيها دخل مفلح الساجى بلاد الروم وفى سنة عشرين غزا ثمالى بلاد الروم من
طرسوس ولقى الروم فهزمهم وقتل منهم ثلثمائة وأسر ثلاثة آلاف وغنم من الفضة
والذهب شيأ كثيرا وعاد بالصائفة فى سنته فى حشد كثير وبلغ عمورية فهرب عنها
من كان تجمع اليها من الروم ودخلها المسلمون فوجدوا من الامتعة والاطعمة كثيرا
فغنموا وأحرقوا وتوغلوا فى بلاد الروم يقتلون ويكتسحون ويخربون حتى بلغوا
انكورية التى مصرها اهده وعادوا سالمين وبلغت قيمة السبى مائة ألف وستة
وثلاثين ألف دينار وفى هذه السنة راسل ابن الريدانى وغيره من الارمن فى نواحى
ارمينية وحثوا الروم على قصد بلاد الاسلام فساروا وخربوا نواحى خلاط وقتلوا
وأسروا فسار اليهم مفلح غلام يوسف بن أبى الساج من أذربيجان فى جموع من الجند
والمتطوعة فأثخن فى بلاد الروم حتى يقال ان القتلى بلغوا مائة ألف وخرب بلاد
ابن الريدانى ومن وافقه وقتل ونهب ثم جاءت الروم الى سميساط فحصروها وأمدهم
سعيد بن حمدان وكان المقتدر ولاه الموصل وديار ربيعة على أن يسترجع ملطية من
الروم فلما جاء رسول أهل سميساط اليهم فأجفل الروم عنها فسار الى ملطية وبها عساكر
الروم ومليح الارمنى صاحب الثغور الرومية وبنى بن قيس صاحب المقتدر الذى
تنصر فلما أحسوا باقبال سعيد هربوا وتركوها خشية أن يثب بهم أهلها وملكها سعيد

فاستخلف عليها وعاد الى الموصل

(الولايات على النواحى أيام المقتدر)

كان باصبهان عبد الله بن ابراهيم المسمعى عاملا عليها خالف لاول ولاية المقتدر وجمع
من الاكراد عشرة آلاف وأمر المقتدر بدرا الحمامى عامل اصبهان بالمسير اليه فسار اليه
فى خمسة آلاف من الجند وأرسل من يخوفه عاقبة المعصية فراجع الطاعة وسار الى
بغداد واستخلف على اصبهان وكان على اليمن المظفر بن هاج ففتح ما كان غلب عليه
الحرثى باليمن وأخذ الحلبى من أصحابه وكان على الموصل أبو الهيجاء بن حمدان وسار
أخوه الحسين بن حمدان وأوقع باعراب كلب وطى وأسر سنة أربع وتسعين ثم سار
الى الاكراد المتغلبين على نواحى الموصل سنة خمس وتسعين فاستباحهم وهربوا
الى رؤس الجبال وخرج بالحاج فى سنة أربع وتسعين وصيف بن سوارتكين فحصره
أعراب طى بالقتال وأوقعهم فهزمهم ومضى الى وجهه ثم أوقع بهم هنالك الحسن
ابن موسى فأثخن فيهم وكان على فارس سنة ست وتسعين اليشكرى غلام عمرو بن الليث
فلما تغلب وكان على الثغور الشامية أحمد بن كيغلغ فى سنة سبع وتسعين ملك الليث
فارس من يد اليشكرى ثم جاء مؤنس فغلبه وأسره ورجع اليشكرى الى عمله كما مر
فى خبره وفى سنة ست وتسعين وصل ناسر موسى بن سامان وقلد ديار ربيعة وقد مر ذكره
وفيها رجع الحسين بن حمدان من الخلاف وعقد له على قم وقاشان فسار اليها ونزل
عنها العباس بن عمرو الغنوى وفى سنة سبع وتسعين توفى عيسى النوشرى عامل مصر
وولى المقتدر مكانه تكين الخادم وفى سنة ثمان وتسعين توفى منيح خادم الافشين
وهو عامل فارس وكان معه محمد بن جعفر الفريابى فأقام معا وولى على فارس عبد الله
ابن ابراهيم المسمعى وأضيفت اليه كرمان وفيها ولت أم موسى الهاشمية قهرمة
دار المقتدر وكانت تؤدى الرسائل عن المقتدر وأمه الى الوزراء وعن الوزراء اليهما
وفى سنة تسع وتسعين كان على البصرة محمد بن اسحق بن كنداج وجاء اليه القرامطة
فقاتلهم فهربوا وفى سنة ثلثمائة عزل ابراهيم بن عبد الله المسمعى عن فارس وكرمان
ونقل اليها بدر الحمامى عامل اصبهان وولى على اصبهان على بن وهسودان وفيها ولى
بشير الافشين طرسوس وفيها قلد أبو العباس بن المقتدر مصر والمغرب وهو ابن أربع
سنين واستخلف له على مصر مؤنس المظفر وقلد معين الطولونى المعونة بالموصل ثم عزل
واستعمل مكانه نحرير الصغير وفيها خالف ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان بالموصل
فسار اليه مؤنس وجاء به على الامان ثم قلد الموصل سنة ثنتين وثلثمائة فاستخلف عليها
وهو ببغداد ثم خالف أخوه الحسين سنة ثلثمائة وسار اليه مؤنس وجاء به أسيرا فحبس

وقبض المقتدر على أبي الهيجاء واخوته جميعا فحبسوا وفيها ولى الحسين بن محمد
ابن عينونة عامل الخراج والضياع بديار ربيعة بعد وفاة أبيه محمد بن أبى بكر وفى سنة
أربع عزل على بن وهشودان صاحب الحرب باصبهان بمنافرة وقعت بينه وبين أحمد
ابن شاه صاحب الخراج وولى مكانه أحمد بن مسرور البلخى وأقام ابن وهشودان
بنواحى الجبل ثم تغلب يوسف بن أبى الساج عليها كما مر وسار اليه مؤنس سنة سبع
فهزمه وأسره وولى على اصبهان وقم وقاشان وساوة أحمد بن على بن صعلوك وعلى الرى
ودنباوند وقزوين وابهر وزنجان على بن وهشودان استدعاه من الجبل فولاه
ووثب به عمه أحمد بن مسافر صاحب الكرم فقتله بقزوين فاستعمل مكانه على الحرب
وصيفا البكتمرى وعلى الخراج محمد بن سليمان ثم سار أحمد بن صعلوك اليها فقتل محمد
ابن سليمان وطرد وصيفا ثم قاطع على الاعمال بمال معلوم كما مر وكان على أعمال
سجستان كثير بن أحمد مقهور متغلبا عليها فسار اليه أبو الجامى عامل فارس فخافه
كثير وقاطع على البلاد وعقد له عليها وكان على كرمان سنة أربع وثلثمائة أبو زيد خالد
ابن محمد المادرانى فانتقض وسار الى شيراز فقاتله بدر الجامى وقتله وفى هذه السنة
قلد مؤنس المظفر عند مسيره الى الصائفة وانتهائه الى الموصل فولوا على بلد باريدى
وقردى سبكا المفلحى وعلى مدينة بلد وسنجار وباكرى عثمان العبودى صاحب الحرب
بديار مضر فولى مكانه وصيف البكتمرى فعجز عن القيام بها فعزل وولى مكانه جنا
الصفوانى وكان على البصرة فى هذه السنة الحسن بن الخليل تولاها منذ سنين ووقعت
فتن بينه وبين العامة من مضر وربيعة واتصلت وقتل منهم خلق ثم اضطروه الى الالحاق
بواسط فاستعمل عليها أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعى ثم عزل لسنة وولى سبكا المفلحى
نيابة عن شفيع المقتدرى وفى سنة ست وثلثمائة عزل عن الشرطة نزار وجعل فيها نجيح
الطولونى فأقام فى الارباع فقهاء يعمل أهل الشرطة بفتواهم فضعفت الهيبة بذلك
وكثر اللصوص والعيارون وكبست دور التجار واختطفت ثياب الناس وفى سنة سبع
وثلثمائة ولى ابراهيم بن حمدان ديار ربيعة وولى بنى بن قيس بلاد شهرزور وامتنعت عليه
فاستمد المقتدر وحاصرها ثم قلد الحرب بالموصل وأعمالها وكان على الموصل قبله محمد
ابن اسحق بن كنداج وكان قد سار لاصلاح البلاد فوقعت فتنة بالموصل فرجع اليها
فمنعوه الدخول فحاصرهم وعزله المقتدر سنة ثلاث وثلثمائة وولى مكانه عبد الله
ابن محمد الغسانى وفى سنة ثمان وثلثمائة ولى المقتدر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان
على طريق خراسان والدينور وفيها ولى على دقوقا وعكبرا وطريق الموصل بدرا الشرابى
وفى سنة تسع ولى المقتدر على حرب الموصل ومعونتها محمد بن نصر الحاجب فسار اليها

وأوقع بالمخالفين من الاكراد المادرانية وفيها ولى داود بن حمدان على ديار ربيعة
وفى سنة عشر عقد ليوسف بن أبى الساج على الرى وقزوين وابهر وزنجان وأذربيجان
على تقدير العلوية كما مر وفيها قبض المقتدر على أم موسى القهرمانة لانها كانت كثيرة
المال وزوجت بنت أختها من بعض ولد المتوكل كان مرشحا للخلافة وكان محسنا
فلما صاهرته أوسعت فى الشوار واليسار والعرس وسعى بها الى المقتدر انها استخلصت
القواد فقبض عليها وصادرها على أموال عظيمة وجواهر نفيسة وفيها قتل خليفة
نصر بن محمد الحاجب بالموصل قتله العامة فجهز العساكر من بغداد وسار اليها
وفى سنة احدى عشرة ملك يوسف بن أبى الساج الرى من يد أحمد بن على صعلوك وقتله
المقتدر وقد مر خبره وفيها ولى المقتدر بنى بن قيس على حرب اصبهان وولى محمد بن بدر
المعتضدى على فارس مكان ابنه بدر عند ما هلك وفى سنة اثنتى عشرة ولى على اصبهان
يحيى الطولونى وعلى المعاون والحرب بنهاوند سعيد بن حمدان وفيها توفى محمد بن نصر
الحاجب صاحب الموصل وتوفى شفيع اللؤلؤى صاحب البريد فولى مكانه شفيع
المقتدرى وفى سنة ثلاث عشرة فتح ابراهيم المسمعى عامل فارس ناحية القفص من
حدود كرمان وأسر منهم خمسة آلاف وكان فى هذه السنة ولى على الموصل أبا الهيجاء
عبد الله بن حمدان وابنه ناصر الدولة خليفة فيها فأفسد الاكراد والعرب بأرض
الموصل وطريق خراسان وكانت اليه فكتب اليه ابنه ناصر الدولة سنة أربع عشرة
بالانحدار الى تكريت للقائه فجاءه فى الحشد وأوقع بالعرب والاكراد الجلالية وحسم
علتهم وفيها قلد المقتدر يوسف بن أبى الساج أعمال الشرق وعزله عن أذربيجان
وولاه واسط وأمده بالسير اليها لحرب القرامطة وأقطعه همذان وساوة وقم وقاشان
وماه البصرة وماه الكوفة وماسبذان للنفقة فى الحرب وجعل على الرى من أعماله
نصر بن سامان فوليها وصار من عماله كما مر وفيها ولى أعمال الجزيرة والضياع
بالموصل أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وأضيف اليه باريدى وقردى وما اليهما
وفيها قتل ابن أبى الساج كما مر وفى سنة خمس عشرة مات ابراهيم المسمعى بالنوبندجان
وولى المقتدر على مكانه ياقوت وعلى كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد وفى سنة ست
عشرة عزل أحمد بن نصر القسورى عن حجبة الخليفة ووليها ياقوت وهو على الحرب
بفارس واستخلف عليها ابنه أبا الفتح المظفر وفيها ولى على الموصل وأعمالها يونس
المؤنسى وكان على الحرب بالموصل ابن عبد الله بن حمدان وهو ناصر الدولة فغضب
وعاد الى الخلافة وقتل فى تلك الفتنة نازوك وأقر على أعمال قردى وباريدى التى كانت
بيد أبى الهيجاء ابنه ناصر الدولة الحسن وعلى أعمال الموصل نحريرا الصغير

ثم ولي عليها سعيد ونصر ابنى حمدان وهما أخوا أبي الهيجاء وولى ناصر الدولة على ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين وميافارقين من ديار بكر وأرزن على مقاطعة معلومة وفي سنة ثمان عشرة صرف ابن رائق عن الشرطة وولها أبو بكر محمد بن ياقوت عن الحجبة وقلد أعمال فارس وكرمان وقلد ابنه المظفر اصبهان وابنه أبا بكر محمدا سجستان وجعل مكان ياقوت وولده في الحجبة والشرطة ابراهيم ومحمدا ابنا رائق فأقام ياقوت بشيراز وكان علي بن خلف ابن طيان على الخوارج فتعاقدا على قطع الحمل عن المقتدر الى أن ملك علي بن بويه بلاد فارس سنة ثلاث وعشرين وفي هذه السنة غلب مرداويج على اصبهان وهمذان والري وحلوان وقاطع عليها بمال معلوم وصارت في ولايته

(استيحاش مؤنس من المقتدر الثانية ومسيره الى الموصل)

كان الحسين بن القاسم بن عبد الله بن وهب وزير المقتدر وكان مؤنس منحرفا عنه قبل الوزارة حتى أصلح بليق حاله عند مؤنس فوزر واختص به بنو البريدي وابن الفرات ثم بلغ مؤنسا أن الحسين قد واطأ جماعة من القواد في التدبير عليه فتنكر له مؤنس وضاقت الدنيا على الحسين وبلغه ان مؤنسا يكبسه فانتقل الى دار الخلافة وكتب الحسين الى هرون بن غريب الخال يستقدمه وكان مقيما بدير العاقول بعد انهزامه من مرداويج وكتب الى محمد بن ياقوت يستقدمه من الاهواز فاستوحش مؤنس ثم جمع الحسين الرجال والغلمان الحجرية في دار الخلافة وأنفق فيهم فعظمت نفرة مؤنس وقدم هرون من الاهواز فخرج مؤنس مغاضبا للمقتدر وقصد الموصل وكتب الحسين الى القواد الذين معه بالرجوع فرجع منهم جماعة وسار مؤنس في أصحابه ومواليه ومعه من الساجية ثمانمائة من رجالهم وتقدم الوزير بقبض أملاكه وأملاك من معه واقطاعهم فحصل منه مال كثير واغتبط المقتدر به لذلك ولقبه عميد الدولة ورسم اسمه في السكة وأطلق يده في الولاية والعزل فولى على البصرة وأعمالها أبا يوسف يعقوب بن محمد البريدي على مبلغ ضمنه وكتب الى سعيد وداود ابني حمدان وابن أخيهما ناصر الدولة الحسين بن عبد الله بمحاربة مؤنس فاجتمعوا على حربه الا داود فانه توقف لاحسان مؤنس اليه وتربيته اياه ثم غلبوا عليه فوافقهم على حربه وجمع مؤنس في طريقه رؤساء العرب وأوهمهم أن الخليفة ولاه الموصل وديار ربيعة فنفر معه بعضهم واجتمع له من العسكر ثمانمائة وزحف اليه بنو حمدان في ثلاثين ألفا فهزمهم وملك مؤنس الموصل في صفر من سنة عشرين وجاءته العساكر من بغداد والشام ومصر رغبة في احسانه وعاد ناصر الدولة بن حمدان الى خدمته

وأقام معه بالموصل ولحق سعيد ببغداد

(مقتل المقتدر وبيعة القاهر)

ولما ملك مؤنس الموصل أقام بها تسعة واجتمعت العساكر فانحدر الى بغداد لقتال المقتدر وبعث المقتدر الجنود مع أبي بكر محمد بن ياقوت وسعيد بن حمدان فرجع عنهم العسكر الى بغداد ورجعوا وجاء مؤنس فنزل بباب الشماسية والقواد قبالته وندب المقتدر ابن خاله هرون بن غريب الى الخوارج لقتاله فاعتذر ثم خرج وطالبوا المقتدر بالمال لنفقات الجند فاعتذر وأراد أن ينحدر الى واسط ويستدعي العساكر من البصرة والاهواز وفارس وكرمان فرده ابن ياقوت عن ذلك وأخرجه للحرب وبين يديه الفقهاء والقواد والمصاحف مشهورة وعليه البردة والناس يحدقون به فانهزم أصحابه ولقيه علي بن بليق من أصحاب مؤنس فعظمه وأشار عليه بالرجوع ولحقه قوم من المغاربة والبربر فقتلوه وحملوا رأسه وتركوه بالعراء فدفن هنالك ويقال ان علي بن بليق أشار اليهم بقتله ولما رأى مؤنس ذلك ندم وسقط في يده وقال والله لنقتلن جميعا وتقدم الى الشماسية وبعث من يحتاط على دار الخلافة وكان ذلك لخمس وعشرين سنة من خلافة المقتدر فاتسع الخرق وطمع أهل الناحية في الاستبداد وكان مهملا لامور خلافته محكما للنساء والخدم في دولته مبذرا لامواله ولما قتل لحق ابنه عبد الواحد بالمدائن ومعه هرون بن غريب الخال ومحمد بن ياقوت وابراهيم بن رائق ثم اعتزم مؤنس على البيعة لولده أبي العباس وكان صغيرا فعذله وزيره أبو يعقوب اسمعيل النوبختي في ولاية صغير في حجر أمه وأشار بأخيه أبي منصور محمد بن المعتضد فأجاب مؤنس الى ذلك على كره وأحضر وبويع آخر شوال من سنة عشرين ولقبوه القاهر بالله واستحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق وابنه علي واستقدم أبا علي بن مقلة من فارس فاستوزره واستحجب علي بن بليق ثم قبض على أم المقتدر وضربها على الاموال فحلفت فأمرها بحل أوقافها فامتنعت فأحضر هو القضاة وأشهد بحل أوقافها ووكل في بيعها فاشتراها الجند من أرزاقهم وصادر جميع حاشية المقتدر واشتد في البحث عن ولده وكبس عليهم المنازل الى أن ظفر بأبي العباس الراضي وجماعة من اخوته وصادرهم وسلمهم علي بن بليق الى كاتبه الحسين بن هرون فأحسن صحبتهم وقبض الوزير ابن مقلة على البريدي واخوته وأصحابه وصادرهم على جملة من المال

(خبر ابن المقتدر وأصحابه)

قد ذكرنا ان عبد الواحد بن المقتدر لحق بعد مقتل أبيه بالمدائن ومعه هرون بن غريب

الحال ومفلح ومحمد بن ياقوت وابن رائق ثم انحدروا منها الى واسط وأقاموا بها وخشيهم القاهر على أمره واستأمن هرون بن غريب على أن يبذل ثلثمائة ألف دينار وتطلق له أملاكه فأمنه القاهر ومؤنس وكتب له بذلك وعقد له على أعمال ماه الكوفة وماسبذان ومهروبان وسار الى بغداد وسار عبد الواحد بن المقتدر فيمن معه من واسط ثم الى السوس وسوق الاهواز وطردوا العمال وجبوا الاموال وبعث مؤنس اليهم بليقا فى العساكر وبذل أبو عبد الله البريدى فى ولاية الاهواز خمسين ألف دينار فأنفقت فى العساكر وسار معهم وانتهوا الى واسط ثم الى السوس فجاز عبد الواحد ومن معه من الاهواز الى تستر ثم فارقه جميع القوّاد واستأمنوا الى بليق الا ابن ياقوت ومفلحا ومسرورا الخادم وكان محمد بن ياقوت مستبدا على جميعهم فى الاموال والتصرّف فنفروا لذلك واستأمنوا لانفسهم ولابن المقتدر الى بليق فأمنهم بعد أن استأمنوا محمد بن ياقوت وأذن لهم ثم استأمن هو على بليق الى أمان القاهر ومؤنس وساروا الى بغداد جميعهم فوفى لهم القاهر وأطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لامه المصادرة التى صادرها واستولى أبو عبد الله البريدى على أعمال فارس وأعاد اخوته الى أعمالهم

(مقتل مؤنس وبليق وابنه)

لما رجع محمد بن ياقوت من الاهواز واستخلصه القاهر واختصه لخلواته وشوراه وكانت بينه وبين الوزير ابن على بن مقلة عداوة فاستوحش لذلك ودس الى مؤنس ان محمد بن ياقوت يسعى به عند القاهر وان عيسى الطبيب سفيره فى ذلك فبعث مؤنس على بن بليق لاحضار عيسى وتقدم على بن بليق بالاحتياط على القاهر فوكل به أحمد ابن زيرك وضيق على القاهر وكشف وجوه النساء المختلفات الى القصر خشية ايصالهم الرقاع الى القاهر حتى كشفت أوانى الطعام ونقل بليق المحابيس من دار الخلافة الى داره وفيهم أم المقتدر فأكرمها على بن بليق وأنزلها عند أمه فماتت فى جمادى من سنة احدى وعشرين وعلم القاهر أن ذلك من مؤنس وابن مقلة فشرع فى التدبير عليهم وكان طريف السبكرى ونشرى من خدم مؤنس قد استوحشا من مؤنس لتقدم بليق وابنه عليهما وكان اعتماد مؤنس على الساجية وقد جاؤا معه من الموصل ولم يوف لهم فاستوحشوا لذلك فداخلهم القاهر جميعا وأغراهم بمؤنس وبليق وبعث الى أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وكان مختصا بابن مقلة وصاحب رأيه فوعده بالوزارة فكان يطالعه بالاخبار وشعر ابن مقلة بذلك فأبلغوا الى مؤنس وبليق وأجمعوا على خلع

القاهر واتفق بليق وابنه على وابن مقلة والحسن بن هرون على البيعة لابى أحمد بن المكتفى فبايعوه وحلفوا له وأطلعوا مؤنسا على ذلك فأشار بالمهل وتأنيس القاهر حتى يعرفوا من واطأه من القوّاد والساجية (١) والحجرية فأبوا وهوّنوا عليه الامر فى استعجال خلعه فأذن لهم فأشاعوا أن أبا طاهر القرمطى ورد الكوفة وندبوا على بن بليق للمسير اليه ليدخل للوداع ويقبض على القاهر وابن مقلة كان نائما فلما استيقظ أعاد الكتاب الى القاهر فاستراب ثم جاءه طريف السبكرى غلام مؤنس فى زى امرأة مستنصحا فأحضره وأطلعه على تدبيرهم وبيعتهم لابى أحمد بن المكتفى فأخذ القاهر حذره وأكمن الساجية فى دهاليز القصر وممرّاته وجاء على بن بليق فى نفر من أصحابه واستأذن فلم يؤذن له وكان ذا خمار فغضب وأفحش فى القول فأخرج الساجية فى السلاح وشتموه وردّوه وفرّ عنه أصحابه وألقى بنفسه فى الطيار وعبر الى الجانب الغربى واختفى الوزير ابن مقلة والحسن بن هرون وركب طريف الى دار القاهر فأنكر بليق ماجرى لابنه وشتم الساجية وقال لابدّ أن أستعدى الخليفة عليهم وجاء الى القاهر ومعه قواد مؤنس فلم يأذن له وقبض عليه وحبسه وعلى أحمد بن زيرك صاحب الشرطة وجاء العسكر منكرين لذلك فاسترضاهم ووعدهم بالزيادة وباطلاق هؤلاء المحبوسين فافترقوا وبعث الى مؤنس بالحضور عنده ليطالعه برأيه فأبى فعزله وولى طريف السبكرى مكانه وأعطاه خاتمه وقال قد فوضت الى ابنى عبد الصمد ما كان المقتدر فوّضه الى ابنه محمد وقلدتك خلافته ورياسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال كما كان مؤنس وأمضى اليه وأحمله الى دار الخلافة مرفها عليه لئلا يجتمع اليه أهل الشر ويفسد ما بيننا وبينه فسار طريف الى مؤنس وأخبره بأمان القاهر له ولاصحابه وحمله على الحضور عنده وهوّن عليه أمره وأن القاهر لا يقدر على مكروهه فركب وحضر فقبض عليه القاهر وحبسه قبل أن يراه وندم طريف على ما فعل واستوحش واستوزر القاهر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ووكل بدور مؤنس وبليق وابنه على وابن مقلة وابن زيرك وابن هرون ونقل ما فيها وأحرقت دار ابن مقلة وجاء محمد بن ياقوت وقام بالحجبة فتنكر له طريف السبكرى والساجية فاختفى ولحق بابنه بفارس وكتب اليه القاهر بالعتب على ذلك وولاه الاهواز وكان الذى دعا طريفا السبكرى الى الانحراف عن مؤنس وبليق أن مؤنسا رفع رتبة بليق وابنه عليه بعد ان كانا يخدمانه فأهملا جانبه ثم اعتزم بليق على أن يوليه مصر وفاوض فى ذلك الوزير ابن مقلة فوافق عليه ثم أراد على بن بليق عمل مصر لنفسه ومنع من ارسال طريف فتربص بهم وأما الساجية فكانوا مع مؤنس بالموصل وكان يعدهم ويمنيهم ولما

(١) الساجة فرقة من عسكر الخلافة مسماة بهذا الاسم على ما هو اصطلاح الملوك فى تلقيب كل جماعة من العسكر تمييزا لهم عما عداهم اهـ من خط الشيخ العطار

ولى القاهر واستبدّ بأمره لم يف لهم وكان من أعيانهم الخادم صندل وكان له بدار القاهر خادم اسمه مؤتمن باعه واتصل بالقاهر قبل الخلافة فاستخلفه فلما شرع فى التدبير على مؤنس وبليق بعث مؤنس هذا الى صندل يحث اليه تقدعه ويدخله فى أمر القاهر وازالة الحجر عنه فقصد الى صندل وزوجته وتلطف ووصف القاهر بما شاء من محاسن الاخلاق وحمل زوجته على الدخول الى دار القاهر حتى شافهها بما أراد ابلاغه الى صندل وداخل صندل فى ذلك سيما من قوّاد الساجية واتفقوا على مداخلة طريف السبكرى فى ذلك لعلمهم باستيحاشه من مؤنس فأجابهم على شريطة الابقاء على مؤنس وبليق وابنه وأن لا يزال مؤنس من مرتبته وتحالفوا على ذلك من الجانبين وطلب طريف عهد القاهر بخطه فكتب وزاد فيه أنه يصلي بالناس ويخطب لهم ويحج بهم ويغزو معهم ويتنذ لكشف المظالم وغير ذلك من حسن السيرة وكان جماعة من الحجرية قد ابعدهم ابن بليق وأدال منهم بأصحابه فداخلهم طريف فى أمر القاهر فأجابوه ونمى الخبر بذلك الى ابن مقلة والى بليق وأرادوا القبض على قوّاد الساجية والحجرية ثم خشوا الفتنة ودبروا على القاهر فلم يصلوا اليه لاحتجابه عنهم بالمرض فوضعوا أخبار القرامطة كما قدمناه ولما قبض القاهر على مؤنس ولى الحجابة سلامة الطولونى وعلى الشرطة أحمد بن خاقان واستوزر أباجعفر محمد بن القاسم بن عبد الله مكان ابن مقلة وأمر بالنداء على المستترين والوعيد لمن أخفى وطلب أبا أحمد بن المكتفى فظفر به وبنى عليه حائطاً فمات ثم ظفر بعلى فقتله ثم شغب الجند فى شعبان ومعهم أصحاب مؤنس وثاروا ونادوا بشعاره وطلبوا اطلاقه وأحرقوا روشن دار الوزير أبى جعفر فعمد القاهر الى بليق فى محبسه وأمر به فذبح وحمل الرأسين الى مؤنس فلما رآهما مؤنس استرجع ولعن قاتلهما فأمر به فذبح وطيف بالرؤس ثم أودعت بالخزانة وقيل ان قتل على بن بليق تاخر عن قتل أبيه ومؤنس لانه كان مختفيا فلما ظفر به بعدهما قتله ثم بعث القاهر الى أبى يعقوب اسحق بن اسمعيل النوبختى فأخذ من مجلس الوزير محمد بن القاسم وحبسه وارتاب الناس من شدة القاهر وندم الساجية والحجرية على مداخلته فى ذلك الامر ثم قبض القاهر على وزيره أبى جعفر وأولاده وأخيه عبد الله وخدمه لثلاثة أشهر ونصف من ولايته ومات لثمان عشرة ليلة من حبسه واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبى ثم استبد القاهر على طريف السبكرى واستخف به لخفافه وتنكر ثم أحضره بعد أن قبض على الوزير أبى جعفر فقبض عليه وأودعه السجن الى أن خلع القاهر

(ابتداء دولة بنى بويه)

كان أبوهم أبو شجاع بويه من رجالات الديلم وكان له أولاد على والحسن وأحمد فعلى أبو الحسن عماد الدولة والحسن أبو على ركن الدولة وأحمد أبو الحسن معز الدولة ونسبهم ابن ماكولا فى الساسانية الى بهرام جور بن يزدجرد وابن مسكويه الى يزدجرد بن شهريار وهو نسب مدخول لان الرياسة على قوم لا تكون فى غير أهل بلدهم كما ذكرنا فى مقدمة الكتاب ولما أسلم الديلم على يد الاطروش وملك بهم طبرستان وجرجان وكان من قواده ماكان بن كالى وليلى بن النعمان واسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار وكانوا ملوكا عظاما وازدحموا فى طبرستان فساروا والملك الارض عند اختلاط الدولة العباسية وضعفها وقصدوا الاستيلاء على الاعمال والاطراف وكان بنو بويه من جملة قوّاد ماكان بن كالى فلما وقع بينه وبين مرداويج من الفتنة والخلاف ما تقدم وغلبه مرداويج على طبرستان وجرجان عادوا الى مرداويج لتخف عنه مؤنتهم على أن يرجعوا اليه اذا صلح أمره فساروا الى مرداويج فقبلهم وأكرمهم واستأمن اليه جماعة من قوّاد ماكان فقتلهم وأولادهم وولى على بن بويه على الكرج وكان أكبر اخوته وسار جميعهم الى الرى وعليها وشمكير بن وزيار أخو مرداويج ومعه وزيره الحسين ابن محمد الملقب بالعميد فاتصل به على بن بويه وأهدى اليه بغلة كانت عنده ومتاعا وندم مرداويج على ولاية هؤلاء المستأمنة من قوّاد ماكان فكتب الى أخيه وشمكير بالقبض على الباقين وأراد أن يبعث فى اثر على بن بويه فخشى الفتنة وتركه ولما وصل على بن بويه الى الكرج استقام أمره وفتح قلاعا للخرمية ظفر منها بذخائر كثيرة واستمال الرجال وعظم أمره وأحبه الناس ومرداويج يومئذ بطبرستان ثم عاد الى الرى وأطلق مالا لجماعة من القوّاد على الكرج فوصلوا الى على بن بويه فأحسن اليهم واستمالهم وبعث اليهم مرداويج فدافعه فندم على اطلاقهم وبعث فيهم مرداويج أمراء الكرج فاستأمن اليه شيرزاد من أعيان قوّاد الديلم فقويت نفسه وسار الى اصبهان وبها المظفر بن ياقوت على الحرب فى عشرة آلاف مقاتل وأبو على بن رستم على الخوارج فأرسل على بن بويه يستعطفهما فى الانحياز الى طاعة الخليفة وخدمته والمسير الى الحضرة فلم يجيباه وكان أبو على أشد كراهة له فمات تلك الايام وسار ابن ياقوت ثلاثة فراسخ عن اصبهان وكان فى أصحابه جيل وديلم واستأمنوا الى ابن بويه ثم اقتتلوا فانهزم ابن ياقوت واستولى على بن بويه على اصبهان وهو عماد الدولة وكان عسكره نحوا من تسعمائة وعسكر ابن ياقوت نحوا من عشرة آلاف وبلغ ذلك القاهر فاستعظمه وبلغ مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده وبعث الى عماد الدولة يخادعه يطلب الطاعة منه ليطمئن للرسالة ويخالفه أخوه وشمكير فى

العساكر وشعر ابن بويه بذلك فرحل عن اصبهان وقصد ارجان وبها أبو بكر بن ياقوت فانهزم أبو بكر من غير قتال ولحق برامهرمز واستولى ابن بويه على ارجان وخالفه وشمكير أخو مرداويج الى اصبهان فملكها وأرسل القاهر الى مرداويج بأن يسلم اصبهان لمحمد ابن ياقوت ففعل وكتب أبو طالب يستدعيه ويهوّن عليه أمر ابن ياقوت ويغريه به فخشي ابن بويه من كثرة عساكر ياقوت وأمواله وأن يحصل بينه وبين ابنه تأهبات فتوقف فأعاد عليه أبو طالب وأراه أن مرداويج طلب الصلح من ابن ياقوت وخوفه اجتماعهما عليه فسار ابن بويه الى أرجان في ربيع سنة احدى وعشرين ولقيتهم هنالك مقدمة ابن ياقوت فانهزمت فزحف ابن ياقوت اليهم وبعث عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فجبى أموالها ولقي عسكر ابن ياقوت هنالك فهزمهم ورجع الى أخيه وخشي عماد الدولة من اتفاق مرداويج مع ابن ياقوت فسار الى اصطخر واتبعه ابن ياقوت وشيعه الى قنطرة بطريق كرمان اضطروا الى الحرب عليها فتزاحفوا هنالك واستأمن بعض قواده الى ابن ياقوت فقتلهم فاستأمن أصحابه وانهزم ابن ياقوت واتبعه ابن بويه واستباح معسكره وذلك في جمادى سنة ثنتين وعشرين وأبلى أخوه معز الدولة أحمد في ذلك اليوم بلاء حسنا ولحق ابن ياقوت بواسط وسار عماد الدولة الى شيراز فملكها وأمن الناس واستولى على بلاد فارس وطلب الجند أرزاقهم فعجز عنها وعثر على صناديق من مخلف ابن ياقوت وذخائر بني الصفار فيها خمسمائة ألف دينار فامتلأت خزائنه وثبت ملكه واستقر ابن ياقوت بواسط وكاتبه أبو عبد الله اليزيدي حتى قتل مرداويج عاد الى الاهواز ووصل عسكر مكرم وكانت عساكر ابن بويه سبقته فالتقوا بنواحي ارجان وانهزم ابن ياقوت فأرسل أبو عبد الله اليزيدي في الصلح فأجابه ابن بويه واستقر ابن ياقوت بالاهواز ومعه ابن اليزيدي وابن بويه ببلاد فارس ثم زحف مرداويج الى الاهواز وملكها من يد ابن ياقوت ورجع الى واسط وكتب الى الراضي وكان بعد القاهر كما نذكره والى وزيره أبي علي بن مقلة بالطاعة والمقاطعة فيما بيده من البلاد بأعمال فارس على ألف ألف درهم فأجيب الى ذلك وبعث اليه باللواء والخلع وعظم شأنه في فارس وبلغ مرداويج شأنه فخاف غائلته وكان أخوه وشمكير قد رجع الى اصبهان بعد خلع القاهر وصرف محمد بن ياقوت عنها فسار اليها مرداويج للتدبير على عماد الدولة وبعث أخاه وشمكير على الري وأعمالها

(خلع القاهر وبيعة الراضي)

ولما قتل القاهر مؤنسا وأصحابه أقام يتطلب الوزير أبا علي بن مقلة والحسن بن هرون وهما مستتران وكانا يراسلان قواد الساجية والحجرية ويغريانهم بالقاهر فانهم غزوه

قوله وعثر على صناديق ذكر صاحب كتاب الفرج بعد الشدة حكاية غريبة في ذلك ملخصها أن الجند ضايقوه بطلب المال فنام في دار الامارة مستلقيا على قفاه مفكرا فرأى حية دخلت في السقف فاستدعى بعض الخدم ليكشف الحقيقة فرأى تلك الصناديق وعثر أيضا على مال كان وديعة وله حكاية أيضا في ذلك الكتاب اه من خط الشيخ العطار

كما فعل بأصحابه قبلهم وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ويراسلهم ويجيء اليهم متنكرا ويغريهم ووضعوا على سيما أن منجما أخبره أنه ينكب القاهر ويقتله ودسوا الى معبر كان عنده أموالا على أن يحذره من القاهر فنفروا واستوحش وحفر القاهر مطامير في داره فقيل لسيما والقواد انما صنعت لكم فازدادوا نفرة وكان سيما رئيس الساجية فارتاب بالقاهر وجمع أصحابه وأعطاهم السلاح وبعث الى الحجرية فجمعهم عنده وتحالفوا على خلع القاهر وزحفوا الى الدور وهجموا عليه فقام من النوم ووجد الابواب مشحونة بالرجال فهرب الى السطح ودلهم عليه خادم فجاؤه واستدعوه للنزول فأبى فتهددوه بالرشق بالسهام فنزل وجاؤا به الى محبس طريف السبكري فحبسوه مكانه وأطلقوه حتى سمل بعد ذلك وذلك لسنة ونصف من خلافته وهرب الخصيبي وزيره وسلامة حاجبه وقد قيل في خلعه غير هذا وهو أن القاهر لما تمكن من الخلافة اشتد على الساجية والحجرية واستهان بهم فتشاكوا ثم خافه حاجبه سلامة لانه كان يطالبه بالاموال ووزيره الخصيبي كذلك وحفر المطامير في داره فارتابوا به كما ذكرنا وأسر جماعة من القرامطة فحبسهم بتلك المطامير وأراد أن يستظهر بهم على الحجرية والساجية فتنكروا ذلك وقالوا فيه للوزير وللحاجب فأخرجهم من الدار وسلمهم لمحمد ابن ياقوت صاحب الشرطة وأوصاه اليهم فازداد الساجية والحجرية ريبة ثم تنكر لهم القاهر وصار يعلن بذمهم وكراهتهم فاجتمعوا لخلعه كما ذكرنا ولما قبض القاهر بعثوا عن أبي العباس بن المقتدر وكان محبوسا مع أمه فأخرجوه وبايعوه في جمادى سنة ثنتين وعشرين وبايعه القواد والناس وأحضر علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن وصدر عن رأيهما وأراد علي بن عيسى على الوزارة فامتنع واعتذر بالكبر وأشار بابن مقلة فأمنه واستوزره وبعث القضاة الى القاهر ليخلع نفسه فأبى فسمل وأمن ابن مقلة الخصيبي وولاه وولى الفضل بن جعفر بن الفرات نائبا عنه عن أعمال الموصل وقردى وبازبدى وماردين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشامية وأجناد الشأم وديار مصر يعزل ويولي من يراه في الخراج والمعادن والنفقات والبريد وغير ذلك وولى الراضي على الشرطة بدرا الخرشني وأرسل الى محمد بن رائق يستدعيه وكان قد استولى على الاهواز ودفع عنها ابن ياقوت من تلك الولاية الى السوس وجنديسابور وقد ولي على أصبهان وهو يروم المسير اليها فلما ولي الراضي استدعاه للحجابة فسار الى واسط وطلب محمد بن ياقوت الحجابة فأجيب اليها فسار في اثر ابن رائق وبلغ ابن رائق الخبر فسار من واسط مسابقا لابن ياقوت بالمدائن توقيع الراضي بالحرب والمعادن في واسط مضافا الى ما بيده من البصرة والمعادن فعاد منحدرا في

دجلة ولقيه ابن ياقوت مصعدا ودخل بغداد وولى الحجبة وصارت اليه رياسة الجيش ونظر فى أمر الدواوين وأمرهم بحضور مجلسه وأن لا ينفذوا توقيعا فى ولاية أو عزل أو اطلاق الا بخطه وصار نظر الوزير فى الحقيقة له وابن مقلة مكابر مجلسه مع جملتهم ومتميز عنهم فى الايثار والمجلس فقط

(مقتل هرون)

كان هرون بن غريب الخال على ماه الكوفة والدينور وماسبذان وسائر الاعمال التى ولاها القاهر اياه فلما خلع القاهر واستخلف الراضى رأى هرون أنه أحق بالدولة من غيره لانه ابن خال المقتدر فكاتب القواد ووعدهم وسار من الدينور الى خانقين وشكا ابن مقلة وابن ياقوت والحجرية والساجية الى الراضى فأذن لهم فى منعه فراسلوه أولا بالممانعة والزيادة على ما فى يده من الاعمال فلم يلتفت اليهم وشرع فى الجباية فقويت شوكته فسار اليه محمد بن ياقوت فى العساكر وهرب عنه بعض أصحابه الى هرون وكتب الى هرون يستميله فلم يجب وقال لا بد من دخول بغداد ثم تزاحفوا لست بقين من جمادى الآخرة سنة ثنتين وعشرين فانهزم أولا أصحاب ابن ياقوت ونهب سوادهم وسار محمد حتى قطع قنطرة تبريز وسار هرون منفردا لاعتراضه فدخل فى بعض المياه وسقط عن فرسه ولحقه غلام لمحمد بن ياقوت فقطع رأسه وانهزم أصحابه وقتل قواده وأسر بعضهم ورجع ابن ياقوت الى بغداد ظافرا

(نكبة ابن ياقوت)

قد ذكرنا أنه كان نظر فى أمر الدواوين وصير ابن مقلة كالعاطل فسعى به عند القاضى واوهمه خلافه حتى أجمع القبض عليه فى جمادى سنة ثلاث وعشرين فجلس الخليفة على عادته وحضر الوزير وسائر الناس على طبقاتهم يريد تقليد جماعة من القواد للاعمال واستدعى ابن ياقوت للخدمة فى الحجبة على عادته فبادر وعدل به الى حجرة فحبس فيها به وبخاره وبعث الوزير ابن مقلة الى دار محمد من يحفظها من النهب وأطلق يده فى أمور الدولة واستبد بها وكان ياقوت مقيما بواسط فلما بلغه القبض على ابنه انحدر الى فارس لمحاربة ابن بويه وكتب يستعطف الراضى ويسأله ابقاء ابنه ليساعداه على شأنه ولم يزل محمد محبوسا الى أن هلك سنة أربع عشرة فى محبسه

(خبر البريدى)

كان أبو عبد الله البريدى أيام ابن ياقوت ضامنا للاهواز فلما استولى عليها مرداويح وانهزم ابن ياقوت كما مر رجع البريدى الى البصرة وصار يتصرف فى أسافل الاهواز مع

كنانة ياقوت ثم سار الى ياقوت فأقام معه بواسط فلما قبض على ابن ياقوت وكتب ابن مقلة اليه والى ياقوت يعتذر عن قبض ابن ياقوت ويأمرهما بالمسير لفتح فارس فسار ياقوت على السوس والبريدى على طريق الماء حتى انتهيا الى الاهواز وكان الى أخويه أبى الحسن وأبى يوسف ضمان السوس وجندى سابور وادعيا ان دخل البلاد أخذه مرداويح وبعث ابن مقلة ثانيا لتحقق ذلك فوافاهم وكتب بصدقهم فاستولى ابن البريدى ما بين ذلك على أربعة آلاف ألف دينار ثم أشار أبو عبد الله بن على بن ياقوت بالمسير لفتح فارس وأقام هو لجباية الاموال فحصل منها بغيته وسار ياقوت فلقيه ابن بويه على ارجان فهزمه وسار الى عسكر مكرم واتبعه ابن بويه الى رامهرمز وأقام بها الى أن اصطلحا

(مقتل ياقوت)

قد تقدم لنا انهزام ياقوت من فارس أمام عماد الدولة ابن بويه الى عسكر مكرم واستيلاء ابن بويه على فارس وكان أبو عبد الله البريدى بالاهواز ضامنا كما تقدم وكان مع ذلك كاتبا لياقوت وكان ياقوت يستنيم اليه ويثق به وكان مغفلا ضعيف السياسة فخادعه أبو عبد الله البريدى وأشار عليه بالمقام بعسكر مكرم وأن يبعث اليه بعض جنده الواصلين من بغداد تخفيفا للمؤنة وتحذيرا من شغبهم وبعث اليه أخاه بذلك أبا يوسف ودفع له من مال الاهواز خمسين ألف دينار ثم قطع عنه فضاق الحال عليه وعلى جنده وكان قد نزع اليه من أصحاب ابن بويه طاهر الجل وكاتبه أبو جعفر الصهيرى ثم انصرف عنه اضيق حاله الى غربى تستر ليتغلب على ماه البصرة فكبسه ابن بويه وغنم معسكره واسر الصهيرى فشفع فيه وزيره وأطلقه فلحق بكرمان واتصل بعد ذلك بمعز الدولة ابن بويه واستكتبه ولما انصرف طاهر عن ياقوت كتب الى البريدى يشكو ضعفه واستطالة أصحابه فأشار عليه بارسالهم الى الاهواز متعرفين لقومهم فلما وصلوا اليه انتقى خيارهم ورد الباقين وأحسن الى من عنده وبعث ياقوت اليه فى طلب المعز فلم يبعث اليه فجاءه بنفسه فتلقاه وترجل اليه وقبل يده وأنزله بداره وقام فى خدمته أحسن مقام ووضع الجند على الباب يشغبون ويرومون قتله فأشار اليه بالنجاة فعاد الى عسكر مكرم فكتب اليه يحذره اتباعهم وأن عسكر مكرم على ثمانية فراسخ من الاهواز وأرى ان تتأخر بتستر فتحصن بها وكتب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار وعذله خادمه مؤنس فى شأن ابن البريدى وأراه خديعته وأشار عليه باللحاق ببغداد وأنه شيخ الحجرية وقد كاتبوك فسر الى رياسة بغداد والا فتعاجل الى البريدى وتخرجه عن الاهواز فصم عن نصيحته وأبى من قبول السعاية فيه وتسايل أصحابه الى ابن البريدى

حتى لم يبق معه الا نحو الثمانمائة وجاءه ابنه المظفر ناجيا من حبس الراضي بعد أسبوع فأطلقه وبعثه الى أبيه فأشار عليه بالمسير الى بغداد فان حصل على ما يريد والا فالى الموصل وديار ربيعة ويتملكها فأبى عليه أبوه ففارقه الى ابن البريدى فأكرمه ووكل به ثم حذر ابن البريدى غائلة ياقوت فبعث اليه بان الخليفة أمره بازعاجه من البلاد اما الى بغداد واما الى بلاد الجبل ليوليه بعض أعمالها فكتب يستمهله فأبى من المهلة وبعث العساكر من الاهواز وسار ياقوت الى عسكر مكرم ليكبس ابن البريدى هنالك فصبح البلد ولم يجده وجاءت عساكر ابن البريدى مع قائد أبي جعفر الجمال فقاتله من أمامه وأكمن آخرين من خلفه فانهزم وافترق أصحابه وحسا الى حائط متنكرا فمر به قوم ابن البريدى فكشفوا عن وجهه وعرفوه فقتلوه وحملوا رأسه الى العسكر فدفنه الجمال وبعث البريدى الى تستر فحمل ما كان لياقوت هنالك وقبض على ابنه المظفر وبعثه الى بغداد واستبد بتلك الاعمال وذلك سنة أربع وعشرين

(مسير ابن مقلة الى الموصل واستقرارها لابن حمدان)

كان ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان عاملا على الموصل فجاء عمه أبو العلاء سعيد فضمن الموصل وديار ربيعة سرا وسار اليها فاظهر أنه في طلب المال من ابن أخيه وشعر ناصر الدولة بذلك فخرج لتلقيه فخالفه الى بيته فبعث من قبله واهتم الراضي بذلك وأمر الوزير أبا علي بن مقلة بالمسير الى الموصل فسار في العساكر من شعبان سنة ثلاث وعشرين فرحل عنها ناصر الدولة ودخل الزوزان واتبعه الوزير الى جبل السن ثم عاد عنها الى الموصل وأقام في جبايتها وبعث ناصر الدولة الى بغداد بعشرة آلاف دينار لابن الوزير ليستحث أباه في القدوم فكتب اليه بما أزعجه فسار من الموصل واستخلف عليها علي بن خلف بن طباب وماترد الديلمي من الساجية ودخل بغداد منتصف شوال وجمع ناصر الدولة ولقي ماترد الديلمي على نصيبين فهزمه الى الرقة وانحدر منها الى بغداد ولحقه ابن طباب واستولى ناصر الدولة بن حمدان على الموصل وكتب في الرضا وضمان البلاد فأجيب وتعذرت عليه

(نكبة ابن مقلة وخبر الوزارة)

كان الوزير بن مقلة قد بعث سنة ثلاث وعشرين الى محمد بن رائق بواسط يطالبه بارتفاع أعمال واسط والبصرة وكان قد قطع الحمل فلما جاءه كتاب ابن مقلة كتب اليه جوابه يغالطه وكتب الى الراضي بالسعي في الوزارة وأنه يقوم بنفقات الدار وأرزاق الجند فجهز الوزير ابنه سنة أربع وعشرين لقصده وورى بالاهواز وأنفذ رسوله الى ابن رائق بهذه التورية يؤنسه بها وباكر القصر لانفاذ الرسول فقبض عليه المظفر بن

ياقوت والحجرية وكان المظفر قد أطلق من محبسه وأعيد الى الحجبة فاستحسن الراضي فعلهم واختفى أبو الحسين ابن الوزير وسائر أولاده وحرمه وأصحابه وأشار الى الحجرية والساجية بوزارة علي بن عيسى فامتنع وسار بأخيه عبد الرحمن فاستوزره الراضي وصادر ابن مقلة ثم عجز عن تمشية الامور وضاقت عليه الجباية فاستعفى من الوزارة فقبض عليه الراضي وعلى أخيه على ثلاثة أشهر من وزارته واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي فصادر علي بن عيسى على مائة ألف دينار ثم عجز عن الوزارة وضاقت الاموال وانقطعت وطمع أهل الاعمال فيما بأيديهم فقطع ابن رائق حمل واسط والبصرة وقطع ابن البريدى حمل الاهواز وأعمالها وانقطع حمل فارس لغلب ابن بويه عليها ولم يبق غير هذه الاعمال ونطاق الدولة قد تضايق الى الغاية وأهل الدولة مستبدون على الخلافة والاحوال متلاشية فتحير أبو جعفر وكثرت عليه المطالبات وذهبت هيبته فاختفى لثلاثة أشهر ونصف من وزارته واستوزر الراضي مكانه أبا القاسم سليمان ابن الحسن فكان حاله مثل حال من قبله في قلة المال ووقوف الحال

(استيلاء ابن رائق على الخليفة)

ولما رأى الراضي وقوف الحال من الوزراء استدعى أبا بكر محمد بن رائق من واسط وكاتبه بأنه قد أجابه الى ما عرض من السعي في الوزارة على القيام بالنفقات وأرزاق الجند فسر ابن رائق بذلك وشرع يتجهز للمسير ثم أنفذ اليه الراضي بالساجية وقلده امارة الجيش وجعله أمير الامراء وفوض اليه الخراج والدواوين والمعادن في جميع البلاد وأمر بالخطبة له على المنابر وانحدر اليه الدواوين والكتاب والحجاب وللحاجم الساجية قبض عليهم بواسط في ذي الحجة من سنة أربع وعشرين ونهب رحالهم ودوابهم ومتاعهم ليوفر أرزاقهم على الحجرية فاستوحشوا لذلك وخيموا بدار الخلافة وأصعد ابن رائق الى بغداد وفوض الخليفة اليه وأمر الحجرية بتقويض خيامهم والرجوع الى منازلهم وأبطل الدواوين وصير النظر اليه فلم يكن الوزير ينظر في شئ من الاموال وبقي ابن رائق وكتابه ينظرون في جميع الامور فبطلت الدواوين وبيوت الاموال من يومئذ وصارت لامير الامراء والاموال تحمل الى خزانته ويتصرف فيها كما يريد ويطلب من الخليفة ما يريد وتغلب أصحاب الاطراف وزال عنهم الطاعة ولم يبق للخليفة الا بغداد وأعمالها وابن رائق مستبد عليه وأما باقي الاعمال فكانت البصرة في يد ابن رائق وخوزستان والاهواز في يد ابن البريدى وفارس في يد عماد الدولة ابن بويه وكرمان في يد علي بن الياس والرى واصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بويه ووشمكير أخو مرداويج ينازعه في هذه الاعمال والموصل وديار بكر ومضر

وربيعة فى يد حمدان ومصر والشأم فى يد ابن طغج والمغرب وافريقية فى يد العبيديين والاندلس فى يد عبد الرحمن بن الناصر من ولد عبد الرحمن الداخل وما وراء النهر فى يد بنى سامان وطبرستان فى يد الديلم والبحرين واليمامة فى يد أبى الطاهر القرمطى ولم يبق لنا من الاخبار الا ما يتعلق بالخلافة فقط فى نطاقها المتضايق أخيرا وان كانت مغلبة وهى أخبار ابن رائق والبريدى وأما غير ذلك من الاعمال التى اقتطعت كما ذكرناه فنذكر أخبارها منفردة ونسوق المستبدين دولا كما شرطناه أول الكتاب ثم كتب ابن رائق عن الراضى الى أبى الفضل بن جعفر بن الفرات وكان على الخراج بمصر والشأم وظن أنه بوزارته تكون له تلك الجباية فوصل الى بغداد وولى وزارة الراضى وابن رائق جميعا

(وصول يحكم مع ابن رائق)

كان يحكم هذا من جملة مرداويج قائد الديلم ببلاد الجبل وكان قبله فى جملة ما كان ابن كالى ومن مواليه وهبه له وزيره أبو على الفارض ثم فارق ما كان مع من فارقه الى مرداويج وكان مرداويج قد ملك الرى واصبهان والاهواز وضخم ملكه وصنع كراسى من ذهب وفضة للجلوس عليها هو وقواده ووضع على رأسه تاجا مظنة تاج كسرى وامر أن يخاطب بشاهنشاه واعتزم على قصد العراق والاستيلاء عليه وتجديد قصور كسرى بالمدائن وكان فى خدمته جماعة من الترك ومنهم يحكم فأساء ملكهم وعسكرهم فقتلوه سنة ثلاث وعشرين بظاهر اصبهان كما نذكره فى أخبارهم واجتمع الديلم والجبل بعده على أخيه وشمكير بن زيار وهو والد قابوس ولما قتل مرداويج افترق الاتراك فرقتين ففرقة سارت الى عماد الدولة بن بويه بفارس والاخرى وهى الاكثر سارت نحو الجبل عند يحكم فجبوا خراج الدينور وغيرها ثم ساروا الى النهروان وكاتبوا الراضى فى المسير اليه فأذن لهم وارتاب الحجرية بهم فأمرهم الوزير بالرجوع الى بلد الجبل فغضبوا واستدعاهم ابن رائق صاحب واسط والبصرة فمضوا اليه وقدم عليهم يحكم وكان الاتراك والديلم من أصحاب مرداويج فجاءته جماعة منهم فأحسن اليهم والى يحكم وسماه الرائقى نسبة اليه وأذن له أن يكتبه فى مخاطباته

(مسير الراضى وابن رائق لحرب ابن البريدى)

ثم اعتزم ابن رائق سنة خمس وعشرين على الراضى فى المسير الى واسط لطلب ابن البريدى فى المال ليكون أقرب لمناجزته فانحدر فى شهر محرم وارتاب الحجرية بفعله مع الساجية فتخلفوا ثم تبعوه فاعترضهم وأسقط أكثرهم من الديوان فاضطربوا وثاروا

فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم جماعة وألجأهم الى بغداد فأوقع بهم لؤلؤ صاحب الشرطة ونهبت دورهم وقطعت أرزاقهم وقبضت أملاكهم وقتل ابن رائق من كان فى حبسه من الساجية وسار هو والراضى نحو الاهواز لاجلاء ابن البريدى منها وقدم اليه فى طلب الاستقامة وتوعده فجدد ضمان الاهواز بألف دينار فى كل شهر ويحمل فى كل يوم قسطه وأجابه الى تسليم الجيش لمن يسير الى قتال ابن بويه لنفرتهم عن بغداد وعرض ذلك على الراضى فأشار الحسين بن على القونجى وزير ابن رائق بأن لا تقبل لانه خداع ومكر وأشار أبو بكر بن مقاتل باجابته وعقد الضمان على ابن البريدى وعاد ابن رائق والراضى الى بغداد فدخلاها أول صفر ولم يف ابن البريدى بحمل المال وأنفذ ابن رائق جعفر بن ورقاء ليسير بالجيش الى فارس ودس اليهم ابن البريدى أن يطلبوا منه المال ليتجهزوا به فاعتذر فشتموه وتهددوه بالقتل وأتى ابن البريدى فأشار عليه بالنجاء ثم سعى ابن مقاتل لابن البريدى فى وزارة ابن رائق عوضا عن الحسين القونجى وبذل عنه ثلاثين ألف دينار فاعتذر له بسوابق القونجى عنده وسعيه له وكان مريضا فقال له ابن مقاتل انه هالك فقال ابن رائق قد أعلمنى الطبيب أنه ناقه فقال الطبيب يراعيك فيه لقربه منك ولكن سل ابن أخيه على بن حمدان وكان القونجى قد استنابه ابن أخيه فى مرضه فأشار عليه ابن مقاتل أن يعرف الامير اذا سأله بتهلكه وأشار عليه أن يستوزره فلما سأله ابن رائق أيأسه منه فقال ابن رائق عند ذلك لابن مقاتل اكتب لابن البريدى يرسل من ينوب عنه فى الوزارة فبعث أحمد بن الكوفى واستولى مع ابن مقاتل على ابن رائق وسعوا الابن البريدى أبى يوسف فى ضمان البصرة وكان عامل البصرة من قبل ابن رائق محمد بن يزداد وكان شديد الظلم والعسف بهم فخادعه ابن البريدى وأنفذ أبو عبد الله مولاه اقبالا فى ألفى رجل وأقاموا فى حصن مهدى قريبا فعلم ابن يزداد أنه يروم التغلب على البصرة وأقاما على ذلك وأهم ابن رائق شأن هذا العسكر فى حصن مهدى وبلغه أيضا أنه استخدم الحجريين الذين أذن لهم فى الانسياح فى الارض وأنهم اتفقوا مع عسكره على قطع الحمل وكاتبه يطردهم عنه فلم يفعل فأمر ابن الكوفى أن يكتب الى ابن البريدى بالكتاب على ذلك ويأمر باعادة العسكر من حصن مهدى فأجاب باعدادهم للقرامطة وابن يزداد عاجز عن الحماية وكان القرامطة قد وصلوا الى الكوفة فى ربيع الآخر وخرج ابن رائق فى العساكر الى حصن ابن هبيرة ولم يستقر بينهم أمر وعاد القرمطى الى بلده وسار ابن رائق الى واسط فكتب ابن البريدى الى عسكره بحصن مهدى أن يدخلوا البصرة ويملكوها من يد ابن يزداد وأمدهم جماعة من الحجرية فقصدوا البصرة وقاتلوا ابن يزداد فهزموه ولحق

بالمكوفة وملك إقبال مولى ابن البريدي وأصحابه البصرة وكتب ابن رائق الى البريدي يتهدده ويأمره بإخراج أصحابه من البصرة فلم يفعل

* (استيلاء بجكم على الاهواز) *

ولما امتنع ابن البريدي من الافراج عن البصرة بعث ابن رائق العساكر مع بدر الحرشي وبجكم مولاه وأمرهم بالمقام بالجامدة فتقدم بجكم عن بدر وسار الى السوس وجاءته عساكر البريدي مع غلامه محمد الجمال في ثلاثة آلاف ومع بجكم مائتان وسبعون من الترك فهزمهم بجكم ورجع محمد بن الجمال الى ابن البريدي فعاقبه على انهزامه وحشد له العسكر فسار في ستة آلاف ولقيهم بجكم عند نهر تستر فانهزموا من غير قتال وركب ابن البريدي السفن ومعه ثلثمائة ألف دينار فغرق أصحابه وماله ونجا الى البصرة وأقام بالابلة وبعث غلامه اقبالا الافلقي جماعة من أصحاب ابن رائق فهزمهم وبعث ابن رائق مع جماعة من أهل البصرة يستعطفه فأبى فطلبوا البصرة خلف ليحرقها ويقتل كل من فيها فرجعوا مستبصرين في قتاله وأقام ابن البريدي بالبصرة واستولى بجكم على الاهواز ثم بعث ابن رائق جيشه في البحر والبر فانهزم عسكر البر واستولى عسكر الماء على الكلاء فهرب ابن البريدي في السفن الى جزيرة أوال وترك أخاه أبا الحسين في عسكر بالبصرة فدفع عسكر ابن رائق عن الكلاء فسار ابن رائق من واسط واستولى بجكم على الاهواز وقاتلوا البصرة فامتنعت عليهم وسار ابن عبد الله ابن البريدي من أوال الى عماد الدولة بن بويه بفارس فأطمعه في العراق وبعث معه أخاه معز الدولة الى الاهواز فسير اليها ابن رائق مولاه بجكم على أن يكون له الحرب والخراج وأقام ابن البريدي على البصرة وزحفت اليه عساكرهم فأجلوه عن نهر تص حتامة فأخرجها وسار الى الاهواز مجردا وسيتبعه عساكره الى واسط وأقام عند بجكم أياما وسير عليه بجلسه فلم يفعل ورجع ابن رائق الى واسط

* (استيلاء معز الدولة على الاهواز) *

لما سار أبو عبد الله بن البريدي من جزيرة أوال الى عماد الدولة ابن بويه بفارس مستجيرا به من ابن رائق وبجكم ومستحثا عليهم طمع عماد الدولة في الاستيلاء على العراق فبعث معه أخاه معز الدولة أحمد بن بويه في العسكر ورهن ابن البريدي عنده ولديه أبا الحسين محمدا وأبا جعفر الفياض وسار بجكم للقائهم فلقيهم بأرجان فانهزم أمامهم وعاد الى الاهواز وخلف جيشا بعسكر مكرم فقاتلهم معز الدولة ثلاثة عشر يوما ثم انفضوا ولحقوا بتستر وملك معز الدولة عسكر مكرم وذلك سنة ست وعشرين

وسار

وسار بجكم من الاهواز الى تستر وبلغ الخبر الى ابن رائق بواسط فسار الى بغداد وجاء بجكم من تستر الى واسط ولما استولى معز الدولة وابن البريدي على عسكر مكرم ولقيهم أهل الاهواز وساروا لهم اليها فأقاموا أشهرا ثم طلب معز الدولة من ابن البريدي عسكره الذي بالبصرة ليبعثه الى أخيه ركن الدولة بأصبهان لحرب وشمكير فأحضر منهم أربعة آلاف ثم طلب من عسكره الذين بحصن مهدي ليبعثهم في الماء الى واسط فارتاب ابن البريدي وهرب الى البصرة وبعث الى عسكرها الذين ساروا الى أصبهان وكانوا متوقفين بالسوس فرجعوا اليه ثم كتب الى معز الدولة أن يفرج له عن الاهواز ليتمكن من الجباية والوفاء بما التزمه لعماد الدولة وكان قد ضمن له الاهواز والبصرة بثمانية عشر ألف ألف درهم فرحل معز الدولة الى عسكر مكرم وأنفذ ابن البريدي عامله الى الاهواز ثم بعث الى معز الدولة بأن يتأخر الى السوس فأبى وعلم بجكم بحالهم فبعث جيشا استولوا على السوس وجنديسابور وبقيت الاهواز بيد ابن البريدي ومعز الدولة بعسكر مكرم وقد ضاقت أحوال جنده ثم بعث اليه أخوه عماد الدولة بالمدد فسار الى الاهواز وملكها ورجع ابن البريدي الى البصرة وبجكم في ذلك مقيم بواسط وقد صرف همه الى الاستيلاء على رتبة ابن رائق ببغداد وقد أنفذ له ابن رائق علي بن خلف طنابا ليسيروا الى الاهواز ويخرجوا ابن بويه ويكون بجكم على الحرب وابن خلف على الخراج فلم يلتفت بجكم لذلك واستوزر علي ابن خلف وبجكم في أحواله بواسط ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إدبار الاحوال أطمع ابن رائق في مصر والشام وقال أنا أجبي المال وعقد بينه وبين ابن طغج صهرا وسار أبو الفتح الى الشام في ربيع الآخر وشعر ابن رائق بمحاولة بجكم عليه فبعث الى ابن البريدي بالاتفاق على بجكم على أن يضمن ابن البريدي واسط بستمائة ألف فنهض بجكم الى ابن البريدي قبل ابن رائق وسار الى البصرة فبعث اليه ابن البريدي أبا جعفر الجمال في عشرة آلاف فهزمهم بجكم وارتاع ابن البريدي لذلك ولم يكن قصد بجكم الا الالفة فقط والتضرع لابن رائق فبعث اليه بالمسالمة وأن يقلده واسط اذا تم أمره فاتفقا على ذلك وصرف نظره الى أمر بغداد

* (وزارة ابن مقلة ونكبته) *

ولما انصرف أبو الفتح بن الفرات الى الشام استوزر الراضي أبا علي بن مقلة على سنن من قبله في الامر لابن رائق وابن مقلة كالعارية وكتب له في أمواله وأملاكه فلم يردها فشرع في التدبير عليه فكتب الى ابن رائق بواسط ووشمكير بالري يطمع كلا منهما في مكانه وكتب الراضي يشير بالقبض على ابن رائق وأصحابه واستدعى بجكم لمكانه وأنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار فأطمعه الراضي على كره فكتب هو الى بجكم

يستحثه وطلب من الراضى أن ينتقل الى دار الخلافة حتى يتم الامر فأذن له وحضر متنكرا آخر ليلة من رمضان سنة ست وعشرين فأمر الراضى باعتقاله واطلع ابن رائق من الغد على كتبه فشكر ذلك له ابن رائق وأمر بابن مقلة فى منتصف شوال فقطع ثم عولج وبرئ وعاد الى السعى فى الوزارة والتظلم من ابن رائق والدعاء عليه فأمر بقطع لسانه وحبسه الى أن مات

(استيلاء بحكم على بغداد)

لم يزل بحكم يظهر التبعية لابن رائق ويكتب على أعلامه وتراسه بحكم الرائقى الى ان وصلته كتب ابن مقلة بأن الراضى قلده امرة الامراء فطمع وكاشف ابن رائق ومحا نسبه اليه من اعلامه وسلاحه وسار من واسط الى بغداد فى ذى القعدة سنة ست وعشرين وكتب اليه الراضى بالرجوع فأبى ووصل الى نهر ديالى وأصاب ابن رائق فى غربيه فانهزموا وعبروا النهر سبحا وسار ابن رائق الى عكبرا ودخل بحكم بغداد منتصف ذى القعدة ولقى الراضى من الغد وولاه أمير الامراء وكتب عن الراضى الى القواد الذين مع ابن رائق بالرجوع عنه فرجعوا وعاد ابن رائق الى بغداد فاختفى بها لسنة واحد عشر شهرا من امارته ونزل بحكم بدار مؤنس واستقر ببغداد متحكما فى الدولة مستبدا على الخليفة

(دخول اذربيجان فى طاعة وشمكير)

كان من عمال وشمكير على أعمال الجبل السيكرى بن مردى وكان مجاور الاعمال اذربيجان وعليها يومئذ ديسم بن ابراهيم الكردى من أصحاب ابن أبى الساج فحدثت السيكرى نفسه بالتغلب عليها فجمع وسار اليها وخرج اليه ديسم فانهزم فاستولى على سائر بلاده الا أردبيل وهى كرسى اذربيجان فحاصرها السيكرى وضيق حصارها فراسلوا ديسم بالمشى لقتال السيكرى من ورائه ففعل وجاء يوم قتالهم من خلف فانهزم السيكرى الى موقان فأعانه اصبهبدها ابن دوالة وسار معه نحو ديسم فانهزم ديسم وقصد وشمكير بالرى واستمده على أن يدخل فى طاعته ويضمن له مالا فى كل سنة فأجابه وبعث معه العسكر وبعث أصحاب السيكرى الى وشمكير بأنهم على الطاعة وشعر بذلك السيكرى فسار فى خاصته الى أرمينية واكتسح فى نواحيها ثم سار الى الزوزان من بلاد الارمن فاعترضوه وقتلوه ومن معه ورجع فلهم وقد ولوا عليهم سان بن السيكرى وقصدوا بالدطرم الارمنى ليثأروا منهم بأصحابهم فقاتلهم طرم وأثخن فيهم وساروا الى ناصر الدولة بن حمدان وانحدر بعضهم الى بغداد وكان على المعادن باذربيجان

الحسين بن سعيد بن حمدان من قبل ابن عمه ناصر الدولة فلما جاء الى الموصل أصحاب السيكرى مع ابنه بعثهم ابن عمه باذربيجان لقتال ديسم فلم تكن له به طاقة ورجع الى الموصل واستولى ديسم على اذربيجان فى طاعة وشمكير

(ظهور ابن رائق ومسيره الى الشأم)

وفى سنة سبع وعشرين وثلثمائة سار بحكم الى الموصل وديار ربيعة بسبب ان ناصر الدولة بن حمدان أخر المال الذى عليه من ضمان البلاد فأقام الراضى بتكريت وسار بحكم ولقيه ناصر الدولة على ستة فراسخ من الموصل فانهزم واتبعه بحكم الى نصيبين ثم الى آمد وكتب الى الراضى بالفتح فسار من تكريت فى الماء الى الموصل وفارقه جماعة من القرامطة كانوا فى عسكره وكان ابن رائق يكاتبهم من مكان اختفائه فلما وصلوا بغداد خرج ابن رائق اليهم واستولى وطار الخبر الى الراضى فأصعد من الماء وسار الى الموصل وكتب الى بحكم بذلك فرجع عن نصيبين بعد ان استولى عليها وشرع أهل العسكر يتسللون الى بغداد فأهم ذلك بحكم ثم جاءت رسالة ابن حمدان فى الصلح وتعجيل خمسمائة ألف درهم فأجابوه وقرره ورجعوا الى بغداد ولقيهم أبو جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد رسولا عن ابن رائق فى الصلح على أن يقلده الراضى طريق الفرات وديار مضر حران والرها وما جاورها جندى قنسرين والعواصم فأجابه الراضى وقلده وسار الى ولايته فى ربيع الآخر وكان بحكم قد استناب بعض قواد الاتراك على الانبار واسمه بالبان وطلب تقليد طريق الفرات فتقلد وسار الى الرحبة ثم انتقض وعاد لابن رائق وعصى على بحكم فسار اليه غازيا وكبسه بالرحبة على حين غفلة لخمسة أيام من مسيره فظفر به وأدخله بغداد على جمل وحبسه وكان آخر العهد به

(وزارة ابن البريدى)

قد تقدم لنا مسير الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الى الشأم ولما سار استناب بالحضرة عبد الله بن على البصرى وكان بحكم قد قبض على وزيره خلف بن طباب واستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد فسعى فى وزارة ابن البريدى لبحكم حتى تم ذلك ثم ضمن ابن البريدى أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة ثم جاء الخبر بموت ابى الفتح بن الفرات بالرملة فسعى أبو جعفر بن شيرزاد فى وزارة أبى عبد الله للخليفة فعقد له الراضى بذلك واستخلف بالحضرة عبد الله بن على البصرى كما كان مع أبى الفتح

(مسير ركن الدولة الى واسط ورجوعه عنها)

لما استقر ابن البريدى بواسط بعث جيشا الى السوس وبها أبو جعفر الطهيرى وزير معز

الدولة أحمد بن بويه ومعز الدولة بالاهواز فتحصن أبو جعفر بقلعة السوس وعاث الجيش في نواحيها وكتب معز الدولة الى أخيه ركن الدولة وهو على اصطخر قد جاء من اصبهان لما غلبه وشمكير عليها فلما جاء كتاب أخيه معز الدولة سار محمد الى السوس وقد رجع عنه جيش بن البريدى ثم سار الى واسط يحاول ملكها فنزل في جانبها الشرقي وابن البريدى في الجانب الغربي واضطرب عسكر ابن بويه واستأمن جماعة منهم الى ابن البريدى ثم سار الراضي وبجكم من بغداد الى واسط للامداد فرجع ركن الدولة الى الاهواز ثم الى رامهرمز وبلغه أن وشمكير قد أنفذ عسكره مددا لما كان بن كالى وان اصبهان خالية فسار اليها من رامهرمز وأخرج من بقي منها من أصحاب وشمكير وملكها فاستقر بها

(مصير بجكم الى بلاد الجبل وعوده الى واسط واستيلاؤه عليها)

كان بجكم قد أرسل ابن البريدى وصاهره واتفقا على أن يسير بجكم الى بلاد الجبل لفتحها من يد وشمكير وأبو عبد الله بن البريدى الى الاهواز لأخذها من يد معز الدولة ابن بويه فسار بجكم الى حلوان وبعث اليه ابن البريدى بخمسمائة رجل مددا وبعث بجكم بعض أصحابه الى ابن البريدى يستحثه الى السوس والاهواز فأقام يماطله ويدافعه وينى له أنه يريد مخالفة بجكم الى بغداد فكتب اليه بذلك فرجع عن قصده الى بغداد وعزل ابن البريدى من الوزارة وولى مكانه أبا القاسم بن سليمان بن الحسن بن مخلد وقبض على ابن شيرزاد الذى كان ساعياله وتجهز الى واسط وانحدر في الماء آخر ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وبعث عسكرا في البر وبلغ الخبر ابن البريدى فسار عن واسط الى البصرة واستولى عليها بجكم وملكها

(استيلاء ابن رائق على الشام)

قد تقدم لنا مسير ابن رائق الى ديار مضر وثغور قنسرين والعواصم فلما استقر بها حدثته نفسه بملك الشام فسار الى حمص فملكها ثم سار الى دمشق وبها بدر بن عبد الله الاخشيدى ويلقب بدير فملكها من يده ثم سار الى الرملة ومنها الى عريش مصر يريد ملك الديار المصرية ولقيه الاخشيد محمد بن طغج وانهزم أولا وملك أصحاب ابن رائق خيامه ثم خرج كمين الاخشيد فانهزم ابن رائق الى دمشق وبعث الاخشيد في أثره أخاه أبا نصر بن طغج وسار اليهم ابن رائق من دمشق فهزمهم وقتل أبو نصر فكفنه ابن رائق وحمله مع ابنه مزاحم الى أخيه الاخشيد بمصر وكتب يعزيه ويعتذر فأكرم الاخشيد مزاحما واصطلح مع أن يعطى أن تكون مصر للاخشيد من حد الرملة وما

وراءها من الشأم لابن رائق ويعطى الاخشيد عن الرملة في كل سنة مائة وأربعين ألف دينار

(الصوائف أيام الراضي)

وفي سنة ثنتين وعشرين سار الدمستق الى سميساط في خمسين ألفا من الروم ونازل ملطية وحاصرها مدة طويلة حتى فتحها بالامان وبعثهم الى مأمنهم مع بطريق من بطارقته وتنصر الكثير منهم محبة في أهليهم وأموالهم ثم افتتحوا سميساط وخربوا أعمالها وأحشوا في اسطوله في البحر ففتحوا بلد جنوة ومروا بسردانية فأوقعوا باهلها ثم مروا بقرقيسا من ساحل الشأم فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين وفي سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم في ذى القعدة على يد ابن ورقاء الشيباني البريدى في ستة آلاف وثلثمائة أسير

(الولايات أيام الراضي والقاهر قبله)

قد تقدم لنا أنه لم يبق من الاعمال في تصريف الخلافة لهذا العهد الا أعمال الاهواز والبصرة وواسط والجزيرة وذكرنا استيلاء بني بويه على فارس واصبهان وشمكير على بلاد الجبل وابن البريدى على البصرة وابن رائق على واسط وان عماد الدولة بن بويه على فارس وركن الدولة أخوه يتنازع مع وشمكير على اصبهان وهمذان وقم وقاشان والكرج والرى وقزوين واستولى معز الدولة أخوهما على الاهواز وعلى كرمان واستولى ابن البريدى على واسط وسار ابن رائق الى الشأم فاستولى عليها وفي سنة ثلاث وعشرين قلد الراضي ابنيه أبا جعفر وأبا الفضل ناحية المشرق والمغرب وفي سنة احدى وعشرين ورد الخبر بوفاة تكين الخاصكى بمصر وكان أميرا عليها وولى القاهر مكانه ابنه محمدا وثار به الجند فظفر بهم وفيها وقعت الفتنة بين بني ثعلب وبني أسد ومعهم طيئ وركب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ومعه أبو الاعز بن سعيد بن حمدان ليصلح بينهم فوقعت ملاحاة قتل فيها أبو الاعز على يد رجل من ثعلب فحمل عليهم ناصر الدولة واستباحهم الى الحديثة فلقيهم يانس غلام مؤنس والياعلى الموصل فانضم اليه بنو ثعلب وبنو أسد وعادوا الى ديار ربيعة وفي سنة أربع وعشرين قلد الراضي محمد بن طغج أعمال مصر مضافا الى ما بيده من الشأم وعزل عنها أحمد بن كيغلغ

(وفاة الراضي وبيعة المتقي)

وفي سنة تسع وعشرين وثلثمائة توفي الراضي أبو العباس أحمد بن المقتدر في ربيع الاول منها لسبع سنين غير شهر من خلافته ولما مات أحضر بجكم ندماءه وجلساءه لينتفع بما عندهم من الحكمة فلم يفهم عنهم لعجمته وكان آخر خليفة خطب على المنبر

وان خطب غيره فنادر وآخر خليفة جالس السمر وواصل الندماء ودولته آخر دول الخلفاء فى ترتيب النفقات والجوائز والجرايات والمطابخ والخدم والحجاب وكان بحكم يوم وفاته غائبا بواسط حين ملكها من يد ابن البريدى فانتظر فى الامور وصول مراسمه فورد كتابه مع كاتبه أبى عبد الله الكوفى يأمر فيه باجتماع الوزراء وأصحاب الدواوين والقضاة والعلويين والعباسيين ووجوه البلد عند الوزير أبى القاسم سليمان بن الحسن ويشاورهم الكوفى فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضى مذهبه وطريقه فاجتمعوا وذكروا ابراهيم بن المقتدر واتفقوا عليه وأحضروه من الغد وبايعوا له آخر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وعرضت عليه الالقاب فاختار المتقى لله وأقر سليمان على وزارته كما كان والتدبير كله للكوفى كاتب بحكم وولى سلامة الطولونى على الحجبة

(مقتل بحكم)

كان أبو عبد الله البريدى بعد هربه الى البصرة من واسط أنفذ جيشا الى المدار فبعث الى لقائهم جيشا من واسط عليهم تورون انتخب له الكرة فظفر بجيش ابن البريدى ولقى بحكم خبره فى الطريق فسر بذلك وذهب يتصيد فبلغ نهر جور وعثر فى طريقه ببعض الاكراد فشره لغزوهم وقصدهم فى خف من أصحابه وهربوا بين يديه وهو يرشقهم بسهامه وجاء غلام منهم من خلفه فطعنه فقتله واختلف عسكره فمضى الديلم فكانوا الفا وخمسمائة الى ابن البريدى وقد كان عزم على الهرب من البصرة فبعث لقدومهم وضاعف أرزاقهم وأدرها عليهم وذهب الاتراك الى واسط وأطلقوا بكتيك من حبسه وولوه عليهم فسار بهم الى بغداد فى خدمة المتقى وحصر ما كان فى دار بحكم من الاموال والدواوين فكانت ألف ألف ومائة ألف دينار ومدة امارته سنتان وثمانية أشهر

(امارة البريدى ببغداد وعوده الى واسط)

لما قتل بحكم قدم الديلم عليهم بكشوار بن ملك بن مسافر ومسافر هو ابن سلار صاحب الطرم الذى ملك ولده بعده اذربيجان وقاتلهم الاتراك فقتلوه فقدم الديلم عليهم مكانه كورتكين منهم وقدم الاتراك عليهم بكتيك مولى بحكم وانحدر الديلم الى أبى عبد الله بن البريدى فقوى بهم واصعدوا الى واسط وأرسل المتقى اليهم مائة وخمسين ألف دينار على أن يرجعوا عنها ثم قسم فى الاتراك فى أجناد بغداد أربعمائة ألف دينار من مال بحكم وقدم عليهم سلامة الطولونى وبرزبهم المتقى الى نهر ديالى آخر شعبان سنة ست وعشرين وسار ابن البريدى من واسط فأشفق أتراك بحكم ولحق بعضهم بابن البريدى وسار آخرون الى الموصل منهم تورون وجحجح واختفى سلامة الطولونى وأبو عبد الله الطولونى ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد أول رمضان ونزل بالشفيعى ولقيه الوزير

أبو الحسين بن ميمون والكتاب والقضاة وأعيان الناس وبعث اليه المتقى بالتهنئة والطعام وكان يخاطب بالوزير ثم قبض على الوزير أبى الحسين لشهرين من وزارته وحبسه بالبصرة وطلب من المتقى خمسمائة ألف دينار للجند وهدده بما وقع للمعتز والمستعين والمهتدى فبعث بها اليه ولم يلقه مدة مقامه ببغداد ولما وصله المال من المتقى شغب الجند عليه فى طلبه وجاء الديلم الى دار لاخيه ابى الحسين ثم انضم اليهم الترك وقصدوا دار أبى عبد الله فقطع الجسر ووثب العامة على أصحابه وهرب هو وأخوه وابنه أبو القاسم وأصحابهم وانحدروا الى واسط وذلك سلخ رمضان لاربعة وعشرين يوما من قدومه

(امارة كورتكين الديلمى)

ولما هرب ابن البريدى استولى كورتكين على الامور ببغداد ودخل الى المتقى فقلده امارة الامراء وأحضر على بن عيسى وأخاه عبد الرحمن فدبرا الامور ولم يسمهما بوزارة واستوزر أبا اسحق محمد بن أحمد الاسكافى القراريطى وولى على الحجبة بدرا الخرشنى ثم قبض كورتكين على بكتيك مقدم الاتراك خامس شوال وغرقه واقتتل الاتراك والديلم وقتل بينهما خلق وانفرد كورتكين بالامر وقبض على الوزير أبى اسحق القراريطى لشهر ونصف من وزارته وولى مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى

(عود ابن رائق الى بغداد)

قد تقدم لنا أن جماعة من أتراك بحكم لما انفضوا عن المتقى ساروا الى الموصل ثم ساروا منها الى ابن رائق بالشام وكان من قوادهم تورون وجحجح وكورتكين وصيغوان فأطمعوه فى بغداد ثم جاءته كتب المتقى يستدعيه فسار آخر رمضان واستخلف بالشام أبا الحسن أحمد بن على بن مقاتل وتنحى ناصر الدولة بن حمدان على طريقه ثم حمل اليه مائة ألف دينار وصالحه وبلغ الخبر الى أبى عبد الله بن البريدى فبعث اخوته الى واسط وأخرج الديلم عنها وخطبوا له بها وخرج كورتكين عن بغداد الى عكبرا فقاتله ابن رائق أياما ثم أسرى له ليلة عرفة فأصبح ببغداد من الجانب الغربى ولقى الخليفة وركب معه فى دجلة ووصل كورتكين آخر النهار فركب ابن رائق لقتاله وهو مرجل واعتزم على العود الى الشام ثم طائفة من عسكره ليعبروا دجلة ويأتوا من ورائهم وصاحت العامة مع ابن رائق بكورتكين وأصحابه ورجموهم فانهزموا واستأمن منهم نحو أربعمائة فقتلوا وقتل قواده وخلع المتقى على ابن رائق وولاه أمير الامراء وعزل الوزير أبا جعفر الكرخى لشهر من ولايته وولى مكانه أحمد الكوفى وظفر بكورتكين فحبسه بدار الخلافة

(وزارة ابن البريدى واستيلاؤه على بغداد وفرار المتقى الى الموصل)

لما استقر ابن رائق فى امارة الامراء بدمشق ببغداد أخر ابن البريدى حمل المال من واسط فانحدر اليه فى العساكر فى عاشوراء من سنة ثلاثين وهرب بنو البريدى الى البصرة ثم سعى أبو عبد الله الكوفى بينهم وبين ابن رائق وضمن واسط بستمائة ألف دينار وبقاياها بمائتى ألف ورجع ابن رائق الى بغداد فشغبت عليه الجند وفيهم تورون وأصحابه ثم انفضوا آخر ربيع الى أبى عبد الله بواسط فقوى بهم وذهب ابن رائق الى مداراته فكاتبه بالوزارة واستخلف عليها أبا عبد الله بن شيرزاد ثم انتقض واعتزم على المسير الى بغداد فى جميع الاتراك والديلم وعزم ابن رائق على التحصن بدار الخلافة ونصب عليها المجانيق والعرادات وجند العامة فوقع الهرج وخرج بالمتقى الى نهر ديالى منتصف جمادى الآخرة وأتاهم أبو الحسين فى الماء والبر فهزمهم ودخل دار الخلافة وهرب المتقى وابنه أبو منصور وابن رائق الى الموصل لستة أشهر من امارته واختفى الوزير القراريطى ونهبت دار الخليفة ودور الحرم وعظم الهرج وأخذ كورتكين من محبسه فأنفذ الى واسط ولم يتعرضوا للقاهر وكان نزل أبو الحسن بدار الخلافة وجعل تورون على الشرطة بالجانب الغربى وأخذ رهائن القواد تورون وغيره وبعث بنسائهم وأولادهم الى أخيه عبد الله بواسط وعظم النهب ببغداد وترك دورهم وفرضت المكوس فى الاسواق خمسة دنانير على الكر فغلت الاسعار وانتهى الى ثلثمائة دينار الكر وجاءت ميرة من الكوفة وأخذت فقيل انها للعامل بالكوفة وأخذها عامل بغداد وكان معه جماعة من القرامطة فقاتلهم الاتراك وهزموهم ووقعت الحرب بين العامة والديلم فقتل خلق من العامة واختفى العمال لمطاولة الجند الى الضواحى ينتهبون الزرع بسنبله عند حصاده وساءت أحوال بغداد وكثرت نقمات الله فيهم

(مقتل ابن رائق وولاية ابن حمدان مكانه)

كان المتقى قد بعث الى ناصر الدولة بن حمدان يستمده على ابن البريدى عندما قصد بغداد فأمده بعسكر مع أخيه سيف الدولة فلقيه بتكريت منهزما ورجع معه الى الموصل وخرج ناصر الدولة عن الموصل حتى حلف له ابن رائق واتفقا بخباء وتركه شرقى دجلة وعبر اليه أبو منصور بن المتقى وابن رائق فبالغ فى تكرمتهما فلما ركب ابن المتقى قال لابن رائق أقم نتحدث فى رأينا فذهبا الى الاعتذار وألح عليه ناصر الدولة فاستراب وجذب يده وقصد الركوب فسقط فأمر ناصر الدولة بقتله والقائه فى دجلة وبعث الى المتقى بالعذر وأحسن القول وركب اليه فولاه أمير الامراء ولقبه ناصر الدولة وذلك مستهل شعبان من سنة ثلاثين وخلع على أخيه أبى الحسن ولقبه بسيف الدولة فلما قتل ابن

رائق سار الاخشيذ من مصر الى دمشق وبها محمد بن يزداد من قبل ابن رائق فاستأمن اليه وملك الاخشيذ دمشق وأقر ابن يزداد عليها ثم نقله الى شرطة مصر

(عود المتقى الى بغداد وفرار البريدى)

لما استولى أبو الحسين البريدى على بغداد وأساء السيرة كما مر امتلأت القلوب منه نفرة فلما قتل ابن رائق أخذ الجند فى الفرار عنه والانتقاض عليه ففر ججج الى المتقى واعتزم تورون وأنوش تكين والاتراك على كبس أبى الحسين البريدى وزحف تورون لذلك فى الديلم فخالفه أنوش تكين فى الاتراك فذهب تورون الى الموصل فقوى بهم ابن حمدان والمتقى وانحدروا الى بغداد وولى ابن حمدان على أعمال الخراج والضياع بديار مضر وهى الرها وحران ولقيا أبا الحسن أحمد بن على بن مقاتل فاقتتلوا وقتل ابن مقاتل واستولى ابن طباب عليها ولما وصل المتقى وابن حمدان الى بغداد هرب أبو الحسين ابن البريدى منها الى واسط لثلاثة أشهر وعشرين يوما من دخوله واضطربت العامة وكثر النهب ودخل المتقى وابن حمدان فى العساكر فى شوال من السنة وأعاد أبا اسحق القراريطى الى الوزارة وولى تورون على الشرطة ثم سار اليهم أبو الحسين البريدى فخرج بنو حمدان للقائهم وانتهوا الى المدائن فأقام بها ناصر الدولة وبعث أخاه سيف الدولة وابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فاقتتلوا عنده أياما وانهزم سيف الدولة أولا ثم أمدهم ناصر الدولة بالقواد الذين كانوا معه وججج بالاتراك وعاودوا القتال فانهزم أبو الحسين الى واسط وأقصر سيف الدولة عن اتباعه لما أصاب أصحابه من الوهن والجراح وعاد ناصر الدولة الى بغداد منتصف ذى الحجة ثم سار سيف الدولة الى واسط وهرب بنو البريدى عنها الى البصرة فملكها وأقام بها

(استيلاء الديلم على اذربيجان)

كانت اذربيجان بيد ديسم بن ابراهيم الكردى من أصحاب يوسف بن أبى الساج وكان أبوه من أصحاب هرون الشارى من الخوارج ولما قتل هرون لحق باذربيجان وشرد فى الاكراد فولد له ديسم هذا فكبر وخدم ابن أبى الساج وتقدم عنده الى أن ملك بعدهم اذربيجان وجاء السيكرى خليفة وشمكير فى الجبل سنة ست وعشرين وغلبه على اذربيجان ثم سار هو الى وشمكير وضمن له طاعة ومالا واستمده فأمده بعسكر من الديلم وساروا معه فغلب السيكرى وطرده وملك البلاد وكان معظم جيشه الاكراد فتغلبوا على بعض قلاعه فاستكثر من الديلم وفيهم صعلوك بن محمد بن مسافر بن الفضل وغيرهما فاستظهر بهم وانتزع من الاكراد ما تغلبوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وكان وزيره أبو القاسم على بن جعفر قد ارتاب منه فهرب الى الطرم وبها محمد بن مسافر

من أمراء الديلم وقد انتقض عليه ابناه وهشوذان والمرزبان واستوليا على بعض قلاعه
ثم قبضا على أبيهما محمد وانتزعا أمواله وذخائره وتركاه فى حصنه سليبا فريدا فقصد
على بن جعفر المرزبان وأطمعه فى أذربيجان فقلده وزارته وكانت نحلتهما فى التشيع
واحدة لان على بن جعفر كان من الباطنية والمرزبان من الديلم وهم شيعة وكاتب على
ابن جعفر أصحاب ديسم واستمالهم واستفسدهم عليه وخصوصا الديلم ثم التقوا للحرب
وجاء الديلم الى المرزبان واستأمن معهم كثير من الاكراد وهرب ديسم فى فل من
أصحابه الى أرمينية واستجار بجاحق بن الديوانى فأجاره وأكرمه وندم على مافرط فى
ابعاد الاكراد وهم على مذهبه فى الخارجية وملك المرزبان اذربيجان واستولى عليها
ثم استوحش منه على بن جعفر وزير ديسم وتنكر له أصحاب المرزبان فأطمعه المرزبان
فأخذ أموالهم وحملهم على طاعة ديسم وقتل الديلم عندهم من جند المرزبان ففعلوا
وجاء ديسم فملكها وفر اليه من كان عند المرزبان حتى اشتد عليه الحصار واستصلح
أثناء ذلك الوزير على بن جعفر ثم خرجوا من توزير ولحق ديسم باردبيل وجاء على بن
جعفر الى المرزبان ثم حاصر المرزبان اردبيل حتى نزل له ديسم على الامان وملكها صلحا
وملك توزير كذلك ووفى له ثم طلب ديسم أن يبعثه الى قلعته بالطرم فبعثه بأهله وولده
وأقام هنالك

(خبر سيف الدولة بواسط)

لما فر بنو البريدى عن واسط الى البصرة ونزل بها سيف الدولة أراد الانحدار خلفهم
لانتزاع البصرة منهم واستمد أخاه ناصر الدولة فأمده بمال مع أبى عبد الله الكوفى وكان
توزون وجحجح يستطيلان عليه فأراد الاستئثار بالمال فرده سيف الدولة مع الكوفى الى
أخيه وأذن لتوزون فى مال الجامدة ولجحجح فى مال المذار وكان من قبل يراسل الاتراك
وملك الشام ومصر معه فلا يجيبونه ثم ثاروا عليه فى شعبان من سنة احدى وثلاثين
فهرب من معسكره ونهب سواده وقتل جماعة من أصحابه وكان ناصر الدولة لما أخبره أبو
عبد الله الكوفى بخبر أخيه فى واسط برز يسير الى الموصل وركب اليه المتقى يستمهله
فوقف حتى عاد وأغذ السير لثلاثة عشر شهرا من امارته فثار الديلم والاتراك ونهبوا
داره ودبر الامور أبو اسحق القراريطى من غير لقب الوزارة وعزل أبو العباس
الاصبهانى لاحد وخمسين يوما من وزارته ثم تنازع الامارة بواسط بعد سيف الدولة
توزون وجحجح واستقر الحال أن يكون توزون أميرا وجحجح صاحب الجيش ثم طمع
ابن البريدى فى واسط واصعد اليها وطلب من توزون أن يضمنه اياها فرده ردا جميلا
وكان قد سار جحجح لمدافعته فمر به الرسول فى طريقه وحادثه طويلا وسعى الى توزون

بأنه لحق بابن البريدى فأسرى اليه وكبسه منتصف رمضان فقبض عليه وجاء به الى
واسط فسمله وبلغ الخبر الى سيف الدولة وكان لحق بأخيه فعاد الى بغداد منتصف
رمضان وطلب المال من المتقى لمدافعة توزون فبعث أربعمائة ألف درهم وفرقها
فى أصحابه وظهر له من كان مستخفيا ببغداد وجاء توزون من واسط بعد ان خلف بها
كيغلغ فلما أحس به سيف الدولة رحل فيمن انضم اليه من أجناد واسط وفيهم الحسن
ابن هرون وسار الى الموصل ولم يعاود بنو حمدان بعدها بغداد

(امارة توزون ثم وحشته مع المتقى)

لما سار سيف الدولة عن بغداد دخلها توزون آخر رمضان سنة احدى وثلاثين فولاه
المتقى أمير الامراء وجعل النظر فى الوزارة لابى جعفر الكرخى كما كان الكوفى ولما
سار توزون عن واسط خالفه اليها البريدى فملكها ثم انحدر توزون أول ذى القعدة لقتال
البريدى وقد كان يوسف بن وجيه صاحب عمان سار فى المراكب الى البصرة وحارب ابن
البريدى حتى أشرفوا على الهلاك ثم احترقت مراكب عمان بحيلة دبرها بعض الملاحين
ونهب منها مال عظيم ورجع يوسف بن وجيه مهزوما فى المحرم سنة ثنتين وثلاثين وهرب
فى هذه الفتنة أبو جعفر بن شيرزاد لتوزون فاشتمل عليه وكان توزون عند اصعاده من
بغداد استخلف مكانه محمد بن ينال الترجمان ثم تنكر له فارتاب محمد وارتاب الوزير أبو
الحسن بن مقلة بمكان ابن شيرزاد من توزون وخافا غائلته وخوفا المتقى كذلك وأوهماه
أن البريدى ضمنه من توزون بخمسمائة ألف دينار التى أخذها من تركة بجكم وأن
ابن شيرزاد جاء عن البريدى ليخلفه ويسلمه فانزعج لذلك وعزم على المسير الى ابن حمدان
وكتبوا اليه أن ينفذ عسكرا يسير بصحبته

(مسير المتقى الى الموصل)

لما تمت سعاية ابن مقلة وابن ينال بتوزون مع المتقى اتفق وصول ابن شيرزاد الى بغداد
أول ثنتين وثلاثين فى ثلثمائة فارس وأقام بدست الامر والنهى لا يعرج على المتقى فى شئ
وكان المتقى قد طلب من ناصر الدولة بن حمدان عسكرا يصحبه الى الموصل فبعثهم ابن
عمه ابو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فلما وصلوا بغداد اختفى ابن شيرزاد وخرج
المتقى اليهم فى حرمه وولده ومعه وزيره وأعيان دولته مثل سلامة الطولونى وأبى زكريا
يحيى بن سعيد السوسى وأبى محمد المادرانى وأبى اسحق القراريطى وأبى عبد الله
الموسوى وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب وأبى نصر بن محمد بن ينال الترجمان
وساروا الى تكريت وظهر ابن شيرزاد فى بغداد وظلم الناس وصادرهم وبعث الى
توزون فى واسط بخبر المتقى فعقد ضمان واسط على ابن البريدى وزوجها ابنته وسار الى

بغداد وجاء سيف الدولة الى المتقى بتكريت ثم بعث المتقى الى ناصر الدولة يستحثه فوصل اليه فى ربيع الآخر وركب المتقى من تكريت الى الموصل وأقام هو بتكريت وسار توزون لحربه فتقدم اليه أخوه سيف الدولة فاقتتلوا أياما ثم انهزم سيف الدولة وغنم توزون سواده وسواد أخيه ولحقوا بالموصل وتوزون فى اتباعهم ثم ساروا عنها مع المتقى الى نصيبين ودخل توزون الموصل ولحق المتقى بالرقة وراسل توزون بأن وحشته لاجل ابن البريدى وان رضاه فى اصلاح بنى حمدان فصالحهما توزون وعقد الضمان لناصر الدولة على ما بيده من البلاد لثلاث سنين بثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم لكل سنة وعاد توزون الى بغداد وأقام المتقى وبنو حمدان بالرقة

(مسير ابن بويه الى واسط وعوده عنها ثم استيلاؤه عليها)

كان معز الدولة بن بويه بالاهواز وكان ابن البريدى يطمعه فى كل وقت فى ملك العراق وكان قد وعده أن يمده بواسط فلما أصعد توزون الى الموصل خالفه معز الدولة الى واسط وأخلف ابن البريدى وعده فى المدد وعاد توزون من الموصل الى بغداد وانحدر منها للقاء معز الدولة منتصف ذى القعدة من سنة ثنتين وثلاثين واقتتلوا بقباب حميد بضعة عشر يوما ثم تأخر توزون الى نهر ديالى فعبره ومنع الديلم من عبوره بمن كان معه من المقاتلة فى الماء وذهب ابن بويه ليصعد ويتمكن من الماء فبعث توزون بعض أصحابه فعبروا ديالى وكمنوا له حتى اذا صار مصعدا خرجوا عليه على غير أهبة فانهزم هو ووزيره الصهيرى وأسر منهم أربعة عشر قائدا واستأمن كثير من الديلم الى توزون ولحق ابن بويه والصهيرى بالسوس ثم عاد الى واسط ثانية فملكها ولحق أصحاب بنى البريدى بالبصرة

(قتل ابن البريدى أخاه ثم وفاته)

كان أبو عبد الله بن البريدى قد استهلك أمواله فى هذه النوائب التى تنوبه واستقرض من أخيه أبى يوسف مرة بعد مرة وكان أثرى منه ومال الجند اليه لثروته وكان يعيب على أخيه تبذيره وسوء تدبيره ثم نمى الخبر اليه أنه يريد المكر به والاستبداد بالامر وتنكر كل واحد منهما للآخر ثم أكمن أبو عبد الله غلمانه فى طريق أبى يوسف فقتلوه وشغب الجند لذلك فأراهم شلوه فافترقوا ودخل دار أخيه وأخذ ما فيها من الاموال وجواهر نفيسة كان باعها له بخمسين ألف درهم وكان أصلها للمكتفى (?) وهبها لبنته حين زوجها له وأخذها بحكم من دار الخلافة فاحتاج اليها أبو عبد الله بعد فباعها له وبخسه أبو يوسف فى قيمتها وكان ذلك من دواعى العداوة بينهما ثم هلك أبو عبد الله بعد مهلك أخيه بثمانية أشهر وقام بالامر بعده بالبصرة أخوهما أبو الحسن فأساء السيرة فى الجند فثاروا به ليقتلوه فهرب منهم الى هجر مستجيرا بالقرامطة وولوا عليهم بالبصرة

أبا القاسم ابن أخيه أبى عبد الله وأمد أبو طاهر القرمطى أبا الحسن وبعث معه أخويه لحصار البصرة فامتنعت عليهم وأصلحوا بين أبى القاسم وعمه ودخل البصرة وسار منها الى توزون ببغداد ثم طمع يأنس مولى أبى عبد الله فى الرياسة وداخل بعض قواد الديلم فى الثورة بأبى القاسم واجتمع الديلم الى القائد وبعث أبو القاسم وليه يأنس فهم به ليفرد بالامر فهرب يأنس واختفى وتفرق الديلم واختفى القائد ثم قبض عليه ونفاه وقبض على يأنس بعد أيام وصادره على مائة ألف دينار وقتله ولما قدم أبو الحسين البريدى الى بغداد مستأمنا الى توزون فأمنه وطلب الامداد على ابن أخيه وبذل فى ذلك أموالا ثم بعث ابن أخيه من البصرة بالاموال فأقره على عمله وشعر أبو الحسن بذلك فسعى عند ابن توزون فى ابن شيرازد الى أن قبض عليه وضرب واستظهر أبو عبد الله بن أبى موسى الهاشمى بفتاوى الفقهاء والقضاة باباحة دم أبى الحسين كانت عنده من ايام ناصر الدولة وأحضروا بدار المتقى وسئلوا عن فتاويهم فاعترفوا بأنهم أفتوا بها فقتل وصلب ثم أحرق ونهب داره وكان ذلك منتصف ذى الحجة من السنة وكان ذلك آخر أمر البريديين

(الصوائف أيام المتقى)

خرج الروم سنة ثلاثين أيام المتقى وانتهوا الى قرب حلب فعاثوا فى البلاد وبلغ سبيهم خمسة آلاف وفيها دخل ثمل من ناحية طرسوس فعاث فى بلاد الروم وامتلأت أيدى عسكره من الغنائم وأسر عدة من بطارقتهم وفى سنة احدى وثلاثين بعث ملك الروم الى المتقى يطلب منه منديلا فى بيعة الرها زعموا أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت فيه صورته وأنه يطلق فيه عددا كثيرا من أسرى المسلمين واختلف الفقهاء والقضاة فى اسعافه بذلك وفيه غضاضة أو منعه ويبقى المسلمون بحال الاسر فأشار عليه على ابن عيسى باسعافه لخلاص المسلمين فأمر المتقى بتسليمه اليهم وبعث الى ملك الروم من يتسلم الاسرى وفى سنة ثنتين وثلاثين خرجت طوارق من الروس فى البحر الى نواحى أذربيجان ودخلوا فى نهر الكر الى بردعة وبها نائب المرزبان ابن محمد بن مسافر ملك الديلم بأذربيجان فخرج فى جموع الديلم والمطوعة فقاتلوهم وقاتلوهم فهزمهم الروس وملكوا البلد وجاءت العساكر الاسلامية من كل ناحية لقتالهم فامتنعوا بها ورماهم بعض العامة بالحجارة فأخرجوهم من البلد وقاتلوا من بقى وغنموا أموالهم واستعبدوا بأولادهم ونسائهم واستنفر المرزبان الناس وزحف اليهم فى ثلاثين ألفا فقاتلوهم فامتنعوا عليه فأكمن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل أميرهم ونجا الباقون الى حصن البلد وحاصرهم المرزبان وصابرهم ثم جاءه الخبر بأن أبا عبد الله الحسين بن سعيد

الروس هم المسمون الآن بالموسقو وهم عدد كثير اه من خط الشيخ العطار

ابن حمدان بلغ سلماس موجها الى أذربيجان بعثه اليها ابن عمه ناصر الدولة ايتملكها فجهز عسكرا لحصار الروس فى بردعة وسار الى قتال ابن حمدان فارتحل ابن حمدان راجعا الى ابن عمه باستدعائه بالانحدار الى بغداد لما مات توزون وأقام العسكر على حصار الروس ببردعة حتى هربوا من البلد وحملوا ما قدروا عليه وطهر الله البلد منهم وفيها ملك الروم رأس عين واستباحوها ثلاثا وقاتلهم الاعراب ففارقوها

(الولايات أيام المتقى)

قد تقدم لنا انه لم يكن بقى فى تصريف الخليفة الا أعمال الاهواز والبصرة وواسط والجزيرة والموصل لبنى حمدان واستولى معز الدولة على الاهواز ثم على واسط وبقيت البصرة بيد أبى عبد الله بن البريدى واستولى على بغداد مع المتقى بحكم ثم ابن البريدى ثم توزتكين الديلمى ثم ابن رائق ثانية ثم ابن البريدى ثانية ثم حمدان ثم توزون يختلفون على المتقى واحدا بعد واحد وهو مغلب لهم والحل والعقد والابرام والنقض بأيديهم ووزير الخليفة عامل من عمالهم متصرف تحت أحكامهم وآخر من دبر الامور أبو عبد الله الكوفى كاتب توزون وكان قبله كاتب ابن رائق وكان على الجبة بدر بن الجرسى فعزل عنها سنة ثلاثين وجعل مكانه سلامة الطولونى وولى بدر طريق الفرات ففزع الى الاخشيد واستأمن اليه فولاه دمشق وكان من المستبدين فى النواحى يوسف ابن وجيه وكان صاحب الشرطة ببغداد أبا العباس الديلمى

(خلع المتقى وولاية المستكفى)

لم يزل المتقى عند بنى حمدان من شهر ربيع الآخر سنة ثنتين وثلاثين الى آخر السنة ثم آنس منهم الضجر واضطر لمراجعة توزون فأرسل اليه الحسن بن هرون وأبا عبد الله ابن أبى موسى الهاشمى فى الصلح وكتب الى الاخشيد محمد بن طغج صاحب مصر يستقدمه فجاءه وانتهى الى حلب وبها أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان من قبل ابن عمه ناصر الدولة فارتحل عنها وتخلف عنه ابن مقاتل وقد كان صادره ناصر الدولة على خمسين ألف دينار فاستقدم الاخشيد وولاه خراج مصر وسار الاخشيد من حلب ولقى المتقى بالرقة وأهدى اليه والى الوزير بن الحسين بن مقلة وسائر الحاشية واجتهد به أن يسير معه الى مصر ليقيم خلافته هنالك فأبى تخوفه من توزون فلم يقبل وأشار على ابن مقلة أن يسير معه الى مصر فيحكمه فى البلاد فأبى وكانوا ينتظرون عود رسلهم من توزون فبعثوا اليهم بيمين توزون والوزير ابن شيرزاد بحضر القضاة والعدول والعباسيين والعلويين وغيرهم من طبقات الناس وجاء الكتاب بخطوطهم بذلك

وتأكيد اليمين ففارق المتقى الاخشيد وانحدر من الوقت فى الفرات آخر المحرم سنة ثلاث وثلاثين ولقيه توزون بالسندية فقبل الارض وقال قد وفيت بيمينى ووكل به وبأصحابه وأنزله فى خيمته ثم سمله لثلاث سنين ونصف من خلافته وأحضر أبا القاسم عبد الله بن المكتفى فبايعه الناس على طبقاتهم ولقب المستكفى وجىء بالمتقى فبايعه وأخذت منه البردة والقضيب واستوزر أبا الفرج محمد بن على السامرى فكان له اسم الوزارة على سنن من قبله والامور راجعة لابن شيرزاد كاتب توزون ثم خلع المستكفى على توزون وتوجه وحبس المتقى وطلب أبا القاسم الفضل بن المقتدر الذى لقب فيما بعد بالمطيع فاختفى سائر أيامه وهدمت داره

(وفاة توزون وامارة ابن شيرزاد)

وفى المحرم من سنة أربع وثلاثين وثلثمائة مات توزون ببغداد لست سنين وخمسة أشهر من امارته وكان ابن شيرزاد كاتبه أيامه كلها وبعثه قبل موته لاستخلاص الاموال من هيت فلما بلغه خبر الوفاة عزم على عقد الامارة لناصر الدولة بن حمدان فأبى الجند من ذلك واضطربوا وعقدوا له الرياسة عليهم واجتمعوا عليه وحلفوا وبعث الى المستكفى ليحلف له فأجابه وحلف له بحضرة القضاة والعدول ودخل اليه ابن شيرزاد فولاه أمير الامراء وزاد فى الارزاق زيادة متسعة فضاقت عليه الاموال فبعث أبا عبد الله بن أبى موسى الهاشمى الى ابن حمدان يطالبه بالمال ويعده بامارة الامراء فأنفذ اليه خمسمائة ألف درهم وطعاما وفرقها فى الجند فلم تكف ففرض الاموال على العمال والكتاب والتجار لارزاق الجند ومدت الايدى الى أموال الناس وفشا الظلم وظهرت اللصوص وكبسوا المنازل وأخذ الناس فى الخلاص من بغداد ثم استعمل على واسط ينال كوشه وعلى تكريت الفتح السيكرى فسار الى ابن حمدان ودعا له شكرا فولاه عليها من قبله

(استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام الخلافة فى سلطانهم)

قد تقدم لنا استبداد أهل النواحى على الخلافة منذ أيام المتوكل ولم يزل نطاق الدولة العباسية يتضايق شيأ فشيأ وأهل الدولة يستبدون واحدا بعد واحد الى أن أحاطوا ببغداد وصاروا ولاة متعددة يفرد كل واحد منهم بالذكر وسياقة الخبر الى آخرها وكان من أقرب المستبدين الى مقر الخلافة بنو بويه باصبهان وفارس ومعز الدولة منهم بالاهواز وقد تغلب على واسط ثم انتزعت منه وبنو حمدان بالموصل والجزيرة وقد تغلب

على هيت وصارت تحت ملكهم ولم يبق للخلفاء الا بغداد ونواحيها ما بين دجلة والفرات وأمراؤهم مع ذلك مستبدون عليهم ويسمون القائم بدولتهم أمير الامراء كما مر في أخبارهم الى أن انتهى ذلك الى دولة المتقي والقائم بها ابن شيرزاد وولى على واسط ينال كوشه كما قلنا فانحرف عن ابن شيرزاد وكاتب معز الدولة وقام بدعوته في واسط واستدعاه لملك بغداد فزحف في عساكر الديلم اليها ولقيه ابن شيرزاد والاتراك وهربوا الى ابن حمدان بالموصل واختفى المستكفي وقدم معز الدولة كاتبه الحسن محمد المهلبي الى بغداد فدخلها وظهر الخليفة فظهر عنده المهلبي وجدد له البيعة عن معز الدولة أحمد بن بويه وعن أخويه عماد الدولة علي وركن الدولة الحسن وولاهم المستكفي على أعمالهم ولقبهم بهذه الالقاب ورسمها على سكته ثم جاء معز الدولة الى بغداد وملكها وصرف الخليفة في حكمه واختص باسم السلطان فبقيت أخبار الدولة تؤثر عنهم وان كان منها ما يختص بالخليفة فقليل فلذلك صارت أخبار هؤلاء الخلفاء منذ المستكفي الى المتقي مندرجة في أخبار بني بويه والسلجوقية من بعدهم لعطلهم من التصرف الا قليلا يختص بالخلفاء نحن ذاكره ونرجئ بقية أخبارهم الى أخبار الديلم والسلجوقية الغالبين على الدولة عندما نفرد دولتهم كما شرطناه

{ الخبر عن الخلفاء من بني العباس المغلبين لدولة بني بويه من السلجوقية من بعدهم }
{ من لدن المستكفي الى المتقي ومالهم من الاحوال الخاصة بهم ببغداد ونواحيها }

لما دخل معز الدولة بن بويه الى بغداد غلب على المستكفي وبقي في كفالته وكان المستكفي في سنة ثلاث وثلاثين قبلها قبض على كاتبه أبي عبد الله بن أبي سليمان وعلى أخيه واستكتب أبا أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي في خاص أمره وكان قبله كاتبا لابن حمدان وكان يكتب للمستكفي قبل الخلافة فلما نصب للخلافة قدم من الموصل فاستكتبه المستكفي في هذه السنة على وزيره أبي الفرج لاثنين وأربعين يوما من وزارته وصادره على ثلثمائة ألف درهم ولما استولى معز الدولة ببغداد على الامر وبعث أبو القاسم البريدي صاحب البصرة ضمن واسط وأعمالها وعقد له عليها

(خلع المستكفي وبيعة المطيع)

وأقام المستكفي بعد استيلاء معز الدولة على الامر أشهرا قلائل ثم بلغ معز الدولة أن المستكفي يسعى في اقامة غيره فتنكر له ثم أجلسه في يوم مشهود لحضور رسول من صاحب خراسان وحضر هو في قومه وعشيرته وأمر رجلين من نقباء الديلم جاآ ليقبلا يد المستكفي ثم جذباه عن سريره وساقاه ماشيا وركب معز الدولة وجاء به

الى داره فاعتقله بها واضطرب الناس وعظم النهب ونهب دار الخلافة وقبض على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي وكان ذلك في جمادى الآخرة لسنة وأربعة أشهر من خلافته ثم بويع أبو القاسم الفضل بن المقتدر وقد كان المستكفي طلبه حين ولي لا طلاقه على شأنه في طلب الخلافة فلم يظفر به واختفى فلما جاء معز الدولة تحول الى داره واختفى عنده فلما قبض على المستكفي بويع له ولقب المطيع لله ثم أحضر المستكفي عنده فأشهد على نفسه بالخلع وسلم عليه بالخلافة ولم يبق للخليفة من الامر شئ البتة منذ أيام معز الدولة ونظر وزير الخليفة مقصور على اقطاعه ونفقات داره والوزارة منسوبة الى معز الدولة وقومه من الديلم شيعة للعلوية منذ اسلامهم على يد الاطروش فلم يكونوا من شيعة العباسية في شئ ولقد يقال بأن معز الدولة اعتزم على نقل الخلافة منهم الى العلوية فقال له بعض أصحابه لا تول أحدا يشركك قومك كلهم في محبته والاشتمال عليه وربما يصير لهم دونك فأعرض عن ذلك وسلبهم الامر والنهي وتسلم عماله وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وسائر أراضيه وصار الخليفة انما يتناول منه ما يقطعه معز الدولة ومن بعده مما يسد بعض حاجاته نعم انهم كانوا يفردونهم بالسرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفد واجلالهم في التحية والخطاب وكل ذلك طوع القائم على الدولة وكان يفرد في كل دولة بني بويه والسلجوقية بلقب السلطان مما لا يشاركه فيه أحد ومعنى الملك من تصريف القدرة واظهار الابهة والعز حاصل له دون الخليفة وغيره وكانت الخلافة حاصلة للعباسي المنصوب لفظا مسلوبة معنى والله المدبر للامور لا اله غيره

(انقلاب حال الدولة بما تجدد في الجباية والاقطاع)

لما استولى معز الدولة طلب الجند أرزاقهم على عادتهم وأكثر لسبب ما تجدد من الاستيلاء الذي لم يكن له فاضطر الى ضرب المكوس وأخذ أموال الناس من غير وجهها وأقطع قواده وأصحابه من أهل عصبيته وغيرا لمساهمين له في الامر جميع القرى التي بجانب السلطان فارتفعت عنها أيدي العمال وبطلت الدواوين واختلف حال القرى في العمارة عما كان في أيدي القواد والرؤساء حصل بهم لاهلها الرفق فزادت عمارتها وتوفر دخلها ولم تكن مناظرتهم في ذلك ولا تقديره عليهم وما كان بأيدي العامة والاتباع عظم خرابه لما كان يعدم من الغلاء والنهب واختلاف الايدي وما يزيد الآن من الظلم ومصادرات الرعايا والحيف في الجباية واهمال النظر في تعديل القناطر والمشارب وقسم المياه على الارضين فاذا خربت قراهم ردوها وطلبوا العوض عنها فيصير الآخر منها لما صار اليه الاول ثم أمر معز الدولة قواده وأصحابه

بحماية الاقطاع والضياع وولاتها وصارت الجبايات لنظرهم والتعويل فى المرتفع على أخبارهم فلا يقدر أهل الدواوين والحسابات على تحقيق ذلك عليهم ولم يقف عند ذلك على غاية فبطلت الاموال وصار جمعها من المكوس والظلامات وعجز معز الدولة عن ذخيرة يعدها للنوائب سلطانه ثم استكثر من الموالى الاتراك ليجدع بهم من أنوف قومه وفرض لهم الارزاق وزادهم الاقطاع فعظمت غيرة قومه من ذلك وآل الامر الى المنافرة كما هو الشأن فى طبيعة الدول

(مسير ابن حمدان الى بغداد)

ولما استولى معز الدولة على بغداد وخلع المستكفى بلغ الخبر الى ناصر الدولة بن حمدان فشق ذلك عليه وسار من الموصل الى بغداد وانتهى الى سامرا فى شعبان سنة أربع وكان معز الدولة حين سمع قدوم عساكره مع ينال كوشه وقائد آخر فقتل القائد ولحق بناصر الدولة وجاء ناصر الدولة الى بغداد فأقام بها وخالفه معز الدولة الى تكريت فنهبها لانها من أعماله ثم عاد معز الدولة والمطيع فنزلوا بالجانب الغربى من بغداد وقاتلوا ناصر الدولة بالجانب الشرقى وتقدم ناصر الدولة الى الاعراب بالجانب الغربى بقطع الميرة عن معز الدولة فغلت الاسعار وعزت الاقوات ومنع ناصر الدولة من الخطبة للمطيع والمعاملة بسكته ودعا للمتقى وبيت معز الدولة مرارا وضاق الامر به واعتزم على ترك بغداد والعود الى الاهواز ثم أظهر الرحيل ذات ليلة وأمر وزيره أبا جعفر الصهيرى بالعبور فى أكثر العساكر وأقام بالكتيبة مكانه وجاء ينال كوشه لقتاله فانهزم واضطرب عسكر ناصر الدولة وأجفلوا وغنم الديلم أموالهم وأظهرهم ثم أمن معز الدولة الناس وعاد المطيع الى داره فى محرم سنة خمس وثلاثين وقام التوزونية عليه فلما شعروا به نكروه وهموا بقتله فأسرى هاربا ومعه ابن شيرزاد وفر الى الجانب الغربى ثم لحق بالقرامطة فأجاروه وبعثوه الى الموصل ثم استقر الصلح بينه وبين الدولة كما طلب ولما فر عن الاتراك اتفقوا على تكين الشيرازى فولوه عليهم وقبضوا على من تخلف من كتابه وأصحابه وساروا فى اتباعه الى نصيبين ثم الى سنجار ثم الى الحديثة ثم الى السن ولحق هنالك عسكر معز الدولة مع وزيره أبى جعفر الصهيرى وقد كان استمده ناصر الدولة سار ناصر الدولة وابن الصهيرى الى الموصل فنزلوا عليها وأخذ الصهيرى من ناصر الدولة ابن شيرزاد وحمله الى معز الدولة وذلك سنة خمس وثلاثين

(استيلاء معز الدولة على البصرة)

وفى هذه السنة انتقض أبو القاسم البريدى بالبصرة فجهز معز الدولة الجيش جماعة

أعيانهم الى واسط ولقيهم جيش بن البريدى فى الماء والى الظهر فانهزموا الى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة ثم سار معز الدولة سنة ست وثلاثين الى البصرة ومعه المطيع لاستنقاذها من يد أبى القاسم بن البريدى وسلكوا اليها البرية فبعث القرامطة يعذلون فى ذلك معز الدولة فكتب يهددهم ولما قارب البصرة استأمنت اليه عساكر أبى القاسم وهرب هو الى القرامطة فأجاروه وملك معز الدولة البصرة ثم سار منها الى الاهواز ليلتقى أخيه عماد الدولة وترك المطيع وأبا جعفر الصهيرى بالبصرة ولقى أخاه بأرجان ثم عاد الى بغداد والمطيع معه وأراد السير الى الموصل فأرسل اليه ناصر الدولة فى الصلح وحمل المال فتركه ثم انتقض سنة سبع وثلاثين فسار اليه معز الدولة وملك الموصل ولحق ناصر الدولة بنصيبين وأخذ معز الدولة فى ظلم الرعايا وعسفهم ثم بعث اليه أخوه ركن الدولة باصبهان بأن عسكر خراسان قصدت جرجان والرى واستمده فاضطر معز الدولة الى صلح ناصر الدولة عن الموصل والجزيرة وما ملكه سيف الدولة من الشأم دمشق وحلب على ثمانية آلاف ألف درهم ويخطب لعماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة بنى بويه فاستقر الصلح على ذلك وعاد الى بغداد

(ابتداء أمر بنى شاهين بالبطيحة)

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة وحصلت عنده جبايات فهرب الى البطيحة خوفا من الحكام وأقام بين القصب والآجام يقتات بصيد السمك والطير ثم كشف سابلة البطيحة واجتمع عليه جماعة من الصيادين واللصوص ثم اشتد خوفه فاستأمن الى أبى القاسم بن البريدى صاحب البصرة نقلده حماية الجامدة ونواحى البطائح وجمع السلاح واتخذ معاقل على تلال البطيحة وغلب على نواحيها وسرح معز الدولة وزيره أبا جعفر الصهيرى سنة ثمان وثلاثين فقاتله فهرب واستأمن أهله وعياله ثم جاء الخبر الى معز الدولة بموت أخيه عماد الدولة بفارس واضطراب أحواله بها فكتب الى الصهيرى بالفرار الى شيرزاد لاصلاح الامور فسار اليها وعاد عمران بن شاهين الى البطيحة واجتمع اليه أصحابه وقوى أمره وبعث معز الدولة الى قتاله روزبهان من أعيان عسكره فأطال حصاره فى مضايق البطيحة ثم ناجزه الحرب فهزمه عمران وهرب عسكره وصار أصحابه يطلبون البذرقة والخفارة من جند السلطان فى السابلة وانقطع طريق البصرة الاعلى الظهر وكان الصهيرى قد هلك وولى مكانه المهلبى فكتب معز الدولة الى المهلبى وهو بالبصرة فصعد الى واسط وأمده بالقواد والسلاح وأطلق يده فى الانفاق فزحف الى البطيحة وضيق على عمران فانتهى الى مضايق خفية وأشار عليه روزبهان بمعاجلة القوم وكتب الى معز الدولة يشكو المطاولة من المهلبى فكتب اليه

معز الدولة بالاستبطاء فبادر الى المناجزة وتوغل فى تلك المضايق فانهزم وقتل من أصحابه وأسر ونجا هو سباحة فى الماء وأسر عمران أكابر القواد حتى صالحه معز الدولة وقلده البطائح وأطلق له أهله على أن يطلق القواد الذين فى أسره فأطلقهم

(موت الصهيرى ووزارة المهلبى)

كان أبو جعفر محمد بن أحمد الصهيرى وزير المعز الدولة وكان قد سار لقتال عمران واستخلف مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى فعرفت كفايته واصلاحه وأمانته وتوفى أبو جعفر الصهيرى محاصر العمران فولى معز الدولة مكانه أبا محمد المهلبى فأحسن السيرة وأزال المظالم وخصوصا عن البصرة فكان فيها شعب كثيرة من المظالم من أيام أبى البريدى وتنقل فى البلاد لكشف المظالم وتخليص الحقوق فحسن أثره ونقم عليه معز الدولة بعض الامور فنكبه سنة احدى وأربعين وحبسه فى داره ولم يعزله

(حصار البصرة)

قد تقدم لنا أن القرامطة أنكروا على معز الدولة مسيره الى البصرة على بلادهم وذكرنا ما دار بينهم فى ذلك ولما علم يوسف ابن وجيه استيحاشهم بعث اليهم يطمعهم فى النصرة واستمدهم فأمدوه وسار فى البحر سنة احدى وأربعين وبلغ الخبر الى الوزير المهلبى وقد قدم من شأن الاهواز فسار الى البصرة وسبق اليها ابن وجيه وقاتله فهزمه وظفر بمراكبه

(استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده)

قد تقدم لنا صلح معز الدولة مع ناصر الدولة على ألفى ألف درهم كل سنة فلما كانت سنة سبع وأربعين أخرج حمل المال فسار معز الدولة الى الموصل فى جمادى ومعه وزيره المهلبى فاستولى على الموصل ولحق ناصر الدولة بنصيبين ومعه كتابه وجميع أصحابه وحاشيته ومن يعرف وجوه المنافع وأنزلهم فى قلعة كواشى وغيرها وأمر الاعراب بقطع الميرة عن الموصل فضاقت الابواب على عسكر معز الدولة فسار عن الموصل الى نصيبين واستخلف عليها سبكتكين الحاجب الكبير وبلغه فى طريقه أن أولاد ناصر الدولة بسنجار فى عسكر فبعث عسكرا فكبسوهم واشتغلوا بالنهب فعاد اليهم أولاد ناصر الدولة وهم غازون فاستلحموهم وسار ناصر الدولة عن نصيبين الى ميافارقين ورجع أصحابه الى معز الدولة مستأمنين فسار هو الى أخيه سيف الدولة بحلب فتلقاه وأكرمه وتراسلوا فى الصلح على ألفى ألف درهم وتسعمائة ألف درهم واطلاق من أسر

بسنجار وأن يكون ذلك فى ضمان سيف الدولة فتم بينهما وعاد معز الدولة الى العراق فى محرم سنة ثمان وأربعين

(بناء معز الدولة ببغداد)

أصاب معز الدولة سنة خمسين مرض اشفى منه حتى وصى واستوخم بغداد فارتحل الى كلواذا ليسير الى الاهواز وأسف أصحابه لمفارقة بغداد فأشاروا عليه ان يبنى لسكناه فى أعاليها فبنى دارا أنفق عليها ألف ألف دينار وصادر فيها جماعة من الناس

(ظهور الكتابة على المساجد)

كان الديلم كما تقدم لنا شيعة لاسلامهم على يد الاطروش وقد ذكرنا ما منع بنى بويه من تحويل الخلافة عن العباسية اليهم فلما كان سنة احدى وخمسين وثلثمائة أصبح مكتوبا على باب الجامع ببغداد لعن صريح فى معاوية ومن غصب فاطمة فدك ومن منع من دفن الحسن عند جده ومن نفى أبا ذر ومن أخرج العباس من الشورى ونسب ذلك الى معز الدولة ثم محى من الليلة القابلة فأراد معز الدولة اعادته فأشار المهلبى بأن يكتب مكان المحو لعن معاوية فقط والظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ثامن عشر ذى الحجة من هذه السنة أمر الناس باظهار الزينة والفرح بعيد الغدير من أعياد الشيعة وفى السنة بعدها أمر الناس فى يوم عاشوراء أن يغلقوا دكاكينهم ويقعدوا عن البيع والشراء ويلبسوا المسوح ويعلنوا بالنياحة وتخرج النساء مسبلات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن ولطمن خدودهن حزنا على الحسين ففعل الناس ذلك ولم يقدر أهل السنة على منعه لان السلطان للشيعة وأعيد ذلك سنة ثلاث وخمسين فوقعت فتنة بين أهل السنة والشيعة ونهب الاموال

(استيلاء معز الدولة على عمان وحصاره البطائح)

انحدر معز الدولة سنة خمس وخمسين الى واسط لقتال عمران بن شاهين بالبطائح فأنفذ الجيش من هنالك مع أبى الفضل العباس بن الحسين وسار الى الابلة فأنفذ الجيش الى عمان وكان القرامطة قد استولوا عليها وهرب عنها صاحبها نافع وبقى أمرها فوضى فاتفق قاضيها وأهل البلد أن ينصبوا عليهم رجلا منهم فنصبوه ثم قتله بعضهم فولوا آخر من قرابة القاضى يعرف بعبد الرحمن بن أحمد بن مروان واستكتب على بن أحمد الذى كان وصل مع القرامطة كاتبا وحضر وقت العطاء فاختلف الزنج والبيض فى الرضا بالمساواة وبعدمها واقتتلوا فغلب الزنج وأخرجوا عبد الوهاب واستقر على

ابن أحمد أميرا فلما جاء معز الدولة الى واسط هذه السنة قدم عليه نافع الاسود صاحب عمان مستنجدا به فانحدر به من الابلة وجهز له المراكب لحمل العساكر وعليهم أبو الفرج محمد بن العباس بن فساغس وهى مائة قطعة فساروا الى عمان وملكوها تاسع ذى الحجة من سنة خمس وخمسين وقتلوا من أهلها وأحرقوا مراكبها وكانت تسعة وثمانين وعاد معز الدولة الى واسط وحاصر عمران وأقام هنالك فاعتل وصالح عمران وانصرف عنه

(وفاة الوزير المهلبى)

سار الوزير المهلبى فى جمادى سنة ثنتين وخمسين الى عمان ليفتحها فاعتل فى طريقه ورجع الى بغداد فمات فى شعبان قبل وصوله وحمل فدفن بها لثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر من وزارته وقبض معز الدولة أمواله وذخائره وصارت اليه وحواشيه ونظر فى الامور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازى وأبو الفرج محمد بن العباس ابن فساغس ولم يلقب أحد منهما بوزارة

(وفاة معز الدولة وولاية ابنه بختيار)

ولما رجع معز الدولة الى بغداد اشتد مرضه فعهد بالسلطنة الى ابنه عز الدولة وتصدق وأعتق وتوفى فى ربيع من سنة ست وخمسين لثنتين وعشرين سنة من سلطنته وولى ابنه عز الدولة بختيار وقد كان أوصاه بطاعة عمه ركن الدولة وبطاعة ابنه عضد الدولة لانه كان أكبر سنا وأخبر بالسياسة ووصاه بحاجبه سبكتكين وبكاتبيه أبى الفضل العباس وأبى الفرج فخالف وصاياه وعكف على اللهو وأوحش هؤلاء ونفى كبار الديلم شرها فى اقطاعاتهم وشغب عليه الاصاغر فزادهم واقتدى بهم الاتراك وجاء أبو الفرج محمد بن العباس من عمان بعد أن سلمها الى نواب عضد الدولة الذين كانوا فى أمداده وخشى أن يؤمر بالمقام بها وينفرد أبو الفضل صاحبه بالوزارة ببغداد فكان كما ظن ثم انتقض بالبصرة حبشى بن معز الدولة على أخيه بختيار سنة ست وخمسين فبعث الوزير أبو الفضل العباس فسار موريا بالاهواز ونزل واسط وكتب الى حبشى بأنه جاء ليسلمه البصرة وطلب منه المعونة على أمره فأنفذ اليه مائتى ألف درهم وأرسل الوزير خلال ذلك الى عسكر الاهواز أن يوافوه بالابلة لموعد ضربه لهم فوافوه وكبسوا حبشيا بالبصرة وحبسوه برامهرمز ونهبوا أمواله وكان من جملة ما أخذ له عشرة آلاف مجلد من الكتب وبعث ركن الدولة بتخليص حبشى ابن أخيه وجعله عند عضد الدولة فأقطعه الى أن مات سنة سبع وستين

(عزل أبى الفضل ووزارة ابن بقية)

لما ولى أبو الفضل وزارة بختيار كثر ظلمه وعسفه وكان محمد بن بقية من حاشية بختيار وكان يتولى له المطبخ فلما كثر شغب الناس من أبى الفضل عزله بختيار سنة ثنتين وستين وولى مكانه محمد بن بقية فانتشر الظلم أكثر وخربت النواحى وظهرت العيارون ووقعت الفتن بين الاتراك وبختيار فأصلح ابن بقية بينهم وركب سبكتكين بالاتراك الى بختيار ثم أفسد بينهم وتحرك الديلم على سبكتكين وأصحابه فأرضاهم بختيار بالمال ورجعوا عن ذلك

كان ناصر الدولة بن حمدان قد قبض عليه ابنه أبو تغلب وحبسه سنة ست وخمسين وطمع فى المسير الى بغداد وجاء أخوه حمدان وابراهيم فازعين الى بختيار ومستنجدين به فشغل عنهما بما كان فيه من شأن البطيحة وعمان حتى اذا قضى وطره من ذلك وعزل أبا الفضل الوزير واستوزر ابن بقية حمله على ذلك وأغراه به فسار الى الموصل ونزلها فى ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ولحق ابو تغلب بسنجار بأصحابه وكتابه ودواوينه ثم سار الى بغداد وبعث بختيار فى أثره الوزير ابن بقية وسبكتكين فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين يحاربه فى ظاهرها ووقعت الفتنة داخل بغداد فى الجانب الغربى بين أهل السنة والشيعة واتفق سبكتكين وأبو تغلب على أن يقبضا على الخليفة والوزير وأهل بختيار ويعود سبكتكين الى بغداد مستوليا وأبو تغلب الى الموصل ثم اقصر سبكتكين عن ذلك وتوقف وجاء الوزير ابن بقية وأرسلوا الى أبى تغلب فى الصلح وأن يضمن البلاد ويرد على أخيه حمدان أقطاعه وأملاكه الا ماردين وعاد أبو تغلب الى الموصل ورحل بختيار وسار سبكتكين للقائه واجتمع بختيار وأبو تغلب على الموصل وطلب أبو تغلب زوجته ابنة بختيار وأن يحط عنه من الضمان ويلقب لقبا سلطانيا فأجيب الى ذلك خشية منه ورحل بختيار الى بغداد وسر أهل الموصل برحيله لما نالهم منه وبلغه فى طريقه ان أبا تغلب قتل قوما من أصحابه وكانوا استأمنوا لبختيار ورحفوا لنقل أهلهم وأموالهم فاشتد ذلك عليه وكتب الى الوزير أبى طاهر بن بقية والحاجب ابن سبكتكين يستقدمهما فى العساكر فجاؤا وعادوا الى الموصل وعزم على طلبه حيث سار فأرسل أبو تغلب فى الصلح وجاء الشريف أبو أحمد الموسوى والد الشريف الرضى وحلف على العلم فى قتل أولئك المستأمنة وعاد الصلح والاتفاق كما كان ورجع بختيار الى بغداد وبعث ابنته الى زوجها أبى تغلب

(الفتنة بين بختيار وسبكتكين والاتراك)

كان بختيار قد قلت عنده الاموال وكثرت مطالب الجند وشغبهم فكان يحاول على جمع الاموال فتوجه الى الموصل لذلك ثم رجع فتوجه الى الاهواز ليجدد ربعه الى مصادرة عاملها وتخلف عنه سبكتكين والاتراك الذين معه ووقعت فتنة بين الاتراك والديلم بالاهواز واقتتلوا ولج الاتراك فى طلب ثارهم وأشار عليه أصحاب الديلم بقبض رؤساء الاتراك وقوادهم ففعل وكان من جملتهم عامل الاهواز وكاتبه ونهبت أموالهم وبيوتهم ونودى فى البلد باستباحتهم وبلغ الخبر الى سبكتكين وهو ببغداد فنقض طاعة بختيار وركب فى الاتراك وحاصر داره يومين وأحرقها وأخذ أخويه وأمهما فبعثهم الى واسط فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وانحدر المطيع معهم فرده ونزل الاتراك فى دور الديلم ونهبوها وثارت العامة مع سبكتكين لان الديلم كانوا شيعة وسفكت الدماء وأحرق الكرخ وظهر أهل السنة

(خلع المطيع وولاية الطائع)

كان المطيع قد أصابه الفالج وعجز عن الحركة وكان يتستر به وانكشف حاله بسبكتكين فى هذه الواقعة فدعاه الى أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة لعبد الكريم ففعل ذلك منتصف ذى القعدة سنة ثلاث وستين لست وعشرين سنة ونصف من خلافته وبويع ابنه عبد الكريم ولقب الطائع

(الصوائف)

وعادت الصوائف منذ استبد ناصر الدولة بن حمدان بالموصل وأعمالها وملك سيف الدولة أخوه مدينتى حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين فصار أمر الصوائف اليه فنذكرها فى أخبار دولتهم فقد كان لسيف الدولة فيها آثار وكان للروم فى أيامه جولات حسنت فيها مدافعته وأما الولايات فانقطعت منذ استيلاء معز الدولة على العراق وانقسمت الدولة الاسلامية دولا نذكر ولايات كل منها فى أخبارها عند انفرادها على ما شرطناه

(فتنة سبكتكين وموته وامارة افتكين)

لما وقع بختيار فى الاتراك بالاهواز ما وقع وانتقض سبكتكين ببغداد عمد بختيار الى من حبسه من الاتراك فأطلقهم وولى منهم على الاتراك آزاذرويه الذى كان عامل الاهواز وسار الى واسط للقائه واخويه وكتب الى عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة يستنجدهما والى أبى ثعلب بن حمدان فى المدد بنفسه ويسقط عنه مال

الاقطاع والى عمران بن شاهين بالبطيحة كذلك فجهز اليه عمه ركن الدولة العسكر مع وزيره أبى الفتح بن العميد وكتب الى ابن عمه عضد الدولة بالمسير معه فتثاقل وتربص ببختيار طمعا فى ملك العراق وأما عمران بن شاهين فدافع واعتذر بأن عسكره لا يفتكون فى الديلم لما كان بينهم وأما أبو ثعلب فبعث أخاه أبا عبد الله الحسين فى عسكر الى تكريت فلما سار الاتراك عن بغداد الى واسط لقتال بختيار وجاء هو اليها ليقيم الحجة فى سقوط الاقطاع عنه ووجد الفتنة حامية بين العيارين فكف الفتنة وانتظر ما يقع ببختيار فيدخل بغداد ويملكها ولما سار الاتراك الى واسط حملوا معهم خليفتهم الطائع لله وأباه المطيع المخلوع وانتهوا الى دير العاقول فهلك المطيع وسبكتكين معا وولى الاتراك عليهم افتكين من أكابر قوادهم ومولى معز الدولة فانتظم أمرهم وساروا الى واسط وحصروا بها بختيار خمسين يوما حتى اشتد عليه الحصار وهو يستحث عضد الدولة

(نكبة بختيار على يد عضد الدولة ثم عوده الى ملكه)

لما تتابعت كتب بختيار الى عضد الدولة باستحثاثه سار فى عساكر فارس وجاءه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه الى الاهواز فى عساكر الرى وساروا الى واسط وأجفل عنها افتكين والاتراك الى بغداد ورجع أبو ثعلب الى الموصل ولما جاء عضد الدولة الى واسط سار الى بغداد فى الجانب الشرقى وسار بختيار فى الجانب الغربى وحاصروا الاتراك ببغداد من جميع الجهات وأرسل بختيار الى ضبة بن محمد الاسدى من أهل عين التمر والى أبى سنان وأبى ثعلب بن حمدان بقطع الميرة والاغارة على النواحى فغلا السعر ببغداد وثار العيارون ووقع النهب وكبس افتكين المنازل فى طلب الطعام فعظم الهرج وخرج افتكين والاتراك للحرب فلقيهم عضد الدولة فهزمهم وقتل أكثرهم واستباحهم ولحقوا بتكريت وحملوا الخليفة معهم ودخل عضد الدولة الى بغداد فى جمادى سنة أربع وستين وحاول فى رد الخليفة الطائع فرده وأنزله بداره وركب للقائه الماء فى يوم مشهود ثم وضع الجند على بختيار فشغبوا عليه فى طلب أرزاقهم وأشار عليه بالغلظة عليهم والاستعفاء من الامارة وانه عند ذلك يتوسط فى الاصلاح فأظهر بختيار التخلى وصرف الكتاب والحجاب ثقة بعضد الدولة وتردد السفراء بينهم ثلاثا ثم قبض عضد الدولة على بختيار واخوته ووكل بهم وجمع الناس وأعلمهم بعجز بختيار ووعدهم بحسن النظر وقام بواجبات الخلافة وكان المرزبان بن بختيار أميرا بالبصرة فامتنع فيها على عضد الدولة وكتب الى ركن الدولة يشكو ما جرى على أبيه بختيار من ابنه عضد الدولة ووزيره ابن العميد فأصابه من ذلك المقيم المقعد حتى

لقد طرقه المرض الذى لم يستقل منه وكان ابن بقية وزير بختيار قد ساء الى عضد الدولة ونمنه واسط وأعمالها فانتقض عليه بها وداخل عمران بن شاهين فى الخلافة فأجابه وكتب الى سهل بن بشر وزير افتكين بالاهواز وقد كان عضد الدولة ضمنه اياها وبعثه اليها مع جيش بختيار فاستماله ابن بقية وخرجت اليه جيوش عضد الدولة فهزمهم وكاتب أباه ركن الدولة بالاحوال وأوعز ركن الدولة اليه والى المرزبان بالبصرة على المسير بالعراق لاعادة بختيار واضطربت النواحى على عضد الدولة لانكار ابيه وانقطع عن مدد فارس وطمع فيه الاعداء فبعث أبا الفتح بن العميد الى أبيه يعتذر عما وقع وان بختيار عجز ولا يقدر على المملكة وانه يضمن أعمال العراق بثلاثين ألف ألف درهم ويبعث بختيار واخوته اليه لينزله بأى الاعمال أحب ويخير أباه فى نزوله العراق لتدبير الخلافة ويعود هو الى فارس وتهدد أباه بقتل بختيار واخوته وجميع شيعهم ان لم يوافق على واحدة من هذه فخاف ابن العميد غائلة هذه الرسالة وأشار بارسال غيره وأن يمضى هو بعدها كالمصلح فبعث عضد الدولة غيره فلما ألقى الرسالة غضب ركن الدولة ووثب الى الرسول ليقتله ثم رده بعد أن سكن غضبه وحمله الى عضد الدولة من الشتم والتقريع على مافعله وعلى مايطلب منه من كل صعب من القول وجاء ابن العميد على اثر ذلك فحجبه وتهدده ثم لم يزل يسترضيه بجهده واعتذر بأن قبوله لهذه الرسالة حيلة على الوصول اليه والخلاص من عضد الدولة وضمن له اعادة عضد الدولة الى فارس وتقرير بختيار بالعراق فأجاب عضد الدولة الى ذلك وأفرج عن بختيار ورده الى السلطنة على أن يكون نائبا عنه ويخطب عنه ويجعل أخاه أبا اسحق أمير الجيش لعجز بختيار ورد عليهم ما أخذ لهم وسار الى فارس وأمر ابن العميد أن يلحق به بعد ثلاث فتشاغل مع بختيار باللذات ووعده أن يصير الى وزارته بعد ركن الدولة وأرسل بختيار عن ابن بقية فقام بأمر الدولة واحتجن الاموال فاذا طولب بها دس للجند فشغبوا حتى تنكر له بختيار واستوحش هو

(خبر افتكين)

ولما انهزم افتكين من عضد الدولة بالمدائن لحق بالشأم ونزل قريبا من حمص وقصد ظالم ابن موهوب أمير بنى عقيل العلوية بالشأم فلم يتمكن منه وسار افتكين الى دمشق وأميرها ريان خادم المعز لدين الله العلوى وقد غلب عليه الاحداث فخرج اليه مشيخة البلد وسألوه أن يملكهم ويكف عنهم شر الاحداث وظلم العمال واعتقاد الرافضة فاستحلفهم على ذلك ودخل دمشق وخطب فيها للطائع فى شعبان سنة أربع وستين ورجع أيدى العرب من ضواحيها وفتك فيهم وكثرت جموعه وأمواله وكاتب

المعز بمصر يداريه بالانقياد فكتب يشكره ويستدعيه ليوليه من جهته فلم يثق اليه فتجهز لقصده ومات فى طريقه سنة خمس وستين كما نذكر بقية خبره فى دولتهم

(ملك عضد الدولة بغداد وقتل بختيار)

ولما انصرف عضد الدولة الى فارس كما ذكرناه أقام بها قليلا ثم مات أبوه ركن الدولة سنة ست وستين بعد أن رضى عنه وعهد له بالملك كما نذكره فى خبره فلما مات شرع بختيار ووزيره ابن بقية فى استمالة أهل أعماله مثل أخيه فخر الدولة وحسنويه الكردى وطلب ابن حمدان وعمران بن شاهين فى عدوانه فسار عضد الدولة لطلب العراق واستمد حسنويه وابن حمدان فوا عداه ولم يمداه فسار الى الاهواز ثم سار الى بغداد ولقيه بختيار فهزمه عضد الدولة واستولى على أمواله وأثقاله ولحق بواسط وحمل اليه ابن شاهين أموالا وهدايا ودخل اليه مؤكدا للاستجارة به ثم صعد الى واسط وبعث عضد الدولة عسكرا الى البصرة فملكوها وكانت مضر شيعة له دون ربيعة وجمع بختيار ما كان له ببغداد والبصرة فى واسط وقبض على ابن بقية وأرسل عضد الدولة فى الصلح واختلفت الرسائل وجاءه عبد الرزاق وبدر ابنا حسنويه فى ألف فارس مددا فانتقض وسار الى بغداد وسار عضد الدولة الى واسط ثم الى البصرة فأصلح بين ربيعة ومضر بعد اختلافهم مائة وعشرين سنة ثم دخلت سنة سبع وستين فقبض عضد الدولة على أبى الفتح بن العميدى وزير أبيه وجدع أنفه وسمل احدى عينيه لما بلغه عنه فى مقامه بالفرات عند بختيار ولما اطلع عليه من مكاتبته اياه فبعث الى أخيه فخر الدولة بالرى بالقبض عليه وعلى أهله فقبض عليه وأخذ داره بما فيها ثم سار عضد الدولة الى بغداد سنة سبع وستين وبعث الى بختيار يخيره فى الاعمال فأجاب الى طاعته وأمره بانفاذ ابن بقية اليه ففقأ عينيه وأنفذه وخرج عن بغداد بقصد الشأم ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها وضرب على بابه ثلاث نوبات ولم يكن شئ من ذلك لمن قبله وأمر بابن بقية فرمى بين الفيلة فقتلته ولما سار بختيار الى الشأم ومعه حمدان أخو أبى تغلب وانتهوا الى عكبرا أحسن له حمدان وقصد الموصل وكان عضد الدولة قد استحلفه أن لا يدخل ولاية أبى تغلب فنكث وقصدها وجاءته رسل أبى تغلب بتكريت فى اسلام أخيه حمدان اليه فيمده بنفسه ويعيده الى ملكه فقبض على حمدان وبعثه مع نوابه فحبسه وسار أبو تغلب اليه فى عشرين ألف مقاتل وزحفوا الى بغداد ولقيهما عضد الدولة فهزمهما وأمر بختيار فقتل صبرا فى عدة من أصحابه لاحدى عشرة سنة من ملكه

(استيلاء عضد الدولة على ملك بنى حمدان)

ثم سار عضد الدولة بعد الهزيمة ومقتل بختيار الى الموصل فملكها منتصف ذى القعدة من سنة سبع وستين وكان حمل معه الميرة والعلوفات فأقام فى رغد وبث السراة فى طلب أبى ثعلب وراسله فى ضمان البلاد على عادته فلم يجبه فسار الى نصيبين ومعه المرزبان بن بختيار وأبو اسحق وطاهر أخو بختيار وأمهم فبعث عضد الدولة عسكرا الى جزيرة ابن عمر مع حاجبه أبى عمر لحرب طغان وعسكرا الى نصيبين مع أبى الوفاء طاهر بن محمد ففارقها أبو ثعلب الى ميافارقين واتبعه أبو الوفاء اليها فامتنعت عليه ولحق أبو ثعلب بأردن الروم ثم بالحسنية من أعمال الجزيرة وتتبع أبو ثعلب قلاعه وأخذ أمواله فى كواشى وغيرها وعاد الى ميافارقين ثم سار عضد الدولة اليه بنفسه واستأمن اليه كثير من أصحابه ورجع الى الموصل وبعث العسكر فى اتباعه فدخل بلاده فصاهره ورد الرومى المملك عليهم فى غير بيت الملك ليستعين به على أمره واتبعه عسكر عضد الدولة فهزمهم ونجا الى بلاد الروم لمساعدة ورد على شأنه لما يؤمل من نصرته اياه واتفق ان وردا انهزم فيئس منه أبو ثعلب وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين حتى فتح عضد الدولة جميع بلاده كما يذكر فى أخبار دولتهم واستخلف أبا الوفاء على الموصل وعاد الى بغداد وانقطع ملك بنى حمدان عن الموصل حينا من الدهر

(وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصام الدولة)

ثم توفى عضد الدولة فى شوال سنة ثنتين وسبعين لخمس سنين ونصف من ملكه واجتمع القواد والامراء على ولاية ابنه كاليجار المرزبان وبايعوه ولقبوه صمصام الدولة وجاءه الطائع معزيا فى أبيه وبعث اخويه أبا الحسين أحمد وأبا طاهر فيروزشاه فانتقض أخوهم شرف الدولة بكرمان الى فارس وسبق اليها أخويه وملكها وأقاما بالاهواز وقطع خطبة صمصام الدولة أخيه وخطب لنفسه وتلقب تاج الدولة وبعث اليه صمصام الدولة عسكرا صحبة على بن دنقش حاجب أبيه وبعث شرف الدولة عسكره مع الامير أبى الاغر دفليس بن عفيف الاسدى والتقيا عند قرقوب فانهزم ابن دنقش فى ربيع سنة ثلاث وسبعين وأسر واستولى أبو الحسن على الاهواز ورامهرمز وطمع فى الملك ثم ان اسفار بن كردويه من أكابر الديلم قام بدعوة شرف الدولة ببغداد سنة خمس وسبعين واستمال كثيرا من العسكر واتفقوا على ولاية أبى نصر بن عضد الدولة نائبا عن أخيه شرف الدولة وراسلهم صمصام الدولة فى الرجوع عن ذلك فلم يزدهم الا تماديا واجابه فولاذ بن مابدوار أنفة من متابعة اسفار وقاتله فهزمه وأخذ أبا نصر أسيرا

وأحضره عند أخيه صمصام الدولة واتهم وزيره ابن سعدان بمداخلتهم فقتله ومضى اسفار الى أبى الحسين بن عضد الدولة وباقى الديلم الى شرف الدولة وسار شرف الدولة الى الاهواز فملكها من يد أخيه الحسين ثم ملك البصرة من يد أخيه أبى طاهر وراسله صمصام الدولة فى الصلح فاتفقوا على الخطبة لشرف الدولة بالعراق وبعث اليه بالخلع والالقاب من الطائع

(نكبة صمصام الدولة وولاية أخيه شرف الدولة)

لما ملك شرف الدولة من يد أخيه أبى طاهر سار الى واسط فملكها وعمد صمصام الدولة الى أخيه أبى نصر وكان محبوسا عنده فأطلقه وبعثه الى أخيه شرف الدولة بواسط يستعطفه به فلم يلتفت اليه وجزع صمصام الدولة واستشار أصحابه فى طاعة أخيه شرف الدولة فخوفوه عاقبته وأشار بعضهم بالصعود الى عكبرا ثم منها الى الموصل وبلاد الجبل حتى يحدث من أمر الله فى فتنة بين الاتراك والديلم أو غير ذلك ما يسهل العود وأشار بعضهم بمكاتبة عمه فخر الدولة والمسير على طريق اصبهان فيخالف شرف الدولة الى فارس فربما يقع الصلح على ذلك فأعرض صمصام الدولة عن ذلك كله وركب البحر الى أخيه شرف الدولة فتلقاه وأكرمه ثم قبض عليه لاربع سنين من امارته وسار الى بغداد فى شهر رمضان من سنة ست وسبعين فوصلها وأخوه صمصام الدولة فى اعتقاله واستفحل ملكه واستطال الديلم على الاتراك بكثرتهم فانهم بلغوا خمسة عشر ألفا والاتراك ثلاثة آلاف ثم كثرت المنازعات بينهم وعض الديلم بالاتراك وأرادوا اعادة صمصام الدولة الى الملك ثم اقتتلوا فغلبهم الديلم وقتلوا منهم وغنموا أموالهم وسار بعضهم فذهب فى الارض ودخل الآخرون مع شرف الدولة الى بغداد وخرج الطائع لتلقيه وهنأه وأصلح شرف الدولة بين الفريقين وبعث صمصام الدولة الى فارس فاعتقل بها واستوزر شرف الدولة أبا منصور بن صالحان

(ابتداء دولة بادو بنى مروان بالموصل)

قد تقدم لنا ان عضد الدولة استولى على ملك بنى حمدان بالموصل سنة سبع وستين ثم استولى على ميافارقين وآمد وسائر ديار بكر من أعمالهم وعلى ديار مضر أيضا من أعمالهم سنة ثمان وستين وولى عليها أبا الوفاء من قواده وذهب ملك بنى حمدان من هذه النواحى وكان فى ثغور ديار بكر جماعة من الاكراد الحميدية مقدمهم أبو عبد الله الحسين بن دوشتك ولقبه بادو وكان كثير الغزو بتلك البلاد واخافة سبلها وقال ابن الاثير حدثنى بعض أصدقائنا من الاكراد الحميدية أن اسمه بادو وكنيته أبو شجاع

وان الحسين هو أخوه وان أول أمره انه ملك أرجيش من بلاد أرمينية فقوى اه

ولما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده وهم بقبضه ثم سأل عنه فافتقده وكف عن طلبه فلما مات عضد الدولة استفحل أمره واستولى على ميافارقين وكثير من ديار بكر ثم على نصيبين وقال ابن الاثير سار من أرمينية الى ديار بكر فملك ثم ميافارقين وبعث صمصام الدولة اليه العساكر مع أبى سعيد بهرام بن أردشير فهزمهم وأسر جماعة منهم فبعث عساكر أخرى مع أبى القاسم سعيد بن الحاجب فلقيهم فى بلد كواشى وهزمهم وقتل منهم وأسر ثم قتل الاسرى صبرا ونجا سعيد الى الموصل وباد فى اتباعه فثار به أهل الموصل نفورا من سوء سيرة الديلم فهرب منها ودخل باد وملك الموصل وحدث نفسه بالمسير الى صمصام الدولة ببغداد وانتزاع بغداد من يد الديلم واحتفل فيه ولقيهم باد فى صفر من سنة أربع وسبعين فهزموه وملكوا الموصل ولحق باد بديار بكر وجمع عليه عساكر وكان بنو سيف الدولة بن حمدان بحلب قد ملكها معهم سعد الدولة ابنه بعد مهلكه فبعث اليه صمصام الدولة أن يكفيه أمر باد على أن يسلم اليه ديار بكر فبعث سعد الدولة اليه جيشا فلم يكن لهم طاقة وزحفوا الى حلب فبعث سعد الدولة من اغتاله فى مرقده بخيمته من البادية وضربه فاعتل واشفى على الموت وبعث الى سعد وزياد الاميرين بالموصل فصالحهما على أن تكون ديار بكر ولنصف من طور عبدين لباد ورجع زياد الى بغداد وهو الذى جاء بعساكر الديلم وانهزم باد أمامه ثم توفى سعد الحاجب بالموصل سنة سبع وسبعين فتجدد لباد الطمع فى ملكها وبعث شرف الدولة على الموصل أبا نصر خواشاذه فدخل الموصل واستمد العساكر والاموال فأبطأت عنه فدعا العرب من بنى عقيل وبنى نمير وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها واستولى باد على طور عبدين وأقام بالجبل وبعث أخاه فى عسكر لقتال العرب فانهزم وقتل وبينا خواشاذه يتجهز لقتال باد جاءه الخبر بموت شرف الدولة ثم جاء أبو ابراهيم وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان أميرين على الموصل من قبل بهاء الدولة وبقيت فى ملكهما الى سنة احدى وثمانين فبعث بهاء الدولة عسكرا مع أبى جعفر الحجاج بن هرمز فملكها وزحف اليه أبو الرواد محمد بن المسيب أمير بنى عقيل فقاتله وبالغ فى مدافعته واستمد بهاء الدولة فبعث اليه الوزير أبا القاسم على بن أحمد وسار أول سنة ثنتين وثمانين وكتب الى أبى جعفر بالقبض عليه بسعاية ابن المعلم وشعر الوزير بذلك فصالح أبا الرواد ورجع ووجد بهاء الدولة قد قبض على ابن المعلم وقتله

(وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة)

ثم توفى شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك بن عضد الدولة فى جمادى سنة تسع وسبعين

لسنتين وثمانية أشهر من امارته ودفن بمشهد على بعد أن طالت علته بالاستسقاء وبعث وهو عليل الى أخيه صمصام الدولة بفارس فشمله وبعث ابنه أبا على الى بلاد فارس ومعه الخزائن والعدد وجماعة من الاتراك وسئل شرف الدولة فى العهد فلكه وأبى أن يعهد واستخلف أخاه بهاء الدولة لحفظ الامور فى حياته فلما مات قعد فى المملكة وجاء الطائع للعزاء وخلع عليه للسلطنة فأقر أبا منصور بن صالحان على وزارته وبعث أبا طاهر ابراهيم وأبا عبد الله الحسن ابنى ناصر الدولة بن حمدان الى الموصل وكان فى خدمته شرف الدولة فاستأذنا بهاء الدولة بعد موته فى الاصعاد الى الموصل فأذن لهما ثم ندم على ما فرط فى أمرهما وكتب الى خواشاذه بمدافعتهما فامتنعا وجاآ ونزلا بظاهر الموصل وثار أهل الموصل بالديلم والاتراك وخرجوا الى بنى حمدان وقاتلوا الديلم فهزموهم وقتل الديلم كثيرا منهم واعتصم الباقون بدار الامارة فأخرجوهم على الامان ولحقوا ببغداد وملك بنو حمدان الموصل وكان أبو على بن شرف الدولة لما انصرف الى فارس بلغه موت ابنه بالبصرة فبعث العيال والاموال فى البحر الى أرجان وسار هو اليها ثم سار الى شيراز فوافاه بها عمه صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر قد أطلقهما الموكلون بهما ومعهما فولاد وجاؤا الى شيراز واجتمع عليهم الديلم وخرج أبو على الى الاتراك فاجتمعوا عليه وقاتل صمصام الدولة والديلم أياما ثم سار الى نسا فملكها وقتل الديلم بها ثم سار الى أرجان وبعث الاتراك الى شيراز لقتال صمصام الدولة فنهبوا البلد وعادوا اليه بأرجان ثم بعث بهاء الدولة الى على ابن أخيه يستقدمه واستمال الاتراك سرا فحملوا أبا على على المسير اليه فسار فى جمادى سنة ثمانين فأكرمه ثم قبض عليه وقتله ثم وقعت الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم واقتتلوا خمسة أيام ثم راسلهم بهاء الدولة فى الصلح فلم يجيبوا وقتلوا رسله فظاهر الاتراك عليهم فغلبوهم واشتدت شوكة الاتراك من يومئذ وضعف أمر الديلم وصالح بينهم على ذلك وقبض على بعض الديلم وافترقوا

(خروج القادر الى البطيحة)

كان اسحق بن المقتدر لما توفى ترك ابنه أبا العباس أحمد الذى لقب بالقادر فجرت بينه وبين أخت له منازعة فى ضيعة ومرض الطائع مرضا مخوفا ثم أبل فسعت تلك الاخت بأخيها وانه طلب الخلافة فى مرض الطائع فأنفذ أبا الحسين بن حاجب النعمان فى جماعة للقبض عليه وكان بالحريم الطاهرى فغلبهم النساء عليه وخرج من داره متسترا ثم لحق بالبطيحة ونزل على مهذب الدولة فبالغ فى خدمته الى أن أتاه بشير الخلافة

(فتنة صمصام الدولة)

لما تغلب صمصام الدولة على بلاد فارس وجاء أبو على شرف الدولة الى عمه بهاء الدولة فقتله كما ذكرنا سار بهاء الدولة من بغداد الى خوزستان سنة ثمانين وثلثمائة قاصدا بلاد فارس واستخلف أبا نصر خواشاذه على بغداد ولما بلغ خوزستان أتاه نعى أخيه أبى طاهر فجلس للعزاء به ثم سار الى أرجان فملكها وأخذ ما فيها من الاموال وكان ألف ألف دينار وثمانية آلاف درهم وكثيرا من الثياب والجواهر وشغب الجند لذلك فأطاق تلك الاموال كلها لهم ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل الى النوبندجان وبها عسكر صمصام الدولة فانهزموا وثبت أبو العلاء بن الفضل فى نواحى فارس ثم بعث صمصام الدولة عسكره وعليهم قولاد بن مابدان فهزموا أبا العلاء وعاد الى ارجان وجاء صمصام الدولة من شيراز الى قولاد ثم وقع الصلح على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان وماوراءها من ملك العراق وأن يكون لكل واحد منهما اقطاع فى بلد صاحبه وتعاقدا على ذلك ورجع بهاء الدولة الى بغداد فوجد الفتنة بين أهل السنة والشيعة بجانب بغداد وقد كثر القتل والنهب والتخريب فأصلح ذلك وكان قبل سيره الى خوزستان قبض على وزيره أبى منصور بن صالحان واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير وكان الحكم والتدبير فى دولته لابى الحسين ابن المعلم

(خلع الطائع وبيعة القادر)

ثم ان بهاء الدولة قلت عنده الاموال وكثر شغب الجند ومطالباتهم وقبض على وزيره سابور فلم يغن عنه وامتدت عيناه الى أموال الطائع وهم بالقبض عليه وحسن له ذلك أبو الحسين ابن المعلم الغالب على هواه فتقدم الى الطائع بالجيوش لحضوره فى خدمته فجلس وجلس بهاء الدولة على كرسى ثم جاء بعض الديلم يقبل يد الطائع فجذبه عن سريره وأخرجه ونهب قصور الخلافة وفشا النهب فى الناس وحمل الطائع الى دار بهاء الدولة فأشهد عليه بالخلع سنة احدى وثمانين لسبع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته وأرسل بهاء الدولة خواص أصحابه الى البطيحة ليحضروا القادر بالله أبا العباس أحمد ابن اسحق بن المقتدر ليبايعوه فجاؤا به بعد أن بايع مهذب الدولة صاحب البطيحة فى خدمته وسار بهاء الدولة وأعيان الناس لتلقيه فتلقوه بجبل ودخل دار الخلافة لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان وخطب له صبيحتها وكانت مدة اقامته بالبطيحة ثلاث سنين غير شهر ولم يخطب له بخراسان وأقاموا على بيعة الطائع فأنزله بحجرة من قصره ووكل عليه من يقوم بخدمته على أتم الوجوه وأجرى أحواله على ما كان عليه

فى الخلافة الى أن توفى سنة ثلاث وتسعين فصلى عليه ودفنه

(ملك صمصام الدولة الاهواز وعودها لبهاء الدولة ثم استيلاؤه ثانيا عليها)

قد تقدم لنا ما وقع بين بهاء الدولة وصمصام الدولة من الصلح على أن يكون له فارس ولبهاء الدولة خوزستان وماوراءها وذلك سنة ثمانين ولما كانت سنة ثلاث وثمانين تحمل بهاء الدولة فبعث أبا العلاء عبد الله بن الفضل الى الاهواز على أن يبعث اليه الجيوش مفترقة فاذا اجتمعت كبس بلاد فارس على حين غفلة وشعر صمصام الدولة بذلك قبل اجتماع العساكر فبعث عساكره الى خوزستان ثم جاءت عساكر العراق والتقوا فانهزم ابو العلاء وحمل الى صمصام الدولة أسيرا فاعتقله وبعث بهاء الدولة وزيره أبا نصر ابن سابور الى واسط يحاول له جمع المال فهرب الى مهذب الدولة صاحب البطيحة ثم كثر شغب الديلم على بهاء الدولة ونهبوا دار الوزير نصر بن سابور واستعفى واستوزر أبا القاسم على بن أحمد ثم هرب وعاد سابور الى الوزارة وأصلح الديلم ثم أنفذ بهاء الدولة عسكره الى الاهواز سنة أربع وثمانين وعليهم طغان التركى وانتهوا الى السوس فارتحل عنها أصحاب صمصام الدولة وملكها طغان وكان أكثر أصحابه الترك وأكثر أصحاب صمصام الدولة الديلم ومعه تميم وأسد فزحف الى طغان بالاهواز وأسرى من تستر ليكبس الاتراك الذين مع طغان فضل فى طريقه وأصبح دونهم ورأى منهم فركبوا لقتاله وأكمنوا له ثم قاتلوه فهزموه وفتكوا فى الديلم بالقتل حربا وصبرا وجاء الخبر الى بهاء الدولة بواسط فسار الى الاهواز فترك بها طغان ورجع ولحق صمصام الدولة بفارس فاستلحم من وجد بها من الاتراك وهرب فلهم الى كرمان واستأذنوا ملك السند فى اللحاق بأرضه فأذن لهم ثم ركب لتلقيهم فقتلهم عن آخرهم ثم جهز صمصام الدولة عساكره الى الاهواز مع العلاء بن الحسين وكان افتكين برامهرمز من قبل بهاء الدولة مكان أبى كاليجار المرزبان بن سفهيعون وجاء بهاء الدولة الى خوزستان للعلاء قائد صمصام الدولة وكاتبه وكاتب افتكين وابن مكرم الى أن قرب منهم وملك البلد من أيديهم وأقاموا بظاهرها واستمدوا بهاء الدولة فأمدهم بثمانين من الاتراك فقتلوهم عن آخرهم وسار بهاء الدولة نحو الاهواز ثم عاد الى البصرة وعاد ابن مكرم الى عسكر مكرم والعلاء والديلم فى اتباعه الى أن جاوزوا تستر اليه فاقتتلوا طويلا وأصحاب بهاء الدولة من تستر الى رامهرمز وهم الاتراك وأصحاب صمصام الدولة من تستر الى ارجان فاقتتلوا ستة أشهر ورجعوا الى الاهواز ثم رحل الاتراك الى واسط واتبعهم العلاء قليلا ثم رجع وأقام بعسكر مكرم

(ملك صمصام الدولة البصرة)

لما رحل بهاء الدولة الى البصرة استأمن كثير من الديلم الذين معه الى العلاء نحو
من أربعمائة فبعثهم مع قائده السكرستان الى البصرة وقاتلوا أصحاب بهاء الدولة
ومال اليهم أهل البلد ومقدمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلوى وارتاب بهم بهاء الدولة
فهرب الكثير منهم الى السكرستان وحملوه فى السفن فأدخلوه البصرة وخرج بهاء
الدولة وأصحابه فكتب الى مهذب الدولة صاحب البطيحة يغريه بالبصرة فبعث اليها
جيشا مع قائده عبد الله بن مرزوق فغلب عليها السكرستان وملكها المهذب الدولة ثم عاد
السكرستان وقاتلها وكاتب مهذب الدولة بالصلح والطاعة والخطبة له بالبصرة وأعطى
ابنه رهينة على ذلك فأجابه وملك البصرة وعسف بهم وكان يظهر طاعة صمصام الدولة
وبهاء الدولة ومهذب الدولة ثم ان العلاء بن الحسن نائب صمصام الدولة بخورستان
توفى بعسكر مكرم فبعث مكانه أبا على اسمعيل بن أستاذ هرمز وسار الى جنديسابور
فدفع عنها أصحاب بهاء الدولة وأزاح الاتراك عن ثغر خراسان جملة وعادوا الى واسط
وكاتب جماعة منهم ففزعوا اليه ثم زحف اليهم أبو محمد مكرم والاتراك وجرت بينهم
وقائع ثم انتقض أبو على اسمعيل بن أستاذ هرمز ورجع الى طاعة بهاء الدولة
وهو بواسط سنة ثمان وثمانين فاستوزره ودبر أمره واستدعاه الى مظاهرة قائده
ابن مكرم بعسكر مكرم فسار اليه وكانت من اسمعيل خديعة تورط فيها بهاء الدولة
واستمد بدر بن حسويه فأمده بعض الشئ وكاد يهلك ثم جاءه الفرج بقتل
صمصام الدولة

(مقتل صمصام الدولة)

كان صمصام الدولة بن عضد الدولة مستوليا على فارس كما ذكرناه وكان أبو القاسم
وأبو نصر ابنا بختيار محبوسين ببعض قلاع فارس فخرّدا الموكلين بهما فى القلعة وأخرجوا
عنها واجتمع اليهما من الاكراد وكان جماعة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة
لما أسقطهم من الديوان فلحقوا بابنى بختيار وقصدوا ارجان وتجهز صمصام الدولة اليهم
وكان أبو على ابن استاذ هرمز مقيما بنسا فثار به الجند وحبسه ابنا بختيار ثم نجا وقصد
صمصام الدولة القلعة التى على شيراز ليمتنع فيها الى أن يأتيه المدد فلم يمكنه أن يأتيها
من ذلك وأشار عليه باللحاق بأبى على بن أستاذ هرمز أو بالاكراد وجاءته منهم طائفة
فخرج معهم بأمواله فنهبوه وسار الى الرودمان على مرحلتين من شيراز وجاء أبو النصر
ابن بختيار الى شيراز فقبض صاحب الرودمان على صمصام الدولة وأخذه منه أبو نصر

وقتله فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين لتسع سنين من امارته على فارس

(استيلاء بهاء الدولة على فارس)

ولما قتل صمصام الدولة وملك ابنا بختيار بلاد فارس كتبا الى أبى على بن أستاذ هرمز
فى الاهواز بأخذ الطاعة لهما من الديلم ومحاربة بهاء الدولة نخافهما أبو على بما كان
من قتله أخويهما وأغرى الديلم بطاعة بهاء الدولة وراسله واستحلفه لهم فحلف وضمن
لهم غائلة الاتراك الذين معه وأغراهم بثار أخيه من ابنى بختيار فدخلوا فى طاعته وجاءه
وفد من أعيانهم فاستوثقوا منه وكتبوا الى من كان بالسوس منهم بذلك وركب
بهاء الدولة الى نائب السوس فقاتلوه أولا ثم اجتمعوا عليه وساروا الى الاهواز ثم الى
رامهرمز وارجان وملكوا سائر بلاد خورستان وسار أبو على بن اسمعيل الى شيراز
وقاتلها وتسرب اليه أصحاب ابنى بختيار فاستولى على شيراز سنة تسع وثمانين ولحق
أبو نصر بن بختيار ببلاد الديلم وأبو القاسم ببدر بن حسويه ثم بالبطيحة وكتب أبو على
الى بهاء الدولة بالفتح فجاءه ونزل شيراز وأحرق قرية الرودمان حيث قتل أخوه صمصام
الدولة واستأصل أهلها وبعث عسكرا مع أبى الفتح الى جعفر بن أستاذ هرمز
الى كرمان فملكها ولما لحق أبو القاسم بن بختيار ببلاد الديلم كاتب من هنالك الديلم
الذين بكرمان وفارس تسلمهم فأجابوه وسار الى بلاد فارس واجتمع عليه كثير من الزط
والديلم والاتراك ثم سار الى كرمان وبها أبو جعفر بن أستاذ هرمز فهزمه الى السرجان
ومضى ابن بختيار الى جيرفت فملكها وأكثر كرمان وبعث بهاء الدولة الموفق بن على
ابن اسمعيل فى العساكر الى جيرفت فاستأمن اليه من كان بها من أصحاب بختيار
وملكها وتجرد فى جماعة من شجعان أصحابه لاتباع ابن بختيار فلحقه بدارين وقاتله
فغدر به بعض أصحابه فقتله وحمل رأسه الى الموفق واستولى على بلاد كرمان واستعمل
عليها وعاد الى بهاء الدولة فتلقاه وعظمه واستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفه ولج
الموفق فى ذلك فقبض عليه بهاء الدولة وكتب الى وزيره سابور بالقبض على ذويه
ثم قتله سنة أربع وتسعين واستعمل بهاء الدولة أبا محمد مكرما على عمان

(الخبر عن وزراء بهاء الدولة)

قد ذكرنا ان بهاء الدولة كان استوزر أبا نصر بن سابور بن أردشير ببغداد وقبض
على وزيره أبى منصور بن صالحان قبل مسيره الى خورستان وان أبا الحسن بن المعلم
كان يدبر دولته وذلك منذ سنة ثمانين فاستولى ابن المعلم على الامور وانصرفت اليه
الوجوه فأساء السيرة وسعى فى أبى نصر خواشاده وأبى عبد الله بن طاهر فقبضهما بهاء

الدولة مرجعه من خورستان وشغب الجند وطلبوا تسليمه اليهم ولاطفهم فلم يرجعوا فقبض عليه وسلمه اليهم فقتلوه وذلك سنة ثنتين وثمانين ثم قبض على وزيره أبى نصر بالاهواز سنة احدى وثمانين واستوزر أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ثم استوزر بعده أبا القاسم على بن أحمد وقبض عليه سنة ثنتين وثمانين لاتهامه بمداخلة الجند فى أمر ابن المعلم واستوزر أبا نصر بن سابور وأبا منصور بن صالحان جميعا وشغب الجند على أبى نصر ونهبوا داره سنة ثلاث وثمانين فاستعفى رفيقه ابن صالحان فاستوزر أبا القاسم على بن أحمد ثم هرب وعاد أبو نصر الى الوزارة بعد أن أصلح أمور الديلم فاستوزر مكانه الفاضل وقبض عليه سنة ست وثمانين واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير فبقى شهرين وفرق أموال بهاء الدولة فى القواد ثم العرب الى البطيحة فاستوزر بهاء الدولة مكانه عيسى بن ماسرخس

(ولاية العراق)

كان بهاء الدولة منذ استولى على فارس سنة تسع وثمانين أقام بها وولى على خورستان والعراق أبا جعفر الحجاج بن هرمز فنزل بغداد ولقبه عميد الدولة فساءت سيرته وفسدت أموال البلاد وعظمت الفتنة ببغداد بين الشيعة وأهل السنة وتطاول الدعار والعيارون فعزله بهاء الدولة سنة تسعين وولى مكانه أبا على الحسن بن أستاذ هرمز ولقبه عميد الجيوش فأحسن السيرة وحسم الفتنة وحمل الى بهاء الدولة أموالا جليلة ثم ولى مكانه سنة احدى وتسعين أبا نصر سابور وثار به الاتراك ببغداد فهرب منهم ووقعت الفتنة بين أهل الكرخ والاتراك وكان أهل السنة مع الاتراك ثم مشى الاعلام بينهم فى الصلح فتهادنوا

(انقراض دول وابتداء أخرى فى النواحى)

وفى سنة ثمانين ابتدأت دولة بنى مروان بديار بكر بعد مقتل خالهم باد وقد مر ذكره وفى سنة ثنتين وثمانين انقرضت دولة بنى حمدان بالموصل وابتدئت دولة بنى المسيب من عقيب كما نذكرها وفى سنة أربع وثمانين انقرضت دولة بنى سامان من خراسان وابتدئت دولة بنى سبكتكين فيها وفى سنة تسع وثمانين انقرضت دولة بنى سامان مما وراء النهر وانقسمت بنو سبكتكين وملك القان ملك الترك وفى سنة ثمان وثمانين ابتدئت دولة بنى حسنويه الاكراد بخراسان وفى سنة تسع وتسعين كان ابتداء دولة بنى صالح بن مرداس من بنى كلاب بحلب كما نستوفى سياقة أخبارهم فى دولهم منفردة كما شرطناه

(ظهور بنى مزيد)

وفى سنة سبع وثمانين خرج أبو الحسن على بن مزيد فى قومه بنى أسد ونقض طاعة بهاء الدولة فبعث اليه العساكر فهرب أمامهم وأبعد حتى امتنع عليهم ثم بعث فى الصلح والاستقامة وراجع الطاعة ثم رجع الى انتقاضه سنة ثنتين وتسعين واجتمع مع قرواش بن المقلد صاحب الموصل وقومه بنى عقيب فحاصروا المدائن ثم بعث اليهم أبو جعفر الحجاج وهو نائب بغداد العساكر فدفعوهم عنها وخرج الحجاج واستنجد خفاجة فجاء من الشأم وقاتل بنى عقيب وبنى أسد فهزموه ثم خرج اليهم ولقيهم بنواحى الكوفة فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر واستباح ملك بنى مزيد وظهر فى بغداد فى مغيب أبى جعفر من الفتنة والفساد والقتل والنهب مالا يحصى فكان ذلك السبب فى أن بعث بهاء الدولة أبا على بن جعفر أستاذ هرمز كما مر ولقبه عميد الجيوش فسكن الفتنة وأمن الناس ولما عزل أبو جعفر أقام بنواحى الكوفة وارتاب به أبو على فجمع الديلم والاتراك وخفاجة وسار اليه واقتتلوا بالنعمانية وذلك سنة ثلاث وتسعين فانهزم أبو جعفر وسار أبو على الى خورستان ثم الى السوس فعاد أبو جعفر الى الكوفة ورجع أبو على فى اتباعه فلم تزل الفتنة بينهما وكل واحد منهما يستنجد ببنى عقيب وبنى أسد وخفاجة حتى أرسل بهاء الدولة عن أبى على وبعثه الى البطيحة لفتنة بنى واصل كما نذكره فى دولتهم ولما كانت سنة سبع وتسعين جمع أبو جعفر وسار لحصار بغداد وأمده ابن حسنويه أمير الاكراد وذلك أن عميد الجيوش ولى على طريق خراسان أبا الفضل ابن عنان وكان عدو البدر بن حسنويه فارتاب لذلك واستدعى أبا جعفر وجمع له جموعا من أمراء الاكراد منهم هندى بن سعد وأبو عيسى شادى بن محمد ورزام بن محمد وكان أبو الحسن على بن مزيد الاسدى انصرف عن بهاء الدولة مغاضبا له فسار معهم وكانوا عشرة آلاف وحاصروا بغداد وبها أبو الفتح بن عنان شهرا ثم جاءهم الخبر بانهزام ابن واصل بالبطيحة الذى سار عميد الجيوش اليه فافترقوا وعاد ابن مزيد الى بلده وسار أبو جعفر الى حلوان وأرسل بهاء الدولة فى الطاعة وحضر عنده بتستر فأعرض عنه رغما للعميد الجيوش

(فتنة بنى مزيد وبنى دبيس)

كان أبو الغنائم محمد بن مزيد مقيما عند اصهاره بنى دبيس فى جزيرتهم بخورستان فقتل أبو الغنائم بعض رجالاتهم ولحق بأخيه أبى الحسن فانحدر أبو الحسن اليهم فى ألفى فارس واستمد عميد الجيوش فأمده بعسكر من الديلم ولقيهم فانهزم أبو الحسن وقتل

أخوه أبو الغنائم

(ظهور دعوة العلوية بالكوفة والموصل)

وفى أول المائة الخامسة خطب قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل لصاحب مصر الحاكم العلوى فى جميع أعماله وهى الموصل والانبار والمدائن والكوفة فبعث القادر القاضى أبا بكر الباقلانى الى بهاء الدولة يعرفه فأكرمه وكتب الى عميد الجيوش بمعاورة قرواش وأطلق له مائة ألف دينار يستعين بها وسار عميد الجيوش لذلك فراجع قرواش الطاعة وقطع خطبة العلويين وكان ذلك داعيا فى كتابة المحضر بالطعن فى نسب العلوية بمصر شهد فيه الرضى والمرتضى وابن البطحاوى وابن الازرق والزكى وأبو يعلى عمر بن محمد ومن العلماء والقضاة ابن الاكفانى وابن الجزرى وأبو العباس الابى وردى وأبو حامد الاسفراينى والكشلى والقدورى والصيمرى وأبو عبد الله البيضاوى وأبو الفضل النسوى وأبو عبد الله النعمان فقيه الشيعة ثم كتب ببغداد محضر آخر بمثل ذلك سنة أربع وأربعين وزيد فيه انتسابهم الى الديصانية من المجوس وبنى القداح من اليهود وكتب فيه العلوية والعباسية والفقهاء والقضاة وعملت به نسخ وبعث بها الى البلاد

(وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك)

كان عميد الجيوش أبو على بن أبى جعفر أستاذ هرمز وكان أبو جعفر هذا من حجاب عضد الدولة وجعل ابنه أبا على فى خدمة ابن صمصام الدولة فلما قتل رجع الى خدمة بهاء الدولة ولما استولى الخراب على بغداد وظهر العيارون بعثه بهاء الدولة عليها فأصلحها وقمع المفسدين ومات لثمان سنين ونصف من ولايته الى أول المائة الخامسة وولى بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب فوصل بغداد وأحسن السياسة واستقامت الامور به واتفق لاول قدومه وفاة أبى الفتح محمد بن عنان صاحب طريق خراسان بحلوان لعشرين سنة من امارته وكان كثير الاجلاب على بغداد فلما توفى ولى ابنه أبو الشوك وقام مقامه فبعث فخر الملك العساكر لقتاله فهزموه الى حلوان ثم راجع الطاعة وأصلح حاله

(مقتل فخر الملك وولاية ابن سهلان)

كان فخر الملك أبو غالب من أعظم وزراء بنى بويه وولى نيابة بغداد لسلطان الدولة خمس سنين وأربعة أشهر ثم قبض عليه وقتله فى ربيع سنة ست وأربعمائة وولى مكانه أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد أصحاب الجيوش وسار سنة تسع الى بغداد وجرد من الطريق مع طراد بن دشير الاسدى فى طلب مهارش ومضر ابنى دشير وكان مضر قد

قبض عليه قديما بأمر فخر الملك فأراد أن يأخذ جزيرة بنى أسد منه ويوليها طرادا فساروا عن المدار واتبعهم ولحق الحسن بن دبيس آخرهم فأوقع به واستباحه ثم استأمن له مضر ومهارش فأمنهما وأشرك معهما طرادا فى الجزيرة ورجع وأنكر عليه سلطان الدولة فعله ووصل الى واسط والفتنة قائمة فأصلحها ثم بلغه اشتداد الفتن ببغداد فسار وأصلحها وكان أمر الديلم قد ضعف ببغداد وخرجوا الى واسط

(الفتنة بين سلطان الدولة وأخيه أبى الفوارس)

قد ذكرنا ان سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولى أخاه أبا الفوارس على كرمان فلما سار اليها اجتمع اليه الديلم وحملوه على الانتقاض وانتزاع الملك من يد أخيه فسار سنة ثمان الى شيراز ثم سار منها ولقيه سلطان الدولة فهزمه وعاد الى كرمان واتبعه سلطان الدولة فخرج هاربا من كرمان ولحق بمحمود بن سبكتكين مستنجدا به فأكرمه وأمده بالعساكر وعليهم أبو سعيد الطائى من أعيان قواده فسار الى كرمان وملكها ثم الى شيراز كذلك وعاد سلطان الدولة لحربه فهزمه وأخرجه من بلاد فارس الى كرمان وبعث الجيوش فى اثره فانتزعوا كرمان منه ولحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب همذان وترك ابن سبكتكين لانه أساء معاملة قائده أبى سعيد الطائى ثم فارق شمس الدولة الى مهذب الدولة صاحب البطيحة فأكرمه وبعث اليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالا وثيابا وعرض عليه المسير اليه فأبى وأرسل أخاه سلطان الدولة فى المراجعة وأعاده الى ولاية كرمان وقبض سلطان الدولة سنة تسع على وزير بن فانجس واخوته وولى مكانه أبا غالب الحسن بن منصور

(خروج الترك من الصين)

وفى سنة ثمان وأربعين خرجت من المفازة التى بين الصين وما وراء النهر أمم عظيمة من الترك تزيد على ثلثمائة ألف خيمة ويسمون الخيمة جذكان ويتخذونها من الجلود وكان معظمهم من الخطا وقد ظهروا فى ملك تركستان فرض ملكها طغان فساروا اليها وعاثوا فيها ثم أبل طغان واستنفر المسلمين من جميع النواحى وسار اليهم فى مائة وعشرين ألفا فهزموا امامه واتبعهم مسيرة ثلاثة أشهر ثم كبسهم فقتل منهم نحوا من مائتى ألف وأسر مائة ألف وغنم من الدواب والبيوت وأوانى الذهب والفضة من معمول الصين مالا يعبر عنه

(ملك مشرف الدولة وغلبه على سلطان الدولة)

لم يزل سلطان الدولة ثابت القدم فى ملكه بالعراق الى سنة احدى عشرة وأربعمائة

فشغب عليه الجند ونادوا بشعار أخيه مشرف الدولة فأشير عليه بحبسه فعف عن ذلك وأراد الانحدار الى واسط فطلبه الجند فى الاستخلاف فاستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق وسار الى الاهواز فلما بلغ تستر استوزر سهلان وقد كان اتفق مع أخيه مشرف الدولة الوزير ابن سهلان أن لا يستوزره فاستوحش لذلك مشرف الدولة وبعث سلطان الدولة الوزير ابن سهلان ليخرجه من العراق فجمع أتراك واسط وأبا الاغر دبيس ابن على بن مزيد ولقى ابن سهلان عند واسط فهزمه وحاصره بها حتى اشتد حصاره وجهده الحصار فصالحه ونزل عن واسط فملكها فى ذى الحجة من سنة احدى عشرة وسار الديلم الذين بواسط فى خدمته وسار أخوه جلال الدولة أبو طاهر صاحب البصرة الى وفاقه وخطب له ببغداد وقبض على ابن سهلان وكحله وسار سلطان الدولة الى ارجان ثم رجع الى الاهواز وثار عليه الاتراك الذين هنالك ودعوا بشعار مشرف الدولة وخرجوا الى السابلة فأفسدوها وعاد مشرف الدولة الى بغداد فخطب له بها سنة ثنتى عشرة وطلب منه الديلم أن ينحدروا الى بيوتهم بخوزستان فبعث معهم وزيره أبا غالب فلما وصلوا الى الاهواز انتقضوا ونادوا بشعار سلطان الدولة وقتلوا أبا غالب لسنة ونصف من وزارته ولحق الاتراك الذين كانوا معه بطراد بن دبيس بالجزيرة وبلغ سلطان الدولة قتل أبى غالب وافتراق الديلم فأنفذ ابنه أبا كاليجار الى الاهواز وملكها ثم وقع الصلح بينهما على يد أبى محمد بن أبى مكرم ومؤيد الملك الرخجى على أن تكون العراق لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة واستوزر مشرف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرخجى ولقبه مؤيد الملك بعد قتل أبى غالب ومصادرة ابنه أبى العباس ثم قبض عليه سنة أربع عشرة بعد حول من وزارته بسعاية الاثير الخادم فيه واستوزر مكانه أبا القاسم الحسين ابن على بن الحسين المغربى كان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان وهرب الى مصر وخدم الحاكم فقتله وهرب ابنه أبو القاسم هذا الى الشأم وحمل حسان بن المفرج ابن الجراح الطائى على نقض طاعة الحاكم والبيعة لابى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة فاستقدمه الى الرملة وبايعه ثم خلفه وعاد الى مكة وقصد أبو القاسم العراق واتصل بالوزير فخر الملك وأمره القادر بابعاده فلحق بقرواش أمير الموصل وكتب له ثم عاد الى العراق وتنقلت به الحال الى أن وزر بعد مؤيد الملك الرخجى وكان خبيثا محتالا حسودا ثم قدم مشرف الدولة الى بغداد سنة أربع عشرة ولقيه القادر ولم يلق أحدا قبله

(الخبر عن وحشة الاكراد وفتنة الكوفة)

كان الاثير عنبر الخادم مستوليا فى دولة مشرف الدولة الوزير أبى القاسم المغربى عديله فى حملها فنقم الاتراك عليهما وطلب من مشرف الدولة الخراج من بغداد خوفا على

انفسهما فخرج معهما غضبا على الاتراك ونزلوا على قرواش بالسندية واستعظم الاتراك ذلك وبعثوا بالاعتذار والرغبة وقال أبو القاسم المغربى دخل بغداد اغاهو أربعمائة ألف وخرجها ستمائة فاتركوا مائة وأحتمل مائة فأجابوه الى ذلك خداعا وشعر بوصولهم فهرب لعشرة أشهر من وزارته ثم كانت فتنة بالكوفة بين العلوية والعباسية وكان لابى القاسم المغربى صهر وصداقة فى العلوية فاستعدى العباسيون المغربى عليهم فلم يعدهم لمكان المغربى وأمرهم بالصلح فرجعوا الى الكوفة واستمد كل واحد منهم خفاجة فأمدوهم وافترقوا عليهم واقتتل العلوية والعباسية فغلبهم العلوية ولحقوا ببغداد ومنعوا الخطبة يوم الجمعة وقتلوا بعض قرابة العلوية الذين بالكوفة فعهد القادر للمرتضى أن يصرف أبا الحسن على بن أبى طالب ابن عمر عن نقابة الكوفة ويردها الى المختار صاحب العباسية وبلغ ذلك المغربى عند قرواش بسر من راى فشرع فى ارغام القادر وبعث القادر الى قرواش بطرده فلحق بابن مروان فى ديار بكر

(وفاة مشرف الدولة وولاية أخيه جلال الدولة)

ثم توفى مشرف الدولة أبو على بن بهاء الدولة سنة ست عشرة فى ربيع لخمس سنين من ملكه وولى مكانه بالعراق أخوه أبو طاهر جلال الدولة صاحب البصرة وخطب له ببغداد واستقدم فبلغ واسط ثم عاد الى البصرة فقطعت خطبته وخطب ببغداد فى شوال لابن أخيه أبى كاليجار بن سلطان الدولة وهو بخوزستان يحارب عمه أبا الفوارس صاحب كرمان وسمع جلال الدولة بذلك فبادر الى بغداد ومعه وزيره أبو سعد ابن ماكولا ولقيه عسكرها فردوه أقبح رد ونهبوا خزائنه فعاد الى البصرة واستحثوا أبا كاليجار فتباطأ لشغله بحرب عمه وسار الى كرمان لقتال عمه فملكها واعتصم عمه بالجبال ثم تراسلا واصطلحا على أن تبقى كرمان لابى الفوارس وتكون بلاد فارس لابى كاليجار

(قدوم جلال الدولة الى بغداد)

ولما رأى الاتراك اختلال الاحوال وضعف الدولة بفتنة العامة وتسلط العرب والاكراد بحصار بغداد وطمعهم فيها وأنهم بقوا فوضى وندموا على ما كان منهم فى رد جلال الدولة اجتمعوا الى الخليفة يرغبون اليه أن يحضر جلال الدولة من البصرة ليقيم أمر الدولة فبعث اليه القاضى أبا جعفر السمنانى بالعهد عليه وعلى القواد فسار جلال الدولة الى بغداد فى جمادى من سنة ثمان عشرة وركب الخليفة فى الطيار لتلقيه فدخل ونزل التجيبى وأمر بضرب الطبل فى أوقات الصلوات ومنعه الخليفة من ذلك فقطعه

مغاضبا ثم أذن له الخليفة فيه فأعاده وأرسل مؤيد الملك أبا على الرخجى الى الاثير عنبر الخادم عند قرواش يستدعيه يعتذر عن الاتراك ثم شغب الاتراك عليه سنة تسع عشرة وحاصروه بداره وطلبوا من الوزير ابى على بن ماكولا أرزاقهم ونهبوا دوره ودور الكتاب والحواشى وبعث القادر من أصلح بينهم وبينه فسكن شغبهم ثم خالفوا أبا كاليجار بن سلطان الدولة الى البصرة فملكها ثم ملك كرمان بعد وفاة صاحبها قوام الدولة أبى الفوارس ابن بهاء الدولة كما نذكر فى أخبارهم فى دولتهم عند افرادها بالذكر فنستوفى أخبارهم ودول سائر بنى بويه وبنى وشمكير وبنى المرزبان وغيرهم من الديلم فى النواحى

(مسير جلال الدولة الى الاهواز)

كان نور الدولة دبيس بن على بن مزيد صاحب الحلة ولم تكن الحلة يومئذ مدينة قد خطب لابى كاليجار لضايقة المقلد بن أبى الاغر الحسن بن مزيد وجمع عليه منيعا أمير بنى خفاجة وعساكر بغداد فخطب هو لابى كاليجار واستدعاه لملك واسط وبها الملك العزيز ابن جلال الدولة فلحق بالنعمانية وترك بها وضيق عليه نور الدولة من كل جهة فتفرق ناس من أصحابه وهلك الكثير من أثقاله واستولى أبو كاليجار على واسط ثم خطب له فى البطيحة وأرسل الى قرواش صاحب الموصل وعنده الاثير عنبر يستدعيهما الى بغداد فانحدر عنبر الى الكحيل ومات به وقعد قرواش وجمع جلال الدولة عساكره ببغداد واستمد أبا الشوك وغيره وانحدر الى واسط وأقام هنالك من غير قتال وضاقت عليه الاحوال واعتزم أبو كاليجار على مخالفته الى بغداد وجاءه كتاب أبى الشوك بزحف عساكر محمود بن سبكتكين الى العراق ويشير بالصلح والاجتماع لمدافعتهم فأنفذ أبو كاليجار الكتاب لجلال الدولة فلم ينته عن قصده ودخل الاهواز فنهبها وأخذ من دار الامارة مائتى ألف دينار واستباح العرب والاكراد سائر البلد وحمل حريم كاليجار الى بغداد سبايا فماتت أمه فى الطريق وسار أبو كاليجار لاعتراض جلال الدولة وتخلف عنه دبيس لدفع خفاجة عن أصحابه واقتتلوا فى ربيع سنة احدى وعشرين ثلاثة أيام فانهزم أبو كاليجار وقتل من أصحابه ألفان ودبيس لما فارق أبا كاليجار وصل الى بلده وجمع اليه جماعة من قومه وكانوا منتقضين عليه بالجامعين فأوقع بهم وحبس منهم وردهم الى وفاقه ثم لقى المقلد بن أبى الاغر وعساكر جلال الدولة فانهزم امامهم وأسر جماعة من أصحابه وسار منهزما الى أبى سنان غريب بن مكين فأصلح حاله مع جلال الدولة وأعاده الى ولايته على ضمان عشرة آلاف دينار وسمع بذلك المقلد فجمع خفاجة ونهبوا النيل وسوريا وأحرقوا منازلها ثم عبر المقلد الى أبى الشوك فأصلح أمره مع جلال

الدولة ثم بعث جلال الدولة سنة احدى وعشرين عسكره الى المدار فملكها من يد أصحاب أبى كاليجار واستباحوها وبعث أبو كاليجار عسكره لمدافعتهم فهزموهم وثار أهل البلد بهم فقتلوهم ولحق من نجا منهم بواسط وعادت المدار الى أبى كاليجار

(استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانيا وانتزاعها منه)

لما استولى جلال الدولة على واسط نزل بها ولده وبعث وزيره أبا على بن ماكولا الى البطائح فملكها ثم بعثه الى البصرة وبها أبو منصور بختيار بن على من قبل أبى كاليجار فسار فى السفن وعليهم أبو عبد الله الشرابى صاحب البطيحة فلقى بختيار وهزمه ثم سار الوزير أبو على فى اثره فى السفن فهزمه بختيار وسيق اليه أسيرا فأكرمه وبعثه الى أبى كاليجار فأقام عنده وقتله غلمانه خوفا منه لقبيح منهم اطلع عليه وكان قد أحدث فى ولايته رسوما جائرة ومكوسا فاضحة ولما أصيب الوزير أبو على بعث جلال الدولة من كان عنده من جند البصرة فقاتلوا عسكر أبى كاليجار وهزموهم وملكوا البصرة ونجا من كان بها الى أبى منصور بختيار بالابلة وبعث السفن لقتال من بالبصرة فظفر بهم أصحاب جلال الدولة فسار بختيار بنفسه وقاتلهم وانهزم وقتل وأخذ كثير من السفهاء وعزم الاتراك بالبصرة على المسير الى الابلة وطلبوا المال من العامل فاختلفوا وتنازعوا وافترقوا ورجع صاحب البطيحة واستأمن آخرون الى أبى الفرج ابن مسافجس وزير أبى كاليجار وجاء الى البصرة فملكها ثم توفى بختيار ملك البصرة وقام بعده صهره أبو القاسم بطاعة أبى كاليجار فى البصرة ثم استوحش وانتقض وبعث بالطاعة لجلال الدولة وخطب له وبعث الى ابنه العزيز بواسط يستدعيه فسار اليه وأخرج عساكر أبى كاليجار وأقام معه الى سنة خمس وعشرين والحكم لابى القاسم ثم أغراه الديلم به وانه يتغلب عليهم فأخرجه العزيز وامتنع بالابلة وحاربهم أياما وأخرج العزيز عن البصرة ولحق بواسط وعاد أبو القاسم الى طاعة أبى كاليجار

(وفاة القادر ونصب القائم)

ثم توفى القادر بالله سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة لاحدى وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته وكانت الخلافة قبلها قد ذهب رونقها بجسارة الديلم والاتراك عليها فأعاد اليها أبهتها وجدد ناموسها وكان له فى قلوب الناس هيبة ولما توفى نصب للخلافة ابنه أبو جعفر عبد الله وقد كان أبوه بايع له بالعهد فى السنة قبلها لمرض طرقه وأرجف الناس بموته فبويع الآن واستقرت له الخلافة ولقب القائم بأمر الله وأول من بايعه الشريف المرتضى وبعث القاضى أبا الحسن الماوردى الى أبى كاليجار ليأخذ عليه

البيعة ويخطب له في بلاده فأجاب وبعث بالهدايا ووقعت لاول بيعته فتنة بين أهل السنة والشيعة وعظم الهرج والنهب والقتل وخربت فيها أسواق وقتل كثير من جباة المكوس وأصيب أهل الكرخ وتطرق الدعار الى كبس المنازل ليلا وتنادى الجند بكراهية جلال الدولة وقطع خطبته ولم يجبهم القائم الى ذلك وفرق جلال الدولة فيهم الاموال فسكنوا وقعد في بيته وأخرج دوابه من الاصطبل وأطلقها بغير سائس ولا حافظ لقلة العلف وطلب الاتراك منه أن يحملهم في كل وقت فأطلقها وكانت خمسة عشر وفقد الجارى فطرد الطواشى والحواشى والاتباع وأغلق باب داره والفتنة تتزايد الى آخر السنة

(وثوب الجند بجلال الدولة وخروجه من بغداد)

ثم جاء الاتراك سنة ست وعشرين الى جلال الدولة فنهبوا داره وكتبه ودواوينه وطلبوا الوزير أبا اسحق السهيلى فهرب الى حلة غريب بن مكين وخرج جلال الدولة الى عكبرا وخطبوا ببغداد لابى كاليجار وهو بالاهواز واستقدموه فأشار عليه بعض أصحابه بالامتناع فاعتذر اليهم فأعادوا لجلال الدولة وساروا اليه معتذرين وأعادوه بعد ثلاثة وأربعين يوما واستوزر أبا القاسم بن ماكولا ثم عزله واستوزر عميد الملك أبا سعيد عبد الرحيم ثم أمره بمصادرة أبى المعمر بن الحسين البساسيرى فاعتقله في داره وجاء الاتراك لمنعه فضربوا الوزير ومزقوا ثيابه وأدموه وركب جلال الدولة فأطفأ الفتنة وأخذ من البساسيرى ألف دينار وأطلقه واختفى الوزير ثم شغب الجند ثانيا في رمضان وأنكروا تقديم الوزير أبى القاسم من غير علمهم وانه يريد التعرض لاموالهم فوثبوا به ونهبوا داره وأخرجوه الى مسجد هنالك فوكلوا به فوثب العامة مع بعض القواد من أصحابه فأطلقوه وأعادوه الى داره وذهب هو في الليل الى الكرخ بحرمه ووزيره أبو القاسم معه واختلف الجند في أمره وأرسلوا اليه بأن يملكوا بعض أولاده الاصاغر وينحدر هو الى واسط وهو في خلال ذلك يستميلهم حتى فرق جماعتهم وجاء الكثير اليه فأعادوه الى داره واستخلف البساسيرى في جماعة للجانب الغربى سنة خمس وعشرين لاشتداد أمر العيارين ببغداد وكثرة الهرج وكفايته هو ونهضته ثم عاد أمر الخلافة والسلطنة الى أن اضمحل وتلاشى وخرج بعض الجند الى قرية فلقيهم اكراد وأخذوا دوابهم وجاؤا الى بستان القائم فتعللوا على عماله بأنهم لم يدفعوا عنهم ونهبوا ثمرة البستان وعجز جلال الدولة عن عتاب الاكراد وعقاب الجند وسخط القائم أمره وتقدم الى القضاة والشهود والفقهاء بتعطيل المراتب الدينية فرغب جلال الدولة من الجند أن يحملهم الى ديوان الخلافة فحملوا وأطلقوا وعظم أمر العيارين وصاروا في حماية الجند وانتشر العرب

في النواحى فنهبوها وأفسدوا السابلة وبلغوا جامع المنصور من البلد وسلبوا النساء في المقبرة ولحق الوزير أبو سعد وزير جلال الدولة بأبى الشوك مفارقا للوزارة ووزر بعده أبا القاسم فكثرت مطالبات الجند عليه فهرب وأخذه الجند وجاؤا به الى دار الملك حاسرا عاريا الامن قميص خلق وذلك لشهرين من وزارته وعاد سعيد بن عبد الرحيم الى الوزارة ثم ثار الجند سنة سبع وعشرين بجلال الدولة وأخرجوه من بغداد بعد أن استمهلهم ثلاثا فأبوا ورموه بالحجارة فأصابوه ومضى الى دار المرتضى بالكرخ وسار منها الى رافع بن الحسين بن مكن بتكريت ونهب الاتراك داره وقلعوا أبوابها ثم أصلح القائم شأنه مع الجند وأعاده وقبض على وزيره أبى سعيد بن عبد الرحيم وهى وزارته السادسة وفي هذه السنة نهى القائم عن التعامل بالدنانير المعزية وتقدم الى الشهود ان لايذكروها في كتب التعامل

(الصلح بين جلال الدولة وأبى كاليجار)

ترددت الرسل سنة ثمان وعشرين بين جلال الدولة وابن أخيه أبى كاليجار حتى انعقد بينهما الصلح على يد القاضى أبى الحسن الماوردى وأبى عبد الله المردوسى واستحلف كل واحد منهما للآخر وأظهر جلال الدولة سنة تسع وعشرين من القائم الخطاب بملك الملوك فرد ذلك الى الفتيا وأجازه القاضى أبو الطيب الطبرى والقاضى أبو عبد الله الصيمرى والقاضى بن البيضاوى وأبو القاسم الكرخى ومنع منه القاضى أبو الحسن الماوردى ورد عليهم فأخذ بفتواهم وخطب له بملك الملوك وكان الماوردى من أخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد اليه ثم انقطع عنه بهذه الفتيا ولزم بيته من رمضان الى النحر فاستدعاه جلال الدولة وحضر خائفا وشكره على القول بالحق وعدم المحاباة وقد عدت الى ماتحب فشكره ودعا له وأذن للحاضرين بالانصراف معه وكان الاذن لهم تبعا له

(استيلاء أبى كاليجار على البصرة)

وفي سنة احدى وثلاثين بعث أبو كاليجار عساكره الى البصرة مع العادل أبى منصور مسافنه وكانت في ولاية الظهير أبى القاسم بن … وليها بعد بختيار انتقض عليه مرة ثم عاد وكان يحمل الى أبى كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار وكثرت أمواله ودامت دولته ثم تعرض ملاك الحسين بن أبى القاسم بن مكرم صاحب عمان فكاتب أبا كاليجار وضمن البصرة بزيادة ثلاثين ألف دينار وبعث أبو كاليجار العساكر مع ابن مسافنه كما ذكرنا وجاء المدد من عمان الى البصرة وملكوها وقبض على الظهير

بياض بالاصل

أبى القاسم وأخذت أمواله وصودر على مائتى ألف دينار فأعطاها وجاء الملك أبو كاليجار البصرة فأقام بها أياما وولى فيها ابنه عز الملوك ومعه الوزير أبو الفرج ابن فسانجس ثم عاد الى الاهواز وحمل معه الظهير

(شغب الاتراك على جلال الدولة)

ثم شغب الاتراك على جلال الدولة سنة ثنتين وثلاثين وخيموا بظاهر البلد ونهبوا منها مواضع وخيم جلال الدولة بالجانب الغربى وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فاستمد دبيس بن مزيد وقرواشا صاحب الموصل فأمدوه بالعساكر ثم صلحت الاحوال بينهم وعاد الى داره وطمع الاتراك وكثر نهبهم وتعديهم وفسدت الامور بالكلية

(ابتداء دولة السلجوقية)

قد تقدم لنا أن أمم الترك فى الربع الشرقى الشمالى من المعمور ما بين الصين الى تركستان الى خوارزم والشاش وفرغانة وما وراء النهر بخارا وسمرقند وترمذ وان المسلمين أزاحوهم أول الملة عن بلاد ما وراء النهر وغلبوهم عليها وبقيت تركستان وكاشغر والشاش وفرغانة بأيديهم يؤدون عليها الجزاء ثم أسلموا عليها فكان لهم بتركستان ملك ودولة نذكرها فيما بعد فان استفحالها كان فى دولة بنى سامان جيرانهم فيما وراء النهر وكان فى المفازة بين تركستان وبلاد الصين أمم من الترك لا يحصيهم الا خالقهم لاتساع هذه المفازة وبعد أقطارها فانها فيما يقال مسيرة شهر من كل جهة فكان هنالك احياء بادون منتجعون رحالة غذاؤهم اللحوم والالبان والذرة فى بعض الاحيان ومراكبهم الخيل ومنها كسبهم وعليها قيامهم وعلى الشاء والبقر من بين الانعام فلم يزالوا بتلك القفار مذودين عن العمران بالحامية المالكين له فى كل جهة وكان من أممهم الغز والخطا والتتر وقد تقدم ذكر هؤلاء الشعوب فلما انتهت دولة ملوك تركستان وكاشغر الى غايتها وأخذت فى الاضمحلال والتلاشى كما هو شأن الدول وطبيعتها تقدم هؤلاء الى بلاد تركستان فأجلبوا عليها بما كان غالب معاشهم فى تخطف الناس من السبل وتناول الرزق بالرماح شأن أهل القفر البادين وأقاموا بمفازة بخارا ثم انقرضت دولة بنى سامان ودولة أهل تركستان واستولى محمود بن سبكتكين من قواد بنى سامان وصنائعهم على ذلك كله وعبر بعض الايام الى بخارا فحضر عنده ارسلان ابن سلجوق فقبض عليه وبعث به الى بلاد الهند فحبسه وسار الى احيائه فاستباحها ولحق بخراسان وسارت العساكر فى اتباعهم فلحقوا باصبهان وهم صاحبها علاء الدولة ابن كالويه بالغدر بهم وشعروا بذلك فقاتلوه باصبهان فغلبهم فانصرفوا الى أذربيجان

فقاتلهم

فقاتلهم صاحبها وهشودان من بنى المرزبان وكانوا لما قصدوا اصبهان بقى فلهم بنواحى خوارزم فعاثوا فى البلاد وخرج اليهم صاحب طوس وقاتلهم وجاء محمود بن سبكتكين فسار فى اتباعهم من رستاق الى جرجان ورجع عنهم ثم استأمنوا فاستخدمهم وتقدمهم يغمر وأنزل ابنه بالرى ثم مات محمود وولى أخوه مسعود وشغل بحروب الهند فانتقضوا وبعث اليهم قائدا فى العساكر وكانوا يسمون العراقية وأمراؤهم يومئذ كوكتاش ومرقا وكول ويغمر وباصعكى ووصلوا الى الدامغان فاستباحوها ثم سمنان ثم عاثوا فى أعمال الرى واجتمع صاحب طبرستان وصاحب الرى مع قائد مسعود وقاتلوهم فهزمهم الغز وفتكوا فيهم وقصدوا الرى فملكوه وهرب صاحبه الى بعض قلاعه فتحصن بها وذلك سنة ست وعشرين وأربعمائة واستألفهم علاء الدولة بن كالويه ليدافع بهم ابن سبكتكين فأجابوه أولا ثم انتقضوا وأما الذين قصدوا أذربيجان منهم ومقدموهم بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا فاستألفهم وهشودان ليستظهر بهم فلم يحصل على بغيته من ذلك وساروا الى مراغة سنة تسع وعشرين فاستباحوها ونالوا من الاكراد الهذبانية فحاربوهم وغلبوهم وافترقوا فرقتين فرجع بوقا الى أصحابهم الذين بالرى وسار منصور وكوكتاش الى همذان وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كالويه فظاهرهم على حصاره فتى خسرو بن مجد الدولة فلما جهده الحصار لحق باصبهان وترك البلد فدخلوها واستباحوها وفعلوا فى الكرخ مثل ذلك وحاصروا قزوين حتى أطاعوهم وبذلوا لهم سبعة آلاف دينار وسار طائفة منهم الى بلد الارمن فاستباحوها وأثخنوا فيها ورجعوا الى أرمينية ثم رجعوا من الرى الى حصار همذان فتركها أبو كاليجار وملكوها سنة ثلاثين ومعهم فتى خسرو المذكور فاستباحوا تلك النواحى الى استراباذ وقاتلهم أبو الفتح بن أبى الشوك صاحب الدينور فهزمهم وأسر منهم وصالحوه على اطلاق أسراهم ثم مكروا بأبى كاليجار أن يكون معهم ويدبر أمرهم وغدروا به ونهبوه وخرج علاء الدولة من اصبهان فلقى طائفة منهم فأوقع بهم وأثخن فيهم وأوقع وهشودان بمن كان منهم فى أذربيجان وظفر بهم الاكراد وأثخنوا فيهم وفرقوا جماعتهم ثم توفى كول أمير الفرق الذين بالرى وكانوا لما أجازوا من وراء النهر الى خراسان بقى بمواطنهم الاولى هنالك طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق واخوته داود وسعوا ونيال وحقرى فخرجوا الى خراسان من بعدهم وكانوا اشد منهم شوكة وأقوى عليهم سلطانا فسار نيال أخو طغرلبك الى الرى فهربوا الى أذربيجان ثم الى جزيرة ابن عمر وديار بكر ومكر سليمان بن نصير الدولة بن مروان صاحب الجزيرة بمنصور بن غز على منهم فحبسه وافترق أصحابه وبعث قرواش صاحب الموصل اليهم

جيشه فطردهم وافترقت جموعهم ولحق الغز بديار بكر وأثخنوا فيها وأطلق نصير الدولة أميرهم منصورا من يده بأنه فلم ينتفع منهم بذلك وقاتلهم صاحب الموصل فحاصروه ثم ركب في السفين ونجا الى السند وملكوا البلد وعاثوا فيها وبعث قرواش الى الملك جلال الدولة يستنجده والى دبيس بن مزيد وأمراء العرب وفرض الغز على أهل الموصل عشرين ألف دينار وفتنا را الناس بهم وكان كوكتاش قد فارق الموصل فرجع ودخلها عنوة في رجب سنة خمس وثلاثين وأفحش في القتل والنهب وكانوا يخطبون للخليفة ولطغرلبك بعده فكتب الملك جلال الدولة الى طغرلبك يشكوله بأحوالهم فكتب اليه ان هؤلاء الغز كانوا في خدمتنا وطاعتنا حتى حدث بيننا وبين محمود ابن سبكتكين ما علمتم ونهضنا اليه وساروا في خدمتنا في نواحي خراسان فتجاوزوا حدود الطاعة وملكة الهيبة ولابد من انزال العقوبة بهم وبعث الى نصير الدولة بعده يكفهم عنه وسار دبيس بن مزيد وبنو عقيل الى قرواش حاجب الموصل وقعد جلال الدولة عن انجاده لما نزل به من الاتراك وسمع الغز بجموع قرواش فبعثوا الى من كان بديار بكر منهم واجتمعوا اليهم واقتتل الفريقان فانهزم العرب أول النهار ثم أتيحت لهم الكرة على الغز فهزموهم واستباحوهم وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا واتبعهم قرواش الى نصيبين ورجع عنهم فساروا الى ديار بكر وبلاد الارمن والروم وكثر عيثهم فيها وكان طغرلبك واخوته لما جاؤا الى خراسان طالت الحروب بينهم وبين عساكر بني سبكتكين حتى غلبوهم وحصل لهم الظفر وهزموا اسياوشي حاجب مسعود آخر هزائمهم وملكوا هراة فهرب عنها سياوشي الحاجب ولحق بغزنة وزحف اليهم مسعود ودخلوا البرية ولم يزل في اتباعهم ثلاث سنين ثم انتهزوا فيه الفرصة باختلاف عسكره يوما على الماء فانهزموا وغنموا عسكره وسار طغرلبك الى نيسابور سنة احدى وثلاثين فملكها وسكن الشاذياخ وخطب له بالسلطان الاعظم العمال في النواحي وكان الدعار قد اشتد ضررهم بنيسابور فسد أمرهم وحسم عللهم واستولى السلجوقية على جميع البلاد وسار بيقو الى هراة فملكها وسار داود الى بلخ وبها القونتاق حاجب مسعود فحاصره وعجز مسعود عن امداده فسلم البلد لداود واستقل السلجوقية بملك البلاد أجمع ثم ملك طغرلبك طبرستان وجرجان من يد أنوشروان بن منوجهر قابوس وضمنها أنوشروان بثلاثين ألف دينار وولى على جرجان مرداويج من أصحابه بخمسين الف دينار وبعث القائم القاضي أبا الحسن الماوردي الى طغرلبك فقرر الصلح بينه وبين جلال الدولة القائم بدولته ورجع بطاعته

(فتنة قرواش مع جلال الدولة)

كان قرواش قد أنفذ عسكره سنة احدى وثلاثين لحصار خميس بن ثعلب بتكريت واستغاث بجلال الدولة وأمر قرواشا بالكف عنه فلم يفعل وسار لحصاره بنفسه وبعث الى الاتراك ببغداد يستفسدهم على جلال الدولة فاطلع على ذلك فبعث أبا الحرث ارسلان البساسيري في صفر سنة ثنتين وثلاثين للقبض على نائب قرواش بالسندسية واعترضه العرب فمنعوه ورجع وأقاموا بين صرصر وبغداد يفسدون السابلة وجمع جلال الدولة العساكر وخرج الى الانبار وبها قرواش فحاصرها ثم اختلفت عقيل على قرواش فرجع الى مصالحة جلال الدولة

(وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار)

لما قلت الجبايات ببغداد مد جلال الدولة يده الى الجوالي فأخذها وكانت خاصة بالخليفة ثم توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة لسبع عشرة من ملكه ولما مات خاف حاشيته من الاتراك والعامة فانتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحابه الاكابر الى حرم دار الخلافة واجتمع القواد للمدافعة عنهم وكاتبوا الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة في واسط بالطاعة واستقدموه وطلبوا حق البيعة فراوضهم فيها فكاتبهم أبو كاليجار عنها فعدلوا اليه وجاء العزيز من واسط وانتهى الى النعمانية فغدر به عسكره ورجعوا الى واسط وخطبوا لابي كاليجار وسار العزيز الى دبيس بن مزيد ثم الى قرواش بن المقلد ثم فارقه الى أبي الشوك فغدر به فسار الى نيال أخي طغرلبك فأقام عنده مدة ثم قصد بغداد مختفيا فظهر على بعض أصحابه فقتله ولحق هو بنصير الدولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين سنة احدى وأربعين وأما أبو كاليجار فخطب له ببغداد في صفر سنة ست وثلاثين وبعث الى الخليفة بعشرة آلاف دينار وبأموال أخرى فرقت الى الجند ولقبه القائم بمحيي الدين وخطب له أبو الشوك ودبيس بن مزيد ونصير الدولة بن مروان بأعمالهم وسار الى بغداد ومعه وزيره أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس وهم القائم لاستقباله فاستعفى من ذلك وخلع على أرباب الجيوش وهم البساسيري والنساوري والهمام أبو اللقاء وأخرج عميد الدولة أبا سعيد من بغداد فمضى الى تكريت وعاد أبو منصور بن علاء الدولة بن كالويه صاحب اصبهان الى طاعته وخطب له على منبره انحرافا عن طغرلبك ثم راجعه بعد الحصار واصطلحا على مال يحمله وبعث أبو كاليجار الى السلطان طغرلبك في الصلح وزوجه ابنته فأجاب وتم بينهما سنة تسع وثلاثين

(وفاة أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم)

كان أبو كاليجار والمرزبان بن سلطان الدولة قد سار سنة أربعين الى نواحي كرمان وكان صاحبها بهرام بن لشكرستان من وجوه الديلم قد منع الحمل فتنكر له أبو كاليجار وبعث الى أبي كاليجار يحتمي به وهو بقلعة بردشير فملكها من يده وقتل بهرام بعض الجند فظهر منهم على الميل لابي كاليجار فسار اليه ومرض في طريقه ومات بمدينة جنابا في سنة أربعين لاربع سنين وثلاثة أشهر من ملكه ولما توفي نهب الاتراك معسكره وانتقل ولده أبو منصور فلاستون الى مخيم الوزير أبي منصور وأرادوا نهبه فمنعهم الديلم وساروا الى شيراز فملكها أبو منصور واستوحش الوزير منه فلحق ببعض قلاعه وامتنع بها ووصل خبر وفاة أبي كاليجار الى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز فبايع له الجند وبعث الى الخليفة في الخطبة والتلقب بالملك الرحيم فأجابه الى ما سأل الا اللقب بالرحيم للمانع الشرعي من ذلك واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة وكان بها أخوه أبو علي واستولى أخوه أبو منصور كما ذكرنا على شيراز فبعث الملك الرحيم أخاه أبا سعد في العساكر فملكها وقبض على أخيه أبي منصور وسار العزيز جلال الدولة من عند قرواش الى البصرة فدافعه أبو علي بن كاليجار عنها ثم سار الملك الرحيم الى خوزستان وأطاعه من بها من الجند وكثرت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة

(مسير الملك الرحيم الى فارس)

ثم سار الملك الرحيم من الاهواز الى فارس سنة احدى وأربعين وخيم بظاهر شيراز ووقعت فتنة بين أتراك شيراز وبغداد فرحل أتراك بغداد الى العراق وتبعهم الملك الرحيم لانحرافه عن أتراك شيراز وكان أيضا منحرفا عن الديلم بفارس لميلهم الى أخيه فلاستون باصطخر وانتهى الى الاهواز فأقام بها واستخلف بارجان أخويه أبا سعد وأبا طالب فزحف اليهما أخوهما فلاستون وخرج الملك الرحيم من الاهواز الى رامهرمز للقائهم فلقيهم وانهزم الى البصرة ثم الى واسط وسارت عساكر فارس الى الاهواز فملكوها وخيموا بظاهرها ثم شغبوا على أبي منصور وجاء بعضهم الى الملك الرحيم فبعث الى بغداد واستقدم الجند الذين بها وسار الى الاهواز فملكها وأقام ينتظر عسكر بغداد ثم سار الى عسكر مكرم فملكها سنة ثنتين وأربعين ثم تقدم سنة ثلاث وأربعين ومعه دبيس بن مزيد والبساسيري وغيرهما وسار هزارشب بن تنكير ومنصور بن الحسين الاسدي فيمن معهما من الديلم والاكراد من ارجان الى تستر فسبقهم الملك الرحيم اليها وغلبهم عليها ثم زحف في عسكر هزارشب فوافاه أميره

أبو منصور بمدينة شيراز فاضطربوا ورجعوا ولحق منهم جماعة بالملك الرحيم فبعث عساكر الى رامهرمز وبها أصحاب أبي منصور فحاصرها وملكها في ربيع سنة ثلاث وأربعين ثم بعث أخاه أبا سعد في العساكر الى بلاد فارس لان أخاه أبا نصر خسرو كان باصطخر وضجر من تغلب هزارشب بن تنكير صاحب أخيه أبي منصور فكتب الى أخيه الملك الرحيم بالطاعة فبعث اليه أخاه أبا سعد فأدخله اصطخر وملكه ثم اجتمع أبو منصور فلاستون وهزارشب ومنصور بن الحسين الاسدي وساروا للقاء الملك الرحيم بالاهواز واستمدوا السلطان طغرلبك وأبوا طاعته فبعث اليهم عسكرا وكان قد ملك اصبهان واستطال وافترق كثير من أصحاب الملك الرحيم عنه مثل البساسيري ودبيس ابن مزيد والعرب والاكراد وبقي في الديلم الاهوازية وبعض الاتراك من بغداد ورأى أن يعود من عسكر مكرم الى الاهواز ليتحصن بها وينتظر عسكر بغداد ثم بعث أخاه أبا سعد الى فارس كما ذكرنا ليشغل أبا منصور وهزارشب ومن معهما عن قصده فلم يعرجوا على ذلك وساروا اليه بالاهواز وقاتلهم فانهزم الى واسط ونهب الاهواز وفقد في الواقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي عبد الرحيم فلم يوقف له على خبر وسار أبو منصور وأصحابه الى شيراز لاجل أبي سعد وأصحابه فلقيهم قريبا منها وهزمهم مرات واستأمن اليه الكثير منهم واعتصم أبو منصور ببعض القلاع وأعيدت الخطبة بالاهواز للملك الرحيم واستدعاه الجند بها وعظمت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة في غيبة الملك الرحيم واقتتلوا وبعث القائم نقيب العلويين ونقيب العباسيين لكشف الامر بينهما فلم يوقف على يقين في ذلك وزاد الامر وأحرقت مشاهد العظماء من أهل البيت وبلغ الخبر الى دبيس بن مزيد فاتهم القائم بالمداهنة في ذلك فقطع الخطبة له ثم عوتب فاستعتب وعاد الى حاله

(مهادنة طغرلبك للقائم)

قد تقدم لنا شأن الغز واستيلائهم على خراسان من يد بني سبكتكين أعوام ثنتين وثلاثين ثم استيلاء طغرلبك على اصبهان من يد ابن كالويه سنة ثنتين وأربعين ثم بعث السلطان طغرلبك ارسلان بن أخيه داود الى بلاد فارس فافتتحها سنة ثنتين وأربعين واستلحم من كان بها من الديلم ونزل مدينة نسا وبعث اليه القائم بأمر الله بالخلع والالقاب وولاه على ما غلب عليه فبعث اليه طغرلبك بعشرة آلاف دينار واعلاق نفيسة من الجواهر والثياب والطيب والى الحاشية بخمسة آلاف دينار وللوزير رئيس الرؤساء بألفين وحضروا العيد في سنة ثلاث وأربعين ببغداد فأمر الخليفة بالاحتفال في الزينة والمراكب والسلاح ثم سار الغز سنة أربع وأربعين الى شيراز

وبها الامير أبو سعد أخو الملك الرحيم فقاتلهم وهزمهم كما نذكر فى أخبارهم

(استيلاء الملك الرحيم على البصرة من يد أخيه)

ثم بعث الملك الرحيم سنة أربع وأربعين جيوشه الى البصرة مع بصيرة البساسيرى فحاصروا بها أخاه أبا على وقاتلوا عسكره فى السفن فهزموهم وملكوا عليهم دجلة والانهر وجاء الملك الرحيم بالعسكر فى البر واستأمن اليه قبائل ربيعة ومضر فأمنهم وملك البصرة وجاءته رسل الديلم بخوزستان بطاعتهم ومضى أخوه أبو على الى شط عمان وتحصن به فسار اليه الملك الرحيم وملك عليه شط عمان ولحق بعبادان وسار منها الى ارجان ثم لحق بالسلطان طغرلبك باصبهان فأكرمه وأصهر اليه وأقطع له وأنزله بقلعة من أعمال جرباذقان وولى الملك الرحيم وزيره البساسيرى على البصرة وسار الى الاهواز وأرسل منصور بن الحسين وهزارشب فى تسليم ارجان وتستر فتسلمها واصطلحا وكان المقدم على ارجان فولاد بن خسرو من الديلم فرجع الى طاعة الملك الرحيم سنة خمس وأربعين

(فتنة ابن أبى الشوك ثم طاعته)

كان سعدى بن أبى الشوك قد أعطى طاعته للسلطان طغرلبك بنواحى الرى وسار فى خدمته وبعثه سنة أربع وأربعين فى العساكر الى نواحى العراق فبلغ النعمانية وكثر عيثه وراسله ملد من بنى عقيل قرابة قريش بن بدران فى الاستظهار له على قريش ومهلهل أخى أبى الشوك فوعدهم فسار اليهم مهلهل وأوقع بهم على عكبرا فساروا الى سعدى وشكوا اليه وهو على سامرا فساروا وأوقع بعمه مهلهل وأسره وعاد الى حلوان وهم الملك الرحيم بتجهيز العساكر اليه بحلوان واستقدم دبيس بن مزيد لذلك ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين ببغداد من أهل الكرخ وأهل السنة ودخلها طوائف من الاتراك وعم الشر واطرحت مراقبة السلطان وركب القواد لحسم العلة فقتلوا علويا من أهل الكرخ فنادت نساؤه بالويل فقاتلهم العامة وأضرم النار فى الكرخ بعض الاتراك فاحترق جميعه ثم بعث القائم وسكن الامر وكان مهلهل لما أسر سار ابنه بدر الى طغرلبك وابن سعدى كان عنده رهينة وبعث الى سعدى باطلاق مهلهل عند ذلك فامتنع سعدى من ذلك وانتقض على طغرلبك وسار من همذان الى حلوان وقاتلها فامتنعت عليه فكاتب الملك الرحيم بالطاعة ولحقه عساكر طغرلبك فهزموه ولحق ببعض القلاع هنالك وسار بدر فى اتباعه الى شهرزور ثم جاءه الخبر بأن جمعا من الاكراد والاتراك قد أفسدوا السابلة وأكثروا العيث فخرج اليهم

البساسيرى واتبعهم الى البوازيج وأوقع بالطوائف منهم واستباحهم وعبروا الزاب فلم يمكنه العود اليهم ونجوا

(فتنة الاتراك)

وفى سنة ست وأربعين شغب الاتراك على وزير الملك الرحيم فى مطالبة أرزاقهم واستعدوه عليه فلم يعدهم فشكوا من الديوان وانصرفوا مغضبين وباكروا من الغد لحصار دار الخليفة وحضر البساسيرى واستكشف حال الوزير فلم يقف له على خبر وكبست الدور فى طلبه فكان ذلك وسيلة للاتراك فى نهب دور الناس واجتمع أهل المحال لمنعهم ونهاهم الخليفة فلم ينتهوا فهم بالرحلة عن بغداد ثم ظهر الوزير وانصفهم فى أرزاقهم فتمادوا على بغيهم وعسفهم واشتد عيث الاكراد والاعراب فى النواحى فخربت البلاد وتفرق أهلها وأغار أصحاب ابن بدران بالبردان وكبسوا حلل كامل بن محمد بن المسيب ونهبوها ونهبوا فى جملتها ظهرا وأنعاما للبساسيرى وانحل أمر الملك والسلطنة بالكلية

(استيلاء طغرلبك على أذربيجان وعلى أرمينية والموصل)

سار طغرلبك سنة أربعين الى أذربيجان فأطاعه صاحب قبريز أبو منصور وشهودان ابن محمد وخطب له ورهن ولده عنده ثم أطاعه صاحب جنده أبو الاسوار ثم تتابع سائر النواحى على الطاعة وأخذ رهنهم وسار الى أرمينية فحاصر ملاذكرد وامتنعت عليه فخرب ما جاورها من البلاد وبعث اليه نصير الدولة بن مروان بالهدايا وقد كان دخل فى طاعته من قبل وسار السلطان طغرلبك لغزو بلاد الروم واكتسحها الى أن بلغ أردن الروم ورجع الى أذربيجان ثم الى الرى وخطب له قريش بن بدران صاحب الموصل فى جميع أعماله وزحف الى الانبار ففتحها ونهب ما فيها البساسيرى فانتقض لذلك وسار فى العساكر الى الانبار فاستعاده من يده

بياض بالاصل

(وحشة البساسيرى)

كان أبو الغنائم وأبو سعد ابنا المجلبان صاحبى قريش بن بدران وبعثهما الى القائم سرا من البساسيرى بما فعل بالانبار فانتقض البساسيرى لذلك واستوحش من القائم ومن رئيس الرؤساء وأسقط مشاهراتهم ومشاهرة حواشيهم وهم بهدم منازل بنى المجلبان ثم أقصر وسار الى الانبار وبها أبو القاسم بن المجلبان وجاءه دبيس بن مزيد ممدا له فحاصر الانبار وفتحها عنوة ونهبها وأسر من أهلها خمسمائة ومائة من بنى خفاجة

وأسر أبا الغنائم وجاء به الى بغداد فأدخله على جمل وشفع دبيس بن مزيد فى قتله وجاء الى مقابل التاج من دار الخليفة فقبل الارض وعاد الى منزله

(وصول الغز الى الدسكرة ونواحى بغداد)

وفى شوال من سنة ست وأربعين وصل صاحب حلوان من الغز وهو ابراهيم ابن اسحق الى الدسكرة فافتتحها ونهبها وصادر النساء ثم سار الى رسغباذ وقلعة البردان وهى لسعدى بن أبى الشوك وبها أمواله فامتنعت عليه فخرب ما حولها من القرى ونهبها وقوى طمع الغز فى البلاد وضعف أمر الديلم والاتراك ثم بعث طغرلبك أبا على ابن أبى كاليجار الذى كان بالبصرة فى جيش من الغز الى خورستان فاستولى على الاهواز وملكها ونهب الغز الذين معه أموال الناس واقوا منهم عناء

(استيلاء الملك الرحيم على شيراز)

وفى سنة سبع وأربعين سار فولاد الذى كان بقلعة اصطخر من الديلم وقد ذكرناه الى شيراز فملكها من يد أبى منصور فولاستون بن أبى كاليجار وكان خطب بها للسلطان طغرلبك فخطب فولاد بها للملك الرحيم ولاخيه أبى سعد يخادعهما بذلك وكان أبو سعد بأرجان فاجتمع هو وأخوه أبو منصور على حصار شيراز فى طاعة أخيهما الملك واشتد الحصار على فولاد وعدمت الاقوات فهرب عنها الى قلعة اصطخر وملك الاخوان شيراز وخطبا لاخيهما الملك الرحيم

(وثوب الاتراك ببغداد بالبساسيرى)

قد ذكرنا تأكد الوحشة بين البساسيرى ورئيس الرؤساء ثم تأكدت سنة سبع وأربعين وعظمت الفتنة بالجانب الشرقى بين العامة وبين أهل السنة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وحضروا الديوان حتى أذن لهم فى ذلك وتعرضوا لبعض سفن البساسيرى منحدرة اليه بواسط وكشفوا فيها عن جرار خمر فجاؤا الى أصحاب الديوان الذين أمروا بمساعدتهم واستدعوهم لكسرها فكسروها واستوحش لذلك البساسيرى ونسبه الى رئيس الرؤساء واستفتى الفقهاء فى أن ذلك تعدّ على سفينته فأفتاه الحنفية بذلك ووضع رئيس الرؤساء الاعيان على البساسيرى باذن من دار الخلافة وأظهر معايبه وبالغوا فى ذلك ثم قصدوا فى رمضان دور البساسيرى باذن من دار الخلافة فنهبوها وأحرقوها ووكلوا بحرمه وحاشيته وأعلن رئيس الرؤساء بذم البساسيرى وانه يكاتب المستنصر صاحب مصر فبعث القائم الى الملك الرحيم

فأمره بابعاده فأبعده

(استيلاء السلطان طغرلبك على بغداد والخطبة له)

قد ذكرنا من قبل رجوع السلطان طغرلبك من غزو الروم الى الرى ثم رجع الى همذان ثم سار الى حلوان عازما على الحج والاجتياز بالشأم لازالته من يد العلوية وأجفل الناس الى غربى بغداد وعظم الارجاف ببغداد ونواحيها وخيم الاتراك بظاهر البلد وجاء الملك الرحيم من واسط بعد أن طرد البساسيرى عنه كما أمره القائم فسار الى بلد دبيس بن مزيد لصهر بينهما وبعث طغرلبك الى القائم بالطاعة والى الاتراك بالمقاربة والوعد فلم يقبلوا وطلبوا من القائم اعادة البساسيرى لانه كبيرهم ولما وصل الملك الرحيم سأل من الخليفة اصلاح أمره مع السلطان طغرلبك فأشار القائم بأن يقوض الاجناد خيامهم ويخيموا بالحريم الخلافى ويبعثوا جميعا الى طغرلبك بالطاعة فقبلوا اشارته وبعثوا الى طغرلبك بذلك فأجاب بالقبول والاحسان وأمر القائم بالخطبة لطغرلبك على منابر بغداد فخطب آخر رمضان من سنة سبع وأربعين واستأذن فى لقاء الخليفة وخرج اليه رؤساء الناس فى موكب من القضاة والفقهاء والاشراف وأعيان الديلم وبعث طغرلبك للقائم وزيره أبا نصر الكندرى وأبلغه رسالة القائم واستحلفه له وللملك الرحيم وأمراء الاجناد ودخل طغرلبك بغداد ونزل بباب الشماسية لخمس بقين من رمضان وجاء هنالك قريش بن بدران صاحب الموصل وكان من قبل فى طاعته

(القبض على الملك الرحيم وانقراض دولة بنى بويه)

ولما نزل طغرلبك بغداد وافترق أهل عسكره فى البلد يقضون بعض حاجاتهم فوقعت بينهم وبين بعض العامة منازعة فصاحوا بهم ورجموهم وظن الناس أن الملك الرحيم قد اعتزم على قتال طغرلبك فتواثبوا بالغز من كل جهة الا أهل الكرخ فانهم سألوا من وقع اليهم من الغز وأرسل عميد الملك وزير طغرلبك عن عدنان بن الرضى نقيب العلويين وكان مسكنه بالكرخ فشكره عن السلطان طغرلبك ودخل أعيان الديلم وأصحاب الملك الرحيم الى دار الخلافة نفيا للتهمة عنهم وركب أصحاب طغرلبك فقاتلوا العامة وهزموهم وقتلوا منهم خلقا ونهبوا سائر الدروب ودور رئيس الرؤساء وأصحابه والرصافة ودور الخلفاء وكان بها أموال الناس نقلت اليها للحرمة فنهب الجميع واشتد البلاء وعظم الخوف وأرسل طغرلبك الى القائم بالعتاب ونسبة ما وقع الى الملك الرحيم والديلم وانهم انحرفوا وكانوا برآء من ذلك وتقدم اليهم الخليفة بالحضور

عند طغرلبك مع رسوله فلما وصلوا الى الخيام نهبها الغز ونهبوا رسل القائم معهم ثم قبض طغرلبك على الملك الرحيم ومن معه وبعث بالملك الرحيم الى قلعة السيروان فحبس بها وكان ذلك لست سنين من ملكه ونهب فى تلك الهيعة قريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه من العرب ونجا سليبا الى خيمة بدر بن المهلهل واتصل بطغرلبك خبره فأرسل اليه وخلع عليه وأعاده الى مخيمه وبعث القائم الى طغرلبك بانكار ما وقع فى اخفار ذمته فى الملك الرحيم وأصحابه وانه يتحوّل عن بغداد فأطلق له بعضهم بلكسكالربه وأنزع الاقطاعات من يد أصحابه الملك الرحيم فلحقوا بالبساسيرى وكثر جمعه وبعث طغرلبك الى دبيس بالطاعة وانفاذ البساسيرى فخطب له فى بلاده وطرد البساسيرى فسار الى رحبة ملك وكاتب المستنصر العلوى صاحب مصر وأمر طغرلبك بأخذ أموال الاتراك الجند وأهملهم وانتشر الغز السلجوقية فى سواد بغداد فنهبوا الجانب الغربى من تكريت الى النيل والجانب الشرقى الى النهروانات وخرب السواد وانجلى أهله وضمن السلطان طغرلبك البصرة والاهواز من هزارشب بن شكر بن عياض بثلثمائة وستين ألف دينار وأقطعه ارجان وأمره أن يخطب لنفسه بالاهواز دون ماسواها وأقطع أبا على بن كاليجار ويسين وأعمالها وأمر أهل الكرخ بزيادة الصلاة خير من النوم فى نداء الصبح وأمر بعمارة دار المملكة وانتقل اليها فى شوّال وتوفى ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بالله فى ذى القعدة من هذه السنة ثم انكح السلطان طغرلبك من القائم بالله خديجة بنت أخيه داود واسمها ارسلان خاتون وحضر للعقد عميد الملك الكندى وزير طغرلبك وأبو على ابن أبى كاليجار وهزارشب بن شكر بن عياض الكردى وابن أبى الشوك وغيرهم من أمراء الاتراك من عسكر طغرلبك وخطب رئيس الرؤساء وولى العقد وقبل الخليفة بنفسه وحضر نقيب النقباء أبو على بن أبى تمام ونقيب العلويين عدنان ابن الرضى والقاضى أبو الحسن الماوردى وغيرهم

(انتقاض أبى الغنائم بواسط)

كان رئيس الرؤساء سعى لابى الغنائم بن المحلبان فى ولاية واسط وأعمالها فوليها وصادر أعيانها وجند جماعة وتقوى بأهل البطيحة وخندق على واسط وخطب للمستنصر العلوى بمصر فسار أبو نصر عميد العراق لحربه فهزمه وأسر من أصحابه ووصل الى السور فحاصره حتى تسلم البلد ومرّ أبو الغنائم ومعه الوزير بن فسانجس ورجع عميد العراق الى بغداد بعد أن ولى على واسط منصور بن الحسين فعاد ابن فسانجس الى واسط وأعاد خطبة العلوى وقتل من وجده من الغز ومضى منصور بن الحسين الى المدار

وبعث

وبعث يطلب المدد فكتب اليه عميد العراق ورئيس الرؤساء بحصار واسط فحاصرها وقاتله ابن فسانجس فهزمه وضيق حصاره واستأمن اليه جماعة من أهل واسط فملكها وهرب فسانجس واتبعوه فأدركوه وحمل الى بغداد فى صفر سنة ست وأربعين فشهر وقتل

(الوقعة بين البساسيرى وقطلمش)

وفى سلخ شوّال من سنة ثمان وأربعين سار قطلمش وهو ابن عم السلطان طغرلبك وجد بنى قليج ارسلان ملوك بلاد الروم فسار ومعه قريش بن بدران صاحب الموصل لقتال البساسيرى ودبيس وسار بهم الى الموصل وخطبوا بها للمستنصر العلوى صاحب مصر وبعث اليهم بالخلع وكان معهم جابر بن ناشب وأبو الحسن وعبد الرحيم وأبو الفتح ابن ورام ونصر بن عمر ومحمد بن حماد

(مسير طغرلبك الى الموصل)

لما كان السلطان طغرلبك قد ثقلت وطأته على العامة ببغداد وفشا الضرر والاذى فيهم من معسكره فكاتبه القائم يعظه ويذكره ويصف له ما الناس فيه فأجابه السلطان بالاعتذار بكثرة العساكر ثم رأى رؤيا فى ليلته كأن النبى صلى الله عليه وسلم يوبخه على ذلك فبعث وزيره عميد الملك الى القائم بطاعة أمره فيما أمر وأخرج الجند من وراء العامة ورفع المصادرات ثم بلغه خبر وقعة قطلمش مع البساسيرى وانحراف قريش صاحب الموصل الى العلوية فتجهز وسار عن بغداد ثلاثة عشر شهرا من نزوله عليها ونهبت عساكره أوانا وعكبرا وحاصر تكريت حتى رجع صاحبها نصر بن عيسى الى الدعوة العباسية وقبله السلطان ورجع عنه الى البوازيج فتوفى نصر وخافت أمه غريبة بنت غريب بن مكن أن يملك البلد أخوه أبو العشائر فاستخلفت أبا الغنائم ابن المحلبان ولحقت بالموصل ونزلت على دبيس بن مزيد وأرسل أبو الغنائم رئيس الرؤساء فأصلح حاله ورجع الى بغداد وسلم له تكريت وأقام السلطان بالبوازيج الى سنة تسع وأربعين وجاءه أخوه ياقوتى فى العساكر فسار الى الموصل وأقطع مدينة بلد هزارشب بن شكر الكردى وأراد العسكر نهبها فمنعهم السلطان ثم أذن لهم فى اللحاق الى الموصل وتوجه الى نصيبين وبعث هزارشب الى البرية فى ألف فارس ليصيب من العرب فسار حتى قارب رحالهم وأكمن الكمائن وقاتلهم ساعة ثم استطردهم واتبعوه فخرجت عليهم الكمائن فانهزموا وأثخن فيهم الغز بالقتل والاسر وكان فيهم جماعة من بنى نمير أصحاب حران والرقة وحمل الاسرى الى السلطان فقتلهم أجمعين ثم بعث دبيس

وقريش الى هزارشب يستعطف لهم السلطان فقبل السلطان ذلك منهما وورد أمر البساسيرى الى الخليفة ومعه الاتراك البغداديون وقتل ابن المقلد وجماعة من عقيل الى الرحبة وأرسل السلطان اليهما أبا الفتح بن ورام يستخبرهما فجاء بطاعتهما وعبر هزارشب اليهما فأذن له السلطان فى المسير وجاء اليهما واستحلفهما وحثهما على الحضور فخافا وأرسل قريش أبا السيد هبة الله بن جعفر ودبيس ابنه منصورا فأكرمهما السلطان وكتب لهما بأعمالهما وكان لقريش نهر الملك وبادوربا والانبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا وأوانا وتكريت والموصل ونصيبين ثم سار السلطان الى ديار بكر فحاصر جزيرة ابن عمرو بعث اليه يستعطفه ويبذل له المال وجاء ابراهيم نيال أخو السلطان وهو محاصر ولقيه الامراء والناس وبعث هزارشب الى دبيس وقريش يحذرهما فانحدر دبيس الى بلده بالعراق وأقام قريش عند البساسيرى بالرحبة ومعه ابنه مسلم وشكا قطلمش ما أصاب أهل سنجار منه عند هزيمته أمام قريش ودبيس فبعث العساكر اليها وحاصرها ففتحها عنوة واستباحها وقتل أميرها على ابن مرجى وشفع ابراهيم فى الباقين فتركها وسلمها الله وسلم معها الموصل وأعمالها ورجع الى بغداد فى سنة تسع وأربعين فخرج رئيس الرؤساء للقائه عن القائم وبلغه سلامه وهديته وهى جام من ذهب فيه جواهر وألبسه لباس الخليفة وعمامته فقبل السلطان ذلك بالشكر والخضوع والدعاء وطلب لقاء الخليفة فأسعف وجلس له جلوسا فخما وجاء السلطان فى البحر فقرب له المنازل من السهرية من مراكب الخليفة والقائم على سرير علوه سبعة أذرع متوشحا البردة وبيده القضيب وقبالته كرسى لجلوس السلطان فقبل الارض وجلس على الكرسى وقال له رئيس الرؤساء عن القائم أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك وولاك ما ولاه الله من بلاده ورد اليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية فقبل الارض وأفيضت عليه الخلع وخوطب بملك المشرق والمغرب وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه ودفع اليه كتاب العهد وخرج فبعث الى القائم خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا من الاتراك منتقين بخيولهم وسلاحهم الى ما فى معنى ذلك من الثياب والطيب وغيرهما

(فتنة نيال مع أخيه طغرلبك ومقتله)

كان ابراهيم نيال قد ملك بلاد الجبل وهمذان واستولى على الجهات من نواحيها الى حلوان أعوام سنة سبع وثلاثين ثم استوحش من السلطان طغرلبك بما طلب منه أن يسلم اليه مدينة همذان والقلاع فأبى من ذلك نيال وجمع جموعا وتلاقيا فانهزم

نيال وتحصن بقلعة سرماج فملكها عليه بعد الحصار واستنزله منها وذلك سنة احدى وأربعين وأحسن اليه طغرلبك وخيره بين المقام معه أو اقطاع الاعمال فاختار المقام ثم لما ملك طغرلبك بغداد وخطب له بها سنة سبع وأربعين أخرج اليه البساسيرى مع قريش بن بدران صاحب الموصل ودبيس بن مزيد صاحب الحلة وسار طغرلبك اليهم من بغداد ولحقه أخوه ابراهيم نيال فلما ملك الموصل سلمها اليه وجعلها لنظره مع سنجار والرحبة وسائر تلك الاعمال التى لقريش ورجع الى بغداد سنة تسع وأربعين ثم بلغه سنة خمسين بعدها أنه سار الى بلاد الجبل فاستراب به وبعث اليه يستقدمه بكتابه وكتاب القائم مع العهد الكندى فقدم معه وفى خلال ذلك قصد البساسيرى وقريش ابن بدران الموصل فملكاها وجفلوا عنها فاتبعهم الى نصيبين وخالفه أخوه ابراهيم نيال الى همذان فى رمضان سنة خمسين يقال ان العلوى صاحب مصر والبساسيرى كاتبوه واستمالوه وأطمعوه فى السلطنة فسار السلطان فى اتباعه من نصيبين ورد وزيره عميد الملك الكندى وزوجته خاتون الى بغداد ووصل الى همذان ولحق به من كان ببغداد من الاتراك فحاصر همذان فى قلعة من العسكر واجتمع لاخيه خلق كثير من الترك وحلف لهم أن لا يصالح طغرلبك ولا يدخل بهم العراق لكثرة نفقاته وجاءه محمد وأحمد ابنا أخيه ارباش بأمداد من الغز فقوى بهم ووهن طغرلبك فأفرج عنه الى الرى وكاتب الى ارسلان ابن أخيه داود وقد كان ملك خراسان بعد أبيه سنة احدى وخمسين كما نذكر فى أخبارهم فزحف اليه فى العساكر ومعه أخواه ياقوت وقاروت بك ولقيهم ابراهيم فيمن معه فانهزم وجىء به وبابنى أخيه محمد وأحمد أسرى الى طغرلبك فقتلهم جميعا ورجع الى بغداد لاسترجاع القائم

(دخول البساسيرى بغداد وخلع القائم ثم عوده)

قد ذكرنا أن طغرلبك سار الى همذان لقتال أخيه وترك وزيره عميد الملك الكندى ببغداد مع الخليفة وكان البساسيرى وقريش بن بدران فارقا الموصل عند زحف السلطان طغرلبك اليهما فلما سار عن بغداد لقتال أخيه بهمذان خالفه البساسيرى وقريش الى بغداد فكثر الارجاف بذلك وبعث عن دبيس بن مزيد ليكون حاجبه ببغداد ونزلوا بالجانب الشرقى وطلب من القائم الخروج معه الى احيائه واستدعى هزارشب من واسط للمدافعة واستمهل فى ذلك فقال العرب لانشير فأشيروا بنظركم وجاء البساسيرى ثامن ذى القعدة سنة خمسين فى أربعمائة غلام على غاية من سوء الحال ومعه أبو الحسين بن عبد الرحيم وجاء حسين بن بدران فى مائة فارس وخيموا مفترقين عن البلد واجتمع العسكر والقوم الى عميد العراق وأقاموا ازاء البساسيرى وخطب

البساسيرى ببغداد للمستنصر العلوى صاحب مصر بجامع المنصور ثم بالرصافة وأمر
بالأذان بحى على خير العمل وخيم بالزاهر وكان هوى البساسيرى لمذاهب الشيعة
وترك أهل السنة للانحراف عن الاتراك فرأى الكندرى المطاولة لانتظار السلطان
ورأى رئيس الرؤساء المناجزة وكان غير بصير بالحرب فخرج لقتالهم فى غفلة من
الكندرى فانهزم وقتل من أصحابه خلق ونهب باب الازج وهو باب الخلافة وهرب
أهل الحريم الخلافى فاستدعى القائم العميد الكندرى للمدافعة عن دار الخلافة فلم
يرعهم الا اقتحام العدو عليهم من الباب النوبى فركب الخليفة ولبس السواد والنهب
قد وصل باب الفردوس والعميد الكندرى قد استأمن الى قريش فرجع ونادى بقريش
من السور فاستأمن اليه على لسان رئيس الرؤساء واستأمن هو أيضا معه وخرجا اليه
وسارا معه ونكر البساسيرى على قريش نقضه لما تعاهدا عليه فقال انما تعاهدنا على
الشركة فيما يستولى عليه وهذا رئيس الرؤساء لك والخليفة لى ولما حضر رئيس
الرؤساء عند البساسيرى وبخه وسأله العفو فأبى منه وحمل قريش القائم الى معسكره على
هيئته ووضع خاتون بنت أخى السلطان طغرلبك فى يد بعض الثقات من خواصه وأمره
بخدمتها وبعث القائم ابن عمه مهارش فسار به الى بلده حديثة خان وأنزله بها وأقام
البساسيرى ببغداد وصلى عيد النحر بالالوية المصرية وأحسن الى الناس وأجرى
أرزاق الفقهاء ولم يتعصب لمذهب وأنزل أم القائم بدارها وسهل جرايتها وولى محمود
ابن الافرم على الكوفة وسقى الفرات وأخرج رئيس الرؤساء من محبسه آخر ذى
الحجة فصلبه عند النجمى لخمس سنة من تردده فى الوزارة وكان ابن ماكولا قد قبل
شهادته سنة أربع عشرة وبعث البساسيرى الى المستنصر العلوى بالفتح والخطبة له
بالعراق وكان هنالك أبو الفرج ابن أخى أبى القاسم المغربى فاستهان بفعله وخوفه
عاقبته وأبطأت أجوبته مدة ثم جاءت بغير ما أمل وسار البساسيرى من بغداد الى
واسط والبصرة فملكها وأراد قصد الاهواز فبعث صاحبها هزارسب بن شكر فأصلح
أمره على مال يحمله ورجع البساسيرى الى واسط فى شعبان سنة احدى وخمسين
وفارقه صدقة بن منصور بن الحسين الاسدى الى هزارسب وقد كان ولى بغداد أباه على
ما يذكر ثم جاء الخبر الى البساسيرى بظفر طغرلبك بأخيه وبعث اليه والى قريش
فى اعادة الخليفة الى داره ويقيم طغرلبك وتكون الخطبة والسكة له فأبى البساسيرى
من ذلك فسار طغرلبك الى العراق وانتهى الى قصر شيرين وأجفل الناس بين يديه
ورحل أهل الكرخ بأهليهم وأولادهم برا وبحرا وكثر عيث بنى شيبان فى الناس
وارتحل البساسيرى بأهله وولده سادس ذى القعدة سنة احدى وخمسين لحول كامل

من دخوله وكثر الهرج فى المدينة والنهب والاحراق ورحل طغرلبك الى بغداد بعد
أن أرسل من طريقه الاستاذ أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك الى قريش بن
بدران بالشكر على فعله فى القائم وفى خاتون بنت أخيه زوجة القائم وأن أبا بكر بن
فورك جاء باحضارهما والقيام بخدمتهما وقد كان قريش بعث الى مهارش بأن يدخل
معهم الى البرية بالخليفة ليصد ذلك طغرلبك عن العراق ويتحكم عليه بما يريد فأبى
مهارش لنقض البساسيرى عهوده واعتذر بأنه قد عاهد الخليفة القائم بما لا يمكن
نقضه ورحل بالخليفة الى العراق وجعل طريقه على بدران بن مهلهل وجاء أبو فورك
الى بدر فحمله معه الى الخليفة وأبلغه رسالة طغرلبك وهداياه وبعث طغرلبك للقائه
وزيره الكندرى والامراء والحجاب بالخيام والسرادقات والمقربات بالمراكب الذهبية
فلقوه فى بلد بدر ثم خرج السلطان فلقيه بالنهروان واعتذر عن تأخره بوفاة أخيه داود
بخراسان وعصيان ابراهيم بهمذان وانه قتله على عصيانه وأقام حتى رتب أولاد داود
فى مملكته وقال انه يسير الى الشأم فى اتباع البساسيرى وطلب صاحب مصر فقلده
القائم سيفه اذ لم يجد سواه وأبدى وجهه للامراء فحيوه وانصرفوا وتقدم طغرلبك
الى بغداد فجلس فى الباب النوبى مكان الحاجب وجاء القائم فأخذ طغرلبك بلجام
بغلته الى باب داره وذلك لخمس بقين من ذى القعدة سنة احدى وخمسين وسار السلطان
الى معسكره وأخذ فى تدبير أموره

(مقتل البساسيرى)

ثم أرسل السلطان طغرلبك خمارتكين فى ألفين الى الكوفة واستقر معه سرايا بن منيع
فى بنى خفاجة وسار السلطان طغرلبك فى اثرهم فلم يشعر دبيس وقريش والبساسيرى
وقد كانوا نهبوا الكوفة الا والعساكر قد طلعت عليهم من طريق الكوفة فاجفلوا نحو
البطيحة وسار دبيس ليرد العرب الى القتال فلم يرجعوا ومضى معهم ووقف البساسيرى
وقريش فقتل من أصحابهما جماعة وأسر أبو الفتح بن ورام ومنصور بن بدران وحماد بن
دبيس وأصاب البساسيرى سهم فسقط عن فرسه وأخذ رأسه كمشتكين وأتى العميد
الكندرى وحمله الى السلطان وغنم العسكر جميع أموالهم وأهليهم وحمل رأس
البساسيرى الى دار الخلافة فعلق قبالة النوبى فى منتصف ذى الحجة ولحق دبيس
بالبطيحة ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم وكان هذا البساسيرى من مماليك بهاء
الدولة بن عضد الدولة اسمه ارسلان وكنيته أبو الحرث ونسبه فى الترك وهذه النسبة
المعروفة له نسبة الى مدينة بفارس حرفها الاول متوسط بين الفاء والباء والنسبة اليها
فسوى ومنها أبو على الفارسى صاحب الايضاح وكان أولا ينسب اليها فلذلك قيل فيه

هو بساسيرى (١)

(مسير السلطان الى واسط وطاعة دبيس)

ثم انحدر السلطان الى واسط أول سنة ثنتين وخمسين وحضر عنده هزارشب بن شكر من الاهواز وأصلح حال دبيس بن مزيد وصدقة بن منصور بن الحسين أحضرهما عند السلطان وضمن واسط أبو علي بن فضلان بمائتي ألف دينار وضمن البصرة الاغر أبو سعد سابور بن المظفر وأصعد السلطان الى بغداد واجتمع بالخليفة ثم سار الى بلد الجبل في ربيع سنة ثنتين وخمسين وأنزل ببغداد الامير برسو شحنة وضمن أبو الفتح المظفر بن الحسين في ثلاث سنين بأربعمائة ألف دينار ورد الى محمود الاحرم امارة بني خفاجة وولاه الكوفة وسقي الفرات وخواص السلطان بأربعة آلاف دينار في كل سنة

(وزارة القائم)

ولما عاد القائم الى بغداد ولي أبا تراب الاشيرى على الانهار وحضور المراكب ولقبه حاجب الحجاب وكان خدمه بالحديثة ثم سعى الشيخ أبو منصور في وزارة أبي الفتح بن أحمد ابن دارست على أن يحمل مالا فأجيب وأحضر من الاهواز في منتصف ربيع من سنة ثلاث وخمسين فاستوزره وكان من قبل تاجرا لابي كاليجار ثم ظهر عجزه في استيفاء الاموال فعزله وعاد الى الاهواز وقدم اثر ذلك أبو نصر بن جهير وزير نصير الدولة بن مروان نازعا منه الى الخليفة القائم فقبله واستوزره ولقبه فخر الدولة

(عقد طغرلبك على ابنة الخليفة)

كان السلطان طغرلبك قد خطب من القائم ابنته على يد أبي سعد قاضي الري سنة ثلاث وخمسين فاستنكف من ذلك ثم بعث أبا محمد التميمي في الاستعفاء من ذلك والا فيشترط ثلثمائة ألف دينار وواسط وأعمالها فلما ذكر التميمي ذلك للوزير عميد الملك بنى الامر على الاجابة قال ولا يحسن الاستعفاء ولا يليق بالخليفة طلب المال وأخبر السلطان بذلك فسر به وأشاعه في الناس ولقب وزيره عميد الملك وأتى أرسلان خاتون زوجة القائم ومعه مائة ألف ألف دينار وما يناسبها من الجواهر والجوار وبعث معهم قرامرد بن كاكويه وغيره من امراء الري فلما وصلوا الى القائم استشاط وهم بالخروج من بغداد وقال له العميد ما جعل لك في الاول بين الامتناع والاقتراح وخرج مغضبا الى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وكتب من الديوان الى خمارتكين من أصحاب السلطان بالشكوى من عميد الملك وجاءه الجواب بالرفق ولم يزل عميد الملك يريض الخليفة وهو يمتنع الى أن رحل في جمادى من سنة

(١) عبارة ابى الفداء بساوهى بالعربية فسا من اللباب بفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف ومدينة فسا عن ابن حوقل أكبر مدينة في كورة دارابجرد وتقارب في الكبر شيراز وفي اللباب ينسب اليها بالعربية فسوى وأهل فارس ينسبون اليها البساسيرى وسيد ارسلان التركى من فسا فنسب الغلام اليه واشتهر بالبساسيرى والبساسيرى المذكور له ذكر مشهور في التواريخ وهو الذى خطب لخلفاء مصر في بغداد وطرد القائم العباسى عن بغداد اه باختصار

اربع

أربع وخمسين ورجع الى السلطان وعرفه بالحال ونسب القضية الى خمارتكين فتنكر له السلطان وهرب واتبعه أولاد ينال فقتلوه بثأر أبيهم وجعل مكانه سارتكين وبعث للوزير بشأنه وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف بالعتب وطلب بنت أخي زوجة القائم فأجاب الخليفة حينئذ الى الاصهار وفوض الى الوزير عميد الكندرى عقد النكاح على ابنته للسلطان وكتب بذلك الى أبي الغنائم المجلبان فعقد عليها في شعبان من تلك السنة بظاهر تبريز وحمل السلطان للخليفة أموالا كثيرة وجواهر لولي العهد وللمخطوبة وأقطع ما كان بالعراق لزوجته خاتون المتوفاة للسيدة بنت الخليفة وتوجه السلطان في المحرم سنة خمس وخمسين من ارمينية الى بغداد ومعه من الامراء أبو علي بن أبي كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وأبو منصور بن قرامرد بن كاكويه وخرج الوزير ابن جهير فتلقاه ونزل عسكره بالجانب الغربي ونادى الناس بهم وجاء الوزير ابن العميد لطلب المخطوبة فأفرد له القائم دور السكناه ومكن حاشيته وانتقلت المخطوبة اليها وجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان فقبل الارض وحمل لها مالا كثيرا من الجواهر وأولم أياما وخلع على جميع امرائه وأصحابه وعقد ضمان بغداد على أبي سعد الفارسي بمائة وخمسين ألف دينار وأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابي سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على أبي جعفر بن فضلان بمائتي ألف

(وفاة السلطان طغرلبك وملك ابن أخيه داود)

ثم سار السلطان طغرلبك من بغداد في ربيع الآخر الى بلد الجبل فلما وصل الري أصابه المرض وتوفي ثامن رمضان من سنة خمس وخمسين وبلغ خبر وفاته الى بغداد فاضطربت واستقدم القائم مسلم بن قريش صاحب الموصل ودبيس بن مزيد وهزارسب صاحب الاهواز وبني ورام وبدر بن مهلهل فقدموا وأقام أبو سعد الفارسي ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلال وخرج مسلم بن قريش من بغداد فنهب النواحي وسار دبيس بن مزيد وبنو خفاجة وبنو ورام والاكراد لقتاله ثم استتيب ورجع الى الطاعة وتوفي أبو الفتح بن ورام مقدم الاكراد والجاوانية وحمل العامة السلاح لقتال الاعراب فكانت سببا لكثرة الذعار ولما مات طغرلبك بايع عميد الدولة الكندرى بالسلطنة لسليمان بن داود وجعفر بك وكان ربيب السلطان طغرلبك خلف أخاه جعفر بك داود على أمه وعهد اليه بالملك فلما خطب له اختلف عليه الامر وسار باغي سيان واردم الى قزوين فخطب لاخيه الب ارسلان وهو محمد بن داود وهو يومئذ صاحب خراسان ووزيره نظام الملك سار الى المذكور وسال الناس اليه وشعر

الكندرى باختلال أمره فخطب بالرى للسلطان الب ارسلان وبعده لاخيه سليمان وزحف الب ارسلان فى العساكر من خراسان الى الرى فلقيه الناس جميعا ودخلوا فى طاعته وجاء عميد الملك الكندرى الى وزيره نظام الملك فخدمه وهاداه فلم يغن عنه وخشى السلطان غائلته فقبض عليه سنة ست وخمسين وحبسه بمرو الروذ ثم بعث بعد سنة من محبسه بقتله فى ذى الحجة من سنة سبع وخمسين وكان من اهل نيسابور كاتبا بليغا فلما ملك طغرلبك نيسابور وطلب كاتبا فدله عليه الموفق والد أبى سهل فاستكتبه واستخلصه وكان خصيا يقال ان طغرلبك خصاه لانه تزوج بامرأة خطبها له وغطى عليه فظفر به فخاصره وأقره على خدمته وقيل أشاع عند أعدائه أنه تزوجها ولم يكن ذلك فخصى نفسه ليأمن من غائلته وكان شديد التعصب على الشافعية والاشعرية واستأذن السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان ثم أضاف اليهم الاشعرية فاستعظم ذلك أئمة السنة وفارق خراسان أبو القاسم القشيرى ثم أبو المعالى الى مكة فأقام أربعة سنين يتردد بين الحرمين يدرس ويفتى حتى لقب امام الحرمين فلما جاءت دولة الب ارسلان أحضرهم نظام الملك وزيره فأحسن اليهم وأعاد السلطان الب ارسلان السيدة بنت الخليفة التى كانت زوجة طغرلبك الى بغداد وبعث فى خدمتها الامير ايتكين السليمانى وولاه شحنة بغداد وبعث معها أيضا أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق لطلب الخطبة ببغداد فمات فى طريقه وكان من رؤساء الشافعية بنيسابور وبعث السلطان مكانه العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضا فى طريقه فبعث وزيره نظام الملك وخرج عميد الملك ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم وجلس لهم القائم جلوسا فخما فى جمادى الاولى من سنة ست وخمسين وساق الرسل بتقليد الب ارسلان السلطنة وسلمت اليهم الخلع بمشهد من الناس ولقب ضياء الدولة وأمر بالخطبة له على منابر بغداد وأن يخاطب بالولد المؤيد حسب اقتراحه فأرسل الى الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبى فأرسل اليه بنقجوان من اذربيجان وبايع وانتقض على السلطان الب ارسلان من السلجوقية صاحب هراة وصغانيان فسار اليهم وظفر بهم كما نذكر فى أخبارهم ودولتهم عند افرادها بالذكر انتهى

(فتنة قطلمش والجهاد بعدها)

كان قطلمش هذا من كبار السلجوقية وأقربهم نسبا الى السلطان طغرلبك ومن أهل بيته وكان قد استولى على قومة واقصراى وملطية وهو الذى بعثه السلطان طغرلبك أول ماملك بغداد سنة تسع وأربعين لقتال البساسيرى وقريش ابن بدران صاحب الموصل ولقيهم على سنجار الرى فجهز الب ارسلان العساكر من نيسابور فى المحرم من سنة سبع وخمسين وساروا على المفازة فسبقوا قطلمش الى الرى وجاء كتاب السلطان اليه

ولقيه

ولقيه فلم يثبت ومضى منهزما واستباح السلطان عسكره قتلا وأسرا وأجلت الواقعة عنه قتيلا فحزن له السلطان ودفنه ثم سار الى بلاد الروم معتزما على الجهاد ومر باذربيجان ولقيه طغرتكين من أمراء التركمان فى عشيرة وكان ممارسا للجهاد فحثه على قصده وسلك دليلا بين يديه فوصل الى نخجوان على نهر ارس وأمر بعمل السفن لعبوره وبعث عساكر لقتال خوى وسلماس من حصون اذربيجان وسار هو فى العساكر فدخل بلاد الكرخ وفتح قلاعها واحدة بعد واحدة كما نذكر فى أخبارهم ودوخ بلادهم وأحرق مدنهم وحصونهم وسار الى مدينة اى من بلاد الديلم فافتتحها وأثخن فيها وبعث بالبشائر الى بغداد وصالحه ملك الكرخ على الجزية ورجع الى أصبهان ثم سار منها الى كرمان فأطاعه أخوه قاروت بن داود جعفربك ثم سار الى مرو وأصهر اليه خاقان ملك ماوراء النهر بابنته لابنه ملكشاه وصاحب غزنة بابنته لابنه الآخر انتهى

(العهد بالسلطنة لملكشاه بن الب ارسلان)

وفى سنة ثمان وخمسين عهد الب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه واستحلف له الامراء وخلع عليهم وأمر بالخطبة له فى سائر أعماله وأقطع بلخ لاخيه سليمان وخوارزم لاخيه ارغزا ومرو لابنه ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس ومازندران للامير اينانج بيغو وجعل ولاية بقشوان ونواحيها لمسعود بن ارتاش وكان وزيره نظام الملك قد ابتدأ سنة سبع وخمسين بناء المدرسة النظامية ببغداد وتمت عمارتها فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين وعين للتدريس بها الشيخ ابا اسحق الشيرازى واجتمع الناس لحضور درسه وتخلف لانه سمع أن فى مكانها غصبا وبقى الناس فى انتظاره حتى يئسوا منه فقال الشيخ أبو منصور لا ينفصل هذا الجمع الا عن تدريس وكان أبو منصور الصباغ حاضرا فدرس وأقام مدرسا عشرين يوما حتى سمع أبو اسحق الشيرازى بالتدريس فاستقر بها

(وزراء الخليفة)

كان فخر الدولة ابن جهير وزير القائم كما ذكرناه ثم عزله سنة ستين وأربعمائة فلحق بنور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وبعث القائم عن أبى يعلى والد الوزير أبى شجاع وكان يكتب لهزارسب بن عوض صاحب الاهواز فاستقدمه ليوليه الوزارة فقدم ومات فى طريقه وشفع دبيس بن مزيد فى فخر الدولة بن جهير فأعيد الى وزارته سنة احدى وستين فى صفر

(الخطبة بمكة)

وفى سنة ثنتين وستين خطب محمد بن أبى هاشم بمكة للقائم وللسلطان الب ارسلان وأسقط خطبة العلوى صاحب مصر وترك حى على خير العمل من الاذان وبعث ابنه وافدا على السلطان بذلك فأعطاه ثلاثين ألف دينار وخلع نفيسة ورتب كل سنة عشرة آلاف دينار

(طاعة دبيس ومسلم بن قريش)

كان مسلم بن قريش منتقضا على السلطان وكان هزارشب بن شكر بن عوض قد أغرى السلطان بدبيس بن مزيد ليأخذ بلاده فانتقض ثم هلك هزارشب سنة ثنتين وستين باصبهان منصرفا من وفادته على السلطان بخراسان فوفد دبيس على السلطان ومعه شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وخرج نظام الملك لتلقيهما وأكرمهما السلطان ورجعا الى الطاعة

(الخطبة العباسية بحلب واستيلاء السلطان عليها)

كان محمود بن صالح بن مرداس قد استولى هو وقومه على مدينة حلب وكانت للعلوى صاحب مصر فلما رأى اقبال دولة الب ارسلان وقوتها خافه على بلده فحملهم على الدخول فى دعوة القائم وخطب له على منابر حلب سنة ثلاث وستين وكتب بذلك الى القائم فبعث اليه نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى بالخلع ثم سار السلطان الب ارسلان الى حلب ومر بديار بكر فخرج اليه صاحبها ابن مروان وخدمه بمائة ألف دينار ومر بآمد فامتنعت عليه وبالرها كذلك ثم نزل على حلب وبعث اليه صاحبها محمود مع نقيب النقباء طراد بالاستعفاء من الحضور فالح فى ذلك وحاصره فلما اشتد عليه الحصار خرج ليلا الى السلطان ومعه أمه منيعة بنت رثاب النميرى ملقيا بنفسه فأكرمه السلطان وخلع عليه وأعاده الى بلده فقام بطاعته

(واقعة السلطان مع ملك الروم وأسره)

كان ملك الروم فى القسطنطينية وهو ارمانوس قد خرج سنة ثنتين وستين الى بلاد الشأم فى عساكر كثيفة ونزل على منبج ونهبها وقتل أهلها وزحف اليه محمود بن صالح ابن مرداس وابن حسان الطائى فى بنى كلاب وطيئ ومن اليهم من جموع العرب فهزمهم وطال عليه المقام على منبج وعزت الاقوات فرجع الى بلاده واحتشد وسار فى مائتى ألف من الزنج والروم والروس والكرخ وخرج فى احتفال الى أعمال خلاط ووصل الى ملازجرد وكان السلطان الب ارسلان بمدينة خوى من اذربيجان عند عوده من حلب فتشوق الى الجهاد ولم يتمكن من الاحتشاد فبعث أثقاله وزوجته مع نظام الملك

الى همذان وسار فيمن حضر من العساكر وكانوا خمسة عشر ألفا ووطن نفسه على الاستماتة فلقيت مقدمته عند خلاط جموع الروسية فى عشرة آلاف فانهزموا وجئ بملكهم الى السلطان فحبسه وبعث بالاسلاب الى نظام الملك ليرسلها الى بغداد ثم تقارب العسكران وجنح السلطان للمهادنة فأبى ملك الروم فاعتزم السلطان وزحف وأكثر من الدعاء والبكاء وعفر وجهه بالتراب ثم حمل عليهم فهزمهم وامتلأت الارض بأشلائهم واسر الملك ارمانوس جاء به بعض الغلمان أسيرا فضربه السلطان على رأسه ثلاثا ووبخه ثم فاداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعلى أن يطلق كل أسير عنده وأن تكون عساكر الروم مددا للسلطان متى يطلبها وتم الصلح على ذلك لمدة خمسين سنة وأعطاه السلطان عشرة آلاف دينار وخلع عليه وأطلقه ووثب ميخاييل على الروم فملك عليهم مكان ارمانوس فجمع ما عنده من الاموال فكان مائتى ألف دينار وجئ بطبق مملوء بجواهر قيمته تسعون ألفا ثم استولى ارمانوس بعد ذلك على أعمال الارمن وبلادهم

(شحنة بغداد)

قد ذكرنا أن السلطان الب ارسلان ولى لاول ملكه ايتكين السليمانى شحنة بغداد سنة ست وخمسين فأقام فيها مدة ثم سار الى السلطان فى بعض مهماته واستخلف ابنه مكانه فأساء السيرة وقتل بعض المماليك الدارية فأنفذ قميصه من الديوان الى السلطان وخوطب بعزله وكان نظام الملك يعنى به فكتب فيه بالشفاعة وورد سنة أربع وستين فقصد دار الخلافة وسأل العفو فلم يجب وبعث الى تكريت ليسوغها باقطاع السلطان فبرز المرسوم من ديوان الخلافة بمنع ذلك ولما رأى السلطان ونظام الملك اصرار القائم على عزله بعث السلطان مكانه سعد الدولة كوهرايين اتباعا لمرضاة الخليفة ولما ورد بغداد خرج الناس للقائه وجلس له القائم واستقر شحنة

(مقتل السلطان ألب أرسلان وملك ابنه ملكشاه)

سار السلطان الب ارسلان محمد الى ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين وذلك سنة خمس وستين وعبر على جسر عقده على جيحون فى نيف وعشرين يوما وعسكره تزيد على مائتى ألف وجئ له بمستحفظ القلاع ويعرف بيوسف الخوارزمى فأمر بعقابه على ارتكابه فأفحش فى سب السلطان فغضب وأمر باطلاقه ورماه بسهم فأخطأه فسير اليه يوسف وقام السلطان عن سريره فعثر ووقع فضربه بسكينة وضرب سعد الدولة ودخل السلطان خيمته جريحا وقتل الاتراك يوسف هذا ومات السلطان من جراحته

عاشر ربيع سنة خمس وستين لتسع سنين ونصف من ملكه ودفن بمرو عند أبيه وكان كريما عادلا كثير الشكر لنعمة الله والصدقة واتسع ملكه حتى قيل فيه سلطان العالم ولما مات وقد أوصى بالملك لابنه ملكشاه فجلس للملك وأخذ له البيعة وزيره نظام الملك وأرسل الى بغداد فخطب له على منابرها وكان الب ارسلان أوصى أن يعطى أخوه قاروت بك أعمال فارس وكرمان وشيأ عينه من المال وكان بكرمان وأن يعطى ابنه اياس بن الب ارسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وعهد بقتال من لم يقض بوصيته وعاد ملكشاه من بلاد ماوراء النهر فعبر الجسر فى ثلاثة أيام وزاد الجند فى أرزاقهم سبعمائة ألف دينار ونزل نيسابور وأرسل الى ملوك الاطراف بالطاعة والخطبة فأجابوا وأنزل أخاه اياس بن الب ارسلان ببلخ وسار الى الرى ثم فوض الى نظام الملك وأقطعه مدينة طوس التى هى منشؤه وغيرها ولقبه ألقابا منها أتابك ومعناها الامير الوالد فحمل الدولة بصرامة وكفاية وحسن سيرة وبعث كوهرابين الشحنة الى بغداد سنة ست وستين لاقتضاء العهد فجلس له القائم وعلى رأسه حافده وولى عهده المقتدى بأمر الله وسلم الى سعد الدولة كوهرابين عهد السلطان ملكشاه بعد ان قرأ الوزير أوله فى المحفل وعقد له اللواء بيده ودفعه اليه

(وفاة القائم ونصب المقتدى للخلافة)

ثم توفى القائم بأمر الله أبو جعفر بن القادر افتصد منتصف شعبان من سنة سبع وستين ونام فانفجر فصاده وسقطت قوته ولما أيقن بالموت أحضر حافده أبا القاسم عبد الله ابن ابنه ذخيرة الدين محمد وأحضر الوزير ابن جهير والنقباء والقضاة وغيرهم وعهد له بالخلافة ثم مات لخمس وأربعين سنة من خلافته وصلى عليه المقتدى وبويع بعهد جده وحضر بيعته مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة وأبو اسحق الشيرازى وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرهم من الاعيان والاماثل ولما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم عقب ذكر غيره لان ابنه ذخيرة الدين أبا العباس محمدا توفى فى حياته ولم يكن له غيره فاعتمد القائم لذلك ثم جاءت جاريته ارجوان بعد موته لستة أشهر بولد ذكر فعظم سرور القائم به ولما كانت حادثة البساسيرى حمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران وهو ابن أربع سنين وأعاده عند عود القائم الى داره فلما بلغ الحلم عهد له القائم بالخلافة ولما تمت بيعته لقب المقتدى وأقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية جده القائم بذلك وبعث ابن عميد الدولة الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة فى رمضان من سنة سبع وستين

وبعث معه من الهدايا ما يجل عن الوصف وقدم سعد الدولة كوهرابين سنة ثمان وستين الى بغداد شحنة ومعه العميد أبو نصر ناظرا فى أعمال بغداد وقدم مؤيد الملك ابن نظام الملك سنة سبعين للاقامة ببغداد ونزل بالدار التى بجوار مدرستهم

(عزل الوزير ابن جهير ووزارة أبى شجاع)

كان أبو نصر بن الاستاذ أبى القاسم القشيرى قد حج سنة تسع وستين فورد بغداد منصرفا من الحج ووعظ الناس بالنظامية وفى رباط شيخ الشيوخ ونصر مذهب الاشعرى فأنكر عليه الحنابلة وكثر التعصب من الجانبين وحدثت الفتنة والنهب عند المدرسة النظامية فأرسل مؤيد الملك الى العميد والشحنة فحضروا فى الجند وعظمت الفتنة ونسب ذلك الى الوزير فخر الدولة بن جهير وعظم ذلك على عضد الدولة فأعاد كوهرابين الى الشحنة ببغداد وأوصاه المقتدى بعزل فخر الدولة من الوزارة وأمر كوهرابين بالقبض على أصحابه ونمى الخبر الى بنى جهير فبادر عميد الدولة ابن الوزير الى نظام الملك يستعطفه ولما بلغ كوهرابين رسالة الملك الى المقتدى أمر فخر الدولة بلزوم منزله ثم جاء ابنه عميد الدولة وقد استصلح نظام الملك فى الشفاعة لهم فأعيد عميد الملك الى الوزارة دون أبيه فخر الدولة وذلك فى صفر سنة ثنتين وسبعين

(استيلاء تتش بن الب ارسلان على دمشق وابتداء دولته ودولة بنيه فيها)

كان أتسز بهمزة وسين وزاى ابن ابق الخوارزمى من أمراء السلطان ملكشاه وقد سار سنة ثلاث وستين الى فلسطين من الشأم ففتح مدينة الرملة ثم حاصر بيت المقدس ففتحها من يد العلويين أصحاب مصر وملك ما يجاورها ماعدا عسقلان ثم حاصر دمشق حتى جهدها الحصار فرجع وبقى يردد الغزوات اليها كل سنة ثم حاصرها سنة سبع وستين وبها المعلى بن حيدرة من قبل المستنصر العبيدى فأقام عليها شهرا ثم أقلع ديار أهل دمشق بالمعلى لسوء سيرته فهرب الى بانياس ثم الى صور ثم أخذ الى مصر وجلس بها ومات محبوسا واجتمع المصامدة بعد هربه من دمشق وولوا عليهم انتصار ابن يحيى المصمودى ولقبوه زين الدولة ثم اختلفوا عليه ووقعت الفتنة وغلت الاسعار ورجع أتسز الى حصارها فنزل له عنها انتصار على الامان وعوضه عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل وخطب فيها أتسز للمقتدى العباسى فى ذى القعدة سنة ثمان وستين وتغلب على أكثر الشأم ومنع من الاذان بحى على خير العمل ثم سار سنة تسع وستين الى مصر وحاصرها حتى أشرف على أخذها ثم انهزم من غير قتال ورجع الى دمشق وقد انتقض عليه أكثر الشأم فشكر لاهل دمشق صونهم لمخلفه وأمواله

ورفع عنهم خراج سنة وبلغه ان أهل القدس وثبوا بأصحابه ومخلفه وحصروهم في محراب داود عليه السلام فسار اليهم وقاتلوا فملكهم عنوة وقتلهم في كل مكان الامن كان عند الصخرة ثم ان السلطان ملكشاه أقطع أخاه تاج الدولة تتش سنة سبعين وأربعمائة بلاد الشأم وما يفتحه من نواحيها فسار الى حلب سنة احدى وسبعين حاصرها وضيق عليها وكانت معه جموع كثيرة من التركمان وكان صاحب مصر قد بعث عساكره مع قائد نصير الدولة لحصار دمشق فأحاطوا بها وبعث أتسز الى تتش وهو على حلب يستمده فسار اليه وأجفلت العساكر المصرية عن دمشق وجاء اليها تتش فخرج أتسز للقائه بظاهر البلد فتجنى عليه حيث لم يستعد للقائه وقبض عليه وقتله لوقته وملك البلد وأحسن السيرة فيها وذلك سنة احدى وسبعين فيما قال الهمذاني وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر ان ذلك كان سنة ثنتين وسبعين وقال ابن الاثير والشاميون في هذا الاسم افسيس والصحيح أنه أتسز وهو اسم تركي

(سفارة الشيخ أبي اسحق الشيرازي عن الخليفة)

كان عميد العراق أبو الفتح بن أبي الليث قد أساء السيرة وأساء الى الرعايا وعسفهم واطرح جانب الخليفة المقتدي وحواشيه فاستدعى المقتدي الشيخ أبا اسحق الشيرازي وبعثه الى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك بالشكوى من ابن العميد فسار لذلك ومعه جماعة من أعيان الشافعية منهم أبو بكر الشاشي وغيره وذلك سنة خمس وخمسين وتنافس أهل البلاد في لقائه والتمسح بأطرافه والتماس البركة في ملبوسه ومركوبه وكان أهل البلاد اذا مر بهم يتساءلون اليه ويزدحمون على ركابه وينشدون على موكبه كل أحد ما يناسب ذلك وصدر الامر باهانة ابن العميد ورفع يده عما يتعلق بحواشي المقتدي وجرى بينه وبين امام الحرمين مناظرة بحضرة نظام الملك ذكرها الناس في كتبهم انتهى

(عزل ابن جهير عن الوزارة وامارته على ديار بكر)

ثم ان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير عزله الخليفة المقتدي عن الوزارة وواصل من قبل السلطان ونظام الملك يطلب بني جهير فأذن لهم وساروا بأهلهم الى السلطان فلقاهم كرامة وبرا وعقد لفخر الدولة على ديار بكر مكان بني مروان وبعث معه العساكر سنة وأعطاه الآلة وأذن له أن يخطب فيها لنفسه ويكتب اسمه في السكة فسار لذلك سنة ست وسبعين ثم بعث اليه السلطان سنة سبع وسبعين بمدد العساكر مع الامير ارتق بن اكسب جد أصحاب ماردين لهذا العهد وكان ابن مروان

قد استمد فخر الدولة بن جهير بنواحيها وكان معه جماعة من التركمان فتقدموا الى قتال مشرف الدولة وانهزم أمامهم وغنم التركمان من كان معه من احياء العرب ودخل آمد فحصره بها فخر الدولة وأرتق فراسل ارتق وبذل له مالا على الخروج من ناحيته فأذن له وخرج ورجع ابن جهير الى ميافارقين ومعه بهاء الدولة منصور بن مزيد صاحب الحلة والنيل والجامعين وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه الى العراق وسار هو الى خلاط وكان السلطان لما بلغه انهزام مشرف الدولة وحصاره بآمد بعث عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير في عسكره الى الموصل ومعه قسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين العادل وكاتب امراء التركمان بطاعته وساروا الى الموصل فملكوها وسار السلطان بنفسه اليها وقارن ذلك خلوص مشرف الدولة من حصار آمد فراسل مؤيد الدولة بن نظام الملك وهو بالرحبة وأهدى له فسعى له عند السلطان وأحضره وأهدى للسلطان سوابق خيله وصالحه وأقره على بلاده وعاد الى خراسان ولم يزل فخر الدولة بن جهير في طلب ديار بكر حتى ملكها فأنفذ اليه زعيم الرؤساء القاسم سنة ثمان وسبعين وحاصرها وضيق عليها حتى غدر بها بعض أهل العسكر من خارج وملكها وعمد أهل البلد الى بيوت النصارى بينهم فنهبوها بما كانوا عمال بني مروان وكان لهم جور على الناس وكان فخر الدولة مقيما على ميافارقين محاصرا لها وجاءه سعد الدولة كوهرائين في العسكر مددا من عند السلطان فخرج في حصارهما وسقط بعض الايام جانب من سورها فدهش أهل البلد وتنادوا بشعار السلطان ملكشاه واقتحم فخر الدولة البلد واستولى على ما كان لبني مروان وبعث بأموالهم الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فلحقه باصبهان سنة ثمان وسبعين ثم بعث فخر الدولة أيضا عسكرا الى جزيرة ابن عمر وحاصروها حتى جهدهم الحصار فوثب طائفة من أهل البلد بعاملها وفتحوا الباب ودخل مقدم العسكر فملك البلد ودخل سنة ثمان وسبعين وانقرضت دولة بني مروان من ديار بكر واستولى عليها فخر الدولة بن جهير ثم أخذها السلطان من يده وسار الى الموصل فتوفي بها وكان مولده بها واستخدم لبركة بن مقلد وسفر عنه الى ملك الروم ثم سار الى حلب ووزر لمعز الدولة أبي ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ثم الى مروان بديار بكر فوزر له ولولده ثم سار الى بغداد ووزر للخليفة كما مر في آخر ما ذكرنا وتوفي سنة ثلاث وثمانين انتهى

(خبر الوزارة)

لما عزل الخليفة المقتدي عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين رتب في الديوان أبا الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ثم استوزر أبا شجاع محمد بن الحسين فلم يزل في الوزارة الى سنة أربع وثمانين فتعرض لابي سعد بن سمحاء اليهودي كان وكيلا للسلطان ونظام

الملك وسار كوهرايين الشحنة الى السلطان باصبهان فمضى اليهودى فى ركابه وسمع المقتدى بذلك فخرج توقيعه بالزام أهل الذمة بالغيار فأسلم بعضهم وهرب بعضهم وكان ممن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وقرابته ولما وصل كوهرايين وأبو سعد الى السلطان وعظمت سعايتهما فى الوزير أبى شجاع فكتب السلطان ونظام الملك الى المقتدى فى عزله فعزله وأمره بلزوم بيته وولى مكانه أبا سعد ابن موصلايا الكاتب وبعث المقتدى اليهما فى عميد الدولة بن جهير فبعثا به اليه واستوزره سنة أربع وثمانين وركب اليه نظام الدولة فهنأه بالوزارة فى بيته وتوفى الوزير أبو شجاع سنة ثمان وثمانين

(استيلاء السلطان على حلب)

قد ذكرنا من قبل استيلاء السلطان الب ارسلان على حلب وخطبة صاحبها محمود ابن صالح بن مرداس على منابره باسمه سنة ثلاث وستين ثم عاد بعد ذلك الى طاعة العلوية بمصر ثم انقضت دولة بنى مرداس بها وعادت رياستها شورى فى مشيختها وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل وكبيرهم ابن الحتيتى واستقر ملك سليمان ابن قطلمش ببلاد الروم وملك انطاكية سنة سبع وسبعين وتنازع مع مشرف الدولة ابن قريش ملك حلب وتزاحفا فقتل سليمان بن قطلمش مسلم بن قريش سنة تسع وسبعين وكتب الى أهل حلب يستدعيهم الى طاعته فاستمهلوه الى أن يكاتبوا السلطان ملك شاه فان الكل كانوا فى طاعته وكتبوا الى تتش أخى السلطان وهو بدمشق أن يملكوه فسار اليهم ومعه ارتق بن أكسب كان قد لحق به عندما جاء السلطان الى الموصل وفتحها خشية مما فعله فى خلاص مسلم بن قريش من حصار آمد فأقطعه تتش بيت المقدس فلما جاء تتش الى حلب وحاصر القلعة وبها سالم بن مالك بن بدران بن عم مشرف الدولة مسلم بن قريش وكان ابن الحتيتى وأهل حلب قد كاتبوا السلطان ملك شاه أن يسلموا اليه البلد فسار من اصبهان فى جمادى سنة تسع وستين ومر بالموصل ثم بحران فتسلمها وأقطعها محمد بن مسلم بن قريش ثم بالرها فملكها من يد الروم ثم بقلعة جعفر فحاصرها وملكها من يد بعض بنى قشير ثم بمنبج فملكها ثم عبر الفرات الى حلب فأجفل أخوه تتش الى البرية ومعه ارتق ثم عاد الى دمشق وكان سالم بن مالك ممتنعا بالقلعة فاستنزله منها وأقطعه قلعة جعبر فلم تزل بيده وبد بنيه حتى ملكها منهم نور الدين العادل وبعث الى السلطان بالطاعة على شيراز وولى السلطان على حلب قسيم الدولة صاحب شيراز نصر بن على بن منقذ الكنانى وسلم اليه اللاذقية وكفرطاب وفامية فأقر على شيراز وولى السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين العادل ورحل

الى العراق وطلب أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحتيتى فحمله معه وأنزله بديار بكر فتوفى فيها بحال املاق ودخل السلطان بغداد فى ذى الحجة من سنة تسع وسبعين وأهدى الى المقتدى وخلع عليه الخليفة وقد جلس له فى مجلس حفل ونظام الملك قائم يقدم أمراء السلطان واحدا بعد واحد آخر للسلام للخليفة ويعرف بأسمائهم وأنسابهم ومراتبهم ثم فوض الخليفة المقتدى الى السلطان أمور الدولة وقبل يده وانصرف ودخل نظام الملك الى مدرسته فجلس فى خزانة الكتب واسمع جزء حديث وأملى آخر وأقام السلطان ببغداد شهرا ورحل فى صفر من سنة ثمانين الى اصبهان وجاء الى بغداد مرة أخرى فى رمضان من سنة أربع وثمانين ونزل بدار الملك وقدم عليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة اقسنقر من حلب وغيرهما من أمراء النواحى وعمل ليلة الميلاد من سنة خمس وثمانين لم ير أهل بغداد مثله وأخذ الامراء فى بناء الدور ببغداد لسكناهم عند قدومهم فلم تمهلهم الايام لذلك

(فتنة بغداد)

كانت مدينة بغداد قد احتفلت فى كثرة العمران بما لم تنته اليه مدينة فى العالم منذ مبدء الخليقة فيما علمناه واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن وكثر فيها المفسدون والدعار والعيارون من الرها وأعيا على الحكام امرهم وربما أركبوا العساكر لقتالهم ويثخنون فيهم فلم يحسم ذلك من عللهم شيأ وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف فى الامامة ومذاهبها وبين الحنابلة والشافعية وغيرهم من تصريح الحنابلة بالتشبيه فى الذات والصفات ونسبتهم ذلك الى الامام أحمد وحاشاه منه فيقع الجدال والنكير ثم يفضى الى الفتنة بين العوام وتكرر ذلك منذ حجر الخلفاء ولم يقدر بنو بويه ولا السلجوقية على حسم ذلك منها لسكنى أولئك بفارس وهؤلاء باصبهان وبعدهم عن بغداد والشوكة التى تكون بها حاسم العلل لاتفاقهم وانما تكون ببغداد شحنة تحسم ماخف من العلل مالم ينته الى عموم الفتنة ولم يحصل من ملوكهم اهتمام لحسم ذلك لاشتغالهم بما هو أعظم منه فى الدولة والنواحى وعامة بغداد أهون عليهم من أن يصرفوا هممهم عن العظائم اليهم فاستمرت هذه العلة ببغداد ولم يقلع عنها الى أن اختلفت جدتها وتلاشى عمرانها وبقى طراز فى ردائها لم تذهبه الايام

(مقتل نظام الملك وأخباره)

كان من أبناء الدهاقين بطوس أبو على الحسين بن على بن اسحق فشب وقرأ بها وسمع

الحديث الكبير وتعلق بالاحكام السلطانية وظهرت فيها كفايته وكان يعرف بحسن الطوسي وكان أميره الذي يستخدمه يصادره كل سنة فهرب منه الى داود وجقري بك وطلبه مخدومه الامير فمنعه وخدم أبا علي بن شادان متولي الاعمال ببلخ لجقري بك أخي السلطان طغرلبك وهو والد السلطان الب ارسلان ولما مات أبو علي وقد عرف نظام الملك هذا بالكفاية والامانة أوصى به الب ارسلان فأقام بأمور دولته ودولة ابنه ملك شاه من بعده وبلغ المبالغ كما ترى واستولى على الدولة وولى أولاده العمال وكان فيمن ولاه منهم ابن ابنه عثمان جمال وولى على مرو وبعث السلطان اليها شحنة من أعظم أمرائه ووقع بينه وبين عثمان نزاع فحملته الحداثة والادلال بجاهه على أن قبض على الامير وعاقبه فانطلق الى السلطان مستغيثا وامتعض لها السلطان وبعث الى نظام الملك بالنكير مع خواصه وثقاته فحملته الدالة على تحقيق تعديد حقوقه على السلطان واطلاق القول في العتاب والتهديد بطوارق الزمن وأرادوا طي ذلك عن السلطان فوشى به بعضهم فلما كان رمضان من سنة خمس وثمانين والسلطان على نهاوند عائدا من اصبهان الى بغداد وقد انصرف الملك يومه ذلك من خيمة السلطان الى خيمته فاعترضه صبي قيل انه من الباطنية في صورة مستغيث فطعنه بسكينة فمات وهرب الصبي فأدرك وقتل وجاء السلطان الى خيمة نظام الملك يومه وسكن أصحابه وعسكره وذلك لثلاثين سنة من وزارته سوى ما وزر لابيه الب ارسلان أيام امارته بخراسان

(وفاة السلطان ملك شاه وملك ابنه محمود)

لما قتل نظام الملك على نهاوند كما ذكرناه سار السلطان لوجهه ودخل بغداد آخر رمضان من سنته ولقيه الوزير عميد الدولة بن جهير واعتزم السلطان أن يولي وزارته تاج الملك وهو الذي سعى بنظام الملك وكانت قد ظهرت كفايته فلما صلى السلطان العيد عاد الى بيته وقد طرقه المرض وتوفي منتصف شوال فكتمت زوجته تركان خاتون موته وأنزلت أموالها وأموال أهل الدولة بحريم دار الخلافة وارتحلت الى اصبهان وسلوا السلطان معها في تابوته وقد بذلت الاموال للامراء على طاعة ابنها محمود والبيعة له فبايعوه وقدمت من طريق قوام الدولة كربوقا الذي ملك الموصل من بعد ذلك فسار بخاتم السلطان لنائب القلعة وتسلمها ولما بايعت لولدها محمود وعمره يومئذ أربع سنين بعثت الى الخليفة المقتدي في الخطبة له فاجابها على شرط أن يكون أنز من أمراء أبيه هو القائم بتدبير الملك وأن يصدر عن رأي الوزير تاج الملك ويكون له ترتيب العمال وجباية الاموال فأبت أولا من قبول هذا الشرط حتى جاءها الامام أبو حامد الغزلي

وأخبرها أن الشرع لا يجيز تصرفاته فأذعنت لذلك فخطب لابنها آخر شوال من السنة ولقب ناصر الدولة والدين وكتب الى الحرمين الشريفين فخطب له بهما

(ثورة بركيارق بملك شاه)

كانت تركان خاتون عند موت السلطان ملك شاه قد كتمت موته وبايعت لابنها محمود كما قلناه وبعثت الى اصبهان سرا في القبض على بركيارق ابن السلطان ملك شاه خوفا من أن ينازع ابنها محمودا فحبس فلما ظهر موت ملك شاه وثب مماليك بركيارق نظام الملك على سلاح كان له باصبهان وثاروا في البلد وأخرجوا بركيارق من محبسه وبايعوه وخطبوا له باصبهان وكانت أمه زبيدة بنت عم ملك شاه وهو ياقوتي خائفة على ولدها من خاتون أم محمود وكان تاج الملك قد تقدم الى اصبهان وطالبه العسكر بالاموال فطلع الى بعض القلاع لينزل منها المال وامتنع منها خوفا من مماليك نظام الملك ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان جاءها فقبلت عذره وكان بركيارق لما أقامت خاتون ابنها محمودا باصبهان خرج فيمن معه من النظامية الى الري واجتمع معه بعض أمراء أبيه وبعثت خاتون العساكر الى قتاله وفيهم أمراء ملك شاه فلما تراءى الجمعان هرب كثير من الامراء الى بركيارق واشتد القتال فانهزم عسكر محمود وخاتون وعادوا الى اصبهان وسار بركيارق في أثرهم فحاصرهم بها

(مقتل تاج الملك)

كان الوزير تاج الملك قد حضر مع عسكر خاتون وشهد وقعة بركيارق فلما انهزموا سار الى قلعة يزدجرد فحبس في طريقه وحمل الى بركيارق وهو محاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فأجمع أن يستوزره وأصلح هو النظامية وبذل لهم مائتي ألف دينار واسترضاهم بها ونمى ذلك الى عثمان نائب نظام الملك فوضع الغلمان الاصاغر عليه الطالبين ثار سيدهم وأغراهم فقتلوه وقطعوه قطعا وذلك في المحرم سنة ست وثمانين ثم خرج الى بركيارق من اصبهان وهو محاصر لها عز الملك أبو عبد الله بن الحسين بن نظام الملك وكان على خوارزم ووفد على السلطان ملك شاه قبل مقتل أبيه ثم كان ملكهما فأقام هو باصبهان وخرج الى بركيارق وهو يحاصرها فاستوزره وفوض اليه أمر دولته انتهى

(الخطبة لبركيارق ببغداد)

ثم قدم بركيارق بغداد سنة ست وثمانين وطلب من المقتدي الخطبة فخطب له على

منابرها ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير اليه الخلع فلبسها وتوفى المقتدى وهو مقيم ببغداد

* (وفاة المقتدى ونصب المستظهر للخلافة) *

ثم توفى المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله فى منتصف محرم سنة سبع وثمانين وكان موته فجأة أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم عليه فقرأه ووضعه ثم قدم اليه طعام فأكل منه ثم غشى عليه فمات وحضر الوزير فجهزوا جنازته وصلى عليه ابنه أبو العباس أحمد ودفن وذلك لتسع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته وكانت له قوة وهمة لولا أنه كان مغلبا وعظمت عمارة بغداد فى أيامه وأظن ذلك لاستفحال دولة بنى طغرلبك ولما توفى المقتدى وحضر الوزير أحضر ابنه أبا العباس أحمد الحاشية فبايعوه ولقبوه المستظهر وركب الوزير الى بركيارق وأخذ بيعته للمستظهر ثم حضر بركيارق لثالثة من وفاته ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وأخوه بهاء الملك وأمر السلطان بأرباب المناصب فجمعوا وحضر النقيبان طراد العباسى والمعمر العلوى وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى والغزالى والشاشى وغيرهم فجلسوا فى العزاء وبايعوا

* (أخبار تتش وانتقاضه وحروبه ومقتله) *

قد ذكرنا فيما تقدم أن تتش ابن السلطان الب ارسلان استقل بملك دمشق وأعمالها وانه وفد على السلطان ملك شاه ببغداد قبل موته وانصرف وبلغه خبر وفاته بهيت فملكها وسار الى دمشق فجمع العساكر وزحف الى حلب فأطاعه صاحبها قسيم الدولة اقسنقر وسار معه وكتب الى باغيسان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهم بطاعة تتش حتى يصلح حال أولاد ملك شاه فقبلوا منه وخطبوا له فى بلادهم وساروا معه فحضر الرحبة وملكها فى المحرم سنة ست وثمانين وخطب فيها لنفسه ثم فتح نصيبين عنوة وعاث فيها وسلمها لمحمد بن مشرف الدولة وسار يريد الموصل ولقيه الكافى فخر الدولة بن جهير وكان فى جزيرة ابن عمر فاستوزره وبعث الى ابراهيم بن مشرف الدولة مسلم بن قريش وهو يومئذ ملك الموصل يأمره بالخطبة له وتسهيل طريقه الى بغداد فأبى من ذلك وزحف اليه تتش وهو فى عشرة آلاف واقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته وابراهيم فى ستين ألفا والتقوا فانهزم ابراهيم وأخذ أسيرا وقتل جماعة من أمراء العرب صبرا وملك تاج الدولة تتش الموصل وولى عليها على ابن مشرف الدولة وأمه صفية عمة تتش وبعث الى بغداد يطلب مساعدة كوهرايين

الشحنة فجاء العذر بانتظار الرسل من العسكر فسار الى ديار بكر وملكها ثم الى اذربيجان وبلغ خبره الى بركيارق وقد استولى على همذان والرى فسار لمدافعته فلما التقى العسكران جنح اقسنقر الى بركيارق وفاوض بوزان فى ذلك وانهما انما تبعا تتش حتى يظهر أمر أولاد ملكشاه فوافقه على ذلك وسارا معا الى بركيارق فانهزم تتش وعاد الى دمشق واستفحل بركيارق وجاء كوهرايين يعتذر من مساعدته لتتش فى الخطبة فلم يقبله وعزله وولى الامير ينكبرد شحنة بغداد مكانه ثم خطب لبركيارق ببغداد كما قدمناه ومات المقتدى ونصب المستظهر ولما عاد تتش من اذربيجان الى الشأم جمع العساكر وسار الى حلب لقتال اقسنقر وبعث بركيارق كربوقا الذى صار أمير الموصل مددا لاقسنقر ولقيهم تتش قريبا من حلب فهزمهم وأسر اقسنقر فقتله صبرا ولحق بوزان وكربوقا حلب وحاصرهما تتش فملكها وأخذهما أسيرين وبعث الى حران والرها فى الطاعة وكانتا لبوزان فامتنعوا فبعث برأسه اليهم وأطاعوه وحبس كربوقا فى حمص الى أن أطاعه رضوان بعد قتل أبيه تتش ثم سار تتش الى الجزيرة فملكها ثم ديار بكر ثم خلاط وارمينية ثم اذربيجان ثم سار الى همذان فملكها وكان بها فخر الدولة نظام الملك سار من حران لخدمة بركيارق فلقيه الامير تاج من عسكر محمود بن ملكشاه باصبهان فنهب ماله ونجا بنفسه الى همذان وصادف بها تتش وشفع فيه باغيسان وأشار بوزارته فاستوزره وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة من المستظهر وبعث يوسف بن أبق التركمانى شحنته الى بغداد فى جمع من التركمان فمنع من دخولها وكان بركيارق قد سار الى نصيبين وعبر دجلة فوق الموصل الى اربل ثم الى بلد سرخاب بن بدر حتى اذا كان بينه وبين عمه تسعة فراسخ وهو فى ألف رجل وعمه فى خمسين ألفا فبيته بعض الامراء من عسكر عمه فانهزم الى اصبهان وبها محمود ابن أخيه وقد ماتت أمه تركمان خاتون فأدخله امراء محمود واحتاطوا عليه ثم مات محمود سلخ شوال من سنة سبع وثمانين واستولى بركيارق على الامر وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره فى ذى الحجة واستمال الامراء فرجعوا اليه وكثر جمعه وكان تتش بعد هزيمة بركيارق قد اختلف عليه الامراء وراسل امراء اصبهان يدعوهم الى طاعته فواعدوه انتظار بركيارق وكان قد أصابه الجدرى فلما أبل نبذوا اليه عهده وساروا مع بركيارق من اصبهان وأقبلت اليهم العساكر من كل مكان وانتهوا الى ثلاثين ألفا والتقوا قريبا من الرى فانهزم تتش وقتله بعض أصحاب اقسنقر وكان قد حبس وزيره فخر الملك بن نظام الملك فأطلق ذلك اليوم واستفحل أمر بركيارق وخطب له ببغداد

* (ظهور السلطان ملكشاه والخطبة له ببغداد) *

كان السلطان بركيارق قد ولى على خراسان وأعمالها أخاه لابيه سنجر فاستقل باعمال خراسان كما يذكر فى أخبار دولتهم عند انفرادها بالذكر وانما نذكر هنا من أخبارهم ما يتعلق بالخلافة والخطبة لهم ببغداد لان مساق الكلام هنا انما هو عن أخبار دولة بنى العباس ومن وزرلهم أو تغلب خاصة وكان لسنجر بن ملكشاه أخ شقيق اسمه محمد ولما هلك السلطان ملكشاه سار مع أخيه محمود وتركمان خاتون الى اصبهان فلما حاصرهم بركيارق لحق به أخوه محمد هذا وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأقطعه دجلة وأعمالها وبعث معه قطلغ تكين أتابك فلما استوى على أمره قتله أنفة من حجره ثم لحق به مؤيد الملك بن عبد الله بن نظام الملك كان مع الامير انز ودا خله فى الخلاف على السلطان بركيارق فلما قتل أنز كما نذكر فى أخبارهم لحق مؤيد الملك بمحمد ابن السلطان ملك شاه وأشار عليه ففعل وخطب لنفسه واستوزر مؤيد الملك وقارن ذلك أن السلطان بركيارق قتل خاله مجد الملك البارسلانى فاستوحش منه أمراؤه ولحقوا بأخيه محمد وسار بركيارق الى الرى واجتمع له بها عساكر وجاء عز الملك منصور بن نظام الملك فى عساكر وبينما هو فى الرى اذ بلغه مسير أخيه محمد اليه فأجفل راجعا الى اصبهان فمنعه أهلها الدخول فسار الى خورستان وجاء السلطان محمد الى الرى أول ذى القعدة من سنة ثنتين وتسعين ووجد ام بركيارق بها وهى زبيدة خاتون فحبسها مؤيد الملك وقتلها واستفحل ملك محمد وجاءه سعد الدولة كوهرابين شحنة بغداد وكان مستوحشا من بركيارق وجاء معه كربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وسرخاب ابن بدر صاحب كركور فلقوه جميعا بقم وسار كربوقا وجكرمس معه الى اصبهان ورد كوهرابين الى بغداد فى طلب الخطبة من الخليفة وأن يكون شحنة بها فأجابه المستظهر الى ذلك وخطب له منتصف ذى الحجة سنة ثنتين وتسعين ولقب غياث الدنيا والدين

(اعادة الخطبة لبركيارق)

لما سار بركيارق مجفلا من الرى الى خورستان امام أخيه محمد وأمير عسكره يومئذ ينال بن أنوش تكين الحسامى ومعه جماعة من الامراء أجمع المسير الى العراق فسار الى واسط وجاءه صدقة بن مزيد صاحب الحلة ثم سار الى بغداد فخطب له بها منتصف صفر من سنة ثلاث وتسعين ولحق سعد الدولة كوهرابين ببعض الحصون هنالك ومعه ابو الغازى بن ارتق وغيره من الامراء وأرسل الى السلطان محمد ووزيره مؤيد الملك يستحثهما فى الوصول فبعث اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب الجزيرة فلم يرضه وطلب جكرمس العود الى بلده فأطلقه ثم نزع كوهرابين ومن معه من الامراء

الى بركيارق باغراء كربوقا صاحب الموصل وكاتبوه فخرج اليهم ودخلوا معه بغداد واستوزره الاعز ابو المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى وقبض على عميد الدولة ابن جهير وزير الخليفة وطالبه بأموال ديار بكر والموصل فى ولايته وولاية أبيه وصادره على مائة وستين ألف دينار فحملها اليه وخلع المستظهر على السلطان بركيارق واستقر أمره

(المصاف الاول بين بركيارق ومحمد وقتل كوهرابين والخطبة لمحمد)

ثم سار بركيارق من بغداد الى شهرزور لقتال أخيه محمد واجتمع اليه عسكر عظيم من التركمان وكاتبه رئيس همذان بالمسير اليه فعدا عنه ولقى أخاه محمدا على فراسخ من همذان ومحمد فى عشرين ألف مقاتل ومعه الامير سرخو شحنة اصبهان وعلى ميمنته أمير آخر وابنه اياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية ومع بركيارق فى القلب وزيره أبو المحاسن وفى ميمنته كوهرابين وصدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وفى ميسرته كربوقا وغيره من الامراء فحمل كوهرابين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد فانهزموا حتى نهبت خيامهم ثم حملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت وحمل محمد معهم فانهزم بركيارق ورجع كوهرابين للمنهزمين فكبابه فرسه وقتل وافترقت عساكر بركيارق وأسر وزيره أبو المحاسن فأكرمه مؤيد الملك وأنزله وأعاده الى بغداد ليخاطب المستظهر فى اعادة الخطبة للسلطان محمد ففعل وخطب له ببغداد منتصف رجب سنة ثلاث وتسعين وابتداء أمر كوهرابين أنه كان لامرأة بخورستان وصار خادما للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة وحظى عنده وكان يستعرض حوائج تلك المرأة وأصاب أهلها منه خيرا وأرسله أبو كاليجار مع ولده أبى نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى محبسه بقلعة طبرك ولما مات أبو نصر سار الى خدمة السلطان الب أرسلان فحظى عنده وأقطعه واسط وجعله شحنة بغداد وكان حاضرا معه يوم قتله يوسف الخوارزمى ووقاه بنفسه ثم بعثه ابنه ملك شاه الى بغداد لاحضار الخلع والتقليد واستقر شحنة ببغداد الى أن قتل ورأى مالم يره خادم قبله من نفوذ الكلمة وكمال القدرة وخدمة الامراء والاعيان وطاعتهم انتهى

(مصاف بركيارق مع أخيه سنجر)

ولما انهزم السلطان بركيارق من أخيه محمد لحق بالرى واستدعى شيعته وأنصاره من الامراء فلحقوا به ثم ساروا الى اسفراين وكاتب الامير داود حبشى بن التونطاق يستدعيه وهو صاحب خراسان وطبرستان ومنزله بالدامغان فأشار عليه باللحاق

بنيسابور حتى يأتيه فدخل نيسابور وقبض على رؤسائها ثم أطلقهم وأساء التصرف ثم أعاد الكتاب الى داود حبشى بالاستدعاء فاعتذر بأن السلطان سنجر زحف اليه فى عساكر بلخ ثم سأل منه المدد فسار بركيارق اليه فى ألف فارس وهو فى عشرين ألفا والتقوا بسنجر عند النوشجان وفى ميمنة سنجر الامير برغش وفى ميسرته كوكر ومعه فى القلب رستم فحمل بركيارق على رستم فقتله وانهزم أصحابه ونهب عسكرهم وكادت الهزيمة تتم عليهم ثم حمل برغش وكوكر على عسكر بركيارق وهم مشتغلون بالنهب فانهزموا وانهزم بركيارق وجاء بعض التركمان بالامير داود حبشى أسيرا الى برغش فقتله ولحق بركيارق بجرجان ثم بالدامغان وقطع البرية الى اصبهان بمراسلة أهلها فسبقه أخوه محمد اليها فعاد سميرهم انتهى

(عزل الوزير عميد الدولة بن جهير ووفاته)

قد ذكرنا أن وزير السلطان بركيارق وهو الاغر أبو المحاسن أسر فى المصاف الاول بين بركيارق ومحمد وان مؤيد الملك بن نظام الملك وزير محمد أطلقه واصطنعه وضمنه عمارة بغداد وحمله طلب الخطبة لمحمد ببغداد من المستظهر فخطب له وكان فيما حمله للمستظهر عزل وزيره عميد الدولة بن جهير وبلغ ذلك عميد الدولة فأرسل من يعترض الاغر ويقتله فامتنع بعقربابل ثم صالحه ذلك الذى اعترضه وطلب لقاءه فلقيه ودس الاغر الى ابى الغازى بن ارتق وكان وصل معه وسبقه الى بغداد فرجع اليه ليلا ويئس منه ذلك الذى اعترضه ووصل الاغر بغداد وبلغ الى المستظهر رسالة مؤيد الدولة فى عزل عميد الدولة فقبض عليه فى رمضان من سنة ثلاث وتسعين وعلى اخوته وصودر على خمسة وعشرين ألف دينار وبقى محبوسا بدار الخلافة الى أن هلك فى محبسه

(المصاف الثانى بين بركيارق وأخيه محمد ومقتل مؤيد الملك والخطبة لبركيارق)

قد ذكرنا أن بركيارق لما انهزم امام أخيه محمد فى المصاف الاول سار الى اصبهان ولم يدخلها فمضى الى عسكر مكرم الى خورستان وجاءه الاميران زنكى والبكى ابنا برسق ثم سار الى همذان فكاتبه اياز من كبار أمراء محمد بما كان استوحش منه فجاءه فى خمسة آلاف فارس وأغراه باللقاء فارتحل لذلك ثم استأمن اليه سرخاب بن كيخسرو صاحب آوة فاجتمع له خمسون ألفا من المقاتلة وبقى أخوه فى خمسة عشر ألفا ثم اقتتلوا أول جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وأصحاب محمد يغدون على محمد شيأ فشيأ مستأمنين ثم انهزم آخر النهار وأسر وزيره مؤيد الملك وأحضره عند بركيارق غلام لمجد الملك البارسلانى ثار منه بمولاه فلما حضر وبخه بركيارق وقتله وبعث الوزير أبو

المحاسن من يسلم اليه أمواله وصادر عليها قرابته والى غير بغداد من بلاد العجم ويقال كان فيما أخذ له قطعة من البلخش زنة احدى وأربعين مثقالا ثم سار بركيارق الى الرى ولقيه هنالك كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد واجتمعت اليه نحو من مائة ألف فارس حتى ضاقت بهم البلاد ففرق العساكر وعاد دبيس الى أبيه وسار كربوقا الى اذربيجان لقتال مودود بن اسمعيل بن ياقوتا كان خرج على السلطان هنالك وسار اياز الى همذان ليقضى الصوم عند أهله ويعود فبقى بركيارق فى خف من الجنود وكان محمد أخوه لما انهزم لجهات همذان سار الى شقيقه بخراسان فانتهى الى جرجان وبعث يطلب منه المدد فأمده بالمال أولا ثم سار اليه بنفسه الى جرجان وسار معه الى الدامغان وخرب عسكر خراسان ما مروا به من البلاد وانتهوا الى الرى واجتمعت اليهم النظامية وبلغهم افتراق العساكر عن بركيارق فأغذوا اليه السير فرحل الى همذان فبلغه أن اياز راسل محمدا فقصد خوزستان وانتهى الى تستر واستدعى بنى برسق فقعدوا عنه لما بلغهم مراسلة اياز للسلطان فسار بركيارق نحو العراق وكان اياز راسل محمدا فى الكون معه فلم يقبله فسار من همذان ولحق بركيارق الى حلوان وساروا جميعا الى بغداد واستولى محمد على مخلف اياز بهمذان وحلوان وكان شيأ مما لا يعبر عنه وصادر جماعة من أصحاب اياز من أهل همذان ووصل بركيارق الى بغداد منتصف ذى القعدة سنة أربع وتسعين وبعث المستظهر لتلقيه أمين الدولة بن موصلايا فى المراكب وكان بركيارق مريضا فلزم بيته وبعث المستظهر فى عيد الاضحى الى داره منبرا خطب عليه باسمه وتخلف بركيارق عن شهود العيد لمرضه وضاقت عليه الاموال فطلب الاعانة من المستظهر وحمل اليه خمسين ألف دينار بعد المراجعات ومد يده الى أموال الناس وصادرهم فضجوا وارتكب خطيئة شنعاء فى قاضى جبلة وهو أبو محمد عبد الله بن منصور وكان من خبره أن أباه منصورا كان قاضيا بجبلة فى مملكة الروم فلما ملكها المسلمون وصارت فى يد أبى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس أقره على القضاء بها وتوفى فقام ابنه أبو محمد هذا مقامه ولبس شعار الجندية وكان شهما فهم ابن عمار بالقبض عليه وشعر فانتقض وخطب للخلفاء العباسية وكان ابن عمار يخطب للعلوية بمصر وطالت منازلة الفرنج بحصن جبلة الى أن ضجر أبو محمد هذا وبعث الى صاحب دمشق وهو يومئذ طغتكين الاتابك أن يسلم اليه البلد فبعث ابنه تاج الملوك بورى وتسلم منه البلد وجاء به الى دمشق وبذل لهم فيه ابن عمار ثلاثين ألف دينار دون أمواله فلم يرضوا باخفار ذمتهم وسار عنهم الى بغداد ولقى بها بركيارق فأحضره الوزير أبو المحاسن وطلبه

فى ثلاثين ألف دينار فأجاب وأحالهم على منزله بالانبار فبعث الوزير من أتاه بجميع ما فيه وكان لا يعبر فكانت من المنكرات التى أتاها بركيارق ثم بعث الوزير الى صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب حلب يطلب منه ألف ألف دينار متخلفة من مال الجباية وتهدده عليها فغضب وانتقض وخطب لمحمد وبعث اليه بركيارق الامير اياز يستقدمه فلم يجب وبعث الى الكوفة وطرد عنها نائب بركيارق واستضافها اليه

(استيلاء محمد على بغداد)

قد ذكرنا استيلاء محمد على همذان فى آخر ذى الحجة من سنة أربع وتسعين ومعه أخوه سنجر وذهب بركيارق الى بغداد فاستولى عليها وأساء السيرة بها وبلغ الخبر الى محمد فسار من همذان فى عشرة آلاف فارس ولقيه بحلوان أبو الغازى بن أرتق شحنة بغداد فى عساكره وأتباعه وكان بركيارق فى شدة من المرض قد أشرف على الهلاك فاضطرب أصحابه وعبروا به الى الجانب الغربى حتى اذا وصل محمد بغداد وتراءى الجمعان من عدوتى دجلة ذهب بركيارق وأصحابه الى واسط ودخل محمد بغداد وجاءه توقيع المستظهر بالامتعاض مما وقع به بركيارق وخطب له على منابر بغداد وجاءه صدقة بن منصور صاحب الحلة فأخرج الناس للقائه ونزل سنجر بدار كوهرا بين واستوزر محمد بعد مؤيد الملك خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين فقدم اليه فى المحرم سنة خمس وتسعين انتهى

(المصاف الثالث والرابع وما تخلل بينهما من الصلح ولم يتم)

ثم ارتحل السلطان وأخوه سنجر عن بغداد منتصف المحرم من سنة خمس وتسعين وقصد سنجر خراسان ومحمد همذان فاعترض بركيارق خاص الخليفة المستظهر وأبلغه القبيح فاستدعى المستظهر محمدا لقتال بركيارق فجاء اليه وقال أنا أكفيكه ورتب أبا المعالى شحنة ببغداد وكان بركيارق بواسط كما قلنا فلما أبل من مرضه عبر الى الجانب الشرقى بعد جهد وصعوبة لفرار الناس من واسط لسوء سيرتهم ثم سار الى بلاد بنى برسق حتى أطاعوا واستقاموا وساروا معه فاتبع أخاه محمدا الى نهاوند وتصافوا يومين ومنعهما شدة البرد من القتال ثم اجتمع اياز والوزير الاعز من عسكر بركيارق وبلداجى وغيرهم من الامراء من عسكر محمد وتفاوضوا فى شكوى ما نزل بهم من هذه الفتنة ثم اتفقوا على أن تكون السلطنة بالعراق لبركيارق ويكون لمحمد من البلاد الجبرة وأعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل على أن يمده بركيارق بالعسكر متى احتاج اليه على من يمتنع عليه منها وتحالفا على ذلك وافترقا فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين ثم سار

بركيارق الى ساوة ومحمد الى قزوين وبدا له فى الصلح واتهم الامراء الذين سعوا فيه وأسر الى رئيس قزوين أن يدعوهم الى صنيع عنده وغدر بهم محمد فقتل بعضا وسمل بعضا وأظهر الفتنة وكان الامير ينال بن أنوش تكين قد فارق بركيارق وأقام مجاهدا للباطنية فى الجبال والقلاع فلقى محمدا وسار معه الى الرى وبلغ الخبر الى بركيارق فأغذ اليه السير فى ثمان ليال واصطفوا فى التاسع وكلا الفريقين فى عشرة آلاف مقاتل وحمل سرخاب بن كيخسرو الديلمى صاحب آوة من أصحاب بركيارق على ينال بن أنوش تكين فهزمه وانهزم معه عسكر محمد وافترقوا فلحق فريق بطبرستان وآخر بقزوين ولحق محمد باصبهان فى سبعين فارسا واتبعه اياز والبكى بن برسق فجاء الى البلد وبها نوابه فلم ما تشعث من السور وكان من بناء علاء الدين بن كاكويه سنة تسع وعشرين لقتال طغرلبك وحفر الخنادق وأبعد مهواها وأجرى فيها المياه ونصب المجانيق واستعد للحصار وجاء بركيارق فى جمادى ومعه خمسة عشر ألف فارس ومائة ألف من الرجل والاتباع فحاصرها حتى جهدهم الحصار وعدمت الاقوات والعلوفة فخرج محمد عن البلد فى عيد الاضحى من سنته فى مائة وخمسين فارسا ومعه ينال ونزل فى الامراء وبعث بركيارق فى اتباعه الامير اياز وكانت خيل محمد ضامرة من الجوع فالتفت الى اياز يذكره العهود فرجع عنه بعد ان نهب منه خيلا ومالا وأخذ علمه وجنده وعاد الى بركيارق ثم شد بركيارق فى حصار اصبهان وزحف بالسلالم والذبابات وجمع الايدى على الخندق فطمه وتعلق الناس بالسور فاستماتت أهل البلد ودفعوهم وعلم بركيارق امتناعها فرحل عنها ثامن عشر ذى الحجة وجمر عسكرا مع ابنه ملكشاه وترشك الصوابى على البلد القديم الذى يسمى شهرستان وسار الى همذان بعد ان كان قتل على اصبهان وزيره الاعز أبو المحاسن عبد الجليل الدهستانى اعترضه فى ركوبه من خيمته الى خدمة السلطان متظلم فطعنه وأشواه ورجع الى خيمته فمات وذهب للتجار الذين كانوا يعاملونه أموال عظيمة لان الجباية كانت ضاقت بالفتن فاحتاج الى الاستدانة ونفر منه التجار لذلك ثم عامله بعضهم فذهب مالهم بموته وكان أخوه العميد المهذب أبو محمد قد سار الى بغداد لينوب عنه حين عقد الامراء الصلح بين بركيارق ومحمد فقبض عليه الشحنة ببغداد أبو الغازى ابن ارتق وكان على طاعة محمد

(الشحنة ببغداد والخطبة لبركيارق)

كان ابو الغازى بن ارتق شحنة ببغداد وولاه عليها السلطان محمد عند استيلائه فى المصاف الاول وكان طريق خراسان اليه فعاد بعض الايام منها الى بغداد وضرب فارس من أصحابه بعض الملاحين بسهم فى ملاحات وقعت بينهم عند العبور فقتله

فثارت بهم العامة وأمسكوا القاتل وجاؤا به الى باب النوبة فى دار الخلافة ولقيهم ولد
ابى الغازى فاستنقذه من أيديهم فرجموه وجاء الى أبيه مستغيثا وركب الى محلة
الملاحين فنهبها وعطف عليه العيارون فقتلوا من أصحابه وركبوا السفين للنجاة فهرب
الملاحون وتركوهم فغرقوا وجمع ابو الغازى التركمانى لنهب الجانب الغربى فبعث اليه
المستظهر قاضى القضاة والكيا الهراسى مدرس النظامية بالامتناع من ذلك فاقتصر
ابو الغازى اثناء ذلك متمسكا بطاعة السلطان محمد فلما انهزم محمد وانطلق من حصار
اصبهان واستولى بركيارق على الرى بعث فى منتصف ربيع الاول من سنة ست وتسعين
من همذان كمشتكين القيصرانى شحنة الى بغداد فلما سمع أبو الغازى بعث الى أخيه
سقمان بحصن كيفا يستدعيه للدفاع وجاء سقمان ومر بتكريت فنهبها ووصل
كمشتكين ولقيه شيعة بركيارق وأشاروا عليه بالمعاجلة ووصل الى بغداد منتصف ربيع
وخرج ابو الغازى وأخوه سقمان الى دجيل ونهبا بعض قراها واتبعهما طائفة من
عسكر كمشتكين ثم رجعوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد وبعث كمشتكين الى
سيف الدولة صدقة بالحلة عنه وعن المستظهر بطاعة بركيارق فلم يجب وكشف القناع
وسار الى جسر صرصر فقطعت الخطبة على منابر بغداد فلم يذكر أحد عليها من
السلاطين واقتصر على الخليفة فقط وبعث سيف الدولة صدقة الى ابى الغازى وسقمان
بأنه جاء لنصرتهما فعادوا الى دجيل وعاثوا فى البلاد واجتمع لذلك حشد العرب
والاكراد مع سيف الدولة وبعث اليه المستظهر فى الاصلاح وخيموا جميعا بالرملة
وقاتلهم العامة وبعث الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى وتاج رؤساء الرياسة
ابن الموصلايا الى سيف الدولة بكف الايدى عن الفساد فاشترطوا خروج كمشتكين
القيصرانى شحنة بركيارق واعادة الخطبة للسلطان محمد فتم الامر على ذلك وعاد سيف
الدولة الى الحلة وعاد القيصرانى الى واسط وخطب بها لبركيارق فسار اليه صدقة
وابو الغازى وفارقها القيصرانى فاتبعه سيف الدولة ثم استأمن ورجع اليه فأكرمه
وخطب للسلطان محمد بواسط وبعده لسيف الدولة وابى الغازى واستناب كل واحد ولده
ورجع ابو الغازى الى بغداد وسيف الدولة الى الحلة وبعث ولده منصورا الى المستظهر
يخطب رضاه بما كان منه فى هذه الحادثة فأجيب الى ذلك

(استيلاء ينال على الرى بدعوة السلطان محمد ومسيره الى العراق)

كانت الخطبة بالرى للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من الحصار باصبهان
بعث ينال بن أنوش تكين الحسامى الى الرى ليقيم الخطبة له بها فسار ومعه أخوه
على وعسف الرعايا ثم بعث السلطان بركيارق اليه برسق بن برسق فى العساكر

فقاتله على الرى وانهزم ينال وأخوه منتصف ربيع من سنة ست وتسعين وذهب على
الى قزوين وسلك ينال على الجبال الى بغداد وتقطع أصحابه فى الاوعار وقتلوا ووصل
الى بغداد فى سبعمائة رجل وأكرمه المستظهر واجتمع هو وأبو الغازى وسقمان ابنا
ارتق بمشهد أبى حنيفة فاستحلفوه على طاعة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة
صدقة واستحلفوه على ذلك واستقر ينال ببغداد فى طاعة السلطان محمد وتزوج أخت
أبى الغازى كانت تحت تاج الدولة تتش وعسف بالناس وصادر العمال واستطال
أصحابه على العامة بالضرب والقتل وبعث اليه المستظهر مع القاضى الدامغانى
بالنهى عن ذلك وتقبيح فعله ثم مع ابى الغازى فأجاب وحلف على كف أصحابه ومنعهم
واستمر على قبح السيرة فبعث المستظهر الى سيف الدولة صدقة يستدعيه لكف عدوانه
فجاء الى بغداد فى شوال من سنة ست وتسعين وخيم بالنجمى ودعا ينالا للرحلة عن
العراق على أن يدفع اليه وعاد الى الحلة وسار ينال مستهل ذى القعدة الى أوانا ففعل من
النهب والعسف أقبح مما فعل ببغداد فبعث المستظهر الى صدقة فى ذلك فأرسل ألف
فارس وساروا اليه مع جماعة من أصحاب المستظهر وأبى الغازى الشحنة وذهب ينال
أمامهم الى أذربيجان قاصدا الى السلطان محمد ورجع أبو الغازى والعساكر عنه

(المصاف الخامس بين السلطانين)

كانت كنجة وبلاد أرزن للسلطان محمد وعسكره مقيم بها مع الامير عزعلى فلما طال
حصاره باصبهان جاؤا لنصرته ومعهم منصور بن نظام الملك ومحمد ابن أخيه مؤيد الملك
ووصلوا الى الرى آخر ذى الحجة سنة خمس وتسعين وفارقه عسكر بركيارق ثم خرج محمد
من اصبهان فساروا اليه ولقوه بهمذان ومعه ينال وعلى ابنا أنوش تكين فاجتمعوا
فى ستة آلاف فارس وسار ينال وأخوه على الرى وأزعجتهم عنها عساكر بركيارق كما مر
ثم جاءهم الخبر فى همذان بزحف بركيارق اليهم فسار محمد الى بلاد شروان ولما انتهى
الى أردبيل بعث اليه مودود بن اسمعيل بن ياقوتى وكان أميرا على بيلقان من أذربيجان
وكان أبوه اسمعيل خال بركيارق وانتقض عليه أول أمره فقتله فكان مودود طالبه
بثار أبيه وكانت أخته تحت محمد فبعث اليه وجاءه الى بيلقان وتوفى مودود اثر قدومه
منتصف ربيع من سنة ست وتسعين فاجتمع عسكره على الطاعة لمحمد وفيهم سقمان
القطبى صاحب خلاط وأرمينية ومحمد بن غاغيسا كان أبوه صاحب انطاكية وكان
الب ارسلان ابن السبع الاحمر ولما بلغ بركيارق اجتماعهم لحربه أغذ السير اليهم
فوصل وقاتلهم على باب خوى من أذربيجان من المغرب الى العشاء ثم حمل اياز
من أصحاب بركيارق على عسكر محمد فانهزموا وسار الى خلاط ومعه سقمان القطبى

ولقيه الامير على صاحب ارزن الروم ثم سار الى وبها منوجهر أخو فضلون
الروادى ثم سار الى تبريز ولحق محمد بن يزيد الملك بديار بكر وسار منها الى بغداد وكان
من خبره انه كان مقيما ببغداد مجاورا للمدرسة النظامية فشكا الجيران منه الى أبيه
فكتب الى كوهرائين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة ثم سار سنة ثنتين وتسعين الى
محمد الملك الباسلانى وأبوه حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل أن يدعو لنفسه ثم سار
بعد أن قتل محمد الملك الى والده مؤيد الملك وهو وزير السلطان محمد ثم قتل أبوه واتصل
هو بالسلطان وحضر هذه الحروب كما ذكرنا وأمّا السلطان بركيارق بعد هزيمة محمد فانه
نزل جبلا بين مراغة وتبريز وأقام به حولا كان خليفة المستظهر سديد الملك
أبو المعالى كما ذكرناه ثم قبض عليه منتصف رجب سنة ست وتسعين
وحبس بدار الخلافة مع أهله كانوا قد وردوا عليه من اصبهان وسبب عزله جهله بقواعد
ديوان الخلافة لانه كان يتصرّف فى أعمال السلاطين وليست فيها هذه القوانين
ولما قبض عاد أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا الى النظر فى الديوان وبعث المستظهر
عن زعيم الرؤساء أبى القاسم بن جهير من الحلة وكان ذهب اليها فى السنة قبلها مستجيرا
بسيف الدولة صدقة لانّ خاله أمين الدولة أبى سعد بن الموصلايا كان الوزير الاعز
وزير بركيارق يشيع عنه أنه الذى يحمل المستظهر على موالاة السلطان محمد والخطبة له
دون بركيارق فاعتزل أمين الدولة الديوان وسار ابن أخته هذا أبو القاسم بن جهير
مستجيرا بصاحب الحلة فاستقدمه الخليفة الآن وخرج أرباب الدولة لاستقباله
وخلع عليه للوزارة ولقبه قوام الدولة ثم عزله على رأس المائة الخامسة واستجار بسيف
الدولة صدقة بن منصور ببغداد فأجاره وبعث عنه الى الحلة وذلك لثلاث سنين ونصف
من وزارته وناب فى مكانه القاضى أبو الحسن بن الدامغانى أياما ثم استوزر مكانه
أبا المعالى بن محمد بن المطلب فى المحرم سنة احدى وخمسمائة ثم عزله سنة ثنتين
باشارة السلطان محمد وأعاده باذنه على شرطية العدل وحسن السيرة وأن لا يستعمل
أحدا من أهل الذمّة ثم عزل فى رجب من سنة ثنتين وخمسين واستوزر أبا القاسم بن
جهير سنة تسع وخمسين واستوزر بعده الربيع أبا منصور بن الوزير أبى شجاع محمد
ابن الحسين وزير السلطان

(الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد)

ولما تطاولت الفتنة بين السلطانين وكثر النهب والهرج وخربت القرى واستطال الامر
عليهم وكان السلطان بركيارق بالرى والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان
وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين وكان السلطان محمد بأذربيجان والخطبة له بها

وبلاد اران وأرمينية واصبهان والعراق جميعه الا تكريت واما البطائح فبعضها
لهذا وبعضها لهذا والخطبة بالبصرة لهما جميعا وأمّا خراسان من جرجان الى ماوراء
النهر فكان يخطب فيها لسنجر بعد أخيه السلطان محمد فلما استبصر بركيارق فى ذلك
ورأى تحكم الامراء عليه وقلة المال جنح الى الصلح وبعث القاضى أبا المظفر
الجرجانى الحنفى وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب قراتكين
الى أخيه محمد فى الصلح فوصلا اليه بمراغة وذكراه ووعظاه فأجاب الى الصلح على أنّ
السلطان لبركيارق ولا يمنع محمدا من اتخاذ الآلة ولا يذكر أحدهما مع صاحبه
فى الخطبة فى البلاد التى صارت اليه وتكون المكاتبة من وزيريهما فى الشؤن لا يكاتب
أحدهما الآخر ولا يعارض أحد من العسكر فى الذهاب الى أيهما شاء ويكون
للسلطان محمد من نهر اسبيذرو الى الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشأم وأن
يدخل سيف الدولة صدقة بأعماله فى حلفه وبلاده والسلطنة كلها وبقية الاعمال
والبلاد كلها للسلطان بركيارق وبعث محمد الى أصحابه باصبهان بالافراج عنها الاصحاب
أخيه وجاؤا بحريم محمد اليه بعد أن دعاهم السلطان بركيارق الى خدمته فامتنعوا
فأكرمهم وحمل حريم أخيه وزوّدهم بالاموال وبعث العساكر فى خدمتهم ثم بعث
السلطان بركيارق الى المستظهر بما استقرّ عليه الحال فى الصلح بينهم وحضر أبو الغازى
بالديوان وهو شحنة محمد وشيعته الا أنه وقف مع الصلح فسأل الخطبة لبركيارق فأمر بها
المستظهر وخطب له على منابر بغداد وواسط فى جمادى سنة سبع وتسعين ونكر الامير
صدقة صاحب الحلة الخطبة لبركيارق وكان شيعة لمحمد وكتب الى الخليفة بالنكير
على أبى الغازى وأنه سائر لاخراجه عن بغداد فجمع أبو الغازى التركمان وفارق بغداد
الى عقرقوبا وجاء سيف الدولة صدقة ونزل مقابل التاج وقبل الارض وخيم بالجانب
الغربى وأرسل اليه أبو الغازى يعتذر عن طاعة بركيارق بالصلح الواقع وانّ اقطاعه
بحلوان فى جملة بلاده التى وقع الصلح عليها وبغداد التى هو شحنة فيها قد صارت له فقبل
ورضى وعاد الى الحلة وبعث المستظهر فى ذى القعدة من سنة سبع وتسعين الخلع
للسلطان بركيارق والامير اياز والخطير وزير بركيارق وبعث معهما العهد له بالسلطنة
واستحلفه الرسل على طاعة المستظهر ورجعوا

(وفاة السلطان بركيارق وملك ابنه ملك شاه)

كان السلطان بركيارق بعد الصلح وانعقاده أقام باصبهان أشهرا وطرقه المرض فسار
الى بغداد فلما بلغ بلد يزدجرد اشتدّ مرضه وأقام بها أربعين يوما حتى أشفى على الموت
فأحضر ولده ملك شاه وجماعة الامراء وولاه عهده فى السلطنة وهو ابن خمس سنين

وجعل الامير ايازا تابكه وأوصاهم بالطاعة لهما واستحلفهم على ذلك وأمرهم بالمسير الى بغداد وتخلف عنهم ليعود الى اصبهان فتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وبلغ الخبر الى ابنه ملك شاه والامير اياز على اثنى عشر فرسخا من بلد يزدجرد فرجعوا وحضروا التجهيز وبعثوا به الى اصبهان للدفن بها فى تربة أعدها وأحضر اياز السرادقات والخيام والجفر والشمسة وجميع آلات السلطنة فجعلها لملك شاه وكان أبو الغازى شحنة ببغداد وقد حضر عند السلطان بركيارق باصبهان فى المحرم وحثه على المسير الى بغداد فلما مات بركيارق سار مع ابنه ملك شاه والامير اياز ووصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر فى خمسة آلاف فارس وركب الوزير أبو القاسم على بن جهير لتلقيهم فلقيهم بديالى وأحضر أبو الغازى والامير طايدل بالديوان وطلبوا الخطبة لملك شاه بن بركيارق فأجاب المستظهر الى ذلك وخطب له ولقب بالقاب جده ملك شاه ونثرت الدنانير عند الخطبة

* (وصول السلطان محمد الى بغداد واستبداده بالسلطنة والخطبة ومقتل اياز) *

كان محمد بعد صلحه مع أخيه بركيارق قد اعتزم على المسير الى الموصل ليتناولها من يد جكرمس لما كانت من البلاد التى عقد عليها وكان بتبريز ينتظر وصول أصحابه من أذربيجان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره فى حفظ اصبهان ثم رحل فى صفر سنة ثمان وتسعين يريد الموصل وسمع جكرمس فاستعد للحصار وأمر أهل السواد بدخول البلد وجاء محمد فحاصره وبعث اليه كتب أخيه بأن الموصل والجزيرة من قسمته وأراه ايمانه بذلك ووعده بأن يقره على ولايتها فقال جكرمس قد جاءتنى كتب بركيارق بعد الصلح بخلاف هذا فاشتد محمد فى حصاره وقتل بين الفريقين خلق ونقب السور ليلة فأصبحوا وأعادوه ووصل الخبر الى جكرمس بوفاة بركيارق عاشر جمادى فاستشار أصحابه ورأى المصلحة فى طاعة السلطان محمد فأرسل اليه بالطاعة وأن يدخل اليه وزيره سعد الملك فدخل وأشار عليه بالحضور عند السلطان فحضر وأقبل السلطان عليه ورده لجيشه لما توقع من ارتياب أهل البلد بخروجه وأكثر من الهدايا والتحف للسلطان ولوزيره ولما بلغ وفاة أخيه بركيارق سار الى بغداد ومعه سقمان القطبى نسبة الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتى بن داود وداود هو جقريبك وأبو الب ارسلان وسار معه جكرمس وصاحب الموصل وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صاحب الحلة قد جمع عسكرا خمسة عشر ألفا من الفرسان وعشرة آلاف رجل وبعث ولديه بدران ودبيس الى السلطان محمد يستحثه على بغداد ولما سمع الامير اياز بقدومه خرج هو وعسكره وخيموا خارج بغداد

واستشار أصحابه فصمموا على الحرب وأشار وزيره أبو المحاسن بطاعة السلطان محمد وخوفه عاقبة خلافه وسفه آراءهم فى حربه وأطمعه فى زيادة الاقطاع وتردد اياز فى أمره وجمع السفن عنده وضبط المشارع ووصل السلطان محمد آخر جمادى من سنة ثمان وتسعين ونزل بالجانب الغربى وخطب له هنالك ولملك شاه بالجانب الشرقى واقتصر خطيب جامع المنصور على الدعاء للمستظهر والسلطان العالم فقط وجمع اياز أصحابه لليمين فأبوا من المعاودة وقالوا لا فائدة فيها والوفاء انما يكون بواحدة فارتاب اياز بهم وبعث وزيره الصفى أبا المحاسن الى السلطان محمد فى الصلح وتسليم الامر فلقى أولا وزيره سعد الملك أبا المحاسن سعد بن محمد وأخبر فأحضره عند السلطان محمد وأدى رسالة اياز والعذر عما كان منه أيام بركيارق فقبله السلطان وأعتبه وأجابه الى اليمين وحضر من الغد القاضى والنقيبان واستحلف الكيا الهراسى مدرس النظامية بحضر القاضى وزير اياز بحضرهم لملك شاه ولاياز وللامراء الذين معه فقال أما ملك شاه فهو ابنى وأما اياز والامراء فأحلف لهم الا ينال بن أنوش وسار واستحلفه الكيا الهراسى مدرس النظامية بحضر القاضى والنقيبين ثم حضر اياز من الغد ووصل سيف الدولة صدقة وركب السلطان للقائهما وأحسن اليهما وعمل اياز دعوة فى داره وهى دار كوهرايين وحضر عنده السلطان وأتحفه بأشياء كثيرة منها حبل البلخش الذى كان أخذه من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان اياز قد تقدم الى غلمانه بلبس السلاح ليعرضهم على السلطان وحضر عندهم بعض الصفاعين فأخذوا معه فى السخرية وألبسوه درعا تحت قميصه وجعلوا يتناولونه بأيديهم فهرب منهم الى خواص السلطان ورآه السلطان متسلحا فأمر بعض غلمانه فالتمسوه وقد وجدوا السلاح فارتاب ونهض من دار اياز ثم استدعاه بعد أيام ومعه جكرمس وسائر الامراء فلما حضر وقف عليهم بعض قواده وقال لهم ان قليج ارسلان بن سليمان بن قطلمش قصد ديار بكر ليملكها فأشيروا عن نسيره لقتاله فأشاروا جميعا بالامير اياز وطلب هو مسير سيف الدولة صدقة معه فاستدعى اياز وصدقة ليفاوضهم فى ذلك فنهضوا اليه وقد أعد جماعة من خواصه لقتل اياز فلما دخلوا ضربوا اياز فقطع رأسه ولف شلوه فى مشلح وألقى على الطريق وركب عسكره فنهبوا داره وأرسل السلطان لحمايتها فافترقوا واختفى وزيره ثم حمل الى دار الوزير سعد الملك وقتل فى رمضان من سنته وكان من بيت رياسة بهمذان وكان اياز من مماليك السلطان ملك شاه وصار بعد موته فى جملة أمير آخر فاتخذه ولدا وكان شجاعا حسن الرأى فى الحرب واستبد السلطان محمد بالسلطنة وأحسن السيرة ورفع

الضرائب وكتب بها الالواح ونصبت فى الاسواق وعظم فساد التركمان بطريق خراسان وهى من أعمال العراق فبعث أبو الغازى بن ارتق شحنة بغداد بدل ابن أخيه بهرام بن ارتق على ذلك البلد فحماه وكف الفساد منه وسار الى حصن من أعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه ثم ولى السلطان محمد سنقر البرسقى شحنة بالعراق وكان معه فى حروبه وأقطع الامير قايماز الكوفة وأمر صدقة صاحب الحلة أن يحمى أصحابه من خفاجة ولما كان شهر رمضان من سنة ثمانية وتسعين عاد السلطان محمد الى اصبهان وأحسن فيهم السيرة وكف عنهم الايدى العادية

(الشحنة ببغداد)

كان السلطان قد قبض سنة ثنتين وخمسين على أبى القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى ابن الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهما وصادرهما على مال يحملانه وأرسل مجاهد الدين لقبض المال وأمره بعمارة دار الملك فاضطلع بعمارتها وأحسن السيرة فى الناس وقدم السلطان اثر ذلك الى بغداد فشكر سيرته وولاه شحنة بالعراق وعاد الى اصبهان

(وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

ثم توفى السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذى الحجة من سنة احدى وخمسمائة وقد كان عهد لولده محمود وهو يومئذ غلام محتلم وأمره بالجلوس على التخت بالتاج والسوارين وذلك لثنتى عشرة سنة ونصف من استبداده بالملك واجتماع الناس عليه بعد أخيه وولى بعده ابنه محمود وبايعه أمراء السلجوقية ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور ابن الوزير أبى شجاع محمد بن الحسين وزير أبيه وبعث الى المستظهر فى الخطبة فخطب له على منابر بغداد منتصف المحرم سنة ثنتى عشرة وكان اقسنقر البرسقى مقيما بالرحبة استخلف بها ابنه مسعودا وسار الى السلطان محمد يطلب الزيادة فى الاقطاع والولاية ولقيه خبر وفاته قريبا من بغداد فمنعه بهروز الشحنة من دخولها وسار الى اصبهان فلقيه بحلوان توقيع السلطان محمود بأن يكون شحنة بغداد لسعى الامراء له فى ذلك تعصبا على مجاهد الدين بهروز وغيره منه لمكانه عند السلطان محمد ولما رجع اقسنقر الى بغداد هرب مجاهد الدين بهروز الى تكريت وكانت من أعماله ثم عزل السلطان محمود اقسنقر وولى شحنة بغداد الامير منكبرس حاكما فى دولته باصبهان فبعث نائبا عنه ببغداد والعراق الامير حسين بن أروبك أحد أمراء الاتراك ورغب البرسقى من المستظهر بالعدة فلم يتوقف فسار اقسنقر اليه وقاتله وانهزم الامير حسين

وقتل

وقتل أخوه وعاد الى عسكر السلطان وذلك فى ربيع الاول من سنة ثنتى عشرة

(وفاة المستظهر وخلافة المسترشد)

ثم توفى المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله أبو القاسم عبد الله بن القائم بالله فى منتصف ربيع الآخر سنة ثنتى عشرة وخمسمائة لاربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر من خلافته وبويع بعده ابنه المسترشد بالله الفضل وكان ولى عهده منذ ثلاث وعشرين سنة وبايعه أخوه أبو عبد الله محمد وهو المقتدى وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدى وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان وتولى أخذ البيعة القاضى أبو الحسن الدامغانى وكان نائبا عن الوزارة فأقره المسترشد عليها ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا للمسترشد وأحمد بن أبى داود للواثق والقاضى أبو على اسمعيل ابن اسحق للمعتضد ثم عزل المسترشد قاضى القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب أبى منصور خاطبه أبوه وزير السلطان محمود وابنه محمد فى شأنه فاستوزره ثم عزله سنة عشر واستوزر مكانه جلال الدين عميد الدولة أبا على بن صدقة وهو عم جلال الدين أبى الرضى بن صدقة وزير الراشد ولما شغل الناس ببيعة المسترشد ركب أخوه الامير أبو الحسن فى السفن مع ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن ومنها الى الحلة فأكرمه دبيس وأهم ذلك المسترشد وبعث الى دبيس فى اعادته مع النقيب على بن طراد الزينبى فاعتذر بالذمام وأنه لا يكرهه فخطب النقيب أبا الحسن أخا الخليفة فى الرجوع فاعتذر بالخوف وطلب الامان ثم حدث من البرسقى ودبيس ما نذكره فتأخر ذلك الى صفر من سنته وهى سنة ثلاث عشرة فسار أبو الحسن بن المستظهر الى واسط وملكها فبادر المسترشد الى ولاية العهد لابنه جعفر المنصور ابن اثنتى عشرة سنة فخطب له وكتب الى البلاد بذلك وكتب الى دبيس بمعاجلة أخيه أبى الحسن فانه فارق ذمامه فبعث دبيس العساكر الى واسط فهرب منها وصادفوه عند الصبح فنهبوا أثقاله وهرب الاكراد والاتراك عنه وقبض عليه بعض الفرق وجاؤا به الى دبيس فأكرمه المسترشد وأمنه وأنزله أحسن نزل

{انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود}
{ثم مصالحته واستقرار جكرمس شحنة ببغداد}

كان السلطان محمد قد أنزل ابنه مسعودا بالحلة وجعل معه جيوس بك اتابك فلما ملك السلطان محمود بعد وفاة أبيه ثم ولى المسترشد الخلافة بعد أبيه وكان دبيس صاحب الحلة ممرضا فى طاعته وكان اقسنقر البرسقى شحنة بالعراق كما ذكرناه أراد قصد الحلة

وأخلى دبيس عنها وجمع لذلك جموعاً من العرب والأكراد وبرز من بغداد في جمادى سنة ثنتي عشرة وبلغ الخبر الى الملك مسعود بالموصل وان العراق خال من الحامية فأشار عليه أصحابه بقصد العراق للسلطنة فلا مانع دونها فسار في جيوش كثيرة ومعه وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس وسيأتي خبره وقسيم الدولة زنكي بن اقسنقر ابن الملك العادل وصاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكرباوي بن خراسان التركماني صاحب البوازيج ولما قربوا من العراق خافهم اقسنقر البرسقي مكان حيوس بك من الملك مسعود وأما هو فقد كان أبوه محمد جعله أتابك لابنه مسعود فسار البرسقي لقتالهم وبعثوا اليه الامير كرباوي في الصلح وأنهم انما جاؤا نجدة له على دبيس فقبل وتعاهدوا ورجعوا الى بغداد كما مر خبره وسار البرسقي لقتاله فاجتمع مع دبيس بن صدقة واتفقا على المعاضدة وسار الملك مسعود ومن معه الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس ثم بلغهم كثرة جموعهما فعاد الملك مسعود والبرسقي وحيوس بك وعبروا نهر صرصر وحفظ المخاضات وأفحش الطائفتان في نهب السواد واستباحته بنهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى ودجيل وبعث المسترشد الى الملك مسعود والبرسقي بالنكير عليهم فأنكر البرسقي وقوع شيء من ذلك واعتزم على العود الى بغداد وبلغه ان دبيس ومنكبرس قد جهز العساكر اليها مع منصور أخي دبيس وحسن بن أوربك ربيب منكبرس فأغذ السير وخلف ابنه عز الدين مسعوداً على العسكر بصرصر واستصحب عماد الدين زنكي بن اقسنقر وجاؤا بغداد ليلاً فمنعوا عساكر منكبرس ودبيس من العبور ثم انعقد الصلح بين منكبرس والملك مسعود وكان سببه أن حيوس بك كاتب السلطان محموداً وهو بالموصل في طلب الزيادة له وللملك مسعود فجاء كتاب الرسول بأنه أقطعهم أذربيجان ثم بلغه قصدهم بغداد فاتهمهم بالانتقاض وجهز العساكر الى الموصل وسقط الكتاب بيد منكبرس وكان على أم الملك مسعود فبعث به الى حيوس بك وداخله في الصلح والرجوع عما هم فيه فاصطلحوا واتفقوا وبلغ الخبر الى البرسقي فجاء الى الملك مسعود وأخذ ماله وتركه وعاد الى بغداد فخيم بجانب منها وجاء الملك مسعود وحيوس بك فخيما في جانب آخر وأصعد دبيس ومنكبرس فخيما كذلك وتفرق على البرسقي أصحابه وجموعه وسار عن العراق الى الملك مسعود فأقام معه واستقر منكبرس شحنة ببغداد وعاد دبيس الى الحلة وأساء منكبرس السيرة في بغداد بالظلم والعسف وانطلاق أيدي أصحابه بالفساد حتى ضجر الناس وبعث عنه السلطان محمود فسار اليه وكفي الناس شره

(انتقاض الملك طغرل على أخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرل قد اقطعه أبوه السلطان محمد سنة اربع وخمسين وخمسمائة ساوة واوة وزنجان وجعل أتابكه الامير شيركير وكان قد افتتح كثيراً من قلاع الاسماعيلية فاتسع ملك طغرل بها ولما مات السلطان محمد بعث السلطان محمود الامير كنتغدي أتابك طغرل وأمره أن يحمله اليه وحسن له المخالفة فانتقض سنة ثلاث عشرة فبعث اليه السلطان ثلاثين ألف دينار وتحفاً ووعده باقطاع كثيرة وطلبه في الوصول فمنعه كنتغدي وأجاب بأنا في الطاعة ومعنا العساكر والى أي جهة أراد السلطان قصدنا فاعتزم السلطان على المسير اليهم وسار من همذان في جمادى سنة ثلاث عشرة في عشرة آلاف غازياً وجاء النذير الى كنتغدي بمسيره فأجفل هو وطغرل الى قلعة سرجهان وجاء السلطان الى العسكر بزنجان فنهبه وأخذ من خزانة طغرل ثلثمائة ألف دينار وأقام بزنجان وتوجه منها الى الري وكنتغدي من سرجهان بكنجة وقصده أصحابه وقويت شوكته وتأكدت الوحشة بينه وبين أخيه السلطان محمود

(الفتنة بين السلطان محمود وعمه سنجر صاحب خراسان والخطبة ببغداد لسنجر)

كان الملك سنجر أميراً على خراسان وما وراء النهر منذ أيام شقيقه السلطان محمد الاولى مع بركيارق ولما توفي السلطان محمد جزع له جزعاً شديداً حتى أغلق البلد للعزاء وتقدم للخطبة بذكر آثاره ومحاسن سيره من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وبلغه ملك ابنه محمود ومكانه وتغلب الامراء عليه فنكر ذلك واعتزم على قصد بلد الجبل والعراق وأتى له محمود بن أخيه وكان يلقب بناصر الدين فتلقب بمعز الدين لقب أبيه ملكشاه وبعث اليه السلطان محمود بالهدايا والتحف مع شرف الدولة أنوشروان ابن خالد وفخر الدولة طغايرك بن أكفربن وبذل عن مازندران مائتي ألف دينار كل سنة فتجهز لذلك ونكر على محمود تغلب وزيره أبي منصور وأمير حاجب علي بن عمر عليه وسار وعلى مقدمته الامير أنز وجهز السلطان محمود علي بن عمر حاجبه وحاجب أبيه في عشرة آلاف فارس وأقام هو بالري فلما قارب الحاجب مقدمة سنجر مع الامير أنز بجرجان راسله باللين والخشونة وان السلطان محمداً وصانا بتعظيم أخيه سنجر واستحلفنا على ذلك الا أنا لا نغضي على زوال ملكنا ثم تهدده بكثرة العساكر وقوتها فرجع أنز عن جرجان واتبعه بعض العساكر فنالوا منه وعاد علي بن عمر الى السلطان محمود فشكره وأشار عليه أصحابه بالمقام بالري فلم يقبل ثم ضجر وسار الى جرقان وتوافت اليه الامداد من العراق منكبرس شحنة بغداد في عشرة آلاف فارس ومنصور أخو دبيس وأمراء البلخية وغيرهم وسار الى همذان فأقام بها وتوفي بها وزيره الربيب واستوزر مكانه أبا طالب السميري ثم جاء السلطان سنجر الى الري في عشرين ألفاً وثمانية عشر

فيلا ومعه ابن الامير أبى الفضل صاحب سجستان وخوارزمشاه محمد والامير انز
والامير قاج واتصل به علاء الدولة كرساسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وكان
صهر محمد وسنجر على أختهما واختص بمحمد ودعاه محمود فتأخر عنه فأقطع بلده لقراجا
الساقى الذى ولى بعد ذلك فارس وسار علاء الدولة الى سنجر وعرفه حال السلطان محمود
واختلاف أصحابه وفساد بلاده فزحف اليه السلطان محمود من همذان فى ثلاثين ألفا
ومعه على بن عمر أمير حاجب ومنكبرس وأتابكه غزغلى وبنو برسق وسنقر البخارى
وقراجا الساقى ومعه تسعمائة حمل من السلاح والتقيا على ساوة فى جمادى سنة ثلاث
عشرة فانهزمت عساكر السلطان سنجر أولا وثبت هو بين الفيلة والسلطان محمود
واجتمع أصحابه اليه وبلغ الخبر الى بغداد فأرسل دبيس بن صدقة الى المسترشد
فى الخطبة للسلطان سنجر فخطب له آخر جمادى وقطعت خطبة محمود وبعد الهزيمة الى
اصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميرى والامير على بن عمر وقراجا واجتمعت عليه
العساكر وقوى أمره وسار السلطان سنجر من همذان ورأى قلة عساكره فراسل
ابن أخيه فى الصلح وكانت والدته وهى جدة محمود تحرضه على ذلك فأجاب اليه ثم وصل
اليه اقسنقر البرسقى الذى كان شحنة ببغداد وكان عند الملك مسعود من يوم انصرافه
عنها وجاء رسوله من عند السلطان محمود بأن الصلح انما يوافق عليه الامراء بعد عود
السلطان سنجر الى خراسان فأنف من ذلك وسار من همذان الى الكرج وأعاد مراسلة
السلطان محمود فى الصلح وأن يكون ولى عهده فأجاب الى ذلك وتحالفا عليه وجاء
السلطان محمود الى عمه سنجر ونزل فى بيت والدته وهى جدة محمود وحمل اليه هدية حفلة
وكتب السلطان سنجر الى أعماله بخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات
بأن يخطب للسلطان محمود وكتب الى بغداد بمثل ذلك وأعاد عليه جميع البلاد سوى
الرى لئلا تحدث محمودا نفسه بالانتقاض ثم قتل السلطان محمود الامير منكبرس شحنة
بغداد لانه لما انهزم محمود وسار الى بغداد ليدخلها منعه دبيس فعاد فى البلاد ورجع
وقد استقر فى الصلح فقصد السلطان مستجيرا به فأبى من اجارته ومؤاخذته وبعثه
الى السلطان محمود فقتله صبرا لما كان يستبد عليه بالامور وسار شحنة الى بغداد
على زعمه فحقد له ذلك وأمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز شحنة بالعراق
وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل به ثم قتل السلطان محمود حاجبه على بن عمر وكان
قد استخلفه ورفع منزلته فكثرت السعاية فيه فهرب الى قلعة عند الكرخ كان بها أهله
وماله ثم لحق بخوزستان وكان بيد بنى برسق فاقتضى عهودهم وسار اليهم فلما كان
على تستر بعثوا من يقبض عليه فقاتلهم فلم يقدر عنه وأسروه واستأذنوا السلطان محمودا

في أمره

فى أمره فأمر بقتله وحمل رأسه اليه

* (انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والفتنة بينهما) *

كان الملك مسعود قد استقر بالموصل وأذربيجان منذ صالحه السلطان محمود عليها
بأول ملكه وكان اقسنقر البرسقى مع الملك مسعود منذ فارق شحنة بغداد وأقطعه
مراغة مضافة الى الرحبة وكان دبيس يكاتب جيوس بك الاتابك فى القبض عليه
وبعثه الى مولاه السلطان محمود ويبذل لهم المال على ذلك وشعر بذلك البرسقى ففارقه
الى السلطان محمود وعاد الى جميل رأيه فيه وكان دبيس مع ذلك يغرى الاتابك
جيوس بك بالخلاف على السلطان محمود ويعدهم من نفسه المناصرة ليستنيل باختلافهم
فى تمهيد سلطانه ما ناله أبوه باختلاف بركيارق ومحمد وكان أبو المؤيد محمد بن أبى
اسمعيل الحسين بن على الاصبهانى يكتب للملك محمود ويرسم الطغرى وهى العلامة
على مراسيمه ومنها هبانه وجاء والده أبو اسمعيل من اصبهان فعزل الملك مسعود وزيره
أبا على بن عمار صاحب طرابلس واستوزره مكانه سنة ثلاث عشرة فحسن له الخلاف
الذى كان دبيس يكاتبهم فيه ويحسنه لهم وبلغ السلطان محمودا خبرهم فكتب يحذرهم
فلم يقبلوا وخلعوا وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وذلك سنة
أربع عشرة وكانت عساكر السلطان محمود مفترقة فبادروا اليه والتقوا فى عقبة
استراباذ منتصف ربيع الاول والبرسقى فى مقدمة محمود وأبلى يومئذ واقتتلوا يوما
كاملا وانهزمت عساكر مسعود فى عشيته وأسر جماعة منهم وفيهم الوزير الاستاذ
أبو اسمعيل الطغرائى فأمر السلطان بقتله لسنة من وزارته وقال هو فاسد العقيدة وكان
حسن الكتابة والشعر وله تصانيف فى الكيمياء وقصد الملك مسعود بعد الهزيمة جبلا
على اثنى عشر فرسخا من مكان الوقعة فاختفى فيه وبعث يطلب الامان من أخيه فبعث
اليه البرسقى يؤمنه ويحضره وكان بعض الامراء قد لحق به فى الجبل وأشار عليه باللحاق
بالموصل واستمداد دبيس فسار لذلك وأدركه البرسقى على ثلاثين فرسخا من مكانه وأمنه
عن أخيه وأعاده اليه فأركب العساكر للقائه وبالغ فى اكرامه وخلطه بنفسه
وأما أتابكه جيوس بك فلما افتقد السلطان مسعود سار الى الموصل وجمع العساكر
وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسار الى الزاب ثم جاء السلطان بهمذان فأمنه وأحسن
اليه وأما دبيس فلما بلغه خبر الهزيمة عاث فى البلاد وأخربها وبعث اليه المسترشد
بالنكير فلم يقبل فكتب بشأنه الى السلطان محمود وخاطبه السلطان فى ذلك فلم يقبل
وسار الى بغداد وخيم ازاء المسترشد وأظهر انه يثأر منهم بأبيه ثم عاد عن بغداد ووصل
السلطان فى رجب فبعث دبيس اليه زوجته بنت عميد الدولة بن جهير بمال وهدايا

نفيسة وأجيب الى الصلح على شروط امتنع منها فسار اليه السلطان فى شوال ومعه ألف سفينة ثم استأمن الى السلطان فأمّنه وأرسل نساءه الى البطيحة وسار الى أبى الغازى مستجيرا به ودخل السلطان الحلة وعاد عنها ولم يزل دبيس عند أبى الغازى وبعث أخاه منصورا الى أصحابه من أمراء النواحى ليصلح حاله مع السلطان فلم يتم ذلك وبعث اليه أخوه منصور يستدعيه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة وملكها وأرسل الى الخليفة والسلطان بالاعتذار والوعد بالطاعة فلم يقبل منه وسارت اليه العساكر مع سعد الدولة بن تتش ففارق الحلة ودخلها سعد وأنزل بالحلة عسكرا وبالكوفة آخر ثم راجع دبيس الطاعة على أن يرسل أخاه منصورا رهينة فقبل ورجع العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

(اقطاع الموصل للبرسقى وميافارقين لابى الغازى)

ثم أقطع السلطان محمود الموصل وأعمالها والجزيرة وسنجار وما يضاف الى ذلك للامير اقسنقر البرسقى شحنة بغداد وذلك أنه كان ملازما للسلطان فى حروبه ناصحا له وهو الذى حمل السلطان مسعودا على طاعة أخيه محمود وأحضره عنده فلما حضر جيوس بك وزيره عند السلطان محمود من الموصل بقيت بدون أمير فولى عليها البرسقى سنة خمس عشرة وخمسمائة وأمره بمجاهدة الفرنج فأقام فى امارتها دهرا هو وبنوه كما يأتى فى أخبارهم ثم بعث الامير أبو الغازى بن ارتق ابنه حسام الدين تمرتاش شافعا فى دبيس بن صدقة وأن يضمن الحلة بألف دينار وفرس فى كل يوم ولم يتم ذلك فلما تصرف عن السلطان أقطع أباه أبا الغازى مدينة ميافارقين وتسلمها من يد سقمان صاحب خلاط سنة خمس عشرة وبقيت فى يده ويد بنيه الى أن ملكها منهم صلاح الدين ابن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة كما يذكر فى أخبارهم

(طاعة طغرل لاخيه السلطان محمود)

قد تقدم ذكر انتقاض الملك طغرل بساوة وزنجان على أخيه السلطان محمود بمداخلة أتابكه كنتغرى وان السلطان محمودا المشار اليه أزعجه الى كنجة وسار الى أذربيجان يحاول ملكها ثم توفى أتابكه كنتغرى فى شوال سنة خمس عشرة وكان اقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة فطمع فى رتبة كنتغرى وسار الى طغرل واستدعاه الى مراغة وقصدوا أردبيل فامتنعت عليهم فجاؤا الى تبريز وبلغهم أن السلطان أقطع أذربيجان لجيوس بك وبعثه فى العساكر وأنه سبقهم الى مراغة فعدلوا عنها وكاتبوا صاحب زنجان فأجابهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم مرادهم وراسلوا السلطان فى الطاعة

واستقر حالهم وأما جيوس بك فوقعت بينه وبين الامراء من عسكره منافرة فسعوا به عند السلطان فقتله بتبريز فى رمضان من سنته وكان تركيا من مماليك السلطان محمد وكان حسن السيرة مضطلعا بالولاية ولما ولى الموصل والجزيرة كان الاكراد قد عاثوا فى نواحيها وأخافوا سبلها فأوقع بهم وحصر قلاعهم وفتح الكثير منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد الفسوية وبلد البحسة حتى خاف الاكراد واطمأن الناس وأمنت السبل

(أخبار دبيس مع المسترشد)

قد ذكرنا مسير العساكر الى دبيس مع برسق البكركوى سنة أربع عشرة وكيف وقع الاتفاق وبعث دبيس أخاه منصورا رهينة فجاء برتقش به الى بغداد سنة ست عشرة ولم يرض المسترشد ذلك وكتب الى السلطان محمود بأن دبيس لا يصلحه شئ لانه مطالب بثار أبيه وأشار بأن يبعث عن البرسقى من الموصل لتشديد دبيس ويكون شحنة ببغداد فبعث اليه السلطان وأنزله شحنة ببغداد وأمره بقتال دبيس فأقام عشرين شهرا ودبيس معمل فى الخلافة ثم أمره المسترشد بالمسير اليه واخراجه من الحلة فاستقدم البرسقى عساكره من الموصل وسار الى الحلة ولقيه دبيس فهزم عساكره ورجع الى بغداد فى ربيع من سنة ست عشرة وكان معه فى العسكر مضر بن النفيس بن مذهب الدولة أحمد بن أبى الخير عامل البطيحة فغدا عليه عمه المظفر بن عماد بن أبى الخير فقتله فى انهزامهم وسار الى البطيحة فتغلب عليها وكاتب دبيس فى الطاعة وأرسل دبيس الى المسترشد بطاعته وأن يبعث عماله لقرى الخاص يقبضون دخلها على أن يقبض المسترشد على وزيره جلال الدين بن على بن صدقة فتم بينهما ذلك وقبض المسترشد على وزيره وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضى الى الموصل وبلغ الخبر بالهزيمة الى السلطان محمود فقبض على منصور أخى دبيس وحبسه وأذن دبيس لاصحاب الاقطاع بواسط فى المسير الى اقطاعهم فمنعهم الاتراك الذين بها فجهز اليهم عسكرا مع مهلهل ابن أبى العسكر وأمر مظفر بن أبى الخير عامل البطيحة بمساعدته وبعث البرسقى المدد الى أهل واسط فلقيهم مهلهل بن أبى المظفر فهزموه وأسروه وجماعة من عسكره واستلحموا كثيرا منهم وجاء المظفر أبو الخير على أثره وأكثر النهب والعيث وبلغه خبر الهزيمة فرجع وبعث أهل واسط بتذكرة وجدوها مع مهلهل بخط دبيس فأمره بالقبض على المظفر فمال اليهم وانحرف عن دبيس ثم بلغ دبيس ان السلطان محمودا سمل أخاه منصورا فانتقض ونهب ما كان للخليفة بأعماله وسار أهل واسط الى النعمانية فأجلوا عنها أصحاب دبيس وتقدم المسترشد الى البرسقى بالمسير لحرب دبيس

فسار لذلك كما نذكر ثم أقطع السلطان محمود مدينة واسط للبرسقى مضافة الى ولاية الموصل فبعث عماد الدين زنكى بن اقسنقر ولد نور الدين العادل

(نكبة الوزير ابن صدقة وولاية نظام الملك)

قد ذكرنا آنفا أن دبيس اشترط على المسترشد فى صلحه معه القبض على وزيره جلال الدين أبى على بن صدقة فقبض عليه فى جمادى سنة ست عشرة وأقام فى نيابة الوزارة شرف الدين على بن طراد الزينبى وهرب جلال الدين أبو الرضى ابن أخى الوزير الى الموصل وبعث السلطان محمود الى المسترشد فى أن يستوزر نظام الدولة أبا نصر أحمد بن نظام الملك وكان السلطان محمود قد استوزر أخاه شمس الملك عثمان عندما قتل الباطنية بهمذان وزيره الكمال أبا طالب السميرى فقبل المسترشد اشارته واستوزر نظام الملك وقد كان وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم داره ببغداد فلما وزر وعلم ابن صدقة أنه يخرجه طلب من المسترشد أن يسير الى سليمان بن مهارش بحديثة غانة فأذن له فسار ونهب فى طريقه وأسر ثم خلص الى مأمنه فى واقعة عجيبة ثم قتل السلطان محمود وزيره شمس الملك فعزل المسترشد أخاه نظام الدين أحمد عن وزارته وأعاد جلال الدين أبا على بن صدقة الى مكانه

بياض بالاصل

(واقعة المسترشد مع دبيس)

كان دبيس فى واقعته مع البرسقى قد أسر عفيفا الخادم ثم أطلقه سنة سبع عشرة وحمله الى المسترشد رسالة بخروج البرسقى للقتال يتهدده بذلك على ما بلغه من عمل أخيه وحلف لينهبن بغداد فاستطار المسترشد غضبا وأمر البرسقى بالمسير لحربه فسار فى رمضان من سنته ثم تجهز للخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فجاءه سليمان ابن مهارش صاحب الحديثة فى بنى عقيل وقرواش بن مسلم وغيرهما ونهب دبيس نهر الملك من خاص الخليفة ونودى فى بغداد بالنفير فلم يتخلف أحد وفرقت فيهم الاموال والسلاح وعسكر المسترشد خارج بغداد فى عشر ذى الحجة وبرز لاربع بعدها وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وعلى كتفه البردة وفى يده القضيب وفى وسطه منطقة حديد صينى ووزيره معه نظام الدين ونقيب الطالبين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم فنزل بخيمة وبلغ البرسقى خروجه فعاد بعسكره اليه ونزل المسترشد بالحديثة بنهر الملك واستحلف البرسقى والامراء على المناصحة وسار فنزل المباركة وعبى البرسقى أصحابه للحرب ووقف المسترشد وراء العسكر فى خاصته وعبى دبيس أصحابه صفا واحدا وبين يديهم

الاماء تعزف وأصحاب الملاهى وعسكر الخليفة تتجاذب القراءة والتسبيح مع جنباته ومع اعلامه كرباوى خراسان وفى الساقة سليمان بن مهارش وفى ميمنة البرسقى أبو بكر ابن الياس مع الامراء البلخية فحمل عنتر بن أبى العسكر من عسكر دبيس على ميمنة البرسقى فدحرجها وقتل ابن أخى أبى بكر ثم حمل ثانية كذلك فحمل عماد الدين زنكى ابن اقسنقر فى عسكر واسط على عنتر بن أبى العسكر فأسره ومن معه وكان من عسكر المسترشد كمين متوار فلما التحم الناس خرج الكمين واشتد الحرب وجرد المسترشد سيفه وكبر وتقدم فانهزمت عساكر دبيس وجىء بالاسرى فقتلوا بين يدى الخليفة وسبى نساؤهم ورجع الخليفة الى بغداد فى عاشوراء من سنة سبع عشرة وذهب دبيس وخفى أثره وقصد غزية من العرب فأبوا من ذلك ايثارا لرضا المسترشد والسلطان فسار الى المشقر من البحرين فأجابوه وسار بهم الى البصرة فنهبوها وقتلوا أميرها وتقدم المسترشد للبرسقى بالانحدار اليه بعد أن عنفه على غفلته عنه وسمع دبيس ففارق البصرة وبعث البرسقى عليها زنكى بن اقسنقر فأحسن حمايتها وطرد العرب عن نواحيها ولحق دبيس بالفرنج فى جعبر وحاصر معهم حلب فلم يظفروا وأقلعوا عنها سنة ثمان عشرة فلحق دبيس بطغرل ابن السلطان محمد وأغراه بالمسترشد وبملك العراق كما نذكر

(ولاية برتقش شحنة بغداد)

ثم ان المسترشد وقعت بينه وبين البرسقى منافرة فكتب الى السلطان محمود فى عزله عن العراق وابعاده الى الموصل فأجابه الى ذلك وأرسل الى البرسقى بالمسير الى الموصل لجهاد الافرنج وبعث اليه بابن صغير من أولاده يكون معه وولى على شحنة بغداد برتقش الزكوى وجاء نائبه الى بغداد فسلم اليه البرسقى العمل وسار الى الموصل بابن السلطان وبعث الى عماد الدين زنكى أن يلحق به فسار الى السلطان وقدم عليه بالموصل فأكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها

(وصول الملك طغرل ودبيس الى العراق)

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة من الشأم الى الملك طغرل فأحسن اليه ورتبه فى خاص أمرائه وجعل دبيس يغريه بالعراق ويضمن له ملكه فسار لذلك سنة تسع عشرة ووصلوا دقوقا فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت الى المسترشد بخبرهما فتجهز الى دفاعهما وسار اليهما وأمر برتقش الزكوى الشحنة أن يستنفر ويستبعد فبلغت عدة العسكر اثنى عشر ألفا سوى أهل بغداد وبرز خامس صفر سنة تسع عشرة وسار

فنزل الخالص وعدل طغرل الى طريق خراسان وأكثرت عساكره النهب ونزل رباط جلولاء وسار اليه الوزير جلال الدين بن صدقة فى العساكر فنزل الدسكرة وجاء المسترشد فنزل معه وتوجه طغرل ودبيس فنزلا الهارونية واتفقا أن يقطعا جسر النهروان فيقيم دبيس على المعابر ويخالفهم طغرل الى بغداد ثم عاقتهم جميعا وأتى المطر وأصابت طغرل الحمى وجاء دبيس الى النهروان ليعبر وقد لحقهم الجوع فصادف احمالا من البر والاطعمة جاءت من بغداد للمسترشد فنهبها وأرجف فى معسكر المسترشد ان دبيس ملك بغداد فأجفلوا من الدسكرة الى النهروان وتركوا أثقالهم ولما حلوا بالنهروان وجدوا دبيس وأصحابه نياما فاستيقظ وقبل الارض بين يدى المسترشد وتذلل فهم بصلحه ووصل الوزير ابن صدقة فثناه عن ذلك ثم مد المسترشد الجسر وعبر ودخل بغداد لفتنة خمسة وعشرين يوما وسار دبيس الى طغرل ثم اعتزموا على المسير الى السلطان سنجر ومروا بهمذان فعاثوا فى أعمالها وصادروا واتبعهم السلطان فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر شاكين من المسترشد والشحنة برتقش

(الفتنة بين المسترشد والسلطان محمود)

ثم وقعت بين برتقش الزكوى وبين نواب المسترشد نبوة فبعث اليه المسترشد يتهدده فخافه على نفسه وسار الى السلطان محمود فى رجب سنة عشرين فحذره منه وانه ثاور العساكر ولاقى الحروب وقويت نفسه وأشار بمعاجلته قبل أن يستفحل أمره ويمتنع عليه فسار السلطان نحو العراق فبعث اليه المسترشد بالرجوع عن البلاد لما فيها من الغلاء من فتنة دبيس وبذل له المال وأن يسير الى العراق مرة أخرى فارتاب السلطان وصدق ماظنه برتقش وأغذ السير فعبر المسترشد الى الجانب الغربى مغضبا يظهر الرحيل عن بغداد اذ قصدها السلطان وصانعه السلطان بالاستعطاف وسؤاله فى العود فأبى فغضب السلطان ودخل نحو بغداد وأقام المسترشد بالجانب الغربى وبعث عفيفا الخادم من خواصه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فأرسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن اقسنقر وكان على البصرة كما ذكرناه فسار اليه وهزمه وقتل من عسكره ونجا عفيف الى المسترشد برأسه فجمع المسترشد السفن وسد أبواب دار الخلافة الا الباب النوبى ووصل السلطان فى عشر ذى الحجة من سنة عشرين ونزل باب الشماسية ومنع العسكر عن دور الناس وراسل المسترشد فى العود والصلح فأبى ونجا جماعة من عسكر السلطان فنهبوا التاج فى أول المحرم سنة احدى وعشرين فضج العامة لذلك واجتمعوا وخرج المسترشد والشمسية على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الطبول ونفخ الابواق ونادى بأعلى صوته يالهاشم ونصب الجسر

وعبر الناس دفعة واحدة وكان فى الدار رجال مختفون فى السراديب فخرجوا على العسكر وهم مشتغلون فى نهب الدار فأسروا جماعة منهم ونهب العامة دور أصحاب السلطان وعبر المسترشد الى الجانب الشرقى فى ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت ليلا ومنعوا بغداد عنهم واعتزموا على كبس السلطان محمود وجاء عماد الدين زنكى من البصرة فى حشود عظيمة ملأت البر والبحر فاعتزم السلطان على قتال بغداد وأذعن المسترشد الى الصلح فاصطلحوا وأقام السلطان ببغداد الى ربيع الآخر سنة احدى وعشرين ومرض فأشير عليه بمفارقة بغداد فارتحل الى همذان ونظر فيمن يوليه شحنة العراق مضافا الى ما بيده ويثق به فى سد تلك الخلة وحمل اليه الخليفة عند رحيله الهدايا والتحف والالطاف فقبل جميعها ولما أبعد السلطان عن بغداد قبض على وزيره أبى القاسم على بن الناصر النشاباذى لاتهامه بممالأة المسترشد واستوزر مكانه شرف الدين أنوشروان بن خالد وكان مقيما ببغداد فاستدعاه وأهدى اليه الناس حتى الخليفة وسار من بغداد فى شعبان فوصل الى السلطان باصبهان وخلع عليه ثم استعفى لعشرة أشهر وعاد الى بغداد ولم يزل الوزير أبو القاسم محبوسا الى أن جاء السلطان سنجر الى الرى فى السنة بعدها فأطلقه وأعاده الى وزارة السلطان

(أخبار دبيس مع السلطان سنجر)

لما وصل دبيس الى السلطان سنجر ومعه طغرل أغرياه بالمسترشد والسلطان محمود وانهما عاصيان عليه وسهلا عليه أمر العراق فسار الى الرى واستدعى السلطان محمودا يختبر طاعته بذلك فبادر للقائه ولما وصل أمر سنجر العساكر فتلقوه وأجلسه معه على سريره وأقام عنده مدة وأوصاه بدبيس أن يعيده الى بلده ورجع سنجر الى خراسان منتصف ذى الحجة ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سار الى بغداد فقدمها فى تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين واسترضى المسترشد لدبيس فرضى عنه على شريطة أن يوليه غير الحلة فبذل فى الموصل مائة ألف دينار وشعر بذلك زنكى فجاء بنفسه الى السلطان وهجم على السترمتذمما وحمل الهدايا وبذل مائة ألف فأعاده السلطان الى الموصل وأعاد بهروز شحنة على بغداد وجعلت الحلة لنظره وسار السلطان الى همذان فى جمادى سنة ثلاث وعشرين ثم مرض السلطان فلحق دبيس بالعراق وحشد المسترشد لمدافعته وهرب بهروز من الحلة فدخلها دبيس فى رمضان من سنة ثلاث وعشرين وبعث السلطان فى اثره الاميرين اللذين ضمناه له وهما كزل والاحمديلى فلما سمع دبيس بهما أرسل الى المسترشد يستعطفه وتردد الرسل وهو يجمع الاموال والرجال

حتى بلغ عسكره عشرة آلاف ووصل الاحمديلى بغداد فى شوال وسار فى اثر دبيس ثم جاء السلطان الى العراق فبعث اليه دبيس بالهدايا وبذل الاموال على الرضا فأبى ووصل الى بغداد ودخل دبيس البرية وقصد البصرة فأخذ ما كان فيها للخليفة والسلطان وجاءت العساكر فى اتباعه فدخل البرية انتهى

(وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ثم منازعته عمومه واستقلال مسعود)

ثم توفى السلطان محمود فى شوال من سنة خمس وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملكه واتفق وزيره أبو القاسم النشاباذى واتابكه اقسنقر الاحمديلى على ولاية ابنه داود مكانه وخطب له فى جميع بلاد الجبل واذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان ونواحيها ثم سكنت فسار الوزير بأمواله الى الرى ليأمن فى ايالة السلطان سنجر ثم ان الملك داود سار فى ذى القعدة من سنة خمس وعشرين من همذان الى ربكان وبعث الى المسترشد ببغداد فى الخطبة وأتاه الخبر بأن عمه مسعودا سار من جرجان الى تبريز وملكها فسار اليه وحصره فى تبريز الى سلخ المحرم من سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وأفرج داود عن تبريز وخرج السلطان مسعود منها واجتمعت عليه العساكر فانتقض وسار الى همذان وأرسل الى المسترشد فى الخطبة فأجابهم جميعا بأن الخطبة للسلطان سنجر صاحب خراسان ويعين بعده من يراه وبعث الى سنجر بأن الخطبة انما ينبغى أن تكون لك وحدك فوقع ذلك منه أحسن موقع وكاتب السلطان مسعود عماد الدين زنكى صاحب الموصل فأجابه وسار اليه وانتهى الى المعشوق وبينما هم فى ذلك اذ سار قراجا الساقى صاحب فارس وخورستان بالملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد وكان اتابكه فدخل بغداد فى عسكر كبير ونزل دار السلطان واستحلفه المسترشد لنفسه ووصل مسعود الى عباسة فبرزوا للقائه وجاءهم خبر عماد الدين زنكى فعبر قراجا الى الجانب الغربى للقائه وواقعه فهزمه وسار منهزما الى تكريت وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو السلطان صلاح الدين فهيأ له الجسر للعبور وعبر فأمن وسار لوجهه وجاء السلطان مسعود من العباسة للقاء أخيه سلجوق ومن معه مدلا بمكان زنكى وعسكره من ورائهم وبلغه خبر انهزامهم فنكص على عقبه وراسل المسترشد بأن السلطان سنجر وصل الى وطلب الاتفاق من المسترشد وأخيه سلجوق شاه وقراجا على قتال سنجر على أن يكون العراق للمسترشد يتصرف فيه نوابه والسلطنة لمسعود وسلجوق شاه ولى عهده فأجابوه الى ذلك وجاء الى بغداد فى جمادى الاولى سنة ست وعشرين وتعاهدوا على ذلك

(واقعة مسعود مع سنجر وهزيمته وسلطنة طغرل)

لما توفى السلطان محمود وولى ابنه داود مكانه نكر ذلك عمه السلطان سنجر عليهم وسار الى بلاد الجبل ومعه طغرل ابن أخيه السلطان محمد كان عنده منذ وصوله مع دبيس فوصل الى الرى ثم الى همذان وسار السلطان مسعود وأخوه سلجوق وقراجا الساقى اتابك سلجوق للقائه وكان المسترشد قد عاهدهم على الخروج وألزموه ذلك ثم ان السلطان سنجر بعث الى دبيس وأقطعه الحلة وأمره بالمسير الى بغداد وبعث الى عماد الدين زنكى بولاية شحنكية بغداد والمسير اليها فبلغ المسترشد خبر مسيرهما فرجع لمدافعتهما وسار السلطان مسعود وأصحابه للقاء السلطان سنجر ونزل استراباذ فى مائة ألف من العسكر فخاموا عن لقائه ورجعوا أربع مراحل فاتبعهم سنجر وتراءى الجمعان عند الدينور ثامن رجب فاقتتلوا وعلى ميمنة مسعود قراجا الساقى وكزل وعلى ميسرته برتقش باردار ويوسف حاروس فحمل قراجا الساقى فى عشرة آلاف على السلطان سنجر حتى تورط فى مصافه فانعطفوا عليه من الجانبين وأخذ أسيرا بعد جراحات وانهزم مسعود وأصحابه وقتل بعضهم وفيهم يومئذ يوسف حاروس وأسر آخرون فيهم قراجا فأحضر عند السلطان سنجر فوبخه ثم أمر بقتله وجاء السلطان مسعود اليه فأكرمه وعاتبه على مخالفته وأعاده أميرا الى كنجة وولى الملك طغرل ابن أخيه محمدا فى السلطنة وجعل وزيره أبا القاسم النشاباذى وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان ووصل نيسابور فى عشرى رمضان من سنته وأما الخليفة فرجع الى بغداد كما قلناه لمدافعة دبيس وزنكى وبلغه الخبر بهزيمة السلطان مسعود فعبر الى الجانب الغربى وسار الى العباسة ولقيهما بحصن البرامكة آخر رجب وكان فى ميمنته جمال الدولة اقبال وفى ميسرته مطر الخادم فانهزم اقبال لحملة زنكى وحمل الخليفة ومطر على دبيس فانهزم وتبعه زنكى فاستمرت الهزيمة عليهم وافترقوا ومضى دبيس الى الحلة وكانت بيد اقبال وجاءه المدد من بغداد فلقى دبيس وهزمه ثم تخلص بعد الجهد وقصد واسط وأطاعه عسكرها الى أن خلت سنة سبع وعشرين فجاءهم اقبال وبرتقش باردار وزحفوا فى العساكر برا وبحرا فانهزمت أهل واسط ولما استقر طغرل بالسلطنة وعاد عمه سنجر الى خراسان لخلاف أحمد خان صاحب ماوراء النهر عليه وكان داود ببلاد اذربيجان وكنجة فانتقض وجمع العساكر وسار الى همذان وبرز اليه طغرل وفى ميمنته ابن برسق وفى ميسرته كزل وفى مقدمته اقسنقر وسار اليه داود وفى ميمنته برتقش الزكوى والتقيا فى رمضان سنة ست وعشرين فأمسك برتقش عن القتال واستراب التركمان منه فنهبوا خيمته واضطرب عسكر داود لذلك فهرب اتابكه اقسنقر الاحمديلى واستمرت الهزيمة عليهم وأسر برتقش الزكوى ومضى داود

ثم قدم بغداد ومعه اتابكه اقسنقر الاحمديلى فأنزله الخليفة بدار السلطان وأكرمه
ولما بلغ السلطان مسعودا هزيمة داود ووصوله الى بغداد قدم اليها وخرج داود لتلقيه
وترجل له عن فرسه ونزل مسعود بدار السلطنة فى صفر سنة سبع وعشرين وخطب له
على منابر بغداد ولداود بعده واتفقا مع المسترشد الى اذربيجان وان يمدهما وسارا
لذلك وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وحاصر جماعة من الامراء باردبيل ثم هزمهم
وقتل منهم وسار الى همذان وبرز أخو طغرل للقائه فانهزم واستولى مسعود على
همذان وقتل اقسنقر قتله الباطنية ويقال بدسيسة السلطان محمود ولما انهزم طغرل
قصد الرى وبلغ قم ثم عاد الى اصبهان ليمتنع بها وسار أخوه مسعود للحصار فارتاب
طغرل بأهل أصبهان وسار الى بلاد فارس فاتبعه مسعود واستأمن اليه بعض أمراء
طغرل فارتاب بالباقين وانهزم الى الرى فى رمضان من سنته واتبعه مسعود فلحقه
بالرى وقاتله فانهزم طغرل وأسر جماعة من أمرائه وعاد مسعود الى همذان ظافرا
وعندما قصد طغرل الرى من فارس قتل فى طريقه وزيره أبا القاسم النشاباذى فى
شوال من سنته لموجدة وجدها عليه

(مسير المسترشد لحصار الموصل)

لما انهزم عماد الدين زنكى امام المسترشد كما قلنا لحق بالموصل وشغل سلاطين السلجوقية
فى همذان بالخلف الواقع بينهم وجاءة من امراء السلجوقية الى بغداد فرارا من
الفتنة فتقوى بهم المسترشد وبعث الى عماد الدين زنكى بعض شيوخ الصوفية من
حضرته فأغلظ له فى الموعظة فأهانه زنكى وحبسه فاعتزم المسترشد على حصار الموصل
وبعث بذلك الى السلطان مسعود وسار من بغداد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين
فى ثلاثين ألف مقاتل ولما قارب الموصل فارقها زنكى ونزل بها نائبه نصير الدين حقر
ولحق بسنجر وأقام بقطع المدد والميرة عن عسكر المسترشد حتى ضاقت بهم الادور
وحاصرها المسترشد ثلاثة أشهر فامتنعت عليه ورحل عائدا الى بغداد فوصل يوم عرفة
من سنته يقال ان مطرا الخادم جاء من عسكر السلطان مسعود لانه قاصد العراق
فارتحل لذلك

(مصاف طغرل ومسعود وانهزام مسعود)

ولما عاد مسعود الى همذان بعد انهزام اخيه طغرل بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمود
باذربيجان فسار اليه وحصره ببعض قلاعها فخالفه طغرل الى بلاد الجبل واجتمعت
عليه العساكر ففتح كثيرا من البلاد وقصد مسعودا وانتهى الى قزوين فسار مسعود
للقائه وهرب من عسكره جماعة كان طغرل قد داخلهم واستمالهم فولى مسعود

منهزما آخر رمضان سنة ثمان وعشرين واستأذن المسترشد فى دخول بغداد وكان
نائبه باصبهان البقش السلامى ومعه أخوه سلجوق شاه فلما بلغهم خبر الهزيمة لحقوا
ببغداد ونزل سلجوق بدار السلطان وبعث اليه الخليفة بعشرة آلاف دينار ثم قدم
مسعود بعدهم ولقى فى طريقه شدة وأصحابه بين راجلين وركاب فبعث اليهم المسترشد
بالمقام والخيام والاموال والثياب والآلات وقرب اليهم المنازل ونزل مسعود بدار
السلطنة ببغداد منتصف شوال سنة ثمان وأقام طغرل بهمذان

(وفاة طغرل واستيلاء السلطان مسعود)

ولما وصل مسعود الى بغداد أكرمه المسترشد ووعده بالمسير معه لقتال أخيه
طغرل وازاح علل عسكره واستحثه لذلك وكان جماعة من أمراء السلجوقية قد ضجروا
من الفتنة ولحقوا بالمسترشد فسار وامعه ودس اليهم طغرل بالمواعيد فارتاب
المسترشد ببعضهم واطلع على كتاب طغرل اليه وقبض عليه ونهب ماله فلحق الباقون
بالسلطان وبعث فيهم المسترشد فمنعهم السلطان فحدثت بينهم الوحشة لذلك وبعث
السلطان الى الخليفة يلزمه المسير معه وبيناهما على ذلك اذ جاءه الخبر بوفاة طغرل فى
المحرم من سنة تسع وعشرين فسار السلطان مسعود الى همذان وأقبلت اليه العساكر
فاستولى عليها وأطاعه أهل البلاد واستوزر شرف الدين أنوشروان خالدا وكان قد سار
معه بأهله

(فتنة السلطان مسعود مع المسترشد)

لما استولى السلطان مسعود على همذان استوحش منه جماعة من أعيان الامراء
منهم برتقش وكزل وسنقر والى همذان وعبد الرحمن بن طغرلبك ففارقوه ودبيس بن
صدقة معهم واستأمنوا الى الخليفة ولحقوا بخورستان وتعاهدوا مع برسق على طاعة
المسترشد وحذر المسترشد من دبيس وبعث شديد الدولة بن الانبارى بالامان للامراء
دون دبيس ورجع دبيس الى السلطان مسعود وسار الامراء الى بغداد فأكرمهم
المسترشد واشتدت وحشة السلطان مسعود لذلك ومنافرته للمسترشد فاعتزم المسترشد
على قتاله وبرز من بغداد فى عشرى رجب وأقام بالشفيع وعصى عليه صاحب
البصرة فلم يجبه وأمراء السلجوقية الذين بقوا معه يحرضونه على المسير فبعث مقدمته
الى حلوان ثم سار من شعبان واستخلف على العراق اقبال الخادم فى ثلاثة آلاف
فارس ولحقه برسق بن برسق فبلغ عسكره سبعة آلاف فارس وكان أصحاب الاعراب
يكاتبون المسترشد بالطاعة فاستصلحهم مسعود ولحقوا به وبلغ عسكره خمسة عشر

أتناوتسلل اليه كثير من عسكر المسترشد حتى بقي في خمسة آلاف وبعث اليه داود ابن السلطان محمود من اذربيجان بأن يقصد الدينور ليلقاه بها بعسكره فجفل للقاء السلطان مسعود وسار وفي ميمنته برتقش باردار وكورالدولة سنقر وكزل وبرسق ابن برسق وفي ميسرته جاولي برسقي وسراب سلار واعلبك الذي كان قبض عليه من امراء السلجوقية بموافقتهم السلطان
عاشر رمضان سنة تسع وعشرين وانحازت ميسرة المسترشد اليه وانطبقت عساكره عليه وانهزم أصحاب المسترشد وأخذ هو أسيرا بموكبه وفيهم الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي وقاضي القضاة والخطباء والفقهاء والشهود وغيرهم وأنزل المسترشد في خيمة وحبس الباقون بقلعة سرحاب وعاد السلطان الى همذان وبعث الامير بك آي المحمدي الى بغداد شحنة فوصل سلخ رمضان ومعه عميد فقبضوا أملاك الخليفة وأخذوا غلاته وضج الناس ببغداد وبكوا على خليفتهم وأعول النساء ثم عمد العامة الى المنبر فكسروه ومنعوا من الخطبة وتعاقبوا الى الاسواق يحثون التراب على رؤسهم وقاتلوا أصحاب الشحنة فأثخن فيهم بالقتل وهرب الوالي والحاجب وعظمت الفتنة ثم بلغ السلطان في شوال أن داود ابن أخيه محمود عصى عليه بالمراغة فسار لقتاله والمسترشد معه وتردد الرسل بينهما في الصلح

(مقتل المسترشد وخلافة الراشد)

قد ذكرنا مسير المسترشد مع السلطان مسعود الى مراغة وهو في خيمة موكل به وترددت الرسل بينهما وتقرر الصلح على أن يحمل مالا للسلطان ولا يجمع العساكر للحرب ولا فتنة ولا يخرج من داره فانعقد على ذلك بينهما وركب المسترشد وحملت الغاشية بين يديه وهو على العود الى بغداد فوصل الخبر بموافاة رسول من السلطان سنجر فتأخر مسيره لذلك وركب السلطان مسعود للقاء الرسول وكانت خيمة المسترشد منفردة عن العسكر فدخل عليه عشرون رجلا أو يزيدون من الباطنية فقتلوه وجدعوه وصلبوه وذلك سابع عشر ذي القعدة من سنة تسع وعشرين لسبع عشرة ونصف من خلافته وقتل الرجال الذين قتلوه وبويع ابنه أبو جعفر بعهد أبيه اليه بذلك فجددت له البيعة ببغداد في ملا من الناس وكان اقبال خادم المسترشد في بغداد فلما وقعت هذه الحادثة عبر الى الجانب الغربي وأصعد الى تكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز ثم بعد مقتل المسترشد بأيام قتل دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى أمر السلطان مسعود غلاما ارمنيا بقتله فوقف على رأسه فضربه وأسقط رأسه واجتمع الى أبيه صدقة بالحلة عساكره ومماليكه واستأمن اليه قطلغ تكين وأمر السلطان مسعود بك

آي شحنة بغداد فأخذ الحلة من يد صدقة فبعث بعض عسكره الى المدائن وخام عن لقائه حتى قدم السلطان الى بغداد سنة احدى وثلاثين فقصده وصالحه ولزم بابه

(الفتنة بين الراشد والسلطان مسعود ولحاقه بالموصل وخلعه)

وبعد بيعة الراشد واستقراره في الخلافة وصل برتقش الزكوي من عند السلطان محمود يطلب من الراشد ما استقر على أبيه من المال أيام كونه عندهم وهو أربعمائة ألف دينار فأجابه بأنه لم يخلف شيأ وان ماله كان معه فنهب ثم نمي الى الراشد أن برتقش تهجم على دار الخلافة وفتش المال فجمع الراشد العساكر وأصلح السور ثم ركب برتقش ومعه الامراء البلخية وجاؤا لهجم الدار وقاتلهم عسكر الخليفة والعامة فساروا الى طريق خراسان وانحدر بك آي الى خراسان وسار برتقش الى البندهيجين ونهبت العامة دار السلطان واشتدت الوحشة بين السلطان والراشد وانحرف الناس عن طاعة السلطان الى الخليفة وسار داود ابن السلطان في عسكر اذربيجان الى بغداد ونزل بدار السلطان في صفر من سنة ثلاثين ووصل عماد الدين زنكي من من الموصل ووصل برتقش باردار صاحب قزوين والبقش الكبير صاحب اصبهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة وابن برسق وابن الاحمديلي وجعل الملك داود برتقش باردار شحنة ببغداد وقبض الراشد على ناصح الدولة أبي عبد الله الحسن بن جهير استاداره وعلى جمال الدين اقبال وكان قدم اليه من تكريت فتنكر له أصحابه وخانوه وشفع زنكي في اقبال الخادم فأطلقه وصار عنده وخرج الوزير جلال الدين أبو الرضا ابن صدقة لتلقي زنكي فأقام عنده ثم شفع فيه وأعاده الى وزارته ولحق قاضي القضاة الزينبي بزنكي أيضا وسار معه الى الموصل ووصل سلجوق شاه الى واسط وقبض بها بك آي ونهب ماله فانحدر زنكي اليه وصالحه ورجع الى بغداد ثم سار السلطان داود نحو طريق خراسان ومعه زنكي لقتال السلطان مسعود وبرز الراشد أول رمضان وسار الى طريق خراسان ورجع بعد ثلاث وأرسل الى داود والامراء بالعود وقتال مسعود من وراء السور وراسلهم مسعود بالطاعة والموافقة فأبوا وتبعهم الخليفة في ذلك وجاء مسعود فنزل على بغداد وحصرهم فيها وثار العيارون وكثر الهرج وأقاموا كذلك نيفا وخمسين واستمروا وأقلع السلطان عنهم ثم وصله طرنطاي صاحب واسط بالسفن فعاد وعبر الى الجانب الغربي فاضطرب الراشد وأصحابه وعاد داود الى بلاده وكان زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الراشد وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذي القعدة سنة ثلاثين وأمن الناس واستدعى القضاة والفقهاء والشهود وعرض عليهم يمين الراشد بخطه اني متى جندت جندا وخرجت واقيت

أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فافتوا بخلعه ووافقهم على ذلك أصحاب المناصب والولايات واتفقوا على ذمه فتقدم السلطان لخلعه وقطعت خطبته ببغداد وسائر البلاد في ذي القعدة من سنة ثلاثين لسنة من خلافته

(خلافة المقتفي)

ولما قطعت خطبة الراشد استشار السلطان مسعود أعيان بغداد فيمن يوليه فأشاروا بمحمد بن المستظهر فقدم اليهم بعمل محضر في خلع الراشد وذكروا ما ارتكبه من أخذ الاموال ومن الافعال القادحة في الامامة وختموا آخر المحضر بان من هذه صفته لا يصلح أن يكون اماما وحضر القاضي أبو طاهر بن الكرخي فشهدوا عنده بذلك وحكم بخلعه ونفذه القضاة الآخرون وكان قاضي القضاة غائبا عند زنكي بالموصل وحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وصاحب المخزن ابن العسقلاني وأحضر أبو عبد الله بن المستظهر فدخل اليه السلطان والوزير واستخلفاه ثم أدخلوا الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء فبايعوه ثامن عشر ذي الحجة ولقبوه المقتفي واستوزر شرف الدين علي بن طراد الزينبي وبعث كتاب الحكم بخلع الراشد الى الآفاق وأحضر قاضي القضاة أبا القاسم علي بن الحسين فأعاده الى منصبه وكمال الدين حمزة بن طلحة صاحب المخزن كذلك

(فتنة السلطان مسعود مع داود واجتماع داود للراشد للحرب ومقتل الراشد)

ولما بويع للمقتفي والسلطان مسعود ببغداد بعث عساكره يطلب الملك داود فلقيه عند مراغة فانهزم داود وملك قراسنقر اذربيجان ثم قصد داود خورستان واجتمع عليه من عساكر التركمان وغيرهم نحو عشرة آلاف مقاتل وحاصر تستر وكان السلطان سلجوق شاه بواسط بعث الى أخيه مسعود يستنجده فأنجده بالعساكر وسار الى تستر فقاتله داود وهزمه وكان السلطان مسعود مقيما ببغداد مخافة أن يقصد الراشد العراق من الموصل وكان قد بعث لزنكي فخطب للمقتفي في رجب سنة احدى وثلاثين وسار الراشد من الموصل فلما بلغ خبر مسيره الى السلطان مسعود أذن للعسكر في العود الى بلادهم وانصرف صدقة بن دبيس صاحب الحلة بعد ان زوجه ابنته ثم قدم على السلطان مسعود جماعة الامراء الذين كانوا مع الملك داود مثل البقش السلامي وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر خمارتكين شحنة همذان فرضي عنهم وولى البقش شحنة ببغداد فظلم الناس وعسفهم ولما فارق الراشد زنكي من الموصل سار الى اذربيجان وانتهى

الى

الى مراغة وكان بوزابة وعبد الرحمن طغرلبك صاحب خلخال والملك داود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان مسعود فاجتمعوا الى منكبرس صاحب فارس وتعاهدوا على بيعة داود وان يردوا الراشد الى الخلافة فأجابهم الراشد الى ذلك وبلغ الخبر الى السلطان فسار من بغداد في شعبان سنة ثنتين وثلاثين وبلغهم قبل وصوله وصول الراشد اليهم فقاتلهم بخورستان فانهزموا وأسر منكبرس صاحب فارس فقتله السلطان مسعود صبرا وافترقت عساكره للنهب وفي طلب المنهزمين ورآه بوزابة وعبد الرحمن طغرلبك في فل من الجنود فحملوا عليه وقتل بوزابة جماعة من الامراء منهم صدقة بن دبيس وابن قراسنقر الاتابك صاحب اذربيجان وعنتر بن أبي العسكر وغيرهم كان قبض عليهم لاول الهزيمة وأمسكهم عنده فلما بلغه قتل منكبرس قتلهم جميعا وانصرف العسكران منهزمين وقصد مسعود أذربيجان وداود همذان وجاء اليه الراشد بعد الوقعة وأشار بوزابة وكان كبير القوم بمسيرهم فسار بهم الى فارس فملكها وأضافها الى خورستان وسار سلجوق شاه ابن السلطان مسعود ليملكها فدافعه عنها البقش الشحنة ومطر الخادم أمير الحاج وثار العيارون أيام تلك الحرب وعظم الهرج ببغداد ورحل الناس عنها الى البلاد فلما انصرف سلجوق شاه واستقر البقش الشحنة فتك فيهم بالقتل والصلب ولما قتل صدقة بن دبيس ولى السلطان على الحلة محمدا أخاه وجعل معه مهلهلا أخا عنتر بن أبي العسكر يدبره ولما وصل الراشد والملك داود الى خورستان مع الامراء على ما ذكرنا وملكوا فارس ساروا الى العراق ومعهم خوارزم شاه فلما قاربوا الجزيرة خرج السلطان مسعود لمدافعتهم فافترقوا ومضى الملك داود الى فارس وخوارزم شاه الى بلاده وبقي الراشد وحده فسار الى اصبهان فوثب عليه في طريقه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه في القيلولة خامس عشر رمضان سنة ثنتين وثلاثين ودفن بشهرستان ظاهر اصبهان وعظم أمر هذه الفتنة واختلفت الاحوال والمواسم وانقطعت كسوة الكعبة في هذه السنة من دار الخلافة من قبل السلاطين حتى قام بكسوتها تاجر فارسي من المترددين الى الهند أنفق فيها ثمانية عشر ألف دينار مصرية وكثر الهرج من العيارين حتى ركب زعماؤهم الخيول وجمعوا الجموع وتستر الوالي ببغداد بلباس ابن أخيه سراويل الفتوة عن زعيمهم ليدخل في جملتهم وحتى هم زعيمهم بنقش اسمه في سكة بالانبار فحاول الشحنة والوزير على قتله فقتل ونسب أمر العيارين الى البقش الشحنة لما أحدث من الظلم والعسف فقبض عليه السلطان مسعود وحبسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز ثم أمر بقتله فقتل ثم قدم السلطان مسعود في ربيع

سنة ثلاث وثلاثين فى الشتاء وكان يشتو بالعراق ويصيف بالجبال فلما قدم أزال المكوس وكتب بذلك فى الالواح فنصبت فى الاسواق وعلى أبواب الجامع ورفع عن العامة نزول الجند عليهم فكثر الدعاء له والثناء عليه

(وزارة الخليفة)

وفى سنة أربع وثلاثين وقع بين المقتفى ووزيره على بن طراد الزينبى وحشة بما كان يعترض على المقتفى فى أمره فخاف واستجار بالسلطان مسعود فأجاره وشفع الى المقتفى فى اعادته فامتنع وأسقط اسمه من الكتب واستناب المقتفى ابن عمه قاضى القضاة والزينبى ثم عزله واستناب شديد الدولة الانبارى ثم وصل السلطان الى بغداد سنة ست وثلاثين فوجد الوزير شرف الدين الزينبى فى داره فبعث وزيره الى المقتفى شفيعا فى اطلاق سبيله الى بيته فأذن له انتهى

(الشحنة ببغداد)

وفى سنة ست وثلاثين عزل مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد وولى كزل أميرا آخر من مماليك السلطان محمود فكان على البصرة فأضيف اليه شحنكية بغداد ولما وصل السلطان مسعود الى بغداد ورأى تبسط العيارين وفسادهم أعاد بهروز شحنة ولم ينتفع الناس بذلك لان العيارين كانوا يتمسكون بالجاه من أهل الدول فلا يقدر بهروز على منعهم وكان ابن الوزير وابن قاروت صهر السلطان يقاسمانهم فيما يأخذون من النهب واتفق سنة ثمان وثلاثين أن السلطان أرسل نائب الشحنكية ووبخه على فساد العيارين فأخبره بشأن صهره وابن وزيره فأقسم ليصلبنه ان لم يصلبهما فأخذ خاتمه على ذلك وقبض على صهره ابن قاروت فصلبه وهرب ابن الوزير وقبض على أكثر العيارين وافترقوا وكفى الناس شرهم

(انتقاض الاعياص واستبداد الامراء على الامير مسعود وقتله اياهم)

وفى سنة أربعين سار بوزابة صاحب فارس وخورستان وعساكره الى قاشان ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود واتصل بهم الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد والتقى بوزابة الامير عباس صاحب الرى وتآمرا فى الانتقاض على السلطان مسعود وملكا كثيرا من بلاده فسار السلطان مسعود عن بغداد ونزل بها الامير مهلهل والخادم مطر وجماعة من غلمان بهروز وسار معه الامير عبد الرحمن طغرلبك وكان حاجبه ومتحكما فى دولته وكان هواه مع ذينك الملكين فسار السلطان وعبد الرحمن حتى تقارب

العسكران فلحق سليمان شاه أخاه مسعودا فخلع عليه وجرى عبد الرحمن فى الصلح بين الفريقين وأضيفت وظيفة أذربيجان وأرمينية الى ما بيده وسار أبو الفتح ابن هارشب وزير السلطان مسعود ومعه وزير بوزابة فاستبدوا على السلطان وحجروه عن التصرف فيما يريده وكان بك ارسلان بن بلنكرى المعروف بخاص بك خالصة للسلطان بما كان من تربيته فداخلوه واستولوا به على هوى السلطان بكل معنى وكان صاحب خلخال وبعض أذربيجان فلما عظم تحكمه أسر السلطان الى خاص بك بقتل عبد الرحمن فدس ذلك الى جماعة من الامراء وقتلوه فى موكبه ضربه بعضهم بمقرعة حديد فسقط الى الارض ميتا وبلغ الى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الرى فى عسكر أكثر من عسكره فامتعض لذلك فتلاطف له السلطان واستدعاه الى داره فلما انفرد عن غلمانه أمر به فقتل وكان عباس من غلمان السلطان محمود وولى الرى وجاهد الباطنية وحسنت آثاره فيهم وكان مقتله فى ذى القعدة سنة احدى وأربعين ثم حبس السلطان مسعود أخاه سليمان شاه بقلعة تكريت وبلغ مقتل عباس الى بوزابة فجمع عساكره من فارس وخوزستان وسار الى اصبهان فحاصرها ثم سار الى السلطان مسعود والتقيا بمرج قراتكين فقتل بوزابة قيل بسهم أصابه وقيل أخذ أسيرا وقتل صبرا وانهزمت عساكره الى همذان وخراسان

(انتقاض الامراء ثانية على السلطان)

ولما قتل السلطان من قتل من أمرائه استخلص الامير خاص بك وأنفذ كلمته فى الدولة ورفع منزلته فحسده كثير من الامراء وخافوا غائلته وساروا نحو العراق وهم ايلدكز المسعودى صاحب كنجة وارانيه وقيصر والبقش كون صاحب أعمال الجبل وقتل الحاجب وطرنطاى المحمودى شحنة واسط وابن طغايرك ولما بلغوا حلوان خاف الناس بأعمال العراق وعنى المقتفى باصلاح السور وبعث اليهم بالنهى عن القدوم فلم ينتهوا ووصلوا فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين والملك محمد ابن السلطان محمود معهم ونزلوا بالجانب الشرقى وفارق مسعود جلال الشحنة ببغداد الى تكريت ووصل اليهم على ابن دبيس صاحب الحلة ونزل بالجانب الغربى وجند المقتفى أجنادا وقاتلوهم مع العامة فكانوا يستطردون للعامة والجند حتى يبعدوا ثم يكرون عليهم فيثخنوا فيهم ثم كثر عيثهم ونهبهم ثم اجتمعوا مقابل التاج وقبلوا الارض واعتذروا وترددت الرسل ورحلوا الى النهروان وعاد مسعود جلال الشحنة من تكريت الى بغداد وافترق هؤلاء الامراء وفارقوا العراق والسلطان مع ذلك مقيم ببلد الجبل وأرسل عمه سنجر الى الرى سنة أربع وأربعين فبادر اليه مسعود وترضاه فأعتبه وقبل عذره ثم جاءت

سنة أربع وأربعين جماعة أخرى من الامراء وهم البقش كون والطرنطاى وابن دبيس وملك شاه ابن السلطان محمود فراسلوا المقتفى فى الخطبة لملك شاه فلم يجبهم وجمع العساكر وحصن بغداد وكاتب السلطان مسعودا بالوصول الى بغداد فشغله عمه سنجر الى الرى ولما علم البقش مراسلة المقتفى الى مسعود نهب النهروان وقبض على على بن دبيس وهرب الطرنطاى الى النعمانية ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوال ورحل البقش كون من النهروان وأطلق ابن دبيس

(وزارة المقتفى)

وفى سنة أربع وأربعين استوزر المقتفى يحيى بن هبيرة وكان صاحب ديوان الزمام وظهرت منه كفاية فى حصار بغداد فاستوزره المقتفى

(وفاة السلطان مسعود وملك ملك شاه ابن أخيه محمود)

ثم توفى السلطان مسعود أول رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة لاحدى وعشرين سنة من بيعته وعشرين من عوده بعد منازعة اخوته وكان خاص بك بن سلكرى متغلبا على دولته فبايع لملك شاه ابن أخيه السلطان محمود وخطب له بالسلطنة فى همذان وكان هذا السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقية عن بغداد وبعث السلطان ملك شاه الامير شكاركرد فى عسكر الى الحلة فدخلها وسار اليه مسعود جلال الشحنة وأظهر له الاتفاق ثم قبض عليه وغرقه واستبد بالحلة وأظهر المقتفى اليه العساكر مع الوزير عون الدولة والدين بن هبيرة فعبر الشحنة اليهم الفرات وقاتلهم فانهزموا وثار أهل الحلة بدعوة المقتفى ومنعوا الشحنة من الدخول فعاد الى تكريت ودخل ابن هبيرة الحلة وبعث العساكر الى الكوفة وواسط فملكوها وجاءت عساكر السلطان الى واسط فغلبوا عليها عسكر المقتفى فتجهز بنفسه وانتزعها من ايديهم وسار منها الى الحلة ثم عاد الى بغداد فى عشر ذى القعدة ثم ان خاص بك المتغلب على السلطان ملك شاه استوحش وتنكر وأراد الاستبداد فبعث عن الملك محمد ابن السلطان محمد بخورستان سنة ثمان وأربعين فبايعه أول صفر وأهدى اليه وهو مضمر الفتك فسبقه السلطان محمد لذلك وقتله ثانى يوم البيعة ايدغدى التركمانى المعروف بشملة من أصحاب خاص بك ونهاه عن الدخول الى السلطان محمد فلم يقبل فلما قتل خاص بك نهب شملة عسكره ولحق بخورستان وكان خاص بك صبيا من التركمان اتصل بالسلطان مسعود واستخلصه وقدمه على سائر الامراء

(حروب المقتفى مع أهل الخلاف وحصار البلاد)

ثم بعث المقتفى عساكره لحصار تكريت مع ابن الوزير عون الدين والامير ترشك من خواصه وغيرهما ووقع بينه وبين ابن الوزير منافرة خشى لها ترشك على نفسه فصالح الشحنة صاحب تكريت وقبض على ابن الوزير والامراء وحبسهم صاحب تكريت وغرق كثير منهم وسار ترشك والشحنة الى طريق خراسان فعاثوا فيها وخرج المقتفى فى اتباعهم فهربا بين يديه ووصل تكريت وحاصرها أياما ثم رجع الى بغداد وبعث سنة تسع وأربعين تكريت فى ابن الوزير وغيره من المأسورين فقبض على الرسول فبعث اليهم عسكرا فامتنعوا عليه فسار المقتفى بنفسه فى صفر من سنته وملك تكريت وامتنعت عليه القلعة فحاصرها ورجع فى ربيع ثم بعث الوزير عون الدين فى العساكر لحصارها واستكثر من الآلات وضيق عليها ثم بلغه الخبر بأن شحنة مسعود وترشك وصلا فى العساكر ومعهم الامير البقش كون وانهما استحثا الملك محمدا لقصد العراق فلم يتهيأ له فبعث هذا العسكر معهم وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فسار المقتفى للقائهم وبعث الشحنة مسعود عن ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوسا بتكريت فأحضره عنده ليقاتل به المقتفى والتقوا عند عقرباب قتنازلوا ثمانية عشر يوما ثم تناجزوا آخر رجب فانهزمت ميمنة المقتفى الى بغداد ونهبت خزائنه وثبت هو واشتد القتال وانهزمت عساكر العجم وظفر المقتفى بهم وغنم أموال التركمان وسبى نساءهم وأولادهم ولحق البقش كون ببلد الحلو وقلعة الماهكين وارسلان بن طغرل ورجع المقتفى الى بغداد أول شعبان وقصد مسعود الشحنة وترشك بلد واسط للعيث فيها فبعث المقتفى الوزير ابن هبيرة فى العساكر فهزمهم ثم عاد فلقيه المقتفى سلطان العراق وارسلان بن طغرل وبعث اليه السلطان محمد فى احضاره عنده ومات البقش فى رمضان من سنته وبقى ارسلان مع ابن البقش وحسن الخازندار فحملاه الى الجبل ثم سار به الى الركن زوج أمه وهو أبو البهلوان وارسلان وطغرل الذى قتله خوارزم شاه وكان آخر السلجوقية ثلاثتهم اخوة لام ثم سار المقتفى سنة خمسين الى دقوقا فحاصرها أياما ثم رجع عنها لانه بلغه ان عسكر الموصل تجهز لمدافعته عنها فرحل

(استيلاء شملة على خورستان)

قد ذكرنا من قبل شأن شملة وأنه من التركمان واسمه ايدغدى وانه كان من أصحاب خاص بك التركمانى وهرب يوم قتل السلطان محمد صاحبه خاص بك بعد أن حذره منه فلم يقبل ونجا من الواقعة فجمع جموعا وسار يريد خورستان وصاحبها يومئذ ملك شاه ابن السلطان محمود بن محمد وبعث المقتفى عساكره لذلك فلقيهم شملة فى رجب وهزمهم وأسر وجوههم ثم أطلقهم وبعث الى الخليفة يعتذر فقبل عذره وسار الى خورستان

فملكها من يد ملك شاه ابن السلطان محمود

(اشارة الى بعض أخبار السلطان سنجر بخورستان ومبدا دولة بنى خوارزم شاه)

كان السلطان سنجر من ولد السلطان ملك شاه لصلبه ولما استولى بركيارق بن ملك شاه على خورستان سنة تسعين وأربعمائة من يد عمه ارسلان أرغون كما نذكر فى أخبارهم عند تفردها مستوفى ولى عليها أخاه سنجر وولى على خوارزم محمد بن انوشتكين من قبل الامير داود حبشى بن اليوساق ثم لما ظهر السلطان محمد ونازع بركيارق وتعاقبا فى الملك وكان سنجر شقيقا لمحمد فولاه على خراسان ولم يزل عليها ولما اختلف أولاد محمد من بعده كان عقيد أمرهم وصاحب شوراهم اذا خلف له ببغداد مقدما اسمه على اسم سلطان العراق منهم سنة   ثم خرجت أمم الخطا من الترك من مفازة الصين وملكوا ما وراء النهر من يد الخانية ملوك تركستان سنة ست وثلاثين كما نذكر فى أخبارهم وسار سنجر لمدافعتهم فهزموه فوهن لذلك فاستبد عليه خوارزم شاه بعض الشئ وكان الخطاء لما ملكوا بلاد تركستان أزعجوا الغز عنها الى خراسان وهم بقية السلجوقية هنالك وأجاز السلجوقية لاول دولتهم الى خراسان فملكوها وبقى هؤلاء الغز بنواحى تركستان فأجازوا امام الخطا الى خراسان وأقاموا السلطان بها حتى عتوا وعاثوا كثر عيثهم وفسادهم وسار اليهم السلطان سنجر سنة ثمان وأربعين فهزموه واستولوا عليه وأسروه وملكوا بلاد خراسان وافترق أمراؤه على النواحى ثم ملكوه وهو أسير فى أيديهم ذريعة لنهب البلاد واستولوا به على كثير منها وهرب من أيديهم سنة احدى وخمسين ولم يقدر على مدافعتهم ثم توفى سنة ثنتين وخمسين وافترقت بلاد خراسان على أمرائه كما نذكر فى أخبارهم ثم تغلب بنو خوارزم شاه عليها كلها وعلى اصبهان والرى من ورائها وعلى أعمال غزنة من يد بنى سبكتكين وشاركهم فيها الغور بعض الشئ وقام بنو خوارزم شاه مقام السلجوقية الى أن انقرضت دولتهم على يد جنكزخان ملك التتر من أمم الترك فى أوائل المائة السابعة كما نذكر ذلك كله فى أخبار كل منهم عند ما نفردها بالذكر ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

{الخطبة ببغداد لسليمان شاه ابن السلطان محمد وحروبه مع السلطان محمد بن محمود}

كان سليمان بن محمد عند عمه سنجر بخراسان منذ أعوام وقد جعله ولى عهده وخطب له بخراسان فلما غلب الغز على سنجر وأسروه تقدم سليمان شاه على العساكر ثم غلبتهم الغز فلحق بخوارزم شاه فصاهره أولا بابنة أخيه ثم تنكر فسار الى اصبهان فمنعه شحنتها من

الدخول فسار الى قاشان فبعث اليه السلطان محمد شاه بن محمود فقصد اللحف ونزل على السيد محسن وبعث الى المقتفى ليستأذنه فى القدوم وبعث زوجته وولده رهنا على الطاعة والمناصحة فأذن له وقدم فى خف من العساكر ثلثمائة أونحوها وأخرج الوزير عون الدين بن هبيرة ولده لتلقيه ومعه قاضى القضاة والنقباء ودخل وعلى رأسه الشمسية وخلع عليه ولما كان المحرم من سنة احدى وخمسين حضر عند المقتفى بحضر قاضى القضاة وأعيان العباسيين واستحلفه على الطاعة وأن لا يتعرض للعراق ثم خطب له ببغداد وبلقب أبيه السلطان محمد وبعث عسكرا نحو ثلاثة آلاف واستقدم داود صاحب الحلة فجعل له أمر الحجابة وسار نحو الجبل فى ربيع وسار المقتفى الى حلوان وسار الى ملك شاه بن محمود أخى سليمان صاحب خورستان فاستحلفه لسليمان شاه وجعله ولى عهده وأمدهما بالمال والاسلحة وساروا الى همذان واصبهان وجاءهم المذكر صاحب بلاد أران فكثر جمعهم وبلغ خبرهم السلطان محمد بن محمود فبعث الى قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل ونائبه زين الدين ليستنجدهما فأجاباه وسار للقاء سليمان شاه وأصحابه فالتقوا فى جمادى وانهزم سليمان شاه وافترقت عساكره وسار المذكر الى بلاده وسار سليمان شاه الى بغداد وسلك على شهرزور فاعترضه زين الدين على كوجك نائب قطب الدين بالموصل وكان مقطع شهرزور الامير بران من جهة زين الدين فاعترضاه وأخذاه أسيرا وحمل زين الدين الى الموصل فحبسه بقلعتها وبعث الى السلطان محمد بالخبر

(حصار السلطان محمد بغداد)

كان السلطان محمد قد بعث الى المقتفى فى الخطبة له ببغداد فامتنع من اجابته ثم بايع لعمه سليمان وخطب له وكان ما قدمناه من أمره معه ثم سار السلطان محمد من همذان فى العساكر نحو العراق فقدم فى ذى الحجة سنة احدى وخمسين وجاءته عساكر الموصل مددا من قبل قطب الدين ونائبه زين الدين واضطربت الناس ببغداد وأرسل المقتفى عن فضلويه ابواش صاحب واسط فجاء فى عسكره وملك مهلهل الحلة فاهتم ابن هبيرة بأمر الحصار وجمع السفن تحت التاج وقطع الجسر وأجفل الناس من الجانب الغربى ونقلت الاموال الى حريم دار الخلافة وفرق المقتفى السلاح فى الجند والعامة ومكثوا أياما يقتتلون ومد السلطان جسرا على دجلة فعبر على الجانب الشرقى حتى كان القتال فى الجانبين ونفدت الاقوات فى العسكر واشتد القتال والحصار على أهل بغداد لانقطاع الميرة والظهر من عسكر الموصل لان نور الدين محمود بن زنكى وهو أخو قطب الدين الاكبر بعث الى زين الدين يلومه على قتال الخليفة ثم بلغ

السلطان محمد ان أخاه ملكشاه والمذكر صاحب بلاد أران وارسلان ابن الملك
طغرل بن محمد ساروا الى همذان وملكوها فارتحل عن بغداد فى آخر ربيع سنة ثنتين
وخمسين وسار الى همذان وعاد زين الدين كوچك الى الموصل ولما قصد السلطان محمد
همذان صار ملكشاه والمذكر ومن معهما الى الرى فقاتلهم شحنتها اينانج وهزموه
وأمده السلطان محمد بالامير سقمان بن قيماز فسار لذلك ولقيهما منصرفين عن الرى
قاصدين بغداد فقاتلاهما وانهزم أمامهما فسار السلطان فى اثرهما الى خورستان
فلما انتهى الى حلوان جاءه الخبر بأن المذكر بالدينور وبعث اليه اينانج بأنه استولى
على همذان وأعاد خطبته فيها فافترقت جموع ملكشاه والمذكر وفارقهم شملة صاحب
خورستان فعادوا هاربين الى بلادهم وعاد السلطان محمد الى همذان

(حروب المقتفى مع أهل النواحى)

كان سنقر الهمذانى صاحب اللحف وكان فى هذه الفتنة قد نهب سواد بغداد وطريق
خراسان فسار المقتفى لحربه فى جمادى سنة ثلاث وخمسين وضمن له الامير خلطوابراس
اصلاحه فسار اليه خاله على أن يشرك المقتفى معه فى بلد اللحف الامير ازغش
المسترشدى فأقطعها لهما جميعا ورجع ثم عاد سنقر على ازغش وأخرجه وانفرد ببلده
وخطب للسلطان محمد فسار اليه خلطوابراس من بغداد فى العساكر وهزمه وملك
اللحف وسار سنقر الى قلعة الماهكى للامير قايماز العميدى ونزلها فى أربعمائة ألف
فارس ثم سار اليه سنقر سنة أربع وخمسين فهزمه ورجع الى بغداد فخرج المقتفى الى
النعمانية وبعث العساكر مع ترشك فهرب سنقر فى الجبال ونهب ترشك مخلفه وحاصر
قلعة الماهكى ثم عاد الى البندنجين وبعث بالخبر الى بغداد ولحق سنقر بملكشاه فأمده
بخمسمائة فارس وبعث ترشك الى المقتفى فى المدد فأمده وبعث اليه سنقر فى الاصلاح
فحبس رسوله وسار اليه فهزمه واستباح عسكره ونجا سنقر جريحا الى بلاد العجم فأقام
بها ثم جاء بها سنة أربع وخمسين الى بغداد وألقى نفسه تحت التاج فرضى عنه المقتفى
وأذن له فى دخول دار الخلافة ثم زحف الى قايماز السلطان فى ناحية بادرايا سنة
ثلاث وخمسين فهزمه وقتله وبعث المقتفى عساكره لقتال شملة فلحق بملكشاه

(وفاة السلطان محمد بن محمود وملك عمه سلطان شاه ثم ارسلان بن طغرل)

ثم ان السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه لما رجع عن حصار بغداد أصابه مرض السل
وطال به وتوفى بهمذان فى ذى الحجة سنة أربع وخمسين لسبع سنين ونصف من ملكه وكان
له ولد فيئس من طاعة الناس له ودفعه لاقسنقر الاحديلى وأوصاه عليه فرحل به الى

مراغة ولما مات السلطان محمد اختلف الامر فيمن يولونه ومال الاكثر الى سليمان شاه عمه
وطائفة الى ملكشاه أخيه وطائفة الى ارسلان بن السلطان طغرل الذى مع الدكز ببلاد
أران وبادر ملكشاه أخوه فسار من خورستان ومعه شملة التركمانى ودكلا صاحب
فارس ورحل الى اصبهان فأطاعه ابن الخجندى وأنفق عليه الاموال وبعث الى عساكر
همذان فى الطاعة فلم يجيبوه وأرسل أكابر الامراء من همذان الى قطب الدين مودود
ابن زنكى صاحب الموصل فى سليمان شاه المحبوس عنده ليولوه عليهم وذلك أول سنة
خمس وخمسين فأطلقه على أن يكون اتابكه وجمال الدين وزيره وزيرا وجهزه بجهاز
السلطنة وبعث معه نائبه زين الدين على كوچك فى عسكر الموصل فلما قاربوا بلاد
الجبل وأقبلت العساكر من كل جهة على السلطان سليمان فارتاب كوچك لذلك وعاد الى
الموصل فلم ينتظم أمر سليمان ودخل همذان وبايعوا له وخطب له ببغداد وكثرت جموع
ملكشاه باصبهان وبعث الى بغداد فى الخطبة وان يقطع خطبة عمه ويراجع القواعد
بالعراق الى ما كانت فوضع عليه الوزير عون الدين بن هبيرة جارية بعث بها اليه فسمته
فمات سنة خمس وخمسين فأخرج أهل اصبهان أصحابه وخطبوا لسليمان شاه وعاد شملة
الى خراسان فملك كل ما كان ملكشاه تغلب عليه منها واستقر سليمان شاه بتلك البلاد
وشغل باللهو والسكر ومنادمة الصفاعين وفوض الامور الى شرف الدين دوادار من
مشايخ السلجوقية كان ذا دين وعقل وحسن تربية فشكا الامراء اليه فدخل
عليه وعذله وهو سكران فأمر الصفاعين بالرد عليه وخرج مغضبا وصحا سليمان
فاستدرك أمره بالاعتذار فأظهر القبول واجتنب الحضور عنده وبعث سليمان
الى اينانج صاحب الرى يستقدمه فاعتذر بالمرض الى أن يفيق ونمى الخبر الى كردبازه
الخادم فعمل دعوة عظيمة حضرها السلطان والامراء وقبض عليه وعلى وزيره
أبى القاسم محمود بن عبد العزيز الحامدى وعلى أصحابه فى شوال من سنة ست وخمسين
فقتل وزيره وخواصه وحبسه أياما وخرج اينانج صاحب الرى ونهب البلاد وحاصر
همذان وبعث كردباز الى الدكز يستدعيه ليبايع لربيبه ارسلان شاه بن طغرل فسار
فى عشرين ألف فارس ودخل همذان وخطب لربيبه ارسلان شاه بن طغرل بالسلطنة
وجعل الدكز اتابكه وأخاه من أمه البهلوان بن الدكز حاجبا وبعث الى المقتفى
فى الخطبة وان تعاد الامور الى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود فطرد رسوله
وعاد اليه على أقبح حالة وبعث الى اينانج صاحب الرى فحالفه على الاتفاق وصاهره
فى ابنته على البهلوان وجاءت اليه بهمذان وكان الدكز من مماليك السلطان مسعود
وأقطعه اران وبعض اذربيجان ولم يحضر شيأ من الفتنة وتزوج أم ارسلان شاه

وزوجه طغرل فولدت له محمدا البهلوان وعثمان كزل ارسلان ثم بعث الدكز الى اقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة فى الطاعة لارسلان شاه ربيبه فامتنع وهددهم بالبيعة للطفل الذى عنده محمود بن ملك شاه وقد كان الوزير ابن هبيرة أطمعه فى الخطبة لذلك الطفل فيما بينهم فجهز الدكز العساكر مع ابنه البهلوان وسار الى مراغة واستمد اقسنقر ساهر من صاحب خلاط فأمده بالعساكر والتقى اقسنقر والبهلوان فانهزم البهلوان وعاد الى همذان وعاد اقسنقر الى مراغة ظافرا وكان ملك شاه بن محمود لما مات باصبهان مسموما كما ذكرنا لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس ومعه ابنه محمود فقبض عليه صاحب فارس زنكى بن دكلا السلغرى بقلعة اصطخر ولما بعث الدكز الى بغداد فى الخطبة لربيبه ارسلان وشرع الوزير عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة فى التصريف بينهم بعث ابن دكلا وأطمعه فى الخطبة لمحمود بن ملك شاه الذى عنده ان ظفر بالدكز فأطلقه ابن دكلا وبايع له وضرب الطبل على بابه خمس نوب وبعث الى اينانج صاحب الرى فوافقه وسار اليه فى عشرة آلاف وبعث اليه اقسنقر الاحمديلى وجمع الدكز العساكر وسار الى اصبهان يريد بلاد فارس وبعث الى صاحبها زنكى بن دكلا فى الطاعة لربيبه ارسلان فأبى وقال ان المقتفى أقطعنى بلاده وأنا سائر اليه واستمد المقتفى وابن هبيرة فواعدوه وكاتبوا الامراء الذين مع الدكز بالتوبيخ على طاعته والانحراف عنه الى زنكى بن دكلا صاحب فارس واينانج صاحب الرى وبدأ الدكز بقصد اينانج ثم بلغه أن زنكى بن دكلا نهب سميرم ونواحيها فبعث عسكرا نحوا من عشرة آلاف فارس لحفظها فلقيهم زنكى فهزمهم فبعث الدكز عن عساكر اذربيجان فجاء بها ابنه كزل ارسلان وبعث زنكى بن دكلا العساكر الى اينانج ولم يحضر بنفسه خوفا على بلاده من شملة صاحب خورستان ثم التقى الدكز واينانج فى شعبان سنة ست وخمسين فانهزم اينانج واستبيح عسكره وحاصره الدكز ثم صالحه ورجع الى همذان

وفاة المقتفى وخلافة المستنجد وهو أول الخلفاء المستبدين على أمرهم من بنى العباس عند تراجع الدولة وضيق نطاقها ما بين الموصل وواسط والبصرة وحلوان

ثم توفى المقتفى لامر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر فى ربيع الاول سنة خمس وخمسين لاربع وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من أول أيام الديلم فحكم على عسكره وأصحابه فيما بقى لمملكتهم من البلدان بعد استبداد الملوك فى الاعمال والنواحى ولما اشتد مرضه تطاول كل من أم ولده الى ولاية ابنها وكانت أم المستنجد تخاف عليه وأم أخيه على تروم ولاية ابنها واعتزمت على قتل المستنجد واستدعته لزيارة أبيه وقد جمعت جواريها وآتت كل

واحدة منهن سكينا لقتله وأمسكت هى وابنها سيفين وبلغ الخبر الى يوسف المستنجد فأحضر استاذ دار أبيه وجماعة من الفراشين وأفرغ السلاح ودخل معهم الدار وثار به الجوارى فضرب احداهن وأمسكهن فهربوا وقبض على أخيه على وأمه فحبسهما وقسم الجوارى بين القتل والتغريق حتى اذا توفى المقتفى جلس للبيعة فبايعه أقاربه وأولهم عمه أبو طالب ثم الوزير عون الدين بن هبيرة وقاضى القضاة وأرباب الدولة والعلماء وخطب له وأقر ابن هبيرة على الوزارة وأصحاب الولايات على ولاياتهم وأزال المكوس والضرائب وقرب رئيس الرؤساء وكان استاذ دار فرفع منزلته عبد الواحد المقتفى وبعث عن الامير ترشك سنة ست وخمسين من بلد اللحف وكان مقطعا بها فاستدعاه لقتال جمع من التركمان أفسدوا فى نواحى البندنيجين فامتنع من المجىء وقال يأتينى العسكر وأنا أقاتل بهم فبعث اليه المستنجد العساكر مع جماعة من الامراء فقتلوه وبعثوا برأسه الى بغداد ثم استولى بعد ذلك على قلعة الماهكى من يد مولى سنقر الهمذانى ولاه عليها سنقر وضعف عن مقاومة التركمان والاكراد حولها فاستنزله المستنجد عنها بخمسة عشر ألف دينار وأقام ببغداد وكانت هذه القلعة أيام المقتدر بأيدى التركمان والاكراد

(فتنة خفاجة)

اجتمعت خفاجة سنة ست وخمسين الى الحلة والكوفة وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر وكان مقطع الكوفة أرغش وشحنة الحلة قيصر وهما من مماليك المستنجد فمنعوهما فعاثوا فى تلك البلاد والنواحى فخرجوا اليهم فى أثرهم واتبعوهم الى الرحبة فطلبوا الصلح فلم يجبهم أرغش ولا قيصر فقاتلوهم فانهزمت العساكر وقتل قيصر وخرج أرغش ودخل الرحبة فاستأمن له شحنتها وبعثوه الى بغداد ومات أكثر الناس عطشا فى البرية وتجهز عون الدين بن هبيرة فى العساكر لطلب خفاجة فدخلوا البرية ورجع وانتهت خفاجة الى البصرة وبعثوا بالعذر وسألوا الصلح فأجيبوا

(اجلاء بنى أسد من العراق)

كان فى نفس المستنجد بالله من بنى أسد أهل الحلة لفسادهم ومساعدتهم السلطان محمد فى الحصار فأمر يزدن بن قماج باجلائهم من البلاد وكانوا منبسطين فى البطائح فجمع العساكر وأرسل الى ابن معروف فقدم السفن وهو بأرض البصرة فجاء فى جموع وحاصرهم وطاولهم فبعث المستنجد يعاتبه ويتهمه بالتشيع فجهز هو وابن معروف فى قتالهم وسد مسالكهم فى الماء فاستسلموا وقتل منهم أربعة آلاف ونودى عليهم

بالملامين الحلة فتفرقوا فى البلاد ولم يبق بالعراق منهم أحد وسلمت بطائحهم وبلادهم الى ابن معروف

(الفتنة بواسط وماجرت اليه)

كان مقطع البصرة منكبرس من موالى المستنجد وقتله سنة تسع وخمسين وولى مكانه كمشتكين وكان ابن سنكاه ابن أخى شملة صاحب خورستان فانتهز الفرصة فى البصرة ونهب قراها وأمر كمشتكين بقتاله فعجز عن اقامة العسكر وأصعد ابن سنكاه الى واسط ونهب سوادها وكان مقطعها خلطوابرس فجمع وخرج لقتاله واستمال ابن سنكاه الامراء الذين معه فخذلوه وانهزم وقتله ابن سنكاه سنة احدى وستين ثم قصد البصرة سنة ثنتين وستين ونهب جهتها الشرقية وخرج اليه كمشتكين وواقعه وسار ابن سنكاه الى واسط وخافه الناس ولم يصل اليها

(مسير شملة الى العراق)

سار شملة صاحب خورستان الى العراق سنة ثنتين وستين وانتهى الى قلعة الماهكى وطلب من المستنجد اقطاع البلاد واشتط فى الطلب فبعث المستنجد العساكر لمنعه وكتب اليه يحذره عاقبة الخلاف فاعتذر بأن الذكزور بيبه السلطان ارسلان شاه أقطعا الملك الذى عنده وهو ابن ملك شاه بلاده البصرة وواسط والحلة وعرض التوقيع بذلك وقال أنا أقنع بالثلث منه فأمر المستنجد حينئذ بلعنه وانه من الخوارج وبعث العساكر الى ارغمش المسترشدى بالنعمانية والى شرف الدين أبى جعفر البلدى ناظر واسط ليجتمعا على قتال شملة وكان شملة أرسل مليح ابن أخيه فى عسكر لقتال بعض الاكراد فركب اليه ارغمش وأسره وبعض أصحابه وبعث الى بغداد وطلب شملة الصلح فلم يجب اليه ثم مات ارغمش من سقطة سقطها عن فرسه وبقى العسكر مقيما ورجع شملة الى بلاده لاربعة أشهر من سفره

(وفاة الوزير يحيى)

ثم توفى الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن المظفر بن هبيرة سنة ستين وخمسمائة فى جمادى الاولى وقبض المستنجد على أولاده وأهله وأقامت الوزارة بالنيابة ثم استوزر المستنجد سنة ثلاث وستين شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدى ناظر واسط وكان عضد الدين أبو الفرج بن دبيس قد تحكم فى الدولة فأمره المستنجد بكف يده وأيدى أصحابه وطالب الوزير أخاه تاج الدين بحساب عمله بنهر الملك من أيام المقتفى وكذلك فعل بغيره فخافه العمال وأهل الدولة وحصل بذلك أموال جمة

*(وفاة

(وفاة المستنجد وخلافة المستضىء)

كان الخليفة المستنجد قد غلب على دولته استاذدار عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وكان أكبر الامراء ببغداد وكان يرادفه قطب الدين قايماز المظفرى ولما ولى المستنجد أبا جعفر البلدى على وزارته غض من استاذدار وعارضه فى احكامه فاستحكمت بينهما العداوة وتنكر المستنجد لاستاذدار وصاحبه قطب الدين فكانا يتهمان بأن ذلك بسعاية الوزير ومرض المستنجد سنة ست وستين وخمسمائة واشتد مرضه فتحملا فى اهلاكه يقال انهما واضعا عليه الطبيب وعلم أن هلاكه فى الحمام فأشار عليه بدخوله فدخله وأغلقوا عليه بابه فمات وقيل كتب المستنجد الى الوزير ابن البلدى بالقبض على استاذدار وقايماز وقتلهما واطلعهما الوزير على كتابه فاستدعيا يزدن وأخاه تماش وفاوضاهما وعرضا عليهما كتابه واتفقوا على قتله فحملوه الى الحمام وأغلقوا عليه الباب وهو يصيح الى أن مات تاسع ربيع من سنة ست وستين لاحدى عشرة سنة من خلافته ولما أرجف بموته قبل أن يقبض ركب الامراء والاجناد متسلحين وغشيتهم العامة واحتفت بهم وبعث اليهم استاذدار بأنه انما كان غشيا عرض وقد أفاق أمير المؤمنين وخف ما به فخشى الوزير من دخول الجند الى دار الخلافة فعاد الى داره وافترق الناس فعند ذلك أغلق استاذدار وقايماز أبواب الدار وأحضرا ابن المستنجد أبا محمد الحسن وبايعاه بالخلافة ولقباه المستضىء بأمر الله وشرطا عليه أن يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذدار وقطب الدين قايماز أمير العسكر فأجابهم الى ذلك وبايعه أهل بيته البيعة الخاصة ثم توفى المستنجد وبايعه الناس من الغد فى التاج البيعة العامة وأظهر العدل وبذل الاموال وسقط فى يد الوزير وندم على ما فرط واستدعى للبيعة فلما دخل قتلوه وقبض المستضىء على القاضى ابن مزحم وكان ظلوما جائرا واستصفاه ورد الظلامات منه على أربابها وولى أبا بكر بن نصر بن العطار صاحب المخزن ولقبه ظهير الدين

(انقراض الدولة العلوية بمصر وعود الدعوة العباسية اليها)

ولاول خلافة المستضىء كان انقراض الدولة العلوية بمصر والخطبة بها للمستضىء من بنى العباس فى شهر المحرم فاتح سنة سبع وستين وخمسمائة قبل عاشوراء وكان آخر الخلفاء العبيديين بها العاضد لدين الله من أعقاب الحافظ لدين الله عبد المجيد وخافوا المستضىء معه ثامن خلفائهم وكان مغلبا لوزارته واستولى شاور منهم وثقلت وطأته عليهم فاستقدم ابن شوار من أهل الدولة من الاسكندرية وفر شاور الى الشام مستنجدا

بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى من اقسنقر وكان من مماليك السلجوقية وأمرائهم المقيمين للدعوة العباسية وكان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن الكردى هو وأبوه نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه في جماعة من الاكراد في خدمته نور الدين محمود بالشام فلما جاء شاور مستنجدا بعث معه هؤلاء الامراء الايوبية وكبيرهم أسد فأعاده الى وزارته وقتل الضرغام ولم يوف له شاور بما ضمن له عند مسيره الشام في نجدته وكان الفرنج قد ملكوا سواحل مصر والشأم وزاحموا ما يليهم من الاعمال وضيقوا على مصر والقاهرة ان ملكوا بلبيس وايلة عند العقبة واستولوا على الدولة العلوية في الضرائب والطلبات وأصبحوا مأوى لمن ينحى عن الدولة وداخلهم شاور في مثل ذلك فارتاب به العاضد وبعث عز الدين مستصرخا به على الفرنج في ظاهر أمره ويسرحون في ارتعاء من ابادة شاور والتمكن منه فوصل لذلك وولاه العاضد وزارته وقلده ما وراء بابه فقتل الوزير شاور وحسم داءه وكان مهلكه قريبا من وزارته يقال لسنة ويقال لخمسين يوما فاستوزر العاضد مكانه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين فقام بالامر وأخذ في اصلاح الاحوال وهو يعد نفسه وعمه من قبله نائبا عن نور الدين محمود بن زنكى الذى بعثه وعمه للقيام بذلك ولما ثبت قدمه بمصر وأزال المخالفين ضعف أمر العاضد وتحكم صلاح الدين في اموره وأقام خادمه قراقوش للولاية عليه في قصره والتحكم عليه فبعث اليه نور الدين محمود الملك العادل بالشأم أن يقطع الخطبة للعاضد ويخطب للمستضىء ففعل ذلك على توقع النكير من أهل مصر فلما وقع ذلك ظهر منه الاغتباط وانمحت آثار الدولة العلوية وتمكنت الدولة العباسية فكان ذلك مبدأ الدولة لبنى أيوب بمصر ثم ملكوا من بعدها أعمال نور الدين بالشأم واستضافوا اليمن وطرابلس الغرب واتسع ملكهم كما يذكر في أخبارهم ولما خطب للمستضىء بمصر كتب له نور الدين محمود من دمشق مبشرا بذلك فضربت البشائر ببغداد وبعث بالخلع الى نور الدين وصلاح الدين مع عماد الدين صندل من خواص المقتفوية وهو استاذدار المستضىء فجاء الى نور الدين بدمشق وبعث الخلع الى صلاح الدين وللخطباء بمصر وباعلام السواد واستقرت الدعوة العباسية بمصر الى هذا العهد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم بعث نور الدين محمود الى المستضىء رسوله القاضى كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزورى قاضى بلاده يطلب التقليد لما بيده من الاعمال وهى مصر والشأم والجزيرة والموصل وما هو في طاعته كديار بكر وخلاط وبلاد الروم التى لقليج ارسلان وان يقطع صريفين ودرب هارون من بلاد سواد العراق كما كانتا لابيه فأكرم الرسول وزاد في الاحسان

اليه وكتب له بذلك

(خبر يزدن من أمراء المستضىء)

كان يزدن قد ولاه المستضىء الحلة فكانت في أعماله وكانت حمايتها لخفاجة وبنى حزن منهم فجعلها يزدن لبنى كعب منهم وأمرهم الغضبان فغضب بنو حزن وأغاروا عليهم على السواد وخرج يزدن في العسكر لقتالهم ومعه الغضبان وعشيرة بنو كعب فبينما هم ليلة يسيرون رمى الغضبان بسهم فمات فعادت العساكر الى بغداد وأعيدت حفاظة السواد الى بنى حزن ثم مات يزدن سنة ثمان وستين وكانت واسط من أقطاعه فاقتطعت لاخيه ايتامش ولقب علاء الدين

(مقتل سنكاه بن أحمد اخى شملة)

قد ذكرنا في دولة المستنجد فتنة سنكاه هذا وعمه شملة صاحب خورستان ثم جاء ابن سنكاه الى قلعة الماهكى فبنى بازائها قلعة ليتمكن بها من تلك الاعمال فبعث المستضىء العسكر من بغداد لمنعه فقاتلهم واشتد قتاله ثم انهزم وقتل وعلق رأسه ببغداد وهدمت القلعة

(وفاة قايماز وهربه)

قد ذكرنا شأن قطب الدين قايماز وانه الذى بايع للمستضىء وجعله أمير العسكر وجعله عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وزيرا ثم استفحل أمر قايماز وغلب على الدولة وحمل المستضىء على عزل عضد الدين أبى الفرج من الوزارة فلم يمكنه مخالفته وعزله سنة سبع وستين فأقام معزولا وأراد الخليفة سنة تسع وتسعين ان يعيده الى الوزارة فمنعه قطب الدين من ذلك وركب فأغلق المستضىء أبواب داره مما يلى بغداد وبعث الى قايماز ولاطفه بالرجوع فيما هم به من وزارة عضد الدين فقال لا بد من اخراجه من بغداد فاستجار برباط شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسمعيل فأجاره واستطال قايماز على الدولة وأصهر على علاء الدين تامش في أخته فزوجها منه وحملوا الدولة جميعا ثم سخط قايماز ظهير الدين بن العطار صاحب المخزن وكان خاصا بالخليفة وطلبه فهرب فاحرق داره وجمع الامراء فاستحلفهم على المظاهرة وأن يقصدوا دار المستضىء ليخرجوا منها ابن العطار فقصد المستضىء على سطح داره وخدامه يستغيثون ونادى في العامة بطلب قايماز ونهب داره فهرب من ظهر بيته ونهبت داره وأخذ منها ما لا يحصى من الاموال واقتتل العامة على ولحق قايماز بالحلة وتبعه الامراء وبعث اليه المستضىء شيخ الشيوخ عبد الرحيم ليسير عن الحلة الى الموصل تخوفا من

عوده الى بغداد فيعود استيلاؤه لمحبة العامة فيه وطاعتهم له فسار الى الموصل وأصابه ومن معه فى الطريق عطش فهلك الكثير منهم وذلك فى ذى الحجة من سنة سبعين وأقام صهره علاء الدين تنامش بالموصل ثم استأذن الخليفة فى القدوم الى بغداد فقدم وأقام بها عاطلا بغير اقطاع وهو الذى حمل قايماز على ما كان منه وولى الخليفة استاذداره سمعر المقتفوى ثم عزله سنة احدى وسبعين وولى مكانه أبا الفضل هبة الله بن على ابن الصاحب

(فتنة صاحب خورستان)

قد ذكرنا أن ملكشاه بن محمود ابن السلطان محمد استقر بخورستان وذكرنا فتنة شملة مع الخلفاء ثم مات شملة سنة سبعين وملك ابنه مكانه ثم مات ملكشاه بن محمود وبقى ابنه بخورستان فجاء سنة ثنتين وسبعين الى العراق وخرج الى البندنجين وعاث فى الناس وخرج الوزير عضد الدين أبو الفرج فى العساكر ووصل عسكر الحلة وواسط مع طاشتكين أمير الحاج وعز على وسار والقاء العدو وكان معه جموع من التركمان فاجفلوا ونهبتهم عساكر بغداد ثم ردهم الملك ابن ملكشاه وأوقعوا بالعسكر أياما ثم مضى الملك الى مكانه وعادت العساكر الى بغداد

(مقتل الوزير)

قد ذكرنا أخبار الوزير عضد الدين أبى الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة كان أبوه استاذدار المقتفى ولما مات ولى ابنه مكانه ولما مات المقتفى أقره المستنجد ورفع قدره ثم استوزره المستضىء وكان بينه وبين قايماز ما قدمناه وأعاده المستضىء للوزارة فلما كانت سنة ثلاث وسبعين استأذن المستضىء فى الحج فأذن له وعبر دجلة فسافر فى موكب عظيم من أرباب المناصب واعترضه متظلم ينادى بظلامته ثم طعنه فسقط وجاء ابن المعوذ صاحب الباب ليكشف خبره فطعن الآخر وحملا الى بيتهما فماتا وولى الوزير ظهير الدين أبو منصور ابن نصر ويعرف بابن العطار فاستولى على الدولة وتحكم فيها

(وفاة المستضىء وخلافة الناصر)

ثم توفى المستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد فى ذى القعدة سنة خمس وسبعين لتسع سنين ونصف من خلافته وقام ظهير الدين العطار فى البيعة لابنه أبى العباس أحمد ولقبه الناصر لدين الله فقام بخلافته وقبض على ظهير الدين بن العطار وحبسه واستصفاه ثم أخرجه من عشر ذى القعدة من محبسه ميتا وفطن به العامة

فتناوله العامة وبعثوا به وتحكم فى الدولة استاذدار مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب وكان تولى أخذ البيعة للناصر مع ابن العطار وبعث الرسل الى الآفاق لاخذ البيعة وسار صدر الدين شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان واصبهان والرى فامتنع من البيعة فأغلظ له صدر الدين فى القول وحرض اصحابه على نقض طاعته ان لم يبايع فاضطر الى البيعة والخطبة ثم قبض سنة ثلاث وثمانين على استاذدار أبى الفضل ابن الصاحب وقتله من أجل تحكمه وأخذه أموالا عظيمة وكان الساعى فيه عند الناصر عبيد الله بن يونس من أصحابه وصنائعه فلم يزل يسعى فيه عند الناصر حتى أمر بقتله واستوزر ابن يونس هذا ولقبه جلال الدين وكنيته أبو المظفر ومشى أرباب الدولة فى خدمته حتى قاضى القضاة

(هدم دار السلطنة ببغداد وانقراض ملوك السلجوقية)

قد ذكرنا فيما تقدم ملك ارسلانشاه بن طغرل ربيب الدكز واستيلاء الدكز عليه وحروبه مع اينانج صاحب الرى ثم قتله سنة أربع وستين واستولى على الرى ثم توفى الدكز الاتابك بهمذان سنة ثمان وستين وقام مكانه ابنه محمد البهلوان وبقى أخوه السلطان ارسلان بن طغرل فى كفالته ثم مات سنة ثلاث وستين ونصب البهلوان مكانه ابنه طغرل ثم توفى البهلوان سنة ثنتين وثمانين وفى مملكته همذان والرى واصبهان وأذربيجان وأرانيه وغيرها وفى كفالته السلطان طغرل بن ارسلان ولما مات البهلوان قام مكانه أخوه كزل ارسلان ويسمى عثمان فاستبد طغرل وخرج عن الكفالة ولحق به جماعة من الامراء والجند واستولى على بعض البلاد ووقعت بينه وبين كزل حروب ثم قوى أمر طغرل وكثر جمعه وبعث كزل الى الناصر يحذره من طغرل ويستنجده ويبذل الطاعة على ما يختاره المستضىء رسوله فأمر بعمارة دار السلطنة ليسكنها وكانت ولايتهم ببغداد والعراق قد انقطعت منذ أيام المقتفى فأكرم رسول كزل ووعده بالنجدة وانصرف رسول طغرل بغير جواب وأمر الناصر بهدم دار السلطنة ببغداد فمحى أثرها ثم بعث الناصر وزيره جلال الدين أبا المظفر عبيد الله بن يونس فى العساكر لانجاد كزل ومدافعة طغرل عن البلاد فسار لذلك فى صفر لسنة أربع وثمانين واعترضهم طغرل على همذان قبل اجتماعهم بكزل واقتتلوا ثامن ربيع وانهزمت عساكر بغداد وأسروا الوزير ثم استولى كزل على طغرل وحبسه ببعض القلاع ودانت له البلاد وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثم قتل على فراشه سنة سبع وثمانين ولم يعلم قاتله

(استيلاء الناصر على النواحى)

توفى الامير عيسى صاحب تكريت سنة خمس وثمانين قتله اخوته فبعث الناصر العساكر فحصروها حتى فتحوها على الامان وجاؤا باخوة عيسى الى بغداد فسكنوها وأقطعهم السلطان ثم بعث سنة خمس وثمانين عساكره الى مدينة عانة فحاصروها مدة وقاتلوها طويلا ثم جهدهم الحصار فنزلوا عنها على الامان واقطاع عينوها ووفى لهم الناصر بذلك

(نهب العرب البصرة)

كانت البصرة فى ولاية طغرل مملوك الناصر كان مقطعها واستناب بها محمد بن اسمعيل واجتمع بنو عامر بن صعصعة سنة ثمان وثمانين وأميرهم عميرة وقصدوا البصرة للنهب والعيث وخرج اليهم محمد بن اسمعيل فى صفر فقاتلهم سائر يومه ثم ثلموا فى الليل ثلما فى السور ودخلوا البلد وعاثوا فيها قتلا ونهبا ثم بلغ بنى عامر أن خفاجة والمشفق ساروا لقتالهم فرحلوا اليهم وقاتلوهم فهزموهم وغنموا أموالهم وعادوا الى البصرة وقد جمع الامير أهل السواد فلم يقووا بالعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة فنهبوها ورحلوا عنها

(استيلاء الناصر على خورستان ثم اصبهان والرى وهمذان)

كان الناصر قد استناب فى الوزارة بعد أسر ابن يونس مؤيد الدين أبا عبد الله محمد ابن على المعروف بابن القصاب وكان قد ولى الاعمال فى خورستان وغيرها وله فيها الاصحاب ولما توفى صاحبها شملة واختلف أولاده راسله بعضهم فى ذلك فطلب من الناصر أن يرسل معه العساكر ليملكها فأجابه وخرج فى العساكر سنة احدى وتسعين وحارب أهل خورستان فملك أولا مدينة تستر ثم ملك سائر الحصون والقلاع وأخذ بنى شملة ملوكها فبعث بهم الى بغداد وولى الناصر على خورستان طاش تكين مجير الدين أمير الحاج ثم سار الوزير الى جهات الرى سنة احدى وتسعين وجاءه قطلغ اينانج بن البهلوان وقد غلبه خوارزم شاه وهزمه عند زنجان وملك الرى من يده وجاء قطلغ الى الوزير مؤيد ورحل معه الى همذان وبها ابن خوارزم شاه فى العساكر فأجفل عنها الى الرى وملك الوزير همذان ورحل فى اتباعهم وملك كل بلد مروا بها الى الرى وأجفل عسكر خوارزم الى دامغان وبسطام وجرجان ورجع الوزير الى الرى فأقام بها ثم انتقض قطلغ بن البهلوان وطمع فى الملك فامتنع بالرى وحاصره الوزير فخرج عنها الى مدينة آوه فمنعهم الوزير منها ورحل الوزير فى أثرهم من الرى الى همذان وبلغه

ان قطلغ قصد مدينة الكرج فسار اليه وقاتله وهزمه ورجع الى همذان فجاءه رسول خوارزم شاه محمد تكش بالنكير على الوزير فى أخذ البلاد وبطلب اعادتها فلم يجبه الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه الى همذان وقد توفى الوزير ابن القصاب خلال ذلك فى شعبان سنة ثنتين وتسعين فقاتل العساكر التى كانت معه بهمذان وهزمهم وملك همذان وترك ولده باصبهان وكانوا يبغضون الخوارزمية فبعث صدر الدين الخجندى رئيس الشافعية الى الديوان ببغداد يستدعى العساكر لملكها فجهز الناصر العساكر مع سيف الدين طغرل يقطع بلد اللحف من العراق وسار فوصل اصبهان ونزل ظاهر البلد وفارقها عسكر الخوارزمية فملكها طغرل وأقام فيها الناصر وكان من مماليك البهلوان ولما رجع خوارزم شاه الى خراسان واجتمعوا واستولوا على الرى وقدموا عليهم كركجه من أعيانهم وساروا الى اصبهان فوجدوا بها عسكر الناصر وقد فارقها عسكر الخوارزمية فملكوا اصبهان وبعث كركجه الى بغداد بالطاعة وأن يكون له الرى وساوة وقم وقاشان ويكون للناصر اصبهان وهمذان وزنجان وقزوين فكتب له بما طلب وقوى أمره ثم وصل الى بغداد أبو الهيجاء السمين من أكابر أمراء بنى أيوب وكان فى اقطاعه بيت المقدس وأعماله فلما ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الافضل بن صلاح الدين عزلوا أبا الهيجاء عن القدس فسار الى بغداد فأكرمه الناصر وبعثه بالعساكر الى همذان سنة ثلاث وتسعين فالتقى بها أزبك بن البهلوان وأمير علم وابنه سطلمش وقد كاتبوا الناصر بالطاعة فداخل أمير علم وقبض على ازبك وابن سطلمش بموافقته وأنكر الناصر ذلك على أبى الهيجاء وأمره باطلاقهم وبعث اليهم بالخلع فلم يأمنوا وفارقوا أبا الهيجاء فخشى من الناصر ودخل الى اربل لانه كان من أكرادها ومات قبل وصوله اليها وأقام كركجه ببلاد الجبل واصطنع رفيقه ايدغمش واستخلصه ووثق به فاصطنع ايدغمش المماليك وانتقض عليه آخر المائة السادسة وحاربه فقتله واستولى على البلاد ونصب أزبك بن البهلوان للملك وكفله ثم توفى طاش تكين أمير خورستان سنة ثنتين وستمائة وولى الناصر مكانه صهره سنجر وهو من مواليه وسار سنجر سنة ثلاث وستمائة الى جبال تركستان جبال منيعة بين فارس وعمان واصبهان وخورستان وكان صاحب هذه الجبال يعرف بأبى طاهر وكان للناصر مولى اسمه قشتمر من أكابر مواليه ساءه وزير الدولة ببعض الاحوال فلحق بأبى طاهر صاحب تركستان فأكرمه وزوجه بابنته ثم مات أبو طاهر فأطاع أهل تلك الولاية قشتمر وملك عليهم وبعث الناصر الى سنجر صاحب خورستان يعضده فى العساكر فسار اليه وبذل له الطاعة على البعد فلم يقبل منه فلقيه وقاتله فانهزم سنجر وقوى قشتمر

على أمره وأرسل الى ابن دكلا صاحب فارس والى ايدغمش صاحب الجبل فاتفق معهما على الامتناع على الناصر واستمر حاله

(عزل الوزير نصير الدين)

كان نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى من أهل الرى من بيت امارة وقدم الى بغداد عندما ملك الوزير ابن القصاب الرى فأقبل عليه الخليفة وجعله نائب الوزارة ثم استوزره وجعل ابنه صاحب المخزن فتحكم فى الدولة وأساء الى أكابر موالى الناصر فلما ج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع سنة ثلاث وستمائة وكان أمير افارق الحاج ومضى الى الشأم وبعث الى الناصر ان الوزير ينفى عليك مواليك ويريد أن يدعى الخلافة فعزله الناصر وألزمه بيته وبعث من كل شئ ملكه ويطلب الاقامة بالمشهد فأجابه الناصر بالامان والاتفاق وان المعزلة لم تكن لذنب وانما أكثر الاعداء المقالات فوقع ذلك واحترز لنفسه موضعا ينتقل اليه موقرا محترما فاختار ايالة الناصر خوفا أن يذهب الاعداء بنفسه ولما عزل عاد سنقر أمير الحاج وعاد أيضا قشتمر وأقيم نائبا فى الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن اسمينا الواسطى ولم يكن له ذلك التحكم وقارن ذلك وفاة صاحب المخزن ببغداد أبو فراس نصر بن ناصر ابن مكى المدائنى فولى مكانه أبو الفتوح المبارك بن عضد الدين أبى الفرج بن رئيس الرؤساء وأعلى محله وذلك فى المحرم سنة خمس وستمائة ثم عزل آخر السنة لعجزه ثم عزل فى ربيع من سنة ست وستمائة فخر الدين بن اسمينا ونقل الى المخزن وولى نيابة الوزارة مكانه مكين الدين محمد بن محمد بن بدر القمر كاتب الانشاء ولقب مؤيد الدين

(انتقاض سنجر بخورستان)

قد ذكرنا ولاية سنجر مولى الناصر على خورستان بعد طاش تكين أمير الحاج ثم استوحش سنة ست وستمائة واستقدمه الناصر فاعتذر فبعث اليه العساكر مع مؤيد الدين نائب الوزارة وعز الدين بن نجاح الشرابى من خواص الخليفة فلما قاربته العساكر لحق بصاحب فارس أتابك سعد بن دكلا فأكرمه ومنعه ووصلت عساكر الخليفة خورستان فى ربيع من سنته وبعثوا الى سنجر فى الرجوع الى الطاعة فأبى وساروا الى ارجان لقصد ابن دكلا بشيراز والرسل تتردد بينهم ثم رحلوا فى شوال يريدون شيراز فبعث ابن دكلا الى الوزير والشرابى بالشفاعة فى سنجر واقتضاء الامان له فأجابوه الى ذلك وأعادوا سنجر الى بغداد فى المحرم سنة ثمان وستمائة ودخلوا به مقيدا وولى الناصر مولاه ياقوتا أمير الحاج على خورستان ثم أطلق الناصر سنجر فى صفر

من سنة ثمان وستمائة وخلع عليه

{استيلاء منكلى على بلاد الجبل واصبهان وهرب ايدغمش ثم مقتله ومقتل منكلى وولاية اغلمش}

قد ذكرنا استيلاء ايدغمش من أمراء البهلوانية على بلاد الجبل همذان واصبهان والرى وما اليها فاستفحل فيها وعظم شأنه وتخطى الى أذربيجان وأرانيه فحاصر صاحبها أزبك بن البهلوان ثم خرج سنة ثمان وستمائة منكلى من البهلوانية ونازعه الملك وأطاعه البهلوانية فاستولى على سائر تلك الاعمال وهرب شمس الدين ايدغمش الى بغداد وأمر الناصر بتلقيه فكان يوما مشهودا وخشى منكلى من اتصاله فأوفد ابنه محمدا فى جماعة من العسكر وتلقاه الناس على طبقاتهم وقد كان الناصر شرع فى امداد ايدغمش فأمده وسار الى همذان فى جمادى من سنة عشر ووصل الى بلاد ابن برجم من التركمان الايوبية وكان الناصر عزله عن امارة قومه وولى أخاه الاصغر فبعث الى منكلى بخبر ايدغمش فبعث العساكر بطلبه فقتلوه وافترق جمعه وبعث الناصر الى أزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان وأرانيه يغريه به وكان مستوحشا منه وأرسل أيضا الى جلال الدين صاحب الموت وغيرها من قلاع الاسماعيلية من بلاد العجم بمعاضدة أزبك على أن يقتسموا بلاد الجبل وجمع الخليفة العساكر من الموصل والجزيرة وبغداد وقدم على عسكر بغداد مملوكه مظفر الدين وجه السبع واستقدم مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كوجك وهو على اربل وشهرزور وأعمالها وجعله مقدم العساكر جميعا وساروا الى همذان فهرب منكلى الى جبل قريب الكرج وأقاموا عليه يحاصرونه ونزل منكلى فى بعض الايام فقاتل أزبك وهزمه الى مخيمه ثم جاء من الغد وقد طمع فيهم فاشتدوا فى قتاله وهزموه فهرب عن البلاد أجمع وافترقت عساكره واستولت العساكر على البلاد وأخذ جلال الدين ملك الاسماعيلية منها ما عينته القسمة وولى أزبك بن البهلوان على بقية البلاد اغلمش مملوك أخيه وعادت العساكر الى بلادها ومضى منكلى منهزما الى مدينة ساوة فقبض عليه الشحنة بها وقتله وبعث أزبك برأسه الى بغداد وذلك فى جمادى سنة ثنتى عشرة

(ولاية حافد الناصر على خورستان)

كان للناصر ولد صغير اسمه على وكنيته أبو الحسن قد رشحه لولاية العهد وعزل عنها ابنه الاكبر وكان هذا أحب ولده اليه فمات فى ذى القعدة سنة عشر فتفجع له وحزن عليه حزنا لم يسمع بمثله وشمل الاسف عليه الخاص والعام وكان ترك ولدين لقبهما المؤيد

والموفق فبعثهما الناصر الى تستر من خورستان بالعساكر فى المحرم سنة ثلاث عشرة وبعث معهما مؤيد الدين نائب الوزارة وعزل مؤيد الدين الشرابى فأقاما بها أياما ثم أعاد الموفق مع الوزير والشرابى الى بغداد فى شهر ربيع وأقام المؤيد بتستر

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل وطلب الخطبة له ببغداد)

كان اغلمش قد استولى على بلاد الجبل كما ذكرناه واستفحل أمره وقوى ملكه فيها ثم قتله الباطنية سنة أربع عشرة وستمائة وكان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه وارث ملك السلجوقية قد استولى على خراسان وما وراء النهر فطمع فى اضافة هذه البلاد اليه فسار فى عساكره واعترضه صاحب بلاد فارس أتابك سعد بن دكلا على اصبهان وقد ساقه من الطمع فى البلاد مثل الذى ساقه فقاتله وهزمه خوارزم وأخذه أسيرا ثم سار الى ساوة فملكها ثم قزوين وزنجان وابهر ثم همذان ثم اصبهان وقم وقاشان وخطب له صاحب أذربيجان وأرانيه وكان يبعث فى الخطبة الى بغداد ولا يجاب فاعتزم الآن على المسير اليها وقدم أميرا فى خمسة عشر ألف فارس وأقطعه حلوان فنزلها ثم أتبعه بأمير آخر فلما سار عن همذان سقط عليهم الثلج وكادوا يهلكون وتخطف بقيتهم بنو برجم من التركمان وبنو عكا من الاكراد واعتزم خوارزم شاه على الرجوع الى خراسان وولى على همذان طابسين وجعل امارة البلاد كلها لابنه ركن الدين وأنزل معه عماد الملك المساوى متوليا أمور دولته وعاد الى خراسان سنة خمس عشرة وأزال الخطبة للناصر من جميع أعماله

(اجلاء بنى معروف عن البطائح)

كان بنو معروف هؤلاء من ربيعة ومقدمهم معلى وكانت محالهم غربى الفرات قرب البطائح فكثر عيثهم وافسادهم السابلة وارتفعت شكوى أهل البلاد الى الديوان منهم فرسم للشريف سعد متولى واسط وأعمالها أن يسير الى قتالهم واجلائهم فجمع العساكر من تكريت وهيت والحديثة والانبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة فهزمهم واستباحهم وتقسموا بين القتل والاسر والغرق وحملت الرؤس الى بغداد فى ذى القعدة سنة عشر

(ظهور التتر)

ظهرت هذه الامة من أجناس الترك سنة ست عشرة وستمائة وكانت جبال طمغاج من أرض الصين بينها وبين بلاد تركستان ما يزيد على ستة أشهر وكان ملكهم يسمى

جنكزخان

جنكزخان من قبيلة يعرفون نوحى فسار الى بلاد تركستان وما وراء النهر وملكها من أيدى الخطا ثم حارب خوارزم شاه الى أن غلبه على ما فى يده من خراسان وبلاد الجبل ثم تخطى أرانيه فملكها ثم ساروا الى بلاد شروان وبلد اللان والكرز فاستولوا على الامم المختلفة بتلك الاصقاع ثم ملكوا بلاد قفجاق وسارت طائفة أخرى الى غزنة وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان فملكوا ذلك كله فى سنة أو نحوها وفعلوا من العيث والقتل والنهب ما لم يسمع بمثله فى غابر الازمان وهزموا خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش فلحق بجزيرة فى بحر طبرستان فامتنع بها الى أن مات سنة احدى وعشرين سنة من ملكه ثم هزموا ابنه جلال الدين بغزنة واتبعه جنكزخان الى نهر السند فعبر الى بلاد الهند وخلص منهم وأقام هنالك مدة ثم رجع سنة ثنتين وعشرين الى خورستان والعراق ثم ملك أذربيجان وأرمينية الى أن قتله المظفر حسبما نذكر ذلك كله مقسما بين دولتهم ودولة بنى خوارزم شاه أو مكررا فيهما فهنالك تفصيل هذا المجمل من أخبارهم والله الموفق بمنه وكرمه

(وفاة الناصر وخلافة الظاهر ابنه)

ثم توفى أبو العباس أحمد الناصر بن المستضىء فى آخر شهر رمضان سنة ثنتين وعشرين وستمائة لسبع وأربعين سنة من خلافته بعد أن عجز عن الحركة ثلاث سنين من آخر عمره وذهبت احدى عينيه وضعف بصر الاخرى وكانت حاله مختلفة فى الجد واللعب وكان متفننا فى العلوم وله تآليف فى فنون منها متعددة ويقال انه الذى أطمع التتر فى ملك العراق لما كانت بينه وبين خوارزم شاه من الفتنة وكان مع ذلك كثيرا ما يشتغل برمى البندق واللعب بالحمام المناسيب ويلبس سراويل الفتوة شأن العيارين من أهل بغداد وكان له فيها سند الى زعمائها يقتصه على من يلبسه اياها وكان ذلك كله دليلا على هرم الدولة وذهاب الملك عن أهلها بذهاب ملاكها منهم ولما توفى بويع ابنه أبو نصر محمد ولقب الظاهر وكان ولى عهده عهد له أولا سنة خمس وثمانين وخمسمائة ثم خلعه من العهد وعهد لاخيه الصغير على لميله اليه وتوفى سنة ثنتى عشرة فاضطر الى اعادة هذا فلما بويع بعد أبيه أظهر من العدل والاحسان ما حمد منه ويقال انه فرق فى العلماء ليلة الفطر التى بويع فيها مائة ألف دينار

(وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر)

ثم توفى الظاهر أبو نصر محمد فى منتصف رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة لتسعة أشهر ونصف من ولايته وكانت طريقته مستقيمة وأخباره فى العدل مأثورة ويقال انه قبل

وفاته كتب بخطه الى الوزير توقيعا يقرؤه على أهل الدولة فجاء الرسول به وقال أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال يرز مرسوم وأنفذ مثال ثم لا يتبين له أثر بل أنتم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال ثم تناولوا الكتاب وقرؤه فاذا فيه بعد البسملة انه ليس امهالنا اهمالا ولا اغضاؤنا اغفالا ولكن انبلوكم أيكم أحسن عملا وقد غفرنا لكم ماسلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح السنة واظهار الباطل الجلي فى صورة الحق الخفى حيلة ومكيدة وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكا للاغراض انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن ليث باسل وأنياب أسد مهيب تنطقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه الى هواكم ماطلتم بحقه فيطيعكم وأنتم له عاصون ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن فقد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا وفقركم غنى وباطلكم حقا ورزقكم سلطانا يقيل العثرة ولا يؤاخذ الا من أصر ولا ينتقم الا ممن استمر يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه يخاف الله فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم فى طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله فى أرضه وأمنائه على خلقه والا هلكتم والسلام ولما توفى بويع ابنه أبو جعفر المستنصر وسلك مسالك أبيه الا أنه وجد الدولة اختلفت والاعمال قد انتقضت والجباية قد انتقصت أو عدمت فضاقت عن أرزاق الجند وأعطياتهم فأسقط كثيرا من الجند واختلفت الاحوال وهو الذى أعاد له محمد بن يوسف بن هود دعوة العباسية بالاندلس آخر دولة الموحدين بالمغرب فولاه عليها وذلك سنة تسع وعشرين وستمائة كما يذكر فى أخبارهم ولآخر دولته ملك التتر بلاد الروم من يد غياث الدين كيخسرو آخر ملوك بنى قليج ارسلان ثم تخطوها الى بلاد أرمينية فملكوها ثم استأمن اليهم غياث الدين فولوه من قبلهم وفى طاعتهم كما يذكر فى أخبارهم ان شاء الله تعالى انتهى

(وفاة المستنصر وخلافة المستعصم آخر بنى العباس ببغداد)

لم يزل هذا الخليفة المستنصر ببغداد فى النطاق الذى بقى لهم بعد استبداد أهل النواحى كما قدمنا ثم انحل أمرهم من هذا النطاق عروة وملك التتر سائر البلاد وتغلبوا على ملوك النواحى ودولهم أجمعين ثم زاحموهم فى هذا النطاق وملكوا أكثره ثم توفى المستنصر سنة احدى وأربعين لست عشرة سنة من خلافته وبويع بالخلافة ابنه عبد الله ولقب المستعصم وكان فقيها محدثا وكان وزيره ابن العلقمى رافضيا وكانت الفتنة ببغداد لا تزال متصلة بين الشيعة وأهل السنة وبين الحنابلة وسائر أهل المذاهب وبين العيارين والدعار والمفسدين مبدأ الامراء الاول فلا تتجدد فتنة

بين الملوك وأهل الدول الاو يحدث فيما بين هؤلاء مايعنى أهل الدولة خاصة زيادة لما يحدث منهم أيام سكون الدول واستقامتها وضاقت الاحوال على المستعصم فأسقط أهل الجند وفرض أرزاق الباقين على البياعات والاسواق وفى المعايش فاضطرب الناس وضاقت الاحوال وعظم الهرج ببغداد ووقعت الفتن بين الشيعة وأهل السنة وكان مسكن الشيعة بالكرخ فى الجانب الغربى وكان الوزير ابن العلقمى منهم فسطوا بأهل السنة وأنفذ المستعصم ابنه أبا بكر وركن الدين الدوادار وأمرهم بنهب بيوتهم بالكرخ ولم يراع فيه ذمة الوزير فآسفه ذلك وتربص بالدولة وأسقط معظم الجند يموه بأنه يدافع التتر بما يتوفر من أرزاقهم فى الدولة وزحف هلاكو ملك التتر سنة ثنتين وخمسين الى العراق وقد فتح الرى واصبهان وهمذان وتتبع قلاع الاسماعيلية ثم قصد قلعة الموت سنة خمس وخمسين فبلغه فى طريقه كتاب ابن الصلايا صاحب اربل وفيه وصية من ابن العلقمى وزير المستعصم الى هلاكو يستحثه لقصد بغداد ويهون عليه أمرها فرجع عن بلاد الاسماعيلية وسار الى بغداد واستدعى أمراء التتر فجاءه بيجو مقدم العسكر ببلاد الروم وقد كانوا ملكوها ولما قاربوا بغداد برز للقائهم ايبك الدوادار فى العساكر فانكشف التتر أولا ثم تذامروا فانهزم المسلمون واعترضتهم دون بغداد أوحال مياه من بثوق انفتقت من دجلة فتبعهم التتر دونها وقتل الدوادار وأسر الامراء الذين معه ونزل هلاكو بغداد وخرج اليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمى فاستأمن لنفسه ورجع بالامان الى المستعصم وانه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم فخرج المستعصم ومعه الفقهاء والاعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ثم قتل المستعصم شدخا بالعمد ووطأ بالاقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين وركب الى بغداد فاستباحها واتصل العيث بها أياما وخرج النساء والصبيان وعلى رؤسهم المصاحف والالواح فداستهم العساكر وماتوا أجمعون ويقال ان الذى أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على مالا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد وألقيت كتب العلم التى كانت بخزائنهم جميعها فى دجلة وكانت شيأ لا يعبر عنه مقابلة فى زعمهم بما فعله المسلمون لاول الفتح فى كتب الفرس وعلومهم واعتزم هلاكو على اضرام بيوتها نارا فلم يوافقه أهل مملكته ثم بعث العساكر الى ميافارقين فحاصروها سنين ثم جهدهم الحصار واقتحموها عنوة وقتل حاميتها جميعا وأميرهم من بنى أيوب وهو الملك ناصر الدين محمد بن شهاب الدين غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب وبايع له صاحب الموصل وبعث بالهدية والطاعة وولاه على عمله

لز لو له لد لج لب لا ل كط كح

المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضئ بن المستنجد بن المقتفى الراشد بن المسترشد بن المستظهر المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم بن القادر

ط ح ز و ه د ج ب

الواثق بن المعتصم المأمون الامين بن الرشيد الهادى بن المهدى بن المنصور السفاح محمد بن على بن عبد الله بن عباس

ثم بعث بالعساكر الى اربل فحاصرها وامتنعت فرحل العساكر عنها ثم وصل اليه صاحبها ابن الصلاية فقتله واستولى على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة كلها وتاخم الشأم جميع جهاته حتى زحف اليه بعد كما نذكر وانقرض أمر الخلافة الاسلامية لبنى العباس ببغداد وأعاد لها ملوك الترك رسما جديدا فى خلفاء نصبوهم هنالك من اعقاب الخلفاء الاولين ولم يزل متصلا لها العهد على ما نذكر الآن ومن العجب أن يعقوب بن اسحق الكندى فيلسوف العرب فى ذكر ملاحمه وكلامه على القرآن الذى دل على ظهور الملة الاسلامية العربية أن انقراض أمر العرب يكون أعوام الستين والستمائة فكان كذلك وكانت دولة بنى العباس من يوم بويع للسفاح سنة ثنتين وثلاثين ومائة الى أن قتل المستعصم سنة خمس وستمائة خمسمائة سنة وأربعا وعشرين وعدد خلفائهم ببغداد سبعة وثلاثون خليفة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

{ الخبر عن الخلفاء العباسيين المنصوبين بمصر من بعد انقراض }
{ الخلافة ببغداد ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم }

لما هلك المستعصم ببغداد واستولى التتر على سائر الممالك الاسلامية فافترق شمل الجماعة وانتثر سلك الخلافة وهرب القرابة المرشحون وغير المرشحين من قصور بغداد فذهبوا في الارض طولا وعرضا ولحق بمصر كبيرهم يومئذ أحمد ابن الخليفة الظاهر وهو عم المستعصم وأخو المستنصر وكان سلطانها يومئذ الملك الظاهر بيبرس ثالث ملوك الترك بعد بني أيوب بمصر والقاهرة فقام على قدم التعظيم وركب لتلقيه وسر بقدومه وكان وصوله سنة تسع وخمسين فجمع الناس على طبقاتهم بمجلس الملك بالقلعة وحضر القاضي يومئذ تاج ابن بنت الاعز فاثبت نسبه في بيت الخلفاء بشهادة العرب الواصلين معه بالاستفاضة ولم يكن شخصه خفيا وبايع له الظاهر وسائر الناس ونصبه للخلافة الاسلامية ولقبوه المستنصر وخطب له على المنابر ورسم اسمه في السكة وصدرت المراسم السلطانية بأخذ البيعة له في سائر أعمال السلطان وفوض هو للسلطان الملك الظاهر سائر أعماله وكتب تقليده بذلك وركب السلطان ثاني يومه الى خارج البلد ونصب خيمة يجتمع الناس فيها فاجتمعوا وقرأ كتاب التقليد وقام السلطان بأمر هذا الخليفة ورتب له أرباب الوظائف والمناصب الخلافية من كل طبقة وأجرى الارزاق السنية وأقام له الفسطاط والآلة ويقال أنفق عليه في معسكره ذلك ألف ألف دينار من الذهب العين واعتزم على بعثه الى بلاد العراق لاسترجاعه ممالك الاسلام من يد أهل الكفر وقد كان وصل على اثر الخليفة صاحب الموصل وهو اسمعيل الصالح بن لؤلؤ أخرجه التتر من ملكه بعد مهلك أبيه فامتعض له الملك الظاهر ووعده باسترجاع ملكه وخرج آخر هذه السنة مشيعا للخليفة ولصالح بن لؤلؤ ووصل بهما الى دمشق فبالغ هنالك في تكرمتهما وبعث معهما أميرين من أمرائه مددا لهما وأمرهما أن ينتهيا معهما الى الفرات فلما وصلوا الفرات بادر الخليفة بالعبور وقصد الصالح بن لؤلؤ الموصل واتصل الخبر بالتتر فجردوا العساكر لقائه والتقى الجمعان بغانة وصدموه هنالك فصادمهم قليلا ثم تكاثروا عليه فلم يكن له بهم طاقة وأبلى في جهادهم طويلا ثم استشهد رحمه الله وسارت عساكر التتر الى الموصل فحاصروا الصالح اسمعيل بها سبعة أشهر وملكوها عليه عنوة وقتل رحمه الله وتطلب السلطان بمصر الملك الظاهر بعده آخر من أهل هذا البيت يقيم برسم الخلافة الاسلامية وبينما هو يسائل الركبان عن ذلك اذ وصل رجل من بغداد ينتسب الى الراشد بن المسترشد قال صاحب حماة في تاريخه عن نسابة مصر انه أحمد بن حسن بن أبي بكر ابن الامير أبي علي ابن الامير حسن بن الراشد

وعند العباسيين السليمانيين في درج نسبهم الثابت انه أحمد بن أبي بكر بن علي بن أحمد بن الامام المسترشد انتهى كلام صاحب حماة ولم يكن في آبائه خليفة فيما بينه وبين الراشد وبايع له بالخلافة الاسلامية ولقبه الحاكم وفوض هو اليه الامور العامة والخاصة وخرج هو له عن العهدة وقام حافظا لسياج الدين باقامة رسم الخلافة وعمرت بذكره المنابر وزينت باسمه السكة ولم يزل على هذا الحال أيام الظاهر بيبرس وولديه بعده ثم أيام الصالح قلاون وابنه الاشرف وطائفة من دولة ابنه الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن هلك سنة احدى وسبعمائة ونصب ابنه أبو الربيع سليمان للخلافة بعده ولقبه المستكفي وحفظ به الرسم وحضر مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون للقاء التتر في النوبتين اللتين لقيهم فيها فاستوحش منه السلطان بعض أيامه وأنزله بالقلعة وقطعه عن لقاء الناس عاما أو نحوه ثم أذن له في النزول الى بيته ولقائه الناس اذا شاء وكان ذلك سنة ست وثلاثين ثم تجددت له الوحشة وغربه الى قوص سنة ثمان وثلاثين ثم هلك الخليفة أبو الربيع سنة أربعين قبل مهلك الملك الناصر رحمهما الله تعالى وكان عهد بالخلافة لابنه أحمد فبويع له ولقب الحاكم ثم بدا للسلطان في امضاء عهد أبيه بذلك فعزله واستبدل منه بأخيه ابراهيم ولقبه الواثق وكان مهلك الناصر لاشهر قريبة من ذلك فأعادوا أحمد الحاكم ولي عهد أبيه سنة احدى وأربعين وأقام في الخلافة الى سنة ثلاث وخمسين وهلك رحمه الله فولي من بعده أخوه أبو بكر ولقب المعتضد ولم يزل مقيما لرسم الخلافة الى أن هلك لعشرة أعوام من خلافته سنة ثلاث وستين ونصب بعده ابنه محمد ولقب المتوكل فأقام برسم الخلافة وحضر مع السلطان الاشرف شعبان ابن حسين بن الملك الناصر عام انتقض عليه الترك في طريقه الى الحج وفسد أمره ورجع الفل الى مصر وطلبه أمراء الترك في البيعة له بالسلطنة مع الخلافة فامتنع من ذلك ثم خلعه ايبك من أمراء الترك المستبدين أيام سلطانه بالقاهرة سنة تسع وتسعين لمغاضبة وقعت بينهما ونصب للخلافة زكريا ابن عمه ابراهيم الواثق فلم يطل ذلك وعزل زكريا بالايام قليلة وأعاده الى منصبه الى أن كانت واقعة قرط التركماني من أمراء العساكر بمصر ومداخلته للمفسدين في الثورة بالسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق سنة خمس وثمانين وسعى عند السلطان بأنه ممن داخله قرط هذا فاستراب به وحبسه بالقلعة سنة ستين وأدال منه بعمر ابن عمه الواثق ابراهيم ولقبه   فأقام ثلاثا أو نحوها ثم هلك رحمه الله آخر عام ثمانية وثلاثين ونصب السلطان عوضه أخاه زكريا الذي كان ايبك نصبه كما قدمناه ذكره ثم حدثت فتنة بلبغا الناصري صاحب حلب سنة احدى وتسعين وسبعمائة وتعالى على السلطان بحبسه الخليفة وأطال النكير

فى ذلك فأطلق السلطان الخليفة محمدا المتوكل من محبسه بالقلعة وأعاده الى الخلافة على رسمه الاول وبالغ فى تكرمته وجرت فيما بين ذلك خطوب نذكر أخبارها مستوفاة فى دولة الترك المقيمين لرسم هؤلاء الخلفاء بمصر وانما ذكرنا هنا من أخبارهم ما يتعلق بالخلافة فقط دون أخبار الدولة والسلطان وهذا الخليفة المتوكل المنصوب الآن لرسم الخلافة والمعين لاقامة المناصب الدينية على مقتضى الشريعة والمبرك بذكره على منابر هذه الايالة تعظيما لابيهم الظاهر وجريا على سنن التبرك بسلفهم ولكمال الايمان فى محبتهم وتوفية لشروط الامامة سعتهم ومازال ملوك الهند وغيرهم من ملوك الاسلام بالنواحى يطلبون التقليد منه ومن سلفه بمصر ويكاتبون فى ذلك ملوك الترك بها من بنى قلاون وغيره فيجيبونهم الى ذلك ويبعثون اليهم بالتقليد والخلع والابهة ويمدون القائمين بأمورهم بمواد التأييد والاعانة بعز الله وفضله

(خلفاء العباسيين بمصر بعد بغداد)

محمد المتوكل بن أبى بكر المعتضد بن سليمان المستكفى بن أحمد الحاكم بن أبى بكر بن أحمد المسترشد بن المستظهر

لم ١٤٦ ٣٤ ا

عمر بن ابراهيم الواثق

١ - أحمد المستنصر

أوّل من بويع بمصر من العباسيين

المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضى بن المستنجد بن المقتفى

تم الجزء الثالث ويليه الجزء
الرابع أوّله أخبار
الدولة العلوية

م